النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الأول

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية

بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

مؤسسة الكتب الثقافية
الصنائع . بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب ،
ص.ب ٥١١٥ ، ١١٤ . برقياً : الكتبكو .
بيروت . لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفُسنا وسيِّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هَدْي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

-١-

اعلم ـ رحمك الله ـ أن التفسير: علمٌ يُفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

-٢-

وقد قال العلماء:

أ ـ من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أوّلاً من القرآن، فما أُجمل منه في مكان، فقد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه.

ب ـ فإن أعياه ذلك طلبه من السُّنة، فإنها شارحة للقرآن وموضِّحة له، قال الشافعيّ رحمه الله:

(كل ما حَكَم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾[1].

في آيات أُخر، وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثلَه معه» يعني السُّنة)[2].

جـ ـ فإن لم يجده في السُّنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وقد قال الحاكم في المستدرك: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوَحْي، والتنزيل له حُكم المرفوع،

قال الإمام النووي: وأما قول من قال تفسير الصحابي مرفوع، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية ونحوه» ولتفصيل ذلك أنظر: تدريب الراوي (١/١٩٣)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني (٢/٥٣١).

-٣-

إذا لم يَرد نص من الكتاب والسنة أو من قول صحابي في تفسير آية من القرآن الكريم وقام أحد من التابعين بتفسيرها اجتهاداً من عنده، فهل يُقبل تفسيره؟ اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال، الراجح في نظرنا مذهب ابن تيمية، رحمه الله ـ في هذه المسألة: وهو أن التابعي إذ تفرد بقول ليس له شاهد أو ما يؤيده رفُض. أما إذا اجتمع التابعون على شيء فلا شك في اعتباره حُجة، وأما إذا اختلفوا فلا يكون

---

(١) النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) كتاب السُّنَّة، باب لزوم السُّنة.

قول بعضهم حجة على بعض، ولا على مَن بَعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن والسُّنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك[1]».

-٤-

إعلم ـ رحمك الله ـ أن التفسير بالمأثور هو الذي يجب اتباعه والأخذ به، لأنه طريق المعرفة الصحيحة، وهو آمن سبيل للحفظ من الزَّلَل والزَّيغ في كتاب الله. وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله»[2].

(١) تفسير النسائي ١/٢٢.

(٢) مباحث في علوم القرآن. مناع القطان ـ ص ٣٥٠.

-٥-

التعريف بتفسير الماوردي

«النكت والعيون»

هو تفسير كامل للقرآن الكريم، اقتصر فيه الإمام الماوردي على تفسير ما خفي من آيات القرآن الكريم، أما الجلي الواضح فتركه لفهم القارىء، وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخَلَف، كما أضاف إلى ذلك ما ظهر له من معنى محتمل. ورتَّبه ترتيباً بديعاً، فهو يحصر الأقوال الكثيرة في تأويل الآية في عدد، ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث. . . الخ. وينسب كل قول إلى قائله غالباً، مع توجيه لبعض الأقوال، وترجيح، كما أنه يترك كثيراً منها بدون توجيه وترجيح.

وقد اعتنى فيه بالتفسيرات اللغوية، فيذكر أصول الكلمات، ويوضحها بضرب الأمثال، والاستشهاد عليها بالشِّعر، ويربطها بالمعنى المراد من الآية في عبارة موجزة ناصعة البيان[١].

قال الإمام الماوردي مبيناً لمنهجه، في مقدمة تفسيره: «ولما كان الظاهر الجليُّ مفهوماً بالتلاوة، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل واجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره، جعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف وموضحاً عن المؤتلف والمختلف، وذاكراً ما سنح به الخاطر من معنى محتمل، عبرت عنه بأنه محتمل ليتميز ما قيل مما قلته، ويعلم ما استخرج مما استخرجته، وعدلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تاليه ليكون أقرب مأخذاً وأسهل مطلباً، وقدمت لتفسيره فصولاً تكون لعلمه أصولاً،

---

(١) العز بن عبد السلام ـ للدكتور عبد الله الوهيبي (ص ١٦٧).

يتضح منها ما اشتبه تأويله، وخفي دليله، وأنا أستمد من الله ـ تعالى ـ حُسن معونته، وأسأله الصلاة على محمد وآله وصحابته».

-٦-

امتاز تفسير الماوردي بأمور منها:

١ ـ جمعه لأقوال السلف والخلف التي قيلت في تفسير الآية.

٢ ـ تحليلاته اللغوية الدقيقة في بيان مفردات الآية.

٣ ـ منهجه الدقيق في حصر الأقوال.

٤ ـ أنه لم يقتصر على المأثور فحسب، بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه والقراءات، والأحكام الفقهيات.

٥ ـ مكانة المؤلِّف، في الفقه الشافعي وكونه إماماً فرداً فيه، وقيمة الاحتجاج بما يرجِّحه.

مصادر الماوردي في تفسيره.

«أ» القراءات:

اعتمد رحمه الله على كتب القراءات التي كانت موجودة في عصره ككتاب «القراءات الشاذة» لابن خالويه، وكتاب «الحجة في علل القراءات السبع» لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، وكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، ولقد استفاد أيضاً من كتب مكي بن أبي طالب القيسي، وكُتب أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

«ب» في التفسير بالمأثور.

يعتبر كتاب الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» من أهم مصادره في التفسير بالمأثور.

كذلك فقد نقل كثيراً عن مقاتل بن حيان، ومحمد بن إسحاق بن يسار، صاحب السيرة.

«جـ» مصادره اللغوية والنحوية:

استمد الماوردي مادته اللغوية والنحوية من مصادر كثيرة ومتنوعة فنقل عن

الكسائي، والفراء، والأخفش، وثعلب، والمبرد، والزجاج، من مؤلفاتهم في معاني القرآن.

وعن أبي عبيدة من «مجاز القرآن» وعن الرماني من كتاب «الجامع لعلم القرآن».

كما نقل عن الخليل بن أحمد، وسيبويه، وعمرو بن العلاء.

«د» مصادره الفقهية:

يعنى الماوردي خاصة بأقوال الشافعي رحمه الله في المسائل الفقهية كما تجده يشير إلى أئمة المذاهب الأخرى كأبي حنيفة ومالك وداود الظاهري، ولم يتطرق للإمام أحمد بن حنبل ولعله قد تأثر بالطبري الذي يرى أن الإمام أحمد محدثاً وليس فقيهاً!!!.

ترجمة المؤلّف
«الماوردي».

١ ـ اسمه:

هو أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب الماوردي. البصري الشافعي.

٢ ـ نسبته: الماورديّ نسبة إلى بيع الماورد وعمله، وهو ماء الورد الذي كان يعمل به والده ويبيعه(١).

٣ ـ مولده:

وُلد ـ رحمه الله ـ سنة ٣٦٤ هـ ـ ٩٧٤ م وذلك في البصرة، وذلك في أزهى عُصور الثقافة الإسلامية: حين بلغت الدولة العباسية، درجة رفيعة من الرّقيِّ والتقدم العلمي(٢).

٤ ـ نشأته العلمية:

تلقَّى ـ رحمه الله ـ علومه الأولى في البصرة على يد أبي القاسم الصيمري، وهو عالم البصرة آنذاك، ثم رحل إلى بغداد وسكن في درب الزعفراني وفيها سمع الحديث وأخذ الفقه، وانضم إلى حلقات أبي حامد الإسفرائيني لاستكمال ثقافته.

ولما بلغ أشُدّه واستوى تصدّر للتدريس في بغداد والبصرة، وتَنَقَّل في بعض المدن الأخرى لنشر علمه، ثم استقر به المقام في بغداد فدرَّس بها عدة سنين، وحدَّث فيها وفسَّر القرآن وألَّف فيها كتبه التي تدل على أنه كان عالماً بالحديث والفقه

---

(١) محيي هلال السرحان، أدب القاضي (١/٢٢).

(٢) اللباب ٣/٩٠، شذرات الذهب ٣/٢٨٥ والأنساب للسمعاني.

والأدب والنحو والفلسفة والسياسة وعلوم الإجتماع والأخلاق، وقد وَلِيَ القضاء ببلدان كثيرة.

وعن طريق وظيفة القاضي خَبر الماوردي حياة الناس اليومية عن قُرب وعرف ما يقوم بينهم من أنواع المنازعات في مختلف نواحي الحياة[(١)].

ولُقِّب بقاضي القضاة في سنة ٤٢٩ هـ، وجرى من الفقهاء، إنكار لهذه التسمية، وقالوا: لا يجوز أن يسمى به أحد، ولم يلتفت لأقوالهم واستمر له لقب «أقضى القضاة!!»[(٢)] إلى أن مات، واشتهر ذلك في كُتب المؤرخين حتى أصبح يُذكر مقروناً بهذا اللَّقب عند الباحثين، وقد لُقب به القضاة فيما بعد.

٥ ـ شيوخه:

١ ـ الصيمري: أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين البصري، تتلمذ عليه في علوم الفقه، توفي الصيمري سنة ست وثمانين وثلاثمائة[(٣)].

٢ ـ الإسفرائيني: أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرائيني، حافظ المذهب الشافعي وإمامه، تتلمذ عليه في الفقه. وتوفي الإسفرائيني سنة ست وأربعمائة[(٤)].

٣ ـ الباقي: عبد الله محمد البخاري ـ الشيخ الإمام أبو محمد الباقي، أخذ عنه الفقه، مات رحمه الله في المحرم سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[(٥)].

٤ ـ الحسن بن علي بن محمد الجبلي، أخذ عنه الحديث[(٦)].

(١) المضاربة ـ للماوردي (ص ٥٧ ـ ٥٨).

(٢) شذرات الذهب (٣/٢٨٥)، الأعلام للزركلي (٥/١٤٦).

(٣) ترجمة الصيمري في: معجم البلدان (٣/٤٣٩)، طبقات الشافعية لابن السبكي (٣/٣٣٩)، وفيات الأعيان (٥/٤٠٦).

(٤) ترجمة الإسفرائيني في: طبقات الشافعية لابن السبكي (٤/٦١)، المنتظم لابن الجوزي (٧/٢٧٧)، تاريخ بغداد (٤/٣٦٨).

(٥) ترجمة الباقي في: طبقات الشافعية للسبكي (٣/٣١٧)، معجم البلدان (١/٤٧٥)، البداية والنهاية (١١/٣٤٠)، شذرات الذهب (٣/١٥٢).

(٦) ترجمته في الأنساب للسمعاني، وفي ترجمة الماوردي في تاريخ بغداد (١٢/١١٠).

٥ ـ جعفر بن محمد الفضل بن عبد الله أبو القاسم الدقاق: ويعرف بابن المارستاني البغدادي، أخذ عنه الحديث. ومات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[١].

٦ ـ محمد بن عديّ بن زهر المنقري. أخذ عنه الحديث.

٧ ـ محمد بن المعلى بن عبيد الله، أبو عبد الله الأسدي الأزدي النحوي اللغوي، أخذ عنه العلوم العربية[٢].

٦ ـ تلاميذه:

١ ـ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد بن مهدي، أحد أعلام الحفاظ ومهرة الحديث وأحد الأئمة المشهورين[٣]، توفي سنة ٤٦٣ هـ.

٢ ـ ابن خيرون: أبو الفضل أحمد بن الحسين المعروف بابن الباقلاني[٤]، توفي سنة ٤٨٨ هـ.

٣ ـ عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل الهمذاني، المعروف بالمقدسي[٥]، توفي سنة ٤٨٩ هـ.

٤ ـ عليّ بن الحسين بن عبد الله الربعي، المعروف بابن عربية[٦]، توفي سنة ٥٠٢ هـ.

٥ ـ محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسين بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعي الموصلي[٧]، توفي سنة ٤٩٤ هـ.

٦ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بابن كادش

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد (٢٣٣/٧)، لسان الميزان (٢٦٠/٤).

(٢) معجم الأدباء (٥٥/١٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات الشافعية لابن السبكي.

(٣) ترجمة الخطيب في: طبقات الشافعية (٣٩/٤)، البداية والنهاية (١٠١/١٢)، معجم الأدباء (٣٣/٤)، تذكرة الحفاظ (٣١٧/٣).

(٤) ترجمته في: البداية والنهاية (١٤٩/١٢)، ميزان الاعتدال (٩٢/١).

(٥) ترجمته في: الطبقات الكبرى للسبكي (١٦٢/٥).

(٦) النجوم الزاهرة (١٩٩/٥)، شذرات الذهب (٤/٤)، العبر للذهبي (٥/٤).

(٧) طبقات الشافعية الكبرى (١٠٢/٤)، البداية والنهاية (١٦١/٨).

البغدادي[١]، توفي سنة ٥٢٦ هـ .

٧ ـ أحمد بن علي بن بدران أبو بكر الحلواني، أخذ عنه الحديث[٢]. مات سنة ٥٠٧ هـ .

٨ ـ عبد الرحمن بن عبد الكريم بن هوازن، أبو منصور القشيري أخذ عنه الحديث[٣]، مات سنة ٤٨٢ هـ .

٩ ـ عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، أبو منصور القشيري أخذ عنه الحديث[٤]، مات سنة ٤٩٤ هـ .

١٠ ـ عبد الغني بن نازل بن يحيى بن الحسن بن شاهي الألواحي، أبو محمد البصري، أخذ عنه الحديث[٥]، مات سنة ٤٨٦ هـ .

١١ ـ علي بن سعيد بن عبد الرحمن بن محرز بن أبي عثمان المعروف بأبي الحسن العبدري، أخذ عنه الحديث[٦]، مات سنة ٤٩٣ هـ .

١٢ ـ محمد بن أحمد بن عمر، أبو عمر النهاوندي الحنفي. أخذ عنه الحديث[٧]، مات سنة ٤٩٧ هـ . بالبصرة. وهناك تلاميذ كثير غيرهم.

٧ ـ مؤلفات الماوردي:

١ ـ الأحكام السلطانية، وهو من أقدم ما طبع من مؤلفاته رحمه الله وهو متداول ومعروف.

٢ ـ أدب الوزير، طبع بهذا العنوان في القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ وعنوان الكتاب

---

(١) البداية والنهاية (١٢/٢٠٤).

(٢) طبقات السبكي (٦/٢٨)، شذرات الذهب (٤/١٦)، تذكرة الحفاظ (٤/١٢٤١)، الكامل لابن الأثير (١/١٧٥).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٠٥).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٥/٢٢٥).

(٥) معجم البلدان (٤/٣٧٣)، طبقات السبكي (٥/١٣٥).

(٦) طبقات الشافعية (٥/٢٥٧).

(٧) المنتظم لابن الجوزي (٩/١٤١).

الأصلي هو «قوانين الوزارة وسياسة الملك» ثم قام الأستاذ الدكتور محمد سليمان داود بتحقيقه ونشره عام ١٩٧٦ م على نسخة أمانة استانبول تحت عنوان «الوزارة».

٣ ـ أدب الدنيا والدين ـ مطبوع.

٤ ـ أعلام النبوة. مطبوع.

٥ ـ أدب القاضي ـ وهو قسم من كتاب الحاوي الكبير نشره محققاً الدكتور محيـي هلال السرحان.

٦ ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر. مخطوط. ومنه في مكتبات العالم نسختان. إحداهما موجودة بمكتبة غوته بألمانيا الشرقية وتحمل رقم ١٨٧٢.

والثانية: نسخة مختصرة في إحدى عشرة ورقة بكلية الآداب في طهران وتحمل رقم ٩٠ دش.

٧ ـ نصيحة الملوك. يوجد مخطوطاً بالمكتبة الوطنية بباريس ضمن مجموع رقم ٢٤٤٧ وترتيبه الثالث في هذا المجموع. ويقع في ٦٣ صفحة.

٨ ـ الأمثال والحكم: وتوجد نسخة منه في مكتبة ليدي تحت رقم ٣٨٢ وارنو.

٩ ـ الحاوي الكبير: وهو أكبر موسوعة فقهية في الفقه الإسلامي عامة والمذهب الشافعي خاصة، يقول عنه مؤلفه: «بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين».

يريد بالمبسوط كتاب «الحاوي» وبالمختصر كتاب «الإقناع»[1]. ويوجد هذا الكتاب مفرقاً في مكتبات كثيرة في أنحاء العالم وقد قدّم دراسة حصرية لها الدكتور السرحان في مقدمة أدب القضاء من «الحاوي»[2] فلتراجع.

١٠ ـ النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم، وهو كتابنا هذا. وسنتكلم عليه بالتفصيل إن شاء الله. بعد ذلك.

٨ ـ وفاته ـ رحمه الله:

كانت وفاته في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة خمسين وأربعمائة.

---

(١) معجم الأدباء. لياقوت الحموي (١٥/١٢، ٤٠٨).

(٢) مقدمة أدب القاضي (٤٦ ـ ٥٠).

ودفن الماوردي بباب حرب ببغداد، وصلّى عليه الخطيب البغدادي في جامع المدينة، وشيَّعهُ رؤساء الدولة وعلماؤها[1].

٩ ـ مصادر ترجمته:

١ ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي (١٢/١١٠).
٢ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٥/١٢).
٣ ـ المنتظم لابن الجوزي (٨/١٩٩).
٤ ـ العبر في خبر من غبر (٣/٢٢٦).
٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٥/٢٦٧).
٦ ـ البداية والنهاية لابن كثير (١١/٨٠).
٧ ـ النجوم الزاهرة ـ لابن تغري بردى (٥/٦٤).
٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣/٢٨٥).
٩ ـ الكامل لابن الأثير (٨/٨٧).
١٠ ـ وفيات الأعيان. لابن خلكان (٢/٢٤٤).
١١ ـ طبقات الفقهاء للشيرازي. ص ١٣١.
١٢ ـ مفتاح السعادة. طاش كبرى زادة (١/٢٦٣).
١٣ ـ طبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٥.
١٤ ـ اللباب في تهذيب الأنساب (٣/٩٠).
١٥ ـ معجم المؤلفين. لكحالة (٧/١٨٩).
١٦ ـ الأعلام. للزركلي (٥/١٤٦).
١٧ ـ معجم المطبوعات العربية (٢/١٦١١).
١٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية (٣/٤١٦).
١٩ ـ لسان الميزان ـ لابن حجر (٤/٢٦٠).
٢٠ ـ مقدمة أدب الدنيا والدين. تحقيق السقا.
٢١ ـ مقدمة المضاربة. تحقيق الدكتور عبد الوهاب حواس وقد استفدنا منه كثيراً جزاه الله خيراً.

---

(١) طبقات الشافعية (٥/٢٦٧)، تاريخ بغداد (١٢/١٠٢).

منهج التحقيق

١ ـ تم نَسخ الكتاب كاملاً من مجموع المخطوطات المتناثرة حيث أنه لا توجد مخطوطة واحدة كاملة للكتاب. ولكن ولله الحمد. بمجموع النسخ والأجزاء صار الكتاب كاملاً. ولعلّ هذا السبب في تأخر نشر هذا الكتاب برغم أنه من أقدم التفاسير.

٢ ـ ثم خرجنا أحاديث الكتاب من المصادر التي أمكننا الوقوف عليها، ثم أَبَنَّا عن درجة كل حديث مما لم يرد في الصحيحين أو أحدهما، حسب الأصول والقواعد المتبعة في علم مصطلح الحديث. وذكرنا ما قيل في رجاله ممن تُكلّم فيهم مسترشدين بأقاويل جهابذة الحديث ونُقّاده، فإنهم القدوة في هذا الباب، وما كان فيه من أخبار ضعيفة بحثنا في طرقها المختلفة، وشواهدها، فما تقوّى منها بتعدد الطرق أو بالشواهد حكمنا عليه بالصحة أو الحُسن تبعاً لمنزلة تلك الطرق والشواهد، وما لم نجد له ما يقويه، حكمنا عليه بالضعف، وأشرنا إلى ذلك معززين ما ذهبنا إليه بنقول عن الحفاظ من أئمة الحديث الذين عُنوا بذلك في القديم والحديث.

٣ ـ ثم اهتممنا بضبط النّص، ووزعناه توزيعاً فنياً وضبطنا بالشكل ما يشتبه من الألفاظ والمواضع والكنى والأسماء.

٤ ـ شرحنا ما جاء فيه من الغريب من غير بسط ولا إسهاب.

٥ ـ علقنا على مواضع منه بما يستكمل مقاصده ويوضح مراميه، ويُيَسِّر الإنتفاع منه.

٦ ـ وما ورد فيه من آياتٍ وأحاديث فقد ضبطناه بالشكل الكامل.

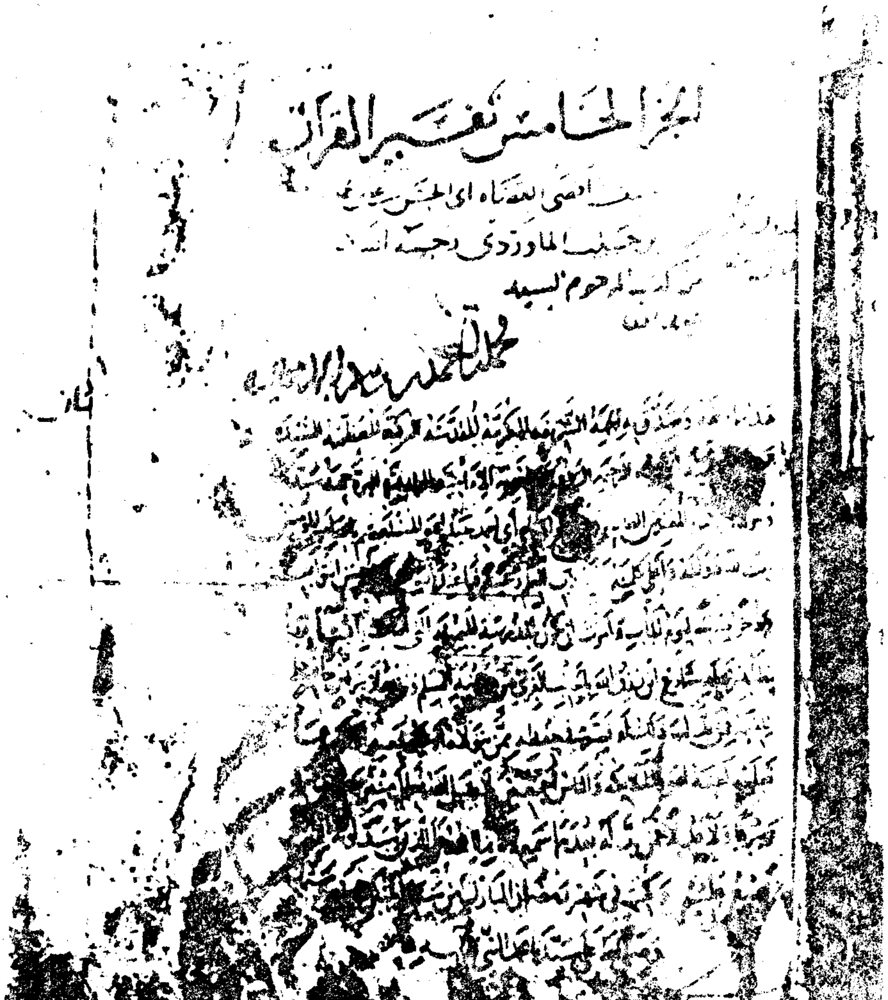
مخطوطات الكتاب

يعتبر كتاب «النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم» من أهم التفاسير للقرآن الكريم ولا غَرْو أن يعتمده من جاء بعده من العلماء ونقلوا منه كالإمام ابن الجوزي في «زاد المسير»، والإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن».

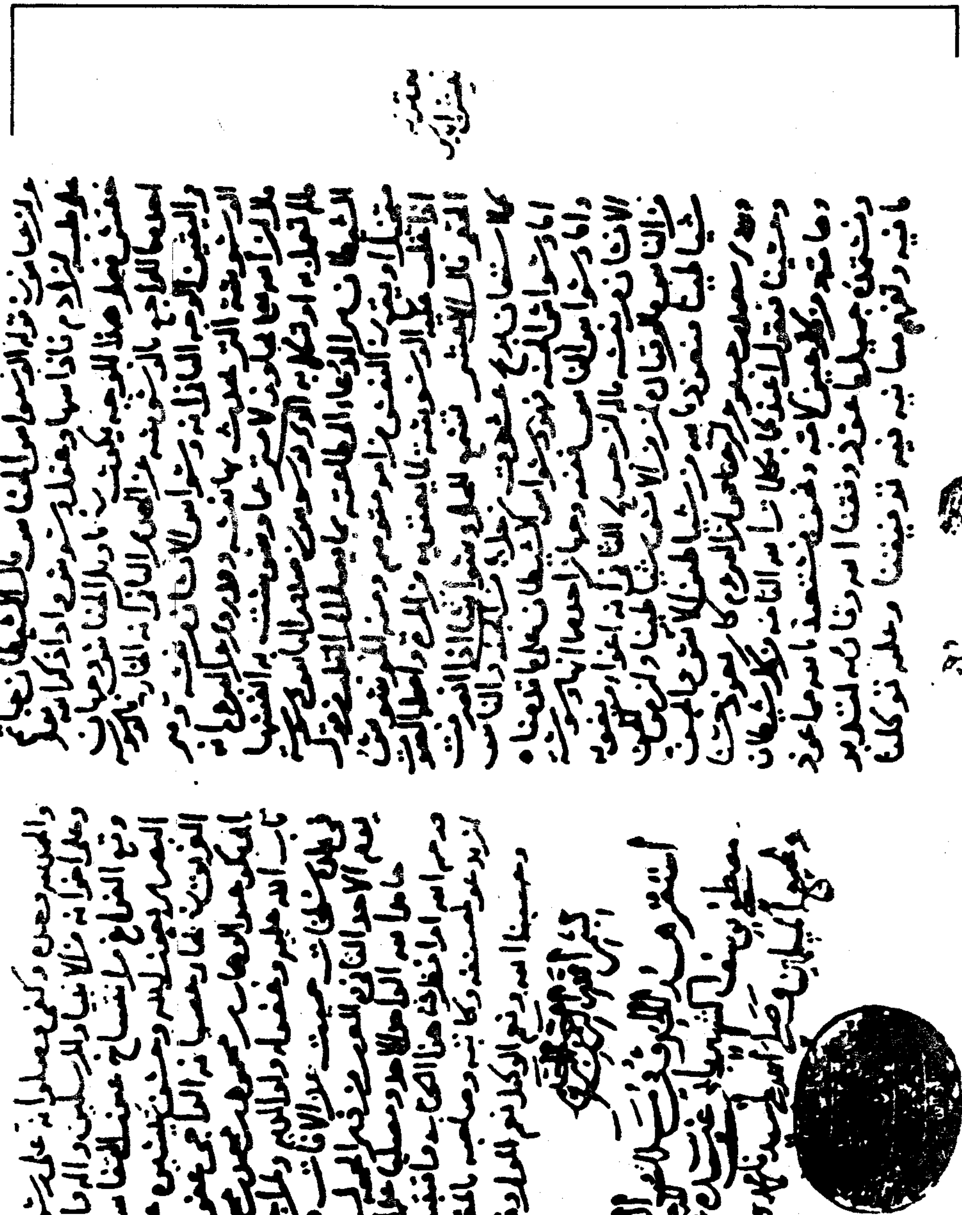
لذلك توجد نسخ كثيرة منه مخطوطة، بيد أنها متناثرة في شتى مكتبات العالم تقريباً.

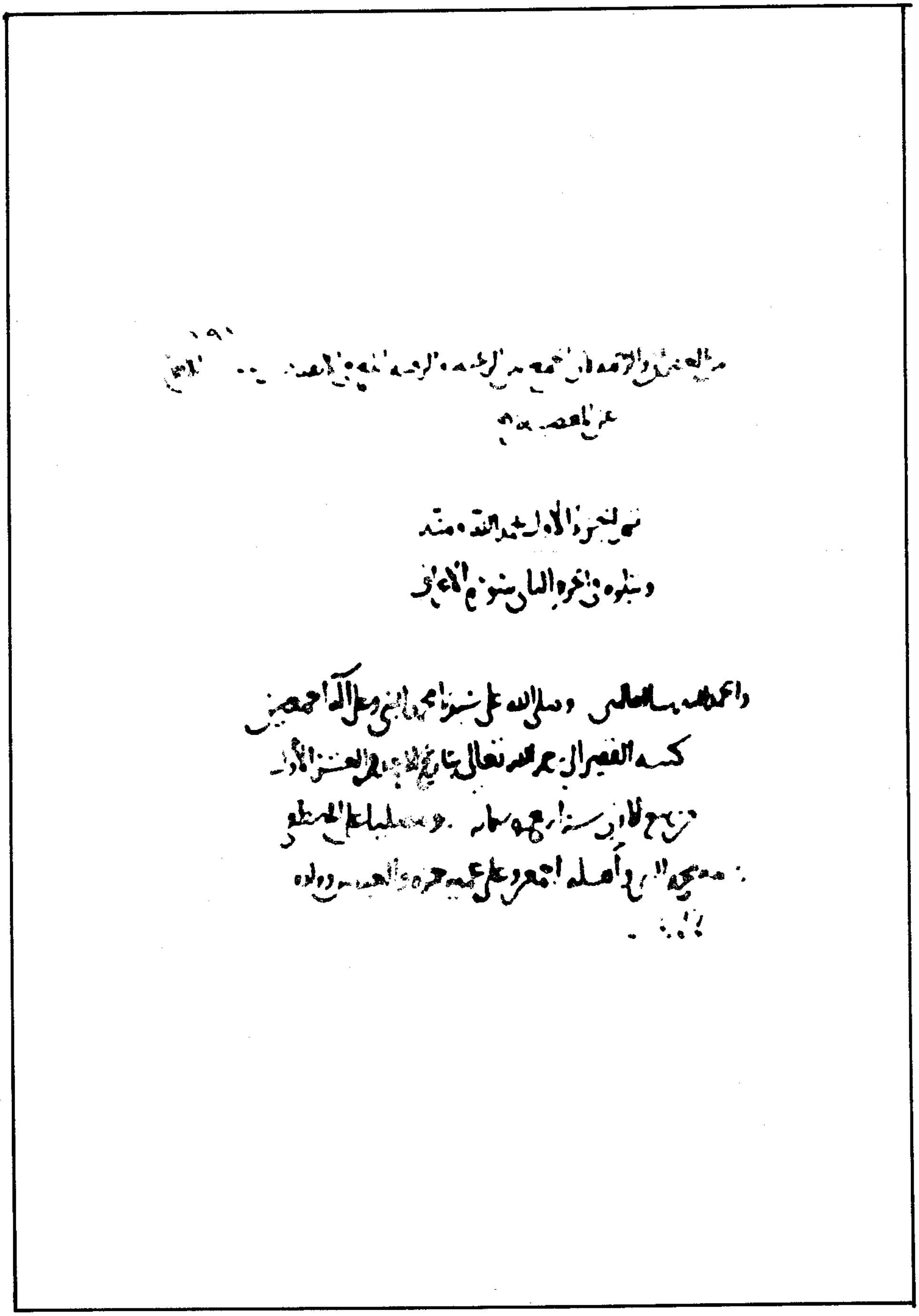
ولا توجد له نسخة كاملة قط باستثناء نسخة مكتبة كوبريلي باستنانبول على ما فيها من مؤاخذات.

ومن مجموع نسخ خطية في مكتبات العالم تم نشر هذا الكتاب النافع ـ إن شاء الله، وفي الصفحات التالية صور لبعض صفحات منها.



صورة من مخطوطة المكتبة العباسية
«العراق ـ البصرة»





تم الجزء الأول بحمد الله ومنه

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله أجمعين

كتبه الفقير إلى الله تعالى

صورة مخطوطة آخر المجلد الأول من مخطوطة
مكتبة «قليج علي ـ استانبول «تركيا»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم ومنَّ علينا بكتابه المبين ، وخصَّهُ بِمُعْجِزٍ دلَّ على تنزيله ، ومنع من تبديله ، وبيَّن به صِدْقَ رسولِه ، وجعل ما استودعه على نوعين : ظاهراً جَلِيّاً وغامضاً خفيّاً يشترك الناس في علم جليِّهِ ويختص العلماء بتأويل خفيِّهِ حتى يَعُمَّ الإعجاز ، ثم يحصل التفاضل والإمتياز .

ولمَّا كان ظاهرُ الجليِّ مفهوماً بالتلاوة ، وكان الغامضُ الخَفيُّ لا يُعلم إلا من وجهين : نقلٍ واجتهادٍ ، جعلت كتابي هذا مقصوراً على تأويل ما خفي علمه ، وتفسير ما غمض تصوُّرُهُ وفهمه ، وجعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف ، وموضحاً عن المُؤتلف والمختلف ، وذاكراً ما سنح به الخاطر من معنىً يحتمل ، عبّرت عنه بأنه محتمل ، ليتميَّزَ ما قيل مما قلته ويُعْلَمَ ما آستُخْرِجَ ممَّا آستخرَجْتُهُ .

وعَدَلت عمَّا ظهر معناهُ من فَحْواهُ اكتفاءً بفهم قارئه وتصوُّر تَالِيهِ ، ليكون أقربَ مأخذاً وأسهلَ مطلباً .

وقَدَّمتُ لتفسيره فصولاً ، تكون لعمله أصولاً ، يُسْتَوْضَحُ منها ما اشتبه تأويله ، وخَفِيَ دليلُه ، وأنا أستمدُّ اللهَ حسن معونته ، وأسأله الصلاة على محمد وآله وصحابته .

أَسْمَاءُ ٱلْقُرْآنِ

سمى اللهُ القرآنَ في كتابه بأربعة أسماء :

أحدها : القرآن ، قال الله عـز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْـكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذا ٱلْقُرْآنَ ﴾ .

والثاني : الفُرقان قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ .

والثـالث : الكتـاب قـال الله تعـالى : ﴿ ٱلْحَمْـدُ لِلَّهِ ٱلَّـذِي أَنْـزَلَ عَلَى عَبْـدِهِ ٱلْكِتَابَ ﴾ .

والرابع : الذكر قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ .

فأمَّا تسميته بالقرآن ففيه تأويلان :

أحـدهما : وهـو قول عبـد الله بن عبـاس[1] ، مصـدر من قـولـك قَـرَأْتُ أي بَيَّنْتُ ، آستشهاداً بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـاهُ فَٱتَّبِـعْ قُرْآنَـهُ ﴾ يعني إذا بيَّنَّاهُ فـاعمل به .

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ قرأ القرآن على أُبي ، عمر ، عثمان ، علي وأبي ذر وغيرهم ، ومن تلاميذه : مجاهد ، سعيد بن جبير ، والأعرج وغيرهم، دعا النبي ﷺ له فقال: « اللهم علمه التـأويل وفقهـه في الدين » ومنـاقبه رضي الله عنه كثيرة . توفي بالطائف سنة ثمان وستين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : اليوم مـات رباني الأمة وقد كف بصره في أواخر عمره رضي الله عنه . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٢/٣٦٥)، تاريخ البخاري الكبير (٥/٣)، حلية الأولياء (١/٣١٤) الاستيعـاب (٢/٣٥٠)، البداية والنهاية (٨/٢٩٥)، الاصابة (٢/٣٣٠) وغيرها كثير.

والتأويل الثاني : وهو قول قتادة[٢]، أنه مصدر من قولك قرأت الشيء ، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، لأنه آي مجموعة ، مأخوذ من قولهم : ما قرأت هذه الناقة سَلىً قط ، أي لم ينضم رَحِمُها على ولد ، كما قال عمرو بن كلثوم[٣] :

تُرِيكَ إذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلاَءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ ٱلْكَاشِحِينَا
ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

أي لم تضم رحماً على ولد ، ولذلك سُمِّي قرء العدة قرءاً لاجتماع دم الحيض في الرحم .

فأما تسميته بالفرقان ، فلأن الله عز وجل فرَّق فيه بين الحق والباطل ، وهو قول الجماعة ، لأن أصل الفرقان هو الفرقُ بين شيئين .

وأمّا تسميته بالكتاب ، فلأنه مصدر من قولك كتَبْتُ كتاباً ، والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومتفرقة ، وسمي كتاباً وإن كان مكتوباً ، كما قال الشاعر[٤] :

تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي وَفِيهَا كِتَابٌ مِثْلَ مَا لُصِقَ ٱلْغِرَاءُ

يعني مكتوباً ، والكتابة مأخوذة من الجمع من قولهم : كتبت السقاء ، إذا جمعته بالخرْز قال الشاعر[٥] :

لَا تَأْمَنَنَّ فِزَارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَادِ

وأما تسميته بالذكر ، ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه ذكر من الله تعالى ذكَّر به عبادَه ، وعرفهم فيه فرائضَه وحدودَه .

والثاني : أنّه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به ، وصدق بما جاء فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ يعني أنه شرف له ولقومه[٦] .

---

(٢) هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي ، أبو الخطاب . عالم أهل البصرة كان آية في الحفظ وذا باع في اللغة وأيام العرب توفي رحمه الله سنة ١١٧ . أنظر : ـ
شذرات الذهب (١٥٣/١)، معجم المؤلفين (١٢٧/٨)، صفة الصفوة (١٨٣/١).

(٣) هذان البيتان من معلقة عمرو المشهورة . أنظر شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص ٣٧٧ ، ٣٧٩ .

(٤) بيت من الشعر لشاعر أرسله إلى امرأته في مكتوب أعلمها فيه بطلاقها . تفسير الطبري (١٧/١).

(٥) بيت من قصيدة هجاء لسالم بن دارة هجا فيها ثابت بن رافع الفزاري فقتله الشعر والشعراء (٣٦٣).

(٦) معظم هذا الفصل إن لم يكن كله مأخوذ من تفسير الطبري (٩٤/١) وأزيد هنا أن للقرآن أسماء =

أما التوراة ، فإن الفرّاء[7] يجعلها مشتقة من قولهم : وَرِيَ الزند إذا خرج ناره ، يريد أنّها ضياء .

وأما الزبور ، فإنه مشتق من قولهم : زَبَرَ الكتاب يزبُره إذا كتبه ، ومنه قول الشاعر[8] :

عَرَفْتُ ٱلدِّيَارَ كَرَقْمِ ٱلْكِتَا ... بِ يَزْبُرُهُ ٱلْكَاتِبُ ٱلْحِمْيَرِيُّ

وأما الإنجيل ، فهو مأخوذ من نجلت الشيء ، إذا أخرجته ، ومنه قيل لنسل الرجل نجله ، كأنه هو استخرجهم ، قال الشاعر :

أَنْجَبُ أَيَّامِ وَالِدَيْهِ مَعاً ... إِذْ نَجَلاَهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلاَ

فصل

روى أبو بردة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ أنه قال : « **أَعْطَانِي رَبِّي مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطُّول ، ومَكَانَ الإِنْجِيلِ المثَانِيَ ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ المِئِينَ ، وَفَضَّلَنِي ربِّي بالمُفَصَّل** »[9] .

فأما السبع الطول ، فالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف

= أخرى غير هذه تربو على المائة ذكرت في (١/١٦٩) دقائق التفسير.

(٧) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي أبو زكريا العلامة صاحب التصانيف النحوي ، صاحب الكسائي . مات رحمه الله بطريق الحج سنة سبع ومئتين . أنظر طبقات الزبيدي (١٤٣)، البداية والنهاية (١٠/٢٦١)، معجم الأدباء (٢٠/٩).

(٨) الشاعر هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت من قصيدة له ديوان الهذليين (١/٦٤).

(٩) رواه الطبري (١/١٠١) من الطريق التي ذكرها المؤلف من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي بردة عن أبي المليح به وليث أكثر الجمهور على تضعيفه لكن للحديث متابعة من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح به رواها الطبري (١/١٠٠) والطريق التي ذكرها المؤلف رواها أحمد أيضاً (٤/١٠٧) والطيالسي برقم (١٩٧) والطبراني في الكبير (٢٢/٧٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/١٥٤) وحسنها الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٤٦٩) ثم صحح الحديث بعد ذلك في المصدر المشار إليه وللحديث شاهد من مرسل أبي قلابة بسند صحيح رواه الطبري (١/١٠٠) وقد حسن الإمام السيوطي الحديث في الجامع (١/٥٦٥) ولعله لشاهده وللمتابع وإلا فهو ضعيف من طريق واحد .

تنبيه : فات العلامة الألباني نسبة الحديث للمسند في السلسلة وهو فيه كما رأيت.

ويونس ، في قول سعيد بن جبير[١٠] ونحوه ، عن ابن عباس[١١] ، وهو الصحيح ، وإنما سُمِّيت السبعَ الطولَ لطولها على سائر القرآن .

أما (المئون) فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص عنها شيئاً . وأما المثاني ، ففيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها السّور التي عَنِيَ الله فيها القصص والأمثال والفرائض والحدود ، وهذا قول عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير .

والثاني : أنها فاتحة الكتاب ، وهو قول الحسن البصري[١٢]، قال الراجز :

نَشَدْتُكم بِمَنْزِلِ القُرآنِ   أُمِّ الكِتَابِ السّبعِ مِنْ مَثَانِي
ثَنِّينَ مِنْ آيٍ مِنَ القرآنِ   والسَّبع سَبْع الطُّوَل الدّوَانِي

والثالث : أنّ المثاني ما ثنيت المائة فيها من السور ، فَبَلَغَ عددُها مائتي آيةٍ أو ما قاربها ، فكأن المائتين لها أوائل ، والثاني ثواني ، وقال بعض الشعراء[١٣]:

حَلَفْتُ بالسَّبعِ اللَّواتِي طُوِّلَتْ   وَمَائَتَيْنِ بَعْدَهَا قَدْ أمنت
وَبِمَثَانِي ثُنِّيَتْ وكُرِّرت   وبالطواسين التي قد ثلثت
وبالحواميم التي قَدْ سَبقَت   وَبَالتَّفَاصِيلِ التي قَدْ فُصِّلَتْ

وأما المفصل ، فإنما سمي مُفَصَّلاً لكثرة الفصول التي بين سُوَرِهِ ، وهو بسم الله الرحمن الرحيم ، وسمي المفصلُ محكماً ، لما قيل إنه لم ينسخ شيء منه .

واختلفوا في أول المفصل على ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو قول الأكثرين : أنه سورة محمد ﷺ إلى سورة الناس .

---

(١٠) هو سعيد بن جبير بن هشام الإمام العلم ، أبو عبد الله ، الأسدي . كان من سادة التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة أجل تلاميذ ابن عباس استشهد رحمه الله بواسط سنة خمس وتسعين : أنظر : -
طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦)، سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤)، ثقات ابن حبان (٢٧٥/٤).

(١١) أفاد الحافظ في الفتح أن النسائي رواه عنه بسند صحيح (١٥٨/٨ فتح).

(١٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، أبو سعيد ، سيد أهل زمانه علماً وعملاً . كان إمام أهل البصرة . أخباره ومناقبه يطول شرحها توفي سنة عشر ومئة . أنظر : -
سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)، حلية الأولياء (١٣١/٢)، الأعلام للزركلي (٢٢٧/٢).

(١٣) هذه الأبيات في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٧.

والثـاني : من سورة قٓ إلى النـاس ، حكاه عيسى بن عمـر[١٤]، عن كثير من الصحابة .

والثالث : وهو قول ابن عباس : من سورة الضحى إلى الناس ، وكان يفصل في الضحى بين كل سورتين بالتكبير ، وهو رأي قراء مكة .

فصل

وأما السورة من سورة القرآن ، وتجمع سُوَراً ففيها لغتان :

إحداهما : بهمز .

والأخرى : بغير همز .

فـأما السـورة بغير همـز ، فهي المنزلـة من منازل الارتفـاع ، ومن ذلك سُمِّيَ سُورُ المدينة لارتفاعه على ما يحويه ، ومنه قولُ نابغةِ بني ذبيان :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ۝ تَرَىٰ كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ[١٥]

يعني منـزلة من منـازل الشرف ، التي قصـرت عنها منـازل الملوك ، فسُميت السورة لارتفاعها وعلو قدرها .

وأما السُّؤْرَةُ بالهمزة ، فهي القطعة ، التي قد فُضِّلَتْ من القـرآن على سواهـا وأُبْقِيَتْ منه ، لأن سُؤْرَ كلِّ شيء بَقِيَّتُه بَعْدَمَـا يُؤخَذُ منـه ولذلـك سُمِّيَ ما فَضَـل في الإنـاء بعد الشـرب منه سُؤْراً ، وقـال النبيُّ ﷺ : « إِذَا شَرِبْتُمْ فَـأَسْئِرُوا »[١٦] يعني

(١٤) هو عيسى بن عمر الكوفي ، أبو عمـر ، قرأ على عـاصم وطلحة بن مصـرف والأعمش وغيرهم وقـرأ عليه الكسائي وعبد الرحمن بن أبي حماد وغيرهما . توفي سنة ست وخمسين ومئة . أنظر :- التاريخ الكبير (٣٩٧/٧)، سير أعلام النبلاء (١٩٩/٧)، معرفة القراء (١١٩/١).

(١٥) بيت من قصيـدة مدح وإعتـذار مدح فيهـا النابغـة الذبيـاني النعمان بن المنـذر ملك الحيـرة . أنـظر ديوانه : ٥٧ .

(١٦) وفي نسخة أخرى إذا أكلتم وهذا الحديث وذاك ذكـرا بدون إسنـاد فقد نقلهمـا القـاري عن القـاضي عياض كما في كشف الخفا (٨٣/١) بدون عـزو لأحد وقـال النجم عن حديث إذا أكلتم فأفضلوا لم أجده حديثاً بل في الحديث ما يعارضه كحديث مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ أمـر بلعق الأصابـع والصحفـة وقال: « إنكم لا تـدرون في أي طعامكم البـركة ». وقـد تعرّض الـوزير ابن هبيرة لتأويـل حديث إذا شربتم فاسئروا كمـا نقله ابن رجب في ذيل الـطبقات (٢٧٢/١) عن ابن الجـوزي عنه . ولم ينسب الحديث لأحد .

فأبقوا فضلةً في الإناءِ ، ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة يصف آمرأةً فارقته ، فأبقت في قلبه بقية من حبها :

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي ٱلْفُؤَا　　　دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيْرا[١٧]

والأول من القولين أصحُّ .

وأما الآية من القرآن ، ففيها تأويلان :

أحدهما : إنما سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها ، لأن الآية العلامة ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ﴾ يعني علامة منك لإجابتك دعاءنا . وقال الشاعر ، وهو عبد بني الحسحاس :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا ـ عَمْرُكَ ٱللَّهُ ـ يَا فَتَىٰ　　　بِآيَةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا[١٨]

والتأويل الثاني : أن الآية في كلامهم ، القصة والرسالة ، كما قال كعب بن زهير :

أَلَا أَبْلِغَا هذَا ٱلْمُعَرِّضَ آيَةً　　　أَيَقْظَانُ قَالَ ٱلْقَوْلَ أَوْ قَالَ ذُو حِلْمِ

فيكون معنى الآية القصة ، التي تتلو قصة بفصول ورسول وأصول .

وروى أبو حازم[١٩] ، عن أبي سلمة[٢٠] ، عن أبي هريرة[٢١] ، أن رسول الله ﷺ قال : « نَزَلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، والمِرَاءُ فِي القُرْآنِ كُفْرٌ (ثلاث

---

(١٧) ديوان الأعشى : ٦٧ .

(١٨) بيتاً من قصيدة لكعب في ديوانه : ٦٤ .

(١٩) هو أبو حازم الأشجعي صاحب أبي هريرة محدث ثقة اسمه سلمان الكوفي ، حدث عن أبي هريرة فأكثر وعن ابن عمر مات في خلافة عمر بن عبد العزيز قريباً من سنة مئة : أنظر : طبقات ابن سعد (٢٩٤/٦)، تاريخ الإسلام (٧٣/٤)، سير أعلام النبلاء (٧/٥).

(٢٠) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف وقيل اسمه اسماعيل كان ثقة فقيهاً . كثير الحديث من الطبقة الثانية من التابعين توفي رحمه الله في المدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد . أنظر : طبقات ابن سعد (١٥٥/٥)، تاريخ ابن عساكر(١٤٩/٩)، تاريخ الاسلام (٧٦/٤).

(٢١) هو عبد الرحمن بن صخر السدوسي رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ كان إماماً صالحاً حسن الأخلاق ، اختلف في سنة وفاته فقيل سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان . أنظر : طبقات ابن سعد (٣٦٢/٢)، (٣٢٥/٤)، الإستيعاب (١٧٦٨/٤)، حلية الأولياء (٣٧٦/١)، الإصابة (٦٣/٤)، سير أعلام النبلاء (٥٧٨/٢) وغيرها .

مرات) ، **فَمَا عَرفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَرُدُّوه إلى عَالِمِهِ** »[٢٢] .

وروى محمد بن عمر ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أُنْزِلَ القُرآنُ عَلَى سبعةِ أَحْرُفٍ ، عليمٌ حكيمٌ غفورٌ رَحِيمٌ** »[٢٣] .

اختلف المفسرون في تأويل السبعة الأحرف ، التي نزل القرآن بها على أربعة أقاويل :

أحدها : معناه على سبعة معانٍ ، وهي أمر ونهي ووعد ووعيد وجدل وقصص ومثل .

روى عون[٢٤] ، عن أبي قلابة[٢٥] قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : « **أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ : أمر ، ونهي ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، ومثل ، وقصص** »[٢٦] .

والثاني : يعني سَبْعَ لغات مختلفة ، لا مما يغير حكماً في تحليل ولا

---

(٢٢) رواه ابن حبان (١/١٤٦) وأحمد (٢/٣٠٠) وابن جرير (١/٢٢) والبزار مختصراً (٣/٩٠) وأبو يعلى والنسائي كما أفاده ابن كثير في التفسير (٢ : ١٠٢) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/١٥٤) لأبي داود ونصر المقدسي في كتاب الحجة وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٥٦) رواه البزار وفيه محمد بن عمر وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح .

تنبيه : نسبة الحديث للنسائي إنما هو له في كتاب فضائل القرآن .

(٢٣) رواه أحمد (٢/٣٣٢)، (٤٠٠) وابن حبان (٢/٦٢) وابن جرير في التفسير (١/٢٢) وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٥١) رواه كله أحمد باسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه .

(٢٤) هو عوف بن عبد الله بن مسعود كان من آدب أهل المدينة وأفقههم، حدث عن ابن المسيب وابن عباس ،وعبد الله بن عمرو وغيرهم . توفي سنة بضع عشرة ومئة . أنظر :ـ

طبقات ابن سعد (٦/٣١٣)، تاريخ البخاري الكبير (٧/١٣٠)، تاريخ الإسلام (٤/٢٨٧) حلية الأولياء (٤/٢٤٠).

(٢٥) هو عبد الله بن زيد بن مالك ، أبو قلابة كان محباً للسنة ، قامعاً للبدعة . ترك من الكتب حمل بغل ، وكان كثير الحديث . حدث عن أنس ، مالك بن الحويرث ، عبد الله بن عباس ، وأبي هريرة وغيرهم وأدرك خلافة عمر بن عبد العزيز ثم توفي في الشام سنة أربع ومئة . أنظر :

طبقات ابن سعد(٧/١٨٣)، البداية والنهاية (٩/٢٣١)، تاريخ البخاري (٥/٩٢) تذكرة الحفاظ (١/٨٨)، النجوم الزاهرة (١/٢٥٤).

(٢٦) رواه ابن جرير (١/٦٩) قال الشيخ أحمد شاكر هذا حديث مرسل لا تقوم به حجة .

تحريم ، مثل هلم وتعال وأقبل ، هي مختلفة ومعانيها مؤتلفة ، فكانوا في صدر الإسلام مخيَّرين فيها ثم اجتمعت الصحابة[٢٧]، عند جمع القرآن على أحدها ، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه .

والثالث : يريد على سبع لغات من اللغات الفصيحة ، لأن بعض قبائل العرب أفصح من بعض لبعدهم من بلاد العجم ، فَكَانَ من نزل القرآن بلغتهم من فصحاء العرب سبعَ قبائل .

والرابع : يريد على سبع لغاتٍ للعرب في صيغة الألفاظ ، وإن وافقه في معناه ، كالذي اختلف القراء فيه من القراءات والله أعلم .

فصل

فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله ، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه :

أحدها : أن وجه إعجازه ، هو الإعجاز والبلاغة ، حتى يشتمل يسير لفظِهِ على كثير المعاني ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فجمع في كلمتين ، عدد حروفهما عشرة أحرف ، معاني كلام كثير .

والثاني : أن وجه إعجازه ، هو البيان والفصاحة ، التي عجز عنها الفصحاء ، وقصّر فيها البلغاء ، كالذي حكاه أبو عبيد[٢٨]، أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فسجد ، وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ، وسمع آخرُ رجلاً يقرأ : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

---

(٢٧) وذلك في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما بلغه أن الناس قد اختلفوا في قراءته فخشي تفرق الأمة واختلافهم في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى فجمعهم على قراءة واحدة .

(٢٨) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، محدث ، مقرىء ، فقيه . أخذ عن أبي زيد الأنصاري ومعمر بن المثنى ، والفراء ، والأصمعي وغيرهم . توفي سنة [٢٢٢ هـ]. أنظر : -
المنهج الأحمد (١/٣٦)، تاريخ بغداد (١٢/٤٠٣)، معجم الأدباء (١٦/٢٥٤)، طبقات القراء لابن الجوزي (٢/١٧).

وحكى الأصمعي[29] قال : رأيت بالبادية جارية خماسية أو سداسية وهي تقول :

أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ ... قَتَلْتُ إِنْسَاناً لَغَيْرِ حِلِّهِ
مِثْلَ غَزَالٍ نَاعِمٍ فِي دَلِّهِ ... فَٱنْتَصَفَ ٱللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهِ

فقلت لها : قاتلك الله ما أفصحك ، فقالت : أتعدُّ فصاحةً بعد قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ فجمع في آيةٍ واحدةٍ ، بين أمرين ، ونهيين ، وخبرين ، وإنشاءين .

والثالث : أن وجه إعجازه ، هو الوصف الذي تنقضي به العادة ، حتى صار خارجاً عن جنس كلام العرب ، من النظم ، والنثر ، والخطب ، والشعر ، والرجز ، والسجع ، والمزدوج ، فلا يدخل في شيءٍ منها ولا يختلط بها ، مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم ، ومستعمله في نظمهم ونثرهم .

حُكِي أن ابن المقفع[30] طلب أن يعارض القرآن ، فَنَظَمَ كلاماً ، وجعله مفصلاً ، وسماه سوراً ، فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب: ﴿**وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ**﴾ فرجع ، ومحا ما عمل ، وقال: أشهد أن هذا لا يُعَارَضُ أبداً ، وما هو من كلام البشر ، وكان فصيح أهلِ عصرِه .

والرابع : أن وجه إعجازه ، هو أن قارئه لا يكل ، وسامعه لا يمل ، وإكثار

---

(٢٩) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي ، أبو سعيد . أديب ، لغوي ، أصولي من أهل البصرة . قدم بغداد في أيام هارون ، توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ. له تصانيف كثيرة منها : المذكر والمؤنث ، نوادر الأعراب . أنظر :ـ
التاريخ الكبير (٢/٢٧٧)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٧٣)، وفيات الأعيان (١/٣٦٢) النجوم الزاهرة (٢/١٩٠).

(٣٠) هو عبد الله بن المقفع . كاتب ، شاعر ، وأحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي وهو فارسي الأصل نشأ بالبصرة وأُتهِمَ بالزندقة فقتله أمير البصرة سفيان بن معاوية. من آثاره : الأدب الصغير ، الدرة اليتيمة ، والجوهرة الثمينة في طاعة السلطان . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٢)، لسان الميزان (٣/٣٦٦)، البداية والنهاية (١٠/٩٦) معجم المؤلفين (٦/١٥٦).

تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس ، وميلاً إلى القلوب ، وغيره من الكلام ، وإن كان مستحسن النظم ، مستعذب النثر ، يمل إذا أُعِيد ويُسْتَثْقَل إذا رُدِّد .

والخامس : أنَّ وجه إعجازه ، هو ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه ، أو لم يعلموه ، فإذا سألوا عنه ، عرفوا صحته ، وتحققوا صدقه ، كالذي حكاه من قصة أهل الكهف ، وشأن موسى والخضر ، وحال ذي القرنين ، وقصص الأنبياء مع أممها ، والقرون الماضية في دهرها .

والسادس : أن وجه إعجازه ، هو ما فيه من علم الغيب ، والإخبار بما يكون ، فيوجد صدقه وصحته ، مثل قوله لليهود : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيهِمْ ﴾ فما تمناه واحد منهم ، ومثل قوله تعالى لقريش : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفعَلُوا ﴾ فقطع بأنهم لا يفعلون ، فلم يفعلوا .

والسابع : أن وجه إعجازه ، هو كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها ، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها ، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد ، ولا يشتمل عليها كتاب وقال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقال : ﴿ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقال النبي ﷺ : « فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُم وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُم هُوَ الحَقُّ لَيْسَ بِالهَزْلِ مَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنْ غَيْرِهِ ضَلَّ »(٣١) وهذا لا يكون إلا عند الله الذي أحاط بكل شيءٍ علماً .

(٣١) جزء من حديث طويل رواه الترمذي (٣٠٧٠) والدارمي (٢/٤٣٥) وابن جرير الطبري في التفسير (١/١٧١) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١/٢٧) وابن أبي شيبة وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر المنثور (١/١٥) وضعفه الترمذي بقوله : هذا حديث إسناده مجهول لجهالة أبي المختار الطائي . أهـ .
وفي سنده أيضاً ابن أخي الحارث الأعور وهو مجهول أيضاً .
وأشار الحافظ الذهبي في الميزان (٣/٣٨٠) في ترجمة أبي المختار الطائي إلى ضعف الحديث فقال : « وحديثه في فضائل القرآن منكر ». وقال الحافظ ابن كثير في كتابه فضائل القرآن ص ١٤ ، ١٥ بعد أن نقل عن الترمذي تضعيفه للحديث : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرىء حمزة من عهدته على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا وقصارى هذا =

والثامن : أن إعجازه هو الصرفة(٣٢)، وهو أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم تحركهم أَنَفَةُ التحدي ، فصبروا على نقص العجز ، فلم يعارضوه ، وهم فصحاء العرب مع توفر دواعيهم على إبطاله ، وبذل نفوسهم في قتاله ، فصار بذلك معجزاً لخروجه العادة كخروج سائر المعجزات عنها .

وآختلف من قال بهذه الصرفة على وجهين :

أحدهما : أنهم صرفوا عن القدرة عليه ، ولو تعرضوا لعجزوا عنه .

والثاني : أنهم صرفوا عن التعرض له ، مع كونه في قدرتهم ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه .

فهذه ثمانية أوجه ، يصح أن يكون كل واحدٍ منها إعجازاً ، فإذا جمعها القرآن وليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره ، صار إعجازه من الأوجه الثمانية ، فكان أبلغ في الإعجاز ، وأبدع في الفصاحة والإيجاز .

فصل

وإذا كان القرآن بهذه المنزلة من الإعجاز في نظمه ومعانيه ، آحتاجت ألفاظه

= الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح ا هـ .

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : ورواية ابن اسحق التي أشار إليها ابن كثير هي حديث أخرجه أحمد في المسند برقم (٥٦٥) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحق وقد ضعفنا إسناده هناك بالحارث الأعور وبانقطاعه بين ابن إسحق ومحمد بن كعب ا هـ . تخريج الطبري (١٧٢/١).

أقول : ومما يؤيد الاحتمال الذي ذكره الحافظ ابن كثير أن الإمام الطبري قد رواه موقوفاً عن علي بن أبي طالب من طريق أبي المختار الطائي عن الحارث الأعور عن علي (١٧٣/١) وقد ضعف الحديث كل من الشيخ الألباني في المشكاة (٦٦٠/١) والشيخ أحمد شاكر بقوله إسناده ضعيف جداً تخريج الطبري (١٧٢/١).

فائدة : استوفى الإمام الدارقطني رحمه الله جمع طرق الحديث والكلام على علله في كتابه القيم العلل فانظره هناك (١٤٠/٣). وما بعدها .

(٣٢) وهذا الوجه ضعفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ووصفه بأنه أضعف الأقوال وهو قول أهل الكلام وقد رد هذا الوجه أيضاً الإمام الخطابي .

راجع الدقائق (١٥٥/١)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي ص ٢١.

في استخراج معانيها إلى زيادة التأمل لها وفضل الرويَّة فيها ، ولا يقتصر فيها على أوائل البديهة ، ولا يقنع فيها بمبادىء الفكرة ، ليصل بمبالغة الإجتهاد وإمعان النظر إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل ، لأن للكلام الجامع وجوهاً ، قد تظهر تارة ، وتغمض أخرى ، وإن كان كلام الله منزهاً من الآفتين : الفكر والروية ، ليعمل فيما احتملته ألفاظه من المعاني المختلفة ، غير ما سَنَصِفُهُ من الأصل المعتبر في اختلاف التأويل عند احتمال وجوده .

وقد روى سهل بن مهران الضبعي ، عن أبي عمران الجوني[٣٣]، عن جندب بن عبد الله[٣٤] قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ قَالَ فِي ٱلْقُرْآنِ بِرأيه فأصاب فقد أخطأ** »[٣٥] فتمسك فيه بعض المتورعة ممن قلَّت في العلم طبقته ، وضعفت فيه خبرته ، واستعمل هذا الحديث على ظاهره ، وامتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، عند وضوح شواهده ، إلا أن يرد بها نقل صحيح ، ويدلَّ عليها

---

(٣٣) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي البصري ، أحد التابعين ، كان الغالب عليه الكلام في الحكم ، وثقه يحيى بن معين وغيره . روى عن جندب البجلي ، أنس بن مالك وعبد الله بن الصامت وغيرهم . توفي رحمه الله سنة ثلاث وعشرين ومئة وقيل سنة ثمان وعشرين ومئة عن سن عالية . أنظر : ـ
الجرح والتعديل (٣٤٦/٥)، التاريخ الكبير (٤٥٠/٥)، حلية الأولياء (٣٠٩/٢) تهذيب الكمال (٨٥٣)، سير أعلام النبلاء (٢٥٥/٥).

(٣٤) هو جندب بن عبد الله بن سفيان ، أبو عبد الله صاحب النبي ﷺ نزل الكوفة والبصرة وله عدة أحاديث وبقي رضي الله عنه إلى حدود سنه سبعين قاله الذهبي . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٣٥/٦)، التاريخ الكبير (٢٢١/٢) ، الإستيعاب (٢٥٦) أسد الغابة (٣٠٤/١) وغيرها .

(٣٥) رواه أبو داود (٣٦٥٢) والترمذي (٦٥/٤) والنسائي في فضائل القرآن ص (١١٤) والطبري (٣٥/١) والبغوي في شرح السنة (٢٥٩/١) وضعفه الترمذي بقوله حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل بن أبي حزم ا هـ.
قال الحافظ في التقريب (٣٣٨/١) ضعيف ، والحديث ضعفه الألباني في المشكاة (٧٩/١) وضعيف الجامع (٢٨/٥) والأرناؤوط في تخريج شرح السنة (٢٥٩/١) ومن هذا تعلم أن رمز صاحب الجامع للحديث بعلامة الحسن (١٩٠/٦) غير حسن لما عرفت من أن مدار الحديث على سهيل وهو ضعيف عندهم .
وقد أحسن المؤلف صنعاً بقوله : « ولهذا الحديث ـ إن صح ـ تأويل » فهذا يدل على أنه لم يثبت عنده .

نص صريح ، وهذا عدول عما تعبّد الله تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين ، قد نبه على معانيه ما صرح من اللغز والتعمية ، التي لا يوقف عليها إلا بالمواضعة إلى كلام حكيم ، أَبَان عن مراده ، وقطع أعذار عباده ، وجعل لهم سبلاً إلى استنباط أحكامه ، كما قال تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ولو كان ما قالوه صحيحاً ، لكان كلام الله غير مفهوم ، ومراده بخطابه غير معلوم ، ولصار كاللغز المعمَّى ، فبطل الاحتجاج به ، وكان ورود النص على تأويله ، مغنياً عن الاحتجاج بتنزيله ، وأعوذ باللّه من قول في القرآن يؤدي إلى التوقف عنه ، ويؤول إلى ترك الاحتجاج به .

ولهذا الحديث ـ إن صح ـ تأويل ، معناه : أنَّ مَنْ حمل القرآن على رأيه ، ولم يعمل على شواهد ألفاظه ، فأصاب الحق ، فقد أخطأ الدليل .

وقد روىٰ محمد بن عثمان ، عن عمرو بن دينار[٣٦]، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « القُرْآنُ ذَلُولٌ ذُو وُجُوهٍ فَاحْمِلُوهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ »[٣٧] . وفي قوله : « ذَلُولٌ » تأويلان :

أحدهما : أنه مُطيع لحامليه ، حتى تنطلق فيه جميع الألسنة .

والثاني : أنه موضّح لمعانيه ، حتى لا تقصر [عنه] أفهام المجتهدين فيه .

وفي قوله : » ذُو وُجُوهٍ » تأويلان :

أحدهما : أن ألفاظه تَحمِل من التأويل وجوهاً لإعجازه .

الثاني : أنه قد جمع مِنَ الأوامر ، والنواهي ، والترغيب ، والتحليل ، والتحريم .

وفي قوله : «فَاحْمِلُوهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ » تأويلان :

---

(٣٦) هو عمرو بن دينار أبو محمد الجمعي كان رحمه الله ذا فضل وجلالة ، قال الذهبي : مات في حدود الثلاثين ومائة له ترجمة في :
التاريخ الكبير (٤/١٢٢)، التاريخ الصغير (١٦٩)، طبقات ابن سعد (٥/٤٧٩)، تاريخ الإسلام (٥/١١٤)، العقد الثمين (٦/٣٧٤).

(٣٧) رواه الدارقطني في السنن (٤/١٤٥) وفي إسناده زكريا بن عطية قال أبو حاتم منكر الحديث كذا في الميزان . أنظر : التعليق المغني على الدارقطني (٤/١٤٥).

أحدهما : أن تحمِل تأويلَهُ على أحسن معانيه .

والثاني : أن يعمل بأحسنَ ما فيه ، من العزائم دون الرخص ، والعفو دون الانتقام ، وهذا دليل على أن تأويل القرآن مستنبط منه .

فصل

فإذا صح جواز الاجتهاد في إستخراج معاني القرآن من فحوى ألفاظه ، وشواهد خطابه ، فقد قسم عبد الله بن عباس رضي الله عنه وجوه التفسير على أربعة أقسام : فروىٰ سفيان ، عن أبي الزناد(٣٨) قال آبن عباس : « التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب بكلامها وتفسير لا يُعذَر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل »(٣٩) وهذا صحيح .

أما الذي تعرفه العرب بكلامها ، فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم .

وأما الذي لا يعذر أحد بجهالته ، فهو ما يلزم الكافّة في القرآن من الشرائع وجملة دلائل التوحيد .

وأما الذي يعلمه العلماء ، فهو وجوه تأويل المتشابه وفروع الأحكام .

وأما الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فهو ما يجري مجرىٰ الغيوب وقيام الساعة .

وهذا التقسيم الذي ذكره آبن عباس صحيح ، غير أن ما لا يعذر أحد بجهالته

---

(٣٨) هو عبد الله بن ذكوان ولد في حياة ابن عباس ، قال أبو حاتم : ثقة ، فقيه ، محدث صاحب سنة وهو ممن تقوم به الحجة إذا روى عن الثقات . ا هـ . .
توفي رحمه الله سنة ثلاثين ومئة . أنظر:
تاريخ الإسلام (٥/٢٦٥)، التاريخ الكبير (٥/٨٣)، الجرح والتعديل (٥/٤٩) تهذيب الكمال (٦٧٩).

(٣٩) رواه ابن جرير مرفوعاً من حديث ابن عباس (١/٧٦) وسنده ضعيف جداً لأنه من طريق الكلبي .
أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس موقوفاً وسنده كالذي قبله .
الدر المنثور (٢/١٥١) وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً برواية المؤلف هنا (١/٧٥) وقد ضعف المرفوع ابن جرير رحمه الله حيث قال : في إسناده نظر . قال الحافظ ابن كثير : والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي فإنه متروك الحديث لكنْ قد يكون إنما وهم ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم ا هـ.

داخل في جملة ما يعلمه العلماء من الرجوع إليهم في تأويله ، وإنما يختلف القسمان في فرض العلم به ، فما لا يعذر أحد بجهله يكون فرض العلم به على الأعيان ، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به على الكفاية ، فصار التفسير منقسماً على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما اختص الله تعالى بِعلمه ، كالغيوب فلا مساغ للإجتهاد في تفسيره ولا يجوز أن يؤخذ [إلا] عن توقيف ، من أحد ثلاثة أوجه :

إما من نصٍّ في سياق التنزيل .

وإما عن بيانٍ من جهة الرسول .

وإما عن إجماع الأمة على ما اتفقوا عليه من تأويل .

فإن لم يرد فيه توقيف ، علمنا أن الله تعالى أراد لمصلحةٍ استأثر بها ، ألاَّ يُطْلِع عباده على غيبه .

والقسم الثاني : ما يرجع فيه إلى لسان العرب ، وذلك شيئان ، اللغة والإعراب :

فأما اللغة ، فيكون العلم بها في حق المفسر دون القارىء ، فإن كان مما [لا] يوجب العمل ، جاز أن يعمل فيه على خبر الواحد والإثنين ، وأن يستشهد فيه من الشعر بالبيت والبيتين ، وإن كان مما يوجب العمل ، لم يعمل فيه على خبر الواحد والإثنين ، ولا يستشهد فيه بالبيت والبيتين ، حتى يكون نقلُهُ مستفيضاً ، وشواهد الشعر فيه متناصرة .

وقد روىٰ أبو حاضر(٤٠)، عن آبن عباس : أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، أيُّ علم القرآن أفضل ؟ قال : « غَرِيبُهُ ، فالتَمِسُوهُ في الشِّعْرِ »(٤١). وإنما خص الغريب لاختصاصه بإعجاز القرآن ، وأحال على الشعر لأنه ديوان كلامهم ،

(٤٠) هو عثمان بن حاضر الحميري ويقال الأزدي ، أبو حاضر . قال الحاكم : شيخ من أهل اليمن صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات روى عن ابن عباس ، ابن الزبير ، ابن عمر ، جابر ، أنس وغيرهم وروى عنه عمرو بن ميمون ، زمعة بن صالح ، وزياد بن سعد وغيرهم أنظر : تهذيب التهذيب (١٠٩/٧)، الكنى والأسماء للدولابي (٢٥/١).

(٤١) لم أهتد إلى تخريجه .

وشواهدُ معانيهم ، وقد قال ابن عباس : « إذا أَشْكَلَ عَلَيْكُم الشيءُ من كتاب اللّه ، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .

وأما الإعراب ، فإن كان اختلافه موجباً لاختلاف حُكمِهِ وتغيير تأويله ، لزم العلم به في حق المفسر وحق القارىء ، ليتوصل المفسر إلى معرفة حكمه ، ويَسْلَمَ القارىء من لَحْنِهِ ، ورُوي عن النبي ﷺ ، أنه قال : « أَعربُوا القرآنَ والتمسُوا غرائِبَه »(٤٢) .

وإن كان اختلاف إعرابه لا يوجب اختلاف حكمه ، ولا يقتضي تغيير تأويله ، كان العلم بإعرابه لازماً في حق القارىء لِيَسْلَمَ مِنَ اللَّحْنِ في تلاوته ، ولم يلزم في حق المفسر لوصوله مع الجهل بإعرابه إلى معرفة حكمه ، وإن كان الجهل بإعراب القرآن نقصاً عامّاً .

والقسم الثالث : ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء ، وهو تأويل المتشابه ، واستنباط الأحكام ، وبيان المجمل ، وتخصيص العموم ، والمجتهدون من علماء الشرع أخص بتفسيره من غيرهم حملاً لمعاني الألفاظ على الأصول الشرعية ، حتى لا يتنافىٰ الجمع بين معانيها وأصول الشرع ، فيعتبر فيه حال اللفظ ، فإنه ينقسم قسمين :

أحدهما : أن يكون مشتملاً على معنى واحد لا يتعداه ، ومقصوراً عليه ولا يحتمل ما سواه ، فيكون من المعاني [الجلية] والنصوص الظاهرة ، التي يُعلَمُ مُراد الله تعالى بها قطعاً من صريح كلامه ، وهذا قسم لا يختلف حكمه ولا يلتبس تأويله .

والقسم الثاني : أن يكون اللفظ محتملاً لمعنيين أو أكثر ، وهذا على ضربين :

(٤٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٢٩٣) وأحمد بن منيع كما في المطالب العالية (٣/٣٩٨) وأبو يعلى وابن أبي شيبة كما نقله صاحب التعليق على المطالب (٣/٣٩٨) والبيهقي في شعب الايمان ، كما نقله الخطيب التبريزي في المشكاة (١/٦٦٦) من حديث أبي هريرة وقال البوصيري مداره على عبد الله بن سعيد وهو ضعيف وكذا ضعفه الهيثمي في المجمع (٧/١٦٣) والألباني في المشكاة (١/٦٦٦).

أحدهما : أن يكون أحد المعنيين ظاهراً جليّاً ، والآخر باطناً خفيّاً ، فيكون محمولاً على الظاهر الجلي دون الباطن الخفي ، إلا أن يقوم الدليل على أن الجليَّ غيرُ مُرَادٍ ، فيحمل على الخفي .

والضرب الثاني : أن يكون المعنيان [جليَّين ، واللفظ مستعملاً فيهما حقيقةً ، وهذا على ضربين :

أحدهما : أن يختلف أصل الحقيقة فيهما ، فهذا ينقسم على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في اللغة ، والآخر مستعملاً في الشرع ، فيكون حملُه على المعنى الشرعيِّ أولى من حملِهِ على المعنى اللُّغويِّ ، لأن الشرع ناقل(٤٣).

والقسم الثاني : أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في اللغة ، والآخر مستعملاً في العُرْفِ ، فيكون حمله على المعنى العُرفي أولى من حمله على معنى اللُّغةِ ، لأنه أقرب معهود .

والقسم الثالث : أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في الشرع ، والآخر مستعملاً في العرف ، فيكون حمله على معنى الشرع أولى من حمله على معنى العرف لأن الشرع ألزم .

والضرب الثاني : أن يتفق أصل الحقيقة فيهما فيكونا مستعملَيْن في اللغة على سواء ، أو في الشرع ، أو في العُرف فهذا على ضربين :

أحدهما : أن يتنافى اجتماعُهما ولا يُمْكِن استعمالهما كالأحكام الشرعية مثل القُرْء الذي هو حقيقة في الطهر ، وحقيقة في الحيض ، ولا يجوز للمجتهد أن يجمع بينهما ، لتنافيهما ، وعليه أن يجتهد رأيَهُ في المراد فيهما بالأمارات الدالَّةِ عليه ، فإذا وصل إليه ، كان هو الذي أراده الله تعالى منه ، وإن أدى اجتهاد غيره إلى الحكم الآخر ، كان هو المرادَ منه فيكون مُرادُ اللَّهِ تعالى من كل واحدٍ منهما ، ما أداه اجتهاده إليه .

---

(٤٣) انظر : كتاب الايمان ص ٨١ ، ٨٢، ٩٩، ١٠٠ .

ولو لم يترجَّحْ للمجتهد أحدُ الحكمين ، ولا غَلَبَ في نفسه أحد المعنيين لتكافؤِ الأماراتِ عنده ، ففيه للعلماء مذهبان :

أحدهما : أن يكون مخيراً ، للعمل في العمل على أيهما شاء .

والمذهب الثاني : أن يأخذ بأغلظ المذهبين حُكماً .

والضرب الثاني من اختلاف المعنيين : ألا يتنافيا ويُمْكِنَ الجمعُ بينهما فهذا على ضربين :

أحدهما : أن يتساويا ، ولا يترجَّحَ أحدهما على الآخرِ بدلِيلٍ ، فيكون المعنيان معاً مرادين ، لأن الله تعالى لو أراد أحدهما النصب على مرادِهِ منهما دليلاً ، وإن جاز أن يريد كل واحدٍ من المعنيين بلفظين متغايرين لعدم التنافي بينهما ، جاز أن يريدهما بلف واحدٍ ، يشتمل عليهما ، ويكون ذلك أبلَغَ في الإعجاز والفصاحة .

والضرب الثاني : أن يترجَّحَ أحدهما على الآخر بدليلٍ ، وهو على ضربين :

أحدهما : أن يكون دليلاً على بطلان أحد المعنيين ، فيسقط حكمه ، ويصير المعنى الآخر هو المراد ، وحكمه هو الثابت .

والضرب الثاني : أن يكون دليلاً على صحة أحد المعنيين فيثبت حكمه ويكون مراداً ، ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر ، ويجوز أن يكون مراداً ، وإن لم يكن عليه دليل ، لأن موجب لفظه دليل ، فاستويا في حكم اللفظ ، وإن ترجَّحَ أحدهما بدليل ، فصارا مرادين معاً .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المعنى الذي يرجح بدليل أَثْبَتُ حكماً من المعنى الذي تجرد عنه ولقوته بالدليل الذي ترجح به ، فهذا أصلٌ يعتبر [من] وجود التفسير ، ليكون ما آحتملته ألفاظ القرآن من إختلاف المعاني محمولاً عليه ، فيعلم ما يؤخذ به ويعدل عنه .

فإن قيل : فقد ورد الخبر بما يخالف هذا الأصلَ المقرَّرَ ، وهو ما روي عن النبيِّ ﷺ ، أنه قال : « **مَا نَزَلَ من القرآنِ من آيةٍ إلاّ لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَلِكُلِّ حَرْفٍ**

حَدٌّ وَلِكُلِ حَـدٍّ مَطْلَعٌ »[٤٤] قيـل ليس هذا الحـديث ـ مع كـونه من أخبـار الآحاد ـ منافياً لما قررناه من الأصول المستمرة ، لما فيه من التأويلات المختلفة .

أمـا قولـه : « مَا نَـزَلَ مِنَ الْقُـرْآنِ مِنْ آيَـةٍ إِلاَّ لَهَـا ظَهْـرٌ وبَـطْنٌ » ففيـه أربعـة تأويلات :

أحدها : معناه أنك إذا فتشت عن بـاطنها وقستـه على ظاهـرها ، وقفت على معناها ، وهو قول الحسن .

والثـاني : يعني أن القِصَصَ ظاهِـرُها الإخبـار بهلاك الأولين ، وبـاطنها عـظة للآخِرين ، وهذا قول أبي عبيد .

والثالث : معناه ما من آية إلا وقـد عمل بهـا قوم ، ولهـا قوم سيَعْملون بهـا ، وهذا قول آبن مسعود[٤٥] .

والرابع : يعني أن ظاهرها لفظها ، وباطنها تأويلها ، وهذا قول الجاحظ .

وأما قوله : « وَلِكُلِّ حرفٍ حدٌّ » ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه أن لكل لفظٍ مُنْتَهى ، فيما أراده الله تعالى من عباده .

والثاني : أن لكلِّ حكمٍ مقداراً مِنَ الثواب والعقابِ .

---

(٤٤) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٧٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال الأرناؤوط إسنـاده قوي تخريـج شرح السنـة للبغوي (١/ ٢٢٣) وذكـره الهيثمي في مجمع الـزوائد (٧/ ١٥٢) ونسبـه للبزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وقال رجال أحـدهما ثقـات وللحديث طـريقين ضعيفين آخرين عن ابن مسعـود رواهما الـطبري (١/ ٢٢) في الأول مجهـول وفي الثاني ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف وقد رواه الإمام البغوي عن الحسن البصـري مرسـلاً (١/ ٢٦٢) وفي إسناده أيضـاً علي ابن زيد بن جدعان وهو ضعيف. وقد استغل هذا الحديث وفهمه على غير وجهته طائفتان من الناس هما الباطنية وغلاة الصوفية وكلاهما مخطىء ومنحرف عن جادة السبيل ، وقد نقل صاحب تحفة الأحوذي (٨/ ٢٨٠)كلاماً جيداً للحافظ ابن حجر حول هذا الموضوع فراجعه فإنه مهم .

فائدة : نسب هذا الحديث لأبي نصر السجزي الإمام السيوطي في الجامع الكبير .

(٤٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أبو عبـد الرحمن كـان من السابقين الأولين ومن مهـاجرة الحبشة ، شهد بـدراً وله منـاقب كثيرة . تـوفي رضي الله عنه بـالمدينـة في آخر سنـة اثنتين وثلاثين.

أنظر :

طبقـات ابن سعد (٣/ ١/ ١٠٦)، التـاريخ الكبيـر (٥/ ٢)، الإستيعاب (٢/ ٣١٦)، تـاريخ بغـداد (١/ ١٤٧)، أسد الغابة (٣/ ٣٨٤)، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١) ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣).

وأما قوله : « وَلِكُلِّ حدٍّ مَطْلَعٌ » ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه ولكل غـامِضٍ من الأحكام مـطلع يوصـل منه إلى معـرفتِهِ ، ويوقف منه على المراد به .

والثاني : معناه أن كل ما استحقَّه من الثواب والعقاب سيطلع عليه في الآخرةِ ويراه عند المجازاة .

فصل

الِاسْتِعاذَةُ

ثبت بالكتاب والسنة ، أن يستعيذ القارئُ لقراءة القرآن ، فيقول : أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهو نص الكتاب .

وروى أبـو سعيدٍ الخُدْرِيُّ[٤٦] عن النبيِّ ﷺ أنه قـال : « **أَعُـوذُ بـاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ نَفْخِهِ ونَفْثِهِ وهَمْزِهِ** »[٤٧] .

وفي الاستعاذة وجهان :

أحدهما : أنها الاستجارة بذي منعة .

والثاني : أنها الاِستعانةُ عن خضوع .

---

(٤٦) هو سعد بن مالك بن سفيان بن ثعلبة ، أبو سعيد الخدري رضي الله عنه . صحابي جليل شهـد أبو سعيد الخندق وبيعـة الرضـوان ، وكان رضي الله عنـه أحد الفقهـاء المجتهدين حـدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب توفي رضي الله عنه سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين . أنظر : -
الإصـابة (٢/٣٥)، أسـد الغابـة (٢/٢٨٩ ، ٥/٢١١)، الإستيعاب (٣/٥٦٣)، تـذكرة الحفـاظ (١/٤١).

(٤٧) رواه أبـو داود (٧٧٥) ، والنسـائي (١/١٤٣) مـطولاً ومختصـراً والتـرمـذي (٢/٩) والـدارمي (١/٢٨٣) وابن مـاجه (٨٠٤) والـطحاوي (١/١١٦) والـدارقـطني (١١٢) والبيهقي في السنـة (٢/٣٤ ، ٣٥) وأحمـد (٣/٥٠) كلهم من طرق عن جعفـر بن سليمان الضبعي عن علي بن علي الرفاعي عن ابن المتوكل الناجي عن أبي سعيد مرفوعاً .
قـال الترمـذيَ وقد تكلم في إسنـاد حديث أبي سعيـد وكـان يحيى بن سعيـد يتكلم في علي بن علي الرفاعي وقال أحمد : لا يصح هذا الحديث ا هـ.
وقد صحح الحديث الشيخ أحمـد شاكـر في تخريـج الترمـذي (٢/١١) ولم يعتمد تضعيف علي بن علي الرفاعي . والحديث حسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٢/٥١) وأورد له شواهـد كثيرة فـراجعه هناك .

وفي موضعها وجهان :

أحدهما : أنها خبر يُخْبِر به المرءُ عن نفسه ، بأنه مستعيذ بالله .

والثاني : أنها في معنى الدعاء ، وإن كانت بلفظ الخبر ، كأنه يقول : أَعِذْنِي يا سميعُ ، يا عليمُ من الشيطان الرجيم ، يعني أنه سميع الدعاء ، عليم بالإجابة .

وفي قوله : « **من الشيطان** » وجهان :

أحدهما : من وسوسته .

والثاني : من أعوانه .

وفي « **الرجيم** » وجهان :

أحدهما : يعني الراجم ، لأنه يرجمُ بالدواهي والبلايا .

والثاني : أنه بمعنى المرجوم ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه مرجوم بالنجوم .

والثاني : أنه المرجوم بمعنى المشئوم .

وفيه وجه ثالث : أن المرجوم الملعون والملعون المطرود .

وقوله : « **مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وهَمْزِهِ** » يعني بالنفخ : الكبر ، وبالنفث : السحر ، وبالهمز : الجنون ، والله أعلم .

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

قال قتادة : هي مكية[٤٨]، وقال مجاهدٌ[٤٩]: هي مدنية .

ولها ثلاثة أسماء : فاتحة الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني .

روى ابن أبي ذئب[٥٠] ، عن سعيدٍ المقبري[٥١] ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « **هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبعُ المثاني** »[٥٢]. فأما تسميتها بفاتحة الكتاب فلأنه يستفتح الكتاب بإثباتها خطاً وبتلاوتها لفظاً .

(٤٨) قال الحافظ في الفتح : وهو قول الجمهور خلافاً لمجاهد إلى أن قال : قال الحسين بن الفضل هذه هفوة ابن مجاهد لأن العلماء على خلاف قوله (٨/١٥٩).

(٤٩) هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب ، أبو الحجاج . من كبار التابعين قال عن نفسه : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف نزلت ؟ أنظر : -
التاريخ الكبير (٦/٣٩٠)، مشاهير علماء الأمصار (١٦٥) الكاشف (٢/٣٦٨)، تهذيب التهذيب (٨/٢١٩)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩) وغيرها .

(٥٠) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، ولد سنة ثمانية وكان من أورع الناس وأفضلهم وكان من أوعية العلم . سمع من عكرمة ، محمد بن سعيد المقبري وغيرهما توفي رحمه الله سنة تسع وخمسين ومئة . أنظر : -
تذكرة الحفاظ (١/١٩١)، شذرات الذهب (١/٢٤٥)، الحلية (١/١٩١) وغيرها .

(٥١) هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري ، ثقة ، جليل . حدث عن عائشة ، أبي هريرة وابن عمر وغيرهم . توفي سنة خمس وعشرين ومئة وقيل سنة ثلاث وعشرين وقيل سنة ست وعشرين . أنظر : -
التاريخ الكبير (٣/٤٧٤)، الجرح والتعديل (٤/٥٧)، تهذيب التهذيب (٢/٢٠/١) وغيرها .

(٥٢) رواه البخاري (٨ : ٢٢٩ الفتح)، أبو داود (١٤٥٧)، الترمذي (٣٣٢٠)، الدارمي =

فأما تسميتها بأم القرآن ، فلتقدُّمِها وتأخر ما سواها تبعاً لها ، صارت أُمّاً لأنه أَمَّتْهُ أي تقدمَّته ، وكذلك قيل لراية الحرب : أُمٌّ لتقدُّمها واتباع الجيش لها ، قال الشاعر :

عَلَى رَأْسِهِ أُمٌّ لَهَا يُقْتَدَىٰ بِهَا جِمَاعُ أُمُورٍ لَا يُعَاصَىٰ لَهَا أَمْرُ

وقيل لما مضى على الإنسان من سِنِي عُمُره ، أُمٌّ لتقدمها . قال الشاعر :

إِذَا كَانَتِ ٱلْخَمْسُونَ أُمَّكَ لَمْ يَكُنْ لِرَأْيِكَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ طَبِيبُ

وٱختُلِف في تسميتها بأمِّ الكتاب ، فجوَّزَهُ الأكثرون ، لأن الكتاب هو القرآن ، ومنع منه الحسن ، وابن سيرين[٥٣] ، وزعما أن أمَّ الكتاب ، ٱسم اللوح المحفوظ ، فلا يسمى به غيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ . [الزخرف : ٤] .

وأما [تسمية] مكة بأم القرى ، ففيه قولان :

أحدهما : أنها سُمِّيت أمَّ القرى ، لتقدمها على سائر القرى .

والثاني : أنها سُمِّيت بذلك ، لأن الأرض منها دُحِيَتْ[٥٤] وعنها حَدَثَتْ ، فصارت أمّاً لها لحدوثها عنها ، كحدوث الولد عن أمه .

وأما تسميتها بالسبع المثاني ، فلأنها سبع آيات في قول الجميع .

وأما الثاني ، فلأنها تُثَنى في كل صلاة من فرض وتَطَوع ، وليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من [تسميتِهِ] غَيْرَها به قال أعشىٰ هَمْدَانَ :

فَلِجُوا ٱلْمَسْجِدَ وَٱدْعُوا رَبَّكُمْ وَٱدْرُسُوا هٰذِي ٱلْمَثَانِي وَٱلطُّوَلْ

= (٢/٢٤٦)، أحمد برقم (٢٩٧٨٧)، الطبري (١/١٠٧)، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/١٤) نسبته لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه .

(٥٣) هو محمد بن سيرين الأنصاري ، أبو بكر . من التابعين ، من علماء الحديث والفقه وعبر الرؤيا سمع من ابن عمر ، جندب بن عبد الله البجلي وأبي هريرة وغيرهم . واتفقوا على أنه توفي بالبصرة سنة عشر ومئة . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦)، تاريخ البخاري (١/٩٠)، تاريخ ابن عساكر (١٥/٢١٠)، شذرات الذهب (١/١٣٨) وغيرها .

(٥٤) دليله في ذلك حديث سيأتي تخريجه قريباً .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (١)

قوله عز وجل : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أجمعوا أنها من القرآن في سورة النمل ، وإنما اختلفوا في إثباتها في فاتحة الكتاب ، وفي أول كل سورة ، فأثبتها الشافعي في طائفة ، ونفاها أبو حنيفة في آخرين .

وٱختُلِفَ في قوله : ﴿ بِسْمِ ﴾ :

فذهب أبو عبيدة وطائفة إلى أنها صلة زائدة ، وإنما هو اللهُ الرحمٰنُ الرحيمُ ، واستشهدوا بقول لبيد :

إِلَى ٱلْحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ ٱلسَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ ٱعْتَذَرْ(٥٥)

فذكر اسم السلام زيادة ، وإنما أراد : ثم السلامُ عليكما .

وٱختلف من قال بهذا في معنى زيادته على قولين :

أحدهما : لإجلال ذكره وتعظيمه ، ليقع الفرق به بين ذكره وذكر غيره من المخلوقين ، وهذا قول قطرب(٥٦) .

والثاني : ليخرج به من حكم القسم إلى قصد التبرُّك ، وهذا قول الأخفش(٥٧)

وذهب الجمهور إلى أن «بسم» أصل مقصود، واختلفوا في معنى دخول الباء عليه ، ـ فهل دخلت على معنى الأمر أو على معنى الخبر ـ على قولين :

(٥٥) ديوان لبيد قصيدة رقم ٢١ .

(٥٦) هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري ، أبو علي . لغوي ، نحوي . أخذ النحو عن سيبويه وغيره من علماء البصرة ، أخذ عن النظام علم الكلام توفي ببغداد سنة ٢٠٦ هـ ومن تصانيفه معاني القرآن ، العلل في النحو ، الاشتقاق وغيرها . أنظر : ـ
تاريخ بغداد (٢٩٨/٣) ، وفيات الأعيان (٦٢٥/١) ، الكامل في التاريخ (١٢٩/٦) شذرات الذهب (١٥/٢) .

(٥٧) هو علي بن سليمان بن الفضل البغدادي ، أبو الحسن . العلامة النحوي لازم ثعلباً والمبرد وبرع في العربية . توفي رحمه الله سنة خمس عشرة وثلاث مئة وقيل غير ذلك . أنظر : ـ
طبقات النحويين واللغويين (١١٥) ، النجوم الزاهرة (٢١٩/٣) ، بغية الوعاة (١٦٧/٢) معجم الأدباء (٢٤٦/١٣) ، إنباه الرواة (٢٧٦/٢) .

أحدهما: دخلت على معنى الأمر وتقديره: ابدؤوا بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الفراء.

والثاني: على معنى الإخبار وتقديره: بدأت بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قولُ الزجَّاج(٥٨).

وحُذِفت ألف الوصل، بالإلصاق في اللفظ والخط، لكثرة الاستعمال كما حذفت من الرحمن، ولم تحذف من الخط في قوله: ﴿إِقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: آية١] لقلَّة استعماله.

الاسم: كلمة تدل على المسمى دلالة إشارةٍ، والصفة كلمة تدل على الموصُوف دلالة إفادة، فإن جعلت الصفة آسماً، دلَّت على الأمرين: على الإشارة والإفادة.

وزعم قوم أن الاسم(٥٩) ذاتُ المسمى، واللفظ هو التسمية دون الاسم، وهذا فاسد، لأنه لو كان أسماءُ الذواتِ هي الذواتُ، لكان أسماءُ الأفعال هي الأفعال، وهذا ممتنع في الأفعال فامتنع في الذوات.

وآختلفوا في آشتقاق الاسم على وجهين:

أحدهما: أنه مشتق من السمة، وهي العلامة، لما في الاسم من تمييز المسمى، وهذا قول الفرَّاء.

والثاني: أنه مشتق من السمو، وهي الرفعة لأن الاسم يسمو بالمسمى

(٥٨) هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق. النحوي، اللغوي، المفسر أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه. من تصانيفه: ـ معاني القرآن، مختصر النحو، الاشتقاق، وغيرها. توفي سنة ٣١١ هـ وقيل غير ذلك. أنظر: ـ
بغية الوعاة (١٧٩)، أنباه الرواة (١٥٩/١)، البداية والنهاية (١٤٨/١١) النجوم الزاهرة (٢٨/٣)، شذرات الذهب (٥٩/٢).

(٥٩) قال الحافظ اللالكائي بسنده إلى محمد بن جرير الطبري أنه قال: « وأما القول في الاسم أهو المسمى أو غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من امام فيستمع. والخوض فيه شين والصمت عنه زين وحسب امرىء من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الصادق عز وجل وهو قوله: ﴿ قل ادع الله أو آدع الرحمن أيّاً مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وقوله: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ ا هـ. أصول أهل السنة والجماعة ص ١٨٣.

فيرفعه من غيره ، وهذا قول الخليل[٦٠] والزجّاج .

وأنشد قول عمرو بن معدي كرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْراً فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَصِلْهُ بِالدُّعَاءِ فَكُلُّ أَمْرٍ ... سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وُلُوعُ

وتكلف من رَاعَى معاني الحروف ببسم الله تأويلاً ، أجرىٰ عليه أحكام الحروف المعنوية ، حتى صار مقصوداً عند ذكر الله في كل تسمية ، ولهم فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الباء بهاؤه وبركته ، وبره وبصيرته ، والسين سناؤه وسموُّه وسيادته ، والميم مجده ومملكته ومنُّه[٦١] ، وهذا قول الكلبي[٦٢] .

---

(٦٠) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن . نحوي ، لغوي أول من استخرج العروض توفي بالبصرة في سنة ١٧٠ هـ رحمه الله من تصانيفه : ـ العواض الشواهد ، النقط والشكل ، الجمل وغيرها . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٦/١٣٧) ، تهذيب التهذيب (٣/١٦٣) ، البداية والنهاية (١٠/١١١) بغية الوعاة (٢٤٣) .

(٦١) قول الكلبي هذا دليله حديث موضوع لا أصل له :
رواه الطبري (١/٢٢١ ، ١٤٥ ، ١٤٧) ، ابن حبان في المجروحين مطولاً ص
وابن مردويه كما نقله ابن كثير (١ : ٣٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٥١) والديلمي في مسند الفردوس برقم (٨٧٤) وابن عدى وابن عساكر في تاريخ دمشق والثعلبي كما نسبه إليهم السيوطي في الدر (١/٨) من رواية أبي سعيد الخدري مرفوعاً . وفي سنده إسماعيل بن يحيى وهو كذاب كذبه غير واحد من الأئمة وفي سنده أيضاً عطية العوفي وهو ضعيف مدلس . وفي سنده أيضاً مجهول وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/١٣١) رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي والبلاء منه ولا يضع مثل هذا إلا ملحد أو جاهل والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٠٤) وحكم عليه العلامة أحمد شاكر بالوضع في تخريج الطبري (١/٢٢١) .
تنبيه : إذا عرفت هذا فاكتفاء الإمام السيوطي في الدر المنثور بقوله : «ضعيف جداً» ذهول عن العلة الحقيقية . وقد أحسن المؤلف صنعاً بالتعليق على هذه الأقوال .

(٦٢) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ، أبو النضر . مفسر ، إخباري ، نسابة ولد بالكوفة وتوفي بها سنة ١٤٦ ومن تصانيفه تفسير القرآن . أنظر : ـ
ميزان الاعتدال (٣/٥٥٦) ، وفيات الأعيان (٦٢٤) ، الفهرست (١/٩٥) ، كشف الظنون (٤٥٧) ، الاعلام للزركلي (٣/٧) .

والثاني : أن الباء بريء من الأولاد ، والسين سميع الأصوات والميم مجيب الدعوات ، وهذا قول سليمان بن يسار .

والثالث : أن الباء بارىء الخلق ، والسين ساتر العيوب ، والميم المنان ، وهذا قول أبي روق .

ولو أن هذا الاستنباط يحكي عمَّن يُقْتدى به في علم التفسير لرغب عن ذكره ، لخروجه عما اختص الله تعالى به من أسمائه ، لكن قاله متبوع فذكرتُهُ مَعَ بُعْدِهِ حاكياً ، لا محققاً ليكون الكتاب جامعاً لما قيل .

ويقال لمن قال « بسم الله » بَسْمَلَ على لُغَةٍ مُوَلَّدَةٍ ، وقد جاءت في الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة :

لَقَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَىٰ غَدَاةَ لَقِيتُهَا   فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ ٱلْحَبِيبُ ٱلْمُبَسْمِلُ

فأما قوله : « الله » ، فهو أخص أسمائه به ، لأنه لم يتَسَمَّ باسمه الذي هو « الله » غيره .

والتأويل الثاني : أن معناه هل تعلم له شبيهاً ، وهذا أعمُّ التأويلين ، لأنه يتناول الإسم والفعل .

وحُكي عن أبي حنيفة أنه الاسم الأعظم من أسمائه تعالى ، لأن غيره لا يشاركه فيه .

واختلفوا في هذا الاسم هل هو اسم عَلَمٍ للذات أو اسم مُشْتَقٌّ من صفةٍ ، على قولين :

أحدهما : أنه اسم علم لذاته ، غير مشتق من صفاته ، لأن أسماء الصفات تكون تابعة لأسماء الذات ، فلم يكن بُدٌّ من أن يختص باسم ذاتٍ ، يكون علماً لتكون أسماء الصفات والنعوت تبعاً .

والقول الثاني : أنه مشتق من أَلَهَ ، صار باشتقاقه عند حذف همزِهِ ، وتفخيم لفظه الله .

واختلفوا فيما ٱشْتُقَ منه إله على قولين :

أحدهما : أنه مشتق من الوَلَه ، لأن العباد يألهون إليه ، أي يفزعون إليه في

أمورهم ، فقيل للمألوه إليه إله ، كما قيل للمؤتمِّ به إمام .

والقول الثاني : أنه مشتق من الألوهية ، وهي العبادة ، من قولهم فلان يتألَّه ، أي يتعبد ، قال رؤبةُ بن العجاج(٦٣) :

لِلَّهِ دَرُّ ٱلْغَانِيَاتِ ٱلْمُدَّهِ   لَمَّا رَأَيْنَ خَلِقَ ٱلْمُمَوَّهِ
سَبَّحْنَ فَٱسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ

أي من تعبد ، وقد رُوي عن ابن عباس(٦٤) أنه قرأ : ﴿ وَيَذَرَكَ وءالِهَتَكَ ﴾ أي وعبادتك .

ثم آختلفوا ، هل اشتق اسم الإِلّه من فعل العبادة ، أو من استحقاقها ، على قولين :

أحدهما : أنه مشتق من فعل العبادة ، فعلى هذا ، لا يكون ذلك صفة لازمة قديمة لذاته ، لحدوث عبادته بعد خلق خلقه ، ومن قال بهذا ، منع من أن يكون الله تعالى إلّهاً لم يزل ، لأنه قد كان قبل خلقه غير معبود .

والقول الثاني : أنه مشتق من استحقاق العبادة ، فعلى هذا يكون ذلك صفة لازمة لذاته ، لأنه لم يزل مستحقّاً للعبادة ، فلم يزل إلّهاً ، وهذا أصح القولين ، لأنه لو كان مشتقّاً من فعل العبادة لا من استحقاقها ، للزم تسمية عيسىٰ عليه السلام إلّهاً ، لعبادة النصارى له ، وتسمية الأصنام آلهة ، لعبادة أهلها لها ، وفي بطلان هذا دَليل ، على اشتقاقه من استحقاق العبادة ، لا من فعلها ، فصار قولنا « إلّه » على هذا القول صفة من صفات الذات ، وعلى القول الأول من صفات الفعل(٦٥) .

---

(٦٣) ديوانه ص ١٦٥ .

(٦٤) وهذه قراءة شاذة والإسناد إلى ابن عباس فيها ضعيف . رواه الطبري برقم (١٤٢ ، ١٤٣) وقد نقل هذه القراءة الشاذة ابن خالويه في كتاب القراءات الشاذة ص ٤٥ عن علي وابن مسعود وابن عباس .

(٦٥) اعلم أن السلف رحمهم الله يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل : أما صفات الذات فهي التي لا تنفك عنها الذات بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً ولا تتعلق بها مشيئة الله وقدرته وذلك كصفات الحياة والعلم والقدرة والقوة والعزة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والجلال [شرح العقيدة الواسطية ص ١٠٥] وجاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٢١٧) تعريف الصفات الفعلية . قال : وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه ومحبته =

وأما « الرحمن الرحيم » ، فهما آسمان من أسماء الله تعالى ، والرحيم فيها اسم مشتق من صفته .

وأما الرحمن ففيه قولان :

أحدهما : أنه اسم عبراني معرب ، وليس بعربي ، كالفسطاط رومي معرب ، والإستبرق فارسي معرب ، لأن قريشاً وهم فَطَنَةُ العرب وفُصَحَاؤهم ، لم يعرفوهُ حتى ذكر لهم ، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ . . . وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً ﴾ [الفرقان: ٦٠]، وهذا قول ثعلب(٦٦) واستشهد بقول جرير :

أو تتركون إلى القسّين هجرتكم ومسحكم صلبهم رحمن قربانا

قال : ولذلك جمع بين الرحمن والرحيم ، ليزول الالتباس ، فعلى هذا يكون الأصل فيه تقديم الرحيم على الرحمن لعربيته ، لكن قدَّم الرحمن لمبالغته .

والقول الثاني : أن الرحمن آسم عربي كالرحيم لامتزاج حروفهما ، وقد ظهر ذلك في كلام العرب ، وجاءت به أشعارهم ، قال الشنفرى :

أَلَا ضَرَبَتْ تِلْكَ ٱلْفَتَاةُ هَجِينَهَا أَلَا ضَرَبَ ٱلرَّحْمَٰنُ رَبِّي يَمِينَهَا(٦٧)

فإذا كانا اسمين عربيين فهما مشتقان من الرحمة ، والرحمة هي النعمة على المحتاج ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، يعني نعمةً عليهم، وإنما سميت النعمةُ رحمةً لحدوثها عن الرحمة.

والرحمن أشدُّ مبالغةً من الرحيم ، لأن الرحمن يتعدى لفظه ومعناه ، والرحيم

= ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه ومثل خلقه وإحسانه وعدله ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة. ا هـ.

(٦٦) هو أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم الكوفي ، أبو العباس . نحوي ، لغوي . توفي ببغداد سنة ٢٩١ هـ رحمه الله . من تصانيفه : المصون في النحو ، اختلاف النحويين ومعاني القرآن وغيرها . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (١٣٩/٩)، تاريخ بغداد (٢٠٤/٥)، معجم الأدباء (١٠٢/٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٥/٢)، البداية والنهاية (٩٨/١١).

(٦٧) أنظر المخصص لابن سيده (١٧ : ١٥٢) لكن فيه .
وقد نقله الطبري (١٣١/١) لكن لم يصرح باسم الشاعر بل قال وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء .

لا يتعدى لفظه ، وإنما يتعدى معناه ، ولذلك سمي قوم بالرحيم ، ولم يتَسَمَّ أحدٌ بالرحمن ، وكانت الجاهليةُ تُسمِّي اللهَ تعالى به وعليه بيت الشنفرى ، ثم إن مسيلمة الكذاب تسمَّىٰ بالرحمن ، واقتطعه من أسماء الله تعالى ، قال عطاء : فلذلك قرنه الله تعالى بالرحيم ، لأن أحداً لم يتسمَّ بالرحمن الرحيم ليفصل اسمه عن آسم غيره ، فيكون الفرق في المبالغة ، وفرَّق أبو عبيدة بينهما ، فقال بأن الرحمن ذو الرحمة ، والرحيم الراحم .

واختلفوا في اشتقاق الرحمن والرحيم على قولين :

أحدهما : أنهما مشتقان من رحمة واحدةٍ ، جُعِل لفظ الرحمن أشدَّ مبالغة من الرحيم .

والقول الثاني : أنهما مشتقان من رحمتين ، والرحمة التي اشتق منها الرحمن ، غير الرحمة التي اشتق منها الرحيم ، ليصح امتياز الاسمين ، وتغاير الصفتين ، ومن قال بهذا القول اختلفوا في الرحمتين على ثلاثة أقوال :

أحدها: أن الرحمن مشتق من رحمة الله لجميع خلقه، والرحيم مشتق من رحمة الله لأهل طاعته.

والقول الثاني : أن الرحمن مشتق من رحمة الله تعالى لأهل الدنيا والآخرة ، والرحيم مشتق من رحمتِهِ لأهل الدنيا دُون الآخرة .

والقول الثالث : أن الرحمن مشتق من الرحمة التي يختص الله تعالى بها دون عباده ، والرحيم مشتق من الرحمة التي يوجد في العباد مثلُها .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ **الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ .

أما ﴿ **الحمد لله** ﴾ فهو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله ، والشكرُ الثناء عليه بإنعامه ، فكلُّ شكرٍ حمدٌ ، وليسَ كلُّ حمدٍ شكراً ، فهذا فرقُ ما بين الحمد والشكر ، ولذلك جاز أن يَحْمِدَ الله تعالى نفسه ، ولم يَجُزْ أن يشكرها .

فأما الفرق بين الحمد والمدح ، فهو أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ

حسن ، والمدح قد يكون على فعل وغير فعل ، فكلُّ حمدٍ مدحٌ وليْسَ كل مدحٍ حمداً ، ولهذا جاز أن يمدح الله تعالى على صفته ، بأنه عالم قادر ، ولم يجز أن يحمد به ، لأن العلم والقدرة من صفات ذاته ، لا من صفات أفعاله ، ويجوز أن يمدح ويحمد على صفته ، بأنه خالق رازق لأن الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات ذاته .

وأما قوله : ﴿ رب ﴾ فقد اختُلف في اشتقاقه على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه مشتق من المالك ، كما يقال رب الدار أي مالكها .

والثاني : أنه مشتق من السيد ، لأن السيد يسمى ربّاً قال تعالى : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ [يوسف: ٤١] يعني سيده.

والقول الثالث : أن الرب المدبِّر ، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾ وهم العلماء ، سموا ربَّانيِّين ، لقيامهم بتدبير الناس بعلمهم ، وقيل : ربَّةُ البيت ، لأنها تدبره .

والقول الرابع : الرب مشتق من التربية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ ﴾ ،[النساء: ٢٣] فسمى ولد الزوجة ربيبة ، لتربية الزوج لها .

فعلى هذا ، أن صفة الله تعالى بأنه رب ، لأنه مالك أو سيد ، فذلك صفة من صفات ذاته ، وإن قيل لأنه مدبِّر لخلقه ، ومُربِّيهم ، فذلك صفة من صفات فعله ، ومتى أدْخَلت عليه الألف واللام. اختص الله تعالى به ، دون عباده ، وإن حذفتا منه ، صار مشتركاً بين الله وبين عباده .

وأما قوله : ﴿ العالمين ﴾ فهو جمع عَالَم ، لا واحد له من لفظه ، مثل: رهط وقوم ، وأهلُ كلِّ زمانٍ عَالَمٌ قال العجاج :

. . . . فَخِنْدِفُ هَامَةُ هَذَا ٱلْعَالَمِ (٦٨)

وآختُلِف في العالم ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنّه ما يعقِل : من الملائكة ، والإنس ، والجنِّ ، وهذا قول ابن عباس .

(٦٨) شطر من بيت في ديوانه ٦٠ .

والثاني : أن العالَم الدنيا وما فيها .

والثالث : أن العالَم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول أبي إسحاق الزجَّاج .

واختلفوا في اشتقاقه على وجهين :

أحدهما : أنه مشتق من العلم ، وهذا تأويل مَنْ جعل العالم آسماً لما يعقل .

والثاني : أنه مشتق من العلامة ، لأنه دلالة على خالقه ، وهذا تأويل مَنْ جعل العالم آسماً لكُلِّ مخلوقٍ .

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٤)

قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قرأ عاصم[٦٩] والكسائي[٧٠] ﴿ مـالِكِ ﴾ وقرأ الباقون[٧١] ﴿ مَلِك ﴾ وفيما آشتقا جميعاً منه وجهان :

أحدهما : أن اشتقاقهما من الشدة ، من قولهم ملكت العجين ، إذا عجنته بشدة .

---

(٦٩) هو عاصم بن أبي النجود الأسدي . مولاهم . الكوفي ، القارىء ، أبو بكر . أحد القراء السبعة ، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي ، زر بن حبيش وغيرهما وهو معدود في التابعين إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة ، وكان أحسن الناس بالقرآن توفي رحمه الله في آخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل في سنة ثمان وعشرين والله أعلم . أنظر : ـ
التاريخ الكبير (٦/٤٨٧)، ميزان الاعتدال (٢/٣٥٧)، لسان الميزان (٦/٥٨٣) سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٦) الجرح والتعديل (٦/٣٤٠).

(٧٠) هو علي بن حمزة الكسائي ، أبو الحسن الأسدي ، مولاهم . الكوفي ، المقرىء ، النحوي أحد الأعلام . توفي رحمه الله سنة تسع وثمانين ومئة . من تصانيفه : ـ معاني القرآن ، القراءات ، النوادر الكبير وغيرهم . أنظر : ـ
التاريخ الكبير (٦/٢٦٨)، الجرح والتعديل (٦/١٨٢)، بغية الوعاة (٢/١٦٢)، إرشاد الأديب (١٣/١٦٧)، البداية والنهاية (١١/٢٠١)، تهذيب التهذيب (٧/٣١٣).

(٧١) قال ابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات ص ١٠٤ .
حجة من قرأ « مُلك » قوله ﴿ مُلك الملك ﴾ [آل عمران ٢٦].
وحجة من قرأ « ملك » قوله ﴿ ملك الناس ﴾ [الناس ٢] وقوله ﴿ الملك القدوس ﴾ [الحشر ٢٢] وقد رويا جميعاً عن النبي ﷺ .

والثاني : أن اشتقاقهما من القدرة ، قال الشاعر :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[٧٢]

والفرق بين المالك والملك من وجهين :

أحدهما : أن المالك مَنْ كان خاصَّ المُلكِ ، والمِلك مَنْ كان عَامَّ المُلْك .

والثاني : أن المالك من آختص بملك الملوك ، والملك من اختص بنفوذ الأمر .

وآختلفوا أيهما أبلغ في المدح ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المَلِك أبلغ في المدح من المالك ، لأنَّ كلَّ مَلِكٍ مالِكٌ ، وليسَ كلُّ مالِكٍ ملِكاً ، ولأن أمر الملِكِ نافذ على المالِكِ .

والثاني : أن مالك أبلغ في المدح[٧٣] من مَلِك ، لأنه قد يكون ملكاً على من لا يملك ، كما يقال ملك العرب ، وملك الروم ، وإن كان لا يملكهم ، ولا يكون مالكاً إلا على من يملك ، ولأن المَلِك يكون على الناس وغيرهم .

والثالث : وهو قول أبي حاتم ، أن مَالِك أبلغ في مدح الخالق من مَلِك ، ومَلِك أبلغ من مدح المخلوق من مالك .

والفرق بينهما ، أن المالك من المخلوقين ، قد يكون غير ملك ، وإن كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً ، فإن وُصف الله تعالى بأنه ملك ، كان ذلك من صفات ذاته ، وإن وصف بأنه مالك ، كان من صفات أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه الجزاء .

والثاني : أنه الحساب .

وفي أصل الدين[٧٤] في اللغة قولان :

---

(٧٢) الشاعر هو قيس بن الخطيم .

(٧٣) لأنه يجمع الاسم والفعل . [كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٠٤].

(٧٤) قال الحافظ رحمه الله (١٥٦/٨ فتح): وللدين معان أخرى منها : العادة والعمل والحكم والحال والخلق والطاعة والقهر والملة والشريعة والورع والسياسة وشواهد ذلك يطول ذكرها .

أحدهما : العادة ، ومنه قول المثقِّب العَبْدِي :

تَقُولُ وَقَدْ دَرأْتُ لَهَا وَضِينِي　　　أَهَــذَا دِينُــهُ أَبَــداً وَدِينِـي

أي عادته وعادتي .

والثاني : أنَّ أصل الدين الطاعة ، ومنه قول زهير بن أبي سُلمى :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ　　　فِي دِينِ عَمْرٍو وَمَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ

أي في طاعة عمرو .

وفي هذا اليوم قولان :

أحدهما : أنه يوم ، ابتداؤه طلوع الفجر ، وانتهاؤه غروب الشمس .

والثاني : أنه ضياء ، يستديم إلى أن يحاسب الله تعالى جميع خلقه ، فيستقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار .

وفي آختصاصه بملك يوم الدين تأويلان :

أحدهما : أنه يوم ليس فيه ملك سواه ، فكان أعظم من مُلك الدنيا التي تملكها الملوك ، وهذا قول الأصم .

والثاني : أنه لما قال : ﴿ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ ، يريد به ملك الدنيا ، قال بعده : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يريد به ملك الآخرة ، ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة .

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

قوله : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ هو كناية عن آسم الله تعالى ، وفيه قولان :

أحدهما : أن آسم الله تعالى مضاف إلى الكاف ، وهذا قول الخليل .

والثاني : أنها كلمة واحدة كُنِّيَ بها عن آسم الله تعالى ، وليس فيها إضافة لأن المضمر لا يضاف ، وهذا قول الأخفش .

وقوله : ﴿ نَعْبُدُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن العبادة الخضوع ، ولا يستحقها إلا الله تعالى ، لأنها أعلى

مراتب الخضوع ، فلا يستحقها إلا المنعم بأعظم النعم ، كالحياة والعقل والسمع والبصر .

والثاني : أن العبادة الطاعة .

والثالث : أنها التقرب بالطاعة .

والأول أظهرها ، لأن النصارىٰ عبدت عيسىٰ عليه السلام ، ولم تطعه بالعبادة ، والنبي ﷺ مطاع ، وليس بمعبودٍ بالطاعة .

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم ﴾ إلى آخرها .

أما قوله : ﴿ آهْدِنَا الصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ففيه تأويلان :

أحدهما : معناه أرْشُدْنا ودُلَّنا .

والثاني : معناه وفقنا ، وهذا قول ابن عباس .

وأما الصراط ففيه تأويلان :

أحدهما : أنه السبيل المستقيم ، ومنه قول جرير :

أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ ... إِذَا ٱعْوَجَّ ٱلْمَوَارِدُ مُسْتَقِيم (٧٥)

والثاني : أنه الطريق الواضح ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ ، [الأعراف: ٨٦] وقال الشاعر:

.... فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّرَاطِ ٱلْقَاصِدِ

وهو مشتق من مُسْتَرَطِ الطعام ، وهو ممره في الحلق .

وفي الدعاء بهذه الهداية ، ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم دعوا بٱستدامة الهداية ، وإن كانوا قد هُدُوا .

والثاني : معناه زدنا هدايةً .

(٧٥) ديوانه : ٥٠٧ .

والثالث : أنهم دعوا بها إخلاصاً للرغبة ، ورجاءً لثواب الدعاء .

واختلفوا في المراد بالصراط المستقيم ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كتاب الله تعالى ، وهو قول علي وعبد الله ، ويُرْوَىٰ نحوه عن النبي ﷺ(٧٦) .

والثاني : أنه الإسلام ، وهو قول جابر بن عبد الله ، ومحمد بن الحنفية(٧٧) .

والثالث : أنه الطريق الهادي إلى دين الله تعالى ، الذي لا عوج فيه ، وهو قول ابن عباس .

والرابع : هو رسول الله ﷺ وأخيار أهل بيته وأصحابه(٧٨)، وهو قول الحسن البصري وأبي العالية الرياحي(٧٩) .

وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم الملائكة .

والثاني : أنهم الأنبياء .

---

(٧٦) تقدم تخريجه موسعاً ص

(٧٧) هو محمد بن علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب . من كبراء التابعين ولد في العام الذي توفي فيه أبو بكر ورأى عمر وروى عنه وعن أبيه وأبي هريرة وعثمان وغيرهم ووفد على معاوية وكان الشيعة في زمانه تتغالى فيه وتدعي إمامته ولقبوه بالمهدي . توفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين والله أعلم . أنظر : ـ

وفيات الأعيان (٤/١٦٩)، تاريخ الإسلام (٣/٢٩٤)، البداية والنهاية (٩/٣٨)، تهذيب التهذيب (٩/٣٥٤) ، شذرات الذهب (١/٨٨)

(٧٨) قال الحافظ ابن كثير (١/٢٨) وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة . فإنه من اتبع النبي ﷺ واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً ولله الحمد.

(٧٩) هو رفيع بن مهران الرياحي ، أبو العالية الإمام المقرىء الحافظ المفسر أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر سمع من عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم . وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

اختلف في موته فقيل سنة ٩٠ وقيل ٩٣ ، ١٠٦ والله أعلم . أنظر : ـ

طبقات ابن سعد (٧/١١٢)، تهذيب التهذيب (٣/٢٨٤)، تاريخ البخاري (٣/٣٢٦) شذرات الذهب (١/١٠٢)، تذكرة الحفاظ (١/٥٨).

والثالث : أنهم المؤمنون بالكتب السالفة .

والرابع : أنهم المسلمون وهو قول وكيع[٨٠] .

والخامس : هم النبي ﷺ ، ومَنْ معه مِنْ أصحابه ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد[٨١] .

وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير[٨٢] : (صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)

وأما قوله : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقد روىٰ عن عديٍّ بن حاتم[٨٣] قال : سألتُ رسول الله ﷺ ، عن المغضوب عليهم ، فقال : « هُمُ اليَهُود » ، وعن الضالين فقال : « هُمُ النَّصارَىٰ »[٨٤] .

---

(٨٠) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان فقيه ، محدث ، حافظ ولد بالكوفة وتفقه وحفظ الحديث . أراد الرشيد أن يوليه القضاء فامتنع . توفي رحمه الله منصرفاً من الحج سنة (١٩٧ هـ) من آثاره : السنن ، تفسير القرآن ، الزهد وغيرها. أنظر : ـ طبقات الحنابلة (٢٥٧)، الفهرست (٢٢٦/١)، الاعلام للزركلي (١٣٥/٩)، وغيرها .

(٨١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . فقيه ، محدث ، مفسر . توفي في أول خلافة هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ. له من الكتب : الناسخ والمنسوخ ، التفسير . أنظر : ـ الفهرست (٢٢٥/١)، معجم المؤلفين (١٣٨/٥) .

(٨٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي ، أبو بكر صحابي جليل . أول مولود في المدينة بعد الهجرة ، بويع بالخلافة له سنة ٦٤ هـ وكان من خطباء قريش المعدودين استشهد رضي الله عنه في سنة ٧٣ هـ . أنظر : ـ
تهذيب التهذيب (٢١٣/٥) ، الإصابة (٣٠٩/٢)، البداية والنهاية (٣٣٢/٨) أسد الغابة (٢٤٢/٣).

(٨٣) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي . أبو وهب ، أبو طريف أسير ، صحابي . من الأجواد والعقلاء. وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل . مات رضي الله عنه سنة ٦٨ بالكوفة . أنظر : ـ
الإصابة (٤٦٨/٢)، تهذيب التهذيب (١٦٦/٧) ، التاريخ الكبير (٤٣/٧)، طبقات ابن سعد (٢٢/٦).

(٨٤) رواه الطبري في التفسير (١٨٥/١ ، ١٩٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٦/١) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والحديث أصله قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه . وقد جاء بروايات متعددة كثيرة كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره . وقد رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩٤/٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩) أنظر تخريج القصة في الدر المنثور (١٧٤/٤) وكذا تخريج تفسير الطبري للشيخ أحمد شاكر وحسن القصة الترمذي وحسنها الشيخ الألباني في غاية المرام (ص ٦) وفات السيوطي نسبتها لأحمد في مسنده. تنبيه : ـ وأما قول =

وهو قول جميع المفسرين(٨٥).
وفي غضب الله عليهم ، أربعة أقاويل :

أحدها : الغضب المعروف من العباد(٨٦).

والثاني : أنه إرادة الإنتقام ، لأن أصل الغضب في اللغة هو الغلظة ، وهذه الصفة لا تجوز على الله تعالى .

والثالث : أن غضبه عليهم هو ذَمُّهُ لهم .

والرابع : أنه نوع من العقوبة سُمِّيَ غضباً ، كما سُمِّيَتْ نِعَمُهُ رَحْمَةً .

والضلال ضد الهدى ، وخصّ الله تعالى اليهود بالغضب ، لأنهم أشد عداوة .

وقرأ عمر بن الخطاب(٨٧) (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّآلِّينَ) .

= الشيخ الدوسري حفظه الله في كتابه النهج السديد (ص ٥٣) « وعزو الحديث لأحمد وهم ولذلك لم يعز السيوطي في الدر الحديث إليه » . فوهم منه حفظه الله فقد رواه الإمام أحمد في مسنده كما رأيت . . . وأما قوله : « ولذلك لم يعزُ السيوطي في الدر الحديث إليه » فيقال كم من حديث رواه أحمد في مسنده وفات السيوطي في الجامع الصغير والدر المنثور والأمثلة على ذلك كثير لا يتسع المقام لها .

(٨٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (١٥٩/٨) قال ابن أبي حاتم لا أعلم بين المفسرين في ذلك إختلافاً قال السهيلي وشاهد ذلك في قوله تعالى في اليهود : ﴿ **فباؤا بغضب على غضب وفي النصارى** ﴾ ﴿ **قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً** ﴾ اهـ ثم اعلم أيها القارىء أن تفسير غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ورد من حديث أبي ذر واسناده حسن حسنه الحافظ رحمه الله في نفس المكان من الفتح (١٥٩/٨) أخرجه ابن مردويه .

(٨٦) إن الله سبحانه وتعالى يغضب ولا سيما يوم القيامة فإنه يغضب غضبة لم يغضب مثلها ولا قبلها ولا بعدها وأن غضب الله تعالى لا يتأثر بالانفعالات ولا يوصف بالمزاجية الناشئة عن الضعف وعدم التمالك لأن الله سبحانه وتعالى «**ليس كمثله شيء**» لا في ذاته ولا في صفاته وكذلك فقد وصف الرب جل وعلا نفسه بقوله «**ولم يكن له كفوا أحد**» أي ليس لله شبيهاً أحد. لذا فمن جعل صفة من صفات الله تعالى كصفات المخلوقات متأثرة بالانعكاسات والانفعالات فقد خيل ضلالاً بعيداً وقد قال الإمام أبو جعفر الطحاوي وهو من السلف الصالح . (من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر).

(٨٧) وقد رواها أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن وسعيد بن منصور بإسناد صحيح صححه ابن حجر في الفتح (١٥٩/٨) وابن كثير من قبله (٢٩/١) لكن الحافظ ابن كثير رحمه الله قال : « وكذلك حكي عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير » .

سُورَةُ البَقَرَة

مدنية في قول الجميع ، إلا آية منها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بِمِنَىٰ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾

قوله عز وجل : ﴿ الٓمٓ ﴾ اختلف فيه المفسرون على ثمانية أقاويل :

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر ، وهو قول قتادة وابن جريج[٨٨] .

والثاني : أنه من أسماء السور ، وهو قول زيد بن أسلم .

والثالث : أنه اسم الله الأعظم ، وهو قول السدي[٨٩] والشعبي[٩٠] .

---

(٨٨) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأسوي مولاهم ، المكي ، أبو الوليد ، أبو خالد محدث ، حافظ ، فقيه ، مفسر ، ولد بمكة وحدث بالبصرة وأكثروا عنه . من آثاره : السنن ، مناسك الحج ، تفسير القرآن . توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٢) تهذيب التهذيب (٦/٤٠٢)، تاريخ بغداد (١٠/٤٠٠).

(٨٩) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، صاحب التفسير والمغازي والسير ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. توفي رحمه الله سنة ١٢٨ هـ ، من آثاره : التفسير . أنظر : ـ
الأعلام للزركلي (١/٣١٧)، روضات الجنات (١٠١)، طبقات ابن سعد (٦/٣٢٣)، ميزان الاعتدال (١/٢٣٦).

(٩٠) هو عامر بن شرحبيل بن ذي كبار ، أبو عمرو . رأى علياً وصلى خلفه . وحدث عن جمع من=

والرابع : أنه قسم أقسم الله تعالى به ، وهو من أسمائه ، وبه قال آبن عباس وعكرمة .

والخامس : أنها حروف مقطعة من أسماء وأفْعال ، فالألف من أنا واللاَّم من الله ، والميم من أعلم ، فكان معنىٰ ذلك : أنا الله أعلم ، وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن جبير ، ونحوه عن ابن عباس أيضاً .

والسادس : أنها حروف يشتمل كل حرف منها على معانٍ مختلفة ، فالألف مِفتاح آسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، والألف آلاء الله ، والميم مجدُه ، والألِفُ سَنَةٌ ، واللامُ ثلاثون سنة ، والميم أربعون سنة ، آجال قد ذكرها الله .

والسابع : أنها حروف من حساب الجمل ، لما جاء في الخبر عن[٩١] عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ، قال : مَرَّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة : ﴿ **الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ فأتىٰ أخاه حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ في رجال من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل اللّٰهُ عليك : ﴿ **الٓمٓ . ذَٰلِكَ**

= الصحابة ، وكان حافظاً ، متقناً توفي سنة ١٠٥ رحمه الله . قال أبو مجلز عنه : ـ ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٦/٢٤٦)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤)، البداية والنهاية (٩/ ٢٣٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤)، تهذيب التهذيب (٢/ ١١٤).

(٩١) رواه الطبري في التفسير (١/ ٢٢٦) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢/ ٢٠٧) وقال الطبري خبر في اسناده نظر وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٧) والشوكاني في فتح القدير (١/ ٢٠) وزاد السيوطي نسبته في الدر لابن اسحق وقال أخرجه ابن المنذر في تفسيره من وجه آخر عن ابن جريج مفصلاً قال الحافظ ابن كثير (١/ ٦٩ ، ٧٠) أما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أول على بطلان هذا المسلك والتمسك به مع صحته .
ثم قال رحمه الله فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ولقد كان أجدر بالحافظ السيوطي أن يحكم على الحديث بالضعف الشديد كما حكم الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢١٦) وقد توسع العلامة أحمد شاكر في نقد روايات هذا الحديث في الطبري أنظره هناك (١/ ١٦) وما بعدها .

الكِتَـابُ ﴾ فقال رسـول الله ﷺ : « بلى » ، فقالـوا : « أجاءك بهـا جبريـل من عند الله ». قـال : « نعم » ، قالـوا : « لقـد بعث الله قبلك أنبيـاء مـا نعلم أنـه بُيِّنَ لنبي منهم مـدة ملكه ومـا أُكل أمتـه غيرك »، فقـال حُيَيُّ بن أخطب وأقبـل على من كـان معه ، فقال لهم : « الألـف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنـة »، ثم أقبل على رسـول الله ﷺ ، ثم قـال : « يـا محمـد هـل كـان مـع هـذا غيـره »؟ ، قـال : « نعم » ، قـال : « مـاذا »؟ قـال : « الٓمٓصٓ » ، قـال هـذه أثقـل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، فهل مع هذا يا محمد غيره »، قـال : « نعم » ، قال : « مـاذا » قـال : « الٓر » قـال : « هذه أثقـل وأطول ، الألف واحـد ، واللام ثـلاثون ، والـراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنـةٍ ، فهل مـع هذا يـا محمد غيـره » ، قال : « نعم » قال : « ماذا »؟ ، قال : « الٓمٓر » ، قال هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، والـلام ثلاثـون ، والميم أربعون ، والـراء مائتـان ، فهـذه إحـدى وسبعـون ومـائتـا سنـة . . ، ثم قـال : « لقـد التبس علينـا أمـرك حتى مـا نـدري أقليـلاً أعـطيت أم كثيـراً » ، ثم قامـوا عنـه ، فقـال أبـو يـاسـر لأخيـه حُيَيِّ بن أخـطبَ ولمن معـه من الأحبـار : « ما يـدريكم لعله قد جمـع هذا كله لمحمـد إحدى وسبعـون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون سنـة » ، قالـوا : « لقد تشـابه علينـا أمره » . فيـزعمون أن هـذه الآيـات نزلت فيهم : ﴿ هُـوَ ٱلَّذِي أَنْـزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـابَ مِنْهُ آيَـاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

والثـامن[٩٢] : أنه حـروف هجـاء أَعلَم الله تعـالى بهـا العَـرَب حين تحـداهم بـالقرآن ، أنـه مُؤَلَف من حروف كـلام ، هي هـذه التي منهـا بنـاء كـلامهم ليكـون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم ، إذ لم يخرج عن كلامهم .

فأما حروف أبجدَ فليس بناء كلامهم عليها ، ولا هي أصل ، وقد اختلف أهل العلم فيها على أربعة أقاويل :

---

(٩٢) وهذا الوجه لعله أقرب إلى الصواب من غيره والله أعلم .

أحـدها : أنهـا الأيام الستـة ، التي خلق الله تعالى فيهـا الدنيـا ، وهـذا قـول الضحاك بـن مزاحم[٩٣] .

والثاني : أنها أسماء ملوك مَدْين ، وهذا قول الشعبي وفي قـول بعض شعراء مَدْين دليل على ذلك قال شاعرهم :

أَلَا يَا شُعَيْبُ قَدْ نَـطَقْتَ مَقَالَـةً ... سَبَبْتَ بِهَا عَمْراً وَحَيَّ بني عَمْرِو

مُلُوكُ بني حــطّى وَهَـوَّزُ مِنْهُمُ ... وَسَعْفَصُ أَصْلٌ لِلْمَكَارِمِ وَٱلْفَخْرِ

هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الحِجَازِ بغارَةٍ ... كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَوْمَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ

والثـالـث : مـا روى ميمـون بن مهـران[٩٤]، عن ابن عبـاس ، أن لأبِي جـاد حـديثاً عجبـاً : (أبى) آدمُ الطاعـة ، و (جد) في أكـل الشجرة ، وأمـا (هوّز) ، فنـزل آدم فهوى من السمـاء إلى الأرض ، وأما (حـطي) فحـطت خـطيئتـه ، وأمـا (كلمن) فـأكل من الشجـرة ، ومَنَّ عليه بـالتوبـة ، وأمـا (سعفص) فعصى آدم ، فأُخرج من النعيم إلى النكد ، وأما قرشت فأقرّ بالذنب ، وسَلِمَ من العقوبة[٩٥] .

والرابع : أنها حروف من أسماء الله تعالى ، رَوَىَ ذلـك معاويـة بن قرة[٩٦]، عن أبيه ، عن النبي ﷺ[٩٧] .

---

(٩٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد وقيل أبو القاسم . صاحب التفسير .
كان من أوعية العلم ، ليس بـالمجوّد لحـديثه ، وهـو صدوق في نفسـه ، حدث عن ابن عبـاس وأبي سعيد الخدري وابن عمر وغيرهم . وحـدث عنه عمارة بن أبي حفصة ، أبـو روق بن عطيـة نقل غيـر واحد وفاة الضحاك في سنه إثنتين ومئة . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٦/ ٣٠٠ ، ٧/ ٣٦٩)، تاريخ البخاري (٤/ ٣٣٢)، البداية والنهاية (٩/ ٢٢٣) .

(٩٤) هو ميمون بن مهران أبو أيـوب الجزري الرقي . حدث عن أبي هريرة وعائشة وابن عبـاس وغيرهم .
له الكثير من الأخبار المروية في الزهد . مات سنة سبع عشرة ومئة وقيل سنة عشرة . أنظر : ـ
حلية الأولياء (٤/ ٨٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٧) ، البداية والنهاية (٩/ ٣١٤) تـذكرة الحفـاظ (١/ ٩٨) وغيرهم .

(٩٥) هذا من الاسرائيليات التي تلقاهـا بعض الصحابـة عن أهل الكتـاب والتي يحكيها بعض المفسـرين على سبيل الحكاية لا على سبيـل الاستشهاد ولا الاعتماد .

(٩٦) هو معاوية بن أبي قرة بن اياس بن هلال أبـو اياس ولـد يوم الجمـل . وثقة ابن معين والعجلي وأبـو حاتم وغيرهم . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢١)، سير أعلام النبـلاء (٥/ ١٥٣)، تاريـخ البخاري (٧/ ٣٣٠) تهـذيب التهذيب (١٠/ ٢١٦) .

(٩٧) لم أهتدِ إلى تخريجه .

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني التوراة والإنجيل ، ليكون إخباراً عن ماضٍ .

والثاني : يعني به ما نزل من القرآن قبل هذا بمكة والمدينة ، وهذا قول الأصم .

والثالث : يعني هذا الكتاب ، وقد يستعمل ذلك في الإشارة إلى حاضر ، وإن كان موضوعاً للإشارة إلى غائب ، قال خُفاف بن ندبة :

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنُهُ   تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا(٩٨)

ومن قال بالتأويل الأول : أن المراد به التوراة والإنجيل ، اختلفوا في المخاطب به على قولين :

أحدهما : أن المخاطب به النبي ﷺ ، أي ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل ، هو الذي أنزلته عليك يا محمد .

والقول الثاني : أن المخاطب به اليهود والنصارىٰ ، وتقديره : أن ذلك الذي وعدتكم به هو هذا الكتاب ، الذي أنزلته على محمد عليه وعلى آله السلام .

قوله عز وجل : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أن الريب هو الشك ، وهو قول ابن عباس ، ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَىٰ :

لَيْسَ فِي ٱلْحَقِّ يَا أُمَيْمَةُ رَيْبٌ   إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ ٱلْجَهُولُ

والتأويل الثاني : أن الريب التهمة ومنه قول جميل :

بُثَيْنَةُ قَالَتْ : يَا جَمِيلُ أَرَبْتَنِي   فَقُلْتُ : كِلَانَا يَا بُثَيْنَ مُرِيبُ

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، يعني به هدىً من الضلالة .

وفي المتقين ثلاثة تأويلات :

---

(٩٨) أنظر الأغاني (٢/٣٢٩) ، (١٣/١٣٤ ، ١٣٥) ، (١٦/١٣٤).

أحدها : أنهم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدّوا ما افترض عليهم ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم الذين يحذرون من الله تعالى عقوبته ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنهم الذين آتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا فاسد[٩٩] ، لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسق وإنما خص به المتقين ، وإن كان هدىً لجميع الناس ، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه .

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يصدقون بالغيب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يخشون بالغيب ، وهذا قول الربيع بن أنس[١٠٠] .

وفي أصل الإيمان[١٠١] ثلاثة أقوال :

أحدها : أن أصله التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ أي بمصدِّق لنا .

والثاني : أن أصله الأمان فالمؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله ، والله المؤمِنُ لأوليائه من عقابه .

---

(٩٩) هذا القول الثالث الذي ذكره المؤلف ورده تبع في ذلك الإمام الطبري فلا يظن ظان أنه انتصر في هذا القول لمذهب المعتزلة . أنظر الطبري (١/ ٢٣٤) .

(١٠٠) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري . الخرساني ، المروزي ، بصري . سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي والحسن البصري وغيرهم . وعنه سليمان التيمي والأعمش وابن المبارك . كان عالم مرو في زمانه توفي سنة تسع وثلاثين ومئة رحمه الله . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٧/ ١٠٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩) ثقات ابن حبان (٣/ ٦٤) .

(١٠١) يعني به المؤلف رحمه الله أصله في اللغة، أي مفهوم الإيمان من حيث الأصل اللغوي .

والثـالـث : أن أصله الطمـأنينة ، فقيل للمصدق بـالخبر مؤمن، لأنـه مطمئن.

وفي الإيمان ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنّ الإيمان اجتناب الكبائر .

والثاني : أن كل خصلة من الفرائض إيمان .

والثالث : أن كل طاعةٍ إيمان .

وفي الغيب ثلاثة تأويلات :

أحدها : ما جاء من عند الله ، وهو قول آبن عباس .

والثاني : أنه القرآن ، وهو قول زر بن حبيش(١٠٢) .

والثالث : الإيمان بالجنة والنار والبعث والنشور .

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يؤدونها بفروضها .

والثاني : أنه إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيهـا ، وهذا قـول ابن عباس .

وآختُلف لِمَ سُمِّي فعل الصلاة على هذا الوجه إقامةً لها ، على قولين :

أحدهما : من تقويم الشيء من قولهم قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه .

والثاني : أنه فعل الصلاة سُمِّي إقامة لها ، لما فيهـا من القيام فلذلـك قيل : قد قامت الصلاة .

وفي قوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : إيتاء الزكاة احتساباً لها ، وهذا قول ابن عباس .

---

(١٠٢) هـو زر بن حبيش بن حباشـة بن أوس أبو مـريم وأبو مـطرف أدرك أيام الجـاهلية وحـدث عن عمر وعثمان وعلي وعمار وغيرهم ، وحدث عنه عدي بن ثابت ، المنهال بن عمرو ، عبدة بن أبي لبابة . قال عاصم : كان زر من أعرب الناس وكان ابن مسعود يسأله في العربية توفي رحمه الله وهو ابن سبع وعشرين ومئة . أنظر : ـ

طبقات ابن سعد (٦/١٠٤)، تذكرة الحفاظ (١/٥٤)، الحلية (٤/١٨١) الإصابة ت ٢٩٧١ .

والثاني : نفقة الرجل على أهلِهِ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : التطوع بالنفقة فيما قرّب من الله تعالى ، وهذا قول الضحاك :

وأصل الإنفاق الإخراج ، ومِنْهُ قيل : نَفَقَتِ الدابة إذا خرجت رُوحها .

وآختلف المفسرون ، فِيمَنْ نزلت هاتان الآيتان فيه ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في مؤمني العرب دون غيرهم ، لأنه قال بعد هذا : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني به أَهْلَ الكتاب ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها مع الآيتين اللتين من بعد أربع آيات نزلت في مؤمني أهل الكتاب ، لأنه ذكرهم في بعضها .

والثالث : أن الآيات الأربع من أول السورة ، نزلت في جميع المؤمنين ، وروىٰ ابن أبي نجيح(١٠٣) ، عن مجاهد قال : « نزلت أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عَشْرَةَ في المُنافقين .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ وما بعدها .

أما قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن ، ﴿ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني به التوراة والإنجيل ، وما تقدم من كتب الأنبياء ، بخلاف ما فعلته اليهود والنصارىٰ ، في إيمانهم ببعضها دون جميعها .

﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ فيه تأويلان :

---

(١٠٣) هو عبد الله بن يسار بن أبي نجيح ، أبو يسار ، هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار قال البخاري كان يتهم بالاعتزال والقدر توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة . ظهر له من المرفوع نحو مئة حديث . أنظر : ـ
التاريخ الكبير (٥/٢٣٣)، الجرح والتعديل (٥/٢٠٣)، الكامل في التاريخ (٥/٤٤٥).

أحدهما : يعني الدار الآخرة .

والثاني : يعني النشأة الآخرة وفي تسميتها بالدار الآخرة قولان :

أحدهما : لتأخرها عن الدار الأولى .

والثاني : لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا لدنوِّها من الخلق .

وقوله : ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ أي يعلمون ، فسمى العلم يقيناً لوقوعه عن دليل صار به يقيناً .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ٥

وقوله تعالى : ﴿ أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ يعني بيان ورشد .

﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم الفائزون السعداء ، ومنه قول لبيد :

لَـوْ أَنَّ حَيّاً مُـدْرِكُ ٱلْفَـلاحِ ... أَدْرَكَـهُ مُلاَعِبُ الـرِّمَـاحِ

والثاني : المقطوع لهم بالخير ، لأن الفلح في كلامهم القطع ، وكذلك قيل للأكار فلاح ، لأنه يشق الأرض ، وقد قال الشاعر :

لَقَدْ عَلِمتَ يا ٱبنَ أُمِّ صحصحْ ... أن الحديدَ بالحديدِ يُفلحْ

واختلف فيمن أُرِيدَ بهم ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : المؤمنون بالغيب من العرب ، والمؤمنون بما أنزل على محمد ، وعلى من قبله من سائر الأنبياء من غير العرب .

والثاني : هم مؤمنو العرب وحدهم .

والثالث : جميع المؤمنين .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٦

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ وأصل الكفر عند العرب التغطية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتُهُ ﴾ يعني الزُّرَّاع لتغطيتهم البذر في الأرض ، قال لبيد :

فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ ٱلنُّجُومَ غَمَامُهَا[١٠٤] ....

أي غطَّاها ، فسمى به الكافر بالله تعالى لتغطيته نعم الله بجحوده .

وأما الشرك فهو في حكم الكفر ، وأصله في الإشراك في العبادة .

واختلف فِيمَنْ أُرِيدَ بذلك ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم اليهود الذين حول المدينة ، وبه قال ابن عباس ، وكان يسميهم بأعيانهم .

والثاني : أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم ، وهو اختيار الطبري .

والثالث : أنها نزلت في قادة الأحزاب ، وبهِ قال الربيع بن أنس .

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ الختم الطبع ، ومنه ختم الكتاب ، وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : وهو قول مجاهد[١٠٥] : أن القلب مثل الكف ، فإذا أذنب العبْدُ ذنباً ضُمَّ منه كالإصبع ، فإذا أذنب ذنباً ثانياً ضم منه كالإصبع الثانية ، حتى يضمَّ جميعه ثم يطبع عليه بطابع .

والثاني : أنها سمة تكون علامة فيهم ، تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين .

---

(١٠٤) معلقة لبيد المشهورة . أنظر شرح المعلقات لابن بكر الأنباري ص ٥٦٠ .

(١٠٥) وقول مجاهد هذا نصره الطبري وأيده بما رواه هو (١ / ٢٦٠) وأحمد برقم (٧٩٣٩) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٥١٧/٢) والترمذي وصححه (٢١٠/٤) وابن ماجة (٢٩١/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً : (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقلت قلبه فإن زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾) (سورة المطففين ١٤) وقد رد ابن جرير القول الثالث رداً بارعاً فانظره(١ /٢٦٠) والقول الثاني أورده ابن القيم في شفاء العليل من أقوال القدرية ورده أيضاً (٨٢ ، ٨٣٠ ، ٨٤) وأورد الثالث من أقوال القدرية أيضاً .

والثالث : أنه إخبار من الله تعالى عن كفرهم وإعراضهم عن سماع ما دعوا إليه من الحق ، تشبيهاً بما قد آنسدَّ وختم عليه ، فلا يدخله خير .

والرابع : أنها شهادة من الله تعالى على قلوبهم ، بأنها لا تعي الذكر ولا تقبل الحقَّ ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغى إليه ، والغشاوة : تعاميهم عن الحق . وسُمِّي القلب قلباً لتقلُّبِهِ بالخواطر ، وقد قيل :

مَا سُمِّيَ ٱلْقَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ   وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ ، وَٱلإِنْسَانُ أَطْوَارُ

والغشاوة : الغطاء الشامل .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ﴾ يعني المنافقين يخادعون(١٠٦) رسول الله ﷺ والمؤمنين ، بأن يُظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون من الكفر ، لأن أصل الخديعة الإخفاء ، ومنه مخدع البيت ، الذي يخفى فيه ، وجعل الله خداعهم لرسوله خداعاً له ، لأنه دعاهم برسالته .

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ﴾ في رجوع وباله عليهم .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يعني وما يفطنون ، ومنه سُمِّي الشاعر ، لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره ، ومنه قولهم ليت شعري .

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

(١٠٦) قال الإمام الطبري (١/٢٧٢) وخداع المنافق ربه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب ولم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسباء فذلك خداعه ربه وأهل الإيمان بالله ا هـ.

أحدها : شك ، وبه قال ابن عباس .

والثاني : نفاق ، وهو قول مقاتل ، ومنه قول الشاعر :

أُجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَقَدْ أَرَى صُدُورَهُمْ تَغْلِي عَلَيَّ مِرَاضُهَا

والثالث : أن المرض الغمُّ بظهور أمر النبي ﷺ على أعدائه ، وأصل المرض الضعف ، يقال : مرَّض في القول إذا ضعَّفه .

﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه دعاء عليهم بذلك .

والثاني : أنه إخبار من الله تعالى عن زيادة مرضهم عند نزول الفرائض ، والحدود .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني مؤلم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الكفر .

والثاني : فعل ما نهى الله عنه ، وتضييع ما أمر بحفظه .

والثالث : أنه ممالأة الكفار .

وكل هذه الثلاثة ، فساد في الأرض ، لأن الفساد العدول عن الاستقامة إلى ضدها .

واختلف فِيمَنْ أُرِيدَ بهذا القول على وجهين :

أحدهما : أنها نزلت في قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت ، وإنما يجيئون بعد ، وهو قول سليمان .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، الذين كانوا موجودين ، وهو قول ابن عباس ومجاهد .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم ظنوا أن في ممالأة الكفار صلاحاً لهم ، وليس كما ظنوا ، لأن الكفار لو يظفرون بهم ، لم يبقوا عليهم ، فلذلك قال : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

والثاني : أنهم أنكروا بذلك ، أن يكونوا فعلوا ما نهوا عنه من ممالأة الكفار ، وقالوا إنما نحن مصلحون في آجتناب ما نهينا عنه .

والثالث : معناه أن ممالأتنا الكفار ، إنما نريد بها الإصلاح بينهم وبين المؤمنين ، وهذا قول آبن عباس .

والرابع : أنهم أرادوا أن ممالأة الكفار صلاح وهدى ، وليست بفساد وهذا قول مجاهد .

فإن قيل : فكيف يصح نفاقهم مع مجاهدتهم بهذا القول؛ ففيه جوابان :

أحدهما : أنهم عرَّضوا بهذا القول ، وكَنُّوا عنه من غير تصريح به .

والثاني : أنهم قالوا سراً لمن خلوا بهم من المسلمين ، ولم يجهروا به ، فبقوا على نفاقهم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعني أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوا أَنُؤْمن كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم عنوا بالسفهاء أصحاب النبي ﷺ .

والثاني : أنهم أرادوا مؤمني أهل الكتاب(*).

والسفهاء جمع سفيه ، وأصل السَّفَهِ الخِفَّةُ ، مأخوذ من قولهم ثوب سفيه ،

(*) زيادة من تفسير القرطبي وليست في المحفوظة .

إذا كان خفيف النسيج ، فسمّى خفةُ الحلم سفهاً ، قال السَمَوْأَلُ :

نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلامُنَا فَنَخْمُلَ ٱلدَّهْرَ مَعَ ٱلْخَامِلِ

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ في شياطينهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : رؤوسهم في الكفر ، وهذا قول ابن مسعود .

وفي قوله : ﴿ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه مع شياطينهم ، فجعل « إلى » موضع « مع » ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] أي مع الله .

والثاني : وهو قول بعض البصريين : أنه يقال خلوت إلى فلان ، إذا جعلته غايتك في حاجتك ، وخلوت به يحتمل معنيين :

أحدهما : هذا .

والآخر : السخرية والاستهزاء منه فعلى هذا يكون قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أفصح(١٠٧) ، وهو على حقيقته مستعمل .

والثالث : وهو قول بعض الكوفيين : أن معناه إذا انصرفوا إلى شياطينهم فيكون قوله : ﴿ إلى ﴾ مستعملاً في موضع لا يصح الكلام إلا به .

فأما الشيطان ففي اشتقاقه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه فيعال من شطن ، أي بَعُدَ ، ومنه قولهم : نوى شطون(١٠٨) أي

---

(١٠٧) قال الحافظ في الفتح والنكتة في تعدية خَلَوْا بإلى مع أن أكثر ما يتعدى بالباء أن الذي يتعدى بالباء يحتمل الانفراد والسخرية تقول خلوت به إذا سخرت منه والذي يتعدى بإلى نص في الانفراد أفاد ذلك الطبري (٨/١٦١).

(١٠٨) وشاهده من الشعر قول النابغة :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

ديوانه ٢٠ .

بعيدة ، وشَطَنَتْ دارُه ، أي بعدت ، فسمي شيطاناً ، إما لبعده عن الخير ، وإما لبعد مذهبه في الشر ، فعلى هذا النون أصلية .

والقول الثاني : أنه مشتق من شاط يشيط ، أي هلك يهلك كما قال الشاعر :

. . . . وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا ٱلبَطَلُ(١٠٩)

أي يهلك ، فعلى هذا يكون النون فيه زائدة .

والقول الفاصل : أنه فعلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنه سُمِّي بما يؤول إليه حاله .

﴿ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي على ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي ساخرون بما نظهره من التصديق والموافقة .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها (*) : معناه أنه يحاربهم على آستهزائهم ، فسمى الجزاء باسم المجازَىٰ عليه ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنِ آعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَآعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وليس الجزاء اعتداءً(١١٠)، قال عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَـدٌ عَلَيْنَـا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ ٱلْجَاهِلِينَا(١١١)

والثاني : أن معناه أنه يجازيهم جزاء المستهزئين .

والثالث : أنه لما كان ما أظهره من أحكام إسلامهم في الدنيا ، خلاف ما أوجبه عليهم من عقاب الآخرة ، وكانوا فيه اغترار به ، صار كالاستهزاء [بهم](*) .

---

(١٠٩) هذا عجز بيت للأعشى وصدره : قد نطعن العير من مكنون فائله
والبيت في ديوانه : ١٣٤ .

(١١٠) وهذا الوجه وإن كان صحيحاً فهناك ما هو أصوب منه فإن هذه الأفعال من الله تعالى التي ذكرها في كتابه كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع على حقيقتها في بابها وهو نوعان قبيح وحسن؛ فالقبيح مذموم والثاني حسن وإنما يفعل الرب منها الحسن الذي يحمد عليه عدلاً منه وحكمة وينبغي أن يعلم أنه لا يجوز إطلاق أسماء على الله تعالى من هذه الأفعال فإن باب الأفعال أوسع من باب الأسماء وقد أخطأ أقبح الخطأ من اشتق له من كل فعل اسماً .

(١١١) من معلقة عمرو الشهيرة . أنظر : شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص ٤٢٦ .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

والرابع : أنه لما حسن أن يقال للمنافق : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[الدخان: ٤٩] ، صار القول كالاستهزاء به .

والخامس : ما حكي : أنهم يُفْتَح لهم باب الجحيم ، فيرون أنهم يخرجون منها ، فيزدحمون للخروج ، فإذا انتهوا إلى الباب ضربهم الملائكة ، بمقامع النيران ، حتى يرجعوا ، وهذا نوع من العذاب ، وإن كان كالاستهزاء .

قوله عز وجل : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهم يَعْمَهُونَ ﴾ وفي يمدهم تأويلان :

أحدهما : يملي لهم ، وهو قول ابن مسعود .

والثاني : يزيدهم ، وهو قول مجاهد .

يقال مددت وأمددت ، فحُكِيَ عن يونس أنه قال : مددت فيما كان من الشر ، وأمددت فيما كان من الخير ، وقال بعض الكوفيين : يقال : مددتُ فيما كانت زيادته منه ، كما يقال مَدّ النصر ، وأَمَدَّه نهر آخر ، وأمددت فيما حدثت زيادته من غيره ، كقولك أَمْدَدْتُ الجيش بمددٍ ، وأَمِد الجرح ، لأن المدة من غيره .

﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ يعني تجاوزهم في الكفر ، والطغيان مجاوزة القدر ، يقال طغى الماء ، إذا جاوز قدره ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴾.[الحاقة: ١١].

﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ في ثلاثة أقوال :

أحدها : يترددون ، ومنه قول الشاعر :

حَيْرَانُ يَعْمَهُ فِي ضَلاَلَتِهِ　　مستورد بشرائع

والثاني : معناه يتحيرون ، قال رؤبة بن العجاج :

وَمَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ فِي مَهمَهٍ　　أَعْمَىٰ ٱلْهُدَى بِٱلْجَاهِلِينَ ٱلعمَّهِ(١١٢)

والثالث : يعمهون عن رشدهم ، فلا يبصرونه ، لأن من عمه عن الشيء كمن كمه عنه ، قال الأعشى :

أَرَانِي قَدْ عَمِهْتُ وَشَابَ رَأْسِي　　وَهٰذَا ٱللَّعْبُ شَيْنٌ لِلْكَبِيرِ

(١١٢) ديوانه ص ١١٦ .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ الضلالة : الكفر ، والهدىٰ : الإيمان .

وفي قوله : ﴿ اشتروا الضلالة ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه على حقيقة الشراء فكأنهم اشتروا الكفر بالإيمان .

والثاني : أنه بمعنى استحبوا الكفر على الإيمان ، فعبر عنه بالشراء ، لأن الشراء يكون فيما يستحبه مشتريه ، فإما أن يكون على معنى شراء المعاوضة فعلاً ، لأن المنافقين لم يكونوا قد آمنوا ، فيبيعوا إيمانهم .

والثالث : أنه بمعنى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

﴿ فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : وما كانوا مهتدين ، في اشتراء الضلالة .

والثاني : وما كانوا مهتدين إلى التجارة التي اهتدى إليها المؤمنون .

والثالث : أنه لما كان التاجر قد لا يربح ، ويكون على هدى في تجارته نفىٰ الله عنهم الأمرين من الربح والاهتداء ، مبالغة في ذمهم .

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ المثل بالتحريك والتسكين ، والمَثَل بالتحريك مستعمل في الأمثال المضروبة ، والمِثْل بالتسكين مستعمل في الشيء المماثل لغيره .

وقوله : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد كمثل الذي أوقد ، فدخلت السين زائدة في الكلام ، وهو قول الأخفش .

والثاني : أنه أراد استوقد مِنْ غيره ناراً للضياء ، والنار مشتقة من النور .

﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ يقال ضاءت في نفسها ، وأضاءت ما حولها قال أبو الطمحان :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ   دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ ٱلْجِزْعَ ثَاقِبُهْ(*)

قوله عز وجل : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نور المستوقِد ، لأنه في معنى الجمع ، وهذا قول الأخفش .

والثاني : بنور المنافقين ، لأن المثل مضروب فيهم ، وهو قول الجمهور .

وفي ذهاب نورهم وجهان :

أحدهما : وهو قول الأصم ذهب الله بنورهم في الآخرة ، حتى صار ذلك سمةً لهم يُعْرَفُونَ بها .

والثاني : نه عَنَىٰ النور الذي أظهروه للنبي ﷺ من قلوبهم بالإسلام .

وفي قوله : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه لم يأتهم بضياء يبصرون به .

والثاني : أنه لم يخرجهم منه ، كما يقال تركته في الدار ، إذا لم تَخرجْهُ منها ، وكأنَّ ما حصلوا فيه من الظلمة بعد الضياء أسوأ حالاً ، لأن من طُفِئَت عنه النار حتى صار في ظلمة ، فهو أقل بصراً ممن لم يزل في الظلمة ، وهذا مَثَل ضربه الله تعالى للمنافقين .

وفيما كانوا فيه من الضياء ، وجعلوا فيه من الظلمة قولان :

أحدهما : أن ضياءهم دخولهم في الإسلام بعد كفرهم ، والظلمة خروجهم منه بنفاقهم .

والثاني : أن الضياء يعود للمنافقين بالدخول في جملة المسلمين ، والظلمة زوالُهُ عنهم في الآخرة ، وهذا قول ابنِ عباسٍ وقتادةَ .

قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ وهذا جمع : أصم ، وأبكم ، وأعمى ، وأصل الصَّمَمُ الانسداد ، يقال قناة صماء ، إذا لم تكن مجوفة ، وصممت القارورة ، إذا سددتها ، فالأصم : من آنسدَّتْ خروق مسامعه .

أما البَكَمُ ، ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه آفة في اللسان ، لا يتمكن معها من أن يعتمد على مواضع الحروف .

والثاني : أنه الذي يولد أخرس.

والثالث : أنه المسلوب الفؤاد ، الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه .

والرابع : أنه الذي يجمع بين الخَرَس وذهاب الفؤاد .

ومعنى الكلام ، أنهم صمٌّ عن استماع الحق ، بكم عن التكلم به ، عُمْيٌ عن الإبصار له ، رَوَىٰ ذلك قتادة ، ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ يعني إلى الإسلام .

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

قوله عز وجل : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وبَرْقٌ ﴾ في الصيِّب تأويلان :

أحدهما : أنه المطر ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : أنه السحاب ، قال علقمة بن عبدة :

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سُقِيتِ غَوَادِي ٱلْمُزْنِ حِينَ تَصُوبُ(١١٣)

(١١٣) شعر علقمة في ديوانه (٣٤) لكن الشطر الأخير من البيت الثاني :
« سقتك روايا المزن حين تصوب » وكذا هو في المفضليات (٧٨٤) ، ٧٦٩)

وفي الرعد ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه مَلَكٌ ينعق بالغيث ، كما ينعق الراعي بغنمه ، فَسُمِّيَ الصوتُ رعداً باسم ذلك المَلك ، وبه قال الخليل :

والثاني : أنه ريح تختنق تحت السحاب فَتُصَوِّبُ ذلك الصوت ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه صوت اصطكاك الأجرام .

وفي البرق ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه ضرب(١١٤) الملك الذي هو الرعد للسحاب بمخراق من حديد ، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والثاني : أنه ضربه بسوطٍ من نور ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنه ما ينفدح من اصطكاك الأجرام .

والصواعق جمع صاعقة ، وهو الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة نار ، تحرق ما أتت عليه .

وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل :

أحدها : أنه مَثَلٌ للقرآن ، شُبِّهَ المطرُ المُنَزَّلُ من السماء بالقرآن ، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء ، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر ، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان ، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل ، والدعاء إلى الجهاد في العاجل ، وهذا المعنى عن ابن عباس .

والثاني : أنه مَثَلٌ ، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم ، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم ، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل .

والثالث : أنه ضَرَبَ الصيِّب مَثَلاً بظاهر إيمان المنافق ، ومثل ما فيه من

(١١٤) وأرجح الأقوال في ذلك ما أيده الحديث الصحيح وهو القول الأول : قول علي بن أبي طالب لما رواه أحمد رقم (٢٤٨٣) وغيره في حديث طويل أجاب فيه النبي ﷺ على أسئلة اليهود ومنها سؤاله عن الرعد.

الظلمات بصلابته ، وما فيه من البرق بنور إيمانه ، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه .

قوله عز وجل : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ معناه يستلبها بسرعة .

﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمنافقين ، وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه كلما أضاء لهم الحق اتبعوه ، وإذا أظلم عليهم بالهوىٰ تركوه .

والثاني : معناه كلما غنموا وأصابوا من الإسلام خيراً ، اتبعوا المسلمين ، وإذا أظلم عليهم فلم يصيبوا خيراً ، قعدوا عن الجهاد .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ فالمراد الجمع وإن كان بلفظ الواحد . كما قال الشاعر :

كُلُوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعِيشُوا ... فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنَّ الانداد الأكْفَاءُ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : الأشباه ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : الأضداد ، وهو قول المفضل(١١٥) .

---

(١١٥) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي ، أبو العباس : أديب، نحوي ، لغوي ، عالم بالشعر وأيام العرب . له : المفضليات ، معاني الشعر ، الأمثال وغيرها . توفي سنة ١٦٨ هـ . أنظر : ـ

الفهرست (١/٦٨) ، معجم الأدباء (١٩/١٦٤) ، معجم المؤلفين (١٢/٣١٦)

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأنتم تعلمون أن الله خلقكم ، وهذا قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : معناه وأنتم تعلمون أنه لا ندَّ له ولا ضد ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : معناه وأنتم تعْقلون فعبر عن العقل بالعلم .

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ يعني في القرآن ، على عبدنا : يعني محمداً ﷺ ، والعبد مأخوذ من التعبد ، وهو التذلل ، وسُمي المملوك من جنس ما يعقل عبداً ، لتذلله لمولاه .

﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني من مثله من القرآن وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : فأتوا بسورة من مثل محمد ﷺ من البشر ، لأن محمداً بشر مثلهم .

﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أعوانكم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : آلهتكم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم ، وهذا قول الفراء .

والثالث : ناساً يشهدون لكم ، وهذا قول مجاهد .

قوله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ الوَقود بالفتح الحطب ، والوُقود بالضم التوقُّد ، والحجارة(*) من كبريتٍ أسود(١١٦)، وفيها قولان :

---

(١١٦) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٩٨/١) والمراد بها [أي بالحجارة]

على ما صح عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولمثل ذلك حكم الرفع حجارة الكبريت وفيها من شدة الحر وكثرة الالتهاب وسرعة الايقاد ومزيد الالتصاق بالأبدان وأعداد أهل النار أن يكونوا حطباً مع نتن ريح وكثرة دخان ووفور كثافة ما نعوذ بالله منه .

أحدهما : أنهم يعذبون فيها بالحجارة مع النار ، التي وقودها الناس ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس .

والثاني : أن الحجارة وقود النار مع الناس ، ذكر ذلك تعظيماً للنار ، كأنها تحرق الحجارة مع إحراقها الناس .

وفي قوله : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ قولان :

الأول : أنها وإن أعدت للكافرين ، فهي معدة لغيرهم من مستحقي العذاب من غير الكافرين ، وهي نار واحدة ، وإنما يتفاوت عقابهم فيها .

والثاني : أن هذه النار معدة للكافرين خاصة ، ولغيرهم من مستحقي العذاب نارٌ غيرها .

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ بشر من البشارة ، أو خبر يرد عليك بمايَسُرُّ، وقيل بما يُسر ويُغِمُّ(١١٧) ، وإنما كثر استعماله فيما يَسُرُّ ، حتى عُدِلَ به عما يُغِمُّ ، وهو مأخوذ من البَشْرَةِ وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر [يرد عليه](*) .

والجنات جمع جنة ، وهي البستان ذو الشجر ، وسمي جنة لأن ما فيه من الشجر يستره ، وقال المفضل : الجنة كل بستان فيه نخل ، وإن لم يكن فيه شجر غيره ، فإن كان فيه كَرْمٌ فهو فردوس ، كان فيه شجر غير الكرم أو لم يكن .

---

(١١٧) وشاهد الذي قاله الامام أبو الحسن رحمه الله في التنزيل حيث قال الله تعالى لنبيه ﷺ في سورة النساء آية .

﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ .

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ يعني من تحت الشجر ، وقيل : إن أنهار الجنة تجري من غير أخدود .

قوله عز وجل : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ، يعني بقوله : ﴿ رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقاً ﴾ أي من ثمار شجرها .

﴿ قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه : أن هذا الذي رُزِقْنَاهُ من ثمار الجنة ، مثلُ الذي رُزِقْنَاهُ من ثمار الدنيا ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة .

والثاني : أن ثمار الجنة إذا جنيت من أشجارها ، استخلف مكانها مثلها ، فإذا رأوا ما استخلف بعد الذي جُنِي ، اشتُبِه عليهم ، فقالوا : ﴿ هٰذَا الَّذِيْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْل ﴾ ، وهو قول أبي عبيد ويحيى بن أبي كثير(١١٨) .

قوله عز وجل : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن معنى التشابه أن كله خيار يشبه بعضه بعضاً وليس كثمار الدنيا ، التي لا تتشابه لأن فيها خياراً وغير خيار ، وهذا قول الحسن وقتادة وابنِ جريج .

والثاني : أن التشابه في اللون دون الطعم(١١٩) فكأن ثمار الجنة في ألوان ثمار الدنيا ، وإن خالفتها في الطعم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والربيع بن أنس .

والثالث : أن التشابه في الأسماء دون الألوان والطعوم ، فلا تشبه ثمار الجنة شيئاً من ثمار الدنيا في لون ولا طعم ، وهذا قول ابن الأشجعي(١٢٠) وليس بشيء .

---

(١١٨) هو يحيى بن أبي كثير اليمامي ، أبو نصر ، من أهل البصرة . سكن اليمامة لا يصح له سماع عن أنس ولا غيره من الصحابة . توفي سنة ١٢٩ . أنظر : ـ التهذيب (١١/٢٦٨)، تذكرة الحفاظ للسيوطي (١/١٨٨).

(١١٩) قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (١/٥٣) فإن قال قائل ما وجه الإمتنان بمتشابهه . وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة كان نهاية العجب وإن قلنا أنه متشابه في الجودة جاز اختلافه في الألوان والطعوم وإن قلنا انه يشبه صوره ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني كان أطرف وأعجب وكل مطالب مؤثرة . ا هـ.

(١٢٠) هو أبو مالك الأشجعي ، سعد بن طارق بن أشيم . كوفي صدوق. أنظر : ـ التاريخ الكبير (٤/٥٨)، الجرح والتعديل (٤/٨٦)، سير أعلام النبلاء (٦/١٨٤).

قوله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ في الأبدان ، والأخلاق ، والأفعال ، فلا يَحِضْن ، ولا يلِدْن، ولا يذهَبْن إلى غائطٍ ولا بولٍ ، وهذا قول جميع أهل التفسير .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فما فوقها ﴾ .

في قوله : ﴿ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : معناه لا يترك(١٢١) .

والثاني : [يريد](*) لا يخشى .

والثالث : لا يمتنع ، وهذا قول المفضل .

وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من موَاقَعَةِ القبح .

والبعوضة : من صغار البقِّ سُميت بعوضة ، لأنها كبعض البقّة لصِغَرِها .

وفي قوله : ﴿ مَا بَعُوضَةً ﴾ ثلاثةُ أوجُهٍ :

(١٢١) إن ما عليه السلف الصالح بالنسبة لصفات الله تعالى أنهم يؤمنون بها كما وردت من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تجسيم وما كانوا ليتوسعوا بالتأويل فقد ثبت التأويل عن البخاري في باب التفسير في قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فقال البخاري أي ملكه وكذلك أُوِّل صفة الضحك بالرحمة وكذلك أوَّل أحمد قوله تعالى وجاء ربك فقال أي أَمْرُهُ، وأَوَّل الحديث يوم تأتي البقرة، فقال أي ثوابها وكذلك أول الشافعي ومالك وغيرهم.

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

أحدها : أن « ما » بمعنى الذي ، وتقديره : الذي هو بعوضة .

والثاني : أن معناه : ما بين بعوضة إلى ما فَوْقها .

والثالث : أن « ما » صلةٌ زائدةٌ ، كما قال النابغة :

قَالَتْ أَلَا لَيْتُمَا هٰذَا آلْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ

﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : فما فوقها في الكبر ، وهذا قول قتادة وآبنِ جُريجٍ .

والثاني : فما فوقها في الصغر ، لأن الغرض المقصود هو الصغر .

وفي المثل ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وارد في المنافقين ، حيث ضَرَبَ لهم المَثَلَيْنِ المتقدِّمين : مثَلَهُمْ كمثل الذي استوقد ناراً ، وقوله : أو كصيِّب من السماء ، فقال المنافقون : إن الله أعلى مِنْ أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ آللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، وهذا قول ابن مسعود وآبن عباس .

والثاني : أن هذا مثلٌ مبتدأ ضَرَبَهُ الله تعالى مثلاً للدنيا وأهلها ، وهو أن البعوضة تحيا ما جاعت ، وإذا شبعت ماتت ، كذلك مثل أهل الدنيا ، إذا امتلأوا من الدنيا ، أخذهم الله تعالى عند ذلك ، وهذا قول الربيع بن أنس .

والثالث : أن الله عز وجل حين ذكر في كتابه العنكبوت والذباب وضربهما مثلاً ، قال أهل الضلالة : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول قتادةَ ، وتأويل الربيع أحسن ، والأولُ أشبَهُ .

قوله عز وجل : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾ فيه ثلاثةُ تأويلات :

أحدها : معناه بالتكذيب بأمثاله ، التي ضربها لهم كثيراً ، ويهدي بالتصديق بها كثيراً .

والثاني : أنه آمتحنهم بأمثاله ، فَضَلَّ قوم فجعل ذلك إضلالاً لهم ، وآهتدى قوم فجعله هدايةً لهم .

والثالث : أنه إخبار عمَّنْ ضلَّ ومن اهتدىٰ .

قوله عز وجل : ﴿ آلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ آللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ .

أما النقض ، فهو ضد الإبرام ، وفي العهد قولان :

أحدهما : الوصيَّة .

والثاني : الموثق .

والميثاق ما وَقَعَ التوثق به .

وفيما تضمنه عهده وميثاقه أربعة أقاويل :

أحدها : أن العهد وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعة ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصية في كتبه ، وعلى لسان رسله ، ونقضهم ذلك بترك العمل به .

والثاني : أن عهده ما خلقه في عقولهم من الحجة على توحيده وصدق رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم .

والثالث : أن عهده ما أنزله على أهل الكتاب [من] ، على صفة النبي ﷺ ، والوصية المؤكدة باتباعه ، فذلك العهد الذي نقضوه بجحودهم له بعد إعطائهم الله تعالى الميثاق من أنفسهم ، ليبينه للناس ولا يكتمونه ، فأخبر سبحانه ، أنهم نبذوه وراء ظهورهم وآشتروا به ثمناً قليلاً .

والرابع : أن العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، الذي وصفه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وفي هذه الكتابة التي في ميثاقه قولان :

أحدهما : أنها كناية ترجع إلى آسم الله وتقديره من بعد ميثاق الله .

والثاني : أنها كناية ترجع إلى العهد وتقديره من بعد ميثاق العهد .

وفيمن عَنَاهُ الله تعالى بهذا الخطاب ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : المنافقون .

والثاني : أهل الكتاب .

والثالث : جميع الكفار .

قوله عز وجل : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الذي أمر الله تعالى به أن يوصل ، هو رسوله ، فقطعوه بالتكذيب والعصيان ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنَّه الرحمُ والقرابةُ ، وهو قول قتادة .

والثالث : أنه على العموم في كل ما أمر الله تعالى به أن يوصل .

قوله عز وجلَّ : ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وفي إفسادهم في الأرض قولان :

أحدهما : هو استدعاؤهم إلى الكفر .

والثاني : أنه إخافتهم السُّبُلَ وقطعهم الطريق .

وفي قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : أن الخسران هو النقصان ، ومنه قول جرير :

إنَّ سليطاً فِي ٱلْخَسَارِ إِنَّـهُ أَوْلَادُ قَوْمٍ حلفوا افنه[١٢٢]

يعني بالخَسَار ، ما ينقُصُ حظوظهم وشرفهم .

والثاني : أن الخسران ها هنا الهلاك ، ومعناه : أولئك هم الهالكون .

ومنهم من قال : كل ما نسبه الله تعالى من الخسران إلى غير المسلمين فإنما يعني الكفر ، وما نسبه إلى المسلمين ، فإنما يعني به الذنب .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ .

في قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه خارج مخرج التوبيخ .

والثاني : أنه خارج مخرج التعجب ، وتقديره : اعجبوا لهم ، كيف يكفرون !

(١٢٢) ديوان جرير (٥٩٨) .

وفي قوله: ﴿ وَكُنْتُم أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ أي لم تكونوا شيئاً ، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أي خلقكم ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ، ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يوم القيامة ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

والثاني : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ يعني في القبور ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ للمساءلة ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ في قبوركم بعد مساءلتكم ، ثم يحييكم عند نفخ الصور للنشور ، لأن حقيقة الموت ما كان عن حياةٍ ، وهذا قول أبي صالح .

والثالث : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ يعني في أصلاب آبائكم ، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أي أخرجكم من بطون أمهاتكم ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ الموتة التي لا بد منها ، ﴿ ثم يُحْيِيكُمْ ﴾ للبعث يوم القيامة ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ يعني : أن الله عز وجل حين أخذ الميثاق على آدم وذريته ، أحياهم في صلبه وأكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم ، ثم أحياهم وأخرجهم من بطون أمهاتهم ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ ، [الزمر: ٦] فقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً﴾ يعني بعد أخذ الميثاق، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بأن خلقكم في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم أحياء ، ﴿ ثم يُمِيتُكُمْ ﴾ بعد أن تنقضي آجالكم في الدنيا ، ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ بالنشور للبعث يوم القيامة ، [وهذا] قول ابن زيدٍ .

والخامس : أن الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة ، فهي مَيِّتَةٌ من حين فراقها من جسده إلى أن ينفخ الروح فيها ، ثم يحييها بنفخ الروح فيها، فيجعلها بشراً سويًا، ثم يميته الموتة الثانية بقبض الروح منه، فهو ميت إلى يوم ينفخ في الصور، فيرُد في جسده روحه، فيعود حياً لبعث القيامة، فذلك موتتان وحياتان(*) .

والسادس : أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ خاملي الذكر دارسي الأثر ، ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ بالظهور والذكر ، ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ، ﴿ ثُمَّ يُحييكُمْ ﴾ للبعث ، واستشهد من قال هذا التأويل بقول أبي بُجَيْلَةَ السَّعْدِيِّ :

وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً ‏ ‏ ‏ ‏ وَلْكِنَّ بَعْضَ ٱلذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ (١٢٣)

وفي قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : إلى الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم .

والثاني : إلى المجازاة على الأعمال .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن معنى قوله : ﴿ ٱسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أي أقبل عليها ، وهذا قول الفراء .

والثاني : معناه : عمد إليها ، وقصد إلى خلقها .

والثالث : أنّ فِعْل الله تحوَّل إلى السماء ، وهو قول المفضل .

والرابع : معناه : ثم استوى أمره وصنعه الذي صَنَعَ به الأشياء إلى السماء ، وهذا قول الحسن البصري .

والخامس : معناه ثم استوت به السماء .

السادس : أن الاستواء والارتفاع والعلوّ (١٢٤)، وممن قال بذلك : الربيع بن أنس ، ثم آختلف قائلو هذا التأويل في الذي استوى إلى السماء فعلا عليها على قولين (١٢٥) :

أحدهما : أنه خالقها ومنشئها .

والثاني : أنه الدخان ، الذي جعله الله للأرض سماءً .

---

(١٢٣) الأغاني (١٨ / ١٤٠) ، المؤتلف والمختلف للآمدي (١٩٣) .

(١٢٤) اعلم أيها القارىء أن الاستواء صفة من صفات الله تعالى الفعلية نثبتها كما أثبتها الله لنفسه وكما أثبتها له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به ولا نخوض فيها بضرب من التأويل أو التعطيل وما ذكره المؤلف هنا من الأقوال أولاها وأصحها القول الثالث .

(١٢٥) والصواب من القولين الأول لأن سياق الآيات يدل عليه .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠)

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، في قوله : ﴿ وَإِذْ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه صلة زائدة ، وتقدير الكلام : وقال ربك للملائكة ، وهذا قول أبي عبيدة ، واستشهد بقول الأسود بن يعفر :

فَإِذَا وَذٰلِكَ لاَ مَهَاةَ لِذِكْرِهِ وَالدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحاً بِفَسَادِ(١٢٦)

والوجه الثاني : أن « إذ » كلمة مقصورة ، وليست بصلة زائدة ، وفيها لأهل التأويل قولان :

أحدهما : أن الله تعالى لما ذكَّر خلقه نِعَمَهُ عليهم بما خلقه لهم في الأرض ، ذكّرهم نِعَمَهُ على أبيهم آدَمَ ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، وهذا قول المفضَّل .

والثاني : أن الله تعالى ذكر ابتداء الخلق فكأنه قال : وابتدأ خلقكم ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، وهذا من المحذوف الذي دَلَّ عليه الكلام ، كما قال النمر بن تَوْلَب(١٢٧) :

فَإِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا

يريد : أينما ذهب .

فأما الملائكة فجمع مَلَكٍ ، وهو مأخوذ من الرسالة ، يقال : أَلِكْنِي إليها أي أرسلني إليها ، قال الهذلي :

أَلِكْنِي وَخَيْرُ الرَّسُو لِ أَعْلَمُهُمْ بنواحِي ٱلْخَبَرْ

(١٢٦) أنظر المفضليات قصيدة رقم (٤٤).

(*) وفي المطبوعة وأذكرهم . .

(١٢٧) انظر الخزانة (٤ : ٤٣٨) وشرح شواهد المغني [٦٥].

والألوك الرِّسالة ، قال لبيد بن ربيعة :

وَغُـلَامٍ أَرْسَـلَتْـهُ أُمُّـهُ بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ[١٢٨]

وإنما سميت الرسالة ألوكاً لأنها تُؤْلك في الفم ، والفرس يألك اللجام ويعلكه ، بمعنى يمضغ الحديد بفمه .

والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الخلق[١٢٩] ، إلا أنهم لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينكحون ، ولا يتناسلون ، وهم رسل الله ، لا يعصونه في صغير ولا كبير ، ولهم أجسام لطيفة لا يُرَوْنَ إلا إذا قوّى الله أبصارنا على رؤيتهم .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ اختلف في معنى ﴿ جاعل ﴾ على وجهين :

أحدهما : أنه بمعنى خالق .

والثاني : بمعنى جاعل ، لأن حقيقة الجَعْل فِعْلُ الشيء إلى صفةٍ ، وحقيقة الإحداث إيجاد الشيء بعد العدم .

و﴿الأرض﴾ قيل: إنها مكة، وروىٰ ابن سابط[١٣٠]، أن النبي ﷺ قال: «دُحِيَت الأرضُ مِنْ مكةَ»[١٣١] ولذلك سميت أم القرى، قال: وقبر نوح، وهود،

---

(١٢٨) ديوان لبيد قصيدة رقم (٣٧) .

(١٢٩) وهذه المسألة طويلة الذيول وفيها تفصيل دقيق راجعه في مجموع الفتاوى فقد توسع شيخ الإسلام فيها وفصّل فيها من (ص ٣٥٠ إلى ص ٣٩٢ جـ ٤) والخلاصة في ذلك أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار كمال البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بني آدم ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة (٣٤٣/٤) .

(١٣٠) هو عبد الرحمن بن سابط ويقال عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط . تابعي أرسل عن النبي ﷺ وروى عن عمر ، معاذ ، جاء وغيرهم وقيل لم يدرك منهم أحداً ، وعنه ابن جريج وليث بن أبي سليم ، وأبو خيثمة وغيرهم أجمعوا على أن وفاته سنة ثمان عشر ومائة وكان ثقة كثير الحديث .
أنظر : ـ
تهذيب التهذيب (١٨٠/٦) ، مشاهير علماء (٨٥) .

(١٣١) رواه ابن جرير في التفسير (٤٤٨/١) وابن أبي حاتم في تفسيره ونقله ابن كثير (١٢٧/١) وزاد السيوطي في الدر (٤٦/١) نسبته لابن عساكر والحديث مرسل ضعيف وقال الحافظ ابن كثير (١٢٧/١) وهذا مرسل وفي سنده ضعف وفيه مدرج وهو أن المراد بالأرض مكة فالله أعلم . فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك .

وصالح، وشعيب بن زمزم، والركن، والمقام.

وأما «الخليفة» فهو القائم مقام غيره، من قولهم: خَلَفَ فلانٌ فلاناً، والخَلَفُ بتحريك اللام من الصالحين، والخَلْفُ بتسكينها من الطالحين، وفي التنزيل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلاةَ﴾ [مريم: ٥٩]، وفي الحديث: «ينقل هذا العِلْمَ من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ»[١٣٢].

وفي خلافة آدم وذريته ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كان في الأرض الجِنُّ، فأفسدوا فيها، سفكوا الدماء، فأُهْلِكوا، فَجُعِلَ آدم وذريته بدلهم، وهذا قول ابن عباس.

والثاني: أنه أراد قوماً يَخْلُفُ بعضهم بعضاً من ولد آدم، الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض، وهذا قول الحسن البصري.

والثالث: أنه أراد: جاعل في الأرض خليفةً يخْلُفُني[١٣٣] في الحكم بين خلقي، وهو آدم، ومن قام مقامه من ولده، وهذا قول ابن مسعود.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾، وهذا جواب من الملائكة حين أخبرهم، أنه جاعل في الأرض خليفةً، واختلفوا في

---

(١٣٢) رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص ٢٨) والعلائي في بغية الملتمس (ص ٣٤) من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً.

وقال العلائي هذا حديث حسن غريب صحيح. وقد صححه الإمام أحمد رحمه الله فروى الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص ٢٨) بسنده إلى

قال سألت أحمد بن حنبل عن حديث معان بن رفاعة يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله ....

الحديث فقلت لأحمد كأنه كلام موضوع قال لا هو صحيح قلت: ممن سمعته أنت؟ قال: من غير واحد قلت: من هم؟ قال حدثني به.

إلا أنه يقول معان عن القاسم بن عبد الرحمن قال أحمد ومعان بن رفاعة لا بأس به وللحديث طرق عند ابن عدي في الكامل (١/١٩٠، ٢٣٣، ٣٣٤) والبيهقي (١٠/٢٠٩) وابن عبد البر في التمهيد (١/٥٩) والخطيب في شرف أصحاب (ص ٢٩) فراجعها إن شئت وقد عقد الإمام ابن القيم بحثاً مستفيضاً عن هذا الحديث في «مفتاح دار السعادة» فراجعه فإنه مهم.

(١٣٣) وليس معنى ذلك أنه ينوب عن الله تعالى في خلقه وإنما الحاكم هو قائم بما أوجبه الله عليه من إقامة شريعته في الأرض فبالله تعالى يخلُف ولا يُخلَف ولذلك كان النبي ﷺ يقول في سفره «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في المال والأهل»... الحديث ومن هذا يتبين خطأ من يقول: فلان خليفة الله في الأرض فتنبه.

جوابهم هذا ، هل هو على طريق الاستفهام أو على طريق الإيجاب ؟ على وجهين :

أحدهما : أنهم قالوه استفهاماً واستخباراً حين قال لهم : إني جاعلٌ في الأرض خليفة ، فقالوا : يا ربنا أَعْلِمْنَا ، أجاعل أنت في الأرض من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء ؟ فأجابهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، ولم يخبرهم(١٣٤) .

والثاني : أنه إيجاب ، وإن خرجت الألف مَخْرج الاستفهام ، كما قال جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ ٱلْمَطَايَا وَأَنْدَى ٱلْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وعلى هذا الوجه في جوابهم بذلك قولان :

أحدهما : أنهم قالوه ظناً وتوهُّماً ، لأنهم رأوا الجن من قبلهم ، قد أفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فتصوروا أنه إن استخلف استخلف في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماء .

وفي جوابهم بهذا وجهان :

أحدهما : أنهم قالوه استعظاماً لفعلهم ، أي كيف يفسدون فيها ، ويسفكون الدماء ، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال : إني أعلم ما لا تعلمون .

والثاني : أنهم قالوه تعجباً من استخلافه لهم أي كيف تستخلفهم في الأرض وقد علمت أنهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال : **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾** .

وقوله : ﴿ وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ ﴾ السفك صب الدم خاصةً دون غَيْرِهِ من الماء والمائع ، والسفح مثله ، إلا أنه مستعمل في كل مائع على وجه التضييع ، ولذلك قالوا في الزنىٰ : إنه سفاح لتضييع مائه فيه .

قوله عز وجل : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

---

(١٣٤) وهذا القول استعناه ابن جرير ورجحه على غيره (١/٤٦٩ ، ٤٧٠) .

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ ٱلْفَاجِرِ(١٣٥)

أي براءةً من علقمة .

ولا يجوز أن يسبَّحَ غَيْرُ اللهِ ، وإن كان منزهاً ، لأنه صار عَلَماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم الَّتي لا يستحقها إلا اللّهُ تعالى .

وفي المراد بقولهم : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : معناه نصلي لك ، وفي التنزيل : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات : ١٤٣] ، أي من المصلين، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود.

والثاني : معناه نعظِّمك ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه التسبيح المعروف ، وهذا قول المفضل ، واستشهد بقول جرير :

قَبَّحَ ٱلإِلَٰهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا سَبَّحَ ٱلْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَا

وأما قوله : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فأصل التقديس التطهير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ أي المطهَّرة ، وقال الشاعر(١٣٦) :

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَٱلنَّسَا كَمَا شَبْرَقَ ٱلْوِلْدَانُ ثَوْبَ ٱلْمُقَدَّسِ

أي المطهَّر .

وفي المراد بقولهم : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ثلاثةُ أقاويلَ :

أحدها : أنه الصلاة .

والثاني : تطهيره من الأدناس .

والثالث : التقديس المعروف .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثلاثةُ أقاويلَ :

أحدها : أراد ما أضمره إبليس من الاستكبار والمعصية فيما أُمِرُوا به من السجود لآدم ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

---

(١٣٥) ديوان الأعشى ص (١٠٦).

(١٣٦) الشاعر هو امرؤ القيس والبيت في ديوانه : ١٠٤ .

والثاني : مَنْ في ذرية آدم من الأنبياء والرُّسُلِ الذين يُصْلِحُونَ في الأرض ولا يفسدون ، وهذا قول قتادة .

والثالث : ما اختص بعلمه من تدبير المصالح .

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ في تسميته بآدم قولان :

أحدهما : أنه سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وأديمها هو وجهها الظاهر ، وهذا قول ابن عباس ، وقد رَوَىٰ أبو موسى الأشعري(١٣٧) قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تعالىٰ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ ، قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ ، جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ ، وَالأَسْوَدُ ، وَالأَبْيَض ، وَالسَّهْلُ ، وَالخَبِيْثُ ، وَالطَّيِّبُ** »(١٣٨) .

(١٣٧) هو عبد الله بن قيس بن سليم . أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، الصحابي الكوفي . رضي الله عنه أسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر استعمله عمر بن الخطاب على الكوفة روى له ثلثمائة وستون حديثاً توفي بمكة وقيل بالكوفة سنة (٥٠) وقيل قبلها وقيل بعدها وورد في مناقبه الأحاديث المرفوعة والآثار المروية . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠)، الاصابة (١٩٤/٦)، أسد الغابة (٣٦٧/٣) الجرح والتعديل (١٣٨/٥)، الاستيعاب (٩٧٩/٣).

(١٣٨) رواه أبو داود (٤٦٩٣)، الترمذي (٢٩٤٨)، ابن حبان (١١/٨)، أحمد (٤/ ٤٠٠ ، ٤٠٦ حلبي) ابن خزيمة في التوحيد (ص ٤٤)، أبو نعيم في الحلية (١٠٤/٣ ، ١٣٥/٨)، البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٢٨ ، ٣٨٥)، ابن سعد في الطبقات (١/ ٥ ، ٦)، الحاكم في المستدرك (٢٦١/٢)، الطبري في التفسير (٤٨١/١ ، ٦٤٥)، الطبري في التاريخ (١ : ٤٦)، ابن الجوزي في التبصرة (٢٤/١) وزاد السيوطي في الدر (١١٥/١) نسبته لعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه كلهم عن عوف الأعرابي =

والثاني : أنه مأخوذ من الأدمة ، وهي اللون .

وفي الأسماء التي علَّمها الله تعالى آدَمَ ، ثلاثة أقْوَالٍ :

أحدها : أسماء الملائكة .

والثاني : أسماء ذريته .

والثالث : أسماء جميع الأشياء ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد . ثم فيه وجهانِ :

أحدهما : أن التعليم إنما كان مقصوراً على الاسم دون المعنىٰ .

والثاني : أنه علمه الأسماء ومعانِيَهَا ، إذ لا فائدة في علم الأسماء بلا معاني ، فتكون المعاني هي المقصودة ، والأَسماءُ دلائلَ عليها .

وإذا قِيلَ بالوجه الأول ، أن التعليم إنما كان مقصوراً على ألفاظ الأسماء دون معانيها ، ففيه وجهان :

أحدهما : أنه علمه إياها باللغة ، التي كان يتكلم بها .

والثاني : أنه علمه بجميع اللغات ، وعلمها آدمُ ولَدَه ، فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان استسهلوه منها وأَلِفوه ، ثم نسوا غيره فتطاول الزمن ، وزعم قوم أنهم أصبحوا وكل منهم يتكلمون بلغةٍ قد نسوا غيرها في ليلة واحِدةٍ ، ومثل هذا في العُرْفِ ممتنع .

قوله عز وجلَّ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ ﴾ وفيما عرضه عليهم قولان :

أحدهما : أنه عرض عليهم الأسماء دون المسميات .

والثاني : أنه عرض عليهم المُسَمَّيْنَ بها .

وفي حرف ابن مسعود : ﴿ وَعَرَضَهُنَّ ﴾ وفي حرف أُبَيٍّ(١٣٩): ﴿ وَعَرَضَهَا ﴾ فكان الأصح توجه العرض إلى المُسَمَّيْنَ .

= عن قال سمعت أبا موسى الأشعري يقول قال رسول الله ﷺ . . . فذكره وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه ابن حبان ورمز له صاحب الجامع الصغير بالصحة (٢/٢٣٢) فيض القدير . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة (٤/١٧٢) والشيخ شاكر في تخريج الطبري (١/٤٨٠)، وعبد القادر الأرناؤوط (٤/٣٢) جامع الأصول .

(١٣٩) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية أبو منذر . شهد العقبة وبدراً وجمع القرآن =

ثم في زمان عَرْضِهِم قولان :

أحدهما : أنه عرضهم بعد أن خلقهم .

والثاني : أنه صورهم لقلوب الملائكة ، ثم عرضهم قبل خلقهم .

﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ومعنى أنبئوني خبروني مأخوذ من الإنباء ، وفي الإنباء قولان :

أَظْهَرُهُمَا : أنه الإخبار ، والنبأ الخبر ، والنبيء بالهمز مشتق من هذا .

والثاني : أن الإنباء الإعلام ، وإنما يستعمل في الإخبار مجازاً .

وقوله : ﴿ بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ ﴾ يعني الأسماءَ الَّتي علمها آدم .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ستة أقاويل :

أحدها : إن كنتم صادقين أني لا أخلق خَلْقاً إلا كنتم أعلم منه ؛ لأنه هجس في نفوسهم أنهم أعلم من غيرهم .

والثاني : إن كنتم صادقين فيما زعمتم أن خُلَفَائِي يفسدون في الأرض .

والثالث : إن كنتم صادقين أني إنِ آستخلفتكم فيها سبَّحتموني وقَدَّسْتُمُوني ، فإنِ آستخلفت غيركم فيها عصاني .

والرابع : إن كنتم صادقين فيما وقع في نفوسكم ، أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضلَ منه .

والخامس : معنى قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي عالمين .

والسادس : أن معناه إن كنتم صادقين .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ العليم : هو العالم من غير تعليم ، وفي « الحكيم » ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المُحْكِمُ لأفعاله .

= وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه مات رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين . أنظر : ـ حلية الأولياء (١/ ٢٥٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦)، شذرات الذهب (١/ ٣٢) الإستيعاب (١/ ١٢٦)، أسد الغابة (١/ ٦١).

والثاني : أنه المانع من الفساد ، ومنه سميت حَكَمَةُ اللجام ، لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد ، وقال جرير :

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا(*)

أي امنعوهم .

والثالث : أنه المُصِيبُ للحقِّ ، ومنه سمي القاضي حاكماً ، لأنه يصيب الحق في قضائه ، وهذا قول أبي العباس المبرد(١٤٠).

قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : ﴿ مَا تُبْدُونَ ﴾ هو قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وفي : ﴿ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : ما أسرَّه إبليس من الكبر والعصيان ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : أن الذي كتموه : ما أضمروه في أنفسهم أن الله تعالى لا يخلق خلقاً إلَّا كانوا أكرمَ عليه منه ، وهو قول الحسن البصري .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ آسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَآسْتَكْبَرَ ﴾ .

واختلف أهل التأويل في أمره الملائكةَ بالسجود لآدم ، على قولين :

أحدهما : أنه أمرهم بالسجود له تَكْرِمَةً وَتَعْظِيماً لشأنِهِ .

---

(١٤٠) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمر بن حسان الأزدي ، أبو العباس : أديب ، نحوي ، لغوي . ولد بالبصرة وأخذ عن أبي عثمان المازني وتصدر للاشتغال ببغداد . وأخذ عنه نفطويه . توفي ببغداد رحمه الله ٢٨٥ من آثاره : المقتضب ، إعراب القرآن ، الإشتقاق وغيرها . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٩/١٣٦)، تاريخ بغداد (٣/٣٨٠)، وفيات الأعيان (١/١٢٦) شذرات الذهب (٢/١٩٠).

والثاني : أنَّه جعله قِبْلَةً لهم ، فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم ، وفيه ضرب من التعظيم[١٤١] .

وأصل السجود الخضوع والتطامن ، قال الشاعر :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ ٱلْبَلْقُ فِي حُجُرَاتِهِ   تَرَى ٱلأَكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوافِرِ(*)

وسمى سجود الصلاة سجوداً ، لما فيه من الخضوع والتطامن ، فسجد الملائكة لآدم طاعةً لأمر الله تعالى إلا إبليس أَبَىٰ أن يسجُدَ له حَسَداً واستكباراً .

وآختلفوا في إبليس ، هل كان من الملائكة أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : أنه كان من الملائكة ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن المسيب ، وابن جريج ، لأنه استثناء منهم ، فَدَلَّ على دخوله منهم .

والثاني : أنه ليس من الملائكة ، وإنما هو أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ، وهذا قول الحسن[١٤٢] وقتادة وابن زيد ، ولا يمتنع جواز الاستثناء من غير جنسه ، كما قال تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ ،[النساء:١٥٧] وهذا استثناء منقطع .

وآختُلِفَ في تَسْمِيتِهِ بإبليس على قولين :

أحدهما : أنه اسم أعجمي وليس بمشتقٍّ .

والثاني : أنه اسمُ اشتقاقٍ ، اشتُقَّ من الإبلاس وهو اليأس من الخَيْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] أي آيِسُونَ من الخير ، وقال العجَّاجُ :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً   قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وَأَبْلَسا[١٤٣]

فأمَّا من ذهب إلى أن إبليس كان من الملائكة ، فاختلفوا في قوله تعالى :

(١٤١) الصحيح أن السجود هنا هو سجود تحية وتعظيم وليس سجود عبادة وكان هذا في الأمم السابقة وقد سجد يعقوب وأولاده ليوسف عليه الصلاة والسلام يوم جاءوه إلى مصر أما السجود للمخلوق على وجه العبارة فهو كفر صريح لا شك فيه .

(١٤٢) وقول الحسن في أصل إبليس قال ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . رواه الطبري [برقم ٦٩٦] .

وقال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد صحيح عن الحسن (١/ ٧٧) .

(١٤٣) ديوان العجاج (ص ١/ ٣١) ، الكامل (١/ ٣٥٢) .

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [٥٠ الكهف] لِمَ سماه الله تعالى بهذا الاسم، على أربعة أقاويل:

أحدها : أنهم حي من الملائكة يُسَمَّوْن جنّاً كانوا من أشدِّ الملائكة اجتهاداً ، وهذا قول آبن عباس .

والثاني : أنه جعل من الجنّ ، لأنه من خُزَّانِ الجنَّةِ ، فاشتق اسمه منها ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : أنه سمي بذلك لأنه جُنَّ عن طاعة ربِّه ، وهذا قول ابن زيدٍ .

والرابع : أن الجِنَّ لكلِّ ما آجْتَنَّ فلم يظهر ، حتى إنهم سَمَّوُا المَلاَئكة جناً لاستتارهم ، وهذا قول أبي إسحاق (١٤٤) ، وأنشد قول أعشى بني ثعلبة :

لَـوْ كَانَ حَيٌّ خَـالِـد أَوْ مُعَمَّـراً ... لَكَانَ سُلَيْمَان البري مِنَ الدَّهْرِ
بَـرَاهُ إِلٰهِي وَآصْطَفَـاهُ عِبَـادَهُ ... وَمَلَّكَـهُ مَا بَيْنَ نُـوبَا إِلَى مِصْـرِ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ آلْمَلاَئِـكِ تِسْعَةً ... قِيَاماً لَدَيْهِ يعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرِ(١٤٥)

فسمَّى الملائكة جِنّاً لاستتارهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ ثَلاثَةُ أَقَاوِيلَ :

أحدهـا : أنه قد كان قبله قوم كفار ، كان إبليس منهم .

والثاني : أن معناه : وصار من الكافرين :

والثالث : وهو قول الحسن : أنه كان من الكافـرين ، وليس قبله كافـر ، كما كـان من الجنِّ ، وليس قبله جِنٌّ ، وكمـا تقـول : كـان آدم من الإنس ، وليس قبله إنسيٌّ .

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

(١٤٤) هو إبراهيم بن عبد الرزاق بن الحسن ، أبو إسحاق المقري . كان مقرىء الشام في زمانه معرفة وإسناداً . توفي رحمه الله في شعبان سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة . أنظر : تاريخ الاسلام (١٩٦) معرفة القرار (١/٢٨٧).

(١٤٥) ملحق ديوان الأعشى (٢٤٣) الأضداد لابن الأنباري (٢٩٣) ووقع شطر البيت الأول فيهما « لو كان شيء خالداً أو معمراً . . . . . . وكذا نقله الطبري (١/٥٠٥).

﴿ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ .

إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر بعد أن ألقى عليه النوم ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

وسُمِّيت امرأةً لأنها خُلِقَتْ مِنَ المرءِ ، فأما تسميتها حواء ، ففيه قولان :

أحدهما : أنها سميت بذلك لأنها خلقت من حَيٍّ ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها سميت بذلك ، لأنها أم كل حَيٍّ .

واختُلِفَ في الوقت الذي خلقت فيه حواءُ على قولين :

أحدهما : أن آدم أُدْخِلَ الجَنَّةَ وَحْدَهُ ، فَلَمَّا آستوحش خُلِقَتْ حواءُ من ضِلْعِهِ بعد دخوله في الجنة ، وهذا قول ابن عباسٍ ، وابن مسعود .

والثاني : أنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أُدْخِلا معاً إلى الجنةِ ، لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ، وهذا قول أبي إسحاق .

واختلف في الجَنَّةِ التي أُسْكِنَاهَا على قولين :

أحدهما : أنها جنةُ الخُلد .

والثاني : أنها جنةٌ أعدها الله لهما ، والله أعلم(١٤٦) .

قوله عز وجل : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

في الرغدِ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

(١٤٦) القول الأصوب وما عليه أكثر العلماء أنها الجنة الحقيقية التي يدخلها المؤمنون ليس غير.

أحدها : أنـه العيش الهني ، وهذا قـول ابن عباس وابن مسعـود ، ومنه قـول امرىء القيس :

بَيْنَمَـا ٱلْمَـرْءُ تَـرَاهُ نَـاعِمـاً يَأْمَنُ ٱلأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ[١٤٧]

والثاني : أنه العيش الواسع ، وهذا قول أبي عبيدة .

والثالث : أنه أراد الحلال الذي لا حساب فيه ، وهو قول مجاهد .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ .

اختلف أهل التفسير في الشجرة التي نُهِيَا عنها ، على أربعةِ أقاويل :

أحدها : أنها البُرُّ ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها الكَرْمُ ، وهذا قول السُّدِّيِّ ، وجَعْدة[١٤٨] بـن هبيرة .

والثالث : أنها ٱلتِّين ، وهذا قول ابن جريجٍ ، ويحكيه عن بعض الصحابة .

والرابع : أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة[١٤٩] .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : من المعتدين في أكل ما لم يُبَحْ لكما .

والثاني : من الظالمين لأنفسكما في أكلكما .

وٱختلفُوا في معصية آدم بـأكله من الشجرة ، على أي وجـهٍ وقعت منه ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه أكل منها وهو ناسٍ للنهي لقولِهِ تعالى : ﴿ ولقد عَهِدْنَـا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥] وزعم صاحب هذا القول، أن الأنبياء يلزمهم التحفظ والتيقُّظ لكثرة معارفهم وعُلُوِّ منازلهم ما لا يلزم غيرهم، فيكون تشاغله عن تذكُّر النهي تضييعاً صار به عاصياً.

---

(١٤٧) قال صاحب تخريج الطبري . لم أجد البيت فيما جمعوا من شعر إمرىء القيس (١/ ٥١٥).

(١٤٨) هـو جعدة بن هبيـرة المخزومي ، مـات في ولاية معـاوية بن أبي سفيـان . ولا تصح لـه صحبـة . أنظر : مشاهير علماء الأمصار (١٠٧).

(١٤٩) ويلاحظ أنه لا فائدة من تعيين هذه الشجرة التي أبهمها الله تعالى وعلى هذا فذكـر هذا الاختـلاف لا طائل تحته فيكفينا أن الله نهاهما عن شجرة ما ولم يعينها لنا .

والقول الثاني : أنه أكل منها وهو سكران فصار مؤاخذاً بما فعله في السُّكْرِ ، وإن كان غير قاصدٍ له ، كما يؤاخَذُ به لو كان صاحياً ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والقول الثالث : أنه أكل منها عامداً عالماً بالنهي ، وتأول قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾ [طه: ١١٥] أي فَزَلَّ، ليكون العَمْدُ في معصيةٍ يستحق عليها الذمَّ .

والرابع : أنه أكل منها على جهة التأويل ، فصار عاصياً بإغفال الدليل ، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم الكبائر ، ولقوله تعالى في إبليس : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف: ٢٢] وهو ما صرفهما إليه من التأويل(١٥٠) .

واختلف من قال بهذا في تأويله الذي استجاز به الأكل ، على ثلاثةِ أقاويلَ :

أحدها : أنه تأول على جهةِ التنزيه دون التحريم .

والثاني : أنه تأول النهي عن عين الشجرة دون جنسها ، وأنه إذا أكل من غيرها من الجنس لم يعص .

والثالث : أن التأويل ما حكاه الله تعالى عن إبليس في قوله : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

قوله عز وجل : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

قرأ حمزة(١٥١) وحده : ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾ بمعنى نحَّاهما من قولك : زُلْتُ عن المكان ، إذا تنحَّيْتَ عنه ، وقرأ الباقون : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ بالتشديد بمعنى استزلَّهما من الزلل ، وهو الخطأ ، سمي زللاً لأنه زوال عن الحقِّ ، وكذلك الزّلة زوال عن الحق ، وأصله الزوال .

---

(١٥٠) والثالث من الأقوال أظهر كما رجحه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/١١٣) .

(١٥١) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة الكوفي . أحد القراء السبعة كان إماماً حجة ، قيماً بكتاب الله تعالى حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية مات رحمه الله سنة ست وخمسين ومئة.وقيل سنة ثمان وخمسين وهو وهم . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٦/٣٨٥)، التاريخ الكبير (٣/٥٢)، مرآة الجنان (١/٣٣٢) سير أعلام النبلاء (٧/٩٠)، العبر (١/٢٢٦) .

والشيطان الذي أزلهما هو إبليس .

واختلف المفسرون ، هل خلص إليهما حتى باشرهما بالكلام وشافههما بالخطاب أم لا ؟ فقال عبد الله بن عباس ، ووهب[١٥٢] بن منبه ، وأكثر المفسرين أنه خلص إليهما ، واستدلُّوا بقوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] وقال محمد[١٥٣] بن إسحاق: لم يخلص إليهما، وإنما أوقع الشهوة في أنفسهما، ووسوس لهما من غير مشاهدة، لقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠]، والأول أظهر وأشهر.

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يعني إبليس ، سبب خروجهما ، لأنه دعاهما إلى ما أوجب خروجهما .

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

الهُبوط بضم الهاء النزول ، وبفتحها موضع النزول ، وقال المفضل : الهبوط الخروج من البلدة ، وهو أيضاً دُخولها ، فهو من الأضداد ، وإذا كان الهبوط في الأصل هو النزول ، كان الدخُول إلى البلدة لسكناها نزولاً بها ، فصار هُبوطاً .

واختلفوا في المأمور بالهبوط ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه آدم ، وحواء ، وإبليس ، والحيَّةُ ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه آدم وذريته ، وإبليس وذريته ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه آدم ، وحواء ، والمُوَسْوِسُ .

والعدو اسم يستعمل في الواحد ، والاثنين ، والجمع ، والمذكر ،

---

(١٥٢) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج ، أبو عبد الله ، الأخباري ، القصصي غزارة علمه في الاسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب . كان من أبناء فارس قال العجلي : تابعي ، ثقة . كان على قضاء اليمن . توفي في سنة عشر ومئة وقيل غير ذلك. أنظر: ـ طبقات ابن سعد (٥٤٣/٥)، الحلية (٢٣/٤)، البداية والنهاية (٢٧٦/٩) شذرات الذهب (١٥٠/١) .

(١٥٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار ، مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة ، أبو بكر ممن عني بعلم السنن وواظب على تعاهد العلم وكان من أحسن الناس سياقاً للأخبار وأحفظهم لمتونها . توفي رحمه الله سنة خمسين ومئة . أنظر : ـ

طبقات ابن سعد (٣٢١/٧)، تذكرة الحفاظ (١٧٢/١)، الجرح والتعديل (١٩١/٧).

والمؤنث ، والعداوة مأخوذة من المجاوزة من قولك : لا يَعْدوَنَّك هذا الأمْرُ ، أيْ لا يُجاوِزَنَّك ، وعداهُ كذا ، أي جاوزه ، فَسُمِّيَ عَدُوّاً لمجاوزةِ الحدِّ في مكروه صاحبه ، ومنه العَدْوُ بالقَدَم لمجاوزة المشْيِ ، وهذا إخبار لهم بالعداوة وتحذير لهم ، وليس بأمر ، لأن الله تعالىٰ لا يأمر بالعداوة .

وَٱخْتُلِفَ في الَّذينَ قِيلَ لهم : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، على قولين :

أحدهما : أنهم الذين قيل لهم آهبطوا ، على ما ذكرنا من اختلاف المفسرين فيه .

والثاني : أنهم بنو آدم ، وبنو إبليس ، وهذا قول الحسن البصري .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن المستقر من الأرض موضع مقامهم عليها ، لقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ قَرَاراً ﴾ [غافر : ٦٤] ، وهذا قول أبي العالية .

والثاني : أنه موضع قبورهم منها ، وهذا قول السُّدِّيِّ .

قوله عز وجلَّ : ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ :

والمتاع كل ما آسْتُمْتِعَ به من المنافع ، ومنه سُمِّيَتْ متعة النكاح ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] ، أي ادفعوا إلَيْهِنَّ ما ينتفعْنَ به ، قال الشاعر :

وَكُلُّ غَضَارَةٍ لَكَ من حَبِيبٍ   لَهَا بِكَ ، أَوْ لَهَوْتَ بِهِ ، مَتَاعُ(*)

والحين : الوقت البعيد ، فـ « حِينَئِذٍ » تبعيد قولِكَ : « الآن » ، وفي المراد بالحين في هذا الموضع ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلى الموت ، وهو قول ابن عباس والسُّدِّيِّ .

والثاني : إلى قيام الساعة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : إلى أجلٍ ، وهو قول الربيع .

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

﴿يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٣٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ :

أما « الكلام » فمأخوذ من التأثير ، لأن لـه تأثيـراً في النفس بما يـدلُّ عليه من المعاني ؛ ولذلك سُمِّيَ الجُرْحُ كَلْماً لتأْثيـرِه في البدن ، واللفظُ مشتق من قـولك : لفظت الشيء ، إذا أخْرجْتَهُ من قلبك .

وآختُلِفَ في الكلماتِ التي تلقَّاها آدم من ربِّه على ثلاثة أقاويل :

أحدها: قـوله: ﴿رَبَّنَـا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَـا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَـا وَتَرْحَمْنَـا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣] وهذا قول الحسن، وقتادة، وابن زيد (١٥٤).

والثـاني : قول آدم : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانـك وبحمدك ، ربِّ إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك خير الغـافرين ، اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانـك وبحمدك ، إنِّـي ظلمت نفسي ، فتُب عليَّ ، إنَّك أنت التوابُ الرحيم ، وهذا قول مجاهد .

والثـالث : أن آدم قال لـربِّه إذ عصـاه : ربِّ أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ فقال ربُّه : إني راجعك إلى الجنَّـةِ ، وكانت هي الكلمـات التي تلقاهـا من ربه ، وهـذا قول ابن عباسٍ .

قوله عز وجل : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ، أي قبل توبته ، والتوبةُ الرجوع ، فهي من العبـد رجوعـه عن الذنب بـالندم عليـه ، والإقلاع عنـه ، وهي من الله تعـالىٰ على عبده ، رجوع له إلى ما كان عليه .

(١٥٤) وهذا القول رجحـه الطبري رحمه الله تعالى (١/٥٤٦) وقال عما سواه :
وليس ما قاله من خالف قولنا هذا عليه من حجة يجب التسليم لها فيجوز لنا اضافته إلى آدم وأنـه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه وهذا الخبر الذي أخبـر الله عن آدم من قبله الذي لقـاه إياه فقـاله تائباً إليه من خطيئته تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التـوبة إليـه من الذنـوب . . . الخ . هذا ولا يصح أن نبي الله آدم توسل بالحق النبي ﷺ كما لا يصح أنه توسل بجاه النبي ﷺ .

فإن قيل : فلِمَ قـال : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ، ولم يقُلْ : فتابَ علَيْهما ، والتوبة قد توجهت إليهما ؟ قيل : عنه جوابان :

أحدهما : لمـا ذكر آدم وحـده بقولـه : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَـاتٍ ﴾ ، ذكر بعده قبول تـوبته ، ولم يـذكر تـوبة حـوَّاء وإن كانت مقبـولة التـوبة ، لأنـه لم يتقدم ذكرها .

والثاني : أن الاثنين إذا كان معنى فعلهما واحداً ، جاز أن يـذكرَ أحـدهما ، ويكونَ المعنى لهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ ، [الجمعة : ١١] وكما قال عز وجل : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة : ٦٢] .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، أي الكثيرُ القبولِ للتوبـةِ ، وعقَّبه بالرحمة ، لئلا يخلِّيَ الله تعالىٰ عباده من نِعَمِهِ .

وقـال الحسن : لم يخلق الله تعـالىٰ آدمَ إلا لـلأرض ، فلو لم يعص لخـرج على غيـر تلك الحال ، وقـال غيـره : يجـوز أن يكـون خَلَقَـهُ لـلأرض إن عَصَىٰ ، ولغيرها إن لم يعصِ .

ولم يُخْرِجِ اللَّهُ تعالىٰ آدمَ من الجنة ويُهْبِطهُ إلى الأرض عقوبةً ، لأمرين :

أحدهما : أن ذنبه كان صغيراً .

والثاني : أنه أُهْبِطَ بعد قبول توبته .

وإنما أُهْبِطَ لأحد أمرين : إمَّا تأديباً ، وإمَّا تغليظاً للمحنة .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

وإسـرائيل هـو يعقوبُ بنُ إسحـاقَ بنِ إبراهيمَ ، قـال ابنُ عبـاس : « إسـرا » بالعبرانية : عبد ، و « إيل » هو الله ، فكان اسمه عبدَالله .

وقوله : ﴿ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ والذكر اسم مشترك ، فالذكر بالقلب ضد النسيان ، والذكر باللسان ضد الإنصات ، والذكر الشرف ، وقال الكسائي : ما كان بالقلب فهو مضموم الذال ، وقال غيره : هو لغتان : ذِكر وذُكر ، ومعناهما واحد .

والمراد بالآية الذكر بالقلب ، وتقديره : لا تغفلوا عن نعمتي ، التي أنعَمْتُ عليكم ولا تَنَاسَوْها .

وفي النعمة التي أنعمها عليهم قولان :

أحدهما : عموم نِعَمِهِ ٱلَّتي أنعم بها على خلْقِهِ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

والثاني : وهو قول الحسن البصري ، أنه أراد نِعَمَهُ عَلَى آبائهم ، إذ نجَّاهم من آل فرعون ، وجعل منهم الأنبياء ، وأنزل عليهم الكتب ، وفجَّر لهم الحَجَرَ ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى ، والنعم على الآباء ، نعم على الأبناء ، لأنهم يَشْرُفون بشرف آبائهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قولان :

أحدهما : أوفوا بعهدي الذي أخذتُ عليكم من الميثاق ، أن تؤمنوا بي وتصدقوا رُسُلي ، أُوفِ بعهدكم على ما وعدتكم من الجنة .

والثاني : قاله عبد الله بن عباس : أَوْفُوا بما أَمَرْتُكم ، أُوفِ بما وَعَدْتُكم إيَّاهُ .

وفي تسمية ذلك عهداً قولان :

أحدهما : لأنه عَهْدُهُ في الكتب السالفةِ .

والثاني : أنه جعله كالعهد ، الذي هو يمين لِلُزُوم الوفاءِ بهما معاً .

قوله عز وجل : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ ﴾ يعني من القرآن على محمد ﷺ ، ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني من التوراة ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مصدقاً لما في التوراة ، من توحيد الله وطاعته .

والثاني : مصدقاً لما في التوراة ، أنها من عند الله .

والثالث : مصدقاً لما في التوراة من ذكر القرآن ، وبَعْثِهِ مُحمداً ﷺ نبيّاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : ولا تكونوا أول كافرٍ بالقرآن من أهل الكتاب ، وهو قول ابن جريجٍ .

والثاني : ولا تكونوا أول كافر بمحمدٍ ﷺ ، وهذا قول أبي العالية .

والثالث : ولا تكونوا أول كافرٍ بما في التوراة والإنجيل من ذكر محمدٍ وتصديقِ القرآن .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : لا تأخذوا عليه أجراً ، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : « يا ابن آدم علِّم مجّاناً كما عُلِّمْتَ مجّاناً » ، وهذا قول أبي العالية .

والثاني : لا تأخذوا على تغييره وتبديله ثمناً ، وهذا قول الحسن البصري .

والثالث : لا تأخذوا ثمناً قليلاً على كتم ما فيه من ذكر محمدٍ ﷺ ، وتصديق القرآن ، وهذا قول السدي .

وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ ﴾ يعني لا تخلطوا ٱلْحَقَّ بالباطِلِ ، واللبس خلط الأمور ، وفيه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩] قال ابن عباسٍ : معناه: ولخلطنا عليهم ما كانوا يخلطون، ومنه قول العجاج:

لَمَّا لَبِسْنَ ٱلْحَقَّ بِالتَّجَنِّي غَنِينَ وَٱسْتَبْدَلْنَ زَيْداً مِنِّي(١٥٥)

وفي قوله : ﴿ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الصدق ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وهو قول مجاهد .

والثالث: الحقُّ: التوراةُ التي أُنزِلَتْ على موسىٰ، والباطلُ: الذي كتبوه بأيديهم.

(١٥٥) ديوانه : (٦٥).

وقوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ ﴾ يعني محمداً ، ومعرفة نبوَّته ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه في الكتب التي بأيديكم ، وهذا قول الجميع .

قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ ﴾ .

أما الصلاة : فقد مضى الكلام فيها .

وأما الزكاة : ففي تسمية صدقة الأموال بها ، قولان :

أحدهما : أنه من تثمير المال وزيادته ، ومنه قولهم : زَكَا الزرع ، إذا زاد ، ويقال : زكا الفرد إذا صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعاً كما قال الشاعِرُ :

كَانُوا خَساً أَوْ زَكاً مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ ... لَمْ يُخْلَقُوا وَجُدُودُ النَّاسِ تَعْتَلِجُ[١٥٦]

فخساً : الوِتر ، وزكاً : الشفع ، وقال الراجز :

فَـلاَ خَساً عَـدِيـدُهُ وَلاَ زَكَـاً ... كَمَا شِرَارُ ٱلْبَقْلِ أَطْرَافُ السَّفَا[١٥٧]

السَّفَا : شوك البهمي ، والبهمي : الشوك الممدود مثل السبلى .

والقول الثاني : أنَّها مأخوذة من التطهير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفساً زَاكِيَةً ﴾[١٥٨] [الكهف : ٧٤] أي طاهرة من الذنوب.

وفيما يُطهِّر قولان :

أحدهما : أنه تطهير المال حتى صار بأداء الحقِّ منه حلالاً ولولاه لخَبُثَ .

الثاني : تطهير نفس المزكي ، فكأن المزكي طهَّر نفسه من الشُحِّ والبخل .

قوله تعالى : ﴿ وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أراد جملة الصلاة ، فعبر عنها بالركوع ، كما يقول الإنسان : فَرَغْتُ من ركوعي ، أي من صلاتي .

والثاني : أنه أراد الركوع الذي في الصلاة ، لأنه لم يكن في صلاة أهل

---

(١٥٦) أنظر اللسان مادة [خسا] وفيه قال الفراء : أنشدتني الديبويه. . .
ثم أنشد البيت السابق : كانوا خساً . . .

(١٥٧) هذا البيت لرجل من بني سعد . أنظر : [معجم الشعراء ص ٤٩٠] [طبقات فحول الشعراء ٥٧٢].

(١٥٨) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو . أنظر : [السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣٩٥].

الكتاب ركوعٌ ، فأَمَرَهُم بما لا يفعلونه في صلاتهم .

وفي أصل الركوع قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من التطامن والانحناء ، وهو قول الخليل ، وابن زيدٍ ، قال لبيد بنُ ربيعة :

أخبّر أخبار القرون التي مضت   أدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ

والثاني : أنه مأخوذ من المذلّة والخضوع ، وهو قول الأصمعي والمفضل ، قال الأضبطُ بنُ قريع السَّعْدِيُّ :

لَا تُذِلَّ الضَّعِيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرْ   كَعَ يَوْماً وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجلَّ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ، وهم يَعْصُونَهُ ، وهو قول السدي ، وقتادة ، لأنه قد يعبر بالبر عن الطاعة ، قال الشاعِرُ :

لَاهُمَّ إِنَّ آلَ بَكْرٍ دُونَكَا   يَبرُّكَ النَّاسُ وَيَفْجُرُونَكَا

أي يُطِيعونك .

والثاني : أنهم كانوا يأمرون الناس بالتمسك بكتاب ربهم ويتركونه بجحود ما فيه من نبوَّة محمدٍ ﷺ ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنهم كانوا يأمرون بالصدقة ويضنون بها .

وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ :

أما الصبر : فهو حبس النفس عما تُنازِع إليه ، ومنه صبر صاحب المصيبة ، أن يحبس نفسه عن الجزع ، وسُمِّي الصوم صبراً لحبس النفس عن الطعام والشراب ، ولذلك سُمِّي شهرُ رمضانَ شهر الصبرِ ، وجاء في الحديث : ﴿ اقْتُلُوا الْقَاتِلَ ، وَاصْبِرُوا الصَّابِرَ »(١٥٩) ، وذلك فيمن أمسك رجلاً حتى قتله آخر ، فأمر بقتل القاتل ، وحبس الممسك .

وفي الصبرِ المأمورِ به ، قولان :

أحدهما : أنه الصبرُ على طاعته ، والكف عن معصيته .

والثاني : أنه الصوم ، وقد كان النبيُّ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ استعان بالصلاة(١٦٠) والصيام ، ورُوِيَ أنه رأى سلمان منبطحاً على وجهه ، فقال له : أشكو من بردٍ . قال : « قم فصلِّ الصلاة تُشْفَ »(١٦١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ ففيه ثلاثة أقاويلَ :

أحدها : يعني : وإن الصلاة لثقيلة إلا على المؤمنين ، لعود الكناية إلى مؤنثِ اللفظِ .

---

(١٥٩) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٢٥٤/١) والبيهقي في السنن (٥٠/٨) من حديث اسماعيل بن أمية. قال الإمام السيوطي في الجامع الكبير (١٣٣/١) بعد نسبته للبيهقي وأبي عبيد «عن اسماعيل بن أمية مرسلاً».
قلت : بل هو معضل فإن إسماعيل من أتباع التابعين.

(١٦٠) ورد من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ « كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى » رواه أحمد في المسند (٣٨٨/٥) وأبو داود (١٣١٩) والطبري (١٢/٢) برقم (٨٥٠) وصححه الشيخ أحمد شاكر وأما ماذكره المؤلف هنا من زيادة والصيام فلم أهتدِ إليها ولعله ذكر ذلك من نصوص القرآن العامة التي تحث على الطاعة عند نزول البلاء .

(١٦١) هذا الحديث الذي ذكره المؤلف ورد لكن الذي قال له النبي ذلك هو أبا هريرة رضي الله عنه وقد رواه الطبري معلقاً (١٣/٢) وأحمد برقم (٩٠٥٤ ، ٩٢٢٩) وابن ماجه برقم (٣٤٥٨) وفي سنده عند الكل ذواد أبي المنذر وضعفه ابن معين فقال ليس بشيء وقال البخاري فيه: يخالف في بعض حديثه ونقل البخاري في التاريخ الصغير (ص ٢١٤) عن ابن الأصبهاني أنه قال ورفعه ذواد [أي الحديث] وليس له أصل وأبو هريرة لم يكن فارسياً إنما مجاهد فارسي.
قال الشيخ أحمد شاكر : فهذا تعليل دقيق من ابن الاصبهاني ثم من البخاري يقضي بضعف إسناد الحديث مرفوعاً ثم هذه اللفظة الموجودة في الحديث وردت بألفاظ مختلفة : ففي رواية : اشكنب درد يعني تشتكي بطنك ووردت بألفاظ أخرى أنظرها في الطبري (١٣/٢ ، ١٤).

والثاني : يعني الصبر والصلاة ، فأرادهما ، وإن عادت الكناية إلى الصلاة ؛ لأنها أقرب مذكور ، كما قال الشاعِرُ :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَىٰ فِي ٱلْمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَـإِنِّي وَقَيَّـارٌ بِـهَـا لَغَـرِيـبُ

والثالث : وإن إجابة محمد ﷺ لشديدة إلا على الخاشعين .

والخشوع في الله : التواضع ، ونظيره الخضوع ، وقيل : إن الخضوع في البدن ، والخشوعَ في الصوت ، والبصر .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يظنون أنهم ملاقو ربهم بذنوبهم ، لإشفاقهم من المعاصي التي كانت منهم .

والثاني : وهو قول الجمهور : أن الظن ها هنا اليقين ، فكأنه قال : الذين يَتَيَقَّنُون أنهم ملاقو ربهم(١٦٢) ، وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أي تيقنت ، قال أبو داود :

رُبَّ هَمٍّ فَـرَّجْتَهُ بِغَرِيمٍ ... وَغُيـوبٍ كَشَفْتَهَا بِظُنُونِ

﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه أراد بالرجوع الموت .

والثاني : أنهم راجعون بالإعادة في الآخرة ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : راجعون إليه ، أي لا يملك أحد لهم ضرّاً ولا نفعاً غيره كما كانوا في بدءِ الخلق .

وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ﴾ فيه تأويلان :

(١٦٢) قال أبو جعفر الطبري (٢/١٧) إن قال لنا قائل وكيف أخبر الله جل ثناؤه عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أن يظن أنه ملاقيه والظن شك والشاك في لقاء الله عندك في الله كافر ؟ قيل له إن العرب قد تسمي اليقين ظناً والشك ظناً .

أحدهما : معناه : لا تُغني ، كما يقال : البقرة تَجْزِي عن سبعةٍ أي تُغني ، وهو قول السدي .

والثاني : معناه لا تقضي ، ومنه قولهم جزى الله فلاناً عني خيراً ، أي قضاه ، وهو قول المفضل .

﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ قال الحسن : معناه لا يجيءُ بشفيعٍ تقبل شفاعته لعجزه عنه ، وقال غيره : بل معناه ، أن الشفيع لا يجيبه إلى الشفاعة له ، وأنَّه لو شُفِّعَ لشَفَعَ .

قوله عز وجل : ﴿ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ : العَدْلُ بفتح العَيْنِ : الفِدْيَةُ ، وبكسرِ العَيْنِ : المِثْلُ .

فأما قولهم : لا قَبِل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً ، ففيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الصرف العمل ، والعدل الفدية ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أن الصرف الدية ، والعدل رجل مكانه ، وهذا قول الكلبي .

والثالث : أن الصرف التطوع ، والعدل الفريضة ، وهذا قول الأصمعي .

والرابع : أن الصرف الحِيلَةُ ، والعدل الفدْية ، وهذا قول أبي عبيدة .

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ نَجَّيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ يعني من قوم فرعون ، وآل الرَّجُلِ : هم الَّذين تؤول أمورهم إليه ، إما في نسب ، أو في صحبة ، وَٱختُلِف في الآل والأهل على قولين :

أحدهما : أنهما سواء .

والثاني : وهو قول الكسائي : أنه يقال : آل الرجل ، إذا ذكر اسمهُ ، فإن

= نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخاً والمستغيث صارخاً وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده . . . الخ .

كُنِّيَ عنه قيل أهله ، ولم يُقَلْ آله ، كما يقال : أهل العلم ، وأهل البصرة ، ولا يقال : آل العلم ، وآل البصرة .

وفِرْعَوْنُ : قيل إنه ذلك الرجل بعينه ، وقيل إنه اسمُ كلِّ ملكٍ من ملوك العمالقة ، مثل قيصر للروم ، وكسرى للفرس ، وأن آسْمَ فِرْعَوْنِ مُوسَىٰ : الوليدُ بنُ مُصْعَبٍ .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : معناه يولونكم ، مِنْ قولهم : سَامَهُ خطة خَسْفٍ ، إذا أولاه .

والثاني : يُجَشِّمُونَكُمُ الأعمال الشَّاقَّة .

والثالث : يزيدونكم على سوء العذاب ، ومنه مساومة البيع ، إنما هو أن يزيد البائعُ المشتريَ على ثمنٍ ، ويزيد المشتري على ثمنٍ ، وهذا قول المفضل .

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ أي يستبقون ، وهو استفعال من الحياة ، لأنهم كانوا يُذَبِّحُونَ الذكور ، ويستبقون الإناث .

وأما آسم النساء ، فقد قيل : إنه ينطلق على الصغار ، والكبار ، وقيل : بل ينطلق على الكبار ، وإنما سَمَّى الصغار نساءً ، على معنىٰ أنهُنَّ يبقِين ، حتَّى يصِرْنَ نساءً .

وإنما كان إستبقاءُ النساء من سوء العذاب ، لأنهم كانوا يستبقونهن للاسترقاق والخدمة ، فصار ذلك هو سُوءَ العذاب ، لا الاستبقاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن فيما كانوا يفعلونه بهم : مِنْ سوء العذاب ، وذبح الأبناء ، واستحياء النساءِ شدةً وجهداً عظيماً .

والثاني : أن في إنجائهم من آل فرعونَ ، الذين كانوا يفعلون ذلك بهم نعمةٌ من ربِّهم عظيمةٌ ، وهو قول ابن عباسٍ ، ومجاهدٍ ، والسدي .

وأصل البلاء الاختبار في الخير والشر ، كما قال عز وجل :

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] لأن الاختبار قد يكون بالخير كما

يكون بالشر، غير أن الأكثر في الشر أن يقال: بَلَوْتُه أَبْلُوهُ بلاءً، وفي الخير: أَبْلَيْتُهُ أُبْلِيهِ إِبْلاءً، ومن ذلك قولُ زُهَيْرٍ:

جَزَى ٱللَّهُ بِٱلإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ   فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ ٱلْبَلَاءِ ٱلَّذِي يَبْلُو[١٦٣]

فجمع بين اللُّغَتين .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : وإذْ فصلنا بكم البحر ، لأن الفَرْقَ : الفصل بين الشيئين ، فَفَرَقَ البحر ٱثني عشر طريقاً ، وكان عددهم ستمائة ألفٍ وعشرين ألفاً ، لا يُعَدُّ فيهم ابن عشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره ، وكان على مقدمةِ فرعونَ هامانُ في ألْفِ ألْفٍ ، وسبعمائة حصانٍ ، وذلك قوله : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٣، ٥٤] وهذا قول السدي .

والثاني : أن معناه : وإذ فرقنا بينكم وبين البحر ، أي ميزنا ، فأصل الفرق التمييز بين الشيئين ، والفِرْقَةُ من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم .

والبحر سُمِّيَ بحراً لسعته وانبساطه ، ومنه قولهم : تبحَّر في العلم ، إذا ٱتَّسع فيه ، والبَحِيرَةُ : الناقةُ تُشَقُّ أُذُنها شَقّاً واسعاً .

قوله تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ فحذف ذِكْرَ فرْعَوْنَ وإن غَرِقَ معهم ، لأنه قد عُلِمَ دخوله فيهم .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ يعني إلى فَرْقِ البحر ، حتى سلكوا فيه ، وٱنطباقه على آل فرعون ، حتى غرقوا فيه .

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ :

(١٦٣) ديوان زهير (ص ١٠٩) وفيه : « الله بدلاً من جزى الله ».

أما مُوسَىٰ ، فآسم يَجْمَعُ بين كلمتين بالقبطية وهما: ماء وشجر ،فـ: مُو هو الماء ، و « سا » هو الشجر ، وإنما سُمِّيَ بهذا الاسم الجامع لهاتين الكلمتين ، لما ذكره السدي من أنَّ أمه لما خافت عليه جعلته في التابوت ، وألقته في اليم ، كما أُوحِيَ إليها ، فألقاه بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرجت حَواريُّ آسية آمرأةِ فرعون يغتسلن ، فوجدنه ، فسُمِّيَ باسم المكان .

قال آبن إسحاق : وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ يصهر بنِ فاهت بنِ لاوى بن يعقوب (إسرائيل) بنِ إسحاق بنِ إبراهيم .

وقوله تعالى : ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ قال ابنُ الكلبي : لما جاوز موسىٰ ببني إسرائيل البحر ، قال له بنو إسرائيل : أليس وعدتنا أن تأتينا بكتابٍ من الله تعالى ؟ فوعده الله أربعين ليلة ، ووعدها بني إسرائيل ، قال أبو العالية : هي ذو القِعْدةِ وعَشْرٌ من ذي الحِجَّة ، ثم آقتصر على ذكر الليالي دون الأيام ، وإن كانت الأيام تبعاً معها ، لأن أوَّلَ الشهورِ الليالي ، فصارت الأيامُ لها تبعاً .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ يعني اتخذتموه إلٰهاً من بعد خروج موسى إلى الميقات ، واستخلافِهِ هارونَ عليهم .

وسببُ ذلك فيما ذكر ابن عباسٍ ، أنَّ السامِرِيَّ كان من قومٍ يعبدون البقر ، فكان حبُّ ذلك في نفسه بعْدَ إظهاره الإِسلام ، وكان قد عَرَفَ جبريل لأن أمه حين خافت عليه أن يُذْبَحَ خَلَّفَتْهُ في غار ، وأطبقت عليه ، وكان جبريل يأتيه ، فيغذوه بأصابعه ، فلمَّا رآه حين عبر البحر عرفه ، فقبض قبضةً من أثر فرسه ، وكان آبن مسعودٍ يقرأ : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ ٱلرَّسُولِ ﴾ ولم تزل القبضة في يده ، حتى فصل موسى إلى ربه ، وخلَّف هارون في بني إسرائيل ، فقال لهم هارون : قد تحمَّلْتُمْ أوزاراً من زينة القوم ، يعني أمتعةً وحُلِيّاً ، فَتَطهَّروا منها فإنها نَجَسٌ ، فأوقد لهم ناراً ، وأمرهم بقذف ما كان معهم ففعلوا ، فأقبل السامِرِيُّ إلى النار وقال : يا نبيَّ الله أُلْقِي ما في يدي ؟ قال : نعم ، وهو يظن أنَّهُ حُلِيٌّ ، فقذفه ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار .

واختلفوا : هل صار حيواناً لحماً ودماً أم لا ؟

فقال الحسن : آنقلب حيواناً لحماً ودماً ، وقال غيره لا يجوز لأن ذلك من آيات الله عز وجل التي لا يُظْهِرُها إلاَّ لمعجزَةِ نبيٍّ ، وإنما جَعَلَ فيه خروقاً تَدْخُلُهَا الرِّيحُ ، فَيَحْدُثُ فيهِ صوتٌ كالخوار .

ودافع من تابع الحسن على قوله هذا ، بوجهين :

أحدهما : أنه لما قال : هذا إلٰهكم وإلٰهُ موسىٰ ، فقد أبطل على نفسه أن يَدَّعِيَ بذلك إعجاز الأنبياء ، فجاز أن يصح ذلك منه آمتحاناً .

والثاني : أن ذلك لا يجوز في غير زمان الأنبياء ، ويجوز في زمان الأنبياء ، لأنهم يُظهِرُون إبطاله ، وقد كان ذلك في زمان نبيَّيْنِ .

وآختلفوا في تسميته عجلاً :

فقال أبو العالية : لأنهم عَجِلُوا ، فَآتخذوه إلٰهاً ، قبل أن يأتيهم موسى ، وقال غيره : بل سُمِّيَ بذلك ، لأنه صار عجلاً جسداً له خُوَارٌ .

ثُمَّ إنهم عكفوا على العجل يعبدونه ، فقال لهم هارون من قبل : يا قومِ إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمٰن، فآتبعوني ، وأطيعوا أمري ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين ، حتى يرجع إلينا موسى .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [طه: ٩٠؛٩١] :

أما « إذ » فآسْم للوقت الماضي ، و « إذا » آسم للوقت المستقبل ، و « الكتاب » هو التوراة .

وفي الفرقان أربعةُ أقاويلَ :

أحدها : أن الفُرْقان هو الكتاب فذكره بآسمين تأكيداً ، وهو قول الفراء .

والثاني : أن الفُرْقَانَ(١٦٤): ما في التوراة من فَرْقٍ بين الحقِّ والباطلِ ، فيكون ذلك نعتاً للتوراة ، وهذا قول آبن عباس وأبي العالية .

والثالث : أن الفرقان النصر ، الذي فرَّق الله به بين موسى وفرعون ، حتى أنجى موسى وقومَهُ ، وأغرق فرعونَ وقومَهُ ، وهذا قول أبي زيدٍ .

(١٦٤) ورجح ابن جرير هذا القول (٢/ ٧١) .

والرابع : أن الفرقان : آنفراق البحر لِبَنِي إسرائيلَ ، حتى عبروا فيه .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ يعني : فآرجعوا إلى طاعة خالقكم ، والبارىء الخالق ، والبريَّة الخلق ، وهي فعيلة ، بمعنى مفعولة، غير أنها لا تهمز .

وآختلفوا في هذه التسمية على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها مأخوذة من برأ اللَّهُ الخلْق ، يبرَؤُهم برءاً .

والثاني : أنها فعيلة من البرء ، وهو التراب .

والثالث : أنها مأخوذة من برىء الشيء من الشيء ، وهو انفصاله عنه ، ومنه البراءة من الدين لانفصاله عنه ، وأبرأه الله من المرض ، إذا أزاله عنه .

وقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : ليقتل بعضكم بعضاً ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبيرٍ ، ومجاهد .

والثاني : استسلموا للقتل ، وجَعَلَ ذلك بمنزلة القتل ، وهذا قول أبي إسحاق .

وأصل القتل : إماتةُ الحركة ، ومنه : قتلت الخمر بالماء ، إذا مَزَجتها ، لأنك أمتَّ حركتها ، وإنما جُعل القتل توبة ، لأن من كفَّ عن الإنكار لعبادة العجل ، إنما كف خوفاً من القتال والقتل ، فجُعِلَت توبتهم بالقتل ، الذي خافوه ، هكذا قال ابن جريج .

قال ابن عباسٍ : آحْتَبَىٰ الَّذِين عكفوا على العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعكُفُوا عليه ، وأخذوا الخناجر ، وأصابتهم ظلمة فجعل بعضهم يقتل بعضاً ، حتى

آنجلت الظلمة من سبعين ألفَ قتيلٍ في ساعة من نهار ، وكانوا ينادون في تلك الحال : رحم الله عبداً صبر حتى يبلغ الله رضاه ، فحزِن موسىٰ وبنو إسرائيل لذلك القتل ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : لا تحزن ، أمَّا من قُتِل منكم فأحياء عندي يرزقون ، وأمَّا من بقِيَ فقد قُبِلَتْ توبته ، فَبَشَّرَ بذلك بني إسرائيل .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . حَتَّىٰ نَرَىٰ ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : علانيَة ، وهو قول آبنِ عباس .

والثاني : عياناً ، وهو قول قتادة .

وأصل الجهر الظهور ، ومنه الجهر بالقراءة ، إنما هو إظهارها ، والمجاهرة بالمعاصي : المظاهرة بها .

﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ ﴾ يعني الموت ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ ما نزل بكم من الموت .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ يعني الذين ماتوا بالصاعقة ، وهم السبعون الذين آختارهم موسى ليستمعوا مناجاة ربَّه له بعد أن تاب على من عبد العجل .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه إحياؤهم بعد موتهم لاستكمال آجالهم ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم بعد الإحياء سألوا أن يبعثوا أنبياء فبعثهم الله أنبياء ، وهذا قول السُّدِّيِّ .

وأصل البعث الإرسال ، وقيل : بل أصله : إثارة الشيء من محلِّه .

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا

رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله عز وجل : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ :

والغمَام : هو ما غَمَّ السماء ، فغطَّاها من سحاب وقتام ، وكل مُغَطٍّ فهو غمام ، ومنه : غُمَّ الهلال ، أي غطاه الغَيْمُ .

وفي الغمام الذي ظلله الله عليهم تأويلان :

أحدهما : أنه السحابة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الذي أتى الملائكة في يوم بدر ، مثل قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ ،[البقرة: ٢١٠] وهذا قول مجاهد .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أن المنَّ ما سقط على الشجر فيأكله الناس ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أن المنَّ صمغة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أن المنَّ شرابٌ ، كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجِهِ بالماء ، وهو قول الربيع بن أنس .

والرابع : أن المنَّ عسل ، كان ينزل عليهم ، وهو قول ابن زيدٍ .

والخامس : أن المن الخبز الرقاق ، هو قول وهب .

والسادس : أنه الزنجبيل ، وهو قول السدي .

والسابع : أنه الترنجين .

وفي السلوىٰ قولان :

أحدهما : أنه السماني .

والثاني : أنه طائر يشبه السماني كانت تحشره عليهم الريح الجنوب ، وهذا قول ابن عباس ، واشتقاقه من السلو ، كأنَّه مُسَلٍّي عن غيره .

قال ابن جريج : كان الرجل منهم إن أخذ من المنِّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحدٍ فسد ، إلا يومَ الجمعة ، فإنهم كانوا إذا أخذوا طعامَ يومَيْنِ لم يفسد .

وفي قوله عز وجل : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثلاثة تأويلاتٍ :

أحدها : الشَّهيَّات اللذيذة .

والثاني : أنه الحلال .

والثالث : أنها المباح .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ :

آختلفوا فيها على ثلاثةِ أقاويلَ :

أحدها : أنها بيت المقدس ، وهو قول قتادة ، والربيع بن أنس .

والثاني : أنها قريةٌ ببيت المقدس ، وهو قول السدي .

والثالث : أنها « أريحا » قربَ بيت المقدس ، وهو قول آبن زيد .

قوله عز وجل : ﴿ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً ﴾

آختلفوا في الباب على قولين :

أحدهما : أنه باب حِطَّةَ وهو الباب الثامن ببيت المقدس ، وهذا قول مجاهد ، والسُّدِّيِّ .

والثاني : أنه باب القرية ، التي أمروا بدخولها .

وفي قوله : ﴿ سُجَّداً ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعني : رُكَّعاً ، وهذا قول ابنِ عباس .

والثاني : معناه : خاضعين متواضعين .

وأصل السجود الانحناء تعظيماً لمن يُسجَد له ، وخضوعاً ، ومنه قول الشاعر :

بِجَمْعٍ تَضِلُّ ٱلْبُلْقُ فِي حُجُـرَاتِـهِ ... تَرَى الأُكْمَ فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوافِرِ[١٦٥]

وقال أعشى قيش :

يُـرَاوِحُ مِـنْ صَـلَواتِ ٱلْـمِـلَيـ ... ـكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جِوَاراً[١٦٦]

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ أربعةُ تأويلاتٍ :

أحدها : أنه قول : لا إلَه إلا الله ، وهو قول عكرمة[١٦٧] .

والثاني : أن « حِطَّة » المغفرة ، فكأنه أمر بالاستغفار ، وهو رواية سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ .

والثالث : هو قولهم : هذا الأمر حق كما قيل لكم ، وهو رواية الضحاك ، عن آبن عباسٍ .

والرابع : معناه : حُطَّ عنا خطايانا ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيدٍ ، وهو أشبهُ بظاهر اللفظ .

قوله عز وجل : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ أي نرحمْكم ، ونسترها عليكم ، فلا نفضحكم بالعقوبة عليها .

والخطأ : العدولُ عن القصد ، يقال خَطِىء الشيءَ خَطَأً ، إذا أصابه ولم يُرِدْهُ ، وأَخْطَأَ يُخْطِىءُ ، إذا أراده ولم يُصِبْهُ ، فالأول خاطىء والثاني مُخطِىء .

وأصل المغفرة : التغطية والستر؛ ولذلك قيل للبيضة من الحديد : مِغْفَرٌ ، لأنها تُغَطِّي الرأسَ وتُجِنُّهُ ، ومنه قول أوسِ بنِ حجر :

وَلَا أَعْتِبُ آبْنَ ٱلْعَمِّ إِنْ كَانَ مُخْطِئاً ... وَأَغْفِرُ عَنْهُ ٱلْجَهْلَ إِنْ كَانَ جَاهِلاً[١٦٨]

---

(١٦٥) هو زيد الخيل بن مهلهل الطائر الفارسي . أنظر الكامل (١/٢٥٨) والمعاني الكبير (٨٩٠) والأضداد لابن الأنباري (٢٥٦) .

(١٦٦) ديوانه ص (٤١) .

(١٦٧) هو العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله القرشي ، مولاهم المدني .

حدث عن ابن عباس وعائشة وابن عمر وغيرهم وحدث عنه إبراهيم النخعي والشعبي وعمرو بن دينار وغيرهم وهو أعلم الناس بالتفسير مات رحمه الله سنة خمس ومئة أنظر : ـ طبقات ابن سعد (٥/٢٨٧) الحلية (٣/٣٢٦) طبقات الحفاظ (٣٧) تهذيب التهذيب (٧/٢٦٣) طبقات المفسرين (١/٣٨٠) .

(١٦٨) ديوانه (٣١) شرح شواهد المغني (١٣٧) .

قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني أنهم بَدَّلوا ما أمِروا به من قول وفعل ، فأمِروا أن يدخُلوا الباب سُجَّداً ، فَدَخلُوا يزحفون على أستاهم ، وأن يقولوا : حِطَّةٌ ، فقالوا : حنطة في شعير ، مستهزئين بذلك .

﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ ﴾ :

وفي الرجز ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : أنه الغضب ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : أنه الطاعون ، بعثه الله عليهم فأهلكهم ، وبقي الأبناء ، وهو قول ابن زيد(١٦٩) .

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ تقديره : وإذ استسقانا موسى لقومه ، والاستسقاء : طلب ٱلسَّقْيِ ، والعربُ تقول : سَقَيْتُهُ ، وأسقيتُه ، فقيل : إنهما لغتان ومعناهما واحد ، وقيل بل سقيته من سَقْيِ الشَّفةِ ، وأسْقَيْتُهُ : دللته على الماء .

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ :

وفي الكلام محذوف ، وتقديره : فضرب فانفجرت منه آثنتا عشرة عينا .

والانفجارُ : الانشقاق ، والأنبجاسُ أضيق منه ، لأنه يكون آنبجاساً ثم يصير آنفجاراً .

والعين من الأسماء المشتركة : فالعين من الماء مُشَبَّهَةٌ بالعين من الحيوان ، لخروج الماء منها ، كخروج الدمع من عين الحيوان .

---

(١٦٩) وأولى الأقوال قول ابن زيد وإليه مال ابن جرير (١١٨/٢) وذلك لأن الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ يعضده فإن الطاعون كان يُرسل على من قبلنا عذاباً وهو في هذه الأمة شهادة كما أخبر النبي ﷺ .

فأمر موسىٰ عند استسقائه ، أن يضرب بعصاه حجراً مُرَبَّعاً طُورِيّاً (من الطور)، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، من كل جانب ثلاثةُ أعينٍ .

﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ يعني أن لكلِّ سبطٍ منهم عيناً ، قد عرفها لا يشرب من غيرها ، فإذا ارتحلوا انقطع ماؤه ، وحُمِلَ في الجوالق ، وكان بقدر الرأس .

﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تطغوا ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : معناه لا تسعوا في الأرض مفسدين ، وهو قول ابن عباس ، وأبي العالية الرياحي .

والعيثُ : شدة الفساد ، ومنه قول رؤبة :

وَعَاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عَائِثُ   مُصَدِّقٌ أو فَاجِرٌ مُنَاكِثُ(١٧٠)

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

قوله تعالى : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ فيه ثلاثةُ تأويلاتٍ :

أحدها : أنه الحنطة ، وهو قول ابن عباسٍ ، وقتادة ، والسدي ، وأنشد ابن عباسٍ مَنْ سأله عن الفوم ، وأنه الحُنْطة قَوْلَ أُحيحة بن الجُلاح :

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى ٱلنَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً   وَرَدَ ٱلْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ(١٧١)

والثاني : أنَّه الخُبز ، وهو قول مجاهد ، وابن زيد ، وعطاء .

---

(١٧٠) ديوان رؤبة (ص ٣٠) .

(١٧١) ونسبه في اللسان لأبي محجن الثقفي أنشده الأخفش له :

قد كنت أحسبني كأغنى واحد   نزل المدينة ....

ونسبه في الروض الأنف (٢ : ٤٥) لأحيحة أو لأبي محجن ونسبه ابن جرير (٢/١٢٩) لأحيحة .

والثالث : أنه الثومُ بالثاء ، وذلك صريح في قراءة آبن مسعود ، وهو قول الربيع بن أنس والكسائي .

قوله تعالى : ﴿ آهْبِطُوا مِصْراً ﴾ : قرأ عامةُ القُرّاءِ بالتنوين ، وقرأ بعضهم بغير تنوين ، وهي كذلك ، وقراءة ابن مسعود بغير ألف .

وفي المصر الذي عناه قولان :

أحدهما : أنه أراد أيَّ مِصْرٍ ، أرادوا من غير تعيين ؛ لأنَّ ما سألوا من البقل والقِثَّاء والفوم ، لا يكون إلا في الأمصار ، وهذا قول قتادة ، والسدي ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أنه أراد مصر فرعون ، الذي خرجوا منه ، وهذا قول الحسن ، وأبي العالية والربيع .

وآختلف في اشتقاق المِصْرِ ، فمنهم من قال : إنه مشتق من القطع ، لانقطاعه بالعمارة ، ومنهم من قال : إنه مشتق من الفصل بينه وبين غيره ، قال عدي بن زيد :

وَجَاعِلُ آلشَّمْسِ مِصْراً لَا خَفَاءَ بِهِ   بَيْنَ آلنَّهَارِ وَبَيْنَ آللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا(*)

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

وفي قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنّه من الذِّلّة والصغار .

والثاني : أنّه فَرَضَ الجِزْيَةَ عليهم ، وهذا قول الحسن وقتادة .

وفي « المسكنة » تأويلان :

أحدهما : أنها الفاقة ، وهو قول أبي العالية .

والثاني : أنه الفقر ، وهو قول السدي .

وفي قوله تعالى : ﴿وبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ثلاثة تأويلاتٍ :

أحدها : وهو قول أبي العباس المَبِّرد : أن أصل ذلك : المنزلة ، ومعناه أنهم نزلوا بمنزلة غضب الله ، ورُوي : أن رجلاً جاء برجلٍ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : هذا قاتل أخي ، قال : « فَهُوَ بَوَاءٌ بِهِ »(١٧٢) أي أنه مقتول ، فيصير في منزلته ، وتقول ليلى الأخيليَّةُ :

فَــإنْ يَكُنِ ٱلْقَتْلَى بَــوَاءً فَــإنَّكُـمْ فتىً مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ

والثاني : وهو قول أبي إسحاق الزجّاج : أن أصل ذلك التسوية ، ومعناه : أنهم تساووا بغضب من الله ، ومنه ما يروى عن عبادة(١٧٣) بن الصامت قال : « جعل الله الأنفال إلى نبيِّه ﷺ ، فقسمها بينهم على بَوَاءٍ » ، أي على سواء بينهم في القسم .

والثالث : وهو قول الكسائي ، أن معناه أنهم رجعوا بغضبٍ من الله ، قال : البواء : الرجوع ، إلا أنه لا يكون رجوعاً إلا بشيء : إمَّا بشرٍّ ، وإمَّا بخيرٍ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ قولان :

أحدهما : أن الله عز وجل؛ إنما جاز أن يُخَلِّيَ بين الكُفَّار وقتلِ الأنبياء ، لينالوا من رفيع المنازل ما لا ينالونه بغيره ، وليس ذلك بخذلان لهم ، كما يفعل بالمؤمنين من أهل طاعته .

والثاني : وهو قول الحسن ، أن الله عز وجل ، ما أمر نبياً بالحرب إلا نَصَرَهُ فلم يُقتَلْ ، وإنما خلَّى بين الكفار وبين قتل مَنْ لم يؤمر بالقتال مِنَ الأنبياء .

و « الأنبياء » جمعُ « نبيٍّ »، وقد جاء في جمع « نبيٍّ »: « نُبَّاء »، قال العباس ابن مرداس السُّلمي ، يمدح النبيَّ ﷺ :

---

(١٧٢) لم أهتدِ إلى تخريجه .

(١٧٣) هو عبادة بن الصامت بن أبي عبادة الأنصاري ، أبو الوليد صحابي جليل ، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد سائر الغزوات أقام بحمص يعلم الناس القرآن في خلافة عمر توفي ببيت المقدس وقيل بالرملة سنة ٣٤ هـ رضي الله عنه . أنظر : ـ
سير أعلام النبلاء (٢/٥)، طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣ ، ٦٢١)، التاريخ الكبير (٩٢/٦)، أسد الغابة (١٦٠/٣).

يَـا خَـاتَمَ ٱلنُّبَـاءِ إِنَّـكَ مُـرْسَـلٌ   بِٱلْحَقِّ حَيْثُ هُدَى ٱلْإِلَٰهِ هَدَاكَا(١٧٤)

وهو غير مهموز في قراءة الجمهور إلا نافعاً(١٧٥)، فإنه قرأ الأنبياء ، والنبيئين بالهمز .

وفيما أُخِذ منه آسمُ النبيِّ ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من النبأ ، وهو الخبر ، لأنه يُنْبِئُ عن الله ، أي يُخْبِرُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ [النجم : ٣٦].

والثاني : أن أصل النبيِّ هو الطريق ، قال القطامي :

لَمَّـا وَرَدْنَـا نبِيّـاً وَآسْتَتَبَّ لَـنَـا   مُسْتَحْفَرٌ بِخُطُوطِ النَّسْجِ مُنْسَجِلُ(١٧٦)

فَسُمِّيَ رسُول الله ﷺ نبيّاً ، لأنه الطريق إليه .

والثالث : أنه مأخوذ من النُّبُوَّةِ ؛ لأن منزلة الأنبياء رفيعة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني : صدقوا بمحمدٍ ﷺ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُوا ﴾ هم اليهود ، وفي تسميتهم بذلك ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : نُسِبُوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب ، فقلبت العربُ الذال دالاً ، لأن الأعجمية إذا عُرِّبت ، ، غيرت من لفظها .

(١٧٤) من قصيدة شعر له في مدح الرسول ﷺ. أنظر سيرة ابن هشام (١٠٣/٤).

(١٧٥) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو رويم . أقرأ الناس دهراً طويلاً . فقرأ عليه من الناس خلق كبير . قال مالك . نافع إمام الناس في القراءة . مات رحمه الله سنة تسع وستين ومئة . أنظر :ـ
التاريخ الكبير (٨٧/٨)، سير اعلام النبلاء (٣٣٦/٧)، العبر (٢٥٧/١) ، تهذيب التهذيب (٤٠٧/١٠).

(١٧٦) ديوان (٤) من قصيدة له ولكن الشطر الثاني : مسحنفر كخطوط السيح منسحل وكذا نقله الطبري في التفسير (١٤١/٢).

والثاني : أنه مأخوذ من قولهم : هَادَ القومُ يَهُودُون هَـوْدَةً وهِيَادةً ، إذا تـابوا ، قال زهير :

سِـوَى مَرْبَـعٍ لَمْ تَأْتِ فِيـهِ مَخَافَـةً ... وَلَا رَهَقـاً مِنْ عَـابِـدٍ مُتَهَـوِّدِ(*)

يعني من عابد تائب ، فسموا يهوداً لتوبتهم من عبادة العجل .

والثالث : أنهم سُمُّوا يهوداً ، من أجل قـولهم : إنَّا هُـدْنا إليـك ، وهذا قـول ابن جُرَيج .

و ﴿ والنصارى ﴾ ، جمع وواحده « نصرانيٌّ » ، وقيـل : « نصران » بـإسقاط الياء ، وهذا قـول سيبويـه ، وقال الخليـل بن أحمد : واحـده نصْرِي ، والأول هـو المستعمل .

وفي تسميتهم بذلك ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم سُمُّوا بذلك ، لقريةٍ تُسَمَّىٰ « ناصرة » ، كان ينزلها عيسى عليه السلام ، فَنُسِبَ إليها ، فقيـل : عيسى الناصـري ، ثم نسب أصحابـه إليه فقيـل : النصارى ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنهم سُمُّوا بذلك ، لنصرة بعضهم لبعضٍ ، قال الشاعر :

لَـمَّـا رأيـتُ نَـبَـطاً أَنْـصَـارَا ... شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِيَ ٱلْإِزَارَا(١٧٧)

كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارَا

والثـالث : أنهم سُمُّـوا بـذلـك ، لقـولـه : ﴿ مَنْ أَنْصَـارِي إِلَى ٱللَّهِ ﴾ .

﴿ والصابئين ﴾ ، جمع ، واحده : صابىء ، وٱخْتُلِفَ في همـزِهِ ، فهمزه الجمهـور إلا نافعاً .

وٱخْتُلِف في المأخوذ منه هذا الاسم ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من الطُّلُوعِ والظُّهُورِ ، من قولهم : صبأ نـابُ البعير ، إذا طلع ، وهذا قول الخليل .

والثاني : أن الصابِىء : الخارج من شيء إلى شيءٍ ، فسُمِّي الصابئـون بهذا

(١٧٧) هذه الأبيات في كتاب معاني القرآن للفراء (١ / ٤٤) وأمالي ابن الشجرى (١ / ٧٩ ، ٣٧١) .

الاسم ، لخروجهم من اليهودية والنصرانية ، وهذا قول ابن زيدٍ .

والثالث : أنه مأخوذ من قولهم : صبا يصبو ، إذا مال إلى الشيء وأحبه ، وهذا قول نافع ؛ ولذلك لم يهمز .

وَٱخْتُلِف فيهم : فقال مجاهد ، والحسن ، وابن أبي نجيحٍ : الصابئون بين اليهود والمجوس ، وقال قتادة : الصابئون قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون إلى القِبْلة ، [ويقرأون الزبور ويصلون الخميس] وقال السدي : هم طائفة من أهل الكتاب ، وقال الخليل : هم قوم شبيه دينهم بدين النصارى ، إلا أن قبلتهم نَحْوَ مهب الجنوب حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم على دين نوح .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ قولان :

أحدهما : أنها نزلت في سلمان الفارسيِّ[١٧٨] وأصحابه النصارىٰ الذين كان قد تنصَّر على أيديهم ، قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث ، وأنهم مؤمنون به إن أدركوه ، وهذا قول السدي .

والثاني : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وهو قول ابن عباس .

فإن قيل : فَلِمَ قال : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ على التوحيد ، ثم قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ على الجمع ؟ قيل : لأن اللفظ « مَنْ » لفظ الواحد ، ومعناه الجمع ، فمرةً يجمع على اللفظ ، ومرةً يجمع على المعنى ، قال الشاعر :

أَلِمَّا بِسَلْمَىٰ عَنْكُمَا إنْ عَرَضْتُمَا ... وَقُولاَ : لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ[١٧٩] تَخَلَّفُوا

---

(١٧٨) هو سلمان بن الاسلام ، أبو عبد الله.

سابق الفرس إلى الإسلام ، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه كان لبيباً حازماً من عقلاء الرجال وعبادهم ، توفي سنة ست وثلاثين بالمدائن وقيل غير هذا. أنظر: الجرح والتعديل (٤/٢٩٦)، حلية الأولياء (١/١٨٥)، التاريخ الكبير (٤/١٣٥) أسد الغابة (١/٣١)، الاستيعاب (٤/٢٢١).

(١٧٩) منسوب إلى امرىء القيس في ديوان منسوب إليه وفي هذا الديوان.

ويقال أنها ـ أي الأبيات ـ لرجل من كندة. . .

أنظر الأضداد لابن الأنباري (٢٨٨).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ .... وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ وفي الطور ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اسم الجبل ، الذي كلم الله عليه موسى ، وأنزلت عليه التوراة دون غيره ، وهذه رواية ابن جريج عن ابن عباس .

والثاني : أن الطور ما أَنْبَتَ من الجبال خاصة ، دون ما لم ينبت ، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : أن الطور اسم لكل جبل ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، إلا أن مجاهداً قال : هو اسم كل جبل بالسريانية، وقال قتادة: بل هو اسم عربي، قال العجاج :

داني جناحيه من الطور فمر تقضّي البازي إذا البازيُّ كر(١٨٠)

قال مجاهد : رُفِعَ الجبل فوقهم كالظُّلة ، فقيل : لتؤمِنُنَّ أو ليقعن عليكم ، فآمنوا .

وفي قوله تعالى : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن القوة الجِدّ والاجتهاد ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة والسدي .

والثاني : يعني بطاعة الله تعالى ، وهو قول أبي العالية ، والربيع بن أنس .

والثالث : أنه العمل بما فيه ، وهو قول مجاهد .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ وفي اعتدائهم في السبت قولان :

(١٨٠) ديوانه ص ١٧ وفيه تقضّي البازي إذ البازي كسر .

أحدهما : أنهم أخذوا فيه الحيتان على جهة الاستحلال، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهم حبسوها في يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، والسبت هو اليوم المعروف . وفي تسميته بذلك أربعة أقاويل :

أحدها : أن السبت هو اسم للقطعة من الدهر فسمي ذلك اليوم به ، وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنه سُمِّي بذلك لأنه سَبَت خَلْق كل شيء ، أي قطع وفرغ منه ، وهذا قول أبي عبيدة .

والثالث : أنه سُمِّي بذلك ، لأن اليهود يَسْبِتُون فيه ، أي يقطعون فيه الأعمال .

والرابع : أن أصل السبت ، الهدوء والسكون في راحة ودعة ، ولذلك قيل للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُم سُبَاتًا ﴾ . فَسُمِّي به اليوم لاستراحة اليهود فيه .

وفي قوله عز وجل : ﴿ ... فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : مُسِخُوا قردةً ، فصاروا ـ لأجل اعتدائهم في السبت ـ في صورة القردة المخلوقين من قبل ، في الأيام الستة .

قال ابن عباس : لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب .

والثاني : وهو قول مجاهد(١٨١) : أنهم لم يمسخوا قردة ، وإنما هو مَثَلَ ضربه الله لهم ، كما قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاً ﴾ [الجمعة : ٥] .

وفي قوله تعالى : ﴿ خاسئين ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن الخاسىء المُبْعَد المطرود ، ومنه قولهم خسأت الكلب ، إذا باعدته وطردته .

---

(١٨١) والراجح من الأقوال أن المسخ كان صورياً معنوياً وقد رد الإمام أبو جعفر قول مجاهد ووصفه بأنه مخالف لظاهر القرآن وأن القرآن لا يدل عليه . وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : « والصحيح أنه ـ أي المسخ ـ معنويّ صوري » (١/١٠٦ ـ ١٠٧) . وهذا أقرب إلى الصواب .

والثـاني : أن معناه أذلاء صـاغرون ، وهـذا قـول مجـاهـد . ورُوِي عن ابن عباس : خاسئاً أي ذليلا .

قوله تعـالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَـا نَكَالاً لِمَـا بَيْنَ يَدَيْهَـا وَمَا خَلْفَهَـا ﴾ وفي المجعول نكالاً ، ستة أقاويل :

أحدها : أنها العقوبة .

والثاني : أنها الحيتان .

والثالث : أنها القرية التي اعتدى أهلها .

والرابع : أنهم الأمة الذين اعتدوا ، وهم أهل أيلة .

والخامس : أنهم الممسوخون قردة .

والسادس : أنهم القردة الممسوخ على صورهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ نَكَالاً ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : عقوبة ، وهو قول ابن عباس.

والثاني : عبرة ينكل بها من رآها .

والثالث : أن النكال الاشتهار بالفضيحة .

وفي قوله تعالى : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : مـا بين يديهـا وما خلفهـا من القرى ، وهـذه رواية عكـرمة عن ابن عباس .

والثاني : ما بين يديها يعني من بعدهم من الأمم ، وما خلفهـا ، الذين كـانوا معهم باقين ، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس .

والثـالث : ما بين يـديهـا ، يعني من دونهـا ، ومـا خلفهـا ، يعني لمن يـأتي بعدهم من الأمم ، وهذا قول السدي .

والرابع : لما بين يديها من ذنوب القوم ، وما خلفها للحيتان التي أصابوهـا ، وهذا قول قتادة .

والخامس : ما بين يديها ما مضى من خطاياهم ، وما خلفها : خطاياهم التي أُهْلِكُوا بها ، وهذا قول مجاهد .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ وكان السبب في أمر موسىٰ لقومه بذلك ، ما ذكره المفسرون : أن رجلاً من بني إسرائيل كان غنياً ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب يرثه ، فاستبطأ موته ، فقتله سراً وألقاه في موضع الأسباط ، وادعى قتله على أحدهم ، فاحتكموا إلى موسى ، فقال : من عنده من ذلك علم ؟ فقالوا : أنت نبي الله ، وأنت أعلم منا ، فقال : إن الله عز وجل يأمركم أن تذبحوا بقرة ، فلما سمعوا ذلك وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ والهزء : اللعب والسخرية . قال الراجز :

قَـدْ هَـزِئَتْ مِنِّـيَ أُمُّ طَيْسَلَة ... قَالَتْ أَرَاهُ مُعْدِماً لَا شَيْءَ لَهُ(١٨٢)

﴿ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزء ، جهل ، فاستعاذ منه موسى ، لأنها صفة تنتفي مع الأنبياء ، وإنما أمر ـ والله أعلم ـ بذبح البقرة دون غيرها ، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته .

والبقرة اسم للأنثى ، والثور للذكر ، مثل ناقة وجمل ، وامرأة ورجل ، فيكون تأنيثه بغير لفظه . واسم البقرة مأخوذ من الشق من قولهم بقر بطنه إذا شقه ، لأنها تشق الأرض في الحرث .

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟﴾

(١٨٢) أنظر الأصمعيات (٥٨)، الأمالي لأبي علي القالي (٢ / ٢٨٤) ولكن الشطر الأول من البيت فيه :
تهزأ مِنِّي أختُ آلِ طيسلة . . .

ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ رَوَىٰ الحسن عن النبي ﷺ، أنه قال: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوِ اعْتَرَضُوا بقرة، فَذَبَحُوهَا، لأَجْزَأَتْ عَنْهُم، وَلٰكِنَّهُم، شَدَّدُوا، فَشَدَّدَ الله عليهم »(١٨٣).

﴿ قَالَ: إِنَّه يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ في الفارض تأويلان:

أحدهما: أنها الكبيرة الهَرِمَة، وهو قول الجمهور. قال الراجز: ـ

شيب أصداغي فرأسي أَبْيضُ   محامل فيها رجال فرض

يعني بقوله: فُرَّض، أي هرمى.

---

(١٨٣) رواه أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١/١٩٩) وهو مرسل كما ترى ورواه أبو بكر بن مردويه أيضاً من وجه آخر كما نقله ابن كثير (١/١٩٩) والبزار (٣/٤٠) كشف الخفا وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١/١٨٩) كلهم من طريق سرور بن المغيرة الواسطي أبو عامر عن عبادة بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه زيادة في أوله وهذا إسناد ضعيف.

عبّاد بن منصور ضعفه غير واحد من أهل العلم وسرور وثقه ابن حبان فقط وقال عنه يروي الغرائب ونقل عنه الحافظ في لسان الميزان فلعل هذا الحديث من غرائبه والحسن البصري على جلالته مدلس وقد عنعن الحديث. وقال الهيثمي في المجمع رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات (٦/٣١٤) وقال الحافظ ابن كثير هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة (٦/٣١٤) وقد ورد الحديث من روايات أخرى: ـ

١ ـ فرواه ابن جرير عن ابن جريج مرسلاً (٢/٢٠٥) قال الشيخ شاكر مرسل لا تقوم به حجة اهـ. والحق أنه معضل فإن ابن جريج من أتباع التابعين.

٢ ـ عن عكرمة بلاغاً.

أخرجه الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر عن عكرمة يبلغ به النبي كما في الدر المنثور للسيوطي (١/١٨٩) وسيأتي الحديث من مرسل قتادة.

٣ ـ قد جاء الحديث موقوفاً على ابن عباس وصحيح الإسناد وصححه ابن كثير (١/١٩٩) رواه ابن جرير (٢/٢٠٤) وابن أبي حاتم كما أفاده السيوطي في الدر (١/١٩٠) ولفظه « لو أخذوا أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عنهم».

والثاني : أنّ الفارض التي قد ولدت بطوناً كثيرة ، فيتسع لذلك جوفها ، لأن معنى الفارض في اللغة الواسع ، وهذا قول بعض المتأخرين ، واستشهد بقول الراجز :

يا رُبَّ ذي ضغن عليّ فارض   له قروء كقروء الحائض[١٨٤]

والبكر : الصغيرة التي لم تحمل ، والبكر من إناث البهائم ، وبني آدم ، ما لم يفتحله الفحل ، وهي مكسورة الباء ، فأما البَكْر بفتح الباء ، فهو الفتي من الإبل .

وقوله تعالى : ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلكَ ﴾ والعوان النَّصَفُ التي قد ولدت بطناً أو بطنين ، ﴿ بين ذلك ﴾ يعني بين الصغيرة والكبيرة ، وهي أقوى ما تكون من البقر وأحسنه ، قال الشاعر :

فرحن عليه بين بِكرٍ عزيزة   وبين عَوانٍ كالغمامة ناصِفِ

قوله تعالى : ﴿ ... قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾ حُكِيَ عن الحسن البصري ، أن المراد بقوله صفراء ، أي سوداء شديدة السواد ، كما تقول العرب : ناقة صفراء أي سوداء ، ومنه قول الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي   هُنّ صفر أولادها كالزبيب[١٨٥]

وقال الراجز :

وصفرٍ ليست بمصفرّة   ولكنّ سوداءَ مثل الخُمُر

وقال سائر المفسرين : إنها صفراء اللون ، من الصفرة المعروفة ، وهو أصح ، لأنه الظاهر ، ولأنه قال : ﴿ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ والفاقع من صفات الصفرة ، وليس يوصف السواد بذلك ، وإنما يقال : أسود حالكٌ ، وأحمر قانٍ ، وأبيضُ ناصعٌ ، وأخضرُ ناضرٌ ، وأصفرُ فاقعٌ .

---

(١٨٤) وقع خطأ في إنشاد هذا البيت وصوابه كما قال صاحب تخريج الطبري (٢/ ١٩٠).

يا رب مولى حاسد مباغض   عليّ ذي ضغن وجنب فارض

أنظر مجالس ثعلب (٢٦٤)، الحيوان (٦/ ٦٦ ، ٦٧)، المعاني الكبير الفراء (٨٥٠) ، (١١٤٣).

(١٨٥) الشاعر هو الأعشى الكبير . والبيت من قصيدة له في ديوانه (ص ٢١٩).

ثم فيما أُرِيدَ بالصفرة قولان :

أحدهما : صفراء القرن والظلف ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثاني : صفراء اللون كله ، وهذا قول مجاهد .

وفي قوله تعالى : ﴿ فاقع لونها ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : الشديدة الصفرة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن .
والثاني : الخالص الصفرة ، وهذا قول قطرب .

والثالث : الصافي ، وهذا قول أبي العالية ، وقتادة .

﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعجب الناظرين بصفرتها ، فتعجب بالسرور ، وهو ما يتأثر به القلب ، والفرح ما فرحت به العين(*)، ويحتمل قوله : ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ وجهين :
أحدهما : بحسن لونها فتكون . . . . لصفرتها .

والثاني : حسن سمتها ، وصفت بذلك ، ليكون ذلك زيادة شرط في صفتها ، غير ما تقدم من ذكر صفرتها ، فتصير البقرة على الوجه الأول ، ذات وصف واحد ، وعلى الوجه الثاني ، ذات وصفين .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ فسألوا سؤالاً ثالثاً ، ولم يمتثلوا الأمر بعد البيان الثاني ، فروىٰ ابن جريج ، عن قتادة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أُمِرُوا بِأَدْنَىٰ بَقَرةٍ وَلَـٰكِنَّهُم لَمَّا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِم ، وَايمُ اللَّهِ لَو أَنَّهُم لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَتْ لَهُم آخرُ الأَبَدِ »(١٨٦) يعني أنهم لو لم يقولوا : ﴿ وَإِنَّا إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ما اهتدوا إليها أبداً .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ يعني لم يذللها العمل .

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني .

(١٨٦) رواه ابن جرير (٢/٢٠٦) بلفظ ذكر لنا أن نبي الله كان يقول:
وهو مرسل لا تقوم به حجة كما قال الشيخ شاكر في تخريج الطبري (٢/٢٠٦) وقد تقدم الكلام على روايات الحديث في الحديث الذي قبله .

﴿ تُثِيرُ الأَرْضَ ﴾ والإثارة تفريق الشيء ، أي ليست مما يثير الأرض للزرع ، ولا يسقى عليها الزرع(*). [وقيل يثير فعل مستأنف والمعنى إيجاب الحرث لها وأنها كانت تحرث ولا تسقى].

وليس هذا الوجه بشيء ، بل نفي عنها جميع ذلك .

﴿ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ وفي ذلك أربعة تأويلات :

أحدها : مُسَلَّمَةٌ من العيوب ، وهذا قول قتادة ، وأبي العالية .

والثاني : مُسَلَّمَةٌ من العمل .

والثالث : مُسَلَّمَةٌ من غصب وسرقة ، فتكون حلالاً .

والرابع : مُسَلَّمَةٌ من . . . . . (**).

وفي ﴿ شِيَةَ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : ليس فيها علامة خاصة ، حكاه السدي .

والثاني : أنه ليس فيها لون ، يخالف لونها من سواد أو بياض .

والثالث : أنه الوَضَح وهو الجمع بين ألوان من سواد وبياض .

وأصله من وشي الثوب ، وهو تحسين عيوبه بألوان مختلفة ، ومنه قيل للساعي بالرجل عند السلطان واشٍ ، لأنه يحسّن كذبه عنده ، حتى يقبله منه .

﴿ قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الآن بَيَّنْت الحق ، وهو قول قتادة .

والثاني : معناه أنه حين بيّنها لهم ، قالوا هـذه بقرة فلان ، الآن جئت بالحق فيها ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنهم كادوا ألاّ يفعلوا لغلاء ثمنها ، لأنهم اشتروها على ما حَكَىٰ

(*) ما بين المعكوفين زيادة .

(* *) هنا كلمة مطموسة.

ابن عباس ، ومحمد بن كعب : بملء مَسْكها ذهباً من مال المقتول . وقيل بوزنها عشر مرات .

والثاني : أنهم كادوا ألّا يفعلوا خوفاً من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل ، وهذا قول وهب ، وقال عكرمة : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير . وقِيل : كانت البقرة وحشية .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ يعني مَنْ قتل الإسرائيلي ؟ الذي قتله ابن أخيه ، وفي سبب قتله قولان :

أحدهما : لبنت له حسناء ، أحب أن يتزوجها .

والثاني : طلباً لميراثه ، وادعى قتله على بعض الأسباط .

وفي قوله تعالى : ﴿ . . . فَادَّارَأْتُمْ فيها ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنّ الدَّرْءَ الاعوجاج ، ومنه قول الشاعر :

أمسكت عنهم درء الأعادي ... وداووا بالجنون من الجنون(*)

يعني اعوجاج الأعادي .

والثاني : وهو المشهور ، أن الدرء المدافعة ، ومعناه أي تدافعتم في القتل ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

أدركتها قدام كل مدره ... بالدفع عني درء كل منجه[187]

والثالث : معناه آختلفتم وتنازعتم ، قاله السدي ، وقيل إن هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة ، فهي متقدمة في الخطاب على قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مَوسَىٰ لِقَومِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُم ﴾ الآية . لأنهم أُمِرُوا بذبحها ، بعد قتلهم ، واختلفوا في قاتله .

(١٨٧) ديوانه ١٦٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أي والله مظهر ما كنتم تُسِرّون من القتل ، فعند ذلك قال النبي ﷺ : « **لو أنَّ أحدَكم يعملُ في صخرةٍ صمّاءَ ليسَ لها بابٌ ، لأخرجَ اللهُ عملَهُ** »(١٨٨) .

قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ اختلف العلماء في البعض الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البقرة ، على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه ضُرِبَ بفخذ البقرة ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة وقتادة .

والثاني : أنه ضُرِبَ بالبضعة التي بين الكتفين ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنه ضُرِبَ بعظم من عظامها ، وهذا قول أبي العالية .

والرابع : أنه ضُرِبَ بأُذنها ، وهذا قول ابن زيد .

والخامس : أنه ضُرب بعجب ذنبها ، وهو الذي لا تأكله الأرض ، وهذا قول الفراء . والبعض : يَقِلُّ عن النصف .

﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ يعني ، أنه لما ضُرِبَ القتيل ببعض البقرة ، أحياه الله وكان اسمه عاميل ، فقال قتلني ابن أخي ، ثم قبض ، فقال بنو أخيه : والله ما قتلناه ، فكذّبوا بالحق بعد معاينته .

قال الفراء : وفي الكلام حذف ، وتقديره : فقلنا اضربوه ببعضها ، ليحيا

---

(١٨٨) رواه أحمد (٣/ ٢٨) والحاكم (٤/ ٣١٤) والبيهقي في الشعب كما في المشكاة (٣/ ١٤٦٦) وأبو يعلى كما في الدر (١/ ١٩٢) كلهم من رواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورمز له صاحب الجامع الصغير بالصحة فيض القدير (٥/ ٣٠٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٥) رواه أحمد وأبو يعلى واسنادهما حسن .

وعلى الكل تعقيب ، أما تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي فهذا من الأوهام كيف يصح ؟ والحديث في إسناده دراج عن أبي الهيثم وهي رواية معروفة ضعفها الإمام الذهبي نفسه أكثر من مرة في المستدرك .

فدراج صاحب مناكير ضعفه أحمد وغيره وساق الذهبي في مناكيره في ترجمته أحاديث من هذه النسخة وكذا لا يصح الحكم على الحديث بأن إسناده حسن لأجل ضعف هذه النسخة والحديث ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٥/ ٤٠) .

تنبيه : ـ رواه وليس كذلك بل هذا خطأ مطبعي والله أعلم .

فضربوه ، فَحَيِيَ . كذلك يحيي الله الموتى ، فدل بذلك على البعث والنشور ، وجعل سبب إحيائه الضرب بميت ، لا حياة فيه ، لئلا يلتبس على ذي شبهة ، أن الحياة إنما انتقلت إليه مما ضرب به ، لتزول الشبهة ، وتتأكد الحجة .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه حكاية عن قول موسى لقومه .

والثاني : أنه خطاب من الله لمشركي قريش.

﴿ وَيُرِيكُم ءَايَاتِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : علامة قدرته . .

والثاني : دلائل بعثكم بعد الموت .

﴿ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعملون .

والثاني : تعتبرون .

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ اختلف في المُشار إليه بالقسوة ، على قولين :

أحدهما : بنو أخي الميت حين أنكروا قتله ، بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله له ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه أشار إلى بني إسرائيل كلهم ، ومن قال بهذا قال : من بعد ذلك : أي من بعد آياته كلها التي أظهرها على موسى .

وفي قسوتها وجهان :

أحدهما : صلابتها حتى لا تلين .

والثاني : عنفها حتى لا ترأف .

وفي قوله تعالى : ﴿ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ وجهان :

أحدهما : من بعد إحياء الموتى ، ويكون هذا الخطاب راجعاً إلى جماعتهم .

والثاني : من بعد كلام القتيل ، ويكون الخطاب راجعاً إلى بني أخيه .

وقوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ يعني القلوب التي قست .

وآختلف العلماء في معنى ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع وأشباهه كقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوسَينِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[النجم : ٩] على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه إبهام على المخاطبين ، وإن كان الله تعالى عالماً ، أي ذلك هو ، كما قال أبو الأسود الدؤلي(١٨٩) :ـ

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة أو علياً
فإن يك حبهم رشدا أُصبه ولستُ بمخطىء إن كان غياً(١٩٠)

ولا شكَّ ، أن أبا الأسود الدؤلي ، لم يكن شاكّاً في حبِّهم ، ولكن أَبْهَمَ على مَنْ خاطبه ، وقد قِيل لأبي الأسود حين قال ذلك : شَكَكْتُ ، فقال كلا ، ثم استشهد بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُم لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ : ٢٤] وقال : أفكان شاكاً مَنْ أخبر بهذا؟

والثاني : أن ﴿ أَوْ ﴾ ها هنا بمعنى الواو ، وتقديره فهو كالحجارة وأشد قسوة ، ومثله قول جرير :

جاءَ الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ(١٩١)

والثالث : أن ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع ، بمعنى بل أشد قسوة ، كما قال

---

(١٨٩) قاضي البصرة واسمه على الأصح ظالم بن عمرو ، قرأ على عليّ، توفي رحمه الله سنة تسع وستين في طاعون الجارف بالبصرة . أنظر : ـ
تاريخ الإسلام (٣/ ٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٨١) ، الإصابة (٢/ ٢٤١) .

(١٩٠) ديوانه (٣٢) والأغاني (١١ : ١١٣) وإنباه الرواة (١ : ١٧) .

(١٩١) ديوان جرير (٣٤٥) والنقائض (٩٦٩) والطبقات لابن سعد (٣/ ١/ ٧٩) .
والأضداد لابن الأنباري (٢٥٨) .

تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٧] يعني بل يزيدون .

والرابع : أن معناها الإباحة وتقديره ، فإن شبهتموها بالحجارة كانت مثلها ، وإن شبهتموها بما هو أشد ، كانت مثلها .

والخامس : فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة عندكم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ﴾ يعني أن من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم القاسية ، لِتَفَجُّرِ الأنهار منها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ فاختلفوا في ضمير الهاء في « منها »، إلى ماذا يرجع ؟ على قولين :

أحدهما : إلى القلوب لا إلى الحجارة ، فيكون معنى الكلام : وإن من القلوب لما يخضع من خشية الله ، ذكره ابن بحر .

والقول الثاني : أنها ترجع إلى الحجارة ، لأنها أقرب مذكور .

واختلف من قال بهذا ، في هذه الحجارة على قولين :

أحدهما : أنها البرد الهابط من السَّحاب ، وهذا قول تفرد به بعض المتكلمين .

والثاني : وهو قول جمهور المفسرين : أنها حجارة الجبال الصلدة ، لأنها أشد صلابة .

واختلف من قال بهذا على قولين :

أحدهما : أنه الجبل الذي جعله الله دَكاً، حين كلم موسى .

والثاني : أنه عام في جميع الجبال .

واختلف من قال بهذا ، في تأويل هبوطها ، على أربعة أقاويل :

أحدها : إن هبوط ما هبط من خشية الله ، نزل في ذلك القرآن .

والثاني : ... ...(*)

والثالث : أن مَنْ عَظَّم مِنْ أمر الله ، يُرَىٰ كأنه هابط خاشع ، كما قال جرير :

(*) بياض في النسخة المخطوطة.

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشّع

والرابع : أن الله أعطى بعض الجبال المعرفة ، فعقل طاعة الله ، فأطاعه ، كالذي رُوِيَ عن الجذع[١٩٢]، الذي كان يستند إليه النبي ﷺ ، فلما تحول عنه حَنَّ ، رُوِيَ عن النبي أنه قال : « **إنَّ حَجَراً كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ إنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ** »[١٩٣]، ويكون معنى الكلام ، إنَّ من الجبال ما لو نزل عليه القرآن ، لهبط من خشية الله تذللاً وخضوعاً .

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)﴾

قوله تعالى : ﴿ **... وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُم يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ** ﴾ في ذلك قولان :

أحدهما : أنهم علماء اليهود والذين يحرفونه التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لأهوائهم وإعانة لراشيهم وهذا قول مجاهد والسدي .

والثاني : أنهم الذين اختارهم موسى من قومه ، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا

---

(١٩٢) حديث حنين الجذع . متواتر عند أئمة الحديث ولا يصح إنكاره وصرح بتواتره جمهرة من أهل العلم كالذهبي وابن كثير والقاضي عياض والنووي وابن حجر والسيوطي وغيرهم وساق الحافظ ابن كثير نخبة طيبة من الأحاديث (١٢٥/٦) البداية والنهاية وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٤٣/٦) وقال الحافظ ابن كثير : ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان .

(١٩٣) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣/٢ ـ ٢٠٤) وأحمد في مسنده (٩٠/٥) وأبو بكر بن أبي شيبة (٤٦٤/١١ برقم ١١٧٥١) وعنه أبو داود الطيالسي (٤٥٠ والدارمي (١٢/١) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٤١/١) والترمذي في المناقب (١/٧ تحفة) وقال حسن غريب والبيهقي في الدلائل (١٥٣/٢) وابن حبان (١٣٩/٨)، والديلمي (١٦٤).

أمره وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم ، وهذا قول الربيع بن أنس وابن إسحاق .

وفي كلام الله الذي يسمعونه قولان :

أحدهما : أنها التوراة التي عَلِمَها علماء اليهود .

والثاني : الوحي الذي كانوا يسمعونه كما تسمعه الأنبياء .

وفي قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وجهان :

أحدهما : من بعد ما سمعوه ، وهم يعلمون أنهم يحرفونه .

والثاني : من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون ، ما في تحريفه من العقاب .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود، إذا خلوا مع المنافقين ، قال لهم المنافقون : أتحدثون المسلمين ، بما فتح الله عليكم .

والثاني : أنهم اليهود ، قال بعضهم لبعض : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُم ﴾ وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : بما فتح الله عليكم ، أي مما أذكركم الله به ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثاني : بما أنزل الله عليكم في التوراة ، من نبوة محمد ﷺ وبعثه ، ﴿ لِيُحَآجُّوكم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم ﴾ رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهو قول أبي العالية وقتادة .

والثالث : أنهم أرادوا قول يهود بني قريظة ، حين شبههم النبي ﷺ ، بأنهم إخوة القردة ، فقالوا : من حدثك بهذا ؟ وذلك حين أرسل إليهم ، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[١٩٤] ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أن ناساً من اليهود أسلموا ، ثم نافقوا فكانوا يحدثون المسلمين من

---

(١٩٤) حديث معضل رواه ابن جرير (٢/٢٥٢) برقم (١٣٤٥) ، (١٣٤٦)، (١٣٤٧) عن مجاهد قال : قام النبي ﷺ يوم قريظة . . . الحديث وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/١٩٩) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

العرب ، بما عُـذِّبَ به (آبـاؤهم)، فقال بعضهم لبعض ، أتحـدثونهم بمـا فتح الله عليكم من العذاب ، وهذا قول السدي .

وفي ﴿ فتح الله ﴾ وجهان :

أحدهما : بما علمكم الله .

والثـاني : بما قضـاه الله ، والفتح عنـد العرب القضـاء والحكم ، ومنه قـول الشاعر :

ألا أبلغ بني عُصُم رســولاً　　　بأني عن فِتاحِكُم غنيٌّ(١٩٥)

ويُقَالُ للقاضي : الفتّـاح ، ومنه قـوله تعـالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَح بَيْنَنَا وَبَينَ قَـوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف: ٨٩] .

قوله تعالى : ﴿ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ﴿ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم﴾، فَحُذِفَ ذكرُ الكتاب إيجازاً .

والثاني : ﴿ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْـدَ رَبِّكُم ﴾ فتظهـر له الحُجَّـة عليكم ، فيكونـوا أوْلى بالله منكم ، وهذا قول الحسن .

والثالث : ﴿ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم ﴾ يوم القيامة ، كما قال تعـالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُم تَخْتَصِمُونَ ﴾.[الزمر: ٣١] .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ ﴾ فيه قولان :

أحـدهما : أن الأُمّي : الـذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهـو قول مجـاهـد وأظهـرُ تأويله .

(١٩٥) الأمالي (٢/ ٢٨١) وفيه : بأني عن فتاحتكم غني .

والثاني : أنَّ الأُمّيين : قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ، ولا كتاباً أنزله الله ، وكتبوا كتاباً بأيديهم ، وقال الجهال لقومهم : هذا من عند الله ، وهذا قول ابن عباس .

وفي تسمية الذي لا يكتب بالأمي قولان :

أحدها : أنه مأخوذ من الأمة ، أي على أصل ما عليه الأمّة ، لأنه باق على خلقته من أنه لا يكتب ، ومنه قول الأعشى :

وإنّ معاويةَ الأكرمين حسانُ الوجوه طوال الأمَمْ (*)

والثاني : أنه مأخوذ من الأُم ، وفي أخذه من الأُم تأويلان :

أحدهما : أنه مأخوذ منها ، لأنه على ما ولدته أُمُّهُ من أنه لا يكتب .

والثاني : أنه نُسِبَ إلى أُمِّهِ ، لأن الكتاب في الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب من الرجال إلى أمه ، لجهلها بالكتاب دونه أبيه .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : إلَّا أَمَانِيَّ : يعني : إلا كذباً ، قاله ابن عباس ومجاهد ، قال الشاعر :

ولكنما ذاك الذي كان منكما أمانيّ ما لاقتْ سماء ولا أرضا

والثاني : إلَّا أَمَانِيَّ ، يعني ، أنهم يَتَمَنَّونَ على الله ما ليس لهم ، قاله قتادة .

والثالث : إلَّا أَمَانِيَّ ، يعني [إلا أماني يعني إلا تلاوة من غير فهم قاله الفراء والكسائي ومنه قوله تعالى : ﴿ إلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [سورة الحج] يعني ألقى الشيطانُ في أُمنيّتِهِ، وقال كعب بن مالك :

تمنّى كتاب الله أول ليلهِ وآخرَه لاقي حمام المقادر

والرابع : أنَّ الأَمَانِيَّ : التقدير ، حكاه ابن بحر وأنشد قول الشاعر :

ولا تقولَنْ لشيء سوف أفعله حتى تَبَيَّنَ ما يمني لك الماني

(وإلا) : في هذا الموضع بمعنى (لكن) وهو عندهم من الاستثناء المنقطع

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾[النساء:١٥٧] قال النابغة :

حلفت يميناً غير ذي مثنوية ولا علم إلا حسن ظن بصاحب(١٩٦)

﴿ وَإِنْ هُم إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يكذبون ، قاله مجاهد .

والثاني : يحدثون ، قاله البصريون .

قوله تعالى : ﴿ فَوَيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ﴾ في الويل ستة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه التقبيح ، وهو قول الأصمعي . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال الشاعر :

كسا اللؤم سهما خضرة في جلودها فويل لسهم من سرابيلها الخُضْرِ(*)

والثالث : أنه الحزن ، قاله المفضل .

والرابع : أنه الخزي والهوان .

والخامس : أن الويل وادٍ في جهنم ، وهذا قول أبي سعيد الخدري .

والسادس : أنه جبل في النار ، وهو قول عثمان بن عفان .

﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِم ﴾ أي يغيرون ما في الكتاب من نبوة محمد ﷺ ونعته .

وفي قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِيهِم ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه أراد بذلك تحقيق الإضافة ، وإن كانت الكتابة لا تكون إلا باليد ، كقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ .

والثاني : أن معنى ﴿ بِأَيْدِيهِم ﴾ أي من تلقاء أنفسهم ، قاله ابن السراج(١٩٧) .

---

(١٩٦) ديوان النابغة : (٤٢).

(١٩٧) هو محمد بن أحمد بن بصخان بن عين الدولة بدر الدين بن السراج الدمشقي تصدى لإقراء=

وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ تأويلان :

أحدهما : ليأخذوا به عرض الدنيا ، لأنه قليل المدة ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ وهذا قول أبي العالية .

والثاني : أنه قليل لأنه حرام .

﴿ وَوَيلٌ لَّهُم مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من تحريف كتبهم .

والثاني : من أيام معاصيهم .

وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً ﴾ والفرق بين اللمس والمس ، أن مع اللمس إحساساً .

وفي الأيام المعدودة قولان :

أحدهما : أنها أربعون يوماً ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، وعكرمة ، وأبي العالية ، ورواه الضحاك عن ابن عباس ، ومن قال بهذا اختلفوا في تقديرهم لها بالأربعين :

فقال بعضهم : لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : أن اليهود يزعمون أنهم ، وجدوا في التوراة مكتوباً ، أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم ، فإذا انقطع المسير انقضى العذاب ، وهلكت النار ، وهذا قول من قدر «المعدودة» بالأربعين .

والقول الثاني : أن المعدودة التي تمسهم فيها النار سبعة أيام ، لأنهم

= القراءات والنحو وظهرت فضائله وبهرت معارفه . أنظر : ـ
البداية والنهاية (١٤/ ٢٠٨) ، الدرر الكامنة (٣/ ٣٩٨) ، الوافي بالوفيات (٢/ ١٥٩) .

زعموا ، أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأنهم يُعَذَّبون عن كل ألف سنة يوماً ، وهذا قول مجاهد ، ورواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . أما (بلىٰ) ، فجواب النفي ، وأما (نعم) فجواب الإيجاب ، قال الفراء : إذا قال الرجل لصاحبه : ما لك عَليَّ شيء ، فقال الآخر : نعم ، كان ذلك تصديقاً أن لا شيء عليه ، ولو قال بَلَىٰ : كان رداً لقوله ، وتقديره : بَلَىٰ لِيَ عليك .

وقوله : ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ اختلفوا في السيئة ها هنا ، على قولين :

أحدهما : أنها الشرك ، وهذا قول مجاهد(١٩٨) .

والثاني : أنها الذنوب التي وعد الله تعالى عليها النار ، وهذا قول السدي .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه مات عليها ، وهذا قول ابن جبير .

والثاني : أنها سَدَّتْ عليه المسالك ، وهذا قول ابن السراج .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١٩٨) ولمجاهد قول آخر وهو الذنوب التي تحيط بالقلب ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنه وقال : « وقول مجاهد صحيح كما في الحديث الصحيح » : إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء . . . الخ . . . لكن تفسير السيئة بالشرك هو الأظهر لأنه سبحانه غاير بين المكسوب والمحيط فلو كان واحداً لم يغاير والمشرك له خطاياً غير الشرك أحاطت به لأنه لم يتب منها » ثم شرع شيخ الإسلام في تأييد قوله الذي استظهره .

راجعه في الدقائق (١/ ٢٠١) .

وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ ﴾ يعني في التوراة بمجيء محمد ﷺ . ويقال الميثاق الأول (حين أُخرجوا) من صلب آدم .

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ فمن قرأ حَسَناً(١٩٩) ، يعني قولاً صدقاً في بعث محمد ﷺ ، وبالرفع ، أي قولوا لجميع الناس حسناً ، يعني خالقوا الناس بِخُلُقٍ حسن .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ أما النفس فمأخوذة من النفاسة ، وهي الجلالة ، فنفس الإنسان أنفس ما فيه ، وأما الديار فالمنزل ، الذي فيه أبنية المقام ، بخلاف منزل الارتحال ، وقال الخليل : كل موضع حَلَّهُ قوم ، فهو دار لهم ، وإن لم يكن فيه أبنية .

فإن قيل : فهل يسفك أحد دمه ، ويخرج نفسه من داره ؟ ففيه قولان :

---

(١٩٩) وهي قراءة حمزة والكسائي بالفتح والتثقيل [حسناً].
السبعة في القراءات لابن مجاهد (١٦٣).

أحدهما : معناه لا يقتل بعضكم بعضاً ، ولا يخرجه من داره ، وهذا قول قتادة ، وأبي العالية .

والثاني : أنه القصاص الذي يقتص منهم بمن قتلوه .

وفيه قول ثالث : أن قوله « أنفسكم » أي إخوانكم فهو كنفس واحدة .

قوله تعالى : ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ﴾ يعني تتعاونون ، والإثم هو الفعل الذي يستحق عليه الذم ، وفي العدوان قولان :

أحدهما : أنه مجاوزة الحق .

والثاني : أنه في الإفراط في الظلم .

﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُم ﴾ وقرأ حمزة ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ . وفي الفرق بين أَسْرَىٰ وأُسَارَىٰ قولان :

أحدهما : أن أَسْرَىٰ جمع أسير ، وأُسَارَىٰ جمع أَسْرَىٰ .

والثاني : أن الأَسْرَىٰ الذين في اليد وإنْ لم يكونوا في وَثَاق ، وهذا قول أبي عمرو[٢٠٠] بن العلاء ، والأُسَارَىٰ : الذين في وَثَاق .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَابَ ﴾ يعني التوراة .

﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ ﴾ وَالتَّقْفِيَةُ : الإتْبَاع ، ومعناه : وأَتْبَعْنَا ، يقال اسْتَقْفَيْتُهُ إذَا جئت من خلفه ، وسميت قافية الشعر قافية لأنها خلفه .

﴿ وَءَاتينا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل :

(٢٠٠) هو زبان أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان على الأصح . المقرىء، النحوي . توفي سنة أربع وخمسين ومئة . أنظر : ـ
التاريخ الكبير (٩/٥٥)، سير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧)، البداية والنهاية (١٠/١١٣).

أحدها : أن البينات الحجج .

والثاني : أنها الإنجيل .

والثالث : وهو قول ابن عباس ، أن البينات التي أوتيها عيسى إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأَسْقَام .

﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن روح القدس الاسم الذي يحيي به عيسى الموتى ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه الإنجيل ، سماه روحاً ، كما سمى الله القرآن روحاً في قوله تعالى : ﴿وَكَذٰلِكَ أَوحَينَا إِلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ .

والثالث : وهو الأظهر ، أنه جبريل عليه السلام ، وهذا قول الحسن وقتادة ، والربيع ، والسدي ، والضحاك .

واختلفوا في تسمية جبريل بروح القدس ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سُمِّيَ رُوحاً ، لأَنَّه بمنزلة الأرواح للأبدان ، يحيي بما يأتي به من البينات من الله عز وجل .

والثاني : أنه سمي روحاً ، لأن الغالب على جسمه الروحانية ، لرقته ، وكذلك سائر الملائكة ، وإنما يختص به جبريل تشريفاً .

والثالث : أنه سمي روحاً ، لأنه كان بتكوين الله تعالى له روحاً من عنده من غير ولادة .

والقُدُس فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو الله تعالى ، ولذلك سُمِّي عيسى عليه السلام روح القدس ، لأن الله تعالى كوَّنه من غير أب ، وهذا قول الحسن والربيع وابن زيد . قال ابن زيد : القدس والقدوس واحد .

والثاني : هو الطهر ، كأنه دل به على التطهر من الذنوب .

والثالث : أن القدس البركة ، وهو قول السدي .

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ : قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ فيه تأويلات :

أحدهما : يعني في أَغْطِيَةٍ وَأَكِنَّةٍ لا تفقه ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، والسدي .

والثاني : يعني أوعية للعلم ، وهذا قول عطية ، ورواية الضحاك عن ابن عباس .

﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ وَاللَّعن : الطرد والإبعاد ، ومنه قول الشماخ :

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه مقام الذئب ـ كالرجل ـ اللعين[٢٠١]

ووجه الكلام : مقام الذئب اللعين كالرجل .

في قوله تعالى : ﴿ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه فقليل منهم من يؤمن ، وهذا قول قتادة ، لأن مَن آمن من أهل الشرك أكثر ممن آمن مِنْ أهل الكتاب .

والثاني : معناه فلا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ، وهو مروي عن قتادة . ومعنى ﴿ مَا ﴾ هنا الصلة للتوكيد كما قال مهلهل :

لو بأبانين جاء يخطبها خُضِّب ما أنف خاضب بدم[٢٠٢]

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

(٢٠١) ديوانه (٩٢)، مجاز القرآن (٤٦١) وفيهما مقام الذئب . . . ونقله الطبري (٣٢٨/٢) وفيه مكان الذئب .

(٢٠٢) الكامل (٦/٢)، شرح شواهد المغني (٢٤٧)، معجم ما استعجم (٩٦).

أحدهما : مصدق لما في التوراة والإنجيل من الأخبار التي فيهما .

والثاني : مصدق بأن التوراة والإنجيل من عند الله عز وجل .

﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني يستنصرون ، قال ابن عباس : إن اليهود كانوا يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور : أو ما كنتم تخبروننا أنه مبعوث ؟ فقال سلام بن مشكم : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم(٢٠٣)، فأنزل الله تعالى ذلك .

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ اشتروا بمعنى باعوا .

﴿ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً ﴾ يعني حسداً ، هكذا قال قتادة والسدي ، وأبو العالية ، وهم اليهود . والبغي شدة الطلب للتطاول ، وأصله الطلب ، ولذلك سميت الزانية بَغِياً ، لأنها تطلب الزنىٰ .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الغضب الأول لكفرهم بعيسى ، والغضب الثاني لكفرهم بمحمد ﷺ ، وهذا قول الحسن ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة ، وأبي العالية .

والثاني : أنه ما تقدم من كفرهم في قولهم عُزير ابن الله ، وقولهم يد الله مغلولة ، وتبديلهم كتاب الله ، ثم كفرهم بمحمد .

---

(٢٠٣) رواه ابن جرير (٢/٣٣٣) وابن اسحاق في السيرة (٣/١٩٦)، أبو نعيم في الدلائل (١/١٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (١/١١٧) لابن أبي حاتم وابن المنذر .
وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت . قال الذهبي في الميزان : لا يُعرف وترجم له البخاري في التاريخ الكبير (١/١/٢٢٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في الثقات .

والثالث : أنه لما كان الغضب لازماً لهم كان ذلك توكيداً .

﴿وَلِلْكَـافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ المهين : المذل . والعذاب على ضربين :

فالمهين منها عذاب الكافرين لأنه لا يمحص عنهم ذنوبهم .

والثاني : غير مهين وهو ما كان فيه تمحيص عن صاحبه ، كقطع يد السارق من المسلمين ، وحد الزاني .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : ءَامِنُوا۟ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ يعني القرآن .

﴿ قَالُوا۟ : نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ يعني التوراة .

﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ ﴾ يعني بما بعده .

﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ يعني القرآن .

﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعني التوراة ، لأن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضاً .

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ معناه فلم قتلتم ، فعبر عن الفعل الماضي بالمستقبل ، وهذا يجوز ، فيما كان بمنزلة الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ الشَّيَاطِينُ ﴾ أي ما تلت ، وقال الشاعر :

وإني لآتيكم بشكر ما مضى   من الأمر واستحباب ما كان في غد(٢٠٤)

يعني ما يكون في غد ، وقيل معناه : فلم ترضون بقتل أنبياء الله ، إن كنتم مؤمنين ؟

(٢٠٤) ديوانه (١٤٦)، حماسة البحتري (١٠٩) واللسان مادة كون وفيه [واستجاز ما كان] وقد نقله الطبري (٣٥١/٢) وفيه [واستيجاب ما كان في نمر].
وقد صوب البيت الشيخ أحمد شاكر فانظره في الطبري (٣٥١/٢).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣)﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ يعني بجد واجتهاد .

﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فاعملوا بما سمعتم .

الثاني : أي اقبلوا ما سمعتم ، كما قيل سمع الله لمن حمده ، أي قبل الله حمده ، وقال الراجز :

السمعُ والطاعة والتسليم خير وأعفى لبني تميم(٢٠٥)

﴿ قَالُوا : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنهم قالوا ذلك حقيقة ، ومعناه سمعنا قولك وعصينا أمرك .

والثاني : أنهم لم يقولوه ولكن فعلوا ما دل عليه ، فقام الفعل منهم مقام القول كما قال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قَطْني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن موسى برد العجل وذرّاه في الماء ، فكان لا يشربه أحد يحب العجل إلا ظهرت نخالة الذهب على شفتيه ، وهذا قول السدي ، وابن جريج .

والثاني : أنهم أُشربوا حب العجل في قلوبهم ، يقال أُشرِبَ قلبه حبَّ كذا ، قال زهير :

فصحوتُ عنها بعد حبٍّ داخل والحبُّ تُشربه فؤادَك : داءُ(٢٠٦)

---

(٢٠٥) أنظر تاريخ الطبري (٦/١٦٨) وهذا البيت لرجل من حنبة من بني ضرار يدعى جبير بن الضحاك .

(٢٠٦) ديوان زهير (٣٣٩) .

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا
الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن
يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ : إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعني اليهود تزعم أن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، وفيه قولان : ـ

أحدهما : من دون الناس كلهم .

والثاني : من دون محمد وأصحابه الذين آمنوا به ، وهذا قول ابن عباس .

فقيل : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لأنه من اعتقد أنه من أهل الجنة ، كان الموت أحب إليه من الحياة ، لما يصير إليه من نعم الجنة ، ويزول عنه من أذى الدنيا ، ويروىٰ عن النبي ﷺ أنه قال : « **لَو أَنَّ اليَهُودَ تَمَنَّوُا المَوتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَامَهُم مِنَ النَّارِ** »(٢٠٧) .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ تحقيقاً لكذبهم ، وفي تركهم إظهار التمني قولان :

أحدهما : أنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، كما قاله النبي ﷺ ، فلذلك لم يتمنوه وهذا قول ابن عباس .

(٢٠٧) رواه أحمد (١٤٨/١)، ابن جرير (٣٦٢/٢) وصححه الشيخ أحمد شاكر ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٠/١) إلى الشيخين الترمذي والنسائي وابن مردويه وأبي نعيم وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٨/٨) رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وقال الشيخ شاكر معقباً ورجال أحمد في الإسناد (٢٢٢٦) رجال الصحيح أيضاً . تخريج الطبري (٣٦٣/١) قلت ورواه البزار ضمن حديث كما في كشف الأستار (٤٠/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٣١٤/٦) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

الثاني : أن الله صرفهم عن إظهار التمني ، ليجعل ذلك آية لنبيه ﷺ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ يعني اليهود .

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ يعني المجوس ، لأن المجوس هم الذين ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، كان قد بلغ من حبهم في الحياة أن جعلوا تحيتهم (عش ألف سنة) حرصاً على الحياة ، فهؤلاء الذين يقولون : أن لهم الجنة خالصة أحب في الحياة من جميع الناس ومن هؤلاء . ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ أي بمباعده من العذاب ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ لأنه لو عمّر ما تمنى ، لما دفعه طول العمر من عذاب الله على معاصيه .

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وسبب نزول هذه الآية ، أن ابن صوريا(٢٠٨) وجملة من يهود (فدك) ، لما قدم النبي ﷺ المدينة سألوه ، فقالوا : يا محمد كيف نومك ؟ فإنه قد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان ، فقال : « **تَنَامُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي يَقْظَانُ** » قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة ؟ فقال : « **أَمَّا العِظَامُ وَالعَصَبُ وَالعُرُوقُ فَمِنَ الرَّجُلِ ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالظُّفْرُ وَالشَّعْرُ فَمِنَ المَرْأَةِ** » ، قالوا : صدقت يا محمد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ، ليس فيه من شبه أخواله شيء ، أو يشبه أخواله ، ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال : « **أيهما علا ماؤه كان الشبه له** » ، قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأنزل الله

---

(٢٠٨) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص ٩ .

ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي فقالوا : روى ابن عباس أن حبراً من أحبار اليهود من فدك يقال له عبد الله بن صوريا فذكره . ولم أقف له على سند ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه ا هـ .

أقول : إن كان من هذا الطريق فهو ضعيف جداً من أجل الكلبي فهو متروك الحديث . على أن بعض فقرات هذا الحديث وردت في أحاديث صحيحة منها في الصحيحين ومسند أحمد وغيرهما .

تعالى: قال ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص الآية: ١] إلى آخر السورة، قال له ابن صوريا: خصلة إن قلتها آمنتُ بك واتبعتُك، أي ملك يأتيك بما يقول الله؟ قال: «جبريل»، قال: ذاك عدونا، ينزل بالقتال والشدة والحرب، وميكائيل ينزل بالبشر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك، فقال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ذلك: فإني أشهد أن من كان عدوّاً لجبريل، فإنه عدو لميكائيل، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأما جبريل وميكائيل فهما اسمان، أحدهما عبدالله والآخر عبيد الله، لأن إيل هو الله وجبر هو عبد، وميكا هو عبيد، فكان جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وهذا قول ابن عباس، وليس له من المفسرين مخالف.

فإن قيل: فلم قال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلِمَ خصهما بالذكر؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهما خُصَّا بالذكر تشريفاً لهما وتمييزاً.

والثاني: أن اليهود لما قالوا جبريل عدوُّنا، وميكائيل ولينا، خُصَّا بالذكر، لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء الله وملائكته، لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة، فنص عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص، ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾، ولم يقل لهم، لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا
عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ
ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ

بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ اختلف أهل التفسير في سبب ذلك ، على قولين :

أحدهما : أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويستخرجون السحر ، فَأَطْلَعَ الله سليمان بن داود عليه ، فاستخرجه من أيديهم ، ودفنه تحت كرسيه ، فلم تكن الجن تقدر على أن تدنو من الكرسي ، فقالت الإنس بعد موت سليمان : إن العلم الذي كان سليمان يُسَخِّر به الشياطين والرياح هو تحت كرسيه ، فاستخرجوه وقالوا : كان ساحراً ولم يكن نبياً ، فتعلموه وعلّموه ، فأنزل الله تعالى براءة سليمان بهذه الآية .

والثاني : أن « آصف بن برخيا » وهو كاتب سليمان وَاطَأَ نَفَراً من الشياطين على كتاب كتبوه سحراً ودفنوه تحت كرسي سليمان ، ثم استخرجوه بعد موته وقالوا هذا سحر سليمان ، فبرأه الله تعالى من قولهم ، فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ، وهم ما نسبوه إلى الكفر ، ولكنهم نسبوه إلى السحر ، لكن لما كان السحر كفراً صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر .

قال تعالى : ﴿وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم كفروا بما نسبوه إلى سليمان من السحر .

والثاني : أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر .

﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ألقوه في قلوبهم فتعلموه .

والثاني : أنهم دلوهم على إخراجه من تحت الكرسي فتعلموه .

﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ وفي ﴿ مَا ﴾ ها هنا وجهان :

أحدهما : بمعنى الذي ، وتقديره الذي أنزل على الملكين .

والثاني : أنها بمعنى النفي ، وتقديره(٢٠٩) : ولم ينزل على الملكين .

وفي الملكين قراءتان : إحداهما : بكسر اللام ، كانا من ملوك بابل وعلوجها هاروت وماروت ، وهذا قول أبي الأسود الدؤلي ، والقراءة الثانية : بفتح اللام من الملائكة(٢١٠).

وفيه قولان :

أحدهما : أن سحرة اليهود زعموا ، أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، وهما رجلان ببابل .

والثاني : أن هاروت وماروت مَلَكان(٢١١)، أَهْبَطَهُما الله عز وجل إلى

(٢٠٩) وهذا الوجه ليس بشيء قال ابن الأنباري : وهذا الوجه ضعيف جداً لأنه خلاف الظاهر والمعنى فكان غيره أولى . أنظر : البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري (١/ ١١٤).

(٢١٠) وردت هذه القراءة عن الضحاك بن مزاحم رواها عنه ابن أبي حاتم بسنده إليه كما أفاده ابن كثير (١٣٧/١).

(٢١١) هذه القصة اختلف في صحتها كثير من أهل العلم فبعضهم حكم عليها بأنها من الاسرائيليات وأنها لا تصح بل باطلة كإبن جزم والقاضي عياض والحافظ العراقي وابن كثير والشيخ الألباني وأحمد شاكر والشيخ عبد الله الصديق الغماري وبعضهم حسنها كالحافظ ابن حجر بل أفرد لها جزءاً وادعى بعضهم تواتر القصة كالمحدث الكتاني كما في النظم المتناثر والحق ، أن هذه القصة من قبيل الإسرائيليات التي تلقاها بعض الرواة عن أهل الكتاب وقد استفاض محدث العالم العربي ومصر أحمد شاكر في بطلانها بما لا تجده في كتاب فانظره عند حديث رقم (٦١٧٨) في المسند وللمزيد راجع التفسير الصحيح لهذه الآيات في التعليق على زاد المسير (١٢٣/١) لابن الجوزي وقد نقل الإمام القرطبي خبر هذه القصة ثم عقب على القصة بقوله : « هذا كله ضعيف وبعيد لا يصح منه شيء » وقال إن الملائكة عباد مكرمون وإن الكواكب خلقت قبل الإنسان وكوكب الزهرة منها (٥٢/٢).

الأرض ، وسبب ذلك ، أن الله تعالى لما أطلع الملائكة على معاصي بني آدم ، عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أَنْعُمِهِ عليهم ، فقال الله تعالى لهم : أما أنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم ، فقالوا : سبحانك ما ينبغي لنا ، فأمرهم الله أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض ، فاختاروا هاروت وماروت فأُهْبِطَا إلى الأرض ، وأحل لهما كل شيء ، على ألا يُشْرِكا بالله شيئاً ، ولا يسرقا ، ولا يزنيا ، ولا يشربا الخمر ، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فعرضت لهما امرأة ـ وكان يحكمان بين الناس ـ تُخَاصِمُ زوجها واسمها بالعربية : الزهرة ، وبالفارسية : فندرخت ، فوقعت في أنفسهما ، فطلباها ، فامتنعت عليهما إلا أن يعبدا صنماً ويشربا الخمر ، فشربا الخمر ، وعبدا الصنم ، وواقعاها، وقتلا سابلاً مر بهما خافا أن يشهر أمرهما ، وعلّماها الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج إلى السماء ، فتكلمت وعرجت ، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت فمسخت كوكبا ، قال : كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه ، حتى استكملا جميع ما نهيا عنه ، فتعجب الملائكة من ذلك . ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء ، فكانا يعلّمان السحر .

وذكر عن الربيع أن نزولهما كان في زمان (إدريس) .

وأما السحر فقد اختلف الناس في معناه :

فقال قوم : يقدر الساحر أن يقلب الأعيان بسحره ، فيحول الإنسان حماراً ، وينشىء أعياناً وأجساماً .

وقال آخرون : السحر خِدَع وَمَعَانٍ يفعلها الساحر ، فيخيل إليه أنه بخلاف ما هو ، كالذي يرى السراب من بعيد[٢١٢]، فيخيل إليه أنه ماء ، وكواكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً ، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرة معه .

---

(٢١٢) ومن المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن السحر له حقيقة لا كما ذهب إلى إنكار حقيقته المعتزلة قديماً ومن سار على دربهم حديثاً فظنوه مجرد خيالات وأوهام وإذا لم يكن للسحر حقيقة ولا تأثير فلماذا ذكر الله تعالى في كتابه الاستعاذة منه في قوله تعالى : ﴿ من شر النفاثات في العقد ﴾ ولماذا ذكر الله تعالى في سورة البقرة أن السحرة بسحرهم يفرقون بين المرء وزوجه فهل ما ذكره الله تعالى في هاتين الآيتين إلا دليل على أن للسحر تأثير وحقيقة وهذا لا يخفى على من أعطي حظاً من نظر وسلامة فطرة.

وقد روى هشام(٢١٣) بن عروة(٢١٤) عن أبيه عن عائشة(٢١٥) رضي الله عنها قالت : سَحَرَ رسولَ الله ﷺ يهوديٌ من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله(٢١٦) .

قالوا : ولو كان في وسع الساحر إنشاء الأجسام وقلب الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الباطل والحق فصل ، ولجاز أن يكون جميع الأجسام مما سحرته السحرة ، فقلبت أعيانها ، وقد وصف الله تعالى سحرة فرعون ﴿ . . . فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ .

وقال آخرون : ـ وهو قول الشافعي ـ إن الساحر قد يوسوس بسحره فيمرض وربما قتل ، لأن التخيل بدء الوسوسة ، والوسوسة بدء المرض ، والمرض بدء التلف .

فأما أرض ﴿ ببابل ﴾ ففيها ثلاثة أقاويل :

---

(٢١٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، أبو المنذر . الإمام الثقة سمع من أبيه وطائفة من كبار التابعين . أنظر : ـ
تاريخ البخاري (١٩٣/٤)، العبر (٢٠٦/١) ، مرآة الجنان (٣٠٢/١).

(٢١٤) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، أبو عبد الله. أحد الفقهاء السبعة تابعي ، ثقة . توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (١٧٨/٥) تاريخ البخاري (٣١/٧). البداية والنهاية (١٠١/٩)، تاريخ ابن عساكر (٢٨٠/١١ ب).

(٢١٥) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة . أفقه نساء الأمة على الإطلاق توفيت رضي الله عنها سنة سبع وخمسين وقيل غير ذلك . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٥٨/٨)، حلية الأولياء (٤٢/٢)، أسد الغابة (١٨٨/٧). البداية والنهاية (٩١/٨).

(٢١٦) رواه البخاري (١٩٢/١٠ ـ ١٩٧)، مسلم (١٨٠/٢)، أحمد (٦٣/٦ ، ٦٩ ، ٥٧). ابن ماجة (٤٥ ، ٣٥)، ابن جرير الطبري (٤٣٧/٢) وابن سعد (٤/٢/٢) كلهم من طريق هشام عن عائشة رضي الله عنها وقد تعرض هذا الحديث لهجوم شديد من معتزلة العصر الذين ينكرون الأحاديث الصحيحة ويدعون أنها لا تتفق مع عقولهم فبعضهم قابل الحديث بالانكار وبعضهم طعن في إسناده كصاحب المنار وبعضهم حط على الشيخين بما لا يليق بجلالتيهما والحق الذي لا ريب فيه أن الحديث لا مجال للطعن فيه راجع ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٩٢/١٠) والقاضي عياض في الشفا (١٩٠/٢ ـ ١٩٣) وقد جمعنا رسالة في جمع طرق الحديث والكلام عليه سنداً ومتناً ورددنا فيها على شبهات المشار إليهم نسأل الله تعالى إتمامها وطبعها .

أحدها : أنها الكوفة وسوادها ، وسميت بذلك حيث تبلبلت الألسن بها وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : أنها من نصيبين إلى رأس عين ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنها جبل نهاوند . وهي [فطر](*) من الأرض(**) .

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا : إِنَّمَا نَحنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر ﴾ بما تتعلمه من سحرنا .

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ في المراد بقوله « منهما » ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني من هاروت وماروت .

والثاني : من السحر والكفر .

والثالث : من الشيطان والملكين ، فيتعلمون من الشياطين السحر ، ومن الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه .

﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يعني السحر .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني بأمر الله .

والثاني : بعلم الله .

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يعني ما يضرهم في الآخرة ، ولا ينفعهم في الدنيا .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ يعني السحر الذي يفرقون به بين المرء وزوجه .

﴿ مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن الخلاق النصيب ، وهو قول مجاهد والسدي .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

(* *) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني .

والثاني : أن الخلاق الجهة ، وهو قول قتادة .

والثالث : أن الخلاق الدين ، وهو قول الحسن .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني ولبئس ما باعوا به أنفسهم من السحر والكفر في تعليمه وفعله .

والثاني : من إضافتهم السحر إلى سليمان ، وتحريضهم على الكذب .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تقولوا . . . وهو قول عطاء .

والثاني : يعني ارعنا سمعك ، أي اسمع منا ونسمع منك ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .

وآختلفوا لِمَ نُهِي المسلمون عن ذلك ؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كلمة كانت اليهود تقولها لرسول الله ﷺ على وجه الاستهزاء والسب؛ كما قالوا سمعنا وعصينا، واسمع غير مسمع ، وراعنا ليّاً بألسنتهم ، فَنُهِيَ المسلمون عن قولها ، وهذا قول ابن عباس وقتادة .

والثاني : أن القائل لها ، كان رجلاً من اليهود دون غيره ، يقال له رفاعة بن زيد ، فَنُهِيَ المسلمون عن ذلك ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنها كلمة ، كانت الأنصار في الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله في الإسلام عنها .

﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه أَفْهِمْنَا وبين لنا ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : معناه أَمْهِلْنا .

والثالث : معناه أَقْبِلْ علينا وانظر إلينا .

﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ يعني ما تؤمرون به .

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ في (معنى) نسخها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه قبضها ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه تبديلها ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنه إثبات خطها وتبديل حكمها ، وهو قول ابن مسعود .

﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ فيه قراءتان :

أحدهما : هذه ، والثانية(٢١٧) : ﴿ أو ننسأها ﴾ .

فمن قرأ : ﴿ أو ننسها ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : أنه بمعنى أو نمسكها ، وقد ذكر أنها كانت في مصحف عبد الله ابن مسعود : ﴿ ما نُمْسِكُ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا نَجِيءُ بِخَيرٍ مِنْهَا أَو مِثْلِهَا ﴾ وذلك أن النبي ﷺ ، كان يقرأ الآية ، ثم يَنْسَى وَتُرْفَعُ ، وكان سعد(٢١٨) بن أبي وقاص

(٢١٧) وهي قراءة بفتح النون مع الهمزة لابن كثير وأبي عمر . [السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٦٨].

(٢١٨) هو سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة . أبو إسحاق أحد العشرة وأحد من شهد بدراً والحديبية ، روى جملة صالحة من الحديث وله في الصحيحين خمسة عشر حديثاً . توفي رضي الله عنه سنة خمس وخمسين . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٩٧/١/٣)، حلية الأولياء (٩٢/١)، الاستيعاب (١٧٠/٤).
تاريخ ابن عساكر (٢/١٦/٧)، تاريخ بغداد (١٤٤/١).

يقرأ : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أو نَنسَهَا ﴾، بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ ، فيكون تقديره أو تنسى أنت يا محمد ، وقال القاسم بن ربيعة لسعد بن أبي وقاص : فإن سعيد بن المسيب يقرأ : ﴿ أو ننسها ﴾ ، فقال سعد : إن القرآن لم ينزل على ابن المسيب ، ولا على آل المسيب[٢١٩] قال الله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى : ٦] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف : ٢٤] وهذا معنى قول مجاهد وقتادة .

والثاني : أن ذلك بمعنى الترك ، من قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم ﴾، أي تركوه فتركهم ، فيكون تقدير الكلام : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ يعني نرفعُها ونبدِّلُها ، ﴿ أو نُنْسِهَا ﴾ أي نتركها ولا نبدلها ولا ننسخها ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثالث : أن قوله ما ننسخ من آية أو ننسها قال : الناسخ والمنسوخ ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أن معنى ننسها أي نَمْحُها ، وهذا قول ابن زيد .

وأما من قرأ : ﴿ أو نَنْسَأْهَا ﴾ فمعناه نؤخرها ، من قولهم نَسَأْتُ هذا الأمر ، إذا أخرته ، ومن ذلك قولهم : بعت بنسَاءٍ أي بتأخير ، وهذا قول عطاء وابن أبي نجيح .

﴿ نَأْتِ بِخَيرٍ مِّنْهآ أو مِثْلِهَآ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي خير لكم في المنفعة ، وأرفق بكم ، وهذا قول ابن عباس :

والثاني : أن معنى خير منها ، أي أخف منها ، بالترخيص فيها ، وهذا معنى قول قتادة . فيكون تأويل الآية ، ما نغير من حكم آية فنبدله ، أو نتركه فلا نبدله ، نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكماً منها ، إما بالتخفيف في العاجل ، كالذي كان من نسخ قيام الليل تخفيفاً ، وإما بالنفع بكثرة الثواب في الآجل ، كالذي كان من نسخ صيام أيام معدودات بشهر رمضان .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَ مِثْلِهَا ﴾ يعني مثل حكمها ، في الخفة والثقل والثواب والأجر ، كالذي كان من نسخ استقبال بيت المقدس ، باستقبال الكعبة ، وذلك

(٢١٩) قال الحافظ في الفتح أخرجه النسائي وصححه الحاكم (٨/١٦٧ فتح).

مثله في المشقة والثواب ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ ﴾ فإن قيل: أو كان النبي ﷺ غير عالم بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله له ملك السموات والأرض ؟ قِيل: عن هذا ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن قوله ألم تعلم بمعنى أعلمت .

والثاني : أنه خارج مخرج التقرير، لا مخرج الاستفهام . كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَم أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] خرج مخرج التقرير لا مخرج الاستفهام.

والثالث : أن هذا الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته، ألا تراه قال بعد ذلك : ﴿ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ .

أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يرُدُّونَكم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾ سبب نزولها، ما رُوِيَ أن نفراً من اليهود، منهم فنحاص، وزيد بن قيس، دعوا حذيفة(٢٢٠) وعمار(٢٢١) إلى دينهما، وقالوا نحن أهدى منكم سبيلاً ،

(٢٢٠) هو حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي اليماني . أبو عبد الله . من نجباء الصحابة وهو صاحب . له في الصحيحين إثنا عشر حديثاً، شهد هو وابنه أحداً . واستشهد أبوه خطأ في غزوة أحد . مات حذيفة بالمدائن بعد عثمان . أنظر : ـ
طبقات ابن سعد (٦/٧٢١٥/٣١٧)، أسد الغابة (١/٤٦٨)، حلية الأولياء (١/٢٧٠).

(٢٢١) هو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة . أبو اليقظان صحابي جليل وردت في فضله الأخبار المروية =

فقال لهم عمار : وكيف نقض العهد عندكم ؟ قالوا : شديد ، قال عمار : فإني عاهدت ربي ألا أكفر بمحمد أبداً ، ولا أتبع ديناً غير دينه ، فقالت اليهود : أما عمار فقد صبأ وضل عن سواء السبيل ، فكيف أنت يا حذيفة ؟ فقال حذيفة : الله ربي ، ومحمد نبيي ، والقرآن إمامي ، أطيع ربي ، وأقتدي برسولي ، وأعمل بكتاب ربي . فقالا : وإلهِ موسى ، لقد أُشْرِبَتْ قلوبُكُما حبَّ محمد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَق ﴾ يعني من بعد ما تبين لليهود ، أن محمداً نبي صادق ، وأن الاسلام دين حق .

﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ يعني بقوله فاعفوا ، أي اتركوا اليهود ، واصفحوا عن قولهم ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ يعني ما أذِنَ بهِ في (بني قريظة) ، من القتل والسبي ، وفي (بني النضير) من الجلاء والنفي .

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ أما المساجد فهي مواضع العبادات ، وفي المراد بها هنا قولان :

أحدهما : ما نسب إلى التعبد من بيوت الله تعالى استعمالاً لحقيقة الاسم .

= والأحاديث المرفوعة رضي الله عنه عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة وقتل عمار في معركة صفين . أنظر : ـ

طبقات ابن سعد (١٧٦/١/٣) ، حلية الأولياء (١٣٩/١) ، أسد الغابة (١٢٩/٤) الإصابة (٦٤/٧) .

والثاني : أنَّ كُلَّ موضع من الأرض ، أقيمت فيه عبادة من بيوت الله وغيرها مسجد ، لقول النبي ﷺ : « **جُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِداً** »(٢٢٢) .

وفي المانع مساجدَ الله أن يُذْكَرَ فيها اسمه ، أربعة أقاويل :

أحدها : أنه بُخْتَ نصر وأصحابه من المجوس الذين خربوا بيت المقدس ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم النصارى الذين أعانوا (بُخْتَ نَصّر) على خرابه ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنهم مشركو قريش ، منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام عام الحديبية ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : أنه عَامٌّ في كل مشرك ، منع من كل مسجد .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا** ﴾ تأويلان :

أحدهما : بالمنع من ذكر الله فيها .

والثاني : بهدمها .

﴿ **أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : خائفين بأداء الجزية ، وهذا قول السدي .

والثاني : خائفين من الرعب ، إن قُدر عليهم عوقبوا ، وهذا قول قتادة .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿ **لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ** ﴾ فيه تأويلان :

---

(٢٢٢) حديث ورد عن عدد من الصحابة منهم جابر بن عبد الله وأبو هريرة وحذيفة وأبو ذر وغيرهم وتقتصر في التخريج على رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

رواها مسلم (٦٤/٢) وأبو عوانة (٣٩٥/١) والترمذي (٢٩٣/١) وأحمد (٤١٢/٢) وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

أحدهما : أنه قتل الحربي وجزية الذمي .

والثاني : أنه فتح مدائنهم عمورية ، وقسطنطينيـة ، ورومية ، وهـذا قول ابن عباس .

﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هو أشد من كل عـذاب ، لأنهم أظلم من كل ظالم .

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَمَـا تُوَلُّـواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويلها ، وسبب نزولها ، على سبعة أقاويل :

أحدها : أن سبب ذلك ، أن النبي ﷺ ، كان يستقبـل بصلاتـه بيتِ المقدس بعد هجرته ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهـراً ، حتى قالت اليهـود : إن محمداً وأصحابه ، ما دروا أين قبلتهم حتى هديناهم ، فأمرهم الله تعالى باستقبال الكعبة ، فتكلمت اليهود ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن هذه الآيـة نزلت قبـل أن يفرض استقبـال القبلة ، فأبـاح لهم أن يتوجهوا بصلاتهم حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ، وهذا قـول قتادة وابن زيد .

والثالث : أنها نزلت في صلاة التـطوع للسائـر حيث توجـه ، وللخائف حيث تمكن من مشـرق أو مغرب ، وهـذا قول ابن عمـر ، روى سعيد بن جبيـر عنـه أنـه قال : لما نزلت هذه الآيـة ﴿ فَأَينَمَـا تُولُّـوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ أن تصلي أينمـا توجهت بك راحلتك في السفـر تطوعـاً ، كان رسـول الله ﷺ إذا رجع من مكـة يصلي على راحلته تطوعاً ، يومىء برأسه نحو المدينة(٢٢٣) .

والرابع : أنها نزلت ، فيمن خفيت عليهم القبلة ، ولم يعرفوا جهتها ، فَصَلُّوا إلى جهات مختلفة .

---

(٢٢٣) رواه مسلم (١/١٩٥) وأحمـد (٤٧١٤) والبيهقي في السـنن الـكبـرى (٢/٤) والـطبـري (٢/٥٠٣) برقم (١٨٤٠).

روى عـاصم بن عبد الله ، عن عبـد الله[٢٢٤] بن عامـر بن ربيعـة ، عن أبيـه قال : كنا مـع رسول الله ﷺ في ليلة مـظلمة ، فنـزلنا منـزلاً ، فجعل الـرجل يـأخذ الأحجـار ، فيعمل مسجـداً يصلي فيه ، فلمـا أصبحنا إذا نحن قـد صلينـا إلى غيـر القبلة ، فقلنا : يا رسول الله لقد صلينـا ليلتنا هـذه إلى غير القبلة[٢٢٥]، فـأنزل الله تعالى هذه الآية .

والخـامس : أنهـا نـزلت في النجـاشي ، ورَوَى أبـو قتـادة[٢٢٦] أن النبي ﷺ قـال : « إِنَّ أَخَاكُم النَّجَـاشِيّ قَدْ مَـاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ » قـالـوا نصلي على رجـل ليس بمسلم ، قال فنزلت : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنـزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا

---

(٢٢٤) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم ، أبو عمران .
مقرىء الشام ، قرأ على أبي الدرداء وسمـع من عثمان بن عفـان مات يـوم عاشـوراء سنة ثمـان عشرة ومئة . أنظر : ـ
طبقات خليفة (٢٣٥)، تهذيب التهذيب (٢/١٥٦/١)، ميزان الاعتدال (٢/٤٤٩).

(٢٢٥) رواه التـرمذي (٢/١٧٦) وابن مـاجه (١/١٦٥) وابن جـرير الـطبـري (٢/٥٣١) والبيهقي في السنن (٢/١١) والـدارقطني في السنن (١/١٠١) وأبـو داود الـطيـالسي (١١٤٥) وأبـو نعيم في الحلية (١/١٧٩) وزاد السيوطي في الدر (١/٢٦٦) نسبته لعبد بن حميد وابن حاتم والعقيلي وقال الترمذي هذا حديث ليس إسناده بذاك لا نعرفه إلا من حـديث أشعث السمان وأشعث بن سعيـد وأبو الربيع السمـان يضعف في الحديث ، وقـال الحافظ ابن كثير« قلت وشيخه أي شيـخ أشعث في هذه الرواية عاصم أيضاً ضعيف »قال البخاري منكر الحديث وقـال ابن معين ضعيف لا يحتج بـه وقال ابن حبـان متروك (١/١٥٨) اهـ وقـد ضعف الحديث الإمـام العقيلي كما نقله السيـوطي عنه في الـدر المنثور (١/٢٦٦) والسيوطي نفسه في نفس المصدر والشيخ أحمد شاكر كمـا في تخريـج الطبـري (٢/١٧٧) وقد أورد له الشيخ شاكر في تخريـج الترمـذي (٢/١٧٧) شاهـد من حديث جـابر رواه الـدارقطني (١/١٠١) والحـاكم في المستدرك (١/٢٠٦) والبيهقي (٢/١٠ ـ ١١ ـ ١٢) وضعفه أيضاً .
وقد حسن الحديث بهذا الشاهد العلامة الألباني في الارداء (١/٣٢٣).
تنبيه : ـ قول الإمام الترمذي رحمه الله لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان يوحي بأنه انفرد به وليس كذلك بل تابعه عليه عمرو بن قيس كما في رواية الطيالسي فلعل الإمام الترمذي رحمه الله لم يطلع على هذه المتابعة كما قال الشيخ أحمد شاكر.

(٢٢٦) هو أبو قتادة الأنصاري ، فارس رسول الله ﷺ شهد بدراً والحديبية وله عدة أحـاديث مات وهـو ابن سبعين سنة رضي الله عنه . أنظر : ـ
طبقـات ابن سعـد (٦/١٥)، أسـد الغـابـة (٦/٢٥٠)، الإصابـة (١١/٣٠٢) تـاريـخ الاسلام (٢/١٨٨).

أنزلَ إِلَيْهِم خَاشِعِينَ لِلَّه﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٩٩] قالوا: فإنه كان لا يصلي إلى القبلة[٢٢٧]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمغْرِبُ فَأينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

والسادس: أن سبب نزولها أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿ ادعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم ﴾ قالوا إلى أين؟ فنزلت: ﴿ فأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

والسابع: أن معناه وحيثما كنتم من مشرق أو مغرب، فلكم قبلة تستقبلونها، يعني جهة إلى الكعبة، وهذا قول مجاهد.

ويجيء من هذا الاختلاف في قوله: ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ تأويلان:

أحدهما: معناه فثم قبلة[٢٢٨] الله.

والثاني: فثم الله تعالى، ويكون الوجه عبارة عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأما ﴿ ثَمَّ ﴾ فهو لفظ يستعمل في الإشارة إلى مكان، فإن كان قريباً قيل: (هنا زيد)، وإن كان بعيداً قيل: (هناك زيد).

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

---

(٢٢٧) رواه ابن جرير (٢/٥٣٣) ونسبه السيوطي في الدر (١/٢٦٧) لابن المنذر وقال الحافظ ابن كثير (١/٢٩١) هو غريب وسياقه يدل على ضعفه ونكارته، وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (٢/٥٣٣) حديث ضعيف لأنه مرسل.

ملاحظة: نسبة الحديث إلى أبي قتادة الصحابي خطأ لعله من الناسخ فإن الحديث معروف من حديث قتادة وليس معروفاً من حديث أبي قتادة الصحابي فما وقع في نسخه المخطوطة خطأ وكذا ما وقع في المطبوعة.

(٢٢٨) إعلم أن طريقة السلف بوجه عام «أمرّوها كما نزلت» فكان يغلب عليهم التسليم مع التأويل الإجمالي أي يؤمنون بالنصوص إيماناً يليق بكمال الله وجلاله من غير تجسيم ولا تكيف مع العلم أن الشافعي وهو من رءوس السلف أول هذه الآية تأويلاً تفصيلياً فقال عن الوجه قبلته. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم النصارى في قولهم : المسيح ابن الله .

والثاني : أنهم مشركو العرب في قولهم : الملائكة بنات الله .

﴿ سُبْحَانَهُ ، بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيهاً له من قولهم ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ .

قوله : ﴿ لَـهُ مَـا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي خالق ما في السموات والأرض .

﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أي مطيعون ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، ومجاهد .

والثاني : أي مقرون له بالعبودية ، وهو قول عكرمة .

والثالث : أي قائمون ، يعني يوم القيامة ، وهذا قول الربيع ، والقانت في اللغة القائم ، ومنه القنوت في الصلاة ، لأنه الدعاء في القيام .

قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني منشئها على غير حد ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه ، يقال له مبدع ، ولذلك قيل لمن خالف في الدين : مبتدع ، لإحداثه ما لم يسبق إليه ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً ﴾ أي أحكمه وحتمه ، وأصله الإحكام والفراغ ، ومنه قيل للحاكم قاض ، لفصله الأمور وإحكامه بين الخصوم ، وقيل للميت قد قَضَى أي فرغ من الدنيا ، قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما   داود أو صنع السوابغ تُبَّع(٢٢٩)

معنى قضاهما أي أحكمهما . وقال الشاعر في عمر بن الخطاب :

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها   بوائج في أكمامها لم تفتق(٢٣٠)

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُـن فَيَكُونُ ﴾ فإن قيل في أي حال يقول له كن فيكون ؟

---

(٢٢٩) ديوانه (١٩)، تأويل مشكل القرآن (٣٤٢).

(٢٣٠) أنظر طبقات فحول الشعراء (١١١) والطبقات لابن سعد (٢٤١/٢). والأغاني (١٥٩/٩) ومشكل القرآن (٣٤٣).

أفي حالة عدمه أم في حال وجوده ؟ فإن كان في حال عدمه ، استحال أن يـأمر إلا مأموراً ، كما يستحيل أن يكون الأمر إلا من آمر ، وإن كان في حـال وجوده ، فتلك حال لا يجوز أن يأمر فيها بالوجود والحدوث ، لأنه موجود حادث ؟ .

قيل : عن هذا السؤال أجوبة ثلاثة :

أحدها : أنه خبر من الله تعالى عن نفوذ أوامره في خلقه المـوجود ، كمـا أمر في بني إسـرائيـل ، أن يكـونـوا قـردة خـاسئين ، ولا يكـون هـذا وارداً في إيجـاد المعدومات .

الثاني : أن الله عز وجل عالم ، بما هو كائن قبل كونه ، فكانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة بعلمه ، قبل كونها مشابهة للأشياء التي هي مـوجودة ، فجـاز أن يقول لها كوني ، ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود ، لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال العدم .

الثالث : أن ذلك خبر من الله تعالى ، عامٌ عن جميع مـا يُحْدِثُـه ، ويكوّنـه ، إذا أراد خلقه وإنشاءه كان ووجد من غير أن يكون هناك قول يقوله ، وإنما هو قضاء يريده ، فعبر عنه بالقول وإن لم يكن قولاً ، كقول أبي النجم :

قد قالت الأنساع للبطن الحق   قدما فآضت كالغسق المحقق[٢٣١]

ولا قول هناك ، وإنما أراد أن الظهر قد لحق بالبطن ، وكقوله عمرو بن حممة الدوسي .

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه   إذا رام تطياراً يقال له قَعِ[٢٣٢]

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

(٢٣١) أنظر اللسان مادة [حَقَقَ].

(٢٣٢) أنظر حماسة البحتري (٢٠٥) ومعجم الشعراء (٢٠٩) والمعمرين (٢٢).

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل : ـ

أحدها : أنهم النصارىٰ ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم اليهود ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنهم مشركو العرب ، وهو قول قتادة والسدي . وقوله : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ يعني هَلاَّ يكلمنا الله ، كقول الأشهب بن رملية :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضَوْطَرَى لولا الكمى المقنعا(٢٣٣)

بمعنى هل لا تعدون الكمىٰ المقنعا .

﴿ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم اليهود والنصارىٰ ، وهو قول قتادة .

قوله تعالى : ﴿ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني في الكفر ، وفيه وجهان :

أحدهما : تشابهت قلوب اليهود لقلوب النصارىٰ ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : تشابهت قلوب مشركي العرب لقلوب اليهود والنصارىٰ ، وهذا قول قتادة .

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ يعني محمداً أرسله بدين الحق .

﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ يعني بشيراً بالجنة لمن أطاع ، ونذيراً بالنار لمن عصىٰ .

﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي لا تكون مؤاخذاً بكفرةِ من كفر بعد البشرىٰ والإنذار ، وقرأ بعض أهل المدينة : ولا تَسْلْ(٢٣٤) عن أصحاب الجحيم ،

---

(٢٣٣) ديوان جرير (٣٣٨) والنقائض.

والبيت لجرير وليس للأشهب بن رميلة أنظر تفسير الطبري (٢/٥٥٢) .

(٢٣٤) وهي قراءة نافع وحده [السبعة في القراءات ص ١٦٩] .

بفتح التاء وجزم اللام ، وذكر أن سبب نزولها ، ما رواه موسى بن عبيد عن محمد[٢٣٥] بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ** »[٢٣٦]، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ .

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ** ﴾ فيه قولان :

---

(٢٣٥) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي ، أبو حمزة وأبو عبد الله .
كان من أئمة التفسير وهو تابعي عالم بالقرآن وكان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً توفي رحمه الله سنة ثمان ومئة وقيل غير ذلك . أنظر : ـ
الجرح والتعديل (٨/٦٧)، حلية الأولياء (٣/٢١٢)، تاريخ الاسلام (٤/١٩٩) البداية والنهاية (٩/٢٥٧).

(٢٣٦) رواه الطبري (٢/٥٥٨ ، ٥٥٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (١/٢٧١) لوكيع بن الجراح وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والحديث ضعفه ابن جرير في تفسير (٢/٥٦٠) والإمام السيوطي في الدر (١/٢٧١) قال : مرسل ضعيف الإسناد . ا هـ.
لأن في إسناده موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف جداً قال البخاري فيه : منكر الحديث وكذا قال أبو حاتم وقال ابن معين لا يحتج بحديثه وقال أحمد بن حنبل : لا تحل الرواية عن موسى بن عبيدة وضعف الحديث الشيخ شاكر في تخريج الطبري وقال الحافظ ابن كثير (١/٢٩٦) « والحديث المروي في حياة أبويه عليه السلام ليس في شيء من الكتاب والسنة ولا غيرها واسناده ضعيف » ا هـ.
وقد ورد الحديث مرسلاً بل معضلاً من حديث داود بن عاصم رواه ابن جرير (٢/٥٨٩) وضعفه السيوطي في الدر (١/٢٧١) بقوله معضل الاسناد ضعيف لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة . ا هـ يقصد بالحديث الذي قبله حديث محمد بن كعب القرظي السابق أقول : وهذه المسألة حدث فيها نزاع كبير بين أهل العلم وألف فيها الإمام السيوطي عدة رسائل أنظر بعضها في الحاوي للفتاوي له وأنظر كذلك مجموعة الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (٤/٣٢٤).

أحدهما : أنهم المؤمنون برسول الله ﷺ ، والكتاب هو القرآن ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم علماء اليهود ، والكتاب هو التوراة ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يقرؤونه حق قراءة .

والثاني : يتبعونه حق اتباعه ، فيحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وهذا قول الجمهور .

﴿أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني بمحمد ﷺ ، لأن من قرأ أحد الكتابين ، آمن به ، لِمَا فيهما من وجوب اتباعه .

يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ فيه محذوف وتقديره : واذكر إذا ابتلى يعني اختبر ، وإبراهيم بالسريانية أب رحيم ، وفي الكلمات التي ابتلاه الله عز وجل بها ، ثمانية أقاويل :

أحدها : هي شرائع الإسلام ، قال ابن عباس : ما ابتلى الله أحداً بهن ، فقام بها كلها ، غير إبراهيم ، ابتلي بالإسلام فأتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [النجم : ٣٧] قال : وهي ثلاثون سهماً :

عشرة منها في سورة براءة : ﴿ التَّائِبُونَ ، ٱلْعَابِدُونَ ، ٱلْحَامِدُونَ ، ٱلسَّائِحُونَ ، ٱلرَّاكِعُونَ ، السَّاجِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] .

وعشـرة في الأحـزاب : ﴿ إِنَّ الْـمُسْلِمِيـنَ وَٱلْمُسْلِمَـاتِ ، وَٱلْـمُؤْمِنِيـنَ وَٱلْمُؤْمِنَـاتِ ، وَٱلْقَـانِتِينَ وَٱلْقَـانِتَـاتِ ، وَٱلصَّـادِقِينَ وَٱلصَّادِقَـاتِ ، وَٱلصَّابِـرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ ، وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ ، وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ ، وَٱلصَّـائِمِينَ وَالصَّـائِمَـاتِ ، وَٱلْحَـافِظِينَ فُـروجَهُم وَٱلْحَـافِـظَاتِ ، وَٱلـذَّاكِـرِينَ اللَّهَ كَثِيـراً وَٱلذَّاكِرَاتِ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٣٥].

وعشـرة في سـورة « المؤمنـون » : ﴿ قَـدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُـونَ ، الَّـذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُهُم فَـإِنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ ، فَمن ابتغىٰ وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأولئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِم وَعَهْدِهِم رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .[المؤمنون : ١ ـ ١١]

وفي سورة سأل سائل من ﴿إلا المُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج : ٢٣]، إلى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِم يُحَافِظُونَ﴾. [المعارج: ٣٤].

والقول الثاني : إنها خصال من سُنَنِ الإسـلام ، خمس في الرأس ، وخمس في الجسـد ، فـروى ابن عبـاس في الـرأس : قص الشـارب ، والمضمضـة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر البول والغائط بالماء . وهذا قول قتادة .

والقول الثالث : إنها عشر خصـال ، ست في الإنسان وأربـع في المشاعـر ، فالتي في الإنسان : حَلْقُ العانة ، والختـان ، ونَتْفُ الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغُسل يوم الجمعة . والتي في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة . روىٰ ذلك الحسن عن ابن عباس .

والقول الرابع : إن الله تعالى قال لإبراهيم : إني مبتليك يا إبـراهيم ، قال : تجعلني للنـاس إمـامـاً ؟ قـال نعم ، قــال : ومن ذريتي ؟ قـال : لا ينـال عهـدي الـظالمين ، قال : تجعـل البيت مثابـة للناس ؟ قـال : نعم ، قال : وأمنـاً ؟ قال : نعم ، قال : وتجعلنا مسلمين لـك ومن ذريتنا أمـة مسلمة لـك ؟ قال: نعم، قـال : وأرنا مناسكنا وتب علينا ؟ قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد آمناً ؟ قال : نعم ،

قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن ؟ قال : نعم ، فهذه الكلمات التي ابتلىٰ الله بها إبراهيم ، وهذا قول مجاهد .

والخامس : أنها مناسك الحج خاصة ، وهذا قول قتادة .

والقول السادس : أنها الخلال الست : الكواكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلي بهن فصبر عليهن ، وهذا قول الحسن .

والقول السابع : ما رواه سهل بن معاذ بن أنس عن أمه قال : كان النبي ﷺ يقول : « **ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفّى ؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: سبحان الله حين تُمْسُونَ وحينَ تُصْبِحُونَ، وله الحَمْدُ في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وعَشِيّاً وحين تُظْهِرُونَ** » .

والقول الثامن : ما رواه القاسم(٢٣٨) بن محمد ، عن أبي أمامة(٢٣٩) قال : قال رسول الله ﷺ : « **﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا وَفَّىٰ ؟ قَالُوا : اللَّهُ**

(٢٣٧) رواه الطبري (١٥/٣) وأحمد (١٥٦٨٨) والديلمي (٧٣٧٤) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١٦٦/١) كلهم من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن معاذ الجهني وهذا سند ضعيف لضعف زبان بن فائد وسهل بن معاذ. قال ابن حبان في زبان : منكر الحديث جداً . ينفرد عن سهل ابن معاذ بنسخة كأنها موضوعة ، المجروحين (٣٠٩/١) وقال في سهل روى عن زبان بن فائد منكر الحديث جداً فلست أدري وقع التخليط في حديثه منه أو من زبان بن فائد فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها أحدهما ساقطة وفي سنده عند الطبري رشدين بن سعد لكنه لم ينفرد به بل تابعه ابن لهيعة عند أحمد وابن أبي حاتم والحديث ضعفه الطبري نفسه (١٧/٣) والحافظ ابن كثير (٣٠٤/١) وذكره الشوكاني في فتح القدير (١١٥/٥) وضعفه بابن لهيعة فقط وهذا إعلال قاصر وذهول عن العلة الحقيقية للحديث؛ لأن ابن لهيعة لم ينفرد به كما علمت وضعفه الشيخ شاكر في تخريج الطبري (١٥/٣) وقال: إسناده مُنهار لا تقوم به قائمة.

تنبيه : ـ وقع في نسخة المخطوطة : عن سهل بن معاذ عن أمه ، وهو خطأ من الناسخ فالحديث معروف عن سهل عن أبيه فليتنبه .

(٢٣٨) هو أبو محمد عالم وقته بالمدينة ، روى عن ابن مسعود مرسلاً ، وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم . توفي رحمه الله ست ستة ومئة وقيل غير ذلك . انظر : ـ

طبقات ابن سعد (١٨٧/٥)، تذكرة الحفاظ (٩٦/١)، تاريخ الإسلام (١٨٢/٤) الحلية (١٨٣/٢).

(٢٣٩) صاحب رسول الله ﷺ روى علماً كثيراً . هو صدي بن عجلان أبو أمامة مات سنة ست وثمانين وقيل غير ذلك . انظر : ـ

الإصابة (١٨٢/٢)، أسد الغابة (١٦/٣)، الاستيعاب (٧٣٦) البداية والنهاية (٧٣/٩).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : وَفَّى عَمَلَ يَوْمٍ بِأَرْبَعِ رَكْعَاتٍ فِي النَّهَارِ »(٢٤٠) .

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ أي مقصوداً متبوعاً ، ومنه إمام المصلين ، وهو المتبوع في الصلاة .

﴿ قال ومن ذريتي ﴾ فاحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : أنه طمع في الإمامة لذريته ، فسأل الله تعالى ذلك لهم .

والثاني : أنه قال ذلك استخباراً عن حالهم ، هل يكونون أهل طاعة فيصيروا أئمة ؟ فأخبره الله تعالى أن فيهم عاصياً وظالماً ، لا يستحق الإمامة ، فقال : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وفي هذا « العهد » ، سبعة تأويلات :

أحدها : أنه النبوة ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه الإمامة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنه الإيمان ، وهو قول قتادة .

والرابع : أنه الرحمة ، وهو قول عطاء .

والخامس : أنه دين الله وهو قول الضحاك .

والسادس : أنه الجزاء والثواب .

والسابع : أنه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه ، وهو قول ابن عباس .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى

(٢٤٠) رواه ابن جرير في التفسير (٣/١٦) والديلمي برقم (٧٣٧٣) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٤/١٥٨) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧/٦٦٠) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والشيرازي في الألقاب كلهم من حديث جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة ،وهذا سند ضعيف لضعف جعفر بن الزبير الحنفي ،وهو ضعيف جداً حتى قال أبو حاتم روى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث. وفيه أيضاً القاسم بن عبد الرحمن طعن فيه ابن حبان وحمل عليه أحمد كما في الميزان (٣/٣٧٣) والحديث ضعفه الطبري (٣/١٧) وابن كثير (١/١٦٧) والسيوطي في الدر (٧/٦٦٠) والشوكاني في الفتح (٥/١١) والشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (٣/١٦).

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : مجمعاً لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة .

والثاني : مرجعاً من قولهم قد ثابت العلة إذا رجعت . وقال الشاعر :

مثاباً لأفناءِ القبائل كلها تحب إليها اليعملات الذوامل[٢٤١]

وفي رجوعهم إليه وجهان :

أحدهما : أنهم يرجعون إليه المرة بعد المرة .

والثاني : أنهم في كل واحد من نُسُكَيِ الحج والعمرة يرجعون إليه من حل إلى حرم ؛ لأن الجمع في كل واحد من النسكين بين الحل والحرم شرط مستحق .

قال تعالى : ﴿ وَأَمْناً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لأمنه في الجاهلية من مغازي العرب ، لقوله : ﴿ وءَامَنَهُم مِنْ خَوفٍ ﴾ .[قريش: ٤].

والثاني : لأمن الجناة فيه من إقامة الحدود عليهم حتى يخرجوا منه .

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ روى حماد[٢٤٢]، عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى[٢٤٣]، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ بكسر الخاء

---

(٢٤١) شعر أبي طالب في وصف الكعبة أنظر : اللسان مادة (ثوب)، الشافعي في الأم (١٢٠/٢) لكن نسبه لورقة بن نوفل . وفي الطبري (٢٦/٣).

(٢٤٢) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة ، الإمام ، القدوة ، النحوي . كان مع إمامته في السنة إماماً كبيراً في العربية ، فقيهاً فصيحاً مات رحمه الله في ذي الحجة سنة سبع وستين ومئة أنظر : - طبقات ابن سعد (٢٨٢/٧)، العبر (٢٤٨/١)، حلية الأولياء (٢٤٩/٦) تذكرة الحفاظ (٢٠٢/١).

(٢٤٣) رواه البخاري (١٢٨/٨) وأحمد في المسند برقم (١٥٧ ، ١٦ ، ٢٥٠) والترمذي برقم (٢٩٦٢) وقال حسن صحيح وابن ماجه (٣٢٢/١ برقم ١٠٠٩) وأبو نعيم في الحلية (٤٢/١٠) والطبري بنفس سياق المؤلف برقم (١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧). والدارمي (٤٤/٢) وابن حبان (٢٢/٩) وابن أبي داود في المصاحف (ص ٩٨). وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨٩/١ - ٩٠) للبيهقي في سننه ولسعيد بن منصور والعدني وابن المنذر والنسائي وابن مردويه والدارقطني في الافراد والطحاوي كلهم من حديث أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

من قوله واتخذوا على وجه الأمر ، وقرأ بعض(٢٤٤) أهل المدينة : ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾ بفتح الخاء على وجه الخبر .

واختلف أهل التفسير في هذا المقام ، الذي أُمِرُوا باتخاذه مصلى ، على أربعة أقاويل :

أحدها : الحج كله ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه عرفة ومزدلفة والجمار ، وهو قول عطاء والشعبي .

والثالث : أنه الحرم كله ، وهو قول مجاهد .

والرابع : أنه الحجر الذي في المسجد ، وهو مقامه المعروف ، وهذا أصح .

وفي قوله : ﴿ مُصَلًّى ﴾ تأويلان :

أحدهما : مَدْعَىٰ يَدْعِي فيه ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه مصلىٰ يصلي عنده ، وهو قول قتادة ، وهو أظهر التأويلين .

وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي أَمَرْنَا .

(٢٤٤) وهي قراءة لنافع وابن عامر [السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٧٠] .

والثاني : أي أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل .

﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الأصنام .

والثاني : من الكفار .

والثالث : من الأنجاس .

وقوله تعالى : ﴿ بَيْتِيَ ﴾ يريد البيت الحرام .

فإن قيل : فلم يكن على عهد إبراهيم ، قبل بناء البيت بيت يطهر ، قيل : عن هذا جوابان :

أحدهما : معناه وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن آبنيا بيتي مُطَهَّراً ، وهذا قول السدي :

والثاني : معناه أن طهرا مكان البيت .

﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾ فيهم تأويلان :

أحدهما : أنهم الغرباء الذين يأتون البيت من غربة ، وهذا قول سعيد بن جبير .

والثاني : أنهم الذين يطوفون بالبيت ، وهذا قول عطاء .

﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ فيهم أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم أهل البلد الحرام ، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة .

والثاني : أنهم المعتكفون وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنهم المصلون وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم المجاورون للبيت الحرام بغير طواف ، وغير اعتكاف ، ولا صلاة ، وهذا قول عطاء .

﴿ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ يريد أهل الصلاة ، لأنها تجمع ركوعاً وسجوداً .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً ﴾ يعني مكة ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ ليجمع لأهله الأمن والخصب ، فيكونوا في رغد من العيش .

﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن هذا من قول إبراهيم متصلاً بسؤاله ، أن يجعله بلداً آمناً ، وأن يرزق أهله الذين آمنوا به من الثمرات ، لأن الله تعالى قد أعلمه بقوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أن فيهم ظالماً هو بالعقاب أحق من الثواب ، فلم يسأل أهل المعاصي سؤال أهل الطاعات .

والوجه الثاني : أنه سؤاله كان عاماً مرسلاً ، وأن الله تعالى خص الإجابة لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر ، ثم استأنف الإخبار عن حال الكافرين ، بأن قال : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ﴾ يعني في الدنيا .

﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ يعني بذنوبه إن مات على كفره .

واختلفوا في مكة ، هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهيم أو كانت قبله كذلك ؟ على قولين :

أحدهما : أنها لم تزل حرماً مِنَ الجَبَابِرَةِ والمُسَلَّطِينَ ، ومن الخسوف والزلازل ، وإنما سأل إبراهيم ربَّه : أن يجعله آمناً من الجدب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات ، لرواية سعيد بن المقبري ، قال : سمعت أبا شريح الخزاعي يقول : إن رسول الله ﷺ لما افتتح مكة ، قتلت خزاعة رجلاً من هذيل ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَحِلُّ لِامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَماً أَوْ يُعَضِّدُ بِهَا شَجَراً ، وَأَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَباً عَلَىٰ أَهْلِهَا ، أَلَا وَهِيَ قَدْ رَجَعَتْ عَلَىٰ حَالِهَا بِالأَمْسِ ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ . فَمَنْ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَتَلَ بِهَا فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكَ »(٢٤٥) .

والثاني : أن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم ، كسائر البلاد ، وأنها

---

(٢٤٥) رواه ابن جرير الطبري (٣/٤٥) وابن إسحق مطولاً (٤/٥٧ - ٥٨) السيرة وأحمد برقم (١٦٤٤٨) من طريق ابن اسحق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي رواه البخاري (١/١٧٦ - ١٧٧) (٤/٣٥ - ٣٩) ومسلم (١/٣٨٣ - ٣٨٤) وأحمد (١٦٤٤) كلهم من طريق الليث بن سعيد عن سعيد به .

بدعوته صارت حرماً آمناً ، وبتحريمه لها ، كما صارت المدينة بتحريم رسول الله ﷺ حراماً ، بعد أن كانت حلالاً ، لرواية أشعب ، عن نافع ، عن ابن عمر(٢٤٦) ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ وَخَلِيله ، وَإِنِّي عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وإِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا عَضَاهَا وَصَيْدُهَا ، لاَ يُحْمَلُ فِيهَا سِلاَحٌ لِقِتَالٍ ، وَلاَ يُقْطَعُ مِنْهَا شَجَرٌ لِعَلَفٍ » .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَواعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ أول من دله الله تعالى على مكان البيت إبراهيمُ ، وهو أول من بناه مع إسماعيل ، وأول من حجه ، وإنما كانوا قَبْلُ يصلون نحوه ، ولا يعرفون مكانه .

والقواعد من البيت واحدتها قاعدة ، وهي كالأساس لما فوقها .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ والمعنى : يقولان ربنا تقبل منا ، كما قال تعالى : ﴿ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم ﴾ أي يقولون سلام عليكم ، وهي كذلك في قراءة أبيّ بن كعب : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وَيَقُولاَنِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ . وتفسير « إسماعيل » : إسمع يا الله ، لأن إيل بالسريانية هو الله ، لأن إبراهيم لما دعا ربه قال : اسمع يا إيل ، فلما أجابه ورزقه بما دعا من الولد ، سمّى بما دعا .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ على التثنية ، وقرأ عوف

---

(٢٤٦) وقول المؤلف : لرواية أشعب عن نافع عن ابن عمر . . . أن رسول الله ﷺ قال : . . . الخ فيه نظر :

أولاً : هذا الحديث معروف من رواية أشعث عن نافع عن أبي هريرة فالحديث حديث أبي هريرة وليس ابن عمر، فقد رواه من حديث أبي هريرة ابن جرير الطبري في التفسير (٤٨/٣) وهذه الرواية ضعيفة لأن في سندها أشعث بن سوار الكندي صاحب التوابيت قاضي الأهواز . قال الحافظ عنه في التقريب ضعيف وقال الحافظ ابن كثير وهذه الطريقة غريبة وقال الشيخ مقبل الوادعي في تخريج ابن كثير (٣٠٣/١) ذلك أنه تفرد به أشعث بن سوار وهو ضعيف فهي تُعَدُّ منكرة . ا هـ.

ثانياً : وأظنه خطأ من الناسخ فقوله برواية أشعب . . . خطأ والصحيح أنه أشعث وهو ابن سوار كما سبق وقد وقع هذا الخطأ أيضاً في المطبوعة .

والحديث وإن كان غريباً من هذه الطريق إلا أن معناه ثابت وصحيح من وجه آخر عن أبي هريرة كما رواه مسلم (٣٧٨/١) وهو في الموطأ (ص ٨٨٥) عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة .

الأعرابي : ﴿ مُسْلِمِينَ لك ﴾ على الجمع . ويقال : أنه لم يدع نَبيٌّ إلا لنفسه ولأمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته لهذه الأمة في قوله : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ والمسلم هو الذي استسلم لأمر الله وخضع له ، وهو في الدين القابل لأوامر الله سراً وجهراً .

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي عرفنا مناسكنا ، وفيها تأويلان :

أحدهما : أنها مناسك الحج ومعالمه ، وهذا قول قتادة والسدي .

والثاني : أنها مناسك الذبائح التي تنسك لله عز وجل ، وهذا قول مجاهد وعطاء .

والمناسك جمع منسك ، واختلفوا في تسميته منسكاً على وجهين :

أحدهما : لأنه معتاد ويتردد الناس إليه في الحج والعمرة ، من قولهم إن لفلان منسكاً ، إذا كان له موضع معتاد لخير أو شر ، فسميت بذلك مناسك الحج لاعتيادها .

والثاني : أن النسك عبادة الله تعالى ، ولذلك سُمِّي الزاهد ناسكاً لعبادة ربه ، فسميت هذه مناسك لأنها عبادات .

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم ﴾ يعني في هذه الأمة ﴿ رَسُولاً مِنْهُم ﴾ يعني محمداً ﷺ ، وقيل في قراءة أبيّ بن كعب ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِي آخِرِهِم رَسُولاً مِنْهُم ﴾ .

وقد رَوَىٰ خالد[٢٤٧] بن معدان : أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا :

(٢٤٧) هو خالد بن معدان بن أبي كرب ، أبو عبد الله ، هو معدود في أئمة الفقه . قال ابن سعد : أجمعوا على أنه مات رحمه الله سنة ثلاث ومئة . انظر : ـ
الحلية (٥/ ٢١٠) ، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٥) ، البداية والنهاية (٩/ ٢٣٠) .

يـا رسول الله أخبـرنا عن نفسـك ، قال : « نَعَم ، أَنَـا دَعْـوَةُ أَبِي إِبْـرَاهِيمَ وَبُشْـرَىٰ عِيسَىٰ »(٢٤٨) .

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يقرأ عليهم حجتك .

والثاني : يبين لهم دينك .

﴿ وَيُعَلِّمُهُم ٱلْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن .

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ فيها تأويلان :

أحدهما : أنها السنة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها المعرفة بالدين ، والفقه فيه ، والاتباع له ، وهو قول ابن زيد .

﴿ وَيُزَكِّيهِم ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان .

والثاني : يزكيهم بدينه إذا اتبعوه فيكونون به عند الله أزكياء .

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعـالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْـرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَـهُ ﴾ فيه ثـلاثة تأويلات :

---

(٢٤٨) رواه ابن إسحاق في السيرة في قصة مطولة (١/١٧٥) وابن جرير في التفسير (٣/٨٢) وفي التاريخ مطولاً (٢/١٣٠) والحاكم في المستدرك (٢/٦٠٠) كلهم من طريق محمد بن إسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان أن نفر . . . . الحديث قال الحاكم رحمه الله : خالد بن معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة . فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي على تصحيح الحديث وهذا متعقب فإن في إسناد الحديث عند الحاكم أحمد بن عبد الجبار العطاردي وقال الحافظ في التقريب ضعيف (١/١٩) وأما =

أحدها : أن ذلك سفّه نفسه ، أي فَعَلَ بها من السفه ما صار به سفيهاً ، وهذا قول الأخفش .

والثاني : أنها بمعنى سفه في نفسه ، فحذف حرف الجر كما حذف من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾ أي عَلَىٰ عقدة النكاح ، وهذا قول الزجّاج .

والثالث : أنها بمعنى أهلك نفسه وأَوْبَقَهَا ، وهذا قول أبي عبيدة .

قال المبرِّد وثعلب : سَفِه بكسر الفاء يتعدىٰ ، وسفُه بضم الفاء لا يتعدى .

﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي اخترناه ، ولفظه مشتق من الصفوة ، فيكون المعنى : اخترناه في الدنيا للرسالة .

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ لنفسه في إنجائها من الهلكة .

قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ الهاء كناية ترجع إلى الملة لتَقَدُّم قولِه : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ووصّى أبلغ من أوصىٰ ، لأن أوصىٰ يجوز أن يكون قاله مرة واحدة ، وَوَصَّىٰ لا يكون إلا مراراً . ﴿ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ والمعنى أن إبراهيم وصَّىٰ ، ثم وَصّى بعده يعقوبُ بَنِيهِ ، فقالا جميعاً : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ يعني اختار لكم الدين ، أي الإسلام ، ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ فإن قيل : كيف يُنْهَونَ عن الموت وليس من فعلهم ، وإنما يُمَاتُون ؟ قيل : هذا في سعة اللغة مفهوم المعنى ، لأن النهي تَوَجَّهَ إلى مفارقة الإسلام ، لا إلى الموت ، ومعناه : الزموا الإسلام ولا تفارقوه إلى الموت .

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا

= عنعنة ابن إسحاق فقد صرح بالتحديث عند الحاكم . قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (٨٢/٣) هذا الإسناد مرسل .

وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارىٰ تَهْتَدُوا ﴾ يعني أن اليهودَ قالوا : كونوا هوداً تهتدوا ، وقالت النصارى : كونوا نصارىٰ تهتدوا ، فرد الله تعالى ذلك عليهم ، فقال : ﴿ قُلْ : بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ وفي الكلام حذف ، يحتمل وجهين :

أحدهما : أن المحذوف بل نتبع ملة إبراهيم ، ولذلك جاء به منصوباً .

والثاني : أن المحذوف بل نهتدي بملة إبراهيم ، فلما حذف حرف الجر ، صار منصوباً ، والملة : الدين ، مأخوذ من الإملاء ، أي ما يُمْلُون من كتبهم .

وأما الحنيف ، ففيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه المخلص ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه المتَّبع ، وهو قول مجاهد .

والثالث : الحاج ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والرابع : المستقيم .

وفي أصل الحنيف في اللغة وجهان :

أحدهما : الميل ، والمعنى أن إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله ، وهو الإسلام فسمي حنيفاً ، وقيل للرجل أَحْنَف لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها .

والوجه الثاني : أن أصله الاستقامة ، فَسُمِّي دين إبراهيم « الحنيفية » لاستقامته وقيل للرجل أحنف ، تطيّراً من الميل وتفاؤلاً بالاستقامة ، كما قيل لِلَّدِيغ سليم ، وللمُهْلِكَةِ من الأرض مفازة .

قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ
ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ ٱهْتَدَوا ﴾ فإن قيل : فهل للإيمان مثل لا يكون إيماناً ؟ قيل معنى الكلام : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، وصدَّقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا ، وهذا هو معنى القراءة وإن خالف المصحف .

﴿ وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ يعني في مشاقة وعداوة ، وأصل الشِّقَاقِ البُعْدُ، من قولهم قد أخذ فلان في شِقٍّ ، وفلان في شِقٍّ آخر ، إذا تباعدوا . وكذلك قيل للخارج عن الجماعة ، قد شَقَّ عصا المسلمين لبُعْدِهِ عنهم .

قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه دين الله ، وهذا قول قتادة .

وسبب ذلك أن النصارىٰ كانوا يصبغون أولادهم(٢٤٩) في ماء لهم ، ويقولون هذا تطهير لهم كالختان ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن قال : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي صبغة الله أحسن صبغة ، وهي الإسلام(٢٥٠) .

والثاني : أن صبغة الله ، هي خلقة الله ، وهذا قول مجاهد .

فإن كانت الصبغة هي الدين ، فإنما سُمِّيَ الدين صبغة ، لظهوره على صاحبه ، كظهور الصِّبْغِ عَلَىٰ الثوبِ ، وإن كانت هي الخلقة فلإحداثه كإحداث اللون على الثوب .

(٢٤٩) وهذه من عادات النصارى التي يزعمون أنها من دينهم وتسمى التعميد حيث يُعَمِّدُونَ أطفالهم بعد سبعة أيام من ولادتهم في حوض به ماء زعماً منهم أنهم بذلك صاروا نصارى وكل هذا كفر وضلال والعياذ بالله .

(٢٥٠) قال الحافظ : صبغة بالنصب وهو مصدر انتصب عن قوله ونحن له مسلمون على الأرجح وقيل منصوب على الإفراد أي الزموا وكأن لفظ صبغة ورد بطريق المشاكلة لأن النصارى كانوا يغمسون من ولد منهم في ماء معموديّة ويزعمون أنهم يطهرونهم بذلك فقيل للمسلمين الزموا صبغة الله فإنها أطهر (١٦١/٨) الفتح .

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ
لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ
قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يعني قالوا : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾ وهم إثنا عشر سَبْطاً من ولد يعقوب ، والسَبْطُ الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد ، والسَبْطُ في اللغة : الشجر الذي يرجع بعضه إلى بعض ﴿ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ : أَأَنْتُم أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ يعني اليهود تزعم أن هؤلاء كانوا هوداً ، والنصارىٰ تزعم أنهم كانوا نصارىٰ ، فرد الله عليهم بأن الله تعالى أعلم بهم منكم ، يعني بأنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارىٰ .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من كتمان الشهادة ، والارتشاء عليها من أغنيائهم وسفائهم .

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ
وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ
ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ السُّفَهَاءُ : واحده سَفِيه ، والسَّفِيهُ : الخفيف الحلم ، من قولهم ثوب سفيه إذا كان خفيف النسج ، ورمح سفيه إذا أسرع نفوذه .

وفي المراد بالسفهاء هَا هُنَا ثلاثة أقاويل :

أحدها : اليهود ، وهو قول مجاهد(٢٥١) .

والثاني : المنافقون ، وهو قول السدي .

والثالث : كفار قريش وحكاه الزجاج .

﴿ مَا ولاَّهم عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ يعني ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، وهي بيت المقدس ، حيث كان يستقبلها رسول الله ﷺ بمكة ، بعد هجرته إلى المدينة بستة عشر أو سبعة عشر شهراً في رواية البراء بن عازب(٢٥٢) ، وفي رواية معاذ(٢٥٣) بن جبل : ثلاثة عشر شهراً ، وفي رواية أنس(٢٥٤) بن مالك تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم نُسِخَتْ قبلةُ بيت المقدس باستقبال الكعبة ، ورسول الله ﷺ بالمدينة في صلاة الظهر وقد صلى منها ركعتين نحو بيت المقدس ، فانصرف بوجهه إلى الكعبة ، هذا قول أنس بن مالك ، وقال البراء بن عازب : كنا في صلاة العصر بقباء ، فمر رجل على أهل المسجد وهم ركوع في الثانية ، فقال : أشهد لقد صَلَّيت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة ، فداروا كما هم قِبَلَ البيت ، وقِبَلُ كل شيءٍ : ما قَابَل وَجْهَه .

---

(٢٥١) رواه ابن جرير برقم (٢١٤٣) وورد عن ابن عباس والبراء مثله قال الحافظ في الفتح والأسانيد عنهم صحيحة رواها الطبري (٨/١٧١ فتح).

قلت : رواية ابن عباس برقم (٢١٤٧) ورواية البراء برقم (٢١٤٥) ولكن إسناد ابن عباس فيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس وقد قيل إن بينهما سعيد بن جبير فإن كان كذلك فالسند متصل صحيح على أن هذه الرواية رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ارتضاها البخاري في صحيحه فشحن بها كتاب التفسير وابن أبي حاتم وغيرها ا هـ.

(٢٥٢) رواها البخاري (٨/١٣٢) ومسلم (١/١٤٨) وابن جرير (٤/١٣٣) وصححها الشيخ شاكر ونسبها السيوطي في الدر (١/٣٤٢) للترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي وابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه .

قلت : ورواها ابن ماجه (١٠ ـ ١) وفيها أن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت ثمانية عشر شهراً وصححها البوصيري في الزوائد .

(٢٥٣) رواها الطبري بنفس رواية المؤلف مختصرة (٤/١٣٦ برقم ٢١٥٦) وأبو داود مطولة (٥٠٧) وأحمد مطولة أيضاً وفيها سبعة عشر شهراً (٥/٢٤٦ ، ٢٤٧) وأبو داود الطيالسي وفيها نصلي سبعة عشر شهراً والحديث منقطع الإسناد لأن ابن أبي ليلى لم يسمع من معاذ . راجع الفتح (١/٨٩ ـ ٩٠) لتقف على طريقة الجمع بين الروايات الواردة في ذلك .

(٢٥٤) أخرجها الطبري (٤/١٣٥) برقم (٢١٥٥) وصححها الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري .

واختلف أهل العلم في استقبال رسول الله ﷺ بيت المقدس، هل كان برأيه واجتهاده ، أو كان عن أمر الله تعالى لقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾، وهذا قول ابن عباس وابن جريج .

والقول الثاني : أنه كان يستقبلها برأيه واجتهاده ، وهذا قول الحسن ، وعكرمة ، وأبي العالية ، والربيع .

واختلفوا في سبب اختياره بيت المقدس على قولين :

أحدهما : أنه اختار بيت المقدس ليتألَّف أهل الكتاب ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : لأن العرب كانت تحج البيت غير آلفة لبيت المقدس ، فأحب الله أن يمتحنهم بغير ما ألفوه ، ليعلم من يتبع ممن ينقلب على عَقِبَيْهِ ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ، فلما استقبل رسول الله ﷺ الكعبة ، قال ابن عباس(٢٥٥): أتى رفاعة بن قيس وكعب بن الأشرف والربيع وكنانة بن أبي الحُقَيْقِ ، فقالوا لرسول الله ﷺ : ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملةِ إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها ، نتبعك ونصدقك . وإنما يريدون فتنته عن دينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟ قُل : لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يعني حيثما أمر الله تعالى باستقباله من مشرق أو مغرب ، والصراط : الطريق والمستقيم : المستوي .

قوله تعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ . فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خياراً ، من قولهم فلان وسط الحَسَبِ في قومه ، إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبه ، ومنه قول زهير :

(٢٥٥) رواها ابن إسحق في السيرة (٢/١٩٨ ـ ١٩٩) ومن طريقه ابن جرير الطبري في التفسير (٣/١٣٢ برقم ٢١٤٩) وزاد السيوطي في الدر (١/٣٢٤) نسبته لابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل . والحديث في سنده محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال الذهبي لا يعرف وترجم له البخاري في التاريخ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ووثقه ابن حبان.

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَىٰ الإِلَهُ بِحُكْمِهِمْ   إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَىٰ اللَّيَالِي بِمُعَظَّمِ(٢٥٦)

والثاني : أن الوسط من التوسط في الأمور ، لأن المسلمين تَوَسَّطُوا في الدين ، فلا هم أهل غلوٍّ فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كاليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتَّلوا أنبياءهم وكَذَبوا على ربهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم وسط ، لأن أحب الأمور إليه أوسطها .

والثالث : يريد بالوسط : عدلاً ، لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان ، وقد روىٰ أبو سعيد الخدري(٢٥٧) ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ أي عَدْلاً .

﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : لتشهدوا على أهل الكتاب ، بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم .

والثاني : لتشهدوا على الأمم السالفة ، بتبليغ أنبيائهم إليهم رسالة ربهم ، وهذا مروي عن النبي ﷺ(٢٥٨) ، أن الأمم السالفة تقول لهم : كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا ، فيقولون أعْلَمَنَا نبيُّ الله بما أُنْزِلَ عليه من كتاب الله .

والثالث : أن معنى قوله : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي لتكونوا مُحْتَجِّينَ على الأمم كلها ، فعبر عن الاحتجاج بالشهادة ، وهذا قول حكاه الزجاج .

---

(٢٥٦) ديوانه (٢/ ٢٧) مع اختلاف في الشطر الأول من البيت ففيه :

لي حلال يعصم الناس أمرهم   ....

(٢٥٧) جاء مختصراً ومطولاً فرواه بهذا الاختصار الذي في رواية المؤلف ابن جرير (٤/ ١٤٣) برقم (٢١٦٥ ـ ٢١٦٦ ـ ٢١٦٧) ومطولاً برقم (٢١٧٩ ـ ٢١٨٠) وأحمد في المسند (١١٠٨٤) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (٦/ ٣١٦) المجمع، والبخاري (٦/ ٢٦٤ فتح) وابن ماجه في الزهد (٣/ ٣٤) والترمذي (٣ :) تفسير سورة البقرة وقال حسن صحيح والنسائي في التفسير كما في تحفة الأشراف (٣/ ٣٤٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (١/ ٣٤٨) لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن حبان والإسماعيلي في صحيحه والحاكم وصححه ونقل السيوطي في الدر تصحيح النسائي للحديث. قلت: وهو عند ابن حبان (٣/ ١٧٩).

تنبيه: ـ وقع في رواية الطبري وغيره عدولاً بدلاً من عدلاً قال الشيخ شاكر: ولعل ما هنا من تحريف الناسخين لأن الأجود صيغة الإفراد. . . الخ (٤/ ١٤٣) تخريج الطبري.

(٢٥٨) تقدم هذا الحديث وتقدم تخريجه قريباً من حديث أبي سعيد الخدري مطولاً ومختصرا .

﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يكون الرسول شهيداً على أمته أنْ قد بلّغ إليهم رسالة ربه .

والثاني : أنّ معنى ذلك أنْ يكون شهيداً لهم بإيمانهم ، وتكون (عليهم) بمعنى (لهم).

والثالث : أن معنى قوله : ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ أي مُحْتَجّاً .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا ﴾ أي بيت المقدس ، ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ فإن قيل : الله أعلم بالأشياء قبل كونها ، فكيف جعل تحويل القِبْلة طريقاً إلى علمه ؟ قيل : في قوله : ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : يعني إلا ليعلم رسولي ، وحزبي ، وأوليائي ؛ لأن من شأن العرب إضافة ما فعله أَتْباعُ الرئيس إليه ، كما قالوا : فتح عمرُ بنُ الخطاب سوادَ العراق وجبي خَرَاجَهَا .

والثاني : أن قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى : إلا لنرىٰ ، والعرب قد تضع العلمَ مكان الرؤية ، والرؤية مكان العلم ، كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾[الفيل: ١] يعني : ألم تعلم.

والثالث : قوله تعالىٰ : ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى إلا لتعلموا أننا نعلم ، فإنّ المنافقين كانوا في شك من علم الله بالأشياء قبل كونها .

والرابع : أن قوله : ﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى إلا لنميز أهل اليقين من أهل الشك ، وهذا قول ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ بمعنى فيما أمر به من استقبال الكعبة ﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ بمعنى : ممن يَرْتَدُّ عن دينه ، لأن المرتد راجع مُنْقَلِب عما كان عليه ، فشبهه بالمُنْقَلِب على عقبيه ، لأن القبلة لمَّا حُوِّلَتْ ارْتَدَّ من المسلمين قَوْمٌ ، ونافق قوم ، وقالت اليهود : إن محمداً قد اشتاق إلى بلد أبيه ، وقالت قريش : إن محمداً قد علم أننا على هدى وسَيُتَابِعُنَا .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه وإن التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة والتحويل إليها لكبيرةٌ ، وهذا هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : إن الكبيرة هي القبلة بعينها التي كان رسول الله ﷺ يتوجه إليها من بيت المقدس قبل التحويل ، وهذا قول أبي العالية الرياحي .

والثالث : أن الكبيرة هي الصلاة ، التي كانوا صَلَّوْهَا إلى القبلة الأولى ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ، فسمى الصلاة إيماناً لاشتمالها على نية وقول وعمل ، وسبب ذلك أن المسلمين لما حُوِّلُوا عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة ، قالوا لرسول الله ﷺ(٢٥٩) : كيف من مات من إخواننا ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضيعَ إِيمَانَكُم ﴾ .

فإن قيل : هم سألوه عن صلاةِ غيرهم ، فأجابهم بحال صلاتهم ؟ قيل : لأن القوم أشفقوا ، أن تكون صلاتهم إلى بيت المقدس مُحْبَطَةً لمنْ مات ومن بقي ، فأجابهم بما دَلَّ على الأمرين ، على أنه قد روى قوم أنهم قالوا : كيف تضيع صلاتنا إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى ذلك . ﴿ إِنَّ الله بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ الرأفة : أشد من الرحمة ، وقال أبو عمر عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة .

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ

---

(٢٥٩) تقدم في رواية البراء بن عازب رضي الله عنه ونزيد هنا أن الموضع الذي ذكر فيه سبب نزول هذه الآية في البخاري (١٧١/٨١) وقال الحافظ ابن كثير (٣٣٣/١) رواه الترمذي عن ابن عباس وصححه اهـ.

أقول : ورواه أحمد في مسنده برقم (٣٢٤٩) وابن جرير بإسنادين عن ابن عباس (١٦٧/٤) برقم (٢٢١٩) صحح أحدهما الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣٤٣/١) لوكيع والفريابي والطيالسي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه .

﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ ﴾ هذه الآية متقدمة في النزول على قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

وفي قوله : ﴿ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه : تحول وجهك نحو السماء ، وهذا قول الطبري .

والثاني : معناه : تقلب عينيك في النظر إلى السماء ، وهذا قول الزجاج .

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً تَرضاها ﴾ يعني الكعبة كان رسول الله ﷺ يرضاها ويختارها ويسأل [ربه](*) أن يُحوِّل إليها .

واختُلِفَ في سبب اختياره لذلك على قولين :

أحدهما : مخالفة اليهود وكراهة لموافقتهم ، لأنهم قالوا : تتبع قبلتنا وتخالفنا في ديننا ؟ وبه قال مجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أنه اختارها ، لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم ، وبه قال ابن عباس .

فإن قيل : أكان رسول الله ﷺ غير راض ببيت المقدس أن يكون له قبلة ، حتى قال تعالى له في الكعبة ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ ؟ قيل : لا يجوز أن يكون رسول الله غير راض ببيت المقدس ، لَمَّا أمره الله تعالى به ، لأن الأنبياء يجب عليهم الرضا بأوامر الله تعالى ، لكن معنى ترضاها : أي تحبها وتهواها ، وإنما أحبها مع ما ذكرنا من القولين الأولين ، لما فيها من تآلف قومه وإسراعهم إلى إجابته ، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ تَرْضَاهَا ﴾ محمولاً على الحقيقة بمعنى : ترضىٰ ما يحدث عنها من التأليف ، وسرعة الإجابة ، ثم قال تعالى مجيباً لرغبته وآمراً بطَلِبَته : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي حَوِّلْ وجهك في الصلاة ، شطر المسجد الحرام أي : نحو المسجد الحرام ، كما قال الهذلي .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

إنَّ العسير بها داءٌ يُخامِرُها فشطرُهَا نظرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ(٢٦٠)

أي نحوها ، والشطر من الأضداد ، يقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه ، وشطر عن كذا إذا بَعُدَ منه وأعرض عنه ، وشِطْرُ الشيء : نصفه ، فأما الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحوٍ غير الإستواء .

قوله تعالى : ﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ يعني به الكعبة ، لأنها فيه فعبر به عنها . واختلف أهل العلم في المكان ، الذي أمر رسول الله ﷺ أن يولي وجهه إليه :

فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ قال : حيال ميزاب الكعبة .

وقال عبد الله بن عباس : البيت كله ، وقبلة البيت الباب .

ثم قال تعالى : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ ﴾ يعني نحو المسجد الحرام أيضاً تأكيداً للأمر الأول لأن عمومه يقتضيه ، لكن أراد بالتأكيد احتمال التخصيص ، ثم جعل الأمر الأول مواجهاً به النبي ﷺ ، والثاني مواجهاً به جميع الناس ، فكلا الأمرين عام في النبي ﷺ وجميع أمته ، لكن غاير بين الأمرين ليمنع من تغيير الأمر في المأمور به ، وليكون كل واحد منهما جارياً على عمومه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ .

﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ من الخوض في إفْتَانِ المسلمين عن دينهم بذلك .

وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

(٢٦٠) ديوان في أشعار الهذليين للسكري (ص ٢٦١) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (ص ٦٠) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ يعني استقبال الكعبة .

﴿ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ يعني استقبال بيت المقدس ، بعد أن حُوِّلَتْ قِبْلَتُك إلى الكعبة .

﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ يعني أن اليهود لا تتبع النصارىٰ في القبلة ، فهم فيها مختلفون ، وإن كانوا على معاندة النبي ﷺ متفقين .

﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ يعني في القبلة .

﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ يعني في تحويلها عن بيت المقدس إلى الكعبة .

﴿ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وليس يجوز أن يفعل النبي ما يصير به ظالماً .

وفي هذا الخطاب وجهان :

أحدهما : أن هذه صفة تنتفي عن النبي ، وإنما أراد بذلك بيان حكمها لو كانت .

والوجه الثاني : أن هذا خطاب للنبي والمراد به أمته .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود والنصارى ، أوتوا التوراة ، والإنجيل .

﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعرفون أن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة حق كما يعرفون أبناءهم .

والثاني : يعرفون الرسول وصدق رسالته كما يعرفون أبناءهم .

﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ ﴾ يعني علماءَهم وخواصَّهم .

﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحق هو استقبال الكعبة .

والثاني : أن الحق محمد ﷺ ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعلمون أنه حق متبوع .

والثاني : يعلمون ما عليه من العقاب المستحق .

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ يعني استقبال الكعبة ، لا ما أخبرتك به شهود من قبلتهم .

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي من الشاكّين ، يقال : امترى فلان في كذا إذا اعترضه اليقين مَرَّةً ، والشك أخرى ، فدافع أحدهما بالآخر .

فإن قيل : أفكان شاكّاً حين نهىٰ عنه ؟ قيل : هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ فالمراد به غيره من أمته .

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ يعني ولكل أهل ملة من سائر الملل وجهة هو مولِّيها . وفيه قولان :

أحدهما : قبلة يستقبلونها ، وهو قول ابن عباس وعطاء والسدي .

والثاني : يعني صلاة يصلونها ، وهو قول قتادة .

وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ مُوَلِّيها ﴾ قولان :

أحدهما : أن أهل كل وجهة هم الذين يَتَوَلَّونَهَا ويستقبلونها .

والثاني : أن أهل كل وجهةٍ الله تعالى هو الذي يوليهم إليها ويأمرهم

باستقبالها ، وقد قرىء[٢٦١] ﴿ هُوَ مَوْلاها ﴾ وهذا حسن يدل على الثاني من القولين .

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه فسارعوا إلى الأعمال الصالحة ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والثاني : معناه : لا تُغلَبوا على قبلتكم بما تقول اليهود من أنكم إذا اتبعتم قبلتهم اتبعوكم ، وهذا قول قتادة .

﴿ ... يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾ إلى الله مرجعكم جميعاً ، يعني يوم القيامة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يعني على إعادتكم إليه أحياء بعد الموت والبلىٰ .

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

ثم أكد الله أمره في استقبال الكعبة ، لما جرىٰ من خوض المشركين ومساعدة المنافقين ، بإعادته فقال : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ تبييناً لِنَبِيِّهِ وصرفاً له عن الاغترار بقول اليهود : أنهم يتبعونه إن عاد .

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يقول ذلك ترغيباً لهم في الخير(*) .

(٢٦١) وهي بفتح اللام قراءة ابن عامر وحده [السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٧٢] .

(*) وفي نسخة أخرى للمخطوطة « الجزاء » بدلاً من الخير ومعناهما واحد .

والثاني : تحذيراً من المخالفة .

ثم أعاد الله تعالى تأكيد أمره ، ليخرج من قلوبهم ما استعظموه من تحويلهم إلى غير ما أَلِفُوه ، فقال : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ فأفاد كل واحد من الأوامر الثلاثة مع استوائها في التزام الحكم فائدة مستجده :

أما الأمر الأول فمفيد لنسخ غيره ، وأما الأمر الثاني فمفيد لأجل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أنه لا يتعقبه نسخ .

وأما الأمر الثالث فمفيد أن لا حجة عليهم فيه ، لقوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ليس يريد أن لهم عليكم حجة . وفيه قولان :

أحدهما : أن المعنى ، ولكن الذين ظلموا قد يحتجون عليكم بأباطيل الحجج ، وقد ينطلق اسم الحجة على ما بطل منها ، لإقامتها في التعلق بها مقام الصحيح حتى يظهر فسادها لمن علم ، مع خفائها على من جهل ، كما قال تعالى : ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فَسَمَّاهَا حجة ، وجعلها عند الله دَاحِضَة .

والقول الثاني : أن المعنىٰ لِئَلَّا يكون للناس عليكم حُجَّةٌ بعد الذين ظلموا ، فتكون (إلَّا) بمعنى (بعد)، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[النساء: ٢٢] أي بعدما قد سلف. وكما قيل في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] أي بعد الموتة الأولى. وأراد بالذين ظلموا قريشاً واليهود، لقول قريش حين استقبل الكعبة: قد علم أننا على هُدًى، ولقول اليهود: إن رَجَعَ عنها تابعناه.

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ في المخالفة ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : فيما هديناكم إليه من القبلة .

والثاني : ما أعددته لكم من ثواب الطاعة .

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ (١٥١) فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ (١٥٢)﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ يعني من العرب ﴿رَسُولاً مِنْكُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ يعني القرآن.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني يطهركم من الشرك.

والثاني: أن يأمركم بما تصيرون به عند الله أزكياء.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: القرآن.

والثاني: الإخبار بما في الكتب السالفة من أخبار القرون الخالية.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: السنّة.

والثاني: مواعظ القرآن.

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني من أحكام الدين وأمور الدنيا.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: اذكروني بالشكر أذكركم بالنعمة.

والثاني: اذكروني بالقبول أذكركم بالجزاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ (١٥٤)﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلاَةِ﴾ أما الصبر ها هنا ففيه قولان:

أحدهما : الثبات على أوامر الله تعالى .

والثاني : الصيام المقصود به وجه الله تعالى .

وأما الاستعانة بالصلاة فتحتمل وجهين :

أحدهما : الاستعانة بثوابها .

والثاني : الاستعانة بما يُتلى في الصلاة ليعرف به فضل الطاعة فيكون عوناً على امتثال الأوامر .

قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلٰكِن لاَّ تَشْعُرُونَ** ﴾ وسبب ذلك أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأُحُد : مات فلان ، ومات فلان ، فنزلت الآية وفيها تأويلان :

أحدهما : أنهم ليسوا أمواتاً وإن كانت أجسامهم أجسام الموتى بل هم عند الله أحياء النفوس منعّمو الأجسام .

والثاني : أنهم ليسوا بالضلال أمواتاً بل هم بالطاعة والهدى أحياء ، كما قال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾[الأنعام : ١٢٢] فجعل الضالَّ ميتاً، والمُهْتَدِيَ حياً.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : أنهم ليسوا أمواتاً بانقطاع الذكر عند الله وثبوت الأجر .

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ** ﴾ يعني أهل مكة ، لما تقدم من دعاء النبي ﷺ أن يجعلها عليهم سنين كسني يوسفَ حين قحطوا سبع سنين ، فقال الله تعالى مجيباً لدعاء نبيه : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوفِ وَالْجُوعِ** ﴾ الخوف يعني الفزع في القتال ، والجوع يعني المجاعة بالجدب .

﴿ **وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : نقصها بالجوائح المتلفة .

والثاني : زيادة النفقة في الجدب .

﴿ وَالأَنفُسِ ﴾ يعني ونقص الأنفس بالقتل والموت . ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ قلة النبات وارتفاع البركات .

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : وبشر الصابرين على الجهاد بالنصر .

والثاني : وبشر الصابرين على الطاعة بالجزاء .

والثالث : وبشر الصابرين على المصائب بالثواب ، وهو أشبه لقوله من بعد :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ يعني : إذا أصابتهم مصيبة في نفس أو أهل أو مال قالوا : إنا لله : أي نفوسنا وأهلونا وأموالنا لله ، لا يظلمنا فيما يصنعه بنا ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ يعني بالبعث في ثواب المحسن ومعاقبة المسيء .

ثم قال تعالى في هؤلاء : ﴿ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِم وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ الصلاة اسم مشترك المعنى فهي من الله تعالى الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الناس الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ . وقال الشاعر :

صلّى على يحيى وأشياعه رَبٌّ كريمٌ وشفيع مطاع

قوله تعالى : ﴿ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ أي رحمة ، وذكر ذلك بلفظ الجمع لأن بعضها يتلو بعضاً .

ثم قال : ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ فأعادها مع اختلافها للفظين لأنه أوكد وأبلغ كما قال : ﴿ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ وجهان محتملان :

أحدهما : المهتدون إلى تسهيل المصائب وتخفيف الحزن .

والثاني : المهتدون إلى استحقاق الثواب وإجزال الأجر .

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ أما الصفا والمروة فهما مبتدأ السعي ومنتهاه . وفيه قولان :

أحدهما : أن الصفا : الحجارة البيض ، والمروة الحجارة السود . واشتقاق الصفا من قولهم صفا يصفو إذا خَلَص ، وهو جمع واحده صفاة .

والثاني : أن الصفا : الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيئاً ، والمروة الحجارة الرخوة ، وهذا أظهر القولين في اللغة . يدل على الصفا قول الطرماح :

أبت لي قوتي والطول إلّا ... يؤيسَ حافراً أبداً صفاتي(٢٦٢)

ويدل على المروة قول الكميت :

ويُولّي الأرضَ خفاً ذابلاً ... فإذا ما صادف المَرْوَ رضخ(٢٦٣)

وحُكِيَ عن جعفر بن محمد قال : نزل آدم على الصفا ، وحواء على المروة ، فَسُمِّي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة .

وقيل إن اسم الصفا ذكّر بإساف وهو صنم كان عليه مذكر الاسم ، وانثت المروة بنائلة وهو صنم كان عليه مؤنث الاسم .

وفي قوله : ﴿ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ وجهان :

أحدهما : يعني من معالم الله التي جعلها لعباده معلماً ، ومنه قول الكميت :

نقتّلهم جيلاً فجيلاً تراهُمُ ... شعائر قربان بها يُتَقَرَّبُ(٢٦٤)

---

(٢٦٢) ديوان الطرماح (١٣٤) وفيه :

أبى لي ذو القوى والطول ألا ... يؤبّس حافز أبداً صفاتي

وقد نقله الطبري (٣/٢٢٤) هكذا ومنه تعلم أن الشطر الأول من البيت مخالف تماماً لما في الديوان .

(٢٦٣) ديوانه (١٦١) وفيه :

تولى الأرض خفاً مجمراً بدلاً من : يولي الأرض خفاً ذابلاً .

(٢٦٤) الهاشميات (٢١) واللسان مادة شَعَرَ

والثاني : إن الشعائر جمع شعيرة وهو الخبر الذي أخبر الله تعالى عنه ، وهي من إشعار الله عباده أمر الصفا والمروة وما عليهم من الطواف بهما ، وهذا قول مجاهد .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ ﴾ أما الحج ففيه قولان :

أحدهما : أنه القصد ، سمي به النسك لأن البيت مقصود فيه ، ومنه قول الشاعر :

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة   يحجون سب الزبرقان المزعفرا(٢٦٥)

يعني بقوله يحجون أي يكثرون التردد إليه لسؤدده ورياسته ، فسمي الحج حجاً لأن الحاج يأتي قِبَلَ البيت ثم يعود إليه لطواف الإفاضة ، ثم ينصرف إلى منى ويعود إليه لطواف الصدر ، فلتكرر العَوْد إليه مرة بعد أخرى قيل له : حاجّ .

وأما العمرة ففيها قولان :

أحدهما : أنها القصد أيضاً ، وكل قاصد لشيء فهو معتمر ، قال العجاج :

لقد غزا ابن معمر حين اعتمر   مَغْزىً بعيداً من بعيد وصَبَر(٢٦٦)

يعني بقوله حين اعتمر أي حين قصد .

والقول الثاني : أنها الزيارة ومنه قول الشاعر :

وجاشت النفسُ لمَّا جاءَ فَلُّهم   وراكب جاءَ من (تثليث) معتمرا(٢٦٧)

أي زائراً .

ثم قال تعالى : ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ورفع الجناح من أحكام المباحث دون الواجبات .

---

(٢٦٥) إصلاح المنطق (٤١١)، البيان والتبيين (٩٧/٣)، الاشتقاق لابن دريد (٧٧ ، ١٥٦) واللسان مادة [سَبَبَ ـ حَجَجَ ـ قَهَرَ ـ زَبْرَقَ] .

(٢٦٦) ديوانه (١٩) وفيه :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر   فغزى بعيداً من بعيد وخبر

وهكذا أورده الطبري في التفسير (٢٢٩/٣) .

(٢٦٧) البيت للأعشى ، انظر اللسان مادة (عَمَر) .

فذهب أبو حنيفة إلى أنّ السعي بين الصفا والمروة غير واجب في الحج والعمرة منسكاً بأمرين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات .

والثاني : أن ابن عباس وابن مسعود قَرَء : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

وذهب الشافعي ، ومالك ، وفقهاء الحرمين ، إلى وجوب السعي في النسكين تمسكاً بفحوىٰ الخطاب ونص السنة ، وليس في قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ دليل على إباحته دون وجوبه ، لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه في الجاهلية صنم اسمه إساف ، وعلى المروة صنم اسمه نائلة ، فكانت الجاهلية إذا سعت بين الصفا والمروة طافوا حول الصفا والمروة تعظيماً لإساف ونائلة ، فلما جاء الإسلام وألغيت الأصنام تَكَرَّهَ المسلمون أن يُوَافِقُوا الجاهلية في الطواف حول الصفا والمروة ، مجانبةً لما كانوا عليه من تعظيم إساف ونائلة ، فأباح الله تعالى ذلك لهم في الإسلام لاختلاف القصد فقال : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

وأما قراءة ابن مسعود ، وابن عباس : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ، فلا حجة فيها على سقوط فرض السعي بينهما لأن (لا) صلة في الكلام إذا تقدمها جَحْد، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن لَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] بمعنى ما منعك أن تسجد، وكما قال الشاعر(٢٦٨):

ما كان يرضىٰ رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عُمَرُ

﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ومن تطوع بالسعي بين الصفا والمروة ، وهذا قول مَنْ أسقط وجوب السعي .

والثاني : ومن تطوع بالزيادة على الواجب ، وهذا قول من أوجب السعي .

والثالث : ومن تطوع بالحج والعمرة بعد أداء فرضهما .

(٢٦٨) الشاعر هو جرير والبيت في ديوانه (ص :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ يحتمل تأويلين :

أحدهما : شاكر للعمل عليم بالقصد .

والثاني : شاكر للقليل عليم بالثواب .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا ﴾ قيل : هم رؤساء اليهود ، كعب بن الأشرف ، وكعب بن أسد ، وابن صوريا ، وزيد بن التابوت ، هم الذين كتموا ما أنزل الله .

﴿ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن البينات هي الحجج الدالة على نبوة محمد ﷺ ، والهدى : الأمر باتباعه .

والثاني : أن البينات والهدى واحد ، والجمع بينهما تأكيد ، وذلك ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه(٢٦٩) .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ يعني القرآن .

﴿ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ فيهم أربعة أقوال :

أحدها : أنهم كل شيء في الأرض من حيوان وجماد إلا الثقلين الإنس والجن ، وهذا قول ابن عباس والبراء بن عازب .

(٢٦٩) قال الإمام ابن جرير رحمه الله : وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معني بها كل كاتمٍ علماً فرض الله تعالى بيانه للناس (٣/٢٥١) .

والثاني : اللاعنون : الإثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة مستحقها منهما ، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت اللعنة على اليهود ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : أنهم البهائم ، إذا يبست الأرض قالت البهائم هذا من أجل عُصاةِ بني آدم ، وهذا قول مجاهد وعكرمة .

والرابع : أنهم المؤمنون من الإنس والجن ، والملائكة يَلعنون مَنْ كَفَر بالله واليوم الآخر ، وهذا قول الربيع بن أنس .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ يعني بالإسلام من كفرهم ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إصلاح سرائرهم وأعمالهم .

والثاني : أصلحوا قومهم بإرشادهم إلى الإسلام ﴿ وَبَيَّنُوا ﴾ يعني ما في التوراة من نبوة محمد ﷺ ووجوب اتّباعه ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ والتوبة من العباد : الرجوع عن الذنب ، والتوبة من الله تعالى : قبولها من عباده .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ وإنما شرط الموت على الكفر لأن حُكْمَهُ يستقر بالموت عليه ويرتفع بالتوبة منه . ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ واللعنة من العباد : الطرد ، ومن الله تعالى : العذاب . ﴿ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وقرأ الحسن البصري : ﴿ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعُونَ ﴾ بالرفع ، وتأويلها : أولئك جزاؤهم أن يلعنهم الله وتلعنهم الملائكة ويلعنهم الناس أجمعون .

فإن قيل : فليس يلعنهم جميع الناس لأن قومهم لا يلعنونهم ، قيل : عن هذا جوابان :

أحدهما : أن اللعنة من أكثر الناس يطلق عليها لعنة جميع الناس ، فغلب حكم الأكثر على الأقل .

والثاني : أن المراد به يوم القيامة يلعنهم قومهم مع جميع الناس كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ [العنكبوت : ٢٥].

ثم قال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا يخفف بالتقليل والاستراحة .

والثاني : لا يخفف بالصبر عليه والاحتمال له .

﴿ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يؤخرون عنه ولا يمهلون .

والثاني : لا ينظر الله عز وجل إليهم فيرحمهم .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦٣)

قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أراد بذلك أمرين :

أحدهما : أن إلّه جميع الخلق واحد ، لا كما ذهبت إليه عبدة الأصنام من العرب وغيرهم أن لكل قوم إلّهاً غير إله من سواهم .

والثاني : أن الإلّه وإنْ كان إلهاً لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له . ثم أكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ثم وصف فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ترغيباً في عبادته وحثاً على طاعته .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤)

ثم دل على ما ذكرهم من وحدانيته وقدرته ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾:

فآية السماء : ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة .

وآية الأرض : بحارها، وأنهارها ، ومعادنها ، وشجرها ، وسهلها ، وجبلها .

وآية الليل والنهار : اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر ، فيقبل الليل من

حيث لا يعلم، ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم، فهذا اختلافهما.

ثم قال: ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ الفلك: السفن، الوَاحدُ والجمع بلفظ واحد، وقد يذكر ويؤنث. والآية فيها: من وجهين:

أحدهما: استقلالها بحملها.

والثاني: بلوغها إلى مقصدها.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ ﴾ يعني به المطر المنزل منها، يأتي غالباً عند الحاجة، وينقطع عند الاستغناء عنه، وذلك من آياته. ثم قال تعالى: ﴿ فَأَحْيَا الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وإحياؤها بذلك قد يكون من وجهين:

أحدهما: ما تجري به أنهارها وعيونها.

والثاني: ما ينبت به من أشجارها وزروعها، وكلا هذين سبب لحياة الخلق من ناطق وبُهْم.

ثم قال تعالى: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ يعني جميع الحيوان الذي أنشأه فيها، سماه (دابة) لدبيبه عليها، والآية فيها مع ظهور القدرة على إنشائها من ثلاثة أوجه:

أحدها: تباين خلقها.

والثاني: اختلاف معانيها.

والثالث: إلهامها وجوه مصالحها.

ثم قال تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ والآية فيها من وجهين:

أحدهما: اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها، والصبا دبوراً، فلا يعلم لانتقالها سبب، ولا لانصرافها جهة.

والثاني: ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع، وانتقام يؤذي.

وقد روى سعيد بن جبير عن شريح قال: ما هاجت ريح قط إلا لسُقْمِ صحيح أو لشفاء سقيم والرياح جمع ريح وأصلها أرواح. وحكى أبو معاذ أنه كان في مصحف حفصة: ﴿وَتَصْرِيفِ الأَرْوَاحِ﴾.

وقال ابن عباس: سميت الريح لأنها تريح ساعة بعد ساعة. قال ذو الرمة:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب ... به آل مَيٍّ هاج شوقي هبوبها

ثم قال تعالى : ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ المسخر : المذلل ، والآية فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه .

والثاني : ثبوته بين السماء والأرض من غير عَمَد ولا علائق .

والثالث : تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل .

وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي العقول مرشداً وإلى الحق قائداً . فلم يقتصر الله بنا على مجرد الإخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

ثم أخبر أن مع هذه الآيات الباهرة لذوي العقول ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً ﴾ والأنداد الأمثال ، واحدها ند ، والمراد به الأصنام التي كانوا يتخذونها آلهة يعبدونها كعبادة الله تعالى مع عجزها عن قدرة الله في آياته الدالة على وحدانيته .

ثم قال تعالى : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ يعني أنهم مع عجز الأصنام يحبونهم كحب الله مع قدرته .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ ﴾ يعني من حب أهل الأوثان لأوثانهم ، ومعناه أن المخلصين لله تعالى هم المحبون حقاً .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أن الذين اتبعوا هم السادة والرؤساء تبرؤوا ممن اتبعهم على الكفر ، وهذا قول عطاء .

والثاني : أنهم الشياطين تبرؤوا من الإنس ، وهذا قول السدي .

﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ يعني به المتبوعين والتابعين . وفي رؤيتهم للعذاب وجهان محتملان :

أحدهما : تيقنهم له عند المعاينة في الدنيا .

والثاني : أن الأمر بعذابهم عند العرض والمساءَلة في الآخرة .

﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الأسباب تواصلهم في الدنيا ، وهو قول مجاهد وقتادة .

والثاني : المنازل التي كانت لهم في الدنيا ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أنها الأرحام ، وهو رواية ابن جريج عن ابن عباس .

والرابع : أنها الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا ، وهو قول السدي .

والخامس : أنها العهود والحلف الذي كان بينهم في الدنيا .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ يريد بذلك أن الأتباع قالوا للمتبوعين لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منكم فيها كما تبرأتم منا في الآخرة .

﴿ كَذَلِكَ يُرِيهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ يريد المتبوعين والأتباع ، والحسرة شدة الندامة على محزون فائت .

وفي ﴿ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ وجهان :

أحدهما : برهم الذي حبط بكفرهم ، لأن الكافر لا يثاب مع كفره .

والثاني : ما نقصتِ به أعمارهم في أعمال المعاصي أن لا تكون مصروفة إلى طاعة الله .

﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ يريد به أمرين :

أحدهما : فوات الرجعة .

والثاني : خلودهم في النار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً ﴾ قيل إنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام والزرع ، فأباح لهم الله تعالى أكله وجعله لهم حلالاً طيباً .

﴿ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ وهي جمع خطوة ، واختلف أهل التفسير في المراد بها على أربعة أقاويل :

أحدها : أن خطوات الشيطان أعماله ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنها خطاياه وهو قول مجاهد .

والثالث : أنها طاعته ، وهو قول السدي .

والرابع : أنها النذور في المعاصي .

﴿ إِنَّه لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي ظاهر العداوة .

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ قال السدي : السوء في هذا الموضع معاصي الله ، سميت سوءاً لأنها تسوء صاحبها بسوء عواقبها .

وفي الفحشاء ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : الزنى .

والثاني : المعاصي .

والثالث : كل ما فيه الحد ، سمي بذلك لفحش فعله وقبح مسموعه .

﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن تحرموا على أنفسكم ما لم يحرمه الله عليكم .

والثاني : أن تجعلوا له شريكاً .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ يعني في تحليل ما حرموه من الأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَآبَاءَنَا ﴾ يعني في تحريم ذلك عليهم .

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن مثل الكافر فيما يوعظ به مثل البهيمة التي ينعق بها تسمع الصوت ولا تفهم معناه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : مثل الكافر في دعاء آلهته التي يعبدها من دون الله كمثل راعي البهيمة يسمع صوتها ولا يفهمه ، وهذا قول ابن زيد .

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي صم عن الوعظ فلا يسمعونه ، بكم عن الحق فلا يذكرونه ، عمي عن الرشد فلا يبصرونه فهم لا يعقلونه ، لأنهم إذا لم يعملوا بما يسمعونه ويقولونه ويبصرونه كانوا بمثابة من فقد السمع والنطق والبصر .
والعرب تقول لمن سمع ما لا يعمل به : أصم . قال الشاعر :

. . . . أصمُّ عمّا ساءه سميعُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ أخبر الله تعالى بما حرم بعد

قوله : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ليدل على تخصيص التحريم من عموم الإباحة ، فقال : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ وهو ما فات روحه بغير ذكاة .

﴿ وَالدَّمَ ﴾ هو الجاري من الحيوان بذبح أو جرح .

﴿ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصاراً على النص ، وهذا قول داود بن علي .

والثاني : أن التحريم عام في جملة الخنزير ، والنص على اللحم تنبيه على جميعه لأنه معظمه ، وهذا قول الجمهور .

﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ يعني بقوله : ﴿ أُهِلَّ ﴾ أي ذبح وإنما سمي الذبح إهلالاً لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهتهم ذكروا عنده اسم آلهتهم وجهروا به أصواتهم ، فسمي كل ذابح جَهَر بالتسمية أو لم يجهر مُهِلاً ، كما سمي الإحرام إهلالاً لرفع أصواتهم عنده بالتلبية حتى صار إسماً له وإن لم يرفع عنده صوت .

وفي قوله تعالى : ﴿ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : ما ذبح لغير الله من الأصنام وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : ما ذكر عليه اسم غير الله ، وهو قول عطاء والربيع .

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ اضطر افتُعل من الضرورة ، وفيه قولان :

أحدهما : معناه : فمن أكره على أكله فلا إثم عليه ، وهو قول مجاهد .

والثاني : فمن احتاج إلى أكله لضرورة دعته من خوف على نفس فلا إثم عليه ، وهو قول الجمهور .

وفي قوله : ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم ، فيدخل الباغي على الإمام وأمته والعادي : قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة ، والحسن ، وعكرمة ، والربيع ، وابن زيد .

والثالث : غير باغٍ في أكلها شهوة وتلذذاً ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي . وأصل البغي في اللغة : قصد الفساد يقال بغت المرأة تبغي بِغَاءً إذا فَجَرَتْ . وقال الله عز وجل : ﴿ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾ [النور: ٣٣] وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد، والعرب تقول خرج الرجل في بغاء إبلٍ له، أي في طلبها، ومنه قول الشاعر:

لا يمنعنَّك من بغا ء الخير تعقادُ التمائم

إن الأشائم كالأيا من ، والأيامن كالأشائم

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ يعني علماء اليهود كتموا ما أنزل الله عز وجل في التوراة من صفة محمد ﷺ وصحة رسالته . ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ يعني قبول الرُشا على كتم رسالته وتغيير صفته ، وسماه قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته . وقيل : لأن ما كانوا يأخذون من الرُشا كان قليلاً .

﴿ أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يريد أنه حرام يعذبهم الله عليه بالنار فصار ما يأكلون ناراً ، فسماه في الحال بما يصير إليه في ثاني الحال ، كما قال الشاعر :

وأمّ سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة

﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدهما : معناه يغضب عليهم ، من قولهم : فلان لا يكلم فلاناً إذا غضب عليه .

والثاني : لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية .

والثالث : معناه لا يسمعهم كلامه(٢٧٠) .

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني لا يصلح أعمالهم الخبيثة .

والثاني : لا يثني عليهم ، ومن لا يثني الله عليه فهو معذب ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي مؤلم موجع .

قوله تعالى : ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ يعني من تقدم ذكره من علماء اليهود اشتروا الكفر بالإيمان ﴿ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ يعني النار بالجنة .

﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : معناه ما أجرأهم على النار ، وهذا قول أبي صالح

والثاني : فما أصبرهم على عمل يؤدي بهم إلى النار .

والثالث : معناه فما أبقاهم على النار ، من قولهم : ما أصبر فلاناً على الحبس ، أي ما أبقاه فيه .

والرابع : بمعنى أي شيء صبّرهم على النار ؟

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ

---

(٢٧٠) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله (٣/ ٣٣٠) وأما قوله ولا يكلمهم الله يوم القيامة يقول : ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون فأما بما يسوؤهم ويكرهون فإنه سيكلمهم لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم إذا قالوا ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ الآيتين سورة المؤمنون ١٠٧ ، ١٠٨ .

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى : ﴿ لَيسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ الآية ، فيها قولان :

أحدهما : أن معناها ليس البر الصلاة وحدها ، ولكن البر الإيمان مع أداء الفرائض التي فرضها الله ، وهذا بعد الهجرة إلى المدينة واستقرار الفروض والحدود ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أن المعنِّي بذلك اليهود والنصارىٰ ، لأن اليهود تتوجه إلى المغرب ، والنصارىٰ تتوجه إلى المشرق في الصلاة ، ويرون ذلك هو البر ، فأخبرهم الله عز وجل ، أنه ليس هذا وحده هو البر ، حتى يؤمنوا بالله ورسوله ، ويفعلوا ما ذَكَرَ ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه ولكن ذا البر من آمن بالله .

والثاني : معناه ولكن البرَّ بِرُّ مَنْ آمن بالله ، يعني الإقرار بوحدانيته وتصديق رسله ، حكاهما الزَّجَّاجُ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ يعني التصديق بالبعث والجزاء .

﴿ وَٱلْمَلَائِكَةِ ﴾ يعني فيما أُمِروا به ، مِنْ كَتْبِ الأعمال ، وتولي الجزاء .

﴿ وَٱلْكِتَابِ ﴾ يعني القرآن ، وما تضمنه من استقبال الكعبة ، وأن لا قبلة سواها .

﴿ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ يعني التصديق بجميع الأنبياء ، وأن لا يؤمنوا ببعضهم ويكفروا ببعض . ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ يعني على حب المال . قال ابن مسعود : أن يكون صحيحاً شحيحاً يطيل الأمل ويخشى الفقر . وكان الشعبي يروي عن فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ فِي المَالِ حَقاً سِوَى الزَّكَاةِ »[٢٧١] وتلا هذه الآية

(٢٧١) رواه الترمذي (٢/٢٢) وابن جرير (٣/٣٤٣ برقم ٢٥٢٧ ، ٣٥٣٠) والدارمي (١/٣٨٥) وابن =

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ إلى آخرها ، فذهب الشعبي والسدي إلى إيجاب ذلك لهذا الخبر ، وروي عن النبي ﷺ أنه سئل : أي الصدقة أفضل ؟ قال : « جُهْدٌ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ الْكَاشِحِ »(٢٧٢).

وذهب الجمهور إلى أنْ ليس في المال حق سوى الزكاة وأن ذلك محمول عليها أو على التطوع المختار .

وقوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ يريد قرابة الرجل من طرفيه من قِبَل أبويه ، فإن كان ذلك محمولاً على الزكاة ، روعي فيهم شرطان :

أحدهما : الفقر .

والثاني : سقوط النفقة . وإن كان ذلك محمولاً على التطوع لم يعبر واحد منهما ، وجاز مع الغنى والفقر ، ووجوب النفقة وسقوطها ، لأن فيهم مع الغنى صلة رحم مبرور .

= ماجه (١٧٨٩) والبيهقي في السنن (٤/ ٨٤) وضعفه الترمذي بقوله :
هذا حديث ليس إسناده بذاك . ا. هـ.
ففي سنده أبو حمزة ميمون الأعور جَرَحَه أحمد وابن معين وغيرهما وضَعَّفَ الحديث البيهقيُّ أيضاً وابن حجر في التلخيص (١٧٧) وقال: هذا حديث مضطرب السند وضَعَّفَه السيوطي في الجامع (٤٧٢/٢) الفيض .
ونقل المناوي في الفيض (٥/ ٣٧٥) عن النووي تضعيفه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦٧/٢ ، ٦٢/٥) ونقله الحافظ ابن كثير في التفسير (٢٠٦/١) من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه .
تنبيه : ـ وقع في رواية ابن ماجه ليس في المال حق سوى الزكاة وقد تكلم على هذه الرواية العلامة أحمد شاكر في تفسير الطبري (٣٤٤/٣) فراجع كلامه هناك فقد وضح أنها خطأ ونقل عن الإمام البيهقي أنه لم يحفظ لها إسناداً .

(٢٧٢) أورده الطبري هكذا معلقاً بدون إسناد (٣٤٤/٣) وقد وردت أحاديث بمعناه ذكر الهيثمي منها الكثير (١١٦/٣) نقتصر منها على رواية أم كلثوم رضي الله عنها وهي بلفظ « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح » رواها الحاكم في المستدرك (٤٠٦/١) وعنه البيهقي في السنن (٢٧٠/٧) وابن خزيمة (٢٤٣/١ /٢) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وكذا المنذري (٣٣/٢) الترغيب . وقال الهيثمي (١١٦/٣) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في الإرواء (٤٠٥/٣) وزاد الحافظ ابن حجر نسبَتَه في تخريج الكشاف (ص ١٣) لعبد الرزاق .

﴿ وَٱلْيَتَامَىٰ ﴾ وهم من اجتمع فيهم شرطان : الصغر وفقد الأب ، وفي اعتبار الفقر فيهم قولان كالقرابة .

﴿ وَالْمَسَاكِينَ ﴾ وهم من عُدِمَ قدرُ الكفاية وفي اعتبار إسلامهم قولان(*) :

﴿ وابْنَ السَّبِيلِ ﴾ هم فقراء المسافرين ﴿ والسَّائِلِينَ ﴾ وهم الذين ألجأهم الفقر إلى السؤال .

﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ وفيهم قولان :

أحدهما : أنهم عبيد يعتقون ، وهو قول الشافعي رحمه الله .

والثاني : أنهم مُكَاتَبُونَ يعاونون في كتابتهم بما يعتقون ، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة .

﴿ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ ﴾ يعني إلى الكعبة على شروطها وفي أوقاتها .

﴿ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ يعني إلى مستحقها عند وجوبها .

﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ وذلك من وجهين :

أحدهما : النذور التي بينه وبين الله تعالى .

والثاني : العقود التي بينه وبين الناس ، وكلاهما يجب عليه الوفاء به .

﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ قال ابن مسعود : البأساء الفقر ، والضراء السقم .

﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ أي القتال .

وفي هذا كله قولان :

أحدهما : أنه مخصوص في الأنبياء عليهم السلام لأنه لا يقدرعلى القيام بهذا كله على شروطه غيرهم .

والثاني : أنه عامٌ ،في الناس كلهم لإرسال الكلام وعموم الخطاب .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ فيه وجهان :

(*) أي قول بأن المسكين الذي يتصدق عليه ينبغي أن يكون مسلماً والقول الثاني أن إسلامه ليس شرطاً وأن الذي يعطي

أحدهما : طابقت نياتهم لأعمالهم .

والثاني : صدقت أقوالهم لأفعالهم .

﴿ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن تخالف سرائرهم لعلانيتهم .

والثاني : أن يحمدهم الناس بما ليس فيهم .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ معنى قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ أي فرض عليكم ، ومنه قول نابغة بني جعدة :

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني عنكم فهل أمنعن الله ما فعلا(٢٧٣)

وقول عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول(٢٧٤)

والقصاص : مقابلة الفعل بمثله مأخوذ من قص الأثر .

ثم قال تعالى : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِالْأُنثَى ﴾ فاختلف أهل التأويل في ذلك على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من العرب كانوا أعزة أقوياء لا يقتلون بالعبد منهم إلا سيداً وبالمرأة منهم إلا رجلًا ، استطالة بالقوة وإدلالاً بالعزة ، فنزلت هذه الآية فيهم ، وهذا قول الشافعي ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في فريقين كان بينهما على عهد رسول الله ﷺ قتال ،

(٢٧٣) انظر اللسان مادة [كتب] والمقاييس لابن فارس (٥/١٥٩) .

(٢٧٤) ديوان عمر (ص ٤٢١) والأغاني (٩/٢٢٩) .

فقتل من الفريقين جماعة من رجال ونساء وعبيد فنزلت هذه الآية فيهم ، فجعل رسول الله ﷺ دية الرجل قصاصاً بدية الرجل ، ودية المرأة قصاصاً بدية المرأة ، ودية العبد قصاصاً بدية العبد ثم أصلح بينهم . وهذا قول السدي وأبي مالك .

والثالث : أن ذلك أمر من الله عز وجل بمقاصة دية القاتل المُقْتَص منه بدية المقتول المقتص له واستيفاء الفاضل بعد المقاصة ، وهذا قول عليّ كان يقول في تأويل الآية : أيما حر قتل عبداً فهو به قود ، فإن شاء موالي العبد أن يقتلوا الحر قتلوه وقاصّوهم بثمن العبد من دية الحر وأدوا إلى أولياء الحر بقية دِيته ، وأيما عبد قتل حراً فهو به قود ، فإن شاء أولياء الحر قتلوا العبد وقاصّوهم بثمن العبد وأخذوا بقية دية الحر ، وأيما رجل قتل امرأة فهو بها قود ، فإن شاء أولياء المرأة قتلوه ، وأدوا بقية الدية إلى أولياء الرجل ، وأيما امرأة قتلت رجلاً فهي به قود ، فإن شاء أولياء الرجل قتلوها وأخذوا نصف الدية .

والرابع : أن الله عز وجل فرض بهذه الآية في أول الاسلام أن يُقْتَلَ الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، والعبد بالعبد ، ثم نَسَخَ ذلك قولُه في سورة المائدة ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥] وهذا قول ابن عباس.

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : فمن عفي له عن القصاص منه فاتّباع بمعروف[٢٧٥] وهو أن يطلب الولي الدية بمعروف ويؤدي القاتلُ الدية بإحسان ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أن معنى قوله : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ بمعنى فمن فضل له فضل وهذا تأويل من زعم أن الآية نزلت في فريقين كانا على عهد رسول الله ﷺ قتل من كلا الفريقين قتلى فتقاصّا ديات القتلى بعضهم من بعض ، فمن بقيت له

(٢٧٥) قال الحافظ رحمه الله (١٧٧/٨ فتح) قال الخطابي في قوله : ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع . . . ﴾ إلخ يحتاج إلى تفسير لأن العفو يقتضي إسقاط الطلب.
فما هو الاتباع . وأجاب بأن العفو في الآية محمول على العفو عن الدية فيتجه حينئذ المطالبة بها ويدخل فيه بعض مستحقي القصاص فإنه يسقط وينتقل حق من لم يقف إلى الدية فيطالب بحصته . اهـ.

بقية فليتبعها بمعروف ، وليرد من عليه الفاضل بإحسان ، ويكون معنى ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ أي فضل له قِبل أخيه القاتل شيء ، وهذا قول السدي .

والثالث : أن هذا محمول على تأويل عليّ (رضي الله عنه) في أول الآية ؟ في القصاص بين الرجل والمرأة والحر والعبد وأداء ما بينهما من فاضل الدية .

ثم في الاتباع بالمعروف والأداء إليه بإحسان وجهان ذكرهما الزَّجَّاج :

أحدهما : أن الاتباع بالمعروف عائد إلى ولي المقتول أن يطالب بالدية بمعروف ، والأداء عائد إلى القاتل أن يؤدي الدية بإحسان .

والثاني : أنهما جميعاً عائدان إلى القاتل أن يؤدي الدية بمعروف وبإحسان .

ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ يعني خيار الولي في القود أو الدية ، قال قتادة : وكان أهل التوراة يقولون : إنما هو قصاص أو عفو ليس بينهما أرش(*) ، وكان أهل الإنجيل يقولون : إنما هو أرش أو عفو ليس بينهما قود ، فجعل لهذه الأمة القود والعفو والدية إن شاءوا ، أحلها لهم ولم تكن لأمة قبلهم ، فهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُم وَرَحْمَةٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني مَنْ قَتَلَ بعد أَخْذِهِ الدية فله عذاب أليم ، وفيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن العذاب الأليم هو أن يقتل قصاصاً ، وهو قول عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك .

والثاني : أن العذاب الأليم هو أن يقتله الإمام حتماً لا عفو فيه ، وهو قول ابن جريج ، وروي أن النبي ﷺ كان يقول : « لَا أُعَافِي رَجُلاً قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ »(٢٧٦) .

---

(٢٧٦) ورد عن قتادة مرسلاً رواه ابن جرير (٣/٣٧٦) وابن المنذر كما في الدر المنثور (١/٤٢١) وورد عن سمرة بن جندب مرفوعاً رواه سمويه في فوائده كما في الدر وهو من رواية الحسن عن سمرة وفيها خلاف شهير والحسن مدلِّس ولم يُصَرِّح بالتحديث وضَعَّفَ هذه الرواية الشيخ مقبل بن هادي في تخريج ابن كثير (١/٣٦٧) وورد عن جابر مرفوعاً رواه أبو داود (٤٥٠٧) وأحمد (١٤٩٦٨) والطيالسي (١٧٦٣) وفي إسناده رَجُلٌ مُبْهَمٌ وضَعَّفَه الشيخ شاكر في تخريج الطبري (٣/٣٧٦) ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع (٦/٣٨٠) فَتَعَقَّبَهُ المناوي قائلاً (٦/٣٨٠) فيه مطر الوَرَّاق أورده الذهبي في الضعفاء.

(*) وهو معروف عند الفقهاء بأنه دية الجراحات .

والثالث : أن العذاب الأليم هو عقوبة السلطان .

والرابع : أن العذاب الأليم استرجاع الدية منه ، ولا قود عليه ، وهو قول الحسن البصري .

قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إذا ذكره الظالم المعتدي ، كف عن القتل فحيي ، وهذا قول مجاهد وقتادة .

والثاني : أن إيجاب القصاص على القاتل وترك التعدي إلى من ليس بقاتل حياة للنفوس ، لأن القاتل إذا علم أن نفسه تؤخذ بنفس من قتله كف عن القتل فَحِيِيَ أن يقتل قوداً ، أو حَيِيَ المقتول أن يقتل ظلماً .

وفي المعنيين تقارب ، والثاني أعم ، وهو معنىٰ قول السدي .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يعني يا ذوي العقول ، لأن الحياة في القصاص معقولة بالاعتبار .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قال ابن زيد : لعلك تتقي أن تقتله فتقتل به .

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي فرض عليكم ، وقوله : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ ليس يريد به ذكر الوصية عند حلول الموت ، لأنه في شغل عنه ، ولكن تكون العطية بما تقدم من الوصية عند حضور الموت ، ثم قال تعالى : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ، والخير : المال في قول الجميع ، قال مجاهد: الخيرفي القرآن كله المال. ﴿ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

[العاديات: ٨] أي المال، ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾، [صٓ: ٣٢] ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾ [النور: ٣٣] وقال شعيب: ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤] يعني الغنى والمال.

واختلف أهل العلم في ثبوت حكم هذه الآية ، فذهب الجمهور من التابعين والفقهاء إلى أن العمل بها كان واجباً قبل فرض المواريث لئلا يضع الرجل ماله في البُعَدَاء طلباً للسمعة والرياء ، فلما نزلت آية المواريث في تعيين المستحقين ، وتقدير ما يستحقون ، نسخ بها وجوب الوصية ومنعت السنّة من جوازها للورثة ، وقال آخرون : كان حكمها ثابتاً في الوصية للوالدين ، والأقربين حق واجب ، فلما نزلت آي المواريث وفرض ميراث الأبوين نسخ بها الوصية للوالدين وكل وارث ، وبقي فرض الوصية للأقربين الذين لا يرثون على حالة ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وطاوس ، وجابر بن زيد .

فإن أوصىٰ بثُلُثِه لغير قرابته ، فقد اختلف قائلو هذا القول في حكم وصيته على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أن يرد ثلث الثلث على قرابته ويكون ثلثا الثلث لمن أوصىٰ له به ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أن يرد ثلثا الثلث على قرابته ويكون ثلث الثلث لمن أوصىٰ له به ، وهذا قول جابر بن زيد .

والثالث : أنه يرد الثلث كله على قرابته ، وهذا قول طاوس .

واختلف في قدر المال الذي يجب عليه أن يوصي منه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ألف درهم ، تأويلاً لقوله تعالى : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْراً ﴾ أن الخير ألف درهم وهذا قول عليّ .

والثاني : من ألف درهم إلى خمسمائة درهم ، وهذا قول إبراهيم النخعي .

والثالث : أنه غير مقدر وأن الوصية تجب في قليل المال وكثيره ، وهذا قول الزهري .

ثم قال تعالى : ﴿ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ يحتمل قوله بالمعروف وجهين :

أحدهما : بالعدل الوسط الذي لا بخس فيه ولا شطط .

والثاني : يعني بالمعروف من ماله دون المجهول .

وقوله تعالى : ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ يعني بالتقوى من الورثة أن لا يسرف ، والأقربين أن لا يبخل ، قال ابن مسعود : الأجِل فالأجِل ، يعني الأحوج فالأحوج . وغاية ما لا سرف فيه : الثلث ، لقول النبي ﷺ « **الثلث والثلث كثير** »(٢٧٧) .

وروىٰ الحسن أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وصّياً بالخمس وقالا يوصي بما رضي الله لنفسه : بالخمس ، وكان يقول : الخمس معروف ، والربع جهد ، والثلث غاية ما تجيزه القضاة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ ﴾ يعني فَمَنْ غَيَّرَ الوَصِيَّةَ بعدما سمعها ، وإنما جُعِلَ اللفظ مذكراً وإن كانت الوصية مؤنثة لأنه أراد قول المُوصِي ، وقوله مذكر . ﴿ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ أي يسمعونه ويَعْدِلون به عن مستحقه ، إما ميلاً أو خيانة ، وللميت أجر قصده وثواب وصيته ، وإن غُيِّرت بعده .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي سميع لقول الموصِي ، عليم بفعل الوصي .

قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُم ﴾ اختلف المفسرون في تأويل ذلك ، على خمسة أقاويل :

أحدها : أن تأويله فمن حضر مريضاً ، وهو يوصي عند إشرافه على الموت ، فخاف أن يخطىء في وصيته ، فيفعل ما ليس له أو أن يتعمد جَوْراً فيها ، فيأمر بما ليس له ، فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منه ، أن يصلح بينه وبين ورثته ، بأن يأمره بالعدل في وصيته ، وهذا قول مجاهد .

(٢٧٧) رواه البخاري (١/٣٢٦ ، ٣/٤٩ ، ١٧٥ ، ٤/٤٧ ، ٢٠١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥) ومسلم (١٦٢٨) والترمذي (٦/٣٥٠ التحفة) وأبو داود (٢٨٦٤) وابن ماجه (٢٧٠٨) والبيهقي (٦/٢٦٨) والطيالسي برقم (١٩٥ ، ١٩٦) ومالك (٢/٧٦٣/ ٤) والطحاوي (٢/٤١٦) وأحمد في مواضع كثيرة منها برقم (١٥٢٤) وقال الترمذي حسن صحيح .

والثاني : أن تأويلها فمن خاف من أوصياء الميت جنفاً في وصيته ، فأصلح بين ورثته وبين المُوصَىٰ لهم فيما أُوصِيَ به لهم حتى رد الوصية إلى العدل ، فلا إثم عليه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أن تأويلها فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً في عطيته لورثته عند حضور أجله ، فأعطى بعضاً دون بعض ، فلا إثم عليه أن يصلح بين ورثته في ذلك ، وهذا قول عطاء .

والرابع : أن تأويلها فمن خاف من موصٍ جنفاً ، أو إثماً في وصيته لغير ورثته بما يرجع نفعه إلى ورثته فأصلح بين ورثته ، فلا إثم عليه ، وهذا قول طاووس .

والخامس : أن تأويلها فمن خاف من موصٍ لآبائه وأقربائه جنفاً على بعضهم لبعض ، فأصلح بين الآباء والأقرباء ، فلا إثم عليه ، وهذا قول السدي .

وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَفاً أَوْ إِثْماً ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن الجنف الخطأ ، والإثم العمد ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن الجنف الميل ، والإثم أن يكون قد أثم في أَثَرةٍ بعضهم على بعض ، وهذا قول عطاء وابن زيد .

والجنف في كلام العرب هو الجَوْرُ والعُدُولِ عن الحق ، ومنه قول الشاعر :

هم المولى وهمْ جنفوا علينا وإنـا من لقائهمُ لَـزُورُ(٢٧٨)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ

(٢٧٨) هو عامر الخصفي من بني خصفة بن قيس عيلان والبيت له. انظره في مجاز القرآن لأبي عبيدة (٦٦ ، ٦٧) ومشكل القرآن (٢١٩).

مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ بمعنى فرض عليكم الصيام ، والصيام من كل شيء الإمساك عنه ، ومن قوله تعالى : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْماً ﴾ أي صمتاً ، لأنه إمساك عن الكلام ، وذم أعرابي قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويقصون على الفواحش ، وأصله مأخوذ من صيام الخيل ، وهو إمساكها عن السير والعلف ، قال النابغة الذبياني :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ   تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجما(٢٧٩)

ولذلك قيل لقائم الظهيرة : قد صام النهار ، لإبطاء الشمس فيه عن السير ، فصارت بالإبطاء كالممسكة عنه ، قال الشاعر :

فدعها وسَلِّ الهمَّ عنك بجَسْرةٍ   ذمولٍ إذا صام النهار وهجّرا(٢٨٠)

إلا أن الصوم في الشرع : إنما هو إمساك عن محظورات الصيام في زمانه ، فجعل الصيام من أوكد عباداته وألزم فروضه ، حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال : **« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَلَخلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِندَ اللَّهِ مَن رِيحِ المِسْكِ »**(٢٨١) .

وإنما اختص الصوم بأنه له ، وإن كان كل العبادات له ، لأمرين بَايَنَ الصومُ بِهِمَا سائِرَ الْعِبَادَاتِ :

أحدهما : أن الصوم منع من مَلاَذِّ النفس وشهواتها ، ما لا يمنع منه سائر العبادات .

والثاني : أن الصوم سر بين العبد وربه لا يظهر إلا له ، فلذلك صار مختصاً به ، وما سواه من العبادات ظاهر ، ربما فعله تصنّعاً ورياء ، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره .

(٢٧٩) ديوانه ص ١٠٦ .

(٢٨٠) هذا البيت لامرىء القيس .

(٢٨١) رواه البخاري (٣/٢٤) ومسلم (٥/١٣٢) والنسائي (٤/٥٩) من حديث أبي هريرة .

ثم قال تعالى : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم النصارىٰ ، وهو قول الشعبي والربيع وأسباط .

والثاني : أنهم أهل الكتاب ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنهم جميع الناس ، وهو قول قتادة .

واختلفوا في موضع التشبيه بين صومنا ، وصوم الذين من قبلنا ، على قولين :

أحدهما : أن التشبيه في حكم الصوم وصفته ، لا في عدده لأن اليهود يصومون من العتمة إلى العتمة ، ولا يأكلون بعد النوم شيئاً ، وكان المسلمون على ذلك في أول الإسلام ، لا يأكلون بعد النوم شيئاً حتى كان من شأن عمر بن الخطاب وأبي قيس بن صرمة ما كان ، فأحلّ الله تعالى لهم الأكل والشرب ، وهذا قول الربيع بن أنس ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « بَيْنَ صَومِنَا وَصَومِ أَهلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ »[٢٨٢] .

والقول الثاني : أن التشبيه في عدد الصوم ، وفيه قولان :

أحدهما : أن النصارىٰ كان الله فرض عليهم صيام ثلاثين يوماً كما فرض علينا ، فكان ربما وقع في القيظ ، فجعلوه في الفصل بين الشتاء والصيف ، ثم كفّروه بصوم عشرين يوماً زائدة ، ليكون تمحيصاً لذنوبهم وتكفيراً لتبديلهم ، وهذا قول الشعبي .

والثاني : أنهم اليهود كان عليهم صيام ثلاثة أيام من كل يوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ، فكان على ذلك سبعة عشر شهراً إلى أن نسخ بصوم رمضان ، قال ابن عباس : كان أول ما نسخ شأن القبلة والصيام الأول .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : لعلكم تتقون ما حرم عليكم في الصيام ، من أكل الطعام ، وشرب الشراب ، ووطء النساء ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

(٢٨٢) رواه مسلم برقم (١٠٩٦)، أبو داود (٢٣٤٣)، والنسائي (٤/١٤٦) والترمذي رقم (٧٠٩).

والثاني : معناه أن الصوم سبب يؤول بصاحبه إلى تقوى الله ، لما فيه من قهر النفس ، وكسر الشهوة ، وإذهاب الأشر ، وهو معنى قول الزجاج .

قوله عز وجل : ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها أيام شهر رمضان التي أَبَانَها من بعد ، وهو قول ابن أبي ليلى وجمهور المفسرين .

والثاني : أنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، كانت مفروضة قبل صيام شهر رمضان ، ثم نسخت به ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة وعطاء ، وهي الأيام البيض من كل شهر ، وفيها وجهان :

أحدهما : أنه الثاني عشر وما يليه .

الوجه الثاني : أنها الثالث عشر وما يليه ، وهو أظهر الوجهين ، لأن أيام الشهر مجزأة عند العرب عشرة أجزاء ، كل جزء منها ثلاثة أيام ، تختص باسم ، فأولها ثلاث غرر ، ثم ثلاث شهب ، ثم ثلاث بهر ، ثم ثلاث عشر ، ثم ثلاث بيض ، ثم ثلاث درع ، والدرع هو سواد مقدم الشاة ، وبياض مؤخرها ، فقيل لهذه الثلاث درع ، لأن القمر يغيب في أولها ، فيصير ليلها درعاً ، لسواد أوله ، وبياض آخره ، ثم ثلاث خنس ، لأن القمر يخنس فيها ، أي يتأخر ، ثم ثلاث دهم ، وقيل حنادس لإظلامها ، ثم ثلاث فحم ، لأن القمر يتفحم فيها ، أي يطلع آخر الليل ، ثم ثلاث رادي ، وهي آخر الشهر ، مأخوذة من الرادة ، أن تسرع نقل أرجلها حتى تضعها في موضع أيديها .

وقد حكىٰ أبو زيد ، وابن الأعرابي ، أنهم جعلوا للقمر في كل ليلة من ليالي العشر اسماً ، فقالوا ليلة عتمة سخيلة حل أهلها برميلة ، وابن ليلتين حديث مين مكذب ومبين ، ورواه ابن الأعرابي كذب ومين ، وابن ثلاث قليل اللباث ، وابن أربع عتمة ربع لا جائع ولا مرضع ، وابن خمس حديث وأنس ، وابن ست سِرْ وبِتْ ، وابن سبع دلجة الضبع ، وابن ثمان قمر إضحيان ، وابن تسع انقطع الشسع . وفي رواية غير أبي زيد : يلتقط فيه الجزع ، وابن عشر ثلث الشهر ، عن أبي زيد وعن غيره ، ولم يجعل له فيما زاد عن العشر اسماً مفرداً .

واختلفوا في الهلال متى يصير قمراً ، فقال قوم يسمى هلالا لليلتين ، ثم يُسَمَّى بعدها قمراً، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى ثلاث ، ثم يسمى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى ثلاث ، ثم يسمى بعدها قمراً ، وقال آخرون يسمى هلالاً حتى يحجر ، وتحجيره أن يستدير بخَطَّةٍ دقيقة ، وهو قول الأصمعي ، وقال آخرون يسمى هلالاً إلى أن يبهر ضوؤه سواد الليل ، فإذا بهر ضوؤه يسمى قمراً ، وهذا لا يكون إلا في الليلة السابعة .

[ثم عدنا إلى تفسير ما بقي من الآية].

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ يعني مريضاً لا يقدر مع مرضه على الصيام ، أو على سفر يشق عليه في سفره الصيام .

﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه مع وجود السفر ، يلزمه القضاء سواء صام في سفره أو أفطر ، وهذا قول داود الظاهري .

والثاني : أن في الكلام محذوفاً وتقديره : فأفطر فعدة من أيام أخر ، ولو صام في مرضه وسفره لم يَعِدْ ، لكون الفطر بهما رُخْصَة لا حتماً ، وهذا قول الشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وجمهور الفقهاء .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ هكذا قرأ أكثر القراء ، وقرأ ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ وَعَلَىٰ الَّذِينَ لاَ يَطِيقُونَهُ فدية ﴾، وتأويلها : وعلى الذين يكلفونه ، فلا يقدرون على صيامه لعجزهم عنه ، كالشيخ والشيخة والحامل والمرضع ، فدية طعام مسكين ، ولا قضاء عليهم لعجزهم عنه .

وعلى القراءة المشهورة فيها تأويلان :

أحدهما : أنها وردت في أول الإسلام ، خيّر الله تعالى بها المطيقين للصيام من الناس كلهم بين أن يصوموا ولا يكفروا ، وبين أن يفطروا ويكفروا كل يوم بإطعام مسكين ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ، وقيل بل نسخ بقوله : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُم ﴾، وهذا قول ابن عمر ، وعكرمة ، والشعبي ، والزهري ، وعلقمة ، والضحاك .

والثـاني : أن حكمهـا ثـابت ، وأن معنىٰ قـولـه تعـالى : ﴿ وَعَلَى الَّـذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ أي كانوا يطيقونه في حال شبابهم ، وإذا كبروا عجزوا عن الصوم لكبرهم أن يفطروا ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، والسدي .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خيراً فَهُوَ خَيْرٌ لَـهُ ﴾ فيه تـأويلان :

أحدهما: فمن تطوع بأن زاد على مسكين واحد فهو خير له وهـذا قول ابن عباس ومجاهد وطاووس والسدي .

والثاني: فمن تطوع بأن صام مع الفدية فهو خير له وهذا قول الزهري ورواية ابن جريج عن مجاهد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُم ﴾ يحتمل تأويلين :

أحدهما : أن الصوم في السفر خير من الفطر فيه والقضاء بعده .

والثاني : أن الصوم لمطيقه خير وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز .

﴿ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إن كنتم تعلمون ما شَرَّعْتُه فيكم وَبَيَّنْتُه من دينكم .

والثاني : إن كنتم تعلمون فضل أعمالكم وثواب أفعالكم .

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ أما الشهر فمأخـوذ من الشهرة ، ومنه قيل قد شهر فلان سيفه ، إذا أخرجه ، وأما رمضـان فإن بعض أهـل اللغـة يزعم أنـه سمي بذلـك ، لشدة مـا كان يـوجد فيـه من الحر حتى تـرمض فيـه الفصـال ، كما قيـل لشهـر الحـج ذو الحجـة ، وقـد كـان شهـر رمضـان يسمى في الجاهلية ناتقاً .

وأما مجاهد فإنه كان يكره أن يقال رمضان(٢٨٣)، ويقول لعله من أسماء الله عز وجل .

وفي إنزاله قولان :

أحدهما : أن الله تعالى أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر منه ، ثم أنزله على نبيه ﷺ ، على ما أراد إِنْزَالَهُ عليه .

روى أبو المسلم عن واثلة(*) عن النبي ﷺ قال : نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأُنْزِلَتِ التوراةُ لست مضين من رمضان ، وأُنْزِلَ الإنجيلُ لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأُنْزِلَ القرآنُ لأربع وعشرين من رمضان(٢٨٤) .

والثاني : أنه بمعنى أنزل القرآن في فرض صيامه ، وهو قول مجاهد .

قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ يعني رشاداً للناس .

﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ أي بينات من الحلال والحرام ، وفرقان بين الحق والباطل .

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ الشهر لا يغيب عن أحد ، وفي تأويله ثلاثة أقاويل :

أحدها : فمن شهد أول الشهر ، وهو مقيم فعليه صيامه إلى آخره ، وليس له

(٢٨٣) لا وجه لهذه الكراهة التي ذكرت عن مجاهد فقد ورد أن النبي ﷺ ذكر رمضان في أكثر من حديث بدون إضافة وعلى سبيل المثال ما رواه البخاري وغيره « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً للرد على من كره ذلك فقال : باب « هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً ثم ساق فيه حديث » من صيام رمضان . . . . . وحديث لا تقدموا رمضان . . الخ» ولهذا قال الحافظ القسطلاني (٣٤٩/٣) . . وقول الأكثرين يكون أن يقال رمضان بدون شهر رده النووي في المجموع بأنه الصواب خلافه كما ذهب إليه المحققون لعدم ثبوت النهي فيه .

(*) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب واثلة .

(٢٨٤) أخرجه أحمد برقم (٧٠٥١) وابن جرير (٤٤٦/٣) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤٥٦/١) لمحمد بن نصر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في الشعب والأصبهاني في الترغيب والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر (٤٤٦/٣) تخريج الطبري والحق أنه حديث حسن من أجل عمران فقد تكلم فيه بعض أهل العلم .

أن يفطر في بقيته ، وهذا قول عليّ ، وابن عباس ، والسدي .

والثاني : فمن شهد منكم الشهر ، فليصم ما شهد منه وهو مقيم دون ما لم يشهده في السفر ، وهذا قول سعيد بن المسيب والحسن البصري .

والثالث : فمن شهد بالغاً عاقلاً مُكَلَّفاً فليصمه ، ولا يسقط صوم بقيته إذا جُن فيه ، وهذا قول أبي حنيفة ، وصاحبيه .

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وإنما أعاد ذكر الفطر بالمرض والسفر مع قرب ذكره من قبل ، لأنه في حكم تلك الآية منسوخاً ، فأعاد ذكره ، لِئَلَّا يصير بالمنسوخ مقروناً ، وتقديره فمن كان مريضاً أو على سفر في شهر رمضان فأفطر ، فعليه عدة ما أفطر منه ، أن يقضيه من بعده .

واختلفوا في المرض الذي يجوز معه الفطر في شهر رمضان ، على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه كل مرضٍ لم يطق الصلاة معه قائماً ، وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنه المرض الذي الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة ، وهو قول الشافعي .

والثالث : أنه كل مرض انطلق عليه اسم المرض ، وهو قول ابن سيرين .

فأما السفر ، فقد اختلفوا فيه على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه ما انطلق اسم السفر من طويل أو قصير ، وهذا قول داود .

والثاني : أنه مسيرة ثلاثة أيام ، وهو قول أبي حنيفة .

واختلفوا في وجوب الفطر فيه على قولين :

أحدهما : أنه واجب وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه مباح ، وهو قول الجمهور .

ثم قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ قال ابن

عباس : اليسر الإفطار ، والعسر الصيام في السفر ، ونحوه عن مجاهد وقتادة .

﴿ وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ ﴾ يعني عدة ما أفطر ثم في صيام شهر رمضان بالقضاء في غيره .

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ قيل إنه تكبير الفطر من أول الشهر(*) .

وقوله : ﴿ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ يعني من صيام شهر رمضان ، ويحتمل أن يكون على عموم ما هدانا إليه من دينه .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : تشكرون على هدايته لكم .

والثاني : على ما أنعم به من ثواب طاعته ، والله أعلم .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية ، على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال : يا محمد أقريبٌ ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأُنْزِلَتْ هذه الآية ، وهو قول الحسن البصري(٢٨٥) .

والثاني : أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ عن أي ساعة يدعون الله فيها ، وهذا قول عطاء والسدي .

والثالث : أنها نزلت جواباً لقوم قالوا : كيف ندعو ؟ ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أنها نزلت في قوم حين نَزَلَ قولُه تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قالوا : إلى أين ندعوه ؟ ، وهذا قول مجاهد .

(*) وفي المطبوعة « أول شوال » بدلاً من أول الشهر .

(٢٨٥) رواه ابن جرير (٣/٤٨١) لكنه مرسل وصحيح الاسناد إلى الحسن كما قال الشيخ شاكر في تخريج الطبري ولا يعني ذلك أن الحديث صحيح مرفوع لأن المرسل من قسم الضعيف ولم يسنده الحسن عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : قريب الإجابة .

والثاني : قريب من سماع الدعاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه أسمع دعوة الداعي إذا دعاني ، فعبر عن السماع بالإجابة ، لأن السماع مقدمة الإجابة .

والثاني : أنه أراد إجابة الداعي إلى ما سأل ، ولا يخلو سؤال الداعي أن يكون موافقاً للمصلحة أو مخالفاً لها ، فإن كان مخالفاً للمصلحة لم تجز الإجابة إليه ، وإن كان موافقاً للمصلحة ، فلا يخلو حال الداعي من أحد أمرين : إما أن يكون مستكملاً شروط الطلب أو مقصراً فيها :

فإن استكملها جازت إجابته ، وفي وجوبها قولان :

أحدهما : أنها واجبة لأنها تجري مجرىٰ ثواب الأعمال ، لأن الدعاء عبادة ثوابها الإجابة .

والثاني : أنها غير واجبة لأنها رغبة وطلب ، فصارت الإجابة إليها تفضلاً .

وإن كان مقصراً في شروط الطلب لم تجب إجابته ، وفي جوازها قولان :

أحدهما : لا تجوز ، وهو قول من أوجبها مع استكمال شروطها .

والثاني : تجوز ، وهو قول من لم يوجبها مع استكمال شروطها .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : أن الإستجابة بمعنى الإجابة ، يقال استجبت له بمعنى أجبته ، وهذا قول أبي عبيدة ، وأنشد قول كعب بن سعد الغنوي :

وداعٍ دَعَا : يا من يجيب إلى الندا ... فلم يستجبه عند ذلك مجيب(٢٨٦)

أي فلم يجبه .

والثاني : أن الإستجابة طلب الموافقة للإجابة ، وهذا قول ثعلب .

---

(٢٨٦) هو كعب بن سعد الغنوي . الأصمعيات (١٤)، أمالي القالي (٢ /١٥١) .

والثالث : أن معناه فليستجيبوا إليَّ بالطاعة .

والرابع : فليستجيبوا لي ، يعني فليدعوني .

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُم ﴾ كان ابن مسعود يقرأ الرفث والرفوث جميعاً ، وهو الجماع في قوله ، وأصله فاحش القول ، كما قال العجاج :

. . . . عن اللغا ورفث الكلام(٢٨٧)

فيكنىٰ به عن الجماع ، لأنه إذا ذُكِرَ في غير موضعه كان فحشاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : بمنزلة اللباس ، لإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه ، يستتر به كالثوب الملبوس ، كما قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فصارت لباساً(٢٨٨)

والثاني : أنهم لباس يعني السكن لقوله تعالى ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ [النبأ: ١٠] أي سكناً، وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي .

---

(٢٨٧) شطر من بيت رجز له في ديوانه (ص ٥٩) أوله :

ورب أسراب حجيج كُظَّم عن اللغا ورفث التكلم

(٢٨٨) أنظر الشعر والشعراء (٢٥٥) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٦٧).

قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُم كُنتُم تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ سبب هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم ، شيئان :

أحدهما : إتيان النساء .

الثاني : الأكل والشرب ، وذلك أن الله تعالى أباح في أول الإسلام الأكل والشرب والجماع في ليل الصيام قبل نوم الإنسان ، وحرّمه عليه بعد نومه ، حتى جاء عمر بن الخطاب ذات ليلة من شهر رمضان ، يريد امرأته ، فقالت له : إني قد نمتُ ، وظن أنها تعتل عليه ، فوقع بها ، وجاء أبو قيس بن صرمة ، وكان يعمل في أرض له ، فأراد الأكل ، فقالت له امرأته : نسخّر لك شيئاً ، فغلبته عيناه ، ثم أحضرت إليه الطعام ، فلم يأكل منه فلما أصبح لاقىٰ جهداً . وأخبر عمر وأبو قيس رسول الله ﷺ بما كان منهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وعَفَا عَنْكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : العفو عن ذنوبهم .

والثاني : العفو عن تحريم ذلك بعد النوم .

ثم قال تعالى : ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ يريد به الجماع ، لأن أصل المباشرة من إلصاق البشرة بالبشرة ، وكان ذلك منه بياناً لما كان في جماع عمر .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : طلب الولد ، وهو قول مجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثاني : ليلة القدْر ، وهو قول ابن عباس ، وكان يقرأ ﴿ واتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

والثالث : ما أحل الله تعالىٰ لكم ورخص فيه ، وهذا قول قتادة .

ثم قال تعالى فيما كان من شأن أبي قيس بن صرمة : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ اختلف في المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما رواه سهل بن سعد قال : لما نزلت ﴿ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيطِ الأَسْوَدِ ﴾ ، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله تعالى بعدُ ﴿ **مِنَ الْفَجْرِ** ﴾، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار .

والقول الثاني : أنه يريد بالخيط الأبيض ضوء النهار ، وهو الفجر الثاني ، وبالخيط الأسود سواد الليل قبل الفجر الثاني . وروىٰ الشعبي عن عدي بن حاتم : أنه عمد إلى خيطين أبيض وأسود ، وجعلهما تحت وسادته ، فكان يراعيهما في صومه ، ثم أخبر رسول الله ﷺ فقال : « **إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْوِسَادَةِ ، إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيلِ** »(٢٨٩). وسُمِّيَ خيطاً ، لأن أول ما يبدو من البياض ممتد كالخيط ، قال الشاعر :

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق والخيط الأسْودُ لون الليل مكتومُ

والخيط في كلامهم عبارة عن اللون .

والثالث : ما حكي عن حذيفة بن اليمان أن الخيط الأبيض ضوء الشمس ، وروِيَ نحوُهُ عن عليّ وابن مسعود . وقد روىٰ(٢٩٠) زِرٌّ بن حبيش عن حذيفة قال : كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرىٰ مواقع النبل ، قال : قلت بعد الصبح ؟ قال : هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس ، وهذا قول قد انعقد الإجماع على خلافه ، وقد روى سوادة بن حنظلة عن سَمُرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ: « **لاَ يَمْنَعَنَّكُم مِنْ سُحُورِكُم أذانُ بِلالٍ وَلاَ الفَجْرُ المُسْتَطِيلُ وَلَكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ فِي الأُفُقِ** »(٢٩١). وروىٰ الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان

---

(٢٨٩) رواه البخاري (٤/١١٣ فتح) ومسلم (١/٣٠١) وابن خزيمة في صحيحه برقم (١٩٢٥ ، ١٩٢٦) وأبو داود (٢٣٤٩) وابن جرير (٣/٥١١ برقم ١٩٨٦) وأحمد (٤/٣٧٧) والترمذي (٢٩٧٠ وصححه) والبيهقي (٤/٢١٥) وزاد السيوطي نسبته لسفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر من طرق عن الشعبي عن عدي بن حاتم .

(٢٩٠) رواه أحمد بنحوه (٥/٤٠٠) والنسائي (١/٣٠٣) وابن حزم في المحلي (٦/٢٣٢) والطبري في التفسير واللفظ له (٣/٥٢٥).

(٢٩١) رواه مسلم (٣/١٣٠) وأبو داود (٢٣٤٦) والترمذي (١/١٣٦) وابن أبي شيبه في المصنف (٢/١٥٤/١) وابن خزيمة (١٩٢٩) والطحاوي (١/٨٣) والدارقطني (٢٣١ ـ ٢٣٢). والبيهقي (٤/٢١٥) والطيالسي في مسنده (٧٩٧ ، ٧٩٨) وأحمد (٥/٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨) والحاكم =

قال : قال النبي ﷺ : « الفَجْرُ فَجْرَانِ ، فَالَّذِي كَأَنَّهُ ذَنَبُ السرحانِ لَا يُحرِّمُ شَيْئاً ، وَأَمَّا الْمُسْتَطِيرُ الَّذِي يَأْخُذُ الْأُفُقَ فَإِنَّهُ يُحِلُّ الصَّلَاةَ وَيُحَرِّمُ الطَّعَامَ »(٢٩٢) .

فأما الفجر ، فإنه مصدر من قولهم فَجَرَ الماءُ يَفْجُرُ فَجْراً ، إذا جرى وانبعث ، فلذلك قيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلعها : (فجر) لانبعاث ضوئه ، فيكون زمان الصوم المجمع على تحريم الطعام والشراب فيه وإباحته فيما سواه : ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس .

روى عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن قال : « أَعْظَمُ الصَّائِمِينَ أَجْراً أَقْرَبُهُم منَ اللَّيلِ وَالنَّهارِ إِفْطَاراً »(٢٩٣) .

﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ ﴾ يعني به غروب الشمس .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : عني بالمباشرة الجماع ، وهو قول الأكثرين .

= (١/ ٤٢٥) وابن جرير الطبري (٣/ ٥١٥ ، ٥١٦) برقم (٢٩٩٦ ، ٢٩٩٧) . والبغوي (٢/ ٣٠٠) برقم (٤٣٥) وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد من طرق عن سوادة بن حنظلة القشري عن سمرة بن جندب مرفوعاً وزاد السيوطي نسبته في الدر (١/ ٤٨١) لوكيع .

(٢٩٢) رواه ابن جرير (٣/ ٥١٤) والبيهقي في الكبرى (٤ : ٢١٥) وفي مسنده عند ابن جرير الحسن بن الزيرقان وقال الشيخ أحمد شاكر ترجمة ابن أبي حاتم وقال شيخ ولم أجد له ترجمة عند غيره . وزاد السيوطي في الدر (١/ ٤٨٢) نسبته لوكيع وابن ابي شيبة والدارقطني . وقد ورد الحديث موصولاً بذكر جابر كما قال البيهقي (٤ : ٢١٥) وقال السيوطي في الدر (١/ ٤٨٢) أخرجه الحاكم من طريق جابر موصولاً وقد رواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٥٢/ ٢) وعنه الحاكم (١/ ٤٢٥) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (٥/ ٢١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقد صحح حديث ابن عباس رضي الله عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٠٤) وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (١/ ٣٩١) عن رواية ابن جرير المتقدمة . مرسل جيد قال الشيخ أحمد شاكر تعقيباً . يريد جيد الاسناد إلى ابن ثوبان التابعي ولكنه لا يكون صحيحاً مرفوعاً لأن المرسل لا تقوم به حجة .

(٢٩٣) لم أهتدِ إلى تخريجه ولكن ورد معناه في أحاديث أخرى منها ما رواه البخاري (٤/ ١٧٣) ومسلم رقم ١٠٩٨ ومالك (١/ ٢٨٨) والترمذي وصححه (٦٩٩) والبيهقي (٤/ ٢٣٧) من حديث سهل ابن سعد ولفظه لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر « ومنها ما رواه الترمذي برقم ٧٠٠ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل « أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطراً » واستغربه الترمذي قائلاً حسن غريب » والحق أن سنده ضعيف من أجل قره بن عبد الرحمن وقال الشيخ الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٦/ ٣٧٥) إسناده ضعيف لكن له شواهد بمعناه يقويه .

والثاني : ما دون الجماع من اللمس والقبلة ، قاله ابن زيد ومالك .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أي ما حرم ، وفي تسميتها حدود الله وجهان :

أحدهما : لأن الله تعالى حدها بالذكر والبيان .

والثاني : لما أوجبه في أكثر المحرمات من الحدود .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني بآياته علامات متعبداته .

والثاني : أنه يريد بالآيات هنا الفرائض والأحكام .

وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالغصب والظلم .

والثاني : بالقمار والملاهي .

﴿ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ مأخوذ من إدلاء الدلو إذا أرسلته .

ويحتمل وجهاً ثانياً معناه : وتقيموا الحجة بها عند الحاكم ، من قولهم : قد أدلى بحجته إذا قام بها .

وفي هذا المال قولان :

أحدهما : أنه الودائع وما لا تقوم به بينة من سائر الأموال التي إذا جحدها ، حكم بجحوده فيها .

والثاني : أنها أموال اليتامى التي هو مؤتمن عليها .

﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لتأكلوا بعض أموال الناس بالإثم ، فعبر عن البعض بالفريق .

والثاني : على التقديم والتأخير ، وتقديره : لتأكلوا أموال فريق من الناس بالإثم .

وفي (أكله) ثلاثة أوجه :

أحدها : بالجحود .

والثاني : بشهادة الزور .

والثالث : برشوة الحكام .

﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : وأنتم تعلمون أنها للناس .

والثاني : وأنتم تعلمون أنها إثم .

قال مقاتل : نزلت هـذه الآية في امرىء القيس الكندي ، وعبدان بن ربيعة الحضرمي ، وقد اختصما في أرض كان عبدان فيها ظالماً وامرؤ القيس مظلوماً ، فأراد أن يحلف ، فنزلت هذه الآية ، فكفّ عن اليمين .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٨٩)

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾ سبب نزولها ، أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غَنَمة ، وهما من الأنصار ، سألا النبي ﷺ عن زيادة الأهلة ونشأتها ، فنزلت هذه الآية ، وأُخِذَ اسم الهلال من استهلال الناس برفع أصواتهم عند رؤيته ، والمواقيت : مقادير الأوقات لديونهم وحجهم ، ويريد بالأهلة شهورها ، وقد يعبّر عن الهلال بالشهر لحلوله فيه ، قال الشاعر :

أخوان من نجدٍ على ثقةٍ والشهرُ مثلُ قلامةِ الظُّفرِ
حتى تكامل في استدارته في أربع زادت على عشر

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن سبب نزول ذلك ، ما روى داود عن قيس بن جبير[٢٩٤] : أن

(٢٩٤) رواه ابن جرير (٣/٥٥٦) وهو مرسل كما قال الحافظ في الاصابة (٢٩٠٢) والفتح (٣/٤٩٤) =

الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه ، فدخل رسول الله ﷺ داراً ، وكان رجل من الأنصار يقال له رفاعة بن أيوب ، فجاء فتسور الحائط على رسول الله ، فلما خرج من باب الدار خرج رفاعة ، فقال رسول الله : « **مَا حَمَلَكَ عَلَى ذٰلِكَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ خَرَجْتَ مِنْهُ فَخَرَجْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي رَجُلٌ أَحْمَسُ فَقَالَ : إِنْ تَكُنْ أَحْمَسَ فَدِيْنُنَا وَاحِدٌ** »، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ البِرُّ ﴾ الآية ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وعطاء ، وقوله : أحمس يعني من قريش ، كانوا يُسَمُّونَ (الحُمْسَ) لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا ، والحَمَاسَةُ الشدة ، قال العجاج :

وكَمْ قَطَعْنا مِنْ قِفافٍ حُمْسِ (٢٩٥)

أي شداد .

والقول الثاني : عنىٰ بالبيوت النساء ، سُمِّيَتْ بيوتاً للإيواء إليهن ، كالإيواء إلى البيوت ، ومعناه : لا تأتوا النساء من حيث لا يحل من ظهورهن ، وأتوهن من حيث يحل من قُبُلهن ، قاله ابن زيد .

والثالث : أنه في النسيء وتأخير الحج به ، حين كانوا يجعلون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحج ، والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحج عنه ، ويكون ذكر البيوت وإتيانها من ظهورها مثلاً لمخالفة الواجب في الحج وشهوره ، والمخالفة إتيان الأمر من خلفه ، والخلف والظهر في كلام العرب واحد ، حكاه ابن بحر .

والرابع : أن الرجل كان إذا خرج لحاجته ، فعاد ولم ينجح لم يدخل من بابه ، ودخل من ورائه ، تطيراً من الخيبة ، فأمرهم الله أن يأتوا بيوتهم من أبوابها .

والخامس : معناه ليس البر أن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتأتوه من غير بابه ، وهذا قول أبي عبيدة .

= لأنه من رواية تابعي مرفوعاً وهو ضعيف .

وزاد السيوطي في الدر (٤٩٢/١) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

وضعفه الشيخ أحمد شاكر كما في تخريج الطبري (٥٥٧/٣).

تنبيه : وقع في نسخة المخطوطة قيس بن جبير وهو خطأ والصحيح [حبتر] بحاء مهملة بعدها باء ساكنة كما ضبطها الشيخ أحمد شاكر (٥٥٧/٣).

(٢٩٥) هذا شطر بيت من أرجوزة له في مدح الوليد بن عبد الملك بن مروان .

والقول السادس : أنه مثلٌ ضربه الله عز وجل لهم ، بأن يأتوا البر من وجهه ، ولا يأتوه من غير وجهه .

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها أول آية نزلت بالمدينة في قتال المشركين ، أُمِرَ المسلمون فيها بقتال مَنْ قاتلهم من المشركين ، والكف عمن كف عنهم ، ثم نُسِخَتْ بسورة براءة ، وهذا قول الربيع ، وابن زيد .

والثاني : أنها ثابتة في الحكم ، أُمِرَ فيها بقتال المشركين كافة ، والاعتداء الذي نهوا عنه : قتل النساء والولدان ، وهذا قول ابن عباس ، وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهد .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الاعتداء قتال من لم يقاتل .

والثاني : أنه قتل النساء والولدان .

والثالث : أنه القتال على غير الدِّين .

قوله تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ يعني حيث ظفرتم بهم ، ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ يعني من مكة .

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يعني بالفتنة الكفر في قول الجميع ، وإنما سمي الكفر فتنة ، لأنه يؤدي إلى الهلاك كالفتنة .

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن ذلك منسوخ لأن الله تعالى قد نَهَىٰ عن قتال أهل الحرم إلا أن يبدؤا بالقتال ، ثم نُسِخَ ذلك بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾، وهذا قول قتادة .

والقول الثاني : أنها محكمة وأنه لا يجوز أن نبدأ بقتال أهل الحرم إلا أن يبدأوا بالقتال ، وهذا قول مجاهد .

ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن رسول الله ﷺ ، كان قد أحرم بالعمرة في ذي القعدة سنة ست ، فصدّه المشركون عن البيت ، فصالحهم على أن يقضي في عامه الآخر ، فحل ورجع ، ثم اعتمر قاضياً في ذي القعدة سنة سبع ، وأحلّت له قريش مكة حتى قضى عمرته . فنزل قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ يعني ذا القعدة الذي قضى فيه العمرة من عامه وهو من الأشهر الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه ، وهو ذو القعدة في العام الماضي ، سمي ذو القعدة لقعود العرب فيه عن القتال لحرمته .

ثم قال تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ لأن قريشاً فخرت على رسول الله ﷺ حين صدّته ، فاقتص الله عز وجل له ، وهذا قول قتادة والربيع بن زيد .

والقول الثاني : أن سبب نزولها أن مشركي العرب ، قالوا للنبي ﷺ : أَنُهيت يا محمد عن قتالنا في الشهر الحرام ؟ فقال نعم ، فأرادوا أن يقاتلوه في الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ أي إن استحلوا قتالكم في الشهر الحرام ، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم ، وهذا قول الحسن البصري .

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الجهاد .

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ وفي الباء قولان :

أحدهما : أنها زائدة ، وتقديره ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة .

والقول الثاني : أنها غير زائدة أي ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ، والتهلكة والهلاك واحد .

وفي : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : أن تتركوا النفقة في سبيل الله تعالى، فتهلكوا بالإثم ، وهذا قول بن عباس ، وحذيفة .

والثاني : أي لا تخرجوا بغير زاد ، فتهلكوا بالضعف ، وهذا قول زيد ابن أسلم .

والثالث : أي تيأسوا من المغفرة عند ارتكاب المعاصي ، فلا تتوبوا ، وهذا قول البراء بن عازب .

والرابع : أن تتركوا الجهاد في سبيل الله ، فتهلكوا ، وهذا قول أبي أيوب الأنصاري .

والخامس : أنها التقحم في القتال من غير نكاية في العدو ، وهذا قول أبي القاسم البلخي .

والسادس : أنه عام محمول على جميع ذلك كله ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه عنىٰ به الإحسان في آداء الفرائض ، وهو قول بعض الصحابة .

والثاني : وأحسنوا الظن بالقَدَرِ ، وهو قول عكرمة .

والثالث : عُودُوا بالإحسان على مَنْ ليس بيده شيء ، وهذا قول زيد بن أسلم .

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وقرأ ابن مسعود فيما رواه عنه علقمة : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ بِالْبَيتِ ﴾ واختلفوا في تأويل إتمامها على خمسة أقاويل :

أحدها : يعني وأتموا الحج لمناسكة وسننه ، وأتموا العمرة بحدودها وسننها ، وهذا قول مجاهد ، وعلقمة بن قيس .

والثاني : أن إتمامهما أَنْ تُحْرِمَ بهما من دُوَيْرَةِ أهلك ، وهذا قول علي ، وطاوس ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أن إتمام العمرة ، أن نخدم بها في غير الأشهر الحرم ، وإتمام الحج أن تأتي بجميع مناسكه ، حتى لا يلزم دم لجبران نقصان ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أن تخرج من دُوَيْرَةِ أهلك ، لأجلهما ، لا تريد غيرهما من تجارة ، ولا مكسب ، وهذا قول سفيان الثوري .

والخامس : أن إتمامهما واجب بالدخول فيهما ، وهذا قول الشعبي ، وأبي بردة ، وابن زيد ، ومسروق .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ في هذا الإحصار قولان :

أحدهما : أنه كل حابس من عدوّ ، أو مرض ، أو عذر ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، وأبي حنيفة .

والثاني : أنه الإحصار بالعدوّ ، دون المرض ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، والشافعي .

وفي ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ قولان :

أحدهما : شاةٌ ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وعلقمة ، وعطاء ، وأكثر الفقهاء .

والثاني : بدنة ، وهو قول عمر ، وعائشة ، ومجاهد ، وطاوس ، وعروة ، وجعلوه فيما استيسر من صغار البُدْن وكبارها .

وفي اشتقاق الهدي قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الهدية .

والثاني : مأخوذ من قولهم هديتُه هَدْياً ، إذا سقته إلى طريق سبيل الرشاد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ .

وفي محل هدي المحصر ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : حيث أُحْصِر من حِلٍ أو حَرَم ، وهذا قول ابن عمر ، والمِسْوَر بن مخرمة ، وهارون بن الحكم ، وبه قال الشافعي .

والقول الثاني : أنه الحَرَم ، وهو قول عليّ ، وابن مسعود ومجاهد ، وبه قال أبو حنيفة .

والقول الثالث : أن مَحِلّهُ أن يتحلل(*) من إحرامه بادئاً نسكه ، والمقام على إحرامه إلى زوال إحصاره ، وليس للمحرم أن يتحلل بالاحصار بعد رسول الله ﷺ ، فإن كان إحرامُه بعمرة لم يَفُتْ ، وإن كان بحج قضاه بالفوات بعد الإحلال منه ، وهذا مروي عن ابن عباس ، وعائشة ، وبه قال مالك .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ معناه : فحلَقَ ، فعليه ذلك .

(*) والسياق يقتضي أن تكون العبارة : أنه لا يتحلل .

أما الصيام ففيه قولان :

أحدهما : صيام ثلاثة أيام ، وهذا قول مجاهد ، وعلقمة ، وإبراهيم ، والربيع ، وبه قال الشافعي .

والقول الثاني : صيام عشرة أيام كصيام المتمتع ، وهو قول الحسن وعكرمة .

وأما الصدقة ففيها قولان :

أحدهما : ستة مساكين، وهو قول من أوجب صيام ثلاثة أيام .

والقول الثاني : إطعام عشرة مساكين، وهو قول من أوجب صيام عشرة أيام .

وأما النسك فشاة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنتُم ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : من خوفكم . .

والثاني : من مرضكم .

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ اختلفوا في هذا المتمتع على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المُحْصَرُ بالحج ، إذا حَلَّ منه بالإحصار ، ثم عاد إلى بلده متمتعاً بعد إحلاله ، فإذا قضىٰ حجَّه في العام الثاني ، صار متمتعاً بإحلالٍ بيْن الإِحْرَامَين ، وهذا قول الزبير .

والثاني : فمن فسخ حَجَّهُ بعمرة ، فاستمتع بعمرة بعد فسخ حَجِّهِ ، وهذا قول السدي .

والثالث : فمن قَدِمَ الحرم معتمراً في أشهر الحج ، ثم أقام بمكة حتى أحرم منها بالحج في عامِهِ ، وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ، والشافعي .

وفي ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ ما ذكرناه من القولين .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ اختلفوا في زمانها من الحج على قولين :

أحـدهما : بعـد إحرامـه وقبل يـوم النحر ، وهـذا قول علي ، وابن عبـاس ، والحسن ، ومجـاهد ، وقتـادة ، وطاوس ، والسـدي ، وسعيد بن جبيـر ، وعطاء ، والشافعي في الجديد .

والثاني : أنها أيام التشريق ، وهذا قول عائشة ، وعروة ، وابن عُمر في رواية سالم عنه ، والشافعي في القديم .

واختلفوا في جواز تقديمها قبل الإحرام بالحج على قولين :

أحدهما : لا يجوز ، وهذا قول ابن عمر ، وابن عباس .

والثاني : يجوز .

واختلف قائلو ذلك في زمان تقديمه قبل الحج على قولين :

أحدهما : عشر ذي الحجة ، ولا يجوز قبلها ، وهو قول مجاهد ، وعطاء .

والثاني : في أشهر الحج ، ولا يجوز قبلها ، وهو قول طاوس .

ثم قال تعالى : ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ وفي زمانها قولان :

أحدهما : إذا رجعتم من حجكم في طريقكم ، وهو قول مجاهد .

والثـاني : إذا رجعتم إلى أهليكم في أمصاركم ، وهـو قول عـطاء ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والربيع .

ثم قال تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنها عشرة كاملة في الثواب كمن أهدى ، وهو قول الحسن .

والثـاني : عشرة كَمَّلَت لكم أجـر من أقـام على إحـرامـه فلم يحـل منـه ولم يتمتع .

والثـالث : أنه خـارج مخرج الخبـر ، ومعناه معنى الأمـر ، أي تلك عشرة ، فأكملوا صيامها ولا تفطروا فيها .

والرابع : تأكيد في الكلام ، وهو قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وفي حاضريه أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل الحرم ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وطاوس .

والثاني : أنهم مَن بيْن مكة والمواقيت ، وهو قول مكحول ، وعطاء .

والثالث : أنهم أهل الحَرَمِ ومَنْ قُرب منزله منه ، كأهل عرفة ، والرجيع ، وهو قول الزهري ، ومالك .

والرابع : أنهم مَن كان على مسافة لا يقصر في مثلها الصلاة ، وهو قول الشافعي .

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ اختلفوا في تأويله على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة بأسرها ، وهذا قول قتادة ، وطاوس ، ومجاهد ، عن ابن عمر ، وهو مذهب مالك .

والثاني : هو شوال ، وذو القعدة ، وعشرة أيام من ذي الحجة ، وهذا قول أبي حنيفة .

والثالث : هن شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة ، إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدي ، ونافع ، عن ابن عمر ، وعطاء ، والضحاك ، والشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الإهلال بالتلبية ، وهو قول عمر ومجاهد وطاوس .

والثاني : أنه الإحرام ، وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعطاء ، والشافعي .

﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الجماع ، وهو قول ابن عمر ، والحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري .

والثاني : أنه الجماع أو التعرض له بمُوَاعَدَةٍ أو مُدَاعَبَةٍ ، وهو قول الحسن البصري .

والثالث : أنه الإِفْحَاشُ للمرأة في الكلام ، كقولك إذا أحللنا فعلنا بك كذا من غير كناية ، وهو قول ابن عباس ، وطاوس .

﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أنه فِعْلُ ما نُهِيَ عنه في الإحرام ، من قتل صيد ، وحلق شَعْر ، وتقليم ظفر ، وهو قول عبد الله بن عمر .

والثاني : أنه السباب ، وهو قول عطاء ، والسدي .

والثالث : أنه الذبح للأصنام ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : التنابز بالألقاب ، وهو قول الضحاك .

والخامس : أنه المعاصي كلها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وطاووس .

﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : هو أن يجادل الرجل صاحبه ، يعني يعصيه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد .

الثاني : هو السباب ، وهو قول ابن عمر ، وقتادة .

والثالث : أنه المِرَاءُ والاختلاف فِيمَنْ هو أَبَرُّهُم حَجّاً ، وهذا قول محمد بن كعب .

والرابع : أنه اختلاف كان يقع بينهم في اليوم الذي يكون فيه حجهم ، وهذا قول القاسم بن محمد .

والخامس : أنه اختلافهم في مواقف الحج ، أيهم المصيب موقف إبراهيم ، وهذا قول ابن زيد .

والسادس : أن معناه ألاّ جدال في وقته لاستقراره ، وإبطال الشهر الذي كانوا ينسؤونه في كل عام ، فربما حجوا في ذي القعدة ، وربما حجوا في صفر ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ تأويلان :

أحدهما : تزوّدوا بالأعمال الصالحة ، فإن خير الزاد التقوى .

والثاني : أنها نزلت في قوم من أهل اليمن ، كانوا يحجون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فنزلت فيهم : ﴿ ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ ، يعني من الطعام .

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُم ﴾ روى ابن عباس قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجرين للناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام تركوا ذلك ، حتى نزلت : ﴿ لَيسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُم ﴾ ، وكان ابن الزبير يقرأ ﴿ فِي مَواقِيتِ الْحَجِّ ﴾ .

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه فإذا رجعتم من حيث بَدَأْتُم .

والثاني : أن الإفاضة : الدفع عن اجتماع ، كفيض الإناء عن امتلاء .

والثالث : أن الإفاضة الإسراع من مكان إلى مكان .

وفي ﴿ عَرَفَاتٍ ﴾ قولان :

أحدهما : أنها (جمع) عرفة .

والثاني : أنها اسم واحد وإن كان بلفظ الجمع ، وهذا قول الزجاج .

واختلفوا في تسمية المكان عرفة على أربعة أقاويل :

أحدها : أن آدم عرف فيه حواء بعد أن أُهْبِطَا من الجنة .

والثاني : أن إبراهيم عرف المكان عند الرؤية ، لما تقدم له في الصفة .

والثالث : أن جبريل عرَّف فيه الأنبياء مناسكهم .

والرابع : أنه سُمِّيَ بذلك لعلو الناس فيه ، والعرب تسمي ما علا (عرفة) و (عرفات)، ومنه سُمِّيَ عُرف الديك لعلوه .

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ والمَشْعَرُ المَعْلَمُ ، سُمِّيَ بذلك ، لأن الدعاء عنده ، والمقام فيه من معالم الحج ، وحد المشعر ما بين منى ومزدلفة مِنْ حَد مفضي مَأزَمي عرفة إلى محسر ، وليس مأزماً عرفة من المشعر .

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها نزلت في قريش ، وكانوا يسمون الحمس ، لا يخرجون من الحرم في حجهم ، ويقفون بمزدلفة ، ويقولون نحن من أهل الله ، فلا نخرج من حرم الله ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، وهي موقف إبراهيم عليه السلام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ يعني جميع العرب ، وهذا قول عائشة ، وعروة ، ومجاهد ، وقتادة .

والقول الثاني : أنها أمر لجميع الخلق من قريش وغيرهم ، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس ، يعني بالناس إبراهيم ، وقد يعبر عن الواحد باسم الناس ، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [ال عمران: ١٧٣] وكان القائل واحداً، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي، وهذا قول الضحاك .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : استغفروه من ذنوبكم .

والثاني : استغفروه مما كان من مخالفتكم في الوقت والإفاضة .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ
أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) ﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيتُم مَّنَاسِكَكُم ﴾ أما المناسك ، فهي المتعبدات ، وفيها ها هنا تأويلان :

أحدهما : أنها الذبائح ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : ما أمروا بفعله في الحج ، وهذا قول الحسن البصري .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن هذا الذكر هو التكبير في أيام مِنى .

والثاني : أنه جميع ما سُنَّ من الأدعية في مواطن الحج كلها .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَو أَشَدَّ ذِكْراً ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم كانوا إذا فرغوا من حجهم في الجاهلية جلسوا في منى حَلَقاً وافتخروا بمناقب آبائهم ، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذكراً ﴾ ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أن معناه ، فاذكروا الله كذكركم الأبناء الصغار للآباء ، إذا قالوا : أبَهْ أُمَّه ، وهذا قول عطاء ، والضحاك .

والثالث : أنهم كانوا يدعون ، فيقول الواحد منهم : اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة ، عظيم القبّة ، كثير المال ، فاعطني مثل ما أعطيته ، فلا يذكر غير أبيه ، فأُمِرُوا بذكر الله ، كذكرهم آباءهم ، أو أشد ذكراً ، وهو قول السدي .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ فيها أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الحسنة العافية في الدنيا والآخرة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها نِعَمُ الدنيا ونِعَمُ الآخرة[٢٩٦]، وهو قول أكثر أهل العلم .

والثالث : أن الحسنة في الدنيا العلمُ ، والعبادة ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول الحسن ، والثوري .

والرابع : أن الحسنة في الدنيا المال ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول ابن زيد ، والسدي .

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ هي أيام منى قول جميع المفسرين ، وإن خالف بعض الفقهاء في أن أشرك بين بعضها وبين الأيام المعلومات .

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ يعني تعجل النفْر الأول في اليوم الثاني من أيام منى .

﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ ﴾ يعني إلى النفْر الثاني ، وهو الثالث من أيام منى .

﴿ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وفي الإثم ها هنا ، خمسة تأويلات :

أحدها : أن من تعجل فلا إثم عليه في تعجله ، ومن تأخر فلا إثم عليه في تأخره ، وهذا قول عطاء .

(٢٩٦) قال الحافظ ابن كثير (١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤) : ـ
جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجه حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام .

والثاني : أن من تعجل في يومين ، فمغفور له ، لا إثم عليه ، ومن تأخر فمغفور له ، لا إثم عليه ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : فلا إثم عليه ، إن اتّقى فيما بقي من عمره ، وهذا قول أبي العالية ، والسدي .

والرابع : فلا إثم عليه ، إن اتقى في قتل الصيد في اليوم الثالث ، حتى يحلّوا أيام التشريق ، وهذا قول ابن عباس .

والخامس : فلا إثم عليه ، إن اتقى إصابة ما نُهِي عنه ، فيغفر له ما سلف من ذنبه ، وهذا قول قتادة .

فأما المراد بذكر الله تعالى في الأيام المعدودات ، فهو التكبير فيها عقب الصلوات المفروضات ، وَاخْتُلِفَ فيه على أربعة مذاهب :

أحدها : أنه تكبير من بعد صلاة الصبح ، يوم عرفة ، إلى بعد صلاة العصر ، من آخر أيام التشريق ، وهذا قول علي رضي الله عنه ، وبه قال من الفقهاء أبو يوسف ، ومحمد .

والثاني : أنه تكبير من صلاة الفجر ، من يوم عرفة ، إلى صلاة العصر ، من يوم النحر ، وهذا قول ابن مسعود ، وبه قال من الفقهاء أبو حنيفة .

والثالث : أنه يكبر بعد صلاة الظهر ، من يوم النحر ، إلى بعد صلاة العصر ، من آخر أيام التشريق ، وهذا قول زيد بن ثابت .

والرابع : أنه يكبر من بعد صلاة الظهر ، من يوم النحر ، إلى آخر صلاة الصبح ، من آخرالتشريق ، وهذا قول عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وبه قال من الفقهاء الشافعي .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ

﴿بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٢٠٦ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي
نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني من الجميل والخير .

والثاني : من حب رسول الله ﷺ ، والرغبة في دينه .

﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يقول : اللهم اشهد عليّ فيه ، وضميره بخلافه .

والثاني : معناه : وفي قلبه ما يشهد الله أنه بخلافه .

والثالث : معناه : ويستشهد الله على صحة ما في قلبه ، ويعلم أنه بخلافه . وهي في قراءة ابن مسعود ﴿ وَيَسْتَشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ .

﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ والألد من الرجال الشديد الخصومة ، وفي الخصام قولان :

أحدهما : أنه مصدر ، وهو قول الخليل .

والثاني : أنه جمع خصيم ، وهو قول الزجاج .

وفي تأويل ﴿ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ هنا أربعة أوجه :

أحدها : أنه ذو جدال ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني أنه غير مستقيم الخصومة ، لكنه معوجها ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثالث : يعني أنه كاذب ، في قول الحسن البصري .

والرابع : أنه شديد القسوة في معصية الله ، وهو قول قتادة .

وقد روى ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أن النبي ﷺ قال : « **أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ الأَلَدُّ الخَصَمُ** »(٢٩٧) .

---

(٢٩٧) رواه البخاري (٥/١٠٦) ومسلم (٤/٢٠٥٤) وأحمد (٦/٥٥) والبيهقي في السنن (١٠/١٠٨)=

وفيمن قصد بهذه الآية وما بعدها قولان :

أحدهما : أنه صفة للمنافق ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وهو قول السدي .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ ﴾ في قوله تولى تأويلان :

أحدهما : يعني غضب ، حكاه النقاش .

والثاني : انصرف ، وهو ظاهر قول الحسن .

وفي قوله تعالى : ﴿ لِيُفْسِدُوا فِيهَا ﴾ تأويلان :

أحدهما : يفسد فيها بالصد .

والثاني : بالكفر .

﴿ وَيَهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالسبي والقتل .

والثاني : بالضلال الذي يؤول إلى السبي والقتل .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ معناه لا يحب أهل الفساد . وقال بعضهم لا يمدح الفساد ، ولا يثني عليه ، وقيل أنه لا يحب كونه ديناً وشرعاً ، ويحتمل : لا يحب العمل بالفساد .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه دعته العزة إلى فعل الإثم .

والثاني : معناه إذا قيل له اتق الله ، عزت نفسه أن يقبلها ، للإثم الذي منعه منها .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ يشري نفسه أي يبيع ، كما قال تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ، [يوسف : ٢٠] أي باعوه ، قال

= والترمذي (٩/٣) وزاد السيوطي في الدر (٥٧٣/١) نسبته للنسائي ووكيع وابن مردويه والبيهقي في السنن والبيهقي في الشعب من حديث عائشة رضي الله عنها وقال الترمذي رحمه الله وقد نسبه صاحب تحفة الأشراف (٤٥٦/١١) للنسائي في الكبرى.

تنبيه : - وهم الامام السيوطي في الدر حين نسبه الحديث لأبي داود فإنه ليس فيه سننه وهي المرادة عند الاطلاق .

الحسن البصري : العمل الذي باع به نفسه الجهاد في سبيل الله .

واخْتُلِفَ فيمن نزلت فيه هذه الآية ، على قولين :

أحدهما : نزلت في رجل ، أمر بمعروف ونهىٰ عن منكر ، وقتل ، وهذا قول علي ، وعمر ، وابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في صُهيب بن سنان اشترى نفسه من المشركين بماله كله ، ولحق بالمسلمين ، وهذا قول عكرمة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَـآفَّةً ﴾ قرأ ابن كثير ، ونافع ، والكسائي بفتح السين ، والباقون بكسرها ، واختلف أهل اللغة في الفتح والكسر ، على وجهين :

أحدهما : أنهما لغتان تستعمل كل واحدة منهما في موضع الأخرى .

والثاني : معناهما مختلف ، والفرق بينهما أن السِّلم بالكسر الإسلام ، والسَّلم بالفتح المسالمة ، من قوله تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ . [الأنفال : ٦١] وفي المراد بالدخول في السلم ، تأويلان :

أحدهما : الدخول في الإسلام ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : معناه ادخلوا في الطاعة ، وهو قول الربيع ، وقتادة .

وفي قوله : ﴿ كَافَّةً ﴾ تأويلان :

أحدهما : عائد إلى الذين آمنوا ، أن يدخلوا جميعاً في السلم .

والثاني : عائد إلى السلم أن يدخلوا في جميعه .

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ ﴾ يعني آثاره .

﴿ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : مبين لنفسه .

والآخر : مبين بعدوانه .

واختلفوا فيمن(*) أبان به عدوانه على قولين :

أحدهما : بامتناعه من السجود لآدم .

والثاني : بقوله : ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦٢].

واختلفوا فيمن أمر بالدخول في السلم كافة ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المأمور بها المسلمون ، والدخول في السلم العمل بشرائع الإسلام كلها ، وهو قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب ، آمنوا بمن سلف من الأنبياء ، فأُمِروا بالدخول في الإسلام ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك .

والثالث : أنها نزلت في ثعلبة ، وعبد الله بن سلام ، وابن يامين ، وأسد ، وأسيد ابني كعب ، وسعيد بن عمرو ، وقيس بن زيد ، كلهم من يهود قالوا لرسول الله ﷺ : يوم السبت كنا نعظمه ونَسْبِتُ فيه ، وإن التوراة كتاب الله تعالى ، فدعنا فلنصم نهارنا بالليل(٢٩٨)، فنزلت هذه الآية ، وهو قول عكرمة .

قوله تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه عصيتم .

والثاني : معناه كفرتم .

والثالث : إن ضللتم وهذا قول السدي .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنها حجج الله ودلائله .

(*) ولعل الأصح فيما لأن من للعاقل .

(٢٩٨) رواه ابن جرير (٤/٥٥) عن عكرمة مرسلاً وفي سنده الحسن بن داود الملقب بسنيد وهو ضعيف .

وقال الحافظ في تخريج الكشاف (ص ٧) مرسل وابن جريج لم يسمع من عكرمة.

والثاني : محمد ، وهو قول السدي .

والثالث : القرآن ، وهو قول ابن جريج .

والرابع : الإسلام .

﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ يعني عزيز في نفسه ، حكيم في فعله .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ ، قرأ قتادة ﴿ فِي ظِلَالٍ الغَمَامِ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أن معناه إلا أن يأتيهم(٢٩٩) الله بظلل من الغمام ، وبالملائكة .

والثاني : إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .

سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُم مِّن ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ ليس السؤال على وجه الاستخبار ، ولكنه على وجه التوبيخ .

وفي المراد بسؤاله بني إسرائيل ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنبياؤهم .

والثاني : علماؤهم .

والثالث : جميعهم . والآيات البينات : فَلْقُ البحر ، والظلل من الغمام ، وغير ذلك .

---

(٢٩٨) إن هذه الآية من الآيات المتشابهة التي نعتقد فيها لله سبحانه وتعالى بما يليق له تعالى من غير تجسيم ولا تكيف قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : «آمنت بما جاء عن الله بمراد الله وآمنت بما جاء عن رسول الله بمراد رسول الله ﷺ» .

﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ يعني بنعمة الله برسوله ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ في الدنيا وتزيينها لهم ، ثلاثة أقاويل :

أحدها : زينها لهم الشيطان ، وهو قول الحسن .

والثاني : زينها لهم الذين أغووهم من الإنس والجن، وهو قول بعض المتكلمين.

والثالث : أن الله تعالى زينها لهم بالشهوات التي خلقها لهم .

﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ لأنهم توهموا أنهم على حق ، فهذه سخريتهم بضعفة المسلمين . وفي الذي يفعل ذلك قولان :

أحدهما : أنهم علماء اليهود .

والثاني : مشركو العرب .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُمْ يَومَ الْقِيَامَةِ ﴾ يعني أنهم فوق الكفار في الدنيا .

﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ ﴾.

فإن قيل : كيف يرزق من يشاء بغير حساب وقد قال تعالى : ﴿ عَطَاءً حِسَاباً ﴾ [النبأ: ٣٦] ؟ ففي هذا ستة أجوبة :

أحدها : أن النقصان بغير حساب ، والجزاء بالحساب .

والثاني : بغير حساب لسعة ملكه الذي لا يفنى بالعطاء ، لا يقدر بالحساب .

والثالث : إن كفايتهم بغير حساب ولا تضييق .

والرابع : دائم لا يتناهى فيصير محسوباً ، وهذا قول الحسن .

والخامس : أن الرزق في الدنيا بغير حساب ، لأنه يعم به المؤمن والكافر فلا يرزق المؤمن على قدر إيمانه ولا الكافر على قدر كفره .

والسادس : أنه يرزق المؤمنين في الآخرة وأنه لا يحاسبهم عليه ولا يَمُنُ عليهم به .

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ في قوله : ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم كانوا على الكفر ، وهذا قول ابن عباس والحسن .

والثاني : أنهم كانوا على الحق ، وهو قول قتادة والضحاك .

والثالث : أنه آدم كان على الحق إماماً لذريته فبعث الله النبيين في ولده ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أنهم عشر فرق كانوا بين آدم ونوح على شريعة من الحق فاختلفوا ، وهذا قول عكرمة .

والخامس : أنه أراد جميع الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد يوم استخرج الله ذرية آدم من صلبه ، فعرضهم على آدم ، فأقروا بالعبودية والإسلام ، ثم اختلفوا بعد ذلك . وكان أُبيّ بن كعب يقرأ : ﴿ كَانَ الْبَشَرُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ . وهذا قول الربيع وابن زيد .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ قولان :

أحدهما : في الحق .

والثاني : في الكتاب وهو التوراة . ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ يعني اليهود .

﴿ مِنْ بَعْدِ ما جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ يعني الحجج والدلائل ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ مصدر من قول القائل : بغى فلان على فلان ، إذا اعتدى عليه .

﴿ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أراد الجمعة ، لأن أهل الكتاب اختلفوا فيها فضلوا عنها ، فجعلها اليهود السبت ، وجعلها النصارى الأحد ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا من الحق بإذنه ، فهدى الله الذين آمنوا إليها ، وهذا قول أبي هريرة .

والثاني : أنهم اختلفوا في الصلاة ، فمنهم من يصلي إلى الشرق ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس ، فهدانا الله للقبلة ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : أنهم اختلفوا في الكتب المنزلة ، فكفر بعضهم بكتاب بعض فهدانا الله للتصديق بجميعها .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ، قُلْ : مَا أَنْفَقْتُم مِّن خَيرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت قبل آية الزكاة في إيجاب النفقة على الأهل والصدقة ثم نسختها آية الزكاة ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن أموالهم أين يضعونها ، فأنزل الله هذه الآية ، وهذا قول ابن زيد .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ بمعنى فرض . وفي فرضه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه على أصحاب رسول الله ﷺ .

والثاني : أنه خطاب لكل أحد من الناس كلهم أبداً حتى يقوم به من فيه كفاية ، وهذا قول الفقهاء والعلماء .

والثالث : أنه فرض على كل مسلم في عينه أبداً ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ والكرْهُ بالضم إدخال المشقة على النفس من غير إكراه أحد . والكرَه بالفتح إدخال المشقة على النفس بإكراه غيره له . ثم فيه قولان :

أحدهما : أنه فيه حذفاً وتقديره : وهو ذو كره لكم وهذا قول الزجاج .

والثاني : معناه وهو مكروه لكم ، فأقام المقدّر مُقامه .

ثم في كونه كرهاً تأويلان :

أحدهما : وهو كره لكم قبل التعبد وأما بعده فلا .

الثاني : وهو كره لكم في الطباع قبل الفرض وبعده . وإنما يحتمل بالتعبد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُم ﴾ وفي عسى ها هنا قولان :

أحدهما : أنه طمع المشفق مع دخول الشك .

والثاني : أنها بمعنى قد . وقال الأصم : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً ﴾ من القتال ﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُم ﴾ يعني في الدنيا بالظفر والغنيمة ، وفي الآخرة بالأجر والثواب ، ﴿ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئاً ﴾ يعني من المتاركة والكف ﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، يعني في الدنيا بالظهور عليكم وفي الآخرة بنقصان أجوركم .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما فيه مصلحتكم ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ

أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ** ﴾ والسبب في نزول هذه الآية أن عبد الله بن جحش خرج بأمر رسول الله ﷺ في سبعة نفر من أصحابه وهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعكاشة بن محصن ، وعتبة بن غزوان ، وسهيل بن البيضاء ، وخالد بن البكير ، وسعد بن أبي وقاص ، وواقد بن عبد الله ، وعبدُ الله بن جحش كان أميرهم ، فتأخر عن القوم سعد وعتبة ليطلبا بعيراً لهما ضَلَّ ، فلقوا عمرو بن الحضرمي(**) فرماه واقد بن عبد الله التميمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وغُنِمت العير ، وكان ذلك في آخر ليلة من جمادى الآخِرة أو أول ليلة من رجب ، فعيرت قريش رسول الله ﷺ بذلك وقدم عبد الله بن جحش فلامه رسول الله ﷺ ولامه المسلمون حتى أنزل الله فيه هذه الآية .

واختلفوا فيمن سأل عن ذلك على قولين :

أحدهما : أنهم المشركون ليعيّروا بذلك رسول الله ﷺ ، واستحلوا قتاله فيه ، وهو قول الأكثر .

والثاني : أنهم المسلمون سألوا عن القتال في الشهر الحرام ليعلموا حكم ذلك . فأخبرهم الله تعالى : أن الصد عن سبيل الله وإخراج أهل الحرم منه والفتنة أكبر من القتل في الشهر الحرام وفي الحرم ، وهذا قول قتادة .

واختلفوا في تحريم القتال في الأشهر الحرم هل نسخ أم لا ؟ فقال الزهري : هو منسوخ بقوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** ﴾. وقال عطاء : هو ثابت الحكم ، وتحريم القتال فيه باقٍ غير منسوخ ، والأول أصح لما

تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه غزا هوازن بحنين ، وثقيفاً بالطائف ، وأرسل أبا العاص إلى أوطاس لحرب مَنْ بها من المشركين في بعض الأشهر الحرم ، وكانت بيعة الرضوان على قتال قريش في ذي القعدة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ أي يرجع ، كما قال تعالى : ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾[الكهف:٦٤] أي رجعا، ومن ذلك قيل :استرد فلان حقه .

﴿ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ أي بطلت ، وأصل الحبوط الفساد ، فقيل في الأعمال إذا بطلت حبطت لفسادها .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ الآية . وسبب نزولها أن قوماً من المسلمين قالوا في عبد الله بن جحش ومن معه : إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزراً فليس فيه أجر ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني بالله ورسوله ، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ يعني عن مساكنة المشركين في أمصارهم ، وبذلك سمي المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين لهجرهم دورهم ومنازلهم كراهة الذل من المشركين وسلطانهم ، ﴿ وَجَاهَدُوا ﴾ يعني قاتلوا ، وأصل المجاهدة المفاعلة من قولهم جهد كذا إذا أكدّه وشق عليه ، فإن كان الفعل من اثنين كل واحد منهما يكابد من صاحبه شدة ومشقة قيل فلان يجاهد فلاناً . وأما ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فطريق الله ، وطريقه : دينه .

فإن قيل : فكيف قال : ﴿ أُولَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾ ورحمة الله للمؤمنين مستحقة ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنهم لما لم يعلموا حالهم في المستقبل جاز أن يرجوا الرحمة خوفاً أن يحدث من مستقبل أمورهم ما لا يستوجبونها معه .

والجواب الثاني : أنهم إنما رجوا الرحمة لأنهم لم يتيقنوها بتأدية كل ما أوجبه الله تعالى عليهم .

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيسِرِ ﴾ الآية : يعني يسألك أصحابك يا محمد عن الخمر والميسر وشربها ، وهذه أول آية نزلت فيها .

والخمر كل ما خامر العقل فستره وغطى عليه ، من قولهم خَمَّرتُ الإناء إذا غطيته ، ويقال هو في خُمار الناس وغمارهم يراد به دخل في عُرضهم فاستتر بهم ، ومن ذلك أُخذ خمار المرأة لأنه يسترها ، ومنه قيل هو يمشي لك الخمر أي مستخفياً ، قال العجاج :

في لامع العِقْبان لا يأتي الخَمَرْ   يُوجّهُ الأرضَ ويستاق الشّجَرْ(٣٠٠)

يعني بقوله لا يأتي الخمر أي لا يأتي مستخفياً لكن ظاهراً برايات وجيوش .

فأما الميسر فهو القمار من قول القائل يَسر لي هذا الشيء يَسْراً ومَيْسِراً ، فالياسر اللاعب بالقداح ثم قيل للمقامر ياسر ويَسَر كما قال الشاعر :

فبت كـأنني يَسَـرٌ غبينٌ   يقلب بعدما اختلع القداحا(٣٠١)

﴿ قُلْ : فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿ ..... كَثِيرٌ ﴾ بالثاء .

وفي إثمهما تأويلان :

أحدهما : أن شارب الخمر يسكر فيؤذي الناس ، وإثم الميسر : ان يقامر الرجل فيمنع الحق ويظلم ، وهذا قول السدي .

والثاني : أن إثم الخمر زوال عقل شاربها إذا سكر حتى يغْرُب عنه معرفة

(٢٩٩) ديوانه (ص ١٧) .

(٣٠١) قال صاحب تخريج الطبري في معنى هذا البيت من الشعر يقول أنه بات ليلته حزيناً كاسفاً مطرقاً إطراق المغامر الذي خسر كل شيء فأخذ يقلب في كفيه قداحه مطرقاً متحسراً على ما أصابه ونكبه (٣٢١/٤) .

خالقه . وإثم الميسر : ما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن الصلاة ، ووقوع العداوة والبغضاء كما وصف الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فِي ٱلْخمر وٱلْمَيسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلاَةِ ﴾[المائدة : ٩٠] وهذا قول ابن عباس .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فمنافع الخمر أثمانها وربح تجارتها ، وما ينالونه من اللذة بشربها ، كما قال حسان بن ثابت :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأُسْداً ما ينهنهنا اللقاءُ(٣٠٢)

وكما قال آخر :

فإذا شربت فإنني رَبُّ الخوَرْنق والسدير(٣٠٣)
وإذا صحوتُ فإنني ربُّ الشويهة والبعير

وأما منافع الميسر ففيه قولان :

أحدهما : اكتساب المال من غير كدّ .

والثاني : ما يصيبون من أنصباء الجزور ، وذلك أنهم كانوا يتياسرون على الجزور فإذا أفلح الرجل منهم على أصحابه نحروه ثم اقتسموه أعشاراً على عدة القداح ، وفي ذلك يقول أعشى بني ثعلبة :

وجزور أيسار دعوت إلى الندى أوساط مقفرة أخف طلالها(٣٠٤)

وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما بعد التحريم ، وهو قول ابن عباس .

---

(٣٠٢) ديوان حسان (ص ٤) وفيه « فنشربها » بدلاً من « ونشربها » وكذا نقله الطبري في التفسير فنشربها . . . الخ (٤/٣٢٧) .

(٣٠٣) الشاعر هو المنخل اليشكري شاعر جاهلي قتله عمرو بن هند .

(٣٠٤) ديوانه (ص ٢٣) وفيه : ونياط مقفرة أخاف ضلالها .
وكذا نقله الطبري (٤/٣٢٧) .

والثاني : أن كلاهما قبل التحريم يعني الإثم الذي يحدث من أسبابهما أكبر من نفعهما ، وهو قول سعيد بن جبير .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : بما فضل عن الأهل ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الوسط في النفقة ما لم يكن إسرافاً أو إقتاراً ، وهو قول الحسن(*) .

والرابع : إن العفو أن يؤخذ منهم ما أتوا به من قليل أو كثير ، وهو قول مروي عن ابن عباس أيضاً .

والخامس : أنه الصدقة عن ظهر غِنى ، وهو قول مجاهد .

والسادس : أنه الصدقة المفروضة ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً .

واختلفوا في هذه النفقة التي هي العفو هل نسخت ؟ فقال ابن عباس نسخت بالزكاة . وقال مجاهد هي ثابتة .

واختلفوا في هذه الآية هل كان تحريم الخمر بها أو بغيرها ؟ فقال قوم من أهل النظر : حرمت الخمر بهذه الآية . وقال قتادة وعليه أكثر العلماء : أنها حرمت بآية المائدة .

وروى عبد الوهاب عن عوف عن أبي القُلوص(٣٠٥) زيد بن علي قال : أنزل الله عز وجل في الخمر ثلاث آيات فأول ما أنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ

(*) لاحظ أن التأويل الثالث لم يذكر .

(٣٠٥) وفي الطبري (٣٣٢/٤) عن أبي القموص وهذا الأثر رواه الطبري (٣٣٢/٤) وهو حديث مرسل ضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٠١/٧) وما وقع في المخطوطة خطأ في اسمه صححناه من الطبري .

وهذا الشعر منسوب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولكن هذه القصة لم تثبت وقد ردها الإمام الحافظ ابن حجر بما رواه الفاكهي بسند صحيح كما قال الحافظ عن عائشة رضي الله عنها قالت : « والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا الإسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية » ثم قال الحافظ : وهي أعلم بشأن أبيها من غيرها وأبو القموص لم يدرك أبا بكر فالعهدة على الواسطة فلعله كان من الروافض (٢٠١/٧ فتح).

﴿ وَٱلْمَيسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾، فشربها قوم من المسلمين أو من شاء الله منهم حتى شربها رجلان ودخلا في الصلاة وجعلا يقولان كلاماً لا يدري عوف ما هو ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ فشربها من شربها منهم وجعلوا يتوقّونها عند الصلاة ، حتى شربها ـ فيما زعم أبو القلوص ـ رجل فجعل ينوح على قتلى بدر ، وجعل يقول :

تحيي بالسلامة أم بكرٍ　　وهل لي بعد قومي من سلام
ذريني اصطبحْ بكراً فإني　　رأيت الموت نبّث عن هشام
ووديني المغيرة لو فدوه　　بألف من رجال أو سوام
وكائن بالطَويِّ طويِّ بدرٍ　　من الشيزي تُكَلَّلُ بالسنامَ
وكائن بالطويِّ طويِّ بدر　　من الفتيان والحلل الكرامِ

قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فزعاً يجر رداءَه من الفزع حتى انتهى إليه ، فلما عاينه الرجل ورفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ، لا أطعمها أبداً ، فأنزل الله في تحريمها ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزْلَامُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة: ٩٠ ـ ٩١] فقالوا: انتهينا.

وروى موسى عن عمرو عن أسباط عن السدي قال : نزلت هذه الآية : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ فلم يزالوا يشربونها حتى صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، منهم علي بن أبي طالب وعمر رضي الله عنهما، فشربوا حتى سكروا، فحضرت الصلاة فأمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأ: ﴿قُلْ يَـٰأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] فلم يُقِمْها، فأنزل الله تعالى يشدد في الخمر ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَاةَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا تَقُولُونَ﴾ فكانت لهم حلالاً يشربونها من صلاة الغداة حتى يرتفع النهار أو ينتصف فيقومون إلى صلاة الظهر وهم صاحون ، ثم لا يشربونها حتى يصلوا العتمة ، ثم يشربونها حتى ينتصف الليل، وينامون ويقومون إلى صلاة الفجر وقد أصبحوا ، فلم يزالوا كذلك يشربونها حتى صنع سعد بن أبي وقاص طعاماً ودعا

ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم رجل من الأنصار ، فسوى لهم رأس بعير ثم دعاهم إليه ، فلما أكلوا وشربوا من الخمر سكروا وأخذوا في الحديث فتكلم سعد بشيء فغضب الأنصاري فرفع لحى البعير وكسر أنف سعد ، فأنزل الله تعالى نسخ الخمر وتحريمها ، فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

قوله تعالى : ﴿ . . . وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ : إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ قال المفسرون : لمّا نزلت سورة بني إسرائيل ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، وفي سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً ﴾، تحرج المسلمون أن يخلطوا طعامهم بطعام من يكون عندهم من الأيتام ، وكانوا يعزلون طعامهم عن طعامهم ، وشرابهم عن شرابهم ، حتى ربما فسد طعامهم ، فشق ذلك عليهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُم فَإِخْوَانَكُم ﴾، يعني في الطعام ، والشراب ، والمساكنة ، وركوب الدابة ، واستخدام العبد قال الشعبي : فمن خالط يتيماً ، فليوسع عليه ، ومن خالط بأكل فلا يفعل .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ قال ابن زيد: الله يعلم حين تخلط مالك بماله، أتريد أن تصلح ماله أو تفسد ماله بغير حق.

﴿ وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُم ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لَشدّد عليكم ، وهو قول السدي .

والثاني : لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً ، وهو قول ابن عباس .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ يعني عزيز في سلطانه وقدرته على الإعنات ، حكيم فيما صنع من تدبيره وتركه الإعنات .

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ

﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ اختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها في جميع المشركات الكتابيات وغير الكتابيات ، وأن حكمها غير منسوخ ، فلا يجوز لمسلم أن ينكح مشركة أبداً ، وذكر أن طلحة بن عبيد الله نكح يهودية ، ونكح حذيفة نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب غضباً شديداً ، حتى كاد يبطش بهما ، فقالا نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب ، فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن، ولكن ينزعن منكم صغرَةً قمأةً .

والثاني : أنها نزلت مراداً بها مشركات العرب ، ومن دان دين أهل الكتاب ، وأنها ثابتة لم ينسخ شيء منها ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن جبير .

والثالث : أنها عامة في جميع المشركات ، وقد نسخ منهن الكتابيات ، بقوله تعالى في المائدة : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم ﴾ .

وقد روى الصلت بن بهرام ، عن سفيان قال : تزوج حذيفة بن اليمان يهودية ، فكتب إليه عمر بن الخطاب : خلِّ سبيلها ، فكتب إليه أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنها حرام ، ولكني أخاف أن تقاطعوا المؤمنات منهن ، والمراد بالنكاح التزويج ، وهو حقيقة في اللغة ، وإن كان مجازاً في الوطء ، قال الأعشى :

ولا تقربن جارةً إنّ سِرّها عليك حرام فانكحن أو تأبّدا

أي فتزوج أو تعفف .

قوله تعالى : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيرٌ مِّن مُشْرِكَةٍ ﴾ يعني ولنكاح أمة مؤمنة ، خير من نكاح حرة مشركة من غير أهل الكتاب وإنْ شَرُف نسبها وكَرُم أصلها ، قال السدي : نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة ، كانت له أمة سوداء ، فلطمها في غضب ، ثم ندم ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : « ما هي يا عبد الله » قال : تصوم ، وتصلّي ، وتحسن الوضوء ، وتشهد الشهادتين ، فقال رسول الله : « هَذِه

مُؤْمِنَةٌ »(٣٠٦) . فقال ابن رواحة : لأعتقنها ولأتزوجنها ، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين ، فأنزل الله تعالى هذا .

﴿ وَلَو أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ يعني جمال المشركة وحسبها ومالها .

﴿ وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾ هذا على عمومه إجماعاً ، لا يجوز لمسلمة أن تنكح مشركاً أبداً . روىٰ الحسن عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « نَتَزَوَّجُ نِسَاءَ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ نِسَاءَنَا »(٣٠٧) . ، وفي هذا دليل على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ قال السدي : السائل كان ثابت بن الدحداح الأنصاري ، وكانت العرب ومن في صدر الإسلام من المسلمين يجتنبون مُساكنة الحُيَّض ومؤاكلتهن ومشاربتهن ، فسألوا رسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية ، وهذا قول قتادة . وقال مجاهد : كانوا يعتزلون الحُيّض في الفرج ، ويأتونهن في أدبارهن مدة حيضهن ، فأنزلت هذه الآية ، والأذى هو ما يؤذي من نتن ريحه ووزره ونجاسته .

---

(٣٠٦) رواه الطبري (٣٦٨/٤) بسنده عن السدي فالحديث معضل .

(٣٠٧) رواه الطبري (٣٦٧/٤) برقم (٤٢٢٤) وهو حديث سنده ضعيف ففي سنده شريك بن عبد الله وهو صدوق له أغلاط وأشعث بن سوار ضعفه غير واحد من أهل العلم .

والحسن عن جابر . وقيل لم يسمع الحسن من جابر كما في المراسيل لابن أبي حاتم وعلى فرض سماعه من جابر فقد عنعن الحسن الحديث ولم يصرح بالتحديث وهو مدلس هذا وقد ورد الحديث موقوفاً على جابر وهو أصح رواه الشافعي في الأم (٦/٥) والبيهقي من طريق الشافعي (١٧٢/٧) فالحديث صح موقوفاً عن جابر ولم يصح مرفوعاً .

﴿ فَاعْتَزِلُواْ النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ اختلفوا في المراد بالاعتزال على ثلاثة أقاويل :

أحدها : اعتزل جميع بدنها أن يباشره بشيء من بدنه ، وهذا قول عبيدة السلماني .

والثاني : ما بين السرة والركبة ، وهذا قول شريح .

والثالث : الفَرْج ، وهذا قول عائشة وميمونة وحفصة وجمهور المفسرين .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ فيه قراءتان :

إحداهما : التخفيف وضم الهاء ، وهي قراءة الجمهور ، ومعناه بانقطاع الدم ، وهو قول مجاهد وعكرمة .

والثانية : بالتشديد وفتح الهاء ، قرأ بها حمزة ، والكسائي ، وعاصم ، وفي رواية أبي بكر عنه ، ومعناها حتى تغتسل .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ يعني بالماء ، فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه إذا اغتسلن وهو قول ابن عباس وعكرمة والحسن .

والثاني : الوضوء ، وهو قول مجاهد ، وطاوس .

والثالث : غسل الفرج .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : القُبُل الذي نهىٰ عنه في حال الحيض ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : فأتوهن من قِبَل طهرهن ، لا من قِبَل حيضهن ، وهذا قول عكرمة ، وقتادة .

والثالث : فأتوا النساء من قِبَل النكاح ، لا من قِبَل الفجور ، وهذا قول محمد ابن الحنفية .

والرابع : من حيث أحل لكم ، فلا تقربوهن محرمات ، ولا صائمات ولا معتكفات ، وهذا قول الأصم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : المتطهرين بالماء ، وهذا قول عطاء .

والثاني : يحب المتطهرين من أدبار النساء أن يأتوها ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : يحب المتطهرين من الذنوب ، أن لا يعودوا فيها بعد التوبة منها ، وهو محكيّ عن مجاهد أيضاً .

قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي مزدرع أولادكم ومحترث نسلكم ، وفي الحرث كناية عن النكاح ، ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ ﴾ فانكحوا مزدرع أولادكم .

﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني كيف شئتم في الأحوال ، روىٰ عبد الله بن عليّ أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، جلسوا يوماً ويهوديّ قريب منهم ، فجعل بعضهم يقول : إني لآتي امرأتي وهي مضطجعة ، ويقول الآخر إني لآتيها وهي قائمة ، ويقول الآخر : إني لآتيها وهي على جنبها ، ويقول الآخر إني لآتيها وهي باركة ، فقال اليهودي : ما أنتم إلا أمثال البهائم ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية وهذا قول عكرمة .

والثاني : يعني من أي وجه أحببتم في قُبُلِها ، أو من دُبْرِها في قُبلها .

روىٰ جابر أن اليهود قالوا : إن العرب يأتون النساء من أعجازهن ، فإذا فعلوا ذلك جاء الولد أحول ، فَأَكْذَبَ الله حديثهم(٣٠٨) ، وقال : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ ، وهذا قول ابن عباس ، والربيع .

والثالث : يعني من أين شئتم ، وهو قول سعيد بن المسيب ، وغيره .

والرابع : كيف شئتم أن تعزلوا أو لا تعزلوا ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

والخامس : حيث شئتم من قُبُلٍ ، أو من دُبُرٍ ، رواه نافع ، عن ابن عمر ، وروىٰ عن غيره .

(٣٠٨) رواه البخاري (٨/١٤١ ـ ١٤٣) ومسلم (٢/١٠٥٨) والترمذي (رقم ٢٩٧٨) وأبو داود برقم (٢١٦٣) والنسائي في الكبرى كما في التحفة (٢/٣٧٧) والبيهقي (٧/١٩٥) وزاد السيوطي نسبته في الدر (١/٩٢٦) لوكيع وابن أبي شيبة وابن ماجه وأبي نعيم بن حميد ونقل ابن كثير (١/٢٦٠) رواية ابن أبي حاتم ورجالها رجال الشيخين غير يونس بن عبد الأعلى فمن رجال مسلم .

وروى حبيش بن عبد الله الصنعاني ، عن ابن عباس أن ناساً من حِمْير أتوا النبي ﷺ يسألونه عن أشياء، فقال رجل منهم : يا رسول الله ، إني رجل أحب النساء ، فكيف ترىٰ في ذلك ؟ فأنزل الله تعالى في سورة البقرة بيان ما سألوا عنه ، فأنزل فيما سأل عنه الرجل : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾، فقال رسول الله ﷺ : « مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً إِذَا كَانَ فِي الفَرْجِ »(٣٠٩) .

﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ الخير ، وهو قول السدي .

والثاني : وقدموا لأنفسكم ذكر الله عز وجل عند الجماع ، وهو قول ابن عباس .

﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ ﴾ أما العرضة في كلام العرب ، فهي القوة والشدة ، وفيها ها هنا تأويلان :

أحدهما : أن تحلف بالله تعالى في كل حق وباطل ، فتتبذل اسمه ، وتجعله عُرضة .

والثاني : أن معنىٰ عُرضة ، أي علة يتعلل بها في بِـرّه، وفيها وجهان :

أحدهما : أن يمتنع من فعل الخير والإصلاح بين الناس إذا سئل ، فيقول عليّ يمين أن لا أفعل ذلك ، أو يحلف بالله في الحال فيعتلّ في ترك الخير باليمين ، وهذا قول طاووس، وقتادة، والضحاك ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أن يحلف بالله ليفعلن الخير والبر ، فيقصد في فعله البر في يمينه ، لا الرغبة في فعله .

(٣٠٩) رواه الإمام أحمد في مسنده (   ) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير في التفسير (١/٢٦٠) ورجال ابن أبي حاتم رجال الصحيح غير ابن لهيعة ورواه عنه ابن وهب وهي رواية مستقيمة أضف إلى ذلك أن ابن لهيعة لم ينفرد بالرواية بل توبع عليها كما عند أحمد .

وفي قوله : ﴿ أَن تَبَرُّواْ ﴾ قولان :

أحدهما : أن تبروا في أيمانكم .

والثاني : أن تبروا في أرحامكم .

﴿ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ هو الإصلاح المعروف ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع لأيمانكم، عليم باعتقادكم .

قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ ﴾ أما اللغو في كلام العرب ، فهو كل كلام كان مذموماً ، وفضلاً لا معنى له ، فهو مأخوذ من قولهم لغا فلان في كلامه إذا قال قبحاً، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [القصص: ٥٥].

فأما لغو اليمين التي لا يؤاخذ الله تعالى بها ، ففيها سبعة تأويلات :

أحدها : ما يسبق به اللسان من غير قصد كقوله : لا والله ، وبلىٰ والله ، وهو قول عائشة ، وابن عباس ، وإليه ذهب الشافعي ، روىٰ عبد الله بن ميمون ، عن عوف الأعرابي ، عن الحسن بن أبي الحسن قال : مر رسول الله ﷺ بقوم ينضلون يعني يرمون ، ومع النبي ﷺ رجل من أصحابه ، فرمىٰ رجل من القوم ، فقال أصاب والله ، أخطأت والله ، فقال الذي مع النبي ﷺ: حنث الرجل يا رسول الله ، فقال : « كَلَّا أَيْمَانُ الرُّمَاةِ لَغْوٌ وَلَا كَفَّارَةَ وَلَا عُقُوبَةَ »(٣١٠).

والثاني : أن لغو اليمين ، أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف عليه ، ثم يتبين أنه بخلافه ، وهو قول أبي هريرة .

والثالث : أن لغو اليمين أن يحلف بها صاحبها في حال الغضب على غير عقد قلب ولا عزم ، ولكن صلة للكلام ، وهو قول طاوس .

---

(٣١٠) رواه ابن جرير في التفسير (٤/٤٤٤) وفي سنده عبيد الله بن ميمون المرادي وقال الشيخ شاكر : لا أعرف من هو ولم أجد له ترجمة ونقله الحافظ ابن كثير وقال هذا مرسل حسن عن الحسن فتعقبه الشيخ مقبل قائلاً : بل ضعيف لأن المرسل من قسم الضعيف ومراسيل الحسن عن بعضهم كالريح كما في تدريب الراوي وأيضاً عبد الله بن ميمون لا أدري من هو إلا أن يكون القداح فهو تالف (١/٤٧٤) تخريج ابن كثير للشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

وقد روىٰ يحيى بن أبي كثير عن طاووس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « لَا يَمِينَ فِي غَضَبٍ »[٣١١].

والرابع : أن لغو اليمين أن يحلف بها في المعصية ، فلا يكفر عنها ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومسروق ، والشعبي ، وقد روىٰ عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ فَلَا نَذْرَ لَهُ ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ فَلَا يَمِينَ لَهُ ، وَمَنْ حَلَفَ عَلَىٰ قَطِيعَةِ رَحِمٍ فَلَا يَمِينَ لَهُ »[٣١٢].

والخامس : أن اللغو في اليمين ، إذا دعا الحالف على نفسه ، كأن يقول : إن لم أفعل كذا فأعمى الله بصري ، أو قلل من مالي ، أو أنا كافر بالله ، وهو قول زيد بن أسلم .

والسادس : أن لغو اليمين هو ما حنث فيه الحالف ناسياً ، وهذا قول النخعي .

ثم قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يحلف كاذباً أو على باطل ، وهذا قول إبراهيم النخعي .

والثاني : أن يحلف عمداً ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه اعتقاد الشرك بالله والكفر ، وهذا قول ابن زيد .

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ غفور لعباده ، فيما لغوا من أيمانهم ، حليم في تركه مقابلة أهل حسنته بالعقوبة على معاصيهم .

---

(٣١١) رواه ابن جرير في التفسير (٤/٤٣٩) وفي سنده سليمان بن أبي سليمان الزهري ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما خالف وقال أبو حاتم فيه شيخ ضعيف (١٢٢/١/٢) الجرح والتعديل وترجم له البخاري في التاريخ الكبير ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وشيخه يحيى بن أبي كثير مدلس . وقد عنعنه ونسبه الحافظ في الفتح (٤٩٠/١١) للطبراني في الأوسط وقال سنده ضعيف .

(٣١٢) رواه ابن جرير بلفظ المؤلف (٤٤٢/٤) والحاكم (٣٠/٤) وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال عبد الرحمن متروك ، والبيهقي (٣٣/١٠) وأحمد (٦٧٣٢) وأبو داود (٢٢٧٣ ، ٣٢٧٤) وحسّن اسناد ابن داود الأرناؤوط في جامع الأصول (٥٥١/١١) .

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ معنى قوله تعالى : ﴿ يُؤْلُونَ ﴾ أي يقسمون ، والألية : اليمين ، قال الشاعر :

كُفِينا مَنْ تعنَّت من نِزارٍ ... وأحلَلْنا إليه مُقسِمينا[٣١٣]

وفي الكلام حذف ، تقديره : للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم لكنه إنما دل عليه ظاهر الكلام .

واختلفوا في اليمن التي يصير بها مولياً على قولين :

أحدهما : هي اليمين بالله وحده .

والثاني : هل كل عين لزم الحلف في الحنث بها ما لم يكن لازماً له وكلا القولين عن الشافعي .

واختلفوا في الذي إذا حلف عليه صار مُولياً على ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو أن يحلف على امرأته في حال الغضب على وجه الإضرار بها ، أن لا يجامعها في فرجها ، وأما إن حلف على غير وجه الإضرار ، وعلى غير الغضب فليس بمولٍ ، وهو قول عليّ ، وابن عباس وعطاء .

والثاني : هو أن يحلف أن لا يجامعها في فرجها ، سواء كان في غضب أو غير غضب ، وهو قول الحسن ، وابن سيرين ، والنخعي ، والشافعي .

والثالث : هو كل يمين حلف بها في مساءة امرأته على جماع أو غيره ، كقوله والله لأسوءنك أو لأغيظنك ، وهو قول ابن المسيب ، والشعبي ، والحكم .

ثم قال تعالى: ﴿فَإِن فَآؤُوا﴾ يعني رجعوا، والفيء والرجوع من حال إلى حال، لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾ [الحجرات: ٩] أي ترجع، ومنه قول الشاعر:

ففاءَتْ ولم تَقْضِ الذي أقبلت له ... ومِنْ حَاجَةِ الإنسانِ ما لَيْسَ قاضيا

---

(٣١٣) وفي الطبري (٤/٤٥٦).

كفينا من تغيب في التراب ... واخشانا أليه مقسمينا

وفي الفيء ثلاثة تأويلات :

أحدها : الجماع لا غير ، وهو قول ابن عباس ، ومن قال إن المُولِيَ هو الحالف على الجماع دون غيره .

والثاني : الجماع لغير المعذور ، والنية بالقلب وهو قول الحسن وعكرمة .

والثالث : هو المراجعة باللسان بكل غالب أنه الرضا ، قاله ابن مسعود ، ومن قال إن المُولي هو الحالف على مساءة زوجته .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أراد غفران الإثم وعليه الكفارة ، قاله عليّ وابن عباس وسعيد بن المسيب .

والثاني : غفور بتخفيف الكفارة إسقاطها ، وهذا قول من زعم أن الكفارة لا تلزم فيما كان الحنث براً ، قاله الحسن ، وإبراهيم .

والثالث : غفور لمأثم اليمين ، رحيم في ترخيص المخرج منها بالتفكير ، قاله ابن زيد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾ الآية . قرأ ابن عباس وإن عزموا السّراح ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن عزيمة الذي لا يفيء حتى تمضي أربعة أشهر فتطلق بذلك . واختلف من قال بهذا في الطلاق الذي يلحقها على قولين :

أحدهما : طلقة بائنة ، وهو قول عثمان ، وعليّ ، وابن زيد ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس .

والثاني : طلقة رجعية ، وهو قول ابن المسيب ، وأبي بكر بن عبد الرحمن ، وابن شبرمة .

الثاني : أن تمضي الأربعة الأشهر ، يستحق عليها أن يفيء ، أو يطلّق ، وهو قول عمر ، وعلي في رواية عمرو بن سلمة ، وابن أبي ليلى عنه ، وعثمان في رواية طاووس عنه ، وأبي الدرداء وعائشة وابن عمر في رواية نافع عنه .

روى سُهَيْلٌ بن أبي صالح عن أبيه قال : « سألت اثني عشر رجلاً من

أصحاب النبي ﷺ عن الرجل يُولي من امرأته فكلهم يقول : ليس عليه شيء حتى تمضي أربعة أشهر فيوقف ، فإن فاء وإلاّ طلق » وهو قول الشافعي ، وأهل المدينة .

والثالث : ليس الإيلاء بشيء ، وهو قول سعيد بن المسيب ، في رواية عمرو ابن دينار عنه .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يسمع إيلاءه .

والثاني : يسمع طلاقه . وفي ﴿ عَلِيمٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعلم نيته .

والثاني : يعلم صبره .

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ﴾ يعني المخليات ، والطلاق : التخلية كما يقال للنعجة المهملة بغير راع : طالق ، فسميت المرأة المَخْلي سبيلها بما سميت به النعجة المهمل أمرها ، وقيل إنه مأخوذ من طلق الفرس ، وهو ذهابه شوطاً لا يمنع ، فسميت المرأة المُخْلاَةُ طالقاً لأنها لا تمنع من نفسها بعد أن كانت ممنوعة ، ولذلك قيل لذات الزوج إنها في حباله لأنها كالمعقولة بشيء ، وأما قولهم طَلَقَتْ المرأة فمعناه غير هذا ، إنما يقال طَلَقَتْ المرأة إذا نَفَسَتْ ، هذا من الطلْق وهو وجع الولادة ، والأول من الطَّلاَقِ .

ثم قال تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ﴾ أي مدة ثلاثة قروء ، واختلفوا في الأقراء على قولين .

أحدهما : هي الحِيَضُ ، وهو قول عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وأبي

موسى ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وعكرمة ، والسدي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وأهل العراق ، استشهاداً بقول الشاعر :

يا رُبَّ ذي صغن عليّ فارض   له قروءٌ كقروءِ الحائض[٣١٤]

والثاني : هي الأطهار ، وهو قول عائشة ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، والزهري ، وأبان بن عثمان ، والشافعي ، وأهل الحجاز ، استشهاداً بقول الأعشى :

أفي كلِّ عامٍ أنتَ جَاشِمُ غزوةً   تَشُدُّ لأقصاها عزِيمَ عزائِكَا[٣١٥]
مُوَرِّثَةً مالاً وفي الحيِّ رِفعَةً   لِمَا ضاعَ فيها من قروءِ نِسائكا

واختلفوا في اشتقاق القرء على قولين :

أحدهما : أن القرء الاجتماع ، ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه ، وقيل : قد قرأ الطعام في شدقه وقرأ الماء في حوضه إذا جمعه ، وقيل : ما قرأتِ الناقة سَلَى قط ، أي لم يجتمع رحمها على ولد قط ، قال عمرو بن كلثوم :

تُرِيكَ إذا دَخَلْتَ على خَلاءٍ   وقد أمنَتْ عُيونُ الكَاشِحِينا[٣١٦]
ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بكرٍ   هَجَانَ اللون لم تقرَأْ جَنِينَا

وهذا قول الأصمعي ، والأخفش ، والكسائي ، والشافعي ، فمن جعل القروء اسماً للحيض سمّاه بذلك ، لاجتماع الدم في الرحم ، ومن جعله اسماً للطهر فلاجتماعه في البدن .

والقول الثاني : أن القرءَ الوقت ، لمجيء الشيء المعتاد مجيؤه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم ، وكذلك قالت العرب : أَقْرأَتْ حاجة فلان عندي ، أي دنا وقتها وحان قضاؤها . وأَقْرَأَ النجم إذا جاء وقت أُفوله ، وقرأ إذا جاء وقت طلوعه ، قال الشاعر :

إذا ما الثُّرَيَّا وقد أَقْرأَتْ[٣١٧]   . . . .

---

(٣١٤) تقدم عند قوله تعالى ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ فارجع إليه ص
(٣١٥) ديوانه (ص ٦٧) .
(٣١٦) تقدم تخريج البيتين برقم ٣ .
(٣١٧) بيت من الشعر تكملته : « أحس السما كان منها أفولاً » .
كما في الطبري (٤/٥١١) .

وقيل : أقرأت الريح ، إذا هبت لوقتها ، قال الهذلي :

كَرِهتُ العقْرَ عَقْرَ بني شليل إذا لِقَارِئِهَا الـرِّيـاح[٣١٨]

يعني هبت لوقتها ، وهذا قول أبي عمرو بن العلاء .

فمن جعل القرْء اسماً للحيض ، فلأنه وقت خروج الدم المعتاد ، ومن جعله اسماً للطهر ، فلأنه وقت احتباس الدم المعتاد .

ثم قـال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الحيض ، وهو قول عكرمة ، والزهري ، والنخعي .

والثاني : أنه الحمل ، قاله عمر وابن عباس .

والثالث : أنه الحمل والحيض قاله عمر ومجاهد .

﴿ إن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ وعيد من الله لهن ، واختلف في سبب الوعيد على قولين :

أحدهما : لما يستحقه الزوج من الرجعة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : لإلحاق نسب الوليد بغيره كفعل الجاهلية ، وهو قول قتادة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ البعل : الزوج ، سُمِّيَ بذلك ، لعلوه على الزوجة بما قد ملكه عن زوجيتها ومنه قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ [الصافات: ١٢٥] أي رَبّاً لعلوه بالربوبية، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي برجعتهن، وهذا مخصوص في الطلاق الرجعي دون البائن.

﴿ إنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً ﴾ يعني إصلاح ما بينهما من الطلاق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ولهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن ، مثل الذي عليهن من الطاعة ، فيما أوجبه الله تعالى عليهن لأزواجهن ، وهو قول الضحاك .

(٣١٨) والبيت في ديوان الهذليين (٨٣/٣) وشطره الأول:
شنئت العقر عقر بني شليل . . . كذا نقله الطبري (٥١١/٤).

والثاني : ولهن على أزواجهن من التصنع والتزين ، مثل ما لأزواجهن ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : أن الذي لهن على أزواجهن ، ترك مضارتهن ، كما كان ذلك لأزواجهن ، وهو قول أبي جعفر .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وفيه خمسة تأويلات :

أحدها : فضل الميراث والجهاد ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه الإِمْرَةُ والطاعة ، وهو قول زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن .

والثالث : أنه إعطاء الصداق ، وأنه إذا قذفها لاعنها ، وإن قذفته حُدَّتْ ، وهو قول الشعبي .

والرابع : أفضاله عليها ، وأداء حقها إليها ، والصفح عما يجب له من الحقوق عليها ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

والخامس : أن جعل له لحْية ، وهو قول حميد .

ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه بيان لعدد الطلاق وتقديره بالثلاث ، وأنه يملك في الاثنين الرجعة ولا يملكها في الثالثة ، وهو قول عروة وقتادة ، وروى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان الرجل يطلق ناسياً ، إنْ راجع امرأته قبيل أن تنقضي عدتها كانت

امرأته ، فغضب رجل من الأنصار على امرأته ، فقال لها : لا أقربك ولا تختلين مني ، قالت له كيف ؟ أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك ، فشكت زوجها إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ الآية .

والتأويل الثاني : أنه بيان لسنة الطلاق أن يوقع في كل قول طلقة واحدة ، وهو قول عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومجاهد .

قوله تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ فيه تأويلان :

الأول : هذا في الطلقة الثالثة ، روى سفيان(٣١٩)، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الطلاق مرتان فأين الثالثة ؟ قال : ﴿ إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾، وهذا قول عطاء ، ومجاهد .

والثاني : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ﴾ الرجعة بعد الثانية ﴿ أَو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ والإمساك عن رجعتها حتىٰ تنقضي العدة ، وهو قول السدي ، والضحاك . الإحسان هو تأدية حقها ، والكف عن أذاها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُم أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً ﴾ يعني من الصداق ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ قرأ حمزة بضم الياء من يخافا ، وقرأ الباقون بفتحها ، والخوف ها هنا بمعنى الظن ، ومنه قول الشاعر :

أتاني كلامٌ عن نصيبٍ يقوله وما خِفْتُ بالإسلامِ أنك عائبي(٣٢٠)

يعني وما ظننت .

وفي ﴿ أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : أن يظهر من المرأة النُّشوز وسوء الخُلُق ، وهو قول ابن عباس .

---

(٣١٩) هذا حديث مرسل ضعيف رواه الطبري (٤/٥٤٥) وعبد الرزاق في المصنف (٣/٣٠١) وذكره ابن كثير (١/٢٧٢) من رواية ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي رزين ورواه البيهقي (٧/٣٤٠) من طريق سعيد بن منصور وزاد السيوطي في الدر (١/٦٦٤) نسبته لوكيع وأبي داود في ناسخه وابن المنذر والنحاس .

(٣٢٠) هو أبو القول الطهوي والبيت في نوادر ابن زيد (٤٦) ومعاني القرآن للفراء (١/١٤٦) والشطر الثاني في هذين المصدرين :

وما خفت يا سلّام أنك عائبي

والثاني : أن لا تطيع له أمراً ، ولا تبرّ له قَسَماً ، وهو قول الحسن ، والشعبي .

والثالث : هو أن يبدي لسانها أنها له كارهة ، وهو قول عطاء .

والرابع : أن يكره كل واحد منهما صاحبه ، فلا يقيم كل واحد منهما ما أوجب الله عليه من حق صاحبه ، وهو قول طاووس، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، روىٰ ثابت بن يزيد ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « **المُخْتِلعَاتُ والمُنْتَزِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ** »[٣٢١]. يعني التي تخالع زوجها لميلها إلى غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُم أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : افتدت به نفسها من الصداق وحده من غير زيادة ، وهو قول عليّ ، وعطاء ، والزهري ، وابن المسيب ، والشعبي ، والحكم ، والحسن .

والقول الثاني : يجوز أن تُخَالِعَ زوجها بالصداق وبأكثر منه ، وهذا قول عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والنخعي ، والشافعي . رَوَىٰ عبد الله بن محمد بن عقيل : أن الرُّبَيِّعَ بنت مُعَوّذ بن عفراء حدثته قالت : كان لي زوج يُقِلُّ عليّ الخبز إذا حضر ، ويحرمني إذا غاب ، قالت : وكانت مني زَلَّةٌ يوماً فقلت : أنْخَلِعُ منك بكل شيء أملكه ، قال : نعم ، قالت ففعلت ، قالت : فخاصم عمي معاذ بن عفراء إلى عثمان بن عفان ، فأجاز الخلع ، وأمره أن يأخذ ما دون عقاص الرأس .

واختلفوا في نسخها ، فَحُكِيَ عن بكر بن عبد الله أن الخلع منسوخ بقوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوجٍ وَءَاتَيتُم إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيئاً** ﴾[النساء: ٢٠] وذهب الجمهور إلى أن حكمها ثابت في جواز الخلع .

---

(٣٢١) رواه ابن جرير (٤/٥٦٩) وفي سنده أشعث بن سوار وهو ضعيف وفي سنده أيضاً الحسن البصري وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث فيه . أيضاً قيس بن الربيع وهو مختلف فيه ولهذا قال الحافظ ابن كثير (١/٤٨٥) غريب من هذا الوجه ضعيف .

لكن للحديث شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد (٩٣٤٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

وقد روى أيوب ، عن كثير مولى سَمُرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتِيَ بامرأة ناشزة ، فأمر بها إلى بيت كثير ، فحبسها ثلاثاً ، ثم دعاها فقال : كيف وجدت مكانك ؟ قالت : ما وجدتُ راحة منذ كنت إلا هذه الليالي التي حبستني ، فقال لزوجها : اخلعها ولو من قرطها[٣٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها الطلقة الثالثة وهو قول السدي .

والثاني : أن ذلك تخيير لقوله تعالى : ﴿ أَو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ ، وهو قول مجاهد .

﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوجاً غَيرَهُ ﴾ يعني أنها لا تحل للزوج المطلق ثلاثاً حتى تنكح زوجاً آخر ، وفيه قولان :

أحدهما : أن نكاح الثاني إذا طلقها منه أحلها للأول سواء دخل بها أو لم يدخل ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والثاني : أنها لا تحل للأول بنكاح الثاني ، حتى يدخل بها فتذوق عسيلته ويذوق عسيلتها ، للسنّة المروية[٣٢٣] فيه ، وهو قول الجمهور .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي قاربْن انقضاء

(٣٢٢) رواه الطبري (٤/٥٧٦) برقم (٤٨٦٠) ومختصراً برقم (٤٨٦١) .

(٣٢٣) وهي ما رواه مسلم (١/٤٠٧)، أحمد (٦/٢٢٦) والطبري برقم (٤٨٩٣) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبت طلاقها فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير . . . الحديث. وفيه أن النبي ﷺ قال لها لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا ؛ حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك . . . الخ .

عِدَدهن ، كما يقول المسافر : بلغت بلد كذا إذا قاربه .

﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ هو المراجعة قبل انقضاء العدة ﴿ أَو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ وهو تركها حتى تنقضي العدة .

﴿ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا ﴾ هو أن يراجع كلما طلّق حتى تطول عدتها إضراراً بها .

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلك فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ يعني في قصد الإضرار ، وإن صحت الرجعة ، والطلاق .

رَوَىٰ حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي موسى الأشعري(٣٢٤): أن رسول الله ﷺ غضب على الأشعريين ، قالوا : يقول أحدهم قد طلقت ، قد راجعت ، ليس هذا بطلاق المسلمين ، طلقوا المرأة في قبل عدتها ولا تتخذوا آيات الله هزواً .

وروىٰ سليمان بن أرقم : أن الحسن حدثهم : أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُطلّق أو يعتق ، فيقال : ما صنعت ؟ فيقول : كنت لاعباً ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ طَلَّقَ لاَعِباً أَو أَعْتَقَ لاَعِباً جازَ عَلَيهِ »(٣٢٥) .

قال الحسن : وفيه نزلت : ﴿ وَلاَ تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُواً ﴾ .

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ

(٣٢٤) رواه ابن جرير برقم (٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦) وصحح سندها الشيخ أحمد شاكر ورواه ابن ماجه بمعناه (١/ ٦٥٠) من طريق أخرى عنه وحسنها البوصيري في الزوائد ورواه البيهقي (٧/ ٣٢٢) وفيه زيادة .

وهذه الطرق كلها عن أبي موسى تكسب الحديث قوة .

(٣٢٥) رواه ابن جرير (٥/ ١٣) وقال ابن كثير (١/ ٢٨١) مرسل زد على ذلك أن الحديث في إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك كما قال أبو داود والدارقطني . وفي سنده أيضاً المبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن وعصام بن رواد وقد ليّنه الحاكم . كما نقله الذهبي في الميزان والحديث زاد السيوطي نسبته في الدر (١/ ٦٨٣) لابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه (١/ ٤٩٩) نقله ابن كثير وعمرو بن عبيد هو المبتدع الضال كان يكذب على الحسن وزاد السيوطي نسبته في الدر (١/ ٦٨٣) للطبراني .

بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ بلوغ الأجل ها هنا [تناهيه](*)، بخلاف بلوغ الأجل في الآية التي قبلها ، لأنه لا يجوز لها أن تنكح غيره قبل انقضاء عدتها ، قال الشافعي : فدخل اختلاف المعنيين على افتراق البلوغين .

ثم قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ وفي العضل قولان :

أحدهما : أنه المنع ، ومنه قولهم : داء عضال إذا امتنع من أن يُداوَىٰ ، وفلان عُضَلَةٌ أي داهية ، لأنه امتنع بدهائه .

والقول الثاني : أن العضل الضيق، ومنه قولهم: قد أعضل بالجيش الفضاء، إذا ضاق بهم. وقال عمر بن الخطاب: قد أعضل بي أهل العراق، لا يرضون عن والٍ، ولا يرضى عنهم والٍ، وقال أوس بن حجر.

وليس أخوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ بالَّذِي يذُمُّك إن ولَّى ويُرْضِيك مُقبِلاً(٣٢)
ولكنه النَّائي إذا كُنتَ آمِناً وصاحِبُكَ الأدْنَىٰ إذا الأمْرُ أعْضَلا

فنهىٰ الله عز وجل أولياء المرأة عن عضلها ومنعها من نكاح مَنْ رضيته من الأزواج .

وفي قوله عز وجل : ﴿ إِذَا تَرَاضَوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : إذا تراضى الزوجان .

والثاني : إذا رضيت المرأة بالزوج الكافي(*). قال الشافعي : وهذا بيّن في كتاب الله تعالى يدل على أن ليس للمرأة أن تنكح بغير وليّ .

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

(*) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٣٢٦) ديوانه من قصيدة له برقم (٣١) .

(*) لعله المكافىء والله أعلم .

أحدها : أنها نزلت في معقل بن يسار زوّج أخته ، ثم طلقها زوجها وتراضيا بعد العدة أن يتزوجها ، فَعَضَلَهَا معقل ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : أنها نزلت في جابر بن عبد الله مع بنت عم له ، وقد طلقها زوجها ، ثم خطبها فأبىٰ أن يزوجه بها ، وهذا قول السدي .

والثالث : أنها نزلت عموماً في نهي كل ولي عن مضارة وليّته من النساء أن يعضلها عن النكاح ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك ، والزهري .

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٣٣)

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ ﴾ والحول السنة ، وفي أصله قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من قولهم : حال الشيء إذا انقلب عن الوقت الأول ، ومنه استحالة الكلام لانقلابه عن الصواب .

والثاني : أنه مأخوذ من التحول عن المكان ، وهو الانتقال منه إلى المكان الأول .

وإنما قال حولين كاملين ، لأن العرب تقول : أقام فلان بمكان كذا حولين وإنما أقام حولاً وبعض آخر ، وأقام يومين وإنما أقام يوماً وبعض آخر ، قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَومَينِ فَلَا إِثْمَ عَلَيهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ومعلوم أن التعجل في يوم وبعض يوم .

واختلف أهل التفسير فيما دلت عليه هذه الآية من رضاع حولين كاملين ، على تأويلين :

أحدهما : أن ذلك في التي تضع لستة أشهر فإن وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهراً ، استكمالاً لثلاثين شهراً ، لقوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً ﴾ [الأحقاف: ١٥] وهذا قول ابن عباس.

والثاني : أن ذلك أمر برضاع كل مولود اختلف والداه في رضاعه أن يرضع حولين كاملين ، وهذا قول عطاء والثوري .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَولُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ يريد بالمولود له الأب عليه في ولده للمرضعة له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفيه قولان :

أحدهما : أن ذلك في الأم المطلقة إذا أرضعت ولدها فلها رزقها من الغذاء ، وكسوتها من اللباس . ومعنىٰ بالمعروف أجرة المثل ، وهذا قول الضحاك .

والثاني : أنه يعني به الأم ذات النكاح ، لها نفقتها وكسوتها بالمعروف في مثلها ، على مثله من يسار ، وإعسار .

ثم قال تعالى : ﴿ لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ أي لا تمتنع الأم من إرضاعه إضراراً بالأب ، وهو قول جمهور المفسرين .

وقال عكرمة : هي الظئر المرضعة دون الأم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلاَ مَولُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ وهو الأب في قول جميعهم ، لا ينزع الولد من أمه إضراراً بها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن الوارث هو المولود نفسه ، وهذا قول قبيصة بن ذؤيب .

والثاني : أنه الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر منهما ، وهو قول سفيان .

والثالث : أنه وارث الولد ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

والرابع : أنه وارث الولد ، وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : وارثه من عصبته إذا كان أبوه ميتاً سواء كان عماً أو أخاً أو ابن أخ أو

ابن عم دون النساء من الورثة ، وهذا قول عمر بن الخطاب ، ومجاهد .

والثاني : ورثته من الرجال والنساء ، وهو قول قتادة .

والثالث : هم مِنْ ورثته من كان منهم ذا رحم محرم ، وهذا قول أبي حنيفة .

والرابع : أنهم الأجداد ثم الأمهات ، وهذا قول الشافعي .

وفي قوله تعالى : ﴿ مِثْلُ ذٰلِكَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن على الوارث مثل ما كان على والده من أجرة رضاعته ونفقته ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وإبراهيم .

والثاني : أن على الوارث مثل ذلك في ألَّا تضار والدة بولدها ، وهذا قول الضحاك ، والزهري .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِمَا ﴾ والفصال : الفصام ، سمي فصالاً لانفصال المولود عن ثدي أمه ، من قولهم قد فاصل فلان فلاناً إذا فارقه من خلطة كانت بينهما . والتشاور : استخراج الرأي بالمشاورة .

وفي زمان هذا الفِصال عن تراض قولان :

أحدهما : أنه قبل الحولين إذا تراضىٰ الوالدان بفطام المولود فيه جاز ، وإن رضي أحدهما وأبىٰ الآخر لم يجز ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والزهري ، والسدي .

والقول الثاني : أنه قبل الحولين وبعده ، وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُم ﴾ يعني لأولادكم ، فحذف اللام اكتفاء بأن الاسترضاع لا يكون للأولاد ، وهذا عند امتناع الأم من إرضاعه ، فلا جناح عليه أن يسترضع له غيرها ظِئْراً .

﴿ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا ءَاتَيتُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إذا سلمتم أيها الآباء إلى الأمهات أجور ما أرضعن قبل امتناعهن ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثاني : إذا سلّمتم الأولاد عن مشورة أمهاتهم إلى من يتراضىٰ به الوالدان في إرضاعه ، وهذا قول قتادة ، والزهري .

والثالث : إذا سلّمتم إلى المرضعة التي تستأجر أجرها بالمعروف ، وهذا قول سفيان .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾

قوله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ يُتَوفَّونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهُنَّ أَرْبَعَة أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾** يعني بالتربص زمان العِدّة في المتوفّىٰ زوجُها ، وقيل في زيادة العشرة على الأشهر الأربعة ما قاله سعيد بن المسيب وأبو العالية أن الله تعالى ينفخ الروح في العشرة ، ثم ذكر العشر بالتأنيث تغليباً لليالي على الأيام إذا اجتمعت لأن ابتداء الشهور طلوع الهلال ودخول الليل ، فكان تغليب الأوائل على الثواني أوْلىٰ .

واختلفوا في وجوب الإحْدَادِ فيها على قولين :

أحدهما : أن الإحْدَاد فيها واجب ، وهو قول ابن عباس ، والزهري .

والثاني : ليس بواجب ، وهو قول الحسن .

روى عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن أسماء بنت عُمَيس قالت : لمّا أصيب جعفر بن أبي طالب ، قال لي رسول الله ﷺ : « **تَسَلَّبي ثَلاَثاً ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ** »(٣٢٧) . والإحْدَادُ : الامتناع من الزينة ، والطيب ، والترجل ، والنُّقْلة .

---

(٣٢٧) رواه الطبري (٥/٨٧) برقم (٥٠٨٨ ، ٥٠٨٩) وابن سعد (٨/٢٠٦) وأحمد بمعناه (٦/٣٦٩ ، ٤٣٨) والطحاوي في معاني الآثار (٢/٤٤) والبيهقي (٧/٤٣٨) وصححه ابن حبان كما قال الحافظ في الفتح (٩/٤٢٩) كلهم من طريق محمد بن طلحة عن الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد بن الهاد . . . . الحديث وهو مرسل وقد أعله البيهقي بالانقطاع بين عبد الله وأسماء وقال لم يثبت سماع عبد الله من أسماء وقد ضعف البيهقي أيضاً محمد بن طلحة ولم يصب في هذا التضعيف فمحمد ثقة ولهذا تعقبه ابن التركماني في الجوهر النقي (٧/٤٣٨) والحديث ضعفه ابن القيم في الزاد بالارسال (٥/٦٩٧) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/٤٢٩) إلى الحديث بأنه « قوي الاسناد » ثم بعد أسطر حكم على الحديث بالشذوذ لمخالفته للأحاديث الصحيحة ولا تعارض بين قول الحافظ هذا وذاك إذ قد يصح السند ولا يلزم منه حجة المتن كما هو معلوم في قواعد الحديث . والحديث ضعفه الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٥/٦٩٧) . =

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإن قيل : فما المعنىٰ في رفع الجناح عن الرجال في بلوغ النساء أجلهن ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن الخطاب تَوَجّه إلى الرجال فيما يلزم النساء من أحكام العِدّة ، فإذا بلغن أجلهن ارتفع الجناح عن الرجال في الإنكار عليهن وأخذهن بأحكام عددهن .

والثاني : أنه لا جناح على الرجال في نكاحهن بعد انقضاء عِدَدِهن .

ثم في قوله تعالى : ﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : من طيب ، وتزين ، ونقلة من مسكن ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثاني : النكاح الحلال ، وهو قول مجاهد . وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَتَاعاً إِلَى ٱلْحَولِ غَيرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] فإن قيل: فهي متقدمة والناسخ يجب أن يكون متأخراً، قيل هو في التنزيل متأخر، وفي التلاوة متقدم. فإن قيل: فَلِمَ قُدِّم في التلاوة مع تأخره في التنزيل؟ قيل: ليسبق القارىء إلى تلاوته ومعرفة حكمه حتىٰ إن لم يقرأ ما بعده من المنسوخ أجزأه.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

= تنبيه: وقع في رواية ابن سعد وابن حبان بلفظ: «تسلمي بدلاً من تسلبي» وخطَّ الحافظ ابن حجر ابن حبان في هذا وبيّن فضيلة الشيخ أحمد شاكر بأن هذا خطأ من الناسخين وتصحيف منهم.

راجع ما كتبه العلامة أحمد شاكر في هذا الصدد (٨٧/٥) تخريج الطبري .

تسلبت المرأة : لبست السلاب بكسر السين وهي ثياب الحداد السواد يلبسها في المأتم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَاءِ ﴾ أما التعريض ، فهو الإشارة بالكلام إلى ما ليس فيه ذكر النكاح ، وأما الخِطبة بالكسر فهي طلب النكاح ، وأما الخُطبة بالضَّم فهي كلام يتضمن وعْظاً أو بلاغاً . والتعريض المباح في العدة أن يقول لها : ما عليك أيْمة ولعل الله أن يسوق إليك خيراً ، أو يقول : رُبَّ رجلٍ يَرْغب فيك ، إلى ما جرىٰ مجرىٰ هذه الألفاظ .

ثم قال تعالى : ﴿ أو أكننتم في أنفسكم ﴾ يعني ما أسررتموه من عقدة النكاح .

ثم قال تعالى : ﴿ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾ في السر خمسة تأويلات :

أحدها : أنه الزنىٰ ، وهو قول الحسن ، وأبي مجلز ، والسدي ، والضحاك وقتادة .

والثاني : ألا تأخذوا ميثاقهن وعهودهن في عِددهن ألا ينكحن غيركم ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والشعبي .

والثالث : ألا تنكحوهن في عِددهن سراً ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

والرابع : أن يقول لها : لا تفوتني نفسك ، وهو قول مجاهد .

والخامس : الجماع ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ معناه : قولوا قولاً معروفاً ، وهو التعريض. ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ .

وفي الكلام حذف وتقديره : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، يعني التصريح بالخطبة . وفي ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه فرض الكتاب أجله ، يريد انقضاء العدّة ، فحذف الفرض اكتفاء بما دل عليه الكلام .

والثاني : أنه أراد بالكتاب الفرض تشبيهاً بكتاب .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيكُم إِنْ طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي : ﴿ تُماسُّوهُنَّ ﴾ .

﴿ أَوْ تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ . وفيه قولان :

أحدهما : معناه ولم تفرضوا لهن فريضة .

والثاني : أن في الكلام حذفاً وتقديره : فرضتم أو لم تفرضوا لهن فريضة . والفريضة : الصداق وسمي فريضة لأنه قد أوجبه لها ، وأصل الفرض : الواجب ، كما قال الشاعر :

كانت فريضة ما أتيت كما كان الزِّناءُ فَريضةَ الرجْمِ[٣٢٨]

وكما يقال : فرض السلطان لفلان في الفيء ، يعني أوجب له ذلك .

ثم قال تعالى : ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الموسر(*) قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِدرِ قَدَرُهُ ﴾ أي أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على حسب أحوالكم في الغنى والإقتار .

واختلف في قدر المتعة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المتعة الخادم ، ودون ذلك الوَرِق ، ودون ذلك الكسوة ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه قدر نصف صداق مثلها ، وهو قول أبي حنيفة .

والثالث : أنه مُقَدَّر باجتهاد الحاكم ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ مَتَاعاً بِٱلْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ واختلفوا في وجوبها على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها واجبة لكل مطلقة ، وهو قول الحسن ، وأبي العالية .

---

(٣٢٨) تقدم تخريج هذا البيت وأنه للنابغة الجعدي .

(*) كذا في الأصول وهل هي قراءة أخرى .

والثاني : أنها واجبة لكل مطلقة إلا غير المدخول بها ، فلا متعة لها ، وهو قول ابن عمر ، وسعيد بن المسيب .

والثالث : أنها واجبة لغير المدخول بها إذا لم يُسمّ لها صداق ، وهو قول الشافعي .

والرابع : أنها غير واجبة ، وإنما الأمر بها ندب وإرشاد ، وهو قول شريح ، والحكم .

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ وهو أول الطلاقين لمن كان قبل الدخول كارهاً ، لرواية سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الذوَّاقِينَ وَلَا الذَّوَّاقَاتِ »(٣٢٩) . يعني الفراق بعد الذوق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَرَضْتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ يعني صداقاً ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه فنصف ما فرضتم لهن ليس عليكم غيره لهن(*)، ﴿ إِلَّا أَن يَعْفُونَ ﴾ يعني به عفو الزوجة ، ليكون عفوها أدعىٰ إلى خِطْبَتِها ، ويرغّب الأزواج فيها .

(٣٢٩) رواه الطبري (٥/١٣٩) بسنده عن شهر بن حوشب عن النبي ﷺ وهو مرسل كما ترى وقد ذكره الهيثمي في المجمع (٤/٣٣٥) من حديث عبادة بن الصامت وقال « رواه الطبراني وفيه راو لم يسم وبقية إسناده حسن » وجاء من حديث أبي موسى مرفوعاً وقال الهيثمي أيضاً (٤/٣٣٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وأحد أسانيد البزار فيه عمران القطان وثقه أحمد وابن حبان وضعفه يحيى ابن سعيد وغيره وقد جمع طرق الحديث الشيخ الألباني في كتابه غاية المرام ص ١٥٧ ، ١٥٨ وقال ابن الأثير في تفسير قوله « الذواقين والذواقات » معنى السريعي النكاح . السريعي الطلاق .

(*) لاحظ أن القول الثاني لم يذكر .

ثم قال تعالى : ﴿ أَو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وطاووس، والحسن ، وعكرمة ، والسدي .

الثاني : هو الزوج ، وبه قال علي ، وشريح ، وسعيد بن المسيب وجبير بن مطعم ، ومجاهد ، وأبو حذيفة .

والثالث : هو أبو بكر ، والسيد في أمته ، وهو قول مالك .

ثم قال تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ وفي المقصود بهذا الخطاب قولان :

أحدهما : أنه خطاب للزوج وحده ، وهو قول الشعبي .

والثاني : أنه خطاب للزوج والزوجة ، وهو قول ابن عباس . وفي قوله : ﴿ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أقرب لاتقاء كل واحد منهما ظُلْمَ صاحبه .

والثاني : أقرب إلى اتقاء معاصي الله .

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ ﴾ وفي المحافظة عليها قولان :

أحدهما : ذكرها .

والثاني : تعجيلها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ وإنما خص الوسطىٰ بالذكر وإن دخلت في جملة الصلوات لاختصاصها بالفضل ، وفيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها صلاة العصر ، وهو قول عليّ ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد

الخدري ، وأبي أيوب ، وعائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وأم حبيبة[٣٣٠] .

روىٰ عمرو بن رافع ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة زوج النبي ﷺ أنها قالت لكاتب مصحفها : إذا بلغتَ مواقيت الصلاة فأخبرني ، حتىٰ أخبرك بما سمعت رسول الله ﷺ ، فلما أخبرها قالت : أكتب ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول[٣٣١] : « **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ** » .

وروىٰ محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، عن عليّ رضي الله عنه قال : لم يُصَلِّ رسول الله ﷺ العصر يوم الخندق إلا بعدما غربت الشمس فقال : « **مَا لَهُم مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُم وَقُبُورَهُم نَاراً شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ** »[٣٣٢] .

وروىٰ التيمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الصَّلَاةُ الوُسْطَىٰ صَلَاةُ الْعَصْرِ** »[٣٣٣] .

والقول الثاني : أنها صلاة الظهر ، وهو قول زيد بن ثابت ، وابن عمر . قال ابن عمر : هي التي توجه فيها رسول الله ﷺ إلى القبلة .

---

(٣٣٠) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله « كونها العصر هو المعتمد وبه قال ابن مسعود وأبو هريرة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول أحمد والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث فيه . قال الترمذي : هو قول أكثر علماء الصحابة وقال الماوردي : هو قول جمهور التابعين . وقال ابن عبد البر : هو قول أكثر أهل الأثر .

وبه قال من المالكية ابن حبيب وابن العربي وابن عطية ويؤيده أيضاً ما روى مسلم عن البراء بن عازب فنزل حافظوا على الصلوٰات وصلاة العصر فقرأناها ما شاء الله ثم نسخت فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فقال رجل فهي إذن صلاة العصر ، فقال أخبرتك كيف نزلت . ا هـ. (١٦٩/٨ فتح) .

(٣٣١) رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٨٥) وصححها الشيخ أحمد شاكر في تخريج الطبري (١٧٨/٥) والحديث ورد بروايات عن حفصة كثيرة أنظرها في الدر المنثور (٧٢٢/١) .

(٣٣٢) رواه البخاري (٧٦/٦ ، ٣١٢/٧ ، ١٤٥/٨ ، ١٦٥/١١) وأبو داود (٤٠٩) وأحمد برقم (٩٩٤) وابن حزم من طريق البخاري (٢٥٢/٤) المحلي والطبري (١٨٦/٥) برقم (٥٤٢٧) بنفس رواية المؤلف كلهم من طريق محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني عن علي .

(٣٣٣) رواه ابن جرير (١٧٠/٥) برقم (٥٣٧٨) والبيهقي (٤٦٠/١ ، ٤٦١) وحسنه الشيخ مقبل في تخريج ابن كثير (٥١٧/١) وأخرجه الطحاوي من طريق آخر عن أبي هريرة كما في الدر (٧٢٦/١) وقد ورد الحديث من طريق أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً رواه البيهقي (٤٦٠/١ ، ٤٦١) وابن حزم (٢٥٨/٤ المحلي) وابن جرير برقم (٥٣٩٠) .

وروىٰ ابن الزبير عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحابه منها ، قال فنزلت : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾ وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين(٣٣٤) .

والقول الثالث : أنها صلاة المغرب ، وهو قول قبيصة بن ذؤيب لأنها ليست بأقلها ولا بأكثرها ولا تقصر في السفر ، وأن رسول الله ﷺ لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها .

والقول الرابع : أنها صلاة الصبح ، وهو قول ابن عباس ، وأبي موسى الأشعري ، وجابر بن عبد الله ، قال ابن عابس يصليها بين سواد الليل وبياض النهار ، تعلقاً بقوله تعالى : ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ ولا صلاة مفروضة يقنت فيها إلا الصبح ، ولأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار .

والقول الخامس : أنها إحدى الصلوات الخمس ولا تعرف بعينها ، ليكون أبعث لهم على المحافظة على جميعها ، وهذا قول نافع ، وابن المسيب ، والربيع ابن خثيم .

وفيها قول سادس : أن الصلاة الوسطىٰ صلاة الجمعة خاصة .

وفيها قول سابع : أن الصلاة الوسطىٰ صلاة الجماعة من جميع الصلوات .

وفي تسميتها بالوسطى ثلاثة أوجه :

أحدها : لأنها أوسط الصلوات الخمس محلاً ، لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار .

والثاني : لأنها أوسط الصلاة عدداً ، لأن أكثرهن أربع وأقلهن ركعتان .

والثالث : لأنها أفضل الصلوات ووسط الشيء ووسطاه أفضله ، وتكون **الوُسْطَىٰ** بمعنىٰ **الفُضْلَىٰ** .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ وفيه ستة تأويلات :

---

(٣٣٤) أخرجه أبو داود (٤١١) وأحمد (٥/١٨٣) والطحاوي في معاني الآثار (١/٩٩) والبيهقي (١/٤٥٨) والطبري (٥/٢٠٦) برقم (٥٤٥٩) والبخاري في الكبير في ترجمة الزبرقان وزاد السيوطي في الدر (١/٧٢٠) نسبته .

أحدها : يعني طائعين ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء .

والثاني : ساكتين عما نهاكم الله أن تتكلموا به في صلاتكم ، وهو قول ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، والسدي ، وابن زيد .

والثالث : خاشعين ، نهياً عن العبث والتفلت ، وهو قول مجاهد ، والربيع ابن أنس .

والرابع : داعين ، وهو مروي عن ابن عباس .

والخامس : طول القيام في الصلاة ، وهو قول ابن عمر .

والسادس : . . . .(*) وهو مروي عن ابن عمر أيضاً .

واختلف في أصل القنوت ، على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن أصله الدوام على أمر واحد .

والثاني : أصله الطاعة .

والثالث : أصله الدعاء .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ خِفْتُم فَرِجَالاً أَو رُكْبَاناً ﴾ الرجال جمع راجل ، والركبان جمع راكب ، مثل قائم وقيام . يعني فإن خفتم من عدوّكم ، فصلوا على أرجلكم أو ركائبكم ، وقوفاً ومشاة ، إلى القبلة وغير القبلة ، مومئاً أو غير مومىء ، على حسب قدرته .

واختلف في قدر صلاته ، فذهب الجمهور إلى أنها على عددها تُصَلَّىٰ ركعتين ، وقال الحسن : تُصَلَّىٰ ركعة واحدة إذا كان خائفاً .

واختلفوا في وجوب الإعادة عليه بعد أمنه ، فذهب أهل الحجاز إلى سقوط الإعادة عنه لعذره .

وذهب أهل العراق إلى وجوب الإعادة عليه لأن مشيه فيها عمل ليس منها .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنتُم فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : معناه فإذا أمنتم فصلّوا كما علّمكم ، وهو قول ابن زيد .

(*) وهنا كلمتان مطموستان في المخطوطة.

والثاني : يريد فاذكروه بالثناء عليه والحمد له ، كما علمكم من أمر دينكم ما لم تكونوا تعلمون .

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم ﴾ الآية . أما الوصية فقد كانت بدل الميراث ، ثم نسخت بآية المواريث ، وأما الحَوْل فقد كانت عِدّة المتوفى عنها زوجها ، ونسخت بأربعة أشهر وعشر .

قوله عز وجل : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ..... (*)

والثاني : أنها لكل مطلقة ، وهذا قول سعيد بن جبير وأحد قولي الشافعي .

وقيل إن هذه الآية نزلت على سبب وهو أن الله عز وجل لمّا قال : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال رجل : إنْ أحسنتُ فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وهذا قول ابن زيد ، وإنما خص المتقين بالذكر ـ وإن كان عاماً ـ تشريفاً لهم .

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(*) هنا جملة مطموسة في الأصل .

ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾ يعني ألم تعلم .

﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني مُؤْتَلِفِي القلوب وهو قول ابن زيد .

والثاني : يعني ألوفاً في العدد .

واختلف قائلو هذا في عددهم على أربعة أقاويل :

أحدها : كانوا أربعة آلاف ، رواه سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

والثاني : كانوا ثمانية آلاف .

والثالث : كانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وهو قول السدي .

والرابع : كانوا أربعين ألفاً ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً ، والألوف تستعمل فيما زاد على عشرة آلاف .

ثم قال تعالى : ﴿ حَذَرَ الْمَوتِ ﴾ وفيه قولان :

أحدهما : أنهم فرّوا من الطاعون ، وهذا قول الحسن ، وروَىٰ سعيد بن جبير قال : كانوا أربعة آلاف ، خرجوا فراراً من الطاعون ، وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت ، فخرجوا ، حتَّىٰ إذا كانوا بأرض كذا ، قال الله لهم : موتوا فماتوا ، فمر عليهم نبي ، فدعا ربه أن يحييهم ، فأحياهم الله .

القول الثاني : أنهم فروا من الجهاد ، وهذا قول عكرمة والضحاك .

﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني فأماتهم الله ، كما يقال : قالت السماء فمطرت ، لأن القول مقدمة الأفعال ، فعبر به عنها .

والثاني : أنه تعالىٰ قال قولاً سمعته الملائكة .

﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ إنما فعل ذلك معجزة لنبي من أنبيائه كان اسمه شمعون من أنبياء بني إسرائيل ، وأن مدة موتهم إلى أن أحياهم الله سبعة أيام .

قال ابن عباس ، وابن جريج : رائحة الموت توجد في ولد ذلك السبط من اليهود إلى يوم القيامة .

قوله عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الجهاد ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : أبواب البر ، وهو قول الحسن ، ومنه قول الشاعر :

وإذا جُوزِيتَ قَرضاً فاجْزِه ... إنما يجزي الفتى ليس الجمل(٣٣٥)

قال الحسن : وقد جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية فقالوا : إن الله يستقرض منا ، فنحن أغنياء ، وهو فقير ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

قوله تعالى : ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : سبعمائة ضعف ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : لا يعلمه أحد إلا الله ، وهو قول السدي .

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني في الرزق ، وهو قول الحسن وابن زيد(٣٣٦) .

والثاني : يقبض الصدقات ويبسط الجزاء ، وهو قول الزجاج .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا

(٣٣٥) هو لبيد بن ربيعة .

(٣٣٦) قال الإمام أبو جعفر الطبري (٥/٢٨٨) يعني تعالى ذكره بذلك أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره ممن ادعى أهل الشرك به أنهم آلهة واتخذوه رباً دونه يعبدونه . ا هـ.

﴿مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الملأ : الجماعة .

﴿ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُم ﴾ اختلف أهل التأويل فيه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سمويل[٣٣٧]، وهو قول وهب بن منبه .

والثاني : يوشع بن نون ، وهو قول قتادة .

والثالث : شمعون ، سمّته أمّه بذلك لأن الله سمع دعاءها فيه ، وهو قول السدي .

﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في سبب سؤالهم لذلك قولان :

أحدهما : أنهم سألوا ذلك لقتال العمالقة ، وهو قول السدي .

والثاني : أن الجبابرة الذين كانوا في زمانهم استزلوهم ، فسألوا قتالهم ، وهو قول وهب والربيع .

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُم إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكاً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ ﴾ قال وهب ، والسدي : إنما أنكروا أن يكون ملكاً عليهم ، لأنه لم يكن من سبط النبوة ، ولا من سبط المملكة ، بل كان من أخمل سبط في بني إسرائيل .

(٣٣٧) وفي تفسير الطبري (٢٩١/٥)شمويل بالسين المعجمة ومنه تعلم أن ما هنا خطأ .

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُم وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ يعني زيادة في العلم وعظماً في الجسم . واختلفوا هل كان ذلك فيه قبل الملك ؟ فقال وهب ابن منبه ، والسدي : كان له ذلك قبل الملك ، وقال ابن زيد : زيادة ذلك بعد الملك .

﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وفي واسع ثلاثة أقاويل :

أحدها : واسع الفضل ، فحذف ذكر الفضل اكتفاء بدليل اللفظ ، كما يقال فلان كبير ، بمعنى كبير القَدْر .

الثاني : أنه بمعنى مُوسِع النعمة على مَنْ يشاء من خلقه .

والثالث : أنه بمعنىٰ ذو سعة .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم : إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ ﴾ أي علامة ملكه ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ قال وهب بن منبه : كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين .

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبِّكُم ﴾ وفي السكينة ستة تأويلات :

أحدها : ريح هفافة لها وجه(٣٣٨) كوجه الإنسان ، وهذا قول عليّ عليه السلام .

---

(٣٣٨) قال الإمام النسفي رحمه الله تعالى في تفسيره: التابوت أي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل تقدم جيشه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون ﴿فيه سكينة من ربكم﴾ أي سكون وطمأنينة. ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام. مما ترك آل موسى وآل هارون أي مما تركه موسى وهارون و﴿الآل﴾ مقحم لتفخيم شأنهما ﴿تحمله الملائكة﴾ يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت من الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه. ثم قال ﴿إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ إن في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملَّك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين.

والثاني : أنها طست مِن ذهبٍ من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء ، وهذا قول ابن عباس والسدي .

والثالث : أنها روح من الله تعالى يتكلم ، وهذا قول وهب بن منبه .

والرابع : أنها ما يعرف من الآيات فيسكنون إليها ، وهذا قول عطاء بن أبي رباح .

والخامس : أنها الرحمة ، وهو قول الربيع بن أنس .

والسادس : أنها الوقار ، وهو قول قتادة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وءَالُ هَارُونَ ﴾ وفيها أربعة تأويلات :

أحدها : أن البقية عصا موسى ورُضاض الألواح ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها العلم والتوراة ، وهو قول عطاء .

والثالث : أنها الجهاد في سبيل الله ، وهو قول الضحاك .

والرابع : أنها التوراة وشيء من ثياب موسى ، وهو قول الحسن .

﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَائِكَةُ ﴾ قال الحسن : تحمله الملائكة بين السماء والأرض ، ترونه عياناً ، ويقولون : إن آدم نزل بالتابوت ، وبالركن .

واختلفوا أين كان قبل أن يرد إليهم ، فقال ابن عباس ، ووهب كان في أيدي العمالقة ، غلبوا عليه بني إسرائيل ، وقال قتادة كان في بريّة التيه ، خَلَّفَه هناك يوشع بن نون ، قال أبو جعفر الطبري : وبلغني أن التابوت وعصا موسى وبحيرة(٣٣٩) الطبرية ، وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

(٣٣٩) وفي تفسير الطبري (٣١٢/٥) وبلغني أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية ومنه تعلم أن ما هنا خطأ من الناسخ .

﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ وهو جمع جند ، والأجناد للقليل ، وقيل : إنهم كانوا ثمانين ألف مقاتل .

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهْرٍ ﴾ اختلفوا في النهر ، فَحُكِيَ عن ابن عباس والربيع أنه نهر بين الأردن وفلسطين ، وقيل إنه نهر فلسطين ، قال وهب بن منبه : السبب الذي ابتلوا لأجله بالنهر ، شِكَايَتُهم قِلةَ الماء وخوف العطش .

﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيسَ مِنِّي ﴾ أي ليس من أهل ولايتي .

﴿ ومَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيَ إلاَّ مَن اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو بالفتح ، وقرأ الباقون « غرفة » بالضم ، والفرق بينهما أن الغرفة بالضم اسم للماء المشروب ، والغرفة بالفتح اسم للفعل .

﴿ فَشَرِبُوا مِنهُ إلاَّ قَلِيلاً مِّنهُم ﴾ قال عكرمة : جاز معه النهر أربعة آلاف ، ونافق ستة وسبعون ألفاً ، فكان داود ممن خلص لله تعالى . قال ابن عباس : إن من استكثر منه عَطِش ، ومن اغترف غرفة منه رُوِيَ .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ قيل : كان المؤمنون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً عدة أهل بدر . واختلفوا ، هل تجاوزه معهم كافر أم لا ؟ فَحُكِيَ عن البراء ، والحسن ، وقتادة : أنه ما تجاوزه إلا مؤمن ، وقال ابن عباس ، والسدي : تجاوزه الكافرون ، إلا أنهم انخذلوا عن المؤمنين .

﴿ قَالُوا : لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ اختلفوا في تأويل ذلك على قولين :

أحدهما : أنه قال ذلك مَنْ قلّت بصيرته من المؤمنين ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنهم أهل الكفر الذين انخذلوا ، وهو قول ابن عباس ، والسدي ،

قال عكرمة : فنافق الأربعة الآلاف إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدة أهل بدر ، وداود فيهم .

﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُواْ اللَّهِ ﴾ وهم المؤمنون الباقون من الأربعة الآلاف .

وفي الظن ها هنا قولان :

أحدهما : أنه بمعنى اليقين ، ومعناه الذين يستيقنون أنهم ملاقو الله كما قال دريد بن الصُّمّة :

فقلت لهم ظُنّوا بِألْفَيْ مُدَجج سَراتُهُمُ في الفارسيّ المسَرّدِ(٣٤٠)

أي تيقنوا .

والثاني : بمعنى الذين يظنون أنهم ملاقو الله بالقتل في الوقعة .

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ والفئة : الفرقة ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ قال الحسن : بنصر الله ، وذلك لأن الله إذا أذن في القتال نصر فيه على الوجه الذي وقع الإذن فيه . ﴿ وَاللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ يعني بالنصرة والمعونة ، وهذا تفسير الآية عند جمهور المفسرين .

وذكر بعض من يتعاطى غوامض المعاني ، أن هذه الآية مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله للدنيا يشبهها بالنهر ، والشارب منه بالمائل إليها والمستكثر منها ، والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها ، والمغترف منه غرفة بيده بالآخذ منها قدر حاجته ، وأحوال الثلاثة عند الله مختلفة(٣٤١) .

وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ

(٣٤٠) الأغاني (٩/ ٤) .

(٣٤١) هذا الكلام من التفسير الإشاري الذي يزعم أصحابه أن الآيات لها ظواهر يعلمها العوام وبواطن يعلمها أهل الحقيقة ـ زعموا ـ وهم بهذا القول يهرفون بما لا يعرفون ويقولون ما لا يعلمون .

مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ في الهزيمة قولان :

أحدهما : أنها ليست من فعلهم وإنما أضيفت إليهم مجازاً .

والثاني : أنهم لما ألجئوا إليها صاروا سبباً لها ، فأضيفت إليهم لمكان الإلجاء . ويحتمل قوله : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وجهين :

أحدهما : بأمر الله لهم بقتالهم .

الثاني : بمعونة الله لهم على قتالهم .

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ حُكِيَ أن جالوت خرج من صفوف عسكره يطلب البِراز ؟ فلم يخرج إليه أحد ، فنادى طالوت في عسكره : مَنْ قتل جالوت فلهُ شطر مُلكي وأزوِّجه ابنتي ، فجاء داود وقد أخذ ثلاثة أحجار ، وكان قصيراً يرعىٰ الغنم ، وقد ألقىٰ الله في نفسه أنه سيقتل جالوت ، فقال لطالوت : أنا أقتل جالوت ، فازدراه طالوت حين رآه ، وقال له : هل جربت نفسك بشيء ؟ قال نعم ، قال : بماذا ؟ قال : وقع ذئب في غنمي فضربته ، ثم أخذت رأسه فقطعته في جسمه ، فقال طالوت : الذئب ضعيف ، فهل جربت نفسك في غيره ؟ قال : نعم ، دخل الأسد في غنمي ، فضربته ثم أخذت بِلَحْيَيْه فشققتها ، أفترى هذا أشد من الأسد ، قال : لا ، وكان عند طالوت درع سابغة لا تستوي إلا على من يقتل جالوت ، فأخبره بها وألقاها عليه فاستوت ، وسار إلى جالوت فرماه بحجر فوقع بين عينيه وخرج من قفاه ، فأصاب جماعة من عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم ، وكانوا على ما حكاه عكرمة تسعين ألفاً .

واختلفواْ ، هل كان داود عند قتله جالوت نبياً ؟ ذهب بعضهم أنه كان نبياً ، لأن هذا الفعل الخارج عن العادة ، لا يكون إلا من نبي ، وقال الحسن : لم يكن نبياً ، لأنه لا يجوز أن يُوَلي مَنْ ليس بنبي على نبي . قال ابن السائب وإنما كان

راعياً فعلى هذا يكون ذلك من توطئة لنبوته من بعد .

ثم إن طالوت ندم على ما بذله لداود من مشاطرته ملكه وتزويجه ابنته ، واختلفوا هل كان ندمه قبل تزويجه ومشاطرته ، أم بعد ، على قولين :

أحدهما : أن طالوت وَفَّىٰ بشرطه ، وزوج داود بابنته ، وخلطه في ملكه بنفسه ثم حسده ، فندم ، وأراد قتله ، فعلمت بنته بأنه يريد قتل زوجها ، وكانت من أعقل النساء ، فنصبت له زِق خمر بالمسك ، وألقت عليه ليلاً ثياب داود ، فأقبل طالوت ، وقال لها : أين زوجك ؟ فأشارت إلى الزق ، فضربه بالسيف ، فانفجر منه الخمر وسطع ريح المسك ، فقال يرحمك الله يا داود طبت حياً وميتاً ، ثم أدركته الندامة ، فجعل ينوح عليه ويبكي ، فلما نظرت الجارية إلى جَزَع أبيها ، أخبرته الخبر ، ففرح ، وقاسم داود على شطر ملكه ، وهذا قول الضحاك ، فعلى هذا يكون طالوت على طاعته حين موته ، لتوبته من معصيته .

والقول الثاني : أنه ندم قبل تزويجه على شرطه وبذله ، وعرّض داود للقتل ، وقال له إن بنات الملوك لا بد لهن من صداق أمثالهن ، وأنت رجل جريء ، فاجعل صداقها قتل ثلاثمائة من أعدائنا ، وكان يرجو بذلك أن يقتل ، فغزا داود وأسر ثلاثمائة ، فلم يجد طالوت بداً من تزويجه ، فزوجه بها ، وزاد ندامة فأراد قتله ، وكان يدس عليه حتى مات ، وهذا قول وهب بن منبه ، فعلى هذا مات طالوت على معصيته لأنه لم يتب من ذنبه .

وروى مكحول ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الْمُلُوكَ قَدْ قَطَعَ اللَّهُ أَرْحَامَهُم فَلا يَتَوَاصَلُونَ حُبّاً لِلْمُلْك حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُم لَيَقْتُلَ الأَبَ وَالإِبْنَ وَالأَخَ وَالعَمَّ ، إِلَّا أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَقَلِيلٌ مَّا هُم ، وَلَزَوَالُ جَبَلٍ عَن مَّوضِعِهِ أَهْوَنُ مِنْ زَوَالِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقَضِ** »(٣٤٢) .

﴿ وَءَاتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يعني داود ، يريد بالملك السلطان وبالحكمة النبوة ـ وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب .

(٣٤٢) هذا الحديث منقطع السند فإن مكحولاً لم يسمع من معاذ فالحديث ضعيف بهذا السند .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن الملك الانقياد إلى طاعته ، والحكمة : العدل في سيرته ويكون ذلك بعد موت طالوت عند تفرده بأمور بني إسرائيل .

﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : صنعة الدروع والتقدير في السرد .

والثاني : كلام الطير وحكمة الزبور .

ويحتمل ثالثاً : أنه فعل الطاعات والأمر بها ، واجتناب المعاصي والنهي عنها ، فيكون على الوجه الأول ﴿ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ داود ، وعلى الثاني : ﴿ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ الله ، وعلى الثالث ﴿ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ الله ويشاء داود .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ .

في الدفع قولان :

أحدهما : أن الله يدفع الهلاك عن البر بالفاجر ، قاله عليّ كرم(*) الله وجهه .

والثاني : يدفع بالمجاهدين عن القاعدين قاله ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لفسد أهل الأرض .

والثاني : لعم الفساد في الأرض . وفي هذا الفساد وجهان :

أحدهما : الكفر .

والثاني : القتل .

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟

(*) وفي نسخة أخرى للمخطوطة : علي عليه السلام .

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ
فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في الآخرة ، لتفاضلهم في الأعمال ، وتحمل الأثقال .

والثاني : في الدنيا بأن جعل بعضهم خليلاً ، وبعضهم كليماً ، وبعضهم مَلِكاً ، وسَخَّر لبعضهم الريح والشياطين ، وأحيا ببعضهم الموتىٰ ، وأبرأ الأكمه ، والأبرص .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : بالشرائع ، فمنهم من شرع ، ومنهم من لم يشرع .

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن أوحىٰ إلى بعضهم في منامه ، وأرسل إلى بعضهم الملائكة في يقظته .

والثاني : أن بعث بعضهم إلى قومه ، وبعث بعضهم إلى كافة الناس .

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الحُجَجُ الواضحة ، والبراهين القاهرة .

والثاني : أن خلقه من ذكر .

﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بجبريل .

والثاني : بأن نفخ فيه من رُوحه .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ولو شاء الله ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة .

والثاني : ولو شاء الله لاضطرهم إلى الإيمان ، ولما حصل فيهم خيار .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢٥٥)

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية . مُخْرَجة مخرج النفي أن يصح إله سوى الله ، وحقيقته إثبات إله واحد وهو الله ، وتقديره : الله الإله دون غيره .

﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه سمىٰ نفسه حياً لصَرْفِه الأمور مصارِفها ، وتقدير الأشياء مقاديرها ، فهو حي بالتقدير لا بحياة .

والثاني : أنه حي بحياة هي له صفة .

والثالث : أنه اسم من أسماء الله تَسَمَّىٰ به ، فقلناه تسليماً لأمره .

والرابع : أن المراد بالحي(٣٤٣) الباقي ، قاله السدي ، ومنه قول لبيد :

إذا ما تَرَيْنِي اليومَ أصْبَحْتُ سَالِماً فَلَسْتُ بأحْيَا مِن كِلابٍ وَجَعْفَرِ(*)

﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ قرأ عمر بن الخطاب القيام . وفيه ستة تأويلات :

أحدها : القائم بتدبير خلقه ، قاله قتادة .

والثاني : يعني القائم على كل نفس بما كسبت ، حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم به ، لا يخفىٰ عليه شيء منه ، قاله الحسن .

والثالث : معنى القائم الوجود ، وهو قول سعيد بن جبير .

والرابع : أنه الذي لا يزول ولا يحول ، قاله ابن عباس .

والخامس : أنه العالم بالأمور ، من قولهم : فلان يقوم بهذا الكتاب ، أي هو عالم به .

---

(٣٤٣) قال الإمام ابن جرير (٣٧٦/٥ ، ٣٧٧) أما قوله الحي فإنه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له بحد ولا آخر له بأمد؛ إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها وينقص بانقضاء غايتها .

والسادس : أنه اسم من أسماء الله ، مأخوذ من الاستقامة ، قال أمية بن أبي الصلت :

لم تُخلَق السماءُ والنجوم والشمسُ معها قمر يقوم
قدّرهَا المهيمن القيوم والحشر والجنة والحميم
إلاّ لأمرٍ شأنه عظيم[٣٤٤]

﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ السِّنَةُ : النعاس في قول الجميع ، والنعاس ما كان في الرأس ، فإذا صار في القلب صار نوماً ، وفرَّق المفضل بينهما ، فقال : السِّنة في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب .

وما عليه الجمهور من التسوية بين السِّنة والنعاس أشبه ، قال عدي بن الرقاع .

وسْنَانُ أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم[٣٤٥]

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما بين أيديهم : هو ما قبل خلقهم ، وما خلفهم : هو ما بعد موتهم .

والثاني : ما بين أيديهم : ما أظهروه ، وما خلفهم : ما كتموه .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي من معلومه إلا أن يطلعهم عليه ويعلمهم إياه .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ في الكرسي قولان :

أحدهما : أنه من صفات الله تعالى :

والثاني : أنه من أوصاف ملكوته[٣٤٦] .

فإذا قيل إنه من صفاته ففيه أربعة أقاويل :

---

(٣٤٤) ديوانه (٥٧) .

(٣٤٥) الأغاني (٩/٣١١) ، مجاز القرآن (١/٧٨) .

(٣٤٦) والصحيح أنه من أوصاف ملكوته وأنه موضع القدمين كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما . رواه الحاكم (٢/٢٧٢) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقد قال العلماء : هو (أي الكرسي) بين يدي العرش كالمرقاة له راجع فتح الباري (٨/١٩٩) .

أحدهـا : أنه علم الله ، قاله ابن عباس(٣٤٧) .

والثاني : أنه قدرة الله(*) .

والثالث : ملك الله .

والرابع : تدبير الله .

وإذا قيل إنه من أوصاف ملكوته ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدهـا : أنه العرش ، قاله الحسن(٣٤٨) .

والثاني : أنه سرير دون العرش(٣٤٩) .

والثالث : هو كـرسي تحت العرش ، والعـرش فوق المـاء . وأصل الكـرسي العلم ، ومنه قيل للصحيفة فيها علم مكتوب : كراسة ، قال أبو ذؤيب :

مالي بأمـرك كرسيّ أكـاتمه ولا بكرسيّ علم الغيب مخلوق

وقيـل للعلمـاء : الكـراسي ، لأنهم المعتمـد عليهم كمـا يقـال لهم : أوتـاد الأرض ، لأنهم الذين بهم تصلح الأرض ، قال الشاعر :

يحف بهم بيضُ الوجوه وعُلية كراسيُّ بالأحداث حين تنوبُ(٣٥٠)

أي علمـاء بحـوادث الأمـور ، فـدلت هـذه الشـواهـد ، على أن أصـح

---

(٣٤٧) ولم يصح عن ابن عباس هذا التفسير فقد رواه البيهقي في الأسماء والصفات .
وقال البيهقي بعد روايته : ـ تفرد به يحيى بن سعيد السعدي وهو منكر الحديث لا يجوز الاحتجاج به إذا انفـرد كما قال النقاد من المحدثين وقد روى البيهقي له شاهداً وفي سنده إبراهيم بن هشام وكذبه أبو زرعة وأبو حاتم ولهذا قال الشيخ محمود محمد شاكر في تخريج الطبـري (٤٠١/٥) وهي رواية شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب ولذلك رجح أبو منصور الأزهري الـرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول : إن الكرسي موضع القدمين وقال : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها .

(*) وفي نسخة أخرى للمخطوطة : الكرسي موضع القدمين. ا هـ. قلت:وهي الرواية الصحيحة كما تقـدم وكان ينبغي لمحقق المطبوعة الإتيان بها .

(٣٤٨) وهذا أيضاً لم يصح عن الحسن فقد رواه ابن جرير (٣٩٩/٥) وفي سنده جويبر بن سعيد الأزدي وهو ضعيف جداً .

(٣٤٩) هذا القول الثاني هو أرجح الأقوال كما سبق وأزيد هنا أن رواية ابن عباس رضي الله عنه المتقـدمة في التعليق السابق أن الكرسي موضع القدمين. قال الحافظ ابن حجر رحمـه الله : (١٩٩/٨) وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله .

(٣٥٠) وفي الـطبري (٤٠٢/٥) الشـطر الأول من البيت : « يحف بهم بيض الوجـوه وعَصْبَةٌ » وكـذا في أساس البلاغة للزمخشري مادة (كرس).

تأويلاته[٣٥١]، ما قاله ابن عباس ، أنه علم الله تعالى .

وقرأ يعقوب الحضرمي : وُسْعُ كرسيِّه السمواتُ والأرضُ بتسكين السين من وسع وضم العين ورفع السموات والأرض على الابتداء والخبر ، وفي تأويله وجهان :

أحدهما : لا يثقله حفظهما في قول الجمهور .

والثاني : لا يتعاظمه حفظهما ، حكاه أبان بن تغلب . وأنشد :

ألا بكِّ سلمى اليوم بت جديدها وضَنَّت وما كان النوال يؤودها

واختلفوا في الكناية بالهاء إلى ماذا تعود ؟ على قولين :

أحدهما : إلى اسم الله ، وتقديره ولا يُثقل الله حفظ السموات والأرض .

والثاني : تعود إلى الكرسي ، وتقديره ولا يثقل الكرسيَّ حفظهما .

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ في العلي تأويلان :

أحدهما : العلي بالاقتدار ونفوذ السلطان[٣٥٢] .

والثاني : العلي عن الأشباه والأمثال .

وفي الفرق بين العلي والعالي ، وجهان محتملان :

أحدهما : أن العالي هو الموجود في محل العلو ، والعلِي هو مستحق العلو .

والثاني : أن العالي هو الذي يجوز أن يُشَارَكَ في علوه ، والعلي هو الذي لا يجوز أن يُشَارَكَ في علوه ، فعلى هذا الوجه ، يجوز أن نصف الله بالعليّ ، ولا يجوز أن نصفه بالعالي ، وعلى الوجه الأول يجوز أن نصفه بهما جميعاً .

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ

---

(٣٥١) وقد ذهب المؤلف في ترجيح هذا القول مذهب ابن جرير رحمه الله وقد علمت مما تقدم أن هذا التأويل لا يصح عن ابن عباس فكن على حذر من أمرك .

(٣٥٢) وما الضير في أن نصف الله تعالى بالعلو المطلق فهو عَلِيٌّ عن الأشباه والأمثال وعَلِيٌّ ذو عُلُوٍّ وارتفاع على خلقه لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه كما وصف نفسه أنه على العرش فمن أثبت هذا فقد سلم من تحريف المحرفين وتأويل المتكلمين اللهم عفواً .

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن ذلك في أهل الكتاب ، لا يُكْرَهُون على الدين إذا بذلوا الجزية ، قاله قتادة .

والثاني : أنها نزلت في الأنصار خاصة ، كانت المرأة منهم تكون مِقْلَاةً لا يعيش لها ولد ، فتجعل على نفسها ، إن عاش لها ولد أن تهوّده ، ترجو به طول العمر ، وهذا قبل الإسلام ، فلما أجلىٰ رسول الله ﷺ بني النضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالت الأنصار : كيف نصنع بأبنائنا ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنها منسوخة بفرض القتال ، قاله ابن زيد .

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ ﴾ فيه سبعة أقوال :

أحدها : أنه الشيطان وهو قول عمر بن الخطاب(٣٥٣) .

والثاني : أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية .

والثالث : الكاهن ، وهو قول سعيد بن جبير(٣٥٤) .

والرابع : الأصنام .

والخامس : مَرَدَة الإنس والجن .

والسادس : أنه كل ذي طغيان طغىٰ على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً ، وهذا قول أبي جعفر الطبري .

والسابع : أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(٣٥٣) قال الحافظ رحمه الله (٢٥٢/٨): رواه عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبد الرحمن ابن رسته في كتاب الإيمان من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر وإسناده قوي .ا. هـ.
وزاد ابن كثير نسبته لابن جرير وابن أبي حاتم (٣١١/١).

(٣٥٤) رواه الطبري بإسناد صححه الحافظ ابن حجر (٢٥٢/٨).

واختلفوا في ﴿ ٱلطَّاغُوتِ ﴾ على وجهين :

أحدهما : أنه اسم أعجمي معرّب ، يقع على الواحد والجماعة .

والثاني : أنه اسم عربي مشتق من الطاغية ، قاله ابن بحر .

﴿ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ فيها أربعة أوجه :

أحدها : هي الإيمان بالله ، وهو قول مجاهد .

والثاني : سنة الرسول .

والثالث : التوفيق .

والرابع : القرآن ، قاله السدي .

﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لا انقطاع لها ، قاله السدي .

والثاني : لا انكسار لها ، وأصل الفصم : الصدع .

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يتولاهم بالنصرة .

والثاني : بالإرشاد .

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من ظلمات الضلالة إلى نور الهدىٰ ، قاله قتادة .

والثاني : يخرجهم من ظلمات العذاب في النار ، إلى نور الثواب في الجنة .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾ يكون على وجهين :

أحدهما : يخرجونهم من نور الهدى إلى ظلمات الضلالة .

والثاني : يخرجونهم من نور الثواب إلى ظلمة العذاب في النار .

وعلى وجه ثالث لأصحاب الخواطر : أنهم يخرجونهم من نور الحق إلى ظلمات الهوىٰ .

فإن قيل : فكيف يخرجونهم من النور، وهم لم يدخلوا فيه ؟ فعن ذلك جوابان :

أحدهما : أنها نزلت في قوم مُرْتَدِّين ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها نزلت فيمن لم يزل كافراً ، وإنما قال ذلك لأنهم لو لم يفعلوا ذلك بهم لدخلوا فيه ، فصاروا بما فعلوه بمنزلة من قد أخرجهم منه .

وفيه وجه ثالث : أنهم كانوا على الفطرة عند أخذ الميثاق عليهم ، فلما حَمَلُوهم على الكفر أخرجوهم من نور فطرتهم .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ هو النمرود بن كنعان ، وهو أول من تجبّر في الأرض وادّعى الربوبية .

﴿ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : هو النمرود لما أوتي الملك حاجَّ في الله تعالى ، وهو قول الحسن .

والثاني : هو إبراهيم لما آتاه الله الملك حاجّه النمرود ، قاله أبو حذيفة .

وفي المحاجّة وجهان محتملان :

أحدهما : أنه معارضة الحجة بمثلها .

والثاني : أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها .

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء ، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل ، فعارض اللفظ بمثله ، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتهما.

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ فإن قيل : فَلِمَ عَدَل إبراهيم عن نصرة حجته الأولى إلى غيرها ، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة .

والجواب الثاني : أنه لمّا كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أنه يحتج عليه بما لا إشغاب فيه ، قطعاً له واستظهاراً عليه قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ فإن قيل فَهَلَّا عارضَه النمرود بأن قال : فليأتِ بها ربك من المغرب ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن الله خذله بالصرف عن هذه الشبهة .

والجواب الثاني : أنه علم بما رأى معه من الآيات أنه يفعل فخاف أن يزداد فضيحة .

﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تحيّر .

والثاني : معناه انقطع ، وهو قول أبي عبيدة .

وقرىء : فَبَهَت الذي كفر بفتح الباء والهاء بمعنى أن الملك قد بهت إبراهيم بشبهته أي سارع بالبهتان .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعينهم على نصرة الظلم .

والثاني : لا يُخلِّصُهم من عقاب الظلم . ويحتمل الظلم هنا وجهين :

أحدهما : أنه الكفر خاصة .

والثاني : أنه التعدي من الحق إلى الباطل .

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ اختلفوا في الذي مر على قرية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عزير ، قاله قتادة .

والثاني : أنه إرْمياء، وهو قول وهب .

والثالث : أنه الخَضِر ، وهو قول ابن إسحاق . واختلفوا في القرية على قولين :

أحدهما : هي بيت المقدس لما خرّبه بُخْتنصَّر ، وهذا قول وهب وقتادة . والربيع بن أنس .

والثاني : أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت ، قاله ابن زيد .

﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ في الخاوية قولان :

أحدهما : الخراب ، وهو قول ابن عباس ، والربيع ، والضحاك .

والثاني : الخالية .

وأصل الخواء الخلو ، يقال خوت الدار إذا خلت من أهلها ، والخواء الجوع لخلو البطن من الغذاء و ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ : على أبنيتها ، والعرش : البناء .

﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعمرها بعد خرابها .

والثاني : يعيد أهلها بعد هلاكهم .

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ ﴾ أي مكث .

﴿ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لأن الله تعالى أماته في أول النهار ، وأحياه بعد مائة عام آخر النهار(٣٥٥)، فقال : يوماً ، ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

﴿ قَالَ : بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لم يتغير ، من الماء الآسن وهو غير المتغير ، قال ابن زيد : والفرق بين الآسن والآجن أن الآجن المتغير الذي يمكن شربه والآسن المتغير الذي لا يمكن شربه .

والثاني : معناه لم تأتِ عليه السنون فيصير متغيراً(٣٥٦)، قاله أبو عبيد .

قيل : إن طعامه كان عصيراً وتيناً وعنباً ، فوجد العصير حلواً ، ووجد التين والعنب طرياً جنيًّا.

فإن قيل : فكيف علم أنه مات مائة عام ولم يتغير فيها طعامه ؟ قيل : إنه رجع إلى حاله فعلم ـ بالآثار والأخبار، وأنه شاهد أولاد أولاده شيوخاً، وكان قد خلف آباءهم مُرْداً ـ أنه مات مائة عام.

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أن عزيراً خرج من أهله وخلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة ، فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه فرجع إلى أهله ، وهو ابن خمسين سنة ، وله ولد هو ابن مائة سنة ، فكان ابنه أكبر منه بخمسين سنة ، وهو الذي جعله الله آية للناس .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ قراءتان :

إحداهما : ننشرُها بالراء المهملة ، قرأ بذلك ابن كثير ونافع وأبو عمرو ، ومعناه نحييها . والنشور : الحياة بعد الموت ، مأخوذ من نشر الثوب ، لأن الميت

(٣٥٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله استدل بهذه الآية بعض أئمة الأصول على مشروعية القياس بأنها تضمنت قياس إحياء هذه القرية وأهلها وعمارتها لما فيها من الرزق بعد خرابها على إحياء هذا المارّ وإحياء حماره بعد موتهما بما كان مع المارّ من الرزق أ. هـ (٨/ ٢٠٠ فتح).

(٣٥٦) وهذا التأويل على القراءة الثانية وهي قراءة يعقوب حيث قرأ [لم يتسن] بتشديد النون بلا هاء .

كالمطوي ، لأنه مقبوض عن التصرف بالموت ، فإذا حَيِيَ وانبسط بالتصرف قيل : نُشِرَ وأُنشِر .

والقراءة الثانية : قرأ بها الباقون ننشِزُها بالزاي المعجمة ، يعني نرفع بعضها إلى بعض ، وأصل النشوز الارتفاع ، ومنه النشز اسم للموضع المرتفع من الأرض ، ومنه نشوز المرأة لارتفاعها عن طاعة الزوج .

وقيل إنَّ الله أحيا عينيه وأعاد بصره قبل إحياء جسده ، فكان يرىٰ اجتماع عظامه واكتساءها لحماً ، ورأىٰ كيف أحيا الله حماره وجمع عظامه .

واختلفوا في القائل له : كم لبثت على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ملك .

والثاني : نبي .

والثالث : أنه بعض المؤمنين المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ اختلفوا لِمَ سأله عن ذلك ؟ على قولين :

أحدهما : أنه رأى جيفة تمزقها السباع فقال ذلك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والضحاك .

والثاني : لمنازعة النمرود له في الإحياء ، قاله ابن إسحاق . ولأي الأمرين كان ، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد علم الاستدلال .

ولذلك قال الله تعالى له : ﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ؟ قَالَ : بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني ليزداد يقيناً إلى يقينه ، هكذا قال الحسن ، وقتادة ، وسعيد ابن جبير ، والربيع ، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك ، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز على نبي .

والثاني : أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتي ، واتخذتني خليلاً كما وعدتني ، وهذا قول ابن السائب .

والثالث : أنه لم يرد رؤية القلب ، وإنما أراد رؤية العين ، قاله الأخفش .

ونفر بعض من قال بغوامض المعاني من هذا الالتزام وقال : إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب بالإيمان ، وهذا التأويل فاسد بما يعقبه من البيان(٣٥٧) .

وليست الألف في قوله : ﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ﴾ ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب كقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندىٰ العالمين بطون راح

﴿ قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : هن : الديك ، والطاووس ، والغراب ، والحمام ، قاله مجاهد .

والثاني : أربعة من الشقانين(*)، قاله ابن عباس .

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ قرأت الجماعة بضم الصاد ، وقرأ حمزة وحده بكسرها ، واختلف في الضم والكسر على قولين :

أحدهما : أن معناه متفق ولفظهما مختلف ، فعلىٰ هذا في تأويل ذلك أربعة أقاويل :

أحدها : معناه انْتُفْهُنَّ بريشهن ولحومهن ، قاله مجاهد .

والثاني : قَطِّعْهُن ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن . قال الضحاك : هي بالنبطية صرتا ، وهي التشقق .

(٣٥٧) يا ليت أبا الحسن رحمه الله تعقب على قول هذا البعض عند قوله : « فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر » كما تعقب على قولهم هنا وقد أحسن حيث حكم عليه بالفساد .

(*) هكذا بالأصل ولعله الشقاريق جمع شقراق وهو طائر أعظم من الحمام .

والثالث : اضْمُمْهُن إليك ، قاله عطاء ، وابن زيد .

والرابع : أَمِلْهُن إليك ، والصور : الميل ، ومنه قول الشاعر في وصف إبل :

تظَلُّ مُعقّلات السوق خرساً تصور أنوفها ريح الجنـوب

والقول الثاني : أن معنى الضم والكسر مختلف ، وفي اختلافهما قولان :

أحدهما : قاله أبو عبيدة أن معناه بالضم : اجْمَعْهن ، وبالكسر : قَطِّعْهُنّ .

والثاني : قاله الكسائي ومعناه بالضم أَمِلْهُنّ ، وبالكسر : أقْبِلْ بهن .

﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها كانت أربعة جبال ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : أنها كانت سبعة ، قاله ابن جريج ، والسدي .

والثالث : كل جبل ، قاله مجاهد .

والـرابع : أنـه أراد جهات الـدنيا الأربـع ، وهي المشرق والمغـرب والشمال والجنوب ، فمثّلها بالجبال ، قاله ابن بحر .

واختلفوا هل قطّع إبراهيم الطير أعضاء صرن به أمواتاً ، أم لا ؟ على قولين :

أحدهما : أنه قطّعَهُن أعضاء صرن به أمواتـاً ، ثم دعاهن فعـدْن أحياء ليـرىٰ كيف يحيي الله الموتىٰ كما سأل ربه ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : أنه فرّقَهُن أحياء ، ثم دعاهن فأجبنـه وعدن إليـه ، يستدل بعـودهن إليه بالدعاء ، على عَوْد الأموات بدعاء الله أحيـاءً ، ولا يصح من إبـراهيم أن يدعـو أمواتاً له ، قاله ابن بحر .

والجزء من كل شيء هو بعضه سواءً كان منقسماً على صحة أو غيـر منقسم ، والسهم هو المنقسم عليه جميعه على صحة .

فـإنْ قيل : فكيف أجيب إبـراهيم إلى آيات الآخـرة دون مـوسىٰ في قـولـه : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[الأعراف: ١٤٣] فعنه جوابان:

أحدهما : أن ما سأله موسىٰ لا يصـح مع بقـاء التكليف ، وما سـأله إبـراهيم خاص يصح .

والثاني : أن الأحوال تختلف ، فيكون الأصلح في بعض الأوقات الإجابة ، وفي بعض وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن .

قال ابن عباس : أمر الله إبراهيم بهذا قبل أن يولد له ، وقبل أن يُنَزَّلَ عليه الصُّحُف .

وحُكِيَ : أن إبراهيم ذبح الأربعة من الطير ، ودق أجسامهن في الهاون لا روحهن(*)،وجعل المختلط من لحومهن عشرة أجزاء على عشرة جبال ، ثم جعل مناقيرها بين أصابعه ، ثم دعاهن فأتين سعياً ، تطاير اللحم إلى اللحم ، والجلد إلى الجلد ، والريش إلى الريش ، فذهب بعض من يتفقه من المفسرين إلى من وصّىٰ بجزء من ماله لرجل أنها وصية بالعُشْر ، لأن إبراهيم وضع أجزاء الطير على عشرة جبال .

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني في الجهاد ، قاله ابن زيد .

والثاني : في أبواب البر كلها .

﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ ضرب الله ذلك مثلاً في أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف ، وفي مضاعفة ذلك في غير ذلك من الطاعات قولان :

أحدهما : أن الحسنة في غير ذلك بعشرة أمثالها ، قاله ابن زيد .

والثاني : يجوز مضاعفتها بسبعمائة ضعف ، قاله الضحاك .

﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء .

والثاني : يضاعف الزيادة على ذلك لمن يشاء .

(*) هكذا بالأصل .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : واسع لا يَضِيق عن الزيادة ، عليم بمن يستحقها ، قاله ابن زيد .

والثاني : واسع الرحمة لا يَضِيق عن المضاعفة ، عليم بما كان من النفقة .

ويحتمل تأويلاً ثالثاً : واسع القدرة ، عليم بالمصلحة .

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) ﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾ المَنّ في ذلك أن يقول : أحسنت إليك ونعّشتك ، والأذىٰ أن يقول : أنت أبداً فقير ، ومن أبلاني بك ، مما يؤذي قلب المُعْطَى .

﴿ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني ما استحقوه فيما وعدهم به على نفقتهم .

﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا خوف عليهم في فوات الأجر .

والثاني : لا خوف عليهم من أهوال الآخرة .

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يحزنون على ما أنفقوه .

والثاني : لا يحزنون على ما خلفوه . وقيل إن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه فيما أنفقه على جيش العسرة في غزاة تبوك .

قوله تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ يعني قولاً حسناً بدلاً من المن والأذى ويحتمل وجهين :

أحدهما : أن يدني إن أعطى .

والثاني : يدعو إن منع .

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ فيها أربعة تأويلات :

أحدها : يعني العفو عن أذى السائل .

والثاني : يعني بالمغفرة السلامة من المعصية .

والثالث : أنه ترك الصدقة والمنع منها ، قاله ابن بحر .

والرابع : هو يستر عليه فقره ولا يفضحه به .

﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً ﴾ يحتمل الأذى هنا وجهين :

أحدهما : أنه المنّ .

والثاني : أنه التعيير بالفقر .

ويحتمل قوله : ﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذىً ﴾ وجهين :

أحدهما : خير منها على العطاء .

والثاني : خير منها عند الله .

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « المَنّانُ بِمَا يُعْطِي لاَ يُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيهِ وَلاَ يُزَكِّيهِ وَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ »(٣٥٨) .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِين ءَامَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ يريد إبطال الفضل دون الثواب .

ويحتمل وجهاً ثانياً : إبطال موقعها في نفس المُعْطَىٰ

﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الأُخِرِ﴾ القاصد بنفقته

(٣٥٨) رواه مسلم (رقم ١٠٦ في الإيمان) وأحمد (٥/١٥٨) وأبو داود (٤٠٧٨ ، ٤٠٨٨) والترمذي (١٢١١) (٧/٢٤٥) وابن ماجه (٢٢٠٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٢٤٨) لعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان .

تنبيه : ـ لا يصح تصدير الحديث بصيغة التحديث المشعرة بضعف الحديث فإن الحديث صحيح كما رأيت هذا وقد تكرر هذا الصنيع من أبي الحسن رحمه الله فتنبه .

الرياء غير مُثابٍ ، لأنه لم يقصد وجه الله ، فيستحق ثوابه ، وخالف صاحب المَنِّ والأذىٰ القاصِدَ وجه الله المستحق ثوابه ، وإن كرر عطاءه وأبطل فضله .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ الصفوان : جمع صفوانة ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه الحجر الأملس سُمِّيَ بذلك لصفائه .

والثاني : أنه أَلْيَنُ مِنَ الحجارة ، حكاه أبان بن تغلب .

﴿ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ وهو المطر العظيم القَطْرِ ، العظيم(*) الوَقْع .

﴿ فَتَرَكَهُ صَلْداً ﴾ الصلد من الحجارة ما صَلُبَ ، ومن الأرض مَا لَمْ ينبت ، تشبيهاً بالحجر الذي لا ينبت .

﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ يعني مما أنفقوا ، فعبَّر عن النفقة بالكسب ، لأنهم قصدوا بها الكسب ، فضرب هذا مثلاً للمُرائي في إبطال ثوابه ، ولصاحب المَنِّ والأَذىٰ في إبطال فضله .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في نُصرة أهل دينه من المجاهدين.

والثاني : في معونة أهل طاعته من المسلمين .

﴿ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : تثبيتاً من أنفسهم بقوة اليقين ، والنصرة في الدين ، وهو معنىٰ قول الشعبي ، وابن زيد ، والسدي .

(*) وفي نسخة : الشديد الوقع .

والثاني : يتثبتون أين يضعون صدقاتهم ، قاله الحسن ، ومجاهد .
والثالث : يعني احتساباً لأنفسهم عند الله ، قاله ابن عباس ، وقتادة .
والرابع : توطيناً لأنفسهم على الثبوت على طاعة الله ، قاله بعض المتكلمين .

﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ في الربوة قولان :
أحدهما : هي الموضع المرتفع من الأرض ، وقيل المُسْتَوِي في ارتفاعه .
والثاني : كل ما ارتفع عن مسيل الماء ، قاله اليزيدي .

﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ في الوابل وجهان :
أحدهما : المطر الشديد .
والثاني : الكثير ، قال عدي بن زيد :

قليل لها مني وإن سخطت بأن أقول سقيت سقيت الوابل الغدقا

﴿ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ وإنما خص الربوة لأن نبتها أحسن ، وريعها أكثر ، قال الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معيشة خضراء جاد عليها مسبل هطل[٣٥٩]

والأُكُل ، بالضم : الطعام لأن من شأنه أن يؤكل . ومعنىٰ ضعفين : مثلين ، لأن ضعف الشيء مثله زائداً عليه ، وضعفاه : مثلاه زائداً عليه ، وقيل ضعف الشيء مثلاه ، والأول قول الجمهور .

﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ الطل : الندىٰ ، وهو دون المطر ، والعرب تقول : الطل أحد المطرين ، وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً ، وفيه ـ وإن قل ـ تماسكٌ ونَفْعٌ ، فأراد بهذا ضرب المثل أن كثير البِر مثل زرع المطر كثير النفع ، وقليل البِر مثل زرع الطل قليل النفع ، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل كثيره ، كما لا تدع زرع الطل إذا لم تقدر على زرع المطر .

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

(٣٥٩) ديوانه (٤٣) والشطر الأول فيه :
ما روضة من رياض الحزن مُعشِبةٌ . . . . وكذا هو في الطبري (٥/ ٥٣٥) .

ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ وهي البستان .

﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ لأنه من أنفس ما يكون فيها .

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ لأن أنفسها ما كان ماؤها جارياً .

﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ ﴾ لأن الكِبَر قد يُنسِي من سعىٰ الشباب في كسبه ، فكان أضعف أملاً وأعظم حسرة .

﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ لأنه على الضعفاء أَحَنّ ، وإشفاقه عليهم أكثر .

﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ وفي الإعصار قولان :

أحدهما : أنه السَّمُوم الذي يقتل ، حكاه السدي .

والثاني : الإعصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود تسميها العامة الزوبعة ، قال الشاعر :

. . . . إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

وإنما قيل لها إعصار لأنها تَلْتَفُّ كالتفاف الثوب المعصور .

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الأيَاتِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يوضح لكم الدلائل .

والثاني : يضرب لكم الأمثال .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتفَكَّرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : تعتبرون ، لأن المفكر معتبر .

والثاني : تهتدون ، لأن الهداية التَّفَكُّر .

واختلفوا في هذا المثل الذي ضربه الله في الحسرة لسلب النعمة ، من المقصود به ؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل للمرائي في النفقة ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها ، قاله السدي .

والثاني : هو مثل للمفرِّط في طاعة الله لملاذّ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمىٰ ، قاله مجاهد .

والثالث : هو مثل للذي يختم عمله بفساد ، وهو قول ابن عباس .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني به الذهب والفضة ، وهو قول عليّ عليه السلام .

والثاني : يعني التجارة ، قاله مجاهد .

والثالث : الحلال .

والرابع : الجيد .

﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ من الزرع والثمار .

وفي الكسب وجهان محتملان :

أحدهما : ما حدث من المال المستفاد .

والثاني : ما استقر عليه المِلك من قديم وحادث .

واختلفوا في هذه النفقة على قولين :

أحدهما : هي الزكاة المفروضة قاله عبيدة السلماني .

والثاني : هي في التطوع ، قاله بعض المتكلمين .

﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ التيمم : التعمد ، قال الخليل : تقول أَمَمْتُه إذا قصدت أَمَامَه ، ويَمَّمْتُه إذا تعمدته من أي جهة كان ، وقال غيره : هما سواء ، والخبيث : الرديء من كل شيء ، وفيه هنا قولان :

أحدهما : أنهم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة ، فنزلت هذه الآية ، وهو قول عليٍّ ، والبراء بن عازب.

والثاني : أن الخبيث هو الحرام ، قاله ابن زيد .

﴿ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : إلا أن تتساهلوا ، وهو قول البراء بن عازب .

والثاني : إلا أن تحطوا في الثمن ، قاله ابن عباس .

والثالث : إلا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة قاله الزجاج .

والرابع: إلا أن ترخصوا لأنفسكم فيه ، قاله السدي ، وقال الطِّرِمّاح :

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ ـم رجال يرضون بالإغماض(٣٦٠)

قوله عز وجل : ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ وهو ما خوّف من الفقر إن أنفق أو تصدق .

﴿ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بالشح .

والثاني : بالمعاصي .

﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما(*): .... لكم .

والثاني : عفواً لكم .

﴿ وَفَضْلًا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : سعة الرزق .

---

(٣٦٠) ديوانه (٨٦).

(*) بياض في الأصل يحتمل لفظة واحدة .

والثاني : مضاعفة العذاب .

﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ رُوِيَ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ لِلشَّيطَانِ لَمَّةً مِن ابنِ آدم ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ وَلْيَحْمِدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ »(٣٦١) . ثم تلا هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ في الحكمة سبعة تأويلات :

أحدها : الفقه في القرآن ، قاله ابن عباس .

والثاني : العلم بالدين ، قاله ابن زيد .

والثالث : النبوّة .

والرابع : الخشية ، قاله الربيع .

والخامس : الإصابة ، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد .

والسادس : الكتابة(*) ، قاله مجاهد .

---

(٣٦١) رواه الترمذي (٤/٧٧ ـ ٧٨) وابن حبان في صحيحه (٢/١٧١) وابن جرير (٥/٥٧١) والنسائي في التفسير في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧/١٣٩) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١/٣٢١).

كلهم من حديث أبي الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن ابن مسعود مرفوعاً وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب. وفي نسخة قال : حسن صحيح غريب وهو من حديث أبي الأحوص لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص ورمز له صاحب الجامع الصغير بالصحة (٢/٤٩٩) فيض القدير .

وضَعَّفَ الحديثَ الألبانيُّ بعطاء بن السائب لأنه كان قد اختلط، في المشكاة (١/٢٨) والجامع الصغير (٢/٢٨٥) وقول الترمذي السابق إعلال منه للحديثِ المرفوعِ لأن الحديث قد ورد موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه رواه الطبري بأسانيدَ صحيحة برقم (٦١٧٢ ، ٦١٧٣ ، ٦١٧٤ ، ٦١٧٥ ، ٦١٧٦) وكذا أشار الحافظ ابن كثير إلى إعلال المرفوع بما ورد عن ابن مسعود موقوفاً من طريق عطاء بن السائب كما عند الطبري وابن مردويه ونقله ابن كثير (١/٣٢١).

وأيّما كان فإن هذا الحديث مما لا يدخله الرأي ولا يعلم بالاجتهاد .

وسبيل معرفة مثل هذا الوحي فهذا الحديث من المرفوع حكماً الموقوف لفظاً، اللمة هي الهمة، والخطرة تقع في القلب أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه فما كان من خطرات القلب فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان.

انظر النهاية لابن الأثير (٤/٧٢)

(*) وفي نسخة: الفهم بدل الكتابة ومنسوباً إلى إبراهيم النخعي .

والسابع : العقل ، قاله زيد بن أسلم .

ويحتمل ثامناً : أن تكون الحكمة هنا صلاح الدين وإصلاح الدنيا .

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ يعني أنه ليس في إبدائها كراهية .

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يعود إلى صدقة التطوع ، يكون إخفاؤها أفضل ، لأنه من الرياء أبعد ، فأما الزكاة فإبداؤها أفضل ، لأنه من التهمة أبعد ، وهو قول ابن عباس ، وسفيان .

والثاني : أن إخفاء الصدقتين فرضاً ونفلاً أفضل ، قاله يزيد بن أبي حبيب(*) ، والحسن ، وقتادة .

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن (مِنْ) زائدة تقديرها : ويكفر عنكم سيئاتكم .

والثاني : أنها ليست زائدة وإنما دخلت للتبعيض ، لأنه إنما يكفر بالطاعة من غير التوبة الصغائر ، وفي تكفيرها وجهان :

أحدهما : يسترها عليهم .

والثاني : يغفرها لهم .

۞ ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟

(*) وفي نسخه : يزيد بن أبي زيد .

مِن خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قيل هم فقراء المهاجرين ، وفي أحصروا أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم منعوا أنفسهم من التصرف للمعاش خوف العدو من الكفار ، قاله قتادة ، وابن زيد .

والثاني : منعهم الكفار بالخوف منهم ، قاله السدي .

والثالث : منعهم الفقر من الجهاد .

والرابع : منعهم التشاغل بالجهاد عن طلب المعاش .

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تصرفاً ، قاله ابن زيد .

والثاني : يعني تجارة ، قاله قتادة ، والسدي .

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ يعني من قلة خبرته بهم ، ومن التعفف : يعني من التقنع والعفة والقناعة .

﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ السمة : العلامة ، وفي المراد بِهَا هُنَا قولان :

أحدهما : الخشوع ، قاله مجاهد .

والثاني : الفقر ، قاله السدي .

﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يسأل وله كفاية .

والثاني : أنه الاشتمال بالمسألة ، ومنه اشتق اسم اللحاف . فإن قيل : فهل كانوا يسألون غير إلحاف ؟ قيل : لا ؛ لأنهم كانوا أغنياء من التعفف ، وإنما تقدير الكلام لا يسألون فيكون سؤالهم إلحافاً .

قال ابن عباس في أهل الصُفَّة من المهاجرين : لم يكن لهم بالمدينة منازل ولا عشائر وكانوا نحو أربعمائة .

قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ اختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في عليٍّ كرم الله وجهه ، كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على أهل الصفّة ، أنفق في سواد الليل درهماً ، وفي وضح النهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانية درهماً ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله لأنهم ينفقون بالليّل والنهار سِرًّا وعلانية ، قاله أبو ذر ، والأوزاعي .

والثالث : أنها نزلت في كل مَنْ أنفق ماله في طاعة الله .

ويحتمل رابعاً : أنها خاصة في إباحة الارتفاق بالزروع والثمار ، لأنه يرتفق بها كل مار في ليل أو نهار ، في سر وعلانية ، فكانت أعم لأنها تؤخذ عن الإرادة وتوافق قدر الحاجة .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَا ﴾ يعني يأخذون الربا فعبر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ إنما يراد للأكل ، والربا : هو الزيادة من قولهم : ربا السويق يربو إذا زاد ، وهو الزيادة على مقدار الدَّيْنِ لمكان الأجل .

﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ يعني من قبورهم يوم القيامة ، وفيه قولان :

أحدهما : كالسكران من الخمر يقطع(*) ظهراً لبطن ، ونسب إلى الشيطان لأنه مطيع له في سكره .

والثاني : قاله ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ، والحسن : لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ، يعني الذي يخنقه الشيطان في الدنيا من المس ، يعني الجنون ، فيكون ذلك في القيامة علامة لأكل الربا في الدنيا .

واختلفوا في مس الجنون ، هل هو بفعل الشيطان ؟

فقال بعضهم : هذا من فعل الله بما يحدثه من غلبة السوداء فيصرعه ، ينسب إلى الشيطان مجازاً تشبيهاً بما يفعله من إغوائه الذي يصرعه .

وقال آخرون : بل هو من فعل الشيطان بتمكين الله له من ذلك في بعض الناس دون بعض ، لأنه ظاهر القرآن وليس في العقل ما يمنعه .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَا ﴾ قيل إنه يعني ثقيفاً لأنهم كانوا أكثر العرب رباً ، فلمّا نهوا عنه قالوا : كيف ننهىٰ عن الربا وهو مثل البيع فحكىٰ الله تعالى ذلك عنهم ، ثم أبطل ما ذكروه من التشبيه بالبيع فقال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا ﴾ وللشافعي في قوله : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من العامِّ الذي يجري على عمومه في إباحة كل بيع وتحريم كل ربا إلا ما خصهما دليل من تحريم بعض البيع وإحلال بعض الربا ، فعلى هذا اختلف في قوله ، هل هو من العموم الذي أريد به العموم ، أو من العموم الذي أريد به الخصوص على قولين :

أحدهما : أنه عموم أريد به العموم وإن دخله دليل التخصيص .

والثاني : أنه عموم أريد به الخصوص .

(*) كذا في الأصل ولعله يقع .

وفي الفرق بينهما وجهان :

أحدهما : أن العموم الذي أريد به العموم : أن يكون الباقي من العموم من بعد التخصيص أكثر من المخصوص ، والعموم الذي أريد به الخصوص أن يكون الباقي منه بعد التخصيص أقل من المخصوص .

والفرق الثاني : أن البيان فيما أريد به الخصوص متقدِّم على اللفظ ، وأن ما أريد به العموم متأخِر عن اللفظ ومقترن به ، [هذا] أحد أقاويله :

والقول الثاني : أنه المجمل الذي لا يمكن [أن] يستعمل في إحلال بيع أو تحريمه إلا أن يقترن به بيان من سنّة الرسول ، وإن دل على إباحة البيوع في الجملة دون التفصيل .

وهذا فرق ما بين العموم والمجمل ، أن العموم يدل على إباحة البيوع في الجملة ولا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقترن به بيان .

فعلى هذا القول أنها مجملة اختلف في إجمالها ، هل هو لتعارض فيها أو لمعارضة غيرها لها على وجهين :

أحدهما : أنه لمَّا تعارض ما في الآية من إحلال البيع وتحريم الربا وهو بيع صارت بهذا التعارض مجملة وكان إجمالها منها .

والثاني : أن إجمالها بغيرها لأن السنّة منعت من بيوع وأجازت بيوعاً فصارت بالسنة مجملة .

وإذا صح إجمالها فقد اختلف فيه : ـ

هل هو إجمال في المعنىٰ دون اللفظ ، لأن لفظ البيع معلوم في اللغة وإنما الشرع أجمل المعنىٰ والحكم حين أحل بيعاً وحرّم بيعاً .

والوجه الثاني : أن الإجمال في لفظها ومعناها ، لأنه لما عدل بالبيع عن إطلاقه على ما استقر عليه في الشرع فاللفظ والمعنى محتملان معاً ، فهذا شرح القول الثاني .

والقول الثالث : أنها داخلة في العموم والمجمل ، فيكون عموماً دخله التخصيص ، ومجملاً لحقه التفسير ، لاحتمال عمومها في اللفظ وإجمالها في

المعنى ، فيكون اللفظ عموماً دخله التخصيص ، والمعنى مجملاً لحقه التفسير .

والوجه الثاني : أن عمومها في أول الآية من قوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، وإجمالها في آخرها من قوله : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، فيكون أولها عاماً دخله التخصيص ، وآخرها مجملاً لحقه التفسير .

والوجه الثالث : أن اللفظ كان مجملاً ، فلما بَيَّنَهُ الرسول صار عاماً ، فيكون داخلاً في المجمل قبل البيان ، في العموم بعد البيان .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ ﴾ في الموعظة وجهان :

أحدهما : التحرِيم .

والثاني : الوعيد .

﴿ فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ قاله السدي : يعني ما أكل من الربا لا يلزمه رَدُّه .

﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في المحاسبة والجزاء .

والثاني : في العفو والعقوبة .

وقيل فيه وجه ثالث : في العصمة والتوفيق .

وقيل فيه وجه رابع : فأمره إلى الله والمستقل في تثبيته على التحريم أو انتقاله إلى الاستباحة .

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ أي ينقصه شيئاً بعد شيء ، مأخوذ من محاق الشهر لنقصان الهلال فيه ، وفيه وجهان :

أحدهما : يبطله يوم القيامة إذا تصدق به في الدنيا .

والثاني : يرفع البركة منه في الدنيا مع تعذيبه عليه في الآخرة .

﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يثمر المال الذي خرجت منه الصدقة .

والثاني : يضاعف أجر الصدقة ويزيدها ، وتكون هذه الزيادة واجبة بالوعد لا بالعمل .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ في الكَفَّار وجهان :

أحدهما : الذي يستر نعم الله ويجحدها .

والثاني : هو الذي يكثر فعل ما يكفر به .

وفي الأثيم وجهان :

أحدهما : أنه من بيَّت الإثم .

والثاني : الذي يكثر فعل ما يأثم به .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ
إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يأيها الذين أمنوا بألسنتهم اتقوا الله بقلوبكم .

والثاني : يأيها الذين أمنوا بقلوبهم اتقوا الله في أفعالكم .

﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا ﴾ فيمن نزلت هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في ثقيف وكان بينهم وبين عامر وبني مخزوم ، فتحاكموا فيه إلى عتاب بن أسيد بمكة وكان قاضياً عليها من قِبَل رسول الله ﷺ فقالوا : دخلنا في الإسلام على أن ما كان لنا من الربا فهو باق ، وما كان علينا فهو موضوع ، فنزل ذلك فيهم وكتب به رسول الله ﷺ إليهم .

والثاني أنها نزلت في بقية من الربا كانت للعباس ومسعود وعبد ياليل وحبيب ابن ربيعة عند بني المغيرة.

قوله عز وجل : ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا ﴾ محمول على أن مَنْ أربىٰ قبل إسلامه ، وقبض بعضه في كُفْرِه وأسلم وقد بقي بعضه ، فما قبضه قبل إسلامه معفو عنه لا يجب عليه رد ، وما بقي منه بعد إسلامه ، حرام عليه لا يجوز له أخذه ، فأما المراباة بعد الإسلام فيجب رَدُّه فيما قبض وبقي ، فيرد ما قبض ويسقط ما بقي ، بخلاف المقبوض في الكفر ، لأن الإسلام يجبُّ ما قبله .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني أن من كان مؤمناً فهذا حكمه .

والثاني : معناه إذا كنتم مؤمنين .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ يعني ترك ما بقي من الربا .

﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر فآذنوا بالمد ، بمعنى : فأعلِموا غيركم ، وقرأ الباقون بالقَصْر بمعنى فاعلموا أنتم ، وفيه وجهان :

أحدهما : إن لم تنتهوا عن الربا أمرت النبي بحربكم .

والثاني : إن لم تنتهوا عنه فأنتم حرب الله ورسوله ، يعني أعداءه .

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ يعني التي دفعتم ﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بأن تأخذوا الزيادة على رؤوس أموالكم ، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ بأن تُمْنَعُوا رؤوس أموالكم .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قيل إن في قراءة أُبَيٍّ ﴿ ذَا عُسْرَةٍ ﴾ وهو جائز في العربية .

وفيه قولان:

أحدهما : أن الإنظار بالعسرة واجب في دَيْن الربا خاصّة ، قاله ابن عباس ، وشريح .

والثاني : أنه عام يجب إنظاره بالعسرة في كل دَيْن ، لظاهر الآية ، وهو قول

عطاء ، والضحاك ، وقيل إن الإنظار بـالعسرة في دَيْن الـربا بـالنص ، وفي غيره من الديون بالقياس .

وفي قوله : ﴿ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ قولان :

أحدهما : مفعلة من اليسر ، وهو أن يوسر ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : إلى الموت ، قاله إبراهيم النخعي .

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعني وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدَّيْن خير لكم من أن تُنظروه ، روىٰ سعيد بن المسيب عن عمر بن الخـطاب قال : كـان آخر ما نزل من القرآن آية الربا[٣٦٢]، فدعـوا الربـا والرِّيبـة ، وإن نبي الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها .

قوله عز وجل : ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي اتقوا بالـطاعة فيمـا أمرتم به من ترك الربا وما بقي منه .

و ﴿ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني إلى جزاء الله .

والثاني : إلى ملك الله .

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : جزاء ما كسبت من الأعمال .

والثاني : ما كسبت من الثواب والعقاب .

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ يعني بنقصـان ما يستحقـونه من الثـواب ، ولا بالـزيادة على ما يستحقونه من العقاب .

(٣٦٢) رواه الطبري عن الشعبي عن عمر (٣٨/٦) وسنده منقطع بين الشعبي وعمر فإن الشعبي لم يلق عمر وقد رواه البخاري (٢٠٥/٨) فتح عن الشعبي عن ابن عباس بلفظ: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا» قال الحافظ رحمه الله المراد بالآخرية في الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران في أثناء قصة أحد: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ﴾. . . الآية أ. هـ. (٢٠٥/٨) فتح قلت: والرواية التي ذكرها المؤلف هنا رواها الطبري (٣٧/٦) وسندها منقطع لأن سعيداً بن المسيب لم يلق عمر كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ٢٦ ـ ٢٧ وقد روى الحديث غير الطبري كَثِيرٌ فانظره في الدر (١ : ٣٦٥).

روى ابن عباس أن آخر آية نزلت على النبي ﷺ(٣٦٣) هذه الآية . قال ابن عباس : مكث بعدها سبع ليال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ ﴾ إلى آخر الآية . في ﴿ تداينتم ﴾ تأويلان :

أحدهما : تجازيتم .

والثاني : تعاملتم .

وفي ﴿ فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه ندب ، وهو قول أبي سعيد الخدري ، والحسن ، والشعبي .

(٣٦٣) تقدم تخريجه في الأثر الذي قبله .

والثاني : أنه فرض ، قاله الربيع ، وكعب .

﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُ بِالْعَدْلِ ﴾ وعَدْل الكاتب ألاّ يزيد [فيه] إضراراً بمن هو عليه ، ولا ينقص منه ، إضراراً بمن هو له.

﴿ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ ﴾ وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه فرض على الكفاية كالجهاد ، قاله عامر .

والثاني : أنه واجب عليه في حال فراغه ، قاله الشعبي أيضاً .

والثالث : أنه ندب ، قاله مجاهد .

والرابع : أن ذلك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ﴾ ، قاله الضحاك .

﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيهِ ٱلْحَقُّ ﴾ يعني على الكاتب ، ويقرُّ به عند الشاهد .

﴿ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾ أي لا ينقص منه شيئاً .

﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الجاهل بالصواب فيما عليه أن يملّه على الكاتب ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه الصبي والمرأة ، قاله الحسن :

والثالث : أنه المبذر لماله ، المُفْسِد في دينه ، وهو معنى قول الشافعي .

والرابع : الذي يجهل قدر المال ، ولا يمتنع من تبذيره ولا يرغب في تثميره .

﴿ أَوْ ضَعِيفاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الأحمق ، قاله مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنه العاجز عن الإملاء إما بعِيٍّ أو خُرْسٍ ، قاله الطبري .

﴿ أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه العييّ الأخرس ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الممنوع عن الإملاء إما بحبس أو غيبة .

والثالث : أنه المجنون .

﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : وليّ مَنْ عليه الحق ، وهو قول الضحاك ، وابن زيد .

والثاني : وليّ الحق ، وهو صاحبه ، قاله ابن عباس ، والربيع .

﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : من أهل دينكم .

والثاني : من أحراركم ، قاله مجاهد .

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَـانِ ﴾ يعني فإن لم تكن البينـة برجلين ، فبرجل وامرأتين ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم الأحرار المسلمون العدول ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنهم عدول المسلمين وإن كانوا عبيداً ، وهو قول شريـح ، وعثمان البتّي ، وأبي ثور .

﴿ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لئلا تضل ، قاله أهل الكوفة .

والثاني : كراهة أن تضل ، قاله أهل البصرة .

وفي المراد به وجهان :

أحدهما : أن تخطىء .

والثاني : أن تَنْسَىٰ ، قاله سيبـويه.

﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنها تجعلها كَذَكَرٍ(*) من الرجال ، قاله سفيان بن عيينة .

والثاني : أنها تذكرهـا إن نسيت ، قالـه قتادة ، والسـدي ، والضحاك ، وابن زيد .

﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

(*) وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو زاد المسير (   ) الحجة في القراءات (   )

أحدها : لتحمُّلها وإثباتها في الكتاب ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : لإقامتها وأدائها عند الحاكم ، قاله مجاهد ، والشعبي ، وعطاء .

والثالث : أنها للتحمل والأداء جميعاً ، قاله الحسن .

واختلفوا فيه على ثلاثة أقاويل :
أحدها : أنه ندب وليس بفرض ، قاله عطاء ، وعطية العوفي .

والثاني : أنه فرض على الكفاية ، قاله الشعبي .

والثالث : أنه فرض على الأعيان ، قاله قتادة ، والربيع .

﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ وليس يريد بالصغير ما كان تافهاً حقيراً كالقيراط والدانق لخروج ذلك عن العرف المعهود .

﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي أعدل ، يقال : أَقْسَطَ إذا عَدَلَ فهو مُقْسِط ، قال تعالى : ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : ٩] وقَسَطَ إذا جار، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجن : ١٤].

﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أصحُّ لها ، مأخوذ من الاستقامة .

والثاني : أحفظ لها ، مأخوذ من القيام ، بمعنى الحفظ .

﴿ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ يحتمل وجهين(*) :

أحدهما : ألا ترتابوا بِمَنْ عليه حق أن ينكره .

والثاني : ألّا ترتابوا بالشاهد أن يضل .

﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الحاضرة ما تعجّل ولم يداخله أجل في مبيع ولا ثمن .

والثاني : أنها ما يحوزه المشتري من العروض المنقولة.

﴿ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : تتناقلونها من يد إلى يد .

(*) وفي نسخة أمرين.

والثاني : تكثرون تبايعها في كل وقت .

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ يعني أنه غير مأمور بكتْبِه وإن كان مباحاً .

﴿ وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه فرض ، وهو قول الضحاك ، وداود بن علي .

والثاني : أنه ندب ، وهو قول الحسن ، والشعبي ، ومالك ، والشافعي .

﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن المضارة هو أن يكتب الكاتب ما لم يُمْل عليه ، ويشهد الشاهد بما لم يُستشهد ، قاله طاووس، والحسن، وقتادة.

والثاني : أن المضارّة أن يمنع الكاتب أن يكتب ، ويمنع الشاهد أن يشهد ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء .

والثالث : أن المضارّة أن يدعىٰ الكاتب والشاهد وهما مشغولان معذوران ، قاله عكرمة ، والضحاك ، والسدي ، والربيع .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أن تكون المضارّة في الكتابة والشهادة .

﴿ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن الفسوق المعصية ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : أنه الكذب ، قاله ابن زيد .

ويحتمل ثالثاً : أن الفسوق المأثم.

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : فرُهُن ، وقرأ الباقون فرِهَانٌ ,

وفيها قولان :

أحدهما : أن الرُّهن في الأموال ، والرِّهَان في الخيل .

والثاني : أن الرِّهَان جمع ، والرُهُن جمع الجمع مثل ثمار وثمر ، قاله الكسائي ، والفراء .

وفي قوله : ﴿ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وجهان :

أحدهما : أن القبض من تمام الرهن ، وهو قبل القبض غير تام ، قاله الشافعي ، وأبو حنيفة .

والثاني : لأنه من لوازم الرهن ، وهو قبل القبض تام ، قاله مالك .

وليس السفر شرطاً في جواز الرهن ، لأن النبي ﷺ رَهَنَ دِرْعَه عند أبي الشحم اليهودي(٣٦٤) بالمدينة وهي حَضَرٌ ، ولا عَدَمُ الكاتب والشاهد شرطاً فيه لأنه زيادة وثيقة .

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً ﴾ يعني بغير كاتب ولا شاهد ولا رهن .

﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ يعني في أداء الحق وترك المُطْل به .

﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ في ألا يكتم من الحق شيئاً .

﴿ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه فاجر قلبه ، قاله السدي .

والثاني : مكتسب لإثم الشهادة .

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(٣٦٤) رواه البخاري (٥/١٠٠) ومسلم (رقم ١٦٠٣) والنسائي (٧/٢٨٨) كلهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . ولفظه .

« اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ، ورهنه درعاً له من حديد ». وللحديث روايات أخرى وألفاظ أخرى وقد عقد العلامة ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث بحثاً حول هذا الحديث فانظره عنه .

قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ في إضافة ذلك إلى الله تعالى قولان :

أحدهما : أنه إضافة تمليك تقديره : الله يملك ما في السموات وما في الأرض .

والثاني : معناه تدبير ما في السموات وما في الأرض .

﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ إبداءُ ما في النفس هو العمل بما أضمروه ، وهو مُؤَاخَذ به ومُحَاسَب عليه ، وأما إخفاؤه فهو ما أضمره وحدّث به نفسه ولم يعمل به .

وفيما أراد به قولان :

أحدهما : أن المراد به كتمان الشهادة خاصة ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والشعبي .

والثاني : أنه عام في جميع ما حدَّث به نفسه من سوء ، أو أضمر من معصية ، وهو قول الجمهور .

واختلف في هذه الآية ، هل حكمها ثابت في المؤاخذة بما أضمره وحدَّث به نفسه ؟ أو منسوخ ؟ على قولين :

أحدهما : أن حكمها ثابت في المؤاخذة بما أضمره ، واختلف فيه من قال بثبوته على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن حكمها ثابت على العموم فيما أضمره الإنسان فيؤاخِذ به من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، قاله ابن عمر ، والحسن .

والثاني : حكمها ثابت في مؤاخذة الإنسان بما أضمره وإن لم يفعله ، إلا أنَّ الله يغفره للمسلمين ويؤاخذ به الكافرين والمنافقين ، قاله الضحاك ، والربيع ،

ويكون ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ محمولاً على المسلمين ، ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ محمولاً على الكافرين والمنافقين .

والثالث : أنها ثابتة الحكم على العموم في مؤاخذته المسلمين بما حدث لهم في الدنيا من المصائب والأمور التي يحزنون لها ، ومؤاخذة الكافرين والمنافقين بعذاب الآخرة ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها .

والقول الثاني : أن حكم الآية في المؤاخذة بما أضمره الإنسان وحدث به نفسه وإن لم يفعله منسوخ . واختلف من قال بنسخها فيما نسخت به على قولين :

أحدهما : بما رواه العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال : أنزل الله ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ فاشتد ذلك على القوم فقالوا : يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نُحَدِّثُ به أنفسنا ، هلكنا ، فأنزل الله تعالى[٣٦٥] : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وهو أيضاً قول ابن مسعود .

والثاني : أنها نسخت بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال[٣٦٦] : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء ، فقال النبي ﷺ : « قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا » . قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، قال : فأنزل الله : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ الآية . فقرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . فقال تعالى : قد فعلت . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ . قال: قد فعلت ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . قال: قد فعلت . ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ . قال: قد فعلت.

---

(٣٦٥) رواه الطبري (٦/١٠٣) مطولاً عما هنا ومسلم مطولاً أيضاً (١/٤٦ ـ ٤٧) وابن حبان في صحيحه برقم (١٣٩) وأحمد برقم (٩٣٣٣) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/١٢٧) لأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦٦) رواه مسلم (١/٤٧) وأحمد في المسند برقم (٢٠٧٠) والحاكم في المستدرك (٢/٢٨٦) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والترمذي (برقم ٢٩٩٢) والطبري (٦/١٠٥) برقم (٦٤٥٧) وزاد السيوطي في الدر (٢/١٢٧) نسبته للنسائي وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات .

والذي أقوله فيما أضمره وحدّث به نفسه ولم يفعله إنه مُؤَاخَذ بمأثم الاعتقاد دون الفعل، إلا أن يكون كَفُّه عن الفعل ندماً، فالندم توبة تمحص عنه مأثم الاعتقاد .

قوله عز وجل : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ ﴾ أما إيمان الرسول فيكون بأمرين : تَحمُّل الرسالة ، وإبْلَاغ الأمة ، وأما إيمان المؤمنين فيكون بالتصديق والعمل .

﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ .

والإيمان بالله يكون بأمرين : بتوحيده ، وقبول ما أنزل على رسوله .

وفي الإيمان بالملائكة وجهان :

أحدهما : الإيمان بأنهم رسل الله إلى أنبيائه .

والثاني : الإيمان بأن كل نفس منهم رقيب وشهيد .

﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ قراءة الجمهور وقرأ حمزة : ﴿ وَكِتَابِهِ ﴾ فمن قرأ ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ فالمراد به جميع ما أنزل الله منها على أنبيائه . ومن قرأ : ﴿ وَكِتَابِهِ ﴾ ففيه وجهان :

أحدهما : أنه عنى القرآن خاصة .

والثاني : أنه أراد الجنس ، فيكون معناه بمعنى الأول وأنه أراد جميع الكتب والإيمان بها والاعتراف بنزولها من الله على أنبيائه .

وفي لزوم العمل بما فيها ما لم يرد نسخ قولان[٣٦٧] :

ثم فيما تقدم ذكره من إيمان الرسول والمؤمنين ـ وإن خرج مخرج الخبر ـ قولان :

أحدهما : أن المراد به مدحهم بما أخبر من إيمانهم .

والثاني : أن المراد به أنه يقتدي بهم مَنْ سواهم .

ثم قال تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ يعني في أن يؤمن ببعضهم

(٣٦٧) يعني بالقولين أي قول بلزوم العمل بما فيها وقول بعدم اللزوم .

دون بعض ، كما فعل أهل الكتاب ، فيلزم التسوية بينهم في التصديق ، وفي لزوم التسوية في التزام شرائعهم ما قدمناه من القولين ، وجعل هذا حكاية عن قولهم وما تقدمه خبراً عن حالهم ليجمع لهم بين قول وعمل وماض ومستقبل .

﴿ وَقَالُواْ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي سمعنا قوله وأطعنا أمره .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يراد بالسماع القبول ، وبالطاعة العمل .

﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ معناه نسألك غفرانك ، فلذلك جاء به منصوباً .

﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ يعني إلى جزائك .

ويحتمل وجهاً ثانياً : يريد به إلى لقائك لتقدم اللقاء على الجزاء .

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ يعني طاقتها ، وفيه وجهان :

أحدهما : وعدٌ من الله لرسوله وللمؤمنين بالتفضل على عباده ألَّا يكلف نفساً إلا وسعها .

والثاني : أنه إخبار من النبي ﷺ ومن المؤمنين عن الله ، على وجه الثناء عليه ، بأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ثم قال : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ يعني لها ما كسبت من الحسنات ، وعليها ما اكتسبت يعني من المعاصي . وفي كسبت واكتسبت وجهان :

أحدهما : أن لفظهما مختلف ومعناهما واحد .

والثاني : أن كسبت مستعمل في الخير خاصة ، واكتسبت مستعمل في الشر خاصّة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ ﴾ قال الحسن : معناه : قولوا ربنا لا تؤاخذنا .

﴿ إِن نَّسِينَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني إن تناسينا أمرك .

والثاني : تركنا ، والنسيان : بمعنى الترك كقوله تعالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، قاله قطرب.

﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ما تأولوه من المعاصي بالشبهات .

والثاني : ما عمدوه من المعاصي التي هي خطأ تخالف الصواب .

وقد فَرَّقَ أهل اللسان بين « أخطأ » وخطيء ، فقالوا : « أخطأ » يكون على جهة الإثم وغير الإثم ، وخطيء : لا يكون إلا على جهة الإثم ، ومنه قول الشاعر :

والناس يَلْحُون الأميرَ إذا هُمُ خطئوا الصوابَ ولا يُلام المرْشدُ(٣٦٨)

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : إصراً أي عهداً نعجز عن القيام به ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : أي لا تمسخنا قردة وخنازير ، وهذا قول عطاء .

الثالث : أنه الذنب الذي ليس فيه توبة ولا كفارة ، قاله ابن زيد .

الرابع : الإصر : الثقل العظيم ، قاله مالك ، والربيع ، قال النابغة:

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم والحامل الإصر عنهم بعدما عرضوا(*)

﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ يعني بني إسرائيل فيما حملوه من قتل أنفسهم .

---

(٣٦٨) هو عبيد الله بن الأبرص الأسدي والبيت في ديوانه (٥٤) والبيت فيه
والناس يلحون الأمير إذا غوى ... خطب الصواب ...

(*) ديوان النابغة :

﴿ .. وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ما لا طاقة لنا به مما كُلِّفَهُ بنو إسرائيل .

الثاني : ما لا طاقة لنا به من العذاب .

﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَانَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مالكنا .

الثاني : وَلِيُّنا وناصرنا .

﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ روىٰ عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ قال الله تعالى : قد غفرت لكم ، فلما قرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله تعالى : لا أؤاخذكم . فلما قرأ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال الله تعالى : لا أحمل عليكم . فلما قرأ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال الله تعالى : لا أحملكم . فلما قرأ : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا ﴾ قال الله تعالى : قد عفوت عنكم . فلما قرأ : ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾ قال الله تعالى : قد غفرت لكم . فلما قرأ : ﴿ وَٱرْحَمْنَا ﴾ قال الله تعالى : قد رحمتكم . فلما قرأ : ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ قال الله تعالى : قد نصرتكم .

وروىٰ مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر الجهني(٣٦٩) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقْرَؤُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ خَاتِمَةِ البَقَرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَعْطَانِيهَا مِن تَحتِ العَرْشِ » .

وروىٰ أبو سعيد الخدري(٣٧٠) قال : قال رسول الله ﷺ : « السُّورَةُ الَّتِي

---

(٣٦٩) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٥٨) وحَسَّنَ إسنادَه ابن كثير في التفسير (١/٦٠٥) وفي سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث لكن للحديث شواهد يرتقي بها إلى الحسن ذكرها الحافظ ابن كثير في التفسير فراجعها هناك .

(٣٧٠) رواه الديلمي في مسند الفردوس برقم (٣٣٧٦) وفي سنده إسماعيل بن زياد الشامي ويقال ابن أبي زياد نقل الذهبي في الميزان (١/٢٣١) عن الدارقطني أنه قال : متروك يضع الحديث .
وذكره صاحب الجامع الصغير ورمز له بالضعف (٤/١٤٩) وقال ابن عدي : منكر الحديث وقال ابن =

تُذْكَرُ فِيهَا البَقَرةُ فُسْطَاطُ القُرْآنِ ، فتعَلَّمُوهَا فإِنَّ تعلِيمَهَـا بركَـةٌ وَترْكَهَـا حَسْرَةٌ ، ولاَ يَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ قِيلَ : وَمَنِ البَطَلَةُ ؟ قَالَ : السَحَرَةُ ».

ــــ حبان : شيخ دجال لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه .

والحديث رواه الدارمي (٢/٤٤٦) موقوفاً على خالد بن معدان وقال فيه : حدثنا أبو المغيـرة عن عبدة عن خالد قال : . . . . فذكر مثله .

لكن الحديث صح من رواية أبي أمامة مرفوعاً بلفظ « اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ».

وقال معاوية أحد رواته : البطلة : السحرة رواه مسلم (برقم ٨٠٤) ضمن حديث طويل.

سُورَةُ آل عِمْرَان

ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾

﴿ الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقد ذكرنا تفسير ذلك من قبل .

فإن قيل : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسم من أسماء الله تعالى كان قوله : ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ نعتاً للمسمى به ، وتفسيره أن ﴿ الٓمٓ ﴾ هو الله لا إله إلا هو .

وإن قيل : إنه قسم كان واقعاً على أنه سبحانه لا إله إلا هو الحي القيوم ، إثباتاً لكونه إلهاً ونفياً أن يكون غيره إلهاً .

وإن قيل بما سواهما من التأويلات كان ما بعده مبتدأ موصوفاً ، وأن الله هو الذي لا إله إلا هو الحي القيوم .

ونزلت هذه الآية إلى نيف وثمانين آية من السورة في وفد نجران من النصارى لما جاؤوا يحاجّون النبي ﷺ وكانوا أربعة عشر رجلاً من أشرافهم .

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالعدل مما استحقه عليك من أثقال النبوة .

والثاني : بالعدل فيما اختصك به من شرف الرسالة .

وإن قيل بأنه الصدق ففيه وجهان :

أحدهما : بالصدق فيما تضمنه من أخبار القرون الخالية والأمم السالفة .

والثاني : بالصدق فيما تضمنه من الوعد بالثواب على طاعته ، والوعيد بالعقاب على معصيته .

﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي لما قبله من كتاب ورسول ، وإنما قيل لما قبله ﴿ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لأنه ظاهر له كظهور ما بين يديه .

وفي قوله : ﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه مخبراً بما بين يديه إخبار صدق دل على إعجازه .

والثاني : معناه أنه يخبر بصدق الأنبياء فيما أتوا به على خلاف من يؤمن ببعض ويكفر ببعض .

قوله عز وجل : ﴿ . . . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بدلائله وحججه .

والثاني : بآيات القرآن ، قال ابن عباس يريد وفد نجران حين قَدِموا على رسول الله ﷺ لمحاجّته .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ يعني عذاب جهنم .

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في امتناعه .

الثاني : في قدرته .

﴿ ذُو انتِقَامٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ذو سطوة .

والثاني : ذو اقتضاء .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ

ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ
ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن .

﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ اختلف المفسرون في تأويله علىٰ سبعة أقاويل :

أحدها : أن المحكم الناسخ ، والمتشابه المنسوخ ، قاله ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : أن المحكم ما أحكم الله بيان حلاله وحرامه فلم تشتبه معانيه ، قاله مجاهد .

والثالث : أن المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل أوجهاً ، قاله الشافعي ومحمد بن جعفر بن الزبير .

والرابع : أن المحكم الذي لم تتكرر ألفاظه ، والمتشابه الذي تكررت ألفاظه ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه القصص والأمثال .

والسادس : أن المحكم ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج عيسىٰ ونحوه ، وهذا قول جابر بن عبد الله .

والسابع : أن المحكم ما قام بنفسه ولم يحتج إلى استدلال .

ويحتمل ثامناً : أن المحكم ما كانت معاني أحكامه معقولة ، والمتشابه ما كانت معاني أحكامه غير معقولة ، كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام بشهر رمضان دون شعبان .

وإنما جعله محكماً ومتشابهاً استدعاء للنظر من غير اتكال على الخبر ، وقد روى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : « **القرآن على ثلاثة أجزاء : حلال فاتبعه ، وحرام فاجتنبه ، ومتشابه يشكل عليك فَكِلْه إلى عالمه** »(٣٧١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾. ففيه وجهان :

أحدهما : أصل الكتاب .

والثاني : معلوم الكتاب .

وفيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد الآي التي فيها الفرائض والحدود ، قاله يحيىٰ بن يعمر .

والثاني : أنه أراد فواتح السُّوَر التي يستخرج منها القرآن ، وهو قول أبي فاختة .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد به أنه معقول المعاني لأنه يتفرع عنه ما شاركه في معناه ، فيصير الأصل لفروعه كالأم لحدوثها عنه ، فلذلك سماه أم الكتاب .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ميل عن الحق .

والثاني : شك ، قاله مجاهد .

﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من الحروف المقطعة من حساب الجُمّل في انقضاء مدة النبي ﷺ .

والثاني : أنه معرفة عواقب القرآن في العلم بورود النسخ قبل وقته .

---

(٣٧١) لم أهتدِ إلى تخريجه لكن ورد معناه من أحاديث أخرى انظرها في الدر المنثور . (٢/١٤٩ ، ١٥٠ وما بعدهما) .

والثالث : أن ذلك نزل في وفد نجران(٣٧٢) لمَّا حاجّوا النبي ﷺ في المسيح ، فقالوا : أليس كلمة الله وروحه؟ قال: « بلىٰ »، فقالوا : حسبنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ وهو قول الربيع .

وفي قوله تعالى : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : الشرك ، قاله السدي .

والثاني : اللّبْس(٣٧٣)، قاله مجاهد .

الثالث : الشبهات التي حاجّ بها وفد نجران .

والرابع : إفساد ذات البَيْن .

﴿ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ في التأويل وجهان :

أحدهما : أنه التفسير .

والثاني : أنه العاقبة المنتظرة .

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها: تأويل جميع المتشابه، لأن فيه ما يعلمه الناس، وفيه ما لا يعلمه إلا الله ، قاله الحسن.

والثاني : أن تأويله يوم القيامة لما فيه من الوعد والوعيد ، كما قال الله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] يعني يوم القيامة، قاله ابن عباس.

---

(٣٧٢) حديث الربيع : أخرجه ابن جرير (١٨٦/٦) ونسبه السيوطي في الدر (١٥٠/٢) لابن أبي حاتم وهو حديث معضل .

(٣٧٣) قال الإمام أبو جعفر الطبري (١٩٨/٦) رحمه الله « هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك فإنه معنيّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة » فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن ثم حاجّ به أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ، ارادةً منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلب لعلم تأويل ، ماتشابه عليه من ذلك ، كائناً من كان ، وأي أصناف المبتدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية أو كان سبئياً أو حرورياً أو قدرياً ، أو جهمياً . اهـ.

والثالث : تأويله وقت حلوله ، قاله بعض المتأخرين .

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني الثابتين فيه ، العاملين به .

والثاني : يعني المستنبطين للعلم والعاملين ، وفيهم وجهان :

أحدهما : أنهم داخلون في الاستثناء ، وتقديره : أن الذي يعلم تأويله الله والراسخون في العلم جميعاً .

روىٰ ابن أبي نجيح عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله .

الثاني : أنهم خارجون من الاستثناء ، ويكون معنىٰ الكلام : ما يعلم تأويله إلا الله وحده ، ثم استأنف فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ .

﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : علم ذلك عند ربنا .

والثاني : ما فصله من المحكم والمتشابه ، فنزل من عند ربنا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾

قوله عز وجل : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الدأب : العادة ، (أي) كعادة آل فرعون والذين من قبلهم .

والثاني : أن الدأب هنا الاجتهاد ، مأخوذ من قولهم : دأبت في الأمر ، إذا اجتهدت فيه .

فإذا قيل إنه العادة ففيما أشار إليه من عادتهم وجهان :

أحدهما : كعادتهم في التكذيب بالحق .

والثاني : كعادتهم من عقابهم على ذنوبهم .

وإذا قيل إنه الاجتهاد ، احتمل ما أشار إليه من اجتهادهم وجهين :

أحدهما : كاجتهادهم في نصرة الكفر على الإيمان .

والثاني : كاجتهادهم في الجحود والبهتان .

وفيمن أشار إليهم أنهم كدأب آل فرعون قولان :

أحدهما : أنهم مشركو قريش يوم بدر ، كانوا في انتقام الله منهم لرسله والمؤمنين ، كآل فرعون في انتقامه منهم لموسى وبني إسرائيل ، فيكون هذا على القول الأول تذكيراً للرسول والمؤمنين بنعمة سبقت ، لأن هذه الآية نزلت بعد بدر استدعاء لشكرهم عليها ، وعلى القول الثاني وعداً بنعمة مستقبلة لأنها نزلت قبل قتل يهود بني قينقاع ، فحقق وعده وجعله معجزاً لرسوله .

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ﴾ الآية . في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في قريش قبل بدر بسنة ، فحقق الله قوله ، وصدق رسوله ، وأنجز وعده بمن قتل منهم يوم بدر ، قاله ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنها نزلت في بني قينقاع لمَّا هلكت قريش يوم بدر ، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، وحذرهم مثل ما نزل بقريش ، فأبوا وقالوا : لسنا كقريش الأغمار الذين لا يعرفون الناس ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، قاله قتادة ، وابن إسحاق .

والثالث : أنها نزلت في عامة الكفار .

وفي الغلبة هنا قولان :

أحدهما : بالقهر والاستيلاء ، إن قيل إنها خاصة .

والثاني : بظهور الحجة ، إن قيل إنها عامة .

وفي ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ قولان :

أحدهما : بئس ما مهدوا لأنفسهم ، قاله مجاهد .

والثاني : معناه بئس القرار ، قاله الحسن .

وفي بئس وجهان :

أحدهما : أنه مأخوذ من البأس ، وهو الشدة .

والثاني : أنه مأخوذ من البأساء وهو الشر .

قوله عز وجل : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني المؤمنين من أهل بدر .

﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ يعني مشركي قريش .

﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ وفي مثليهم قولان :

أحدهما : أنهم مثلان زائدان على العدد المُتَحقِّق ، فيصير العدد ثلاثة أمثال ، قاله الفراء .

والثاني : هو المزيد في الرؤية ، قاله الزجاج .

اختلفوا في المخاطب بهذه الرؤية على قولين :

أحدهما : أنها الفئة المؤمنة التي تقاتل في سبيل الله ، بأن أراهم الله مشركي قريش يوم بدر مثلي عدد أنفسهم ، لأن عدة المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وعدة المشركين في رواية عليٍّ وابن مسعود ألف ، وفي رواية عروة ، وقتادة ، والربيع ما بين تسعمائة إلى ألف ، فقلَّلهم الله في أعينهم تقوية لنفوسهم ، قاله ابن مسعود ، والحسن .

والثاني : أن الفئة التي أراها الله ذلك هي الفئة الكافرة ، أراهم الله المسلمين مثلي عددهم مكثراً لهم ، لتضعف به قلوبهم . والآية في الفئتين هي تقليل الكثير في أعين المسلمين ، وتكثير القليل في أعين المشركين ، وما تقدم من الوعد بالغلبة ، فتحقق ، قتلاً ، وأسراً ، وسبياً .

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ يعني من أهل طاعته . وفي التأييد وجهان :

أحدهما : أنه المعونة .

والثاني : القوة .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن في نصرة الله لرسوله يوم بدر مع قلة أصحابه عبرة لذوي البصائر والعقول .

والثاني : أن فيما أبصره المشركون من كثرة المسلمين مع قلتهم عبرة لذوي الأعين والبصائر .

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ معنى زين : أي حُسِّن حب الشهوات ، والشهوة من خَلْق الله في الإنسان ، لأنها ضرورة لا يقدر على دفعها .

وفي المُزَيِّن لحب الشهوات ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الشيطان ، لأنه لا أحد أشد ذمًّا لها من الله تعالى الذي خَلَقها ، قاله الحسن .

الثاني : تأويل أن الله زين حب الشهوات لِمَا جعله في الطبائع من المنازعة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[الكهف : ٧]، قاله الزجاج .

والثالث : أن الله زين من حبها ما حَسُن ، وزين الشيطان من حبها ما قَبُح .

﴿ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ ﴾ اختلفوا في مقدار القنطار على سبعة أقاويل :

أحدها : أنه ألف ومائتا أوقية ، وهو قول معاذ بن جبل ، وأبي هريرة ورواه زر بن حبيش عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « **القِنْطَارُ أَلفُ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ** »(٣٧٤).

والثاني : أنه ألف ومائتا دينار ، وهو قول الضحاك ، والحسن ، وقد رواه الحسن عن النبي ﷺ(٣٧٥).

والثالث : أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار ، وهو قول ابن عباس .

والرابع : أنه ثمانون ألفاً من الدراهم ، أو مائة رطل من الذهب ، وهو قول سعيد بن المسيب ، وقتادة .

والخامس : أنه سبعون ألفاً ، قاله ابن عمر ، ومجاهد .

والسادس : أنه ملء مسك ثور ذهباً ، قاله أبو نضرة .

والسابع : أنه المال الكثير ، وهو قول الربيع .

وفي ﴿ ٱلْمُقَنْطَرَةِ ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنها المضاعفة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها الكاملة المجتمعة .

والثالث : هي تسعة قناطير ، قاله الفراء .

والرابع : هي المضروبة دراهم أو دنانير ، وهو قول السدي .

والخامس : أنها المجعولة كذلك ، كقولهم دراهم مدرهمة .

ويحتمل وجهاً سادساً : أن القناطير المذكورة مأخوذة من قنطرة الوادي ، إما لأنها بتركها مُعَدَّة كالقناطر المعبورة ، وإما لأنها معدة لوقت الحاجة ، والقناطير

---

(٣٧٤) رواه الطبري في التفسير (٦/٢٤٥) وسنده ضعيف ففيه مخلد بن عبد الواحد قال فيه ابن حبان: منكر الحديث جداً وقال أبو حاتم: ضعيف(٣٤٨/١/٤) الجرح والتعديل وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وعطاء بن أبي ميمونة وَثَّقَهُ أبو زرعة والنسائي وقال أبو حاتم فيه: لا يحتج بحديثه وكان قدرياً وقال ابن عدي : في أحاديثه بعض ما ينكر عليه وقال ابن كثير (٣٥١/١) وهذا حديث منكر . أ. هـ.

(٣٧٥) ولكنه حديث مرسل رواه ابن جرير (٦/٢٤٥) والمرسل من قسم الضعيف

مأخوذة من عقد الشيء وإحكامه كالقنطرة .

﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ فيها خمسة تأويلات :

أحدها : أنها الراعية ، قاله سعيد بن جبير ، والربيع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ أي ترعون .

والثاني : أن المسومة الحسنة ، قاله مجاهد ، وعكرمة ، والسدي .

والثالث : أنها المعلَّمة ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والرابع : أنها المعدة للجهاد ، قاله ابن زيد .

والخامس : أنها من السيما مقصور وممدود ، قاله الحسن ، قال الشاعر(٣٧٦) :

غلامٌ رماه اللّهُ بالحُسْن يافعاً ... له سيمياء لا تَشُقُّ على البصر

﴿ والأنْعَامِ ﴾ هي الإبل ، والبقر ، والغنم من الضأن والمعز ، ولا يقال النعم لجنس منها على الإنفراد إلا للإبل خاصة .

﴿ وَٱلْحَرْثِ ﴾ هو الزرع .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن يريد أرض الحرث لأنها أصل ، ويكون الحرث بمعنى المحروث .

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : الصابرين عما نهوا عنه من المعاصي .

والثاني : يعني في المصائب .

---

(٣٧٦) هو أسيد بن عنقاء الفزاري .
انظر : اللسان مادة [سام].

والثالث : الصائمين .

ويحتمل رابعاً : الصابرين عما زُيِّن للناس من حب الشهوات .

﴿ وَالصَّادِقِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في قولهم .

والثاني في القول والفعل والنيَّة ، والصدق في القول: الإخبار بالحق ، والصدق في الفعل : إتمام العمل ، والصدق في النية : إمضاء العزم .

﴿ وَٱلْقَانِتِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني المطيعين ، قاله قتادة .

والثاني : معناه القائمون على العبادة ، قاله الزجاج .

﴿ وَٱلْمُنفِقِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : في الجهاد .

والثاني : في جميع البرِّ.

﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني المصلِّين بالأسحار ، قاله قتادة .

والثاني : أنهم المستغفرون قولاً بالأسحار يسألون الله تعالى المغفرة ، قاله ابن عمر ، وابن مسعود وأنس بن مالك .

والثالث : أنهم يشهدون الصبح في جماعة ، قاله زيد بن أسلم . والسحر من الليل هو قبيل الفجر .

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن
يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ

أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ في هذه الشهادة من الله ثلاثة أقاويل :

أحدها : بمعنى قضىٰ الله أنه لا إله إلا هو .

والثاني : يعني بَيَّنَ الله أنه لا إله إلا هو .

والثالث : أنها الشهادة من الله بأنه لا إله إلا هو .

ويحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون معناها الإخبار بذلك ، تأكيداً للخبر بالمشاهدة ، كإخبار الشاهد بما شاهد ، لأنه أوكد للخبر .

والثاني : أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو ، فأما شهادة الملائكة وأولي العلم ، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته .

﴿ قَآئِماً بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل .

ويحتمل قيامه بالعدل وجهين :

أحدهما : أن يتكفل لهم بالعدل فيهم ، من قولهم قد قام فلان بهذا الأمر إذا تكفل به ، فيكون القيام بمعنى الكفالة .

والثاني : معناه أن قيام ما خلق وقضىٰ بالعدل أي ثباته ، فيكون قيامه بمعنى الثبات .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المتدين عند الله بالإسلام من سلم من النواهي .

والثاني : أن الدين هنا الطاعة ، فصار كأنه قال : إن الطاعة لله هي الإسلام .

وفي أصل الإسلام قولان :

أحدهما : أن أصله مأخوذ من السلام وهو السلامة ، لأنه يعود إلى السلامة .

والثاني : أن أصله التسليم لأمر الله في العمل بطاعته .

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ ﴾ في أهل الكتاب الذين اختلفوا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل التوراة من اليهود ، قاله الربيع .

والثاني : أنهم أهل الإنجيل من النصارىٰ ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير .

والثالث : أنهم أهل الكتب كلها ، والمراد بالكتاب الجنس من غير تخصيص ، وهو قول بعض المتأخرين.

وفيما اختلفوا فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : في أديانهم بعد العلم بصحتها .

والثاني : في عيسىٰ وما قالوه فيه من غلو وإسراف .

والثالث : في دين الإسلام .

وفي قوله تعالى : ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ وجهان :

أحدهما : طلبهم الرياسة .

والثاني : عدولهم عن طريق الحق .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : أي أسلمت نفسي ، ومعنىٰ أسلمت : انقدت لأمره في إخلاص التوحيد له .

والثاني : أن معنىٰ أسلمت وجهي : أخلصت قصدي إلى الله في العبادة ، مأخوذ من قول الرجل إذا قصد رجلاً فرآه في الطريق هذا وجهي إليك ، أي قصدي .

﴿ وَٱلأُمِّيِّينَ ﴾ هم الذين لا كتاب لهم ، مأخوذ من الأمي الذي لا يكتب ، قال ابن عباس : هم مشركو العرب .

﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ هو أمر بالإسلام على صورة الاستفهام .

فإن قيل : في أمره تعالى عند حِجَاجِهِمْ بأن يقول : ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ عدول عن جوابهم وتسليم لحِجَاجِهِم ، فعنه جوابان :

أحدهما : ليس يقتضي أمره بهذا القول النهي عن جوابهم والتسليم بحِجَاجِهم ، وإنما أمره أن يخبرهم بما يقتضيه معتقده ، ثم هو في الجواب لهم والاحْتِجَاج على ما يقتضيه السؤال .

والثاني : أنهم ما حاجُّوه طلباً للحق فيلزمه جوابهم ، وإنما حاجُّوه إظهاراً للعناد ، فجاز له الإعراض عنهم بما أمره أن يقول لهم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قرأ حمزة : ويقاتلون الذين يأمرون ، وقيل : إنها كذلك في مصحف ابن مسعود .

وفي ﴿ الْقِسْطِ ﴾ هنا وجهان :

أحدهما : العدل .

والثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ رُوِيَ عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهىٰ عن منكر ، ثم قرأ هذه الآية ، ثم قال : **«يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم»** (٣٧٧) .

(٣٧٧) رواه ابن جرير (٦/ ٢٨٥) ونسبه السيوطي في الدر (٢/ ١٦٨) لابن أبي حاتم وفي سنده مجهول =

﴿ فَبَشِّرْهُم ﴾ أي فأخبرهم ، والأغلب في البشارة إطلاقها على الإخبار بالخير ، وقد تستعمل في الإخبار بالشّر كما استعملت في هذا الموضع وفي تسميتها بذلك وجهان :

أحدهما : لأنها تغير بَشْرَةَ الوجه بالسرور في الخير ، وبالغم في الشر .

والثاني : لأنها خبر يستقبل به البشرة .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ ﴾ يعني حظاً لأنهم علموا بعض ما فيه .

﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ في الكتاب الذي دعوا إليه قولان :

أحدهما : أنه التوراة ، دعي إليها اليهود فأبوا ، قاله ابن عباس .

والثاني : القرآن ، لأن ما فيه موافق لما في التوراة من أصول الدين ، قاله الحسن وقتادة .

وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : نبوة النبي ﷺ .

والثاني : أمر إبراهيم وأن دينه الإسلام .

والثالث : أنه حد من الحدود .

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ قال ابن عباس : هذا الفريق

= وهو أبو الحسن الأسدي وفي سنده أيضاً أبو عبيدة الوصابي وثقة ابن معين ، وقال أحمد : ما علمت إلا خيراً ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال مرة : قال لي بعض أهل حمص ليس بصدوق ولم يدرك محمد بن حمير وعلة ثالثة للحديث وهو الانقطاع بين أبي عبيدة الوصابي ومحمد بن حمير .

المتولي هم زعماء يهود بني قينقاع : النعمان بن أوفىٰ ، وبحري بن عمرو بن صوريا تولوا عنه في حد الزنىٰ لمَّا أخبرهم أنه الرجم ، ورجم اليهوديين الزانيين .

فإن قيل : التولِّي عن الشيء هو الإعراض عنه ، قيل : معناه يتولَّىٰ عن الداعي ويعرض عما دُعِيَ إليه .

قوله عز وجل : ﴿ ... قَالُوا : لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴾ هذا من قول اليهود ، واختلفوا فيها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً ، قاله قتادة ، والربيع .

والثاني : أنها سبعة أيام ، وهذا قول الحسن .

والثالث : أنها أيام متقطعة لانقضاء العذاب فيها ، وهذا قول بعض المتأخرين .

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، قاله قتادة .

والثاني : هو قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ، قاله مجاهد .

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ
مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ
وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يريد به مُلك أمر الدنيا والآخرة .

والثاني : مالك العباد وما ملكوه ، قاله الزجاج .

والثالث : مالك النبوة ، قاله مجاهد .

﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن المُلْك هنا النبوة ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه الإيمان .

والثالث : أنه السلطان .

روىٰ قتادة أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل مُلْك فارس والروم في أمته ، فأنزل الله هذه الآية[٣٧٨] .

﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : تعز من تشاء بالطاعة ، وتذل من تشاء بالمعصية .

والثاني : تعز من تشاء بالنصر ، وتذل من تشاء بالقهر .

والثالث : تعز من تشاء بالغنىٰ ، وتذل من تشاء بالفقر .

﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ أي أنت قادر عليه[٣٧٩] ، وإنما خَصَّ الخير بالذكر وإن كان قادراً على الخير والشر ، لأنه المرغوب في فعله .

قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه تدخل نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل ، وهو قول جمهور المفسرين .

والثاني : أن معناه تجعل الليل بدلاً من النهار ، وتجعل النهار بدلاً من الليل ، وهو قول بعض المتأخرين .

﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائي : الميّت بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف .

---

(٣٧٨) رواه ابن جرير (٦/ برقم ٦٧٩٠ ، ٦٧٩١) وقال قتادة : وذُكِرَ لنا أن النبي ﷺ سأل ملك فارس والروم . . . . . ونسبه السيوطي في الدر (١٧١/٢) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحديث مرسل كما ترى .

(٣٧٩) قال العلامة الآلوسي في قوله «بيدك الخير» جملة مستأنفة ، وأجراها بعضهم على طرز ما قبلها ، وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخير للتخصيص أي (بيدك) التي لا يكتنه كنهها ، وبقدرتك التي لا يقدر قدرها الخير كله تتصرف به أنت وحدك حسب مشيئتك لا يتصرف به أحد غيرك ولا يملكه أحد سواك ، وإنما خص الخير بالذكر تعليماً لمراعاة الأدب وإلا فذكر الإعزاز والإذلال يدل على أن الخير والشر كلاهما بيده سبحانه » أ. هـ. روح المعاني (١١٥/٣) .

واختلفوا في معناه بالتخفيف والتشديد ، فذهب الكوفيون إلى أن الميْت بالتخفيف الذي قد مات ، وبالتشديد الذي لم يمت بعد .

وحكىٰ أبو العباس عن علماء البصريين بأسرهم أنهما سواء ، وأنشد لابن الرعلاء القلابي :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميْتُ ميّت الأحياء[٣٨٠]
إنما الميْتُ من يعيش كئيباً كاسفاً بالُه قليل الرجاء

وفي تأويل إخراج الحي من الميت قولان :

أحدهما : أنه يخرج الحيوان الحي من النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الحيوان الحي ، وهذا قول ابن مسعود ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن ، وهذا قول الحسن .

وقال قتادة : وإنما سَمَّىٰ الله يحيى بن زكريا بيحيى لأن الله عز وجل أحياه بالإيمان .

﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل مضت .

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

(٣٨٠) هو عدي بن الرعلاء كما في اللسان مادة [مات] .

وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٢) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا
وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ في آل عمران قولان :

أحدهما : أنه موسىٰ وهارون ابنا عمران .

والثاني : أنه المسيح ، لأن مريمَ بنتُ عمران ، وهذا قول الحسن .

وفيما اصطفاهم به ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه اصطفاهم باختيار دينهم لهم ، وهذا قول الفراء .

والثاني : أنه اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم .

والثالث : أنه اصطفاهم باختيارهم للنبوة ، وهذا قول الزجاج .

قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم صاروا ذرية بالتناصر لا بالنسب ، كما قال تعالى : ﴿المُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] يعني في الاجتماع على الضلال، وهذا قول الحسن، وقتادة.

والثاني : أنهم في التناسل والنسب ، إذ جميعهم من ذرية آدم ، ثم من ذرية نوح ، ثم من ذرية إبراهيم ، وهذا قول بعض المتأخرين .

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٣٦)

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل : ـ

أحدها : محرراً أي مُخْلَصاً للعبادة ، وهذا قول الشعبي .

والثاني : يعني خادماً للبيعة ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : يعني عتيقاً من الدنيا لطاعة الله ، وهذا قول محمد بن جعفر بن الزبير .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ إنما قالت ذلك اعتذاراً من العدول عن نذرها لأنها أنثى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم التاء ، فيكون ذلك راجعاً إلى اعتذارها بأن الله أعلم بما وضعت ، وقرأ الباقون بجزم التاء ، فيكون ذلك جواباً من الله تعالى لها بأنه أعلم بما وضعت منها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ ﴾ لأن الأُنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد المقدس ، لما يلحقها من الحيض ، ولصيانة النساء عن التبرج ، وإنما يختص الغلمان بذلك .

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : من طعن الشيطان الذي يستهل به المولود صارخاً ، وقد روىٰ ذلك أبو هريرة مرفوعاً[٣٨١] .

والثاني : معناه من إغوائه لها ، وهذا قول الحسن . ومعنىٰ الرجيم : المرجوم بالشهب .

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

---

(٣٨١) رواه البخاري (٨/١٥٩) ومسلم (٢/٢٢٤) وأحمد برقم (٧٦٩٤، ٧١٨٢).
ونسبه السيوطي في الدر (٢/١٨٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ورواه الطبري (١/ برقم ٦٨٩١). وفي مواضع أخرى منه انظرها (٦/٣٣٩).

﴿زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ معناه أنه رضيها في النذر الذي نذرته بإخلاص العبادة في بيت المقدس .

﴿ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾ يعني أنشأها إنشاءً حسناً في غذائها وحسن تربيتها .

﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بالتشديد ، ومعنىٰ ذلك أنه دفع كفالتها إلى غيره . وقرأ الباقون : ﴿ كفَلَهَا ﴾ بالتخفيف ، ومعنىٰ ذلك أنه أخذ كفالتها إليه .

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ وهو معروف ، وأصله أنه أكرم موضع في المجلس .

﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الرزق الذي أتاها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنها لم تطعم(*) ثدياً قط حتى تكلمت في المهد ، وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة ، وهذا قول الحسن .

واختلف في السبب الذي يأتيها هذا الرزق لأجله على قولين :

أحدهما : أنه كان يأتيها بدعوة زكريا لها .

والثاني : أنه كان ذلك يأتيها لنبوة المسيح عليه السلام .

﴿ قَالَ : يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الله تعالى كان يأتيها بالرزق .

والثاني : أن بعض الصالحين من عباده سخره الله تعالى لها لطفاً منه بها حتى يأتيها رزقها . والأول أشبه .

(*) وفي نسخة : تلقم ولعله أولى مما اختاره محقق المطبوعة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه حكاية عن قول مريم بعد أن قالت هو من عند الله .

والقول الثاني : أنه قول الله تعالى بعد أن قطع كلام مريم .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ
الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ
مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ
مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ اختلف في سبب دعائه على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى أَذِنَ له في المسألة لأن سؤال ما خالف العادة يُمْنَع منه إلا عن إذن لتكون الإجابة إعجازاً .

والثاني : أنه لما رأى فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف طمع في رزق الولد من عاقر .

﴿ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ يعني هب لي من عندك ولداً مباركاً ، وقصد بالذرية الواحد .

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴾ أي تجيب الدعاء ، لأن إجابة الدعاء بعد سماعه .

قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلاَئِكَةُ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي : ﴿ فَنَادَاهُ ٱلْمَلآئِكَةُ ﴾، وفي مناداته قولان :

أحدهما : أنه جبريل وحده ، وهو قول السدي .

والثاني : جماعة من الملائكة .

﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ قيل إنما سمّاه

يحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان ، وسماه بهذا الاسم قبل مولده .

﴿ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بكتاب من الله ، وهذا قول أبي عبيدة وأهل البصرة .

والثاني : يعني المسيح ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسدي .

واختلفوا في تسميته كلمة من الله على قولين :

أحدهما : أنه خلقه بكلمته من غير أب(٣٨٢) .

والثاني : أنه سُمِّيَ بذلك لأن الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بكلام الله عز وجل .

﴿ وَسَيِّداً ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه الخليفة ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه التقي ، وهو قول سالم .

والثالث : أنه الشريف ، وهو قول ابن زيد .

والرابع : أنه الفقيه العالم ، وهو قول سعيد بن المسيب .

والخامس : سيد المؤمنين ، يعني بالرياسة عليهم ، وهذا قول بعض المتكلمين .

﴿ وَحَصُوراً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان عِنِّيناً لا ماء له ، وهذا قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنه كان لا يأتي النساء ، وهو قول قتادة ، والحسن .

(٣٨٢) قال العلامة الآلوسي في قوله « مصدقاً بكلمة من الله » نصب على الحال المقدرة من يحيى والمراد بالكلمة عيسى عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعليه أجله المفسرين وإنما سمي عيسى عليه السلام بذلك لأنه وجد بكلمة ـ كن ـ من دون توسط سبب عادي فشابه البديعيات التي هي عالم الأمر و (من) لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة كلمة ـ أي بكلمة كائنة منه تعالى ـ وأريد بهذا التصديق الإيمان وهو أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدق أنه كلمة الله تعالى وروح منه في المشهور أ. هـ. روح المعاني (١٤٧/٣).

والثالث : أنه لم يكن له ما يأتي به النساء ، لأنه كان معه مثل الهدْبة(*)، وهو قول سعيد بن المسيب .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ : رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ وإنما جاز له أن يقول : وقد بلغني الكبر لأنه بمنزلة الطالب له .

﴿ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ أي لا تلد .

فإن قيل : فَلِمَ راجع بهذا القول بعد أن بُشِّرَ بالولد ، ففيه جوابان :

أحدهما : أنه راجع ليعلم على أي حال يكون منه الولد ، بأن يُرَدّ هو وامرأته إلى حال الشباب ، أم على حال الكبر ، فقيل له : كذلك الله يفعل ما يشاء ، أي على هذه الحال ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه قال ذلك استعظاماً لمقدور الله وتعجباً .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ : رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً ﴾ أي علامة لوقت الحمل ليتعجل السرور به .

﴿ قَالَ : ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : تحريك الشفتين وهو قول مجاهد .

والثاني : الإشارة ، وهو قول قتادة .

والثالث : الإيماء ، وهو قول الحسن .

﴿ وَاذْكُرْ رَّبَّكَ كَثِيراً ﴾ لم يمنع من ذكر الله تعالى ، وذلك هي الآية .

﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَارِ ﴾ والعشي : من حين زوال الشمس إلى أن تغيب ، وأصل العشي الظلمة ، ولذلك كان العشىٰ ضعف البصر ، فَسُمِّيَ ما بعد الزوال عِشاءً لاتصاله بالظلمة . وأما الإبكار فمن حين طلوع الفجر إلى وقت الضحىٰ ، وأصله التعجيل ، لأنه تعجيل الضياء .

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

(*) وفي نسخة : النواة .

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَاكِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : اصطفاها على عالمي زمانها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه اصطفاها لولادة المسيح ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : طهرك من الكفر ، وهو قول الحسن ومجاهد .

والثاني : طهرك من أدناس الحيض والنفاس ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه تأكيد للاصطفاء الأول بالتكرار .

والثاني : أن الاصطفاء الأول للعبادة ، والاصطفاء الثاني لولادة المسيح .

قوله عز وجل : ﴿ يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني أخلصي لربك ، وهو قول سعيد .

والثاني : معناه أديمي الطاعة لربك ، وهو قول قتادة .

والثالث : أطيلي القيام في الصلاة ، وهو قول مجاهد .

﴿ وَٱرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ وفي تقديم السجود على الركوع قولان :

أحدهما : أنه كان مقدماً في شريعتهم وإن كان مؤخراً عندنا .

والثاني : أن الواو لا توجب الترتيب ، فاستوىٰ حكم التقديم في اللفظ وتأخيره ، وأصل السجود الانخفاض الشديد والخضوع ، كما قال الشاعر :

فكلتاهما خَرّت وأسجَدَ رأسُها   كما سَجَدتْ نصرانةٌ لم تحنف

وكذلك الركوع إلا أن السجود أكثر انخفاضاً .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : معناه وافعلي كفعلهم .

والثاني : يعني مع الراكعين في صلاة الجماعة .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ يعني ما كان من البشرى بالمسيح .

﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ وأصل الوحي إلقاء المعنى إلى صاحبه ، والوحي إلى الرسل الإلقاء بالإنزال ، وإلى النحل بالإلهام ، ومن بعض إلى بعض بالإشارة ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ . قال العجاج :

. . . . أوحى لها القرار فاستقرّت(٣٨٣)

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم تشاجروا عليها وتنازعوا فيها طلباً لكفالتها ، فقال زكريا : أنا أحق بها لأن خالتها عندي ، وقال القوم : نحن أحق بها لأنها بنت إمامنا وعالمنا ، فاقترعوا عليها بإلقاء أقلامهم وهي القداح مستقبلة لجرية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا لجرية الماء مصعدة ، وانحدرت أقلامهم فقرعهم زكريا ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، والربيع .

والقول الثاني : أنهم تدافعوا كفالتها لأن زكريا قد كان كفل بها من غير اقتراع ، ثم لحقهم أزمة ضعف بها عن حمل مؤونتها، فقال للقوم : ليأخذها أحدكم فتدافعوا كفالتها وتمانعوا منها ، فأقرع بينهم وبين نفسه فخرجت القرعة له ، وهذا قول سعيد .

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَآئِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وفي تسميته بالمسيح قولان :

(٣٨٣) ديوانه (٥) انظر اللسان مادة (وحى) .

أحدهما : لأنه مُسِحَ بالبركة ، وهذا قول الحسن وسعيد .

والثاني : أنه مُسِحَ بالتطهر من الذنوب .

قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ ﴾ وفي سبب كلامه في المهد قولان :

أحدهما : لتنزيه أمه مما قُذِفَتْ به .

والثاني : لظهور معجزته .

واختلفوا هل كان في وقت كلامه في المهد نبياً على قولين :

أحدهما : كان في ذلك الوقت نبياً لظهور المعجزة منه .

والثاني : أنه لم يكن في ذلك الوقت نبياً وإنما جعل الله ذلك تأسيساً لنبوّته .

والمهد : مضجع الصبي ، مأخوذ من التمهيد .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكَهْلًا ﴾ وفيه قولان :

أحدهما : أن المراد بالكهل الحليم ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنه أراد الكهل في السنّ .

واختلفوا في حدِّه على قولين :

أحدهما : بلوغ أربع وثلاثين سنة .

والثاني : أنه فوق حال الغلام ودون حال الشيخ ، مأخوذ من القوة من قولهم اكتهل البيت إذا طال وقوي .

فإن قيل فما المعنى في الإخبار بكلامه كهلاً وذلك لا يستنكر ؟ ففيه قولان :

أحدهما : أنه يكلمهم كهلاً بالوحي الذي يأتيه من الله تعالى .

والثاني : أنه يتكلم صغيراً في المهد كلام الكهل في السنّ .

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ

وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾
فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ
أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟
وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني من أنصاري مع الله .

والثاني : معناه من أنصاري في السبيل إلى الله ، وهذا قول الحسن .

والثالث : معناه من ينصرني إلى نصر الله .

وواحد الأنصار نصير .

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ اخْتُلِفَ في تسميتهم بالحواريين على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم ، وهذا قول سعيد بن جبير .

والثاني : أنهم كانوا قصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول ابن أبي نجيح .

والثالث : أنهم خاصة الأنبياء ، سموا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة ، والضحاك . وأصل الحواري : الحَوَر وهو شدة البياض ، ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه ، والحَوَر نقاء بياض العين .

واختلفوا في سبب استنصار المسيح بالحواريين على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه استنصر بهم طلباً للحماية من الكفار الذين أرادوا قتله حين أظهر دعوته ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

والثاني : أنه استنصر بهم ليتمكن من إقامة الحجة وإظهار الحق .

والثالث : لتمييز المؤمن الموافق من الكافر المخالف .

قوله تعالى : ﴿ ... فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني صِلْ ما بيننا وبينهم بالإخلاص على التقوى .

والثاني : أَثْبِتْ أسماءنا مع أسمائهم لننال ما نالوا من الكرامة .

قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم مكروا بالمسيح عليه السلام بالحيلة عليه في قتله ، ومكر الله في ردهم بالخيبة لإلقاء شبه المسيح على غيره ، وهو قول السدي .

والثاني : مكروا بإضمار الكفر ، ومكر الله بمجازاتهم بالعقوبة . وإنما جاز قوله : ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ على مزاوجة الكلام(٣٨٤) وإن خرج عن حكمه ، نحو قوله : ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وليس الثاني اعتداءً، وأصل المكر: الالتفاف، ولذلك سمي الشجر الملتف مكراً، والمكر هو الاحتيال على الإنسان لالتفاف المكروه به .

والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من غير قصد إلى الإضرار ، والمكر : التوصل إلى إيقاع المكروه به .

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

(٣٨٤) انظر التعليق الذي أسلفناه عند قوله تعالى :
﴿ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : معناه إني قابضك برفعك إلى السماء من غير وفاة بموت ، وهذا قول الحسن ، وابن جريج ، وابن زيد[٣٨٥] .

والثاني : متوفيك وفاة نوم للرفع إلى السماء ، وهذا قول الربيع .

والثالث : متوفيك وفاة بموت ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنه من المقدم والمؤخر بمعنى رافعك ومتوفيك بعده ، وهذا قول الفراء .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ قولان :

أحدهما : رافعك إلى السماء .

والثاني : معناه رافعك إلى كرامتي .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن تطهيره منهم هو منعهم من قتله .

الثاني : أنه إخراجه من بينهم .

﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : فوقهم بالبرهان والحجة .

والثاني : بالعز والغلبة .

وفي المعنيّ بذلك قولان :

(٣٨٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٢/٤ ، ٣٢٣): «هذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أنه ليس في ذلك خاصية وكذلك قوله: ﴿ ومطهرك من الذين كفروا .. ﴾ إلخ..

أحدهما : أن الذين آمنوا به فوق الذين كذّبوه وكذبوا عليه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، والربيع ، وابن جريج .

والثاني : أن النصارىٰ فوق اليهود ، لأن النصارىٰ أعز واليهود أذل ، وفي هذا دليل على أنه لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة بخلاف الروم .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : في عيسى .

والثاني : في الحق .

﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ : تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ والذين دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة هم نصارىٰ نجران . وفي قوله : ﴿ نَبْتَهِلْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه نلتعن .

والثاني : ندعو بهلاك الكاذب ، ومنه قول لبيد :

. . . . نظر الدهر إليهم فابتهل[٣٨٦]

أي دعا عليهم بالهلاك .

فلما نزلت هذه الآية أخذ النبي ﷺ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم

(٣٨٦) ديوانه قصيدة (٣٩)، أمالي الشريف المرتضى (١/ ٤٥).

السلام ثم دعا النصارىٰ إلى المباهلة ، فأحجموا عنها ، وقال بعضهم لبعض : إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية وفي المقصود بذلك قولان :

أحدهما : أنهم نصارىٰ نجران ، وهذا قول الحسن والسدي وابن زيد .

والثاني : أنهم يهود المدينة ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، وابن جريج .

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : هو طاعة الاتباع لرؤسائهم في أوامرهم بمعاصي الله ، وهذا قول ابن جريج .

والثاني : سجود بعضهم لبعض ، وهذا قول عكرمة .

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ وسبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارىٰ اجتمعوا عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا في أمره فقالت

اليهود : ما كان إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إلا نصرانياً ، فنزلت هذه الآية تكذيباً للفريقين بما بيَّنه من نزول التوراة والإنجيل من بعده .

قوله تعالى : ﴿ هَاأَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ يعني ما وجدوه في كتبهم .

﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ يعني من شأن إبراهيم .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُم لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني شأن إبراهيم .

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فالتمسوه من عِلَلِه .

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ
﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ
قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ
قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ
مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة بها ، وهذا قول قتادة ، والربيع ، والسدي .

والثاني : وأنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها .

والثالث : وأنتم تشهدون بما عليكم فيه الحجة .

قوله تعالى : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : تحريف التوراة والإنجيل ، وهذا قول الحسن ، وابن زيد .

والثاني : الدعاء إلى إظهار الإسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره قصداً لتشكيك الناس فيه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : الإيمان بموسىٰ وعيسىٰ والكفر بمحمد ﷺ .

﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ يعني ما وجدوه عندهم من صفة محمد ﷺ ، والبشارة به في كتبهم عناداً من علمائهم .

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني الحق بما عرفتموه من كتبكم .

قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم .

والثاني : لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم .

واخْتُلِفَ في تأويل ذلك على قولين :

أحدهما : أنهم كافة اليهود ، قال ذلك بعضهم لبعض ، وهذا قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : أنهم يهود خيبر قالوا ذلك ليهود المدينة ، وهذا قول الحسن .

واختلف في سبب نهيهم أن يؤمنوا إلا لِمَنْ تَبِعَ دينهم على قولين :

أحدهما : أنهم نُهُوا عن ذلك لِئَلَّا يكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه ، وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنهم نُهُوا عن ذلك لِئَلَّا يعترفوا به فيلزمهم العمل بدينه لإقرارهم(*) بصحته .

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن في الكلام حذفاً ، وتقديره : قل إن الهدىٰ هدىٰ الله أَلَّا يُؤْتَىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم أيُّها المسلمون ، ثم حذف « لا » من الكلام لدليل الخطاب

(*) وفي نسخة : لاعترافهم والمعنى واحد .

عليها مثل قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي لا تضلوا، وهذا معنى قول السدي، وابن جريج.

والثاني: أن معنى الكلام: قل إن الهدىٰ هدىٰ الله فلا تجحدوا أن يُؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم.

﴿أَوْ يُحَآجُّوكُم عِندَ رَبِّكُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني ولا تؤمنوا أن يُحَاجّوكم عند ربكم لأنه لا حجة لهم، وهذا قول الحسن، وقتادة.

والثاني: أن معناه حتى يُحَاجُّوكم عند ربكم، على طريق التبعيد، كما يقال: لا تلقاه أو تقوم الساعة، وهذا قول الكسائي، والفراء.

قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها النبوة، وهو قول الحسن، ومجاهد، والربيع.

والثاني: القرآن والإسلام، وهذا قول ابن جريج.

واختلفوا في النبوة هل تكون جزاءً على عمل؟ على قولين:

أحدهما: أنها جزاء عن استحقاق.

والثاني: أنها تفضل لأنه قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ
بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى
ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ
بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّه إِلَيكَ﴾ اختلفوا في دخول الباء على القنطار والدينار على قولين:

أحدهما: أنها دخلت لإلصاق الأمانة كما دخلت في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

والثاني : أنها بمعنى (علىٰ) وتقديره : ومن أهل الكتاب من إن تأمنه على قنطار .

﴿ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيهِ قَائِماً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والإقتضاء ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد .

والثاني : بالملازمة .

والثالث : قائماً على رأسه ، وهو قول السدي .

﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا : لَيسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيينَ سَبِيلٌ ﴾ يعني في أموال العرب ، وفي سبب استباحتهم له قولان :

أحدهما : لأنهم مشركون من غير أهل الكتاب ، وهو قول قتادة ، والسدي .

والثاني : لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه ، وهذا قول الحسن ، وابن جريج ، وقد روى سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : « كَذَّبَ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، مَا مِن شَيءٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إلاَّ وَهُوَ تحت قَدَميَّ إلاَّ الأَمَانَةَ فَإنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إلَى البَرِّ وَالفَاجِرِ »(٣٨٧) .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيمَانِهِم ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ وفي العهد قولان :

أحدهما : ما أوجب الله تعالى على الإنسان من طاعته وكَفِّه عن معصيته .

(٣٨٧) رواه ابن جرير (٦/٥٥٢ رقم ٧٢٦٩) ونسبه السيوطي في الدر (٢/٢٤٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وهذا الإسناد إلى سعيد بن جبير جيد لكن الحديث مرسل فهو من قسم الضعيف .

والثاني : ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانقياد إلى الحق .

﴿ أُولَـٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُم فِي الآخِرَةِ ﴾ . وفي أصل الخلاق قولان :

أحدهما : أن أصله من الخَلق بفتح الخاء وهو النفس ، وتقدير الكلام لا نصيب لهم .

والثاني : أن أصله الخُلق بضم الخاء لأنه نصيب مما يوجبه الخُلُق الكريم .

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لا يكلمهم الله بما(٣٨٨) يسرهم ، لكن يكلمهم بما يسوءهم وقت الحساب لأنه قال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا حِسَابَهُم ﴾ .

والثاني : لا يكلمهم أصلاً ولكن يرد حسابهم إلى الملائكة .

﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيهِم يَومَ الْقِيَامَةِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لا يراهم(٣٨٩) .

والثاني : لا يَمُن عليهم .

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِم ﴾ أي لا يقضي بزكاتهم .

واختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من أحبار اليهود : أبي رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحيي بن أخطب كتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم حلفوا أنه من عند الله فيما ادعوا به ليس عليهم في الأميين سبيل ، وهو قول الحسن ، وعكرمة .

والثاني : أنها نزلت في الأشعث وخصيم له تنازعا في أرض ، فقام ليحلف ، فنزلت هذه الآية ، فنكل الأشعث واعترف بالحق .

---

(٣٨٨) وهذا القول رجحه ابن جرير فيما ذكرت سابقاً في سورة البقرة فراجعه هناك .

(٣٨٩) وهذا النظر المنفي في الآية إنما هو نفي نظر خاص لا نفي النظر العام الذي يدل على الإحاطة والشمول فإن الله تعالى ينظر إلى عباده الطائعين والعاصين ولا يحجبهم عنه شيء وهم لا يغيبون عنه سبحانه وتعالى والنظر المنفي في الآية كالنظر المنفي في الحديث لا ينظر الله لرجل لا يقيم صلبه في الصلاة فليس معنى ذلك أن الله تعالى لا ينظر إليه نظر شمول وإحاطة وإنما معنى النفي هنا إنما هو المستلزم لرحمة الله تعالى فلا ينظر الله تعالى لمن في الآية أو الحديث نظر رحمة والله أعلم .

والثالث : أنها نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته في البيع ، وهذا قول عامر ، ومجاهد .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ : كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ سبب نزولها ما روى ابن عباس أن قوماً من اليهود قالوا للنبي ﷺ : أتدعونا إلى عبادتك كما دعا المسيح النصارى ، فنزلت هذه الآية(٣٩٠) .

﴿ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : فقهاء علماء ، وهو قول مجاهد .

والثاني : حكماء أتقياء ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثالث : أنهم الولاة الذين يربّون أمور الناس ، وهذا قول ابن زيد .

وفي أصل الرباني قولان :

أحدهما : أنه الذي يربُّ أمور الناس بتدبيره ، وهو قول الشاعر (٣٩١) :

وكنت امرءاً أفضت إليك ربابتي وقبلك ربتني ـ فضعت ـ ربوبُ

---

(٣٩٠) رواه ابن جرير (٦/٥٣٩) برقم (٧٢٩٦ ، ٧٢٩٧) وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ابن ثابت . . . وقد تقدم الكلام عليه مراراً والحديث زاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٢٥٠) لابن إسحق وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

(٣٩١) هو علقمة بن عبدة .

فسمي العالم ربّانياً لأنه بالعلم يدبر الأمور.

والثاني: أنه مضاف إلى عالم الرب، وهو علم الدين، فقيل لصاحب العلم الذي أمر به الرب ربّاني.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾.

في الميثاق قولان:

أحدهما: أنه أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا على قومهم بتصديق محمد ﷺ، وهذا قول علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنه أخذ ميثاقهم ليؤمنن بالآخرة، وهذا قول طاووس(٣٩٢).

﴿ثُمَّ جَآءَكُم رَسُولٌ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني من التوراة، والإنجيل.

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ والإصر: العهد، وفيه تأويلان:

أحدهما: معناه: قبلتم على ذلك عهدي.

والثاني: أخذتم على المُتَّبِعين لكم عهدي.

﴿قَالُوا: أَقْرَرْنَا. قَالَ: فَٱشْهَدُواْ﴾ يعني على أممكم بذلك.

﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾ عليكم، وعليهم.

---

(٣٩٢) وقول طاووس في ابن جرير (٦/٥٥٥) قال أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم.

أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ
عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ
مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أن المؤمن أسلم طوعاً والكافر أسلم عند الموت كَرْهاً ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنه الإقرار بالعبودية وإن كان فيه من أشرك في العبادة ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنه سجود المؤمن طائعاً وسجود ظل الكافر كرهاً ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً .

والرابع : طوعاً بالرغبة والثواب ، وكرهاً بالخوف من السيف ، وهو قول مطر .

والخامس : أن إسلام الكاره حين أخذ منه الميثاق فأقر به ، وهذا قول ابن عباس .

والسادس : معناه أنه أسلم بالانقياد والذلة ، وهو قول عامر الشعبي ، والزجاج .

كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ

لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ
تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن
يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْراً لَن تُقْبَلَ تَوبَتُهُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنهم اليهود كفروا بالمسيح ثم ازدادوا كفراً بمحمد لن تقبل توبتهم عند موتهم ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم أهل الكتاب لن تقبل توبتهم من ذنوب ارتكبوها مع الإقامة على كفرهم ، وهذا قول أبي العالية .

والثالث : أنهم قوم ارتدوا ثم عزموا على إظهار التوبة على طريق التورية ، فأطلع الله نبيَّه على سريرتهم ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنهم اليهود والنصارى كفروا بالنبي ﷺ بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً إلى حضور آجالهم ، وهذا قول الحسن .

۞ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ
عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ في البر ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن البر ثواب الله تعالى .

والثاني : أنه فعل الخير الذي يستحق به الثواب .

والثالث : أن البر الجنة ، وهو قول السدي .

وفي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : في الصدقات المفروضات ، وهو قول الحسن .

والثاني : في جميع الصدقات فرضاً وتطوعاً ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : في سبل الخير كلها من صدقة وغيرها .

وروىٰ عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها (سَبَل) إلى رسول الله ﷺ فقال : تَصَدَّقْ بهذه يا رسول الله ، فأعطاها ابنه أسامة ، فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق بها ، فقال رسول الله ﷺ : « قَدْ قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ »[٣٩٣] .

كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَآئِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل ، فأخبر الله تعالى بتحليلها لهم حين حرَّمها إسرائيل على نفسه ، لأنه لما أصابه وجع العرق الذي يقال له عرق النسا ، نذر تحريم العروق على نفسه ، وأحب الطعام إليه ، وكانت لحوم الإبل من أحب الطعام إليه .

وآختلفوا في تحريم إسرائيل على نفسه هل كان بإذن الله تعالى أم لا ـ على اختلافهم في اجتهاد الأنبياء . . . على قولين :

أحدهما : لم يكن إلا بإذنه وهو قول من زعم أن ليس لنبي أن يجتهد .

(٣٩٣) رواه الطبري (٦/٥٩٢ برقم ٧٣٩٧) وهو حديث مرسل وروى مثله سعيد بن منصور وابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن المنكدر كما في الدر المنثور (٢/ ٢٦٠).

والثاني : باجتهاده من غير إذن ، وهو قول من زعم أن للنبي أن يجتهد .

واختلفواْ في تحريم اليهود ذلك على أنفسهم على قولين:

أحدهما : أنهم حرموه على أنفسهم اتباعاً لإسرائيل .

والثاني : أن التوراة نزلت بتحريمها فحرموها بعد نزولها ، والأول أصح .

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً ﴾ لا اختلاف بين أهل التفسير أنه أول بيت وضع للعبادة ، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها على قولين :

أحدهما : أنه قد كانت قَبْلَه بيوت كثيرة ، وهو قول الحسن .

والثاني : أنه لم يوضع قَبْلَه بيت ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

وفي ﴿ بَكَّة ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن بكة المسجد ، ومكة : الحرم كله ، وهذا قول ابن شهاب ، وضمرة بن ربيعة .

والثاني : أن بكة هي مكة ، وهو قول أبي عبيدة .

والثالث : أن بكة موضع البيت ، ومكة غيره في الموضع يريد القرية ، وروي ذلك عن مالك .

وفي المأخوذ منه بكة قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الزحمة ، يقال تَبَاكَّ القوم بعضهم بعضاً إذا ازدحموا ، فبكة مُزْدَحَمُ الناس للطواف .

والقول الثاني : أنها سميت بكة ، لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة ، إذا ألحدواْ فيها بظلم لم يمهلواْ .

وفي قوله : ﴿ مُبَارَكاً ﴾ تأويلان :

أحدهما : أن بركته ما يستحق من ثواب القصد إليه .

والثاني : أنه آمن لمن دخله حتى الوحش ، فيجتمع فيه الصيد والكلب .

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إبْرَاهِيمَ ﴾ الآية في مقام إبراهيم أثر قدميه وهو حجر صلد ؟ والآية في غير المقام : أمن الخائف ، وهيبة البيت وامتناعه من العلو عليه ، وتعجيل العقوبة لمن عتا فيه ، وما كان في الجاهلية من أصحاب الفيل .

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ معناه أنه عطَّف عليه قلوب العرب في الجاهلية فكان الجاني إذا دخله أَمِنَ .

وأما في الإسلام ففيه قولان :

أحدهما : أنه آمن من النار ، وهذا قول يحيى بن جعدة .

والثاني : من القتال بحظر الإيجال على داخليه . وأما الحدود فتقام على من جنى فيه .

واختلفواْ في الجاني إذا دخله في إقامة الحد عليه فيه قولان :

أحدهما : تقام عليه ، وهو مذهب الشافعي .

والثاني : لا تقام حتى يُلجأ إلى الخروج منه ، وهو مذهب أبي حنيفة .

﴿ وَلِلَّه عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إلَيهِ سَبِيلاً ﴾ وفي الاستطاعة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها بالمال ، وهي الزاد والراحلة ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنها بالبدن ، وهو قول مالك .

والثالث : أنها بالمال والبدن ، وهو قول أبي حنيفة .

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ وفيه ثلاثة تأويلات .

أحدها : يعني [من كفر](*) بفرض الحج فلم يره واجباً ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : هو لا يرىٰ حَجَّهُ براً ولا تركه مأثماً ، وهو قول زيد بن أسلم .

والثالث : اليهود ، لأنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ ﴾ فقالواْ نحن مسلمون فأُمِرُواْ بالحج فلم يحجوا ، فأنزل الله هذه الآية .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

﴿ قُلْ يَآ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن صدهم عن سبيل الله ما كانوا عليه من الإغراء بين الأوس والخزرج حتى يتذكروا حروب الجاهلية فيتفرقوا ، وذلك من فعل اليهود خاصة ، وهو قول ابن زيد.

والثاني : أنه تكذيبهم بالنبي ﷺ وإنكارهم ثبوت صفته في كتبهم ، وذلك من فعل اليهود والنصارىٰ ، وهذا قول الحسن .

﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ أي تطلبون العِوَجَ وهو بكسر العين العدول عن طرائق الحق ، والعَوَج بالفتح ميلُ مُنْتصب من حائط أو قناة .

﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني عقلاء ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق: ٣٧]. والثاني : يعني شهوداً على ما كان من صَدّهم عن سبيل الله ،وقيل من عنادهم وكذبهم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ يعني الأوس والخزرج .

﴿ إن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود في إغرائهم بينكم .

﴿ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ .

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ فيه أربع أقاويل :

أحدها : هو أن يُطَاع فلا يُعْصَىٰ ، ويُشْكَر فلا يُكْفَر ويُذْكَر فلا يُنْسَىٰ ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن ، وقتادة(٣٩٤) .

والثاني : هو اتقاء جميع المعاصي ، وهو قول بعض المتصوفين .

والثالث : هو أن يعترفوا بالحق في الأمن والخوف .

والرابع : هو أن يُطَاع ، ولا يُتَّقى في ترك طاعته أحدٌ سواه .

واختلفوا في نسخها على قولين :

أحدهما : هي محكمة ، وهو قول ابن عباس ، وطاووس .

والثاني : هي منسوخة بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾ [التغابن : ١٦] وهو قول قتادة، والربيع، والسدي، وابن زيد.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : الحبل : كتاب الله تعالىٰ ، وهو قول ابن مسعود ، وقتادة ، والسدي . روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « كِتَابُ اللَّهِ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ »(٣٩٥) .

(٣٩٤) ونقل الحافظ ابن كثير (١/٣٨٨) عن ابن أبي حاتم أنه قال :

«وروي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي وطاووس والحسن وقتادة وابن سنان والسدي نحو ذلك » . ا هـ.

(٣٩٥) ورد مختصراً ومطولاً فرواه ابن جرير (٧/٧٢) مختصراً كرواية المؤلف وزاد السيوطي في الدر =

والثاني : أنه دين الله وهو الإسلام ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : أنه عهد الله ، وهو قول عطاء .

والرابع : هو الإخلاص لله بالتوحيد ، وهو قول أبي العالية .

والخامس : هو الجماعة ، وهو مروي عن ابن مسعود .

وسُمِّي ذلك حبلاً لأن المُمْسِكَ به ينجو مثل المتمسك بالحبل ينجو من بئر أو غيرها .

﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة ، وهذا قول ابن مسعود ، وقتادة .

والثاني : عن رسول الله ﷺ .

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ وفيمن أريد بهذه الآية قولان :

أحدهما : أنهم مشركو العرب لِمَا كان بينهم من الصوائل ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهم الأوس والخزرج لِمَا كان بينهم من الحروب في الجاهلية حتى تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن ألَّفَ الله بين قلوبهم بالإسلام فتركت تلك الأحقاد ، وهذا قول ابن إسحاق .

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

= (٢/٢٨٤) نسبته لابن أبي شيبة ورمز له في الجامع الصغير بعلامة الحسن (٤/٥٤٨) الفيض والحديث في سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

وجاء مطولاً بنحوه رواه أحمد في المسند (١١٢٢٩ ، ١١٥٨٢ ، ١١١٢٠، ١١١٤٨).

والترمذي (٤/٣٤٣) وقال حسن غريب وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٢٨٥) لابن سعد والطبراني وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٦٣) رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده رجال مختلف فيهم وقد ورد الحديث بروايات أخرى صحيحة منها من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً بنحو حديث أبي سعيد رواه أحمد في المسند (٤/٣٦٦ ، ٣٦٧) وابن حبان في صحيحه برقم (١٢٣) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج ابن حبان في صحيحه برقم (١٢٣) ورواه مسلم مختصراً ومطولاً (٢/٤٣٧ ـ ٢٣٨).

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ يعني بـه يوم القيـامة ، لأن النـاس فيه بين مُثَابٌ بالجنة ومُعاقَبٌ بالنار فوصِف وجه المُثَاب بالبياض لإسفاره بالسرور ، ووصف وجه المُعَاقَب بالسواد لإنكسافه بالحزن .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ وفي هؤلاء الذين كفرواْ بعد إيمانهم أربعة أقاويل :

الأول : أنهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق ، وهو قول الحسن .

والثاني : أنهم الذين كفروا بالارتداد بعد إسلامهم ، وهو قول مجاهد .

والثالث : هم الذين كفـرواْ من أهل الكتـاب بالنبي ﷺ بعـد إيمـانهم بِنَعْتِهِ ووصفه ، وهو قول الزجاج .

والرابع : هم جميع الكفار لإعـراضهم عما يـوجبه الإقـرار بـالتـوحيد حين أَشْهَدَهُم الله تعالى على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو قول أبي بن كعب.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ
مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ

﴿ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

﴿ كنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فإن قيل : فَلِمَ قال كنتم خير أمة ولم يقل أنتم خير أمة ؟ ففيه أربعة أجوبة :

أحدها : أن الله تعالى قد كان قدم البشارة لهم بأنهم خير أمة ، فقال : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ يعني إلى ما تقدم في البشارة ، وهذا قول الحسن البصري .

وقد روي عن النبي ﷺ قال : « أَنْتُم تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمةً أَنْتُم خَيرُهَا وأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ »(٣٩٦) .

والثاني : أن ذلك لتأكد الأمر لأن المتقدم مستصحب وليس الآنف متقدماً ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

والثالث : معناه خلقهم خير أمّة .

والرابع : كنتم خير أمّة في اللوح المحفوظ .

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

(٣٩٦) رواه الترمذي برقم (٣٠٠١) وأحمد (٦١/٣) وابن ماجه برقم (٤٢٨٨) والحاكم في المستدرك (٨٤/٤) والطبري بنفس لفظ المؤلف هنا (١٠٤/٧ برقم ٧٦٢١ ، ٧٦٢٢) قال الترمذي حديث حسن وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٦٩/٨) هو حديث حسن صحيح .

وزاد السيوطي في الدر (٢٩٤/٢) نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير (٣٩١/١) « يروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه» .

قلت : رواية أبي سعيد الخدري التي ذكرها ابن كثير رواها أحمد في المسند مطولة برقم (١١٠٦٩) وصححها الشيخ أحمد شاكر .

تنبيه : لا يصح تصدير الحديث بصيغة التمريض المشعرة بالضعف .

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً ، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** ﴾ روي عن ابن عباس أن سبب نزولها أنه أسلم عبد الله بن سلام وجماعة معه ، فقالت أحبار اليهود : ما آمن بمحمد إلّا شرارنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾(٣٩٧) .

﴿ **أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : عادلة ، وهو قول الحسن ، وابن جريج .

والثاني : قائمة بطاعة الله ، وهو قول السدي .

والثالث : يعني ثابتة على أمر الله تعالى ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع .

﴿ **يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ساعات الليل ، وهو قول الحسن ، والربيع .

والثاني : جوف الليل ، وهو قول السدي .

واختلف في المراد بالتلاوة في هذا الوقت على قولين :

أحدهما : صلاة العَتْمَةِ ، وهو قول عبد الله بن مسعود .

والثاني : صلاة المغرب والعشاء ، وهو قول الثوري .

---

(٣٩٧) رواه ابن جرير في التفسير (٧/ ١٢٠) وفي سنده محمد بن أبي محمد . وقد سبق الكلام عليه مراراً .

﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدهـا : يعني سجود الصلاة .

والثاني : يريد الصلاة لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، وهذا قول الزجاج ، والفراء .

والثالث : معناه يتلون آيات الله أناء الليل وهم مع ذلك يسجدون .

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ اختلفوا في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في أبي سفيان وأصحابه يوم بدر عند تظاهرهم على رسول الله ﷺ .

والثاني : أنها نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حرب المشركين على جهة النفاق .

وفي الصّرّ تأويلان :

أحدهما : هو البرد الشديد ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه صوت لهب النار التي تكون في الريح ، وهو قول الزجاج ، وأصل الصّر صوت من الصرير .

﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه أن ظلمهم اقتضىٰ هلاك زرعهم .

والثاني : يعني أنهم ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع وفي غير وقته فجاءت ريح فأهلكته فضرب الله تعالى هذا مثلاً لهلاك نفقتهم .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ قيل إنها نزلت في قوم من المسلمين صَافُوا بعض المشركين من اليهود والمنافقين المودة لمصاحبة في الجاهلية فَنُهُوا عن ذلك .

والبطانة هم خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره ، والأصل البطن ، ومنه بطانة الثوب لأنها تلي البطن .

﴿ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ أي لا يقصرون في أمركم . والخبال : النَّكَال ، وأصله الفساد ومنه الخبل الجنون .

﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ودوا إضلالكم عن دينكم ، وهو قول السدي .

والثاني : ودوا أن تعنتوا في دينكم أي تحملون على المشقة فيه ، وهو قول ابن جريج ، وأصل العنت المشقة .

﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي بدا منها ما يدل عليها

﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ ﴾ مِمَّا بدا .

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ واختلفوا في أي مكان كان على قولين :

أحـدهما : أنـه كان يـوم أُحد ، وهـو قول ابن عبـاس ، والربيـع ، وقتـادة ، والسدي ، وابن إسحاق .

والثاني : أنه كان يوم الأحزاب ، وهو قول الحسن ، ومجاهد .

﴿ تُبَوِّىءُ ﴾ أي تتخذ منزلاً تبوىء فيـه المؤمنين . ومعنى الآية : أنـك ترتب المؤمنين في مواضعهم .

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : سميع بما يقوله المنافقون ، عليم بما يضمرونه من التهديد .

والثاني : سميع لما يقولـه المشيرون عليـك ، عليم بما يضمـرون من نصيح الرأي وغش القلوب .

والثالث : سميع لما يقوله المؤمنون عليم بما يضمرونه من خلوص النية .

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ ﴾ اختلف فيها على قولين :

أحدهما : أنهم بنـو سلمة وبنـو حارثـة من الأنصار ، وهـو قول ابن عبـاس ، وجابر بن عبد الله ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : أنهم قوم من المهاجرين والأنصار .

وفي سبب همّهم بالفشل قولان :

أحدهما : أن عبد الله بن أبي بن سلول دعاهما إلى الرجوع عن لقاء المشـركين يوم أُحد ، فهمّا به ولم يفعلا ، وهذا قول السدي ، وابن جريج .

والثـاني : أنهم اختلفوا في الخـروج في الغدو والمقـام حتى همّا بـالفشـل ، والفشل الجبن .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ وبدر ماءٌ نزلوا عليـه كان لـرجل يسمى بدر ، قال الزبير بن بكار هو بدر بن النضر بن كنانة فسمي باسم صاحبه ، وهذا قول الشعبي ، وقال غيره بل هو اسم له من غير إضافة إلى إسم صاحب .

﴿ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ قولان :

أحدهما : الضعف عن مقاومة العدو .

والثاني : قلة العدد وضعف الحال .

قال ابن عباس : كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف .

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم
بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني يوم بدر .

﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَآفٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ والكفاية مقدار سد الخلة . والاكتفاء الاقتصار عليه ، والإمداد إعطاء الشيء حالاً بعد حال ، والأصل في الإمداد هو الزيادة ومنه مد الماء وهو زيادته .

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَورِهِم هَذَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني من وجههم هذا ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

والثاني : من غضبهم هذا ، وهو قول مجاهد والضحاك وأبي صالح ، وأصل الفور فور القِدْر ، وهو غليانها عند شدة الحمى ، ومنه فَوْرُ الغضب لأنه كفَوْرِ القِدْر .

﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسِةِ ءالَآفٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ قرأ بكسر الواو ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ومعناها : أنهم سوّموا خيلهم بعلامة ، وقرأ الباقون بفتح الواو ، ومعناها : أنها سائمة وهي المرسلة في المرعى .

واختلفوا في التسويم على قولين :

أحدهما : أنه كان بالصوف في نواصي الخيل وآذانها ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

الثاني : أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر ، وهو قول هشام بن عروة .

واختلفواْ في عددهم فقال الحسن : كانواْ خمسة آلاف ، وقال غيره كانواْ ثمانية آلاف .

قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة إلا يوم بدر .

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كان يوم بدر بقتل صناديدهم وقادتهم إلى الكفر ، وهذا قول الحسن وقتادة .

والثاني : أنه كان يوم أُحد ، وكان الذي قتل منهم ثمانية عشر رجلاً ، وهذا قول السدي .

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً ﴾ ولم يقل وسطاً لأن الطرف أقرب للمؤمنين من الوسط ، فاختص القطع بما هو إليهم أقرب كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ .

[التوبة : ١٢٣]﴿ أَوْ يَكْبِتَهُم فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴾ ، في ﴿ يَكْبِتَهُم ﴾ قولان :

أحدهما : يحزنهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

والثاني : الكبت : الصرع على الوجه ، وهو قول الخليل .

والفرق بين الخائب والآيس أن الخيبة لا تكون إلا بعد أمل ، واليأس قد يكون قبل أمل .

﴿ لَيسَ لَكَ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيءٌ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ليس لك من الأمر شيء في عقابهم واستصلاحهم ، وإنما ذلك إلى الله تعالى في أن يتوب عليهم أو يعذبهم .

والثاني : ليس لك من الأمر شيء فيما تريده وتفعله في أصحابك وفيهم ،

وإنما ذلك إلى الله تعالى فيما يفعله من اللطف بهم في التوبة والاستصلاح أو في العذاب والانتقام .

والثالث : أنزلت على سبب لما كسرت رباعيته ﷺ .

واختلفوا في السبب فيه على قولين :

أحدهما : أن قوماً قالوا بعد كسر رباعيته : كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم ، وهو حريص على هدايتهم فنزلت هذه الآية ، وهذا قول ابن عباس ، وأنس بن مالك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : أن النبي ﷺ هَمَّ بعد ذلك بالدعاء عليهم فاستأذن فيه ، فنزلت هذه الآية فكف وإنما لم يؤذن فيه لما في المعلوم من توبة بعضهم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ يريد بالأكل الأخذ ، والربا زيادة القدر مقابلة لزيادة الأجل ، وهو ربا الجاهلية المتعارف بينهم بالنَّساء .

﴿أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾ وهو أن يقول له بعد حلول الأجل : إما أن تَقْضِيَ وإِمَّا

أَنْ تُرْبِيَ ، فإن لم يفعله ضاعف ذلك عليه ثم يفعل كذلك عند حلوله من بعد حتى تصير أضعافاً مضاعفة .

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فدل أن الربا من الكبائر التي يستحق عليها الوعيد بالنار .

واختلفوا في نار آكل الربا على قولين :

أحدهما : أنها كنار الكافرين من غير فرق تمسكاً بالظاهر .

والثاني : أنها ونار الفجار أخف من نار الكفار ، لما بينهما من تفاوت المعاصي .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُم ﴾ أما الفاحشة ها هنا ففيها قولان :

أحدهما : الكبائر من المعاصي .

والثاني : الربا وهو قول جابر والسدي .

﴿ أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُم ﴾ قيل المراد به الصغائر من المعاصي .

﴿ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم ذكروه بقلوبهم فلم ينسوه ، ليعينهم ذكره على التوبة والاستغفار .

والثاني : ذكروا الله قولاً بأن قالوا : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، فإن الله قد سهل على هذه الأمة ما شدد على بني إسرائيل ، إذ كانوا إذا أذنب الواحد منهم أصبح مكتوباً على بابه من كفارة ذنبه : إجدع أنفك ، إجدع أذنك ونحو ذلك ، فجعل الاستغفار ، وهذا قول ابن مسعود وعطاء بن أبي رباح .

﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُواْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الإصرار على المعاصي ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه مواقعة المعصية إذا هم بها ، وهو قول الحسن .

والثالث : السكوت على المعصية وترك الاستغفار منها ، وهو قول السدي .

والرابع : أنه الذنب من غير توبة .

﴿ وَهُم يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم قد أتوا معصية ولا ينسونها ، وقيل : معناه وهم يعلمون الجهة في أنها معصية .

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿ قَد خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه سنن من الله في الأمم السالفة أهلكهم بها .

والثاني : يعني أنهم أهل سنن كانوا عليها في الخير والشر ، وهو قول الزجاج ، وأصل السنة الطريقة المتبعة في الخير والشر ، ومنه سنة النبي ﷺ ، قال لبيد بن ربيعة :

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سُنَّةٌ وإمامها(٣٩٨)

وقال سليمان بن فيد :

فإن الألى بالطف من آل هاشمٍ ... تآسَوْا فسنوا للكرام التآسيا(٣٩٩)

(٣٩٨) من معلقة لبيد . أنظر المعلقات السبع .

(٣٩٩) الصواب أنه سليمان ابن قته وقته هي أمه وهو مولى لتيم قريش ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٢/٢/٣٣) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/١/١٣٦) .

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه القرآن ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه ما تقدم ذكره في قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ الآية ، وهذا قول ابن إسحاق .

﴿ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ نور وأدب .

﴿ إِن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ يعني أن يصيبكم قرح ، قرأ أبو بكر عن عاصم ، وحمزة ، والكسائي بضم القاف ، وقرأ الباقون بفتحها ، وفيها قولان :

أحدهما : أنها لغتان ومعناهما واحد .

والثاني : أن القرح بالفتح : الجراح ، وبالضم ألم الجراح ، وهو قول الأكثرين .

وأما الفرق بين المس واللمس فهو أن اللمس مباشرة بإحساس ، والمس مباشرة بغير إحساس ، وهذا ما ذكره الله تعالى للمؤمنين تسلية لهم فإن أصابهم يوم أحد قرح فقد أصاب المشركين يوم بدر مثله .

﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ قال الحسن ، وقتادة : أي تكون مرة لفرقة ، ومرة عليها والدولة : الكرة ، يقال أدال الله فلاناً من فلان بأن جعل الكرة له عليه .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : معناه ليبتلي ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : يعني بالتمحيص تخليصه من الذنوب ، وهو قول أبي العباس والزجاج ، وأصل التمحيص عندهما التخليص .

والثالث : معناه وليمحص الله ذنوب الذين آمنوا ، وهو قول الفراء ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ قال ابن عباس : ينقصهم .

= والبيت مذكور في اللسان مادة (أس) أنساب الأشراف (٣٣٩/٥)، تاريخ الطبري (١٨٤/٧)، تفسير الطبري (٢٣١/٧).

وقد نبه على التصحيف المتقدم في اسم الشاعر صاحب تخريج الطبري .

﴿ وَلَقَدْ كُنتُم تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾ قيل تمنى الموت بالجهاد من لم يحضر بدراً ، فلما كان يوم أحد أعرض كثير منهم فعاتبهم الله تعالى على ذلك ، هكذا قال الحسن وقتادة ومجاهد .

﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُم تَنظُرُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني فقد علمتموه .

والثاني : فقد رأيتم أسبابه .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ .

سبب نزولها أنه لما أشيع يوم أحد أن النبي ﷺ قد قتل ، قال أناس : لو كان نبياً ما قتل ، وقال آخرون : نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به .

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ يعني رجعتم كفاراً بعد إيمانكم .

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنيا نُؤْتِهِ مِنهَا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أراد بجهاده ثواب الدنيا أي ما يصيبه من الغنيمة ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة ، وهذا قول ابن إسحاق .

والثالث : من أراد ثواب الدنيا بالنهوض لها بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي عليها في الدنيا دون الآخرة .

﴿ وَكَأَيِّن مِن نَّبِيٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ قرأ بذلك ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وقرأ الباقون ﴿ قَاتَلَ ﴾ ، وفي ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الذين يعبدون الرب وأحدهم رِبِّيٌّ ، وهو قول بعض نحْويي البصرة .

الثاني : أنهم الجماعات الكثيرة ، وهو قول ابن مسعود وعكرمة ومجاهد .

والثالث : أنهم العلماء الكثيرون ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والرابع : أن (الربيون) الأتباع ، والربانيون : الولاة ، والربيون الرعية ، وهو قول أبي زيد ، قال الحسن : ما قُتِلَ نبي قط إلَّا في معركة .

﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ الوهن : الانكسار بالخوف . الضعف نقصان القوة ، الاستكانة الخضوع ، ومعناه فلم يهنوا بالخوف ، ولا ضعفوا بنقصان القوة ولا استكانواْ بالخضوع .

وقال ابن إسحاق : فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانواْ لما أصابهم .

﴿ فَآتَاهُم اللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنيَا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ ﴾ في ثواب الدنيا قولان :

أحدهما : النصر على عدوهم ، وهو قول قتادة ، والربيع .

والثاني : الغنيمة ، وهو قول ابن جريج ﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ﴾ الجنة ، في قول الجميع .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ

أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟
بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم
بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ
ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ
أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ
لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ أي تقتلونهم في قول الجميع ، يقال حَسّه يحسه حَسّاً إذا قتله ، لأنه أبطل بمعونته .

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ﴾ والفرق بين الإصعاد والصعود أن الإصعاد في مستوى الأرض ، والصعود في ارتفاع ، وهذا قول الفراء ، وأبي العباس ، والزجاج ، وروي عن ابن عباس(٤٠٠) أنهم صعدوا في جبل أُحُد فراراً .

﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم ﴾ قيل إنه كان يقول : « يا عِبادَ اللهِ ارْجِعُواْ » ذكر ذلك عن ابن عباس، والسدي ، والربيع .

﴿ فَأَثَابَكُم غماً بِغَمٍّ ﴾ فيه قولان :

(٤٠٠) رواها الطبري (٣٠٣/٧) وزاد السيوطي نسبتها في الدر (٣٥٠/٢) لابن المنذر ورواية السدي رواها الطبري عقب رواية ابن عباس مباشرة (٣٠٣/٧) .

أحدهما : غماً على غم .

والثاني : غمّاً مع غم .

وفي الغم الأول والثاني تأويلان :

أحدهما : أن الغم الأول القتل والجراح ، والغم الثاني الإرجاف بقتل النبي ﷺ ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

والثاني : غماً يوم أحد بغم يوم بدر ، وهو قول الحسن .

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيكُم مِنْ بَعدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعاساً يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ، وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ وسبب ذلك أن المشركين يوم أُحد توعدوا المؤمنين بالرجوع ، فكان من أخذته الأَمَنَةُ من المؤمنين متأهبين للقتال ، وهم أبو طلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وغيرهم فناموا حتى أخذتهم الأَمَنَةُ . ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ من الخوف وهم من المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، ومعتب بن قشير ، ومن معهما أخذهم الخوف فلم يناموا لسوء الظن .

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ﴾ يعني في التكذيب بوعده .

﴿ يَقُولُونَ لَو كَانَ لَنَا مِنَ ٱلأَمْرِ شَيءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إنّا أخرجنا كرهاً ولو كان الأمر إلينا ما خرجنا ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أي ليس لنا من الظفر شيء ، كما وعدنا ، على جهة التكذيب لذلك .

﴿ قُلْ لَّو كُنتُم فِي بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني لو تخلفتم لخرج منكم المؤمنون ولم يتخلفوا بتخلفكم .

والثاني : لو تخلفتم لخرج منكم الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، ولم ينجهم قعودهم .

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُم ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر .

والثاني : معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء إليه تفخيماً لشأنه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُم يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ فيهم تأويلان :

أحدهما : هم كل من ولّى الدبر من المشركين بأُحد وهذا قول عمر ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : أنهم من هرب إلى المدينة وقت الهزيمة ، وهذا قول السدي .

﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه محبتهم للغنيمة وحرصهم على الحياة .

والثاني: استذلّهم بذكر خطايا سلفت لهم، وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها، وهذا قول الزجاج.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنهُم﴾ فيه قولان:

أحدهما : حلم عنهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة ، وهذا قول ابن جريج وابن زيد .

والثاني : غفر لهم الخطيئة ليدل على أنهم قد أخلصواْ التوبة .

وقيل : إن الذين بقوا مع النبي ﷺ لم ينهزموا ثلاثة عشر رجلاً ، منهم خمسة من المهاجرين : أبو بكر ، وعلي ، وطلحة ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبي وقاص ، والباقون من الأنصار .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ
حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن
مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ
فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن
ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ
جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ
وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُم ﴾ يعني فبرحمة من الله ، و﴿ مَا ﴾ صلة دخلت لحسن النظم .

﴿ وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ الفظ : الجافي ، والغليظ القلب : القاسي ، وجمع بين الصفتين ، وإن كان معناهما واحداً للتأكيد .

﴿ فَٱعْفُ عَنهُم وَٱسْتَغْفِرْ لَهُم وَشَاوِرْهُم فِي ٱلأَمْرِ ﴾ وفي أمره بالمشاورة أربعة أقاويل :

أحدها : أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه ، قال الحسن : ما شاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .

والثاني: أنه أمره بِمشاورتهم تأليفاً لهم وتطييباً لأنفسهم، وهذا قول قتادة، والربيع .

والثالث : أنه أمره بمشاورتهم لِمَا علم فيها من الفضل ، ولتتأسى أمته بذلك بعده ﷺ ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنياً ، وهذا قول سفيان .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو بفتح الياء وضم العين ، وقرأ الباقون يُغَل بضم الياء وفتح الغين .

ففي تأويل من قرأ بفتح الياء وضم الغين ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فقال بعض الناس أخذها رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهذا قول عكرمة ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أنها نزلت في طلائع كان رسول الله ﷺ وجههم في وجه ، ثم غنم الرسول فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ أي يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك .

والثالث : أن معناه وما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله إليهم لرهبة منه ولا رغبة فيهم ، وهذا قول ابن إسحاق .

وأما قراءة من قرأ يُغَل بضم الياء وفتح الغين ففيها قولان :

أحدهما : يعني وما كان لنبي أن يتهمه أصحابه ويخوِّنوه.

والثاني : معناه وما كان لنبي أن يغل أصحابه ويخونهم ، وهذا قول الحسن ، وقتادة . وأصل الغلول الغلل وهو دخول الماء في خلال الشجر ، فسميت الخيانة غلولاً لأنها تجري في المال على خفاء كجري الماء ، ومنه الغل الحقد لأنه العداوة تجري في النفس مجرى الغلل .

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وفي وجه المنة بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : ليكون ذلك شرفاً لهم .

والثاني : ليسهل عليهم تعلم الحكمة منه لأنه بلسانهم .

والثالث : ليظهر لهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة .

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه يشهد لهم بأنهم أزكياء في الدين .

والثاني : أن يدعوهم إلى ما يكونون به أزكياء .

والثالث : أنه يأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها ، وهو قول الفراء .

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ
أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ
فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا
عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ يعني بالمصيبة التي أصابتهم يوم أُحد ، وبالتي أصابوها يوم بدر .

﴿ قُلْتُمْ : أَنَّى هَـذَا ، قُلْ : هُـوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ ﴾ في الـذي هـو من عنـد أنفسهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : خلافهم في الخروج من المدينة للقتـال يوم أُحـد ، وقد كـان النبي ﷺ أمرهم أن يتحصنواْ بِها ، وهذا قول قتادة ، والربيع .

والثاني : اختيارهم الفداء من السبعين يوم بدر على القتل ، وقـد قيل لهم إن فعلتم ذلك قُتِلَ منكم مثلُهم ، وهذا قول علي ، وعبيدة السلماني .

والثالث : خلاف الرماة يوم أُحد لأمر النبي ﷺ في ملازمة موضعهم .

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليرىٰ المؤمنين .

والثاني : لِيُمَيِّزُواْ من المنافقين .

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه .

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَواْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعني جاهدواْ .

﴿ أَوِ ٱدْفَعُوا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني تكثير السواد وإن لم يقاتلواْ وهو قول السدي وابن جريج .

والثـاني : معنـاه رابـطواْ على الخيـل إن لم تقـاتلواْ ، وهـو قـول ابن عـوف الأنصاري .

﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قيل إن عبد الله بن عمرو بن حزام قال لهم : [اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم فقال لـه ابن أبي]: عَلاَمَ نقتـل أنفسنا ؟ ارجعـواْ بنا لـو نعلم قتالاً لاتبعناكم .

﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُم لِلإِيمَانِ ﴾ لأنهم بـإظهار الإيمـان لا يحكم عليهم بحكم الكفار ، وقد كانوا قبل ذلك بـإظهار الإيمـان أقرب إلى الإيمـان ، ثم صاروا بما فعلوه أقرب إلى الكفر من الإيمان .

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني ما يظهرونه من الإسلام وليس في قلوبهم منه شيء .

وإنما قال: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ وإن كان القول لا يكون إلا به لأمرين :
أحدهما : التأكيد .

والثاني : أنه ربما نسب القول إلى الساكت مجازاً إذا كان به راضياً .

﴿ الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِم وَقَعَدُواْ : لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه حين انخذلوا وقعدواْ ، وكانوا نحو ثلثمائة وتخلف عنهم من قُتل منهم (فقالواْ) لو أطاعونا وقعدواْ معنا ما قُتِلواْ .

﴿ قَلْ فَادْرَؤُواْ عَن أَنفُسِكُم الْمَوتَ ﴾ أي ادفعواْ عن أنفسكم الموت ، ومنه قول الشاعر :

تقول وقد درأتُ لها وضيني أهـذا دينه أبـداً وديني[٤٠١]

﴿ إن كُنتُم صَادِقِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني في خبركم أنهم لو أطاعواْ ما قُتِلواْ .

والثاني : معناه إن كنتم محقين في تثبيطكم عن الجهاد فراراً من القتل .

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾
فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ
مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ
قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ
حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ
سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

(٤٠١) هو المثقب العبدي وقد سبق تخريجه في سورة الفاتحة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ يعني أنهم في الحال وبعد القتل بهذه الصفة . فأما في الجنة فحالهم في ذلك معلومة عند كافة المؤمنين ، وليس يمتنع إحياؤهم في الحكمة . وقد روى ابن مسعود(٤٠٢) وجابر(٤٠٣) وابن عباس(٤٠٤) أن النبي ﷺ قال : « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُم فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِن ثِمَارِهَا » .

وفي ﴿ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربُّهُم .

والثاني : أنهم أحياء عند ربهم من حيث يعلم أنهم أحياء دون الناس .

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامة الله ما أصبنا ، وهو قول قتادة ، وابن جريج .

والثاني : أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه فيبشر بذلك فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه ، وهذا قول السدي .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ : إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُم ﴾ أما الناس في الموضعين وإن كان بلفظ الجمع فهو واحد لأنه تقدير الكلام جاء القول من قِبَل الناس ، والذين قال لهم الناس هم المسلمون وفي الناس القائل قولان :

---

(٤٠٢) رواها مسلم (٩٨/٢) والترمذي (٨٤/٤ ـ ٨٥) وابن جرير (٣٨٦/٧) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣٧٣/٢) لعبد الرزاق في المصنف والفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في الدلائل من طرق عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود مرفوعاً .

(٤٠٣) رواها أحمد في المسند برقم (١٤٩٣٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر .

(٤٠٤) وهي الرواية التي أتى بها المؤلف هنا .

رواها أحمد برقم (٢٣٨٩) وأبو داود (رقم ٢٥٢٠) والحاكم (٢٩٧/٢) وفيه زيادة وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن جرير (٣٨٥/٧) لكن لم يذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس ولهذا قال الحافظ ابن كثير على زيادة سعيد بن جبير في الإسناد «هذا أثبت» .

والحديث ذكره السيوطي في الدر (٣٧١/٢) وزاد نسبته لهناد بن السري وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل .

أحدهما : هو أعرابي جُعِل له على ذلك جُعْل ، وهذا قول السدي .

والثاني : هو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول الواقدي .

والناس الثاني أبو سفيان وأصحابه . واختلفوا في الوقت الذي أراد أبو سفيان أن يجمع لهم هذا الجمع على قولين :

أحدهما : بعد رجوعه على أُحُد سنة ثلاث حتى أوقع الله في قلوب المشركين الرعب كفّوا ، وهذا قول ابن عباس ، وابن إسحاق ، وقتادة .

والثاني : أن ذلك في بدر الصغرىٰ سنة أربع بعد أحد بسنه ، وهذا قول مجاهد .

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ التخويف من الشيطان والقول من الناس ، وفي تخويف أوليائه قولان :

أحدهما : أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة(٤٠٥) .

والثاني : أنه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدواْ عن قتال المشركين ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا
يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ
بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ

(٤٠٥) وقد استظهر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وقال هذا هو الصواب الذي عليه جمهور المفسرين كإبن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة والنخعي وأهل اللغة كالفراء وابن قتيبة والزجاج وابن الأنباري أنظر الدقائق (١/ ٣٠٥) .

وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ
يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا
بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : هم المنافقون ، وهو قول مجاهد وإبن إسحاق .

والثاني : قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام .

﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ ﴾ في إرادته لذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن يحكم بذلك .

والثاني : معناه أنه سيريد في الآخرة أن يحرمهم ثوابهم لإحباط إيمانهم بكفرهم .

والثالث : يريد أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من ذنوبهم ، وهذا قول إبن إسحاق .

﴿ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ الطيب المؤمنون ، والخبيث فيه ها هنا قولان :

أحدهما : المنافق ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الكافر ، وهو قول قتادة ، والسدي .

واختلفوا في الذي وقع به التمييز على قولين :

أحدهما : بتكليف الجهاد ، وهذا قول من تأوّل الخبيث بالمنافق .

والثاني : بالدلائل التي يستدل بها عليهم وهذا قول من تأوله للكافر .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ قيل إن سبب نزول هذا أن قوماً من المشركين قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن لا يؤمن ، فنزلت هذه الآية .

قال السدي : ما أطلع الله نبيه على الغيب ، ولكنه اجتباه فجعله رسولاً .

قوله تعالى : **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُم﴾** فيه قولان :

أحدهما : أنهم مانعو الزكاة ، وهو قول السدي .

والثاني : أنهم أهل الكتاب وبخلواْ أن يُبيِّنوا للناس ما في كتبهم من نبوة محمد ﷺ ، وهو قول ابن عباس ، قال ألم تسمع أنه قال : **﴿ يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾**، أي يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان .

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الذي يطوَّقونه شجاع(*) أقرع ، وهذا قول ابن مسعود .

والثاني : أنه طوق من النار ، وهذا قول إبراهيم(٤٠٦) .

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ
وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ
قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ
أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ
وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ

(*) هو نوع شديد السم من الحيات لا ريش له من كثرة السم.

(٤٠٦) ورواه عنه عبد الرزاق وسعيد بن منصور بسند جيد كما قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣٠).

ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيراً ﴾ . وفي هذا الأذى ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما روي أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي ﷺ والمؤمنين ويحرض عليهم المشركين حتى قتله محمد بن مسلمة ، وهذا قول الزهري .

والثاني : أن فنحاص(٤٠٧) اليهودي سيد بني قينقاع لما سئل الإمداد قال : احتاج ربكم إلى أن نمده ، وهذا قول عكرمة .

والثالث : أن الأذى ما كانوا يسمعونه من الشرك كقول اليهود : عزير ابن الله ، وكقول النصارى : المسيح ابن الله ، وهذا قول ابن جريج .

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ ﴾ الميثاق : اليمين . وفي الذين أوتوا الكتاب ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم اليهود خاصة ، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي .

---

(٤٠٧) وقد ورد في سبب نزول الآية قولاً آخر عن ابن عباس

قال الحافظ روى ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس أنها نزلت في ما كان بين أبي بكر وبين فنحاص اليهودي في قوله تعالى : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ تعالى الله عن قوله فغضب أبو بكر فنزلت .

والثاني : أنهم اليهود والنصارى .

والثالث : أنهم كل من أوتي علم شيءٍ من كتاب فقد أخذ أنبياؤهم ميثاقهم .

﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليبين نبوة محمد ﷺ ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والسدي .

والثاني : ليبين الكتاب الذي فيه ذكره ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أهل الكتاب فرحوا بالاجتماع على تكذيب النبي ﷺ وإخفاء أمره ، وأحبوا أن يحمدوا بما ليس فيهم من أنهم أهل نسك وعلم ، وهذا قول ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : أنهم أهل النفاق فرحوا بقعودهم عن القتال وأحبوا أن يحمدوا بما ليس فيهم من الإيمان بمحمد ﷺ ، وهذا قول أبي سعيد الخدري ، وابن زيد .

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ
﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا
فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا
مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ في المنادي قولان :

أحدهما : أنه القرآن وهو قول محمد بن كعب القرظي قال : ليس كل الناس سمع رسول الله ﷺ .

والثاني : أنه النبي ﷺ ، وهو قول ابن جريج وابن زيد . .

﴿ يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ أي إلى الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف : ٤٣] بمعنى إلى هذا . ومنه قول الراجز :

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثُّبّتِ(٤٠٨)

يعني أوحى إليها كما قال تعالى: ﴿ بأنَّ ربكَ أوحىٰ لها ﴾[الزلزلة: ٥] أي إليها .

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ فإن قيل فقد علمواْ أن الله تعالى منجز وعده فما معنى هذا الدعاء والطلب ، ففي ذلك أربعة أجوبة :

أحدها : أن المقصود به ، مع العلم بإنجاز وعده ، الخضوع له بالدعاء والطلب .

والثاني : أن ذلك يدعو إلى التمسك بالعمل الصالح .

والثالث : معناه اجعلنا ممن وعدته ثوابك .

والرابع : يعني عجّل إلينا إنجاز وعدك وتقديم نصرك .

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ حكى مجاهد ، وعمرو بن دينار أن سبب نزول هذه الآية أن أم سلمة قالت : يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء ؟ فنزلت هذه الآية(٤٠٩) .

﴿ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ ﴾ أي الإناث من الذكور ، والذكور من الإناث .

---

(٤٠٨) هو العجاج بن رؤبة وقد سبق تخريج البيت .

(٤٠٩) سيأتي تخريجه موسعاً في سورة النساء عند قوله تعالى :

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾. الآية .

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ﴾ فإن قيل : فإن النبي ﷺ لا يجوز عليه الاغترار فكيف خوطب بهذا ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أن الله عز وجل إنما قال له ذلك تأديباً وتحذيراً .

والثاني : أنه خطاب لكل من سمعه . فكأنه قال : لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد .

وفي تقلبهم قولان :

أحدهما : يعني تقلبهم في نعيم البلاد .

والثاني : تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم .

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ اختلفوا في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في النجاشي ، روى سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : « أَخْرُجُوا فَصَلُّواْ عَلَى أَخٍ لَكُم فَصَلَّى بِنَا أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ ، فَقَالَ هَذَا النَّجَاشِيُّ أصحمة » فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : انظرواْ إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط(٤١٠) فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهو قول قتادة .

(٤١٠) رواه الطبري (٧/٤٩٦) وسنده ضعيف من أجل أبو بكر الهذلي ورواد بن الجراح وابنه عصام بن =

والثاني : أنها نـزلت في عبد الله بن سـلام وغيره من مُسلمـة أهل الكتـاب ، وهذا قول مجاهد ، وابن جريج .

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ فيه أربعة تأويلات : ـ

أحـدها : اصبـرواْ على طاعـة الله ، وصابـرواْ أعداء الله ، ورابـطواْ في سبيل الله ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ، والضحاك .

والثـاني : اصبرواْ على دينكم ، وصـابرواْ الـوعـد الـذي وعـدكم ، ورابـطواْ عدوي وعدوكم ، وهو قول محمد بن كعب .

والثالث : اصبرواْ على الجهاد ، وصابـرواْ العدو ، ورابـطواْ بملازمـة الثغر ، وهو مأخوذ من ربط النفس ، ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ، وهو معنى قول زيد بن أسلم .

والـرابـع : رابـطوا على الصلوات بـانتـظارهـا واحـدة بعـد واحـدة : روى العلاء[٤١١] بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَلَا أَدُلُّكُم عَلَى مَا يَحِطُّ بِهِ اللَّهُ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُواْ بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغ ٱلْوُضُوءِ عَلَىٰ المَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ وَانتِظَار الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَٰلِكُم الرِّبَاطُ** » .

انتهت سورة آل عمران

= رواد وضعفه الطبري بقوله (ص ٤٩٩) « خبر في إسناده نظر » .

تنبيـه : ـ صلاة النبي ﷺ على النجـاشي ثابتـة من طرق أخـرى صحيحة عن جـابر وأبي هـريرة وهي موجودة في الصحيحين .

(٤١١) رواه مسلم (١/٢١٩) والترمذي (بـرقـم ٥١) والنسائي (١/٨٩ ـ ٩٠) وزاد السيـوطي نسبته في الدر (٢/٤١٧) لمالك والشافعي وعبد الرزاق وابن أبي حاتم . . . . .

قلت : ورواه الطبري (٧/٥٠٦) برقم (٨٣٩٧) .

سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

مدنية ، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ مفاتيح الكعبة فيسلمها إلى عمه العباس وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُم ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم ، وفي ذلك نعمة عليكم لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم .

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن خلقت من ضلع آدم ، وقيل الأيسر ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع أعوج .

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها عليه : « خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ فَهَمُّهَا فِي الرَّجُلِ ، وَخُلِقَ الرَّجُلُ مِنَ التُّرَابِ فَهَمُّهُ فِي التُّرَابِ »(٤١٢) .

---

(٤١٢) ورد موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنه مع اختلاف يسير في ألفاظه رواه ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٤٤٨/١) وابن المنذر والبيهقي في الشعب كما نسبه السيوطي إليهما في الدر (٤٢٣/٢) .

﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ ﴾ ومعنى قوله تساءلون به ، هو قولهم أسألك بالله وبالرحم ، وهذا قول مجاهد وإبراهيم ، وقرأ حمزة والأرحام بالكسر على هذا المعنى .

وفي الأرحام قولٌ آخر : أنه أراد صِلُوها ولا تقطعوها ، وهو قول قتادة ، والسدي ، لأن الله تعالى قصد بأول السورة حين أخبرهم أنهم من نفس واحدة أن يتواصلواْ ويعلمواْ أنهم إخوة وإن بعدواْ .

﴿ إنَّ آللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيباً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : حفيظاً ، وهو قول مجاهد .

والثاني : عليماً ، وهو قول ابن زيد .

وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وءَاتُواْ اليَتَامَىٰ أَمْوَالَهُم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بالطَّيِّبِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الحرام بالحلال ، وهو قول مجاهد .

والثاني : هو أن يجعل الزائف بدل الجيد ، والمهزول بدل السمين ويقول درهم بدرهم ، وشاة بشاة ، وهو قول ابن المسيب والزهري والضحاك والسدي .

والثالث : هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال ، وهو معنى قول مجاهد .

والرابع : أن أهل الجاهلية كانواْ لا يورثون الصغار والنساء ويأخذه الرجل

الأكبر ، فكان يستبدل الخبيث بالطيب لأن نصيبه من الميراث طيب ، وأخذه الكل خبيث ، وهو قول ابن زيد .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَالِكُمْ ﴾ أي مع أموالكم ، وهو أن يخلطوها بأموالهم لتصير في ذمتهم فيأكلوا ربحها .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ والحُوب : الإثم ، ومنه قولهم تحوّب فلانٌ من كذا ، إذا توقّىٰ ، قال الشاعر :

فإن مهاجرين تكنفاهُ　　غداة إذٍ لقد خطئا وحَابَا[٤١٣]

قال الحسن البصري : لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامىٰ كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل ماله عن ماله فشكواْ ذلك إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] أي فخالطوهم واتقوا إثمه .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ فيه أربع تأويلات :

أحدها : يعني إن خفتم ألا تعدلواْ في نكاح اليتامى ، فانكحواْ ما حَلَّ لكم من غيرهن من النساء ، وهو قول عائشة رضي الله عنها .

والثاني : أنهم كانواْ يخافون ألّا يعدلوا في أموال اليتامىٰ ، ولا يخافون أن لا يعدلواْ في النساء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، يريد كما خفتم ألّا تعدلواْ في أموال اليتامىٰ ، فهكذا خافوا ألا تعدلواْ في النساء ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة .

والثالث : أنهم كانوا يتوقّون أموال اليتامىٰ ولا يتوقّون الزنىٰ ، فقال كما خفتم في أموال اليتامىٰ ، فخافواْ الزنىٰ ، وانكحوا ما طاب لكم من النساء ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : أن سبب نزولها ، أن قريشاً في الجاهلية كانت تكثر التزويج بغير عدد محصور ، فإذا كثر على الواحد منهم مؤن زوجاته ، وقَلَّ مالُه ، مدّ يده إلى ما

(٤١٣) هو أمية بن الأسكر الليثي . انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٣) .

عنـده من أموال الأيتـام ، فأنـزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ قولان :

أحدهما : أن ذلك عائد إلى النساء وتقديره فانكحوا من النسـاء ما حلَّ . وهذا قول الفراء .

والثاني : أن ذلك عائد إلى النكاح وتقديره فانكحـوا النساء نكـاحاً طيباً . وهذا قول مجاهد .

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ تقديراً لعددهن وحصراً لمن أبيح نكاحـه منهن وهذا قول عكرمة .

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ معـدول به عن اثنين وثـلاث وأربع ، وكـذلك أُحـاد ومَوْحد ، وثُناء ومثنىٰ ، وثلاث ومثلث ، وربـاع ومربـع ، وهو اسم للعـدد معرفـة ، وقد جاء الشعر بمثل ذلك ، قال تميم بن أبي مقبل :

ترىٰ العثرات الزُّرْق تحت لبَانِه ... أُحاد وَمَثْنَىٰ أضعفتها كواهِلهُ(٤١٤)

وقال آخر :

قتلنا به من بين مَثْنى وموحد ... بأربعة منكم وآخر خامس(٤١٥)

قـال أبو عبيـدة : ولم يسمع من العـرب صرف مـا جاوز الـرباع والمـربع عن

(٤١٤) وهو في اللسان في مادة [نعر] واسم الشاعر الصحيـح تميم بن أُبيّ بن مقبل وليس أبي مقبـل كما هنا والبيت من قصيدة له وردت في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٥) والحيـوان (٧/ ٢٣٣) وقد روي البيت في بعضها : النعرات الخضر ، فراد ومثنى .

تنبيه : والبيت في هذه المصادر السابقة وفي الطبري .

نرى النعرات الزرق تحت لبانه ... أحـاد ومثنى صعقتها صـواهله

(٤١٥) قال صاحب تخريج الطبري عن هذا البيت وقد أورده الطبري (٧/ ٧٤٤) هكذا :

وإن الـظلام المستهام بـذكـره ... قتلنـا به من بين مثنى ومـوحد
بـأربعـة منكم وآخـر خـامس ... وساد مع الإظلام في رمح معبد

والبيتان في معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٤) قال : « وقد كان البيت في المطبوعة والمخطوطة » يقصد مطبوعة ومخطوطة الطبري .

قتلنا به من بيـن مثنى ومـوحد ... بـأربعـة منكم وآخـر خـامس

وهو كما ترى ملفق من البيتين اللذين أثبتهما من معاني القرآن .

جهته إلا في بيت للكميت ، فإنه قال في العشرة عُشار وهو قوله :

فلم يَسْتَرِيثُوكَ حتى رَمِذْ ت فوق الرجال خِصالاً عشاراً(٤١٦)

وقال أبو حاتم : بل قد جاء في كلامهم من الواحد إلى العشرة ، وأنشد قول الشاعر :

ضربت خماس ضربة عبشمي أدار سداس ألّا يستقيما

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ يعني في الأربع ، ﴿ فَوَاحِدَةً ﴾ يعني من النساء .

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يعني في الإماء .

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ألاَّ يكثر مَنْ تعولون ، وهو قول الشافعي .

والثاني : معناه ألاّ تضلواْ ، وهو قول ابن إسحاق ، ورواه عن مجاهد .

والثالث : ألا تميلوا عن الحق وتجورواْ وهو قول ابن عباس(٤١٧)، وقتادة ، وعكرمة .

وأصل العول الخروج عن الحد ومنه عول الفرائض لخروجها عن حد السهام المسمّاة ، وأنشد عكرمة بيتاً لأبي طالب :

بميزان قسط لا يَخيسُ شعيرةً ووازن صِدْقٍ وزنهُ غير عائل(٤١٨)

أي غير مائل .

وكتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه فيه : إني لست بميزان قسطٍ لا أعول .

---

(٤١٦) أنظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١١٦)، الأغاني (٣/ ١٣٩)، اللسان مادة [عشر] .

(٤١٧) وقول ابن عباس هنا ذكره البخاري معلقاً (٨/ ٢٤٥ فتح) .

وقال الحافظ وصله سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورويناه في فوائد أبي بكر الآجري بإسناد آخر صحيح إلى الشعبي عن ابن عباس . اهـ . قلت : وقول الحافظ رحمه الله بإسناد آخر . . . الخ .لا يعني به تصحيح هذا السند الآخر إلى ابن عباس فإن الشعبي لم يسمع من ابن عباس، وعلى هذا فالسند الآخر فيه انقطاع . فتنبه .

(٤١٨) من قصيدة لأبي طالب كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٦) .

قوله تعالى : ﴿ وءَآتُواْ ٱلنِّسَاءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ . . . ﴾ اختلف فِيمَنْ توجَّه إليه هذا الخطاب على قولين :

أحدهما : أنه متوجه إلى الأزواج ، وهو قول الأكثرين .

والثاني : أنه متوجه إلى الأولياء ، لأنهم كانواْ يتملكون في الجاهلية صداق المرأة ، فأمر الله بدفع صدقاتهن إليهن ، وهو قول أبي صالح .

وأما النِّحلة فهي العطية من غير بدل ، وسمي الدين نِحْلَةً ، لأنه عطية من الله ، وفي تسمية النّحْل بذلك قولان :

أحدهما : أنه سمي نحلاً لما يعطي من العسل .

والثاني : لأن الله تعالى نَحَلَهُ عباده .

وفي المراد بالنِّحلة في الصداق أربعة تأويلات :

أحدها : يعني فريضة مُسَمَّاة ، وهو قول قتادة ، وابن جريج .

والثاني : أنه نحلة من الله عز وجل لهن بعد أن كان ملكاً للأولياء ، وهو قول أبي صالحٍ .

والثالث : أنه نهىٰ لِمَا كانوا عليه من خِطْبة الشغار ، والنكاح بغير صداق ، وهو قول سليمان بن جعفر بن أبي المعتمر .

والرابع : أنه أراد أن يطيبوا نفساً بدفعه ، كما يطيبون نفساً بالنحل والهبة ، وهو قول بعض المتأخرين .

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً ﴾ يعني الزوجات إن طبن نفساً عن شيء من صداقهن لأزواجهن في قول من جعله خطاباً للأزواج، ولأوليائهن في قول من جعله خطاباً للأولياء.

﴿ فَكُلُوهُ هَنِيّئاً مَّرِيّئاً ﴾ الهنيء ما أعقب نفعاً وشفاء ، ومنه هنأ البعير للشفاء ، قال الشاعر(٤١٩) :

متبدلاً تَبْدُو مَحاسنه ... يَضَعُ الهناءَ مَواضِعَ النُّقبِ

(٤١٩) هو دريد بن الصمة انظر الأغاني (٢٢١١) واللسان مادة [ثقب] .

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٥) وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٦)﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ اختلفوا في المراد بالسفهاء في هذا الموضع على أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم الصبيان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن .

والثاني : أنهم النساء ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : أنه عنى الأولاد المسرفين أن يقسم ماله فيهم فيصير عيالاً عليهم ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد وأبي مالك .

والرابع : أنه أراد كل سفيه استحق في المال حَجْراً ، وهو معنى ما رواه الشعبي عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري(٤٢٠) أنه قال : ثلاثة يَدْعون فلا يستجيب الله لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أُعطى مالاً سفيهاً وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ ، ورجل له على رجل دين لم يُشْهِد عليه .

---

(٤٢٠) اختلف في رفعه ووقفه:

فرواه ابن جرير (٧/٥٦٤) وزاد السيوطي في الدر (٢/٤٣٤) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر موقوفاً ورواه الحاكم عن أبي موسى مرفوعاً (٢/٢٠٣) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى .

قال الذهبي لأن الجمهور رووه عن شعبة موقوفاً ورفعه معاذ بن معاذ عنه رمز السيوطي للحديث في الجامع بالصحة (٣/٣٣٦) الفيض .

ونقل المناوي في الفيض (٣/٣٣٦) عن الذهبي أنه أقر الحاكم على تصحيحه في كتابه التلخيص ولكنه قال في المهذب هو مع نكارته إسناده نظيف وأيما كان فإن الحديث إذا كان موقوفاً فهو من المرفوع حكماً لأنه يتحدث عن أشياء ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها. وقد صحح الحديث أيضاً الشيخ أحمد شاكر في كتابه عمدة التفسير وتكلم عن الاختلاف في رفعه ووقفه فانظره هناك (١/١١١) .

وأصل السفيه خفة الحِلْم فلذلك وصف به الناقص العقل . ووصف به المفسد لماله لنقصان تدبيره ، ووصف به الفاسق لنقصانه عند أهل الدين ، والعلم .

﴿ أَمْوَالَكُمُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني أموال الأولياء ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه عنى به أموال السفهاء ، وهو قول سعيد بن جبير .

﴿ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ قرأ نافع وابن عُمر ﴿ قِيَماً ﴾ ومعناهما واحد ، يريد أنها قُوَامُ معايشكم ومعايش سفهائكم .

﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي أنفقوا أيها الأولياء على السفهاء من أموالهم .

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه الوعد بالجميل ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الدعاء له كقوله بارك الله فيك ، وهو قول ابن زيد .

﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَامَىٰ ﴾ أي اختبروهم في عقولهم وتمييزهم وأديانهم .

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ يعني الحُلُم في قول الجميع .

﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً ﴾ فيه أربع تأويلات :

أحدها : أن الرشد العقل ، وهو قول مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنه العقل والصلاح في الدين ، وهو قول السدي .

والثالث : أنه صلاح في الدين وإصلاح في المال ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، والشافعي .

والرابع : أنه الصلاح والعلم بما يصلحه ، وهو قول ابن جريج .

﴿ فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ يعني التي تحت أيديكم أيها الأولياء عليهم .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ ﴾ يعني لا تأخذوها إسرافاً على غير ما أباح الله لكم ، وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما ليس بمباح ، فربما

كـان في الإفراط ، وربمـا كان في التقصيـر ، غير أنـه إذا كان في الإفـراط فـاللغـة المستعملة فيه أن يقال أسرف إسرافاً ، وإذا كان في التقصير قيل سرف يسرف .

قوله تعالى : ﴿ وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ ﴾ قال ابن عباس : وهو أن تأكل مـال اليتيم تبادر أن يكبر ، فيحول بينك وبين ماله .

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ يعني بماله عن مال اليتيم .

﴿ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه القرض يستقرض إذا احتاج ثم يرده إذا وجد ، وهـو قول عمـر ، وابن عباس ، وجمهور التابعين .

والثاني : أنه يأكل ما يسد الجـوعة ، ويلبس مـا يواري العـورة ، ولا قضاء ، وهو قول الحسن ، وإبراهيم ، ومكحول ، وقتادة .

روى شعبة عن قتادة أن عم ثابت بن رفاعـة ـ وثابت يـومئذ يتيم في حجـره ، أتى رسول الله ﷺ فقال : يـا نبي الله إن ابن أخي يتيم في حجري ، فمـا يحل لي من ماله ؟ قال : « أَنْ تَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيرِ أن تَقِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ وَلاَ تَتَّخِذْ مِنْ مَالِهِ وَقْراً »(٤٢٨) .

والثالث : أن يأكل من ثمره ، ويشـرب من رِسْلِ مـاشيته من غيـر تعرض لِمَـا سوى ذلك من فضة أو ذهب ، وهو قول أبي العالية ، والشعبي .

روى القـاسم بن محمـد قـال : جـاء أعـرابي إلى ابن عبـاس فقـال : إن في حجـري أيتـامـاً ، وإن لهم إبـلاً ، فمـاذا يحـل لي منهـا ؟ فقـال : إن كنت تبغي ضالتها ، وتهنأ جرباءَها ، وتلوط حـوضها ، وتفـرط عليها يـوم وِرْدِهَا ، فـاشرب من ألبانها غير مُضِرٍّ بنسل ، ولا بأهل في الحلب .

والرابع : أن يأخذ إذا كان محتاجاً أجرةً معلومة على قدر خـدمته ، وهـو قول عطاء .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : ليس

(٤٢١) رواه ابن جرير بسنده عن قتادة (٧/٥٩٠) قال ذكر لنا أن عم ثابت بن رفاعة .... الحديث وهذا حديث مرسل كما ترى ونسبه السيوطي في الدر (٢/٤٣٧) لعبد بن حميد أيضاً بأطول مما هنا .

لي مال ولي يتيم ، فقال : « كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيرَ مُسْرِفٍ وَلاَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ »(٤٢٢).

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُم إِلَيْهِم أَمْوَالَهُم فَأَشْهِدُواْ عَلَيهِم ﴾ ليكون بيِّنةً في دفع أموالهم إليهم .

﴿ وَكَفَى بِٱللَّهِ حَسِيباً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني شهيداً .

والثاني : كافياً من الشهود .

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ ﴾ وسبب نزول هذه الآية ، في الجاهلية كانوا يُوَرِّثُون الذكور دون الإناث ، فروىٰ ابن جريج عن عكرمة قال : نزلت في أم كُجَّة وبناتها وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار ، وكان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وبنيه ولم نُورَّث ، فقال عم ولدها : يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ، ولا يحمل كلًّا ، ولا ينكأ عدواً يكسب عليها ولا تكسب ، فنزلت هذه الآية .

(٤٢٢) رواه أحمد (٢/١٨٦ ، ٢١٥) وأبو داود (٢٨٧٢) والنسائي (٦/٢٥٦) وابن ماجه (٢٧١٨) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٤٣٧) لابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن جارود والنحاس في ناسخه وقواه الحافظ في الفتح (٨/٤٢١) وحسن إسناده الأرناؤوط في جامع الأصول (١١/٦٤١).

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها ثابتة الحكم . قال سعيد بن جبير : هما وليان ، أحدهما يرث وهو الذي أمر أن يرزقهم أي يعطيهم ، والآخر لا يرث وهو الذي أُمر أن يقول لهم قولاً معروفاً ، وبإثبات حكمها قال ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والحسن ، والزهري .

ورُوِيَ عن عبيدة أنه وَلِيَ وصية فأمر بشاة فذبحت ، وصنع طعاماً لأجل هذه الآية وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي .

والقول الثاني : أنها منسوخة بآية المواريث ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن المسيب ، وأبي مالك ، والفقهاء .

والثالث : أن المراد بها وصية الميت التي وصَّىٰ بها أن تفرق فِيمَنْ ذُكِرَ وفِيمَنْ حَضَرَ ، وهو قول عائشة .

فيكون ثبوت حكمها على غير الوجه الأول .

واختلف مَنْ قال : بثبوت حكمها على الوجه الأول في الوارث إذا كان صغيراً هل يجب على وليِّه إخراجها من سهمه على قولين :

أحدهما : يجب ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد ، ويقول الولي لهم قولاً معروفاً .

والثاني : أنه حق واجب في أموال الصغار على الأولياء ، وهو قول عبيدة ، والحسن .

﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للورثة وأوليائهم أن يقولوا لمن حضر من أولي القربى ، واليتامى ، والمساكين قولاً معروفاً عند إعطائهم المال ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : خطاب للآخرين أن يقولوا للدافعين من الورثة قولاً معروفاً ، وهو الدعاء لهم بالرزق والغنى .

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَركُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن معناه وليحذر الذين يحضرون ميِّتاً يُوصِي في ماله أن يأمروه بتفريق ماله وصية فيمن لا يرثه ولكن ليأمروه أن يبقي ماله لولده ، كما لو كان هو الموصي لآثر أن يبقى ماله لولده ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أن معناه وليحذر الذين يحضرون الميت وهو يوصي أن ينهوه عن الوصية لأقربائه ، وأن يأمروه بإمساك ماله والتحفظ به لولده ، وهم لو كانوا من أقرباء الموصى ، لآثروا أن يوصي لهم ، وهو قول مقسم ، وسليمان بن المعتمر .

والثالث : أن ذلك أمر من الله تعالى لِوُلاَةِ الأيتام ، أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم ، كما يحبون أن يكون ولاة أولادهم الصغار من بعدهم في الإحسان إليهم لو ماتوا وتركواْ أولادهم يتامى صغاراً ، وهو مروي عن ابن عباس .

والرابع : أن من خشي على ذريته من بعده ، وأحب أن يكف الله عنهم الأذى بعد موته ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، وهو قول أبي بشر بن الديلمي .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً ﴾ عبر عن الأخذ بالأكل لأنه مقصود الأخذ .

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني أنهم يصيرون به إلى النار .

والثاني : أنه تمتلىء بها بطونهم عقاباً يوجب النار .

﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ الصلاء لزوم النار ، والسعير إسعار النار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾[التكوير: ١٢].

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ

فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ روى السدي قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان ، لا يورثون الرجل من ولده إلاّ من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمٰن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كُجّة ، وترك خمس أخوات ، فجاءت الورثة فأخذوا ماله ، فشكت أم كجة ذلك للنبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ ففرض للثلاث من البنات ، إذا انفردت عن ذَكرٍ ، الثلثين ، وفَرْضُ الواحدة إذا انفردت النصف ، واختلف في الثنتين ، فقال ابن عباس النصف ، من أجل قوله تعالى : ﴿ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ وذهب الجماعة إلى أن فرضهما الثلثان كالثلاث فصاعداً اعتباراً بالأخوات .

ثم قال تعالى ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ قال ابن عباس: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله تعالى ذلك، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس.

ثم قال : ﴿ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ ﴾ فسوّىٰ بين كل واحد من الوالدين مع وجود الولد في أن لكل واحد منهما السدس ، ثم فاضل بينهما مع عدم الولد في أن جعل للأم الثلث والباقي للأب ، وإنما كان هكذا لأن الأبوين مع الولد يرثان فرضاً بالولادة التي قد استويا فيها ، فسوّى بين فرضهما ، وإذا عَدِمَ الولد ورثت الأم فرضاً لعدم التعصب فيها ، وورث الأب بالتعصيب ، لأنه أقوى ميراثاً ، وجعل فرضها شطر ما حازه الأب بتعصيبه ، ليصير للذكر مثل حظ الأنثيين .

﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ ﴾ فلا خلاف أن الثلاثة من الأخوة يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقله ، ويكون الباقي بعد سدسها للأب .

وحُكِيَ عن طاووس أنه يعود على الإخوة دون الأب ليكون ما حجبوها عنه عائداً عليهم لا على غيرهم . وهذا خطأ من وجهين :

أحدهما : أن الأب يُسقِط من أدلى به كالجد .

والثاني : أن العصبة لا يتقدر لهم في الميراث فرض كالأبناء .

فأما حجب الأم بالأخوين ، فقد منع منه ابن عباس تمسكاً بظاهر الجمع في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ وخالفه سائر الصحابة مُحَجِّبُوا الأم بالأخوين فصاعداً ، وإن لم تحجب بالأخ الواحد لأن لفظ الجمع لا يمنع أن يوضع موضع التثنية نحو قوله تعالى : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم : ٤] مع أن الاثنتين تقومان في الفرائض مقام الجمع الكامل، كالأخوات، وولد الأم .

﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ فقدم الدين والوصية على الميراث ، لأن الدين حق على الميت ، والوصية حق له ، وهما مقدمان على حق ورثته ، ثم قدم الدين على الوصية وإن كان في التلاوة مؤخراً ، لأن ما على الميت من حق أولى أن يكون مقدماً على ما له من حق .

وقد روىٰ ابن إسحاق عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام قال : إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضىٰ بالدين[٤٢٣] قبل الوصية فإن قيل :فلِمَ قدم ذكر الوصية على الدين إن كان في الحكم مؤخراً ؟ قيل لأن ﴿ أَوْ ﴾ لا توجب الترتيب وإنما توجب إثبات أحد الشيئين مفرداً أو مصحوباً ، فصار كأنه قال : من بعد أحدهما أو من بعدهما .

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً ﴾ يعني في الدين أو الدنيا .

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ

(٤٢٣) قال الحافظ في الفتح وهو قول أبي بكر الصديق أخرجه ابن أبي شيبة وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وروى عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن عمر بن شرحبيل قال : ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك وهذا إسناد صحيح (٨/٢٦٨) فتح .

بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن
كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ
بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ
فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ
فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ
ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ اختلفوا في الكلالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم من عدا الولد ، وهو مروي عن ابن عباس ، رواه طاووس عنه .

والثاني : أنهم من عدا الوالد ، وهو قول الحكم بن عيينة .

والثالث : أنهم من عدا الولد(٤٢٤) والوالد ، وهو قول أبي بكر ، وعمر ، والمشهور عن ابن عباس

---

(٤٢٤) أخرجه الترمذي مختصراً (٣/١٩٠) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق عن الحارث ، وأخرجه في الفرائض (٣/١٧٩) من طريق سفيان الثوري وزكريا بن أبي زائدة وابن عيينة وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث .

وابن ماجه في سننه (برقم ٢٧١٥) عن علي بن محمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان به مختصراً وأحمد مختصرا (١/٧٩ ، ١٣١) ومطولاً من طريق زكريا عن أبي إسحاق عن الحارث (١/١٤٤) وأبو يعلى في مسنده مختصراً ومفصلاً (١/٤١ ، ٧٨) والدارقطني في العلل (٤/٧٠) والحاكم (٤/٣٣٧) وقال الحارث بن عبد الله على الطريق ولذلك لم يخرجه الشيخان . وابن جرير (٨/٤٦) برقم (٨٧٣٦ ، ٨٧٣٧ ، ٨٧٣٨) ومدارها كلها على الحارث الأعور وقد ضعفه غير واحد من أهل العلم ونسبه السيوطي في الدر (٢/٤٤٧) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وكذا رواه ابن عدي (٤/٤٠٥) كما في نصب الراية للزيلعي وقد ضعفه الأرناؤوط في جامع الأصول (١١/٦٣٥) والألباني في الإرواء (٦/٩٤) ومن قبلهم الشافعي كما نقله البيهقي عنه في السنن (٦/٢٦٧) والبيهقي نفسه ضعفه في المصدر المشار إليه .

وقد روى الشعبي قال: قال أبو بكر: قد رأيت في الكلالة رأياً ، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له ، وإن يك خطأ فمنّي والله منه بريء ، إن الكلالة ما خلا الوالد والولد . فلما اسْتُخْلِفَ عمر قال : إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر في رأي رآه .

ثم اختلفوا في المُسَمَّىٰ كلالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الكلالة الميت ، وهو قول ابن عباس ، والسدّي .

والثاني : أنه الحي الوارث ، وهو قول ابن عمر .

والثالث : أنه الميت والحي ، وهو قول ابن زيد .

وأصل الكلالة الإحاطة ، ومنه الاكليل سمي بذلك لإحاطته بالرأس فكذلك الكلالة لإحاطتها بأصل النسب الذي هو الوالد والولد .

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ فيها خمسة أقاويل :

أحدها : شروط الله ، وهو قول السدي .

والثاني : طاعة الله ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : سُنّة الله وأمرُه .

والرابع : فرائض الله التي حدها لعباده .

والخامس : تفصيلات الله لفرائضه .

وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن

﴿ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦) ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّاتِي يَأْتِينَ ٱلْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ ﴾ يعني بالفاحشة : الزنى .

﴿ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ يعني بيِّنة يجب بها عليهن الحد .

﴿ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوْتُ ﴾ اختلفوا في إمساكهن في البيوت هل هو حد أو مُوعد بالحد على قولين :

﴿ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ يعني بالسبيل الحد ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « خُذُواْ عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ »(٤٢٥) .

واختلفوا في نسخ الجَلْدِ من حد الثيِّب على قولين :

أحدهما : أنه منسوخ ، وهو قول الجمهور من التابعين والفقهاء .

والثاني : أنه ثابت الحكم ، وبه قال قتادة ، وداود بن علي ، وهذه الآية عامة في البكر والثيب ، واخْتُلِفَ في نسخها على حسب اختلافهم فيها هل هو حد أو موعد بالحد ، فمن قال : هي حد ، جعلها منسوخة بآية النور(*)، ومن قال : هي مُوعد بالحد، جعلها ثابتة .

قوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا منكُم فَئَاذُوهُمَا ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في الأبكار خاصة ، وهذا قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : أنها عامة في الأبكار والثيِّب ، وهو قول الحسن ، وعطاء . واختلف في المعني بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُم ﴾ على قولين :

---

(٤٢٥) رواه مسلم (٢/٣٣) والترمذي (٢/٢٤٢) وابن ماجه (٢٥٥٠) وأبو داود (٤٤١٦) والدارمي (٢/١٨١) وأحمد (٥/٣١٣) والطيالسي (٥٨٤) وابن حبان (٦/٣٠١) والبيهقي (٨/٢٢١ ، ٢٢٢) وابن جرير (٨٨١٠) وابن الجارود (٣٧١ ، ٣٧٢) والطحاوي (٢/٧٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٤٥٧) لعبد الرزاق والنسائي والشافعي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس كلهم من حديث عبادة بن الصامت .

(*) وهي قوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة ﴾ الآية : ٢ .

أحدهما : الرجل والمرأة ، وهو قول الحسن ، وعطاء .

والثاني : البكران من الرجال والنساء ، وهو قول السدي ، وابن زيد .

وفي الأذىٰ المأمور به ثلاثة أقاويل :

أحدها : التعيير والتوبيخ باللسان ، وهو قول قتادة ، والسدي ، ومجاهد .

والثاني : أنه التعيير باللسان ، والضرب بالنعال .

والثالث : أنه مجمل أخذ تفسيره في البكر من آية النور ، وفي الثيِّب من السُّنّة .

فإن قيل كيف جاء ترتيب الأذى بعد الحبس ؟ ففيه جوابان :

أحدهما : أن هذه الآية نزلت قبل الأولى ، ثم أمر أن توضع في التلاوة بعدها ، فكان الأذىٰ أولاً ، ثم الحبس ، ثم الجلد أو الرجم ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن الأذى في البكرين خاصة ، والحبس في الثَّيِّبين، وهذا قول السدي .

ثم اختلف في نسخها على حسب الاختلاف في إجمالها وتفسيرها .

﴿ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا ﴾ يعني تابا من الفاحشة وأصلحا دينهما ، فأعرضواْ عنهما بالصفح والكف عن الأذىٰ .

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ اختلف في المراد بالجهالة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن كل ذنب أصابه الإنسان فهو بجهالة ، وكل عاص عصى فهو جاهل ، وهو قول أبي العالية .

والثاني : يريد يعملون ذلك عمداً، والجهالة العمد ، وهو قول الضحاك ، ومجاهد .

والثالث : الجهالة عمل السوء في الدنيا ، وهو قول عكرمة .

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات .

أحدها : ثم يتوبون في صحتهم قبل موتهم ، وقبل مرضهم ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : قبل معاينة مَلَكِ الموت ، وهو قول الضحاك ، وأبي مجلز .

والثالث : قبل الموت ، قال عكرمة : الدنيا كلها قريب .

وقد روى قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوبَةَ الْعَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ »(٤٢٦) .

﴿ وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : وهو قول الجمهور أنها نزلت في عُصَاةِ المسلمين .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول الربيع .

---

(٤٢٦) رواية المؤلف هنا مرسلة لكن الحديث في ابن جرير الطبري (٩٦/٩) عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله ﷺ قال فذكره . . . . . وهو مرسل أيضاً .

ورواه الطبري (٩٦/٩) عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال فذكره . . . . . وهذا منقطع بين قتادة وعبادة كما قال الحافظ في تخريج الكشاف (ص ٤) ونسبه الحافظ فيه أيضاً لإسحاق بن راهويه وقد ورد الحديث مرفوعاً من حديث ابن عمر رواه أحمد (٦٦١٠) ، (٦٦٤٠٨) والترمذي (برقم ٣٥٣٧) وحسنه وابن ماجه (٤٢٥٣) والحاكم وصححه (٢٥٧/٤) ووافقه الذهبي ، وزاد ابن حجر في تخريج الكشاف نسبته للطبراني وأبي يعلى وقال وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف فيه لكن الشيخ أحمد شاكر صححه في المسند واعتمد توثيق عبد الرحمن بن ثابت .

وصحح الحديث ، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤٦٠/٢) للبيهقي في الشعب .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

فَسَوّىٰ بين مَن لَمْ يتب حتى مات ، وبين من تـاب عند حضـور الموت وهي [حالة] يعرفها مَنْ حَضَرها .

ويحتمل أن يكون عند المعاينة في حال يعلم بها وإن منع من الإخبار بها .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾ .

وسبب ذلك أن أهل المدينة في الجاهلية كانوا إذا مـات أحدهم عن زوجـة ، كان ابنه وقريبه أولى بها من غيره ومنهـا بنفسها ، فـإن شاء نكحهـا كأبيـه بالصـداق الأول ، وإن شاء زوجها وملك صداقها ، وإن شـاء عضلها عن النكـاح حتى تموت فيرثها أو تَفْتَـدِي منه نفسها بصـداقها ، إلى أَنْ تُـوفِّيَ أبو قيس بن الأسلت[٤٢٧] عن زوجته كبيشة بنت معن بن عاصم فأراد ابنه أن يتزوجها فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت

(٤٢٧) وهـذا قول عكرمة رواه ابن جريـر (٨/١٠٦) وزاد السيـوطي في الـدر (٢/٤٦٣) نسبته لابن المنذر .

وقال الحافظ في الفتح (٨/٢٤٧) .

[وبإسناد حسن (أي روى الطبري) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفي أبو قيس ابن الأسلت أراد أبوه أن يتزوج امـرأته وكـان ذلك لهم في الجـاهلية فـأنزل الله هـذه الآية : ﴿ يـا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ﴾].

يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تُرِكْتُ فأُنْكَح ، فنزلت هذه الآية .

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه خطاب لورثة الأزواج أن [لا] يمنعوهن من التزويج كما ذكرنا ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة .

والثاني : أنه خطاب للأزواج أن [لا] يعضلوا نساءهم بعد الطلاق ، كما كانت قريش تفعل في الجاهلية وهو قول ابن زيد .

والثالث : أنه خطاب للأزواج أن [لا] يحبسواْ النساء كرهاً ليفتدين نفوسهن أو يَمُتْنَ فيرثهن الزوج ، وهذا قول قتادة ، والشعبي ، والضحاك .

والرابع : أنه خطاب للأولياء وهذا قول مجاهد .

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ فيها ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الزنىٰ ، وهو قول الحسن ، وأبي قلابة والسدي .

والثاني : أنها النشوز ، وهو قول ابن عباس ، وعائشة .

والثالث : أنها البذاء والأذىٰ .

وقد روي عن مقسم في قراءة ابن مسعود « وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يُفْحِشْنَ » .

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَنْ تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً ﴾ قال ابن عباس: يعني الولد الصالح .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيئاً ﴾ يعني أنهن قد ملكن الصداق ، وليس مِلْكُهُنَّ للصداق موقوفاً على التمسك بهن ، بل ذلك لهن مع إمساكهن ، وفراقهن .

﴿ أَتَأْخُذُونَه بُهْتَاناً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ظلماً بالبهتان .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

والثاني : أن يبهتها أن جعل ذلك ليسترجعه منها .

وإنما منع من ذلك مع الاستبدال بهن وإن كان ممنوعاً منه وإن لم يستبدل بهن أيضاً لِئَلا يتوهم متوهم أنه يجوز مع استبدال غيرها بها أن يأخذ ما دفعه إليها ليدفعه إلى من استبدل بها منه وإن كان ذلك عموماً .

قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن (الإفضاء) الجماع ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أنه الخلوة ، وهو قول أبي حنيفة .

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عقد النكاح الذي استحل به الفرج ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وهو قول الضحاك ، والسدي ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

والثالث : أنه ما رواه موسىٰ بن عبيدة عن صعدة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النِّسَاءَ عِندَكُم عَوانٌ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَلَكُم عَلَيهِنَّ حَقٌ وَلَهُنَّ عَلَيكُم حَقٌ ، وَمِنْ حَقِّكُم عَلَيهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فَرشَكُم أَحداً وَلَا يَعْصِينَكُمْ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ »(٤٢٨) .

واختلف في ثبوت حكمها أو نسخه على قولين :

أحدهما : أنها محكمة ، لا يجوز له أن يأخذ منها شيئاً مما أعطاها سواء

(٤٢٨) أخرجه بهذا السياق ابن جرير (٨/١١٩) وسنده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف وقد ورد الحديث بإسناد آخر صححه الترمذي (برقم ١١٦٣) من حديث عمرو بن الأحوص الجشمي ومن حديث أبي مرة الرقاشي عن عمه رواه أحمد في المسند (٥/٧٢ ـ ٧٣).
تنبيه : ـ وقع في نسخة المخطوطة عن صعدة بن يسار عن ابن عمر .
وهو خطأ وتصحيحه عن صدقة بن يسار عن ابن عمر . . . . والتصحيح من الطبري (٨/١١٩) والكافي الشافي للحافظ ابن حجر (ص ٤٠) وزاد الحافظ فيه نسبته لأبي يعلى والبزار.

كانت هي المريدة للطلاق أو هو ، وهو قول بكر بن عبد الله المزني .

والثاني : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ، وهذا قول ابن زيد .

وقال أبو جعفر الطبري وغيره : حكمها ثابت إلا عند خوف النشوز فيجوز أن يفاديها .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم كانوا يَخْلُفُون الآباء على نسائهم ، فجاء الإسلام بتحريم ذلك وعفا عما كان منهم في الجاهلية أن يؤاخذواْ به إذا اجتنبوه في الإسلام ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة وعطاء ، وعكرمة .

والثاني : يعني لا تنكحواْ كنكاح آبائكم في الجاهلية على الوجه الفاسد ، إلا ما سلف منكم في جاهليتكم فإنه معفو عنه إذا كان مما يجوز الإقرار عليه ، وهذا قول بعض التابعين .

والثالث : معناه : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز ، إلا ما قد سلف منهم بالزنىٰ والسفاح ، فإن نكاحهن حلال لكم ، لأنهن لم يَكُنَّ حلالاً ، وإنما كان نكاحهن فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، وهذا قول ابن زيد .

والرابع : إلا ما قد سلف فدعوه فإنكم تؤاخذون به ، قالوه وهذا من الاستثناء المنقطع ، ومنهم من جعله بمعنى لكن .

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً ﴾ والمقت شدة البغض لقبح مرتكبه ، ومنه قولهم قد مقته الناس إذا أبغضوه ، ورجل مقيت ، وكان يقال لولد الرجل من امرأة أبيه المقتي .

﴿ وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ يعني طريقاً .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ الَّٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ

وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي
فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟
دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟
بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ
ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ إلى قوله :﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : والمحصنات من النساء يعني ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم بالسبي ، وهذا قول علي ، وابن عباس ، وأبي قلابة ، والزهري ، ومكحول ، وابن زيد .

وقد روىٰ عثمان البَتّي عن أبي خليل عن أبي سعيد الخدري قال(٤٢٩): لما سبىٰ رسول الله ﷺ أهل أوطاس ، قلنا : يا نبي الله كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن ؟ قال : فنزلت هذه الآية ﴿ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

والثاني : أن المحصنات ذوات الأزواج حرام على غير أزواجهن إلا ما

(٤٢٩) رواه الطبري (١٥٣/٨) برقم (٨٩٦٩)، (٨٩٧٠) وأحمد (١١٧١٤) والترمذي وحسنه (٨٦/٤) كلهم من طريق عثمان البتي به وفي الحديث اختلاف في إسناده فراجعه في الطبري (١٥٣/٨ ، ١٥٤) وزاد السيوطي نسبته في الدر ( ) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والطحاوي وابن حبان .

ملكت أيمانكم من الإماء ، إذا اشتراها مشترٍ بطل نكاحها وحلت لمشتريها ويكون بيعها طلاقها ، وهذا قول ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس ابن مالك، وابن عباس في رواية عكرمة عنه وسعيد بن المسيب ، والحسن ، قال الحسن : طلاق الأمة يثبت نسبها ، وبيعها ، وعتقها ، وهبتها ، وميراثها ، وطلاق زوجها .

الثالث : أن المحصنات من النساء العفائف إلا ما ملكت أيمانكم بعقد النكاح ، أو ملك اليمين ، وهذا قول عمر ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، وعبيدة السلماني ، وعطاء ، والسدي .

والرابع : أن هذه الآية نزلت في نساءٍ كُنَّ هَاجَرن إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج ، فتزوجهن المسلمون ، ثم قدم أزواجهن مهاجرين ، فنهي المسلمون عن نكاحهن ، وهذا قول أبي سعيد الخدري .

وأصل الإحصان المنع ، ومنه حصن البلد ، لأنه يمنع من العدو ، ودرع حصينة أي منيعة ، وفرس حَصان ، لأن صاحبه يمتنع به من الهلكة ، وامرأة حصان ، وهي العفيفة لأنها تمتنع من الفاحشة ، ومنه ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾[التحريم: ١٢].

﴿ كِتَابَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن معناه : حرم ذلك عليكم كتاباً من الله .

والثاني : معناه الزموا كتاب الله .

والثالث : أن كتاب الله قيم عليكم فيما تستحلّونه وتحرمونه .

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن معناه ما دون الخمس ، وهو قول السدي .

والثاني : ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم ، وهو قول عطاء .

والثالث : ما وراء ذلكم مما ملكت أيمانكم ، وهو قول قتادة .

﴿ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم ﴾ يعني أن تلتمسوا بأموالكم إما شراء بثمن ، أو نكاحاً بصداق .

﴿ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ يعني متناكحين غير زانين ، وأصل السفاح صب الماء ، ومنه سَفَح الدمع إذا صبَّه ، وسَفْح الجبل أسفله لأنه مصب الماء فيه ، وسِفَاح الزنىٰ لصب مائه حراماً .

﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ أي آتوهن صدقاتهن معلومة ، وهذا قول مجاهد ، والحسن ، وأحد قولي ابن عباس .

والقول الثاني : أنها المتعة إلى أجل مسمى من غير نكاح ، قال ابن عباس كان في قراءة أُبيّ : ﴿ فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ﴾، وكان ابن عباس كذلك يقرأ ، وسعيد بن جبير ، وهذا قول السدي ، وقال الحكم : قال عليّ : لولا أن عمر نهىٰ عن المتعة ما زنىٰ إلا شقي ، وهذا قول لا يثبت ، والمحكي عن ابن عباس خلافه ، وأنه تاب من المتعة وربا النقد .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه لا حرج عليكم أيها الأزواج إن أعسرتم بعد أن فرضتم لِنِسَائكم مهراً عن تراض أن ينقصنكم منه ويتركنكم ، وهذا قول سليمان بن المعتمر .

والثاني : لا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتي استمتعتم بهن إلى أجل مسمى ، إذا انقضى الأجل بينكم أن يزدنكم في الأجل وتزيدوهن في الأجر قبل أن يستبرئن أرحامهن ، وهذا قول السدي .

والثالث : لا جناح عليكم فيما تراضيتم به ودفعتموه أن يعود إليكم عن تراض ، وهذا قول ابن عباس.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : كان عليماً بالأشياء قبل خلقها ، حكيماً في تقديره وتدبيره لها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن القوم شاهدواْ عِلماً وحكمة فقيل لهم إن كان كذلك لم يزل ، وهذا قول سيبويه .

والثالث : أن الخبر عن الماضي يقوم مقام الخبر عن المستقبل وهذا مذهب الكوفيين .

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ في الطوْل ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الغنى والسعة الموصل إلى نكاح الحرّة ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وابن زيد ، والشافعي ، ومالك .

والقول الثاني : هو أن تكون تحته حرة ، وهو قول أبي حنيفة .

والقول الثالث : هو الهوىٰ وهو أن يهوى أَمَةً فيجوز أن يتزوجها ، إن كان ذا يسار وكان تحته حرة ، وهذا قول جابر ، وابن مسعود ، والشعبي ، وربيعة ، وعطاء .

وأصل الطَوْل الفضل والسعة ، لأن المعنى كالطول في أنه ينال به معالي الأمور ، ومنه قولهم ليس فيه طائل أي لا ينال به شيء من الفوائد ، فكان هو الأصح من تأويلاته .

واختلف في إيمان الأمَةِ هل هو شرط في نكاحها عند عدم الطَوْل على قولين :

أحدهما : أنه شرط لا يجوز نكاح الأَمَةِ إلا به ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنه ندب وليس بشرط ، فإن تزوج غير المؤمنة جاز ، وهو قول أبي حنيفة .

قوله تعالى : ﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾ يعني بالمسافحة : المعلنة بالزنى .

﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ هو أن تتخذ المرأة خدناً وصديقاً ولا تزني بغيره ، وقد كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنى ، ويستحلون ما بطن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ .

﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ قرأ بفتح الألف حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم ، ومعنى ذلك أسلمن ، فيكون إحصانها ها هنا إسلامها ، وهذا قول ابن مسعود ، والشعبي ، وروى الزهري قال : جَلَدَ عمر ولائد أبكاراً من ولائد الإمارة في الزنىٰ .

وقرأ الباقون بضم الألف ، ومعنى ذلك تزوجن ، فيكون إحصانها ها هنا تزويجها ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن .

﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ ﴾ يعني بها ها هنا الزنىٰ .

﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ يعني نصف حد الحرة .

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : الزنىٰ ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وبه قال الشافعي .

والثاني : أن العنت الإثم .

والثالث : أنه الحد الذي يصيبه .

والرابع : هو الضرر الشديد في دين أو دنيا . وهو نحو قوله تعالى : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

﴿ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعني الصبر عن نكاح الأَمَةِ لئلا يكون ولده عبداً .

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً﴾ فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الزناة ، وهو قول الضحاك .

والثاني : أنهم اليهود والنصارىٰ ، وهو قول السدي .

والثالث : كل متبع شهوة غير مباحة ، وهو قول ابن زيد .

قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ يخفف عنكم في نكاح الإماء ، وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً عن احتمال الصبر عن جماع النساء .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنًا وَظُلۡمًا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَاطِلِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الزنىٰ ، والقمار ، والبخس ، والظلم ، وهو قول السدي .

والثاني : العقود الفاسدة ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : إنه نهىٰ أن يأكل الرجل طعام قِرى وأُمر أن يأكله شِرى ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في سورة النور : ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] إلى قوله : ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾ وهو قول الحسن ، وعكرمة .

﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن التراضي هو أن يكون العقد ناجزاً بغير خيار ، وهو قول مالك ، وأبي حنيفة .

والثاني : هو أن يخير أحدهما صاحبه بَعد العقد وقبل الافتراق ، وهو قول شريح ، وابن سيرين ، والشعبي .

وقد روى القاسم بن سليمان الحنفي عن أبيه عن ميمون بن مهران قال : قال رسول الله ﷺ : « **الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ وَالْخِيَارُ بَعْدَ الصَّفْقَةِ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَغِشَّ مُسْلِماً** »(٤٣٠) .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني لا يقتل بعضكم بعضاً ، وهذا قول عطاء ، والسدي ، وإنما كان كذلك لأنهم أهل دين واحد فصاروا كنفسٍ واحدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾[النور: ٦١] .

والثاني : نهىٰ أن يقتل الرجل نفسه في حال الغضب والضجر .

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً ﴾ فيما توجه إليه هذا الوعيد بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه أكل المال بالباطل ، وقتل النفس بغير حق .

والثاني : أنه متوجه إلى كل ما نهى عنه من أول سورة النساء .

والثالث : أنه متوجه إلى قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَاءَ كَرْهاً ﴾[النساء: ١٩]

﴿ عُدْوَاناً وَظُلْماً ﴾ فيه قولان:

أحدهما : يعني تعدياً واستحلالاً .

والثاني : أنهما لفظتان متقاربتا المعنى فحسن الجمع بينهما مع اختلاف اللفظ تأكيداً .

---

(٤٣٠) رواه الطبري في تفسيره (٨/٣٢١ برقم ٩١٤٧) وهو مرسل لأن ميمون لم يدرك النبي ﷺ .

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ في الكبائر سبعة أقاويل :

أحدها : أنها كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها ، وهذا قول ابن مسعود في رواية مسروق ، وعلقمة ، وإبراهيم .

والثاني : أن الكبائر سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذا قول عليّ ، وعمرو بن عبيد .

والثالث : أنها تسع : الإشراك بالله ، وقذف المحصنة ، وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وأكل الربا ، وإلحاد بالبيت الحرام ، وهذا قول ابن عمر .

والرابع : أنها أربع : الإشراك بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله ، وهذا قول ابن مسعود في رواية أبي الطفيل عنه .

والخامس : أنها كل ما أوعد الله عليه النار ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، والضحاك .

والسادس : السبعة المذكورة في المقالة الثانية وزادوا عليها الزنىٰ ، والعقوق ، والسرقة ، وسب أبي بكر وعمر .

والسابع : أنها كل ما لا تصح معه الأعمال ، وهذا قول زيد بن أسلم .

﴿ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يعني من الصغائر إذا اجتنبتم الكبائر ، فأما مع ارتكاب الكبائر ، فإنه يعاقب على الكبائر والصغائر .

وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : هو قول الإنسان ليت ما لفلان لي ، ويجوز أن يقول ليت مثله

لي ، ومن قال بهذا اختلفوا في النهي هل هو تحريم أم أدب ، فقال الفراء هو أدب ، وقال غيره هو تحريم .

والقول الثاني : وهو الأشهر ـ أنها نزلت في نساءٍ تمنين كالرجال في فضلهم ومالهم ، فروىٰ عكرمة أنها نزلت في أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت(٤٣١): قلت يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصف الميراث ، فنزلت : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ من الثواب على طاعة الله والعقاب على معصيته ، وللنساء نصيب مثل ذلك ، ليعني أن للمرأة بالحسنة عشر أمثالها كالرجل ، وهو قول قتادة .

والثاني : أن معنى ذلك للرجال نصيب مما اكتسبوا من ميراث موتاهم ، وللنساء نصيب منه ، لأن أهل الجاهلية لم يكونوا يورثون النساء ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ وَاسْأَلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ فيه قولان :

---

(٤٣١) رواه الطبري برقم (٩٢٣٦ ، ٩٢٣٧ ، ٩٢٤١) وأحمد (٦/٣٢٢) والترمذي (٤/٨٨) والحاكم (٢/٣٠٥ ـ ٣٠٦) والواحدي في أسباب النزول (ص ١١٠) وعبد الرزاق كما قال الشيخ أحمد شاكر (٨/٢٦٢) تفسير الطبري .
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٥٠٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه .
وقد أعل الحديث بأن مجاهد أرسله عن أم سلمة . قال الترمذي رحمه الله « هذا حديث مرسل رواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلاً أن أم سلمة قالت كذا وكذا . . . » وقال الحاكم بعد روايته عن مجاهد عن أم سلمة هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سمع من مجاهد عن أم سلمة ووافقه الذهبي على التصحيح .
فالجواب : إن مجاهد أدرك أم سلمة وعاصرها فإنه ولد سنة ٢١ وماتت أم سلمة بعد سنة ستين على الصحيح والمعاصرة تحمل على الاتصال ما لم يكن الراوي مدلساً ومن زعم أن مجاهد مدلساً فقد أخطأ فقد روى الحافظ رحمه الله في الفتح (٦/٩٤) على من اتهم مجاهد بالتدليس وقال : « ليس بمدلس » وكذا في التهذيب (١٠/٨٤) قال الشيخ محمود شاكر بعد بحث موسع في هذا الموضوع عند تفسير الطبري : « فثبت عندنا اتصال الحديث والحمد لله » (٨/٢٦٣) .

أحدهما : إن احتجتم إلى مال غيركم فاسألوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله ولا تتمنوا مال غيركم .

والثاني : العبادة التي تكسب الثواب في الآخرة ، قال رسول الله ﷺ : « إسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَإِنَّ أَفْضَلَ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ »(٤٣٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ أنه قسَّم الأرزاق على ما علم وشاء فينبغي أن ترضوا بما قسم وتسألوه من فضله غير متأسفين لغيركم في عطية . والنهي تحريم عند أكثر العلماء ، لأنه ليس لأحد أن يقول : ليت مال فلان لي ، وإنما يقول ليت مثله لي .

---

(٤٣٢) رواه الطبري (٢٦٨/٨) برقم (٩٢٥٧) وابن مردويه كما نقله ابن كثير (٤٨٨/١) من طريق وكيع عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسم قال : قال رسول الله : .... الحديث وهذا سند ضعيف جداً لضعف حكيم بن جبير الأسدي تكلموا فيه قال أحمد : ضعيف مضطرب الحديث وقال أبو حاتم ضعيف الحديث منكر الحديث له رأي غير محمود نسأل الله السلامة غال في التشيع بل كذبه الجوزجاني رحمه الله ولهذا قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة على الحديث ضعيف جداً (رقم ٤٩٤).

ورواه ابن مردويه كما نقله ابن كثير (٤٨٨/١) من حديث قيس بن الربيع عن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله .... الحديث .

وهذا سند ضعيف أيضاً فقيس فيه كلام، وقد روى الحديث الترمذي في كتاب الدعوات (رقم ٥١٤).

من طريق بشر بن معاذ العقدي عن حماد بن واقد عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود .

وهذا سند ضعيف أيضاً لضعف حماد بن واقد قال الترمذي بعد روايته للحديث « هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث وحماد بن واقد ليس بالحافظ وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل عن حكيم عن جبير عن رجل عن النبي ﷺ وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح ».

قلت : يشير الترمذي إلى الحديث الأول المتقدم وقد عرفت ما فيه . قال الشيخ الألباني عن حديث حكيم تعقيباً على كلام الترمذي (٤٩٩/١) الضعيفة [وإذا كان الأصح أن الحديث حديثه فهو ضعيف جداً] والحديث رمز له السيوطي بالصحة في الجامع فتعقبه المناوي قائلاً : « وليس كما قال ففيه حماد بن واقد ».

قال الترمذي نفسه ليس بالحافظ ، وقال الحافظ العراقي ضعفه ابن معين وغيره ثم نقل المناوي عن ابن حجر تحسينه للحديث فقال : « وقصارى جهده ـ أي الحديث ـ أن ابن حجر حسنه » (١٠٨/٤) الفيض .

قلت : ـ وقد حسنه تبعاً للحافظ أيضاً عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول (١٦٦/٤) من حديث ابن مسعود المتقدم إلا أن هناك خطأ مطبعياً فقد نسب الحديث هناك (١٦٦/٤) لأبي مسعود البدري والصحيح أنه ابن مسعود الأنصاري البدري أيضاً فقد شهد ابن مسعود بدراً .

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ وفي الموالي قولان :

أحدهما : أنهم العصبة ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : هم الورثة ، وهو قول السدي ، وهو أشبه بقوله تعالى : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴾ قال الفضل بن عباس :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا ... لا تنبشواْ بيننا ما كان مَدْفوناً(٤٣٣)

﴿ وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ(*) أَيْمَانُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ هي مفاعلة من عقد الحلف ، ومعناه : والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم بالحلف بينكم وبينهم ، فآتوهم نصيبهم .

وفي المراد بهذه المعاقدة وبالنصيب المستحق خمسة أقاويل :

أحدها : أن حلفهم في الجاهلية كانوا يتوارثون به في الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، وقتادة.

والثاني : أنها نزلت في الذين آخىٰ بينهم النبي ﷺ ، من المهاجرين والأنصار ، فكان بعضهم يرث بعضاً بتلك المؤاخاة بهذه الآية ، ثم نسخها ما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣]، وهذا قول سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وابن زيد .

والثالث : أنها نزلت في أهل العقد بالحلف ولكنهم أُمِرُوا أن يؤتوا بعضهم

(٤٣٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٢٥)، الكامل (١/١٢٥)، الحماسة (١/١٢١) اللسان مادة ولى وقد أورد الطبري (٨/٢٧٠) الشطر الثاني .
[لا تظهرن لنا] بدلاً من لا تنبشوا بيننا.

(*) وهي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي زاد المسير (   ) السبعة لابن مجاهد (ص   )

بعضاً من النصرة والنصيحة والمشورة والوصية دون الميت ، وهذا قول مجاهد ، وعطاء ، والسدي . وقال رسول الله ﷺ وقد سأله قيس بن عاصم عن الحِلف فقال : « **لَا حِلْفَ فِي الإِسْلَامِ ، وَمَا كَانَ مِنْ حِلفِ الجاهِلِيَّةِ فَلَمْ يُزِدْهُ الإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً** »(٤٣٤) .

والرابع : أنها نزلت في الذين يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية ، فَأُمِرُوا في الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت بوصية ، وهذا قول سعيد بن المسيب .

والخامس : أنها نزلت في قوم جعل لهم نصيب من الوصية ، ثم هلكوا فذهب نصيبهم بهلاكهم ، فَأُمِرُواْ أن يدفعوا نصيبهم إلى ورثتهم ، وهذا قول الحسن البصري .

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ** ﴾ يعني أهل قيام على نسائهم ، في تأديبهن ، والأخذ على أيديهن ، فيما أوجب الله لهم عليهن .

﴿ **بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ يعني في العقل والرأي .

﴿ **وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ** ﴾ يعني به الصداق والقيام بالكفاية . وقد روى

---

(٤٣٤) هذا اللفظ كله رواه الطبري عن أم سلمة برقم (٩٢٩٣) وعن ابن عباس مرفوعاً برقم (٩٢٨٩ ، ٩٢٩٠) وصححه الطبري ص (٢٨١/٨) ورواه أحمد أيضاً (٢٩١١ ، ٣٠٤٦) وأبو يعلى كما في المجمع (١٧٣/٨) ونسبه السيوطي في الدر (٥١٢/٢) لعبد بن حميد وأما حديث قيس بن عاصم فلفظه « لا حلف في الإسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية » .

وقد رواه الطبري برقم (٩٢٩١ ، ٩٢٩٢) والطيالسي برقم (١٠٨٤) وأحمد (٦١/٥) وفيه عند الطبري تقديم وتأخير في الكلام .

جرير بن حازم عن الحسن أن سبب ذلك أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص ، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص فنزلت : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] ونزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وكان الزهري يقول: ليس بين الرجل وامرأته قصاص فيما دون النفس.

﴿ فَٱلصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ يعني المستقيمات الدين العاملات بالخير ، والقانتات يعني المطيعات لله ولأزواجهن .

﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ يعني حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن ، ولما أوجبه الله من حقه عليهن.

﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني يحفظ الله لهن إذ صيّرهن كذلك ، وهو قول عطاء .

والثاني : بما أوجبه الله على أزواجهن من مهورهن ونفقتهن حتى صرن بها محفوظات ، وهذا قول الزجاج .

وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال(٤٣٥): قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ النِّساءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيهَا سَرَّتْكَ ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي مَالِهَا وَنَفْسِهَا » قال ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ إلى آخر الآية .

﴿ وَٱللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ في ﴿ تَخَافُونَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه العِلم ، فعبر عنه بالخوف ، كما قال الشاعر :

ولا تدفنيني بالفلاة فإنني ... أخافُ إذا ما مِتُّ أن لا أذُوقَها(٤٣٦)

يعني فإنني أعْلَمُ

(٤٣٥) رواه الطبري (برقم ٩٣٢٨) واللفظ له والحاكم (٢/١٦١).
وقال صحيح على شرط مسلم والطيالسي برقم (٣٠٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/٥١٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن .

(٤٣٦) هو أبو محجن الثقفي انظر معاني القرآن (١/١٤٦ ، ٢٦٥) وأورده الطبري (٨/٢٩٨).
ولا تدفنني في الفلاة ... بدلاً من « بالفلاة »

والتأويل الثاني : أنه الظن ، كما قال الشاعر(٤٣٧) .

أتاني عن نصر كلام يقوله ... وما خفت يا سلامُ أنك عائبي

وهو أن يستر على نشوزها بما تبديه من سوء فعلها .

والنشوز : هو معصية الزوج والامتناع من طاعته بغضاً وكراهة ـ وأصل النشوز : الارتفاع ، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض نُشز ، فسميت الممتنعة عن زوجها ناشزاً لبعدها منه وارتفاعها عنه .

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ أما وعظها فهو أن يأمرها بتقوى الله وطاعته ، ويخوفها استحقاق الوعيد في معصيته وما أباحه الله تعالى من ضربها عند مخالفته . وفي المراد بقوله : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : ألا يجامعها ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أن لا يكلمها ويوليها ظهره في المضجع ، وهو قول الضحاك ، والسدي .

والثالث : أن يهجر فراشها ومضاجعتها وهو قول الضحاك، والسدي .

والرابع : يعني وقولوا لهن في المضاجع هُجراً ، وهو الإغلاظ في القول ، وهذا قول عكرمة ، والحسن .

والخامس : هو أن يربطها بالهجار وهو حبل يربط به البعير ليقرها على الجماع ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

واستدل برواية ابن المبارك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال(٤٣٨) :

---

(٤٣٧) هو أبو الغول الطهوي وقد سبق تخريج هذا البيت ص

(٤٣٨) رواه ابن جرير (٨/٣١٠) برقم (٩٣٧٤) وفيه زيادة في آخره وهي : « إلا عاجل عليها » وأحمد مطولاً ومختصراً (٤/٤٤٦ ، ٤٤٧) وأبو داود برقم (٢١٤٢ ، ٢١٤٤) .
وابن ماجه بنحوه (١٨٥) والبيهقي (٧/٢٩٥ ، ٣٠٥) مطولاً ومختصراً وهذا الحديث جيد الإسناد من أجل نسخة بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقد احتج بها كثير من العلماء .

قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : « **حَرثُكَ فَأْتِ حَرْثَكَ أَنَّى شِئْتَ غيرَ أَلَّا تَضْرِبَ ٱلْوَجْهَ وَلاَ تُقَبِّحْ وَلاَ تَهْجُرْ إِلاَّ فِي البَيْتِ ، وَأَطْعِمْ إِذَا طَعِمْتَ وَاكْسِ إِذَا اكْتَسَيْتَ ، كَيْفَ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ** »، وليس في هذا الخبر دليل على تأويله دون غيره .

وأصل الهجر : الترك على قلى ، والهُجر : القبيح من القول لأنه مهجور .

﴿ **وَٱضْرِبُوهُنَّ** ﴾ فجعل الله تعالى معاقبتها على النشوز ثلاثة أشياء : وَعْظُها وهَجْرُها وضَرْبُها . وفي تربيتها إذا نشزت قولان :

أحدهما : أنه إذا خاف نشوزها وعظها وهجرها ، فإن أقامت عليه ضربها .

والثاني : أنه إذا خاف نشوزها وعظها ، فإذا أبدت النشوز هجرها ، فإن أقامت عليه ضربها ، وهو الأظهر من قول الشافعي .

والذي أبيح له من الضرب ما كان تأديباً يزجرها به عن النشوز غير مبرح ولا منهك ، روى بشر عن عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ: « **اضْرِبُوهُنَّ إِذَا عَصَيْنَكُمْ فِي المَعْرُوفِ ضَرْباً غَيرَ مُبَرِّحٍ** »(٤٣٩) .

﴿ **فَإِنْ أَطَعْنَكُم فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ يعني أطعنكم في المضجع والمباشرة . ﴿ **فَلَا تَبْغُواْ عَلَيهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا تطلبواْ لهن الأذىٰ .

والثاني : هو أن يقول لها لست تحبينني وأنت تعصيني ، فيصيّرها على ذلك وإن كانت مطيعة : قال سفيان : إذا فعلت ذلك لا يكلفها أن تحبه لأن قلبها ليس في يدها .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بِينِهِمَا** ﴾ يعني مشاقة كل واحد منهما من صاحبه ، وهو إتيان ما يشق عليه من أمور أما من المرأة فنشوزها عنه وترك ما لزمها من حقه ، وأما

(٤٣٩) رواه ابن جرير (٨/٣١١) وهو خبر مرسل .

من الزوج فعدوله عن إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، والشقاق مصدر من قول القائل شاق فلان فلاناً إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه بما يشق عليه ، وقيل لأنه قد صار في شق بالعداوة والمباعدة .

﴿ فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا ﴾ وفي المأمور بإيفاد الحكمين ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه السلطان إذا تراجع إليه الزوجان ، وهو قول سعيد بن جبير ، والضحاك .

والثاني : الزوجان ، وهو قول السدي .

والثالث : أحد الزوجين وإن لم يجتمعا .

﴿ إن يُرِيدَآ إِصْلَاحاً ﴾ يعني الحَكَمين .

﴿ يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يوفق الله بين الحكمين في الصلاح بين الزوجين .

والثاني : يوفق الله بينهما بين الزوجين بإصلاح الحَكَمين ، والحكمين للإصلاح .

وفي الفُرْقَةِ إذا رأياها صلاحاً من غير إذن الزوجين قولان :

أحدهما : ليس ذلك إليها لأن الطلاق إلى الزوج .

والثاني : لهما ذلك لأن الحَكَم مشتق من الحُكم فصار كالحاكم بما يراه صلاحاً .

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ معناه واستوصوا بالوالدين إحساناً .

﴿ وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ هم قرابة النسب من ذوي الأرحام .

﴿ وَٱلْيَتَامَىٰ ﴾ جمع يتيم وهو من مات أبوه ولم يبلغ الحلم .

﴿ وَٱلْمَسَاكِينِ ﴾ جمع مسكين وهو الذي قد ركبه ذل الفاقة والحاجة فيتمسكن لذلك .

﴿ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بمعنى ذي القرابة والرحم وهم الذين بينك وبينهم قرابة نسب ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : يعني الجار ذي القربى بالإسلام .

﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الجار البعيد في نسبه الذي ليس بينك وبينه قرابة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد .

والثاني : أنه المشرك البعيد في دينه .

والجنب في كلام العرب هو البعيد ، ومنه سُمي الجنب لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل ، قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة :

أتيت حُريثاً زائراً عن جنابةٍ ... فكان حريث في عطائي جامداً(٤٤٠)

﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنبِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الرفيق في السفر ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنها زوجة الرجل التي تكون في جنبه ، وهو قول ابن مسعود .

والثالث : أنه الذي يلزمك ويصحبك رجاء نفعك ، وهو قول ابن زيد .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُّ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً مَسْئُولٌ عَنْ صَحَابَتِهِ وَلَوْ سَاعةً مِن نَّهارٍ »(٤٤١) .

---

(٤٤٠) ديوانه (٤٩) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٢٦) .

(٤٤١) جزء من حديث في نهاية قصة .

وروى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيرُ الأَصْحَابِ عِندَ اللّهِ خَيرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيرُ الجيرانِ عِندَ اللّهِ خَيرُهُمْ لِجَارِهِ »(٤٤٢) .

﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه المسافر المجتاز مَارًّا ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والربيع .

والثاني : هو الذي يريد سفراً ولا يجد نفقة ، وهذا قول الشافعي .

والثالث : أنه الضعيف ، وهو قول الضحاك .

والسبيل الطريق ، ثم قيل لصاحب الطريق ابن السبيل ، كما قيل لطير الماء ابن ماء. قال الشاعر :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها   على قمة الراس ابن ماءٍ مُلحقُ(٤٤٣)

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يعني المملوكين ، فأضاف الملك إلى اليمين لاختصاصها بالتصرف كما يقال تكلم فُوك ، ومشت رجلُك .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ المختال : من كان ذا خيلاء ، مفتعل من قولك : خالَ الرجل يَخُول خُيلاء ، وخالاً ، قال العجاج :

والخال ثوب من ثياب الجهال   (والدهْرُ فيه غَفْلَةٌ للغفال)(٤٤٤)

والفخور : المفتخر على عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه وبسط عليه من رزقه .

= رواه ابن جرير (برقم ٩٤٨٢) وإسناده هكذا : قال ابن جرير: حدثنا سهل بن موسى الرازي قال: حدثني ابن أبي فديك عن فلان بن عبد الله عن الثقة عنده أن رسول الله ﷺ قال ...... الحديث .

وهذا الحديث مرسل ضعيف لجهالة من روى عنهم ابن أبي فديك وقد أحسن المؤلف صنعاً بتصديره بصيغة التمريض المشعرة بضعف الحديث .

(٤٤٢) رواه الترمذي برقم (١٩٤٤) وقال: حسن غريب، وصححه الشيخ شاكر في تخريج الترمذي والحاكم في المستدرك (١٦٤/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأحمد (٦٥٦٦) والطبري برقم (٣٤٨٣) وابن حبان في صحيحه وابن خزيمة كما في الترغيب والترهيب .

لكن نقل المنذري أن الحاكم صححه على شرط مسلم فلينظر .

وزاد السيوطي في الدر (٥٣٢/٢) نسبته للبخاري في الأدب .

تنبيه : ـ وقع في نسخة المخطوطة ابن عمر وهذا خطأ والصحيح ابن عمرو .

(٤٤٣) هو ذو الرمة قاله في وصف طائر .

(٤٤٤) ديوانه (٨٦) واللسان مادة [خيل].

ﭐلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنها نزلت في اليهود، بخلوا بما عندهم من التوراة من نبوة محمد ﷺ وكتموه وأمروا الناس بكتمه . ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ يعني نبوة محمد ﷺ ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : يبخلون بالإنفاق في طاعة الله عز وجل ويأمرون الناس بذلك ، وهو قول طاووس، والبخل أن يبخل بما في يديه ، والشح أن يشح على ما في أيدي الناس يحب أن يكون له .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلأَخِرِ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود ، وهو قول مجاهد .

والثاني : هم المنافقون ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناً ﴾ القرين هو الصاحب الموافق ، كما قال عدي بن زيد :

عن المرءِ لا تسأل وأبصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن مُقتدي(٤٤٥)

وأصل القرين من الأقران ، والقِرن بالكسر المماثل لأقرانه في الصفة ، والقَرْن بالفتح : أهل العصر لاقترانهم في الزمان ، ومنه قَرْن البهيمة لاقترانه بمثله .

وفي المراد يكون قريناً للشيطان قولان :

(٤٤٥) ديوانه في شعراء الجاهلية (٤٦٦).

أحدهما : أنه مصاحبُهُ في أفعاله .

والثاني : أن الشيطان يقترن به في النار .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ أصل المثقال الثقل ، والمثقال مقدار الشيء في الثقل . والذرة : قال ابن عباس هي دودة حمراء ، قال يزيد بن هارون : زعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن .

قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ وشهيد كل أمة نبيُّها، وفي المراد بشهادته عليها قولان :

أحدهما : أن يشهد على كل أمّته بأنه بلغها ما تقوم به الحجة عليها ، وهو قول ابن مسعود وابن جريج ، والسدي .

والثاني : أن يشهد عليها بعملها ، وهو قول بعض البصريين .

﴿وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ يعني رسول الله ﷺ في الشهادة على أُمته، روى ابن مسعود أنه قرأ على رسول الله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ شَهِيداً ﴾ ففاضت عيناه ﷺ(٤٤٦) .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الذين تمنوه من تسوية الأرض بهم ، أن يجعلهم مثلها ، كما

---

(٤٤٦) رواه البخاري (٨١/٩) فتح ،وأحمد(٣٦٠٦ ، ٤١١٨) من طريق الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود، قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (ص ٧٧) « وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش وله طرق يطول بسطها ». وزاد السيوطي في الدر (٥٤١/٢) نسبته لعبد ابن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

قال تعالى في موضع آخر ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً ﴾ [النبأ: ٤٠].

والثاني: أنهم تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فصاروا في بطنها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما: سكارى من الخمر، وهو قول ابن عباس، وقتادة، وقد روى عطاء ابن السائب عن عبد الله بن حبيب(٤٤٧): أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً ودعا نفراً من أصحاب النبي ﷺ فأكلوا وشربوا حتى ثملوا، ثم قدّموا عمر فصلى بهم المغرب فقرأ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ ﴾ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَأَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُد وَأَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ لَكُمْ دِيْنُكُم وَلِيَ دِينٌ ﴾ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾.

والقول الثاني: وأنتم سكارى من النوم، وهو قول الضحاك، وأصل السُكر: السَكْر، وهو سد مجرى الماء، فالسُّكر من الشراب يسد طريق المعرفة.

فإن قيل فكيف يجوز نهي السكران، ففيه جوابان:

أحدهما: أنه قد يكون سكران من غير أن يخرج إلى حد لا يحتمل معه الأمر.

والثاني: أنه نهي عن التعرض للسكر وعليه صلاة.

﴿ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ﴾ فيه قولان:

---

(٤٤٧) رواه الطبري (٨/٣٧٦ برقم ٩٥٢٥) لكن فيه [فقدموا علياً] بدلاً من [عمر] وقد توسع الحافظ ابن حجر في طرق هذا الحديث في تخريج تفسير الكشاف للزمخشري فانظره هناك (ص).

أحدهما : أراد سبيل المسافر إذا كان جنباً لا يصلي حتى يتيمم ، وهذا قول ابن عباس في رواية أبي مجلز عنه ، ومجاهد ، والحكم ، وابن زيد .

والثاني : لا يقرب الجنب مواضع الصلاة من المساجد إلا مارّاً مجتازاً ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك ، وابن يسار عنه ، وهو قول جابر ، والحسن ، والزهري ، والنخعي .

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما انطلق عليه اسم المرض من مستضرٍّ بالماء وغير مستضرٍّ ، وهذا قول داود بن علي .

الثاني : ما استضر فيه باستعمال الماء دون ما لم يستضر ، وهذا قول مالك ، وأحد قولي الشافعي .

والثالث : ما خيف من استعمال الماء فيه التلف دون ما لم يُخفْ ، وهو القول الثاني من قولي الشافعي .

﴿ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما انطلق عليه اسم السفر من قليل وكثير ، وهو قول داود .

والثاني : مسافة يوم وليلة فصاعداً ، وهو قول مالك ، والشافعي رحمهما الله .

والثالث : مسافة ثلاثة أيام ، وهو مذهب أبي حنيفة .

﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ هو الموضع المطمئن من الأرض كان الإنسان يأتيه لحاجته ، فكنى به عن الخارج مجازاً ، ثم كثر استعماله حتى صار كالحقيقة ، والدليل على أن الغائط حقيقة في اسم المكان دون الخارج ، قول الشاعر :

أما أتاك عني الحديث إذ أنا بالغائط أستغيث

وصِحت في الغائط يا خبيث

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ فيه قراءتان :

إحداهما : ﴿ لَمَسْتُمُ ﴾ بغير ألف ، قرأ بها حمزة والكسائي .

والأخرى : ﴿ لَامَسْتُمُ ﴾، وهي قراءة الباقين .

وفي هذه الملامسة قولان :

أحدهما : الجماع ، وهو قول عليّ ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : أن الملامسة باليد والإفضاء ببعض الجسد ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر ، وعبيدة ، والنخعي ، والشعبي ، وعطاء ، وابن سيرين ، وبه قال الشافعي .

وفي اختلاف القراءتين في ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾ أو ﴿ لَامَسْتُمُ ﴾ قولان :

أحدهما : أن ﴿ لَامَسْتُمُ ﴾ أبلغ من ﴿لَمِسْتُمُ﴾.

والثاني : أن ﴿ لَامَسْتُمُ ﴾ يقتضي وجوب الوضوء على اللامس والملموس . ﴿ وَلَمَسْتُمُ ﴾ يقتضي وجوبه على اللامس دون الملموس .

﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه التعبد والتحري ، وهو قول سفيان .

والثاني : أنه القصد ، وذكر أنها في قراءة ابن مسعود : فأتوا صعيداً طيباً .

وفي الصعيد أربعة أقاويل :

أحدها : أنها الأرض الملساء التي لا نبات فيها ولا غِراس ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها الأرض المستوية ، وهو قول ابن زيد .

والثالث : هو التراب ، وهو قول عليّ ، وابن مسعود ، والشافعي .

والرابع : أنه وجه الأرض ذات التراب والغبار ، ومنه قول ذي الرُّمة :

كأنه بالضحى ترمي الصعيدَ به   دَبّابةٌ في عظام الرأس خُرْطوم(٤٤٨)

وفي قوله تعالى : ﴿ طَيِّباً ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : حلالاً ، وهو قول سفيان .

والثاني : طاهراً ، وهو قول أبي جعفر الطبري .

والثالث : تراب الحرث ، وهو قول ابن عباس .

(٤٤٨) ديوانه (٥٧١).

والرابع : أنه مكان حَذِرٌ غير بَطِحٍ ، وهو قول ابن جريج .

﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ .

فالوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في غسل الوضوء .

فأما مسح اليدين ففيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : الكفان إلى الزندين دون الذراعين ، وهو قول عمار بن ياسر ، ومكحول ، وبه قال مالك في أحد قوليه ، والشافعي في القديم .

والثاني : الذراعان مع المرفقين ، وهو قول ابن عمر ، والحسن ، والشعبي ، وسالم بن عبد الله ، والشافعي في الجديد .

والثالث : إلى المنكبين والإبطين ، وهو قول الزهري ، وحكي نحوه عن أبي بكر .

واختلفوا في جواز التيمم في الجنابة على قولين :

أحدهما : يجوز ، وهو قول الجمهور .

والثاني : لا يجوز وهو قول عمر ، وابن مسعود ، والنخعي .

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : نزلت في قوم من الصحابة أصابتهم جراح ، وهذا قول النخعي .

والثاني : أنها نزلت في إعواز الماء في السفر ، وهو قول عائشة رضي الله عنها .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ
ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ
ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ
غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَالَةَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم قد صاروا لجحودهم صفة رسول الله ﷺ كمشتري الضلالة بالهدىٰ .

والثاني : أنهم كانوا يعطون أحبارهم أموالهم على ما كانواْ يصنعونه من التكذيب بالرسول ﷺ .

والثالث : أنهم كانوا يأخذون الرشا ، وقد روىٰ ثابت البناني عن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ لعن الراشي ، والمرتشي ، والرائش ، وهو المتوسط بينهما(٤٤٩) .

قوله تعالى : ﴿ . . . وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه : اسمع لا سمعت ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد .

والثاني : أنه غير مقبول منك ، وهو قول الحسن ، ومجاهد .

﴿ وَرَاعِنَا لَيًّاً بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن هذه الكلمة كانت سَبّاً في لغتهم ، فأطلع الله نبيّه عليها فنهاهم عنها .

والثاني : أنها كانت تجري مجرىٰ الهُزْءِ .

والثالث : أنها كانت تخرج مخرج الكِبْرِ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن

---

(٤٤٩) لم أهتد إلى تخريجه من حديث أنس ولكن الحديث ورد من حديث ثوبان وعائشة وعبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن عوف وأم سلمة ، وسأقتصر على تخريجه من رواية ابن عمرو فقد أخرجها الترمذي (١/٢٥٠) وابن ماجه (٢٣١٣) والحاكم (٢/١٠٢ ، ١٠٣) وصححه ووافقه الذهبي وأحمد (٢/١٦٤ ، ١٩٠) ، (١٩٤ ، ٢٠٢) والطيالسي (٢٢٧٦) والبيهقي من طريقه (١٠/١٣٨ ـ ١٣٩) وقال الترمذي « حسن صحيح » ولفظ الحديث « لعنة الله على الراشي والمرتشي » وهذا لفظ ابن ماجه .
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/١٤٣) « رواه الطبراني بإسناد جيد » .

نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ .

﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ يعني القرآن .

﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني كتبكم .

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن طمس الوجوه هو محو آثارها حتى تصير كالأقفاء ونجعل عيونها في أقفائها حتى تمشي القهقرى ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أن نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها ، أي في ضلالها ذمّاً لها بأنها لا تصلح أبداً ، وهذا قول الحسن ، والضحاك ، ومجاهد ، وابن أبي نجيح ، والسدي .

﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَابَ ٱلسَّبْتِ ﴾ أي نمسخهم قردة ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، والسدي .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ، بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ يعني اليهود في تزكيتهم أنفسهم أربعة أقاويل :

أحدها : قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ، وهذا قول قتادة ، والحسن .

والثاني : تقديمهم أطفالهم لإمامتهم زعماً منهم أنه لا ذنوب لهم ، وهذا قول مجاهد ، وعكرمة .

والثالث : هو قولهم إن أبناءنا يستغفرون لنا ويزكوننا ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : هو تزكية بعضهم لبعض لينالوا به شيئاً من الدنيا ، وهذا قول ابن مسعود .

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي الفتيل الذي في شق النواة ، وهو قول عطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وأحد قولي ابن عباس . قال الحسن : الفتيل ما في بطن النواة ، والنقير ما في ظهرها ، والقطمير قشرها .

والثاني : أنه ما انفتل بين الأصابع من الوسخ ، وهذا قول السدي ، وأحد قولي ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ، وهذا قول عكرمة .

والثاني : أن الجبت : الأصنام ، والطاغوت : تراجمة الأصنام ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أن الجبت السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وهذا قول عمر(٤٥٠)، ومجاهد .

والرابع : أن الجبت الساحر ، والطاغوت الكاهن ، وهذا قول سعيد بن جبير(٤٥١).

والخامس: أن الجبت حُيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف، وهو قول الضحاك.

---

(٤٥٠) تقدم تخريج قول عمر رضي الله تعالى عنه عند قوله تعالى :
﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾ . . . الآية .

(٤٥١) تقدم تخريجه ص

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذاً لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيراً ﴾ وفي النقير ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الذي يكون في ظهر النواة ، وهذا قول ابن عباس ، وعطاء ، والضحاك .

والثاني : أنه الذي يكون في وسط النواة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنه نقر الرجل الشيء بطرفِ إبهامه ، وهو رواية أبي العالية عن ابن عباس .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا ءاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ يعني اليهود .

وفي الناس الذين عناهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم العرب ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنه محمد ﷺ خاصة ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والسدي ، وعكرمة .

والثالث : أنهم النبي ﷺ وأصحابه ، وهو قول بعض المتأخرين .

وفي الفضل المحسود عليه قولان :

أحدهما : النبوة ، حسدواْ العرب على أن كانت فيهم ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه إباحته للنبي ﷺ نكاح من شاء من النساء من غير عدد(*)، وهو قول ابن عباس، والضحاك ، والسدي .

(*) وهذا قبل نزول آية الأحزاب ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن أزواج**﴾ راجع القرطبي (٢٥٢/٥).

﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً ﴾ في الملك العظيم أربعة أقاويل :

أحدها : أنه ملك سليمان بن داود ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : النبوة ، وهو قول مجاهد .

والثالث : ما أُيِّدُوا به من الملائكة والجنود ،وهو قول همام بن الحارث .

والرابع : ما أباحه الله لداود وسليمان من النساء من غير عدد ، حتى نكح داود تسعاً وتسعين امرأة ، ونكح سليمان مائة امرأة ، وهذا قول السدي .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِين كَفَرُواْ بِـَٔايَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِم نَاراً ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ فإن قيل وكيف يجوز أن يُبدّلواْ جلوداً غير جلودهم التي كانت لهم في الدنيا فيعذبوا فيها ؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يُبدَّلواْ أجساماً ، وأرواحاً ، غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت في الدنيا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار غير الذين وعدهم الله في الدنيا على كفرهم بالعذاب بالنار .

وقد أجاب أهل العلمِ عنه بثلاثة أجوبة :

أحدها : أن ألم العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو غير الجلد واللحم ، وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب ، فأما الجلد واللحم فلا يألمان فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان عليه وجلدٌ غَيْرُهُ .

والجواب الثاني : أنه تُعَادُ تلك الجلود الأولى جديدة [غير](*) محترقة .

(*) زيادة يقتضيها السياق .

والجواب الثالث : أن الجلود المُعَادَةَ إنما هي سرابيلهم من قبل أن جعلت لهم لباساً ، فسماها الله جلوداً ، وأنكر قائل هذا القول أن تكون الجلود تحترق وتعاد غير محترقة ، لأن في حال احتراقها إلى حال إعادتها فناءها ، وفي فنائها راحتها ، وقد أخبر الله تعالى : أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ في المعني بذلك أربعة أقاويل :

أحدها : أنه عَنَى وُلاَةَ أمور المسلمين ، وهذا قول شهر بن حَوْشَبٍ ، ومكحول ، وزيد بن أسلم .

والثاني : أنه أمر السلطان أن يعظ النساء ، وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنه خُوطِبَ بذلك النبي ﷺ في عثمان بن أبي طلحة ، أن يرد عليه مفاتيح الكعبة ، وهذا قول ابن جريج .

والرابع : أنه في كل مُؤْتَمَنٍ على شيء ، وهذا قول أُبَيّ بن كعب ، والحسن ، وقتادة . وقد روىٰ قتادة عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « **أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ** »(٤٥٢)

---

(٤٥٢) رواه الطبري (٨/٤٩٣) هكذا مرسلاً وكذا نقله السيوطي في الدر (٢/٥٧٢) ولم ينسبه إلى غيره .

وقد نقله ابن كثير في التفسير (٢/٤٢٠) قال : « وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال . . . ثم ذكره.

ثم قال رواه الإمام أحمد وأهل السنن .

وعلى هذا القول ملاحظات : فإن الإمام أحمد وأهل السنن لم يرووه عن الحسن عن سمرة بعد البحث والتتبع إنما هو في مسند أحمد من حديث رجل لم يُسَمَّ.

ولو ثبت أن الحسن رواه عن سمرة فإن الحسن مدلس وقد عنعنه فتبقى العلة كما هي التدليس وقد نقل السخاوي في المقاصد (ص ٣١) أن الحارث بن أبي أسامة. رواه من طريقة الحسن عن أبي هريرة .

=

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ . يعني أطيعوا الله في أوامره ونواهيه ، وأطيعوا الرسول .

روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَا أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي** »(٤٥٣) .

وفي طاعة الرسول قولان :

أحدهما : اتباع سنته ، وهو قول عطاء .

والثاني : وأطيعوا الرسول إن كان حياً ، وهو قول ابن زيد .

وفي أولي الأمر أربعة أقاويل :

أحدها : هم الأمراء ، وهو قول ابن عباس ، وأبي هريرة(٤٥٤)، والسدي ، وابن زيد .

وقد روى هشام عن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **سَيَلِيكُم بَعْدِي وُلاَةٌ ، فَيَلِيكُمُ البَرُّ بِبِرِّهِ ، وَيَلِيكُمُ الفَاجِرُ بِفجُورِهِ ، فَاسْمَعُوا لَهُم وَأَطِيعُوا فِي كُلِّ مَا وَافَقَ الحَقَّ ، وَصَلُّوا وَرَاءَهُم ، فَإِن أَحْسَنُواْ فَلَكُم وَلَهُم ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَكُم وَعَلَيهُم** »(٤٥٥) .

= وقد ذكر البيهقي في السنن حديث الحسن فقال:« روي ـ يعني الحديث ـ عن الحسن عن النبي وهو منقطع (٢٧١/١٠) السنن ، فأصبح الآن ورود الحديث من ثلاث طرق : الحسن عن النبي مرسلاً ـ الحسن عن سمرة مرفوعاً ـ الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤٥٣) رواه أحمد في المسند برقم (٧٣٣٠ ، ٧٤٢٨ ، ٧٦٤٣) والبخاري (٩٩/١٣) ومسلم (رقم ١٨٣٥) والنسائي ١٥٤/٧ والطبري (٤٩٥/٥) من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤٥٤) وقول أبي هريرة أخرجه الطبري بإسناد صحيح صححه الحافظ في الفتح (٢٥٤/٨) .

(٤٥٥) رواه الطبري (٥٠٢/٨) وسنده ضعيف جداً .

=

واختلف قائلو هذا القول في سبب نزولها في الأمراء ، فقال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إذ بعثه رسول الله ﷺ في سرية .

وقال السدي : نزلت في عمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد حين بعثهما رسول الله ﷺ في سرية .

والقول الثاني : هم العلماء والفقهاء ، وهو قول جابر بن عبد الله ، والحسن ، وعطاء ، وأبي العالية .

والثالث : هم أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو قول مجاهد(٤٥٦) .

والرابع : هم أبو بكر وعمر ، وهو قول عكرمة .

وطاعة وُلَاةِ الأمر تلزم في طاعة الله دون معصيته ، وهي طاعة يجوز أن تزول ، لجواز معصيتهم ، ولا يجوز أن تزول طاعة رسول الله ﷺ ، لامتناع معصيته .

وقد روىٰ نافع عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « **عَلَى المرءِ المُسْلِمِ الطَّاعَةُ فِيمَا أَحبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ فَلَا طَاعَةَ** »(٤٥٧) .

قوله تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ قال مجاهد ، وقتادة : يعني إلى كتاب الله وسنة رسوله .

﴿ **إِن كُنتُم تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَومِ الأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أَحْمَدُ عَاقِبَةً ، وهذا قول قتادة ، والسدي ، وابن زيد .

= ففيه عبد الله بن محمد بن عروة وهو عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير المدني ، قال أبو حاتم متروك الحديث ضعيف جداً .
وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات .
تنبيه : ـ في نسخة المخطوطة وقع عن هشام بن عروة عن أبي صالح عن أبي هريرة والصحيح عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة . . . الحديث .

(٤٥٦) وقول مجاهد هذا أخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح وصححه الحافظ في الفتح (٨/٢٥٤) .

(٤٥٧) رواه الطبري (٨/٥٠٣) واللفظ له . وبنحوه البخاري (٦/٨٢ ، ١٣/ ١٠٩) الفتح ومسلم (٦/٨٦) وأحمد برقم (٤٦٦٨ ، ٦٢٧٨) ونسبه السيوطي في الدر (٢/٥٧٦) لابن أبي شيبة .

والثاني : أَظْهَرُ حقاً وَأَبْيَنُ صَواباً ، وهو معنى قول مجاهد .

والثالث : أحسن من تأويلكم الذي لا يرجع إلى أصل ولا يفضي إلى حق ، وهذا قول الزجاج .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾
فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ
يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ
ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ
قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوآ أَن يَكْفُرواْ بِهِ** ﴾ اختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين :

أحدهما: أنها نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود كان بينهما خصومة ، فقال اليهودي : أحاكمك إلى أهل دينك لأني أعلم أنهم لا يقبلون الرشوة ، وقال المنافق : أحاكمك إلى اليهود منهم كعب بن الأشرف ، لأنه علم أنهم يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة ، فأنزل الله فيهما هذه الآية ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ** ﴾ يعني المنافق ﴿ **وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ** ﴾ يعني اليهودي . ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ** ﴾ يعني الكاهن ، وهذا قول الشعبي ومجاهد .

والثاني : أنها نزلت في رجلين من بني النضير وبني قريظة ، وكانت بنو

قريظة في الجاهلية إذا قتلت رجلاً من بني النضير أقادوا من القاتل ، وكانت بنو النضير في الجاهلية إذا قتلت رجلاً من بني قريظة لم تَقُد من القاتل وأعطوا ديته ستين وَسْقاً من تمر، فلما أسلم ناس من بني قريظة وبني النضير، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة فتحاكموا إلى النبي ﷺ ، فقال النَّضِيرِيُّ لرسول الله : إنا كنَّا في الجاهلية نعطيهم الدية ستين وَسَقاً من تمر ، فنحن نعطيهم اليوم ذلك ، وقالت بنو قريظة : نحن إخوان في النسب والدين وإنما كان ذلك عليه الجاهلية وقد جاء الإسلام ، فأنزل الله تعالى يعيِّرُهم بما فعلوا ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيهِمْ فِيها أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ثم ذكر قول بني النضير ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ثم أَخَذَ النَّضِيرِيَّ فقتله بالقرظي، فتفاخرت النضير وقريظة ودخلوا المدينة، فتحاكموا إلى أبي بردة الأسلمي الكاهن، فأنزل الله في ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم ءَامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ﴾ [النساء: ٦٠] يعني في الحال، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني حين كانوا يهوداً. ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ﴾ يعني أبا بردة الأسلمي الكاهن، وهذا قول السدي.

قوله تعالى :﴿ فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ . .﴾ الآية في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن عمر قتل منافقاً لم يرض بحكم رسول الله ﷺ ، فجاء إخوانه من المنافقين يطالبون بدمه ، وحلفوا بالله أننا ما أردنا في المطالبة بدمه إلا إحساناً إلى النساء ، وما يوافق الحق في أمرنا .

والثاني : أن المنافقين بعد القَوَدِ من صاحبهم اعتذروا إلى رسول الله ﷺ في محاكمتهم إلى غيره بأن قالوا ما أردنا في عدولنا عنك إلا توفيقاً بين الخصوم وإحساناً بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرّ الحق ، فنزلت هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم ﴾ يعني من النفاق الذي يضمرونه .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنهُم وَعِظْهُم ﴾ وفي الجمع بين الإعراض والوعظ مع تنافي اجتماعهما في الظاهر ـ ثلاثة أوجه :

أحدها : أعرض عنهم بالعداوة لهم وعِظهم فيما بدا منهم .

والثاني : أعرض عن عقابهم وعظهم .

والثالث : أعرض عن قبول الأعذار منهم وعظهم .

﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن يقول لهم : إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلكم ، فإنه يبلغ من نفوسهم(*) كل مبلغ ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن يزجرهم عما هم عليه بأبلغ الزواجر .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ومعنى ﴿ شَجَرَ بَيْنَهُم ﴾ أي وقع بينهم من المشاجرة وهي المنازعة والاختلاف ، سُمِّيَ ذلك مشاجرة ، لتداخل بعض الكلام كتداخل الشجر بالتفافها .

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ ﴾ وفي الحرج تأويلان :

أحدهما : يعني شكّاً وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني إثماً ، وهو قول الضحاك .

واختلف في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في المنافق واليهودي اللّذين احتكما إلى الطاغوت ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي .

والثاني : أنها نزلت في الزبير ورجل من الأنصار قد شهد بدراً ، تخاصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرّة كانا يسقيان به نخلاً ، فقال رسول الله ﷺ : « آسْقِ يَا زُبَيرُ ثُمَّ أَرسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ » فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله آن كان ابن عمتك ، فَتَلَوَّنَ وجه رسول الله ﷺ حتى عرف أن قد ساءه ، ثم قال يا

(*) وفي نسخة للمخطوطة : نفوسكم .

زبير : « **احْبِس المَاءَ إلَى الجُدُرِ أَوْ إلَى الكَعْبَين ثُمَّ خَلِّ سَبِيلَ المَاءِ** »(٤٥٨) فنزلت هذه الآية ، وهذا قول عبد الله بن الزبير ، وعروة ، وأم سلمة .

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ آللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ آلنَّبِيِّينَ وَآلصِّدِّيقِينَ وَآلشُّهَدَاءِ وَآلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ أما الصِّدِّيقون فهو جمع صديق ، وهم أتباع الأنبياء .

وفي تسمية الصدِّيق قولان :

أحدهما : أنه فِعِّيل من الصِّدْقِ .

والثاني : أنه فِعِّيل من الصَدَقِةِ . وأما الشهداء فجمع شهيد ، وهو المقتول في سبيل اللّه تعالى .

وفي تسميةِ الشهيد قولان :

أحدهما : لقيامه بشهادة الحق ، حتى قتل في سبيل الله .

والثاني : لأنه يشهد كرامة الله تعالى في الآخرة . ويشهد على العباد بأعمالهم يوم القيامة إذا ختم له بالقتل في سبيل الله .

(٤٥٨) رواه الطبري (٨/٥١٩ برقم ٩٩١٢) والنسائي (٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (١/٥٢٠) والإسماعيلي كما نقله الحافظ في الفتح (٥/٢٦) وبنحوه البخاري (٥/٢٦ ـ ٢٨) ومسلم (٢/٢٢١) وأبو داود (٣٦٣٧) والترمذي (٢/٢٨٩ ، ٢٩٠) وابن ماجه (٢٤٨٠) وابن حبان رقم (٢٣)

من طريق الليث بن سعد عن الزهري عن عروة عن عبد الله بن الزبير .

وأما الصالحون فجمع صالح وفيه قولان :

أحدهما : أنه كل من صلح عمله .

والثاني : هو كل من صلحت سريرته وعلانيته .

وأما الرفيق ففيه قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الرفق في العمل .

والثاني : أنه مأخوذ من الرفق في السير .

وسبب نزول هذه الآية على ما حكاه الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع والسدي أنَّ ناساً توهموا أنهم لا يرون الأنبياء في الجنة لأنهم في أعلى عليين ، وحزنوا وسألوا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني احذرواْ عدُوَّكم .

والثاني : معناه خذواْ سلاحكم فسماه حذراً لأنه به يتقي الحذر .

﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾ والثُّبات : جمع ثُبَة ، والثُّبَةُ العُصْبة ، ومنه قول زهير :

لقد أغدو على ثُبةٍ كرام . . . نشاوَى واجدين لما نشاء(٤٥٩)

(٤٥٩) ديوانه (٧٢) واللسان مادة [ثبا، نشا].

فيكون معنى الآية فانفروا عُصباً وفِرقاً أو جميعاً .

قوله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ يعني يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ، فعبر عن البيع بالشراء .

﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ فإن قيل فالوعد من الله تعالى على القتال فكيف جعل على القتل أو الغلبة ؟ قيل لأن القتال يفضي غالباً إلى القتل فصار الوعد على القتال وعداً على من يفضي إليه ، والقتال على ما يستحقه من الوعد عليه إذا أفضىٰ إلى القتل والغلبة أعظم ، وهكذا أخبر .

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ هي مكة في قول جميع المفسرين ، لما كانوا عليه ، كما أخبر الله به عنهم ، من استضعاف الرجال والنساء والولدان وإفتانهم عن دينهم بالعذاب والأذىٰ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا

﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾
مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ فيمن نزلت هذه الآية فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي ﷺ بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم ، فلما كُتِبَ عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما ذكره الله عنهم ، وهذا قول ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنها نزلت في المنافقين ، وهو قول بعض البصريين .

والثالث : أنها نزلت في اليهود .

والرابع : أنها من صفة المؤمن لما طُبِعَ عليه البشر من المخافة ، وهذا قول الحسن .

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ في البروج ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها القصور ، وهو قول مجاهد ، وابن جريج .

والثاني : أنها قصور في السماء بأعيانها(*) تسمى بهذا الاسم ، وهو قول السدي ، والربيع .

والثالث : أنها البيوت التي في الحصون وهو قول بعض البصريين .

وأصل البروج الظهور ، ومنه تبرج المرأة إذا أظهرت نفسها .

وفي المُشَيَّدَةِ ثلاثة أقاويل :

أحدها : المجصصة ، والشيد الجص ، وهذا قول بعض البصريين .

(*) وفي نسخة للمخطوطة : معينة .

والثاني : أن المُشَيَّدَ المطول في الارتفاع ، يقال شاد الرجل بناءه وأشاده إذا رفعه ، ومنه أشدت بذِكْرِ الرجل إذا رَفَعْتَ منه ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : أن المُشَيَّد ، بالتشديد : المُطَوَّل ، وبالتخفيف : المجصَّص .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ في القائلين ذلك قولان :

أحدهما : أنهم المنافقون ، وهو قول الحسن .

والثاني : اليهود ، وهو قول الزجاج .

وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : البؤس والرخاء .

والثاني : الخصب والجدب ، وهو قول ابن عباس، وقتادة .

والثالث : النصر والهزيمة ، وهو قول الحسن ، وابن زيد .

وفي قوله : ﴿ مِنْ عِندِكَ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أي بسوء تدبيرك ، وهو قول ابن زيد .

والثاني : يعنون بالشؤم الذي لحقنا منك على جهة التطيُّر به ، وهذا قول الزجاج ، ومثله قوله تعالى :﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قوله تعالى :

﴿ مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾

اختلف في المراد بهذا الخطاب على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الخطاب متوجه إلى النبي ﷺ وهو المراد به .

والثاني : أنه متوجه إلى النبي ﷺ والمراد به غيره ، وهو قول الزجاج .

والثالث : أنه متوجه إلى الإنسان ، وتقديره : ما أصابك أيها الإنسان من حسنة فمن الله ، وهذا قول قتادة .

وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحسنة النعمة في الدين والدنيا ، والسيئة المصيبة في الدين والدنيا ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : أن الحسنة ما أصابه يوم بدر ، والسيئة ما أصابه يوم أحد من شج رأسه وكسر رباعيته ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والثالث : أن الحسنة الطاعة ، والسيئة المعصية ، وهذا قول أبي العالية .

قوله تعالى : ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني فبذنبك .

والثاني : فبفعلك .

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ وإنما كانت طاعة لله لأنها موافقة لأمر(*) الله تعالى .

﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع منهم .

والثاني : حافظاً لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ألّا تقوم بها ، فإن الله تعالى هو المجازي عليها .

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ يعني المنافقين ، أي أمرنا طاعة .

﴿ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ ﴾ والتبييت كل عمل دُبِّر ليلاً ، قال عبيد بن همام :

أتوني فلم أرض ما بيّتوا ... وكانواْ أتوْني بأمرٍ نُكُر(٤٦٠)
لأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ منذراً ... وهل يُنْكِحُ الْعَبْدُ حُرٌّ لحُرْ؟

(*) وفي نسخة : لارادة.

(٤٦٠) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٣٣) والكامل (٢/٣٥) واللسان مادة [نكر].

وفي تسمية العمل بالليل بياتاً قولان :

أحدهما : لأن الليل وقت المبيت .

والثاني : لأنه وقت البيوت .

وفي المراد بقوله تعالى : ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ ﴾ قولان :

أحدهما : أنها غيّرت ما أضمرت من الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : معناه فدبَّرت(*) غير الذي تقول على جهة التكذيب ، وهذا قول الحسن .

﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يكتبه في اللوح المحفوظ ليجازيهم(**) عليه .

والثاني : يكتبه بأن ينزله إليك في الكتاب ، وهذا قول الزجاج .

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرءَآنَ ﴾ أصل التدبر الدبور(***)، لأنه النظر في عواقب الأمور .

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ في الاختلاف ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : تناقض من جهة حق وباطل ، وهذا قول قتادة ، وابن زيد .

(*) وفي نسخة : قدّرت.

(**) وفي نسخة : ليجازوا به .

(* * *) هكذا بالأصول ويبدو أن صوابها الدبر ودبر الشيء آخره وعقبه فالمتدبر للقرآن ينظر في آخر أمره وما ينتهي إليه من عواقب .

والثاني : من جهة بليغ ومرذول ، وهو قول بعض البصريين .

والثالث : يعني اختلافاً في الأخبار عما يُسِرُّونَ ، وهذا قول الزجاج .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ﴾ في المعني بهذا قولان :

أحدهما : المنافقون ، وهو قول ابن زيد والضحاك .

والثاني : أنهم ضعفة المسلمين ، وهو قول الحسن ، والزجاج .

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الأمراء ، وهذا قول ابن زيد ، والسدي .

والثاني : هم أمراء السرايا .

والثالث : هم أهل العلم والفقه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن نجيح ، والزجاج .

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أولو الأمر .

والثاني : أنهم المنافقون أو ضعفة المسلمين المقصودون بأول الآية ، ومعنى يستنبطونه : أي يستخرجونه ، مأخوذ من استنباط الماء ، ومنه سُمِّي النبط لاستنباطهم العيون .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ في فضل الله ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني النبي ﷺ .

والثاني : القرآن .

والثالث : اللطف والتوفيق .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أربعة أقاويل :

أحدها : يعني لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يكن يتبع الشيطان .

والثاني : لعلمه الذين يستنبطون إلا قليلاً منكم وهذا قول الحسن وقتادة .

والثالث : أذاعوا به إلا قليلاً ، وهذا قول ابن عباس ، وابن زيد .

والرابع : لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً مع الاتباع .

فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ
بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً
حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ
رُدُّوهَا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : ﴿ **مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِنْهَا** ﴾ في الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة قولان :

أحدهما : أنه مسألة الإنسان في صاحبه أن يناله خير بمسألته أو شر بمسألته ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وابن زيد .

والثاني : أن الشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين ، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم ، لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعَّدَهُم الله عليه .

وفي الكِفْلِ تأويلان :

أحدهما : أنه الوزر والإثم ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : أنه النصيب ، كما قال تعالى : ﴿ **يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ** ﴾ [الحديد : ٢٨] وهو قول السدي ، والربيع ، وابن زيد .

﴿ **وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً** ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : يعني مقتدراً ، وهو قول السدي ، وابن زيد .

والثاني : حفيظاً ، وهو قول ابن عباس ، والزجاج .

والثالث : شهيداً ، وهو قول مجاهد .

والرابع : حسيباً ، وهو قول ابن الحجاج ، ويحكى عن مجاهد أيضاً .

والخامس : مجازياً ، وأصل المقيت القوت ، فَسُمِّي به المقتدر لأنه قادر على إعطاء القوت ، ثم صار اسماً في كل مقتدر على كل شيءٍ من قوت وغيره ، كما قال الزبير بن عبد المطلب :

وذي ضَغَنٍ كَففْتُ النَّفْسَ عنه ... وكنتُ على مَسَاءَتِهِ مُقِيتاً

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ﴾ في المراد بالتحية ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الدعاء بطول الحياة .

والثاني : السلام تطوع مستحب ، ورده فرض ، وفيه قولان :

أحدهما : أن فرض رَدِّهِ عَامٌّ في المسلم والكافر ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : أنه خاص في المسلمين دون الكافر ، وهذا قول عطاء .

وقوله تعالى : ﴿ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ يعني الزيادة في الدعاء .

﴿ أَوْ رُدُّوهَا ﴾ يعني بمثلها ، وروى الحسن أن رجلاً سلَّم على رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم ، فقال رسول الله ﷺ : « وَعَلَيْكُمُ ٱلسَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال النبي ﷺ : « وَعَلَيكُمُ ٱلسَّلَامُ وَرَحْمَةُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي ﷺ : « وَعَلَيْكُم » فقيل : يا رسول الله رددت على الأول والثاني وقلت للثالث وعليكم ، فقال : « إِنَّ الأَوَّلَ سَلَّمَ وَأَبْقَى مِنَ التَّحِيَّةِ شَيئاً ، فَرَدَدْتُ عَلَيهِ بِأَحْسَنَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، كَذَلِكَ الثَّانِي ، وإِنَّ الثَّالِثَ جَاءَ بِالتَّحِيَّةِ كُلِّهَا ، فَرَدَدْتُ عَلَيهِ مِثْلَ ذَلِكَ »(٤٦١) .

(٤٦١) مرسل وقد رواه ابن جرير (٨/٥٨٩) من حديث سلمان بنحوه . وزاد السيوطي في الدر (٢/١٨٨) نسبته لأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وقال السيوطي « بسند حسن » لكن قال الهيثمي في المجمع (٨/٣٣) رواه الطبراني وفيه هشام بن لاحق قواه النسائي وترك أحمد حديثه وبقية رجاله رجال الصحيح .

وقد قال ابن عباس : ترد بأحسن منها على أهل الإسلام ، أو مثلها على أهل الكفر ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **لَا تَبْدَأُواْ الْيَهُودَ بِالسَّلَامِ فَإِنْ بَدَأُوكُم فَقُولُواْ : عَلَيْكُم** »[٤٦٢] .

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً** ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حفيظاً ، وهو قول مجاهد .

والثاني : محاسباً على العمل للجزاء عليه ، وهو قول بعض المتكلمين .

والثالث : كافياً ، وهو قول البلخي .

قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ** ﴾ وفي تسمية القيامة قولان :

أحدهما : لأن الناس يقومون فيه من قبورهم .

والثاني : لأنهم يقومون فيه للحساب .

فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ
فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ
فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
فَلَقَـٰتَلُوكُمْۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ
عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ

(٤٦٢) فمن حديث أبي هريرة رواه مسلم برقم (٢١٦٧) ولفظه « لا تبدأو اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » ومن حديث أنس بلفظ « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم » رواه البخاري (١١/٣٦) ومسلم رقم (٢١٦٣) وأبو داود رقم (٥٢٠٧) والترمذي برقم (٣٢٩٦) .

مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُم فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ اختلف فيمن نزلت هـذه الآية بسببه على خمسة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في الذين تخلَّفُواْ عن رسول الله ﷺ يوم أحـد ، وقالـواْ : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وهذا قول زيد بن ثابت .

والثاني : أنها نزلت في قوم قَدِمُواْ المدينة فـأظهروا الإسـلام ، ثم رجعواْ إلى مكة فأظهرواْ الشرك ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

والثالث : أنها نزلت في قوم أظهرواْ الإسلام بمكـة وكانـواْ يعينون المشـركين على المسلمين ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والرابع : أنها نزلت في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها نفاقاً ، وهذا قول السدي .

والخامس : أنها نزلت في قوم من أهل الإفك ، وهذا قول ابن زيد .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : معناه ردهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أوقعهم ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أهلكهم ، وهذا قول قتادة .

والرابع : أَضَلَّهم ، وهذا قول السدي .

والخامس : نكسهم ، وهذا قول الزجاج .

﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن تُسَمُّوهم بالهُدىٰ وقد سمّاهم الله بالضلال عقوبة لهم .

والثاني : تهدوهم إلى الثواب بمدحهم والله قد أَضَلَّهم بذمهم .

﴿ . . . . إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ أي يدخلون في قوم بينكم وبينهم أمان فلهم منه مثل ما لكم .

قال عكرمة : نزلت في الهلال بن عويمر الأسلمي ، وسراقة بن مالك بن جُعْثَم ، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف .

قال الحسن : هؤلاء بنو مُدْلِج كان بينهم وبين قريش عهد ، وبين رسول الله ﷺ [وقريش](*) عهد ، فحرم الله من بني مُدْلِج ما حرّم من قريش .

﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ معنى حصرت أي ضاقت ، ومنه حُصِرَ العدو وهو الضيق ، ومنه حصر العداة لأنهم قد ضاقت عليهم مذاهبهم .

ثم فيه قولان :

أحدهما : أنه إخبارٌ من الله عنهم بأن صدورهم حَصِرتْ .

والثاني : أنه دعاء من الله عليهم بأن تُحصَرَ صدورهم ، وهذا قول أبي العباس .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ وفي تسليطهم قولان :

أحدهما : بتقوية قلوبهم .

والثاني : بالإذن في القتال ليدافعوا عن أنفسهم .

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الصلح ، وهو قول الربيع .

والثاني : الإسلام ، وهو قول الحسن .

﴿ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ قال الحسن ، وقتادة ، وعكرمة : هي منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[التوبة : ٥].

قوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ هم

* زيادة للإيضاح من تفسير القرطبي .

قوم يُظْهِرُونَ لقومهم الموافقة ليأمنوهم ، وللمسلمين الإسلام ليأمنوهم ، وفيهم أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم أهل مكة ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنهم من أهل تهامة ، وهذا قول قتادة .

والثالث : قوم من المنافقين ، وهذا قول الحسن .

والرابع : أنه نعيم بن مسعود الأشجعي ، وهذا قول السدي .

﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ﴾ أي كلما رُدُّوا إلى المحنة في إظهار الكفر رجعواْ فيه .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً ﴾ اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان أخا أبي جهل لأمه قتل الحارث بن زيد من بني عامر بن لؤي ، لأنه كان يعذب عياشاً مع أبي جهل واختلف أين قتله ، فقال عكرمة ومجاهد : قتله بالحرّة بعد هجرته إلى المدينة وهو لا يعلم بإسلامه ، وقال السدي : قتله يوم الفتح وقد خرج من مكة وهو لا يعلم بإسلامه .

والقول الثاني : أنها نزلت في أبي الدرداء حين قتل رجلاً بالشعب فحمل عليه بالسيف[٤٦٣]، فقال : لا إله إلا الله ، فبدر فضربه ثم وجد في نفسه فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ، فقال رسول الله ﷺ : « أَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ » وهذا قول ابن زيد . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً ﴾ يعني وما أَذِنَ الله لمؤمن أن يقتل مؤمناً .

ثم قال : ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ يعني أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ وليس مما جعله الله له ، وهذا من الاستثناء الذي يسميه أهل العربية : الاستثناء المنقطع ، ومنه قول جرير :

من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ   على الأرض إلّا رَيْط بُردٍ مرحّلِ[٤٦٤]

يعني ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد وليس البرد من الأرض .

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ وفيها قولان :

أحدهما : أنها لا يجزىء عتقها في الكفارة إلا أن تكون مؤمنة بالغة قد صلت وصامت ، وهذا قول ابن عباس ، والشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وإبراهيم .

والقول الثاني : أن الصغيرة المولودة من أبوين مسلمين تكون مؤمنة تجزىء في الكفارة ، وهذا قول عطاء ، والشافعي .

﴿ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ ﴾ في الدية وجهان :

أحدهما : أنها مجملة أخذ بيانها من رسول الله ﷺ .

والثاني : أنها معهودة تقدم العمل بها ثم توجه الخطاب إليها فجعل الله الرقبة تكفيراً للقاتل في ماله والدية بدلاً من نفس المقتول على عاقلته .

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي إن كان قومه كفاراً وهو مؤمن ففي قتله تحرير رقبة مؤمنة وليس فيه ديةٌ ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد . قال ابن زيد : لا تؤدى إليهم لأنهم يَتَقَوُّونَ بها.

---

(٤٦٣) رواه ابن جرير مطولاً (٣٤/٩) وهو كما ترى مرسل .

(٤٦٤) ديوانه (٤٥٧) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٧/١)

والثـاني : معناه فـإن كان من قـومٍ عدو لكم يعني أهـل حرب إذا كـان فيهم مؤمن فَقُتِلَ من غير علم بـإيمانه ففيـه الكفارة دون الـدية سـواء كان وارثـه مسلماً أو كافراً وهذا قول الشافعي ، ويكون معنى قوله : ﴿ من قوم إلى قوم ﴾، وعلى القول الأول هي مستعملة على حقيقتها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : هم أهل الذمة من أهل الكتـاب ، وهو قـول ابن عباس ، يجب في قتلهم الدية والكفارة .

والثـاني : هم أهـل عهـد رسـول الله ﷺ من العـرب خـاصـة ، وهـذا قــول الحسن .

والثالث : هم كل من له أمان بـذمة أو عهـد فيجب في قتله الديـة والكفارة ، وهو قول الشافعي .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الصوم بدل من الرقبة وحدها إذا عدمها دون الدية ، وهـذا قول الجمهور .

والثاني : أنه بدل من الرقبة والدية جميعاً عند عدمها ، وهذا قول مسروقٍ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـداً فِيهَا ﴾ قـال ابن جـريج : نـزلت في مقيس بن صبابـة(*)، وقد كـان رجل من بني فهـر قتل أخـاه ، فأعطاه النبي ﷺ الدية وضربها على بني النجـار ، فقبلها ، ثم بعث رسـول الله ﷺ مقيس بن صبابة ومعه الفهري في حاجة فاحتمل مقيس الفهريَّ وكان أَيِّدا(*) فضرب به الأرض ورضخ رأسه بين حجرين ثم ألقىٰ يغني :

قتلت به فِهراً وحملت عقله   سراة بني النجار أرباب فارع

(*) وفي الطبري (   ) ضبابة.
(*) يعني قوياً .

فقال رسول الله ﷺ : « أَظُنُّهُ أَحْدَثَ حَدَثاً ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِن كَانَ فَعَلَ لَا أُؤَمِّنْهُ فِي حِلٍ وَلَا حَرمٍ فَقُتِلَ عَامَ الفَتْحِ »(٤٦٥).

وروى سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعمِدّاً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ . . . » الآية ، فقيل له : وإن تاب وآمن وعمل صالحاً . قال وأنَّى له التوبة(٤٦٦). قال زيد بن ثابت . فنزلت الشديدة بعد الهدنة بستة أشهر ، يعني قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ بعد قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الفرقان : ٦٨].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُم فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ .

الآية . قيل إنها نزلت في رجل كانت معه غُنَيْمَاتٌ لقيته سريَّة لرسول الله ﷺ ، فقال لهم : السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فبدر إليه بعضهم فقتله ، فلما أتىٰ رسول الله ﷺ قال له : « لِمَ قَتَلْتَهُ وَقَدْ أَسْلَمَ » قال إنما قالها تعوذاً ، قال : « هَلَّا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ » ثم حمل رسول الله ﷺ ديته إلى أهله وردّ عليهم غنمه(٤٦٣).

---

(٤٦٥) رواه الطبري عنه عن عكرمة (٩/٦١) في التفسير وفي التاريخ (٣/٦٦) والمرفوع منه فيه زيادة لم يذكرها المؤلف هنا وهي لا أؤمنه في حل ولا حرم ولا سلم ولا حزب ، ونسبه السيوطي في الدر (٢/٦٢٣) لابن أبي حاتم من قول سعيد بن جبير .

(٤٦٦) رواه الطبري (٩/٦٤) مختصراً برواية المؤلف ومطولاً (٩/٦٣) ونسب السيوطي الرواية المطولة في الدر (٢/٦٢٣) لسعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والطبراني من طريق سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس .

(٤٦٧) رواه الطبري عن السدي (٩/٧٨) وبنحوه عن قتادة (٩/٧٩) وهناك رواية عن سعيد بن جبير قال : خرج المقداد بن الأسود في سرية . . . الحديث رواه الطبري (٩/٨٠).

واختلف في قاتله على خمسة أقاويل :

أحدها : أنه أسامة بن زيد ، وهو قول السدي .

والثاني : أنه المقداد ، وهو قول سعيد بن جبير .

والثالث : أبو الدرداء ، وهو قول ابن زيد .

والرابع : عامر بن الأضبط الأشجعي ، وهو قول ابن عمر .

والخامس : هو محلِّم بن جثامة الليثي . ويقال إن القاتل لفظته الأرض ثلاث مرات ، فقال رسول الله ﷺ : « **إنَّ الأَرْضَ لَتقبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِّنهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ لَكُم عِبْرَةً ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَن تُلْقَى عَلَيهِ الحِجَارَةُ** »(٤٦٨) .

﴿ **كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ** ﴾ أي كفاراً مثلهم .

﴿ **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ** ﴾ يعني بالإسلام .

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

---

(٤٦٨) رواه الطبري مرفوعاً من حديث ابن عمر (٧٢/٩) ولفظه : « بعث النبي محلم بن جثامة مبعثاً فلقيهم عامر بن الأطبط . . . » الحديث .

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾ .

في المراغم خمسة تأويلات :

أحدها : أنه المتحوَّل من أرض إلى أرض ، وهذا قول ابن عباس والضحاك . ومنه قول نابغة بني جعدة :

كطوْدٍ يُلاذ بأركانه . . . عزيز المراغم والمطلب[٤٦٩]

والثاني : مطلب المعيشة ، وهو قول السدي ، ومنه قول الشاعر :

إلى بلدٍ غير داني المحل . . . بَعيد المُراغم والمطلب

والثالث : أن المراغم المهاجر ، وهو قول ابن زيد :

والرابع : يعني بالمراغم مندوحة(*) عما يكره .

والخامس : أن يجد ما يرغمهم به ، لأن كل من شخص عن قومه رغبة عنهم فقد أرغمهم ، وهذا قول بعض البصريين . وأصل ذلك الرغم وهو الذل . والرّغام : التراب لأنه ذليل ، والرُّغام بضم الراء ما يسيل من الأنف .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَعَةً ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : سعة في الرزق وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني من الضلالة إلى الهدىٰ ومن العيلة إلى الغنىٰ ، وهو قول قتادة .

والثالث : سعة في إظهار الدين .

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُم فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي سرتم ، لأنه يضرب الأرض

---

(٤٦٩) ديوانه (٢٢) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٣٨/١) واللسان مادة (رغم) وفي هذه المصادر « عزيز المراغم والمهرب » بدلاً من « والمطلب » وقد أورده الطبري هكذا موافقاً للمصادر .

(*) هكذا بالأصول وفي تفسير ابن عطية والقرطبي المتزحزح عما يكره .

برجله في سيره كضربه بيده ، ولذلك سُمِّيَ السفر في الأرض ضَرْباً .

﴿فَلَيسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُـرُواْ مِنَ ٱلصَّـلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُـمُ ٱلَّـذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ اختلف في هذا القصر المشروط بالخوف على قولين :

أحدهما : أنه قَصَرَ أركانها إذا خاف ، مع استيفاء أعدادها فيصلي عند المسايفة والتحام القتال كيف أمكنه قائماً وقاعداً وموميأ ، وهي مثل قوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً ﴾ [البقرة: ٢٣٩] وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنه قصر أعدادها من أربع إلى ما دونها ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن هذا مشروط بالخوف من أربع إلى ركعتين ، فإن كان آمناً مقيماً لم يقصر ، وهذا قول سعد بن أبي وقاص ، وداود بن علي .

والثاني : أنه قَصْرَان ، فقصر الأمْن من الأربع إلى ركعتين ، وقصر الخوف من ركعتين إلى ركعة ، وهذا قول جابر بن عبد الله والحسن . وقد روى مجاهد عن ابن عباس قال : فرض الله عز وجل على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة .

والثالث : أنه يقصر في سفر خائفاً وآمناً من أربع إلى ركعتين لا غير .

روي عن أبي أيوب عن علي عليه السلام قال(٤٧٠): سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلأَرْضِ فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ ﴾ ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلاّ شددتم عليهم ؟ فقال قائل منهم : إن لهم أُخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله تعالى بين الصلاتين ﴿ إِنْ خِفْتُم أَن يَفْتِنَكُم ٱلَّـذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُم عَدُوّاً مُبِيناً ﴾ إلى قوله : ﴿ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ فنزلت صلاة الخوف .

(٤٧٠) رواه ابن جرير (٩/١٢٦) وسنده ضعيف ففيه سيف بن عمر التميمي وهو متروك الحديث وفيه أيضاً عبد الله بن هاشم قال الشيخ محمود شاكر لم أجد له ترجمة ولا ذكراً وضعف الحديث في تخريج الطبري (٩/١٢٦) وقد ضعفه قبله الحافظ ابن كثير (١/٥٤٨) وقال هذا سياق غريب جداً لكن لبعضه شاهد من رواية ابن عباس الزرقي واسمه زيد بن الصامت .

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ أن يصلي في الخوف بأصحابه .

واختلف أهل العلم فيه هل خص به النبي ﷺ ؟ على قولين :

أحدهما : أنه خاص له وليس لغيره من أمته أن يصلي في الخوف كصلاته ، لأن المشركين عزموا على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فأطلع الله نبيه على سرائرهم وأمره بالتحرز منهم ، فكان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد ، فلذلك صار هذا خاصاً للنبي ﷺ ، وهذا القول محكي عن أبي يوسف .

والقول الثاني : أن ذلك عام للنبي ﷺ ولغيره من أمته إذا كان على مثل حاله في خوفه ، لأن ذكر السبب الذي هو الخوف يوجب حمله عليه متى وجد كما فعل الصحابة بعده حين خافوا وهو قول الجمهور .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ يعني مع النبي ﷺ في الصلاة ، وطائفة بإزاء العدو .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلَحَتَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المأمورين بأخذ السلاح هم الذين مع رسول الله ﷺ ، وهذا قول الشافعي .

والثاني : هم الذين بإزاء العدو يحرسون ، وهذا قول ابن عباس .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ ﴾ يعني فإذا سجدت الطائفة التي معك في الصلاة .

﴿ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ يعني بإزاء العدو .

واختلفوا في قوله تعالى : ﴿ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ هل ذلك بعد فراغهم من الصلاة وتمامها بالركعة التي أدركوها معه ؟ على قولين :

أحدهما : قد تمت بالركعة حتىٰ يصلوا معها بعد فراغ الإمام ركعة أخرىٰ ، وهذا قول من أوجب عليه الخوف ركعتين .

ومن قال بهذا اختلفوا هل يتمون الركعة الباقية عليهم قبل وقوفهم بإزاء العدو أو بعده ؟ على قولين :

أحدهما : قبل وقوفهم بإزاء العدو ، وهو قول الشافعي .

والثاني : بعده وهو قول أبي حنيفة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ ﴾ يريد الطائفة التي بإزاء العدو تأتي فتصلي مع رسول الله ﷺ الركعة التي بقيت عليه ، وتمضي الطائفة التي صلّت فتقف موضعها بإزاء العدو . وإذا صلت مع النبي ﷺ الركعة الباقية عليه ففيه قولان :

أحدهما : أن ذلك فرضها وتسلم بسلامه ، وهذا قول من جعل فرضه في الخوف ركعة .

والقول الثاني : أن عليها ركعة أخرى ، وهذا قول من جعل فرضه في الخوف ركعتين كالأمن ، فعلى هذا متى تفارقه ؟ فعلى قولين :

أحدهما : قبل تشهده .

والثاني : بعده ، وقد روى القولين معاً سهل بن أبي حَثمة عن النبي ﷺ(٤٧١) .

---

(٤٧١) رواه البخاري (٣٢٩/٧ فتح) ومسلم (١٢٨/٦) وأحمد برقم (٤٤٨/٤) والبيهقي في السنن (٢٥٣/٣ ، ٢٥٤) والطبري رقم (١٠٣٤٦) وللحديث روايات أخرى عند سهل بن أبي حثمة أنظرها في الطبري (١٤٥/٩) .

وهل تتم ركعتها الباقية قبل وقوفها بإزاء العدو ؟ على قولين :

أحدهما : تتمها قبل الوقوف بإزائه ، وهو قول الشافعي .

والثاني : تقف بإزائه قبل إتمامها حتى إذا أتمت الطائفة الأولى ركعتها عادت فوقفت بإزاء العدو ، ثم خرجت هذه فأتمت ركعتها ، وهذا قول أبي حنيفة .

وهذه الصلاة هي نحو صلاة النبي ﷺ بذات الرقاع .

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلاَةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً ﴾ يعني ذكر الله بالتعظيم والتسبيح والتقديس بعد صلاته في خوفٍ وغيره : قال ابن عباس : لم يعذر أحد في تركه إلا مغلوباً على عقله .

﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فإذا أقمتم بعد السفر فأتموا الصلاة من غير قصر ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد .

والثاني : معناه فإذا أمِنْتم بعد خوفكم فأتموا الركوع والسجود من غير إيماء ولا مشي ، وهذا قول السدي .

﴿ إِنَّ ٱلصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي فرضاً واجباً ، وهو قول ابن عباس ، والحسن .

والثاني : يعني مؤقتة في أوقاتها ونجومها ، كلما مضى نجم جاء نجم ، وهو قول ابن مسعود ، وزيد بن أسلم .

﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي لا تضعفواْ في طلبهم لحربهم .

﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي ما أصابهم منكم فإنهم يألمون به كما تألمون بما أصابكم منهم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ أي هذه زيادة لكم عليهم وفضيلة خُصِصْتُم بها دونهم مع التساوي في الألم .

وفي هذا الرجاء اثنان من التأويلات :

أحدهما : معناه أنكم ترجون من نصر الله ما لا يرجون(*) .

والثاني : تخافون من الله ما لا يخافون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾[نوح : ٣١] أي لا تخافون لله عظمة . ومنه قول الشاعر :

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا أسبعةً لاقت معاً أم واحداً(٤٧٢)

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن
لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا
تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا
﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا
لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ
عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ
عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ
ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ
بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ

(*) هكذا في الأصول ولم يذكر التأويل الثاني .

(٤٧٢) أنظر اللسان مادة [رجا] ومعاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٦) .
والأضداد لابن الأنباري (٩) .

مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ
وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ
أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ
مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ
جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الكتاب حق .

والثاني : أن فيه ذكر الحق .

والثالث : أنك به أحق .

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَاكَ ٱللَّهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بما أعلمك الله أنه حق .

والثاني : بما يؤديك اجتهادك إليه أنه حق .

﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً ﴾ أي مخاصماً عنهم ، وهذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق ، واختلف في سبب نزولها فيه ، فقال السدي : كان قد أودع درعاً وطعاماً فجحده ولم تقم عليه بينه ، فهم رسول الله ﷺ بالدفع عنه ، فبين الله تعالى أمره .

وقال الحسن : إنه كان سرق درعاً وطعاماً فأنكره واتهم غيره وألقاه في منزله ، وأعانه قوم من الأنصار ، وخاصم النبي ﷺ عنه أو هَمّ بذلك، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية إلى قوله : ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً ﴾ يعني الذي اتهمه السارق وألقى عليه السرقة .

وقيل : إنه كان رجلاً من اليهود يقال له يزيد بن السمق .

وقيل : بل كان رجلاً من الأنصار يُقَال له لبيد بن سهل .

وقيل : طعمة(*) بن أبيرق فارتد فنزلت فيه هذه الآية .

ولحق بمشركي أهل مكة فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ الآية [النساء: ١١٥].

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن الإناث اللات والعزى ومَناة ، وهو قول السدي وابن زيد وأبي مالك .

والثاني : أنها الأوثان ، وكان في مصحف عائشة : ﴿ إِن تَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً ﴾ .

والثالث : الملائكة ، لأنهم كانوا يزعمون أنهم بنات الله ، وهذا قول الضحاك .

(*) هكذا في الأصول وفي سيرة ابن هشام (٢/١٧١) والقرطبي (٥/٣٧٥ ، ٣٧٦) أبو طعمة .

والرابع : الموات الذي لا روح فيه ، لأن إناث كل شيء أرذله ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ ولأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ يعني الإيمان .

﴿ ولأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ يعني بطول الأمل في الدنيا ليؤثروها على الآخرة .

﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَامِ ﴾ أي لَيُقَطِّعُنَّهَا نسُكاً لأوثانهم كالبحيرة والسائبة .

﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني دين الله ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، وإبراهيم .

والثاني : أنه أراد به خصاء البهائم ، وهذا قول ابن عباس ، وأنس ، وعكرمة .

والثالث : أنه الوشم ، وهو قول ابن مسعود ، والحسن .

قال ابن مسعود : « لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ والمتنمِّصَاتِ والمُتَفَلِّجَاتِ للحسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ »(٤٧٣) .

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ﴾ في الكلام مضمر

(٤٧٣) قول ابن مسعود هذا مرفوعاً رواه البخاري (١٠/٣١٣ ، ٣١٤) ومسلم رقم (٢١٢٥) وأبو داود رقم (٤١٦٩) والترمذي رقم (٢٧٨٣) والنسائي (٨/١٤٦ ـ ١٤٨) .

محذوف وتقديره ليس الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، على قولين :

أحدهما : أنهم عبدة الأوثان ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنهم أهل الإسلام ، وهو قول مسروق ، والسدي .

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ السوء ما يسوء من القبائح ، وفيه ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الشرك بالله تعالى ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : أنه الكبائر ، وهذا قول أُبَيٍّ بن كعب .

والثالث : أنه ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاءً عن سيئاته كما روى محمد بن قيس بن مخرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ شقت على المسلمين وبلغت بهم ما شاء الله أن تبلغ فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « قَارِبُوا وَسَدِّدُواْ فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ المُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّىٰ النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا أَوْ الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا »(٤٧٤) .

وروى الأعمش عن مسلم قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ما أشَدَّ هذه الآية ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ المُصِيبَةَ فِي الدُّنْيَا جَزَاءٌ »(٤٧٥) .

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ فِي يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ الآية . اختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : هو أن سبب نزولها أنهم في الجاهلية كانواْ لا يورثون النساء ولا

---

(٤٧٤) رواه الطبري (٩/ ٢٤٠) وأحمد في مسنده رقم (٧٣٨٠) والبيهقي في سننه رقم (٣/ ٣٧٣) .

(٤٧٥) رواه الطبري (٩/ ٢٤٣) .

الأطفال ، فلما فرض الله تعالى المواريث في هذه السورة شق ذلك على الناس ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية(*) .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني المواريث ، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وابن زيد .

والثاني : أنهم كانوا لا يؤتون النساء صدقاتهن ويتملكها أولياؤهن ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَاءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ سألوا رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ يعني ما فرض لهن من الصداق وهو قول عائشة .

﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ترغبون عن نكاحهن لقبحهن .

والثاني : تمسكونهن رغبة في أموالهن وجمالهن ، وهو قول عائشة .

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً ﴾ الآية اختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني في سبب النزول .

أحـدهما : أنهـا نزلت في رسـول الله ﷺ حين هم بـطلاق سـودة بنت زمعـة فجعلت يومها لعائشة على ألا يطلقها ، فنزلت هذه الآية فيها . وهذا قول السدي .

والقول الثاني : أنها عامـة في كل امـرأة خافت من بعلهـا نشوزاً أو إعـراضاً . والنشوز : الترفع عنها لبغضها ، والإعراض : أن ينصرف عن الميل إليهـا لمؤاخذة أو أثرة .

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً ﴾ إمَّا من تَرْكِ مهرٍ أو إسقاط قَسَم .

﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني خيراً من النشوز والإعراض ، وهو قول بعض البصريين .

والثاني : خير من الفرقة ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنفس النساء أحضرت الشح عن حقوقهن من أزواجهن وأموالهن ، وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثـاني : أحضرت نفس كـل واحـد من الـرجـل والمـرأة الشح بحقـه قبـل صاحبه ، وهو قول الحسن .

قـولـه تعـالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني بقلوبكم ومحبتكم .

﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ولو حرصتم أن تعدلوا في المحبة ، وهو قول مجاهد .

والثاني : ولو حرصتم في الجماع ، وهو قول ابن عباس .

﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ أي فلا تميلواْ بأفعالكم فتَتْبِعُوهَا أهواءَكم .

﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ يعني لا أيِّماً ولا ذات زوْج .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ يعني الزوجين إن تفـرقا بالطلاق .

﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : يغني الله كل واحد منهما بالقناعة والصبر عن صاحبه ، ومعنى قوله : ﴿ من سعته ﴾ أي من رحمته ، لأنه واسع الرحمة .

والثاني : يغني الله كل واحد منهما عن صاحبه بمن هو خير منه ، ومعنى قوله : ﴿ من سعته ﴾ أي من قدرته لأنه واسع القدرة .

والثالث : يغني الله كل واحد منهما بمال يكون أنفع له من صاحبه . ومعنى قوله : ﴿ من سعته ﴾ أي من غناه لأنه واسع الغنى .

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِأَخَرِينَ ﴾ روى سهل بن أبي صالح عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه لما نزلت ضرب بيده على ظهر سلمان وقال : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا »(٤٧٦) يعني عجم الفرس .

قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلأَخِرَةِ ﴾ ثواب الدنيا النعمة ، وثواب الآخرة الجنة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ

---

(٤٧٦) رواه الطبري (٢٩٩/٩ ، ٤٢/٢٦) ونسبه السيوطي في الدر (٥٠٦/٧) من حديث أبي هريرة لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والذي في الدر من رواية هؤلاء لما نزلت « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم » قيل من هؤلاء وسلمان رضي الله عنه إلى جنب النبي ﷺ فقال هم الفرس وهذا وقومه.

أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟
ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ يعني بالعدل ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ يعني بالحق .

﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بما عليه من الحق لخصمه .

﴿ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أن يشهد عليهم لا لهم .

﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾ قال السدي : نزلت في النبي ﷺ وقد اختصم إليه رجلان : غني وفقير ، فكان ميله مع الفقير ، يرى أن الفقير لا يظلم الغني ، فأمره الله عز وجل أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فقال : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾ .

وقال ابن عباس : نزلت في الشهادة لهم وعليهم .

﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ ﴾ قرأ ابن عباس وحمزة بواو واحدة ، وهي من الولاية أي تلوا أمور الناس أو تتركوا ، وهذا للولاة والحكام .

وقرأ الباقون : ﴿ تَلْوُۥٓا۟ ﴾ بواوين . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو أن يلوي الإنسان لسانه بالشهادة كما يلوي الرجل دين الرجل إذا مطله ، ومنه قول النبي ﷺ « وَلَيُّ ٱلْوَاجِدِ يُبِيحُ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ »(٤٧٧) وقال الأعشى :

يلوونني ديني النهار وأقتضي … ديني اذا وقذ النعاس الرُّقدا

وتكون على هذه القراءة والتأويل هذا خطاب الشهود .

---

(٤٧٧) رواه أبو داود برقم (٣٦٢٨) وابن ماجة برقم (٢٤٢٧).

وابن حبان وصححه (ص ٢٨٣ موارد) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٠٢/٤) والبغوي في شرح السنة (١٩٥/٨) وحسنه في المصابيح (٣٤٥/٢) وأحمد في المسند (٢٢٢/٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩) من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فإن قيل فكيف قيل لهم ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ وحُكِي عنهم أنهم آمنواْ ؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : يا أيها الذين آمنواْ بمن قبل محمد من الأنبياء آمنواْ بالله ورسوله ويكون ذلك خطاباً لليهود والنصارىٰ .

الثاني : معناه يا أيها الذين آمنوا بأفواههم آمنواْ بقلوبكم ، وتكون خطاباً للمنافقين .

والثالث : معناه يا أيها الذين آمنوا داوموٱ على إيمانكم ، ويكون هذا خطاباً للمؤمنين ، وهذا قول الحسن .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم آمنواْ بموسى ثم كفرواْ بعبادة العجل ، ثم آمنوا بموسى بعد عوده ثم كفرواْ بعيسى ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ ، وهذا قول قتادة .

والثاني : أنهم المنافقون آمنوا ثم ارتدواْ ، ثم آمنوا ثم ارتدواْ ، ثم ماتواْ على كفرهم ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أنهم قوم من أهل الكتاب قصدواْ تشكيك المؤمنين فكانواْ يظهرون الإيمان ثم الكفر ثم ازدادواْ كفراً بثبوتهم عليه ، وهذا قول الحسن . واختلف لمكان هذه الآية في استتابة المرتد على قولين :

أحدهما : أن المرتد يستتاب ثلاث مرات بدلالة الآية ، فإن ارتد بعد الثلاث قتل من غير استتابة ، وهذا قول علي .

والثاني : يستتاب كلما ارتد ، وهو قول الشافعي والجمهور .

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ يعني المنافقين .

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ أي فأعطونا من الغنيمة .

﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة ونمنعكم من المؤمنين بالتخذيل عنكم .

والثاني : معناه ألم نبين لكم أننا على دينكم ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : معناه ألم نغلب عليكم ، وهو قول السدي . وأصل الاستحواذ الغلبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَانُ ﴾ يعني غلب عليهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني حُجّة ، وهذا قول السدي .

والثاني : سبيلاً في الآخرة ، وهذا قول عليّ ، وابن عباس .

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ معنى ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي يخادعون نبي الله بما يظهرونه من الإيمان ويبطنونه من الكفر ، فصار خداعهم لرسول الله ﷺ خداعاً لله عز وجل .

﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ يعني الله تعالى ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني يعاقبهم على خداعهم ، فسمى الجزاء على الفعل باسمه(٤٧٨) .

والثاني : أنه أمر فيهم بأمر المُخْتَدِع لهم بما أمر به من قبول إيمانهم وإن علم ما يبطنون من كفرهم .

والثالث : ما يعطيهم في الآخرة من النور الذي يمشون به مع المؤمنين ، فإذا جاؤواْ إلى الصراط طفىء نورهم ، فتلك خديعة الله إياهم .

﴿ وَإِذَا قاموا إِلَى ٱلصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ يحتمل قولين :

أحدهما : متثاقلين .

والثاني : مقصَّرين .

﴿ يُرَآؤُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني أنهم يقصدون بما يفعلونه من البر رياء الناس دون طاعة الله تعالى .

﴿ وَلاَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الرياء ، لأنه لا يكون إلا ذِكراً حقيراً ، وهو قول قتادة .

---

(٤٧٨) أنظر التعليق الذي سبق عند قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

والثاني : يعني يسيراً لاقتصاره على ما يظهر من التكبير دون ما يخفي من القراءة والتسبيح ، وإنما قَلَّ من أجل اعتقادهم لا من قلة ذكرهم . قال الحسن : لأنه كان لغير الله تعالى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني إلا أن يكون مظلوماً فيدعو على من ظلمه ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : إلا أن يكون مظلوماً فيجهر بظلم من ظلمه ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : إلا من ظلم فانتصر من ظالمه ، وهذا قول الحسن ، والسدي .

والرابع : إلا أن يكون ضيفاً ، فينزل على رجل فلا يحسن ضيافته ، فلا بأس أن يجهر بذمه ، وهذه رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد .

ثم قال بعد أن أباح الجهر بالسوء من القول لمن كان مظلوماً : ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ ﴾ يعني خيراً بدلاً من السوء ، أو تخفوا السوء ، وإن لم تبدوا خيراً اعفوا عن السوء ، كان أولى وأزكىٰ ، وإن كان غير العفو مباحاً .

يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن اليهود سألوا محمداً ﷺ ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً ، كما نزل على موسىٰ الألواح ، والتوراة مكتوبة من السماء ، وهذا قول السدي ، ومحمد بن كعب .

والثاني : أنهم سألوه نزول ذلك عليهم خاصة ، تحكماً في طلب الآيات ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

والثالث : أنهم سألوه أن ينزِّل على طائفة من رؤسائهم كتاباً من السماء بتصديقه ، وهذا قول ابن جريج .

﴿ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الله تعالى بيَّن بذلك أن سؤالهم للإِعْنَاتِ لا للاستبصار كما

أنهم سألوا موسىٰ أن يريهم الله جهرة ، ثم كفروا بعبادة العجل .

والثاني : أنه بيَّن بذلك أنهم سألوا ما ليس لهم ، كما أنهم سألوا موسى من ذلك ما ليس لهم .

﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم سألوه رؤيته جهرة ، أي معاينة .

والثاني : أنهم قالوا : جهرة من القول أَرِنا الله ، فيكون على التقديم والتأخير ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بظلمهم لأنفسهم .

والثاني : بظلمهم في سؤالهم .

قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِم ﴾ يعني : بالعهد الذي أخذ عليهم بعد تصديقهم بالتوراة أن يعملوا بما فيها ، فخالفوا بعبادة العجل ونقضوه ، فرفع الله عليهم الطور ، ليتوبوا ، وإلَّا سقط عليهم فتابوا حينئذ .

﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه باب الموضع الذي عبدوا فيه العجل ، وهو من أبواب بيت المقدس ، وهذا قول قتادة .

والثاني : باب حِطَّة فأمروا بدخوله ساجدين لله عز وجل .

﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ ﴾ قرأ ورش عن نافع ﴿ تَعَدُّوا ﴾ بفتح العين وتشديد الدال ، من الاعتداء ، وقرأ الباقون بالتخفيف من عَدَوت . وعدوهم فيه تجاوزهم حقوقه ، فيكون تعديهم فيه ـ على تأويل القراءة الثانية ـ ترك واجباته .

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ وهو ميثاق آخر بعد رفع الطور عليهم ، غير الميثاق الأول .

وفي قوله تعالى : ﴿ غَلِيظاً ﴾ قولان :

أحدهما : أنه العهد بعد اليمين .

والثاني : أن بعض اليمين ميثاق غليظ .

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ
وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ
مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها محجوبة عن فهم الإعجاز ودلائل التصديق ، كالمحجوب في غلافة ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : يعني أنها أوعية للعلم وهي لا تفهم احتجاجك ولا تعرف إعجازك ، وهذا قول الزجاج ، فيكون ذلك منهم على التأويل الأول إعراضاً ، وعلى التأويل الثاني إبطالاً .

﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه جعل فيها علامة تدل الملائكة على كفرهم كعلامة المطبوع ، وهو قول بعض البصريين(٤٧٩) .

الثاني : ذمهم بأن قلوبهم كالمطبوع عليها التي لا تفهم أبداً ولا تطيع مرشداً ، وهذا قول الزجاج .

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فيه تأويلان :

(٤٧٩) وهذا القول غير صحيح ومن أقوال القدرية وقد حكاه ابن القيم عنهم ورد عليهم في كتابه شفاء العليل (٢٨٩٠٩٠ وما بعدها) وهذا الطبع الذي ذكره الله تعالى إنما هو جزاء كفرهم وإعراضهم كما قال في آية أخرى ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وهي أنواع من العقوبات التي يضر بها الله تعالى من خالف أمره وعصى رسله وكلها واقعة بقضاء الله وقدره لا كما زعمت القدرية .

أحدهما : أن القليل منهم يؤمن بالله .

الثاني : لا يؤمنون إلا بقليل ، وهو إيمانهم ببعض الأنبياء دون جميعهم .

قوله عز وجل : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ، أما قولهم : ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ فهو من قول اليهود ، أخبر الله به عنهم .

أما ﴿ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ففيه قولان :

أحدهما : أنه من قول اليهود بمعنى رسول الله في زعمه .

والثاني : أنه من قول الله تعالى لا على وجه الإخبار عنهم ، وتقديره : الذي هو رسولي .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنهم كانوا يعرفونه فألقىٰ شبهه على غيره ، فظنوه المسيح فقتلوه ، وهذا قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، ووهب ، والسدي .

والثاني : أنهم ما كانوا يعرفونه بعينه ، وإن كان مشهوراً فيهم بالذكر ، فارتشى منهم يهودي ثلاثين درهماً ، ودلهم على غيره مُوهِماً لهم أنه المسيح ، فَشُبِّهَ عليهم .

والثالث : أنهم كانوا يعرفونه ، فخاف رؤساؤهم فتنة عوامِّهم ، فإن الله منعهم عنه ، فعمدوا إلى غيره ، فقتلوه وصلبوه ، ومَوَّهُوا على العامة أنه المسيح ، ليزول افتتانهم به .

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم اختلفوا فيه قبل قتله ، فقال بعضهم : هو إلـه ، وقال بعضهم : هو ولد ، وقال بعضهم : هو ساحر ، فشكوا . ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ الشك الذي حدث فيهم بالاختلاف .

والثاني : ما لهم بحاله من علم ـ هل كان رسولاً أو غير رسول ؟ ـ إلا اتباع الظن .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وما قتلوا ظنَّهم يقيناً كقول القائل : ما قتلته علماً ، وهذا قول ابن عباس ، وجويبر .

والثاني : وما قتلوا أمره يقيناً أن الرجل هو المسيح أو غيره ، وهذا قول السدي .

والثالث : وما قتلوه حقاً ، وهو قول الحسن .

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه رفعه إلى موضع لا يجري عليه حكم أحد من العباد ، فصار رفعه إلى حيث لا يجري عليه حكم العباد رفعاً إليه ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : أنه رفعه إلى السماء ، وهو قول الحسن(٤٨٠).

قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلا ليؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح ، إذا نزل من السماء ، وهذا قول ابن عباس ، وأبي مالك ، وقتادة ، وابن زيد .

والثاني : إلا ليؤمنن بالمسيح قبل موت الكتابي عند المعاينة ، فيؤمن بما أنـزَل الله من الحق وبالمسيح عيسىٰ ابن مريم، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن سيرين ، وجويبر .

والثالث : إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي ، وهذا قول عكرمة .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ يعني المسيح ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه يكون شهيداً بتكذيب من كذبه وتصديق من صدقه من أهل عصره .

والثاني : يكون شهيداً أنه بلَّغ رسالة ربه ، وأقر بالعبودية على نفسه ، وهذا قول قتادة ، وابن جريج .

---

(٤٨٠) تقدم الكلام على هذا الرفع عند قوله تعالى :﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾فراجعه هناك .

فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا
لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ
يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢ ۞ إِنَّآ
أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤

رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ
لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ
فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ
إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا

لَكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للنصارىٰ خاصة .

والثاني : أنه خطاب لليهود والنصارىٰ ، لأن الفريقين غلوا في المسيح ، فقالت النصارىٰ : هو الرب ، وقالت اليهود : هو لغير رشدة ، وهذا قول الحسن .

والغلو : مجاوزة الحد ، ومنه غلاء السعر ، إذا جاوز الحد في الزيادة . وغلا في الدين ، إذا فرط في مجاوزة الحق .

﴿ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ ﴾ يعني في غلوهم في المسيح .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ رداً على مَنْ جعله إلٰهاً ، أو لغير رشدة [أو] ساحراً .

﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ في كلمته ثلاثة أقاويل :

أحدها : لأن الله كَلَّمه حين قال له كن ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

الثاني : لأنه بشارة الله التي بشر بها ، فصار بذلك كلمة الله .

والثالث : لأنه يهتدى به كما يُهْتَدَىٰ بكلام الله .

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : سُمِّي بذلك لأنه رُوح من الأرواح ، وأضافه الله إلى نفسه تشريفاً له .

والثاني : أنه سُمِّي روحاً ؛ لأنه يحيا به الناس كما يُحْيَون بالأرواح .

والثالث : أنه سُمِّي بذلك لنفخ جبريل عليه السلام ، لأنه كان ينفخ فيه الروح بإذن الله ، والنفخ يُسَمَّىٰ في اللغة روحاً ، فكان عن النفخ فسمي به . . .

﴿ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ : ثَلاَثَةٌ ، ٱنتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ ﴾ في الثلاثة قولان :

أحدهما : هو قول النصارى أب وابن وروح القدس ، وهذا قول بعض البصريين .

والثاني : هو قول من قال : آلهتنا ثلاثة ، وهو قول الزجاج .

لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن
يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن
رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟
بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ هو النبي ﷺ ، لِمَا معه من المعجز الذي يشهد بصدقه .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ يعني القرآن سُمِّي نوراً لأنه يظهر به الحق ، كما تظهر المرئيات بالنور .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : اعتصموا بالقرآن ، وهذا قول ابن جريج .

والثاني : اعتصموا بالله من زيغ الشيطان وهوى الإنسان .

﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ في الهداية قولان :

أحدهما : أن يعطيهم في الدنيا ما يؤديهم إلى نعيم الآخرة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : هو الأخذ بهم في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو قول بعض المفسرين البصريين .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَالَةِ ﴾ الآية . قال البراء ابن عازب : آخر سورة نزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية أنزلت خاتمة ، سورة النساء ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ . . . ﴾ .

وقال جابر بن عبد الله(٤٨١) : نزلت هذه الآية فيَّ ، وقد سألتُ رسول الله ﷺ حين عادني في مرضي ، ولِيَ تسع أخوات ، كيف أصنع بمالي ؟ فلم يجبني بشيء ، حتىٰ نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ إلى آخر السورة .

وقال ابن سيرين(٤٨٢) : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في مسيرة ، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان ، فبلغها رسولُ الله ﷺ حذيفة بن اليمان ، وبلَّغها حذيفةُ عمرَ بن الخطاب ، وهو يسير خلفه .

---

(٤٨١) رواه البخاري (٢/١٢) الفتح ، مسلم (١١/٥٤ ـ ٥٦) وأبو داود في سننه (٣/١٦٤) والترمذي (٣/١٨٠) وقال حسن صحيح وابن ماجه (٣٧٢٨) والإمام أحمد (٣/٣٠٧ ، ٣٧٢) والطيالسي (٢/١٣) وأبو نعيم (٧/١٥٧) وابن جرير (٩/٤٣٣) وزاد السيوطي في الدر نسبته (٢/٧٥٣) لابن سعد وابن المنذر والبيهقي من طرق عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً .

(٤٨٢) رواه ابن جرير (٩/٤٣٥) برقم (٢١٠٨٧٤ ، ٢١٠٨٧٥ ، ٢١٠٨٧٦) وعبد الرزاق وابن المنذر كما في الدر (٢/٧٥٧) وهو حديث منقطع بين حذيفة وابن سيرين كما قال الحافظ ابن كثير (٣/٤٤) وقد رواه البخاري موصولاً عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن حذيفة . ثم قال لا نعلم أحداً رواه إلا حذيفة ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى قال ابن كثير (١/٥٩٤) « وكذا رواه ابن مردويه » أي موصولاً .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبيدة بن حذيفة وثقه ابن حبان . والحديث قد صححه السيوطي في الدر (٢/٧٥٦) وزاد نسبته لأبي الشيخ في الفرائض والعدني .

مِنْ رَوَائِعِ التَّفَاسِير

النُّكَتُ وَالعُيُونُ
تَفْسِيرُ المَاوَرْدِي

تصـنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجُزءُ الثَّانِي

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع ـ بناية الإتحاد الوطني ـ الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب ،
ص.ب ٥١١٥ ـ ١١٤ ـ برقياً ، الكتبكو ـ
بيروت ـ لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ ـ ٨١٥٥٧٣

النُّكتُ والعُيُون
تفسِيرُ الماوَرْدِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ المَائِدَة

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ﴾ فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها عهود الله ، التي أخذ بها الإيمان ، على عباده فيما أحله لهم ، وحرمه عليهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب أن يعملوا بما في التوراة ، والإنجيل من تصديق محمد ﷺ ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : أنها عهود الجاهلية وهي الحلف الذي كان بينهم ، وهذا قول قتادة .

الرابع : عهود الدين كلها[1]، وهذا قول الحسن .

والخامس : أنها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم من بيع ، أو نكاح ، أو يعقدها المرء على نفسه من نذر ، أو يمين ، وهذا قول ابن زيد .

﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الأنعام كلها ، وهي الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهذا قول قتادة ، والسدي .

والثاني : أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها ، إذا نحرت أو ذبحت ، وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر .

والثالث : أن بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش ، ولا يدخل فيها الحافر ، لأنه مأخوذ من نعمة الوطء(*).

قوله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ أي معالم الله ، مأخوذ من الإشعار وهو الإعلام .

وفي شعائر الله خمسة تأويلات :

أحدها : أنها مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنها ما حرمه الله في حال الإحرام ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أنها حرم الله ، وهو قول السدي .

والرابع : أنها حدود الله فيما أحل وحرَّم وأباح وحظَّر ، وهو قول عطاء .

والخامس : هي دين الله كله ، وهو قول الحسن ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج : ٢٢] أي دين الله .

﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي لا تستحلوا القتال فيه ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدَها : أنه رَجَبُ مُضَر .

(١) والصحيح ما قاله القرطبي وجمهور المفسرين أن المراد بالعقود ما يشمل عقود المعاملة وعقود الشريعة وهي التكاليف والواجبات الشرعية التي فرضها الله على عباده وما أُحل وحُرم عليهم .

(*) هكذا في الأصول ولعل العبارة « لأن اسم الأنعام مأخوذ من نعومة الوطء » .

والثاني : أنه ذو القعدة ، وهو قول عكرمة .

والثالث : أنها الأشهر الحرم ، وهو قول قتادة .

﴿ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ أما الهدي ففيه قولان :

أحدهما : أنه كل ما أهداه من شيء إلى بيت الله تعالى .

والثاني : أنه ما لم يقلّد من النعم ، وقد جعل على نفسه ، أن يُهديه ويقلده ، وهو قول ابن عباس .

فأما القلائد ففيها ثلاثة أقاويل :

أنها قلائد الهدْي ، وهو قول ابن عباس ، وكان يرى أنه إذا قلد هديه صار مُحْرِماً .

والثاني : أنها قلائد من لحاء الشجر ، كان المشركون إذا أرادوا الحج قلدوها في ذهابهم إلى مكة ، وعَوْدهم ليأمنوا ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أن المشركين كانوا يأخذون لحاء الشجر من الحرم إذا أرادوا الخروج منه ، فيتقلدونه ليأمنوا ، فَنُهوا أن ينزعوا شجر الحرم فيتقلدوه ، وهذا قول عطاء .

﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ يعني ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام ، يقال أممت كذا إذا قصدته ، وبعضهم يقول يممته ، كقول الشاعر :

إني لذاك إذا ما ساءني بلد ... يممت صدر بعيري غيره بلداً[٢]

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الربح في التجارة ، وهو قول ابن عمر .

والثاني : الأجر ، وهو قول مجاهد . ﴿ وَرِضْوَٰنًا ﴾ يعني رضي الله عنهم بنسكهم .

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ وهذا وإن خرج مخرج الأمر ، فهو بعد حظر ،

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٦/١) وفيه : إني كذاك بدلاً من : إني لذاك والتصحيح من الطبري (٤٧١/٩).

فاقتضى إباحة[٣] الاصطياد بعد الإحلال دون الوجوب .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ[٤] قَوْمٍ ﴾ في يجرمنكم تأويلان .

أحدهما : لا يحملنكم ، وهو قول ابن عباس ، والكسائي ، وأبي العباس المبرد يقال : جرمني فلان على بغضك ، أي حملني ، قال الشاعر :

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا[٥]

والثاني : معناه ولا يكسبنكم ، يقال جرمت على أهلي ، أي كسبت لهم ، وهذا قول الفراء .

وفي ﴿ شَنَئَانُ قَوْمٍ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه بغض قوم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : عداوة قوم ، وهو قول قتادة .

وقال السدي : نزلت هذه الآية في الحُطَم بن هند البكري أتى رسول الله ﷺ ، فقال : إلَامَ تَدعو ؟ فأخبره ، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه : « يَدْخُلُ اليَوْمَ عَلَيكُم رَجُلٌ مِن رَّبِيعةَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ » ، فلما أخبره النبي ﷺ قال : أنظرني حتى أشاور ، فخرج من عنده ، فقال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ ، وَخَرَجَ بِقَفَا غَادِرٍ »[٦] فمر بسرح من سرح المدينة ، فاستقاه وانطلق وهو يرتجز ويقول :

---

(٣) وهذه مسألة أصولية مختلف فيها قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية (٢/ ٥) وهذا أمر بعد الحظر والصحيح الذي يثبت على السير أن يُرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي فإن كان واجباً رده واجباً وإن كان مستحباً فمستحب أو مباحاً فمباح ا هـ. وهذا القول اختاره الزركشي ونصره الشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٤) .

(٤) وقرأ ابن عامر بسكون النون أنظر السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص ٢٤٢) . وعلى قراءة سكون النون يكون [الشنآن] وصفاً كالغضبان .

وقيل : الشنآن على هذه القراءة أيضاً البغض .

(٥) أنظر اللسان مادة [جرم] ، والخزانة (٤/ ٣١٠) ، ومجاز القرآن (١/ ١٤٧) ومشكل القرآن (٤١٨) .

(٦) رواه الطبري (٩/ ٤٧٣) عن السدي قال أقبل الحُطم بن هند البكري ثم أحد بن قيس بن ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ وحده وخلّف خيله خارجة من المدينة فدعاه فقال إلام تدعونا فأخبره . . . الحديث فيه فقال رسول الله ﷺ « لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر » . . . الحديث . . وهو =

لقد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلد الهدي ، فاستأذن أصحاب النبي ﷺ أن يقتلوه ، فنزلت هذه الآية حتى بلغ ﴿ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ فقال له ناس من أصحابه : يا رسول الله خلّ بيننا وبينه ، فإنه صاحبنا ، فقال : « **إنه قد قلد** ».

ثم اختلفوا فيما نسخ من هذه الآية بعد إجماعهم على أن منها منسوخاً على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن جميعها منسوخ ، وهذا قول الشعبي ، قال : لم ينسخ من المائدة إلا هذه الآية .

والثاني : أن الذي نسخ منها ﴿ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أن الذي نسخ منها ما كانت الجاهلية تتقلده من لحاء الشجر ، وهذا قول مجاهد .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

= معضل كما ترى وقد روى الطبري رحمه الله نحوه (٤٧٣/٩) من حديث عكرمة لكن فيه قال قدم الحُطم أخو بني ضبيعة بن ثعلبة البكري المدينة في عير له تحمل طعاماً فباعه ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم فلما ولى خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل عليّ بوجه فاجر وولى بقفا غادر . . . الحديث . . وهذا مرسل من مراسيل عكرمة .

وروى الطبري نحوه عن ابن جريج (٤٧٤/٩) .

قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ فيها تأويلان :

أحدهما : أنه كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره .

والثاني : أنه كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير ذكاة .

﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحرام منه ما كان مسفوحاً كقوله تعالى : ﴿ أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ .

الثاني : أنه كل دم مسفوح وغير مسفوح ، إلا ما خصته السنة من الكبد والطحال[٧] . فعلى القول الأول لا يحرم السمك ، وعلى الثاني يحرم .

﴿ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن التحريم يختص بلحم الخنزير دون شحمه ، وهذا قول داود .

والثاني : أنه يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره ، وهو قول الجمهور ، ولا فرق بين الأهلي منه والوحشي .

﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ ﴾ يعني ما ذبح لغير الله من الأصنام والأوثان[٨] ، وأصله من استهلال الصبي إذا صاح حين يسقط من بطن أمه ، ومنه إهلال المُحْرِم بالحج والعمرة ، قال ابن أحمر :

(٧) وذلك لحديث أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال وقد اختلف في رفعه ووقفه فرواه الشافعي (٢/٤٢٥) وأحمد (٩٧/٢) وابن ماجة (٣٣١٤) من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً . . وعبد الرحمن ضعيف وأخرجه الدارقطني (ص ٥٣٩ ، ٥٤٠) من طريق علي بن مسلم عن عبد الرحمن ومن طريق مطرف عن عبد الله عن أبيهما زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً . . ورواه البيهقي (٢٥٤/١) من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر موقوفاً ثم قال وهذا إسناد صحيح ثم رجحه على المرفوع وتعقبه ابن التركماني في الجوهر النقي بأن الرفع زيادة ثقة . وعلى كل حال فهذا الحديث وإن كان موقوفاً لفظاً فهو مرفوع حكماً لأن قول الصحابي أحل لنا كذا أو حرم علينا كذا من قبيل المرفوع سواء أسنده إلى النبي أو لم يسنده على القول المختار عند أهل الحديث .

(٨) اعلم أن الذبح لغير الله تعالى مع تعظيم الذي ذبح إليه كجلب نفع أو دفع ضر فهذا شرك وضلال، أو نَذْرٌ لهم بشخصهم فالنذر لا يكون إلا لله تعالى وتقرباً إليه أو عن روح فلان .

واعلم أنه لا ضار ولا نافع على الحقيقة إلا الله ومن اعتقد أنه ينتفع بنبي أو ولي من دون مشيئة الله فقد كفر.

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر(٩)

﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها تخنق بحبل الصائد وغيره حتى تموت ، وهو قول السدي ، والضحاك .

والثاني : أنها التي توثق ، فيقتلها خناقها .

﴿ وَٱلْمَوقُوذَةُ ﴾ هي التي تضرب بالخشب حتى تموت ، يقال : (وقذتها أقذها وقذاً ، وأوقذها إيقاذاً ، إذا أثخنتها ضرباً)(*)، ومنه قول الفرزدق :

شغارة تقذ الفصيل برجلها فطّارة لقوادم الأبكار(١٠)

﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ هي التي تسقط من رأس جبل ، أو بئر حتى تموت .

﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ هي الشاة التي تنطحها أخرىٰ حتى تموت .

﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني من المنخنقة وما بعدها ، وهو قول علي رضي الله عنه ، وابن عباس ، وقتادة ، والحسن ، والجمهور .

والثاني : أنه عائد إلى ما أكل السبع خاصة ، وهو محكي عن الظاهرية .

وفي مأكولة السبع التي تحل بالذكاة قولان :

أحدهما : أن تكون لها عين تطرف أو ذنب يتحرك .

والثاني : أن تكون فيها حركة(*) قوية لا كحركة المذبوح ، وهو قول الشافعي ، ومالك .

﴿ . . . وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلأَزْلاَمِ ﴾ معناه أن تطلبوا علم ما قُسِّمَ أو لم يُقَسَّم من رزق أو حاجة بالأزلام ، وهي قداح ثلاثة مكتوب على أحدها : أمرني ربي ، والآخر : نهاني ربي ، والثالث : غفل لا شيء عليه ، فكانوا إذا أرادوا سفراً ، أو

(٩) مجاز القرآن (١/ ١٥٠) واللسان مادة [هلل]

(*) جاء في نسخة أخرى مكان هذه العبارة « وقذه يقذه وقذاً إذا ضربه حتى أشفى على الهلاك .

(١٠) ديوانه (٤٥٤)، النقائض (٣٣٢).

(*) جاء في نسخة للمخطوطة : حياة بدلاً من حركة .

غزواً ، ضربـوا بها واستسقسمـوا ، فإن خـرج أمرني ربي فعلوه ، وإن خـرج نهاني ربي تركوه ، وإن خـرج الأبيض أعادوه ، فنهىٰ الله عنـه ، فَسُمِّي ذلك استقسـاماً ، لأنهم طلبوا به علم ما قُسِمَ لهم .

وقال أبو العباس المبرد : بل هو مشتق من قَسَم اليمين ، لأنهم التزموا ما يلتزمونه باليمين .

﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ أي خروج عن أمر الله وطاعته ، وفعل ماتقدم نهيه عنه .

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن ترتدوا عنه راجعين إلى دينهم .

والثاني : أن يقدروا على إبطاله ويقدحوا في صحته .

قـال مجاهـد : كان ذلـك يوم عـرفة حين حـج النبي ﷺ حجة الـوداع ، بعد دخول العرب الإسلام حتى لم ير النبي ﷺ مشركاً .

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ أي لا تخشوهم أن يظهروا عليكم ، واخشـونِ ، أن تخالفوا أمري .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يوم عرفة في حجة الوداع ولم يعش [الـرسول ﷺ] بعـد ذلك إلَّا إحدى وثمانين ليلة ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : أنه زمان النبي ﷺ كله إلى أنْ نَزَل ذلك عليه في يوم عرفـة ، وهذا قول الحسن .

وفي إكمال الدين قولان :

أحدهما : يعني أكملت فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي(١١) . ولم ينـزل على النبي ﷺ بعـدها شيء من الفـرائض من تحليل ولا تحـريم ، وهـذا قـول ابن عباس والسدي .

---

(١١) هذه الآية حجة على كل مبتدع فلا مجال لأحد كائناً من كـان أن يزيـد في شرع الله أو ينقص فـإن الـدين قد تم والشـريعة قـد كملت فليت الذين يسمـون أنفسهم بالسلطة التشـريعية عقلوا هـذه الآيـة ورجعوا إلى كتاب ربهم وعلموا أن التشريع حق لله وحده .

والثـاني : يعني اليوم أكملت لكم حجتكم ، أن تحجـوا البيت الحـرام ، ولا يحج معكم مشرك ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن جبير .

﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ بإكمال دينكم .

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلَامَ دِيناً ﴾ أي رضيت لكم الاستسلام لأمري دينـاً ، أي طاعة .

روىٰ قبيصة قال : قـال كعب لو أن غيـر هذه الأمـة نزلت عليهم هـذه الآية ، لعظموا اليوم ، الذي أُنزِلت فيه عليهم ، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ، فقال عمـر : قد علمت اليوم الذي أُنزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت في يـوم الجمعة ويوم عرفة ، وكلاهما ـ بحمد الله ـ لنا عيد .

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ أي أصابه ضر الجوع .

﴿ فِي مَخْمَصَـةٍ ﴾ أي في مجاعـة ، وهي مَفْعَلة مثـل مجهلة ومبخلة ومجبنـة ومخزية من خمص البطن ، وهو اصطباره(*) من الجوع ، قال الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرقى يبتن خماصا[١٢]

﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ فيه قولان :

أحـدهما : غيـر متعمد لإثم ، وهـذا قول ابن عبـاس ، والحسن ، وقتـادة ، ومجاهد .

والثاني : غير مائل إلى إثم ، وأصله من جنف القـوم إذا مالـوا ، وكل أعـوج عند العرب أجنف .

وقد روىٰ الأوزاعي عن حسان عن عطية عن أبي واقد الليثي[١٣] قال : قلنـا

(*) هكذا في الأصول وفي اللسان أن الخمص دقة البطن أي ضموره فلعل الصواب اضطماره .

(١٢) ديوانه (١٠٩)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٥٣).

وقع هنا تصحيف في الشطر الثاني من البيت وصوابه :

« وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً » ويروى أيضاً : جوعى بدلاً من غرثى .

(١٣) رواه ابن جرير (٩/٥٣٨) وأحمد (٥/٢٨٥) والحاكم (٤/١٢٥) وقال صحيح على شرط الشيخين فتعقبه الذهبي بقوله : فيه انقطاع اهـ. قلت : يعني بين حسان بن عطية وأبي واقد الليثي كما قال أبو الحجاج المزي ونقله الهيثمي في المجمع (٤/١٦٥). =

يا رسول الله إنا بأرض يصيبنا فيها مخمصة ، فما يصلح لنا من الميتة ؟ قال : « **إذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا أَوْ تَغْتَبِقُوا أَوْ تَجْتَفِئوا بها ، فَشَأْنُكُم بِهَا** » .

واختلف في وقت نزول هذه السورة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في يوم عرفة ، روى شهر بن حوشب[١٤] عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة المائدة جميعاً وأنا آخذة بزمام ناقة رسول الله ﷺ العضباء وهو واقف بعرفة فكادت من ثقلها أن تدق عضد الناقة .

والثاني : أنها نزلت في مسيره ﷺ في حجة الوداع ، وهو راكب ، فبركت به راحلته من ثقلها .

والثالث : أنها نزلت يوم الإثنين بالمدينة ، وهو قول ابن عباس ، وقد حُكِيَ عنه القول الأول .

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** ﴾ يعني بالطيبات الحلال ، وإنما سمي الحلال طيباً ، وإن لم يكن مستلذاً تشبيهاً بما يستلذ .

= وقد رواه الطبري برقم ١١٣٢ ، ١١٣٣ عن حسان بن عطية عن رجل .
فلعل المبهم هنا هو أبو واقد الليثي .
وقد رواه بعضهم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن مسلم بن يزيد عن أبي واقد به ومنهم من رواه عن الأوزاعي عن حسان عن مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به ورواه ابن جرير أيضاً عن هناد عن ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان مرسلاً والله أعلم . راجع تفسير ابن كثير (٢/ ١٤) وقد وردت ألفاظ في هذا الحديث فانظرها في الطبري وفيها غريب الحديث . وقد فسر الشيخ أحمد شاكر حفظه الله هذه الألفاظ وأسهب فيها وزاد على ما أورده الطبري عندها فانظره هناك .

(١٤) رواه أحمد في مسنده (٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨) والطبري برقم (١١١٠٧) وذكره الهيثمي في الزوائد (١٣/٧) وقال رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثقه .

﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ يعني وصيد ما علمتم من الجوارح ، وهي الكواسب من سباع البهائم والطير ، سميت جوارح لكسب أهلها بها من قولهم : فلان جارحة أهله أي كاسبهم ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

ذا جبار منضجاً ميسمه يذكر الجارح ما كان اجترح(١٥)

أي ما اكتسب .

وفي قوله : ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني من الكلاب دون غيرها ، وأنه لا يحل إلا صيد الكلاب وحدها ، وهذا قول ابن عمر ، والضحاك ، والسدي .

والثاني : أن التكليب من صفات الجوارح من كلب وغيره ، ومعناه مُضْرِين على الصيد كما تَضْرِي الكلاب ، وهو قول ابن عباس ، وعلي بن الحسين ، والحسن ، ومجاهد .

والثالث : أن معنى التكليب من صفات الجارح : التعليم .

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي تعلمونهن من طلب الصيد لكم مما علمكم الله من التأديب الذي أدبكم وصفات التعليم التي بيَّن حكمها لكم .

فأما صفة التعليم ، فهو أن يُشلَى إذا أُشلي ، ويجيب إذا دعي ويمسك إذا أخذ .

وهل يكون إمساكه عن الأكل شرطاً في صحة التعليم أم لا ؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه شرط في كل الجوارح ، فإن أكلت لم تؤكل ، وهذا قول ابن عباس ، وعطاء .

والثاني : أنه ليس بشرط في كل الجوارح ويؤكل وإن أكلت ، وهذا قول ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وسلمان .

---

(١٥) ديوانه : ١٦٤ ووقع في تفسير الطبري .

ذات حد فيضجٍ ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح

(٥٤٣/٩).

والثالث : أنه شرط في جوارح البهائم فلا يؤكل ما أكلت ، وليس بشرط في جوارح الطير ، فيؤكل وإن أكلت ، وهذا قول الشعبي ، والنخعي ، والسدي .

واختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : ما روىٰ القعقاع بن حكيم عن سليمان بن أبي رافع(١٦) عن أبي رافع قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ليستأذن عليه ، فقال أذنًا لك ، فقال أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ، قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأمرني بقتله ، فرجعت إلى الكلب فقتلته ، فجاؤوا ، فقالوا : يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ، قال فسكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ الآية .

والثاني : ما حكي أن زيد الخيل لَمَّا وفد على النبي ﷺ قال فيه من الخير ما قال فسماه زيد الخير ، فقال : يا رسول الله فينا رجلان ، يقال لأحدهما دريح ، والآخر يكنى أبا دجانة ، لهما أكْلُب خمسة تصيد الظباء ، فما ترىٰ في صيدها ؟

وحكىٰ هشام عن ابن عباس أن أسماء هذه الكلاب الخمسة التي لدريح وأبي دجانة : المختلس وغلاب والغنيم وسهلب والمتعاطي ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ الآية .

ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

(١٦) رواه ابن جرير (٩/٥٤٥) وفي سنده عنده موسى بن عبيدة وهو منكر الحديث لا تحل الرواية عنه كما قال الإمام أحمد ورواه الحاكم (٢/٣١١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي لكن في سنده عنده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن الحديث وزاد السيوطي في الدر (٣/٢١) نسبته للفريابي وابن المنذر والبيهقي وابن أبي حاتم والطبراني .

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ يعني ذبائحهم .

﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ يعني ذبائحنا .

﴿ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني نكاح المحصنات ، وفيهن قولان :

أحدهما : أنهن الحرائر من الفريقين ، سواء كن عفيفات أو فاجرات ، فعلى هذا ، لا يجوز نكاح إمائهن ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي ، وبه قال الشافعي .

والثاني : أنهن العفائف ، سواءٌ كن حرائر أم إماءً ، فعلى هذا ، يجوز نكاح إمائِهن ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي أيضاً ، وبه قال أبو حنيفة .

وفي المحصنات من الذين أوتوا الكتاب قولان :

أحدهما : المعاهدات دون الحربيات ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : عامة أهل الكتاب من معاهدات وحربيات ، وهذا قول الفقهاء وجمهور السلف .

﴿ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ يعني صداقهن .

﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ يعني أعفّاء غير زُناة .

﴿ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ ﴾ هي ذات الخليل الواحد تقيم معه على السفاح .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ
وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم
مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ
وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، فاغسلوا وجوهكم ، فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين ، فاغسلوا ، فصار الحدث مُضْمَراً ، وفي وجوب الوضوء شرطاً ، وهو قول عبد الله بن عباس ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى الأشعري ، والفقهاء .

والثاني : أنه واجب على كل من أراد القيام إلى الصلاة ، أن يتوضأ ، ولا يجوز أن يجمع بوضوء واحد بين فرضين ، وهذا مروي عن علي وعمر .

والثالث : أنه كان واجباً على كل قائمٍ الى الصلاة، ثم نسخ إلَّا على المحدث.

روى سليمان بن بريدة عن أبيه (١٧) قال : كان رسول الله ﷺ يتوضأ لكل صلاة ، فلما كان عام الفتح ، صلى الصلوات كلها بوضوء واحد ، ومسح على خفيه ، فقال عمر : إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله ، قال : « **عمداً فعلته يا عمر** » .

وروى عبد الله بن حنظلة بن عامر الغسيل (١٨) : أن النبي ﷺ أمر بالوضوء عند كل صلاة فشق عليه ، فأمر بالسواك ، ورفع عنه الوضوء .

وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا

(١٧) رواه مسلم (١٧٦/٣ ، ١٧٧) وأبو داود (برقم ١٧٢) والترمذي (٨٩/١ ، ٩٠) والنسائي (٨٦/١) والبيهقي (١٦٢/١ ، ٢٧١) وأحمد (٣٥٠/٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥١) وابن جرير (١٦/١٠ برقم ١١٣٣٠ ، ١١٣٣٣).

(١٨) رواه أبو داود (برقم ٤٨) وابن جرير (١٤/١٠) والبيهقي (٣٧/١ ، ٣٨) وأحمد (٢٢٥:٥) والحاكم (١٥٦/١).

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وما كان من تدليس محمد بن إسحاق فقد صرح بالتحديث في رواية الطبري والحاكم وصححه ابن كثير في التفسير (٢٢/٢) وزاد السيوطي في الدر (٢٧/٣) نسبته لابن خزيمة.

تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ يعني بالحق فيما يلزم من طاعته .

﴿ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل . وفي هذه الشهادة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الشهادة بحقوق الناس ، وهذا قول الحسن .

والثاني : الشهادة بما يكون من معاصي العباد ، وهذا قول بعض البصريين .

الثالث : الشهادة لأمر الله تعالى بأنه حق .

وهذه الآية نزلت في النبي ﷺ ، واختلف المفسرون في سبب نزولها فيه على قولين :

أحدهما : أن النبي خرج إلى يهود بني النضير ، يستعين بهم في دية ، فهمّوا أن يقتلوه ، فنزل ذلك فيه ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد .

ثم إن الله تعالى ذكرهم نِعَمَهُ عليهم بخلاص نبيهم بقوله تعالى : ﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَومٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ .

والقول الثاني : أن قريشاً بعثت رجلاً ، ليقتل رسول الله ﷺ ، فَأَطْلَعَ الله نَبِيَّهُ على ذلك ، فنزلت فيها هاتان الآيتان ، وهذا قول الحسن .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِيّ إِسْرَآئِيلَ ﴾ يعني بإخلاص العبادة لله ولزوم طاعته .

﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ أخذ من كل سبط منهم نقيباً ، وفي النقيب ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الضمين ، وهو قول الحسن .

الثاني : الأمين ، وهو قول الربيع .

والثالث : الشهيد على قومه ، وهو قول قتادة .

وأصله في اللغة : النقيب الواسع ، فنقيب القوم هو الذي ينقب أحوالهم .

وفيما بعث فيه هؤلاء النقباء قولان :

أحدهما : أنهم بُعِثُوا إلى الجبارين ، ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك إلى موسىٰ ، فرجعوا عن قتالهم ، لمَّا رأوا من شدة بأسهم ، وعظم خلقهم ، إلا اثنين منهم ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثاني : أنهم بعثوا لقومهم بما أخذ به ميثاقهم منهم ، وهذا قول الحسن .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ
نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن
كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم
مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن
مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟
بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (١٤) ﴾

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعني نصرتموهم ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

الثاني : عظمتموهم ، وهذا قول أبي عبيدة .

وأصله المنع ، قال الفراء : عزرته عزراً إذا رددته عن الظلم ، ومنه التعزير لأنه يمنع من معاودة القبح .

قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ وتقديره : فبنقضهم ميثاقهم لعنَّاهم ، و « ما » صلة زائدة .

﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ من القسوة وهي الصلابة .

وقرأ حمزة والكسائي ﴿ قَسِيَّةً ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أنها أبلغ من قاسية .

والثاني : أنها بمعنى قاسية .

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ يعني بالتغيير والتبديل ، وسوء التأويل .

﴿ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾ يعني نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم .

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني خيانة منهم .

والثاني : يعني فرقة خائنة .

﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أن حكمها ثابت في الصفح والعفو إذا رآه .

والثاني : أنه منسوخ ، وفي الذي نسخه قولان :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ﴾ [التوبة : ٢٩] وهذا قول قتادة .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم

مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ ﴾ يعني : نبوة محمد ﷺ ، ورجم الزانين .

﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ مما سواه .

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ في النور تأويلان :

أحدهما : محمد ﷺ ، وهو قول الزجاج .

الثاني : القرآن وهو قول بعض المتأخرين .

قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : سبيل الله ، لأن الله هو السلام ، ومعناه دين الله ، وهذا قول الحسن .

والثاني : طريق السلامة من المخافة ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ يعني : من الكفر إلى الإيمان بلطفه .

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : طريق الحق وهو دين الله(*)، وهذا قول الحسن .

والثاني : طريق الجنة في الآخرة ، وهو قول بعض المتكلمين .

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ

(*) وفي نسخة : الحق .

مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟
ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ
أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَآءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ ﴾ في قولهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قول جماعة من اليهود حذرهم النبي ﷺ عقاب الله ، وخوفهم به ، فقالوا لا تخوفنا : ﴿ نَحنُ أَبْنَآءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ ﴾ ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحىٰ إلى إسرائيل أن ولدك بِكْري من الولد ، فقالوا : ﴿ نَحنُ أَبْنَآءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ ﴾ وهذا قول السدي .

وقال الحسن : أنهم قالوا ذلك على معنى قرب الولد من والده ، وهو القول الثالث .

وأما النصارىٰ ، ففي قولهم لذلك قولان :

أحدهما : لتأويلهم ما في الإنجيل من قوله : اذهب إلى أبي وأبيكم ، فقالوا لأجل ذلك ﴿ نَحنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ .

الثاني : لأجل قولهم في المسيح : ابن الله ، وهم يرجعون إليه ، فجعلوا نفوسهم أبناء الله وأحباءه ، فرد الله منطقهم ذلك بقوله :

﴿ ... فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ لأن الأب لإشفاقه لا يعذب ابنه ، ولا المحب حبيبه .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ

وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ
﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟
فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ
أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا
مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يا قَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم الأنبياء الذين جاءوا بعد موسىٰ .

والثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسىٰ .

﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : لأنهم مَلَكوا أنفسهم بأن خلصهم من استعباد القبط لهم ، وهذا قول الحسن .

والثاني : لأن كل واحد ملك نفسه وأهله وماله ، وهذا قول السدي .

والثالث : لأنهم كانوا أول من ملك الخدم من بني آدم(*)، وهو قول قتادة .

والرابع : أنهم جُعِلُوا ملوكاً بالمَنِّ والسَّلْوَىٰ والحَجَر ، وهذا قول ابن عباس .

(*) وفي نسخة : من بني آدم بن إسرائيل وفي أخرى من بني إسرائيل ا هـ . وتعقب ابن عطية هذا القول .

والخامس : أن كل من ملك داراً وزوجة وخادماً ، فهو ملك من سائر الناس ، وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص ، والحسن ، وزيد بن أسلم .

وقد روىٰ زيد بن أسلم (١٩) قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان له بيت [يأوي إليه وزوجة] وخادم ، فهو ملك** ».

﴿ **وءَاتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : المن والسلوىٰ والغمام والحجر ، وهو قول مجاهد .

الثاني : كثرة الأنبياء فيهم والآيات التي جاءتهم .

قوله تعالى : ﴿ **يَا قَوْمِ ٱدْخُلُواْ الأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ** ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أرض بيت المقدس ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : هي الشام ، وهذا قول قتادة ، ومعنى المقدسة : المطهرة .

وقوله : ﴿ **ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ** ﴾ وإن قال : ﴿ **إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم** ﴾ لأنها كانت هبة من الله تعالى لهم ثم حرَّمها عليهم بعد معصيتهم .

﴿ **وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِكُمْ** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا ترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته .

والثاني : لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها .

قوله تعالى : ﴿ **قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ** ﴾ والجبار : هو الذي يَجْبُر الناس على ما يريد إكراههم عليه ، ومنه جَبْرُ العظم ، لأنه كالإكراه على

---

(١٩) وهذا حديث مرسل من مراسيل زيد قال الحافظ ابن كثير (٣٧/٢) مرسل غريب رواه الطبري (١٦١/١٠) وزاد السيوطي في الدر (٤٧/٣) نسبته للزبير بن بكار في الموقفيات ولأبي داود في مراسيله .

ويغني عن هذا الحديث ما رواه مسلم (١٨ : ١٠٩ ، ١١٠) والطبري (١٦١/١٠) والسياق له عن أبي هاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي إليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الأغنياء فقال إن لي خادماً قال فأنت من الملوك .

الصلاح ، ويقال [للأعواد التي] تحمله جُبَارة ، إذا قامت اليد طولاً ، لأنها امتنعت كامتناع الجبار من الناس .

وقيل : بلغ من جبروت هؤلاء القوم ، أن واحداً منهم ، أخذ الاثني عشر نقيباً ، الذين بعثهم موسىٰ ، ليخبروه بخبرهم ، فحملهم مع فاكهة حملها من بستانه ، وجاء فنشرهم بين يدي الملك ، وقال : هؤلاء يريدون أن يقاتلونا ، فقال الملك : ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يخافون الله ، وهو قول قتادة .

الثاني : يخافون الجبارين ، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق .

﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالتوفيق للطاعة .

والثاني : بالإسلام ، وهو قول الحسن .

وفي هذين الرجلين قولان :

أحدهما : أنهما من النقباء يوشع بن نون ، وكالب بن يوقنا ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنهما رجلان ، كانا في مدينة الجبارين أنعم الله عليهما بالإسلام ، وهذا مروي عن ابن عباس .

﴿ ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : إنما قالوه لعلمهم بأن الله كتبها لهم .

والثاني : لعلمهم بأن الله ينصرهم على أعدائه ، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق ، وقد قال النبي ﷺ : « **لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُم مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ فَإِنَّهُ لَا يُبْعِدُ مِنْ رِزْقٍ وَلَا يُدْنِي مِنْ أَجَلٍ** »[٢٠] .

---

(٢٠) رواه أحمد (٣/٥٠) من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه ألا لايمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه وتابعه فإنه لا يقرِّب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم .
وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند وله ألفاظ أخرى بنحوه من حديث ابن سعيد أيضاً تراها في المسند (٣/٨٤ ، ٨٧ ، ٩٢).

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فيهما قولان :

أحدهما : أنهما من بني إسرائيل ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهما ابنا آدم لصلبه ، وهما هابيل وقابيل ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وقتادة .

﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ والقربان : هو البر الذي يقصد به القرب من رحمة الله ، وهو فعلان من القرب .

واختلف في السبب الذي قربا لأجله قرباناً على قولين :

أحدهما : أنهما فعلاه لغير سبب .

والثاني : وهو أشهر القولين (٢١) أن ذلك لسبب ، وهو أن حواء كانت تضع

---

(٢١) هذه القصة من القصص الإسرائيلية ليس لها أصل صحيح وقد ساق العلامة ابن كثير آثاراً كثيرة معظمها في الطبري وأجود ما فيها ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن خثيم قال أقبلت مع سعيد بن جبير فحدثني عن ابن عباس قال نهي أن تنكح المرأة أخاها توأمها وأقر أن ينكحها غيره من إخوتها وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة فبينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة وولد له أخرى قبيحة دميمة فقال أخو الدميمة أنكحني أختك وانكحك أختي فقال لا أنا أحق بأختي فقربا قرباناً فتقبل من صاحب الكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع فقتله ، قال الحافظ ابن كثير بعد نقله للأثر (٢/٤٢) إسناده

في كل عام غلاماً وجارية ، فكان الغلام يتزوج من أحد البطنين بالجارية من البطن الآخر ، وكان لكل واحد من ابني آدم هابيل وقابيل توأمة ، فأراد هابيل أن يتزوج بتوأمة قابيل فمنعه ، وقال أنا أحق بها منك .

واختلف في سبب منعه على قولين :

أحدهما : أن قابيل قال لهابيل أنا أحق بتوأمتي منك ، لأننا من ولادة الجنة وأنت من ولادة الأرض .

الثاني : أنه منعه منها لأن توأمته كانت أحسن من هابيل ومن توأمته ، فقربا قرباناً ، وكان قابيل حراثاً ، وهابيل راعياً ، فقرب هابيل سخلة سمينة من خيار ماله ، وقرب قابيل حزمة سنبل من شر ماله ، فنزلت نار بيضاء فرفعت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وكان ذلك علامة القبول ولم يكن فيهم مسكين يتقرب بالصدقة عليه وإنما كانت قُرَبُهُم هكذا .

قال أبو جعفر الطبري(*) : وكانت سخلة هابيل المقبولة ترعىٰ في الجنة حتى فَدَىٰ الله تعالى بها إسحاق بن إبراهيم الذبيح .

واختلف في سبب قبول قربان هابيل على وجهين :

أحدهما : لأنه كان أتقى لله من قابيل لقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، والتقوى ها هنا الصلاة ، على ما ذكره المفسرون .

الثاني : لأن هابيل تقرب بخيار ماله فَتُقُبِّل منه ، وقابيل تقرب بشر ماله ، فلم يُتَقَبَّل منه ، وهذا قول عبد الله بن عمر ، وأكثر المفسرون .

واختلف في قربانهما هل كان بأمر آدم ، أو من قبل أنفسهما على قولين :

أحدهما : أنهما قربا بأمر آدم حين اختصما إليه .

والثاني : أنهما قربا من قِبَل أنفسهما .

جيد قلت ورواه الطبري مطولاً برقم ١١٧٥١ وجوّد إسناد الطبري الشيخ أحمد شاكر كما في العمدة (١٢٤/٢) وقال عن هذا الأثر « وهو خبر كما ترى ليس من السنة النبوية بل ظاهره يدل على أنه مما أخذه ابن عباس من كتب أهل الكتاب » .

(*) وما قاله الإمام الطبري هنا لم نعلم له أثراً مرفوعاً يدل عليه ولعله من الإسرائيليات والله أعلم .

وكان آدم قد توجه إلى مكة ، ليراها ويزور البيت بها عن أمر ربه ، وكان قد عرض الأمانة في حفظ أهله على السموات فأبت ، فعرضها على الأرض فأبت ، فعرضها على الجبال فأبت ، فعرضها على قابيل فقبلها ، ثم توجه وعاد فوجد قابيل قد قتل هابيل وشربت الأرض دمه ، فبكىٰ ولعن الأرض لشربها دمه ، فأنبتت الشوك ، ولم تشرب بعده دماً .

روى غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني (٢٢) عن علي قال : لما قتل قابيل بن آدم هابيل أخاه بكاه آدم عليه السلام فقال :

تَغَيَّرَتِ البِلادُ ومَنْ عليها فوَجْهُ الأرْضِ مُغْبَرٌ قبيحْ
تَغَيَّرَ كلُّ ذِي لَوْنٍ وقَلَّ بَشَاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحْ

قال فأجيب آدم :

أبا هابيلَ قد قُتِلا جَمِيعاً وصارَ الحَيُّ كالمَيِّتِ الذَّبِيحْ
وجَاءَ بِشَرٍّ ما قَدْ كانَ منه على خَوْفٍ فَجَاءَ بها تَصِيحْ

واختلف في قابيل هل كان عند قتل أخيه كافراً أو فاسقاً ؟ فقال قوم كان كافراً ، وقال آخرون بل كان رجل سوء فاسقاً .

قال ابن جريج : لم يزل بنو آدم في نكاح الأخوات حتى مضي أربعة آباء ، فنكح ابنة عمه وذهب نكاح الأخوات .

قوله تعالى : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ معناه لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك بمثله ، وفي امتناعه من دفعه قولان :

أحدهما : منعه منه التحرج مع قدرته عليه وجوازه له ، وهذا قول ابن عباس ، وعبد الله بن عمر .

والثاني : أنه لم يكن له الامتناع ممن أراد إذ ذاك ، وهذا قول مجاهد والحسن .

(٢٢) هذا الأثر عن علي لا يصح فقد رواه الطبري (١٠/٢٠٩) وفي سنده غياث بن إبراهيم وهو مشهور بالوضع ولم يشهد له أحدبخير راجع ترجمته في الميزان فقد أورد له الذهبي هذا الحديث (٣/٣٧٧ ، ٣٣٨) وجاء نحو هذا الحديث مع اختلاف في بعض ألفاظه عن ابن عباس موقوفاً رواه الخطيب وابن عساكر كما في الدر (٣/٦٣).

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوٓءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ معناه ترجع ، وفيه تأويلان :

أحدهما : أن تبوء بإثم قتلي وإثمك الذي عليك من معاصيك وذنوبك ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : يعني أن تبوء بإثمي في خطاياي ، وإثمك بقتلك لي ، فتبوء بهما جميعاً ، وهذا قول مجاهد .

وروى الأعمش ، عند عبد الله بن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لِأَنَّه أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » (٢٣) .

قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ معنى طوعت أي فعلت من الطاعة ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني شجعت ، وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني زينت ، وهو قول قتادة .

والثالث : يعني فساعدته .

وكان هابيل أول من قُتِلَ في الأرض ، وقيل إن قابيل لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له إبليس فعلمه ، وقيل إنه قتله غيلة ، بأن ألقىٰ عليه وهو نائم صخرة ، شدخه بها .

قوله تعالىٰ : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني عورة أخيه .

والثاني : جيفة أخيه لأنه تركه حتىٰ أنتن ، فقيل لجيفته سوأة .

وفي الغراب المبعوث قولان :

(٢٣) رواه البخاري (٦/٢٦٢ ، ١٢/١٦٩ ، ١٣/٢٥٦) ومسلم (٣/١٣٠٣) وأحمد (٥/٢٢٦) والترمذي (١/٩٢) والنسائي (٧/٨٢) وابن ماجه (٢/٨٧٣) وابن جرير (١٠/٢١٨) وزاد السيوطي في الدر (٣/٦١) نسبته لابن المنذر .

أحدهما : أنه كان ملكاً على صورة الغراب ، فبحث الأرض على سوأة أخيه حتىٰ عرف كيف يدفنه .

والثاني : أنه كان غراباً بحث الأرض على غراب آخر .

﴿ **قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ** ﴾ قيل إنه ندم على غير الوجه الذي تصح منه التوبة ، فلذلك لم تقبل منه ، ولو ندم على الوجه الصحيح لقبلت توبته .

وروى معمر ، عن قتادة ، عن الحسن(٢٤) ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **إِنَّ ابْنَي آدم ضَرَبَا مَثَلاً لِهَذِهِ الأُمَّةِ ، فَخُذُوا مِنْ خَيرِهِمَا ، وَدَعُوا شَرَّهُمَا** » .

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ** ﴾ يعني من أجل أن ابن آدم قتل أخاه ظلماً .

﴿ **كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ** ﴾ يعني من قتل نفساً ظلماً بغير نفس قتلت ، فيقتل قصاصاً ، أو فساد في الأرض استحقت به القتل ، والفساد في الأرض يكون بالحرب لله ولرسوله وإخافة السبيل .

(٢٤) رواه ابن جرير (١٠/٢٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٥٩/٣) نسبته لعبد الرزاق وهو حديث مرسل وقد ورد نحوه عن السدي قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال « **أيها الناس ألا إن ابني آدم ضربا لكم مثلاً** » . . . الحديث وهذا بلاغ كما ترى ونسبه السيوطي في الدر (٥٩/٣) لعبد بن حميد .

﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : يعني من قتل نبياً أو إمام عدل ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شد على يد نبي أو إمام عدل ، فكأنما أحيا الناس جميعاً ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : معناه فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول ، ومن أحياها فاستنقذها من هلكة ، فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : معناه أن قاتل النفس المحرمة يجب عليه من القود والقصاص مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها بالعفو عن القاتل ، أعطاه الله من الأجر مثل ما لو أحيا الناس جميعاً ، وهذا قول ابن زيد وأبيه .

والرابع : معناه أن قاتل النفس المحرمة يَصْلَىٰ النار كما يَصْلاها لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها ، يعني سلم من قتلها ، [فكأنما] سلم من قتل الناس جميعاً ، وهذا قول مجاهد .

والخامس: أن على جميع الناس (جناية القتل) كما لو قتلهم جميعاً، ومن أحياها بإنجائها من غرق أو حرق أو هلكة، فعليهم شكره كما لو أحياهم جميعاً.

والسادس : أن الله تعالى عظم أجرها ووزرها فإحياؤها [يكون] بمالك أو عفوك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَآءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾ اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض ، فعرف الله نبيه الحكم فيهم ، وهذا قول ابن عباس .

الثاني : أنها نزلت في العُرَنِيِّينَ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا إبله ، وهذا قول أنس بن مالك ، وقتادة .

والثالث : أنها نزلت إخباراً من الله تعالى بحكم من حارب الله ورسوله ،وسعىٰ في الأرض فساداً .

واختلف في المستحق اسم المحارب لله ورسوله الذي يلزمه حكم هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الزنى والقتل والسرقة ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنه المجاهر بقطع الطريق والمكابر باللصوصية في المِصْر وغيره ، وهذا قول الشافعي ، ومالك ، والأوزاعي .

والثالث : أنه المجاهر بقطع الطريق دون المكابر في المِصْر ، وهذا قول أبي حنيفة ، وعطاء الخراساني .

﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ جعل الله هذا حكم المحارب ، وفيه قولان :

أحدهما : أنها على التخيير وأن الإمام فيهم بالخيار بين أن يقتل أو يصلب أو يقطع أو ينفي ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم .

والثاني : أنها مرتبة تختلف على قدر اختلاف الأفعال : أن يقتلوا إذا قتلوا ، أو يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب[٢٥] أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك العرنيين وهم من بجيلة ، فسأل رسول الله ﷺ جبريل عن القصاص فيمن حارب ، فقال : من سرق وأخاف السبيل فاقطع يده لسرقته ورجله لإخافته ، ومن قتل فاقتله ، ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج فاصلبه .

أما قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُنفَوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ فقد اختلف أهل التأويل فيه على أربعة أوجه :

(٢٥) رواه الطبري (١٠/٢٦٧) مطولاً ومختصراً برقم ١١٨١٦ وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف إلا في رواية العبادلة عنه وهذه ليست منها وفيه الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعن وفيه انقطاع بين يزيد ابن أبي حبيب وأنس فإنه لم يدرك أنساً ولم يُذكر أنه سمع منه وعلى هذا فالحديث ضعيف بهذه العلل الثلاث أما قصة العرنيين فهي صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه .

أحـدها : أنـه نفيهم وإبعادهم من بـلاد الإسلام إلى بـلاد الشرك ، وهـو قول أنس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والزهري ، والضحاك ، والربيع .

والثاني : أنه إخراجهم من مدينة إلى مدينـة أخرىٰ، وهـو قول عمـر بن عبد العزيز، وسعيد بن جبير.

والثالث : أنه الحبس ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه .

والرابع : هو أن يطلبوا لتقام الحدود عليهم فيُبْعَدُوا ، وهذا قول ابن عباس ، والشافعي ، والليث بن سعد .

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : إلا الذين تابـوا من شركهم وسعيهم في الأرض فسـاداً بإسـلامهم ، فأما المسلمون فلا تسقط التـوبة عنهم حـداً وجب عليهم ، وهذا قـول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : إلا الذين تابوا من المسلمين المحاربين بأمـان من الإمام قبـل القدرة عليهم ، فـأما التـائب بغير أمـان فلا ، وهـذا قول عليّ عليـه السـلام ، والشعبي ، وروى الشعبي أن خارجة بن زيد خرج محـارباً فـأخاف السبيـل ، وسفك الـدماء ، وأخذ الأموال ، وجاء تائبـاً من قبل القـدرة عليه ، فقبـل عليّ توبتـه وجعل لـه أمانـاً منشوراً على ما كان أصاب من دم ومال .

والثالث : إلا الذين تابوا بعد أن لحقوا بدار الحرب وإن كـان مسلماً ثم جـاء تائباً قبل القدرة عليه ، وهذا قول عروة بن الزبير .

والرابع : إن كان في دار الإسلام في منعة وله فئة يلجأ إليها وتاب قبل القدرة عليه قبلت توبته، وإن لم يكن له فئة يمتنع بها [وتاب] لم [تسقط] عنه توبته شيئاً من عقوبته، وهذا قول ابن عمر، وربيعة، والحكم بن عيينة.

والخامس : أن توبته قبل القدرة عليه تضع عنه حـدود الله تعالى دون حقـوق الآدميين ، وهذا قول الشافعي .

والسادس : أن توبتـه قبل القـدرة عليه تضـع عنه سـائر الحقـوق والحدود إلا الدماء ، وهذا مذهب مالك .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ وهي في قراءة عبد الله ابن مسعود: والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما .

إنما بدأ الله تعالى في السرقة بالسارق قبل السارقة ، وفي الزنىٰ بالزانية قبل الزاني ، لأن حب المال على الرجال أغلب ، وشهوة الاستمتاع على النساء أغلب ، ثم جعل حد السرقة قطع اليد لتناول المال بها ، ولم يجعل حد الزنىٰ قطع الذكر مع مواقعة الفاحشة به ، لثلاثة معانٍ :

أحدها : أن للسارق مثل يده التي قطعت فإن انزجر بها اعتاض بالثانية ، وليس للزاني مثل ذكره إذا قطع فلم يعتض بغيره لو انزجر بقطعه .

والثاني : أن الحد زجر للمحدود وغيره ، وقطع اليد في السرقة ظاهر ، وقطع الذكر في الزنىٰ باطن .

والثالث : أن في قطع الذكر إبطال النسل وليس في قطع اليد إبطاله .

وقد قطع السارق في الجاهلية ، وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد ابن المغيرة ، فأمر الله تعالى بقطعه في الإسلام ، فكان أول سارق قطعه رسول الله

ﷺ في الإسلام الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم ، وقال : « **لَو كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ** » (٢٦) .

وقطع عمر ابن سمرة أخا عبد الرحمن بن سمرة .

والقطع في السرقة حق لله تعالى لا يجوز العفو عنه بعد علم الإمام به ، لقول رسول الله ﷺ في سارق رداء صفوان حين أمر بقطعه ، فقال صفوان : قد عفوت عنه ، فقال النبي ﷺ : « **هَلَّا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ ؟ لَا عَفَا اللَّهُ عَنِّي إِنْ عَفَوتُ** » (٢٧) .

وروي أن معاوية بن أبي سفيان أُتِيَ بلصوص فقطعهم حتى بقي واحد منهم فقدم ليقطع فقال :

يميني أمير المؤمنين أعيذها — بعفوك أن تلقىٰ مكاناً يشينها
يدي كانت الحسناء لو تم سبرها — ولا تعدمُ الحسناءُ عابا يعيبها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة — إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع وقد قطعت أصحابك ، فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين اجعلها من ذنوبك التي تتوب منها ، فَخَلَّىٰ سبيله ، فكان أول حد ترك في الإسلام .

ولوجوب القطع مع ارتفاع الشبهة شرطان هما : الحرز والقدر ، وقد اختلف الفقهاء في قدر ما تقطع فيه اليد خلافاً ، كُتُبُ الفقه أولى .

واختلف أهل التأويل حينئذ لأجل استثناء القطع وشروطه عمن سرق من غير حرز أو سرق من القدر الذي تقطع فيه اليد في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾ هل هو عام خُصّ ؟ أو مجمل فُسِّر على وجهين :

أحدهما : أنه العموم الذي خُصّ .

والثاني : أنه المجمل الذي فُسِّر .

---

(٢٦) جزء من حديث رواه البخاري (١٢/٧٦) ومسلم (١١٠/١٨٦ ـ ١٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها واسم المرأة المخزومية التي سرقت فاطمة بنت الأسود راجع ترجمتها في الإصابة .

(٢٧) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/٢٢٥) مختصراً عن الزهري أن صفوان أتى النبي ﷺ ورواه مطولاً أيضاً (١٠/٢٣٠) عن طاووس قال قيل لصفوان بن أمية . . . الحديث ورواه أيضاً (١٠/٢٢٩) عن عمرو بن دينار مطولاً بنحو حديث طاووس .

ثم قال تعالى : ﴿ جَزَآءً بِمَا كَسَبَا ﴾ فاختلفوا هل يجب مع القطع غُرْم المسروق إذا استهلك على مذهبين :

أحدهما : أنه لا غرم ، وهذا قول أبي حنيفة .

والثاني : يجب فيه الغرم ، وهو مذهب الشافعي .

وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع .

قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ في التوبة ها هنا قولان :

أحدهما : أنها كالتوبة من سائر المعاصي والندم على ما مضىٰ والعزم على ترك المعاودة .

والثاني : أنها الحد ، وهو قول مجاهد .

وقد روى عبد الله بن عمرو قال (٢٨) : سرقت امرأة حلياً فجاء الذين سرقتهم فقالوا : يا رسول الله سرقتنا هذه المرأة ، فقال رسول الله ﷺ : « ٱقْطَعُوا يَدَهَا الْيُمْنَىٰ » فقالت المرأة : هل لي من توبة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ » فأنزل الله تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يغفر لمن تاب من كفره ، ويعذب من مات على كفره ، وهذا قول الكلبي .

الثاني : يعذب من يشاء في الدنيا على معاصيهم بالقتل والخسف والمسخ والآلام وغير ذلك من صنوف عذابه ، ويغفر لمن يشاء منهم في الدنيا بالتوبة واستنقاذهم بها من الهلكة وخلاصهم من العقوبة .

(٢٨) رواه الطبري (١٠/٢٩٩) وأحمد مطولاً ومفصلاً برقم ٦٦٥٧ من حديث ابن لهيعة عن حيّ بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو . . . الحديث وهذا السند فيه ضعف من أجل ابن لهيعة وقد تقدم الكلام عليه وكذا حيّ بن عبد الله تكلم فيه البخاري وقال فيه نظر وقال أحمد عنده مناكير ومشاه ابن معين وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به إذا روى عن ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقد صحح الحديث الشيخ شاكر على قاعدته في توثيق ابن لهيعة ولم يلتفت إلى تضعيف من ضعف حيّ بن عبد الله . وزاد السيوطي في الدر (٣/٧٣) نسبته لابن أبي حاتم .

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ
مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن
يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ
ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم
بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ
حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ
يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ
بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا
ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني به المنافقين المظهرين للإيمان المبطنين للكفر .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ يعني اليهود .

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ ليكذبوا عليك عندهم إذا أتوا من بعدهم ، وهذا قول الحسن ، والزجاج .

والثاني : أن معنى قوله : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ أي قائلون للكذب عليك . و ﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ يعني في قصة الزاني المحصن من اليهود الذي حكم رسول الله ﷺ برجمه فأنكروه ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم إذا سمعوا كلام النبي ﷺ غيروه بالكذب عليه ، وهذا قول الحسن .

والثاني : هو تغيير حكم الله تعالى في جَلْد الزاني بدلاً من رجمه ، وقيل في إسقاط القود عند استحقاقه .

﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يريد بذلك حين زنى رجل منهم بامرأة فأنفذوه إلى النبي ﷺ ليحكم بينهم وقالوا : إن حكم عليكم بالجلد فاقبلوه وإن حكم عليكم بالرجم فلا تقبلوه ، فقام النبي ﷺ إلى مدارس توراتهم وفيها أحبارهم يتلون التوراة ، فأتىٰ عبد الله بن صوريا ، وكان أعور ، وهو من أعلمهم فقال له أسألك بالذي أنزل التوراة بطور سيناء على موسىٰ بن عمران هل في التوراة الرجم ؟ فأمسك ، فلم يزل به حتىٰ اعترف ، فأمر بهما النبي ﷺ فَرُجِمَا، قال عبد الله : وكنت فيمن رجمه وأنه ليقيها الأحجار بنفسه حتى ماتت ، ثم إن ابن صوريا أنكر وفيه أنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول ابن عباس ، وجابر ، وسعيد بن المسيب ، والسدي ، وابن زيد .

والقول الثاني : أن ذلك في قتيل منهم ، قال الكلبي : قتلت بنو النضير رجلاً من بني قريظة وكانوا يمتنعون بالاستطالة عليهم من القود بالدية ، وإذا قتلت بنو قريظة منهم رجلاً لم يقنعوا إلا بالقود دون الدية ، قالوا : إن أفتاكم بالدية فاقبلوه ، وإن أفتاكم بالقود فردوه ، وهذا قول قتادة .

﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : عذابه ، وهذا قول الحسن .

والثاني : إضلاله ، وهو قول السدي .

والثالث : فضيحته ، وهو قول الزجاج .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لم يطهرها من الضيق والحرج عقوبة لهم .

والثاني : لم يطهرها من الكفر .

قوله تعالى : ﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن السحت الرشوة [٢٩] ، وهو مروي عن النبي ﷺ .

والثاني : أنه الرشوة في الحكم ، وهو قول علي .

والثالث : هو الاستعجال في القضية ، وهو قول أبي هريرة .

والرابع : ما فيه الغارّ من الأثمان المحرمة : كثمن الكلب ، والخنزير ، والخمر وعسب الفحل ، وحلوان الكاهن .

وأصل السحت الاستئصال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ أي يستأصلكم ، وقال الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلف [٣٠]

فسمي سحتاً لأنه يسحت الدين والمروءة .

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ فيمن أريد بذلك قولان :

أحدهما : اليهوديان اللذان زنيا خيّر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهما بالرجم أو يدع ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، والزهري .

والثاني : أنها في نفسين من بني قريظة وبني النضير قتل أحدهما صاحبه فخيّر رسول الله ﷺ عند احتكامهما إليه بين أن يحكم بالقود أو يدع ، وهذا قول قتادة .

(٢٩) رواه ابن جرير (٣٢٣/٩) لسيده عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**» قيل يا رسول الله ما السحت قال الرشوة في الحكم وهذا حديث مرسل ونسبه السيوطي في الدر (٨١/٣) لابن مردويه وعبد بن حميد وابن جرير لعبد الله بن عمر والذي في الطبري كما تقدم عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر .

(٣٠) ديوانه ٥٥٦ والنقائض : الخزانة ٢ : ٢٤٧ واللسان مادة سحت .

واختلفوا في التخيير في الحكم بينهم ، هل هو ثابت أو منسوخ ؟ على قولين :

أحدهما : أنه ثابت وأن كل حاكم من حكام المسلمين مخير في الحكم بين أهل الذمة بين أن يحكم أو يدع ، وهذا قول الشعبي ، وقتادة ، وعطاء ، وإبراهيم .

والقول الثاني : أن ذلك منسوخ ، وأن الحكم بينهم واجب على من تحاكموا إليه من حكام المسلمين، وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعمر بن عبد العزيز ، وعكرمة ، وقد نسخه قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوراةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : حكم الله بالرجم .

والثاني : حكم الله بالقود .

﴿ ثُمَّ يَتوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بعد حكم الله في التوراة .

والثاني : بعد تحكيمك .

﴿ وَمَآ أُوْلَـٰئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي في تحكيمك أنه من عند الله مع جحودهم نبوتك .

والثاني : يعني في توليهم عن حكم الله غير راضين به .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ ﴾ يعني بالهدى الدليل ، وبالنور البيان .

﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم جماعة أنبياء منهم محمد ﷺ .

والثاني : المراد نبينا محمد ﷺ وحده وإن ذكر بلفظ الجمع .

وفي الذي يحكم به من التوراة قولان :

أحدهما : أنه أراد رجم الزاني المحصن ، والقود من القاتل العامد .

والقول الثاني : أنه الحكم بجميع ما فيها من غير تخصيص ما لم يرد به نسخ .

ثم قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ يعني على الذين هادوا ، وهم اليهود ، وفي جواز الحكم بها على غير اليهود وجهان : على اختلافهم في التزامنا شرائع من قبلنا إذا لم يرد به نص ينسخ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَالرَّبَانِيُّونَ والأَحْبَارُ ﴾ واحد الأحبار حَبْر بالفتح ، قال الفراء : أكثر ما سمعت حِبْر بالكسر ، وهو العالم ، سُمِّي بذلك اشتقاقاً من التحبير ، وهو التحسين لأن العالم يحسن الحسن ويقبح القبيح ، ويحتمل أن يكون ذلك لأن العلم في نفسه حسن .

ثم قال تعالى : ﴿ بِمَا آسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ آللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه يحكمون بما استحفظوا من كتاب الله .

والثاني : معناه والعلماء بما استحفظوا من كتاب الله .

وفي ﴿ آسْتُحْفِظُواْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : استودعوا ، وهو قول الأخفش .

والثاني : العلم بما حفظوا ، وهو قول الكلبي .

﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ يعني على حكم النبي ﷺ أنه في التوراة .

﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ آلنَّاسَ وَآخْشَوْنِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : فلا تخشوهم في كتمان ما أنزلت ، وهذا قول السدي .

والثاني : في الحكم بما أنزلت .

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تأخذوا على كتمانها أجراً .

والثاني : معناه لا تأخذوا على تعليمها أجراً .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾، ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ وفي اختلاف هذه الآي الثلاث أربعة أقاويل :

أحدها : أنها واردة في اليهود دون المسلمين ، وهذا قول ابن مسعود ، وحذيفة ، والبراء ، وعكرمة .

الثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب ، وحكمها عام في جميع الناس ، وهذا قول الحسن ، وإبراهيم .

والثالث : أنه أراد بالكافرين أهل الإسلام ، وبالظالمين اليهود ، وبالفاسقين النصارىٰ ، وهذا قول الشعبي .

والرابع : أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به ، فهو كافر ، ومن لم يحكم مقراً به فهو ظالم فاسق ، وهذا قول ابن عباس .

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ
وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ
بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ
﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ
ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيهِم فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ الآية . نزلت في اليهود من بني قريظة والنضير ، وقد ذكرنا قصتهما .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كفارة للجروح ، وهو قول عبد الله بن عمر ، وإبراهيم ،

والحسن ، والشعبي ، روى الشعبي عن ابن الصامت (٣١) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ جُرِحَ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَتَصَدَّقَ بِهَا كَفَّرَ عَنْهُ ذُنُوبَهُ بِمِثْلِ مَا تَصَدَّقَ بِهِ** » .

والثاني : أنه كفارة للجارح (٣٢) ، لأنه يقوم مقام أخذ الحق منه ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وهذا محمول على من عفى عنه بعد توبته .

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ يعني القرآن .

﴿ **مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ يعني لما قبله من الكتاب وفيه وجهان :

أحدهما : مصدقاً بها ، وهو قول مقاتل .

---

(٣١) رواه ابن جرير (١٠/٣٦٤) وأحمد (٥ : ٣١٦) وصحح إسناداهما الشيخ شاكر في العمدة (٢/١٦١) وقد أعله البيهقي بالانقطاع بين الشعبي وعبادة بن الصامت وإن كان الإسناد إلى الشعبي صحيح فالله أعلم .

(٣٢) قال الشيخ أحمد شاكر في العمدة (٢/١٦٠) « هذا التشريع الثابت بنص القرآن الكريم والذي أخبرنا الله سبحانه في هذه الآية أنه ثابت في التوراة جعله الإفرنج الكفرة الفجرة مما يتندرون به في أقوالهم وكتاباتهم يسمونه شريعة الغاب » !! عن كفرهم بالأديان وإنكارهم للشرائع السماوية حتى سارت هذه الكلمة المنكرة مثلاً ثم يقلدهم الملحدون من المنتسبين للإسلام والجاهلون من المسلمين لا يدرون أنهم بذلك طعنوا في التشريع الإلهي الثابت في الشرائع السماوية الثلاثة،فليحذر المسلمون مواطن الزلق ، وليصونوا ألسنتهم وأقلامهم أما الملحدون فهم الملحدون .

والثاني : موافقاً لها ، وهو قول الكلبي .

﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أميناً ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني شاهداً عليه ، وهو قول قتادة ، والسدي .

والثالث : حفيظاً عليه .

﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ هذا يدل على وجوب الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلينا ، وألا نحكم بينهم بتوراتهم ولا بإنجيلهم .

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أمة نبينا محمد ﷺ .

والثاني : أمم جميع الأنبياء .

﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ أما الشرعة فهي الشريعة وهي الطريقة الظاهرة ، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومن ذلك قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر طرقه إليه ، ومنه قولهم : أُشْرِعَتِ الأسنة إذا ظهرت .

وأما المنهاج فهو الطريق الواضح ، يقال طريق نهج ومنهج ، قال الراجز :

مَن يَكُ ذَا شَكٍّ فهذَا فَلْجُ   مَاءٌ رُوَاءٌ وطَرِيقٌ نَهْجُ (٣٣)

فيكون معنى قوله شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسنة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لجعلكم على ملة واحدة .

الثاني : لجمعكم على الحق ، وهذا قول الحسن .

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

(٣٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٩٨ ، معجم ما استعجم ١٠٢٧ واللسان مادة روى .

مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ اختلف أهل التفسير فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في عُبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبي بن سلول ، حين تبرأ عُبادة من حِلْف اليهود وقال : أتولى الله ورسوله حين ظهرت عداوتهم لله ولرسوله . وقال عبد الله بن أبي : لا أتبرأ من حلفهم وأخاف الدوائر ، وهذا قول الزهري .

والثاني : أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بَعَثَه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما نقضوا العهد فلما أطاعوا بالنزول على حكم سعد أشار إلى حلقه إليهم أنه الذبح ، وهذا قول عكرمة .

والثالث : أنها نزلت في رجلين من الأنصار خافا من وقعة أحد فقال أحدهما لصاحبه : أَلْحَقُ باليهود وأتهود معهم ، وقال الآخر : ألحق بالنصارى فأتنصر معهم ، ليكون ذلك لهما أماناً من إدالة الكفار على المسلمين ، وهذا قول السدي (٣٤) .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : موالاتهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر .

والثاني : موالاتهم في الدين فإنه منهم في حكم الكفر ، وهذا قول ابن عباس .

---

(٣٤) هذه الأقوال الثلاثة ما بين مرسل ومعضل وكلها في الطبري وقال الطبري لم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر ثبت بمثله حجة ا هـ (١٠/٣٩٩) .

قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن المرض الشك وهو قول مقاتل .

والثاني : النفاق ، وهو قول الكلبي .

وفيهم قولان :

أحدهما : المعنيّ به عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي سلول ، وهذا قول عطية بن سعد .

والثاني : أنهم قوم من المنافقين .

﴿ . . . . يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ والدائرة الدولة ترجع عمن انتقلت إليه إلى من كانت له ، سميت بذلك لأنها تدور إليه بعد زوالها عنه ، ومنه قول الشاعر :

يَـرُدُّ عَـنَّـا الـقَـدَرَ الْـمَـقْـدُورَا وَدَائرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَـدُورَا(٣٥)

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يريد فتح مكة ، قاله السدي .

والثاني : فتح بلاد المشركين على المسلمين .

والثالث : أنه القضاء الفصل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، قاله قتادة.

﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : هو دون الفتح الأعظم .

الثاني : أنه موت من تقدم ذكره من المنافقين .

الثالث والرابع : أنه الجزية، قاله السدي.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ

(٣٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٦٩) .

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا معه أهل الردة ، قاله : علي ، والحسن ، وابن جريج ، والضحاك .

والثاني : أنهم قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن ، وقد روي أن النبي ﷺ حين نزلت هذه الآية إليه أَوْمَأَ إلى أبي موسى الأشعري بشيء كان في يده وقال : « هُمْ قَومُ هَـٰذَا »(٣٦) ، قاله مجاهد وشريح .

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني أهل رقة عليهم .

﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴾ يعني أهل غلظة عليهم ، يحكى ذلك عن علي ، وابن عباس .

وهي في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ غُلُظٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾ الآية . وفي هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أصحابه حين شكوا إلى رسول الله ﷺ ما أظهره اليهود من عداوتهم لهم ، قاله الكلبي .

---

(٣٦) رواه الطبري (١٠/٤١٤ برقم ١٢١٨٨ ، ١٢١٨٩ ، ١٢١٩٠ ، ١٢١٩١ ، ١٢١٩٢ وابن سعد في الطبقات (٤/١٠٧) والحاكم في المستدرك وصححه (٢/٣١٣) وزاد السيوطي في الدر (٣/١٠٢) نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٦) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

والثاني : أنها نزلت في عُبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود وقال : أتولى الله ورسوله .

وفي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه علي ، تصدق وهو راكع (٣٧) ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها عامة في جميع المؤمنين ، قاله الحسن ، والسدي .

وفي قوله : ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم .

والثاني : أنها نزلت فيهم وهم في ركوعهم .

والثالث : أنه أراد بالركوع التنفل ، وبإقامة الصلاة الفرض من قولهم فلان يركع إذا انتفل بالصلاة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ
مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ
أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا
جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ

(٣٧) وقد ذكر الحافظ ابن كثير عن هذه الآية آثاراً كثيرة وضعفها وبان عن عوارها قال الشيخ أحمد شاكر (١٨٠/٢) .. هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن لينسبوا لعلي كرم الله وجهه مآثر وفضائل غير ثابتة ثم أعجب من ذلك أن يستدلوا بهذه الأكاذيب في هذا الموضع على وجوب إمامة علي، والزمخشري ـ على ذكائه ـ فاتت عليه هذه السخافات وحكاها كأنها حقيقة واقعة جهلاً منه بطرق الرواية وإثباتها والفخر الرازي على جهله بعلوم الحديث ـ رفضها رفضاً شديداً ونَدَّد بمخترعيها ومصدقيها .

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾

قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ ﴾ يريد بالإثم معصية الله تعالى .

﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أي ظلم الناس .

﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الرُّشا .

والثاني : الربا .

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ أي لبئس صنيع الربانيين والأحبار إذ لم ينهوهم ، قال ابن عباس والضحاك : ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية . وكان ابن عباس يقرؤها : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ لَوْلَا ﴾ بمعنى هلا .

والربانيون : هم علماء الإنجيل ، والأحبار : هم علماء التوراة .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ
كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ

لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل ، قاله ابن عباس وقتادة .

والثاني : مقبوضة عن عذابهم ، قاله الحسن .

قال الكلبي ومقاتل : القائل لذلك فنحاس وأصحابه من يهود بني قينقاع .

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قال ذلك إلزاماً لهم البخل على مطابقة الكلام ، قاله الزجاج .

والثاني : أن معناه غلت أيديهم في جهنم على وجه الحقيقة ، قاله الحسن .

﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ قال الكلبي : يعني يعذبهم بالجزية .

ويحتمل أن يكون لَعْنُهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم .

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن اليدين ها هنا النعمة من قولهم لفلان عندي يد أي نعمة ، ومعناه بل نعمتاه مبسوطتان ، نعمة الدين ، ونعمة الدنيا .

والثاني : اليد ها هنا القوة كقوله تعالى : ﴿ أُولِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَارِ ﴾ [ص : ٤٥] ومعناه بل قوتاه بالثواب والعقاب .

والثالث : أن اليد ها هنا الملك من قولهم في مملوك الرجل هو : ملك يمينه ، ومعناه ملك الدنيا ولآخرة

والرابع : أن التثنية للمبالغة في صفة[٣٨] النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك ، وكقول الأعشى :

---

(٣٨) اعلم رحمني الله وإياك أن الإمام الماوردي رحمه الله قد نقل الأقوال التي أوردها الطبري كلها إلى تفسير اليدين وقد ذكر الطبري وليس في إيراد هذه الأقوال من مخالفةُ للتنزيه والتوحيد الموافق للكتاب والسنَّة وقد نحى الإمام الماوردي في هذا الإتجاه اتجاهاً سليماً كما نحاه السلف من قبله كقول الشافعي : آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ وهذا هو الصواب في مثل هذه الآيات فعليك باتباع سلف هذه الأمة. =

يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف إذا ما ضنَّ بالزاد تنفق[٣٩]

﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بمعنى أنه يعطي من يشاء من عباده إذا علم أن في إعطائه مصلحة دينه .

والثاني : ينعم على من يشاء بما يصلحه في دينه .

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ يعني حسدهم إياه وعنادهم له .

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه عنى اليهود بما حصل منهم من الخلاف .

والثاني : أنه أراد بين اليهود والنصارى في تباين قولهم في المسيح ، قاله الحسن .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أقاموها نصب أعينهم حتى إذا نظروا ما فيها من أحكام الله تعالى وأوامره لم يزلوا .

والثاني : إن إقامتها العمل بما فيها من غير تحريف ولا تبديل .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني القرآن لأنهم لما خوطبوا به صار منزلاً عليهم .

﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد التوسعة عليهم كما يقال هو في الخير من قرنه إلى قدمه .

والثاني : لأكلوا من فوقهم بإنزال المطر ، ومن تحت أرجلهم بإنبات الثمر ، قاله ابن عباس .

= نؤمن بما جاء عن الله على مراد الله ربما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ وهذاهو الصواب في مثل هذه الآيات فعليك باتباع سلف هذه الأمة.

وأما قول المعتزلة بأن اليد بمعنى القدرة فهو غير سائغ قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر ولا نقول يده قدرته.

(٣٩) ديوانه : ١٥٠ .

﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : مقتصدة على أمر الله تعالى ، قاله قتادة .

الثاني : عادلة ، قاله الكلبي .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أوجب الله تعالى بهذه الآية على رسوله تبليغ ما أنزل عليه من كتابه سواء كان حكماً ، أو حداً ، أو قصاصاً ، فأما تبليغ غيره من الوحي فتخصيص وجوبه : بما يتعلق بالأحكام دون غيرها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني إن كتمت آية مما أنزل عليك فما بلغت رسالته لأنه [يكون]، غير ممتثل لجميع الأمر .

ويحتمل وجهين آخرين :

أحدهما : أن يكون معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك فيما وعدك من النصر ، فإن لم تفعل فما بلغت حق رسالته فيما كلفك من الأمر ، لأن استشعار النصر يبعث على امتثال الأمر .

والثاني : أن يكون معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك بلاغاً يوجب الانقياد إليه بالجهاد عليه ، وإن لم تفعل ما يقود إليه من الجهاد عليه فما بلغت ما عليك من حق الرسالة إليك .

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يعني أن ينالوك بسوء من قتل أو غيره . واختلف أهل التفسير في سبب نزول ذلك على قولين :

أحدهما : أن النبي ﷺ نزل منزلاً في سفره واستظل بشجرة يقيل تحتها ، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله ، فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى انتشر دماغه ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، قاله محمد بن كعب القرظي [٤٠] .

والثاني : أن النبي ﷺ كان يهاب قريشاً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله ابن جريج .

وروت عائشة أن النبي [٤١] ﷺ كان يُحْرَس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا يعينهم على بلوغ غرضهم .

الثاني : لا يهديهم إلى الجنة .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ

(٤٠) رواه الطبري في التفسير (١٠ / ٤٧٠) وهو مرسل كما ترى وقد ورد الحديث من حديث جابر مرفوعاً في مسند أحمد (٣/٣١١) وبمعناه في المسند أيضاً (٣/٣٦٤) والبخاري في صحيحه (٧ : ٣٢٩ ـ ٣٣١) وبأسانيد في مسلم في صحيحه (١٥/٤٤ ، ٤٥) والطبري (١٠/١٠٦) .

(٤١) هذا حديث اختلف في وصله وإرساله.

فرواه موصولاً ابن جرير (١٠/٤٦٩) وفي سنده الحارث بن عبيد الأيادي أبو قدامة وهو ضعيف . ورواه الحاكم في المستدرك (٢ : ٣١٣) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . والترمذي برقم ٥٠٣٧ وقال حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق ولم يذكر فيه عائشة أ. هـ. قال الحافظ في الفتح : « إسناده حسن واختلف في وصله وإرساله ».

ورواه ابن جرير (١٠/٤٦٩) مرسلاً عن عبد الله في شقيق وزاد السيوطي في الدر (٣/١١٨) نسبة المرسل لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن مردويه وابن أبي حاتم .

إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن الميثاق آيات مبينة يقررها علم ذلك عندهم .

والثاني : أن الميثاق أيمان أخذها أنبياء بني إسرائيل عليهم أن يعملوا بها وأمروا بتصديق رسله .

﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴾ يعني بعد أخذ الميثاق .

﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ ﴾ هوى النفس مقصور ، وهواء الجو ممدود ، وهما يشتركان في معنى الاسم لأن النفس تستمتع بهواها كما تستمتع بهواء الجو .

﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ يعني أن الأنبياء إذا لم يحلوا لهم ما يَهْوُونه في الدين كذبوا فريقاً في الدين ، كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، وهم قد كذبوا من قتلوه ولكن تقدير الكلام أنهم اقتصروا على تكذيب فريق وتجاوزوا إلى قتل فريق .

﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العقوبة التي تنزل من السماء .

والثاني : ما ابتلوا به من قتل الأنبياء وتكذيبهم .

والثالث : ما بلوا به من جهة المتغلبين عليهم من الكفار .

﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾ يعني ، فعموا عن المرشد وصموا عن الموعظة حتى تسرعوا إلى قتل أنبيائهم حين حسبوا ألا تكون فتنة .

﴿ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني أنهم تابوا بعد معاينة الفتنة فقبل الله توبتهم .

﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا ﴾ يعني أنهم عادوا بعد التوبة إلى ما كانوا عليه قبلها ، والعود إنما كان من أكثرهم لا من جميعهم .

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى : ﴿ مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ رد الله بذلك على اليهود والنصارىٰ ، فرده على اليهود في تكذيبهم لنبوته ونسبتهم له إلى غير رِشْدة ، ورده على النصارىٰ في قولهم إنه ابن الله .

﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ رد على اليهود في نسبتها إلى الفاحشة .

وفي قوله : ﴿ صِدِّيقَةٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه مبالغة في صدقها ونفي الفاحشة عنها .

والثاني : أنها مصدقة بآيات ربها فهي بمنزلة ولدها ، قاله الحسن .

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كنى بذلك عن الغائط لحدوثه منه ، وهذه صفة تُنْفَىٰ عن الإله .

والثاني : أنه أراد نفس الأكل لأن الحاجة إليه عجز والإله لا يكون عاجزاً .

﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ يعني الحجج والبراهين.

﴿ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني يصرفون ، من قولهم أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر .

والثاني : يعني يقلبون ، والمؤتفكات : المنقلبات من الرياح وغيرها .

والثالث : يكذبون ، من الإفك ، وهو الكذب .

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟
عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ
لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ
﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ
مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ
﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ
أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ
أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا

رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ يعني عبدة الأوثان من العرب ، تَمَالأ الفريقان على عداوة النبي ﷺ .

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءامنواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ ليس هذا على العموم ، وإنما هو خاص ، وفيه قولان :

أحدهما : عنى بذلك النجاشي وأصحابه لَمَّا أَسْلَمُوا ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أنهم قوم من النصارىٰ كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام ، فَلَمَّا بُعِثَ محمد ﷺ آمنوا به ، قاله قتادة .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾ واحد القسيسين قس ، من قس وهم العباد . وواحد الرهبان راهب ، وهم الزهاد .

﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يعني عن الإذعان للحق إذا لزم ، وللحجة إذا قامت .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق ، كما قال تعالى : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، قاله ابن عباس ، وابن جريج .

والثاني : يعني الذين يشهدون بالإيمان ، قاله الحسن .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه اغتصاب الأموال المستطابة ، فتصير بالغصب حراماً ، وقد كان يمكنهم الوصول إليها بسبب مباح ، قاله بعض البصريين .

والثاني : أنه تحريم ما أبيح لهم من الطيبات ، وسبب ذلك أن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي ، وعثمان بن مظعون ، وابن مسعود ، وابن عمر ، هموا بصيام الدهر ، وقيام الليل ، واعتزال النساء ، وجَبِّ أنفسهم ، وتحريم الطيبات من الطعام عليهم ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُم ﴾ .

﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا تعتدوا بالغصب للأموال التي هي حرام عليكم .

والثاني : أنه أراد بالاعتداء ما هَمَّ به عثمان بن مظعون من جبِّ نفسه ، قاله السدي .

والثالث : أنه ما كانت الجماعة هَمَّت به من تحريم النساء والطعام ، واللباس ، والنوم ، قاله عكرمة .

والرابع : هو تجاوز الحلال إلى الحرام ، قاله الحسن .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ قد ذكرنا اختلاف المفسرين والفقهاء في لغو اليمين .

﴿ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾ اختلف في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في عثمان بن مظعون ، حين حرَّم على نفسه الطعام ، والنساء ، بيمين حَلَفَهَا ، فأمره النبي ﷺ بالحنث فيها ، قاله السدي .

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن رَوَاحة ، وكان عنده ضيف فأَخَّرَتْ زوجته قِرَاهُ فَحَلَفَ لا يأكل من الطعام شيئاً ، وَحَلَفَتِ الزوجة لا تأكل منه إن لم يأكل ، وحَلَفَ الضيف لا يأكل منه إن لم يأكلا ، فأكل عبد الله وأكلا معه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : « أَحْسَنْتَ »(٤٢) ، ونزلت فيه هذه الآية ، قاله ابن زيد .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾ وعقدها هو لفظ باللسان وقصد بالقلب ، لأن ما لم يقصده في أَيمَانِهِ ، فهو لغو لا يؤاخذ به .

ثم في عقدها قولان :

أحدهما : أن يكون على فعل مستقبل ، ولا يكون على خبر ماض . والفعل المستقبل نوعان : نفي وإثبات ، فالنفي أن يقول والله لا فعلت كذا ، والإثبات أن يقول : والله لأَفْعَلَنَّ كذا .

وأما الخبر الماضي فهو أن يقول : والله ما فعلت ، وقد فعل ، أو يقول : والله لقد فعلت كذا ، وما فعل ، فينعقد يمينه بالفعل المستقبل في نوعي إثباته ونفيه .

وفي انعقادها بالخبر الماضي قولان :

أحدهما : أنها لا تنعقد بالخبر الماضي ، قاله أبو حنيفة وأهل العراق .

والقول الثاني : أنها تنعقد على فعل مستقبل وخبر ماض يتعلق الحنث بهما ، قاله الشافعي ، وأهل الحجاز .

ثم قال تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾ فيه قولان : ـ

أحدهما : أنها كفارة ما عقدوه من الأيمان ، قالته عائشة ، والحسن ، والشعبي ، وقتادة .

والثاني : أنها كفارة الحنث فيما عقده منها ، وهذا يشبه أن يكون قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وإبراهيم .

---

(٤٢) رواه الطبري برقم ١٢٣٤٩ وسنده صحيح إلى ابن زيد لكن الحديث مرسل .

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يعتبر حال اليمين في عقدها وحلها ، فإنها لا تخلو من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون عقدها وحلها معصية كقوله : والله لا قَتَلْتُ نفساً ولا شربت خمراً ، فإذا حنث فقتل النفس ، وشرب الخمر ، كانت الكفارة لتكفير مأثم الحنث .

والحال الثالثة: أن يكون عقدها مباحاً، وحلها مباحاً كقوله: والله لا لبست هذا الثوب، فالكفارة تتعلق بهما وهي بالحنث أخص.

ثم قال تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والحسن، وابن سيرين.

والثاني: من أوسطه في القدر، قاله علي، وعمر، وابن عباس، ومجاهد.

وقرأ سعيد بن جبير ﴿مِن وَسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾

ثم اختلفوا في القدر على خمسة أقاويل:

أحدها : أنه مُدٌّ واحد من سائر الأجناس ، قاله ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وعطاء ، وقتادة ، وهو قول الشافعي .

والثاني : أنه نصف صاع من سائر الأجناس ، قاله علي ، وعمر ، وهو مذهب أبي حنيفة .

والثالث : أنه غداء وعشاء ، قاله علي في رواية الحارث عنه ، وهو قول محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري .

والرابع : أنه ما جرت به عادة المكفر في عياله ، إن كان يشبعهم أشبع المساكين ، وإن كان لا يشبعهم فعلى قدر ذلك ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والخامس : أنه أحد الأمرين من غداء أو عشاء ، قاله بعض البصريين .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ وفيها خمسة أقاويل :

أحدها : كسوة ثوب واحد ، قاله : ابن عباس ، ومجاهد ، وطاووس، وعطاء ، والشافعي .

والثـاني : كسـوة ثـوبين ، قـالـه أبـو مـوسى الأشعـري ، وابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين .

والثالث : كسوة ثوب جامع كالملحفة والكساء ، قاله إبراهيم .

والرابع : كسوة إزار ورداء وقميص ، قاله ابن عمر .

والخامس : كسوة ما تجزىء فيه الصلاة ، قاله بعض البصريين .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ يعني أو فك رقبة من أسر العبودية إلى حال الحرية والتحرير ، والفك : العتق ، قال الفرزدق :

أبني غـدانة إنني حـررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال[٤٣]

ويجـزىء صغيرهـا ، وكبيرهـا ، وذكرهـا ، وأنثاهـا ، وفي استحقاق أثمـانهـا قولان :

أحدهما : أنه مستحق ولا تجزىء الكفارة ، قاله الشافعي .

والثاني : أنه غير مستحق ، قاله أبو حنيفة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ فجعل الله الصـوم بدلاً من المـال عند العجـز عنه ، وجعله مـع اليسـار مخيـراً بين التكفيـر بـالإطعـام ، أو بالكسوة ، أو بالعتق ، وفيها قولان :

أحدهما : أن الواجب منها أحدها لا يعينه عند الجمهور من الفقهاء .

والثـاني : أن جميعهـا واجب ، ولـه الاقتصـار على أحـدهـا ، قـالـه بعض المتكلمين ، وشاذ من الفقهاء .

وهذا إذا حقق خلف في العبارة دون المعنى .

واختلف فيما إذا لم يجده صام على خمسة أقاويل :

أحدها : إذا لم يجد قوته وقوت من يقوت صام ، قاله الشافعي .

والثاني : إذا لم يجد ثلاثة دراهم صام ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : إذا لم يجد درهمين ، قاله الحسن .

(٤٣) ديوانه ٧٢٦ والنقائض ٢٧٥ ، طبقات فحول الشعراء ٤٢٤ .

والرابع : إذا لم يجد مائتي درهم صام ، قاله أبو حنيفة .

والخامس : إذا لم يجد فاضلاً عن رأس ماله الذي يتصرف فيه لمعاشه صام .

وفي تتابع صيامه قولان :

أحدهما : يلزمه ، قاله مجاهد ، وإبراهيم ، وكان أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود يقرآن : ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾ .

والثاني : إن صامها متفرقة جاز ، قاله مالك ، والشافعي في أحد قوليه :

﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ يعني وحنثتم ، فإن قيل فلِمَ لَمْ يذكر مع الكفارة التوبة ؟ قيل : لأنه ليس كل يمين حنث فيها كانت مأثماً توجب التوبة ، فإن اقترن بها المأثم لزمت التوبة بالندم ، وترك العزم على المعاودة .

﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَانَكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني احفظوها أن تحلفوا .

والثاني : احفظوها أن تحنثوا .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ
فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾
وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا
مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ..... ﴾ الآية .

اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحـدها : مـا روىٰ ابن اسحاق عن أبي ميسـرة قال : قـال عمر بن الخـطاب رضي الله عنـه(٤٤) : اللهم بيِّن لنا في الخمـر بيانـاً شافيـاً ، فنـزلت الآيـة التي في البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ فَدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيِّن لنـا في الخمر بيـاناً شـافياً ، فنـزلت الآية التي في سـورة النساء : ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَىٰ ﴾ وكـان منادي رسـول الله ﷺ إذا حضرت الصـلاة ينادي لا يقربن الصلاة سكران ، فَدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيِّن لنـا في الخمر بياناً شافياً ، فنـزلت التي في المائـدة ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْـرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ إلى قـوله تعـالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فقال عمر : انتهينا ، انتهينا .

والثاني : أنها نزلت في سعد بن أبي وقـاص وقد لاحى رجـلاً على شراب ، فضربه الرجل بلحي جمل ، ففزر أنفه ، قاله مصعب بن سعد .

والثالث : أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار ثملوا من الشـراب فعبث بعضهم ببعض ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، قاله ابن عباس .

فأما ﴿ ٱلْمَيْسِرُ ﴾ فهو القمار .

وأما ﴿ الأنصَابُ ﴾ ففيها وجهان :

أحدهما : أنها الأصنام تعبد ، قاله الجمهور .

والثاني : أنها أحجار حول الكعبة يذبحون لها ، قاله مقاتل .

وأما ﴿ الأَزْلَامُ ﴾ فهي قداح من خشب يُسْتَقْسَمُ بها على ما قدمناه .

---

(٤٤) رواه الطبري برقم ١٢٥١٢ وأحمد برقم ٣٧٨ وأبو داود برقم ٣٦٧٠ والنسائي في سننه (٨/ ٢٨٦ ، ٢٨٧) والترمـذي في كتـاب التفسير (٨/ ٤١٥) تحفـة . والحـاكم ٢ : ٢٧٨ والبيهقي في السنن (٨/ ٢٨٥) وأبو جعفر النحاسي في الناسخ والمنسوخ ٣٩ والواحدي في أسباب النزول ص ١٥٤ وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في ابن كثيـر (٢/ ٩٢) من طرق عن ابن إسحق عن أبي ميسـرة قال قال عمر . . . . . الحديث فذكره .

قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وقد رواه الترمـذي من طريق أخـرى عن إبن إسحق عن أبي ميسرة مـرسلاً ثم قـال وهذا أصـح من حديث محمد بن يوسف . يعني أنه أصح مرسلاً . والصواب أن الحديث صحيح متصل السند لأن أبا ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمداني سمع من عمر ونقل الحافظ ابن كثير تصحيح علي بن المديني للحديث .

قوله تعالى : ﴿ رِجْسٌ ﴾ يعني حراماً ، وأصل الرجس المستقذر الممنوع منه ، فعبر به عن الحرام لكونه ممنوعاً منه .

ثم قال تعالى : ﴿ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ أي مما يدعو إليه الشيطان ويأمر به لأنه لا يأمر إلا بالمعاصي ، ولا ينهىٰ إلا عن الطاعات .

فلما حُرِّمَتِ الخمر قال المسلمون (٤٥) : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين شربوها وماتوا قبل تحريمها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ ، يعني من الخمر قبل التحريم ، ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ يعني في أداء الفرائض ﴿ وَّءَامَنُواْ ﴾ يعني بالله ورسوله ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ : يعني البر والمعروف ، ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُم ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ﴾ يعني بعمل النوافل ، فالتقوى الأولى عمل الفرائض ، والتقوى الثانية عمل النوافل .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ في قوله ليبلونكم تأويلان :

أحدهما : معناه لَيُكَلِّفَنَّكُم .

الثاني : لَيَخْتَبِرَنَّكُم ، قاله قطرب ، والكلبي .

---

(٤٥) رواه الطبري مختصراً برقم ١٢٥٢٨ ومطولاً ١٢٥٢٩ والطيالسي برقم ٧١٥ والترمذي في كتاب التفسير وصححه وزاد السيوطي في الدر (١٧٢/٣) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه كلهم من طريق أبي إسحق عن البراء ..... الحديث .

وفي قوله : ﴿ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ قولان :

أحدهما : أن ﴿ مِّنَ ﴾ للتبعيض في هذا الموضع لأن الحكم متعلق بصيد البَرِّ دون البحر ، وبصيد الحرم والإحرام دون الحل والإحلال .

والثاني : أن ﴿ مِّنَ ﴾ في هذا الموضع داخلة لبيان الجنس نحو قوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [الحج : ٣٠] قاله الزجاج.

﴿ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ما تناله أيدينا : البيض ، ورماحنا : الصيد ، قاله مجاهد .

والثاني : ما تناله أيدينا : الصغار ، ورماحنا : الكبار ، قاله ابن عباس .

﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن معنى ليعلم الله : ليرى ، فعبر عن الرؤية بالعلم لأنها تؤول إليه ، قاله الكلبي .

والثاني : ليعلم أولياؤه من يخافه بالغيب .

والثالث : لتعلموا أن الله يعلم من يخافه بالغيب .

والرابع : معناه لتخافوا الله بالغيب ، والعلم مجاز ، وقوله : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ يعني بالسر كما تخافونه في العلانية .

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني فمن اعتدى في الصيد بعد ورود النهي .

﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي مؤلم ، قال الكلبي : نزلت يوم الحديبية وقد غشي الصيد الناس وهم محرمون .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّـذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْـدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني الإحرام بحج أو عمرة ، قاله الأكثرون .

والثاني : يعني بالحرم الداخل إلى الحرم ، يقال أحرم إذا دخل في الحرم ، وأَتْهَمَ إذا دخل تهامة ، وأَنْجَدَ إذا دخل نجد ، ويقال أحرم لمن دخل في الأشهر الحرم . قاله بعض البصريين.

والثالث : أن اسم المحرم يتناول الأمرين معاً على وجه الحقيقة دون المجاز من أحرم بحج أو عمرة أو دخل الحرم ، وحكم قتل الصيد فيهما على سواء بظاهر الآية ، قاله علي بن أبي هريرة .

﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، قاله مجاهد ، وإبراهيم ، وابن جريج .

والثاني : متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه ، قاله ابن عباس ، وعطاء ، والزهري .

واختلفوا في الخاطىء في قتله الناسي لإحرامه على قولين :

أحدهما : لا جزاء عليه ، قاله داود .

الثاني : عليه الجزاء ، قاله مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة .

﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ يعني أن جزاء القتل في الحرم أو الإحرام مثل ما قتل من النعم .

وفي مثله قولان :

أحدهما : أن قيمة الصيد مصروفة في مثله من النعم ، قاله أبو حنيفة .

والثاني : أن عليه مثل الصيد من النعم في الصورة والشبه قاله الشافعي .

﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ يعني بالمثل من النعم ، فلا يستقر المثل فيه إلا بحكم عدلين فقيهين ، ويجوز أن يكون القاتل أحدهما .

﴿ هَدْياً بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ يريد أن مثل الصيد من النعم يلزم إيصاله إلى الكعبة ، وعنى بالكعبة جميع الحرم ، لأنها في الحرم .

واختلفوا هل يجوز أن يهدي في الحرم ما لا يجوز في الأضحية من صغار الغنم على قولين :

أحدهما : لا يجوز قاله : أبو حنيفة .

الثاني : يجوز ، قاله الشافعي .

﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يُقَوِّم المثل من النعم ويشتري بالقيمة طعاماً ، قاله عطاء ، والشافعي .

الثاني : يقوِّم الصيد ويشتري بالغنيمة طعاماً ، قاله قتادة ، وأبو حنيفة .

﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً ﴾ يعني عدل الطعام صياماً ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه يصوم عن كل مد يوماً ، قاله عطاء ، والشافعي .

والثاني : يصوم عن كل مد ثلاثة أيام ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : يصوم عن كل صاع يومين ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في التكفير بهذه الثلاثة ، هل هو على الترتيب أو التخيير على قولين :

أحدهما : أنه على الترتيب ، إن لم يجد المثل فالإطعام ، فإن لم يجد الطعام فالصيام ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعامر ، وإبراهيم ، والسدي .

والثاني : أنه على التخيير في التكفير بأي الثلاثة شاء ، قاله عطاء ، وهو أحد قولي ابن عباس ، ومذهب الشافعي .

﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ يعني في التزام الكفارة ، ووجوب التوبة .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ يعني قبل نزول التحريم .

﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني ومن عاد بعد التحريم ، فينتقم الله منه بالجزاء عاجلاً ، وعقوبة المعصية آجلاً .

والثاني : ومن عاد بعد التحريم في قتل الصيد ثانية بعد أوله ، فينتقم الله منه .

وعلى هذا التأويل قولان :

أحدهما : فينتقم الله منه بالعقوبة في الآخرة دون الجزاء ، قاله ابن عباس ، وداود .

والثاني : بالجزاء مع العقوبة ، قاله الشافعي ، والجمهور .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ
مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ
ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ يعني صيد الماء سواء كان من بحر أو نهر أو عين أو بئر فصيده حلال للمحرم والحلال في الحرم والحل .

﴿ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ في طعامه قولان :

أحدهما : طافِيهِ وما لَفَظَه البحر ، قاله أبو بكر ، وعمر ، وقتادة .

والثاني : مملوحة ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب .

وقوله تعالى : ﴿ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ يعني منفعة للمسافر والمقيم . وحكىٰ الكلبي أن هذه الآية نزلت في بني مدلج ، وكانوا ينزلون بأسياف البحر ، سألوا عما نضب عنه الماء من السمك ، فنزلت هذه الآية فيهم .

قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ ﴾ في تسميتها كعبة قولان :

أحدهما : سميت بذلك لتربيعها ، قاله مجاهد .

والثاني : سميت بذلك لعلوها ونتوئها من قولهم : قد كعب ثدي المرأة إذا علا ونتأ ، وهو قول الجمهور .

وسميت الكعبة حراماً لتحريم الله تعالى لها أن يصاد صيدها ، أو يختلى خلاها ، أو يعضد شجرها(٤٦)

(٤٦) مضى تخريج الحديث في ذلك .

وفي قوله تعالى : ﴿ قِيَاماً لِّلنَّاسِ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني صلاحاً لهم ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : تقوم به أبدانهم لأمنهم به في التصرف لمعايشهم .

والثالث : قياماً في مناسكهم ومتعبداتهم .

قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : يعني الحلال والحرام ، قاله الحسن .

والثاني : المؤمن والكافر ، قاله السدي .

والثالث : الرديء والجيد.

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ يعني أن الحلال والجيد مع قلتهما خير وأنفع من الحرام والرديء مع كثرتهما .

قال مقاتل : نزلت هذه الآية في حُجَّاجِ اليمامة وقد هَمَّ المسلمون بأحدهم .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَـآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال :

أحدها : ما روى أنس بن مالك قال(٤٧) : سأل الناس رسول الله ﷺ حتى

---

(٤٧) رواه الطبري مطولاً ومختصراً (١١/٩٩) والسياق له ورواه مسلم (١٥/١٤ ، ١٥) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣/٢٠٤) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه . وابن المنذر وعبد بن حميد وبنحوه عن أبي هريرة مرفوعاً رواه الطبري (١٠/١٠٣) وفي سنده عبد العزيز بن أبان الأموي وهو كذاب يضع .

ألحفوه بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم فقال : « لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ » قال أنس : فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فأرى كل الناس لاق ثوبه في رأسه يبكي ، فسأل رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال : يارسول الله مَنْ أبي ؟ فقال : « أَبُوكَ حُذَافَةُ » ، فأنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه السلام رسولاً عائذاً بالله من سوء الفتن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

والثاني : ما روى الحسن بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال[٤٨] : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحِجُّوا » فقام محصن الأسدي وقال : في كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُم لَضَلَلْتُمْ ، اسْكُتُوا عَنِّي مَا سَكَتُّ عَنْكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ واخْتِلَافِهِم عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ » فأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْأَلُوا . . . . ﴾ .

والثالث : أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ على البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله ابن عباس .

﴿ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ جعل نزول القرآن عند السؤال موجباً بتعجيل الجواب .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ فيها قولان :

أحدهما : عن المسألة .

والثاني : عن الأشياء التي سألوا عنها .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

(٤٨) رواه الطبري مطولاً (١١/١٠٥ برقم ١٢٨٠٥) ومختصراً (برقم ١٢٨٠٦) وفيه فقام عكاشة بن محصن الأسدي بدلاً من محصن الأسدي ورواه أحمد في مسنده (٢ : ٤٤٧ ، ٤٤٨) وليس فيه ذكر الحج ولا السؤال ولا ذكر السائل . ورواه في (٢ : ٤٥٦ ، ٤٥٧) (٢ : ٤٦٧)، (٢ : ٥٠٨) فيه ذكر الحج والسؤال والسائل رجل مبهم .

ومن طريق أحمد رواه مسلم (٩ : ١٠٠) والبخاري مختصراً (١٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٤) فتح والبيهقي في السنن (٤ : ٣٢٥ ، ٤٢٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣/٢٠٦) لأبي الشيخ وابن مردويه .

أحدها : قوم عيسى سألوه المائدة ، ثم كفروا بها ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم قوم صالح سألوا الناقة ، ثم عقروها وكفروا به .

والثالث : أنهم قريش سألوا رسول الله ﷺ أن يحوِّل لهم الصفا ذهباً ، قاله السدي .

والرابع : أنهم القوم الذين سألوا رسول الله ﷺ مَنْ أبي ؟ ونحوه ، فلما أخبرهم به أنكروه وكفروا به ، قاله بعض المتأخرين .

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ** ﴾ يعني ما بحر الله من بحيرة ، ولا سيب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا حمى حامياً .

روى أبو صالح عن أبي هريرة قال(٤٩) : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم ابن جون : « **يَا أَكْثَمُ رَأَيْتُ عَمْرو بْنَ لُحَيِّ بْنَ قَمْعَةَ بْنَ خَنْدَف يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلَا بِهِ مِنْكَ** » فقال أكثم : أخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله ، فقال : « **لَا إِنَّكَ مُؤْمِنٌ ، وَهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وحَمَىٰ الحَامِي** » .

ومعنى قوله يجر قصبه في النار ، يعني أمعاءه ، والبحيرة : الفصلة من قول القائل ، بحرت أذن الناقة إذا شقها ، ومنه قول الأبيرد :

وأمسىٰ فيكم عمران يمشي ... كأنه جمل بحير

(٤٩) رواه الطبري (١١/١١٨) ونسبه الحافظ في الإصابة في ترجمة أكثم بن الجون لابن أبي عروبة وابن منده وما في الرواية من قوله « أخشى أن يضيرني شبه » تصحيف إنما هو « عسى أن يضيرني شبه » والتصحيح من الطبري (١١/١١٩) .

وقد روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال(٥٠) : دخلت على رسول الله ﷺ فقال ﷺ: « **أَرَأَيْتَ إِبِلَكَ تَكُونُ مُسَلَّمَةً آذَانُهَا فَتَأْخُذَ المُوسَى فَتَجْدَعَهَا تَقُولُ هَذِهِ بَحِيْرَةٌ ، وَتَشُقُّونَ آذَانَهَا تَقُولُونَ هَذِهِ بَحِيرَةٌ** » . قال : فإن ساعِدَ الله أشدُّ ، وموسى الله أحد ، كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شيء .

وفي البحيرة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن البحيرة الناقة إذا ولدت خمسة أبطن ، فإن كان الخامس ذكراً أكلته الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى بحروا أذنها أي شقوها ، وتركت ، فلا يشرب لها لبن ، ولا تنحر ، ولا تركب ، وإن كان ميتة اشترك فيه الرجال والنساء ، قاله عكرمة .

والقول الثاني : البحيرة الناقة التي تنجب خمسة أبطن ، فكان آخرها ميتاً ذكراً شقوا أذن الناقة وخلوا عنها ، فلا تُحْلَب وَلاَ تُرْكَب تحرجاً ، قاله أبو عبيدة .

والقول الثالث : أن البحيرة بنت السائبة ، قاله أبو إسحاق ، وأما السائبة ، فإنها المسيبة المخلاة وكانت العرب تفعل ذلك ببعض مواشيها فتحرم الانتفاع بها على أنفسها تقرباً إلى الله تعالى ، قال الشاعر :

عقرتم ناقة كانت لربي   وسائبة فقوموا للعقاب

وكذا كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة ، ولا ينتفع به ولا بولائه ، وكان أبو العالية سائبة ، فلما أُتِي مولاه بميراثه فقال : هو سائبة وأبىٰ أن يأخذه .

وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل في عيشة راضية يعني مرضية ، وفي السائبة قولان :

أحدهما : أنها الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سُيِّبَتْ فلم يُرْكَب ظهرها ولم يُجَزّ وبرها ولم يَشْرَب لبنَها إلا ضيفٌ ، وما نتجت بعد ذلك من انثىٰ شق أُذُنها ، وسميت بحيرة ، وخُلِّيَتْ مع أمها ، قاله محمد بن إسحاق .

والقول الثاني : أنهم كانوا ينذرون السائبة عند المرض فيسيب الرجل بعيره

(٥٠) رواه الطبري برقم ١٢٨٢٥ ، ١٢٨٢٦ والطيالسي مطولاً برقم ١٣٠٣ ، وأحمد ٣ : ٤٧٣ والبيهقي في السنن (١٠ : ١٠) كلهم من حديث عبد الله بن مسعود .

ولا يركب ، ولا يجلى عن ماء كالبحيرة ، قاله أبو عبيدة .

أما الوصيلة فأجمعوا على أنها من الغنم ، وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نُظِرَ في البطن السابع فإن كان جَدْياً ذبحوه ، فأكل الرجال دون النساء ، فقالوا هذا حلال لذكورنا ، حرام على أزواجنا ونسائنا ، وإن كان عناقاً سرحت في غنم الحي ، وإن كان جَدْياً وعناقاً ، قالوا وصلت أخاها فسميت وصيلة ، قاله عكرمة .

القول الثاني : أنها الشاة إذا أتأمت عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جعلت وصيلة ، فقالوا قد وصلت ، وكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث ، قاله محمد بن إسحاق .

والقول الثالث : أن العرب كانت إذا ولدت الشاة لهم ذكراً قالوا هذا لآلهتنا فيتقربون به ، وإذا ولدت أنثى قالوا هذه لنا ، وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوه لمكانها ، قاله أبو عبيدة .

وأما الحام ففيه قول واحد أجمعوا عليه وهو البعير ينتج من صلبه عشرة أبطن ، فيقال حمى ظهره ويخلَّى .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ
مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا
مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا
فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ
لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ

أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ . . . ﴾ في قوله : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها الشهادة بالحقوق عند الحكام .

والثاني : أنها شهادة الحضور للوصية .

والثالث : أنها أيمان ، ومعنى ذلك أيمان بينكم ، فعبر عن اليمين بالشهادة كما قال في أيمان المتلاعنين : ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ . . . اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعني من المسلمين ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : من حي المُوصِي ، قاله الحسن ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة .

وفيهما قولان :

أحدهما : أنهما شاهدان يشهدان على وصية المُوصِي .

والثاني : أنهما وصيان .

﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : من غير دينكم من أهل الكتاب ، قاله ابن عباس ، وأبو موسى ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم ، وشريح .

والثاني : من غير قبيلتكم وعشيرتكم ، قاله الحسن ، وعكرمة ، والزهري ، وعبيدة .

وفي ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع قولان :

أحدهما : أنها للتخيير في قبول اثنين منا أو آخرين من غيرنا .

والثاني : أنها لغير التخيير ، وإن معنى الكلام ، أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم ، قاله ابن عباس وشريح ، وسعيد بن جبير والسدي .

﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني سافرتم .

﴿ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ وفي الكلام محذوف تقديره : فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم الوصية إليهما .

ثم قال تعالى : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلاَةِ ﴾ يعني تستوقفونهما للأيمان وهذا خطاب للورثة ، وفي هذه الصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها : بعد صلاة العصر ، قاله شريح ، والشعبي ، وسعيد بن جبير وقتادة .

والثاني : من بعد صلاة الظهر ، والعصر ، قاله الحسن .

والثالث : من بعد صلاة أهل دينهما ومِلَّتِهِمَا من أهل الذمة ، قاله ابن عباس ، والسدي .

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمَ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً ﴾ معناه فيحلفان بالله إن ارتبتم بهما ، وفيهما قولان :

أحدهما : أنهما الوصيان إن ارتبتم بهما في الخيانة أَحْلَفَهُمَا الورثة .

والثاني : أنهما الشاهدان إن ارتبتم بهما ، ولم تُعْرَفْ عدالتهما ، ولا جرحهما ، أحلفهما الحاكم ليزول عنه الارتياب بهما ، وهذا إنما جوزه قائل هذا القول في السفر دون الحضر .

وفي قوله تعالى : ﴿ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً ﴾ تأويلان :

أحدهما : لا نأخذ عليه رشوة ، قاله ابن زيد .

والثاني : لا نعتاض عليه بحق .

﴿ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي لا نميل مع ذي القربى في قول الزور ، والشهادة بغير حق .

﴿ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللَّهِ ﴾ يعني عندنا فيما أوجبه علينا .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً ﴾ يعني فإن ظهر على أنهما كَذَبَا وخَانَا ، فعبر عن الكذب بالخيانة والإثم لحدوثه عنهما .

وفي الذين : ﴿ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً ﴾ قولان :

أحدهما : أنهما الشاهدان ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهما الوصيان ، قاله سعيد بن جبير .

﴿ فَـَٔاخَرَانِ ﴾ يعني من الورثة .

﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ في اليمين ، حين ظهرت الخيانة .

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَانِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله ابن عباس وشريح .

وكان سبب نزول هذه الآية ما روى عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس[٥١] قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدّاء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جاماً من فضة مُخَوَّصاً بالذهب فأحلفهما رسول الله ﷺ ، ثم وجد الجام بمكة ، وقالوا اشتريناه من تميم الداري ، وعدي بن بدّاء ، فقام رجلان من أولياء السهمي فَحَلَفَا : ﴿ لَشَهَادَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾ وأن الجام لصاحبهم قال : وفيهم نزل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ .

ثم اختلفوا في حكم هاتين الآيتين هل هو منسوخ أو ثابت .

فقال ابن عباس حكمهما منسوخ . قال ابن زيد : لم يكن الإسلام إلا بالمدينة فجازت شهادة أهل الكتاب وهو اليوم طبق الأرض .

وقال الحسن : حكمهما ثابت غير منسوخ .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

(٥١) رواه الطبري والسياق له (١١/ ١٨٥) والبخاري في صحيحه (٥ : ٣٠٧ ـ ٣٠٩) فتح وأبو داود برقم (٣٦٠٦) والبيهقي في السنن ١٠ : ١٦٥ وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ١٣٣ والترمذي في كتاب التفسير وقال حسن غريب . وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٢٢١) نسبته للبخاري في التاريخ وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ .

في قوله : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : لم يكن ذلك إنكاراً لِمَا علموه ولكن ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعدما ثابت عقولهم ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قاله مجاهد .

والثالث : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، قاله ابن عباس .

والرابع : لا علم لنا بما أجاب به أممنا ، لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء ، وهو مروي عن الحسن أيضاً .

والخامس : أن معنى قوله : ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ أي ماذا عملوا بعدكم ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوْبِ ﴾ قاله ابن جريج .

وفي قوله : ﴿ عَلَّامُ ٱلْغُيُوْبِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه مبالغة .

والثاني : أنه لتكثير المعلومات .

فإن قيل : فلم سألهم عما هو أعلم به منهم ؟ فعليهْ جوابان :

أحدهما : أنه إنما سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم .

والثاني : أنه أراد أن يفضحهم بذلك على الأشهاد ليكون ذلك نوعاً من العقوبة لهم .

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ . . . ﴾ وإنما ذكَّر الله عيسى عليه السلام نعمته عليه وعلى والدته ، وإن كان لهما ذاكراً لأمرين :

أحدهما : ليتلو على الأمم ما خصه به من الكرامة ومَيَّزَه به من علو المنزلة .

والثاني : ليؤكد به حجته ويرد به جاحده .

ثم أخذ تعالى في تعديد نعمه فقال : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ يعني قويتك ، مأخوذ من الأيد وهو القوة ، وروح القدس جبريل ، والقدس هو الله تعالى تقدست أسماؤه .

وتأييده له من وجهين :

أحدهما : تقويته على أمر دينه .

والثاني : معونته على دفع ظلم اليهود والكافرين له .

﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ أما كلامه لهم في المهد إنما اختص بتعريفهم حال نبوته ، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَانِي ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيَّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلاَةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴾[مريم : ٣٠ ـ ٣١]

وكلامه لهم كهلاً دعاؤهم إلى ما أمر الله به من الصلاة والزكاة ، وذلك حين صار ابن ثلاثين سنة وإن كان مبعوثاً حين ولد ، فمكث فيهم ثلاثين سنة ثم رفعه الله ، ولم يبعث الله نبياً حين ولد غيره ولذلك خصه الله بالكلام في المهد صبياً .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : يريد الخط .

والثاني : يريد الكتب فعبر عنها بالكتاب إرادة للجنس .

ثم فصل فقال تعالى : ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ وفيها تأويلان :

أحدهما : أنها العلم بما في تلك الكتب .

والثاني : أنها جميع ما يحتاج إليه في دينه ودنياه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ يريد تلاوتهما وتأويلهما .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾ يعني بقوله : ﴿ تَخْلُقُ ﴾ أي تفعل وتصور من الطين مثل صورة الطير ، لأن الخلق فعل لكن على سبيل القصد والتقدير من غير سهو ولا مجازفة ولذلك وُصِفَتْ أفعال الله تعالى بأنها مخلوقة لأنها لا تكون إلا عن قصد وتقدير ووصفت بعض أفعال العباد بأنها مخلوقة إذا كانت مقدرة مقصودة ولم توصف جميعها بهذه الصفة لجواز كون بعضها سهواً أو مجازفة .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ يعني الروح ، والروح جسم .

وفي المُتَوَلِّي لنفخها وجهان :

أحدهما : أنه المسيح ينفخ الروح في الجسم الذي صوره من الطين كصورة الطير .

والثاني : أنه جبريل .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾ يعني أن الله تعالى يقلبها بعد نفخ الروح فيها لحماً ودماً ، ويخلق فيها الحياة ، فتصير طيراً بإذن الله تعالى وأمره ، لا بفعل المسيح .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتُبْرِيءُ الأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ أي تدعوني أن أبرىء الأكمه والأبرص ، فأجيب دعاءك وأبرئهما ، وهو فعل الله تعالى ، وإنما نَسَبَهُ إلى المسيح مجازاً لأن فعله لأجل دعائه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ يعني واذكر نعمتي عليك ، إذ تدعوني أن أحيي الموتىٰ ، فأجيب دعاءك ، حتى تخرجهم من القبور أحياء ، ونسب إليه ذلك توسعاً أيضاً لأجل دعائه ، ويجوز أن ينسب إخراجهم إليه حقيقة ، لأن إخراجهم من قبورهم بعد إحياء الله لهم يجوز أن يكون من فعل المسيح .

قال الكلبي : والذين أحياهم من الموتى رجلان وامرأة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي . . . ﴾ في وحيه إلى الحواريين وجهان :

أحدهما : معناه أَلْهَمْتُهُم أن يؤمنوا بي ، ويصدقوا أنك رسولي ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[النحل : ٦٨] .

والثاني : يعني ألقيت إليهم بالآيات التي أريتهم أن يؤمنوا بي وبك .

وفي التذكير بهذه النعمة قولان :

أحدهما : أنها نعمة على الحواريين أن آمنوا ، فذكر الله تعالى به عيسى لأنهم أنصاره .

الثاني : أنها نعمة على عيسى ، لأنه جعل له أنصاراً من الحواريين قد آمنوا به .

والحواريون : هم خواص عيسى عليه السلام الذين استخلفهم من جملة الناس .

﴿ قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ يعني بالله تعالى ربك .

﴿ وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم بالله تعالى وبه .

والثاني : أنهم أشهدوا الله تعالى بذلك على أنفسهم .

إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا
مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ
مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا
لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَـلْ يَسْتَطِيـعُ رَبُّكَ﴾، قرأ الكسائي وحده ﴿هل تَّستطيع ربَّك﴾ بالتاء والإدغام ، وربـك بالنصب ، وفيهـا وجهان :

أحدهما : معناه هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله ، قاله الزجاج .

والثاني : هل تستطيع أن تسأل ربك ، قاله مجاهد ، وعائشة .

وقرأ الباقون ﴿ هل يستطيع ربك ﴾ بالياء والإظهار ، وفي ذلك التأويـل ثلاثـة أوجه :

أحدها : هل يقدر ربك ، فكان هذا السؤال في ابتداء أمـرهم قبل استحكـام معرفتهم بالله تعالى .

والثاني : معناه هل يفعل ربك ، قاله الحسن ، لأنهم سموا بـالحواريين بعـد إيمانهم .

والثالث : معناه هل يستجيب لك ربك ويطيعك .

﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قاله السدي ، قـال قطرب : والمـائدة لا تكون مائدة حتى يكون عليها طعام ، فإن لم يكن قيل : خِوان ، وفي تسميتها مائدة وجهان :

أحدهما : لأنها تميد ما عليها أي تعطي ، قال رؤبة :

. . . . إلى أمير المؤمنين الممتاد(٥٢)

أي المستعطي .

والثاني : لحركتهـا بما عليهـا من قولهم : مَـادَ الشيء إذا مال وتحـرك ، قال الشاعر :

لعلك باك إن تغنت حمامـة يميد بها غصن من الأيك مائل

﴿ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فيه قولان :

(٥٢) هذا عجز بيت أوله :

لهذي رؤوس المترفين الأنداد . . .

ديوان رؤبة ٤٠ ومجاز القرآن لابن عبيدة ١ : ١٨٣ واللسان مادة [ميد].

أحدهما : يعني اتقوا معاصي الله إن كنتم مؤمنين به ، وإنما أمرهم بذلك لأنه أولى من سؤالهم .

والثاني : يعني اتقوا الله في سؤال الأنبياء إما طلباً لِعَنَتِهِم وإما استزادة للآيات منهم ، إن كنتم مؤمنين بهم ومصدقين لهم لأن ما قامت به دلائل صدقهم يغنيكم عن استزادة الآيات منهم .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ وهذا اعتذار منهم بَيَّنُوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه فقالوا : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ .

يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم أرادوا الأكل منها للحاجة الداعية إليها .

والثاني : أنهم أرادوه تبركاً بها لا لحاجة دعتهم إليها ، وهذا أشبه لأنهم لو احتاجوا لم ينهوا عن السؤال .

﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : تطمئن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبياً .

والثاني : تطمئن إلى أن الله تعالى قد اختارنا لك أعواناً .

والثالث : تطمئن إلى أن الله قد أجابنا إلى ما سألنا .

﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ في أنك نبي إلينا ، وذلك على الوجه الأول .

وعلى الوجه الثاني : صدقتنا في أننا أعوان لك .

وعلى الوجه الثالث : أن الله قد أجابنا إلى ما سألنا .

وفي قولهم ﴿ وَنَعْلَمَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه علم مستحدث لهم بهذه الآية بعد أن لم يكن ، وهذا قول من زعم أن السؤال كان قبل استحكام المعرفة .

والثاني : أنهم استزادوا بذلك علماً إلى علمهم ويقيناً إلى يقينهم ، وهذا قول من زعم أن السؤال كان بعد التصديق والمعرفة .

﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : من الشاهدين لك عند الله بأنك قد أديت ما بعثك به إلينا .

والثاني : من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدناه من الآيات الدالة على أنك نبي إليهم وإلينا .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ إنما زيدت الميم في آخر اللهم مثقلة عوضاً عن حرف النداء ، فلم يجز أن يدخل عليه حرف النداء فلا يقال يا اللهم لأن الميم المُعَوِّضة منه أغنت عنه ، فأما قول الشاعر :

وما عليك أن تقولي كلما ... سبحت أو هللت يا اللهم ما

أردد علينا شيخنا مسلما ... فإننا من خيره لن نعْدَما(*)

فلأن ضرورة الشعر جوزته .

سأل عيسى ربه ، أن ينزل عليهم المائدة التي سألوه ، وفي سؤاله وجهان :

أحدهما : أنه تفضل عليهم بالسؤال ، وهذا قول من زعم أن السؤال بعد استحكام المعرفة .

والثاني : أنه رغبة منه إلى الله تعالى في إظهار صدقه لهم ، وهذا قول من زعم أن السؤال قبل استحكام المعرفة .

﴿ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا قاله قتادة والسدي .

وقيل : إن المائدة أنزلت عليهم في يوم الأحد غداة وعشية ، ولذلك جعلوا الأحد عيداً .

والثاني : معناه عائدة من الله تعالى علينا ، وبرهاناً لنا ولمن بعدنا .

والثالث : يعني نأكل منها جميعاً ، أولنا وآخرنا ، قاله ابن عباس .

﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ يعني علامة الإعجاز الدالة على توحيدك وقيل التي تدل على صدق أنبيائك .

(*) هذا الشطر الموضوع بين القوسين زدناه من خزانة الأدب (١/٣٥٨) .

الشكر على ما أنعمت به علينا من إجابتك ، وقيل : أرزقنا ذلك من عندك .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وهذا وعد من الله تعالى أجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى إجابة للحواريين .

واختلفوا في نزول المائدة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل ضربه الله تعالى لخلقه ، ينهاهم به عن مسألة الآيات لأنبيائه ، قاله مجاهد .

والثاني : أنهم سألوا ووعدهم بالإجابة ، فلما قال لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَّآ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ استعفوا منها فلم تنزل عليهم ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم سألوا فأجابهم ، ولم يستعفوا ، لأنه ما حكىٰ الاستعفاء عنهم ، ثم أنزلها عليهم ، لأنه قد وعدهم ، ولا يجوز أن يخلف وعده .

ومن قال بهذا اختلفوا في الذي كان عليها حين نزلت على ستة أقاويل :

أحدها : أنه كان عليها ثمار الجنة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه كان عليها خبز ولحم ، قاله عمار بن ياسر .

والثالث : أنه كان عليها سبعة أرغفة ، قاله إسحاق بن عبد الله .

والرابع : كان عليها سمكة فيها طعم كل الطعام ، قاله عطاء ، وعطية .

والخامس : كان عليها كل طعام إلا اللحم ، قاله ميسرة .

والسادس : رغيفان وحوتان ، أكلو منها أربعين يوماً في سفرة(٥٣) ، وكانوا ومن معهم نحو خمسة آلاف ، قاله جويبر .

وأُمِرُوا أن يأكلوا منها ولا يخونوا ولا يدخروا ، فخانوا وادخروا فَرُفِعَتْ .

وفي قوله تعالى : ﴿ . . . عَذَاباً لَّآأُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني من عالمي زمانهم .

(٥٣) قال الإمام الطبري رحمه الله (١١/٢٣٢) .
« أما الصواب من القول فيما كان على المائدة أن يقال كان عليها مأكول وجائز أن يكون سمكاً أو خبزاً وجائز أن يكون كان ثمراً من ثمر الجنة وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل » .

والثاني : من سائر العالمين كلهم .

وفيهم قولان :

أحدهما : هو أن يمسخهم قردة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه جنس من العذاب لا يعذب به غيرهم لأنهم كفروا بعد أن رأوا من الآيات ما لم يره غيرهم ، فكانوا أعظم كفراً فصاروا أعظم عذاباً .

وهل هذا العذاب في الدنيا أو في الآخرة ؟ قولان(*) :

وفي الحواريين قولان :

أحدهما : أنهم خواص الأنبياء .

والثاني : أنهم المندوبون لحفظ شرائعهم إما بجهاد أو علم .

وفي تسميتهم بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : لبياض ثيابهم ، وهذا قول ابن عباس ، تشبيهاً بما هم عليه من نقاء سرائرهم ، قاله الضحاك ، وهو بلغة القبط حواري .

والثاني : لنظافة ثيابهم وطهارتها تشبيهاً بطهارة قلوبهم .

والثالث : بجهادهم عن أنبيائهم ، قال الشاعر :

ونحن أناس نملأ البيد مأمنا ونحن حواريون حين نزاحف

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ
عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا
دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

(*) لاحظ أنه لم يذكر القولين ولعله يريد بالقولين العذاب في الدنيا والعذاب في الآخرة وعلى هذا فلا إشكال .

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿١١٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ . . . ﴾ الآية . ﴿ إِذْ ﴾ ها هنا بمعنى (إذا) كما قال أبو النجم :

ثم جزاك الله عني إذ جزى　　　جنات عدن في السموات العلا[٥٤]

يعني إذا جزىٰ ، فأقام الماضي مقام المستقبل وهـذا جائـز في اللغة كمـا قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .[الأعراف : ٤٤].

واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس بـاستفهام وإن خـرج مخرج الاستفهام على قولين :

أحدهما : أنـه تعالى سـأله عن ذلـك توبيخـاً لمن ادعى ذلك عليـه ، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع .

والثاني : أنه قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غُيِّرُوا بعده وادعوا عليه مـا لم يقله .

فإن قيل : فالنصارى لم تتخذ مريم إلٰهاً ، فكيف قال تعالى فيهم ذلك ؟

قيل : لما كان من قولهم أنها لم تلد بشراً وإنما ولدت إلَـهـاً لزمهم أن يقـولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته ، فصاروا حين لزمهم ذلك كالقائلين له .

وفي زمان هذا السؤال قولان :

أحـدهما : أن الله تعـالى قال ذلـك لعيسى حين رفعه إليـه في الدنيـا ، قالـه السدي وميسرة .

والثاني : أن الله تعالى يقول له ذلك يوم القيامة ، قاله ابن جريج وقتـادة وهو أصح القولين .

﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَـا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ أي أدعي لنفسي ما ليس من شأنها ، يعني أنني مربوب ولست برب ، وعابد ولست بمعبود .

---

(٥٤) انظر الأضداد لابن الأنباري ١٠٢ ، والصاجـي ١١٢ والطبري (١١/ ٢٣٥)لكن البيت في المصادر
ثم جزاه الله عنا إذ جـــزى . . . جنات عدن في العلاليِّ العلى

وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين :

أحدهما : تنزيهاً له عما أضيف إليه .

الثاني : خضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته .

ثم قال : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ فرد ذلك إلى علمه تعالى ، وقد كان الله عالماً به أنه لم يقله ، ولكن قاله تقريعاً لمن اتخذ عيسى إلهاً .

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه .

والثاني : تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم .

وفي النفس قولان :

أحدهما : أنها عبارة عن الجملة كلها(٥٥) .

والثاني : أنها عبارة عن بعضه ، كقولهم قتل فلان نفسه .

﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : عالم السر والعلانية .

والثاني : عالم ما كان وما يكون .

وفي الفرق بين العالم والعلام وجهان :

أحدهما : أن العلام الذي تقدم علمه ، والعالم الذي حدث علمه .

والثاني : أن العلام الذي يعلم ما كان وما يكون ، والعالم الذي يعلم ما كان ولا يعلم ما يكون .

---

(٥٥) اعلم رحمك الله وإيانا أن النفس الثابتة لله عز وجل ومرت الآيات بها كما وردت بها الأخبار عن رسول الله ﷺ لكن الخلاف بين السلف في هل النفس صفة للذات أم أنها هي الذات فذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٥/٧٣) إلى أنها بمعنى الذات ورجح هذا القول وذهب ابن خزيمة الإمام رحمه الله إلى أنها صفة للذات وذلك في كتابه التوحيد قال « باب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله » ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك . وكذلك ذهب ابن حقيق مذهب ابن خزيمة كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عنه .

قوله عز وجل : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ لم يـذكر عيسى ذلـك على وجه الإخبار به لأن الله عالم به ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : تكذيباً لمن اتخذ إلهاً معبوداً .

والثاني : الشهادة بذلك على أمته فيما أمرهم به من عبادة ربه .

قوله تعالى : ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إعلامهم أن الله ربه وربهم واحد .

والثاني : أن عليه وعليهم أن يعبدوا رباً واحداً حتى لا يخالفوا فيما عبدوه .

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني شاهداً .

والثاني : شاهداً عليهم .

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه الموت .

والثاني : أنه رفعه إلى السماء .

﴿ . . . الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الحافظ عليهم .

والثاني : العالم بهم .

﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : شاهداً لما حضر وغاب .

والثاني : شاهداً على من عصىٰ ، وأطاع .

قوله عز وجل : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم كما يستعطف العبـد سيده .

والثاني : أنه قاله على وجه التسليم لأمر ربه والاستجارة من عذابه .

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ يعني يوم القيامة، وإنما نفعهم الصدق في ذلك اليوم لوقوع الجزاء فيه وإن كان في كلِّ الأيام نافعاً، وفي هذا الصدق قولان:

أحدهما: أن صدقهم الذي كان منهم في الدنيا نفعهم في الآخرة جُوزُوا عليه من الثواب، فعلى هذا المراد بهذا الصدق وجهان محتملان:

أحدهما: أنه صدقهم في عهودهم.

والثاني: أنه تصديقهم لرسل الله وكتبه.

والقول الثاني: أنه صدق يكون منهم في الآخرة ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله.

فعلى هذا في المراد بهذا الصدق وجهان محتملان:

أحدهما: أنه صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ.

والثاني: صدقهم فيما شهدوا به على أنفسهم عن أعمالهم، ويكون وجه النفع فيه أن يكفوا المؤاخذة بتركهم كتم الشهادة، فيغفر لهم بإقرارهم لأنبيائهم وعلى أنفسهم.

وهل هم مصروفون عنه قبل موقف العرض؟ على قولين.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

مكية كلها في قول الأكثرين ، وقيل : إنها نزلت جملة واحدة .

وقال ابن عباس وقتادة : هي مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة : إحداهما : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] نزلت في مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف اليهوديين، والأخرى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] نزلت في ثابت بن قيس بن شماس.

وقال ابن جريج : نزلت في معاذ بن جبل ، وقيل : شَيَّعَ هذه السورة سبعون ألف مَلَك .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ. . . . ﴾ الآية قال وهب بن منبه : فاتحة التوارة فاتحة الأنعام إلى قوله : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾، وخاتمة التوراة خاتمة هود .

وقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر ، وذلك أولى

من أن يجيء بلفظ الأمر فيقول احْمِدِ الله ، لأمرين :

أحدهما : أنه يتضمن تعليم اللفظ والمعنىٰ ، وفي الأمر المعنىٰ دون اللفظ .

والثاني : أن البرهان إنما يشهد بمعنىٰ الخبر دون الأمر .

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ لأنَ خلق السمٰوات والأرض نِعَمٌ تستوجب الحمد ، لأن الأرض تقل ، والسماء تظل ، وهي من أوائل نعمه على خلقه ، ولذلك استحمد بخلقها وأضاف خلقها إلى نفسه عند حمده ، على أن مستحق الحمد هو خالق السمٰوات والأرض ، ليكون باستحقاق الحمد منفرداً لانفراده بخلق السمٰوات والأرض .

وفي جمع السمٰوات وتوحيد الأرض وجهان :

أحدهما : لأن السموات أشرف من الأرض ، والجمع أبلغ في التفخيم من التوحيد كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩].

والثاني : لأن أوامره إلى الأرض تخترق جميع السموات السبع .

وفي تقديم السمٰوات على الأرض وجهان :

أحدهما : لتقدم خلقها على الأرض .

والثاني : لشرفها فقدمها على ذكر الأرض وإن كانت مخلوقة بعد الأرض .

وهذان الوجهان من اختلاف العلماء أيهما خُلِقَ أولاً .

﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾ يعني وخلق ، فغاير بين اللفظ ليكون أحسن في النظم ، والمراد بالظلمات والنور هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : وهو المشهور من قول قتادة ، قدم الظلمة على النور لأنه قدم خلق الظلمة على خلق النور ، وجمع الظلمات ووحد النور لأن الظلمات أعم من النور .

والثاني : أن الظلمات : الليل ، والنور : النهار .

والثالث : أن الظلمات : الكفر ، والنور : الإيمان ، قاله السدي .

ولأصحاب الخواطر(٥٦) فيه ثلاثة أوجه أُخَر :

(٥٦) سبق الكلام عن مثل هذه الخواطر التي ذكر المؤلف منها الكثير وقد تحدثنا عن موقفه منها ومن ذلك ما ذكرناه في المقدمة لهذا التفسير .

أحدها : أن الظلمات : الأجسام ، والنور : الأرواح .

الثاني : أن الظلمات : أعمال الأبدان ، والنور : ضمائر القلوب .

والثالث : أن الظلمات : الجهل ، والنور : العلم .

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(٥٧) أي يجعلون له مع هذه النِّعَم عِدْلاً ، يعني مثلاً .

وفيه قولان :

أحدهما : أنهم يعدلون به الأصنام التي يعبدونها .

والثاني : أنهم يعدلون به إلٰهاً غيره لم يُخْلَق مثل خلقه .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ في هٰذين الأجلين أربعة أقاويل :

أحدها : أن الأجل الأول الذي قضاه أجل الحياة إلى الموت ، والأجل الثاني المسمىٰ عنده أجل الموت إلى البعث ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أن الأجل الأول الذي قضاه أجل الدنيا ، والأجل الثاني المسمىٰ عنده ابتداء الآخرة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثالث : أن الأجل الأول الذي قضاه هو حين أخذ الميثاق على خلقه في ظهر آدم ، والأجل الثاني المسمىٰ عنده الحياة في الدنيا ، قاله ابن زيد .

والرابع : أن الأجل الذي قضاه أجل من مات ، والأجل المسمىٰ عنده أجل من يموت بعد ، قاله ابن شجرة .

﴿ تَمْتَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تشكون ، والامتراء : الشك .

والثاني : تختلفون ، مأخوذ من المراء وهو الاختلاف .

(٥٧) قال مجاهد رحمه الله قوله « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض » فكان فيه رد على ثلاثة أديان منهم ، فكان فيه رد على الدهرية لأن الأشياء كلها دائمة ، ثم قال « وجعل الظلمات والنور » فكان فيه رد على المجوس الذين زعموا أن الظلمة والنور هما المدبران ، وقال « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» فكان فيه رد على مشركي العرب ، ومن دعا دون الله إلهاً أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/٢٤٧) .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن معنىٰ الكلام وهو الله المُدَبِّر في السمٰوات وفي الأرض .

﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ أي ما تخفون ، وما تعلنون .

والثاني : وهو الله المعبود في السمٰوات ، وفي الأرض(٥٨) .

والثالث : أن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السمٰوات وفي الأرض ، لأن في السمٰوات الملائكة ، وفي الأرض الإنس والجن ، قاله الزجاج .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ أي ما تعملون من بعد ، ولا يخفىٰ عليه ما كان منكم ، ولا ما سيكون ، ولا ما أنتم عليه في الحال من سر ، وجهر .

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا
وَجَعَلْنَا الْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ

(٥٨) ويدل على هذا الوجه قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ وقد تكلم الإمام الطبري حول هذه الآية بكلام طيب ورد على الجهمية الذين يزعمون أن الله في كل مكان بذاته تعالى ربنا وتقدس عن قولهم . . . وخير ما كتب في هذا الموضوع كتاب العلو للحافظ الذهبي .

مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ ﴾ لأن مشركي قريش لما أنكروا نزول القرآن أخبر الله أنه لو أنزله عليهم من السماء لأنكروه وكفروا به لغلبة الفساد عليهم ، فقال : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ ﴾ واسم القرطاس لا ينطلق إلا على ما فيه كتابة ، فإن لم يكن فيه كتابة قيل طرس ولم يقل قرطاس . قال زهير بن أبي سلمى :

بها أخاديد من آثار ساكنها كما تردد في قرطاسه القلم

﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ قال ذلك تحقيقاً لنزوله عليهم .

ويحتمل بلمس اليد دون رؤية العين ثلاثة أوجه :

أحدها : أن نزوله مع الملائكة وهم لا يرون بالأبصار ، فلذلك عَبَّر عنه باللمس دون الرؤية .

والثاني : لأن الملموس أقرب من المرئي .

والثالث : لأن السحر يتخيل في المرئيات ، ولا يتخيل في الملموسات .

﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ تكذيباً لليقين بالعناد ، والمبين : ما دل على بيان بنفسه ، والبيِّن : ما دل على بيانه ، فكان المبين أقوى من البيِّن .

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ أي ملك يشهد بتصديقه ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي لو أنزلنا ملكاً فلم يؤمنوا لقضي الأمر وفيه تأويلان .

أحدهما : لقضي عليهم بعذاب الاستئصال ، قاله الحسن ، وقتادة ، لأن الأمم السالفة كانوا إذا اقترحوا على أنبيائهم الآيات فأجابهم الله تعالى إلى الإظهار فلم يؤمنوا استأصلهم بالعذاب .

والثاني : أن معنى لقضي الأمر أي لقامت الساعة ، قاله ابن عباس .

﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ أي لا يُمْهَلُون ولا يُؤَخَّرون ، يعني عن عذاب الاستئصال على التأويل الأول ، وعن قيام الساعة على التأويل الثاني .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ يعني ولو جعلنا معه ملكاً يدل على صدقه لجعلناه في صورة رجل .

وفي وجوب جعله رجلًا وجهان :

أحدهما : لأن الملائكة أجسامهم رقيقة لا تُرَىٰ ، فاقتضىٰ أن يُجْعَل رجلًا لكثافة جسمه حتىٰ يرى .

والثاني : أنهم لا يستطيعون أن يروا الملائكة على صورهم ، وإذا كان في صورة الرجل لم يعلموا ملك هو أو غير ملك .

﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه ولخلطنا عليهم ما يخلطون ، قاله الكلبي .

والثاني : لشبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم ، قال الزجاج : كما يشبهون على ضعفائهم واللبس في كلامهم هو الشك ومنه قول الخنساء :

أصدق مقالته واحذر عداوته   والبس عليه بشك مثل ما لبسا

والثالث : وللبسنا على الملائكة من الثياب ما يلبسه الناس من ثيابهم ، ليكونوا على صورهم وعلى زِيِّهم ، قاله جويبر .

قوله تعالى : ﴿ ... كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ أي أوجبها ربكم على نفسه(٥٩) ، وفيها أربعة أوجه :

أحدها : أنها تعريض خلقه لما أمرهم به من عبادته التي تفضي بهم إلى جنته .

والثاني : ما أراهم من الآيات الدالة على وجوب طاعته .

---

(٥٩) وهذا الكتب منه سبحانه على نفسه ولم يوجبه عليه أحد ومعنى كتب الرحمة على نفسه جل شأنه إيجابها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتاباً فوضعه عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي » ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعلقاً بالخلق وأكثر وصولاً إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيضة للخير. راجع روح المعاني (١٠٤/٧) .

والثالث : إمهالهم عن معالجة العذاب واستئصالهم بالانتقام .

والرابع : قبوله توبة العاصي والعفو عن عقوبته .

﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ وهذا توعد منه بالبعث والجزاء أَخرجه مَخْرج القسم تحقيقاً للوعد والوعيد ، ثم أكده بقوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ من أجسام الحيوان ، لأن من الحيوان ما يسكن ليلاً ، ومنه ما يسكن نهاراً .

فإن قيل : فلم قال ﴿ مَا سَكَنَ ﴾ ولم يقل ما تحرك ؟ قيل لأمرين(٦٠) :

أحدهما : أن ما يَعُمُّه السكون أكثر مما يَعُمُّه الحركة .

والثاني : لأن كل متحرك لا بد أن تنحل حركته سكوناً ، فصار كل متحرك ساكناً ، وقد قال الكلبي : معناه وله ما استقر في الليل والنهار ، وهما الزمان كله ، لأنه لا زمان إلا ليل أو نهار ، ولا فصل بينهما يخرج عن واحد منهما .

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ يعني إلهاً يتولاَّني .

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي خالق السمٰوات والأرض ومبتدئها ، قال ابن عباس(٦١) : كنت لا أدري ما فاطر حتىٰ اختصم إليّ أعرابيان في بئر ، فقال

(٦٠) زاد ابن الجوزي في زاد المسير وجهاً ثالثاً فقال : الثالث : إن في الآية إضماراً والمعنى وله ما سكن وتحرك كقوله : ﴿ تقيكم الحر ﴾ النحل : ٨٣ أراد والبرد فاختصر . زاد المسير (٣ / ١٠) .

(٦١) قال الحافظ في تخريج الكشاف (٤ / ٦١) « رواه أبو عبيد في غريب الحديث وفي فضائل القرآن

أحدهما لصاحبه : أنا فَطَرْتُها ، أي ابتدأتها ، وأصل الفطر الشق ، ومنه ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك : ٣] أي شقوق .

﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ معناه يَرْزُقُ ولا يُرْزَق ، قرأ بعضهم(٦٢) ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ ولا يَطْعَمُ ﴾ معناه على هذه القراءة : وهو يطعم خلقه ولا يأكل .

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ يعني من أمته ، وفي إسلامه هذا ثلاثة أوجه :

أحدها : استسلامه لأمر الله ، ومثله قول الشاعر :

طال النهار على من لا لقاح له ... إلا الهديّة أو ترك بإسلام

أي باستسلام .

والثاني : هو دخوله في سِلْمِ الله وخروجه من عداوته .

والثالث : دخوله في دين إبراهيم كقوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ ءَابِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨] ويكون المراد به أول من أَسْلَم من قريش ، وقيل : من أهل مكة .

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يحتمل أن يكون هذا خطاباً من الله لنبيه يَنْهَاهُ به عن الشرك ، ويُحْتَمَل أن يكون المراد به جميع أمته ، وإن توجه الخطاب إليه .

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ

بإسناد حسن ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر » قلت: وهو ضعيف كما يراجع في ترجمته في الميزان (١/ ٦٧) والتهذيب (١/ ١٤٦) .

(٦٢) وهي قراءة عكرمة والأعمش وقال الزجاج وهذا الاختيار عند البصراء بالعربية ومعناه وهو يرزق ويُطْعِمْ ولا يأكل ، زاد المسير (٣/ ١١) .

﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه إن أَلْحَقَ الله بك ضُراً ، لأن المس لا يجوز على الله .

والثاني : معناه وإن جعل الضُرَّ يمسك .

وكذلك قوله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ .

وفي الضُرِّ والخير وجهان :

أحدهما : أن الضُرَّ السُقْمُ[٦٣]، والخير العافية .

والثاني : أن الضُرَّ الفقر ، والخير الغنىٰ .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن معناه القاهر لعباده ، وفوق صلة زائدة .

والثاني : أنه بقهره لعباده مستعلٍ عليهم[٦٤]، فكان قوله فوق مستعملاً على حقيقته كقوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] لأنها أعلى قوة .

ويحتمل ثالثاً : وهو القاهر فوق قهر عباده ، لأن قهره فوق كل قهر .

وفي هذا القهر وجهان :

أحدهما : أنه إيجاد المعدوم .

---

(٦٣) والقول بالعموم أولى قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١١٣/٧) وفي هذه الآية الكريمة رد على من رجا كشف الضر من غيره سبحانه وتعالى وأمل أحداً سواه أ. هـ قلت: ليت الذين يلتمسون المدد من الأموات ويستغيثون بهم في الكربات قرأوا هذه الآية وعملوا بمعناها .

(٦٤) وعلوه سبحانه علو ذات وعلو صفات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأما تأويل المؤلف هنا اليد بمعنى القوة فليس هذا من تفسير السلف إنما هذا التفسير دخيل على العقيدة السلفية وقد تقدم الكلام على القول الصحيح في صفة اليد فراجعه في سورة المائدة والقاهر هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجباه وعنت له الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمته راجع عمدة التفسير (١٨/٢، ١٩).

والثاني : أنه لا راد لأقداره ولا صَادَّ عن اختياره .

قوله عز وجل : ﴿ قَلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ الآية . في سبب [نزول] ذلك قولان :

أحدهما : أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : من يشهد لك بالنبوة ، فأنـزل الله تعالى هذه الآية يأمره فيها أن يقول لهم : ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـادَةً ﴾ ، ثم أجابـه عن ذلـك فقال : ﴿ قُـلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يعني : بصـدقي وصحـة نبـوتي وهي أكبر الشهادات ، قاله الحسن .

والثاني : أن الله تعالى أمره أن يشهد عليهم بتبليـغ الرسـالة إليهم فقـال ذلك ليشهده عليهم .

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لأنذركم [يا] أهل مكة ومن بلغه القرآن من غير أهل مكة .

والثاني : لأنذركم به : [أيها] العربُ ومن بُلِّغ من العَجَم(٦٥) .

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه التوراة والإنجيل(٦٦) ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسـدي ، وابن جريج .

والثاني : أنه القرآن .

﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعـرفون النبي ﷺ كمـا يعرفـون أبناءهم ، لأن صفتـه موجـودة في كتابهم ، قاله الحسن ، وقتادة ، ومن زعم أن الكتاب هو التوراة والإنجيل .

---

(٦٥) قال العلامة الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٠٥) « أي أوحى الله إليّ هذا القرآن الـذي تلوته عليكم لأجل أن أنذركم به ومن بلغ إليه أي كل من بلغ إليه من موجود ومعدوم سيوجـد في الأزمنة المستقبلة وفي هذه الآية من الدلالة على شمول أحكام القرآن لمن سيوجد كشمولهـا لمن قد كـان موجـوداً وقت النزول ما لا يحتاج معه إلى تلك الخزعبلات المذكورة في علم أصول الفقه ا هـ.

(٦٦) واختـاره ابن جريـر (٧/ ١٦٤) وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٤) عن الجمهـور واختار الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٠٥) القول بالعموم .

والثاني : يعرفون الكتاب الدال على صفته ، وصدقه ، وصحة نبوته ، وهذا قول من زعم أن الكتاب هو القرآن(٦٧).

وعنى بقوله : ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾ تثبيتاً لصحة المعرفة .

وحكى الكلبي والفراء : أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما هذه المعرفة التي تعرفون بها محمداً ﷺ كما تعرفون أبناءكم ؟ قال : والله لأنا به إذا رأيته أعرف مني بابني وهو يلعب مع الصبيان ، لأني لا أشك أنه محمد ، وأشهد أنه حق ، ولست أدري ما صنع النساء في الابن(٦٨).

﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنهم خسروا بالكفر منازلهم وأزواجهم في الجنة ، لأنه ليس أحد من مؤمن ولا كافر إلا وله منازل وأزواج ، فإن أسلموا كانت لهم ، وإن كفروا كانت لمن آمن من أهلهم ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[المؤمنون : ١١]، قاله الفراء.

والثاني : معناه غبنوها فأهلكوها بالكفر والتكذيب ، ومنه قول الأعشى(*):

لا يأخذ الرِّشْوَة في حُكْمِهِ ولا يُبالي خُسْرَ الخاسر

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

(٦٧) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (١٥/٣) قولاً ثالثاً وأن الهاء في تعرفونه راجعة إلى الدين والنبي فالمعنى يعرفون الإسلام أنه دين الله عز وجل وأن محمداً رسول الله وهذا القول قاله قتادة واختاره ابن جرير (١٦٤/٧).

(٦٨) هذا الأثر رواه الثعلبي كما في الدر (٣٥٧/١) من طريق السدي الصغير وهو ضعيف جداً عن الكلبي وهو متروك عن ابن عباس . . . . وعلى هذا فالأثر ضعيف جداً وقد ورد من قول ابن جريج ولفظه قال : زعموا أن بعض أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم قال والله لنحن أعرف به منا بأبنائنا من الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء رواه ابن جرير (١٦٥/٧) وابن المنذر كما في الدر (٣٥٦/١).

(*) ديوانه : ٩٢ وفيه ولا يبالي غبن الخاسر .

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ . . . ﴾ الآية . في الفتنة هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني معذرتهم ، فسماها فتنة(٦٩) لحدوثها عن الفتنة ، قاله قتادة .

والثاني : عاقبة فتنتهم وهو شركهم .

والثالث : يعني بَلِيَّتُهم التي ألزمتهم الحجة وزادتهم لائمة ، قاله أبو عبيد(٧٠) القاسم بن سلام .

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ تبدأوا بذلك من شركهم ، فإن قيل : كيف كذبوا في الآخرة بجحود الشرك ولا يصح منهم الكذب في الآخرة لأمرين :

أحدهما : أنه لا ينفعهم .

والثاني : أنهم مصروفون عن القبائح ملجؤون إلى تركها لإزالة التكليف عنهم ، ولو لم يلجؤوا إلى ترك القبيح ويصرفوا عنه مع كمال عقولهم وجب تكليفهم ليقلعوا به عن القبيح ، وفي عدم تكليفهم دليل على إلجائهم إلى تركه .

قيل : عن ذلك جوابان :

أحدهما : أن قولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ أي في الدنيا عند أنفسنا لاعتقادنا فيها أننا على صواب ، وإن ظهر لنا خطؤه الآن ، فلم يكن ذلك منهم كذباً ، قاله قطرب .

والثاني : أن الآخرة مواطن ، فموطن لا يعلمون ذلك فيه ولا يضطرون إليه ، وموطن يعلمون ذلك فيه ويضطرون إليه ، فقالوا ذلك في الموطن الأول ، قاله بعض متأخري المتكلمين .

(٦٩) الفتنة تستعمل في معان عدة كالعذاب والاختبار والبلية والمصيبة والكفر والإثم والضلال والمعذرة كما حقق ذلك الراغب الأصفهاني في المفردات .

(٧٠) وفي نسخة أبو عبيدة بزيادة الهاء والصواب بدون هاء كما هنا راجع التهذيب (٢٨٣/٨) وغيره .

وهذا ليس بصحيح لأنه يقتضي أن يكونوا في الموطن الأول مكلفين لعدم الإلجاء والاضطرار ، وفي الموطن الثاني غير مكلفين .

وقد يعتل الجواب الأول بقوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ **ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ** ﴾ فأخبر عنهم بالكذب ، وهم على الجواب الأول غير كاذبين .

وقد أُجيب عن هذا الاعتراض بجواب ثالث ، وهو أنهم أنكروا بألسنتهم ، فلما نطقت جوارحهم أقروا ، وفي هذا الجواب دخل لأنهم قد كذبوا نُطْقَ الجوارح .

﴿ **وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بسوء كذبهم وجحودهم .

والثاني : فضلت عنهم أوثانهم التي افتروا على الله بعبادتها ، والافتراء : تحسين الكذب .

قوله عز وجل : ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ** ﴾ قيل إنهم كانوا يستمعون في الليل قراءة النبي ﷺ في صلاته .

وفيه وجهان :

أحدهما : يستمعون قراءته ليردوا عليه .

والثاني : ليعلموا مكانه فيؤذوه ، فصرفهم الله عن سماعه ، بإلقاء النوم عليهم ، بأن جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه .

والأكنة الأغطية واحدها كِنان ، يقال : كَنَنْتُ الشيء إذا غطيته ، وأكننته في نفسي إذا أخفيته ، وفي قراءة علي ، وابن مسعود : على أعينهم غطاء .

﴿ **وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً** ﴾ والوقر : الثقل ، ومنه الوَقَار إذا ثقل في المجلس .

﴿ **وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بها** ﴾ يعني بالآية علامة الإعجاز لما قد استحكم في أنفسهم من حسده وبغضه ، وذلك صرفهم عن سماع القرآن ، لأنهم قصدوا بسماعه الأذىٰ والافتراء .

﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ**

ﵟ ٱلۡأَوَّلِينَ ﵞ فيما كانوا يجادلون به النبي ﷺ قولان :

أحدهما : أنهم كانوا يجادلونه بما ذكره الله تعالى من قوله عنهم : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ ، قاله الحسن .

والثاني : هو قولهم : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم . قاله ابن عباس .

ومعنى ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم ، وقيل : إن الذي جادلهم بهذا النضر بن الحارث .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يَنْهَون عن اتباع محمد ﷺ ، ويتباعدون عنه فراراً منه ، قاله محمد ابن الحنفية، والحسن ، والسدي .

والثاني : يَنْهَون عن القرآن أن يُعْمَل بما فيه ، ويتباعدون من سماعه كيلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته ، قاله مجاهد ، وقتادة .

والثالث : ينهون عن أذى محمد ﷺ ، ويتباعدون عن اتباعه ، قال ابن عباس : نزلت في أبي طالب كان ينهىٰ المشركين عن أذى محمد ﷺ ، ويتباعد عما جاء به ، فلا يؤمن به مع وضوح صدقه في نفسه .

واستشهد مقاتل بما دل على ذلك عن شعر أبي طالب(٧١) بقوله :

ودعوتني وزَعَمْتَ أنَّكَ ناصِحِي ... فلقَدْ صَدَقْت وكُنْتَ ثَمَّ أميناً
وعرضتَ ديناً قد علِمْتُ بأنه ... من خيْرِ أدْيانِ البَرِيةِ دِيناً

(٧١) وقد استدل بعض من لا علم عنده بهذه الأبيات التي نسبت لأبي طالب على إسلامه ولا حجة فيها حتى لو ثبت هذا الشعر المنسوب إليه فإنه نظير ما حكاه الله تعالى عن كفار قريش : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ سورة النمل فكان كفرهم عناداً ، ومنشؤه من الأنفة والكبر ولم يأت أثر صحيح ولا حسن في كون أبي طالب أسلم وكل ما ورد من الأحاديث فهي واهية أوهى من بيت العنكبوت وقد كشف عن عوارها الحافظ ابن حجر كما في الإصابة (٧/٢٣٥ وما بعدها) وقال رحمه الله (٧/٢٤٢) «وإنا نسلم أنه (أي أبا طالب) نصره (أي نصر رسول الله) وبالغ في ذلك لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه، وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتِّب عليه من الصفات كلها ا هـ. ونقل الحافظ ابن حجر عن الحافظ ابن عساكر قوله : «قيل إنه أسلم ولا يصح إسلامه» .

لولا الذَّمَامَةُ[٧٢] أو أُحَاذِرُ سُبَّةً   لَوَجَدْتَني سَمْحاً بذالك مُبِيناً
فاذهب لأمرك ما عليك غَضَاضَةٌ   وابشِرْ بذاك وقَرَّ مِنْكَ عيوناً
والله لن يَصِلُوا إليك بِجَمْعِهِم   حتى أُوسَّدَ في التُّرابِ دَفِيناً

فنزلت هذه الآية ، فقرأها عليه النبي ﷺ ، فقال له أبو طالب : أما أن أدخل في دينك فلا . قال ابن عباس : لسابق القضاء في اللوح المحفوظ ، وبه قال عطاء ، والقاسم[٧٣] .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : عاينوها ، ومن عاين الشيء فقد وقف عليه .

والثاني : أنها كانت من تحتهم وهم فوقها ، فصاروا وقوفاً عليها .

والثالث : أنهم عرفوها بالدخول فيها ، ومن عرف الشيء فقد وقف عليه .

وذكر الكلبي وجهاً رابعاً : أن معناه ولو ترى إذ حُبِسُوا على النار[٧٤] .

﴿ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تمنوا الرد إلى الدنيا التي هي دار التكليف ليؤمنوا ويصدقوا ، والتمني لا يدخله صدق ولا كذب ، لأنه ليس بخبر[٧٥] .

---

(٧٢) وفي زاد المسير (٣/ ٢١) « لولا الملامة أو حذاري سبة» . . . . . .

(٧٣) هو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي نزيل دمشق ثقة فاضل مترجم له في التهذيب (٨/ ٣٠٢).

(٧٤) زاد ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٢) وجهين آخرين فانظرهما هناك .

(٧٥) وهو قول الزجاج كما في زاد المسير (٣/ ٢٤) .

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : بدا لهم وبال ما كانوا يخفون .

والثاني : بدا لهم ما كان يخفيه بعضهم عن بعض ، قاله الحسن .

والثالث : بدا للأتباع ما كان يخفيه الرؤساء .

﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ يعني ولو ردوا إلى ما تمنوا من الدنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه خبر مستأنف أخبر الله به عن كذبهم(٧٦) لا أنه عائد إلى ما تقدم من تمنِّيهم ، لعدم الصدق والكذب في التمنِّي .

والثاني : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ يعني في الإخبار عن أنفسهم بالإيمان إن رُدُّوا .

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب(٧٧) ولهو ، فأما عمل الصالحات فيها فهو من عمل الآخرة ، فخرج من أن يكون لعباً ولهواً .

---

(٧٦) وفي نسخة « لأنه » بدلاً من لا والصواب ما هنا .

(٧٧) وقد أبدى بعض المفسرين سراً بديعاً في تقديم اللعب على اللهو كما هنا وتأخيره عنه في سورة العنكبوت بأنه لما كان هذا الكلام مسوقاً للرد على الكفرة فيما يزعمونه من إنكار الآخرة والحصر السابق وليس في اعتقادهم لجهلهم إلا ما عجل من المسرة بزخرف الدنيا الفانية قدم اللعب الدال على الباطل في أكثر أقوالهم وأفعالهم . قدم ما يدل على ذلك أو لما كان التقديم مقدماً على الترك والنسيان قدم اللعب على اللهو رعاية للترتيب الخارجي وأما في العنكبوت فالمقام لذكر قصر مدة الحياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة وتحقيرها بالنسبة إليها ولذا ذكر اسم الإشارة المشعر بالتحقير وعقب ذلك بقوله سبحانه : ﴿ إن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ راجع روح المعاني (٧/١٣٤) .

والثاني : وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم بها عما هو أولى منها ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم كأهل اللعب واللهو لانقطاع لذاتهم وقصور مدتهم ، وأهل الآخرة بخلافهم لبقاء مدتهم واتصال لذتهم ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَلدَّارُ الأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لأنه قَدْ دام لهم فيها ما كان منقطعاً في غيرها .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أن ذلك خير لكم .

وذكر بعض الخاطرية قولاً رابعاً : أنها لعب لمن جمعها ، لهو لمن يرثها .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ﴾ يعني من التكذيب لك ، والكفر بي .

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : فإنهم لا يكذبونك بحجة ، وإنما هو تكذيب بهت وعناد ، فلا يحزنك ، فإنه لا يضرك ، قاله أبو صالح ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : فإنهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك ، ولكن يكذبون ما جئت به ، قاله ناجية بن كعب .

والثالث : لا يكذبونك في السر لعلمهم بصدقك ، ولكنهم يكذبونك في العلانية لعداوتهم لك ، قاله الكلبي .

والرابع : معناه أن تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك ، لأنك رسول مُبلّغ ، وإنما هو تكذيب لآياتي الدالة على صدقك والموجبة لقبول قولك ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ أي يكذبون .

وقرأ نافع والكسائي : ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ وهي قراءة عن النبي ﷺ[٧٨] وتأويلها : لا يجدونك كاذباً .

قوله عز وجل : ﴿ . . . وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يحتمل أربعة تأويلات :

أحدها : معناه لا مُبطِل لحُجَّتِهِ ولا دافع لبرهانه .

والثاني : معناه لا رَادَّ لأمره فيما قضاه من نصر أوليائه ، وأوجبه من هلاك أعدائه .

والثالث : معناه لا تكذيب لخبره فيما حكاه من نصر مَنْ نُصِرَ وهلاك مَنْ أُهْلِكَ .

والرابع : معناه لا يشتبه ما تخرّصه الكاذبون عليه بما بلَّغه الأنبياء عنه .

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ فيما صبروا عليه من الأذىٰ ، وقُوبلوا عليه من النصر .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : [إعراضهم] عن سماع القرآن .

والثاني : عن استماعك .

﴿ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقاً فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي سرباً ، وهو المسلك فيها ، مأخوذ من نافقاء[٧٩] اليربوع .

﴿ أَوۡ سُلَّماً فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

---

(٧٨) وهي قراءة مخففة وضبطها « لا يُكْذِبُونك » وقرأ الباقون بالتشديد المبسوط في القراءات العشر ص ١٩٢ .

(٧٩) ونافقاء اليربوع إحدى حجرات بيته وهي سبعة حجرات فإذا أتاه العدو من قبل القاصعاء وهو باب آخر خرج من هذا الباب وقد سمي المنافق منافقاً لأنه يدخل الإسلام من وجه ويخرج من وجه آخر فاشبه اليربوع في صنيعه .

أحدها : مصعداً ، قاله السدي .

والثاني : دَرَجاً ، قاله قتادة .

والثالث : سبباً ، قاله الكلبي وقد تضمن ذلك قول كعب بن زهير .

ولا لَكُمَا مَنْجىً عَلَى الأرْضِ فَابْغِيَا   بـه نَفَقاً أوْ في السَّمَـوٰاَت سُلَّمـاً

﴿ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ يعني أفضل من آيتك ولن تستطيع ذلك ، لم يؤمنوا لك ، فلا يحزنك تكذيبهم وكفرهم ، قال الفراء : وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : فتأتيهم بآية فافعل .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ قيل : يعني(٨٠) بالإلجاء والاضطرار .

قال ابن عباس : كل موضع قال الله فيه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فإنه لم يشأ .

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ يعني فلا تجزع في مواطن الصبر ، فتصير بالأسف والتحسر مقارباً لأحوال الجاهلين .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الاستجابة هي القبول ، والفرق بينها وبين الجواب : أن الجواب قد يكون قبولاً وغير قبول .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني الذين يعقلون ، قاله الكلبي .

والثاني : الذين يسمعون طلباً للحق ، لأن الاستجابة قد تكون من الذين يسمعون طلباً للحق ، فأما من لا يسمع ، أو يسمع لكن لا بقصد طلب الحق ، فلا يكون منه استجابة .

﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المراد بالموتى هنا الكفار ، قاله الحسن ، وقتادة ومجاهد ،

(٨٠) وهذا القول قول المعتزلة والصواب أي لو شاء الله تعالى لجمعهم على الهدى كما أنتم على الهدى وذلك بأن يوفقهم للإيمان فيؤمنوا ولكن لم يشأ ذلك سبحانه لسوء إختيارهم حسبما علمه الله تعالى منهم في الأزل ولله تعالى الحكمة البالغة في ذلك وهذا قول أهل السنة وكان على المؤلف رحمه الله أن يأتي بقول أهل السنة لكنه لم يفعل .

ويكون معنى الكلام : إنما يستجيب المؤمنون الذين يسمعون ، والكفار لا يسمعون إلا عند معاينة الحق اضطراراً[٨١] حين لا ينفعهم حتى يبعثهم الله كفاراً ثم يحشرون كفاراً .

والقول الثاني : أنهم الموتى الذين فقدوا الحياة ، وهو مثل ضربه الله تعالى لنبيه ﷺ ، ويكون معنى الكلام : كما أن الموتىٰ لا يستجيبون حتى يبعثهم الله فكذلك الذين لا يسمعون .

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ يعني آية تكون دليلاً على صدقه وصحة نبوته .

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ يعني آية يجابون بها إلى ما سألوا .

﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعلمون المصلحة في نزول الآية .

الثاني : لا يعلمون أن زيادة الآيات إذا لم يؤمنوا بها ، توجب الزيادة من عذابهم ، لكثرة تكذيبهم .

فإن قيل : فهذه الآية لا تدل على أن الله لم ينزل عليهم آية تقودهم إلى التصديق فلم يلزمهم الإيمان ، قيل : هذا خطأ ، لأن ما أظهره الله من الآيات

(٨١) لعله يقصد أن الكفار يؤمنون عند وقوع آية العذاب بهم كما حكاه الله تعالى عنهم . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » سورة غافر فهذه الآية تدل على أن إيمان المضطر عند معاينة العذاب لا يفيد ولا ينفع أشبه حال فرعون .

الدالة على صدق رسوله وصحة نبوته ، أظهر من أن يُخْفَىٰ ، وأكثر من أن ينكر ، وأن القرآن مع عجز من تحداهم الله من الآيات بمثله ، وما تضمنه من أخبار الغيوب وصدق خبره عما كان ويكون أبلغ الآيات وأظهر المعجزات .

وإنما اقترحوا آية سألوها إعناتاً ، فلم يجابوا مع قدرة الله تعالى على إنزالها ، لأنه لو أجابهم إليها لاقترحوا غيرها إلى ما لا نهاية له ، حتى ينقطع الرسول بإظهار الآيات عن تبليغ الرسالة .

وإنما يلزمه إظهار الآيات في موضعين :

أحدهما : عند بعثه رسولاً ليكون مع استدعائه لهم دليل على صدقه .

والثاني : أن يسألها من يعلم الله منه أنه إن أظهرها له آمن به، وليس يلزمه إظهارها في غير هذين الموضعين.

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ دابة بمعنى ما يدب على الأرض من حيوان كله .

﴿ وَلَا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ يعني في الهواء ، جمع بين ما هو على الأرض وفيها وما ارتفع عنها .

﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ في الأمم تأويلان :

أحدهما : أنها الجماعات .

والثاني : أنها الأجناس ، قاله الفراء .

وليس يريد بقوله : ﴿ أَمْثَالُكُم ﴾ في التكليف كما جعل قوم اشتبه الظاهر عليهم وتعلقوا مع اشتباه الظاهر برواية أبي ذر[٨٢] ، قال : انتطحت شاتان عند النبي ﷺ ، فقال : يا أبا ذر أتدري فيم انتطحتا ؟ قلت : لا ، قال : « لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا » قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكّرنا منه علماً ، لأنه إذا كان العقل سبباً للتكليف كان عدمه لارتفاع التكليف .

---

(٨٢) رواه ابن جرير (١١/٣٤٨) وأحمد (٥/١٦٢) والطيالسي (٤٨٠) وصحح سند الطيالسي الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١١٧) .

والمراد بقوله : ﴿ أَمْثَالُكُم ﴾ وجهان :

أحدهما : أنها أجناس وتتميز في الصور والأسماء .

والثاني : أنها مخلوقة لا تُظْلَم ، ومرزوقة لا تُحْرَم .

ثم قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ما تركنا خلقاً إلا أوجبنا له أجلاً ، والكتاب هنا هو إيجاب الأجل كما قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٨] قاله ابن بحر وأنشد لنابغة بني جعدة :

بلغوا الملوك وأدركوا الـ ـكتاب وانتهى الأجل

والتأويل الثاني : وهو قول الجمهور : أن الكتاب هو القرآن الكريم الذي أنزله ، ما أخل فيه بشيء من أمور الدين ، إما مُفَصَّلاً يَسْتَغْنِي عن التفسير ، أو مُجْمَلاً جعل إلى تفسيره سبيلاً .

يحتمل تأويلاً ثالثاً : ما فرطنا فيه بدخول خلل عليه ، أو وجود نقص(٨٣) فيه ، فكتاب الله سليم من النقص والخلل .

﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن المراد بالحشر الموت ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الحشر الجمع لبعث الساعة(٨٤) .

فإن قيل : فإذا كانت غير مُكَلَّفَةٍ فلماذا تبعث يوم القيامة ؟ قيل : ليس التكليف علة البعث ، لأن الأطفال والمجانين يبعثون وإن كانوا في الدنيا غير مكلفين ، وإنما يبعثها(٨٥) ليعوض ما استحق العوض منها بإيلام أو ظلم ، ثم

---

(٨٣) وفي تفسير الكتاب هنا قول آخر وهو أن المراد به اللوح المحفوظ وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس قال ابن القيم في شفاء العليل ص ٤٠ « وهو أظهر القولين في الآية والسياق يدل عليه » .

(٨٤) ولا تنافي بين القولين فهي تجمع يوم القيامة وثم يقتص بعضها من بعض ثم يقال لها كوني تراباً وقد ورد بذلك الأثر فالقول بحشر البهائم والقصاص بينها هو قول جمهور المفسرين والعلماء المحققين كإبن جرير والشوكاني والنووي والقاري وابن كثير وغيرهم .

(٨٥) قال العلماء . والحكمة في بعثها أن هذا البعث دال على كمال العدالة بين كافة المكلفين فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف .

يجعل ما يشاء منها تراباً ، وما شاء من دواب الجنة[٨٦] يتمتع المؤمنون بركوبه ورؤيته .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ معنى ذلك أنهم تركوا ما ذَكَّرَهُم الله من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله .

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني من نِعَمِ الدنيا وسَعَة الرزق .

وفي إنعامه عليهم مع كفرهم وجهان :

أحدهما : ليكون إنعامه عليهم داعياً إلى إيمانهم .

والثاني : ليكون استدراجاً وبلوىٰ[٨٧]، وقد روى ابن لهيعة بإسناده عن عقبة ابن عامر أن النبي ﷺ قال[٨٨]: « **إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعطِي العِبَادَ مَا يَشَاءُونَ عَلَى**

---

(٨٦) لا نعلم لذلك أثراً صحيحاً يدل على ما قال المؤلف .

(٨٧) والقول الثاني أظهر وأوجه لأن الحديث يؤيده وإنما فعل الله تعالى ذلك بهم ليزداود في الطغيان ليزيد لهم في العقوبة .

(٨٨) رواه الطبري ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١ وأحمد برقم (١٧٣٨٢) من حديث عقبة بن عامر وفي إسناد الطبري ابن لهيعة وهوسيىء الحفظ لكنه لم ينفرد به بل توبع في إسناد أحمد بحرملة بن عمران وفي سند أحمد رشدين بن سعد لكن الإسنادين يقوي أحدهما الآخر وزاد السيوطي في الدر (١٢/٣) نسبة الحديث لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب .

مَعَاصِيهم إيَّاهُ فَإِنَّما ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ » ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُوٓاْ ﴾ يعني من النِّعَمِ فلم يؤمنوا .

﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه تعجيل العذاب المُهْلِك جزاء لأمرين :

أحدهما : لكفرهم به .

والثاني : لكفرهم بنِعَمِهِ .

والوجه الثاني : هو سرعة الموت عند الغفلة عنه بالنِّعَمِ قَطْعاً للذة ، وتعذيباً للحسرة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ وفيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الإبلاس : الإياس قال عدي بن زيد :

ملك إذا حل العفاة ببابه غبطوا وأنجح منهم المستبلس

يعني الآيس .

والثاني : أنه الحزن والندم .

والثالث : الخشوع .

والرابع : الخذلان (٨٩).

والخامس : السكوت وانقطاع الحجة ، ومنه قول العجاج (٩٠):

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلسا

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

(٨٩) وفي نسخة المخطوطة الجذلان والصواب ما أثبتناه هنا .

(٩٠) تقدم تخريج هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ . . . . الآية .

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا
شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾
وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ
نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ
وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الرزق ، أي لا أقدر على إغناء فقير ، ولا إفقار غني ، قاله الكلبي .

والثاني : مفاتيح خزائن العذاب لأنه خوَّفهم منه ، فقالوا متى يكون هذا ؟ ، قاله مقاتل .

﴿ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : علم الغيب في نزول العذاب عليهم متى يكون ؟ ، قاله مقاتل .

والثاني : علم جميع ما غاب من ماض ومستقبل(٩١)، إلا أن المستقبل لا

(٩١) ولا شك أن القول الثاني أحق وأولى ورحم الله المؤلف فقد فصّل فيه تفصيلاً رائعاً .

يعلمه إلا الله أو من أطلعه الله تعالى على علمه من أنبيائه ، وأما الماضي فقد يعلمه المخلوقون من أحد الوجهين : إما من معاينة أو خبر ، فإن كان الإخبار عن مستقبل ، فهو من آيات الله المعجزة ، وإن كان عن ماض فإن علم به غير المخبر والمخبَر لم يكن معجزاً ، وإن لم يعلم به أحد وعلم به المخبِر وحده كان معجزاً ، فنفىٰ رسول الله ﷺ عن نفسه علم الغيب ، لأنه لا يعلمه غير الله تعالى ، وإن ما أخبر به من غيب فهو عن الله ووحيه .

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه يريد أنه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وإن قدرت عليه الملائكة .

والثاني : أنه يريد بذلك أنه من جملة البشر وليس بمَلَك ، لينفي عن نفسه غُلُوَّ النصارىٰ في المسيح وقولهم : إنه ابن الله .

ثم في نفيه أن يكون ملكاً وجهان :

أحدهما : أنه بَيَّنَ بذلك فضل الملائكة على الأنبياء[٩٢]، لأنه دفع عن نفسه منزلة ليست له .

والثاني : أنه أراد إني لست ملكاً في السماء ، فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر ، وإن كان الأنبياء أفضل من الملائكة مع غيبهم عما تشاهده الملائكة .

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن أخبركم إلا بما أخبرني الله به[٩٣].

---

(٩٢) قال الإمام الألوسي رحمه الله في كتابه روح المعاني (١٥٥/٧). (تأويل وتقرير أن الملائكة أفضل من النبي ﷺ فهذا كلام لا يسوغ شرعاً أبداً، وهذا فهم خاطىء مستنبط من الآية فالرسول محمد ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق بما فيهم الملائكة المقربون وهذا لا ينكره عالم فبيان التفضيل أي تفضيل الأنبياء على الملائكة واحد).

(٩٣) فلا يجوز أن نضع الرسول عليه الصلاة والسلام دون المنزلة التي حباه الله إياها وكذلك لا يجوز أن نبالغ بأمور تجاوز حدود الشرع كبعض المتصوفة الذين يقولون إن الرسول هو أول خلق الله أو الذين يقولون خلق من نور معتمدين على أحاديث واهية وموضوعة.

والثاني : أن أفعل إلا ما أمرني الله به .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : الجاهل والعالم .

والثاني : الكافر والمؤمن .

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : فيما ضربه الله من مثل الأعمىٰ والبصير .

الثاني : فيما بينه من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ .

روي أن سبب نزول هذه الآية أن الملأ من قريش(٩٤) أتوا النبي ﷺ وعنده جماعة من ضعفاء المسلمين مثل بلال ، وعمار ، وصهيب ، وخباب بن الأرت ، وابن مسعود ، فقالوا : يا محمد اطرد عنا موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعتقاؤنا(٩٥)، فلعلك إن طردتهم نتبعك ، فقال عمر : لو فعلت ذلك حتى نعلم ما الذي يريدون وإلَامَ يصيرون ، فَهَمَّ رسول الله ﷺ بذلك حتى نزلت هذه الآية ، ونزل في الملأ من قريش ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية . فأقبل عمر فاعتذر من مقالته فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه ذكر الله ، قاله إبراهيم النخعي .

والثالث : تعظيم(٩٦) القرآن ، قاله أبو جعفر .

(٩٤) وقد ورد سبب نزول الآية من قول عكرمة بأطول من هذا رواه الطبري (١١/٣٧٩ ، ٣٨٠) وقد ورد من حديث خباب بن الأرت رواه أحمد (٣٩٨٥) والطبري (١١/٣٧٤ ، ٣٧٥) وصحح سند أحمد الشيخ أحمد شاكر .

(٩٥) هذا خطأ والصواب وعسفاؤنا كما في الطبري (١١/٣٧٩) وهو جمع عسيف وهو الأجير المستهان به .

(٩٦) قوله تعظيم خطأ والصواب تعليم والدليل على ذلك أن هذا القول أورده ابن جرير (١١/٣٨٥)

والرابع : أنه عبادة الله ، قاله الضحاك .

ومعنى قوله : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يريدون بدعائهم ، لأن العرب تذكر وجه الشيء إرادة له مثل قولهم : هذا وجه الصواب تفخيماً للأمر وتعظيماً .

والثاني : معناه يريدون طاعته لقصدهم الوجه الذي وجَّههم[٩٧] إليه .

﴿ مَا عَلَيكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : يعني ما عليك من حساب عملهم من شيء من ثواب أو عقاب .

﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ يعني وما من حساب عملك عليهم من شيء ، لأن كل أحد مؤاخذ بحساب عمله دون غير ، قاله الحسن .

والثاني : معناه ما عليك من حساب رزقهم وفقرهم من شيء .

والثالث : ما عليك كفايتهم ولا عليهم كفايتك ، والحساب الكفاية كقوله تعالى : ﴿ عَطَاءً حِسَاباً ﴾[النبأ: ٣٦] أي تاماً كافياً ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ وكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ يعني لاختلافهم في الأرزاق ، والأخلاق ، والأحوال .

وفي إفتان الله تعالى لهم قولان :

أحدهما : أنه ابتلاؤهم واختبارهم ليختبر به شكر الأغنياء وصبر الفقراء ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : تكليف ما يشق على النفس مع قدرتها عليه .

﴿ لِّيَقُولُوٓاْ[٩٨] أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ وهذا قول الملأ من قريش

بسنده عن ابن جعفر قال كان يقرئهم القرآن من الذي يقص على النبي ﷺ ؟ قلت فأراد أبو جعفر رحمه الله تعلمهم القرآن وقراءته ويؤيد ما ذهبت إليه أن ابن الجوزي رحمه الله أورد هذا القول في زاد المسير (٤٦/٣) وقال : « الرابع : أنه تعلم القرآن غدوة وعشية قال أبو جعفر ا هـ. ولعل هذا سبق قلم من الناسخ والله أعلم.

(٩٧) أما مذهب السلف في هذه الآية فإنهم يمرونها كما نزلت ويؤولونها تأويلاً إجمالياً أي يؤمنون بالنص إيماناً يتناسب مع قوله تعالى ليس كمثله شيء.

(٩٨) واللام في قوله ﴿ ليقولوا ﴾ للتعليل وليس للعاقبة فإن لام العاقبة تكون في حق من هو جاهل أو

للضعفاء من المؤمنين ، وفيما مَنَّ الله تعالى به عليهم قولان :

أحدهما : ما تفضل الله به عليهم من اللطف في إيمانهم .

والثاني : ما ذكره من شكرهم على طاعته .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَاتِنَا ﴾ يعني به ضعفاء المسلمين وما كان من شأن عمر .

﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أمر بالسلام عليهم من الله تعالى ، قاله الحسن .

والثاني : أنه أمر بالسلام عليهم من نفسه تكرمة لهم ، قاله بعض المتأخرين .

وفي السلام قولان :

أحدهما : أنه جمع السلامة .

والثاني : أنه السلام هو الله ومعناه ذو السلام .

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه(٩٩) أوجب الله على نفسه .

والثاني : كتب في اللوح المحفوظ على نفسه .

و ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ يحتمل المراد بها هنا وجهين :

أحدهما : المعونة .

والثاني : العفو(١٠٠) .

﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوٓءاً بِجَهَالَةٍ ﴾ في الجهالة تأويلان :

عاجز عن دفعها ولهذا قال ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل ص ١٩١ عنه هذه الآية . . ولا ريب أن هذا تعليل لفعله المذكور « أي فعل الرب » وهو امتحان بعض خلقه ببعض كما امتحن السادات والأشراف بالعبيد والضعفاء والموالي فإذا نظر الشريف والسيد إلى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمى أن يسلم معه أو بعده . . . . . الخ وراجع أيضاً روح المعاني (١٦٢/٧) .

(٩٩) تقدم الكلام على هذا الكتب في الآيات السابقة .

(١٠٠) والصواب إثبات صفة الرحمة للرب تبارك وتعالى على ما ذكر في الاية .

أحدهما : الخطيئة ، قاله الحسن ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : ما جهل كراهية عاقبته ، قاله الزجاج .

ويحتمل ثالثاً : أن الجهالة هنا ارتكاب الشبهة بسوء التأويل(١٠١) .

﴿ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ يعني تاب من عمله الماضي وأصلح في المستقبل .

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي ﴾ في البينة هنا قولان :

أحدهما : الحق الذي بان له .

والثاني : المُعْجِزُ في القرآن .

﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وكذبتم بالبينة .

والثاني : وكذبتم بربكم .

(١٠١) قال العلامة الآلوسي قوله سبحانه ﴿ بجهالة ﴾ حال أيضاً على الأظهر أي من عمل ذنباً وهو جاهل أي فاعل فعل الجهلة لأنه من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل الجهل والسفه لا من أهل الحكمة والتدبير أو جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة روح المعاني (٧/١٦٤).

﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ما يستعجلون به من العذاب الذي أُوعِدُوا به قبل وقته ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾، قاله الحسن .

والثاني : ما استعجلوه من اقتراح الآيات لأنه طلب الشيء في غير وقته ، قاله الزجاج .

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الحكم في الثواب والعقاب .

والثاني : الحكم في تمييز الحق من الباطل(١٠٢) .

﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وعاصم ﴿ يَقُصُّ ﴾ بصاد غير معجمة من القَصَص وهو الإخبار به ، وقرأ الباقون ﴿ يَقْضِي ﴾ بالضاد معجمة من القضاء ، وهو صنع الحق وإتمامه .

قوله عز وجل : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خزائن غيب السموات والأرض والأرزاق والأقدار ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني : الوصول إلى العلم بالغيب .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن ما في البّر ما على الأرض ، وما في البحر ما على الماء ، وهو الظاهر ، وبه قال الجمهور .

والثاني : أن البَرّ القفر ، والبحر القُرىٰ لوجود الماء فيها ، فلذلك سميت بحراً ، قاله مجاهد .

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ يعني قبل يبسها وسقوطها .

﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ﴾ يحتمل وجهين :

(١٠٢) والصواب أن يقال إن الحكم في كل شيء إلا لله فهو الذي يحكم لا معقب لحكمه ومن جملة ذلك ما استعجلوه من العذاب راجع فتح القدير (٢/١٢٢) .

أحدهما : ما في بطنها من بذر .

والثاني : ما تخرجه من زرع .

﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الرطب النبات واليابس الجواهر .

والثاني : أن الرطب الحي ، واليابس الميت .

﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(١٠٣) يعني في اللوح المحفوظ .

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ يعني بـه النوم ، لأنـه يقبض الأرواح فيه عن التصرف ، كما يقبضها بالموت ، ومنه قول الشاعر(١٠٤) :

إنَّ بَنِي الْأَدْرَدِ لَيْسُوا مِن أَحَدْ ... وَلَا تَوَفَّاهُم قُرَيْشٌ في العَدَدْ

أي لا تقبضهم .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ أي ما كسبتم لأنه مستفاد بعمل الجارحة ، ومنه جوارح الطير لأنها كواسب بجوارحها ، وجَرْحُ الشهادة هو الطَّعْن فيها لأنـه مكسب الإثم ، قاله الأعشى(*) :

(١٠٣) وما أجمل قول علامة اليمن الشوكاني رحمه الله « وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدّعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط بـه علمهم ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنـواع المخذولة ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق والمصدوق ﷺ « من أتى كـاهناً أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد » فتح القدير (٢/١٢٣) .

(١٠٤) والشاعر هـو منظور الـوبري والبيت في اللسان (وفي) وقولـه بني الأدرد خطأ والصـواب بنو الأدرم والبيت في الطبري (١١/٤٠٥) وراجع ما كتب في الحاشية هناك .

(*) ديوانه : ٤١ .

وهــوَ الـدَّافِــعُ عن ذي كُـرْبَــةٍ أَيْدِي القَوْمِ إذا الْجَانِي اجْتَرَحْ

﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ يعني في النهار باليقظة ، وتصرف الروح بعد قبضها بالنوم .

﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ يعني استكمال العمر وانقضاء الأجل بالموت .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ يعني بالبعث والنشور في القيامة .

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا من خير وشر .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أعلى قهراً ، فلذلك(١٠٥) قال : ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ .

والثاني : أن الأقدر إذا استحق صفة المبالغة عبَّر عنه بمثل هذه العبارة ، فقيل : هو فوقه في القدرة أي أقدر ، وفوقه في العلم أي أعلم .

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه جوارحهم التي تشهد عليهم بما كانوا يعملون .

والثاني : الملائكة(١٠٦) .

ويحتمل ﴿ حَفَظَةً ﴾ وجهين :

أحدهما : حفظ النفوس من الآفات .

والثاني : حفظ الأعمال من خير وشر ، ليكون العلم بإتيانها أزجر عن الشر ، وأبعث على الخير .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ يعني أسباب الموت ، بانقضاء الأجل .

فإن قيل : المتولِّي لقبض الروح مَلَك الموت ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] فكيف قال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ والرسل جمع .

(١٠٥) وقد عرّفناك فيما سلف إثبات فوقية الرب وعلوه على خلقه والله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. بلا جهة ولا مكان كما قال الطحاوي لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

(١٠٦) والقول الثاني أرجح واختاره ابن جرير (١١/ ٤٠٩) والشوكاني (٢/ ١٢٤) وابن كثير (٢/ ١٣٨) والآلوسي (٧/ ١٧٥) والبيضاوي (ص ١٧٨) والزمخشري (٢/ ١٩) .

قيل : لأن الله أعان مَلَك الموت بأعوان من عنده يتولون ذلك بأمره ، فصار التوفِّي من فعل أعوانه ، وهو مضاف إليه لمكان أمره ، كما يضاف إلى السلطان فعل أعوانه من قتل ، أو جلد ، إذا كان عن أمره(١٠٧) .

﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يؤخرون .

الثاني : لا يُضَيِّعُون ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ وفي متولِّي الرد قولان :

أحدهما : أنهم الملائكة التي توفتهم .

والثاني : أنه الله بالبعث والنشور .

وفي ردهم إلى الله وجهان :

أحدهما : معناه ردهم إلى تدبير الله وحده ، لأن الله دبرهم عند خلقهم وإنشائهم ، مكّنهم من التصرف فصاروا في تدبير أنفسهم ، ثم كَفَّهم عنه بالموت فصاروا في تدبير الله كالحالة الأولى ، فصاروا بذلك مردودين إليه .

والثاني : أنهم ردوا إلى الموضع الذي لا يملك الحكم عليهم فيه إلا الله ، فجعل الرد إلى ذلك الموضع رداً إليه .

فإن قيل : فكيف قال : ﴿ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ وقد قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُم ﴾[محمد: ١١].

قيل : عنه جوابان :

أحدهما : أنه قال هذا لأنهم دخلوا في جملة غيرهم من المؤمنين المردودين فعمَّهم اللفظ .

والثاني : أن المولىٰ قد يعبر به عن الناصر تارة وعن السيد أخرى ، والله لا يكون ناصراً للكافرين ، وهو سيد الكافرين والمؤمنين .

(١٠٧) وهذا السؤال وجوابه ذكره العلامة الطبري في التفسير (٤٠٩/١١ ، ٤١٠) وخلاصته أن الله تعالى يصدر الأمر بالتوفي والمباشر للأمر هو ملك الموت وأعوانه .

و ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ هنا يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق هو من أسمائه تعالى .

والثاني : لأنه مستحق الرد عليه .

والثالث : لِحُكْمِهِ فيهم بالرد .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ يعني القضاء بين عباده .

فإن قيل : فقد جعل لغيره الحكم ؟

فعنه جوابان :

أحدهما : أن له الحكم في يوم القيامة وحده .

والثاني : أن غيره يحكم بأمره فصار الحكم له .

ويحتمل قوله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ وجهاً ثانياً : أن له أن يحكم لنفسه فصار بهذا الحكم مختصاً .

﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني سرعة الحكم بين العباد لتعجيل الفصل ، وعبر عن الحكم بالحساب من تحقيق المستوفي بهما من قليل وكثير .

والثاني : وهو الظاهر أنه أراد سرعة محاسبة العباد على أعمالهم .

ويحتمل مراده بسرعة حسابه وجهين .

أحدهما : إظهار قدرته بتعجيل ما يعجز عنه غيره .

والثاني : أنه يبين به تعجيل ما يستحق عليه من ثواب ، وتعجيل ما يستحق على غيره من عقاب جمعاً بين إنصافه وانتصافه .

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾
قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ
شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن العذاب الذي من فوقهم الرجم ، والذي من تحت أرجلهم الخسف ، قاله ابن جبير ، ومجاهد ، وأبو مالك .

والثاني : أن العذاب الذي من فوقهم أئمة السوء ، والعذاب الذي من تحت أرجلهم عبيد السوء ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن الذي من فوقهم الطوفان ، والذي من تحت أرجلهم الريح ، حكاه علي بن عيسى(١٠٨) .

ويحتمل أن العذاب الذي من فوقهم طوارق السماء التي ليست من أفعال العباد لأنها فوقهم ، والتي من تحت أرجلهم ما كان من أفعال العباد لأن الأرض تحت أرجل جميعهم .

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنها الأهواء المُخْتَلَفَة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها الفتن والاختلاف ، قاله مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : أي يسلط عليكم أتباعكم الذين كانوا أشياعكم ، فيصيروا لكم أعداء بعدما كانوا أولياء ، وهذا من أشد الانتقام أن يستعلي الأصاغر على الأكابر .

روي أن موسى بن عمران عليه السلام دعا ربه على قوم فأوحى الله إليه : أو ليس هذا هو العذاب العاجل الأليم .

هذا قول المفسرين من أهل الظاهر ، وَتَأَوَّلَ بعض المتعمقين في غوامض

---

(١٠٨) قال العلامة ابن جرير (١١/٤١٨) وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال عنى بالعذاب من فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ، الخسف وما أشبه وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره وإن كان لما روي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح غير أن الكلام إذا تنوزع في تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها ا هـ.

المعاني ﴿ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ ﴾ معاصي السمع والبصر(١٠٩) واللسان ﴿ أَوْمِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ المشي إلى المعاصي حتى يواقعوها ، وما بينهما يأخذ بالأقرب منهما ﴿ أَوَ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ﴾ يرفع من بينكم الألفة .

﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ تكفير أهل الأهواء بعضهم بعضاً ، وقول الجمهور : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ يعني بالحروب والقتل حتى يفني بعضهم بعضاً ، لأنه لم يجعل الظفر لبعضهم فيبقى .

﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : نفصل آيات العذاب وأنواع الانتقام .

والثاني : نصرف كل نوع من الآيات إلى قوم ولا يعجزنا أن نجمعها على قوم .

﴿ لَعَلَّهُم يَفْقَهُونَ ﴾ أي يتعظون فينزجرون .

واختلف أهل التأويل في نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها في أهل الصلاة ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة . وأن نزولها شق على النبي ﷺ ، [فقام] فصلى صلاة الضحى(١١٠) وأطالها فقيل له: ما أطلت صلاة كاليوم ، فقال : « إِنَّهَا صَلَاةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُجِيرَنِي مِنْ أَرْبعٍ فَأَجَارَنِي مِنْ خَصْلَتَينِ وَلَمْ يُجِرْنِي مِنْ خَصْلَتَينِ : سَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِعَذَابٍ مِنْ فَوقِهِم كَمَا فَعَلَ بِقَومِ نُوحٍ ، وَبِقَومِ لُوطٍ فَأَجَارَنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بعذَاب مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم كَمَا فَعَلَ بِقَارُونَ فَأَجَارنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُفَرِّقَهُم شِيَعاً فَلَمْ يُجِرْنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُذِيقَ بَعْضَهُم بَأْسَ بَعْضٍ فَلَمْ يُجِرْنِي » وَنَزَلَ عَلَيهِ قَولُه تعالى : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[العنكبوت : ٢١]

---

(١٠٩) وأنت خبير بما في هذا التفسير الذي أبداه المتعمقة وقد مر الكثير من أمثال هذه الإشارات وقد حذرناك منها فليس ثمة دليل يدل عليها فكن على حذر .

(١١٠) وهذا السياق الذي أورده المؤلف روى نحوه ابن جرير (١١/٤٢٨) عن الحسن مطولاً وقد ورد الحديث مرفوعاً بروايات متعددة من حديث جابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومعاذ بن جبل وأنس بن مالك وشداد بن أوس . وغيرهم راجع الطبري (١١/٤٢٢ ـ ٤٢٣).

والقول الثاني : أنها نزلت في المشركين ، قاله بعض المتأخرين(١١١) .

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ وفيما كذَّبوا به قولان :

أحدهما : أنه القرآن ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : تصريف الآيات ، قاله بعض المتأخرين(١١٢) .

﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ يعني ما كذَّبوا به ، والفرق بين الحق والصواب أن الحق قد يُدْرَكُ بغير طلب ، والصواب لا يُدْرَكُ إلا بطلب .

﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه لست عليكم بحفيظ لأعمالكم لأجازيكم عليها ، وإنما أنا منذر ، قاله الحسن .

والثاني : لست عليكم بحفيظ أمنعكم من أن تكفروا ، كما يمنع الوكيل على الشيء من إلحاق الضرر به ، قاله بعض المتأخرين .

والثالث : معناه لست آخذكم بالإيمان اضطراراً وإجباراً ، كما يأخذ الوكيل بالشيء ، قاله الزجاج .

---

(١١١) وفي الآية قول آخر أنها نزل بعضها في المشركين وبعضها في المسلمين وهو قول الحسن كما في الطبري (١١/٤٣٠) ولكن العلامة الألوسي لم يرتض ذلك فقال « ولا يخفى أنه تفكيك للنظم الكريم ولعل مراد الحسن أن هذا يكون للمسلمين ويقع دون الأول ا هـ روح المعاني (٧/١٨٠) .

(١١٢) وفيها قول ثالث أنه العذاب ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٦٠) ولم يعزه لأحد واختار القول الأول الألوسي في روح المعاني (٧/١٨١ ، ١٨٢) ونسبه للأزهري وهو اختيار ابن كثير (٢/٤٧) عمدة التفسير .

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه أن لكل خَبَرٍ أَخْبَرَ الله تعالى به من وعد أو وعيد مستقراً في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه وعيد من الله للكافرين في الآخرة لأنهم لا يقرون بالبعث ، قاله الحسن .

والثالث : أنه وعيد لهم بما ينزل بهم في الدنيا ، قاله الزجاج .

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وما على الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه من حساب الكفار فيما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب مآثم يؤاخذون بها ، ولكن عليهم أن يذكروهم بالله وآياته لعلهم يتقون ما هم عليه من الاستهزاء والتكذيب ، قاله الكلبي .

والثاني : وما على الذين يتقون الله من الحساب يوم القيامة ما على الكفار في الحساب من التشديد والتغليظ لأن محاسبة المتقين ذكرى وتخفيف ، ومحاسبة الكفار تشديد وتغليظ لعلهم يتقون إذا علموا ذلك .

والثالث : وما على الذين يتقون الله فيما فعلوه من رد وصد حساب ، ولكن اعدلوا إلى الذكرى لهم بالقول قبل الفعل ، لعلهم يتقون إذا علموا .

ويحتمل هذا التأويل وجهين :

أحدهما : يتقون الاستهزاء والتكذيب .

والثاني : يتقون الوعيد والتهديد .

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ

﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم الكفار الذين يستهزئون بآيات الله إذا سمعوها ، قاله علي بن عيسى .

والثاني : أنه ليس قوم لهم عيد يلهون فيه إلا أمة محمد ﷺ ، فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير ، قاله الفراء .

﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : معناه وغرتهم الحياة الدنيا بالسلامة فيها ، ونيل المطلوب منها .

والثاني : معناه وغرتهم الدنيا بالحياة والسلامة منها ، فيكون الغرور على الوجه الأول بالحياة ، وعلى الثاني بالدنيا .

﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ قيل معناه أن لا تبسل كما قال تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء: ١٧٦] بمعنى أن لا تضلوا .

وفي قوله : ﴿ أَن تُبْسَلَ ﴾ ستة أوجه :

أحدها : أن تسلم ، قاله الحسن ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أن تُحْبَس ، قاله قتادة .

والثالث : أن تُفْضَح ، قاله ابن عباس .

والرابع : أن تُؤخَذ بما كسبت ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن تُجْزَىٰ ، قاله الكلبي .

والسادس : أن تُرْتَهن[١١٣] ، قاله الفراء ، من قولهم أسد باسل لأن فريسته مُرْتَهَنَة معه لا تَفْلِت منه ، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي[١١٤] :

---

(١١٣) ولا مانع من أن يسأل عن كل هذه المعاني فهي معانٍ متقاربة . ولهذا قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٨٧/٧) في تفسير الآية أي لئلا تحبس وترهن كل نفس في الهلاك أو في النار أو تسلم إلى ذلك أو تفضح أو تحرم الثواب بسبب عملها السوء ا هـ .

(١١٤) أنظر مجاز القرآن (١٩٤/١) وغريب القرآن ١٥٥ والمعاني الكبير لابن قتيبة ١١٤/٢ ونوادر ابن زيد ص ١٥١ والطبري (٤٤٥/١١) وشواهد الكشاف ٢٠٠ واللسان « بسل » .

وإبسـالي بني بغير جـرم   بعـونـاه ولا بـدم مـراق

وقوله : بعوناه أي جنيناه ، وأصل الإبسال التحريم من قولهم : شراب بَسْل أي حرام ، قال الشاعر[١١٥] :

بَكَرت تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدىٰ   بسلٌ عليكِ مَلامَتِي وَعِتَابي

أي حرام عليك .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ . . . وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه وإن تفد كل فدية من جهة المال والثروة ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد .

والثاني : من جهة الإسلام والتوبة ، قاله الحسن[١١٦] .

واختلف في نسخها على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم ﴾[التوبة : ٥] ، قاله قتادة .

والثاني : أنها ثابتة[١١٧] على جهة التهديد كقوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[المدثر : ١١] ، قاله مجاهد .

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١١٥) الشاعر هو ضمرة بن ضمرة النهشلي والبيت في الأمالي ٢/ ٢٧٩ ، والشعر والشعراء ٢٥٠ نوادر ابن زيد : ٢ ، اللسان بسل ، الوحشيات رقم ٤٤ .

(١١٦) وهذا القول لابي عبيدة في مجاز القرآن ١/ ١٩٥ لكن العلامة ابن جرير تعقبه بقوله (١١/ ٤٤٨) وليس لما قال من ذلك معنى وذلك أن كل تائب في الدنيا فإن الله تعالى ذكره يقبل توبته ا هـ قلت لعله أراد التوبة في الآخرة لما عاينوا العذاب فندموا على ما صنعوه في الدنيا وحينئذ لم يقبل الله تعالى منهم هذه التوبة وبنحو هذا التأويل أورد الآلوسي قولاً بهذا المعنى في روح المعاني (٧/ ١٨٤) .

(١١٧) أي محكمة .

﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ
قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ يعني الأصنام ، وفي دعائها في هذا الموضع تأويلان :

أحدهما : عبادتها .

والثاني : طلب النجاح منها .

فإن قيل : فكيف قال ولا يضرنا ؟ ودعاؤها لما يستحق عليه من العقاب ضارٌّ ؟

قيل : معناه ما لا يملك لنا ضراً ولا نفعاً .

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ٱللَّهُ ﴾ بالإسلام .

﴿ كَٱلَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ . . . ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه استدعاؤها إلى قصدها واتباعها ، كقوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِي إِلَيهِم ﴾ [إبراهيم : ٣٧] أي تقصدهم وتتبعهم .

والثاني : أنها أَمْرُهَا بالهوىٰ .

وحكىٰ أبو صالح عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وامرأته حين دعَوا ابنهما عبد الرحمن إلى الإسلام والهدىٰ أن يأتيهما .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ في الحق الذي خلق به السمٰوات والأرض أربعة أقاويل :

أحدها : أنه الحكمة .

والثاني : الإحسان إلى العباد .

والثالث : نفس خلقها فإنه حق .

والرابع : يعني بكلمة الحق .

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن يقول ليوم القيامة : كن فيكون ، لا يثنِّي إليه القول مرة بعد أخرى ، قاله مقاتل .

والثاني : أنه يقول للسموٰات كوني صوراً يُنْفَخ فيه لقيام الساعة ، فتكون صوراً مثل القرآن ، وتبدل سماءً أخرىٰ ، قاله الكلبي .

وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ قولان :

أحدهما : أن الصور قرن(١١٨) ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، والثانية للإنشاء علامة للانتهاء والابتداء ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[الزمر: ٦٨].

والثاني : أن الصور جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا(١١٩) .

ثم قال تعالى : ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ... ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه عائد إلى خلق السموٰات والأرض ، والغيب ما يغيب عنكم ، والشهادة ما تشاهدون .

والثاني : أنه عائد إلى نفخ الصور هو عالم الغيب والشهادة المتولي للنفخة(١٢٠).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي

(١١٨) ولا ريب أن هذا القول هو الصواب لأن الحديث يدل عليه فروى أحمد (١٠/١٠، ١١) والترمذي (٢٩٥/٣) وصححه وأبو داود (٣٢٦/٤) والحاكم (٤٣٦/٢ ، ٥٠٦)، (٥٦٠/٤) وصححه ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن عمرو سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال هو قرن ينفخ فيه وصحح الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة وهذا القول رجحه غير واحد من المفسرين.

(١١٩) وهذا القول على قراءة قتادة والمراد بها الأبدان التي تقوم بعد نفخ الروح فيها لرب العالمين .

(١٢٠) والصواب أنه عائد إلى الله تعالى لأن سياق الآية يدل عليه فهو عالم ما غاب عن العباد يعلم ما يغيب عن حواسهم وأبصارهم وهو الحكيم في تدبيره وتصريفه الخبير بكل ما يعمل العباد .

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن
لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً
قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ . . . ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن آزر اسم أبيه ، قاله الحسن ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، قال محمد : كان رجلاً من أهل كوثى قرية من سواد الكوفة .

والثاني : أن آزر اسم صنم ، وكان اسم أبيه تارح (١٢١)، قاله مجاهد .

والثالث : أنه ليس باسم ، وإنما هو صفة سب بعيب ، ومعناه معوج ، كأنه عابه باعوجاجه عن الحق ، قاله الفراء .

فإن قيل : فكيف يصح من إبراهيم - وهو نبي - سبَّ أباه ؟

قيل : لأنه سبّه بتضييعه حق الله تعالى ، وحق الوالد يسقط في تضييع حق الله(١٢٢) .

(١٢١) قال الشيخ أحمد شاكر : أما أن اسم والد إبراهيم آزر فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني وأما بالتأويل والتلاعب بالألفاظ فما هو إلا إنكار مقنع لمضمون الكلام ومعناه ، وسواء أكان اسمه في قول أهل النسب نقلاً عن الكتب السابقة تارح أو لم يكن فلا أثر له في وجوب الإيمان بصدعه ما نص عليه القرآن ، وبدلالة لفظ « لأبيه » على معناه الوضعي في اللغة والقرآن هو المهمين على كل ما قبله من كتب الشرائع السابقة ثم يقطع كل شك ويذهب بكل تأويل الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (٢٧٦/٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له ابراهيم ألم أقل لك : لا تعصني » . . . . . إلى آخر الحديث وليس بعد هذا النص مجال للتلاعب ا هـ. قلت ومن هذا تعلم أن القول الأول هو الصواب والله أعلم .

(١٢٢) أقول إن المتتبع لدعوة نبي الله إبراهيم لأبيه في القرآن يجد أنه كان يدعوه بطريقة كلها لطف ورقة

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ذلك وذاك وذا : إشارات ، إلا أن ذا لما قَرُب ، وذلك[١٢٣] لما بَعُد، وذاك لتفخيم شأن ما بَعُدَ .

وفي المراد بملكوت السمٰوات والأرض خمسة أوجه :

أحدها : أنه خلق السمٰوات والأرض ، قاله ابن عباس .

والثاني : مُلْك السمٰوات والأرض .

واختلف من قال بهذا فيه على وجهين :

أحدهما : أن الملكوت هو المُلْك بالنبطية[١٢٤]، قاله مجاهد .

والثاني : أنه المُلْك بالعربية ، يقال مُلْك وملكوت كما يقال رهبة ورهبوت ، ورحمة ورحموت ، والعرب تقول : رهبوت خير من رحموت ، أي أن تُرْهَب خير من أن تُرْحَم ، قاله الأخفش .

والثالث : معناه آيات السمٰوات والأرض ، قاله مقاتل[١٢٥] .

والرابع : هو الشمس والقمر والنجوم ، قاله الضحاك .

والخامس : أن ملكوت السموات : القمر ، والنجوم ، والشمس ، وملكوت الأرض : الجبال ، والشجر ، والبحار ، قاله قتادة[١٢٦] .

﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما: من الموقنين لوحدانية الله تعالى وقدرته .

وبكلمات تسيل عذوبة واستعطاف وبر وخوف عليه من عذاب الله تعالى كما في سورة مريم فلم يمنعه كفر أبيه من بره والتلطف معه في القول والدعوة معه بالكلمة فعساك تتعلم أيها القارىء .

(١٢٣) هذا خطأ والصواب ذاك .

(١٢٤) والذي في الطبري (١١/٤٧١) والدر المنثور (٣/٣٠١) من قول عكرمة وليس من قول مجاهد .

(١٢٥) هذا القول قول مجاهد ومعنى قول السدي وسعيد بن جبير كما في الطبري (١١/٤٧٢) وليس قول مقاتل .

(١٢٦) قال العلامة ابن جرير (١١/٤٧٥) وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عن الله تعالى ذكره بقوله ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ أنه أراه ملك السموات والأرض وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها ا هـ.

والثاني : من الموقنين نبوته وصحة رسالته[١٢٧] .

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً ﴾ قال مجاهد[١٢٨] : ذكر لنا أنه رأى الزهرة طلعت عشاءً .

﴿ قَالَ هَـٰذَا رَبِّي﴾ ومعنى جَنَّ عليه الليل ، أي ستره ، ولذلك سمي البستان جَنَّة لأن الشجر يسترها ، والجِنُّ لاستتارهم عن العيون ، والجُنُون لأنه يستر العقل ، والجَنِين لأنه مستور في البطن ، والمِجَنّ لأنه يستر المتترس ، قال الهذلي[١٢٩] :

وماء وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف الأدهم

وفي قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا رَبِّي ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنه قال : هذا ربي في ظني ، لأنه في حال تقليب واستدلال .

والثاني : أنه قال ذلك اعتقاداً أنه ربه ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنه قال ذلك في حال الطفولية والصغر[١٣٠] لأن أمه ولدته في مغارة حذراً عليه من نمرود ، فلما خرج عنه قال هذا القول قبل قيام الحجة عليه ، لأنها حال لا يصح فيها كفر ولا إيمان ، ولا يجوز أن يكون قال ذلك بعد البلوغ .

والرابع : أنه لم يقل ذلك قول معتقد ، وإنما قاله على وجه الإنكار لعبادة

---

(١٢٧) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١٩٨/٧) . . قوله « وليكون من الموقنين » أي من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة من اليقين من معرفة الله تعالى وهذا لا يقتضي سبق الشك كما لا يخفى ا هـ .

(١٢٨) وهذا القول قول قتادة كما في الدر (٣٠٣/٣) وليس قول مجاهد كما قال المؤلف هنا وورد قول آخر عن السدي أن الكوكب هو المشتري وأنت خبير أيها القارىء أنه لن يترتب على تعيين الكوكب كبير فائدة .

(١٢٩) ديوان الهذليين (٥٦/٣) واللسان (سدف) و (جنن) والشاعر هو عياض بن خويلد الخناعي وقيل هو عامر بني سدوس الخناعي .

(١٣٠) وهذا القول والذي قبله لم يرتض المحققون القول به قال العلامة ابن الجوزي (٧٤/٣) وهذا القول لا يرتضى والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال . . وراجع روح المعاني (١٩٩/٧) والطبري (٤٨٣/١١) وقال : وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روي عنه . . . . وقالوا غير جائز أن يكون من ابتعثه بالرسالة أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ إلا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل ما يعبد من دونه بريء . . . . الخ .

الأصنام ، فإذا كان الكوكب والشمس والقمر وما لم تصنعه يد ولا عَمِلَه بشر لم تكن معبودة لزوالها ، فالأصنام التي هي دونها أولى ألّا تكون معبودة .

والخامس : أنه قال ذلك توبيخاً على وجه الإنكار(١٣١) الذي يكون معه ألف الاستفهام وتقديره : أهذا ربي ، كما قال الشاعر(١٣٢) :

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجه هم هم

بمعنى أهم هم ؟

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ أي غاب ، قال ذو الرمة(١٣٣) :

مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك

﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الأَفِلِينَ ﴾ يعني حُبَّ رَبٍّ معبود ، وإلا فلا حرج في محبتهم غير حب الرب .

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً ﴾ أي طالعاً ، وكذلك بزغت الشمس أي طلعت .

فإن قيل : فَلِمَ كان أفولها دليلًا على أنه لا يجوز عبادتها وقد عبدها مع العلم بأفولها خلق من العقلاء ؟ قيل لأن تغيرها بالأفول دليل على أنها مُدَبَّرة محدثة ، وما كان بهذه الصفة استحال أن يكون إلهاً معبوداً .

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ

(١٣١) والقول الذي تطمئن إليه النفس في ذلك ما قاله العلامة الآلوسي رحمه الله (١٩٨/٧) قال قوله « قال هذا ربي » استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق وهذا منه عليه السلام على سبيل الغرض وإرضاء العنان مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول يحكيه ثم يكرّ عليه بالإبطال وهذا هو الحق الحقيق بالقبول ا هـ قلت ولا مانع من القول بالقول الخامس وقد ذهب إليه جمع من المفسرين .

(١٣٢) هو أبو خراش الهذلي والبيت في ديوان الهذليين (١٤٤/٢) والخزانة ١ /٢١١ واللسان (رفأ) و (رفو) .

(١٣٣) ديوانه : ٤٢٥ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٩٩/١) واللسان (دالك) والطبري (٤٨٥/١١) وفيه « يقودها » .

بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾
وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ في الظلم ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الشرك ، قاله ابن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، روى ابن مسعود(١٣٤) قال : لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين فقالوا : ما منًّا من أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : « **لَيسَ كَمَا تَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان : ١٣].

والثاني : أنه سائر أنواع الظلم .

ومن قال بهذا اختلفوا في عمومها وخصوصها على قولين :

أحدهما : أنها عامة(١٣٥) .

والثاني : أنها خاصة .

واختلف من قال بتخصيصها فيمن نزلت على قولين :

أحدهما : أن هذه الآية نزلت في إبراهيم خاصة وليس لهذه الأمة منها شيء ، قاله علي كرّم الله وجهه(١٣٦) .

والثاني : أنها فيمن هاجر إلى المدينة ، قاله عكرمة .

---

(١٣٤) رواه الطبري برقم ١٣٤٧٩ واللفظ له وأحمد (٤٢٤٠) ورواه البخاري (٨١/١) بنحوه ومسلم (١٤٢/٢) والترمذي (١٣٢/٢) من حديث ابن مسعود وله طرق كثيرة في المسند فراجعه رقم ٣٥٨٩ ، ٤٠٣١ ، ٤٢٤٠ .

(١٣٥) ولا ريب أنه القول الراجح إذ لا دليل على التخصيص .

(١٣٦) وفي قول آخر له رضي الله عنه هذه الآية لإبراهيم وأصحابه كما في زاد المسير (٧٧/٣) قلت وقد روى هذه الرواية الحاكم في المستدرك (٣١٦/٢) وصححها وقد ضعّف هذه الرواية والتي ذكرها المؤلف هنا في الطبري (٥٠٣/١١) الشيخ شاكر فراجعه .

واختلفوا فيمن كانت هذه الآية جواباً منه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه جواب من الله تعالى فصل به القضاء بين إبراهيم ومن حَاجّه من قومه ، قاله ابن زيد ، وابن إسحاق .

والثاني : أنه جواب قومه لما سألهم ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾؟ فأجابوا بما فيه الحجة عليهم ، قاله ابن جريج .

والثالث : أنه جواب إبراهيم كما يسأل العالم نفسه فيجيبها ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ وفي هذه الحجة التي أوتيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : قوله لهم : ﴿ أَتَعْبُدونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُم ضَراً وَلاَ نَفْعاً ﴾ أم تعبدون من يملك الضر والنفع ؟ فقالوا : مالك الضر والنفع أحق .

والثاني : أنه لما قال : ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾ عبادة إله واحد أم آلهة شتىٰ ؟ فقالوا : عبادة إلٰه واحد فأقروا على أنفسهم .

والثالث : أنهم لما قالوا لإبراهيم ألا تخاف أن تخبلك آلهتنا ؟ فقال : أما تخافون أن تخبلكم آلهتكم بجمعكم للصغير مع الكبير في العبادة .

واختلفوا في سبب ظهور الحُجَّة لإبراهيم على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى أخطرها بباله حتى استخرجها بفكره .

والثاني : أنه أمره بها ولقنه إياها .

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَشَاءُ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : عند الله بالوصول لمعرفته .

والثاني : على الخلق بالاصطفاء لرسالته .

والثالث : بالسخاء .

والرابع : بحسن الخلق .

وفيه تقديم وتأخير ، وتقديره : نرفع من نشاء درجات .

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾
ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ
فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ
فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار ، قاله الضحاك .

والثاني : فإن يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة ، قاله ابن عباس .

والثالث : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الملائكة ، قاله أبو رجاء .

والرابع(١٣٧): أنهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله تعالى من قبل بقوله : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ، قاله الحسن ، وقتادة .

والخامس : أنهم كل المؤمنين ، قاله بعض المتأخرين .

ومعنى قوله : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أي أقمنا بحفظها ونصرتها ، يعني : كتب الله وشريعة دينه .

---

(١٣٧) وهذا القول اختيار الزجاج كما في زاد المسير (٣/ ٨١) والطبري (١١/ ٥١٨) والشوكاني (٢/ ١٣٧) والبيضاوي (ص ١٨٣) والزمخشري (٢/ ٢٦) .

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : وما عظموه حق عظمته ، قاله الحسن ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : وما عرفوه حق معرفته ، قاله أبو عبيدة .

والثالث : وما وصفوه حق صفته ، قاله الخليل .

والرابع : وما آمنوا بأن الله على كل شيء قدير ، قاله ابن عباس .

﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ ﴾ يعني من كتاب من السماء .

وفي هذا الكتاب الذي أنكروا نزوله قولان :

أحدهما : أنه التوراة ، أنكر حبر اليهود فيما أنزل منها ما روي أن النبي(١٣٨) ﷺ رأى هذا الحبر اليهودي سميناً ، فقال له : « أَمَا تَقْرَءُونَ فِي التَّوراةِ : أَنَّ اللَّه يَبْغَضُ الحَبْرَ السَّمِينَ »، فغضب من ذلك وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فتبرأت منه اليهود ولعنته ، حكاه ابن بحر .

والقول الثاني : أنه القرآن أنكروه رداً لأن يكون القرآن مُنَزَّلاً .

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : قريش .

والثاني : اليهود .

فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ ﴾ يعني التوراة لاعترافهم بنزولها .

(١٣٨) وهذا الأثر من مرسلات سعيد بن جبير كما رواه الطبري (٧/٢٦٧) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٣/٣١٤).

ثم قال : ﴿ نُوراً وَهُدىً لِّلنَّاسِ ﴾ لأن المنزل من السماء لا يكون إلا نوراً وهدىً .

ثم قال : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ يعني أنهم يخفون ما في كتابهم من نبوة محمد ﷺ ، وصفته وصحة رسالته .

قوله عز وجل : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ يعني القرآن ، وفي ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه العظيم البركة لما فيه من الاستشهاد به .

والثاني : لما فيه من زيادة البيان لأن البركة هي الزيادة .

والثالث : أن المبارك الثابت .

﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الكتب التي قبله من التوراة ، والإنجيل ، وغيرهما ، قاله الحسن البصري .

والثاني : النشأة الثانية ، قاله علي بن عيسىٰ .

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني أهل أم القرى ، فحذف ذكر الأهل إيجازاً كما قال : ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف : ٨٢].

و ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ مكة وفي تسميتها بذلك أربعة أقاويل : ـ

أحدها : لأنها مجتمع القرىٰ ، كما يجتمع الأولاد إلى الأم .

والثاني : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرىٰ نشأت عنها ، قاله السدي .

والثالث : لأنها معظمة كتعظيم الأم ، قاله الزجاج .

والرابع : لأن الناس يؤمونها من كل جانب ، أي يقصدونها .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾(١٣٩) قال ابن عباس : هم أهل الأرض كلها .

---

(١٣٩) وفي هذا النص الدليل القاطع على أن النبي ﷺ مبعوث للعرب والعجم وأهل الأرض جميعاً خلافاً لما ذهب إليه اليهود ومن تبعهم من أصحاب الأقلام المسمومة ممن يرشح النفاق من ألسنتهم على صفحات الجرائد والمجلات فتباً لهم وأضل أعمالهم .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ وفيما ترجع إليه هذه الكناية قولان :

أحدهما : إلى الكتاب ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بهذا الكتاب ، قاله الكلبي .

والثاني : إلى محمد ﷺ ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بمحمد ﷺ لِمَا قد أظهر الله تعالى من معجزته وأبَانَه الله من صدقه ، قاله الفراء .

فإن قيل : فيمن يؤمن بالآخرة من أهل الكتاب لا يؤمنون به ؟ قيل : لا اعتبار لإيمانهم بها لتقصيرهم في حقها ، فصاروا بمثابة من لم يؤمن بها .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيهِ شَيْءٌ ﴾ فيمن نزل فيه ذلك قولان :

أحدهما : أنه مسيلمة الكذاب ، قاله عكرمة .

والثاني : مسيلمة والعنسي ، قاله قتادة(١٤٠) .

وقد روىٰ معمر عن الزهري أن النبي ﷺ قال : « بَيْنَا(١٤١) أَنَا نَائِمٌ رَأَيتُ كَأَنَّ

(١٤٠) ولا ريب أن هذه الآية يدخل فيها كل مدعي النبوة من الدجالين الذين يزعمون أنهم يوحى إليهم فكن على حذر منهم .

(١٤١) والحديث هنا مرسل لكنه موصول وصحيح الإسناد فقد رواه البخاري (٨/ ٦٩ ، ٧٠) ومسلم (١٥/ ٣٤) وأما المرسل الذي ذكره المؤلف هنا فرواه الطبري برقم ١٣٥٥٩ .

فِي يَدِيَّ سُوَارَيْنِ مِن ذَهب ، فَكَبُرَ عليَّ ، فَأُوحِي إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُ ذَلِكَ كَذَّابَ اليَمَامَةِ وَكَذَّابَ صَنْعَاءَ العَنسِي » .

﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة .

والثاني : أنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، قاله السدي ، قال الفراء : كان يكتب للنبي ﷺ فإذا قال النبي : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ كتب ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ و ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فيقول له النبي ﷺ : « هُمَا سَوَاء » حتى أملى عليه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ خَلْقاً أَخَرَ ﴾ فقال ابن أبي السرح : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ تعجباً من تفصيل خلق الإنسان ، فقال النبي ﷺ : « هَـٰكَذَا نَزَلَتْ » ، فشك وارتد(١٤٢) .

والثالث : ما حكاه الحكم عن عكرمة : أنها نزلت في النضر بن الحارث ، لأنه عارض القرآن ، لأنه قال : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، فاللاقمات لقماً .

وفي قوله : ﴿ وَٱلْمَلَآئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ قولان :

أحدهما : باسطو أيديهم بالعذاب ، قاله الحسن ، والضحاك .

والثاني : باسطو أيديهم لقبض الأرواح من الأجساد ، قاله الفراء .

ويحتمل ثالثاً : باسطو أيديهم بصحائف الأعمال .

﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنْفُسَكُمُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم ، وإن كان إخراجها من فعل غيرهم(١٤٣) .

---

(١٤٢) رواه الطبري (١١ / ٥٣٤) بسنده عن السدي مطولاً ومن قول عكرمة أيضاً رقم (٣٥٥٥) بنحوه.

(١٤٣) قال الزمخشري في كشافه (٢ / ٢٨) « وهذه كناية عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإرهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إليّ ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك » .

والثاني : أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم ، تقريعاً لهم وتوبيخاً بظلم أنفسهم ، قاله الحسن .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون معناه خلصوا أنفسكم بالاحتجاج عنها فيما فعلتم .

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ والهون بالضم الهوان ، قاله ذو الأصبع العدواني :

أذهب إليك أمي براعية ترعى المخاض ولا أغضي على الهون

وأما الهَوْن بالفتح فهو الرفق ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً ﴾ يعني برفق وسكينة ، قال الراجز(١٤٤):

هونكما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن أسى في أثر من ماتا

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الفرادى الوحدان ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : فرادى من الأعوان .

والثاني : فرادى من الأموال(١٤٥).

﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ يعني ما ملكناكم من الأموال ، والتخويل تمليك المال ، قال أبو النجم(١٤٦):

أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُم شُفعاءَكُمُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : آلهتهم التي كانوا يعبدونها ، قاله الكلبي .

والثاني : الملائكة الذين كانوا يعتقدون شفاعتهم ، قاله مقاتل .

---

(١٤٤) الشاعر هو ذو جدن الحميري والبيت هنا في سيرة ابن هشام ١/٣٩ وتاريخ الطبري (٢/١٠٧) ومعجم ما استعجم ١٣٩٨ واللسان هون والأغاني (١٦/٧٠) والطبري (١١/٥٤١) والبيت في الطبري الشطر الثاني فيه لا تهلكا أسفاً في أثر من فاتا وهو الصواب وما هنا خطأ .

(١٤٥) ولا تنافي بين القولين فإنهم يأتون يوم القيامة مجردين من المال والخدم والأعوان وهذا توبيخ لهم لأنهم شغلوا بهذه الأشياء عن الآخرة في الدنيا .

(١٤٦) الطبري (١١/٥٤٥) والبيت من قصيدة لامية لأبي النجم في كتاب الطرائف كما قال الشيخ أحمد شاكر .

﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني شفعاء ، قاله الكلبي .

والثاني : أي متحملين عنكم تحمل الشركاء عن الشركاء .

﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تفرق جمعكم في الآخرة .

والثاني : ذهب تواصلكم في الدنيا ، قاله مجاهد .

ومن قرأ ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ بالفتح ، فمعناه تقطع الأمر بينكم .

﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من عدم البعث والجزاء .

والثاني : من شفعائكم عند الله .

فإن قيل : فقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ خبر عن ماض ، والمقصود منه الاستقبال ؟

فعن ذلك جوابان :

أحدهما : أنه يقال لهم ذلك في الآخرة فهو على الظاهر إخبار .

والثاني : أنه لتحققه بمنزلة ما كان ، فجاز ، وإن كان مستقبلاً أن يعبر عنه بالماضي .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني فالق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد .

والثاني : أن الفلق الشق الذي فيهما ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه يعني خالق الحب والنوىٰ ، قاله ابن عباس .

وذكر بعض أصحاب الغوامض قولاً رابعاً : أنه مُظْهِرُ ما في حبة القلب من الإخلاص ، والرياء[١٤٧].

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، والنخلة الحية من النواة الميتة ، ويعني بإخراج الميت من الحي أن يخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، والنواة الميتة من النخلة الحية ، قاله السدي .

والثاني : أن يخرج الإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، قاله ابن عباس .

والثالث : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، قاله الحسن .

وقد ذكرنا فيه احتمالاً ، أنه يخرج الفَطِن الجَلْد من البليد العاجز ، ويخرج البليد العاجز من الفَطِن الجَلْد .

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي تصرفون عن الحق .

﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : فالق الإصباح ، قاله قتادة[١٤٨].

والثاني : أنه إضاءة الفجر ، قاله مجاهد .

والثالث : أن معناه خالق نور النهار ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أن الإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل ، قاله ابن عباس .

﴿ وَجَعَلَ ٱللَّيلَ سَكَناً ﴾ فيه قولان :

---

(١٤٧) ولا وجه لهذا الذي قاله بعض أرباب الغوامض وكان ينبغي أن يتعقب المؤلف قبل هذا التفسير كما تعقب غيره .

(١٤٨) والذي في الطبري عن قتادة (١١/٥٥٥) فالق الصبح وكذا هو في الدر (٣/٣٢٥) من رواية عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

أحدهما : أنه سُمِّي سكناً لأن كل متحرك بالنهار يسكن فيه .

والثاني : لأن كل حي يأوي فيه إلى مسكنه .

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه يجريان في منازلهما بحساب وبرهان فيه بدء ورد إلى زيادة ونقصان ، قاله ابن عباس والسدي .

والثاني : أي جعلهما سبباً لمعرفة حساب الشهور والأعوام .

والثالث : أي جعل الشمس والقمر ضياء ، قاله قتادة ، وكأنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الكهف: ٤٠] قال : ناراً .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم عليه السلام .

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ فيه ستة تأويلات(١٤٩):

أحدها : فمستقر في الأرض ومستودع في الأصلاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : فمستقر في الرحم ومستودع في القبر ، قاله ابن مسعود .

والثالث : فمستقر في أرحام النساء ومستودع في أصلاب الرجال ، قاله عطاء ، وقتادة(١٥٠).

(١٤٩) وأوصلها ابن الجوزي في زاد المسير إلى تسعة أقوال (٣/٩٢).

(١٥٠) وهو قول لابن عباس ومجاهد والضحاك والنخعي والسدي وابن زيد وسعيد بن جبير راجع زاد المسير (٣/٩٢).

والرابع : فمستقر في الدنيا ومستودع في الآخرة ، قاله مجاهد .

والخامس : فمستقر في الأرض ومستودع في القبر ، قاله الحسن .

والسادس : أن المستقر ما خُلِق ، والمستودع ما لم يُخلق ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه رزق كل شيء من الحيوان .

والثاني : نبات كل شيء من الثمار .

﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً ﴾ يعني زرعاً أخضر رطباً بخلاف صفته عند بذره .

﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً ﴾ يعني السنبل الذي قد تراكب حبه .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ القنوان جمع قنو وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الطلع ، قاله الضحاك .

والثاني : أنه الجمار .

والثالث : هي الأعذاق ، قال امرؤ القيس(١٥١)

أثت أعاليه وآدت أصوله ... ومال بقنوان من البسر أحمرا

﴿ دَانِيَةٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : دانية من المجتني لقصر نخلها وقرب تناولها ، قاله ابن عباس .

والثاني : دانية بعضها من بعض لتقاربها ، قاله الحسن(١٥٢).

﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ يعني بساتين من أعناب .

﴿ مُشْتَبِهاً وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره ، قاله قتادة .

---

(١٥١) ديوانه ٦٧ واللسان (قنا) .

(١٥٢) وهذا القول يكاد يكون مثل الأول فإنه بمعناه .

والثاني : مشتبهاً لونه مختلفاً طعمه ، قاله الكلبي .

﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالضم[١٥٣]، وقرأ الباقون بالفتح ، وفي اختلافه بالضم والفتح قولان :

أحدهما : أن الثُّمُر بالضم جمع ثمار ، وبالفتح جمع ثمرة ، قاله علي بن عيسىٰ .

والثاني : أن الثُّمُر بالضم : المال ، وبالفتح : ثمر النخل ، قاله مجاهد ، وأبو جعفر الطبري[١٥٤].

﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ يعني نضجه وبلوغه .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المجوس نسبت الشر إلى إبليس ، وتجعله بذلك شريكاً لله .

والثاني : أن مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله وشركاء له ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ فَسَمَّىٰ الملائكة لاختفائهم عن العيون جنة .

والثالث : أنهم أطاعوا الشيطان في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة ، قاله الحسن ، والزجاج .

﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه خلقهم بلا شريك [له]، فَلِمَ جعلوا له في العبادة شريكاً ؟ .

والثاني : أنه خلق من جعلوه شريكاً فكيف صار في العبادة شريكاً .

(١٥٣) وهي قراءة خلف أيضا راجع المبسوط في القراءات العشر ص ١٩٩ .

(١٥٤) وقد اختار قراءة الضم وقال (١١ / ٥٧٩) وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ « أنظروا إلى ثُمُرِهِ» بضم الثاء والميم ، ثم شرع يؤيد ما ذهب إليه فراجعه .

وقرأ يحيى بن يعمر ﴿ وَخَلْقَهُمْ ﴾ بتسكين اللام ، ومعناه أنهم جعلوا خلقهم الذي صنعوه بأيديهم من الأصنام لله شريكاً .

﴿ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ في خرقوا قراءتان بالتخفيف والتشديد[١٥٥]، وفيه قولان :

أحدهما : أن معنى خرقوا كذبوا ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد .

والثاني : معناه وخلقوا له بنين وبنات ، والخلق والخرق واحد ، قاله الفراء .

والقول الثاني : أن معنى القراءتين مختلف ، وفي اختلافهما قولان :

أحدهما : أنها بالتشديد على التكثير .

والثاني : أن معناها بالتخفيف كذبوا ، وبالتشديد اختلفوا .

والبنون قول النصارىٰ في المسيح أنه ابن الله ، وقول اليهود أن عزيراً ابن الله .

والبنات قول مشركي العرب في الملائكة أنهم بنات الله .

﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بغير علم منهم أن له بنين وبنات .

والثاني : بغير حجة تدلهم على أن له بنين وبنات .

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ فيه لأهل التأويل خمسة أقاويل :

(١٥٥) هي قراءة أبي جعفر ونافع كما في المبسوط . ص ١٩٩ .

أحدها : معناه لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بالأبصار ، واعتـل قائـل هذا بقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ فوصف الله الغرق بأنـه أدرك فرعـون ، وليس الغرق موصوفاً بالرؤية ، كذلك الإدراك هنا ، وليس ذلك بمانع من الرؤية(١٥٦) بالإبصار ، غير أن هذا اللفظ لا يقتضيـه وإن دل عليه قـوله : ﴿ وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ نَّاضِـرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

والقـول الثاني : معنـاه لا تراه الأبصـار وهو يـرىٰ الأبصار(١٥٧)، واعتـل قائلو ذلك بأمرين :

أحدهما : أن الأبصار ترى ما بينها ولا ترى ما لاصقـها، وما بين البصر فلا بد أن يكون بينهما فضاء ، فلو رأته الأبصار لكان محدوداً ولخلا منه مكان(١٥٨)، وهذه صفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان .

والثـاني : أن الأبصار تـدرك الألوان كمـا أن السمع يـدرك الأصـوات ، فلمـا امتنع أن يكون ذا لون امتنع أن يكـون مرئيـاً ، كما أن مـا امتنع أن يكـون ذا صوت امتنع أن يكون مسموعاً .

والقول الثالث : لا تدركه أبصار الخلق في الدنيا بدليـل قولـه : ﴿ لَا تُدْرِكُـهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وتدركه في الآخرة بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وهـو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة.

والـرابع : لا تـدركه أبصـار الظالمين في الـدنيـا والآخـرة ، وتـدركـه أبصـار المؤمنين ، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة ، لأن الإدراك لـه كرامــة تنتفي عن أهل المعاصي .

---

(١٥٦) والأولى أن يقال إن الإدراك هو الرؤيا على جهة الإحاطة فهذه هي التي نفاهـا الـرب تبارك وتعـالى هنا فهو سبحانه يُرى ولكن لا يحاط به بصر كما أن العباد يعلمونه ولا يحيـطون به علمـاً وقد فـرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فقال « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون » راجع تفسير الطبري (١٤/١٢ ، ١٠).

(١٥٧) وهذا القول كله منقول من الطبري (١٦/١٢ ، ١٧).

(١٥٨) وهذه في الحقيقة فلسفة عقيمة ولولوات لا طائل تحتها وكلها طـريقة أهـل الكلام المـذمومـة الذين أعرضوا عن الأدلة النقلية وركنوا إلى العقول واعتمدوا عليها كأصول يأخذون منها العقيدة وردوا كثيـراً من الأحاديث بسبب هذا الأصل الذي اعتمدوه .

والقول الخامس : أن الأبصار لا تدركه في الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه حاسة سادسة سوىٰ حواسهم الخمس يرونه بها ، اعتِلَالاً بأن الله أخبر برؤيته ، فلو جاز أن يُرَىٰ في الآخرة بهذه الأبصار وإن زِيْدَ في قواها جاز أن يرى بها في الدنيا وإن ضعفت قواها بأضعف من رؤية الآخرة ، لأن ما خُلِقَ لإدراك شيء لا يُعْدَمُ إدراكه ، وإنما يختلف الإدراك بحسب اختلاف القوة والضعف ، فلما كان هذا مانعاً من الإدراك ـ وقد أخبر الله تعالى بإدراكه ـ اقتضى أن يكون ما أخبر به حقاً لا يدفع بالشبه ، وذلك بخلق حاسة أخرى يقع بها الإدراك .

ثم قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ فاحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما : لطيف بعباده في الإنعام عليهم ، خبير بمصالحهم .

والثاني : لطيف في التدبير خبير بالحكمة .

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الأيَاتِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يتلو بعضها بعضاً فلا ينقطع التنزيل .

والثاني : أن الآية تنصرف في معان متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر .

والثالث : أنه اختلاف ما تضمنها من الوعد والوعيد والأمر والنهي ، ليكون أبلغ في الزجر ، وأدعى إلى الإجابة ، وأجمع للمصلحة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ وفي الكلام حذف ، وتقديره : ولئلا يقولوا درست ، فحذف ذلك إيجازاً كقوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٦٧] أي لئلا تضلوا.

وفي ﴿ دَرَسْتَ ﴾ خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها :

إحداهن : ﴿ دَرَسْتَ ﴾ بمعنى قرأت(١٥٩) وتعلمت ، تقول ذلك قريش للنبي ﷺ ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وهي قراءة حمزة ، والكسائي .

والثانية : ﴿ دَارَسْتَ ﴾ بمعنى ذاكرت وقارأت ، قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومروي عن ابن عباس ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو .

وفيها على هذه القراءة تأويل ثانٍ : أنها بمعنى خاصمت وجادلت .

والثالثة : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ بتسكين التاء(١٦٠) بمعنى انمحت وتقادمت ، قاله ابن الزبير ، والحسن ، وهي قراءة ابن عامر .

والرابعة : ﴿ دُرِسَتْ ﴾ بضم الدال(١٦١) لما لم يسم فاعله تليت وقرئت ، قاله قتادة .

والخامسة : ﴿ دَرَسَ ﴾ بمعنى قرأ(١٦٢) النبي ﷺ وتلا ، وهذا حرف أبي بن كعب ، وابن مسعود(١٦٣) .

﴿ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لقوم يعقلون .

والثاني : يعلمون وجوه البيان وإن لم يعلموا المبين .

ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا

(١٥٩) وهي قراءة نافع وابن جعفر وعاصم وخلف بجزم السين وفتح التاء المبسوطة ص ٢٠٠ .

(١٦٠) وهي قراءة يعقوب ص ٢٠٠ .

(١٦١) وهي قراءة ابن يعمر كما في زاد المسير (٣/ ١٠١) .

(١٦٢) وفيها قراءة اخرى برفع الدال وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين هكذا دُرِّسْت وهي قراءة معاذ القاري وأبي العالية زاد المسير (٣/ ١٠١) .

(١٦٣) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٠١) طلحة بن مصرف وقال وروى عصمة عن الأعمش « دارس » بألف .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَاْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعني اعتداء ، وقرأ أهل مكة عَدُوّاً[١٦٤] بالتشديد بمعنى أنهم اتخذوه عدوّاً . وفيه قولان :

أحدهما : لا تسبوا الأصنام فتسب عبدة الأصنام من يسبها ، قاله السدي .

والثاني : لا تسبوها فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سَبَبْتم ما يعبدون .

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : كما زينا لكم فعل ما أمرناكم به من الطاعات كذلك زينا لمن تقدم من المؤمنين فعل ما أمرناهم به من الطاعات ، قاله الحسن .

والثاني : كذلك شبهنا لكل أهل دين عملهم بالشبهات ابتلاء لهم حتى قادهم الهوىٰ إليها وعَمُوا عن الرشد فيها .

والثالث : كما أوضحنا لكم الحِجج الدالة على الحق كذلك أوضحنا لمن قبلكم من حِجج الحق مثل ما أوضحنا لكم .

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ هؤلاء قوم من مشركي أهل مكة حلفوا بالله لرسوله ﷺ لئن جاءتهم آية اقترحوها ليؤمنن بها ، قال ابن جريج : هم المستهزئون .

واختلف في الآية التي اقترحوها على ثلاثة أقاويل :

---

(١٦٤) وهي قراءة بضم العين والدال وتشديد الواو « عُدُوّا » وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة كما في المبسوط للأصبهاني ص ٢٠٠ .

أحدها : أن تجعل لنا الصفا ذهباً .

والثاني : ما ذكره الله في آخر : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ﴾ إلى قوله : ﴿ كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ فأمر الله نبيه حين أقسموا له أن يقول لهم ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

والثالث : أنه لما نزل قوله تعالى في الشعراء : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ قال المشركون : أنزلها علينا حتى نؤمن بها إن كنت من الصادقين ، فقال المؤمنون : يا رسول الله أنزلها عليهم ليؤمنوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله الكلبي :

وليس يجب على الله إجابتهم إلى اقتراحهم لا سيما إذا علم أنهم لا يؤمنون بها ، واختلف في وجوبها عليه إذا علم إيمانهم بها على قولين(١٦٥) وقد أخبر أنهم لا يؤمنون بقوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُم وَأَبْصَارَهُم كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا من الله عقوبة لهم ، وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عقوبة من الله في الآخرة يقلبها في النار .

والثاني : في الدنيا بالحيرة حتى يزعج النفس ويغمها .

والثالث : معناه أننا نحيط علماً بذات الصدور وخائنة الأعين منهم .

وفي قوله : ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أول مرة جاءتهم الآيات .

والثاني : أن الأول أحوالهم في الدنيا كلها ، ثم أكد الله تعالى حال عنتهم .

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

(١٦٥) والصواب أنه لا يجب على الرب شيء إلا ما أوجبه على ذاته هو تفضلاً منه وإحساناً .

فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ فيه قراءاتان:

إحداهما: ﴿قِبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، قرأ بها نافع، وابن عامر، ومعنى ذلك معاينة ومجاهرة، قاله ابن عباس وقتادة.

والقراءة الثانية: بضم القاف والباء وهي قراءة الباقين، وفي تأويلها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن القُبُل جمع قبيل وهو الكفيل، فيكون معنى ﴿قُبُلًا﴾ أي كُفَلاء.

والثاني: أن معنى ذلك قبيلة قبيلة وصفاً صفاً، قاله مجاهد.

والثالث: معناه مقابلة، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

ثم قال: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ يعني بهذه الآيات مع ما اقترحوها من قبل.

ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن يعينهم عليه.

والثاني: إلا أن يشاء أن يجبرهم عليه، قاله الحسن البصري.

ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يجهلون فيما يقترحونه من الآيات.

والثاني: يجهلون أنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا لم يؤمنوا طوعاً.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي جعلنا للأنبياء أعداء كما جعلنا لغيرهم من الناس أعداء.

وفي ﴿جَعَلْنَا﴾ وجهان:

أحدهما: معناه حكمنا بأنهم أعداء(١٦٦).

والثاني: معناه تركناهم على العداوة، فلم نمنعهم منها.

وفي ﴿شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني شياطين الإنس الذين مع الإنس، وشياطين الجن الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسدي(١٦٧).

والثاني: شياطين الإنس كفارهم، وشياطين الجن كفارهم، قاله مجاهد.

والثالث: أن شياطين الإنس والجن مردتهم، قاله الحسن، وقتادة.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ في يوحي ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني يوسوس بعضهم بعضاً.

والثاني: يشير بعضهم إلى بعض، فعبر عن الإشارة بالوحي كقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

و ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما زينوه لهم من الشبه في الكفر وارتكاب المعاصي.

والثالث: يأمر بعضهم بعضاً كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] أي أمر..

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما فعلوه من الكفر.

والثاني: ما فعلوا من زخرف القول.

وفي تركهم على ذلك قولان:

أحدهما: ابتلاء لهم وتمييزاً للمؤمنين منهم.

والثاني: لا يلجئهم إلى الإيمان فيزول التكليف.

---

(١٦٦) وهذا القول من تأويلات المعتزله وكذا الثاني والصواب أن الآية حجة لأهل السنة في أن الله تعالى خالق الشر كما أنه خالق الخير وأن الشر في مفعولاته لا في أفعاله إنما سمي الشر شراً لانقطاع نسبته إليه راجع شفاء العليل ص ١٧٨ وما بعدها وروح المعاني (٨/٥٢٤).

(١٦٧) وقد تعقب هذا القول العلامة ابن جرير (١٢/٥٢) وقال «وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ثم شرع في الرد عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ﴾ أي تميل إليه قلوبهم، والإصغاء: الميل، قال الشاعر:(١٦٨)

ترى السفيه به عن كل محكمة زيغ وفيه إلى التشبيه إصغاء

وتقدير الكلام: يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ليغروهم ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وقال قوم: بل هي لام أمر ومعناها الخبر.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأن من مَالَ قلبه إلى شيء رضيه وإن لم يكن مرضياً.

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وليكتسبوا من الشرك والمعاصي ما هم مكتسبون، قاله جويبر.

والثاني: وليكذبوا على الله ورسوله ما هم كاذبون، وهو محتمل.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله حتىٰ أعدل عنه.

والثاني: هل يجوز لأحد أن يحكم مع الله حتىٰ أحتكم إليه.

والفرق بين الحَكَم والحَاكِم، أن الحَكَمَ هو الذي يكون أهلاً للحُكْم فلا يَحْكُمُ إلا بحق، والحَاكِمُ قد يكون من غير أهله فَيَحْكُمُ بغير حق، فصار الحَكَم من صفات ذاته، والحَاكِم من صفات فعله، فكان الحَكَم أبلغ في المدح من الحَاكِم.

---

(١٦٨) الطبري (٥٨/١٢) والقرطبي (٦٩/٧) واللسان (صغا) وتفسير ابن حبان (٢٠٥/٤) وفي القرطبي واللسان «عن كل مكرمة» وقال محقق الطبري والصواب ما في ابن جرير.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ في المفصَّل أربعة تأويلات:

أحدها: تفصيل آياته لتبيان معانيه فلا تُشْكِل.

والثاني: تفصيل الصادق من الكاذب.

والثالث: تفصيل الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال، قاله الحسن.

والرابع: تفصيل الأمر من النهي، والمستحب من المحظور، والحلال من الحرام.

وسبب نزول هذه الآية أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حَكَماً إن شئت من أحبار اليهود وإن شئت من أحبار النصارىٰ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت عليه هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ يعني القرآن، وفي تمامه أربعة أوجه محتملة:

أحدها: تمام حُجَجِهِ ودلائله.

والثاني: تمام أحكامه وأوامره.

والثالث: تمام إنذاره بالوعد والوعيد.

والرابع: تمام كلامه واستكمال صوره.

وفي قوله: ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ وجهان:

أحدهما: صدقاً في وعده ووعيده، وعدلاً في أمره ونهيه، قاله ابن بحر.

والثاني: صدقاً فيما حكاه، عدلاً فيما قضاه، وهو معنى قول قتادة.

وقد مضى تفسير ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾.

وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ
وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ
مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا

حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ فيه أربعة تأويلات.

أحدها: سره وعلانيته، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: ظاهر الإثم: ما حرم من نكاح ذوات المحارم بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ الآية. وباطنه الـزِّنى، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أن ظاهر الإثم أُوْلَات الرايات(١٦٩) من الزواني، والباطن ذوات الأخدان، لأنهن كُنَّ يستحللنه سراً، قاله السدي، والضحاك.

والرابع: أن ظاهر الإثم العِرية(١٧٠) التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت عراة، وباطنه الـزِّنى، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: أن ظاهر الإثم ما يفعله بالجوارح، وباطنه ما يعتقده بالقلب.

وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: المراد بها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء.

والثاني: أنها الميتة، قاله ابن عباس.

والثالث: أنه صيد المشركين الذين لا يذكرون اسم الله، ولا هم من أهل التسمية، يَحْرُمُ على المسلمين أن يأكلوه حتىٰ يكونوا هم الذين صادوه، حكاه ابن بحر.

(١٦٩) وأولات الرايات هن البغايا اللاتي كن في الجاهلية يضعن الرايات على بيوتهن يعرفن بها أنهن زواني حتى يرتكب الرجال معهن الفحشاء.

(١٧٠) وضبطها العُرْية بضم العين وسكون الراء مصدر «عرى يعرى عرياً وعرية».

والرابع: أنه ما لم يُسَمَّ اللَّهُ عند ذبحه.

وفي تحريم أكله ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحرم [سواء] تركها عامداً أو ناسياً، قاله الحسن، والشافعي.

والثاني: يحرم إن تركها عامداً، ولا يحرم إن تركها ناسياً، قاله أبو حنيفة.

والثالث: يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً، قاله ابن سيرين، وداود.

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن المراد به المعصية، قاله ابن عباس.

والثاني: المراد به الإثم.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ يعني المجادلة في الذبيحة، وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى بالشياطين قوماً من أهل فارس كتبوا إلى أوليائهم من قريش أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، ولا يأكلون ما ذبح الله يعني الميتة، ويأكلون ما ذبحوه لأنفسهم، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، قاله عكرمة.

والثاني: أن الشياطين قالوا ذلك لأوليائهم من قريش، قاله ابن عباس.

والثالث: أن قوماً من اليهود قالوا ذلك للنبي ﷺ، وهذا مروي عن ابن عباس.

وفي وحيهم إليهم وجهان:

أحدهما: أنها إشارتهم.

والثاني: رسالتهم.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يعني في أكل الميتة، إنكم لمشركون إن استحللتموها[١٧١].

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

---

(١٧١) قال العلامه الآلوسي(١٧/٨) قوله «إن أطعتموهم» في استحلال الحرام «إنكم لمشركون» ضرورة أن من ترك طاعة الله تعالى إلى طاعة غيره واستحل الحرام واتبعه في دينه فقد أشركه به تعالى بل آثره عليه سبحانه.

قوله عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كان ميتاً حين كان نطفة فأحييناه بنفخ الروح [فيه]، حكاه ابن بحر.

والثاني: كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالهداية إلى الإيمان، حكاه ابن عيسى.

والثالث: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم، أنشدني بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءا لم يحيى بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن النور القرآن، قاله الحسن.

والثاني: أنه العلم الذي يهدي إلى الرشد.

والثالث: أنه حُسْنُ الإيمان.

وقوله: ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ينشر به ذكر دينه بين الناس في الدنيا حتى يصير كالماشي.

والثاني: يهتدي به بين الناس إلى الجنة فيكون هو الماشي.

﴿كَمَن مَّثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الظلمات الكفر.

والثاني: الجهل، وشبهه بالظلمة لأن صاحبه في حيرة تفضي به إلى الهلكة كحيرة الماشي في الظلمة.

واختلفوا في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها على العموم في كل مؤمن وكافر، قاله الحسن وغيره من أهل العلم.

والثاني: أنها على الخصوص في مُعَيَّن.

وفيمن تعين نزول ذلك فيه قولان:

أحدهما: أن المؤمن عمر بن الخطاب، والكافر أبو جهل، قاله الضحاك، ومقاتل.

والثاني: أن المؤمن عمار بن ياسر، والكافر أبو جهل، قاله عكرمة، والكلبي.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ يعني علامة تدل على صدق النبي ﷺ وصحة رسالته.

﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لن نؤمن بالآية.

والثاني: لن نؤمن بالنبي ﷺ.

﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مثل ما أوتي رسل الله من الكرامة.

الثاني: مثل ما أوتوا من النبوة.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ قصد بذلك أمرين:

أحدهما: تفرد الله تعالى بعلم المصلحة فيمن يستحق الرسالة.

والثاني: الرد عليهم في سؤال ما لا يستحقونه، والمنع مما لا يجوز أن يسألوه.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِنْدَ ٱللَّهِ﴾ الصَّغَار: الذل سمي صَغَاراً لأنه يصغر إلى الإنسان نفسه.

وفي قوله: ﴿عِنْدَ ٱللَّهِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: من عند الله، فحذف «من» إيجازاً.

والثاني: أن أنفتهم من اتباع الحق صَغَار عند الله وذل إن كان عندهم تكبراً وعزاً، قاله الفراء.

والثالث: صَغَار في الآخرة، قاله الزجاج.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يهديه إلى نيل الثواب واستحقاق الكرامة.

والثاني: يهديه إلى الدلائل المؤدية إلى الحق.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني بشرح الصدر سعته لدخول الإسلام إليه وثبوته فيه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾. [الشرح: ١].

روى عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال(١٧٢): سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكْيس؟ قال: «أَكْثَرُهُم ذِكْراً لِلْموتِ وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَاداً».

قال: وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نُوْرٌ يُقْذَفُ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنفَسِحُ» قالوا: فهل لذلك أمارة يُعْرَفُ بها؟ قال: «الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرورِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلْمَوتِ قَبْلَ لِقَاءِ المَوتِ»، وروى ابن مسعود مثل ذلك(١٧٣).

ثم قال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يضله عن الهداية إلى الحق.

والثاني: عن نيل الثواب واستحقاق الكرامة.

(١٧٢) رواه الطبري برقم ١٣٨٥٥ وسنده ضعيف جداً من أجل ابن جعفر واسمه عبد الله بن المسور قال الإمام أحمد فيه يضع ويكذب وضعفه أبو حاتم راجع الميزان (٢/٧٨) والجرح والتعديل (٢/٢/١٦٩) وقد ورد الحديث بنحوه من حديث ابن عمر ورواه ابن ماجه (٤٢٥٩) وسنده ضعيف أيضاً ومن حديث أنس بن مالك أخرجه رزين كما في جامع الأصول لابن الأثير (١١/٦٩٥).

(١٧٣) رواه ابن جرير (١٣٨٥٥) والحاكم (٤/٣١١) وزاد السيوطي في الدر (٣/٣٥٥) نسبته لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه واسنادا الطبري ضعيفان ففي الأول انقطاع وفي الثاني ضعيف راجع ما كتب في الحاشية (١٢/٩٩، ١٠٢) الطبري.

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ يعني ضيقاً لا يتسع لدخول الإسلام.

﴿حَرَجاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون شديد الصلابة حتى لا يثبت فيه شيء.

والثاني: شديد الضيق حتى لا يدخله شيء.

والثالث: أن موضعه مُبْيَض[١٧٤].

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: كأنه كُلِّف الصعود إلى السماء في امتناعه عليه وبعده منه.

والثاني: كأنه لا يجد مسلكاً لضيق المسالك عليه إلا صعوداً في السماء يعجز عنه.

والثالث: كأنه قلبه بالنبو عنه والنفور منه صاعداً إلى السماء.

والرابع: كأن قلبه يصعد إلى السماء بمشقته عليه وصعوبته عنده.

ثم قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٧٥] في الرجس خمسة تأويلات:

أحدها: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

والثاني: أنه العذاب، قاله ابن زيد.

والثالث: السخط، قاله ابن بحر.

والرابع: أنه الشيطان، قاله ابن عباس.

والخامس: أن الرجس والنجس واحد، وهو قول بعض نحويي الكوفة، وحكاه عَلِيٌّ بن عيسى.

وقد روى قتادة عن أنس عن النبي ﷺ[١٧٦] أنه كان إذا دخل الخلاء قال:

---

(١٧٤) وفي نسخة والثالث أي شديد لا يثبت فيه «بدلاً من أن موضعه مبيض».

(١٧٥) قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (١٢١/٣) وهذه الآية تقطع كلام القدرية إذ قد صرحت بأن الهداية والاضلال متعلقة بإرادة الله تعالى.

(١٧٦) رواه الطبري (١١٢/١٢) وابن السني ص ٩ وفيه عنعنه الحسن وقتادة ورواه ابن ماجه (٢٩٩) من حديث أبي أمامة وفي سنده عبيد الله بن زهر وهو صدوق يخطىء وعلي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف ورواه ابن السني ص ١١ من حديث ابن عمر وفي سنده حبان بن علي العنزي وإسماعيل بن رافع وفيهما ضعف وللحديث شواهد كما قدم الحافظ ابن حجر راجع شرح ابن علان للأذكار.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ وَالنَّجِسِ الهَبِيثِ الخَبِيثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهَـٰذا صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾ قد ذكرنا أن الصراط هو الطريق، ومنه قول عامر بن الطفيل(*):

شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط

وفيه ها هنا قولان:

أحدهما: يريد أن الإسلام هو الصراط المستقيم إلى الله تعالىٰ، قاله الكلبي.

والثاني: يريد أن ما في القرآن من البيان هو الصراط المستقيم.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بيَّنَّا.

والثاني: ميَّزنا.

قوله عز وجل: ﴿لَهُم دَارُ ٱلسَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وهي الجنة، وفي تسميتها دار السلام وجهان:

أحدهما: لأنها دار السلامة الدائمة من كل آفة، قاله الزجاج.

والثاني: أن السلام هو الله، والجنة داره، فلذلك سُمِّيَتْ دار السلام، وهذا معنىٰ قول الحسن، والسدي.

وفي قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وجهان:

أحدهما: أن دار السلام عند ربهم في الآخرة لأنها أخص به.

والثاني: معناه أن لهم عند ربهم أن ينزلهم دار السلام.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وهو ناصرهم في الدنيا على إيمانهم.

والثاني: وهو المتولِّي لثوابهم في الآخرة على أعمالهم.

(*) تقدم تخريج هذا البيت وسيأتي عدة مرات.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ يعني يحشر الجن والإنس جميعاً يوم القيامة.

﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلإنسِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: قد استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد.

والثاني: قد استكثرتم من الإنس بإغوائكم لهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ ٱلإنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه استمتع بعضنا بصحبة بعض في التعاون والتعاضد.

والثاني: استمتع بعضنا ببعض فيما زينوه من اتباع الأهواء وارتكاب المعاصي.

والثالث: أن الاستمتاع بهم ما كانوا عليه من التعوذ بهم كقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، قاله الحسن، وابن جريج.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه استمتاع الإنس بالجن.

والثاني: أنه استمتاع الإنس بعضهم ببعض.

وفيه وجه ثالث: أن الإنس استمتعوا بالجن، والجن استمتعوا بالإنس في اعتقادهم أنهم يقدرون على النفع.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الموت، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: الحشر.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ أي منزل إقامتكم، لأن المثوىٰ الإقامة، ومنه قول الشاعر:

لقد كان في حول ثواءً ثويته   تقضي لبانات وتسأم سائم

﴿خَالِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في ﴿إِلَّآ﴾ في هذا الموضوع ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بمعنى لكن، قاله سيبويه.

والثاني: أنها بمعنى سوى، قاله الفراء.

والثالث: أنها مستعملة على حقيقتها، وهو قول الجمهور.

وفي هذا الاستثناء(١٧٧) ثلاثة أقاويل.

أحدها: أن مدة الاستثناء هي مدة العرض في القيامة وذلك ما بين بعثهم من قبورهم إلى حين مصيرهم إلى جهنم، فكأنه قال: النار مثواكم خالدين فيها إلا هذه المدة التي ذكرها، فإنهم فيها غير خالدين في النار(١٧٨).

والثاني: معناه خالدين فيها إلا ما شاء الله من تجديد جلودهم بعد إحراقها وتصريفهم في أنواع العذاب أو تركهم فيها على حالتهم الأولى، فيكون الاستثناء في صفة العذاب لا في الخلود في النار(١٧٩).

والثالث: أنه جعل أمرهم في مبلغ عذابهم ومدته إلى مشيئته تعالى، قاله ابن عباس، قال: ولا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً.

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معناه وكذلك نَكِلُ بعضهم إلى بعض، فلا نعينهم، ومن سُلِبَ معونة الله كان هالكاً.

(١٧٧) أقول وقد ثبت خلود الكفار في النار خلوداً قطعياً وأما الاستثناء في هذه الآية هنا وفي سورة هود فقد اختلف فيه العلماء وحكى هنا الماوردي بعض الأقوال وليس كلها وبقيتها عند ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١٦٠) فذهب بعض المفسرين إلى أن الآية شاملة للكفار وعصاة الموحدين والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون وهو قول ابن عباس والضحاك وقد سل الزمخشري سيف البغي والاعتزال وطعن في عبد الله بن عمرو بن العاص الذي روى الحديث المؤيد لذلك. ولكن العلامة ابن ناصر كرّ على قوله وكذا الطيبي وأما الشوكاني رحمه الله فقد كال له الصاع بصاعين ولعلنا نوفق في بسط هذه المسألة في سورة هود فإلى هناك والله المستعان.

(١٧٨) وهذا القول هو قول أبي جعفر الطبري (١٢/١١٨).

(١٧٩) وقد مال إلى هذا القول الزمخشري في الكشاف (٢/٣٩) وتعقبه العلامة الطيبي كما حكاه الألوسي في روح المعاني (٨/١٤٣).

والثاني: وكذلك نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر.

والثالث: وكذلك نولّي بعضهم عذاب بعض في النار.

والرابع: معناه أن بعضهم يتبع بعضاً في النار من الموالاة وهي المتابعة، قاله قتادة.

والخامس: تسليط بعضهم على بعض بالظلم والتعدي، قاله ابن زيد.

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ المعشر: الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف، ومنه قيل للعَشَرة لأنها تمام العِقْد.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ اختلفوا في الرسالة إلى الجن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الله بعث إلى الجن رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك وهو ظاهر الكلام.

والثاني: أن الله لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، قاله ابن جريج، والفراء، والزجاج، ولا يكون الجمع في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾ مانعاً من أن يكون الرسل من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما هو خارج من أحدهما.

والثالث: أن رسل الجن هم الذين لمّا سمعوا القرآن ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، قاله ابن عباس.

وفي دخولهم الجنة قولان:

أحدهما: قاله الضحاك(١٨٠).

---

(١٨٠) وقول الضحاك نصه الجنّة يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون كما أورده السيوطي في الدر (٣/٣٦٠) ونسبه لابن المنذر وابي الشيخ في العظمة ولعل قول الضحاك سقط من الناسخ.

والثاني: أن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يُقَال لهم كونوا تراباً كالبهائم، حكاه سفيان عن ليث[١٨١].

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ينذرونكم خذلان بعضكم لبعض وتبرؤ بعضكم من بعض في يوم القيامة.

والثاني: ينذرونكم ما تلقونه فيه من العذاب على الكفر، والعقاب على المعاصي.

﴿قالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إقرارهم على أنفسهم بأن الرسل قد أنذروهم.

والثاني: شهادة بعضهم على بعض بإنذار الرسل لهم.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وغرتهم زينة الحياة الدنيا.

والثاني: وغرتهم الرياسة في الدنيا.

ويحتمل ثالثاً: وغرتهم حياتهم في الدنيا حين أمهلوا.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ وفي هذه الشهادة أيضاً الوجهان المحتملان[١٨٢] إلا أن تلك شهادة بالإنذار وهذا بالكفر.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ فيه وجهان:

---

(١٨١) ولا شك أن قول الضحاك أرجح لأدلة كثيرة منها قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ فظاهرها يدل على أن المطيع من الجن له الجنة والعاصي في النار وكذلك قوله في سورة الرحمن والخطاب كان للأنس والجن ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ راجع فتح القدير (٢/١٦٣).

(١٨٢) يعني اللذين تقدما.

أحدهما: وما كان ربك مهلك القرىٰ بظلم منه ولكن بحق استوجبوا به الهلكة، وهو معنى قول مقاتل.

والثاني: وما كان ربك مهلك القرىٰ بظلم أهلها حتىٰ يقدم إنذارهم ويرفع أعذارهم ويخرجوا من حكم الغافلين فيما ينزل بهم، وهو معنىٰ قول مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ معناه ولكل عامل بطاعة الله أو معصيته درجات، يعني منازل، وإنما سُمِّيت درجات لتفاضلها كتفاضل الدَرَجِ في الارتفاع والانحطاط.

وفيها وجهان:

أحدهما: أن المقصود بها الأعمال المتفاضلة.

والثاني: أن المقصود بها الجزاء المتفاضل.

ويحتمل هذا التفضيل بالدرجات على أهل الجنة وأهل النار، لأن أهل النار يتَفاضلون في العقاب بحسب تفاضلهم في السيئات، كما يتفاضل أهل الجنة في الثواب لتفاضلهم في الحسنات، لكن قد يعبر عن تفاضل أهل الجنة بالدَرَج، وعن تفاضل أهل النار بالدرك، فإذا جمع بينهما بالتفاضل عبر عن تفاضلهما بالدرج تغليباً لصفة أهلَ الجنة.

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: على طريقتكم.

والثاني: على حالتكم.

والثالث: على ناحيتكم، قاله ابن عباس، والحسن.

والرابع: على تمكنكم، قاله الزجاج.

والخامس: على منازلكم، قاله الكلبي.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ يعني أنذركم من جزاء المطيع بالثواب، والعاصي بالعقاب.

﴿فَسَوفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلمون ثواب الآخرة بالإيمان، وعقابها بالكفر ترغيباً منه في ثوابه وتحذيراً من عقابه.

والثاني: تعلمون نصر الله في الدنيا لأوليائه، وخذلانه لأعدائه، قاله ابن بحر.

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً﴾.

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ مما خلق، مأخوذ من الظهور، ومنه قيل ملح ذُرْ أي لبياضه، وقيل لظهور الشيب ذُرْأَة، والحرث: الزرع، والأنعام: لإبل والبقر والغنم، مأخوذ من نعمة الوطء.

وهذا إخبار منه عن كفار قريش ومن تابعهم من مشركي العرب، كانوا يجعلون لله في زروعهم ومواشيهم نصيباً، ولأوثانهم وأصنامهم نصيباً، فجعل الله أوثانهم شركاءهم؛ لأنهم قد أشركوهم في أموالهم بالنصيب الذي قد جعلوه فيها لهم، ونصيبهم في الزرع جزء منها يجعلونه مصروفاً في النفقة عليها وعلى خدامها.

وفي نصيبهم من الأنعام ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كنصيبهم من الزرع مصروف في النفقة عليها وعلى خدامها.

والثاني: أنه قربان لأوثانهم كانوا يتقربون به إليها.

والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِم فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾ فاختلف أهل التأويل في المراد بـذلك على أربعة أوجه:

أحدها: أنه كان إذا اختلط بأموالهم شيء مما جعلوه لأوثانهم ردوه، وإذا اختلط بها ما جعلوه لله لم يردوه، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنه كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه، قاله الحسن، والسدي.

والثالث: أنهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على أوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه لأوثانهم، قاله بعض المتأخرين.

والرابع: أن كل شيء جعلوه لله من ذبائحهم لم يأكلوه حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون اسم الله فيما جعلوه لأوثانهم، قاله ابن زيد.

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أما شركاؤهم ها هنا ففيهم أربعة أقاويل:

أحدها: الشياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي.

والثاني: أنهم قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء، والزجاج.

والثالث: أنهم شركاؤهم في الشرك، قاله قتادة.

والرابع: أنهم الغواة من الناس.

وفي الذي زينوه لهم من قتل أولادهم قولان:

أحدهما: أنه كان أحدهم يحلف إن وُلِدَ له كذا وكذا غلام أن ينحر أحدهم كما

(١٨٣) ورجحه ابن جرير (١٢/١٣٤) وذهب إليه الشوكاني (٢/١٦٥) فتح القدير واختاره ابن كثير راجع عمدة التفسير (٢/١٠٨).

حلف عبد المطلب في نحر ابنه عبدالله، قاله الكلبي.

والثاني: أنه وَأْدُ البنات أحياءً خِيْفَة الفقر، قاله مجاهد.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي ليهلكوهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ١١] يعني إذا هلك.

وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم قصدوا أن يردوهم بذلك كما قصدوا إغواءَهم.

والثاني: أنهم لم يقصدوا ذلك وإنما آلَ إليه(*) فصارت.

هذه لام العاقبة كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾ [القصص: ٨] لأن عاقبته صارت كذلك وإن لم يقصدوها.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝١٣٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان: ٢٢] أي حراماً محرماً، قال الشاعر(١٨٤):

فبت مرتفقاً والعين ساهرة ... كأن نومي عليَّ الليل محجور

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ قال الكلبي: جعلوها للرجال دون النساء.

وفي الأنعام والحرث التي قالوا إنه لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم قولان.

أحدهما: أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم عندهم هي البَحِيْرَة والحام خاصة، والحرث ما جعلوه لأوثانهم، قاله الحسن، ومجاهد.

والثاني: أن الأنعام هي ذبائح الأوثان، والحرث ما جعلوه لها.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فيها قولان:

(*) راجع ما كتبه العلامة ابن القيم في شفاء العليل حول هذه الآية.

(١٨٤) اللسان (رفق) وينسب هذا البيت لأعمش باهله.

أحدهما: أنها السائبة.

والثاني: أنها التي لا يحجون عليها، قاله أبو وائل.

﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ وهي قربان أوثانهم يذكرون عليها اسم الأوثان، ولا يذكرون عليها اسم الله تعالى.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي على الله وفيه قولان:

أحدهما: أن إضافتهم ذلك إلى الله هو الافتراء عليه.

والثاني: أن ذكرهم أسماء أوثانهم عند الذبيحة بدلاً من اسم الله هو الافتراء عليه.

وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةٗ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾، قرأ الأعمش(١٨٥) ﴿خَالِصٌ﴾، وفي ﴿خَالِصَةٌ﴾ وفي ﴿خَالِصٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أن ﴿خَالِصَةٌ﴾ أبلغ من ﴿خَالِصٌ﴾ وإن كانت في معناه فدخلت الهاء للمبالغة كقولهم: علّامة، ونسّابة، قاله الكسائي.

والثاني: أن دخول الهاء يوجب عوده إلى الأنعام لتأنيثها، وحذف الهاء، يوجب عوده إلى ما في بطونها لتذكيره، قاله الفراء.

وفي ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن ما في بطونها الأجنة، قاله: مجاهد.

والثاني: الألبان، قاله قتادة.

---

(١٨٥) وهي قراءة ابن مسعود وأبي العالية والضحاك وابن أبي عبلة وفيها قراءة ثالثة برفع الصاد والهاء على ضمير مذكر هكذا «خالصُهُ» وهي قراءة ابن عباس وأبي رزين وعكرمة وابن يعمر وفيها قراءة أخرى بالنصب «خالصة» وهي قراءة قتادة راجع زاد المسير (٣/٣٦٧).

والثالث: الجميع: الأجنة والألبان، قاله مقاتل (١٨٦).

وفي جعلهم ذلك لذكورهم دون إناثهم وأزواجهم قولان:

أحدهما: لأن الذكور هم خدام الأوثان.

والثاني: تفضيلاً للذكور على الإناث.

وأصل الذكور من الذِّكْر، وفي أخذه من الذِّكْر وجهان:

أحدهما: لأنه المذكور بين الناس فكان أنبه ذِكْراً من الأنثىٰ.

والثاني: لأنه أشرف، والذِّكْر هو الشرف، قاله الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ...﴾ أما الجنات فهي البساتين يحفها الشجر، وأما الروضة فهي الخضراء بالنبات، وأما الزهرة فهي باختلاف الألوان الحسنة.

وفي قوله: ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنه تعريش الناس الكروم وغيرها، بأن ترفع أغصانها، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أن تعريشها هو رفع حظارها وحيطانها.

(١٨٦) وقد اختار هذا القول الطبري (١٢/ ١٤٨) وقال، ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهم دون بعض وإذا كان ذلك كذلك فالواجب أنه يقال أنهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حل لذكورهم خالصة دون أناثهم... ألخ.

والثالث: أنها المرتفعة عن الأرض لعلو شجرها، فلا يقع ثمرها على الأرض، لأن أصله الارتفاع ولذلك سُمِّيَ السرير عرشاً لارتفاعه، ومنه قوله تعالى: ﴿خاوية على عروشها﴾[الكهف: ٤٢] و[الحج: ٤٥] أي على أعاليها وما ارتفع منها.

والرابع: أن المعروشات ما عرشه الناس، وغير المعروشات ما نبت في البراري والجبال[١٨٧].

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وإنما قدم ذكر الأكل لأمرين:

أحدهما: تسهيلاً لإيتاء حقه.

والثاني: تغليباً لحقهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم.

وفي قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصدقة المفروضة فيه: العُشْر فيما سقي بغير آلة، ونصف العشر فيما سقي بآلة، وهذا قول الجمهور.

والثاني: أنها صدقة غير الزكاة، مفروضة يوم الحصاد والصرام[١٨٨]وهي إطعام من حضر وترك ما تساقط من الزرع والثمر، قاله عطاء ومجاهد.

والثالث: أن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وإبراهيم.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن هذا الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زيادة تجحف به، قاله أبو العالية، وابن جريج.

وقد روى سعد بن سنان عن أنس قال[١٨٩]: قال رسول الله ﷺ: «المُعْتَدِي فِي

---

(١٨٧) وهو قول ابن عباس رضي الله عنه الطبري (١٢/ ١٥٦) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٣/ ٣٦٧).

(١٨٨) الصرام هو قطع ثمر النحل وجِدَاده في وقته.

(١٨٩) رواه الترمذي (٦٤٦) وأبو داود (١٥٨٥) والبغوي (٧٨/٦) وأبو عبيد في الأموال ص ٤٠١ وحسنه الأرناورط في شرح السنة.

تنبيه رجح الناري أن اسم سعد بن سنان هو سنان بن سعد كما نقله الترمذي عنه من السنة والحديث صممه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٧١٩ ونقل تصحيح ابن خزعة له.

الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا »وقيل : إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله.

والثاني : هو أن يأخذ السلطان منه فوق الواجب عليه، قاله ابن زيد.

والثالث: هو أن يمنع رب المال من دفع القدر الواجب عليه، قاله سعيد بن المسيب.

والرابع: أن المراد بهذا السرف ما كانوا يشركون آلهتهم فيه من الحرث والأنعام، قاله الكلبي.

والخامس: هو أن يسرف في الأكل منها قبل أن يؤدي زكاتها، قاله ابن بحر.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الحمولة كبار الإبل التي يُحْمَلُ عليها، والفرش صغارها التي لا يحمل عليها، مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء كالفرش.

وقال ابن بحر الافتراش الإضجاع للنحر، فتكون الحمولة كبارها، والفرش صغارها، قال الراجز:

أورثني حمولة وفرشا ... أمشّها في كل يوم مشّا

أي أمسحها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد.

والثاني : أن الحَمُولة ما حُمِلَ عليه من الإبل والبقر، والفرش: الغنم، قاله ابن عباس، وقتادة، ومنه قول ابن مسلمة :

وحوينا الفرش من أنعامكم ... والحمولات وربات الحجل

والثالث: أن الحمولة ما حمل من الإبل، والبقر، والخيل، والبغال، والحمير، والفرش ما خلق لهم من أصوافها وجلودها.

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الحمولة ليبين أن الانتفاع بظهرها لا يمنع من جواز أكلها.

والثاني : أنه إذن منه في عموم أكل المباح من أموالهم، ونهىً عن أكل ما لا يملكونه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها طريقه التي يدعوكم إليها من كفر وضلال.

والثاني: أنها تخطيه إلى تحريم الحلال وتحريم الحرام(١٩٠)، وقد ذكرنا ما في ذلك من زيادة التأويل ومن الاحتمال، وأنه الانتقال من معصية إلى أخرى حتى يستوعب جميع المعاصي، مأخوذ من خطو القدم: انتقالها من مكان إلى مكان.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ما بان لكم من عداوته لأبيكم آدم.

والثاني: ما بان لكم من عداوته لأوليائه من الشياطين، قاله الحسن.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أما الزوج فاسم ينطلق على الواحد وعلى الإثنين، يقال للاثنين زوج، ويقال للواحد زوج لأنه لا يكون زوجاً إلا ومعه آخر له مثل اسمه، قال لبيد(١٩١):

من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها

فلذلك قال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ لأنها ثمانية آحاد.

ثم فسرها فقال: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني ذكراً أو أنثى.

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ يعني ذكراً وأنثى.

---

(١٩٠) لعله وتحليل الحرام فإن السياق يقتضي ذلك هو الصواب فإن ما ذكر هنا في النسخة لا معنى له.

(١٩١) والبيت من قصيدة لبيد المعلقة راجع الطبري (١٢/ ١٨٤).

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ إبطالاً لما حرمته الجاهلية منها في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ يعني قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الأَرْحَامِ خالصةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ يريد به ما أراده في الضأن والمعز وأن هذه الثمانية أزواج حلال لا يحرم منها شيء بتحريمكم.

حكى أبو صالح عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حين أتاه عوف بن مالك، فقال له: أَحَلَّلْتَ ما حرمه آباؤنا، يعني من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ فسكت عوف لظهور الحجة عليه.

قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ يعني أن ما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لم يحرمه الله تعالى ولا أوحىٰ إليَّ بتحريمه، ثم بيَّن المحرَّم على وجه الاستثناء لأن نفي التحريم خرج مخرج العموم، فقال: ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ وهي التي خرجت روحها بغير ذكاة.

﴿أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً﴾ يعني مهراقاً مصبوباً ومنه سمي الزنا سفاحاً لصب الماء فيه ضائعاً، وقال طرفة بن العبد(١٩٢):

إني وجدِّك ما هجوتك والأنـ ... ـصاب يسفح فوقهن دم

فأما الدم غير مسفوح فإن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال

(١٩٢) ديوان الستة الجاهليين ٢٤٧ والطبري (١٢/١٩٢).

لقوله ﷺ[١٩٣]: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَالمِيْتَتَانِ: الحُوتُ وَالجَرَادُ، وَالدَّمَانِ: الكَبِدُ وَالطُّحَالُ».

وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها وإنما هو مع اللحم وفيه، ففي تحريمه قولان:

أحدهما: لا يحرم لتخصيص التحريم بالمسفوح، وهو قول عائشة، وعكرمة، وقتادة، قال عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود.

والثاني: أنه حرام لأنه من جملة المسفوح وبعضه، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ يعني نجساً حراماً.

﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ﴾ يعني ما ذبح للأوثان والأصنام، سماه فسقاً لخروجه عن أمر الله.

فإن قيل: لم اقتصر هنا على تحريم هذه الأربعة وقد ذكر في المائدة غيرها من المنخنقة والموقوذة والمتردية؟ قيل: لأن هذا كله من جملة الميتة فذكره هناك مفصلاً وها هنا في الجملة.

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها مشتملة على جميع المحرمات فلا يحرم من الحيوان ما عدا هذا المذكور فيها، وهذا قول ابن عباس، وعائشة.

والثاني: أنها[١٩٤] تشتمل على تحريم ما تضمنها وليست مستوعبة لجميع

---

(١٩٣) رواه أحمد (٢/ ٩٧) وابن ماجة (٣٣١٤) والشافعي (٢/ ٤٢٥) من حديث ابن عمر مرفوعاً وفي سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه البيهقي (١/ ٢٥٤) عن ابن عمر موقوفاً وقال هذا إسناد صحيح وهو في المسند.

قلت وللحديث حكم الرفع لأنه قول الصحابي أحل لنا كذا وحرم علينا كذا من قبيل المرفوع حكماً وقد صحح الحديث العلامة الألباني في الإرواء.

(١٩٤) ولا ريب أن هذا القول هو المتعين لأن السنة متى ثبتت عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس فالقول بها لازم.

المحرمات لما جاءت به السنة من تحريم[١٩٥] كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير، وهذا قول الجمهور.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝١٤٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ هذا التحريم على الذين هادوا إنما هو تكليف بلوىٰ وعقوبة، فأول ما ذكره من المحرمات عليهم ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط، قاله ابن عباس[١٩٦]، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

والثاني[*]: أنه عنى أنواع السباع كلها.

والثالث: أنه كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي حافر من الدواب.

ثم قال: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها شحوم الثَّرْب[١٩٧] خاصة، قاله قتادة.

والثاني: أنه كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم، قاله ابن جريج.

والثالث: أنه شحم الثرب والكلى، قاله السدي وابن زيد.

---

(١٩٥) رواه البخاري (١٠/ ٢١٢) ومسلم (٥/ ٨٢) وأبو داود (٣٨٠٢) والترمذي (١٥٠٤) والنسائي (٧/ ٢٠١، ٣٠٤) وابن ماجة (٣٢٣٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني ولفظه نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع.

(١٩٦) رواه ابن أبي حاتم بسنده عنه قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩٥) وأسناده حسن وأخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير مثله مفرقاً وليس فيه ابن عباس.

(*) وفي نسخة والثاني: أنه كل ما صاد بظفره من الطير.

(١٩٧) جمع ثروب والثرب بفتح المثلثة وسكون الراء المهملة هو شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء.

ثم قال: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني شحم الجنب وما علق بالظهر فإنه لم يحرم عليهم.

ثم قال: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وفيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنها المباعر، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد، والسدي.

والثاني: أنها بنات اللبن(*)، قاله عبد الرحمن بن زيد.

والثالث: أنها الأمعاء التي عليها الشحم من داخلها، قاله بعض المتأخرين.

والرابع: أنها كل ما تحوّىٰ في البطن واجتمع واستدار، قاله علي بن عيسى.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شحم الجنب.

والثاني: أنه شحم الجنب والألية، لأنه على العصعص، قاله ابن جريج، والسدي.

﴿ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ببغيهم على موسى عليه السلام فيما اقترحوه وعلى ما خالفوه.

والثاني: ببغيهم على أنفسهم في الحلال الذي حرموه.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما حكاه عنهم وحرمه عليهم.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا
تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ
هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ

(*) كذا في أصول المخطوطة وفي القرطبي خزائن اللبن.

مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أمر من الله لنبيه ﷺ، أن يدعو الناس إليه ليتلو عليهم ما حرمه الله عليهم، وما أحله لهم ليقلعوا عما كانت الجاهلية عليه من تحريم المباح وإباحة الحرام.

والتلاوة: هي القراءة، والفرق بين التلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء أن التلاوة والقراءة للمرة الأولى، والمتلو والمقروء للثانية وما بعدها، ذكره علي بن عيسى، والذي أراه من الفرق بينهما أن التلاوة والقراءة يتناول اللفظ، والمتلو والمقروء يتناول الملفوظ.

ثم إن الله أخذ فيما حرم فقال: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: ألا تشركوا بعبادته عبادة غيره من شيطان أو وثن.

والثالث: أن يحمل الأمرين معاً (١٩٨).

ثم قال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ تقديره: وأوصيكم بالوالدين إحساناً، والإحسان تأدية حقوقهما ومجانبة عقوقهما والمحافظة على برهما.

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق.

وفي الإملاق قولان:

(١٩٨) لاحظ أن القول الثاني لم يذكره المؤلف فلعله سقط من الناسخ.

أحدهما: أنه الإفلاس، ومنه الملق لأنه اجتهاد المفلس في التقريب إلى الغنى طمعاً في تأجيله.

والثاني: أن الإملاق(١٩٩) ومعناهما قريب وإن كان بينهما فرق، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والسدي، والضحاك، وابن جريج.

ثم ذكر فساد اعتقادهم في الإملاق بأن قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لأن رزق العباد كلهم، من كفيل ومكفول، على خالقهم،

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ وفيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها، قاله قتادة.

والثاني: أنه خاص في الزنىٰ، ما ظهر منها: ذوات الحوانيت، وما بطن: ذوات الاستسرار، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي.

والثالث: ما ظهر منها: نكاح المحرمات، وما بطن: الزنىٰ، قاله مجاهد، وابن جبير.

والرابع: أن ما ظهر منها: الخمر، وما بطن منها: الزنىٰ، قاله الضحاك.

وقد ذكرنا فيه احتمال تأويل خامس: أن ما ظهر منها أفعال الجوارح، وما بطن منها اعتقاد القلوب.

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ والنفوس المحرمة: نفس مسلم، أو معاهد، والحق الذي تقتل به النفس ما بيَّنه النبي ﷺ بقوله(٢٠٠): «لَا يَحِلُّ دَمُ ٱمْرِيءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنًى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ».

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ يعني أن الله وصىٰ عباده بذلك، ووصية الله واجبة.

---

(١٩٩) بياض في الأصل وقد رجعنا إلى الروايات الواردة عمن ذكرهم المؤلف هنا فوجدناهم فسروها بالفقر وعليه فالتفسير الثاني يكون (الفقر).

(٢٠٠) رواه الترمذي (٢١٥٨) وابن ماجه (٢٥٣٣) وأحمد (٤٦٨، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٢، ٥٠٩) من حديث عثمان بن عفان وقال الترمذي هذا حديث حسن وورد في حديث عبدالله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما.

ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تعقلون تحريم ذلك عليكم وتعلمونه.

والثاني: تعملون عمل من يعقل وهو ترك ما أوجب العقاب من هذه المحرمات.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إنما خص مال اليتيم بالذكر وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته، لأن الطمع فيه لقلة مراعيه أقوى، فكان بالذكر أولىٰ.

وفي قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: حفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه، قاله الكلبي.

والثاني: أن ذلك هو التجارة به، قاله مجاهد.

والثالث: هو ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً، قاله الضحاك.

والرابع: هو أن يأكل الولي بالمعروف من ماله إن افتقر، ويترك إن استغنى، ولا يتعدىٰ من الأكل إلى لباس ولا غيره، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: أن التي هي أحسن: حفظ أصوله وتثمير فروعه.

ثم قال: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ والأشد استحكام القوة والشباب(*).

وفي حدها ثلاثة أقاويل:

(*) هنا كلمة مطموسة من الأصل.

أحدها: أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات، قاله ربيعة، وزيد بن أسلم، ومالك.

والثاني: أن الأَشُد ثلاثون سنة، قاله السدي.

والثالث: أن الأشد ثماني عشرة سنة، ذكره علي بن عيسى وفيه وجوه أُخَر نذكرها من بعد.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ يعني بالعدل، أمر في مال البائع من تأدية بمثل ما أُمِر به في مال اليتيم.

ثم قال: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني أنه لما كان العدل في الوزن والكيل مستحقاً، وكان تحديد أقل القليل متعذراً، كان ذلك عفواً، لأنه لا يدخل في الوسع فلم يكلفه.

ثم قال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا حكمتم فأنصفوا.

الثاني: إذا شهدتم فاصدقوا.

الثالث: إذا توسطتم فلا تميلوا.

ثمَ قال: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن عهد الله كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره.

الثاني: أنه الحلف بالله أن يلزم الوفاء به إلا في معصية.

﴿ذَالِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنه راجع إلى الذين هادوا وما أوصاهم به في التوراة.

والثاني: أنه راجع إلى المسلمين وما وصاهم به في القرآن.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القرآن.

والثاني: الشرع وسُمِّيَ ذلك صراطاً، والصراط هو الطريق لأنه يؤدي إلى الجنة فصار طريقاً إليها.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يعني في العمل به.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما تقدم من الكتب المنزلة نسخها بالقرآن، وهو محتمل.

والثاني: ما تقدم من الأديان المتقدمة نسخها بالإسلام وهو محتمل.

والثالث: البدع والشبهات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ يعني عن طريق دينه.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يكون سبيله نصرة دينه وجهاد أعدائه، فنهى عن التفرق وأمر بالاجتماع.

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ﴾

وفي قوله: ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِيَ أَحْسَنَ﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: تماماً على إحسان موسى بطاعته، قاله الربيع، والفراء.

والثاني: تماماً على المحسنين، قاله مجاهد، وكان ابن مسعود. يقرأ: ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾.

والثالث: تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه، قاله ابن زيد.

والرابع: تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

والخامس: تماماً لنعمة الله على إبراهيم لأنه من ولده، قاله ابن بحر.

أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ

يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ
أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة رسلاً، يعني الكفار الذين يتوقفون عن الإيمان مع ظهور الدلائل.

والثاني: هل ينظرون يعني في حُجَج الله ودلائله إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، قاله جويبر.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أمر ربك بالعذاب(٢٠١)، قاله الحسن.

والثاني: قضاء ربك في القيامة، قاله مجاهد.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه طلوع الشمس من مغربها، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي، قال ابن مسعود: مع القمر في وقت واحد وقرأ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾. [القيامة: ٩].

والثاني: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، قاله أبو هريرة(٢٠٢).

---

(٢٠١) والصواب أن الإتيان هو إتيان الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين عباده يوم القيامة على الوصف اللائق به دون تأويل أو تعطيل وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في سورة البقرة. فراجعه.

(٢٠٢) وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٨/ ٢٩٧) ومسلم (٢/ ١٩٤) وأبو داود (٤/ ١٦٣) وابن ماجه (٢/ ٢٣٥٢) وأحمد (٧١٦١) واللفظ للبخاري «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون به وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية... م هـ ورجح ابن الجوزي القول الأول في زاد المسير (٣/ ١٥٧) قلت ولا تنافي بين القولين فإن القول الأول ذكر آية من الآيات الثلاثة المذكورة في القول الثاني وقد ورد مرفوعاً أيضاً من حديث أبي هريرة «ثلاثة إذا خرجت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض رواه البخاري (٨/ ٢٢٣) و(١١/ ٣٠٤) ومسلم (٢/ ١٩٤) وأحمد

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ...﴾ في أول آيات الساعة وآخرها قولان:

أحدهما: أن أولها الدجال، ثم الدخان، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، هذا قول معاذ بن جبل.

والثاني: أن أولها خروج الدجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ ثم خروج الدابة، وهذا قول حذيفة بن اليمان ورواه مرفوعاً.

ثم اختلفوا في ألا ينفعها إيمانها بظهور أول الآيات أو بظهور آخرها على قولين:

أحدهما: إذا خرج أول الآيات، طرحت الأقلام، وجلست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال.

والقول الثاني: أن ذلك يكون بخروج آخر الآيات ليكون لنا فيها أثر في الإنذار.

ثم قال: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ أما إيمانها قبل هذه الآيات فمُعْتَدٌّ به، وأما بعدها فإن لم تكسب فيه خيراً لم يُعْتَدّ به، وإن كسبت فيه خيراً ففي الاعتداد به قولان:

أحدهما: يُعْتَدُّ به، وهو ظاهر الآية أن يكون قبل الآيات أو بعده.

والثاني: لا يُعْتَدُّ به، ويكون معناه: لم تكن آمنت من قبل وكسبت في إيمانها خيراً، وهذا قول السدي.

وفي الخير الذي تكسبه وجهان:

أحدهما: تأدية الفروض على أكمل أحوالها.

والثاني: التطوع بالنوافل بعد الفروض(٢٠٣).

(٧١٦١) وأبو داود (٤/ ١٦٣) والطبري (١٢/ ٢٦٥) واللفظ له وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٥٧) نسبته لعبد بن حميد وعبد الرزاق والنسائي وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في البعث والطبراني وابن أبي عدي.

(٢٠٣) والأولى أن يفسر الخير بالعمل الصالح بشموله بما في ذلك الفرائض والنوافل قال العلامة ابن الجوزي

روىٰ مجاهد عن عبدالله بن عمر قال[٢٠٤]: قال رسول الله ﷺ: «بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِن قِبَلِ المَغْرِبِ، فَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: مِنْ إِبْلِيس رَأْسِ الكُفْرِ، وَمِنْ قَابِيلِ قَاتِلِ هَابِيلَ، وَمَنْ قَتَلَ نَبِيًّا لاَ تَوْبَةَ لَهُ، فَإِذَا طَلَعَت الشَّمْسُ مِن ذَلِـكَ البَابِ كَالعَكَرِ الأَسْوَدِ لاَ نُورَ لَهَا حَتَّى تَتَوَسَّطَ السَّماءَ ثُمَّ تَرْجِعُ فَيُغْلَقُ البَابُ وَتُرَدُّ التَّوبَةُ فَلاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُن ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيراً، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَىٰ مَشَارِقِهَا، فَتَطْلُعُ بَعْدَ ذَالِكَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَة إِلاَّ أَنَّهَا سُنُونَ تَمُرُّ مَراً».

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود خاصة، قاله مجاهد.

والثاني: اليهود والنصارىٰ، قاله قتادة.

والثالث: أنهم جميع المشركين[٢٠٥]، قاله الحسن.

والرابع: أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة.

وفي تفريقهم الذي فرقوه قولان:

أحدهما: أنه الدين الـذي أمر الله به، فرقوه لاختلافهم فيه باتباع الشبهات.

والثاني: أنه الكفر الذي كانوا يعتقدونه ديناً لهم.

ومعنىٰ قوله: ﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ يعني فرقاً.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون الشيع المتفقين على مشايعة بعضهم لبعض، وهو الأشبه[٢٠٦]، لأنهم يتمالأون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره.

في زاد المسير (٣/ ١٥٧). والمراد بالخير هنا العمل الصالح وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان.

(٢٠٤) لم اهتد إلى تخريجه وقد أورد السيوطي رحمه الله في الدر (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) أحاديث عقباه فراجعها.

(٢٠٥) وكذلك هي في أهل البدع وطوائف أهل الكتاب المشركين قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ١٨٣). وقيل الآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله وهذا هو الصواب لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام أ هـ. واختار القول بالعموم ابن جرير رحمه الله (١٢/ ٢٧١).

(٢٠٦) قال الشوكاني (٣/ ١٨٣). ومعنى شيعاً وأحزاباً فتصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحداً مجتمعاً ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب ويباين الحق أ هـ.

وفي أصله وجهان:

أحدهما: أصله الظهور، من قولهم شاع الخبر إذا ظهر.

والثاني: أصله الاتباع، من قولهم شايعه على الأمر إذا اتبعه، قاله الزجاج.

ثم قال تعالىٰ: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لست من قتالهم في شيء، ثم نسخها بسورة التوبة، قاله الكلبي.

والثاني: لست من مخالطتهم في شيء، نَهْيٌ لنبيه ﷺ عن مقاربتهم، وأمر له بمباعدتهم، قاله قتادة، كما قال النابغة(٢٠٧):

إذا حاولت في أسد فجوراً فإني لست منك ولست مني.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ في الحسنة والسيئة هنا قولان:

أحدهما: أن الحسنة الإيمان، والسيئة الكفر، قاله أبو صالح.

والثاني: أنه على العموم في الحسنات والسيئات أن جعل جزاء الحسنة عشر أمثالها تفضلاً، وجعل جزاء السيئة مثلها عدلاً، قال رسول الله ﷺ(٢٠٨): «أَبْعَدَ ٱللَّهُ مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ عَشْراً».

ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه عام في جميع الناس.

والثاني: أنه خاص في الأعراب(٢٠٩) إذا جاء أحدهم بحسنة فله عشر أمثالها، فأما غيرهم من المهاجرين فلمن جاء منهم بحسنة سبعمائة، قاله ابن عمر، وأبو سعيد الخدري.

---

(٢٠٧) ديوانه: ١٢٧.

(٢٠٨) لم أهتد إليه والله أعلم.

(٢٠٩) والصواب أنها عامة في جميع الناس كما في القول الأول راجع فتح القدير (٢/ ١٥٣) وروح المعاني للآلوسي (٨/ ٦٩).

فأما مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها فلأن الله فرض عُشْر أموالهم، وكانوا يصومون في كل شهر ثلاثة أيام وهي البيض منه، فكان آخر العُشْر من المال آخر جميع المال، وآخر الثلاثة الأيام آخر جميع الشهر.

وأما مضاعفة ذلك بسبعمائة ضعف فلقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فضاعف الله الحسنة بسبعمائة ضعف، وكان الحسن البصري يقرأ: ﴿فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا﴾ بالتنوين(٢١٠)، وَوَجْهُهُ في العربية صحيح.

وحكىٰ ابن بحر في الآية تأويلاً يخرج عن عموم الظاهر، وهو أن الحسنة اسم عام يطلق على كل نوع من الإيمان وينطلق على عمومه، فإن انطلقت الحسنة على نوع واحد منه، فليس له عليها من الثواب إلا مثل واحد، وإن انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين، كان الثواب عليها مثلين كقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، والكفل: النصيب كالمثل، فجعل لمن اتقىٰ وآمن بالرسول نصيبين، نصيباً لتقوىٰ الله، ونصيباً لإيمانه برسوله، فدل على أن الحسنة التي جعلت لها عشر أمثالها هي التي جمعت عشرة أنواع من الحسنات، وهو الإيمان الذي جمع الله في صفته عشرة أنواع بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فكانت هذه الأنواع العشرة التي ثوابها عشرة أمثالها، فيكون لكل نوع منها مثل، وهذا تأويل فاسد، لخروجه عن عموم الظاهر، لما لا يحتمله تخصيص العموم، لأن ما جمع عشرة أنواع فهو عشر حسنات، فليس يجزي عن حسنة إلا مثلها، وبطل أن يكون جزاء الحسنة عشر أمثالها.

وذكر بعض المفسرين تأويلاً ثالثاً: أن له عشر أمثالها في النعيم والزيادة لا في عظيم المنزلة، لأن منزلة التعظيم لا تنال إلا بالطاعة، وهذه مضاعفة تفضيل كما قال: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠].

قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

(٢١٠) وفي قراءة يعقوب والقزاز عن عبد الوارث زاد المسير (٣/ ١٥٩).

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يذكر للناس حال عبادته ومن له الأمر في حياته ومماته.

فقال) ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ وهي الصلاة المشروعة ذات الركوع والسجود المشتملة على التذلل والخضوع لله تعالى دون غيره من وثن أو بشر.

ثم قال: ﴿وَنُسُكِي﴾ وفيه هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الذبيحة في الحج والعمرة، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك.

والثاني: معناه ديني، قاله الحسن.

والثالث: معناه عبادتي، قاله الزجاج، من قولهم فلان ناسك أي عابد، والفرق بين الدين والعبادة: أن الدين اعتقاد، والعبادة عمل.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن حياته ومماته بيد الله تعالى لا يملك غيره له حياة ولا موتاً، فلذلك كان له مصلياً وناسكاً.

والثاني: أن حياته لله في اختصاصها بطاعته، ومماته له في رجوعه إلى مجازاته.

ووجدت فيها وجهاً ثالثاً: أن عملي في حياتي ووصيتي عند مماتي لله.

ثم قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ صفة الله تعالى أنه مالك العالم دون غيره، فلذلك كان أحق بالطاعة والتعبد من غيره.

ثم قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا شريك له في ملك العالمين.

والثاني: لا شريك له في العبادة.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ يعني ما قدم ذكره.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يعني من هذه الأمة حثّاً على اتباعه والمسارعة بالإسلام.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وسبب [نزول] ذلك أن كفار قريش دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه في عبادة اللات والعزى، وقالوا: يا محمد إن كان وزراً فهو علينا دونك، فنزلت هذه الآية عليه.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ يعني إلا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يتحمل أحد ذنب غيره فيأثم به ويعاقب عليه، ولا يحمل ذنبه غيره، فيبرأ منه ويسلم من عقابه.

وفي أصل الوزر وجهان:

أحدهما: أصله الثقل، من قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢ ـ ٣] ومنه سمي وزير الملك لتحمله الثقل عنه.

والثاني: أن أصله الملجأ من قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] ومنه سُمّي وزير المَلِكِ لأنه يلجأ إليه في الأمور.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه جعلهم خلفاً من الجان سكاناً للأرض، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله، كلما مضى أهل عصر خلفه أهل عصر بعده على انتظام، حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا

يخلق عصر، فصارت هذه الأمة خلفاً للأمم الماضية.

والثالث: جعل بعضهم خليفة لبعض ليتآلفوا بالتعاون.

والرابع: لأنهم آخر الأمم وكانوا خلفاً لمن تقدمهم، قال الشماخ(٢١١):

تصيبكم وتخطئني المنايا   وأخلق في ربوع عن ربوع

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ يعني ما خالف بينهم في الغنى بالمال وشرف الآباء وقوة الأجسام، وهذا، وإن ابتدأه تفضلاً من غير جزاء ولا استحقاق، لحكمة منه تضمنت ترغيباً في الأعلى وترهيباً من الأدنىٰ، لتدم له الرغبة والرهبة.

وقد نبه على ذلك بقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَاكُمْ﴾ يعني من الغنى والقوة وفيه وجهان:

أحدهما: ليختبركم بالاعتراف(٢١٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ فإن قيل: فكيف جعله سريعاً وهو في الآخرة؟، فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن كل آت قريب، كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

والثاني: إن ربك سريع العقاب في الدنيا لمن استحق منه تعجيل العقاب فيها.

والثالث: أنه إذا شاء عاقب، فصار عقابه سريعاً لأنه يقترن بمشيئته، وهذا قول ابن بحر.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ جمعاً منه بين ما يقتضي الرهبة من سرعة العقاب وبين ما يقتضي الرغبة من الغفران والرحمة، لأن الجمع بين الرغبة والرهبة أبلغ في الانقياد إلى الطاعة والإقلاع عن المعصية، والله عز وجل أعلم.

(٢١١) ديوانه: ٥٨ ومجاز القرآن (١/ ٢٠٩) والطبري (١٢/ ٢٨٨).

(٢١٢) ويلاحظ هنا أن الوجه الثاني سقط ولم يذكر فلعل السقط كان من الناسخ.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

مكية كلها في قول الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر، وقال ابن عباس، وقتادة: مكية إلا خمس آيات وهي قوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى آخر الخمس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل ﴿الٓمٓصٓ﴾ فيه لأهل التأويل تسعة أقاويل:

أحدها: معناه: أنا الله أُفَصِّل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه [حرف] هجاء [من] المصور، قاله السدي.

والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

والرابع: أنه اسم السورة ومفتاح لها، قاله الحسن.

والخامس: أنه اختصار من كلام يفهمه النبي ﷺ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

والسادس: هي حروف هجاء مقطعة نبه بها على إعجاز القرآن.

والسابع: هي من حساب الجمل المعدود استأثر الله بعلمه.

والثامن: هي حروف تحوي معاني كثيرة دل الله تعالى خلقه بها على مراده من كل ذلك.

والتاسع: هي حروف اسم الله الأعظم.

ويحتمل عندي قولاً عاشراً(٢١٣): أن يكون المراد به: المصير إلى كتاب أنزل إليك من ربك، فحذف باقي الكلمة ترخيماً وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب، وللعرب في الاقتصار على الحروف مذهب كما قال الشاعر(٢١٤):

قلت لها قفي فقالت قاف ....

أي وقفت.

قوله عز وجل ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن.

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ وفي الحرج ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الضيق، قاله الحسن، وهو أصله.

قال الشماخ بن ضرار:

ولو ردت المعروف عندي رددتها لحاجة لا العالي ولا المتحرج

ويكون معناه: فلا يضيق صدرك خوفاً ألا تقوم بحقه.

والثاني: أن الحرج هنا الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

قال الراجز:

آليت لولا حرج يعروني ما جئت أغزوك ولا تغزوني

ومعناه: فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به.

والثالث: فلا يضيق صدرك بأن يكذبوك، قاله الفراء.

ثم قال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فجعله إنذاراً للكافرين وذكرى للمؤمنين ليعود نفعه على الفريقين.

---

(٢١٣) وقد عرّفناك فيما سبق القول الراجح عند الكلام على أوائل السور في سورة البقرة وذكرنا أقوال العلماء وما عليه أكثرهم.

(٢١٤) من رجز الوليد بن عقبة وبقية الرجز لا تحسبن أنا نسينا الإيجاف. والبيت من الأغاني (٥/ ١٣١)، شرح شواهد الشافية، ٢٧١، مشكل القرآن ٢٣٨ والطبري (١/ ٢١٢) وسيأتي في الشطر البيت في سورة قٓ وقد وقع هنا في شطر البيت نقص وصوابه من الطبري هكذا:

قلنا لها قِفِي لنا قالت: قـاف لا تحسبن أنا نسينا الإيجاف

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ
إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ
إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ الآية. هذا إخبار من الله تعالى عن حال من أهلكه بكفر تحذيراً للمخاطبين به عن مثله، وقوله: ﴿وَكَم﴾ هي كلمة توضع للتكثير، «ورُب» موضوعة للتقليل، وذلك هو الفرق بين كم ورب.

قال الفرزدق (٢١٥):

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشاري

فدل ذلك على تكثير العمات والخالات:

وفي قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ وإنما الهلاك بعد مجيء البأس أربعة أوجه:

أحدها: معناه أهلكناها حكماً فجاءها بأسنا فعلاً.

والثاني: أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب فجاءها بأسنا بوقوع العذاب لهم.

والثالث: أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية.

والرابع: أن البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال أعطيت وأحسنت، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء، قاله الفراء.

وقوله: ﴿بَيَاتًا﴾ يعني في نوم الليل.

﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ يعني في نوم النهار وقت القائلة.

فإن قيل: فلم جاءهم بالعذاب في وقت النوم دون اليقظة؟ قيل: لأمرين:

أحدهما: لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ.

(٢١٥) ديوانه: ٤٥١، النقائض: ٣٣٢، الطبري (١٢/ ٣٠٠).

والثاني: لئلا يتحرزوا منه ويهربوا عنه، لاستسلام النائم وتحرز المستيقظ، والبأس: شدة العذاب، والبؤس: شدة الفقر.

قوله عز وجل: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة والقيام بشروطها، ولنسألن المرسلين عن أداء الرسالة والأمانة فيها.

والثاني: لنسألن الذين أرسل إليهم عن حفظ حرمان الرسل، ولنسألن المرسلين عن الشفقة على الأمم.

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الوزن ها هنا هو القضاء بالحق، أي بالعدل، قاله مجاهد.

والثاني: أنه موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة.

والثالث[٢١٦]: أنه موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان، قاله الحسن وطائفة.

واختلف من قال بهذا في الذي يوزن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذي يوزن هو الحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة، قاله الحسن والسدي.

والثاني: أن الذي يوزن صحائف الأعمال، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال، والوزن إنما يمكن في الأجسام، قاله عبدالله بن عمر.

والثالث: أن الذي يوزن هو الإنسان، قال عبيد بن عمير، قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة[٢١٧].

---

(٢١٦) ولا شك في أرجحية هذا القول لأن السنة المتواترة على إثبات الميزان ولا شك أن الله تعالى حكم عدل فهو يقضي بالحق ويحكم بالقسط ولا يظلم الناس شيئاً ورجح هذا القول الطبري (١٢/ ٣١١) وفتح القدير للشوكاني (٢/ ١٩٠) وكرّ الشوكاني على من خالف هذا القول بكلام رصين فراجعه.

(٢١٧) ولا مانع من كون الأعمال تارة توزن وتارة يوزن الشخص وعمله والمسألة مبسوطة في كتب العقيدة راجع شرح الطحاوية ص ٤٧٢ ولوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤).

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه فمن قُضي له بالطاعة.

والثاني: معناه فمن كانت كفة حسناته أثقل من كفة سيئاته (٢١٨).

والثالث: معناه فمن زادت حسناته على سيئاته.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يعني بما لهم من الثواب، وبضده إذا خفت.

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سهلنا عليكم التصرف فيها حتى وصلتم إلى مرادكم منها.

والثاني: ملكناكم إياها حتى صرتم أحق بها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما تعيشون به من نبات وحيوان.

والثاني: ما تتوصلون به إلى معايشكم فيها من زراعة أو عمل.

وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فيه لأهل التأويل أربعة أقاويل:

أحدها: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء، قاله عكرمة.

والثاني: ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره، قاله مجاهد.

والثالث: خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء، ثم صورناكم عند اجتماع النطفتين في الأرحام، وهو معنى قول الكلبي.

---

(٢١٨) ويدل على ثقل الكفة حديث البطاقة المشهور وهو حديث صحيح صحّحه غير واحد من العلماء راجع شرح السنة للبغوي.

والرابع: خلقناكم في بطون امهاتكم، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر(٢١٩).

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ فإن قيل فالسجود عبادة لا تجوز إلا لله تعالى، فكيف أمر بهلآدم عليه السلام؟ قيل: فيه لأهل العلم قولان:

أحدهما: أنه أمرهم بالسجود له تكرمة وهو لله تعالى عبادة.

والثاني: أنه جعله قبلة سجودهم لله تعالى(٢٢٠):

فإن قيل: فالأمر بالسجود لآدم قبل تصوير ذريته، فكيف قال: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ﴾؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه صورهم في صلب آدم ثم قال للملائكة: اسجدوا.

والثاني: معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم بِأَنَّا قلنا للملائكة: اسجدوا.

والثالث: أي في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم.

وفيه جواب رابع أنكره بعض النحويين وهو: أن ﴿ثُمَّ﴾ هنا بمعنى الواو، قاله الأخفش.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

---

(٢١٩) والذي في الطبري (١٢/ ٣٢٠) أن هذا القول نقله معمر عن رجل ولم يصرح باسمه فليس هذا القول من قول معمر وإليك ما في الطبري قال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال «خلقناكم ثم صورناكم» قال خلق الله الإنسان في الرحم ثم صوّره فشق سمعه وبصره وأصابعه ا هـ».

(٢٢٠) كان السجود للأشخاص في الشرائع السابقة إنما كان للتعظيم وليس على وجه العبادة ثم نسخ بعدُ ذلك وقد سجد معاذ بن جبل بين يدي رسول الله ﷺ إلا أن الرسول نهاه عن ذلك وقال: «لو كنت آمر أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أُهْبِط من السماء لأنه كان فيها، قاله الحسن.

والثاني: من الجنة.

والثالث: أنه أهبط من المنزلة الرفيعة التي استحقها بطاعة الله إلى المنزلة الدَّنِيَّةِ التي استوجبها لمعصيته، قاله ابن بحر.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وليس لأحد من المخلوقين أن يتكبر فيها ولا في غيرها، وإنما المعنى: فما لمن يتكبر أن يكون فيها وإنما المتكبر في غيرها.

وفي التكبر وجهان:

أحدهما: تكبر عن الله أن يمتثل له.

والثاني: تكبر عن آدم أن يسجد له.

﴿فَاخْرُجْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: من المكان الذي كان فيه من السماء أو الجنة.

والثاني: من جملة الملائكة الذين كان منهم[٢٢١] أو معهم.

﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه.

والثاني: بالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل بالعذاب.

وفي هذا القول من الله تعالى لإبليس وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك على لسان بعض الملائكة[٢٢٢].

والثاني: أنه أراه معجزة تدله على ذلك.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه سأله الإنظار بالعقوبة إلى البعث وهو يوم القيامة.

والثاني: أنه سأله الإنظار بالحياة إلى يوم يبعثون وهو يوم القيامة لئلا يذوق

(٢٢١) وقد عرفت فيما سبق أن القول الراجح أن إبليس لم يكن من الملائكة إنما دخل معهم في الخطاب.

(٢٢٢) وسياق الآيات يدل على الله مقام هو القائل له.

الموت، فَأُجِيْبَ بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة، قاله الكلبي.

فإن قيل: فكيف قدر الله مدة أجله وفي ذلك إغواؤه بفعل المعاصي تعويلاً على التوبة في آخر الأجل؟

قيل: قد علم الله من حاله أنه لا يتوب من معصيته بما أوجبه من لعنته بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ﴾ فجاز مع علمه بهذه أن يقدر له مدة أجله ولو كان كغيره ما قدرت له مدة أجله.

فإن قيل: كيف أقدم إبليس على هذا السؤال مع معصيته؟ قيل: كما ينبسط الجاهل في سؤال ما لا يستحقه.

فإن قيل: فكيف أجاب الله سؤاله مع معصيته؟ قيل: في إجابته دعاء أهل المعاصي قولان:

أحدهما: لا تصح إجابتهم لأن إجابة الدعاء تكرمة للداعي وأهل المعاصي لا يستحقون الكرامة، فعلى هذا إنما أنظره الله تعالى وإن كان عقيب سؤاله ابتداء منه لا إجابة له.

والثاني: أنه قد يجوز أن تجاب دعوة أهل المعاصي على وجه البلوى وتأكيد الحجة، فتكون إجابة المطيعين تكرمة، وإجابة العصاة بلوى.

فإن قيل: فهل ينظر غير إبليس إلى الوقت الذي سأل وقد قال من المنظرين؟ قيل: نعم وهو من لم يقض الله تعالى عليه الموت من عباده الذين تقوم عليهم الساعة.

قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿فبما أغويتني﴾ على قولين:

أحدهما: أنه على معنى القسم وتقديره: فبإغوائك لي لأقعدن لهم صراطك المستقيم.

والثاني: أنه على معنى المجازاة، تقديره: فلأنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم(٢٢٣).

واختلف أهل العلم في قوله: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ على أربعة أقاويل:

أحدها: معناه أضللتني، قاله ابن عباس وابن زيد.

والثاني: معناه خيبتني من جنتك، ومنه قول الشاعر(٢٢٤):

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي ومن يخب.

والثالث: معناه عذبتني كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] أي عذاباً، قاله الحسن.

والرابع: معناه أهلكتني بلعنك لي، يقال غوى الفصيل إذا أشفى على الهلاك بفقد اللبن، قال الشاعر(٢٢٥):

معطفة الأثناء ليس فصيلها برازئها دراً ولا ميِّت غوى

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي على صراطك المستقيم، وفيه تأويلان:

أحدهما: طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة، قاله ابن مسعود.

والثاني: طريق الحق ليصد عنها بالإغواء، قاله مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾ الآية. فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾

---

(٢٢٣) قال الإمام أبو جعفر الطبري (١٢/ ٣٣٤) وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقوله القدرية (هم نفاة القدر الكافرون به). من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان هو السبب الذي يصل الكافر إلى الكفر م هـ.

(٢٢٤) اللسان (غوى) والبيت للمرقش روح المعاني (٨/ ٩٤).

(٢٢٥) الشاعر هو عامر بن المجنون والبيت في المعاني الكبير (١٠٤٧) والمخصص (٧/ ٤١، ١٨٠). وتهذيب إصلاح المنطق ٢/ ٥٤، واللسان (غوى).

أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي من قبل حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِم﴾ من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس.

والثاني: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من قبل، دنياهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من قبل آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: الحق أشككهم فيه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِم﴾: الباطل أرغبهم فيه، قاله السدي وإبراهيم.

والثالث: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِم﴾ ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: من حيث ينظرون، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾ ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾: من حيث لا يبصرون، قاله مجاهد.

والرابع: أراد من كل الجهات التي يمكن الاحتيال عليهم منها، ولم يذكر من فوقهم لأن رحمة الله تصده، ولا من تحت أرجلهم لما فيه من التنفير، قاله بعض المتأخرين.

ويحتمل تأويلاً خامساً: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم﴾: فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون على طاعة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾: فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِم﴾: من قبل غناهم فلا ينفقونه في مشكور، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾: من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور.

ويحتمل سادساً: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم﴾: بسط أملهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾ تحكيم جهلهم، ﴿وعن أيمانهم﴾: فيما ييسر لهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾: فيما تعسر عليهم.

ثم قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: شاكرين لنعمك.

والثاني: مقيمين على طاعتك.

فإن قيل: فكيف علم إبليس ذلك؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه ظن ذلك فصدق ظنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إِبْلِيس ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] وسبب ظنه أنه لما أغوى آدم واستزله قال: ذرية هذا أضعف منه، قاله الحسن.

والثاني: أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله(٢٢٦).

(٢٢٦) وهذا القول للجبائي من أئمة المعتزلة ولا دليل عليه وهناك قول ثالث أنه رآه في اللوح المحفوظ وهذا =

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من حيث كان من جنة أو سماء.

والثاني: من الطاعة، على وجه التهديد.

﴿مَذْءُوماً مَّدْحُوراً﴾. في قوله: ﴿مَذْءُوماً﴾ خمسة تأويلات:

أحدها: يعني مذموماً، قاله ابن زيد، وقرأ الأعمش ﴿مذوماً﴾.

والثاني: لئيماً، قاله الكلبي.

والثالث: مقيتاً، قاله ابن عباس.

والرابع: منفياً، قاله مجاهد.

والخامس: أنه شدة العيب وهو أسوأ حالاً من المذموم، قاله الأخفش، قال عامر بن جذامة:

جذامة لم يأخذوا الحق بل زاغت قلوبهم قبل القتال ذأماً

وأما المدحور ففيه قولان:

أحدهما: المدفوع.

الثاني: المطرود، قاله مجاهد والسدي.

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ يعني حواء، وفي الجنة التي أمر بسكناها قولان:

= أيضاً لا دليل عليه بل من أفحش الأقوال لأنه لم يطلع على اللوح المحفوظ إلا الله تعالى راجع روح المعاني (٨/ ٩٦).

أحدهما: في جنة الخلد التي وعد المتقون، وجاز الخروج منها لأنها لم تجعل ثواباً فيخلد فيها ولا يخرج منها.

والثاني: أنها جنة من جنات الدنيا لا تكليف فيها وقد كان مكلفاً.

﴿فَكُلَا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من حيث شئتما من الجنة كلها.

والثاني: ما شئتما من الثمار كلها لأن المستثنى بالنهي لمَّا كان ثمراً كان المأمور به ثمراً.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قد ذكرنا(٢٢٧) اختلاف الناس فيها على ستة أقاويل:

أحدها: أنه البُرّ، قاله ابن عباس.

والثاني: الكَرْم، قاله السدي.

والثالث: التين، قاله ابن جريج.

والرابع: شجرة الكافور، قاله علي بن أبي طالب.

والخامس: شجرة العلم، قاله الكلبي.

والسادس: أنها شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة، قاله ابن جدعان.

وحكىٰ محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل ولا أعرف لهذا وجهاً.

فإذا قيل: فما وجه نهيهما عن ذلك مع كمال معرفتهما؟

قيل: المصلحة في استدامة المعرفة، والابتلاء بما يجِب فيه الجزاء.

قوله عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا. . .﴾ أما الوسوسة فهي إخفاء الصوت بالدعاء، يقال وسوس له إذا أوهمه النصيحة، ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنىٰ، وفي ذلك قول رؤبة بن العجاج(٢٢٨):

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق   سراً وقد أوّن تأوين العقق

---

(٢٢٧) وقد ذكر المؤلف الأقوال في ذلك في تفسير سورة البقرة إلا أنه لم يذكر القولين الأخيرين.

(٢٢٨) ديوان: ١٠٨ واللسان (وسس).

فإن قيل: فكيف وسوس لهما وهما في الجنة وهو خارج عنها؟ فعنه ثلاثة أجوبة هي أقاويل اختلف فيها أهل التأويل:

أحدها: أنه وسوس إليهما وهما في الجنة في السماء، وهو في الأرض، فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى السماء ثم الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه فيلقاهما هناك.

والثالث: أنه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها.

﴿. . وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ﴾ وهذا هو الذي ألقى به من الوسوسة إليهما استغواءً لهما بالترغيب في فضل المنزلة ونعيم الخلود.

فإن قيل: هل تصورا ذلك مع كمال معرفتهما؟

قيل: إنما كملت معرفتهما بالله تعالى لا بأحكامه.

وفي قول إبليس ذلك قولان:

أحدهما: أنه أوهمهما أن ذلك في حكم الله جائز أن يقلب صورتهما إلى صور الملائكة وأن يخلدهما في الجنة.

والثاني: أنه أوهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة مع علمهما بأن قلب الصور لا يجوز.

قوله عز وجل: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ﴾ أي حلف لهما على صدقه في خبره ونصحه في مشورته، فقبلا قوله وتصورا صدقه لأنهما لم يعلما أن أحداً يجترىء على الحلف بالله كاذباً.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون معنى قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي قال لهما: إن كان ما قلته خيراً فهو لكما دوني وإن كان شراً فهو عليّ دونكما ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما، فكانت هذه مقاسمتهما أن قسم الخير لهما والشر له على وجه الغرور لتنتفي عنه التهمة ويسرع إليه القبول (٢٢٩).

---

(٢٢٩) ولا شك أن هذا القول أرجح لأن اللعين دخل عليهما من باب الركون والخلود والمسلم يصدق من يحلف له بالله ولا يصدق أن أحداً يحلف بالله كاذباً كإبليس ولهذا كان قسم إبليس هذا بمثابة شراكاً نصبه اللعين للأبوين فأوقعهما فيه ودلاهما بغرور.

فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ معناه فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية.

فإن قيل: فهل علما عند أكلهما أنها معصية؟

قيل: لا، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما بالغرور.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ فإن قيل:

فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل؟

ففي ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنهما كانا مستورين بالطاعة فانكشف الستر عنهما بالمعصية.

والثاني: أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذل المهانة.

والثالث: أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ في ﴿وَطَفِقَا﴾ وجهان:

أحدهما: قاما يخصفان، قاله ابن بحر.

والثاني: جعلا يخصفان، أي يقطعان.

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: ورق الموز.

والثاني: ورق التين، قاله ابن عباس.

قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فإن قيل: فالمأمور بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس قد كان أهبط من قبل حين امتنع عن السجود لآدم، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه خبر عن هبوطهم مع تفرقهم وإن خرج مخرج الأمر، قاله السدي.

والثاني: أنهم آدم وحواء والحية، فكانوا جماعة، قاله أبو صالح (٢٣٠).

والثالث: أنهم آدم وحواء والوسوسة، قاله الحسن.

فهبط آدم بأرض الهند على جبل يقال له واسم، وهبطت حواء بجدة، وهبطت الحية بأصفهان.

وفي مهبط إبليس قولان.

أحدهما بالأبلة.

والثاني: بالمدار.

وقيل أسكنهما الجنة لثلاث ساعات خلت من يوم الجمعة، وأخرجهما لتسع ساعات خلت من ذلك اليوم.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أما المستقر ففيه وجهان:

أحدهما: أنه فعل الاستقرار.

والثاني: أنه موضع الاستقرار، قاله أبو صالح.

وأما المتاع فهو المنتفع به من عروض الدنيا التي يستمتع بها.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى انقضاء الدنيا، والحين وقت مجهول القدر ينطلق على طويل الزمان وقصيره وإن كان موضوعاً في الأغلب للتكثير.

(٢٣٠) وهذا القول لا دليل عليه كما قال ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٦ ولفظه «وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ولا في السياق ما يدل عليه م هـ والصواب أن الخطاب لآدم وحواء وإبليس.

قال الشاعر(٢٣١).

وما مزاحك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لا حين

أي وقت لا وقت.

﴿يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة.

وفي دخول الشبهة عليهم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عنها.

والثاني: تفاؤلاً بالتعري من الذنوب فقال الله تعالى:

﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ أي ما تلبسون من الثياب.

فإن قيل: فليس ذلك بمنزل من السماء.

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه لما كان ينبت من المطر الذي ينزل من السماء صار كالمنزل من السماء، قاله الحسن.

والثاني: أن هذا من بركات الله، والبركة تنسب إلى أنها تنزل من السماء، كما قال تعالى. ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].

ثم قال: ﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ أي يستر عوراتكم، وسميت العورة سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها.

ثم قال: ﴿وَرِيشاً﴾ وهذه قراءة أهل الأمصار وكان الحسن يقرأ: ﴿وَرِيَاشاً﴾(٢٣٢) وفيه أربعة تأويلات:

---

(٢٣١) والبيت لجرير الشاعر ديوانه: ٥٨٦ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢) والخزانة ٢/ ٩٤ والطبراني (١٢/ ٣٥٩) والبيت فيه:

وما مراحُكَ بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لا حينِ

(٢٣٢) وهي قراءة ابن عباس وزر بن حبيش وقتادة والمفضل وأبان عن عاصم راجع زاد المسير (٣/ ١٨١).

أحدهما: أنه المعاش، قاله معبد الجهني.

والثاني: أنه اللباس والعيش والنعيم، قاله ابن عباس.

والثالث: أنه الجمال والزينة، قاله ابن زيد. ومنه قوله رؤبة:

إلـيـك أشكـو شـدة الـمـعـيش وجـهـد أعـوام نـتـفـن ريـشـي

يريد أذهبن جمالي وزينتي.

والرابع: أنه المال، قاله ابن الزبير ومجاهد، قال الشاعر(٢٣٣):

فـريشي مـنكـم وهــواي مـعـكـم وإن كـانـت زيـارتكـم لـمـامـا

وفي الريش والرياش وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد(٢٣٤) وإن اختلف لفظهما.

والوجه الثاني: أن معناهما مختلف، فالريش ما بطن، والرياش ما ظهر.

ثم قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وفي لباس التقوى سبعة تأويلات(٢٣٥):

أحدهـا: أنه الإيمـان، قاله قتادة والسدي.

الثاني: الحياة(٢٣٦)، قاله معبد الجهني.

والثالث: أنه العمل الصالح، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه السمت الحسن، قاله عثمان بن عفان.

والخامس: خشية الله، قاله عروة بـن الزبير.

السادس: ستر العورة للصلاة التي هي التقوىٰ، قاله ابن زيد.

والسابع: لبس ما يُتَّقَىٰ به الحر والبرد(٢٣٧)، قاله ابن بحر.

---

(٢٣٣) والشاعر هو جرير والبيت في ديوانه ٥٠٦ وفي كتاب سيبويه ٢/ ٤٥ ونسبه للراعي.

(٢٣٤) وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٨٢) عن الأكثرين من المفسرين.

(٢٣٥) وجمع فيها ابن الجوزي عشرة أقوال (٣/ ١٨٢، ١٨٣).

(٢٣٦) كذا هنا والصواب الحياء والتصويب من زاد المسير (٣/ ١٨٣) وزاد نسبة القول لابن الأنباري والطبري.

(٢٣٧) ولا تنافي بين هذه الأقوال فهي مندرجة تحت تقوى الله ولهذا قال ابن جرير رحمه الله (١٢/ ٣٧١) وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله ﴿ولباس التقوى﴾ استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه عن معاصيه والعلم بما أمر به من طاعته وذلك بجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن فإن من اتقى الله كان به مؤمناً وبما أمره به عاملاً ومنه خائفاً وله مراقباً ومن أن يُرَى عنه ما يكرهه من عباده مستجيباً ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهديه ورُئيت عليه بهجة الإيمان ونوره أ هـ.

وفي قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى لباس التقوىٰ ومعنىٰ الكلام أن لباس التقوىٰ خير من الرياش واللباس، قاله قتادة والسدي.

والثاني: أنه راجع إلى جميع ما تقدم من ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوىٰ﴾، ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرته هو ﴿خَيْرٌ﴾ كله.

﴿يَا بَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهذا خطاب توجه إلى من كان من العرب يطوف بالبيت عرياناً، فقيل لهم لا يفتننكم الشيطان بغروره كما فتن أبويكم من قبل حتىٰ أخرجهما من الجنة، ليكون إشعارهم بذلك أبلغ في الزجر من مجرد النهي.

﴿ينزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدهـا: أن لبـاسهما كـان أظفاراً تستـر البدن فنـزعت عنهما وتـركت زينة وتبصرة، قاله ابن عباس.

الثاني: أن لباسهما كان نوراً، قاله وهب بن منبه.

والثالث: أنه نزع عنهما لباسهما من تقوىٰ الله وطاعته، قاله مجاهد.

﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أجسادهما من العورة حين خرجا من لباسهما، وهو مقتضىٰ قول ابن عباس.

والثاني: سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوىٰ الله وطاعته، وهو معنىٰ قول مجاهد.

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنَ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قومه، وهو قول الجمهور.

والثاني : جيلُهُ[٢٣٨] ، قاله السدي .

﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : من حيث لا تبصرون أجسادهم .

والثاني : من حيث لا تعلمون مكرهم وفتنتهم .

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠)﴾

قوله وعز وجل : ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ في هذه الآية ثلاثة أقاويل :

أحدهـا : أنهـا وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة ، والفاحشة التي فعلوها كشف العورة ، وهذا قول أكثر المفسرين .

والثاني أنها في عبدة الأوثان ، والفاحشة التي فعلوها الشرك ، قاله الحسن .

والثالث أنها اتخاذ البَحِيْرَةِ والسائبة والوصيلة والحام ، قاله الكلبي .

قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالصدق .

والثاني : بالعدل .

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدهـا : معناه توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ، قاله مجـاهد .

والثاني : معناه اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالـى دون ما سواه من الأوثان والأصنام ، قاله الربيع بن أنس .

---

(٢٣٨) أي صنفه وجنسه .

والثالث: معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ندباً عند الأكثرين، وحتماً عند الأقلين.

والرابع: أن أي موضع أدركت فيه وقت الصلاة فصل فيه فإنه مسجد ولا تؤخرها إلى حضور المسجد.

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أقروا له بالوحدانية وإخلاص الطاعة.

والثاني: ارغبوا إليه في الدعاء بعد إخلاصكم له الدين.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: كما بدأكم شقياً وسعيداً، كذلك تبعثون يوم القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم، كذلك تبعثون يوم القيامة، روى أبو سفيان عن جابر (٢٣٩) عن النبي ﷺ قال: «تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ».

والثالث: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون بعد الفناء أحياء، قاله الحسن، وابن زيد.

والرابع: كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تبعثون يوم القيامة.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن (٢٤٠) النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً وَأَوَّلُ مَنْ يُكسَىٰ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ»، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف على ما تقدم ذكره، قاله ابن

(٢٣٩) رواه الطبري (١٢/ ٣٨٤) واللفظ له ورواه مسلم (١٧/ ٢١٠ نووي) وابن ماجة (٤١٤١) و(٤٢٣٠) ولفظه يحشر الناس على نياتهم.

(٢٤٠) رواه الطبري (١٢/ ٣٨٦) واللفظ له والبخاري (٨/ ٣٣٢)، (١١/ ٣٣١) ومسلم (١٧/ ١٩٣، ١٩٤ نووي وأحمد برقم (١٩٥٠، ٢٠٢٧)، والنسائي (٤/ ١١٧). وسيأتي هذا الحديث مرة أخرى.

عباس، والحسن، وعطاء، وقتادة، وسعيد بن جبير، وإبراهيم.

والثاني: أنه وارد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج.

والثالث: أنه وارد في التزين بأجمل اللباس في الجمع والأعياد.

والرابع: أنه أراد به المشط لتسريح اللحية.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ يعني ما أحله الله لكم.

ويحتمل أن يكون هذا أمر بالتوسع في الأعياد.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدهـا: لا تسرفوا في التحريم، قاله السدي.

والثاني: معناه لا تأكلوا حراماً فإنه إسراف، قاله ابن زيد.

والثالث: لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر، وقد جاء في الحديث: «أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البردة»(٢٤١)، يعني التخمة.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: لا تسرفوا في الإنفاق.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يحب أفعالهم في السرف.

والثاني: لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ يعني ستر العورة رداً على تركها من العرب في الطواف.

ويحتمل ثانياً: أن يريد زينتها في اللباس.

ثم قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يحرمون في الإحرام(٢٤٢) أكل السمن واللبن، قاله ابن زيد، والسدي.

---

(٢٤١) رواه ابن السني وأبو نعيم عن أنس مرفوعاً ورويناه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري مثله كما في الدر المنثور (٣/ ٤٤٥) والله أعلم بحال سنديهما.

(٢٤٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٢٠٠)، وما أحسن ما قال ابن جرير الطبري ولقد أخطأ من آثر لباس

والثاني: أنها البَحِيْرَةُ والسائبة التي حرموها على أنفسهم، قاله الحسن، وقتادة.

وفي طيبات الرزق قولان:

أحدهما: أنه المستلذ.

والثاني: أنه الحلال.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ يعني أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا لهم الطيبات من الرزق يوم القيامة لأنهم في القيامة يختصون بها وفي الدنيا قد يشركهم الكفار فيها.

وفي قوله: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ وجهان:

أحدهما: خالصة لهم من دون الكفار.

والثاني: خالصة من مضرة أو مأثم.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الفواحش: الزنىٰ خاصة، وما ظهر منها: المناكح الفاسدة، وما بطن: الزنىٰ الصريح.

والثاني: أن الفواحش: جميع المعاصي، وما ظهر منها: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب.

﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الإثم الخيانة في الأمور، والبغي: التعدي في النفوس.

الشعر والصوف على لباس القطن والكتان مع وجود السبيل إليه من حله ومن آكل البقول العدس واختاره على خبز البر ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض الشهوة أ هـ.

والثاني: الإثم[٢٤٣]: الخمر، والبغي: السكر، قال الشاعر:[٢٤٤].

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

وسمي الخمر بالإثم، والسكر بالبغي لحدوثه عنهما.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ولكل أمة كتاب فيما قضاه الله عليهم من سعادة أو شقاوة، من عذاب أو رحمة، قاله جويبر.

الثاني: ولكل نبي يدعوهم إلى طاعته وينهاهم عن معصيته، قاله معاذ بن جبل.

والثالث: لكل أمة أجل فيما قدره الله من حياة، وقضاه عليهم من وفاة.

ويحتمل رابعاً: ولكل أمة مدة يبقون فيها على دينهم أن يحدثوا فيه الاختلاف.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أجل موتهم.

الثاني: أجل عذابهم، قاله جويبر.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص.

والثاني: لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر.

---

(٢٤٣) قال الشوكاني رحمه الله (٢/ ٢٠١) وقد أنكر جماعة من أهل العلم على من جعل الإثم خاصاً بالخمر قال النحاس فأما أن يكون الإثم بالخمر فلا يعرف ذلك وحقيقته أنه جميع المعاصي م هـ راجع زاد المسير (٣/ ١٩١) وروح المعاني (٨/ ١١٢).

(٢٤٤) زاد المسير (٣/ ١٩٢) وفتح القدير (٢/ ٢٠١) وروح المعاني (١١٢/٨).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . أُوْلَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هو عذاب الله الذي أعده لمن أشرك، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: ما سبق لهم من الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس.

والثالث: نصيب من كتابهم الذي كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر، قاله قتادة.

والرابع: نصيبهم مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل، قاله الربيع بن أنس، وابن زيد.

والخامس: نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر، قاله الضحاك.

﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ في توفي الرسل لهم هنا قولان:

أحدهما: أنها وفاة الموت في الدنيا التي توبخهم عندها الملائكة.

والثاني: أنها وفاة الحشر إلى النار يوم القيامة، قاله الحسن.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً﴾ يعني في النار أدرك بعضهم(٢٤٥) بعضاً حتى استكملوا فيها.

(٢٤٥) أي اجتمع فيها الأولون والآخرون من الكافرين من أهل الملل يقال أدركوا وتداركوا أي اجتمعوا مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٤).

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ يعني الأتباع للقادة لأنهم بالاتباع لهم متأخرون عنهم، وكذلك في دخول النار تقدم القادة على الأتباع.

﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ﴾ يريد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر، وبالآخر عذابهم على الإغواء.

ويحتمل هذا القول من الأتباع وجهين:

أحدهما: تخفيف العذاب عنهم.

والثاني: الانتقام من القادة بمضاعفة العذاب عليهم.

فأجابهم الله قال: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب، لأن أحدهما بالكفر، والآخر بالإغواء، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب، وهذا قول الجمهور، وإن ضعف الشيء زيادة مثله.

وفيه وجه ثان: قاله مجاهد: أن الضعف من أسماء العذاب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أي لا تفتح لأرواحهم[٢٤٦] لأنها لا تفتح لروح الكافر وتفتح لروح المؤمن، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: لا تفتح لدعائهم، قاله الحسن.

والثالث: لا تفتح لأعمالهم، قاله مجاهد، وإبراهيم.

والرابع: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء، وهذا قول بعض المتأخرين.

والخامس: لا تفتح لهم أبواب السماء لنزول الرحمة عليهم، قاله ابن بحر.

---

(٢٤٦) ويتأيد هذا القول بما ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل الذي يشرح فيه قبض روح الكافر والمؤمن وهو حديث صحيح جمع طرقه وزوائده العلامة الألباني في أحكام الجنائز ص.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: سم الخياط: ثقب الإبرة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والسدي.

والثاني: أن سم الخياط هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد أي ثقبه.

وفي ﴿ٱلْجَمَلِ﴾ قراءتان:

إحداهما: وعليها الجمهور، الجَمَل بفتح الجيم وتخفيف الميم وهو ذو القوائم الأربع.

والثانية الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم وهو القلس(٢٤٧) الغليظ، وهذه قراءة سعيد بن جبير(٢٤٨)، وإحدى قراءتي ابن عباس، وكان ابن عباس يتأول أنه حبل السفينة.

ومعنى الكلام أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبداً، وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفي، والعرب تضرب هذا للمبالغة، قال الشاعر:(٢٤٩).

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وعاد القادر كاللبن الحليب

قوله عز وجل: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ قال الحسن: فراش من نار، والمهاد: الوِطَاء، ومنه أخذ مهد الصبي.

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها اللحف.

والثاني: اللباس.

والثالث: الظلل، قاله الحسن.

---

(٢٤٧) هو الحبل الغليظ من حبال السفن وسيأتي تفسيره فيما بعد.

(٢٤٨) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٣/ ١٩٧) «وهي قراءة أبي رزين ومجاهد وابن محيص وأبي مجلز وابن يعمر وإبان عن عاصم وروى مجاهد عن ابن عباس» حتى يلج الجُمَلُ بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها فقال هي قراءة قتادة وقد رويت عن سعيد بن جبير وأنه قرأ حتى يلج الجُمْل بضم الجيم وتسكين الميم وهي قراءة عكرمة أيضاً م هـ.

(٢٤٩) في شطر البيت الثاني خطأ هنا لعله من الناسخ وصوابه:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وعاد القار كاللبن الحليب

والمراد بذلك أن النار من فوقهم ومن تحتهم، فعبر عما تحتهم بالمهاد، وعما فوقهم بالغواش(٢٥٠).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ . . .﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: الأهواء والبدع، قاله سهل بن عبدالله.

والثاني: التباغض والتحاسد.

والثالث: الحقد.

والرابع: نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم.

وفي نزعه وجهان:

أحدهما: أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه.

والثاني: أن ما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزعه من صدورهم.

وفي هذا الغل قولان:

أحدهما: أنه غل الجاهلية، قاله الحسن.

والثاني أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان، وقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه(٢٥١) قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

---

(٢٥٠) قال العلامة الآلوسي (٨/ ١١٩) «ولا يخفى على المتأمل في لطائف القرآن العظيم ما في إعداد المهاد والغواش لهؤلاء المستكبرين عن الآيات ومنعهم من العروج إلى الملكوت وتقيد عدم دخولهم الجنة بدخول البعير بخرق الإبرة من اللطافة فتأمل أ هـ.

(٢٥١) رواه ابن جرير (١٢/ ٤٣٨).

وقيل: إنها نزلت في أهل بدر.

ويحتمل قوله: ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ وجهين:

أحدهما: هدانا لنزع الغل من صدورنا.

والثاني: هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا.

وفيه وجه ثالث: قال جويبر: هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أما الأعراف فسور بين الجنة والنار، قاله مجاهد، والسدي، وهو جَمْعٌ وَاحِدُهُ عُرْف وهو ما ارتفع عن غيره، ومنه عرف الديك وعرف الفرس، قال الراجز.

كل كتاب لجمعه موافي كالعلم الموفي على الأعراف[٢٥٢].

وفي الذين على الأعراف خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم فضلاء المؤمنين وعلماؤهم، قاله الحسن، ومجاهد، قال أمية بن أبي الصلت:

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنة حفها الرمان والخضر

(٢٥٢) كذا قال وهو خطأ والصواب.

كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفي على الأعراف

والتصويب من الطبري (٢/ ٤٥٠) وغيره والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٥) واللسان (نوف) وغريب القرآن: ١٦٨ وزاد المسير (٣/ ٢٠٥).

وهذا وإن كان شعراً جاهلياً وحال الأعراف منقول عن خبر يروى فيحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية.

والثاني: أن يكون الله قد أنطق به أمية إلهاماً لتصديق ما جاء به القرآن.

والثاني: أنهم ملائكة يُرَون في صور الرجال، قاله أبو مجلز (٢٥٣).

والثالث: أنهم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس، قاله حذيفة.

والرابع: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضي الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة، قاله ابن مسعود.

والخامس: أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم قيل إنهم غزوا بغير إذنهم، وقد روىٰ محمد بن عبدالرحمن عن أبيه (٢٥٤) قال:

سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «**هُمْ قَومٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيةِ آبَائِهِمْ، فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ النَّارِ ومنعهم مَعْصِيَةُ آبَائِهِم أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ**».

ومعنى قوله: ﴿**يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾ يعني يعرفون أهل النار وأهل الجنة بعلامتهم التي يتميزون بها، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم، قال الحسن البصري: علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون.

فإن قيل في أصحاب الأعراف: إنهم فضلاء المؤمنين كان ذلك زيادة في ثوابهم ومبالغة في كرامتهم لأنهم يرون منازلهم في الجنة فيستمتعون بها، ويرون عذاب النار فيفرحون بالخلاص منها.

---

(٢٥٣) قال الطبري معقباً على هذا القول (١٢/ ٤٦١) «قول لا معنى له».

(٢٥٤) رواه الطبري (١٢/ ٤٥٨) من حديث عبد الرحمن المزني.

وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٤) نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في البعث والخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن الأنباري في الأضداد وأحمد بن منيع والحارث بن أبي أسامة وسعيد بن منصور.

وفي سند الحديث أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني وهو ضعيف راجع التعليق على الخبر في الطبري (١٢/ ٤٥٨).

وإن قيل: إنهم المفضلون وأصحاب الصغائر من المؤمنين كان ذلك لنقص ثوابهم عن استحقاق الدخول للجنة.

وإن قيل: إنهم الملائكة، احتمل أمرهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يؤمروا بذلك حمداً لأهل الجنة وذماً لأهل النار وزيادة في الثواب والعقاب.

والثاني: أن يكونوا حفظة الأعمال في الدنيا الشاهدين بها عند الله في الآخرة أمروا بذلك، ما أدوه من الشهاد تبشيراً لأهل الجنة وتوبيخاً لأهل النار.

والثالث: أن يكونوا خزنه الجنة والنار، فإن من الملائكة من أفرد لخزنة الجنة، ومنهم من أفرد لخزنة النار، ويكون هؤلاء قد جمع لهم بين الأمرين، والله أعلم بغيب ذلك.

وحكى ابن الأنباري أن قوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ معناه على معرفة أهل الجنة والنار رجال، وأن قوله: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوفٌ عَلَيكُم﴾ الآية. من قول أصحاب الأعراف، وهو مخالف لقول جميع المفسرين.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

وفي قوله: ﴿وَنَادَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى ينادي، لأنه في المستقبل.

والثاني: أنه على الحذفِ وتقديره: إذا كان يوم القيامة نادى أصحاب الأعراف.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ماء الرحمة ومما رزقكم الله من القربة.

والثاني: من ماء الحياة ومما رزقكم الله من النعم.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن.

﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بيَّنَّا ما فيه من الحلال والحرام على علم بالمصلحة.

والثاني: ميزنا به الهدىٰ من الضلالة على علم بالثواب والعقاب.

﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الهدىٰ البرهان.

والثاني: أن الهدىٰ الإرشاد، والرحمة: اللطف.

قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي هل ينظرون، فعبر عن الانتظار بالنظر، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي تأويل القرآن، وفيه وجهان:

أحدهما: عاقبته من الجزاء، قاله الحسن.

والثاني: ما فيه من البعث والنشور والحساب.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القضاء به، قاله الحسن.

الثاني: عاقبة ما وعدهم الله به في الدنيا والآخرة، قال الكلبي.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معنى نسوه أعرضوا عنه فصار كالمنسي، قاله أبو مجلز.

والثاني: تركوا العمل به، قاله الزجاج.

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنبياء الله في الدنيا بكتبه المنذرة.

والثاني: الملائكة عند المعاينة بما بشروهم به من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة أوجه:

أحدها: أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته.

والثاني: أن ذلك لاعتبار الملائكة، خلق شيئاً بعد شيء.

والثالث: أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها، قاله مجاهد.

والرابع: ليعلمنا بذلك: الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه استوىٰ أمره على العرش، قاله الحسن.

والثاني استولى على العرش(٢٥٥)، كما قال الشاعر:

قَـد اسْتَوَى بِشْـرٌ على العِـرَاقِ ... مِـن غَيْـرِ سَيْفٍ ودم مُـهْـرَاقِ

(٢٥٥) قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذه مكاناً لذاته وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر». ومذهب السلف الصالح أن الله تعالى استوى على العرش استواءً يليق بكمـاله وجماله من غير كيف ولا مماسة ولا استقرار.

وفي ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة، حكاه ابن بحر.

والثاني: أنه السموات كلها لأنها سقف[٢٥٦]، وكل سقف عند العرب هو عرش، قال الله تعالى: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢] [الحج: ٤٥] أي على سقوفها.

والثالث: أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها، محجوب عن ملائكة السماء.

﴿يُغْشِي ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي يغشي ظلمة الليل ضوء النهار.

﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ لأن سرعة تعاقب الليل والنهار تجعل كل واحد منهما كالطالب لصاحبه.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مذللات بقدرته.

والثاني: جاريات بحكمه.

﴿ أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مالك الخلق وتدبيرهم.

والثاني: إليه إعادتهم وعليه مجازاتهم.

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى
ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الرغبة والرهبة، قاله ابن عباس.

---

(٢٥٦) والصواب أن العرش هو مخلوق عظيم من مخلوقات الرب تبارك وتعالى ويطلق على سرير الملك وقد وردت فيه أحاديث كثيرة راجعها في الرسالة العريشية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

والثاني: التضرع: التذلل والخضوع، والخفية: إخلاص القلب.

ويحتمل أن التضرع بالبدن، والخفية إخلاص القلب.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يعني في الدعاء، والاعتداء فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز.

والثاني: أنه يدعو باللعنة والهلاك على من لا يستحق، قاله مقاتل.

والثالث: أن يرفع صوته بالدعاء(٢٥٧)، روىٰ أبو عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال(٢٥٨): كنا مع النبي ﷺ في غزاة فأشرفوا واد، فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم، فقال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُم إِنَّكُم لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً إِنَّكُم تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ».

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان.

والثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة، قاله الكلبي.

والرابع: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه، قاله الحسن.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

والثاني: خوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة.

﴿إِنَّ رَحْمَةَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فإن قيل: فلم أسقط الهاء من قريب والرحمة مؤنثة؟

فعن ذلك جوابان(٢٥٩):

أحدهما: أن الرحمة من الله إنعام منه فَذُكِّرَ على المعنىٰ، وهو أن إنعام الله قريب من المحسنين، قاله الأخفش.

---

(٢٥٧) ولا شك في دخول هذه الأقوال الثلاثة في الاعتداء في الدعاء قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٢٩٨ فتح) «والاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة أو يطلب ما يستحيل حصوله شرعاً أو يطلب معصية أو يدعو بما يؤثر خصوصاً وما وردت كراهته كالسجع المتكلف وترك المأمور».

(٢٥٨) رواه الطبري (١٢/ ٤٨٦) واللفظ له والبخاري (٦/ ٩٤) ومسلم (٤/ ٢٠٧٦).

(٢٥٩) وقد جمع العلامة ابن القيم مسالك الناس في توجيه ذلك والإجابة عليها مسلكاً مسلكاً في كتابه بدائع الفوائد.

والثاني: أن المراد به مكان الرحمة، قاله الفراء، كما قال عروة بن حزام(٢٦٠):

عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءَ مِنكِ قَرِيبَةٌ ... فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ مِنْكِ بَعِيدُ

فأراد بالبعد مكانها فأسقط الهاء، وأرادها هي بالقريبة فأثبت الهاء.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني طيب التربة.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ يعني يخرج نباته حسناً جيداً.

﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن النكد القليل الذي لا ينتفع به، قاله السدي.

والثاني: أنه العسر بشدته المانع من خيره، قال الشاعر: (٢٦١).

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً ... لَا خَيْرَ فِي الْمَنْكُودِ وَالنَّاكِدِ

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فجعل المؤمن كالأرض الطيبة والكافر كالأرض الخبيثة السبخة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

---

(٢٦٠) ديوانه: الطبري (١٢/ ٤٨٨) ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٨١) وسمط اللآلي (١/ ٤٠١) وتزيين الأسواق (١/ ٨٤). والبيت في الديوان:

عشية لا عفراء منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب

(٢٦١) اللسان (نكد) والطبري (١٢/ ٤٩٥).

﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ فيها قولان:

أحدهما: القوة، قاله ابن زيد.

والثاني: بسط البدن وطول الجسد، قيل: إنه كان أقصرهم طولاً اثني عشر ذراعاً.

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ معناه نعم الله، وقال الشاعر: (٢٦٢).

أَبْيَضُ لاَ يَرْهَبُ الهـزَالَ وَلاَ ... يَقْطَعُ رَحِماً وَلاَ يَخُونُ إِلَىٰ

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا
تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا

(٢٦٢) البيت لأعشى قيس ديوانه ٢٣٥ ومجاز القرآن (١/ ٢١٨) واللسان (ألا).

نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا
كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ في الرجس ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه العذاب، قاله زيد بن أسلم.

والثاني: السخط، قاله ابن عباس.

والثالث: أن الرجس والرجز بمعنى واحد إلا أن الزاي قلبت سيناً كما قلبت السين تاء في قول الشاعر: (٢٦٣).

أَلَا لَحَى اللَّهُ بَنِي السَّعْلَاةِ　　عَمْرِو بنِ يَرْبُوعَ لِئَامَ النَّاتِ
لَيْسُوا بِأَعْفَافٍ وَلَا أَكْيَاتِ

يريد الناس، وأكياس.

قوله عز وجل: ﴿. . . فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني الأصنام، وفي مراده بتسميتهم وجهان:

أحدهما: في تسميتها آلهة يعبدونها.

والثاني: أنه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر، والآخر أنه يأتيهم بالرزق، والآخر أنه يشفي المريض، والآخر يصحبهم في السفر.

وقيل: إنه ما أمرهم هود إلا بتوحيد الله والكف عن ظلم الناس فأبوا وقالوا: من أشد منا قوة، فأهلكوا.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ

(٢٦٣) نوادر أبي زيد ١٠٤، ١٤٧والديوان(١/ ١٨٧) (٦/ ١٦١).

إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا
قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ
بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ في الآية هنا وجهان:

أحدهما: أن الآية الفرض كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ﴾ [النور: ١] أي فرضاً، ويكون معنى الكلام هذه ناقة الله عليكم فيها فرض أن تـذروها ﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي لا تعقروها.

والثاني: أنها العلامة الدالة على قدرته.

والآية فيها آيتان:

إحداهما: أنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها.

والثانية: أنه كان لها شرب يوم، ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم، حكي ذلك عن أبي الطفيل والسدي وابن إسحاق.

قوله عز وجل: ﴿. . . وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنزلكم في الأرض وهي أرض الحجر بين الشام والمدينة.

والثاني: فيها من منازل تأوون إليها، ومنه قولهم: بوأته منزلاً، إذا أمكنته منه ليأوي إليه، قال الشاعر(٢٦٤):

وَبُـوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَـرِهَـا فَتَمَّ فِي قَـوْمِـهَـا مُبَـوَّؤُهَـا

(٢٦٤) هو إبراهيم بن هَرَمَة كما في مجاز القرآن (١/ ٢١٨) وشواهد المغني (٢٨٠) واللسان (بوأ).

أي مكنت من الكرم في صميم النسب.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ والقصور ما شيد وعلا من المنازل اتخذوها في سهول الأرض ليصيِّفوا فيها.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ لتكون مساكنهم في الشتاء لأنها أحصن وأبقى وأدفأ فكانوا طوال الآمال طوال الأعمار.

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالآءَ ٱللَّهِ﴾ فيه ما قدمنا، أي نعمه أو عهوده.

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تعملوا فيها بالمعاصي.

والثاني: لا تدعوا إلى عبادة غير الله.

وفي العبث وجهان:

أحدهما: أنه السعي في الباطل.

والثاني: أنه الفعل المؤدي لضير فاعله.

قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها حركة الأرض تضطرب من تحتهم.

والثاني: أنها الصيحة، قاله مجاهد، والسدي.

والثالث: أنها زلزلة أهلكوا بها، قاله ابن عباس.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِم جَاثِمِينَ﴾ قال محمد بن مروان السدي: كل ما في القرآن من ﴿دَارِهِمْ﴾ فالمراد به مدينتهم، وكل ما فيه من ﴿دِيَارِهِم﴾ فالمراد به مساكنهم، وفي الجاثم قولان:

أحدهما: أنه البارك على ركبتيه[٢٦٥] لأنهم أصبحوا موتىٰ على هذه الحال.

والثاني: معناه أنهم أصبحوا كالرماد الجاثم لأن الصاعقة أحرقتهم.

وقيل: إنه كان بعد العصر.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي خرج من بين أظهرهم، وقيل إن صالحاً خرج عنهم إلى رملة فلسطين بمن آمن معه من قومه وهم مائة وعشرة، وقيل إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها.

---

(٢٦٥) ومنه قول جرير في ديوانه: ٥٠٧.

عرفت المنتأى وعرفت منها ... مطايا القِدر كالحِدَإ الجثوم

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (٢٦٦) فيه وجهان:

أحدهما: من إتيان الأدبار.

والثاني: يتطهرون بإتيان النساء في الأطهار، قال الشاعر:

قَـوْمٌ إِذَا حَارَبُـوا سَدُّوا مَـآزِرَهُم ... دُونَ النِّسَـاءِ وَلَو بَـانَتْ بِـأَطْهَـارِ

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدها: فخلصناه.

والثاني: على نجوة من الأرض، وقيل: إن أهله ابنتاه واسمهما زينا ورميا.

﴿مِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من الباقين في الهلكى، والغابر الباقي، ومنه قول الراجز(٢٦٧):

فَمَـا وَنَى مُحَمَّـدٌ مُـذْ أَنْ غَفَـر ... لَـهُ الإِلَـٰهُ مَـا مَضَى وَمَـا غَبَـر

---

(٢٦٦) قال العلامة الآلوسي في روح المعانى (٨/ ١٧١) «ومقصود الأشقياء بهذا الوصف السخرية بلوط ومن معه وبتطهرهم من الفواحش وتباعدهم عنها وتنزههم عما في المحاش والافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أخرجوا عنا هذا المتقشف أريحونا من هذا المتزهد أ هـ قلت وما أكثر الشطار في زماننا الذين ينابزون أهل السنة العداء ويصبون عليهم السباب والشتائم.

(٢٦٧) هو رؤبة بن العجاج والبيت من أرجوزة في ديوانه ص ٤، ٢٨.

والثاني: من الغابرين في النجاة، من قولهم: قد غبر عنا فلان زماناً إذا غاب، قال الشاعر: (٢٦٨)

أَفَبَعْدَنَا أو بَعْدَهُمْ يُرْجَى لِغَابِرِنَا الْفَلاَحُ

والثالث: من الغابرين في الغم، لأنها لقيت هلاك قومها، قاله أبو عبيدة.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ الصراط: الطريق، قال الشاعر: (٢٦٩).

شَحَنَّا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى تَرَكْنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصِّرَاطِ

وفي المراد به ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يؤذون من قصده للإيمان به ويخوفونه بالقتل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أنه نهاهم عن قطع الطريق، قاله أبو هريرة.

والثالث: أنهم العشارون نهاهم عن تعشير أموال الناس.

(٢٦٨) هو طرفة بن العبد.

(٢٦٩) هو عامر بن الطفيل وقد تقدم تخريج البيت.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: تصدون المؤمنين عن طاعة الله وعبادته.

والثاني: تصدون من أراد الإيمان بإغوائه ومخادعته.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ قال قتادة: يعني تبغون السبيل عوجاً عن الحق.

والفرق بين العوج بالكسر وبالفتح أن العوج بكسر العين ما كان في الدين، ولا يُرَىٰ، والعوج بفتح العين ما كان في العـود، وما يرى.

﴿وَٱذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ حكى الزجاج فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كثر عددكم بعد القلة قال ابن عباس: وذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج زينا بنت لوط وولد آل مدين منها.

والثاني: كثركم بالغنى بعد الفقر.

والثالث: كثركم بالقوة بعد الضعف.

وذكر بعض المفسرين وجهاً رابعاً: أنه كثرهم بطول الأعمار بعد قصرها من قبل.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾والفرق بين الملة والدين أن الملة ما شرعه الله، والدين ما اعتقده الناس تقرباً إلى الله، فصار كل دين ملة وليس كل ملة ديناً.

فإن قيل: فالعود إلى الشيء الرجوع إليه بعد الخروج منه فهل كان شعيب على ملة قومه من الكفر حتى يقول: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾.

في الجواب عنه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن هذه حكاية عمن اتبع شعيباً من قومه الذين كانوا قبل اتباعه على ملة الكفر.

الثاني: أنه قال ذلك على التوهم أنه لو كان عليها لم يعد إليها.

والثالث: أنه يطلق ذكر العَود على المبتدىء بالفعل وإن لم يسبق منه فعل مثله سن قولهم: قد عاد عليّ من فلان مكروه وإن لم يسبقه بمثله كقول الشاعر:

لَئِنْ كَانَت الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ
أَتَى دُونَ حُلْوِ الْعَيْشِ شَيْءٌ أُمِرُّهُ كُرُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ كُرُوبُ

ثم قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن نعود في القرية إلّا أن يشاء الله، قاله بعض المتكلمين.

والثاني: وهو قول الجمهور أن نعود في ملة الكفر وعبادة الأوثان.

فإن قيل فالله تعالى لا يشاء عبادة الأوثان فما وجه هذا القول من شعيب؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قد كان في ملتهم ما يجوز التعبد به.

والثاني: أنه لو شاء عبادة الوثن لكانت عبادته طاعة لأنه شاءه كتعبده بتعظيم الحجر الأسود.

والثالث: أن هذا القول من شعيب على التعبيد والامتناع كقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ ٱلجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وكقولهم: حتى يشيب الغراب.

ثم قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَومِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اكشف بيننا وبين قومنا، قاله قتادة.

والثاني: احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين. وذكر الفراء، أن أهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح. وقال غيره: إنه لغة مراد، قال الشاعر(٢٧٠).

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي عُصَمَ رَسُولاً بِأَنِّي عَنْ فَتَّاحِكُمْ غَنِي

---

(٢٧٠) تقدم تخريج هذا البيت ونزيد هنا أن من اصلاح المنطق ١١٢ والطبري (٥٦٤/١٢) والقرطبي (٩٤/١٣) واللسان (فتح) والشطر الثاني من البيت.

بأني عن فتاحتكم غني.

وقد قال ابن عباس: كنت لا أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾ حتى سمعت بنت ذي يزن تقول: تعالَيْ أفاتحك، يعني أقاضيك. وقيل: إنه سمي بذلك لأنه يفتح باب العلم الذي قد انغلق على غيره.

فإن قيل: فما معنى قوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ومعلوم أن الله لا يحكم إلا بالحق؟.

ففي الجواب عنه أربعة أوجه:

أحدها: أنه قال ذلك صفة لحكمه لا طلباً له.

والثاني: أنه سأل الله أن يكشف لمخالفه من قومه أنه على حق.

الثالث: أن معناه احكم بيننا الذي هو الحق، قاله ابن بحر.

الرابع: احكم في الدنيا بنصر الحق، قاله السدي.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنَ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: كأن لم يقيموا فيها، قاله ابن قتيبة.

والثاني: كأن لم يعيشوا فيها، قاله الأخفش.

والثالث: كأن لم ينعموا فيها، قاله قتادة (٢٧١).

والرابع: كأن لم يعمروا فيها، قاله ابن عباس.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالكفر.

والثاني: بالهلاك، قاله ابن عباس.

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ
ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا

(٢٧١) والذي في الطبري (١٢ / ٥٧٠) كأن لم يعيشوا كأن لم ينعموا، وفي الدار (٣ / ٥٠٢) زاد نسبته لعبد بن حميد. واقتصر على الجملة الأولى فقط.

﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن البأساء: القحط. والضراء: الأمراض والشدائد. قاله الحسن.

والثاني: أن البأساء الجوع. والضراء: الفقر، قاله ابن عباس.

والثالث: أن البأساء: البلاء، والضراء الزمانة.

والرابع: أن البأساء: ما نالهم من الشدة في أنفسهم. والضراء: ما نالهم في أموالهم، حكاه علي بن عيسى.

ويحتمل قولاً خامساً: أن البأساء الحروب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتوبون.

الثاني: يدعون، قاله ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مكان الشدة الرخاء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد.

والثاني: مكان الخير والشر.

﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: حتى كثروا، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، قال لبيد(٢٧٢):

وَأُنَاسٌ بَعْدَ قَتْلٍ قَدْ عَفَوْا ... وَكَثِيرٌ زَالَ عَنْهُمْ فَانْتَقَلْ

والثاني: حتى أعرضوا، قاله ابن بحر.

والثالث: حتى سُرّوا، قاله قتادة.

والرابع: حتى سمنوا، قاله الحسن، ومنه قول بشر بن أبي حازم:

فَلَمَّا أَنْ عَفَا وَأَصَابَ مَالاً ... تَسَمَّنَ مُعْرِضاً فِيهِ ازْوِرَارُ

(٢٧٢) ديوان لبيد ص ١٥.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّآءُ﴾ أي الشدة والرخاء يعنون ليس البأساء والضراء عقوبة على تكذيبك وإنما هي عادة الله في خلقه أن بعد كل خصب جدباً وبعد كل جدب خصباً.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لرزقنا، قاله السدي.

والثاني: لوسعنا.

﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾: (بركات السماء: القطر. وبركات الأرض. النبات والثمار ويحتمل أن تكون بركات السماء قبول الدعاء. وبركات الأرض: تسهيل الحاجات.

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

وفي قوله تعالى: ﴿فَهُم لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون، كما قال في الصلاة: سمع الله لمن حمده، أي قبل الله ممن حمده، وقال الشاعر:(٢٧٣)

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا ... يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أي يقبل.

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ

(٢٧٣) اللسان (سمع).

لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ
(١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)

قوله عز وجل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ في قوله: ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ قولان:

أحدهما: أن العهد الطاعة، يريد: ما وجدنا لأكثرهم من طاعة لأنبيائهم، لأنه قال بعده ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ وتكون ﴿مِنْ﴾ في هذا الموضع على هذا التأويل زائدة.

والثاني: أنه محمول على ظاهر العهد أي من وفاء بعهده.

وفي المراد بالعهد هنا ثلاثة أقاويل.

أحدها: الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظهر آدم قاله أبو جعفر الطبري.

والثاني: ما جعله الله في عقولهم من وجوب شكر النعمة، وأن الله هو المنعم، قاله علي بن عيسى.

والثالث: أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قاله الحسن ﴿وإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُم لَفاسِقِينَ﴾ في قوله ﴿(لَفَاسِقِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: خارجين عن طاعته.

والثاني: خائنين في عهده، وهذا يدل على أن العصاة أكثر من المطيعين.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن
كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨)

قوله عز وجل: ﴿حَقِيقٌ عَلى أن لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ في ﴿حَقِيقٌ﴾ وجهان:

أحدهما: حريص، قاله أبو عبيدة.

والثاني: واجب، مأخوذ من وجوب الحق.

وفي قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وجهان:

أحدهما: إلا الصدق.

والثاني: إلا ما فرضه الله عليّ من الرسالة.

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا
نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا أَرْجِه وَأَخَاهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه أخِّرْهُ، قاله ابن عباس والحسن.

والثاني: احبسه، قاله قتادة والكلبي.

﴿وَأَرْسِلْ في المَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هم أصحاب الشُرَط وهو قول الجماعة أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً (٢٧٤).

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ
أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ
ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

(٢٧٤) وفي عددهم أقوال أخرى تصل إلى ثلاثة عشر ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٤٠).

قوله عز وجل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ قال ابن عباس: العصا أول آيات موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع بطول موسى، قصد باب فرعون فألقى عليه الفزع، فشاب فخضب بالسواد استحياء من قومه، فكان فرعون أول من خضب بالسواد.

﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ معنى تلقف هو سرعة التناول إلا أن المراد هنا سرعة ابتلاعه بالفم. قال أبو حاتم: وهي في بعض القراءات تلقم بالميم والتشديد، قال الشاعر:

أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ ... تَلْقَمُ مَا يَأْفِكُهُ السَّاحِرُ

وفي قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: معناه يقلبون، ومنه المؤتفكات أي المنقلبات، قاله ابن عيسى.

والثاني: معناه يكذبون لأن الإفك هو الكذب، قاله مجاهد.

فإن قيل: فلم أمر موسى السحرة أن يلقوا وذلك منهم كفر ولا يجوز أن يأمر به نبي؟

قيل عن ذلك جوابان.

أحدهما: أن مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا.

والثاني: القول على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل.

قوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ أي ظهر الحق، قاله الحسن، ومجاهد، وفي الحق الذي ظهر فيه قولان:

أحدهما: ظهرت عصا موسى على حبال السحرة.

والثاني: ظهرت نبوة موسى على ربوبية فرعون.

قوله عز وجل: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ في سجودهم قولان:

أحدهما: أنهم سجدوا لموسى تسليماً له وإيماناً به.

والثاني: أنهم سجدوا لله إقراراً بربوبيته، لأنهم ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾.

وفي سجودهم قولان:

أحدهما: أن الله ألهمهم ذلك لطفاً بهم.

والثاني: أن موسى وهارون سجدا شكراً لله عند ظهور الحق على الباطل فاقتدوا بهما في السجود لله طاعة.

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ
لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ
ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ
سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ
مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ...﴾ الآية: ﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أشرافهم.

والثاني: رؤساؤهم.

والثالث: أنهم الرهط والنفر الذين آمنوا معهم.

والفرق بين الرهط والنفر من وجهين:

أحدهما: كثرة الرهط وقلة النفر.

والثاني: قوة الرهط وضعف النفر، وفي تسميتهم بالملأ وجهان:

أحدهما: أنهم مليئون بما يراد منهم.

والثاني: لأنهم تملأ النفوس هيبتهم.

وفيه وجه ثالث: لأنهم يملأون صدور المجالس.

فإن قيل: فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له؟ قيل:

لأنهم رأوا منه خلاف عادته وعادة الملوك في السطوة بمن أظهر العناد وخالف، وكان ذلك من لطف الله بموسى.

وفي قوله: ﴿لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجهان:

أحدهما: ليفسدوا فيها بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك.

والثاني: ليفسدوا فيها بالغلبة عليها وأخذ قومه منها.

ثم قالوا: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ فإن قيل: فما وجه قولهم ذلك له وهم قد صدقوه على قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؟ [النازعات: ٢٤].

قيل الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان يعبد الأصنام وكان قومه يعبدونه، قاله الحسن.

والثاني: أنه كان يعبد ما يستحسن من البقر ولذلك أخرج السامري عجلاً جسداً له خوار وقال هذا إلهكم وإله موسى، وكان معبوداً في قومه، قاله السدي.

والثالث: أنها كانت أصناماً يعبدها قومه تقرباً إليه، قاله الزجاج.

وقرأ ابن عباس ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ أي وعبادتك.

قال الحسن: وكان فرعون يَعبُد ويُعبَد. وعلى هذه القراءة يسقط السؤال. وذكر ابن قتيبة في هذه القراءة تأويلاً ثانياً؛ أن الإلاهة الشمس، والعرب تسمي الشمس الإلاهة واستشهد بقول الأعشى[٢٧٥].

وَلَمْ أَذْكُرِ الرُّعْبَ حَتَّى انْتَقَلْتُ ... قُبَيْلَ الْإِلَاهَةِ مِنْهَا قَرِيباً

يعني الشمس، فيكون تأويل الآية: ويذرك الشمس حتى تعبد فعلى هذا يكون السؤال متوجهاً عنه ما تقدم.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر على قتل موسى إما لقوته وإما تصوره أنه مصروف عن قتله، فعدل إلى قتل الأبناء ليستأصل قوم موسى من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون ﴿وَنَسْتَحِيي نِسَاءَهُمْ﴾ فيه قولان:

(٢٧٥) وفي زاد المسير (٣/٤٤).

فما أذكر الرّهْب حتى انقلبتُ ... قبيل الإلهة منها قريباً

أحدهما: أن نفتش أرحامهن فننظر ما فيهن من الولد، مأخوذ من الحياء وهو اسم من أسماء الفرج، حكاه ابن بحر.

والثاني: الأظهر أن معناه: نستبقيهن أحياء لضعفهن عن المنازعة وعجزهن عن المحاربة.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُواْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أمرهم بذلك تسلية لهم من وعيد فرعون كما يقول من نالته شدة: استعنت بالله.

والثاني: أنه موعد منه بأن الله سيعينهم على فرعون إن استعانوا به.

ثم قال: ﴿وَٱصْبِرُواْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: واصبروا على ما أنتم فيه من الشدة طمعاً في ثواب الله.

والثاني: أنه أمرهم بالصبر انتظاراً لنصر الله.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك تسلية لقومه في أن الدنيا لا تبقي على أحد فتبقي على فرعون لأنها تنتقل من قوم إلى قوم.

والثاني: أنه أشعرهم بذلك أن الله يورثهم أرض فرعون.

﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يريد في الآخرة بالثواب.

والثاني: في الدنيا بالنصر.

قوله عز وجل: ﴿قالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الأذى من قبل ومن بعد أخذ الجزية. قاله الحسن.

والثاني: أن الأذى من قبل: تسخيرهم بني إسرائيل في أعمالهم لنصف النهار وإرسالهم في بقيته ليكسبوا لأنفسهم. والأذى من بعد: تسخيرهم في جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جويبر.

والثالث: أن الأذى الذي كان من قبل: الاستعباد وقتل الأبناء، والذي كان من بَعد: الوعيد بتجديد ذلك عليهم، حكاه ابن عيسى.

والرابع: أن الأذى الذي كان من قبل أنهم كانوا يضربون اللبن ويعطيهم التبن، والأذى من بعد أن صاروا يضربون اللبن ويجعل عليهم التبن، قاله الكلبي. وفي قولهم: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قولان:

أحدهما: من قبل أن تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بها، قاله ابن عباس.

والثاني: من قبل أن تأتينا بعهد الله إليك أنه يخلصنا ومن بعد ما جئتنا به.

وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: أنه شكوى ما أصابهم من فرعون واستعانة بموسى.

والثاني: أنهم قالوه استبطاء لوعد موسى، حكاه ابن عيسى.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ ﴿عَسَىٰ﴾ في اللغة طمع وإشفاق. قال الحسن عسى من الله واجبة. وقال الزجاج: ﴿عَسَىٰ﴾ من الله يقين.

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ في قوله: ﴿فَيَنظُرَ﴾ وجهان:

أحدهما: فيرى[٢٧٦].

والثاني: فيعلم وفي قول موسى ذلك لقومة أمران:

أحدهما: الوعد بالنصر والاستخلاف في الأرض.

والثاني: التحذير من الفساد فيها لأن الله تعالى ينظر كيف يعملون.

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ
وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالجوع، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: أن معنى السنين الجدوب، قاله الحسن.

والعرب تقول: أخذتهم السنة إذا قحطوا وأجدبوا.

وقال الفراء: المراد بالسنين الجدب والقحط عاماً بعد عام.

---

(٢٧٦) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٤٦).

قال الزجاج «أي يراه بوقوعه منكم لأنه يجازيهم على ما وقع منهم لاعلى ما علم أنه سيقع».

قوله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ في الحسنة والسيئة هنا وجهان:

أحدهما: أن الحسنة الخصب، والسيئة القحط.

والثاني: أن الحسنة الأمن، والسيئة، الخوف.

﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ أي كانت حالنا في أوطاننا وقبل اتباعنا لك، جهلاً منهم بأن الله تعالى هو المولى لها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ أي يتشاءمون بموسى ويقولون هذا من اتباعنا إياك وطاعتنا لك، على ما كانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين. ثم قال رداً لقولهم.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي طائر البركة وطائر الشؤم.

وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ...﴾ أما الطوفان ففيه ستة أقاويل:

أحدها: أنه الغرق بالماء الزائد، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه الطاعون (٢٧٧)، قاله مجاهد.

والثالث: أنه الموت، قاله عطاء. وروت عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿الطُّوفَانُ الْمَوْتُ﴾ (٢٧٨).

(٢٧٧) وله قول آخر وهو أن الطوفان الموت رواه الطبري (٥١/١٣) لكن الطريق إليه فيه مجهول.

(٢٧٨) رواه ابن جرير (٥١/١٣) وفي سنده المنهال بن خليفة وقد ضعفه غير واحد قال الحافظ ابن كثير

والرابع: أنه أمر من الله طاف بهم، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس.

والخامس: أنه كثرة المطر والريح، واستدل قائل ذلك بقول الحسن بن عرفطة [٢٧٩]:

غَيَّـرَ الْجِـدَّةَ مِنْ عِـرْفَـانِـهِ ... خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَـطَرِ

والسادس: أنه عذاب من السماء، واستدل قائل ذلك بقول أبي النجم [٢٨٠]:

وَمَـرَّ طُـوفَـانٌ فَبِتُّ شَهْـراً ... فَـرْداً شَـآبِيبَ وَشَهْـراً مـدراً

﴿وَالْقُمَّلَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه الدَبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له.

والثاني: أنه السوس الذي في الحنطة قاله ابن عباس.

والثالث: البراغيث، قاله ابن زيد.

والرابع: القردان، قاله أبو عبيدة.

والخامس: هو دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وشاهده قول الأعشى [٢٨١].

قَـوْماً تُعَـالِجُ قُمَّـلاً أَبْنَـاؤُهُمْ ... وَسَـلَاسِلاً أُجُـداً وَبَـاباً مُؤْصَـداً

وواحد القمل قملة.

وأما الضفادع فواحدها ضفدع وهو مشهور. وقيل إنه كان يوجد في فراشهم وآنيتهم، ويدخل في ثيابهم فيشتد أذاه لهم.

وأما الدم ففيه قولان:

(٥٣٦/٣) حديث غريب وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥١٩/٣) لأبي الشيخ. وابن مردويه وابن أبي حاتم.

قلت وفي سند الحديث أيضاً الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف مدلس وقد عنعن.

(٢٧٩) كذا قال وهو خطأ والصواب حسيل بن عرفطة الأسدي وهو شاعر جاهلي والبيت في اللسان (طوف) ونوادر ابن زيد ٧٧ والطبري (٥٣/١٣) تنبيه وفي شطر البيت الأول خطأ والتصويب من الطبري واللسان هكذا: غير الجدَّة من آياتها.

(٢٨٠) الطبري (٥٤/١٣) ووقع في البيت هنا خطأ والتصويب من الطبري.

هكذا قد مد طوفان فبت مدداً ... شهراً شآبيب وشهراً برداً

(٢٨١) اللسان (قمل) وديوانه: ١٥٤.

أحدهما: أن ماء شربهم كان يصير دماً عبيطاً، فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء.

والثاني: أنه رعاف كان يصيبهم، قاله زيد بن أسلم.

﴿ءَآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ فيها قولان.

أحدهما: مبينات لنبوة موسى.

والثاني: مفصل بعضها عن بعض لأن هذه الآيات لم تجتمع في وقت واحد بل كانت تأتي شهراً بعد شهر فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذار، وكان بين كل آيتين شهر.

﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الانزجار بالآيات.

والثاني: عن الإيمان بموسى.

﴿وَكَانُواْ قَوماً مُجْرِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كافرين.

والثاني: متعدّين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجْزُ﴾ ـ فيه قولان:

أحدهما: أنه العذاب، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

والثاني: هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان، قاله سعيد بن جبير.

﴿قَالُوْا يَا مُوسَىٰ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بما تقدم إليك به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك.

والثاني: ما هداك به أن تفعله في قومك، قاله السدي.

والثالث: أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ هذا قول قوم فرعون، ويحتمل وجهين.

أحدهما: لنصدقنك يا موسى أنك نبي.

والثاني: لنؤمنن بك يا الله أنك إله واحد.

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ
﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا
ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ
وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يستقلون.

والثاني: يستذلون وهم بنو إسرائيل.

﴿مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يريد الشرق والغرب، قاله ابن عيسى.

والثاني: أرض الشام ومصر، قاله الحسن.

والثالث: أرض الشام وحدها شرقها وغربها، قاله قتادة.

﴿ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالخصب.

والثاني: بكثرة الأنهار والأشجار والثمار.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن تمام كلمة الحسنى ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُم أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخْلِفَكُم﴾ وسماها الحسنى لأنه وعد بما يحبون.

والثاني: هو قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُم فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦].

وفي قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وجهان:

أحدهما: بما صبروا على أذى فرعون.

والثاني: بما صبروا على طاعة الله.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ في ﴿متبر﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: باطل، قاله الكلبي.

والثاني: ضلال، حكاه أبو اليسع.

والثالث: مهلك، ومنه التبر، الذهب. وفي تسميته بذلك قولان:

أحدهما: لأن موسى يهلكه.

والثاني: لكسره، وكل إناء مكسور متبّر قاله الزجاج. وقال الضحاك هي كلمة نبطية لما ذكرنا.

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال هذا يذكر بالنعمة.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلعَذَابِ﴾ أي أشد العذاب.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي يقتلون أبناءكم صغاراً ويستحيون نساءكم للاسترقاق والاستخدام كباراً.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن ما فعله فرعون بكم من قتل الأبناء واسترقاق النساء بلاء عليكم عظيم، قاله الكلبي.

والثاني: أنه ابتلاء لكم واختبار عظيم، قاله الأخفش.

والثالث: أن في خلاصكم من ذلك بلاء عظيم، أي نعمة عظيمة، قاله ابن قتيبة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢)

قوله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن الثلاثين ليلة شهرٌ أمر بصيامه، والعشر بعدها أجل لمناجاة ربه.

والثاني: أن الأربعين كلها أجل لمناجاة ربه، أجل في الأول ثلاثين ليلة ثم زيدت عشراً بعدها. وقد قيل إنه ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، حكي ذلك عن مجاهد، وابن جريج، ومسروق.

﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة، ليدل بذلك على أن العشر هي ليال وليست ساعات.

فإن قيل: فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين، فما معنى قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه تأكيد في الذكر فلم يمتنع.

والثاني: كان وعده إلى الجبل الذي كلمه فيه.

والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين لأن تمام الشيء بعض منه.

فإن قيل: فلم زاد في أجل وعده بعد الثلاثين عشراً جعلها أجلاً ثانياً فأخر بها موعده؟

قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فزاده الله لتأخرهم عنه أجلاً ثانياً ليحضروه.

والثاني: لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلاً ثانياً عقوبة لهم.

ويحتمل جواباً ثالثاً: أن الله فعل ذلك به اختباراً لقومه ليتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن من المرتاب.

والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر لعمل، والوقت قد لا يتقدر لعمل.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿... **قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ الآية. في سؤال موسى ذلك لربه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليرد عليه من جواب الله ما يحتج به على قومه حين قالوا: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً**﴾ [البقرة: ٥٥] مع علم موسى بأنه لا يجوز أن يراه في الدنيا.

والثاني: أنه كان يعلم ذلك باستدلال فأحب أن يعلمه ضرورة.

والثالث: أنه جوّز ذلك وظنه وأن رؤيته في الدنيا ممكنة، قاله الحسن، والربيع، والسدي.

فأجابه الله بأن ﴿**قَالَ لَن تَرَانِي**﴾.

ثم أظهر في الجواب ما يعلم به استحالة مسألته فقال(٢٨٢): ﴿**وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى**

(٢٨٢) وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفي رؤية الله تعالى في الآخرة ولا دليل لهم في ذلك. وهي حجة عليهم لا لهم وقد حط الزمخشري في كشافه على أهل السنة ووصفهم بما هو أولى به عامله الله بعدله وما أجمل ما قال الشوكاني، رحمه الله في فتح القدير (٢/٢٤٣) قال رحمه الله قوله «لن تراني» يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب فيه أو أنه لا يرى ما دام الرائي حياً في دار الدنيا وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبت بالاحاديث المتواترة تواتراً لا يخفى، على من يعرف السنة المطهرة والجدال في مثل هذا والمراوغة لا تأتي بفائدة ومنهج الحق واضح ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الإنسان عليه وأدرك عليه آباءه وأهل بلده مع عدم التنبه لما هو مطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة يوقع في التعصب والمتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء وأذنه عن سماع الحق صماء يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل ويحسب أنه ما نشأ عليه هو الحق غفلةً منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالاذعان والتسليم وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع فإنه صار لها باب الحق مرتجاً وطريق الإنصاف مستوعرة والأمر لله سبحان والهداية منه.

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح اهـ.

ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ لأن الجبل إذا لم يستقر لرؤيته فالإنسان بذلك أولى.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ معنى تجلى ظهر مأخوذ من جلاء العروس إذا ظهرت، ومن جلاء المرآة إذا أضاءت.

وفي تجليه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ظهر بآياته (٢٨٣) التي أحدثها في الجبل لحاضري الجبل.

والثاني: أنه أظهر للجبل من ملكوته ما تدكدك به، لأن الدنيا لا تقوم لما يبرز من ملكوت السماء.

والثالث: أنه أبرز قدر الخنصر من العرش (٢٨٤).

والرابع: ظهر أمره للجبل.

﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني مستوياً بالأرض، مأخوذ من قولهم ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام، قاله ابن قتيبة وابن عيسى.

والثاني: أنه ساخ في الأرض، قاله الحسن وسفيان.

والثالث: أنه صار تراباً، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه صار قطعاً.

قال مقاتل: وكان أعظم جبل بمدين تقطع ست قطع تفرقت في الأرض، صار منها بمكة ثلاثة أجبل: ثبير وغار ثور وحراء. وبالمدينة ثلاثة أجبل: رضوى وأحد وورقان. والله أعلم.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ فيه قولان:

أحدهما: ميتاً، قاله قتادة.

والثاني: مغشياً عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

---

(٢٨٣) والصواب أن يقال تجلى أي ظهر وبان وهذا الظهور للرب على الوجه اللائق بجنابه تعالى.

(٢٨٤) قال العلامة الآلوسي (٤٦/٩) ونقل بعض القصاصين أن الملائكة كانت تمر عليه حينئذٍ فيلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالأرجل والغض في الخطاب. قلت وقد ذكرت هذا النقل تحذيراً مما يروجه القصاص في المجالس.

قال ابن عباس(*): أخذته الغشية عشية الخميس من يوم عرفة وأفاق عشية الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة ، وفيها عشر أيات أنزلها الله في القرآن على محمد ﷺ في ثماني عشرة من سورة بني إسرائيل .

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها .

والثاني : أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا .

والثالث: أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات الدالة على عظيم قدرته .

﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان :

أحدهما :أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك ، قاله ابن عباس ، والحسن .

والثاني : وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية .

قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ . . .﴾ الآية في ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ قولان :

أحدهما : فرضنا ، كقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة : ١٨٣] أي فرض .

والثاني : أنه كتابة خط بالقلم في ألواح أنزلها الله عليه (٢٨٥) .

واختلفوا في الألواح (٢٨٦) من أي شيء كانت على أربعة أقاويل :

(*) قول ابن عباس هذا سقط من نسخة للمخطوطة وكتب مكانه «هذا لم يثبت» أي القول الثاني .

(٢٨٥) ما عليه السلف الصالح أنهم يؤمنون بهذا النص إيماناً يليق بكمال الله وجلاله من غير تكيف ولا مشابهة لأفعال البشر . .

(٢٨٦) إن هذه الأقوال ليست من المعلوم من الدين بالضرورة وليس فرضاً تعلمها على كل مسلم فالأولى بالمسلمين أن يتعلموا العلم الضروري الذي لا تصح العقيدة والعبادة إلا به ولا سيما في مثل هذا العصر الذي تفشى في الشرك والضلال .

أحدها: أنها كانت من زمرد أخضر، قاله مجاهد.

والثاني: أنها كانت من ياقوت، قاله ابن جبير.

والثالث: أنها كانت من زبرجد، قاله أبو العالية.

والرابع: قاله الحسن كانت الألواح من خشب، واللوح مأخوذ من أن المعاني تلوح بالكتابة فيه.

وفي قوله ﴿مِن كُلِّ شَيءٍ﴾ قولان:

أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والمباح والمحظور والواجب وغير الواجب.

والثاني: كتب له التوراة فيها من كل شيء من الحكم والعبر.

وفي قوله: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً. . .﴾ تأويلان:

أحدهما: أن الموعظة النواهي، والتفصيل: الأوامر، وهو معنى قول الكلبي.

والثاني: الموعظة: الزواجر، والتفصيل: الأحكام، وهو معنى قول مقاتل. قال: وكانت سبعة ألواح [(٢٨٧)].

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: بجد واجتهاد قاله السدي.

والثاني: بطاعة، قاله الربيع بن أنس.

والثالث: بصحة عزيمة، قاله علي بن عيسى.

والرابع: بشكر، قاله جويبر.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ لم يقل ذلك لأن فيها غير حسن، وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن أحسنها: المفروضات، وغير الأحسن: المباحات.

والثاني: أنه الناسخ دون المنسوخ.

---

(٢٨٧) وفي عددها أقوال ثلاثة أخرى ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٥٨).

والثالث: أن فعل ما أمر به أحسن من ترك ما نهي عنه لأن العمل أثقل من الترك وإن كان طاعة.

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: هي جهنم، قاله الحسن، ومجاهد.

والثاني: هي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية، لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال، قاله قتادة.

والثالث: أنها منازل سكان الشام من الجبابرة والعمالقة.

والرابع: أنها دار فرعون وهي مصر.

وقرأ قسامة (٢٨٨) بن زهير ﴿سَأُوْرِثُكُم﴾.

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَاياتي ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سأمنعهم من فهم القرآن، قاله سفيان بن عيينة.

والثاني: سأجعل جزاءهم على كفرهم ضلالهم عن الاهتداء بما جاء به من الحق.

والثالث: سأصرفهم عن دفع الانتقام عنهم.

وفي ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: يحقرون الناس ويرون أن لهم عليهم فضلاً.

---

(٢٨٨) هو قسامة بن زهير المازني التميمي البصري الثقة روى عن أبي موسى الأشعري وأبي هريرة توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق راجع التهذيب (٨/٣٣٨).

والثاني: يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول.

﴿وإن يروْا كُلَّ ءَايَةٍ لا يُؤمنوا بها وإن يروْا سبيلَ الرُّشدِ لا يتَّخذوهُ سبيلاً وإن يروْا سبيلَ الْغَيِّ يتَّخذوهُ سبيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الرشد الإيمان، والغي: الكفر.

والثاني: أن الرشد الهداية. والغي: الضلال.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وكَانُواْ عَنها غَافِلِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غافلين عن الإيمان.

والثاني: غافلين عن الجزاء.

وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا
يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا
قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا
تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

قوله عز وجل **﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾** في الأسف خمسة أقاويل:

أحدها: أنه المتأسف على فوت ما سلف قاله علي بن عيسى.

والثاني: أنه الحزين، قاله ابن عباس.

والثالث: هو الشديد الغضب، قاله الأخفش.

والرابع: المغتاظ(٢٨٩)، قاله السدي.

(٢٨٩) وفي الطبري (١٣/١٢١) عن السدي. «أسفاً قال حزيناً» وعلى هذا فقول السدي يوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والخامس: النادم، قاله ابن قتيبة.

وفي غضبه وأسفه قولان:

أحدهما: غضبان على قومه من عبادة العجل؟ أسفاً(٢٩٠) على ما فاته من مناجاة ربه.

والثاني: غضبان على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا، أسفاً على ما رأى في قومه من ارتكاب المعاصي.

وقال بعض المتصوفة إن غضبه للرجوع عن مناجاة الحق إلى مخاطبة الخلق.

﴿قَالَ بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾ يعني بعبادة العجل.

﴿أَعَجِلْتُم أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني وعد ربكم الذي وعدني به من الأربعين ليلة، وذلك أنهم قَدَّروا أنه قد مات لمّا لم يأت على رأس الثلاثين ليلة، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: وعد ربكم بالثواب على عبادته حتى عدلتم إلى عبادة غيره، قاله بعض المتأخرين. والفرق بين العجلة والسرعة أن العجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، والسرعة: عمله في أقل أوقاته.

﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ وفي سبب إلقائها قولان:

أحدهما: غضباً حين رأى عبادة العجل(٢٩١)، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ألقاها لما رأى فيها فضائل غير قومه من أمة محمدﷺ أنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، قال: رب فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد، فاشتد عليه فألقاها، قاله قتادة.

وكانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح فتكسرت رفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي، وهو الذي قاله الله: ﴿أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

---

(٢٩٠) وعلى هامش المخطوطة كتب [أسفاً] بين معكوفين لا يستقيم المعنى إلا بها.

(٢٩١) وهذا القول هو الصواب واختاره ابن جرير (١٣/١٢٥) وابن كثير (١/٢٢٤) عمدة التفسير والشوكاني في فتح القدير (٢/٣٤٨).

وقال ابن عباس: ألقى موسى الألواح فتكسرت ورفعت إلا سدُسها.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أخذ بأذنه.

والثاني: أخذ بجملة رأسه.

فإن قيل: فلم قصده بمثل هذا الهوان ولا ذنب له.؟

فعن ذلك جوابان.

أحدهما: أن هذا الفعل مما قد يتغير حكمه بالعادة فيجوز أن يكون في ذلك الزمان بخلاف ما هو عليه الآن من الهوان.

والثاني: أن ذلك منه كقبض الرجل منا الآن على لحيته وعضه على شفته ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه، قاله الحسن.

والثاني: أنه قال ذلك على عادة العرب استعطافاً بالرحم، كما قال الشاعر(٢٩٢):

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شقيقَ نَفْسِي   أَنْتَ خَلَّيْتَنِي لِأَمْرٍ شَدِيدِ

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ يعني من خالفه في عبادة العجل لأنهم قد صاروا لمخالفتهم له أعداء.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تغضب عليّ كغضبك عليهم ولست منهم فأدركته الرقة: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا

(٢٩٢) هو أبو زبيد.

والبيت في اللسان (شقق) وشواهد المغنى (هامش خزانة الأدب ٤/٢٢٢) والطبري (١٣/١٢٩) وأمالي اليزيدي: ٩ جمهرة أشعار العرب ١٣٩. والشطر الثاني في البيت أنت خليفتي لدهر شديد. ويروى البيت.

يا ابن خنساء سعد نفسي يا لجلاج   خليتني لدهرٍ شديد.

وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى
ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ أما التوبة من السيئات فهي الندم على ما سلف والعزم على ألّا يفعل مثلها. فإن قيل فالتوبة إيمان فما معنى قوله: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ فالجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنهم تابوا من المعصية واستأنفوا عمل الإيمان بعد التوبة.

والثاني: يعني أنهم تابوا بعد المعصية وآمنوا بتلك التوبة.

والثالث: وآمنوا بأن الله قابل التوبة.

وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ
شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ
تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ
ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ وفي الكلام محذوف وتقديره: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً.

وفي قوله: ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه الميقات المذكور في سؤال الرؤية.

والثاني: أنه ميقات غير الأول وهو ميقات التوبة من عبادة العجل.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الزلزلة، قاله الكلبي.

والثاني: أنه الموت. قال مجاهد: ماتوا ثم أحياهم.

والثالث: أنها نار أحرقتهم فظن موسى أنهم قد هلكوا ولم يهلكوا، قاله الفراء.

﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾ وفي سبب أخذها لهم قولان:

أحدهما: لأنهم سألوا الرؤية، قاله ابن إسحاق.

والثاني: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل قاله ابن عباس.

﴿. . . أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّآ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه سؤال استفهام خوفاً من أن يكون الله قد عمـهم بانتقامه كما قال تعالى:

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والثاني: أنه سؤال نفي، وتقديره: إنك لا تعذب إلَّا مذنباً فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا.

فحكى أن الله أمات بالرجفة السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، لا موت فناء ولكن موت ابتلاء ليثبت به من أطاع وينتقم به ممن عصى وأخذت موسى غشية ثم أفاق موسى وأحيا الله الموتى، فقال:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد بالفتنة العذاب، قاله قتادة.

والثاني: أن المراد بها الابتلاء والاختبار.

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ في الحسنة هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها النعمة سميت حسنة لحسن موقعها في النفوس.

والثاني: أنها الثناء الصالح.

والثالث: أنها مستحقات الطاعة.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه تبنا إليك، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم.

والثاني: رجعنا بالتوبة إليك، لأنه من هاد يهود إذا رجع، قاله علي بن عيسى.

والثالث: يعني تقربنا بالتوبة إليك من قولهم: ما له عند فلان هوادة، أي ليس له عنده سبب يقربه منه، قاله ابن بحر.

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: من أشاء من خلقي كما أصيب به قومك.

الثاني: من أشاء في التعجيل والتأخير.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فيها ثلاثة تأويلات.

أحدها: أن مخرجها عام ومعناها خاص، تأويل ذلك: ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية قاله ابن عباس.

والثاني: أنها على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة، وتأويل ذلك: ورحمتي وسعت في الدنيا البر والفاجر، وفي الآخرة هي للذين اتقوا خاصة، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: أنها التوبة، وهي على العموم، قاله ابن زيد.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يتقون الشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: يتقون المعاصي، قاله قتادة.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها زكاة أموالهم لأنها من أشق فرائضهم، وهذا قول الجمهور.

والثاني: معناه أي يطيعون الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، وذهبا إلى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال.

فأما المكنّى عنه بالهاء التي في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فقد قيل إن موسى لما انطلق بوفد بني إسرائيل كلّمه الله وقال: إني قد بسطت لهم الأرض طهوراً ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمّام، وجعلت السكينة في قلوبهم، وجعلتهم يقرؤون التوراة عن ظهر ألسنهم، قال فذكر موسى ذلك لبني إسرائيل، فقالوا لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا فاجعلها لنا في تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظراً، ولا نصلي إلا في السكينة، فقال الله تعالى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾ يعني ما مضى من السكينة والصلاة والقراءة، ثم بيّن من هم فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ﴾ يعني محمداً ﷺ وفي تسميته بالأمي ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه لا يكتب.(٢٩٣)

الثاني: لأنه من أم القرى وهي مكة.

الثالث: لأن من العرب أمة أمية.

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ﴾ لأن في التوراة في السفر الخامس: إني سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيته به. وفيها: وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسأدخره لأمة عظيمة.

وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع: يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله.

وفيها قول المسيح للحواريين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنه نذيركم يجمع بين الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي. فهذا تفسير ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ﴾.

ثم قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الحق.

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الباطل وإنما سمي الحق معروفاً لأنه معروف الصحة في العقول، وسمي الباطل منكراً لأنه منكر الصحة في العقول.

(٢٩٣) قال العلامة الآلوسي رحمه الله (٩/٧٩) «ووصف عليه الصلاة والسلام بذلك تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته ﷺ فهو بالنسبة إليه بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام صفة مدح وأما بالنسبة إلى غيره فلا».

ثم قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾ يعني ما كانت الجاهلية تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ﴾ يعني ما كانوا يستحلونه من لحم الخنزير والدماء.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه عهدهم الذي كان الله تعالى أخذه على بني إسرائيل.

والثاني: أنه التشديد على بني إسرائيل الذي كان في دينهم من تحريم السبت وتحريم الشحوم والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة.

﴿وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أنه الميثاق(٢٩٤) الذي أخذه عليهم فيما حرمه عليهم، قاله ابن أبي طلحة.

والثاني: يعني ما بيَّنه الله تعالى في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ و عَزَّرُوهُ. . .﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عظموه، قاله علي بن عيسى.

والثاني: منعوه من أعدائه، قاله أبو جعفر(٢٩٥) الطبري. ومنه تعزير الجاني لأنه يمنعه من العود إلى مثله.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ يعني القرآن(٢٩٦)، آمنوا به من بعده فروى قتادة(٢٩٧) أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه: «أَيُّ ٱلخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيكُم إيماناً؟ قالوا: الملائكة فقال نبي اللَّه (ص): المَلائِكَةُ عِندَ رَبِهِّم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ. فقالوا: النبيون، فقال: يُوحَىٰ إِلَيهِم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ، قالوا: نحن يا نبي الله. فقال أَنَا فِيكُم فَمَا

---

(٢٩٤) قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٧٣) «قال الزجاج ذكر الأغلال تمثيل ألا ترى أنك تقول جعلت هذا طوقاً في عنقك وليس هناك طوق إنما جعلت لزومه كالطوق والأغلال أنه كان عليهم أن لا يقبل منهم في القتل دية وأن لا يعملوا في السبت وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول» وبنحوه قال الطبري (١٣/١٦٨) والزمخشري في الكشاف (٢/٩٧) وهذه الأغلال المذكورة نسخها القرآن.

(٢٩٥) الطبري (١٣/١٦٨).

(٢٩٦) قال الألوسي في روح المعاني (٩/٨٢).

«وهو القرآن وعبر عنه بالنور لظهوره في نفسه بإعجازه وإظهاره لغيره من الأحكام وصدق الدعوى فهو أشبه شيء بالنور الظاهر بنفسه والمظهر بغيره بل هو نور على نور ا هـ.

(٢٩٧) وهذا الحديث من مرسلات قتادة ولم أظفر إلى الآن بمن وصله.

لَكُم لاَ تُؤْمِنونَ، فقالوا: يا نبي الله فمن هم؟ قال: هُم قَوْمٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُم يَجِدُونَ كِتَاباً فِي وَرَقٍ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ». فهو معنى قوله ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾.

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ فإن قيل فهذا يدل على أن في اليهود من هم على حق.

الجواب عند ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الذين تمسكوا بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم، ولا يدل هذا على استدامة حاله على الأبد.

والثاني: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي.

والثالث: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرهما، قاله الكلبي.

وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ

ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ اختلف في المأخوذ منه تسمية القرية على وجهين:

أحدهما: لأن الماء يقرى إليها أي يجمع، من قولهم قرى الماء في حوضه إذا جمعه.

والثاني: لأن الناس يجتمعون إليها كما يجتمع الماء في الحوض.

واختلف في هذه القرية على قولين:

أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله قتادة.

والثاني: هي أرض الشام، قاله الحسن.

فإنه قيل: فكيف سمى المأوى مسكناً والإنسان في مسكنه متحرك؟ قيل لأنه يترك فيه التصرف فصار في أكثر أحواله ساكناً وإن كان في بعضها متحركاً.

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ فيما خمسة أقاويل:

أحدها: أنها أيلة، قاله ابن عباس، وعكرمة، والسدي.

والثاني: أنها بساحل مدين، قاله قتادة.

والثالث: أنها مدين قرية بين أيلة والطور، حكاه أبو جعفر الطبري(٢٩٨).

والرابع: أنها قرية يقال لهامقتا بين مدين وعينونا(٢٩٩)، قاله ابن زيد.

---

(٢٩٨) جامع البيان (١٣/ ١٧٩).

(٢٩٩) كذا هنا والصواب عينونا وليس عنيونا والتصحيح من معجم البلدان لياقوت والطبري (١٣/ ١٧٩) وتكتب أيضاً عينونى وعينون.

والخامس: ما قاله ابن شهاب أن القرية التي كانت حاضرة البحر طبرية، والقرية التي قال فيها ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣]. أنطاكية.

وسؤالهم عن هذه القرية إنما هو سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ هو تعديهم فيه بفعل ما نهوا عنه.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن معنى ﴿شُرَّعاً﴾ أي طافية على الماء ظاهرة، قاله ابن عباس، ومنه شوارع البلد لظهورها.

والثاني: أنها تأتيهم من كل مكان، قاله عطية العوفي.

والثالث: أنها شرّع على أبوابهم كأنها الكباش البيض رافعة رؤوسها حكاه بعض المتأخرين فتعدَّوا فأخذوها في السبت، قاله الحسن.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ نسوا يعني تركوا، والذي ذكروا به أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَونَ عَنِ ٱلسُّوءِ﴾ وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهم الذين تركوا المعروف وفعلوا المنكر.

﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: شديد، قاله مجاهد.

والثاني: رديء، قاله الأخفش.

الثالث: أنه العذاب المقترن بالفقر وهو البؤس.

وأما الفرقة الثالثة التي لم تنه ولم تفعل ففيها قولان:

أحدهما: أنها نُجِّيَتْ مع الذين نهوا.

والثاني: ماقاله ابن عباس(٣٠٠): لا أدري ما فعل بها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه تفعَّل من الإذن ومعناه أعلم، قاله الحسن، ومنه قول الأعشى(٣٠١):

أَذَّنَ الْقَوْمُ جِيرَتِي بِخُلُوفِ ... صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ

والثاني: معناه نادى وأقسم، قاله الزجاج.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على اليهود.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ والمبعوثون هم العرب، وسوء العذاب هو الذلة وأخذ الجزية، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة.

ويقال إن أول من وضع الخراج وجباه من الأنبياء موسى، فجبى الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة ثم أمسك إلى النبي ﷺ.

وقال سعيد بن المسيب: استحب أن أبعث في الجزية الأنباط. ولا أعلم لاستحبابه ذلك وجهاً إلا أن يكون لأنهم من قوم بختنصر فهم أشد انتقاماً، أو لأنها قد كانت تؤخذ منهم على استيفائها لأجل المقابلة أحرص.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ

(٣٠٠) قال العلامة الشوكاني رحمه الله (٢/٢٥٨) والطائفة التي لم تنه ولم تعص يحتمل أنها ممسوخة مع الطائفة العاصية لأنها قد ظلمت نفسها بالسكوت عن النهي وعتت عما نهاها الله عنه من ترك النهي عن المنكر ويحتمل أنها لم تمسخ لأنها وإن كانت ظالمة لنفسها عاتية عن أمر ربها ونهيه لكنها لم تظلم نفسها بهذه المعصية الخاصة وهي صيد الحوت في يوم السبت ولا عتت عن نهيه لها عن الصيد اهـ.

(٣٠١) هو ميمون بن قيس والبيت في ديوانه ٢١١ وفي الطبري (١٣/٢٠٤).

وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ
وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ
يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمماً...﴾ أي فرقناهم فيها فرقاً. وفي تفريقهم فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: زيادة في الانتقام منهم.

والثاني: ليذهب تعاونهم.

والثالث: ليتميز الصالح من المفسر لقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ ثم قال: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالثواب والعقاب.

والثاني: بالنعم والنقم.

والثالث: بالخصب والجدب.

قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ معناه فخلفهم خلف، والخلف بتسكين اللام مستعمل في الذم. وبفتح اللام مستعمل في الحمد. وقال أبو عبيدة: معناها [واحد] مثل الأثر والإثر، والأول أظهر وهو في قول الشعراء أشهر، قال بعضهم:

خلفت خلفاً ليت بهم كان، لا بِكَ التلف

وفي الخلف وجهان:

أحدهما: القرن، قاله الفراء.

والثاني: أنه جمع خالف.

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَابَ﴾ يعني انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم من خلف اليهود من أبنائهم. والكتاب الذي ورثوه التوراة لانتقالها لهم.

والثاني: أنهم النصارى، لأنهم خلف من اليهود. والكتاب الذي ورثوه: الإنجيل لحصوله معهم، قاله مجاهد.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ يعني الرشوة على الحكم في قول الجميع وسماه عرضاً لقلة بقائه. وفي وصفه بالأدنى وجهان:

أحدهما: لأخذه في الدنيا الدانية.

والثاني: لأنه من المحرمات الدنية.

﴿وَيَقُولُونَ: سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مغفور، لا نؤاخذ به.

والثاني: أنه ذنب لكن الله قد يغفره لنا تأميلاً منهم لرحمته.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد وقتادة والسدي.

والثاني: أنهم لا يشبعهم شيء، فهم لا يأخذونه لحاجة، قاله الحسن.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ألا يقولوا على الله إلا الحق في تحريم الحكم بالرشا.

والثاني: في جميع الطاعات والمعاصي والأوامر والنواهي(٣٠٢).

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: تركوا ما فيه أن يعملوا به حتى صار دارساً.

والثاني: أنهم قد تلوه ودرسوه فهم لا يجهلون ما فيه ويقومون على مخالفته مع العلم به.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

(٣٠٢) والقول الثاني أرجح لأنه أعم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ . . .﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: زعزعناه، قاله ابن قتيبة، ومنه قول العجاج: (٣٠٣).

قد جرّبوا أخلاقنا الجلائلا . . ونتقوا أحلامنا الأثاقلا

والثاني: بمعنى جذبناه، والنتق: الجذب ومنه قيل للمرأة الولود ناتق، قال النابغة: (٣٠٤).

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتقٍ مذكار.

واختلف في سبب تسميتها ناتقاً، فقيل لأن: خروج أولادها بمنزلة الجذب. وقيل: لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولداً.

والثالث: معناه ورفعناه عليهم من أصله.

قال الفراء: رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً في فرسخ.

قال مجاهد: وسبب رفع الجبل عليهم أنهم أبوا أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة، فوعظهم موسى فلم يقبلوا، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم. قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: فأخذوه بقوة ثم نكثوا بعد.

واختلف في سبب رفع الجبل عليهم هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم.

والثاني: كان إنعاماً لإقلاعهم به عن المعصية.

﴿. . . وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه غلب في نفوسهم أنه واقع بهم على حقيقة الظن.

والثاني: أنهم تيقنوه لما عاينوا من ارتفاعه عليهم، قاله الحسن.

---

(٣٠٣) كذا قال وهو خطأ والصواب رؤبة بن العجاج والبيت في ديوانه ١٢٢ ومجاز القرآن واللسان نتق والطبري (١٣/ ٢٢٠) ولعل ما يقصده المؤلف بيتاً للعجاج في ديوانه: ٢٠ قوله ينتق أ تاد الشليل نتقاً فإنه يصح الاستشهاد به على المعنى المراد.

(٣٠٤) ديوانه: ٥٠ واللسان (دحق) ونتق والطبري (١٣/ ٢٢٠).

وفي اللسان دحقت عليك وكذا في الطبري.

﴿خُذُواْ مَاءَاتَيْنَاكُمْ﴾ يعني التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بجد واجتهاد.

والثاني: بنية صادقة وطاعة خالصة.

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ
﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا
فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ختلف في الذين أخرجهم وأخذ ذلك عليهم على قولين:

أحدهما: أنه أخرج الأرواح قبل خلق [٣٠٥] الأجساد وجعل فيها من المعرفة ما علمت به من خاطبها. واختلف من قال بهذا هل كان ذلك قبل نزوله إلى الأرض على قولين:

أحدهما: أنه كان في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض.

والثاني: أنه فعل ذلك بعد هبوطه إليها[٣٠٦].

---

(٣٠٥) ولا شك في صحة هذا القول وأرجحيته على القول الثاني وقد حكى الإجماع عليه الامام إسحاق بن راهويه ولفظه كما نقله ابن القيم في الروح عن ص ١٦٣.

«وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد وأنه استنطقهم وأشهدهم ثم نقل ابن القيم عن ابن الأنباري قوله.

«ومذهب أهل الحديث وكذلك أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وصلب أولاده وهم في صور الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل حين خوطب وكما فعل ذلك بالبعير لما سجد والنخلة لما سمعت وانقادت لما دعيت».

قلت: وقد دل على ما قاله الإمامان رحمهما الله حديث رسول الله المتواتر في استخراج الرب لذرية آدم من ظهره واستشهادهم له بالتوحيد.... وقد ذكر طائفة من الأحاديث في ذلك السيوطي في الدر (٣/ ٥٨٠ ـ ٦٠٧) وابن أبي عاصم (١/ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٤).

(٣٠٦) هو الراجح لما رواه أحمد (١/ ٢٧٢) وابن جرير (١٥٣٣٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص

والقول الثاني: في الأصل أنه خلق الأرواح والأجساد معاً وذلك في الأرض عند جميع من قال بهذا التأويل.

فعلى هذا فيه قولان:

أحدهما: أنه أخرجهم كالذر وألهمهم هذا فقالوه، قال الكلبي ومقاتل: وذلك أن الله مسح ظهر آدم بين مكة[٣٠٧] والطائف فخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية كالذر بيض، فهم أصحاب الميمنة. وخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية كالذر سود، فهم أصحاب المشأمة، فلما شهدوا على أنفسهم جميعاً من آمن منهم ومن كفر أعادهم.

والثاني: أنه أخرج الذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر.

وفي ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: هو أنه دلهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته، قاله بعض المتكلمين.

والثاني: هو إشهادهم[٣٠٨] على أنفسهم بما اعترفوا من ربوبيته ووحدانيته.

وفيه على هذا التأويل قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك للآباء من بني آدم حين أخرج من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ليعلمهم أنه خلق ذرياتهم بعد أن لم يكونوا كان هو الخالق لهم لأنهم كانوا ذرية مثلهم لمن تقدمهم كما صار هؤلاء ذرية لهم فاعترفوا بذلك حين ظهرت لهم الحجة، قاله ابن بحر.

والقول الثاني: أنه قال ذلك للذرية حين أخذهم من ظهور[٣٠٩] آبائهم، وهذا قول الأكثرين فعلى هذا فيه قولان:

---

٣٢٦ ـ ٣٢٧) من حديث ابن عباس مرفوعاً «أخذ الله تبلوك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بـ (نعمان) يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال: ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما اشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» والحديث صححه الألباني على شرط مسلم راجع السلسلة الصحيحة رقم ١٦٢٣.

(٣٠٧) سبق في الحديث في التعليق السابق أن ذلك كان في «نعمان» وهو وادي في جبل عرفات.

(٣٠٨) وهذا القول أرجح.

(٣٠٩) ويؤيده ما ثبت في الحديث الصحيح وقد سبق الأشارة إليه.

أحدهما: أنه قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ على لسان الأنبياء بعد أن كملت عقولهم.

والثاني :أنه(٣١٠) جعل لهم عقولاً علموا بها ذلك فشهدوا به على أنفسهم

وفي أصل الذرية قولان:

أحدهما: لأنهم يخرجون من الأصلاب كالذر.

والثاني: أنه مأخوذ من ذرأ الله الخلق إذا أحدثهم وأظهرهم.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

قوله عز وجل :﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنهَا﴾فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه بلعام بن عوراء، واختلفوا فيه فقيل كان من اليمن، وقيل كان من الكنعانيين، وقيل من بني صال بن لوط، قاله ابن عباس، وابن مسعود.

والثاني: أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي، قاله عبدالله بن عمرو.

والثالث: أنه من أسلم من اليهود والنصارى ونافق، قاله عكرمة.

وفي الآيات التي أوتيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اسم الله الأعظم الذي تجاب به الدعوات، قاله السدي وابن زيد.

والثاني: أنها كتاب من كتب الله. قاله ابن عباس.

والثالث: أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته.

(٣١٠)يعني جعلهم يعقلون خطابه لهم ألست بربكم وهذا صحيح كما مر في كلام ابن الأنباري رحمه الله وقد نقلناه آنفاً.

وفي قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنهَا﴾ وجهان:

أحدهما: فانسلخ(٣١١) من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية.

والثاني: أنه انسلخ منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات حتى حكي أن بلعام رُيثي على أن يدعو على قوم موسى بالهلاك فسها فدعا على قومه فهلكوا.

﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشيطان صيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه.

والثاني: أن الشيطان متبع من الإنس على ضلالته من الكفر.

والثالث: أن الشيطان لحقه فأغواه، يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم، وتبعتهم إذا سرت خلفهم، قاله ابن قتيبة.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الهالكين.

الثاني: من الضالين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوشِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني لأمتناه فلم يكفر.

والثاني: لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصوماً، قاله مجاهد.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ركن إليها. وفي ركونه إليها وجهان:

أحدهما: أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله، وقد بين ذلك قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

ثم ضرب مثله بالكلب ﴿. . . إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان:

أحدهما: لدناءته ومهانته.

الثاني: لأن لهث الكلب ليس بنافع له.

---

(٣١١) إن الانسلاخ من العلم من شر المصائب والخطر الكبير الذي يواجه العلماء، كتمان العلم وعدم الإلتزام بشرع الله فهؤلاء هم شر البرية.

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ أي خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته.

و ﴿كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أراد أولاد الزنى لأنهم من النطف الخبيثة مخلوقين، فهم أكثر الناس إسراعاً إلى الكفر والمعصية فيصيرون جامعين بين [سوء] المعتقد وخبث المولد.

والقول الثاني: (٣١٢) أنه على العموم في أولاد الزنى والرِشدة فيمن ولد من نكاح أو سفاح لأنهم مؤاخذون على أفعالهم لا على مواليدهم التي خبثت بأفعال غيرهم.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق.

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الرشد.

﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الوعظ، فصاروا بترك استعمالها بمثابة من عَدِمها، قال مسكين الدارمي (٣١٣):

أعمى إذا ما جارتي خرجت   حتى يُواري جارتي الجدر
وأصم عما كان بينهما   سمعي وما في سمعي الوقر

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(٣١٢) وهو الراجح وأصحاب القول الأول اعتمدوا على حديث مرفوع رواه الطبري (١٣/ ٢٧٧) وإسناده ضعيف لجهالة أحد رواته..

(٣١٣) أمالي المرتضى (١/ ٤٣، ٤٤). وخزانة الأدب ١/ ٤٦٨.

والشطر الثاني من البيت الأول حتى يواري جارتي الخدر.

والشطر الثاني من البيت الثاني. سمعي وما بي غيره وقر.

راجع الطبري (١٣/ ٣٧٩).

قوله عز وجل: ﴿وَ لِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ قال ابن عباس: كل أسمائه حسنى وفي المراد بالحسنى هاهنا وجهان:.

أحدهما: ما مالت إليه القلوب من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة.

والثاني: أسماؤه التي يستحقها لنفسه ولفعله ومنها صفات هي طريق المعرفة به، وهي تسعة:

القديم(٣١٤) الأول قبل كل شيء. والباقي(٣١٥) بعد فناء كل شيء. والقادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء. والحي الذي لا يموت. والواحد الذي ليس كمثله شيء والسميع البصير الذي لا يعزب عنه شيء والغني بنفسه عن كل شيء.

وفي دعائه بها وجهان:

أحدهما: نداؤه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب.

والثاني: تعظيمه بها تعبداً له بذكرها.

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَآئِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه يكذبون، قاله ابن عباس.

والثاني: يشركون، قاله قتادة.

والثالث: يحوّرون، قاله الأخفش.

وفي إلحادهم فيها قولان:

أحدهما: اشتقاقهم آلهتهم من أسماء الله، كما سموا بعضها باللات اشتقاقاً من الله، وبعضها بالعزى اشتقاقاً من العزيز، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: تسميتهم الأوثان آلهة والله عز وجل أبا المسيح وعزير.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

(٣١٤) وإطلاق اسم القديم على الله ليس بصحيح فإنه ليس من أسماء الله تعالى وانما هو من باب الإخبار عن الله وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات راجع ما كتبه العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/) وكذا ما كتبه العلامة الألباني في حاشيته على شرح الطحاوية..

ويغني عن إطلاق هذا الاسم اسمه تعالى الأول وقد ورد في السنة المطهرة والكتاب المبين.

(٣١٥) ويغني عن هذا الاسم اسمه الآخر وقد ورد في الكتاب والسنة.

قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: العلماء.

والثاني: أنهم هذه الأمة. روى ذلك قتادة(٣١٦)، وابن جريج عن النبي ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والاستدراج أن تنطوي على حالة منزلة بعد منزلة.

وفي اشتقاقه قولان:

أحدهما: أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء.

والثاني: أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة.

وفي المشار إليه باستدراجهم قولان:

أحدهما: استدراجهم إلى الهلكة.

والثاني: الكفر.

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون بالاستدراج.

والثاني: لا يعلمون بالهلكة.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ فيه قولان:

---

(٣١٦) رواه الطبري عن قتادة (١٣/٢٨٦) قال بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذ قرأها هذه لكم....

ورواه عن ابن جريج (١٣/٢٨٦) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال هذه في أمتي.......

أحدهما: معنى يضله يحكم[٣١٧] بضلالته في الدين.

والثاني: يضله عن طريق الجنة إلى النار.

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ والطغيان إفراط العدوان.

وفي ﴿يَعْمَهُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: يتحيرون، والعمه في القلب كالعمى في العين.

والثاني: يترددون، قاله قطرب واستشهد بقول الشاعر:

متى يعمه إلى عثمان يعمه ... إلى ضخم السرادق والقطار

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن السائل عنها اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: أن السائل عنها قريش، قاله الحسن، وقتادة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أما ﴿أَيَّانَ﴾ فمعنى متى، ومنه قول الراجز[٣١٨]:

أيان تقضي حاجتي أيانا ... أما ترى لنجحها أوانا

وأما ﴿مُرْسَاهَا﴾ ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: قيامها، قاله السدي.

والثاني: منتهاها، قاله ابن عباس.

والثالث: ظهورها، قاله الأخفش.

---

(٣١٧) ولا تنافي بين هذا القول والذي يليه فإن الله تعالى إذا قضى على شخص بالضلال فقد قدر ذلك عليه أزلاً ويترتب على ذلك أن يضل عن طريق الجنة إلى النار وهذا منه تعالى على جهة العدل فهو سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون وهذه الاقوال التي يسردها المؤلف توافق أهل السنة في باب القدر.

(٣١٨) اللسان (أين) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٣٤) والطبري (١٣/٢٩٣) ووقع في البيت الثاني هنا تصحيف وصوابه.

أما ترى لنجحها إبَّانا ... وكذا هو في القرطبي (٨/٣٣٥)

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ لا يعلم وقتها إلا هو، نفياً أن يعلمها غير الله ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: كبر على أهل السموات والأرض مجيء الساعة، قاله الحسن.

والثاني: ثقل عليهم قيام الساعة، قاله السدي.

والثالث: معناه عظم وصفها على أهل السموات والأرض، قاله ابن جريج.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ يعني على غفلة لأنه لا يعلمها غير الله، ولم ترد الأخبار عنها من جهة الله فصار مجيئها بغتة وذلك أشد لها كما قال الشاعر(*):

وأنكأ شيء حين يفجؤك البغتُ

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه عالِمٌ بها، قاله مجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومعمر.

والثاني: معنى الكلام يسألونك عنها كأنك حفي بهم، على التقديم والتأخير، أي كأن بينك وبينهم مودة توجب برهم، من قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] قاله ابن عباس.

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا﴾ أي لا أملك القدرة عليهما من غير مانع ولا صاد.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يملكني إياه فأملكه بمشيئته.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لاستكثرت من العمل الصالح، قاله الحسن، وابن جريج.

والثاني: لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة، قاله الفراء.

والثالث: وهو شاذ: لاشتريت في الرخص وبعْت في الغلاء(٣١٩).

(*) اللسان بغت وصدر البيت ولكنهم ماتوا ولم أدر بغتة.

(٣١٩) وهذا القول هو معنى قول ابن عباس رضي الله عنه قاله الضحاك عنه ونقله في زاد المسير (٣/ ٣٠٠).

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات.

أحدها: ما بي جنون كما زعم المشركون، قاله الحسن.

والثاني: ما مسني الفقر لاستكثاري من الخير.

والثالث: ما دخلت على شبهة.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ وذلك أن إبليس قال لحواء سَمِّيه: عبد الحارث(٣٢٠)، يعني نفسه لأنه اسمه في السماء كان «الحارث» فسمته عبدالله فمات، ثم حملت ولداً ثانياً فقال لها ذلك فلم تقبل، فمات، ثم حملت ثالثاً فقال لها ولآدم: أتظنان الله تارك عبده عندكما؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخرين فسمياه بذلك فعاش، فهذا معنى قوله: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ أي في الاسم، فروي عن النبي ﷺ أنه قال: خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض.

---

(٣٢٠) وهذا التفسير في سبب النزول ورد مرفوعاً من رواية الحسن البصري وهو مدلس فالحديث ضعيف على هذا راجع تخريجه بتوسع في السلسلة الضعيفة.

وقد ورد في قول الحسن في تفسير الآية قول آخر ولفظه «هم اليهود والنصارى ورزقهم الله أولاداً فهوَّدوهم ونصَّروهم» رواه الطبري (١٣/٣١٥).

قال الحافظ ابن كثير (٢/٢٧٥) «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ممن آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم. قلت: وقد رد الرواية المرفوعة وأبطلها الفخر الرازي وغيره (٣/٣٤٣ ـ ٣٤٥).

وقال الحسن وقتادة: إن المكنّى عنه بقوله ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ ابن آدم وزوجته، وليس براجع إلى آدم وحواء.

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ
يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ
أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ
فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ
بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي
نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ
لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ يعني الأصنام، يعني أرجل يمشون بها في مصالحكم.

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ يعني في الدفع عنكم.

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ يعني مضاركم من منافعكم.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ دعاءكم وتضرعكم.

فإن قيل فلم أنكر عبادة من لا رجل له ولا يد ولا عين؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما: أن من عبد جسماً لا ينفع كان ألوم ممن عبد جسماً ينفع.

والثاني: أنه عرفهم أنهم مفضلون عليها، فكيف يعبدون من هم أفضل منه.

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ

ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قوله عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: العفو من أخلاق الناس وأعمالهم، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد.

الثاني: خذ العفو من أموال المسلمين، وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها، قاله الضحاك والسدي وأحد قولي ابن عباس.

والثالث: خذ العفو من المشركين، وهذا قبل فرض الجهاد، قاله ابن زيد.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه بالمعروف، قاله عروة وقتادة.

والثاني: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل حين نزلت[٣٢١] عليه هذه الآية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالم، قال: ثُمَّ عَادَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك»، قاله ابن زيد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فإن قيل فكيف أمر بالإعراض مع وجوب الإنكار عليهم؟

قيل: إنما أراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم. وهذا وإن كان خطاباً لنبيِّه عليه السلام فهو تأديب لجميع خلقه.

قوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن النزغ الانزعاج.

والثاني: الغضب.

والثالث: الفتنة، قاله مقاتل.

---

(٣٢١) وهذا الأثر رواه الطبري (١٣/ ٣٣٠) بسنده إلى رجل لم يسم وقيل هو أميّ بن ربيعة كما قال محققه الطبري. وقد خرج الأثر السيوطي في الدر (٣/٦٢٨) وزاد نسبته لابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وسمى الرجل الشعبي.

وقد روى ابن مردويه نحوه من حديث جابر كما في الدر (٣/ ٦٢٨).

﴿فَٱسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سميع بجهل من جهل، عليم بما يزيل عنك النزغ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة ﴿طَآئِفٌ﴾، وقرأ(٣٢٢) الباقون ﴿طَيْفٌ﴾ واختلف في هاتين القراءتين على قولين:

أحدهما: أن معناهما واحد وإن اختلف اللفظان، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على أربعة تأويلات:

أحدها: أن الطيف اللمم كالخيال يلم بالإنسان.

والثاني: أنه الوسوسة، قاله أبو عمرو بن العلاء.

والثالث: أنه الغضب، وهو قول مجاهد.

والرابع: أنه الفزع، قاله سعيد بن جبير(٣٢٣).

والقول الثاني: أن معنى الطيف والطائف مختلفان، فالطيف اللمم، والطائف كل شيء طاف بالإنسان.

﴿تذَكَّرُواْ فَإِذَاهُم مُّبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علموا فإذا هم منتهون.

والثاني: اعتبروا فإذا هم مهتدون.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا

(٣٢٢) وهم ابن كثير وأبو عمرو الكسائي ويعقوب كما في المبسوط من القراءات (ص ٢١٨). وفيها قراءة أخرى بتشديد الياء من غير ألف هكذا «طيّف» راجع زاد المسير (٣/٣٠٩).

(٣٢٣) والصواب عدم الاقتصار على شيء من هذه الأشياء وقال الإمام الطبري رحمه الله «يقول إذا ألم بهم لمم من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان أ.هـ (١٣/٣٣٤).

بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه هلا أتيتنا بها من قبل نفسك، وهـذا قول مجاهد، وقتادة.

والثاني: معناه هلا اخترتها لنفسك.

والثالث: معناه هلا تقبلتها من ربك، قاله ابن عباس.

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي لقراءته.

﴿وَأَنصِتُواْ﴾ أي لا تقابلوه بكلام ولا إعراض ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

واختلفوا في موضع هذا الإنصات على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت ولا يقرأ، قاله مجاهد.

والثاني: أنها نزلت في خطبة الجمعة ينصت الحاضر لاستماعها ولا يتكلم، قالته عائشة، وعطاء.

والثالث: ما قاله ابن مسعود[٣٢٤]: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة، سلام على فلان، سلام على فلان، فجاء القرآن من ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ﴾.

وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ وفي هذا الذكر ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر القراءة في الصلاة خلف الإمام سراً في نفسه قاله قتادة.

والثاني: أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته.

---

(٣٢٤) رواه أبو جعفر الطبري (١٣/ ٣٤٥) وفيه انقطاع بين المسيب بن رافع وابن مسعود.

والثالث: ذكره باللسان إما رغبة إليه في دعائه أو تعظيماً له بالآية. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان:

أحدهما: أنه المستمع للقرآن إما في الصلاة أو الخطبة، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ ومعناه عام في جميع المكلفين.

ثم قال: ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ أما التضرع فهو التواضع والخشوع، وأما الخيفة فمعناه مخافة منه.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعني أسرَّ القول إما بالقلب أو باللسان على ما تقدم من التأويلين.

ثم قال تعالى: ﴿بِالْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ فيه وجهان

أحدهما: بالبكر والعشيات.

والثاني: أن الغدو آخر الفجر صلاة الصبح، والأصال آخر العشي صلاة العصر، قاله مجاهد، ونحوه عن قتادة.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عن الذكر.

والثاني: عن طاعته في كل أوامره ونواهيه، قاله الجمهور.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ وهذا أول سجدات التلاوة في القرآن.

وسبب نزولها ما قاله كفار مكة ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [الفرقان: ٦٠].

فأنزل اللّه تعالى هذه الآية وأعلمهم أن الملائكة المقربين إذا كانوا على هذه الحال في الخضوع والرغبة فأنتم بذلك أولى والله أعلم الصواب.

سُورَةُ الأَنفَال

ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥

مدنية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء، وقال ابن عباس: إلا سبع آيات من قوله عز وجل: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾[الأنفال: ٣٠] إلى آخر سبع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وهذا الخطاب لرسول الله ﷺ حين سأله أصحابه يوم بدر عن الأنفال.

وفي هذه الأنفال التي سألوه عنها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الغنائم، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك.

الثاني: أنها السرايا التي تتقدم الجيش، وهذا قول الحسن.

الثالث: الأنفال ما ندّ (٣٢٥) من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من دابة أو عبد، وهذا أحد قولي ابن عباس.

الرابع: أن الأنفال الخمس من الفيء والغنائم التي جعلها الله تعالى لأهل الخمس، وهذا قول مجاهد.

---

(٣٢٥) كذا قال وهو خطأ أو تحريف والصواب «شذ» كما في الطبري (١٣/٣٦٣).

الخامس: أنها زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش لما قد يراه من الصلاح[٣٢٦].

والأنفال جمع نَفَل، وفي النفل قولان:

أحدهما: أنه العطية، ومنه قيل للرجل الكثير العطاء: نوفل، قال الشاعر[٣٢٧]:

يأتي الظلامة منه النوفل الزُّفَرُ

فالنوفل: الكثير العطاء. والزفر: الحمال للأنفال، ومنه سمي الرجل زفر.

والقول الثاني: أن النفل الزيادة من الخير ومنه صلاة النافلة. قال لبيد بن ربيعة[٣٢٨]:

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقاويل:

أحدها: ما رواه ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ[٣٢٩] «مَنْ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» فسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله تعالى عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم رسول الله ﷺ، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءاً لكم، فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية.

الثاني: ما روى محمد بن عبيد[٣٣٠] عن سعد بن أبي وقاص[٣٣١] قال: لما كان يوم بدر قُتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أميةَ وأخذت سيفه وكان يسمى ذا[٣٣٢] الكتيفة فجئت به النبي ﷺ فقلت: هبه لي يا رسول الله، فقال «اَطْرَحْهُ فِي

---

(٣٢٦) ورجحه الطبري (١٣/ ٣٦٥).

(٣٢٧) والبيت لأعشى باهلة اللسان (نفل).

(٣٢٨) ديوانه (٢/ ١١) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٤٠) واللسان (نفل).

(٣٢٩) رواه ابن جرير (١٣/ ٣٦٧) والحاكم (٢/ ٣٢٦) وصححه ووافقه الذهبي وأبو داود (٢٧٣٧) والبيهقي (٦/ ٣١٥) وزاد السيوطي في الدر (٤/ ٦) نسبته لابن أبي شيبة وابن حبان وابن مردويه وأبي الشيخ. وابن المنذر والنسائي.

(٣٣٠) سقط هنا بقية الاسم والتكملة من الطبري هكذا «عبيدالله».

(٣٣١) كذا هنا وفي الدر المنثور (٤/ ٣) «ذا الكتيعة» بالعين بدلاً من الفاء.

(٣٣٢) رواه ابن جرير (١٣/ ٣٧٣) وأحمد رقم (١٥٥٦) وأبو عبيدة في الأموال ٣٠٣ وابن أبي شيبة وابن مردويه كما في الدر (٤/ ٣) وفي الحديث انقطاع بين محمد بن عبيدالله وسعد راجع ما كتب في حاشية الطبري عن هذا الحديث.

القَبض». فطرحته ورجعت وبي من الغم ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي، قال: فما تجاوزت إلا قريباً حتى نزلت عليه سورة الأنفال فقال: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيفَكَ».

الثالث: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً فاختلفوا وكانوا أثلاثاً فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية. فملّكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله، قاله عكرمة والضحاك وابن جريج.

والرابع: أنهم لم يعلموا حكمها وشكّوا في إحلالها لهم مع تحريمها على من كان قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ثم اختلف أهل العلم في نسخ هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الانفال: ٤١]. الآية، قاله عكرمة، ومجاهد، والسدي.

والقول الثاني: أنها ثابتة الحكم ومعنى ذلك؛ قل الأنفال لله، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة، والرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيها، قاله ابن زيد.

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يرد أهل القوة على أهل الضعف.

الثاني: أن يسلّموا لله وللرسول ليحكما في الغنيمة بما شاء الله.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ
زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ
وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خافت.

الثاني: رَقَّتْ.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيهِمْ ءَايَاتُهُ﴾ يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر ونهي.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تصديقاً.

الثاني: خشية.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فيما يخافونه من الشدة في الدنيا.

الثاني: فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة.

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾
وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ
ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهه فريق من المؤمنين كذلك ينجز وعدك في نصرك على أعدائك بالحق.

والثاني: كما أخرجك ربك من بيتك مِن المدينة إلى بدر بالحق كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق.

وفي قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وجهان:

أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق.

الثاني: أنه أخرجك بالحق الذي وجب عليك.

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كارهون خروجك.

الثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم لأنهم لم يعلموا أن الله تعالى قد جعلها لرسوله دونهم.

قوله عز وجل: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ يعني في القتال يوم بدر.

و ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بعد ما تبين لهم صوابه.

الثاني: بعد ما تبين لهم فرضه.

وفي المجادل له قولان:

أحدهما: أنهم المشركون، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم طائفة من المؤمنين(٣٣٣)، وهو قول ابن عباس، وابن إسحاق. لأنهم خرجوا لأخذ العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فلما فاتهم ذلك أمروا بالقتال فجادلوا طلباً للرخصة وقالوا ما تأهبنا في الخروج لقتال العدو، فأنزل الله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ يعني كأنهم في قتال عدوهم يساقون إلى الموت، رعباً وأسفاً لأنه أشد لحال من سيق إلى الموت أن يكون ناظراً له وعالماً به.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ الآية. وسبب ذلك(٣٣٤) أن عير قريش لما أقبلت من الشام مع أبي سفيان همّ رسول الله ﷺ بالخروج لأخذها، وسار فبلغ ذلك قريشاً فخرجت للمنع عنها، فلما علم النبي ﷺ بخروجها شاور أصحابه، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد وقال: «سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ ٱللَّهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الآنَ إِلَى مَصَارِعِ ٱلْقَوْمِ». فذلك معنى قوله ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني العير التي مع أبي سفيان أو الظفر بقريش الخارجين للمنع منها.

---

(٣٣٣) واختاره الطبري (١٣/٣٩٦).

(٣٣٤) رواه ابن جرير (١٣/٣٩٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٢٦) لابن اسحاق وابن المنذر واختصره المؤلف هنا.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي غير ذات الحرب وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن، وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج.

وفي الشوكة التي كُني بها عن الحرب وجهان:

أحدهما: أنها الشدة فكُني بها عن الحرب لما فيها من الشدة، وهذا قول قطرب.

والثاني: أنها السلاح، وكُني بها عن الحرب لما فيها من السلاح، من قولهم رجل شاكٍ في السلاح، قاله ابن قتيبة.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إظهار الحق بإعزاز الدين في وقته على ما تقدم من وعده.

والثاني: أن الحق في أمره لكم أن تجاهدوا عدوكم.

وفي صفة ذلك وجهان لأصحاب الخواطر.

أحدهما: يحق الحق بالإقبال عليه ويبطل الباطل بالإعراض عنه.

الثاني: يحق الحق بالقبول ويبطل الباطل بالرد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ معناه ليظهر الحق يعني الإسلام.

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ﴾ أي يذهب بالباطل يعني الشرك.

قال الحسن. هذه الآية نزلت قبل قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهي في القراءة بعدها.

روى سماك عن عكرمة قال(٣٣٥): قيل لرسول الله ﷺ يوم بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فقال له العباس وهو أسير في أيديهم: ليس لك ذلك، فقال: «لم؟» فقال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

(٣٣٥) والحديث مرسل من مرسلات عكرمة كما ترى ولم اظفر بمن خرجه ولا من وصله والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تستنصرون.

الثاني: تستجيرون.

والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر: طالب الظفر، والمستجير: طالب الخلاص.

والفرق بين المستغيث والمستعين أن المستغيث: المسلوب القدرة، والمستعين الضعيف القدرة.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ أي فأعانكم.

والفرق بين الاستجابة والإجابة أن الإجابة ما لم يتقدمها امتناع.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مع كل ملك ملك، وهو قول ابن عباس فتكون الألف ألفين. قال الشاعر(٣٣٦):

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

الثاني: معناه متتابعين، قاله السدي، وقتادة.

الثالث: معنى مردفين أي ممدّين، والإرداف إمداد المسلمين بهم، قاله مجاهد.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن البشرى هي في مددهم بألف من الملائكة بشروهم بالنصر فكانت، هي البشرى التي ذكرها الله تعالى.

والثاني: البشرى النصرة التي عملها الله لهم.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالبشرى.

والثاني: بالملائكة.

واختلفوا في قتال الملائكة معهم على قولين:

---

(٣٣٦) هو خزيمة بن زيد والبيت في الأغاني (١٣/ ٧٨) واللسان (ردف) والمعارف لابن قتيبة ٣٠٢ والأمثال للميداني (١/ ٦٥). وجمهرة الأمثال ٣١.

أحدهما: لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم، وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط.

الثاني: أن الملائكة قاتلت مع النبي ﷺ كما روى ابن مسعود أنه سأله أبو جهل: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: «مِن قِبَلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ» فقال: هم غلبونا لا أنتم.

وقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله تعالى.

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وكثيراً من أصحابه غشيهم النعاس ببدر.

قال سهل بن عبدالله: النعاس يحل في الرأس مع حياة القلب، والنوم يحل في القلب بعد نزوله من الرأس، فهوَّم[٣٣٧] رسول الله ﷺ حتى ناموا فبشر جبريل رسول الله ﷺ بالنصر فأخبر به أبا بكر.

وفي امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أمَّنهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال: الأمن منيم، والخوف مسهر.

---

(٣٣٧) من التهويم وهو أول النوم وهو دون النوم الشديد (النهاية ٥/٢٨٣).

وقوله تعالى: ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ يعني به الـدعة وسكـون النفس من الخوف وفيـه وجهان:

أحدهما: أمنة من العدو.

الثاني: أمنة من الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ لأن الله تعالى أنزل عليهم ماء السماء معونة لهم بثلاثة أمور:

أحدها: الشرب وإن كانوا على ماء.

الثاني: وهو أخص أحواله بهم في ذلك المكان وهو أن الرمل تلبد بالماء حتى أمكن المسلمين القتال عليه.

والثالث: ما وصفه الله تعالى به من حال التطهير.

وفي تطهيرهم به وجهان:

أحدهما: من وساوس الشيطان التي ألقى بها في قلوبهم الرعب، قاله زيد بن أسلم.

والثاني: من الأحداث والأنجاس التي نالتهم، قاله الجمهور.

قال ابن عطاء: أنزل عليهم ماءً طهر به ظواهر أبدانهم، وأنزل عليهم رحمة نقَّى بها سرائر قلوبهم.

وإنما خصه الله تعالى بهذه الصفة لأمرين.

أحدهما: أنها أخص صفاته.

والثاني: أنها ألزم صفاته.

ثم قال: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وسوسته أن المشركين قد غلبوهم على الماء، قاله ابن عباس.

والثاني: كيده وهو قوله: ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة، قاله ابن زيد.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: ثقة بالنصر.

والثاني: باستيلائهم على الماء.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالصبر الذي أفرغه الله تعالى حتى يثبتوا لعدوهم، قاله أبو عبيدة.

والثاني: تلبيد الرمل بالمطر الذي لا يثبت عليه قدم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ معناه معينكم (٣٣٨) ويحتمل أن يكون معناه إني معكم في نصرة الرسول، فتكون الملائكة لتثبيت المؤمنين، والله تعالى متولي النصر بما ألقاه من الرعب في قلوب المشركين.

﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: فثبوتهم بحضوركم معهم في الحرب.

والثاني: بقتالكم معهم يوم بدر، قاله الحسن.

والثالث: بإخبارهم أنه لا بأس عليهم من عدوهم.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ يعني الخوف، ويحتمل أحد وجهين: إما أن يكون إلقاء الرعب بتخاذلهم، وإما أن يكون بتكثير المسلمين في أعينهم.

وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك للملائكة معونة لهم.

والثاني: أنه قال ذلك لهم ليثبتوا به الذين آمنوا.

﴿فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: فاضربوا الأعناق، وفوق صلة زائدة (٣٣٩) في الكلام، قاله عطية والضحاك.

وقد روى المسعودي (٣٤٠) عن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِأُعَذِّبَ بِعَذَابِ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ بِضَرْبِ ٱلْأَعْنَاقِ وَشَدِّ ٱلْوَثَاقِ ».

والثاني: معناه واضربوا الرؤوس فوق الأعناق، قاله عكرمة.

---

(٣٣٨) وهو أحد أنواع المعية الخاصة وهي هنا معية النصر والتأييد وهي خاصة لأوليائه من المؤمنين.

(٣٣٩) لكن نقل الشوكاني في فتح القدير (٣/٢٩١) عن محمد بن يزيد قوله. هذا خطأ لأن فوق يفيد معنى لا يجوز زيادتها ولكن المعنى أنه أبيح لهم ضرب الوجوه وما قرب منها أ هـ.

(٣٤٠) رواه الطبري (١٣/٢٩) وهو حديث معضل.

والثالث: فاضربوا على الأعناق.

والرابع: فاضربوا على الأعناق[٣٤١].

والخامس: فاضربوا فوق جلدة الأعناق.

﴿وَٱضْرِبُوا مِنهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ يعني المفاصل من أطراف الأيدي والأرجل والبنان: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً﴾ والزحف: الدنو قليلاً قليلاً.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ يعني بالهزيمة منهم والانصراف عنهم. وفيه قولان:

أحدهما: أن هذا على العموم في تحريم الهزيمة بعد لقاء العدو.

والثاني: مخصوص وهو أن الله تعالى أوجب في أول الإسلام على كل رجل من المسلمين أن يقف بإزاء عشرة من المشركين لا يحل له بعد اللقاء أن ينهزم عنهم وذلك بقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مَائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] وفيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من الإسلام.

الثاني: لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من القتال.

ثم نسخ ذلك عنهم بعد كثرتهم واشتداد شوكتهم فأوجب الله تعالى على كل رجل لاقى المشركين محارباً أن يقف بإزاء رجلين بعد أن كان عليه أن يقف بإزاء عشرة تخفيفاً ورخصة وذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضَعْفاً﴾.

(٣٤١) وإذا كان القول الرابع هكذا فهو كالقول الثالث تماماً ولعل القول الرابع يقصد به المؤلف رحمه الله الضرب على المذابح (أي أماكن الذبح) وهي في أعالي الأعناق والله أعلم.

قريء بضم الضاد[٣٤٢] وفتحها، وفي اختلاف القراءتين وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الفراء.

والثاني: معناهما مختلف.

وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: أنها بالفتح: الضعف في الأموال، وبالضم: الضعف في الأحوال.

الثاني: أنها بالفتح: الضعف في النيات، وبالضم: الضعف في الأبدان. وقيل بعكس الوجهين في الوجهين.

ثم قال: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مع الصابرين على القتال في معونتهم على أعدائهم.

الثاني: مع الصابرين على الطاعة في قبول عملهم وإجزال ثوابهم، فصار حتماً على من لاقى عدوه من المشركين زحفاً أن لا ينهزم مع القوة على المصابرة حتى يقضي الله من أمره ما شاء، فأما الهزيمة مع العجز عن المصابرة فإن قاتله أكثر من مثليه جاز أن يُولي عنهم منهزماً، وإن قاتله مثلاه فمن دون حرم عليه أن يولّي عنهم منهزماً إلا على صفتين: إما أن يتحرف لقتال وهو أن يهرب ليطلب، ويفر ليكر فإن الحرب كرٌ وفرٌ، وهرب وطلب، وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى ليقاتل معها، قربت الفئة أو بعدت، وذلك ظاهر في قوله تعالى:

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي صار بالمكان الذي يحق عليه غضب الله، مأخوذ من المبوأ وهو المكان.

ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيه أن هذا على العموم[٣٤٣]، محكوم به في كل مسلم لاقى عدواً، وبه قال عبدالله بن عباس.

---

(٣٤٢) وهي قراءة بضم الضاد وفتح العين وهي قراءة ابن جعفر هكذا «وعلم أن فيكم ضعفاء» على وزن فُعلآء جمع ضعيف المبسوط ص ٢٢٢ وزاد المسير (٣/ ٣٧٩).

(٣٤٣) قال أبو جعفر الطبري (٣/ ٤٤٠)«وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي قول من قال حكمها محكم [أي غير منسوخة] وأنها نزلت في أهل بدر وحكمها ثابت في جميع المؤمنين وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرف لقتال أو التحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كان

وحكي عن الحسن، وقتادة، والضحاك: أن ذلك خاص في أهل بدر، وبه قال أبو حنيفة.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم.

والثاني: ولكن الله قتلهم بمعونته لكم حين ألقى في قلوبهم الرعب وفي قلوبكم النصر.

وفيه وجه ثالث قاله ابن بحر: ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم.

وقيل لم تقتلوهم بقوتكم وسلاحكم ولكن الله قتلهم بخذلانهم وقبض أرماحهم(٣٤٤).

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ما حكاه ابن عباس، وعرة، والسدي: أن النبي(٣٤٥) ﷺ قبض يوم بدر قبضة من تراب رماهم بها وقال: «شَاهَتِ ٱلْوُجُوهُ» أي قبحت ومنه قول الحطيئة(٣٤٦):

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه.. فقُبح من وجهٍ وقبح حامله.

فألقى اللَّه تعالى القبضة في أبصارهم حتى شغلتهم بأنفسهم وأظفر اللَّه المسلمين بهم، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

الثاني: معناه وما ظفرت إذ رميت ولكن الله أظفرك، قاله أبو عبيدة.

الإسلام وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

(٣٤٤) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب أرواحهم والله أعلم.

(٣٤٥) وقال الشوكاني في فتح القدير (٢/٢٩٤) «وهو الصحيح» يعني من القول ورواه الطبري من رواية السدي (١٣/٤٤٥).

(٣٤٦) ديوانه:

الثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ولكن الله ملأ قلوبهم رعباً.

والقول الرابع: أنه أراد رمى أصحابه بالسهم فأصاب رميهم(*).

وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني بما أرسله من الريح المعينة لسهامهم حتى سددت وأصابت. والمراد بالرمي الإصابة لأن معنى الرمي محمول على الإصابة، فإن لم يصب قيل رمى فأخطأ. وإذا قيل مطلقاً: قد رمى، لم يعقل منه إلا الإصابة، ألا ترى إلى قول امرىء القيس:

فرماها في فرائصها.

فاستغنى بذكر الرمي عن وصفه بالإصابة.

وقال ذو الرمة في الرأي(٣٤٧):

رمى فأخطأ والأقدار غالبةٌ.. فانصاع والويل هجيراه والحربُ

قوله عز وجل: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ قال أصحاب الخواطر: البلاء الحسن ما يورثك الرضا به والصبر عليه.

وقال المفسرون: البلاء الحسن ها هنا النعمة بالظفر والغنيمة.

إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن تستنصروا الله، فالفتح النصر، فقد جاءكم فضل الله بنصرنا، حكاه ابن الأنباري.

والثاني: معناه إن تستنصروا الله، والفتح النصر، فقد جاءكم نصر الله لنا عليكم. وفي هذا الخطاب قولان.

أحدهما: أنه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا يوم بدر بأن قالوا: اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه، فنصر الله تعالى نبيه والمسلمين عليهم.

(*) بياض في الأصل مقدار ثلاث كلمات.

(٣٤٧) اللسان (هجر) والشطر الثاني فيه فانصعن والويل هجِّيراه والحرب.

ثم قال ﴿وَإن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن الاستنصار كان عليهم لا لهم. ﴿وَإن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإن تعودوا إلى مثل هذا التكذيب نعد إلى مثل هذا التصديق.

والثاني: وإن تعودوا إلى مثل هذا الاستفتاح نعد إلى مثل هذا النصر.

والقول الثاني: أنه خطاب للمؤمنين نصرهم الله تعالى يوم بدر حين استنصروه ﴿وَإن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني عما فعلتموه في الأسرى والغنيمة. ﴿وإن تعودوا نعد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإن تعودوا إلى الطمع **نعد** إلى المؤاخذة.

الثاني: وإن تعودوا إلى مثل ما كان منكم في الأسرى والغنيمة نعد إلى الإنكار عليكم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أما الدواب فاسم لكل ما دب على الأرض من حيوانها لدبيبه عليها مشياً، وكان بالخيل أخص. والمراد بِشَرِّ الدواب الكفار لأنهم شر ما دبّ على الأرض من الحيوان.

ثم قال: ﴿الصُّمُّ﴾ لأنهم لا يسمعون الوعظ. ﴿الْبُكْمُ﴾ والأبكم هو المخلوق أخرس، وإنما وصفهم بالبكم لأنهم لا يقرون بالله تعالى ولا بلوازم طاعته.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه.

والثاني: لا يعتبرون اعتبار العقلاء.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار.

قوله عز وجل: ﴿وَلَو عَلِمَ اللَّهُ فِيهِم خَيْراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: اهتداء.

الثاني: إصغاء.

﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدهما: لأسمعهم الحجج والمواعظ سماعَ تفهيم وتعليم، قاله ابن جريج وابن زيد.

الثاني: لأسمعهم كلام الذين طلبوا إحياءهم من قصي بن كلاب وغيره يشهدون بنبوتك قاله بعض المتأخرين.

والثالث: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه، قاله الزجاج.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ولو أسمعهم الحجج والمواعظ لأعرضوا عن الإصغاء والتفهم.

والثاني: ولو أجابهم إلى ما اقترحوه لأعرضوا عن التصديق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني أجيبوا الله والرسول قال كعب بن سعد الغنوي[٣٤٨].

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وإجابة الله تعالى هي طاعة أمره، وإنما خرجت عن هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء إليها فصارت إجابة لها.

﴿إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: إذا دعاكم إلى الإيمان، قاله السدي.

والثاني: إذا دعاكم إلى الحق، قاله مجاهد.

والثالث: إذا دعاكم إلى ما في القرآن، قاله قتادة.

والرابع: إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو، قاله ابن إسحاق.

(٣٤٨) فتح القدير (٢/٢٩٩).

والخامس: إذا دعاكم إلى ما فيه دوام حياتكم في الآخرة، ذكره علي بن عيسى.

والسادس: إذا دعاكم إلى ما فيه إحياء أمركم في الدنيا، قاله الفراء.

والسابع: أنه على عموم الدعاء فيما أمرهم به.

روى العلاء بن عبد الرحمن(٣٤٩) عن أبيه عن أبي هريرة قال: مر سول الله ﷺ على أُبيّ وهو قائم يصلي فصرخ به قال «يَا أُبيّ»، قال فعجل في صلاته، ثم جاء، فقال رسول الله ﷺ «مَا مَنعَكَ إذْ دَعَوتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي، فقال «أَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إلَيَّ ﴿اسْتَجِيْبُوالِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال بلى يا رسول الله، لا أعود(٣٥٠).

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فيه لأهل التأويل سبعة أقاويل:

أحدها: يحول بين الكافر والإيمان، وبين المؤمن والكفر، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك.

والثاني: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل، قاله مجاهد.

والثالث: يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه، قاله السدي.

والرابع: معناه أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفى عليه شيء من سره أو جهره فصار أقرب إليه من حبل الوريد، وهذا تحذير شديد، قاله قتادة.

والخامس: معناه يفرق بين المرء وقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك فائت. ذكره علي بن عيسى.

والسادس: يحول بين المرء وما يتمناه بقلبه من البقاء وطول العمر والظفر والنصر، حكاه ابن الأنباري.

---

(٣٤٩) رواه الطبري (١٣/٤٦٧) واللفظ له وأحمد (٢/٤١٢/٤١٣) والترمذي (٣٠٣٦) وصححه وللحديث روايات أخرى راجعها في الفتح (٨/١١٩ ـ ٢٣١).

(٣٥٠) قال العلامة الشوكاني (٢/٢٩٩).

«ويستدل بهذه الآية على أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائناً ما كان ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال وفي هذه الآية الشريفة أعظم باعث على العمل بنصوص الأدلة وترك الاعتداد بالرأي وعدم الاعتداد بما يخالف ما في الكتاب والسنة كائناً ما كان.

والسابع: يحول بين المرء وما يوقعه في قلبه من رعب وخوف أو قوة وأمن، فيأمن المؤمن من خوفه، ويخاف الكافر عذابه.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنه المنكر، أمر الله تعالى المؤمنين ألا يقروه بين أظهرهم فيعمهم العذاب قاله ابن عباس.

والثاني: أنها الفتنة بالأموال والأولاد كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[الأنفال: ٢٨] قاله عبدالله بن مسعود.

والثالث: أن الفتنة ها هنا البلية التي يبلى الإنسان بها، قاله الحسن.

والرابع أنها نزلت في النكاح بغير وليّ، قاله بشر بن الحارث(٣٥١).

ويحتمل خامساً: أنها إظهار البدع.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خَاصَّةً﴾ وجهان:

أحدهما: لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا.

الثاني: لا يصيبن عقابُ الفتنة، فتكون لأهل الجرائم عقوبة، ولأهل الصلاح ابتلاء.

وفيه وجه ثالث: أنه دعاء للمؤمن أن لا تصيبه فتنة، قاله الأخفش.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُم قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد بذلك قلتهم إذ كانوا بمكة وذلتهم باستضعاف قريش لهم.

وفي هذا القول وجهان:

---

(٣٥١) هو بشر بن الحارث الزاهد المعروف بالحافي كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد وأخباره كثيرة. وشمائله في التقشف والزهد والورع شهيرة له ترجمة في تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٩، ٣٩٠).

أحدهما: أن الله ذكّرهم بذلك نعمه عليهم.

والثاني: الإخبار بصدق وعده لهم.

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالناس كفار قريش، قاله عكرمة وقتادة.

والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه.

ثم بيّن ما أنعم به عليهم فقال ﴿فَئَاوَاكُمْ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أي جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين.

والثاني: فآواكم بالهجرة إلى المدينة، قاله السدي.

﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ أي قواكم بنصره لكم على أعدائكم يوم بدر.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني من الحلال، وفيه قولان:

أحدهما: ما مكنكم فيه من الخيرات.

والثاني: ما أباحكم من الغنائم، قاله السدي.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في المهاجرين خاصة بعد بدر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا تخونوا الله سبحانه والرسول عليه السلام كما صنع المنافقون في خيانتهم، قاله الحسن والسدي.

والثاني: لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده من أموالكم.

ويحتمل ثالثاً: أن خيانة الله بمعصية رسوله، وخيانة الرسول، بمعصية كلماته.

﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

الثاني: فيما ائتمن(٣٥٢) الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها.

(٣٥٢) وقد جمعنا في شرح الأمان وصورها رسالة خاصة بعنوان طلب الإعانة في شرح حديث الأمانة يسر الله طبعها.

والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان.

﴿وَأَنتُم تَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة،

والثاني: وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من جهل.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في أبي لُبابَة بن عبد المنذر أرسله رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم سعد فاستشاروه وكان قد أحرز أولاده وأمواله عندهم فأشار عليهم أن لا يفعلوا وأومأ بيده إلى حلقه أنه الذبح، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية إلى قوله:

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُم فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن ما عند الله تعالى من الأجر خير من الأموال والأولاد.

والثاني: أن ما عند الله تعالى من أجر الحسنة التي يجازي عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التي لا يجازي عليها إلا بمثلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل ﴿يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معنى فرقاناً أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، قاله ابن زيد وابن إسحاق.

والثاني: يعني مخرجاً في الدنيا والآخرة، قاله مجاهد.

والثالث: يعني نجاة، قاله السدي.

والرابع: فتحاً ونصراً، قاله الفراء.

ويحتمل خامساً: يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ وذلك أن قريشاً تآمروا في دار الندوة على رسول الله ﷺ فقال عمرو بن هشام: قيدوه واحبسوه في بيت نتربص به ريب المنون. وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم على بعير مطرود تستريحوا منه ومن أذاه لكم. قال أبو جهل: ما هذا برأي ولكن اقتلوه وليجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية. فأوحى الله عز وجل بذلك إلى نبيه ﷺ فخرج إلى الغار مع أبي بكر رضي الله عنه ثم هاجر منه إلى المدينة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

فهذا بيان قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليثبتوك في الوثاق، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة.

والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء وعبد الله بن كثير والسدي.

والثالث: معنى يثبتوك أي يخرجوك، كما يقال قد أثبته في الحرب إذا أخرجته، قاله بعض المتأخرين.

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أو يخرجوك من مكة إلى طرف من أطراف الأرض كالنفي.

والثاني: أو يخرجوك على بعير مطرود حتى تهلك، أو يأخذك بعض العرب فتقتلك فتريحهم منك، قاله الفراء.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: قد سمعنا هذا منكم ولا نطيعكم.

والثاني: قد سمعنا قبل هذا مثله فماذا أغناكم.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مثل هذا في النظم والبيان معارضة له في الإعجاز.

والثاني: مثل هذا في الاحتجاج معارضة له في الاستدعاء إلى الكفر.

﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّآ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني أحاديث الأولين ويحتمل وجهين:

أحدهما: أنه قصص من مضى وأخبار من تقدم.

والثاني: أنه مأخوذ عمن تقدم وليس بوحي من الله تعالى.

وقيل إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة، وقد قتله النبي ﷺ صبراً في جملة ثلاثة من قريش: عقبه بن أبي معيط، والمطعم بن عدي، والنضر بن الحارث وكان أسير المقداد، فلما أمر رسول الله ﷺ بقتل النضر قال المقداد: أسيري يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ «اللَّهُمَّ أَعِنِ(٣٥٣) المِقْدَادَ»، فقال: هذا أردت. وفيه أنزل الله تعالى الآية التي بعدها.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَـارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي هذا القول وجهان:

أحدهما: أنهم قالوا ذلك عناداً للحق وبغضاً للرسول ﷺ.

والثاني: أنهم قالوا ذلك اعتقاداً أنه ليس بحق. وفيهم نزل قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]. قال عطاء: لقد نزلت في النضر بضع عشرة آية من كتاب الله تعالى.

قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه قال ذلك إكراماً لنبيه وتعظيماً لقدره أن يعذب قوماً هو بينهم تعظيماً لحرمته.

---

(٣٥٣) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب «اللهم أغن المقداد» والتصحيح من الطبري(١٣/ ٥٠٤) والأثر من قول سعيد بن جبير ولم يعزه المؤلف هنا إليه وعلى هذا فالأثر مرسل.

والثاني: إرساله فيهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون وهذا قول الضحاك وأبي مالك وعطية.

والثاني: لا يعذبهم في الدنيا وهم يستغفرون فيها فيقولون: غفرانك.

قال ابن عباس(٣٥٤): كان المشركون بمكة يطوفون بالبيت ويقولون: لبيك لبيك لا شريك لك، فيقول النبي ﷺ «قَدْ قَدْ»(٣٥٥) فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، ويقولون غفرانك، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قاله أبو موسى ويزيد(٣٥٦) بن رومان ومحمد بن قيس.

والثالث: أن الاستغفار في هذا الموضع الإسلام، ومعنى الكلام: وما كان الله معذبهم وهم يسلمون، قاله عكرمة ومجاهد.

والرابع: وما كان الله معذب من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام، قاله ابن عباس.

والخامس: معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا استدعاء لهم إلى الاستغفار، قاله قتادة والسدي وابن زيد.

والسادس: وما كان الله معذبهم أي مهلكهم وقد علم أن لهم أولاد وذرية يؤمنون ويستغفرون

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا

(٣٥٤) رواه الطبري (١٣/ ٥١١، ٥١٢) وزاد السيوطي في الدر نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الشيخ وابن مردويه. والبيهقي في سننه الدر، (٤/ ٥٥).

(٣٥٥) أي حسبكم لا تزيدوا.

(٣٥٦) هو أبو روح المدني يزيد بن رومان مولى آل الزبير قرأ القرآن على عبدالله بن عباس بن ابي ربيعة وكان عالماً كثير الحديث ثقة توفي سنة ثلاثين ومائة له ترجمة في تهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٤).

كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ في المكاء قولان:

أحدهما: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم، قاله مجاهد.

والثاني: هو أن يشبك بين أصابعه ويصفر في كفه بفيه فيكون المكاء هو الصفير، ومنه قول عنترة:(٣٥٧)

وحليل غانيةٍ تركت مُجدّلا   تمكو فريصته بشدق الأعلم

أي تصفر بالريح لما طعنته.

وأما التصدية ففيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه التصفيق، قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومنه قول عمرو بن الإطنابة(٣٥٨).

وظلواْ جميعاً لهم ضجة   مكاء لدى البيت بالتصدية

والثاني: أنه الصد عن البيت الحرام، قاله سعيد (٣٥٩) بن جبير وابن زيد.

والثالث: أن يتصدى بعضهم لبعض ليفعل مثل فعله، ويصفر له إن غفل عنه، قاله بعض المتأخرين.

الرابع: أنها تفعلة من صد يصد، وهو الضجيج، قاله أبو عبيدة. ومنه قوله تعالى ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] أي يضجون.

الخامس: أنه الصدى الذي يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله، قاله ابن بحر.

فإن قيل: فلم سمَّى الله تعالى ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية صلاة وليس منها؟

(٣٥٧) سيرة ابن هشام (٢/٣٢٦) والمعاني الكبير (٩٨١) واللسان (مكا) والبيت من معلقة عنترة المشهورة.

(٣٥٨) فتح القدير (٢/٣٠٦).

(٣٥٩) قال العلامة الألوسي معقباً على قول سعيد(٩/٢٠٣) تفسير التصدية لصد الناس عن المسجد الحرام قال «فيه بعد وأبعد من ذلك تفسير عكرمة لها بالطواف على الشمال بل لا يكاد يسلم» وقال العلامة ابن جرير (٥٢٧/١٣) عن قول سعيد «قول لا وجه له».

قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: أنهم كانوا يقيمون التصفيق والصفير مقام الدعاء والتسبيح فجعلوا ذلك صلاة وإن لم يكن في حكم الشرع صلاة.

والثاني: أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عذاب السيف يوم بدر، قاله الحسن والضحاك وابن جريج وابن إسحاق.

والثاني: أنه يقال لهم في الآخرة ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: فالقوا.

الثاني: فجربوا.

وحكى مقاتل في نزول هذه الآية أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام من كفار بني عبد الدار بن قصي رجلان عن يمين النبي ﷺ يصفران كما يصفر المكاء والمكاء طائر، ورجلان منهم عن يساره يصفقان بأيديهما ليخلطوا عليه صلاته وقراءته، فنزلت هذه الآية فيهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها نفقة قريش في قتال رسول الله ﷺ يوم بدر، قاله الضحاك.

والثاني: أنه أبو سفيان استأجر معه يوم أُحد ألفين من الأحابيش ومنه كنانة[٣٦٠]

(٣٦٠) كذا هنا وفي المطبوعة ولعله «من بني كنانة» كما في الطبري (١٣/ ٥٣٠).

ليقاتل بهم رسول الله ﷺ، سوى من انحاز إليه من العرب، قاله سعيد ومجاهد والحكم بن عيينة، وفي ذلك يقول كعب بن مالك:

وجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسرٌ ومقنع
ثلاثة آلافٍ ونحن نَصِيَّة ... ثلاثُ مئينٍ إن كثرنا فأربع

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيهِم حَسْرَةً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يكون إنفاقها عليهم حسرة وأسفاً عليها.

والثاني: تكون خيبتهم فيما أملوه من الظفر عليهم حسرة تحذرهم بعدها.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ وعد بالنصر فحقق وعده.

قوله عز وجل ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحلال من الحرام.

الثاني: الخبيث ما لم تخرج منه حقوق الله تعالى، والطيب: ما أخرجت منه حقوق الله تعالى.

ويحتمل ثالثاً: أن الخبيث: ما أنفق في المعاصي، والطيب: ما أنفق في الطاعات.(٣٦١)

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي يجمعه في الآخرة وإن تفرق في الدنيا ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾ أي يجعل بعضه فوق بعض، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾ [النور: ٤٣].

وفي قوله تعالى ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ وإن كانت الأموال لا تعذّب وجهان:

أحدهما: أن يجعلها عذاباً في النار يعذبون بها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥] الآية.

الثاني: أنه يجعل أموالهم معهم في جهنم لأنهم استطالوا بها وتقووا على معاصي الله فجعلها معهم في الذل والعذاب كما كانت لهم في الدنيا عزاً ونعيماً

---

(٣٦١) سيرة ابن هشام (١٤١/٣) ونسب قريش (٩) وطبقات فحول الشعراء (١٨٣) والطبري (٥٣٠/١٣) وفي السيرة إن كدنا وأربع واستصوبه محقق الطبري.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عز وجل **﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾** يحتمل وجهين:

أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة إلى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المؤاخذة والمعاقبة.

والثاني: إن ينتهوا عن الكفر بالإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الآثام.

﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تأويله على احتمال الوجهين الأولين:

فعلى الوجه الأول: تأويله: وإن يعودواْ إلى المحاربة فقد مضت سنة الأولين فيمن قتل يوم بدر وأسر، قاله الحسن ومجاهد والسدي.

وعلى الوجه الثاني: فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة فيما أخذهم الله به في الدنيا من عذاب الاستئصال.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله ﷺ عام الفتح وقال لهم: «**مَا ظَنُّكُم بِي وَمَا ٱلَّذِي تَرَونَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُم؟**» قالوا: ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا، فقال ﷺ: «**أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾.** » [يوسف: ٩٢] فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ مَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ذكر الله تعالى الفيء في سورة[٣٦٢] الحشر والغنيمة في هذه السورة.

واختلفوا في الفيء والغنيمة على ثلاثة أقاويل.

أحدها: أن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرض، قاله عطاء بن السائب:

والثاني: أن الغنيمة ما أخذ عنوة، والفيء ما أخذ عن صلح، قاله الشافعي وسفيان الثوري.

والثالث: أن الفيء والغنيمة سواء وهو كل مال أخذ من المشركين، وآية الفيء التي هي في سورة الحشر منسوخة بآية الغنيمة التي في سورة الأنفال، قاله قتادة[٣٦٣].

وقوله تعالى ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح حواه المسلمون من أموال المشركين.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه استفتاح كلام، فلله الدنيا والآخرة وما فيهما، ومعنى الكلام فأن للرسول خمسه، قاله الحسن وعطاء وقتادة وإبراهيم والشافعي، وروى نهشل عن الضحاك عن ابن[٣٦٤] عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرّية فغنموا خمّس الغنيمة فصرف ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ وإنما قوله ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ مفتاح كلام، ولله ما في السموات وما في الأرض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحد.

والثاني: أن سهم الله مستحق لبيته، ومعناه فإن لبيت الله خمسه وللرسول وقد روى الربيع بن أنس عن أبي العالية[٣٦٥] الرياحي قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى

---

(٣٦٢) في قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ [الحشر: ٧].

(٣٦٣) وقد عقب العلامة ابن جرير على قول قتادة هذا بقوله: وأما قول من قال الآية التي في سورة الأنفال ناسخة للآية التي في سورة الحشر فلا معنى له إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ينفي حكم الأخرى.

(٣٦٤) إسناده ضعيف جداً رواه الطبري (١٣/٥٤٩) مطولاً وفي (١٣/٥٥٦) مختصراً وفي سنده نهشل وهو ابن سعيد بن وردان قال إسحق بن إبراهيم كان نهشل كذاباً وبذلك يسقط الخبر.

(٣٦٥) وقول أبي العالية هذا يقتضي أن يقسم على ستة أسهم وهو قول تفرد به عن الجمهور.

بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل.

وقوله تعالى ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه مفتاح كلام اقترن بذكر الله وليس للرسول من ذلك شيء كما لم يكن لله من ذلك شيء، وأن الخمس مقسوم على أربعة أسهم، وهذا قول ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة.

والثاني: أن ذلك للرسول وهو قول الجمهور.

واختلفوا في سهم رسول الله ﷺ بعده على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة.

والثاني: أنه لقرابة النبي ﷺ إرثاً، وهذا قول من جعل النبي موروثاً.

والثالث: أن سهم الرسول ﷺ مردود على السهام الباقية ويقسم الخمس على أربعة.

والرابع: أنه مصروف في مصالح المسلمين العامة، قاله الشافعي.

والخامس: أن ذلك مصروف في الكراع(٣٦٦) والسلاح، وروي أن ذلك فعل أبي بكر وعمر، رواه النخعي.

أما قوله تعالى ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فاختلف فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم بنو هاشم، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم قريش كلها، روى سعيد المقري قال: كتب(٣٦٧) نجدة إلى عبدالله بن عباس يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه عبدالله بن عباس: كنا نقول إننا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا: قريش كلها ذوو قربى.

الثالث: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، قاله الشافعي والطبري.

واختلفوا في سهمهم اليوم على أربعة أقاويل:

(٣٦٦) الكراع اسم يجمع الخيل.

(٣٦٧) رواه الطبري (١٣/٥٥٤، ٥٥٥) وابو عبيدة في كتاب الأموال بنحوه (رقم ٨٥٠ ـ ٨٥٢).

أحدها: أنه لهم أبداً كما كان لهم من قبل، قاله الشافعي.

والثاني: أنه لقرابة الخليفة القائم بأمور الأمة.

والثالث: أنه إلى الإمام يضعه حيث شاء.

والرابع: أن سهمهم وسهم رسول الله ﷺ مردود على باقي السهام وهي ثلاثة، قاله أبو حنيفة.

وأما ﴿وَٱلْيَتَامَىٰ﴾ فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط:

أحدها: موت الأب وإن كانت الأم باقية، لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء.

والثاني: الصغر، لقول رسول الله ﷺ: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ حُلُمٍ**»(٣٦٨).

والثالث: الإسلام لأنه مال المسلمين.

والرابع: الحاجة لأنه معد للمصالح.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنه لأيتام أهل الفيء خاصة.

والثاني: أنه لجميع الأيتام.

وأما ﴿ٱلْمَسَاكِينِ﴾ فهم الذين لا يجدون ما يكفيهم.

وأما أبناء السبيل فهم المسافرون من ذوي الحاجات، والإسلام فيهم معتبر. وهل يختص بأهل الفيء؟ على القولين. وقال مالك: الخمس موقوف على رأي الإمام فيمن يراه أحق به، وإنما ذكرت هذه الأصناف لصدق حاجتها في وقتها.

قوله عز وجل ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ وهو يوم بدر فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل.

إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ

(٣٦٨) رواه أبو داود (٢٧٨٣) وسنده ضعيف من أجل يحيى بن محمد المدني ولكن للحديث شواهد من حديث أنس وجابر وغيرهما كما قال السخاوي ما في المقاصد الحسنة وحسنه الأرناءوط في تخريج جامع الأصول (٦٤٢/١١).

مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني شفير الوادي ببدر، الأدنى إلى المدينة.

﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ يعني شفير الوادي الأقصى إلى مكة. وقال الأخفش: عدوة الوادي هو ملطاط(٣٦٩) شفيره الذي هو أعلى من أسفله، وأسفل من أعلاه.

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني عير أبي سفيان أسفل الوادي، قال الكلبي: على شاطىء البحر بثلاثة أميال.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ولو تواعدتم أن تتفقوا مجتمعين لاختلفتم في الميعاد، بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان من غير قصد لذلك.

والثاني: ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، قاله ابن إسحاق.

والثالث: ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم من غير معونة الله لكم لأخلفتم بالقواطع والعوائق في الميعاد.

قوله عز وجل ﴿... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجة، وليبقى من بقي عن قدرة.

والثاني: ليكفر من قريش من كفر بعد الحجة ببيان ما وعدوا، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحة إيمانهم.

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ

(٣٦٩) هو حافة الوادي.

﴿فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أن الله أرى نبيه ﷺ قلة المشركين عياناً، وقوله ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ يريد في عينيك التي هي(٣٧٠) محل النوم، قاله الحسن.

والثاني: أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه، وهو الظاهر، وعليه الجمهور.

وإنما أراه ذلك على خلاف ما هو به لطفاً أنعم به عليه وعلى أمته، ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم على لقاء عدوهم، ولولا ذلك لما جازت هذه الحالة من الله تعالى في نبيه ﷺ.

﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لاختلفتم في لقائهم أو الكف عنهم.

والثاني: لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم.

﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: سلّم من الفشل.

والثاني: لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم ولكن الله سلم من العدو.

وفيه ثالث: ولكن الله سلم أمره فيهم حتى نفذ ما حكم فيهم به من هلاكهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

(٣٧٠) وهذا القول قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٤٧) وقول كثير من النحويين وأورده الطبري (١٣/٥٧٠) ولم يصرح بالقائل بل قال «وزعم بعضهم».

وأما نسبة الاثر للحسن البصري ففيه غرابة ولهذا قال الحافظ ابن كثير (٢/٣١٥) «وهذا القول غريب» يعني من قول الحسن. وقال الزمخشري في الكشاف (٢/١٢٨) وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته. وبنحوه قال الآلوسي في روح المعاني (١٠/٨).

تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل ﴿. . . وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ والفشل هو التقاعد عن القتال جبناً.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يريد بالريح القوة، وضرب الريح لها مثلاً.

والثاني: يريد بالريح الدولة. ومعناه فتذهب دولتكم، قاله أبو عبيدة.

والثالث: يريد ريح النصر التي يرسلها الله عز وجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه قاله قتادة وابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أن الريح الهيبة، وريح القوم هيبتهم التي تتقدمهم كتقدم الريح. ويكون معنى الكلام: فتذهب ريحكم وهيبتكم.

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ
ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ
أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ﴾ هم قريش حين خرجوا في حماية العير فنجا بها أبو سفيان، فقال لهم أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدراً وننحر جزوراً ونشرب خمراً وتعزف علينا القيان، فكان من أمر الله فيهم ما كان.

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال المفسرون: ظهر لهم في

صورة سراقة[٣٧١] بن جعشم من بني كنانة فزين للمشركين أعمالهم.

يحتمل وجهين:

أحدهما: زين لهم شركهم.

والثاني: زين لهم قتال رسول الله ﷺ.

وفيه وجه ثالث: أنه زين لهم قوتهم حتى اعتمدوها.

﴿وَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني أنكم الغالبون دون المؤمنين.

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أني معكم. وفي جواركم ينالني ما نالكم.

الثاني: مجير لكم وناصر. فيكون على الوجه الأول من الجوار، وعلى الوجه الثاني من الإجارة.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فئة المسلمين وفئة المشركين.

والثاني: المسلمون ومن أمدوا به من الملائكة، فكانوا فئتين.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ والنكوص أن يهرب ذليلاً خازياً، قال الشاعر:

وما ينفع المستأخرين نكوصهم ولا ضرّ أهل السابقات التقدم.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني من الملائكة الذين أمد الله بهم رسوله والمؤمنين.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وإنما ذكر خوفه من الله تعالى في هذا الموضع ولم يذكره في امتناعه من السجود لآدم لأنه قد كان سأل الإنظار إلى قيام الساعة فلما رأى نزول الملائكة ببدر تصور قيام الساعة فخاف فقال ﴿إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

قوله عز وجل ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة، قاله ابن عباس ومجاهد.

(٣٧١) وفي هامش المخطوطة [بن مالك].

والثاني: أنهم المشركون، قاله الحسن.

والثالث: أنهم قوم مرتابون لم يظهروا العداوة للنبي ﷺ بخلاف المنافقين.

والمرض في القلب كله هو الشك، وهو مشهور في كلام العرب، قال الشاعر:

ولا مرضاً أتقيه إني لصائن لعرضي ولي في الأليّة مفخر

وقوله تعالى ﴿غرَّ هَـٰؤُلَآءِ﴾ يعني المسلمين.

﴿دِينُهُمْ﴾ يعني الإسلام، لأن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين ليتقدموا عليهم، وقلَّل المسلمين في أعين المشركين ليستهينوا بهم حتى أظفر بهم المسلمين فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يتوفاهم ملك الموت عند قبض أرواحهم، قاله مقاتل.

والثاني: قتل الملائكة لهم حين قاتلوهم يوم بدر.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ تأويله على القول الأول: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا واجهوهم، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار.

وتأويله على القول الثاني يحتمل وجهين:

أحدهما: يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا.

والثاني: أنهم جاءوهم من أمامهم وورائهم، فمن كان من أمامهم ضرب وجوههم، ومن كان من ورائهم ضرب أدبارهم.

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً

أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يحتمل خمسة أوجه:

أحدها: لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه.

والثاني: لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته.

والثالث: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله تعالى منه.

والرابع: لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.

والخامس: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

قوله عز وجل ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تصادفهم.

والثاني: تظفر بهم.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنذر بهم من خلفهم، قال الشاعر من هذيل(٣٧٢):

أطوِّف في الأباطح كلَّ يوم مخافة أن يشرِّد بي حكيم

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ يعني في نقض العهد.

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي فالق إليهم عهدهم حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم. والنبذ هو الإلقاء. قال الشاعر(٣٧٣):

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وفي قوله تعالى ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ خمسة أوجه:

أحدها: على مهل، قاله الوليد بن مسلم(٣٧٤).

والثاني: على محاجزة مما يفعل بهم، قاله ابن بحر.

والثالث: على سواء في العلم حتى لا يسبقوك إلى فعل ما يريدونه بك.

والرابع: على عدل من غير حيف، واستشهد بقول الراجز.

فاضرب وجوه الغد والأعداء حتى يجيبوك إلى السواء(٣٧٥)

أي إلى العدل.

والخامس: على الوسط واستشهد قائله بقول حسان(٣٧٦):

يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد

وذكر مجاهد أنها نزلت في بني قريظة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم

---

(٣٧٢) اللسان (شرد) وحكيم هو رجل من بن سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

(٣٧٣) اللسان (صدى) والشاعر هو القطامي.

(٣٧٤) هو أبو العباس الدمشقي عالم دمشق القرشي مات في المحرم سنة خمس وتسعين وقيل غير ذلك والأول أشهر تهذيب التهذيب (١٠/١٣٣ ـ ١٣٦).

(٣٧٥) الطبري (١٤/٢٧) وفتح القدير للشوكاني (٢/٣٢٠).

(٣٧٦) ديوان حسان (٩٨) والطبري (٢/٤٩٦، (١٤/٢٧).

مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن القوة ذكور الخيل، ورباط الخيل إناثها، وهذا قول عكرمة.

والثاني: القوة السلاح، قاله الكلبي.

والثالث: القوة التصافي واتفاق الكلمة.

والرابع: القوة الثقة بالله تعالى والرغبة إليه.

والخامس: القوة الرمي. روى يزيد بن أبي حبيب(٣٧٧) عن أبي عليّ الهمزاني(٣٧٨) عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ(٣٧٩) يقول على المنبر: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قوة﴾ ألَا إنَّ القُوةَ الرميُ» قالها ثلاثاً(٣٨٠).

(٣٧٧) وفي الطبري (١٤/٣٢) يزيد بن ابي حبيب وعبد الكريم بن الحارث عن أبي علي.....

(٣٧٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو تصحيف والصواب الهمداني بالدال والتصويب من الطبري (١٤/٣٢) واسم أبي علي ثمامة بن شفي.

(٣٧٩) وهذا لفظ الطبري(١٤/٣٢) وفي سنده ابن لهيعة وهو سيىء الحفظ وضعف الطبري سند هذه الرواية في (١٤/٣٧).
لكن الحديث له طرق صحيحة أخرى عن عقبة بن عامر.

فرواه مسلم (١٣/٦٤) وأبو داود (٢٥١٤) وابن ماجه (٢٨١٣). والحاكم (٢/٣٢٨) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابي الشيخ وابن مردوية وأبي يعقوب إسحق بن إبراهيم القراب في كتاب فضل الرمي والبيهقي في شعب الايمان.

(٣٨٠) ولا يخفى على المسلم المجاهد البصير بأمر دينه أن العدو اليوم قد طور أسلحته فينبغي أن لا يغفل المسلم عن ذلك بل عليه أن يعد العدة ويواجه بالمثل ولا حرج عليه في ذلك الإعداد مادياً كان أو معنوياً فكلاهما مطلوب قال العلامة الآلوسي (١٠/٢٥) وأنت تعلم أن الرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو لأنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع ولا يكاد ينفع معهما نبل وإذا لم يقابلوا بالمثل عم الداء العضال واشتد الوبال والنكال وملك البسيطة أهل الكفر والضلال فالذي أراه والعلم عند الله تعالى تعين تلك المقابلة على أئمة المسلمين وحماة الدين اهـ وقلت وفي كلامه رحمه الله الإشارة إلى إعداد العدة بما يلائم الوقت والعصر فتنبه.

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ على قول عكرمة إناثها خاصة، وعلى قول الجمهور على العموم الذكور والإناث. وقد روى عبدالله بن عمرو بن العاص قال(٣٨١): قال رسول الله ﷺ «ارتبطوا الخيل فإنَّ ظُهُورَهَا لَكُم عِزٌّ، وَأَجْوَافَهَا لَكُم كَنزٌ».

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عدو الله بالكفر وعدوكم بالمباينة.

والثاني: عدو الله هو عدوكم لأن عدو الله عدو لأوليائه. والإرهاب: التخويف.

﴿وَآخرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: هم بنو قريظة، قاله مجاهد.

والثاني: أهل فارس والروم قاله السدي.

والثالث: المنافقون؛ قاله الحسن وابن زيد.

والرابع: الشياطين(٣٨٢)، قاله معاذ بن جبل.

والخامس: كل من لا تعرفون عداوته، قاله بعض المتأخرين.

۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

قوله عز وجل ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وإن مالوا إلى الموادعة فمِلْ إليها.

---

(٣٨١) لم اهتد إليه بنصه ولكن روى ابو داود (٣٥٤٤) والنسائي (٦/٢١٨، ٢١٩) جزء منه بنحوه ضمنه حديث ابي وهب الجشمي مرفوعاً ولفظه «ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها أو قال أكفالها وقلّدوها ولا تقلدوها الأوتار».

(٣٨٢) وفي نسخة «الجن» وهو اختيار الطبري.

قلت وسند من قال ذلك حديث منكر لا يصح سنداً ولا متناً كما قال الحافظ ابن كثير بعدما ساقه (٢/٣٢٢).

والثاني: وإن توقفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم.

والثالث: وإن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن تخلف باطن اعتقادهم.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها عامة في موادعة كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم﴾ [التوبة: ٥] قاله الحسن وقتادة وابن زيد.

والثاني: أنها في أهل الكتاب خاصة إذا بذلوا الجزية.

والثالث: أنها في قوم معينين سألوا الموادعة فأمر بإجابتهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حسبك وحسب من[٣٨٣] اتبعك من المؤمنين الله، قاله الكلبي ومقاتل:

والثاني: حسبك الله أن تتوكل عليه والمؤمنون أن تقاتل بهم.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية بالبيداء من غزوة بدر قبل القتال.

(٣٨٣) وقد تحدث ابن القيم معلقاً على هذه الآية والأوجه النحوية فيها بكلام طيب في زاد المعاد (١/ ٣٥، ٣٦) فراجعه.

قوله عـز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً﴾ يعني يقاتلوا ألفاً قال مجاهد: وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى: ﴿الْأَنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾.

وقال ابن بحر: معناه أن الله تعالى ينصر كل رجل من المسلمين على عشرة من المشركين، وقد مضى تفسير هاتين الآيتين من قبل.

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهذا نزل في أسرى بدر حين استقر رأي النبي ﷺ فيهم بعد مشاورة أصحابه على الفداء بالمال، كل أسير بأربعة آلاف درهم، فأنكر الله تعالى ذلك عليه وأنه ما كان له أن يفادي الأسرى.

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو الغلبة والاستيلاء، قاله السدي.

والثاني: هو كثرة القتل ليُعزَّ به المسلمون ويذل به المشركين. قاله مجاهد.

﴿يُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني المال، سماه عرضاً لقلة بقائه.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ يعني العمل بما يوجب ثواب الآخرة.

﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني ما أخذتموه من المال في فداء أسرى بدر.

وفي قوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن يعذبهم لمسهم فيما أخذوه من فداء أسرى بدر عذاب عظيم، قاله مجاهد وسعيد بن جبير.

والثاني: لولا كتاب من الله سبق في أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجلها من أهل بدر عذاب عظيم، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة.

والثالث: لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحداً بعمل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، قاله ابن اسحاق.

والرابع: لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن الذي آمنتم به المقتضي غفران الصغائر لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وكان النبي ﷺ(٣٨٤) شاور أبا بكر وعمر في أسرى بدر فقال أبو بكر: هم قومك وعشيرتك فاستبقهم لعل الله أن يهديهم، وقال عمر: هم أعداء الله وأعداء رسوله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم، فمال رسول الله ﷺ بعد انصرافه عنهم إلى قول أبي بكر وأخذ فداء الأسرى ليتقوى به المسلمون، وقال «أَنْتُم عَالَةٌ بعيني المُهَاجِرِينَ. فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «لَو عُذِّبْنَا فِي هَذَا الأَمْرِ يَا عُمَرُ لَمَا نَجا غَيْرُكَ» ثم إن الله تعالى بيَّن تحليل الغنائم والفداء بقوله ﴿فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١

قوله عز وجل ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ ٱلأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أحل مما أخذ منكم.

الثاني: أكثر مما أخذ منكم.

قيل إن هذه الآية(٣٨٥) نزلت لما أسر العباس بن عبد المطلب مع أسرى بدر وأخذ منه رسول الله ﷺ فداء نفسه وابني أخويه عقيل ونوفل فقال: يا رسول الله كنت

(٣٨٤) وبنحوه روى ابن المنذر وابو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنها كما في الدر (١٠٨/٤).

(٣٨٥) وهو قول مقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي (٣٨٢/٣، ٣٨٣).

مسلماً وأخرجت مكرهاً ولقد تركتني فقيراً أتكفف الناس. قال: «**فَأَيْنَ ٱلْأَمْوَالُ ٱلَّتِي دَفَعْتَهَا إِلَى أُمِّ ٱلْفَضْلِ عِنْدَ خُرُوجِكَ**» فقال: إن الله ليزيدنا ثقة بنبوتك. قال العباس فصدق الله وعده فيما آتاني وإن لي لعشرين مملوكاً كل مملوك يضرب بعشرين ألفاً في التجارة فقد أعطاني الله عز وجل خيراً مما أخذ مني يوم بدر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾ يعني بالله.

﴿**وَهَاجَرُواْ**﴾ يعني هاجروا وتركوا ديارهم في طاعة الله.

﴿**وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ والمجاهدة بالمال: النفقة، والمجاهدة بالنفس القتال. وهؤلاء هم المهاجرون مع النبي ﷺ إلى المدينة.

ثم قال ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُواْ**﴾ يعني الأنصار الذين آووا المهاجرين في منازلهم ونصروا النبي ﷺ ونصروهم.

﴿**أُوْلَـٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أولئك بعضهم أعوان بعض، قاله الجمهور.

والثاني: أولئك بعضهم أولى بميراث بعض. قال ابن عباس: جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام.

ثم قال تعالى ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُمْ مِّن وَلَايَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ**﴾ يعني ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فكانوا يعلمون ذلك حتى أنزل الله تعالى ﴿**وَأُولُواْ ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ**﴾ يعني في الميراث فنسخت التي قبلها وصار التوارث لذوي الأرحام، قاله مجاهد وعكرمة والحسن والسدي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بعضهم أنصار بعض، قاله قتادة وابن إسحاق.

والثاني: بعضهم وارث بعض، قاله ابن عباس وأبو مالك.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إلّا تناصروا أيها المؤمنون ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني بغلبة الكفار.

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعف الإيمان، قاله ابن اسحاق وابن جرير(٣٨٦).

والثاني: إلّا تتوارثوا بالإسلام والهجرة ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ باختلاف الكلمة. ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بتقوية الخارج على الجماعة، قاله ابن عباس وابن زيد والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

(٣٨٦) لكن في الطبري (١٤/٨٦) قال قوله «وفساد كبير» قال يعني «ومعاص لله».

سورة التوبة

ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

مدنية عند جميعهم. روي عن ابن عباس أن سورة براءة تسمى على عهد رسول الله ﷺ «الفاضحة» لأنها فضحت المنافقين(٣٨٧).

وحكى محمد بن اسحاق أنها كانت تسمى في زمن رسول الله ﷺ «المبعثرة» لما كشفته من أسرار الناس. وهي مدنية عند جميعهم(٣٨٨).

قال مقاتل وحده: إلا آيتين من آخرها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] نزلتا بمكة.

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾

قوله عز وجل ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في ترك افتتاح هذه السورة بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود لأن الأولى في ذكر العهود، والثانية في رفع العهود، وهذا قول أُبي بن(٣٨٩) كعب قال ابن عباس: وكانتا تدعيان القرينتين، ولذلك وضعتا في السبع الطول. وحكاه عن عثمان بن عفان.

---

(٣٨٧) ولها اسماء اخرى مثل المقشقة والمبعثرة والفاضحة والبحوث والمشردة والمخزية والحافرة والمنكلة والمدمدمة وسورة العذاب راجع زاد المسير (٣/ ٣٨٩) والزمخشري من الكشاف (٢/ ١٣٦ ، ١٣٧).

(٣٨٨) وحكاه القرطبي (٨/ ٦١).

(٣٨٩) وأولى الأقوال أنها نزلت هكذا بدون بسملة.

الثاني: أن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت برفع الأمان، وهذا قول ابن عباس، ونزلت سنة تسع فأنفذها رسول الله ﷺ(٣٩٠) مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأها في الموسم بعد توجه أبي بكر رضي الله عنه إلى الحج، وكان أبو بكر صاحب الموسم، وقال النبي ﷺ «لا يُبَلِّغُ عَنِّي إلاَّ رَجُلٌ مِنِّي(٣٩١)» حكى ذلك الحسن وقتادة ومجاهد.

وحكى الكلبي أن الذي أنفذه رسول الله ﷺ من سورة التوبة عشر آيات من أولها.

وحكى مقاتل أنها تسع آيات تقرأ في الموسم، فقرأها علي رضي الله عنه في يوم النحر على جمرة العقبة.

وفي قوله تعالى ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنها انقطاع العصمة منهما.

والثاني: أنها انقضاء عهدهما.

ثم قال تعالى ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وهذا أمان.

وفي قوله ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجهان:

أحدهما: انصرفوا فيها إلى معايشكم.

والثاني: سافروا فيها حيث أردتم.

وفي السياحة وجهان:

أحدهما: أنها السير على مهل.

والثاني: أنها البعد على وجل.

واختلفوا فيمن جعل له أمان هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقاويل:

أحدها: أن الله تعالى جعلها أجلاً لمن كان رسول الله ﷺ قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب، فأما من لا أمان له فهو حرب، قاله ابن إسحاق.

---

(٣٩٠) وقد ورد حديث مرفوع في ذلك رواه أحمد (١/٣٩٩) والترمذي (٢/١٣٤) وحسنه وأبو داود (١/٢٩٠) والحاكم (٢/٣٣٠) وضعفه الشيخ أحمد شاكر في المسند وقال لا أصل له.

(٣٩١) وقد ظن بعضهم أن هذا تفضيل لعلي بن أبي طالب على أبي بكر وليس هذا بشيء وقد أجاد ابن الجوزي رحمه الله في الرد على من ظن ذلك راجع زاد المسير (٣/٣٩١، ٣٩٢).

والثاني: أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها، ومن كان عهده أقل منها رفع إليها، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلى سلخ المحرم لقوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ قاله ابن عباس والضحاك وقتادة.

والثالث: أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة، المعاهد منهم وغير المعاهد، قاله الزهري ومحمد بن كعب ومجاهد.

والرابع: أن الأربعة الأشهر عهد وأمان لمن لم يكن له من رسول الله ﷺ عهد ولا أمان. فأما أصحاب العهود فهم على عهودهم إلى انقضاء مددهم، قاله الكلبي.

واختلفوا في أول مَدَى الأربعة الأشهر على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر، قاله محمد بن كعب ومجاهد والسدي.

والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، قاله الزهري.

والثالث: أن أولها يوم العشرين من ذي القعدة، وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة وفيها حجة الوداع، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من النسيء، فأقره النبي ﷺ فيه حتى نزل تحريم النسيء وقال(٣٩٢): «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ».

﴿وَٱعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي لا تعجزونه هرباً ولا تفوتونه طلباً.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالسيف لمن حارب والجزية لمن استأمن.

والثاني: في الآخرة بالنار.

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ

(٣٩٢) رواه البخاري (٣/٤٥٩)(٨/٢٤٤) (٦/١٠) ومسلم (١٦٧٩) واحمد (٥/٣٧) وأبو داود (١٩٤٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

قوله عز وجل ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ في الأذان ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه القصص، وهذا قول تفرد به سليمان بن موسى النشابي(٣٩٣).

والثاني: أنه النداء بالأمر الذي يسمع بالأذن، حكاه علي بن عيسى.

الثالث: أنه الإعلام، وهذا قول الكافة.

وفي ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم عرفة، قاله عمر بن الخطاب وابن المسيب وعطاء. وروى ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة(٣٩٤) أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة وقال: «هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ».

والثاني: أنه يوم النحر، قاله عبدالله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي.

وروي مرة عن رجل من أصحاب(٣٩٥) النبي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته الحمراء وقال «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَـٰذَا؟ هَـٰذَا يَوْمُ النَّحْرِ وَهَـٰذَا يَوْمُ الحَجِّ الْأَكْبَرِ».

والثالث: أنها أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، قاله مجاهد وسفيان. قال سفيان: كما يقال يوم الجمل ويوم صفين، أي أيامه كلها.

واختلفوا في تسميته يوم الحج الأكبر على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه سمي بذلك لأنه كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين، ووافق أيضاً عيد اليهود والنصارى، قاله الحسن.

والثاني: أن الحج الأكبر القِران، والأصغر الإفراد، قاله مجاهد.

والثالث: أن الحج الأكبر هو الحج، والأصغر هو العمرة، قاله عطاء والشعبي.

---

(٣٩٣) كذا هنا وهو خطأ والصواب الشامي والتصويب من التهذيب والطبري وهو سليمان بن موسى الأموي الدمشقي الأشدق فقيه أهل الشام في زمانه مات سنة (١٥) وقيل غير ذلك تهذيب التهذيب (٤/١٩٧، ١٩٨).

(٣٩٤) وهذا الحديث من مرسلات محمد بن قيس بن مخرمة ورواه الطبري (١٤/١١٥) (١٤، ١١٦).

(٣٩٥) رواه الطبري (١٤/١٢٥).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾

قوله عز وجل ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ الآية. في الأشهر الحرم قولان:

أحدهما: أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ثلاثة سرد وواحد فرد، وهذا رأي الجمهور.

والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جعلها الله تعالى أن يسيحوا فيها آمنين وهي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع وعشر من شهر ربيع الآخر، قاله الحسن.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في حل أو حرم.

والثاني: في الأشهر الحرم وفي غيرها. والقتل وإن كان بلفظ الأمر فهو على وجه التخيير لوروده بعد حظر اعتباراً بالأصلح.

﴿وَخُذُوهُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على التقديم والتأخير، وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم.

والثاني: أنه على سياقه من غير تقديم ولا تأخير، وتقديره: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم.

﴿وَٱحْصُرُوهُم﴾ على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين.

وفي قوله ﴿وَٱحْصُرُوهُم﴾ وجهان:

أحدهما: أنه استرقاقهم.

والثاني: أنه الفداء بمال أو شراء.

﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يطلبوا في كل مكان فيكون القتل إذا وجدوا، والطلب إذا بعدوا.

والثاني : أن يفعل بهم كل ما أرصده الله تعالى لهم فيما حكم به تعالى عليهم من قتل أو استرقاق أو مفاداة أو منٍّ ليعتبر فيها فعل الأصلح منها.

ثم قال تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ أي أسلموا، لأن التوبة من الكفر تكون بالإسلام.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي اعترفوا بإقامتها، وهو مقتضى قول أبي حنيفة، لأنه لا يقتل تارك الصلاة إذا اعترف بها.

الثاني : أنه أراد فعل الصلاة، وهو مقتضى قول مالك والشافعي، لأنهما يقتلان تارك الصلاة وإن اعترف بها.

﴿وَءَاتُوا ٱلزَّكَاةَ﴾ يعني اعترفوا بها على الوجهين معاً، لأن تارك الزكاة لا يقتل مع الاعتراف بها وتؤخذ من ماله(٣٩٦) جبراً، وهذا إجماع.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ...﴾ الآية: وفي كلام الله وجهان أي إن استأمنك فأمِّنه.

أحدهما :أنه عني سورة براءة خاصة ليعلم ما فيها من حكم المقيم على العهد وحكم الناقض له والسيرة في المشركين والفرق بينهم وبين المنافقين.

الثاني : يعني القرآن كله، ليهتدي به من ضلاله ويرجع به عن كفره.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ يعني إن أقام على الشرك وانقضت مدة الأمان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : الرشد من الغيّ.

والثاني : استباحة رقابهم عند انقضاء مدة أمانهم.

---

(٣٩٦) لقوله في الحديث «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» رواه البخاري وغيره.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٧﴾

قوله عز وجل ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِيْنَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما: إذا لم يعطوا أماناً.

الثاني: إذا غدروا وقاتلوا.

وفي قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم من بني بكر بن كنانة، قاله ابن إسحاق.

والثاني: أنهم قريش، وهو قول ابن عباس.

والثالث: خزاعة، قاله مجاهد.

والرابع: بنو ضمرة، قاله الكلبي.

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُم فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ يعني فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا عليه، فدل على أنهم إذا نقضوا العهد سقط أمانهم وحلّت دماؤهم.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨﴾

قوله عز وجل ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يقووا حتى يقدروا على الظفر بكم. وفي الكلام محذوف وتقديره: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم.

﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يخافوا، قاله السدي[٣٩٧].

الثاني: لا يراعوا[٣٩٨].

---

(٣٩٧) وقول السدي في الطبري (١٤/١٤٧) قوله «لا يرقبوا فيكم عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً».

(٣٩٨) وهو قول قطرب كما في زاد المسير (٣/٤٠١). وزاد ابن الجوزي قولاً ثالثاً وهو لا يحفظوا ولم ينسبه لأحد».

﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ وفي الإلّ سبعة تأويلات.

أحدها: أنه العهد، وهو قول ابن زيد.

والثاني: أنه اسم الله تعالى، قاله مجاهد. ويكون معناه لا يرقبون الله فيكم.

والثالث: أنه الحلف، وهو قول قتادة.

والرابع: أن الإل اليمين، والذمة العهد، قاله أبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل(٣٩٩):

أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الإلَّ وأعراق الرَّحِم

والخامس: أنه الجوار، قاله الحسن.

والسادس: أنه القرابة، قاله ابن عباس والسدي، ومنه قول حسان(٤٠٠):

وأُقسم إن إلَّك من قريش كإل السَّقْبِ من رَأل النعام

والسابع: أن الإل العهد والعقد والميثاق واليمين، وأن الذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له، قاله بعض البصريين.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: الجوار، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه التذمم ممن لا عهد له، قاله بعض البصريين.

والثالث: أنه العهد وهو قول أبي عبيدة.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ يختمل ثلاثة أوجه:

أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر.

والثاني: يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية.

والثالث: يرضونكم بأفواههم في الوعد بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك، لأن النبي ﷺ لا يرضيه من المشركين إلا بالإيمان.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في نقض العهد وإن كان جميعهم بالشرك فاسقاً.

---

(٣٩٩) الطبري (١٤/ ١٤٨).

(٤٠٠) ديوانه (٤٠٧) واللسان (آلل) والطبري (١٤/ ١٤٩) زاد المسير (٣/ ٤٠٢) والبيت في هذه المصادر لعمرك إن إلك بدلاً من وأقسم.

والثاني : وأكثرهم فاسق في دينه وإن كان كل دينهم فسقاً .

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
(٩) لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا۟
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)﴾

قوله عز وجل ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ في آيات الله تعالى ها هنا وجهان :

أحدهما : حججه ودلائله .

والثاني : آيات الله التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ .

والثمن القليل : ما جعلوه من ذلك بدلاً . وفي صفته بالقليل وجهان :

أحدهما : لأنه حرام ، والحرام قليل .

والثاني : لأنها من عروض الدنيا التي بقاؤها قليل .

وفيمن أريد بهذه الآية قولان :

أحدهما : أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه ، وهذا قول مجاهد ومن زعم أن الآيات حجج الله تعالى .

والثاني : أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة .

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : عن دين الله تعالى في المنع منه .

والثاني : عن طاعة الله في الوفاء بالعهد .

والثالث : عن قصد بيت الله حين أحصر بالحديبيّة .

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ
ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَانَهُمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي نقضوا عهدهم الذي عقدوه بأيمانهم.

﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إظهار الذم له.

والثاني: إظهار الفساد فيه.

﴿فَقَاتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم رؤساء المشركين.

والثاني: أنهم زعماء قريش، قاله ابن عباس.

والثالث: أنهم الذين كانوا قد هموا بإخراج رسول الله ﷺ، قاله قتادة.

﴿إِنَّهُم لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ قراءة الجمهور بفتح الألف، من اليمين لنقضهم إياها. وقرأ ابن عامر[٤٠١]: ﴿إِنَّهُم لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ بكسر الألف[٤٠٢]،وهي قراءة الحسن. وفيها إذا كسرت وجهان:

أحدهما: أنهم كفرة لا إيمان لهم.

والثاني: أنهم لا يعطون أماناً.

أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ

---

(٤٠١) المبسوط في القراءات ص ٢٢٥.

(٤٠٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله (١٤/١٥٧) «والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الألف دون كسرها لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم والأيمان التي هي بمعنى العهد لا تكون إلا بفتح الألف لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله عز وجل: ﴿... وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الخيانة، قاله قتادة.

والثاني: أنهم البطانة، قاله قطرب ومقاتل، ومنه قول الشاعر:

وجعلت قومك دون ذاك وليجة ... ساقوا إليك الخير غير مشوب

والثالث: أنه الدخول في ولاية المشركين، من قولهم ولج فلان في كذا إذا دخل فيه قال طرفة بن العبد(٤٠٣).

رأيت القوافي يتلجن موالجاً ... تضايق عنها أن تولجها الإبر

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ يعني المسجد الحرام. وفيه وجهان:

أحدهما: ما كان لهم أن يعمروها بالكفر لأن مساجد الله تعالى تعمر بالإيمان.

والثاني: ما كان لهم أن يعمروه بالزيارة له والدخول إليه.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن فيما يقولونه أو يفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم،

(٤٠٣) ديوانه: ٤.

فكأن ذلك منهم هو شهادتهم على أنفسهم، قاله الحسن.

والثاني: يعني شاهدين على رسول الله ﷺ بالكفر لأنهم كذبوه وأكفروه وهو من أنفسهم، قاله الكلبي.

والثالث: أن النصراني إذا سئل ما أنت؟ قال: نصراني، واليهودي إذا سئل قال: يهودي، وعابد الوثن يقول: مشرك، وكان هؤلاء كفار وإن لم يقروا بالكفر، قاله السدي.

ثم قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ في هذه المساجد قولان:

أحدهما: أنها مواضع السجود من المصلي، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: بالمحافظة على إقامة الصلاة.

والثاني: بترك الرياء.

والثالث: بالخشوع والإعراض عما ينهى.

والقول الثاني: أنها بيوت الله تعالى المتخذة لإقامة الصلوات، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه.

أحدها: إنما يعمرها بالإيمان من آمن بالله تعالى.

والثاني: إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالى.

والثالث: إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالى(٤٠٤).

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٠٤) ولا مانع من دخول هذه الصور كلها في عمارة المساجد قال العلامة الآلوسي (٦٥/١٠).. والمراد بعمارتها ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش لا على وجه يشغل قلب المصلي من الصور ولعل ما هو من جنس ما يخرج من الأرض كالقطن والحصر السامانية أولى من نحو الصوف إذ قيل بكراهة الصلاة عليه وتنويرها بالسرج ولو لم يكن هناك من يستضيء بها على ما نص عليه جمع وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له في نظر الشارع كحديث الدنيا ومن ذلك الغناء على مآذنها كما هو معتاد الناس اليوم لا سيما بالأبيات التي فيها هجر القول.... الخ.

أحدهما: أنه قال ذلك لهم تحذيراً من فعل ما يخالف هدايتهم.

والثاني: أن كل ﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة وإن كانت من غيره ترجياً، قاله ابن عباس والسدي.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾

قوله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني بعمارته السدانة والقيام به.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأن قريشاً فضلت ذلك على الإيمان بالله، فرد الله تعالى ذلك عليهم وأعلمهم أنهما لا يستويان، وأن ذلك مع الكفر محبط.

وحكى مقاتل أن هذه الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب، وهو صاحب السقاية، وفي شيبة بن عثمان وهو صاحب السدانة وحاجب الكعبة أُسرا يوم بدر فعيرا بالمقام على الكفر بمكة وأغلظ لهما المهاجرون، فقالا نحن أفضل منكم أجراً نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فنزل هذا فيهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل ﴿قُلْ إن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ يعني اكتسبتموها.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها أموال التجارات إذا نقص سعرها وكسد سوقها.

والثاني: أنهن البنات الأيامى إذا كسدن عند آبائهن ولم يخطبن.

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ وهذا نزل في قوم أسلموا بمكة فأقاموا بها ولم يهاجروا إشفاقاً على فراق ما ذكره الله تعالى ميلاً إليه وحبّاً له فذمهم الله تعالى على ذلك وقال.

﴿. . . فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد.

والثاني: حتى يأتي الله بأمره من عقوبة عاجلة أو آجلة، قاله الحسن.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ. . .﴾ الآية. وفي السكينة ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الرحمة، قاله علي بن عيسى.

والثاني: أنها الأمن والطمأنينة.

والثالث: أنها الوقار، قاله الحسن.

﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الملائكة.

والثاني: أنه تكثيرهم في أعين أعدائهم، وهو محتمل.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالخوف والحذر.

والثاني: بالقتل والسبي.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل ﴿قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾ فإن قيل: فأهل الكتاب قد آمنوا بالله واليوم الآخر فكيف قال ذلك فيهم،؟

ففيه جوابان:

أحدهما: أن إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بجميع حقوقه، فكانوا بترك الإقرار بحقوقه كمن لا يقرّ به.

والثاني: أنه ذمّهم ذم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته، وهم في الذم بالكفر كغيرهم.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه ما أمر الله سبحانه وتعالى بنسخه من شرائعهم.

والثاني: ما أحله لهم وحرمه عليهم.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ والحق هنا هو الله تعالى. وفي المراد بدينه في هذا الموضع وجهان:

أحدهما: العمل بما في التوراة من اتباع الرسول، قاله الكلبي.

والثاني: الدخول في دين الإسلام لأنه ناسخ لما سواه من الأديان، وهو قول الجمهور.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني من آباء الذين أوتوا الكتاب.

الثاني: من الذين أوتوا الكتاب بين أظهرهم لأنهم في اتباعه كآبائهم.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: حتى يضمنوا الجزية وهو قول الشافعي لأنه يرى أن الجزية تجب بالقضاء[٤٠٥] الحول وتؤخذ معه.

والثاني: حتى يدفعوا الجزية.

وفي الجزية وجهان:

أحدهما: أنها من الأسماء المجملة لا يوفق على علمها إلا بالبيان.

والثاني: أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خص بالدليل.

ثم قال تعالى ﴿عَن يَدٍ﴾ وفيه أربعة تأويلات:

أحدها: عن غنى وقدرة.

والثاني: أنها من عطاء لا يقابله جزاء، قاله أبو عبيدة.

والثالث: أن يروا أن لنا في أخذها منهم يداً عليهم بحقن دمائهم بها.

والرابع: يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم كما يفعله المتكبرون.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن يكونوا قياماً والآخذ لها جالساً، قاله عكرمة.

والثاني: أن يمشوا بها وهم كارهون، قاله ابن عباس[٤٠٦].

والثالث: أن يكونوا أذلاء مقهورين، قاله الطبري[٤٠٧].

---

(٤٠٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب بانقضاء الحول والتصويب من زاد المسير (٣/٤٢٢). والمعاني (١٠/٨٠) والكشاف (٢/١٤٨).

(٤٠٦) لكن قال الطبري رحمه الله (١٤/٢٠١). وقد روي عن ابن عباس من وجه فيه نظر.

(٤٠٧) جامع البيان (١٤/٢٠٠).

والرابع: أن دفعها هو الصَّغار بعينه.

والخامس: أن الصغار أن تجري عليهم أحكام الإسلام، قاله الشافعي.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ الآية. أما قول اليهود ذلك فسببه أن بختنصر لما أخرب بيت المقدس أحرق التوراة حتى لم يبق بأيديهم شيء منها، ولم يكونوا يحفظونها بقلوبهم. فحزنوا لفقدها وسألوا الله تعالى ردها عليهم، فقذفها الله في قلب عزير، فحفظها وقرأها عليهم فعرفوها فلأجل ذلك قالوا إنه ابن الله.

واختلف فيمن قال ذلك على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن ذلك كان قول جميعهم، وهو مروي عن ابن عباس.

والثاني: أنه قول طائفة من سلفهم.

والثالث: أنه قول جماعة ممن كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

واختلف فيهم على قولين:

أحدهما: أنه فنحاص وحده، ذكر ذلك عبيد(٤٠٨) بن عمير وابن جريج.

والثاني: أنهم جماعة وهم سلام بن مشكم ونعمان(٤٠٩) بن أبي أوفى وشاس(٤١٠) بن قيس ومالك بن الصيف، وهذا مروي عن ابن عباس(٤١١).

---

(٤٠٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عبدالله بن عبيد بن عمير كما في الطبري (٢٠١/١٤).

(٤٠٩) كذا هنا وفي المطبوعة وفي الطبري(٢٠٢/١٤)ولكن في سيرة ابن هشام (٢١٩/٢) نعمان بن أوفى أبو أنس ومحمود بن دحية.

(٤١٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب كما في الطبري (٢٠٢/١٤) وسيرة ابن هشام (٢١٩/٢) وشأس بالهمزة.

(٤١١) كما في الطبري (٢٠٢/١٤).

فإن قيل: فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم؟

قيل: لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره(٤١٢)، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وهذا قول جميعهم. واختلف في سبب قولهم لذلك على قولين:

أحدهما: أنه لما خلق من غير ذكر من البشر قالوا إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك.

الثاني: أنهم قالوا ذلك لأجل من أحياه من الموتى وأبرأه من المرضى.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ معنى ذلك: وإن كانت الأقوال كلها من الأفواه: أنه لا يقترن به دليل ولا يعضده برهان، فصار قولاً لا يتجاوز الفم فلذلك خص به.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ من قبل﴾ أي يشابهون، مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء إذا لم تحض تشبيهاً بالرجال(٤١٣). ومنه ما جاء في الحديث: «أَجْرَأُ النَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَى ٱلَّذِينَ يُضَاهِئُونَ خَلْقَهُ(٤١٤)» أي يشبهون به.

وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدهـا: أن قولهم ذلك يضاهي قول عبدة الأوثان في اللات والعزى ومناة وأن الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني: أن قول النصارى المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود عزير ابن الله، قاله الطبري(٤١٥).

والثالث: أنهم في تقليد أسلافهم يضاهون قول من تقدمهم، قاله الزجاج.

﴿قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه لعنهم الله، قاله ابن عباس ومنه قول عبيد بن الأبرص(٤١٦):

---

(٤١٢) لأنهم سكتوا ورضوا واتبعوهم على هذا الباطل فكانوا شركاء معهم في الإثم والوزر سواء بسواء.

(٤١٣) وقيل هي التي لا ينبت لها ثدي كما قال الزجاج راجع زاد المسير (٣/٤٢٥).

(٤١٤) رواه بنحوه البخاري (١٠/٣١٥ ـ ٣٢٧) وأحمد (٦/٣٦، ٨٢، ٣١٩) والنسائي (٨/٢١٣) ولفظه أشد الناس عذاباً ومالك في الموطأ (٢/٩٩٦، ٩٦٧).

(٤١٥) جامع البيان (١٤/٢٠٥).

(٤١٦) وفي فتح القدير للشوكاني (٢/٣٥٣) نسبه لأبان بن تغلب.

قـاتلهـا الله تلحـاني وقـد علمت   أنـي لنفسـي إفسـادي وإصـلاحي

والثاني: معناه قتلهم الله، قاله بعض أهل العربية.

والثالث: أن الله تعالى فيما أعده لعذابهم وبينه من عـداوتهم التي هي في مقابلة عصيانهم وكفرهم كأنه مقاتل لهم.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ معناه كيف يُصرفون عن الحق إلى الإفك وهو الكذب.

قوله عز وجل ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أما الأحبار منهم العلماء، واحدهم حَبْر سمي بذلك لأنه يحبر المعاني أي يحسنها بالبيان عنها.

وأما الرهبان فجمع راهب، مأخوذ من رهبة الله تعالى وخشيته، غير أنه صار بكثرة الاستعمال يتناول نُسّاك النصارى.

وقوله ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني آلهة لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه(٤١٧) عليهم وتحليل ما يحلونه لهم، فلذلك صاروا لهم كالأربـاب وإن لم يقولـوا إنهم أرباب، وقد روي مثل ذلك عن النبي ﷺ(٤١٨).

---

(٤١٧) وقال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٢/٣٥٣): وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب والسنة المطهرة فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وانبياؤه هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهذا أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء. فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبدالله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وافاده ما فعلتم...... إلى قوله ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه فاعرتموهما آذاناً صماً وقلوباً غلفا وأفهاماً مريضة وعقولاً مهيضة وأذهاناً كليلة وخواطر عليلة..... الخ قلت وهذا كلام رصين حقاً فرحم الله الشوكاني.

(٤١٨) كما في حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءه «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه».

رواه الترمذي واللفظ له (٣٠٩٥) وابن جرير (١٠/٨٠، ٨١) والبيهقي في السنن (١٠/١١٦) والمزي في تهذيب الكمال (٢/١٠٩٠) وحسنه الألباني في غاية المرام (٦) وخرجه السيوطي في الدر (١٤) ونسبه لغير من سبق فراجعه.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وفي نوره قولان:

أحدهما: أنه القرآن والإسلام، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أنه آياته ودلائله لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار.

وإنما خص ذلك بأفواههم لما ذكرنا أنه ليس يقترن بقولهم دليل.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ وليس يريد تمامه من نقصان لأن نوره لم يزل تاماً. ويحتمل المراد به وجهين.

أحدهما: إظهار دلائله.

والثاني: معونة أنصاره.

قوله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ يعني محمداً ﷺ أرسله الله إلى خلقه بالهدى ودين الحق.

وفيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن الهدى البيان، ودين الحق الإسلام، قاله الضحاك.

والثاني: أن الهدى الدليل، ودين الحق المدلول عليه.

والثالث: معناه بالهدى إلى دين الحق.

والرابع: أن معناهما واحد وإنما جمع بينهما تأكيداً لتغاير اللفظين.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: يعني عند نزول عيسى(٤١٩) عليه السلام فإنه لا يعبد الله تعالى إلاّ بالإسلام، قاله أبو هريرة.

---

(٤١٩) وذلك قبل قيام الساعة ليكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتكون الملة في عهده واحدة وهي الإسلام ولا يقبل من النصارى إلا الإسلام وإلا فالسيف على رقابهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة..

والثاني: معناه أن يعلمه شرائع الدين كله ويطلعه عليه، قاله ابن عباس.

والثالث: ليظهر دلائله وحججه، وقد فعل الله تعالى ذلك، وهذا قول كثير من العلماء.

والرابع: ليظهره برغم المشركين من أهله.

والخامس: أنه وارد على سبب، وهو أنه كان لقريش رحلتان رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن والعراق فلما أسلموا انقطعت عنهم الرحلتان للمباينة في الدين فذكروا ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يعني في بلاد الرحلتين وقد أظهره الله تعالى فيهما.

والسادس: أن الظهور الاستعلاء، ودين الإسلام أعلى الأديان(٤٢٠) كلها وأكثرها أهلاً، قد نصره الله بالبر والفاجر والمسلم والكافر. فروى الربيع بن أنس عن الحسن(٤٢١) أن النبي ﷺ قال «إِنَّ ٱللَّهَ يُؤَيِّدُ دِينَهُ بِأَقْوَامٍ مَا لَهُم فِي الأَخِرَةِ مِن خَلَاقٍ».

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ

---

(٤٢٠) وروي الإمام أحمد (٣/١٠٤) عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعز عزيز أو يذل ذليل عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل به الكفر وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١ وروى مسلم (٤/٢٢٣٠) من عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون». أن ذلك تاماً قال «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة...» الحديث ففي هذه الأحاديث بشارة طيبة لانتشار الإسلام على ربوع هذه البسيطة وهذا يستلزم من المؤمنين أن يعودوا إلى كتاب ربهم ويعتصموا بهدي نبيهم ﷺ.

(٤٢١) وهو حديث مرسل هنا من مرسلات الحسن.

وقد ورد في البخاري (٦/١٢٥) ومسلم (رقم ١١١) من حديث أبي هريرة بلفظ «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

قال العلامة الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٣٥٦): «وقد اقتدى بهؤلاء الأحبار والرهبان من علماء الإسلام لا يأتي عليه الحصر في كل زمان فالله المستعان أ. هـ قلت رحم الله الشوكاني فكيف لو رأى حال علماء زماننا الآن رحمه الله وما يصنعون ويصدرون من فتاوى توافق هوى السلطان حيناً من أجل دريهمات معدودة ومنصب زائل نسأل الله السلامة والعافية.

ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ﴾ الآية: فيه قولان.

أحدهما: أنه أخذ الرشا في الحكم، قاله الحسن.

والثاني: أنه على العموم من أخذه بكل وجه(٤٢٢) محرم.

وإنما عبر عن الأخذ بالأكل لأن ما يأخذونه من هذه الأموال هي أثمان ما يأكلون، وقد يطلق على أثمان المأكول اسم الأكل، كما قال الشاعر(٤٢٣):

ذر الآكلين الماء فما أرى ينالون خيراً بعد أكلهم الماء

أي ثمن الماء.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه منعهم من الحق في الحكم بقبول الرشا.

والثاني: أنه منعهم أهل دينهم من الدخول في الإسلام بإدخال الشبهة عليهم.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي هذا الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الكنز كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدَّ زكاته، سواء كان مدفوناً أو غير مدفون، قاله ابن عمر(٤٢٤) والسدي والشافعي والطبري(٤٢٥).

والثاني: أن الكنز ما زاد على أربعة آلاف درهم، أديت منه الزكاة أم لم تؤد،

---

(٤٢٢) اللسان «أكل» ولم ينسبه لأحد وشطره الأول فيه.

«من الآكلين الماء ظلماً فما أرى........

(٤٢٣) وهو القول الراجح والصواب ورجحه الشوكاني (٢/٣٥٦).

(٤٢٤) رواه الطبري (١٤/٢١٧) وإسناده صحيح ورواه مالك في الموطأ بمعناه (١/٢٥٦).

(٤٢٥) جامع البيان (١٤/٢٢٣).

قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز.

والثالث: أن الكنز ما فضل من المال عن الحاجة إليه. روى عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال: لما نزل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ. . .﴾ الآية. قال النبي ﷺ: «تبّاً لِلذَّهَبِ وَٱلفِضَّةِ» قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: فأي المال نتخذ؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا أعلم لكم ذلك، فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا: فأي المال نتخذ؟ فقال «لِسَاناً ذَاكِراً وَقَلْباً شَاكِراً وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُم عَلَى دِينِهِ[٤٢٦]».

وروى قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة[٤٢٧] صدي بن عجلان قال: مات رجل من أهل الصفّة فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ: «كَيَّةٌ» ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي ﷺ: «كَيَّتَانِ»

والكنز في اللغة هو كل شيء مجموع بعضه إلى بعض سواء كان ظاهراً على الأرض أو مدفوناً فيها، ومنه كنز البرّ، قال الشاعر[٤٢٨]:

لا دَرَّ دري إن أطعمت نازلهم ... قِرف الحتى وعندي البُرّ مكنوز

الحتى: سَويق المقل. يعني وعندي البُرّ مجموع[٤٢٩].

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ فذكر جنسين ثم قال ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ والهاء كناية ترجع إلى جنس واحد، ولم يقل: وَلَا يُنفِقُونَهَما لترجع الكناية إليهما.

(٤٢٦) قال الزمخشري في الكشاف (٢/ ١٥٠) «وما روي عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الأفضل».

(٤٢٧) رواه الطبراني (رقم ١٦٦١)، (١٦٦٦٣) وأحمد (٥/ ٢٧٨) مرسلاً ثم رواه الطبراني (١٦٦٦٢) وأحمد (٥/ ٢٨٢) موصولاً من حديث ثوبان والترمذي في كتاب التفسير بنحوه (٥٠٩٢) وقال: حديث حسن.

وفي سند الحديث انقطاع بين سالم بن أبي الجعد وثوبان فإن الأول لم يسمع من الثاني كما حكاه الترمذي عن البخاري. وأما تحسين الترمذي للحديث فلعله لشواهده والله أعلم.

(٤٢٨) رواه الطبري رقم ١٦٦٦٤، ١٦٦٦ وأحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٣) وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق.

(٤٢٩) البيت للمتنحل الهذلي في اللسان «كنز».

فعن ذلك جوابان:

أحدهما: أن الكناية راجعة إلى الكنوز، وتقديره: ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله.

والثاني: أنه قال ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام على اشتراكهما فيه، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً﴾ [الجمعة: ١١] ولم يقل إليهما، وكقول الشاعر(٤٣٠):

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعاص كان جنوناً

ولم يقل يعاصيا.

ثم إن الله تعالى غلَّظ حال الوعيد بما ذكره بعد هذا من قوله:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ وإنما غلظه بهذا الوعيد لما في طباع النفوس من الشح بالأموال ليسهل لهم تغليظ الوعيد إخراجها في الحقوق.

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾ يعني شهور السنة، وإنما كانت اثني عشر شهراً لموافقة الأهلة ولنزول الشمس والقمر في اثني عشر برجاً يجريان فيها على حساب متفق كما قال الله تعالى ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿... مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يعني أن من الاثني عشر شهراً أربعة حرم، يعني

(٤٣٠) هو حسان بن ثابت والبيت في ديوانه: ٤١٣، مجاز القرآن (١/٢٥٨)، الكامل (٢/٧٩)، والجمهرة (٢/٢٠٧)، اللسان (شرخ).

بالحرم تعظيم انتهاك المحارم فيها،وهو ما رواه صدقة بن يسار عن ابن عمر قال(٤٣١): خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى في وسط أيام التشريق فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ فَهُوَ اليومُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ السَّمَـوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنهَا أَرْبَعَـةٌ حُرُمٌ،أَوَّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَـرَ بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ وَذُو ٱلْقِعْدَةِ وَذُو ٱلْحِجَّةِ وَٱلْمُحَرَّمُ».

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوفي، قاله ابن قتيبة.

والثاني: يعني القضاء الحق المستقيم، قاله الكلبي.

﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فلا تظلموها بمعاصي الله تعالى في الشهور الاثني عشر كلها، قاله ابن عباس.

والثاني: فلا تظلموها بمعاصي الله في الأربعة الأشهر، قاله قتادة.

والثالث: فلا تظلموا أنفسكم في الأربعة الأشهر الحرم بإحلالها بعد تحريم الله تعالى لها، قاله الحسن وابن إسحاق.

والرابع: فلا تظلموا فيها أنفسكم أي تتركوا فيها قتال عدوكم، قاله ابن بحر.

فإن قيل: فلم جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض؟

قيل: ليكون كفهم فيها عن المعاصي ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها توطئة للنفس على فراقها مصلحة منه في عباده ولطفاً بهم.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

(٤٣١) رواه الطبري (١٤/ ٣٣٤).

وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي وهو منكر الحديث ضعيف جداً لكن الحديث ورد من رواية أبي بكرة وهي في البخاري ومسلم.

قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ . . .﴾ أما النسيء في الأشهر فهو تأخيرها، مأخوذ من بيع النسيئة، ومنه قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ أي نؤخرها.

وفي نَسْء الأشهر قولان.

أحدهما: أنهم كانوا يؤخرون السنة أحد عشر يوماً حتى يجعلوا المحرم صفراً، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل سنتين شهراً.

قال مجاهد(٤٣٢): فحج المسلمون في ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، ثم في ذي القعدة عامين الثاني منهما حجة أبي بكر قبل حجة النبي ﷺ ثم حج النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ» وكان المنادى بالنسيء في الموسم: من بني كنانة على ما حكاه أبو عبيدة، وقال شاعرهم عمير بن قيس(٤٣٣):

ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ شهور الحل نجعلُها حَراماً

واختلف في أول من نسأ الشهور منهم، فقال الزبير بن بكار: أول من نسأ الشهور نعيم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

وقال أيوب بن عمر الغفاري: أول من نسأ الشهور القَلَمّس (٤٣٤) الأكبر وهو عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، وآخر من نسأ الشهور أبو ثمامة جنادة بن عوف إلى أن نزل هذا التحريم سنة عشر وكان ينادي إني أنسأ الشهور في كل عام، ألا أن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، فحرم الله سبحانه بهذه الآية النسيء وجعله زيادة في الكفر.

---

(٤٣٢) وهذا مرسل من مرسلات مجاهد رواه الطبري (برقم ١٦٧١٤).
وقد مر تخريجه من رواية أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤٣٣) اللسان «نسأ».

(٤٣٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٢/٣٥٩): وقد وقع الخلاف في أول من فعل ذلك فقيل هو رجل من بني كنانة يقال له حذيفة بن عتيد ويلقب القلمس. . . . وقيل هو عمرو بن لحي وقيل هو نعيم بن ثعلبة من بني كنانة.

ثم قال تعالى ﴿. . . لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا فحرموا أربعة أشهر كما حرم الله تعالى أربعة أشهر.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى زينها بالشهرة لها والعلامة المميزة بها لتجتنب.

الثاني: أن أنفسهم والشيطان زين لهم ذلك بالتحسين والترغيب ليواقعوها، وهو معنى قول الحسن.

وفي ﴿سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ ها هنا وجهان:

أحدهما: أنه ما قدمه من إحلالهم ما حرم الله تعالى وتحريمهم ما أحله الله.

الثاني: أنه الرياء، قاله جعفر بن محمد.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال الحسن ومجاهد: دُعوا إلى غزوة تبوك فتثاقلوا فنزل ذلك فيهم.

وفي قوله ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم.

والثاني: إلى الأرض حين أخرجت الثمر والزرع. قال مجاهد: دعوا إلى ذلك أيام إدراك النخل ومحبة القعود في الظل.

الثالث: اطمأننتم إلى الدنيا، فسماها أرضاً لأنها فيها، وهذا قول الضحاك.

وقد بينه بقوله تعالى ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ يعني بمنافع الدنيا بدلاً من ثواب الآخرة.

والفرق بين الرضا والإرادة أن الرضا لما مضى، والإرادة لما يأتي.

﴿فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ لانقطاع هذا ودوام ذاك.

قوله عز وجل ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ يعني في الجهاد.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ قال ابن عباس: احتباس القطر عنهم هو العذاب الأليم الذي أوعدتم ويحتمل أن يريد بالعذاب الأليم أن يظفر بهم أعداؤهم(٤٣٥).

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ يعني ممن ينفر إذا دُعي ويجيب إذا أُمر.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن.

والثاني: ولا تضرّوا الرسول، لما تكفل الله تعالى به من نصرته، قاله الزجاج.

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني إلا تنصروا أيها الناس النبي ﷺ بالنفير معه وذلك حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا فقد نصره الله.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني من مكة ولم يكن معه من يحامي عنه ويمنع منه إلا الله تعالى، ليعلمهم بذلك أن نصره نبيه ليس بهم فيضره انقطاعهم وقعودهم، وإنما هو من قبل الله تعالى فلم يضره قعودهم عنه.

وفي قوله ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ وجهان:

أحدهما: بإرشاده إلى الهجرة حتى أغناه عن معونتهم.

والثاني: بما تكفل به من إمداده بملائكته.

---

(٤٣٥) رواه الطبري رقم(١٦٧٢١، ١٦٧٤٢)ورواه أبو داودبنحوه (٢٥٠٦) والبيهقي (٤٨/٩) وزاد السيوطي في الدر (٤/) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه.

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي أحد اثنين، وللعرب في هذا مذهب أن تقول خامس خمسة أي أحد خمسة.

﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ يعني النبي ﷺ وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غاراً في جبل ثور ليخفيا على من خرج من قريش في طلبهم.

والغار عمق في الجبل يدخل إليه.

قال مجاهد: مكث رسول الله ﷺ في الغار مع أبي بكر ثلاثاً.

قال الحسن: جعل الله على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة، وقال غيره: ألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار.

وذهب بعض المتعمقة في غوامض المعاني إلى أن قوله تعالى ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ أي في غيرة على ما كانوا يرونه من ظهور الكفر فغار على دين ربه. وهو خلاف ما عليه الجمهور.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ يريد أن النبي ﷺ قال لصاحبه أبي بكر «لَا تَحْزَنْ» فاحتمل قوله ذلك له وجهين:

أحدهما: أن يكون تبشيراً لأبي بكر بالنصر من غير أن يظهر منه حزن.

والثاني: أن يكون قد ظهر منه حزن فقال له ذلك تخفيفاً وتسلية. وليس الحزن خوفاً وإنما هو تألم القلب بما تخيله من ضعف الدين بعد الرسول فقال له النبي ﷺ ﴿«لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي ناصرنا على أعدائنا.

﴿... فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: على النبي ﷺ، قاله الزجاج.

والثاني: على أبي بكر لأن الله قد أعلم نبيه بالنصر.

وفي السكينة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها الطمأنينة(٤٣٦)، قاله الضحاك.

والثالث: الوقار، قاله قتادة.

---

(٤٣٦) وقال ابن قتيبة هو أصح زاد المسير (٣/ ٤٤٠).

والرابع: أنها شيء يسكن الله به قلوبهم، قاله الحسن وعطاء.

﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالملائكة(٤٣٧).

والثاني: بالثقة بوعده واليقين بنصره.

وفي تأييده وجهان:

أحدهما: إخفاء أثره في الغار حين طلب.

والثاني: المنع من التعرض له حين هاجر.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بانقطاع الحجة.

والثاني: جعل كلمة الذين كفروا السفلى بذُلّ الخوف، وكلمة الله هي العليا بعز الظفر.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ بظهور الحجة.

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: يعني شباباً وشيوخاً، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد(٤٣٨).

والثاني: في اليسر والعسر فقراء وأغنياء، قاله أبو صالح.

والثالث: مشاغيل وغير مشاغيل، قاله الحكم.

والرابع: نشاطاً وغير نشاط، قاله ابن عباس وقتادة.

والخامس: ركباناً ومشاة، قاله أبو عمرو الأوزاعي.

والسادس: ذا صنعة وغير ذي صنعة(٤٣٩)، قاله ابن زيد.

والسابع: ذا عيال وغير ذي عيال، قاله زيد بن أسلم.

والثامن: أصحاء وغير أصحاء ومرضى، قاله جويبر.

---

(٤٣٧) ولا شك في أرجحية هذا القول لأن السياق يدل على ذلك في الآية.

(٤٣٨) لكن قول مجاهد في الطبري (١٤/٢٦٤) قال: شيباً وشيوخاً وأغنياء ومساكين.

(٤٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة وفيه تحريف والصواب ذا ضيعة وغير ذي ضيعة كما في الطبري (١٤/٢٦٦).

والتاسع: على خفة البعير وثقله، قاله علي بن عيسى والطبري[٤٤٠].

والعاشر: خفافاً إلى الطاعة وثقالاً عن المخالفة.

ويحتمل حادي عشر: خفافاً إلى المبارزة، وثقالاً في المصابرة.

﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أما الجهاد بالنفس فمن فروض الكفايات إلا عند هجوم العدو فيصير متعيناً[٤٤١].

وأما بالمال فبزاده وراحلته إذا قدر على الجهاد بنفسه، فإن عجز عنه بنفسه فقد ذهب قوم إلى أن بذل المال يلزم بدلاً عن نفسه. وقال جمهورهم: لا يجب لأن المال في الجهاد تبع النفس إلا سهم سبيل الله من الزكاة.

﴿ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الجهاد خير لكم من تركه إلى ما أبيح من القعود عنه.

والثاني: معناه أن الخير في الجهاد لا في تركه.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن كنتم تعلمون صدق الله تعالى فيما وعد به من ثوابه وجنته.

والثاني: إن كنتم تعلمون أن الخير في الجهاد.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: إن كنتم تعلمون أن الله تعالى يريد لكم الخير.

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾

---

(٤٤٠) وقول الطبري (١٤/٢٦٩) «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافاً وثقالاً وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادر على الظهر والركاب ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال. . . . . الخ.

(٤٤١) وكذا عند النفير العام من الإمام الأعظم وكذا عند التقاء الصفين أي جيش المسلمين وجيش الكافرين يصير الجهاد فرض عين.

قوله عز وجل ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ أي لو كان الذي دُعيتم إليه عرضاً قريباً.
وفيه وجهان:
أحدهما: يعني بالعرض ما يعرض من الأمور السهلة.
والثاني: يعني الغنيمة.
﴿وَسَفَراً قَاصِداً﴾ أي سهلاً مقتصداً.
﴿لاَّتَّبَعُوكَ﴾ يعني في الخروج معك.
﴿وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ والشقة هي القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها.
﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: لو استطعنا فراق أوطاننا وترك ثمارنا.
والثاني: لو استطعنا مالاً نستمده ونفقةً نخرج بها لخرجنا معكم في السفر الذي دعوا إليه فتأخروا عنه وهو غزوة تبوك.
ثم جاءوا بعد ذلك يحلفون بما أخبر الله عنهم من أنهم لو استطاعوا لخرجوا تصديقاً لقوله تعالى وتصحيحاً لرسالة نبيه ﷺ.
﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: يهلكون أنفسهم باليمين الكاذبة.
والثاني: يهلكون أنفسهم بالتأخر عن الإجابة.

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ
ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ
ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ

﴿فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صدق العزم ونشاط النفس.

والثاني: الزاد والراحلة في السفر، ونفقة الأهل في الحضر.

﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ وإنما كره انبعاثهم لوقوع الفشل بتخاذلهم كعبدالله بن أبي بن سلول، والجد بن قيس.

﴿وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مع القاعدين بغير عذر، قاله الكلبي.

والثاني: مع القاعدين بعذر من النساء والصبيان، حكاه علي بن عيسى.

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: أنه النبي ﷺ، غضباً عليهم، لعلمه بذلك منهم.

والثاني: أنه قول بعضهم لبعض.

قوله عز وجل ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ يعني اضطراباً حكاه ابن عيسى.

والثاني: فساداً، قاله ابن عباس.

فإن قيل: فلم يكونوا في خبال فيزدادوا بهؤلاء الخارجين خبالاً.

قيل هذا من الاستثناء المنقطع، وتقديره: ما زادوكم قوة، ولكن أوقعوا بينكم خبالاً.

﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أما الإيضاع فهو إسراع السير، ومنه قول الراجز[٤٤٢]:

يا ليتني فيها جذع ... أخُبُّ فيها وأضَعْ

(٤٤٢) هو دريد بن الصمة والبيت في اللسان «وضع» وسيرة ابن هشام (٨٢/٤) ونسب البيت لورقة بن نوفل الشوكاني في فتح القدير (٣٦٦/٢).

وأما الخلال فهو من تخلل الصفوف وهي الفُرَج تكون فيها، ومنه قول النبي ﷺ: «تَرَاصُّوا فِي الصُّفُوفِ وَلاَ يَتَخَلَّلْكُم، كَأَولاَدِ الحذف يَعْنِي الشَّيَاطِينَ»

والخلال هو الفساد، وفيه ها هنا وجهان:

أحدهما: لأسرعوا في إفسادكم.

والثاني: لأوضعوا الخلف بينكم[٤٤٣].

وفي الفتنة التي يبغونها وجهان:

أحدهما: الكفر.

والثاني: اختلاف الكلمة وتفريق الجماعة.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل.

أحدها: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة وابن إسحاق.

والثاني: وفيكم عيون منكم ينقلون إلى المشركين أخباركم، قاله الحسن[٤٤٤].

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل ﴿لَقَدْ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ يعني إيقاع الخلاف وتفريق الكلمة.

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ يحتمل أربعة أوجه:[٤٤٥]

أحدها: معاونتهم في الظاهر وممالأة المشركين في الباطن.

والثاني: قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

والثالث: توقع الدوائر وانتظار الفرص.

والرابع: حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم.

---

(٤٤٣) ذكره الطبري (١٤/ ٢٧٩) معلقاً ورواه أبو داود (٦٦٧) والنسائي (٢/ ٩٢) بنحوه. الحذف: هي الغنم السود الصغار.

(٤٤٤) أي أفشوا بينكم حب التخلف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ.

(٤٤٥) واختاره الطبري (١٤/ ٢٨٢) وقال لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم سماع وصف من وصف به أنه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه «سماعون للكذب» واصفاً بذلك قوماً بسماع الكذب من الحديث وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه فإنما تصفه بأنه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو سماع مطيع.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني النصر.
﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعني الدين.
﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ يعني النصر وظهور الدين.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ يعني في التأخر عن الجهاد.
﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة، قاله الحسن وقتادة وأبو عبيدة والزجاج.

والثاني: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

والثالث: أنها نزلت في الجد بن قيس قال: ائذن لي ولا تفتني ببنات بني الأصفر(٤٤٦) فإني مشتهر بالنساء، قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد.
﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ فيها وجهان:
أحدهما: في عذاب جهنم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾.
والثاني: في محنة النفاق وفتنة الشقاق.

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

قوله عز وجل ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ يعني بالحسنة النصر.
﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي أخذنا حذرنا فسلمنا.
﴿وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ أي بمصيبتك وسلامتهم.
قال الكلبي: عنى بالحسنة النصر يوم بدر، وبالمصيبة النكبة يوم أحد.

(٤٤٦) هم الروم.

قوله عز وجل ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أنه يصيبنا من خير أو شر، لا أن ذلك بأفعالنا فنذمّ أو نحمد، وهو معنى قول الحسن.

والثاني: إلا ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا.

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مالكنا.

والثاني: حافظنا وناصرنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي على معونته وتدبيره.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن
يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني النصر أو الشهادة وكلاهما حسنة لأن في النصر ظهور الدين، وفي الشهادة الجنة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عذاب الاستئصال في الدنيا.

والثاني: عقاب العصيان في الآخرة.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني بقتل الكافر عند الظفر والمنافق مع الإذن فيه.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ

﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله عز وجل ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُمْ. . .﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، قاله ابن عباس وقتادة ويكون فيه تقديم وتأخير.

والثاني: إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم، يعني المنافقين. وهذا قول الحسن.

والثالث: ليعذبهم بمصائبهم في أموالهم(٤٤٧) أولادهم، قاله ابن زيد.

والرابع: ليعذبهم ببني أولادهم وغنيمة أموالهم، يعني المشركين، قاله بعض المتأخرين.

والخامس: يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها، وكل هذا عذاب.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي تهلك بشدة، من قوله تعالى ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

قوله عز وجل ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ. . .﴾ الآية. أما الملجأ ففيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الحرز، قاله ابن عباس.

والثاني: الحصن، قاله قتادة.

والثالث: الموضع الحريز من الجبل، قاله الطبري(٤٤٨).

والرابع: المهرب، قاله السدي. ومعاني هذه كلها متقاربة.

وأما المغارات ففيها وجهان:

---

(٤٤٧) لعله وأولادهم وقول ابن زيد في الطبري(١٤/٢٩٦) ونصه: قوله «انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا» بالمصائب فيها هي لهم عذاب وهي للمؤمن أجر أ هـ.

(٤٤٨) وقول أبي جعفر في جامع البيان (١٤/٢٩٨).

قال: «ملجأ» يقول: عصراً يعتصرون به من حصن ومعقلاً يعتقلون فيه منكم.

أحدهما: أنها الغيران في الجبال، قاله ابن عباس.

والثاني: المدخل الساتر لمن دخل فيه، قاله علي بن عيسى.

وأما المدَّخل ففيه وجهان:

أحدهما: أنه السرب في الأرض، قاله الطبري(٤٤٩).

والثاني: أنه المدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة.

﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ يعني هرباً من القتال وخذلاناً للمؤمنين.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي يسرعون، قال مهلهل(٤٥٠):

لقد جمحت جماحاً في دمائهم ... حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ...﴾ الآية، فيه قولان:

أحدهما: أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء ويتكلم بالنفاق فإن أعطي رضي وإن منع سخط، فنزلت فيه الآية.

الثاني: ما روى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال(٤٥١): بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدْل يا رسول الله، فقال: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إن لَّمْ أَعْدِلْ؟ فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، فقال: دَعْهُ. فأنزل الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ﴾ الآية.

وفي معنى يلمزك ثلاثة أوجه:

---

(٤٤٩) جامع البيان (١٤/٢٩٨).

(٤٥٠) الطبري (١٤/٢٩٩).

(٤٥١) رواه الطبري (١٤/٣٠٣) واللفظ له والقصة في البخاري أيضاً (٦/٤٥٥).

ومسلم (٧/١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولكن ليس فيها أن هذه الحادثة سبب لنزول الآية.

أحدها: يروزك[٤٥٢] ويسألك، قاله مجاهد.

والثاني: يغتابك، قاله ابن قتيبة.

والثالث: يعيبك، قال رؤبة[٤٥٣]:

قـاربت بين عَنَقي وحجـزي   في ظل عصري باطلي ولمزي

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ﴾ اختلف أهل العلم فيها على ستة أقاويل:

أحدها: أن الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة. والمسكين: المحتاج السائل، قاله ابن عباس والحسن وجابر وابن زيد[٤٥٤] والزهري ومجاهد وزيد[٤٥٥].

والثاني: أن الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة، والمسكين: هو الصحيح الجسم منهم، قاله قتادة.

والثالث: أن الفقراء هم المهاجرون، والمساكين: غير المهاجرين، قاله الضحاك بن مزاحم وإبراهيم.

والرابع: أن الفقير من المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة.

والخامس: أن الفقير الذي لا شيء له لأن الحاجة قد كسرت فقاره، والمسكين الذي له ما لا يكفيه لكن يسكن إليه، قاله الشافعي.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس المسكين[٤٥٦] الذي لا مال له ولكن

(٤٥٢) يعني يختبرك ويمتحنك ويذوق أمرك هل تخاف لائمة أم لا. يقال «رزت ما عند فلان إذا اختبرته وامتحنته».

(٤٥٣) ديوانه: ٦٤.

(٤٥٤) كذا في المطبوعة والصواب جابر بن زيد والتصويب من الطبري (١٤/٣٠٥) وزاد المسير (٣/٤٥٥).

(٤٥٥) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب ابن زيد والتصويب من الطبري (١٤/٣٠٦) وزاد المسير (٣/٤٥٥).

(٤٥٦) وفي الطبري (١٤/٣٠٨) ليس المسكين بالذي........

المسكين الأخلق الكسب. قال ابن عليّة: الأخلق المحارف[٤٥٧] عندنا وقال الشاعر[٤٥٨]:

لما رأى لُبَدُ النُّسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الأعزل

والسادس: أن الفقير الذي له ما لا يكفيه، والمسكين: الذي ليس له شيء يسكن إليه قاله أبو حنيفة.

ثم قال ﴿وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم السعاة المختصون بجبايتها وتفريقها قال الشاعر:

إن السُّعاة عصوك حين بعثتهم لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

وليس الإمام من العاملين عليها ولا والي الإقليم.

وفي قدر نصيبهم منها قولان:

أحدهما: الثمن، لأنهم أحد الأصناف الثمانية، قاله مجاهد والضحاك.

والثاني: قدر أجور أمثالهم، قاله عبدالله بن عمر[٤٥٩].

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم بالعطية، وهم صنفان: مسلمون ومشركون.

فأما المسلمون فصنفان: صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم، كعقبة بن زيد وأبي سفيان بن حرب والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس. وصنف آخر منهم كانت نياتهم في الإسلام حسنة فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين مثل عدي بن حاتم. ويعطى كِلا الصنفين من سهم المؤلفة قلوبهم.

وأما المشركون فصنفان: صنف يقصدون المسلمين بالأذى فيتألفهم دفعاً

---

(٤٥٧) قال صاحب تحقيق جامع البيان (٣٠٨/١٤): أراد عمر أن الفقير هو الذي لم يقدم لآخرته شيئاً يثاب عليه وأن الفقير الأكبر إنما هو فقير الآخرة وأن فقير الدنيا أهون الفقيرين والأخلق من قولهم هضبة خلقاء ملساء لا نبات فيها وللجبل المصمت الذي لا يؤثر فيه شيء «أخلق» وفي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها «وأما معاوية فرجل أخلق من المال» أي خلو عارضه وأما المحارف كما فسره ابن علية فهو المنقوص الحظ فهو محدود محروم إذا طلب الرزق لم يرزق ضد المبارك.

(٤٥٨) هو لبيد والبيت في ديوانه ٢٧٤، الحيوان (٣٢٦/٦) ومعجم مقاييس اللغة (٩٠/٤) ومعجم البلدان (٧٨/٦) واللسان «فقر».

(٤٥٩) وفي نسخة: عبد الله عمرو بن العاص.

قلت: وهو الصواب، لما ثبت ذلك عن عبد الله في الطبري برقم (١٦٨٤٢).

لأذاهم مثل عامر بن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا مثل صفوان بن أمية.

وفي تألفهم بعد رسول الله ﷺ بالسهم المسمى لهم من الصدقات قولان:

أحدهما: يعطونه ويتألفون به، قاله الحسن وطائفة.

والثاني: يمنعون منه ولا يعطونه لإعزاز الله دينه عن تألفهم، قاله جابر، وكلا القولين محكي عن الشافعي.

وقد روى حسان بن عطية قال: قال عمر رضي الله عنه وأتاه عيينة بن حصن يطلب من سهم المؤلفة قلوبهم فقال قد أغنى الله عنك وعن ضربائك ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي ليس اليوم مؤلفة.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم المكاتبون، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشافعي.

والثاني: أنهم عبيد يُشترون بهذا السهم قاله ابن عباس ومالك.

﴿وَٱلْغَارِمِينَ﴾ وهم الذين عليهم الدين يلزمهم غرمه، فإن ادّانوا في مصالح أنفسهم لم يعطوا إلا مع الفقر، وإن ادّانوا في المصالح العامة أعطوا مع الغنى والفقر.

واختلف فيمن ادّان في معصية على ثلاثة أقاويل.

أحدها: لا يعطى لئلا يعان على معصية.

والثاني: يعطى لأن الغرم قد وجب، والمعصية قد انقضت.

والثالث: يعطى التائب منها ولا يعطى إن أصر عليها.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله يعطون سهمهم من الزكاة مع الغنى والفقر.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هو المسافر لا يجد نفقة سفره، يعطى منها وإن كان غنياً في بلده، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه الضيف، حكاه ابن الأنباري.

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ

يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يصغي إلى كل أحد، فيسمع منه، قال عدي بن زيد(٤٦٠) :

أيها القلب تعلّل بددن   إن همي من سماع وأذن

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي يسمع الخير ويعمل به، لا أذن شر يفعله إذا سمعه.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يعيبون النبي ﷺ ويقولون فيه ما لا يجوز، فنزلت هذه الآية فيهم.

وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا يعيبونه بأنه أذن يسمع جميع ما يقال له، فجعلوا ذلك عيباً فيه.

والثاني: أنهم عابوه فقال أحدهم: كفوا فإني أخاف أن يبلغه فيعاقبنا، فقالوا: هو أذن إذا أجبناه وحلفنا له صدقنا، فنسبوه بذلك إلى قبول العذر في الحق والباطل، قاله الكلبي ومقاتل.

وقيل إن قائل هذا نفيل بن الحارث(٤٦١).

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

قوله عز وجل ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فيها ثلاثة أقوال:

(٤٦٠) أمالي الشريف المرتضي (١/٣٣) واللسان (أذن) و (ددن).
(٤٦١) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب نبتل بن الحارث والتصويب من الطبري (١٤/٣٢٥) وسيرة ابن هشام (٢/١٦٨) وزاد المسير (٣/٤٦٠).

أحدها: من يخالف الله ورسوله، قاله الكلبي.

والثاني: مجاوزة حدودها، قاله علي بن عيسى.

والثالث: أنها معاداتها مأخوذ من حديد السلاح لاستعماله في المعاداة، قاله ابن بحر.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا وعيد، وإنما سميت النار جهنم من قول العرب بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر، فسميت نار الآخرة جهنم لبعد قعرها، قاله ابن بحر.

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ. . . .﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى عن حذرهم، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أنه أمر من الله تعالى لهم بالحذر، وتقديره ليحذر المنافقون، قاله الزجاج.

وفي قوله تعالى ﴿. . . تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم﴾ وجهان:

أحدهما: ما أسرّوه من النفاق.

والثاني: قولهم في غزوة تبوك: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟هيهات هيهات. فأطلع الله تعالى نبيّه ﷺ على ما قالوا، قاله الحسن وقتادة.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِئُوا۟﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر للتهديد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مظهر ما تسرون.

والثاني: ناصر من تخذلون.

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

قوله عز وجل ﴿ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن بعضهم يجتمع مع بعض على النفاق.

والثاني: أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعضٍ. وقال الكلبي: بعضهم على دين بعض.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ في المنكر والمعروف قولان:

أحدهما: أن المنكر كل ما أنكره العقل من الشرك(٤٦٢)، والمعروف: كل ما عرفه العقل من الخير.

والثاني: أن المعروف في كتاب الله تعالى كله الإيمان، والمنكر في كتاب الله تعالى كله الشرك، قاله أبو العالية.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد.

والثاني: يقبضونها عن كل خير، قاله قتادة.

والثالث: يقبضونها عن الجهاد مع النبي ﷺ، قاله بعض المتأخرين.

والرابع: يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى.

﴿نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا أمره فترك رحمتهم.

قال ابن عباس: كان المنافقون بالمدينة من الرجال ثلاثمائة، ومن النساء سبعين ومائة امرأة.

---

(٤٦٢) وهو قول المعتزلة وقد كتب في التعليق على هامش المخطوطة:

«هذا اعتقاد المعتزلة والذي عليه جميع أهل السنة والجماعة أن المنكر ما أنكره الشرع والمعروف ما عرفه الشرع» أهـ.

وروى مكحول عن أبي الدرداء أنه(٤٦٣) سأل رسول الله ﷺ عن صفة المنافق:
فقال «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ نَقَضَ، لَا يَأْتِي الصَّلَاةَ إِلَّا دُبراً وَلَا يَذْكُرِ اللَّهَ إِلَّا هَجْراً».

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله عز وجل ﴿.. فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَاقِهِمْ..﴾.
قيل بنصيبهم من خيرات الدنيا.
ويحتمل استمتاعهم باتباع شهواتهم.
وفيه وجه ثالث: أنه استمتاعهم بدينهم الذي أصروا عليه.
﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: في شهوات الدنيا.
والثاني: في قول الكفر.
وفيهم قولان:
أحدهما: أنهم فارس والروم.
والثاني: أنهم بنو اسرائيل(٤٦٤).

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا

---

(٤٦٣) هذا الحديث منقطع بين مكحول وأبي الدرداء ويغني عنه حديث أبي هريرة مرفوعاً آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذ وعد أخلف وإذا عاهد غدر. رواه البخاري (١/٨٣) ومسلم (٥٩ في الإيمان) الترمذي (٢٦٣٣) النسائي (٨/١١٧) وفي الباب عن إبن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤٦٤) إن أصل الضلال هو الخوض في آيات الله تعالى استخفافاً واستهزاء كما هو حال الكثيرين الذين ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً.

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ
عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل ﴿ . . وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المساكن الطيبة قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر.

الثاني : أنها المساكن التي يطيب العيش فيها، وهو محتمل.

وأما جنات عدن فيها خمسة أوجه :

أحدها : أنها جنات خلود وإقامة ، ومنه سمي المعدن لإقامة جوهره فيه ، ومنه قول الأعشى(٤٦٥) :

فإن تستضيفوا إلى حِلمِه تضافوا إلى راجح قد عدَن

يعني ثابت الحلم. وهذا مروي عن ابن عباس.

والثاني : أن جنات عدن هي جنات كروم وأعناب بالسريانية، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث : أن عدن اسم لبطنان الجنة أي وسطها، قاله عبدالله بن مسعود.

والرابع : أن عدن اسم قصر في الجنة، قاله عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن.

(٤٦٥) ديوانه : ١٧ ، ومجاز القرآن (١/٢٦٤) والطبري (١٤/٣٥٠) واللسان «وزن» وفي اللسان«قد وزن» بدلاً من عدن.

وفي الديوان «إلى حكمه» بدلاً من «إلى حكمه» وفي زاد المسير (٣/٤٦٨) «وإن تستضيفوا» وفي الطبري وزاد المسير واللسان وغيرها وإن خلافاً لما هنا «فإن».

والخامس: أن جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ[٤٦٦] أو صديق أو شهيد أو إمام عدل[٤٦٧].

وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين رواه معاذ بن جبل مرفوعاً[٤٦٨].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

قوله عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أما جهاد الكفار فبالسيف وأما جهاد المنافقين ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وقلبه، فإن لم يستطع فليكفهر[٤٦٩] في وجوههم، قاله ابن مسعود.

والثاني: جهادهم باللسان، وجهاد الكفار بالسيف، قاله ابن عباس.

---

(٤٦٦) وقد روى الطبري (١٤/٣٥١، ٣٥٢) والبخاري في الكبير (٢/١/٤٠٧) والبزار كما في المجمع (١٠/٤١٢) من حديث أبي الدرداء مرفوعاً «إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات الحديث وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي داره التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر..... ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء.» وضعف الحديث الهيثمي قائلاً «رواه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف وضعفه أيضاً الذهبي في الميزان (١/٣٦١) وقال: هذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة.

(٤٦٧) وقوله هنا إلى إمام عدل ثبت من قول الحسن رواه الطبري (١٤/٣٥٤).

(٤٦٨) أما حديث معاذ فلم أهتد إليه وأما الاختلاف في سبب التسمية فقد عقب ابن القيم عليه في حادي الأرواح ص ٨٣ بقوله «والصحيح أن [أي المأوى] اسم من أسماء الجنة» كما قال تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» وقال في النار (فإن الجحيم هي المأوى» «ومأواكم النار».

(٤٦٩) أي بوجه عابس منقبض لا انبساط فيه ولا بشر.

والثالث: أن جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن وقتادة. وكانوا أكثر من يصيب الحدود.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تعجيل الانتقام منهم.

والثاني: ألا يصدق لهم قولاً، ولا يبر لهم قسماً.

قوله عز وجل ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير، ثم حلف أنه ما قال، وهذا قول عروة ومجاهد وابن إسحاق.

والثاني: أنه عبدالله بن أبي بن سلول. قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قاله قتادة.

والثالث: أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك، قاله الحسن.

﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني ما أنكروه مما قدمنا ذكره تحقيقاً لتكذيبهم فيما أنكروه وقيل بل هو قولهم إن محمداً ليس بنبي.

﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: كفروا بقلوبهم بعد أن آمنوا بأفواههم.

والثاني: جرى عليهم حكم الكفر بعد أن جرى عليهم حكم الايمان.

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المنافقين هموا بقتل الذي أنكر عليهم، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم هموا بما قالوه ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ وهذا قول قتادة.

والثالث: أنهم هموا بقتل النبي ﷺ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً وقيل إنه كان ذلك في غزوة تبوك.

۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ. . .﴾ الآية والتي بعدها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري(٤٧٠). وفي سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه، فلما قدم عليه بخل به، قاله الكلبي.

والثاني: أن مولى لعمر قتل رجلاً لثعلبة فوعد إن أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالى منها، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالى أن يخرجه، قاله مقاتل.

وقيل إن ثعلبة لما بلغه ما نزل فيه أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ مَنَعَنِي أَن أَقْبَلَ مِنكَ صَدَقَتَكَ» فجعل يحثي على رأسه التراب. وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ قرىء بضم الجيم وفتحها وفيه وجهان:

أحدهما: أنهما يختلف لفظهما ويتفق معناهما، قاله البصريون.

---

(٤٧٠) ولم يثبت في ذلك حديث صحيح بل كل ما ورد لم يصح سنده ولا متنه عند التحقيق بعد أن ضعف هذه الرواية كلًا من الحافظ ابن حجر والبيضاوي والسيوطي وابن حزم والهيثمي وغيرهم فالعجب من ذكر المفسرين رحمهم الله لهذه القصة بعد عدم ثبوتها وقد جمع أحد الفضلاء ما قيل في هذه القصة وفنّد اسانيدها في رسالة بعنوان الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلبة بن حاطب فراجعها فإنها مهمة جداً.

والثاني: أن معناهما مختلف، فالجهد بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة، قاله بعض الكوفيين.

وقيل: كان ذلك في غزاة تبوك نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي وأبي عقيل الأراشي[٤٧١] وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ حث على الصدقة ليتجهز للجهاد، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال هذا شطر مالي صدقة، وجاء عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر وقال: إني آجرت نفسي بصاعين فذهبت بأحدهما إلى عيالي وجئت بالآخر صدقة، فقال قوم من المنافقين حضروه: أما عبد الرحمن وعاصم فما أعطيا إلا رياءً، وأما صاع أبي عقيل[٤٧٢] فالله غني عنه، فنزلت فيهم هذه الآية.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم أظهروا حمدهم واستبطنوا ذمهم.

والثاني: أنهم نسبوا إلى الرياء وأعلنوا الاستهزاء.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه ما أوجبه[٤٧٣] عليهم من جزاء الساخرين.

والثاني: بما أمهلهم من المؤاخذة.

قال ابن عباس: وكان هذا في الخروج إلى غزاة تبوك.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

قوله عز وجل ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن

(٤٧١) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب أبو عقيل الإراش واسمه عبد الرحمن الإراش الأنيفي ولم يذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣١/٨) أنه صاحب الصاع ولا فيمن ذكرهم هناك وقد ترجم ابن سعد في الطبقات (٤١/٢/٣) ولم يذكر أنه صاحب الصاع.

(٤٧٢) وقد ذكر الحافظ ابن حجر الاختلاف في تعيين صاحب الصاع وذكر الاختلاف في اسمه في الفتح وقال (٣٣١/٨): وهذا يدل على تعدد من جاء بالصاع.

(٤٧٣) والصواب من القول في ذلك إثبات ذلك على ما يليق بالله تعالى على جهة العدل من غير اشتقاق اسم منها فلا يقال ساخر أو كائد أو مخادع أو ما شابه ذلك والله أعلم.

﴿يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ وهذا على وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان على صيغة الأمر، ومعناه أنك لو طلبتها لهم طلب المأمور بها أو تركتها ترك المنهي عنها لكان سواء في أن الله تعالى لا يغفر لهم.

قوله ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ليس بحد لوقوع المغفرة بعدها، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد لأن العرب تبالغ بالسبع وبالسبعين لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة، ولذلك(٤٧٤) قالوا للأسد سبُع أي قد ضوعفت قوته سبع مرات، وهذا ذكره علي بن عيسى.

وحكى(٤٧٥) مجاهد وقتادة(٤٧٦) أن النبي ﷺ قال «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً» فأنزل الله تعالى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فكف.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله عز وجل ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي المتروكون.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني مخالفة رسول الله ﷺ وهذا قول الأكثرين.

والثاني: معناه بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٤٧٧).

---

(٤٧٤) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٣/٤٧٧): «فإن قيل كيف جاز أن يستغفر لهم وقد أخبر بأنهم كفروا فالجواب أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام ولا يجوز أن يقال علم كفرهم ثم استغفر.

(٤٧٥) رواه الطبري (١٤/٣٩٦).

(٤٧٦) رواه عبد بن حميد كما في الفتح (٨/٣٣٥) وروى الطبري (١٤/٣٩٥) وابن أبي حاتم كما في الفتح (٨/٣٣٥) عن عروة بن الزبير مثله وقال الحافظ ابن حجر عن أثر مجاهد وقتادة وعروة وهذه طرق وإن كانت مراسيل فإن بعضها يعضد بعضاً.

(٤٧٧) هو الحارث بن خالد المخزومي. =

عفت الـديـار خـلافهم فكـأنمـا بسط الشـواطب بينهن حصيـراً

أي بعدهم.

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هذا قول بعضهم لبعض حين قعدوا.

والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين ليقعدوا معهم. وهؤلاء المخلفون عن النبي ﷺ في غزاة تبوك وكانوا أربعة وثمانين نفساً.

قوله عز وجل ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا﴾ هذا تهديد وإن خرج مخرج الأمر، وفي قلة ضحكهم وجهان:

أحدهما: أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد.

الثاني: أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت قليل، لأن الفاني قليل.

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهم فيه يبكون، فصار بكاؤهم كثيراً، وهذا معنى قول الربيع بن خيثم.

الثاني: في النار على التأبيد لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه، وهذا قول السدي.

ويحتمل أن يريد بالضحك السرور، وبالبكاء الغم.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

= ووقع في نسخة أخرى للمخطوطة عقب الربيع وهو الصواب وقد أورده هكذا الطبري (١٤/٣٩٨) واللسان (عقب) (خلف) ومجاز القرآن لأبي عبيدة وقد أورده صاحب الاغاني (٣/٣٣٦) بلفظ عقب الرذاذ والرذاذ هو صغار المطر وأما قوله هنا عقب الديار فقد وقعت هذه الرواية للبيت في القرطبي ( ).

قوله عز وجل ﴿. . . إِنَّكُم رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أول مرة دعيتم.

الثاني: يعني قبل استئذانكم.

﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَالِفِينَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: هم الرجال الذين تخلفوا بأعذار وأمراض، قاله ابن عباس.

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ لما احتضر عبدالله بن أبي بن سلول أتى ابنُه النبي ﷺ فسأله أن يصلي عليه وأن يعطيه قميصه ليكفن فيه فأعطاه إياه وهو عرق فكفنه فيه وحضره، فقيل إنه أدركه حياً، فقال النبي ﷺ «أَهْلَكَهُمُ اليَهُودُ» فقال: يا رسول الله لا تؤنبني واستغفر لي، فلما مات ألبسه قميصه وأراد الصلاة عليه فجذبه عمر رضي اللّه عنه وقال: يا رسول الله أليس الله قد نهاك عن الصلاة عليهم؟ فقال: «يَا عُمَرُ خَيَّرَنِي رَبِّي فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لأَزِيدَنَّ عَلَى ٱلسَّبْعِينَ». فصلى عليه[٤٧٨]. فنزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ الآية، فما صلى بعدها على منافق، وهذا قول ابن[٤٧٩] عباس وابن عمر[٤٨٠] وجابر[٤٨١] وقتادة.

(٤٧٨) قال الحافظ في الفتح (٣٣٦/٨): «وقد قال بعض أهل الحديث تصحيح إسلام عبدالله بن أبي لكون النبي ﷺ صلى عليه وذهل عن الوارد من الآيات والأحاديث المصرحة في حقه بما ينافي ذلك ولم يقف على جواب شاف في ذلك فأقدم على الدعوى المذكورة وهو محجوج بإجماع من قبله على نقيض ما قال. وإطباقهم على ترك ذكره في كتب الصحابة مع شهرته وذكر من هو دونه في الشرف والشهرة بأضعاف مضاعفة أ هـ.

(٤٧٩) رواه الطبري (٤٠٨/١٤) واللفظ له والبخاري (٣٣٣/٨).

(٤٨٠) رواه البخاري (٣٣٧/٨) ومسلم (١٢١/١٧) والطبري (٤٠٦/١٤) وابن ابي حاتم وأبو الشيخ وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي والدلائل كما في الدر (٤/).

(٤٨١) رواه البزار ( ) والطبري (٤٠٧/١٤) وفي سنده مجالد بن سعيد وهو ليس بالقوي ولكن الحديث له شواهد ولهذا قال الحافظ ابن كثير. (٣٧٩/٢): «إسناده لا بأس به وما قبله شاهد له».

وقال أنس بن مالك[٤٨٢]: أراد أن يصلي عليه فأخذ جبريل بثوبه وقال ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ يعني قيام زائر ومستغفر.

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ
أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَاهِدُوا۟ مَعَ
رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: يعذبهم بحفظها في الدنيا والإشفاق عليها.

والثاني: يعذبهم بما يلحقهم منها من النوائب والمصائب.

والثالث: يعذبهم في الآخرة بما صنعوا بها في الدنيا عند كسبها وعند إنفاقها.

وحكى ابن الأنباري وجهاً رابعاً: أنه على التقديم والتأخير، وتقديره: ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة.

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: استديموا الإيمان بالله.

والثاني: افعلوا فعل من آمن بالله.

والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بأفواهكم، ويكون خطاباً للمنافقين.

﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أهل الغنى، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني: أهل القدرة. وقال محمد بن إسحاق. نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول والجد بن قيس.

قوله عز وجل ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(٤٨٢) رواه الطبري (١٤/٤٠٧) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك.

أحدها: مع المنافقين، قاله مقاتل.

والثاني: أنهم خساس الناس وأدناهم مأخوذ من قولهم فلان خالفه أهله إذا كان دونهم، قاله ابن قتيبة.

والثالث: أنهم النساء، قاله قتادة والكلبي.

لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ وهو جمع خيرة، وفيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها غنائم الدنيا ومنافع الجهاد.

والثاني: فواضل العطايا.

والثالث: ثواب الآخرة.

والرابع: حُور الجنان، من قوله تعالى ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

قوله عز وجل ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنهم المعتذرون بحق اعتذروا به فعذروا، قاله ابن عباس وتأويل قراءة من قرأها بالتخفيف(٤٨٣).

والثاني: هم المقصرون المعتذرون بالكذب، قاله الحسن وتأويل من قرأها بالتشديد، لأنه إذا خفف مأخوذ من العذر، وإذا شدد مأخوذ من التعذير، والفرق بينهما أن العذر حق والعذير كذب.

وقيل إنهم بنو أسد وغطفان.

قوله عز وجل ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الآية. وفي الضعفاء ها هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الصغار لضعف أبدانهم.

الثاني: المجانين لضعف عقولهم.

الثالث: العميان لضعف بصرهم. كما قيل في تأويل قوله تعالى في شعيب ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ [هود: ٩١] أي ضريراً.

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا برئوا من النفاق.

الثاني: إذا قاموا بحفظ المخلفين من الذراري والمنازل.

فإن قيل بالتأويل الأول كان راجعاً إلى جميع من تقدم ذكره من الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون ما ينفقون.

وإن قيل بالتأويل الثاني كان راجعاً إلى الذين لا يجدون ما ينفقون خاصة.

وقيل إنها نزلت في عائذ بن عمرو وعبدالله بن مُغَفَّل.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لم يجد لهم زاداً لأنهم طلبوا ما يتزودون به، قاله أنس بن مالك.

والثاني: أنه لم يجد لهم نعالاً لأنهم طلبوا النعال، قاله الحسن.

---

(٤٨٣) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن يعمر ويعقوب وقرأ ابن مسعود المعتذرون وفيها قراءة أخرى هي «المعاذرون» بألف وهي قراءة ابن السميفع راجع زاد المسير (٣/٤٨٣).

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال في هذه الغزاة وهي تبوك «**أَكْثِرُوا**[٤٨٤] **مِنَ النِّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِباً مَا كَانَ مُنْتَعِلاً**».

وفيمن نزلت فيه خمسة أقاويل:

أحدها: في العرباض بن سارية، قاله يحيى بن أبي المطاع[٤٨٥].

والثاني: في عبدالله بن الأزرق وأبي ليلى[٤٨٦]، قاله السدي.

والثالث: في بني مقرّن من مُزينة، قاله مجاهد.

والرابع: في سبعة من قبائل شتى، قاله محمد بن كعب.

والخامس: في أبي موسى وأصحابه، قاله الحسن.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ**﴾ في السبيل هاهنا وجهان:

أحدهما: الإنكار.

الثاني: الإثم.

---

(٤٨٤) اخرجه مسلم (٣/١٦٦٠) وأبو داود (٤١٣٣) وأحمد (٣/٣٣٧، ٣٦٠) والخطيب في التاريخ (٣/٤٢٥).

ومعناه أنه شبيه بالراكب في خفة المشقة عليه وقله تعبه وسلامة رجله مما يعرض في الطريق من خشونة وشوك وأذى ونحو ذلك «هامش صحيح مسلم».

(٤٨٥) هو يحيى بن أبي المطاع القرشي الأردني ابن أخت بلال ثقة معروف روى عن العرباض بن سارية وغيره تهذيب التهذيب (١١/٢٤٥، ٢٤٦).

(٤٨٦) هو عبد الرحمن بن كعب كما في زاد المسير (٣/٢٨٦).

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ يعني في التخلف عن الجهاد. ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ يعني بالمال والقدرة.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم الذراري من النساء والأطفال.

الثاني: أنهم المتخلفون بالنفاق.

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا
وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ
عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓۗ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تلاوتهم القرآن وسماعهم السنن.

الثاني: أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم لأنهم أجفى طباعاً وأغلظ قلوباً.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ومعنى أجدر أي أقرب، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين.

وفي المراد بحدود الله ما أنزل الله وجهان:

أحدهما: فروض العبادات المشروعة.

الثاني: الوعد والوعيد في مخالفة الرسول ﷺ والتخلف عن الجهاد.

قوله عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يدفع من الصدقات.

الثاني : ما ينفق في الجهاد مع الرسول ﷺ مغرماً، والمغرم التزام ما لا يلزم، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [الفرقان: ٦٥] أي لازماً، قال الشاعر:

فَمَا لَكَ مَسْلُوبَ العَزَاءِ كَأَنَّمَا ... تَرَى هَجْرَ لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غَارِمُهُ

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ جمع دائرة وهي انقلاب النعمة إلى ضدها، مأخوذة من الدور ويحتمل تربصهم الدوائر وجهين:

أحدهما: في إعلان الكفر والعصيان.

والثاني : في انتهاز الفرصة بالانتقام.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ رد لما أضمروا وجزاء لما مكروا.

قوله عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَن يُؤمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾ قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزينة.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها تقربة من طاعة الله ورضاه.

الثاني : أن ثوابها مذخور لهم عند الله تعالى فصارت قربات عند الله ﴿وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه استغفاره لهم، قاله ابن عباس.

الثاني : دعاؤه لهم، قاله قتادة.

﴿أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون راجعاً إلى إيمانهم ونفقتهم أنها قربة لهم.

الثاني: إلى صلوات الرسول أنها قربة لهم.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ ، قاله أبـو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب.

الثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، قاله الشعبي وابن[٤٨٧] سيرين.

الثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء.

الرابع: أنهم السابقون بالموت والشهادة من المهاجرين والأنصار سبقوا إلى ثواب الله تعالى و حسن جزائه.

و يحتمل خامساً[٤٨٨]: أن يكون السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين آمنوا بمكة قبل هجرة رسول اللَّه ﷺ عنهم، والسابقون الأولون من الأنصار هم الذين آمنوا برسول اللَّه ورسوله قبل هجرته إليهم[٤٨٩].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الإيمان.

الثاني: من الأفعال الحسنة.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: رضي الله عنهم بالإيمان، ورضوا عنه بالثواب، قاله ابن بحر.

الثاني: رضي الله عنهم في العبادة، ورضـوا عنه بـالجزاء، حكـاه علي بن عيسى.

الثالث: رضي الله عنهم بطاعة الرسول ﷺ، ورضوا عنه بالقبول.

---

(٤٨٧) كذا في المطبوعة والذي في الدر (٤/٢٦٩) قاله ابن سيرين هم الذين يصلون القبلتين جميعاً وهم أهل بدر، ونسبه لابن المنذر وأبي نُعيـم.

(٤٨٨) وهذا القول ذكره أبو يعلى كما في زاد المسير (٣/٤٩١).

(٤٨٩) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٣٩٨). وفي الآية تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الذين صلوا القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة أو الذين شهدوا بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية في قول الشعبي أو أهل بدر في قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها قال أبو منصور البغـدادي أصحابنـا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية اهـ.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرابِ مُنَافِقُونَ﴾ يعني حوله المدينة: قال ابن عباس: مزينة وجهينة وأسلم وغِفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون كما كان من الأنصار لدخول جميعهم تحت القدرة فتميزوا بالنفاق وإن عمتهم الطاعة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أقاموا عليه ولم يتوبوا منه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: مردوا عليه أي عتوا فيه، ومنه قوله عز وجل ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ [النساء: ١١٧].

الثالث: تجردوا فيه فظاهروا به، مأخوذ منه تجرد خد(٤٩٠) الأمرد لظهوره وهو محتمل.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تعلمهم حتى نعلمك بهم.

الثاني: لا تعلم أنت عاقبة أمورهم وإنما نختص نحن بعملها، وهذا يمنع أن يحكم على أحد بجنة أو نار.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والجزع من المسلمين، والآخر عذاب القبر، قاله ابن عباس(٤٩١).

---

(٤٩٠) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٣٩٨). وأصل مرد وتمرد اللين والملاسة والتجرد فكأنهم تجردوا للنفاق ومنه غصن أمرد لا ورق عليه وفرس أمرد لا شعر فيه وغلام أمرد لا شعر بوجهه وأرض مرداء لا نبات فيها وصرح ممرد مجرد فالمعنى أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينثنوا عنه.
قلت وإنما سمي الشيطان مارداً لأنه عرى عن كل خير ومعروف.

(٤٩١) وهذا الذي ذكره المؤلف هنا معنى قول ابن عباس ولم يصح عنه فقد رواه الطبري (١٤/٤٤١) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/٣٣) وقال الهيثمي. فيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي وهو =

والثاني: أن أحدهما عذاب الدنيا والآخر عذاب الآخرة، قاله قتادة.

والثالث: أن أحدهما الأسر والآخر القتل، قاله ابن قتيبة.

والرابع: أن أحدهما الزكاة التي تؤخذ منهم والآخر الجهاد الذي يؤمرون به لأنهم بالنفاق يرون ذلك عذاباً. قاله الحسن.

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه عذاب النار في الآخرة.

الثاني: أنه إقامة الحدود في الدنيا.

الثالث: إنه أخذ الزكاة منهم.

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم سبعة من الأنصار منهم أو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حزام، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سواري المسجد ليطلقهم رسول الله ﷺ إن عفا عنهم، فلما عاد رسول الله ﷺ مر بهم وكانوا على طريقة فسأل عنهم فأخبر بحالهم فقال: «لَا أعذُرُهُم وَلَا أُطْلِقُهم حَتَّى يَكونَ اللَّهُ تَعالَى هُوَ الَّذِي يَعْذُرُهُم وَيُطْلِقُهُم» فنزلت هذه الآية[٤٩٢] فيهم فأطلقهم، وهذا قول ابن عباس.

الثاني: أنه أبو لبابة وحده قال لبني قريظة حين أرادوا النزول على حكم النبي ﷺ إنه ذابحكم إن نزلتم على حكمه، قاله مجاهد.

﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

= ضعيف» . قلت ولابن عباس قول آخر هو أن إحدى المرتين الحدود والأخرى عذاب القبر لكن الطبري عقب على هذا القول بقوله (١٤/١٤٤). ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضى.

(٤٩٢) رواه الطبري (١٤/٤٤٧ ـ ٤٤٨) وزاد نسبته السيوطي في الدر (٤/٢٧٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وفي سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ورواه الطبري (١٤/٤٤٨) من طريق أخرى عن ابن عباس وهي مسلسلة بالضعفاء.

أحدها: أن الصالح: الجهاد، والسيىء: التأخر عنه، قاله السدي.

الثاني: أن السيىء: الذنب، والصالح: التوبة، قاله بعض التابعين.

الثالث: ما قاله الحسن: ذنباً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً(٤٩٣).

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس: لما نزل في أبي لبابة وأصحابه ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية. ثم تاب عليهم قالوا يا رسول الله خذ منا صدقة أموالنا لتطهرنا وتزكينا، قال: لا أفعل حتى أؤمر. فأنزل الله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ وفيها وجهان:

أحدهما: أنها الصدقة التي بذلوها من أموالهم تطوعاً، قاله ابن زيد.

والثاني: أنها الزكاة التي أوجبها الله تعالى في أموالهم فرضاً، قاله عكرمة. ولذلك قال: ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما تجب في بعضها.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهُمْ بِهَا﴾ أي تطهر ذنوبهم وتزكي أعمالهم.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: استغفر لهم: قاله ابن عباس.

الثاني: ادع لهم، قاله السدي.

﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

(٤٩٣) قال الحافظ ابن كثير (٢ / ٣٨٥) وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين.

أحدها: قربة لهم، قاله ابن عباس في رواية الضحاك.

الثاني: رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: وقار لهم، قاله قتادة.

الرابع: تثبت لهم، قاله ابن قتيبة.

الخامس: أمن لهم، ومنه قول الشاعر:

يَا جَارَةَ الحَيِّ كُنتِ لي سَكَناً ... إذْ لَيْسَ بعضُ الجِيرَانِ بالسَّكَنِ

وفي الصلاة عليهم والدعاء لهم عند أخذ الصدقة منهم ستة أوجه:

أحدها: يجب على الآخذ الدعاء للمعطي اعتباراً بظاهر الأمر.

الثاني: لا يجب ولكن يستحب لأن جزاءها على الله تعالى لا على الآخذ.

والثالث: إن كانت تطوعاً وجب على الآخذ الدعاء، وإن كانت فرضاً استحب ولم يجب.

والرابع: إن كان آخذها الوالي استحب له الدعاء ولم يجب عليه، وإن كان آخذها الفقير وجب عليه الدعاء له، لأن الحق في دفعها إلى الوالي معيّن، وإلى الفقير غير معيّن.

والخامس: إن كان آخذها الوالي وجب، وإن كان الفقير استحب ولم يجب. لأنه دفعها إلى الوالي إظهار طاعة فقوبل عليها بالشكر وليس كذلك الفقير.

والسادس: إن سأل الدافع الدعاء وجب، وإن لم يسأل استحب ولم يجب

روى عبدالله بن أبي أوفى(٤٩٤) قال: أتيت النبي ﷺ بصدقات قومي فقلت يا رسول الله صلِّ عليّ، فقال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**».

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك ولم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، وهم هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك.

(٤٩٤) رواه البخاري (٣/٢٨٦) وأبو داود ١٥٩٠ والنسائي (٥/٣١) وأحمد (٤/٣٥٢).

﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ أي مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالى فيهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يميتهم على حالهم، قاله السدي.

الثاني: يأمر بعذابهم إذا لم يعلم صحة توبتهم.

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يعلم صدق توبتهم فيطهر ما فيهم.

الثاني: أن يعفو عنهم ويصفح عن ذنوبهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم فيما فعله من إرجائهم.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً﴾ هؤلاء هم بنو عمرو بن عوف وهم اثنا عشر رجلاً من الأنصار المنافقين، وقيل: هم خذام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب، ومُعَتِّب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، وجارية بن عامر، وابناه مُجمِّع وزيد ابنا جارية، ونبتل بن الحارث، وبجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت، وبحرج(٤٩٥) وهو جد عبدالله بن حنيف، وله قال النبي ﷺ. «وَيْلَكَ يَا بَحْرَج(٤٩٦) مَاذَا أَرَدْتَ بِمَا أَرَىٰ؟»

(٤٩٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ وتحريف والصواب بحزج والتصويب من الطبري (١٤/٤٧١) وغيره.
(٤٩٦) كذا في المطبوعة والصواب سبق في التعليق السابق.

فقال يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب، فصدقه، فبنى **هؤلاء** مسجد الشقاق والنفاق قريباً من مسجد قباء.

﴿ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ضراراً، وكفراً بالله، وتفريقاً بين المؤمنين أن لا يجتمعوا كلهم في مسجد قباء فتجتمع كلمتهم، ويتفرقوا فتتفرق كلمتهم، ويختلفوا بعد ائتلافهم.

﴿وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ . .﴾ وفي الإرصاد وجهان:

أحدهما: أنه انتظار سوء يتوقع.

الثاني: الحفظ المقرون بفعل.

وفي محاربة الله تعالى ورسوله وجهان:

أحدهما: مخالفتهما.

الثاني: عداوتهما. والمراد بهذا الخطاب أبو عامر الراهب والد حنظلة بن الراهب كان قد حزّب على رسول الله ﷺ، ثم خاف فهرب إلى الروم وتنصر واستنجد هرقل على رسول الله ﷺ. فبنوا هذا المسجد له حتى إذا عاد من هرقل صلى فيه، وكانوا يعتقدون أنه إذا صلى فيه نُصِر، وكانوا ابتدأوا بنيانه ورسول الله ﷺ خارج إلى تبوك، فسألوه أن يصلي لهم فيه فقال(٤٩٧): «**أَنَا عَلَى سَفَرٍ وَلَو قَدِمْنَا إن شَآءَ اللَّهُ أَتَينَاكُم وَصَلَّينَا لَكُم فِيهِ**». فلما قدم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد، وقالوا قد فرغنا منه، فأتاه خبر المسجد وأنزل الله تعالى فيه ما أنزل.

وحكى مقاتل أن الذي أمّهم فيه مجمع بن جارية وكان قارئاً، ثم حسن إسلامه بعد ذلك فبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة يعلمهم القرآن، وهو علم ابن مسعود بقية القرآن.

﴿. . وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: طاعة الله تعالى.

والثاني: الجنة.

---

(٤٩٧) رواه ابن مردويه وابن إسحٰق في السيرة عن أبي رهم كلثوم بن العين الغفاري وهو من أصحاب بيعة الرضوان كما في الدر (٤/٢٨٦) وساقه الطبري عن غيره مطولاً (١٤/٤٦٨).

والثالث: فعل التي هي أحسن، من إقامة الدين والجماعة والصلاة، وهي يمين تحرُّج.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم خائنون في إيمانهم.

والثاني: والله يعلمك أنهم لكاذبون خائنون. فصار إعلامه له كالشهادة منه عليهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ أي لا تصلِّ فيه أبداً، يعني مسجد الشقاق والنفاق فعند ذلك أنفذ رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه(٤٩٨). فذهبا إليه وأخذا سعفاً وحرقاه. وقال ابن جريج: بل آنهار المسجد في يوم الاثنين ولم يُحرَّق.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، قاله أبو سعيد الخدري ورواه مرفوعاً(٤٩٩).

الثاني: أنه مسجد قباء، (٥٠٠) قاله الضحاك وهو أول مسجد بني في الإسلام، قاله ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك.

---

(٤٩٨) انظر التعليق السابق.

(٤٩٩) رواه مسلم (١٠١٥/٢) وأحمد (٢٤/٣) عن أبي سعيد الخدري وقال الهيثمي في المجمع (٣٤/٧) رواه كله أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح قلت ورواه الطبري (٤٧٩/٨٤) وأحمد (٣٣١/٥) من حديث سهل بن سعد.

(٥٠٠) لكن قال الشوكاني في فتح القدير (٤٠٥/٢) «ولا يخفاك أن النبي ﷺ قد عين هذا المسجد الذي أسس على التقوى وجزم بأنه مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا من الأحاديث الصحيحة فلا يقاوم ذلك قول فرد من الصحابة ولا جماعة منهم ولا غيرهم ولا يصح لإيراده في مقابله ما قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه ورد في فضائل مسجده صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما ورد في فضل مسجد قباء بلا شك ولا شبهة تعمّ ـ ثم ساق أحاديث في فضل مسجد قباء ثم قال: ـ ولا يخفاك أن بعض هذه الأحاديث ليس فيها تعيين مسجد قباء وأهله وبعضها ضعيف وبعضها لا تصريح فيه بأن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء وعلى كل حال لا تقاوم تلك الأحاديث المصرحة بأن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صحتها وصراحتها.

الثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة أسس على التقوى، قاله محمد بن كعب ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: من المسجد الذي أسس على التقوى رجال يحبون أن يتطهروا من الذنوب والله يحب المتطهرين منها بالتوبة، قاله أبو العالية.

والثاني: فيه رجال يحبون أن يتطهروا من البول والغائط بالاستنجاء بالماء، والله يحب المتطهرين بذلك.

روى[٥٠١] أبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك أن النبي ﷺ قال للأنصار عند نزول هذه الآية: «يَا مَعْشَرَ ٱلْأَنصَارِ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْكُم خَيراً فِي الطُّهُورَ فَمَا طُهُورُكُم هَذَا» قالوا: يا رسول الله نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ «فَهَلْ مَعَ ذٰلِكَ غَيرُهُ؟» قالوا لا، غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجي بالماء، فقال «هُوَ ذٰلِكَ فَعَلَيكُمُوهُ»

الثالث: أنه عني المتطهرين عن إتيان النساء في أدبارهن، وهو مجهول، قاله مجاهد.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾ يعني مسجد قباء والألف من ﴿أَفَمَنْ﴾ ألف إنكار.

ويحتمل قوله ﴿عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ وجهين:

---

(٥٠١) رواه ابن ماجه (٣٥٥) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٢٨٩) للدارقطني والحاكم (٢/٣٣٤) وصححه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جارود في المنتقى وابن مردويه وابن عساكر وفي الحديث علتان الأول عتيبة بن أبي حكيم وضعفه غير واحد وانقطاع بين طلحة وأبي أيوب فإن الأول لم يدرك الثاني وأشار إلى ذلك البوصيري في الزوائد. قلت: وما سبق يرد تصحيح الحاكم رحمه الله.

أحدهما: أن التقوى اجتناب معاصيه، والرضوان فعل طاعته.

الثاني: أن التقوى اتقاء عذابه، والرضوان طلب ثوابه.

وكان عمر بن شبة يحمل قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ على مسجد المدينة، ويحتمل ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ على مسجد قباء، فيفرق بين المراد بهما في الموضعين.

﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ يعني شفير جرف وهو حرف الوادي الذي لا يثبت عليه البناء لرخاوته وأكل الماء له ﴿هَارٍ﴾ يعني هائر، والهائر: الساقط. وهذا مثل ضربه الله تعالى لمسجد الضرار.

ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين:

أحدهما: أنه لم يبق بناؤهم الذي أسس على غير طاعة الله حتى سقط كما يسقط ما بني على حرف الوادي.

الثاني: أنه لم يخف ما أسرُّوه من بنائه حتى ظهر كما يظهر فساد ما بنى على حرف الوادي بالسقوط.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم ببنيانهم له سقطوا في نار جهنم.

الثاني: أن بقعة المسجد مع بنائها وبُناتها سقطت في نار جهنم، قاله قتادة والسدي.

قال قتادة: ذكر لنا أنه حفرت منه بقعة فرئي فيها الدخان وقال جابر بن عبدالله: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار(٥٠٢) حين انهار.

قوله عز وجل ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ﴾ يعني مسجد الضرار.

﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الريبة فيها عند بنائه.

الثاني: أن الريبة عند هدمه.

---

(٥٠٢) رواه ابن جرير(١٤/٤٩٣) والحاكم (٤/٥٩٦) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٤/٢٩٢) نسبته لمسدد وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وإسناد الأثر صحيح.

فإن قيل بالأول ففي الريبة التي في قلوبهم وجهان:

أحدهما: غطاء على قلوبهم(٥٠٣)، قاله حبيب بن أبي ثابت.

الثاني: أنه شك في قلوبهم، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك، ومنه قول النابغة الذبياني(٥٠٤).

حَلَفْتُ فلم أتركْ لِنَفْسِكَ ريبةً   وليس وراءَ الله للمرءِ مذهب

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون الريبة ما أضمروه من الإضرار برسول الله ﷺ والمؤمنين.

وإن قيل بالثاني أن الريبة بعد هدمه ففيها وجهان:

أحدهما: أنها حزازة في قلوبهم، قاله السدي.

الثاني: ندامة في قلوبهم، قاله حمزة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون الريبة الخوف من رسول الله ﷺ ومن المؤمنين.

﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: إلا أن يتوبوا، قاله سفيان.

والثالث: إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم، قاله عكرمة. وكان أصحاب ابن مسعود يقرأونها: ﴿وَلَوْ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى

(٥٠٣) كذا في المطبوعة والذي في الطبري (٤٩٦/١٤) والدر المنثور (٢٩٣/٤) وفتح القدير (٤٠٧/٢) «غيظاً من قلوبهم».

فلا أدري هذه الرواية التي أوردها المؤلف عن من هي. ولعله أوردها بالمعنى كعادته في كثير من النقول.

(٥٠٤) ديوانه: ٧٢.

وهي قصيدة مدح واعتذار يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر له ومطلعها:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني   وتلك التي أهتم منها وأنصب

ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ اشترى أنفسهم بالجهاد، ﴿وَ أَمْوَالَهُم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نفقاتهم في الجهاد.

والثاني: صدقاتهم على الفقراء.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني الجنة. وهذا الكلام مجاز معناه أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة، فعبر عنه بالشراء لما فيه من عوض ومعوض مضار في معناه، ولأن حقيقة الشراء لما لا يملكه المشتري.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأن الثواب على الجهاد إنما يستحق إذا كان في طاعته ولوجهه.

﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قَتَلُوا أو قُتِلُوا. فروى جابر بن عبدالله الأنصاري(٥٠٥) أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فكبّر الناس، فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ فقال: نَعَم، فقال الأنصاري: بيع ربيح لا نقبل ولا نستقبل.

وقال بعض الزهاد: لأنه اشترى الأنفس الفانية بالجنة الباقية.

ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّـٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ يعني من الذنوب.

(٥٠٥) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٢٩٤/٤) وروى نحوه، ابن جرير (٤٩٩/١٤) عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال عبدالله بن رواحة... الحديث.

ويحتمل أن يراد بهم الراجعون إلى الله تعالى في فعل ما أمر واجتناب ما حظر لأنها صفة مبالغة في المدح، والتائب هو الراجع، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين.

﴿الْعَابِدُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: العابدون بتوحيد الله تعالى، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: العابدون بطول الصلاة، قاله الحسن.

والثالث: العابدون بطاعة الله تعالى، قاله الضحاك.

﴿الْحَامِدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحامدون لله تعالى على دين الإسلام، قاله الحسن.

الثاني: الحامدون لله تعالى على السراء والضراء، رواه سهل بن كثير.

﴿السَّآئِحُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: المجاهدون روى أبو أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله ﷺ وفي السياحة فقال: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ آللَّهِ»(٥٠٦)

والثاني: الصائمون، وهو قول ابن مسعود وابن عباس، وروى أبو هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ»(٥٠٧).

الثالث: المهاجرون، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الرابع: هم طلبة العِلم، قاله عكرمة.

﴿آلرَّاكِعُونَ آلسَّاجِدُونَ﴾ يعني في الصلاة.

﴿الأَمِرُونَ بِآلْمَعْرُوْفِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالتوحيد، قاله سعيد بن جبير.

---

(٥٠٦) رواه الحاكم (٢/٧٣) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي. نسبته في الدر (٤/٢٩٨) لابن أبي حاتم الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥٠٧) رواه ابن جرير (١٤/٥٠٣) وزاد السيوطي في الدر (٤/٢٩٧) نسبته للفريابي ومسدد والبيهقي في الشعب ثم رواه ابن جرير (١٤/٥٠٣) موقوفاً.
ورواه (١٤/٥٠٢) مرسلاً عن عبيد بن عمير سئل رسول الله ﷺ عن السائحين قال هم الصائمون.
وقال الحافظ ابن كثير (٢/٣٩٢) هذا مرسل جيد.

الثاني : بالإسلام .

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عن الشرك(٥٠٨) ، قاله سعيد بن جبير.

الثاني : أنهم الذين لم ينهوا عنه حتى انتهوا قبل ذلك(٥٠٩) عنه، قاله الحسن.

﴿وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : القائمون بأمر الله تعالى.

والثاني : الحافظون لفرائض الله تعالى من حلاله وحرامه، قاله قتادة.

والثالث: الحافظون لشرط الله في الجهاد، قاله مقاتل بن حيان.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني المصدقين بما وعد الله تعالى في هذه الآيات. قاله سعيد بن جبير.

والثاني : العاملين بما ندب الله إليه في هذه الآيات، وهذا أشبه بقول الحسن.

وسبب نزول هذه الآية ما روى ابن عباس(٥١٠) أنه لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ الآية. أتى رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر؟ فأنزل الله تعالى ﴿ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ﴾ الآية.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ

---

(٥٠٨) والأولى أن يقال إن المراد بالمنكر كل ما أنكره الشرع فيدخل في ذلك الشرك وسائر الذنوب والمعاصي وكذا تفسير المعروف كل ما عرفه الشرع فيدخل فيه التوحيد والأعمال الصالحة من صلاة وحج وزكاة وصلة رحم . . . الخ وقد اختار القول بالعموم ابن جرير (٤/٥٠٧) وغيره.

(٥٠٩) وفي دخول «الواو» في قوله . . الناهون عن المنكر فائدة ذكرها العلامة ابن الجوزي فراجعها في زاد المسير (٣/٥٠٦).

(٥١٠) لم نعثر على تخريجه والله أعلم.

﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما روى مسروق(٥١١) عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام، فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعاه ثم دعانا فقال: «مَا أَبْكَاكُم؟» قلنا: بكينا لبكائك، قال: «إن القبر الذي جلست عنده قبر آمِنَةَ وَإِنِّي آسْتَأْذَنتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي، وَإِنِّي استَأْذَنتُ رَبِّي فِي الدُّعَاءِ لَهَا فَلَمْ يَأْذن لِي، وَأَنزلَ آللَّهُ عَلَيَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ الآية. «فأخذني ما يأخذ الولد للوالد(٥١٢)، وكنتُ نَهيتُكُم عن زِيَارَةِ القُبُورِ فزُورُوهَا فإنها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ».

والثاني: أنها نزلت في أبي طالب، روى سعيد بن المسيب(٥١٣) عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال ﷺ «أي عَمِّ قُلْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاج لَكَ بِهَا عِندَ آللَّهِ»، فقال له أبو جهل وعبدالله بن أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر شيء كلمهم به أن قال: أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنكَ» فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَآمَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

والثالث: أنها نزلت فيما رواه أبو (٥١٤) الخليل عن عليّ بن أبي طالب رضي الله

(٥١١) رواه الحاكم (٢/٣٣٦) وزاد السيوطي في الدر (٤/٣٠٢) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

قلت وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي بقوله: «قلت أيوب بن هاني ضعفه ابن معين والحديث رواه مسلم من حديث ابن مسعود مختصراً.

(٥١٢) وفي الروايات «للوالدة» وفي لفظ لوالده.

(٥١٣) رواه البخاري (٣/١٧٦ ـ ١٧٧) (٨/٢٥٨) (٨/٣٧٩) ومسلم (٨/٢١٣ ـ ٢١٦) وأحمد (٥/٤٣٣) والطبري واللفظ له (١٤/٥١٠) وزاد السيوطي في الدر (٤/٢٩٩) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر والنسائي وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥١٤) هو عبدالله بن أبي الخليل الهمداني الثقة له ترجمة في الطبقات لابن سعد (٦/١٦٩) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/٤٥) والتهذيب لابن حجر (٦/١٧٤).

عنه قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبويه؟ فذكرته للنبيﷺ[٥١٥]، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الآية.

عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام في استغفاره لأبيه مع شركه لسالف موعده ورجاء إيمانه.

وفي موعده الذي كان يستغفر له من أجله قولان:

أحدهما: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن.

والثاني: أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له لما كان يرجوه أنه يؤمن.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ وذلك بموته على شركه وإياسه من إيمانه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ أي من أفعاله ومن استغفاره له، فلم يستغفر له بعد موته.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الأوّاه: الدعَّاء، أي الذي يكثر الدعاء، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه الرحيم، قاله الحسن.

الثالث: أنه الموقن، قاله عكرمة وعطاء.

الرابع: أنه المؤمن. بلغة الحبشة، قاله ابن عباس.

الخامس: أنه المسبِّح، قاله سعيد بن المسيب.

السادس: أنه الذي يكثر تلاوة القرآن، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

السابع: أنه المتأوّه، قاله أبو ذر.

الثامن: أنه الفقيه، قاله مجاهد.

التاسع: أنه المتضرع الخاشع، رواه عبدالله بن شداد بن الهاد[٥١٦] عن النبي ﷺ.

---

(٥١٥) رواه الطبرى (١٤/٥١٤، ٥١٥) وأحمد (١٠٨٥).

(٥١٦)رواه الطبري (١٤/٥٣٢) وهو حديث مرسل وبالإضافةإلى إرساله ففي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق ورواية شهر عن عبدالله تكلم فيها أهل العلم.

العاشر: أنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها، قاله أبو أيوب.

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع، ومنه قول المثقب العبدي[٥١٧]:

إذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ   تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ الآية. سبب نزولها أن قوماً من الأعراب أسلموا وعادوا إلى بلادهم فعملوا بما شاهدوا رسول الله ﷺ يعمله من الصلاة إلى بيت المقدس وصيام الأيام البيض، ثم قدموا بعد ذلك على رسول الله ﷺ فوجدوه يصلي إلى الكعبة ويصوم شهر رمضان: فقالوا: يا رسول الله أضلنا الله بعدك بالصلاة. إنك على أمر وإنا على غيره فأنزل الله تعالى هذه الآية.

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الآية. هي غزوة تبوك قِبل الشام، كانوا في عسرة من الظهر، كان الرجلان والثلاثة على بعير وفي عسرة من الزاد، قال قتادة حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها أحدهم ثم يشرب عليها من الماء، ثم يمصها الآخر، وفي عسرة من الماء، وكانوا في لهبان الحر وشدته.

---

(٥١٧) ديوانه: ٢٩ ومجاز القرآن (١/ ٢٧٠) وطبقات فحول الشعراء (٢٣١) وسمط اللآلي: ٥٦ واللسان (أوه).

قال عبدالله[٥١٨] بن محمد بن عقيل: وأصابهم يوماً عطش شديد فجعلوا ينحرون إبلهم ويعصرون أكراشها فيشربون ماءها. قال عمر بن الخطاب فأمطر الله السماء بدعاء النبي ﷺ فعيشنا.

وفي هذه التوبة من الله على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار وجهان محتملان:

أحدهما: استنقاذهم من شدة العسر.

الثاني: أنها خلاصهم من نكاية العدوّ. وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحالة الأولى.

﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تتلف بالجهد والشدة.

والثاني: تعدِل عن الحق في المتابعة والنصرة، قاله ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذه التوبة غير الأولى، وفيها قولان:

أحدهما: أن التوبة الأولى في الذهاب، والتوبة الثانية في الرجوع.

والقول الثاني: أن الأولى في السفر، والثانية بعد العودة إلى المدينة.

فإن قيل بالأول، أن التوبة الثانية في الرجوع، احتملت وجهين:

أحدهما: أنها الإذن لهم بالرجوع إلى المدينة.

الثاني: أنها بالمعونة لهم في إمطار السماء عليهم حتى حيوا، وتكون التوبة على هذين الوجهين عامة.

وإن قيل إن التوبة الثانية بعد عودهم إلى المدينة احتملت وجهين:

أحدهما: أنها العفو عنهم من ممالأة من تخلف عن الخروج معهم.

الثاني: غفران ما همَّ به فريق منهم من العدول عن الحق، وتكون التوبة على هذين الوجهين خاصة.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

---

(٥١٨) هو عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب. وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه من جهة حفظه، له ترجمة في التهذيب لابن حجر (١٣/٦).

عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ يعني وتاب على الثلاثة الذين خلّفوا وفيه وجهان:

أحدهما: خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، قاله الضحاك وأبو مالك.

الثاني: خلفوا عن بعث رسول الله ﷺ، قاله عكرمة.

وهؤلاء الثلاثةهم: هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك(٥١٩).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ لأن المسلمين امتنعوا من كلامهم.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بما لقوه من الجفوة لهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ قال كعب بن مالك: بعد خمسين ليلة من مقدم رسول الله ﷺ من غزاة تبوك.

﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ قال ابن عباس ليستقيموا لأنه قد تقدمت توبتهم وإنما امتحنهم بذلك استصلاحاً لهم ولغيرهم.

قوله عزوجل: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها في أهل الكتاب، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من اليهود بموسى، ومن النصارى بعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد ﷺ فآمنوا به، وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي ﷺ وأصحابه في جهاد المشركين، قاله مقاتل بن حيان.

---

(٥١٩) الخبر بطوله رواه البخاري (٨/٨٦) ومسلم (٤/٢١٢٠).

الثاني: أنها في المسلمين، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من المسلمين اتقوا الله وفي المراد بهذه التقوى وجهان:

أحدهما: اتقوا الله من الكذب،قال ابن مسعود: (٥٢٠) إن الكذب لا يصلح في جدٍّ ولا هزل، اقرأوا إن شئتم ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ وهي قراءة ابن مسعود هكذا: من الصادقين.

والثاني: اتقوا الله في طاعة رسوله إذا أمركم بجهاد عدوِّه.

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: مع أبي بكر وعمر، قاله الضحاك.

الثاني: مع الثلاثة الذين خُلفوا حين صدقوا النبي ﷺ عن تأخرهم ولم يكذبوا، قاله السدي.

والثالث: مع من صدق في قوله ونيته وعمله وسره وعلانيته، قاله قتادة.

والرابع: مع المهاجرين لأنهم لم يتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ قاله ابن جريج.

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

(٥٢٠) رواه الطبري (١٤/ ٥٦٠) وزاد في الدر (٤/ ٣١٦) نسبته لابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما كان عليهم أن ينفروا جميعاً لأن فرضه صار على الكفاية وهذا ناسخ لقوله تعالى ﴿آنفِرُو خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ قاله ابن عباس.

والثاني: معناه وما كان للمؤمنين إذا بعث رسول الله ﷺ سَرية أن يخرجوا جميعاً فيها ويتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة حتى يقيم معه بعضهم، قاله عبدالله بن عبيد بن عمير.

قال الكلبي: وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عُيّروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله ﷺ وتركوه وحده بالمدينة، فنزل ذلك فيهم.

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لتتفقه الطائفة الباقية إما مع رسول اللّه ﷺ في جهاده، وإما مهاجرة إليه في إقامته، قاله الحسن.

الثاني: لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله عن النفور في السرايا، ويكون معنى الكلام: فهلّا إذا نفروا أن تقيم من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا مع رسول الله ﷺ في الدين، قاله مجاهد.

وفي قوله تعالى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ﴾ تأويلان:

أحدهما: ليتفقهوا في أحكام الدين ومعالم الشرع ويتحملوا عنه ما يقع به البلاغ وينذروا به قومهم إذا رجعوا إليهم.

الثاني: ليتفقهوا فيما يشاهدونه من نصر الله لرسوله وتأييده لدينه وتصديق وعده ومشاهدة معجزاته ليقوى إيمانهم ويخبروا به قومهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الروم قاله ابن عمر.

الثاني: أنهم الديلم، قاله الحسن.

الثالث: أنهم العرب، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى، قاله قتادة.

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَاناً﴾.

هؤلاء هم المنافقون. وفي قولهم ذلك عند نزول السورة وجهان:

أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض على وجه الإنكار، قاله الحسن.

الثاني: أنهم يقولون ذلك لضعفاء المسلمين على وجه الاستهزاء.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: فزادتهم خشية، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: فزادتهم السورة إيماناً لأنهم قبل نزولها لم يكونوا مؤمنين بها، قاله الطبري(٥٢١).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك.

﴿فَزَادَتْهُم رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إثماً إلى إثمهم، قاله مقاتل.

الثاني: شكاً إلى شكِّهم، قاله الكلبي.

الثالث: كفراً إلى كفرهم، قاله قطرب.

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ

(٥٢١) جامع البيان (١٤/٥٧٧).

يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

قوله عزوجل: ﴿أَوَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ الآية.

في معنى الافتتان هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: يبتلون، قاله ابن عباس.

الثاني: يضلون، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: يختبرون، قاله أبو جعفر الطبري(٥٢٢).

وفي الذي يفتنون به أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الجوع والقحط، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الغزو والجهاد في سبيل الله، قاله قتادة.

الثالث: ما يلقونه من الكذب على رسول الله ﷺ، قاله حذيفة بن اليمان.

الرابع: أنه ما يظهره الله تعالى من هتك أستارهم وسوء نياتهم، حكاه علي بن عيسى.

وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿أَوَ لَا تَرَىٰ أَنَّهُم يُفْتَنُونَ﴾ خطاباً لرسول الله ﷺ.

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: من أنفسكم(٥٢٣) بفتح الفاء ويحتمل تأولها ثلاثة أوجه:

أحدها: من أكثركم طاعة لله تعالى.

الثاني: من أفضلكم خلقاً.

الثالث: من أشرفكم نسباً.

---

(٥٢٢) جامع البيان (١٤/٥٧٩).

(٥٢٣) وهي قراءة ابن عباس وابن العالية والضحاك وابن محيصن زاد المسير (٣/٥٢٠).

والقراءة الثانية: بضم الفاء، وفي تأويلها أربعة أوجه:

أحدها: يعني من المؤمنين لم يصبه شيء من شرك، قاله محمد بن علي.

الثاني: يعني من نكاح لم يصبه من ولادة الجاهلية، قاله جعفر بن محمد. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[٥٢٤]: «خَرَجْتُ مِن نِكَاحٍ وَلَمْ أَخرُجْ مِنْ سِفَاحٍ».

الثالث: ممن تعرفونه بينكم، قاله قتادة.

الرابع: يعني من جميع العرب لأنه لم يبق بطن من بطون العرب إلا قد ولدوه، قاله الكلبي.

﴿عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: شديد عليه ما شق عليكم، قاله ابن عباس.

الثاني: شديد عليه ما ضللتم، قاله سعيد بن أبي عروبة[٥٢٥].

الثالث: عزيز عليه عنت مؤمنكم، قاله قتادة.

﴿حَرِيصٌ عَلَيكُم﴾ قاله الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما يأمرهم به من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح.

الثاني: بما يضعه عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات، وهو محتمل.

قوله عز وجل ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه وجهان:

---

(٥٢٤) وردت عدة أحاديث كلها يشد بعضها بعضاً وترتقي إلى الحسن لغيره فرواه البيهقي في السنن (٧/١٩٠) وابن جرير (١١/٧٦) وابن سعد في الطبقات (١/٦٠) وابن أبي شيبة في المصنف (١١/٤٣١ ـ ٤٣٢) من طريق محمد بن جعفر عن أبيه مرسلاً.

ورواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ١٣٦) والسهمي في تاريخ جرجان ص٣٦١ وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/١١) والطبراني في الأوسط كما في المجمع (٨/١٤) موصولاً عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.

وقال الهيثمي: «فيه محمد بن جعفر بن علي صحح له الحاكم في المستدرك وقد تكلم فيه وبقية رجال ثقات»

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وبالشواهد حسنه الألباني في الإرواء (٦/٣٢٩ ـ ٣٣٤ ـ رقم ١٩١٤).

(٥٢٥) هو سعيد بن أبي عروبة أبو النضر البصري واسم أبيه مهران العدوي وعروبة بفتح مهملة وضم الراء خفيفة ثم موحدة ثقة اختلط بآخره.

توفي سنة ١٥٠ أو قيل ١٥٥ له ترجمة في التهذيب لابن حجر (٤/٥٦ ـ ٥٩).

أحدهما: عن طاعة الله، قاله الحسن.

الثاني: عنك، ذكره عليّ بن عيسى.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: حسبي الله معيناً عليكم.

الثاني: حسبي الله هادياً لكم.

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لسعته.

الثاني: لجلالته.

روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أن آخر ما أُنزل من القرآن هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهذه الآية. وقال أُبي بن كعب(٥٢٦): هما أحدث القرآن عهداً بالله وقال مقاتل: تقدم نزولهما بمكة. والله أعلم.

---

(٥٢٦) رواه الطبري (١٤/٥٨٨ ـ ٥٨٩) والحاكم في المستدرك (٢/٣٣٨) وأحمد (٥/١١٧) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان قال الهيثمي في المجمع (٧/٣٦) وهو ثقة سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات ورواه أحمد في المسند (٥/١٣٤) بأطول منه من طريق آخر عن أُبي بن كعب وفي سنده عمر بن شقيق وهو مجهول وأبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.

سُورَةُ يُونُس

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

هي مكية كلها عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك﴾ إلى آخرهن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

قوله عزوجل: ﴿الٓر﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه أنا الله أرى، قاله ابن عباس والضحاك.

والثاني: هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن، قاله سعيد بن جبير والشعبي. وقال سالم بن عبدالله: ﴿الٓر﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ للرحمن مقاطع.

الثالث: هو اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الرابع: أنها فواتح افتتح الله بها القرآن، قاله ابن جريج.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يعني بقوله ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ﴾ أي هذه آيات، كما قال الأعشى(٥٢٧):

تلك خَيْلي مِنْهُ وتلك رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كالزَّبِيبِ

(٥٢٧) اللسان (صفر) ديوان: ٢٠.

أي هذه خيلي.

وفي ﴿الكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: التوراة والإنجيل(٥٢٨)، قاله مجاهد.

الثاني: الزبور، قاله مطر.

الثالث: القرآن، قاله قتادة.

وفي قوله ﴿ٱلحَكِيمِ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه بمعنى محكم، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه كالناطق بالحكمة، ذكره علي بن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس: سبب نزولها أن الله تعالى لما بعث محمداً ﷺ رسولاً أنكر العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فنزلت هذه الآية.

وهذا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الإنكار والتعجب مِن كفر مَن كفر بالنبي ﷺ لأنه جاءهم رسول منهم، وقد أرسل الله إلى سائر الأمم رسلاً منهم.

ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن لهم ثواباً حسناً(٥٢٩) بما قدموا من صالح الأعمال، قاله ابن عباس.

الثاني: سابق صدق عند ربهم أي سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: أن لهم شفيع صدق يعني محمداً ﷺ يشفع لهم، قاله مقاتل بن حيان.

الرابع: أن لهم سلف صدق(٥٣٠) تقدموهم بالإيمان، قاله مجاهد وقتادة.

(٥٢٨) قال العلامة الآلوسي (١١/٥٩).
«وأما حمل الكتاب على الكتب التي خلت قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما... فهو في غاية البعد فتأمل» وبنحوه قال ابن جرير (١٥/١١/١٢) والشوكاني في فتح القدير (٢/٤٢٢).

(٥٢٩) ورجحه ابن جرير (١٥/١٦).

(٥٣٠) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٥/١٦) روى الحاكم من طريق أنس عن أُبي بن كعب في قوله: «قدم صدق» قال سلف صدق وإسناده حسن.

والخامس: أن لهم السابقة بإخلاص الطاعة، قال حسان بن ثابت(٥٣١):

لنا القدم العُلْيَا إليكَ وخَلْفَنَا لِأَوَّلنا في طَاعَةِ اللَّهِ تابعُ

ويحتمل سادساً: أن قدم الصدق أن يوافق الطاعة صدق الجزاء، ويكون القدم عبارة عن التقدم، والصدق عبارة عن الحق.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

قوله عز وجل ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يقضيه وحده، قاله مجاهد.

الثاني: يأمر به ويمضيه.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما من شفيع يشفع إلا من بعد أن يأذن الله تعالى له في الشفاعة.

الثاني: ما من أحد يتكلم عنده إلا بإذنه، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: لا ثاني معه، مأخوذ من الشفع الذي هو الزوج لأنه خلق السموات والأرض وهو واحد فرد لا حي معه، ثم خلق الملائكة والبشر.

---

(٥٣١) ديوانه: ٢٥٤ وسيرة ابن هشام (٣/٢٨٣) والطبري (١٥/١٦) واللسان (خلف) وفي السيرة. «في ملة الله تابع.. وفي موضع آخر من الطبري (٣/٢٠٩) لنا القدم الأولى».

وقوله ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يعني من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، قاله ابن بحر.

قوله عز وجل: ﴿. . . . إِنَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه ينشئه ثم يفنيه.

الثاني: ما قاله مجاهد: يحييه ثم يميته ثم يبيده ثم يحييه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لا يخافون عقابنا. ومنه قول الشاعر (٥٣٢):

إذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَامِلُ

الثاني: لا يطمعون في ثوابنا، ومنه قول الشاعر:

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يجعل لهم نوراً يمشون به، قاله مجاهد.

الثاني: يجعل عملهم هادياً لهم إلى الجنة، وهذا معنى قول ابن جريج.

وقد روي عن النبي (٥٣٣) ﷺ أنه قال: «يَتَلَقَّى ٱلْمُؤْمِنَ عَمَلُهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ

(٥٣٢) تقدم تخريجه.

(٥٣٣) هذا الحديث أورده المؤلف هنا بالمعنى وهو حديث مرسل.

رواه الطبري (١٥/٢٧) عن قتادة وذكره السيوطي في الدر (٤/٣٤٤) وقال عن قتادة عن الحسن ونسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قلت لعل قوله عن الحسن سقط من الطبري والله أعلم.

وروى ابن جرير (١٥/٢٨) عن ابن جريج موقوفاً بنحو قول الحسن.

فَيُؤْنِسُهُ وَيَهْدَيهِ، وَيَتَلَقَّىٰ ٱلْكَافِرَ عَمَلُهُ فِيٰ أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوحِشُهُ وَيُضِلُّهُ».

الثالث: أن الله يهديهم إلى طريق الجنة.

الرابع: أنه وصفهم بالهداية على طريق المدح لهم.

﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من تحت منازلهم قاله أبو مالك.

الثاني: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو لقوله تعالى ﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾ [الزخرف: ٥١] يعني بين يدي.

وحكى أبو عبيدة عن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود.

قوله عز وجل ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن أهل الجنة إذا اشتهوا الشيء أو أرادوا أن يدعوا بالشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم، ذلك الشيء، قاله الربيع وسفيان.

الثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله في دعاء يدعونه كان دعاؤهم له: سبحانك اللهم: قاله قتادة.

﴿**وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه وملكهم فيها سالم. والتحية الملك، ومنه قول زهير بن جنان[٥٣٤] الكلبي:

ولكلُّ ما نال الفتى   قد نِلتُه إلا التحية

الثاني: أن تحية بعضهم لبعض فيها سلام. أي: سلمت وأمنت مما بلي[٥٣٥] به أهل النار، قاله ابن جرير الطبري.

﴿**وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن آخر دعائهم: الحمد لله رب العالمين، كما كان أول دعائهم: سبحانك اللهم، ويشبه أن يكون هذا قول قتادة.

---

(٥٣٤) طبقات فحول الشعراء: ٣٠ ـ ٣٢ وكتاب المعمرين، اللسان بجل، حيا والأغاني (٢١ ـ ٦٦) والطبري (١٥/٣٣).

(٥٣٥) ونص الطبري «مما ابتلى» (١٥/٣٢).

الثاني: أنهم إذا أجابهم فيما دعوه وآتاهم ما اشتهوا حين طلبوه بالتسبيح قالوا بعده: شكراً لله والحمد لله رب العالمين.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة(٥٣٦)، قاله ابن إسحاق.

الثاني: معناه أن الرجل إذا غضب على نفسه أو ماله أو ولده فيدعو بالشر فيقول: لا بارك الله فيه وأهلكه الله، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب منه الخير لقضي إليهم أجلهم أي لهلكوا.

فيكون تأويلاً على الوجه الأول خاصاً في الكافر، وعلى الوجه الثاني عاماً في المسلم والكافر.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قال قتادة: يعني مشركي أهل مكة.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في شركهم، قاله ابن عباس.

الثاني: في ضلالهم، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: في ظلمهم، قاله عليّ بن عيسى.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يترددون، قاله ابن عباس وأبو مالك وأبو العالية.

الثاني: يتمادون، قاله السدي.

الثالث: يلعبون، قاله الأعمش.

---

(٥٣٦) قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (١٢/٤).
ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإنسَانَ ٱلضُّرُّ دعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه إذا مسه الضر دعا ربه في هذه الأحوال.

الثاني: دعا ربه فيكون محمولاً على عموم الدعاء في جميع أحواله.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيهِمْ ءَآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ يعني آيات القرآن التي هي تبيان كل شيء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني مشركي أهل مكة.

﴿آئتِ بِقُرْءَآنٍ غَيرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا

يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه:

أحدهـا: أنهم سألوه الوعد وعيداً، والوعيد وعداً، والحلال حراماً، والحرام حلالاً، قاله ابن جرير الطبري(٥٣٧).

الثاني: أنهم سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور، قاله الزجاج.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِي نَفْسِيٓ﴾ أي ليس لي أن أتلقاه بالتبديل والتغيير كما ليس لي أَنْ أتلقاه بالرد والتكذيب.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فيما أتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل وتحريم أو أمر أو نهي.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ في تبديله وتغييره.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن:

﴿وَلَآ أَدْرَاكُم بِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ولا أعلمكم به، قاله ابن عباس.

الثاني: ولا أنذركم به، قاله شهر بن حوشب.

الثالث: ولا أشعركم به، قاله قتادة.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد ما تقدم من عمره قبل الوحي إليه لأن عمر الإنسان مدة حياته طالت أو قصرت.

الثاني: أنه أربعون سنة، لأن النبي ﷺ بعث بعد الأربعين وهو المطلق من عمر الإنسان، قاله قتادة.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أني لم أدَّع ذلك بعد أن لبثت فيكم عمراً حتى أُوحِي إليّ، ولو كنت افتريته لقدمته.

---

(٥٣٧) جامع البيان (١٥/ ٤٠).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ
شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً
فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿... قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أتخبرونه بعبادة من لا يعلم ما في السموات ولا ما في الأرض.

الثاني: أتخبرونه بعبادة غيره وليس يعلم له شريكاً في السموات ولا في الأرض.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في الناس هاهنا أربعة أقاويل:

أحدها: انه آدم عليه السلام، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: أنهم أهل السفينة، قاله الضحاك.

الثالث: أنهم من كان على عهد إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي.

الرابع: أنهم بنو آدم، قاله أُبي بن كعب.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: على الإسلام حتى(٥٣٨) اختلفوا، قاله ابن عباس وأُبي بن كعب.

الثاني: على الكفر حتى بعث الله تعالى الرسل، وهذا قول قد روي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: على دين واحد، قاله الضحاك.

﴿فَٱخْتَلَفُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فاختلفوا في الدين فمؤمن وكافر، قاله أبي بن كعب.

---

(٥٣٨) قال العلامة الآلوسي (١١/ ٨٩): أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وروي هذا عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى».

الثاني: هو اختلاف بني آدم حين قَتل قابيل أخاه هابيل، قاله مجاهد.

﴿ولَوْلَا كَلِمَةٌ سَبقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولولا كلمة سبقت من ربك في تأجيلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم من تعجيل العذاب في الدنيا، قاله السدي.

الثاني: ولولا كلمة سبقت من ربك في أن لا يعاجل العصاة إنعاماً منه يبتليهم به لقضى بينهم فيما فيه يختلفون بأن يضطرهم إلى معرفة المحق من المبطل، قاله عليّ بن عيسى.

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟
إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ
إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: رخاء بعد شدة.

الثاني: عافية بعد سقم.

الثالث: خصباً بعد جدب، وهذا قول الضحاك.

الرابع: إسلاماً بعد كفر وهو المنافق، قاله الحسن.

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المكر هاهنا الكفر والجحود، قاله ابن بحر(*).

الثاني: أنه الاستهزاء والتكذيب. قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون المكر ها هنا النفاق لأنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾ يعني أسرع جزاء(٥٣٩) على المكر. وقيل إن سبب نزولها أن رسول الله ﷺ(٥٤٠) لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين كسني يوسف إجابة لدعوته، أتاه أبو سفيان فقال يا محمد قد كنت دعوت بالجدب فأجدبنا فادع الله لنا بالخصب فإن أجابك وأخصبنا صدقناك وآمنا بك، فدعا لهم واستسقى فسقوا وأخصبوا، فنقضوا ما قالوه وأقاموا على كفرهم، وهو معنى قوله ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا﴾.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿... فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذاهباً.

الثاني: يابساً.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: كأن لم تعمر بالأمس، قاله الكلبي.

الثاني: كأنه لم تعش بالأمس، قاله قتادة، ومنه قول لبيد(٥٤١):

(*) وفي نسخة المخطوطة «ابن إسحاق» بدلاً من ابن بحر.

(٥٣٩) تقدم الكلام على صفة المكر في سورة آل عمران فراجعه.

(٥٤٠) تقدم تخريج هذا الحديث في سورة البقرة. عند قوله «ولنبلونكم بشيء من الخوف».

(٥٤١) وفي فتح القدير «خنيت سنينا» (٢/٤٣٨)، انظر أيضاً شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص ٥١٧.

وغنيت سبتاً بعد مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

الثالث: كأن لم تقم بالأمس، ومن قولهم غنى فلان بالمكان إذا أقام فيه، قاله عليّ بن عيسى.

الرابع: كأن لم تنعم بالأمس، قاله قتادة أيضاً.

قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها دار السلام وجهان:

أحدهما: لأن السلام هو الله، والجنة داره.

الثاني: لأنها دار السلامة من كل آفة، قاله الزجاج.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في هدايته وجهان:

أحدهما: بالتوفيق والمعونة (٥٤٢).

الثاني: بإظهار الأدلة وإقامة البراهين.

وفي الصراط المستقيم أربعة تأويلات:

أحدها: أنه كتاب الله تعالى، روى علي بن أبي طالب قال(*): سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ كِتَابُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ».

الثاني: أنه الإسلام، رواه النواس(٥٤٣) بن سمعان عن رسول الله ﷺ.

---

(٥٤٢) قال العلامة الألوسي (١١/١٠٢) وفي الآية دلالة على أن الهداية غير الدعوة إلى ذلك وعلى أن الأمر مغاير للإرادة حيث عمم سبحانه الدعوة إذ حذف مفعولها وخص الهداية بالمشيئة المساوية للإرادة على المشهور إذ قيدها بها وهو الذي ذهب إليه الجماعة (أي أهل السنة والجماعة] وقال المعتزلة إن المراد بالهداية التوفيق والالطاف ومغايرة الدعوة والأمر لذلك ظاهرة فإن الكافر مأمور وليس بموفق وإن من يشاء وهو من علم سبحانه أن اللطف ينفع فيه لأن مشيئته تعالى شأن تابعة للحكمة فمن علم أنه لا ينفع فيه اللطف لم يوفقه ولم يلطف به إذ التوفيق لمن علم الله تعالى أنه لا ينفعه عبث والحكمة منافية للعبث فهو جل وعلا يهدي من ينفعه اللطف وإن أراد اهتداء الكل اهـ.

(*) تقدم تخرجه في تفسير سورة الفاتحة.

(٥٤٣) رواه أحمد (٤/١٨٢ ـ ١٨٣) والطبري (١/١٧٦) والترمذي (٢٨٥٩) وقال غريب. وقال ابن كثير عن سند الترمذي واللسان وهو إسناد حسن صحيح وزاد السيوطي نسبة الحديث في الدر (١/١٥) لابن المنذر وابن الشيخ الحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقي في الشعب ونص الحديث «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيها أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يدعو يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعرجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله =

الثالث: أنه رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر، قاله الحسن وأبو العالية.

الرابع: أنه الحق، قاله مجاهد وقتادة.

روى جابر بن عبدالله قال: (٥٤٤) خرج علينا رسول الله يوماً فقال: «رَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَآئِيلَ عِنْدَ رِجْلَيّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَضْرِبْ لَهُ مَثَلاً، فَقَالَ: ٱسْمَعْ سَمِعَتْ أُذُنُكَ، وَٱعْقِلْ، عَقَلَ قَلْبُكَ، إِنَّمَا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ ٱتَّخَذَ دَاراً ثُمَّ بَنَىٰ فِيهَا بَيْتاً ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَائِدَةً ثُمَّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ طَعَامِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَجَابَ الرَّسُولَ وَمِنْهُم مَّن تَرَكَهُ، فَاللَّهُ ٱلْمَلِكُ، وَالدَّارُ ٱلإِسْلَامُ، وَٱلْبَيْتُ ٱلْجَنَّةُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ الرَّسُولُ فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ وَمَنْ دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ، وَمَن دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ أَكَلَ مِمَّا فِيهَا» ثم تلا قتادة ومجاهد. ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧)﴾

قوله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ يعني عبادة ربهم.

﴿ٱلْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه (٥٤٥) الله تعالى. وهذا قول

= والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم.

(٥٤٤) رواه الترمذي (٢٦٨٠) والطبري (١٥/ ٦١) واللفظ له.

وقال الترمذي هذا حديث مرسل سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله وقال: وقد روى هذا الحديث ـ غير وجه عن النبي ﷺ بإسناد أصح من هذا، قلت وقد رواه الحاكم (٢/ ٣٣٨) وصححه مبيناً الواسطة بين سعيد بن هلال وجابر قال عن سعيد بن أبي هلال سمعت أبا جعفر محمد بن علي... إلخ وزاد نسبته السيوطي في الدر ٤/ ٣٥٥ لابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥٤٥) هذا القول هو الصواب وقد وردت بذلك أحاديث تفوق الحصر في إثبات رؤية المؤمنين للرب تعالى في الجنة ولم يخالف في هذا إلا الشذاذ من المبتدعه كالمعتزلة والجهمية. راجع حادي الأرواح لابن القيم ص (٢٦٧ ـ ٣٢٠).

أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري.

والثاني: أن الحسنى واحدة من الحسنات، والزيادة مضاعفتها إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الحسنى حسنة مثل حسنة. والزيادة مغفرة ورضوان، قاله مجاهد.

والرابع: أن الحسنى الجزاء في الآخرة، والزيادة ما أعطوا في الدنيا، قاله ابن زيد.

والخامس: أن الحسنى الثواب، والزيادة الدوام، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أن الحسنى ما يتمنونه، والزيادة ما يشتهونه.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ في معنى يرهق وجهان:

أحدهما: يعلو.

الثاني: يلحق، ومنه قيل غلام مراهق إذا لحق بالرجال.

وفي قوله تعالى: ﴿قَتَرٌ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه سواد الوجوه، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الحزن، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الدخان ومنه قتار اللحم وقتار العود وهو دخانه، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه الغبار في محشرهم إلى الله تعالى، ومنه قول الشاعر(٥٤٦):

متوجٌ برداء الملك يتبعه ... موجٌ ترى فوقه الرايات والقترا

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ فيها ها هنا وجهان:

أحدهما: الهوان.

الثاني: الخيبة.

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

(٥٤٦) هو الفرزدق والبيت في ديوانه: ٢٩٠ ومجاز القرآن لابن عبيدة ١: ٢٧٧ واللسان «قتر» ورواية الديوان متعصب برداء الملك.

إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل : ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ فيه قراءتان :

إحداهما: بتاءين قرأبها حمزة(٥٤٧) والكسائي، وفي تأويلها ثلاثة أوجه :

أحدها: تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا، قاله السدي، ومنه قول الشاعر:

إن المريب يتبع المريبا كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

الثاني: تتلو كتاب حسناتها وكتاب سيئاتها، ومن التلاوة.

والثالث: تعاين كل نفس جزاء ما عملت.

والقراءة الثانية: وهي قراءة الباقين تتلو بالباء وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: تسلم كل نفس.

الثاني: تختبر كل نفس، قاله مجاهد.

﴿وَرُدُّوا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي مالكهم، ووصف تعالى نفسه بالحق، لأن الحق منه، كما وصف نفسه بالعدل، لأن العدل منه.

فإن قيل فقد قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] فكيف صار هاهنا مولى لهم؟ قيل ليس بمولى في النصرة والمعونة، وهو مولى لهم في الملكية.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي بطل عنهم ما كانوا يكذبون.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ

(٥٤٧) وهي قراءة خلف أيضاً وروح عن يعقوب راجع المبسوط للأصبهاني ص ٢٣٣.

تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَناًّ﴾ هم رؤساؤهم.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً﴾ في الظن وجهان:

أحدهما: أنه منزلة بين اليقين والشك، ليست يقيناً وليست شكاً.

الثاني: إن الظن ما تردد بين الشك واليقين وكان مرة يقيناً ومرة شكاً.

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟
بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني أنه يختلق ويكذب.

﴿وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شاهد بصدق ما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور.

الثاني: لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون معناه ولكن يصدقه الذي بين يديه من الكتب السالفة بما فيها من ذكره فيزول عنه الافتراء.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يعلموا ما عليهم بتكذيبهم لشكهم فيه[٥٤٨].

الثاني: لم يحيطوا بعلم ما فيه[٥٤٩] من وعد ووعيد لإعراضهم عنه.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علم ما فيه من البرهان.

الثاني: ما يؤول إليه أمرهم من العقاب.

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يستمعون الكذب عليك فلا ينكرونه.

الثاني: يستمعون الحق منك فلا يَعُونَه.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن من لا يعي ما يسمع فهو كمن لا يعقل.

الثاني: معناه أنه كما لا يعي من لا يسمع كذلك لا يفهم من لا يعقل.

والألف التي في قوله تعالى ﴿أَفَأَنتَ﴾ لفظها الاستفهام ومعناها معنى النفي.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

---

(٥٤٨) **فائدة**: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٣٣/٤) قيل لسفيان بن عيينة يقول الناس كل إنسان عدو ما جهل فقال هذا في كتاب الله قيل أين؟ فقال ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾. وقيل للحسين بن الفضل هل تجد في القرآن من جهل شيئاً عاداه؟ فقال نعم في موضعين قوله «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» وقوله ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ [الأحقاف: ١١].

(٥٤٩) قال الشوكاني في فتح القدير (٤٤٦/٢)، وهكذا صنع من تصلب في التقليد ولم يبال بما جاء به من دعا إلى الحق وتمسك بذيول الإنصاف بل يردّه مجرد كونه لم يوافق هواه ولا جاء على طبق دعواه قبل أن يعرف معناه ويعلم مبناه كما تراه عياناً وتعلمه وجداناً.

قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار.

الثاني : كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار لقربه.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعرف بعضهم بعضاً. قال الكلبي : يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة.

الثاني : يعرفون أن ما كانوا عليه باطل.

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يعني نبياً يدعوهم إلى الهدى ويأمرهم بالإيمان.

﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم ليكون رسولهم شاهداً عليهم، قاله مجاهد.

الثاني : فإذا جاء رسولهم يوم القيامة وقد كذبوه في الدنيا قضى الله تعالى بينهم وبين رسولهم في الآخرة، قاله الكلبي.

الثالث : فإذا جاء رسولهم في الدنيا واعياً بعد الإذن له في الدعاء عليهم قضى الله بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ

إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ
ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ
بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ
تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ أي يستخبرونك، وهو طلب النبأ.

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: البعث، قاله الكلبي.

الثاني: العذاب في الآخرة.

﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ فأقسم مع إخباره انه حق تأكيداً.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بممتنعين.

الثاني: بسابقين، قاله ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم، وقيل بل كتمها الروساء عن أتباعهم.

الثاني: أظهروها وكشفوها لهم.

وذكر المبرد فيه وجهاً ثالثاً: أنه بدت بالندامة أَسِرَّةُ وجوههم وهي تكاسير الجبهة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قضي بينهم وبين رؤسائهم، قاله الكلبي.

الثاني: قضى عليهم بما يستحقونه من عذابهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا
وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ
إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن فضل الله معرفته، ورحمته توفيقه.

الثاني: أن فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك.

الثالث: أن فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن. قاله الحسن ومجاهد وقتادة[٥٥٠].

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ يعني بالمغفرة والتوفيق على الوجه الأول، وبالإسلام والقرآن على الوجهين الآخرين.

وفيه ثالث: فلتفرح قريش بأن محمداً منهم، قاله ابن عباس.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني في الدنيا.

روى أبان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال[٥٥١]: «**مَنْ هَدَاهُ ٱللَّهُ لِلإِسْلَامِ وَعَلَّمَهُ القُرءَآنَ ثُمَّ شَكَا الفَاقَةَ كَتَبَ ٱللَّهُ ٱلْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ**»، ثم تلا ﴿قُلْ بِفَضْلِ

---

(٥٥٠) قال العلامة الشوكاني (٢/٢٥٤) «والأولى حمل الفضل والرحمة على العموم ويدخل في ذلك ما في القرآن فيها دخولاً أولياً».

(٥٥١) هذا الحديث رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه كما في الدر (٤/٣٦٨) وسنده ضعيف لضعف أبان بن أبي عياش وهو متروك الرواية راجع ترجمته في الميزان للذهبي (١/١٠).

اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٥٥٢).

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى
ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا
كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في ﴿أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ﴾ ها هنا خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل ولايته والمستحقون لكرامته، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

الثاني: هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

الثالث: هم الراضون بالقضاء، والصابرون على البلاء، والشاكرون على النعماء.

---

(٥٥٢) بقيت جملة من الحديث لم يأت بها المؤلف هنا ونصها كما في الدر (٣٦٨/٤) «من عرض الدنيا من الأموال».

الرابع: هم من توالت أفعالهم على موافقة الحق.

الخامس: هم المتحابون في الله تعالى[٥٥٣].

روى جرير عن عمارة بن غزية عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال[٥٥٤]: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ مِن عِبَادِ اللَّهِ أُنَاساً مَّا هُم بِأَنْبِيَآءٍ وَلَا شُهَدَآءٍ يَغْبِطُهُم الأَنْبِياءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِم مِّنَ اللَّهِ**»، قالـوا: يا رسـول الله خبّرنـا من هم وما أعمالهم فإنا نحبهم لذلك، قال: «**هُمْ قَوْمٌ تَحَآبُّوا بِرُوحِ ٱللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُم وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَونَهَا. فَوَاللَّهِ إنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُم لَعَلَى مَنَابَرَ مِن نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ ٱلنَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**»، وقرأ ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيهِمِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

وفيه وجهان:

أحدهما: لا يخافون على ذريتهم فإن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لأن الله تعالى يعوضهم عنها، وهو محتمل.

الثاني: لا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون عند الموت.

قوله عز وجل: ﴿**لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن البشرى في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو من قبل أن يموت، وفي الآخرة الجنة، قاله قتادة والضحاك. وروى علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال[٥٥٥] «**إنّ لِخَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيلِدٍ بَيْتاً مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَب**».

الثاني: أن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى

---

(٥٥٣) ولا مانع من دخول هذه الأقوال كلها في صفات أولياء الله وقد توسع العلامة الشوكاني في كتابة قطر الولي وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية من قبله في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في بيان صفات أولياء الله فراجعها.

(٥٥٤) رواه أبو داود (٣٥٢٧) وابن جرير (١١/١٢٣)، والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٤/٣٧٢) وقال الحافظ ابن كثير «إسناده جيد» إلا أنه منقطع بين أبو زرعة بن عمرو وعمر بن الخطاب. وقد رواه ابن حبان (٢٥٠٨) من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة وله شاهد أيضاً من حديث أبي مالك الأشعري عند أحمد (٥/٣٤١، ٣٤٢). والطبري (١١/١٣٢) وحسنه المنذري ورواه الحاكم أيضاً (٤/١٧٠، ١٧١)، وحديث أبي هريرة صححه الأرناؤوط في شرح السنة (١٣/٥١).

(٥٥٥) رواه البخاري (٧/١٠٤) ومسلم رقم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

له، وفي الآخرة الجنة، روى ذلك عن رسول الله ﷺ أبو الدرداء(٥٥٦) وأبو هريرة(٥٥٧) وعبادة(*) بن الصامت.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح، وفي الآخرة اعطاؤه كتابه بيمينه.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا خلف لوعده.

الثاني: لا نسخ لخيره.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

قوله عز وجل: ﴿.. فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لنصرتكم، قاله الفراء.

الثاني: فاجمعوا أمركم مع شركائكم على تناصركم، قاله الزجاج.

وفي هذا الإجماع وجهان:

أحدهما: أنه الإعداد.

(٥٥٦) حديث أبي الدرداء رواه الترمذي (٣١٠٦) وأحمد (٤٤٧/٦) وابن جرير (١٢٨/١٥) ونقل السيوطي في الدر (٣٧٤/٤) تحسين الترمذي له ونسبه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان. وفي سند الحديث رجل مجهول.

(٥٥٧) أما حديث أبي هريرة رواه ابن جرير (١٣٠/١٥) ونسبه السيوطي في الدر (٣٧٤/٤) لأبي الشيخ وابن مردويه وصحح سنده مخرِّج الطبري.

(*) أما حديث عبادة فقد رواه الطبري (١٣٣/١١) وغيره.

الثاني: أنه العزم.

﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الغم.

الثاني: أنه المغطى، من قولهم: قد غم الهلال إذا استتر.

وفي المراد بالأمر هاهنا وجهان:

أحدهما: من يدعونه من دون الله تعالى.

الثاني: ما هم عليه من عزم.

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ثم انهضوا، قاله ابن عباس.

الثاني: ثم اقضوا إليّ ما أنتم قاضون، قاله قتادة.

الثالث: اقضوا إليّ ما في أنفسكم، قاله مجاهد.

﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ قال ابن عباس. ولا تؤخروني.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يعني عن الإيمان.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فما سألتكم من أجر تستثقلونه فتمتنعون من الإجابة لأجله، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

والثاني: فما سألتكم من أجر إن انقطع عني ثقُل علي.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقد حصل بالدعاء لكم إن أجبتم أو أبيتم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي من المستسلمين لأمر الله بطاعته.

قوله عز وجل: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ قال ابن عباس: كان في سفينة نوح عليه السلام ثمانون رجلاً أحدهم جرهم وكان لسانه عربياً، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، قال ابن عباس فكان أول ما حمل الذرة وآخر ما حمل الحمار ودخل معه إبليس(٥٥٨) يتعلق بذنبه.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ أي خلفاً لمن هلك بالغرق.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ حكى أبو زهير أن قوم نوح عاشوا في الطوفان

(٥٥٨) ولا شك في هذا القول أنه من الإسرائيليات التي تلقاها ابن عباس عن مسلمة أهل الكتاب

أربعين يوماً. وذكر محمد بن إسحاق أن الماء بقي بعد الغرق مائة وخمسين يوماً، فكان بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن غاض الماء ستة أشهر وعشرة أيام وذلك مائة وتسعون يوماً.

قال محمد بن إسحاق لما مضت على نوح أربعون ليلة فتح كوة السفينة ثم أرسل منها الغراب لينظر ما فعل الماء فلم يعد، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ولم تجد لرجلها موضعاً، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فرجعت حيث أمست وفي فيها ورقة زيتونة فعلم أن الماء قد قل على الأرض، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فلم تعد فعلم أن الأرض قد برزت، وكان استواء السفينة على الجودي لسبع عشرة ليلة من الشهر السابع فيما ذكر والله أعلم(٥٥٩).

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لتلوينا، قاله قتادة.

الثاني: لتصدنا، قاله السدي.

الثالث: لتصرفنا، من قولهم لفته لفتاً إذا صرفه ومنه لفت عنقه أي لواها، قاله عليّ بن عيسى.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

(٥٥٩) وهذا القول كسابقه فليس له مستند من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ.

أحدها: الملك، قاله مجاهد.

الثاني: العظمة، حكاه الأعمش.

الثالث: العلو، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الرابع: الطاعة، قاله الضحاك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟
مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

قوله عز وجل: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الذرية القليل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم الغلمان من بني إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلى الإيمان بموسى، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: أنهم أولاد الزمن(٥٦٠) قاله مجاهد.

الرابع: أنهم قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وأباؤهم من القبط.

ويحتمل خامساً: أن ذرية قوم موسى نساؤهم وولدانهم.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يعني وعظمائهم وأشرافهم.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

---

(٥٦٠) والمراد بهم من أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل لطول الزمان لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء فقيل لهم الذرية لأنهم كانوا ذرية من هلك ومن أرسل إليهم موسى عليه السلام كما في الطبري (١٥/١٦٣).

تنبيه: وقع في المطبوعة هنا خطأ جسيم حيث كتب القول الثاني هكـذا «أنهم أولاد الزمنى قاله مجاهد» أ هـ وهذا القول لا معنى له وقول مجاهد في الطبري (١٥/١٦٤) وغيره قال: «أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباؤهـم»، والخلاصة أن المؤلف أورد قول مجاهد بمعناه وصوابه «أولاد الزمن» نسبـة إلى أنهم ولدوا في زمن فرعون فلا أدري كيف خفي ذلك على محقق التفسير وسبحان الحي الذي لا يموت.

أحدهما: أن يعذبهم، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يكرههم على استدامة ما هم عليه.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي متجبر، قاله السدي.

الثاني: باغ طاغ، قاله ابن اسحاق.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يعني في بغيه وطغيانه.

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿... فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: في الإسلام إليه.

الثاني: في الثقة به.

﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تسلطهم علينا فيفتنوننا، قاله مجاهد.

الثاني: لا تسلطهم علينا فيفتتنون بنا لظنهم أنهم على حق، قاله أبو الضحى وأبو مجلز.

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَاْ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً﴾.

يعني تخيّرا واتخذا لهم بيوتاً يسكنونها، ومنه قول الراجز:(٥٦١)

نحن بنو عدنان ليس شك   تبوأ المجد بنا والملك

وفي قوله ﴿بِمِصْرَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها الإسكندرية، وهو قول مجاهد.

الثاني: أنه البلد المسمى مصر، قاله الضحاك.

وفي قوله ﴿بُيُوتاً﴾ وجهان:

---

(٥٦١) فتح القدير (٢/٤٦٧).

أحدهما: قصوراً، قاله مجاهد.

الثاني: مساجد، قاله الضحاك.

﴿وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: واجعلوها مساجد تصلون فيها، لأنهم كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم، قاله الضحاك وابن زيد والنخعي.

الثاني: واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثالث: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم قاله ابن بحر.

الرابع: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في بيوتكم لتأمنوا فرعون.

الثاني: إلى قبلة مكة لتصح صلاتكم.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال سعيد بن جبير: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ
رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل: ﴿... رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها، قاله قتادة. فذكر لنا أن زروعهم وأموالهم صارت حجارة منقوشة، قاله الضحاك.

﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالضلالة ليهلكوا كفاراً فينالهم عذاب الآخرة، قاله مجاهد.

الثاني: بإعمائها عن الرشد.

الثالث: بالموت، قاله ابن بحر.

الرابع: اجعلها قاسية.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ قال ابن عباس هو الغرق.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبت دَّعْوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية والربيع: دعا موسى وأمّن هارون فسمي هارون وقد أمّن على الدعاء داعياً، والتأمين على الدعاء أن يقول آمين.

واختلف في معنى آمين بعد الدعاء وبعد فاتحة الكتاب في الصلاة على ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه اللهم آستجب، قاله الحسن.

الثاني: أن آمين اسم(٥٦٢) من أسماء الله تعالى، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة وفيه حرف النداء مضمر وتقديره يا آمين استجب دعاءنا.

الثالث: ما رواه سعيد عن أبي(٥٦٣) هريرة أن رسول الله ﷺ قال «آمين خَاتَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» يعني أنها تمنع من وصول الأذى والضرر كما يمنع الختم من الوصول إلى المختوم عليه.

وفرق ابن عباس في معنى آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال: معناه بعد الدعاء: اللهم استجب، ومعناه بعد الفاتحة: كذلك فليكن.

قال محمد بن علي وابن جريج: وأخّر فرعون بعد إجابة دعوتهما أربعين سنة(*).

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فامضيا لأمري فخرجا في قومهم، قاله السدي.

الثاني: فاستقيما في دعوتكما على فرعون وقومه، وحكاه علي بن عيسى.

وقيل: إنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن لأن دعاءه موجب لحلول الانتقام وقد يجوز أن يكون فيهم من يتوب.

---

(٥٦٢) ولكن العلامة القرطبي قال (١٠/ ١٢٨)، «ولم يصح».

(*) وفي نسخة يوماً.

(٥٦٣) رواه الطبري في الدعاء وابن عدي وابن مردويه كما في الدر (١/ ٤٤) وقال السيوطي «بسند ضعيف».

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩٠) ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١) فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢)﴾

قوله عزوجل: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ معنى ننجيك نلقيك على نجوة من الأرض، والنجوة المكان المرتفع وقوله تعالى ﴿بِبَدَنِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بجسدك من غير روح، قاله مجاهد.

الثاني: بدرعك، وكان له درع من حديد يعرف بها، قاله أبو صخر. وكان من تخلف من قوم فرعون ينكر غرقه.

وقرأ يزيد[٥٦٤] اليزيدي ﴿نُنَحِّيكَ﴾ بالحاء غير معجمة وحكاها علقمة عن ابن مسعود. أن يكون على ناحية من البحر حتى يراه بنو إسرائيل، وكان قصير أحمر كأنه ثور.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ يعني لمن بعدك عبرة وموعظة.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)﴾

قوله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الشام وبيت المقدس، قاله قتادة.

الثاني: أنه مصر والشام: قاله الضحاك.

وفي قوله تعالى: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه كالصدق في الفضل.

والثاني: أنه تصدق به عليهم.

---

(٥٦٤) وفيها قراءة أخرى وهي قراءة يعقوب «نُنْجيك» بالجيم المخففة كما في زاد المسير (٤/ ٦٠).

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أنه وعدهم إياه فكان وَعْدُه وعْد صدق.

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني وأحللنا لهم من الخيرات الطيبة.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلعِلْمُ﴾ يعني أن بني إسرائيل ما اختلفوا أن محمداً نبي.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ وفيه وجهان.

أحدهما: حتى جاءهم محمد ﷺ الذي كانوا يعلمون أنه نبي، وتقديره حتى جاءهم المعلوم، قاله ابن بحر وابن جرير الطبري(٥٦٥).

والثاني: حتى جاءهم القرآن، قاله ابن زيد.

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

قوله عزوجل: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ هذا خطاب من الله لنبيه يقول: إن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك، وفيه وجهان:

أحدهما: في شك أنك رسول.

الثاني: في شك أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

﴿فَاسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد مَنْ منهم مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه عنى أهل الصدق والتقوى منهم، قاله الضحاك.

فإن قيل: فهل كانَ النبي ﷺ شاكاً؟ قيل قد روي(٥٦٦) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ».

(٥٦٥) جامع البيان (١٥/١٩٨).

(٥٦٦) هذا الحديث مرسل من مرسلات قتادة رواه ابن جرير (١٥/٢٠٢)، وزاد السيوطي في الدر (٤/٣٨٩) نسبته لعبد الرزاق قال قتادة بلغنا أن رسول الله ﷺ قال فذكره...

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من أمته، كما قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ﴾ الآية [الطلاق: ١].

والثاني: أنه خطاب ورد على عادة العرب في توليد القبول والتنبيه على أسباب الطاعة. كقول الرجل لإبنه: إن كنت ابني فبرّني، ولعبده إن كنت مملوكي فامتثل أمري، ولا يدل ذلك على شك الولد في أنه ابن أبيه ولا أن العبد شاك في أنه ملك لسيده.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَـرِينَ﴾ أي من الشاكّين.

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إن الذين وجبت عليهم كلمة ربك بالوعيد والغضب لا يؤمنون أبداً.

الثاني: إن الذين وقعت كلمته عليهم بنزول العذاب بهم لا يؤمنون أبداً.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

قوله عزوجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَآ﴾ والمراد بالقرية أهل القرية.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ وهم أهل نينوى من بلاد الموصل فإن يونس عليه السلام وعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، فقالوا: انظروا يونس فإن خرج عنا فوعيده حق، فلما خرج عنهم تحققوه ففزعوا إلى شيخ منهم فقال: تـوبوا وادعوا وقولـوا يا حي حين لاحي، وياحي يا محيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل والدة وولدها، وخرجوا من قريتهم تائبين داعين فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالى:

﴿... كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أنهم تابوا قبل أن يروا العذاب فلذلك قبل توبتهم، ولو رأوه لم يقبلها كما لم يقبل من فرعون إيمانه لما أدركه الغرق.

الثاني: أنه تعالى خصهم بقبول التوبة بعد رؤية العذاب، قال قتادة: كشف

عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل.

﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إلى أجلهم، قاله السدي.

الثاني: إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار، قاله ابن عباس.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن الحذر لا يرد القدر، وإن الدعاء يرد القدر، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ قال عليّ رضي الله عنه ذلك يوم عاشوراء.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ
يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ
ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ
أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه إلا بأمر الله تعالى، قاله الحسن.

الثاني: إلا بمعونة الله.

الثالث: إلا بإعلام الله سبل الهدى والضلالات.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن الرجس السخط، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه العذاب، قاله الفراء.

الثالث: أنه الإثم، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

الخامس: أنه الشيطان، قاله قتادة.

وقوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه ويحتمل أنهم الذين لا يعتبرون بحججه ودلائله.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ
بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ أي استقم بإقبال وجهك على ما أمرت به من الدين حنيفاً، وقيل أنه أراد بالوجه النفس.

و ﴿حَنِيفاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أي حاجاً، قاله ابن عباس والحسن والضحاك وعطية والسدي.

الثاني: متبعاً، قاله مجاهد.

الثالث: مستقيماً، قاله محمد بن كعب.

الرابع: مخلصاً، قاله عطاء.

الخامس: مؤمناً بالرسل كلهم، قاله أبو قلابة قال حمزة بن عبد المطلب:

حمدت الله حين هدى فؤادي ... من الإشراك للدين الحنيف

السادس: سابقاً إلى الطاعة، مأخوذ من الحنف في الرجلين وهو أن تسبق إحداهما الأخرى.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ

إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

قوله عزوجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِنَ رِبِّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القرآن.

الثاني: الرسول ﷺ.

﴿فَمِنِ ٱهْتَدَىٰ فإنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ فيه وجهان محتملان:

أحدهما: فمن اهتدى لقبول الحق فإنما يهتدي بخلاص نفسه.

الثاني: فمن اهتدى إلى معرفة الحق فإنما يهتدي بعقله.

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

وقال ابن عباس وقتادة(٥٦٧) إلا آية وهي قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ ٱللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قوله عزوجل: ﴿الٓر كِتَابٌ﴾ يعني القرآن.

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب، قاله الحسن.

الثاني: أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية، وهذا قول قتادة.

(٥٦٧) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (٢٠٢/١١) قال الجلال السيوطي ودليله ما صح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر.

الثالث: أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت، وهذا معنى قول مجاهد.

الرابع: أحكمت آياته للمعتبرين، وفصلت آياته للمتقين.

الخامس: أحكمت آياته في القلوب، وفصلت أحكامه على الأبدان.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من عند حكيم في أفعاله، خبير بمصالح عباده.

الثاني: حكيم بما أنزل، خبير بمن يتقبل.

قوله عز وجل ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن كتبت في الكتاب ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

والثاني: أنه أمر رسوله أن يقول للناس ﴿أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ﴾.

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ قال ابن عباس: نذير من النار، وبشير بالجنة.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: استغفروه من سالف ذنوبكم ثم توبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم. قال بعض العلماء: الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

الثاني: أنه قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها، فالمغفرة أولٌ في الطلب وآخر في السبب.

ويحتمل ثالثاً: أن المعنى استغفروه من الصغائر وتوبوا إليه من الكبائر ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾ يعني في الدنيا وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه طيب النفس وسعة الرزق.

الثاني: أنه الرضا بالميسور، والصبر على المقدور.

الثالث: أنه ترْك الخلق والإقبال على الحق، قاله سهل بن عبدالله ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الحلال الكافي.

الثاني: أنه الذي لا كد فيه ولا طلب.

الثالث: أنه المقترن بالصحة والعافية.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: إلى يوم الموت، قاله الحسن.

الثالث: إلى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى، قاله ابن عباس.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يهديه إلى العمل الصالح، قاله ابن عباس.

الثاني: يجازيه عليه في الآخرة، على قول قتادة. ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا، على قول مجاهد.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ يعني عما أُمرتم له.

﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وفيه إضمار وتقدير: فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

قوله عزوجل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: يثنون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله تعالى، قاله مجاهد.

الثاني: يثنونها على عداوة النبي ﷺ ليخفوها عنه، قاله الفراء والزجاج.

الثالث: يثنونها على ما أضمروه من حديث النفس ليخفوه عن الناس، قاله الحسن.

الرابع: أن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي ﷺ غطوا رؤوسهم وثنوا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم، قاله أبو رزين.

الخامس: أن رجلاً قال: إذا أغلقت بابي وضربت ستري وتغشيت ثوبي وثنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يعني يلبسون ثيابهم ويتغطون بها، ومنه قول الخنساء(٥٦٨):

(٥٦٨) ديوانها: ١٠٩، والطبري (١٥/ ٢٣٨).

أرعى النجـوم ومـا كُلّفتُ رعيتهـا   وتـارةً أتـغشّى فـضـل أطـمـاري

وفي المراد بـ ﴿حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: الليل يقصدون فيه إخفاء أسرارهم فيما يثنون صدورهم عليه. والله تعالى لا يخفى عليه ما يسرونه في الليل ولا ما يخفونه في صدروهم، فكنى عن الليل باستغشاء ثيابهم لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون إذا استغشوا ثيابهم.

الثاني: أن قوماً من الكفار كانوا لشدة بغضتهم لرسول الله ﷺ يستغشون ثيابهم يغطون بها وجوههم ويصمون بها آذانهم حتى لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه، وهو معنى قول قتادة.

الثالث: أن قوماً من المنافقين كانوا يظهرون لرسول الله ﷺ بألسنتهم أنهم على طاعته ومحبته، وتشتمل قلوبهم على بغضه ومعصيته، فجعل ما تشتمل عليه قلوبهم كالمستغشي بثيابه.

الرابع: أن قوماً من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفونها تحت السماء، فبين الله تعالى أن المنسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد وما أظهروه من قول وعمل.

ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم.

الثاني: ما يسرون من الإيمان وما يعلنون من العبادات.

الثالث: ما يسرون من عمل الليل وما يعلنون من عمل النهار، قاله ابن عباس.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٥٦٩) قيل بأسرار الصدور.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

(٥٦٩) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١١/٢١١) «وفيه [أي في النص] دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها الخارجي وهذا مما لا ينكره أحد سوى شرذمة من المعتزلة»، أ هـ.

قوله عزوجل: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مستقرها حيث تأوي، ومستودعها حيث تموت.

الثاني: مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة.

ويحتمل رابعاً: أن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان.

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة.

الثاني: أيكم أزهد في الدنيا، وهو قول سفيان.

الثالث: أيكم أكثر شكراً، قاله الضحاك.

الرابع: ما روى كليب(٥٧٠) بن وائل عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال(٥٧١) ﴿أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

---

(٥٧٠) هو كليب بن وائل بن هبار التيمي اليشكري روى عن ابن عمر له ترجمة في تهذيب التهذيب (٨/٤٠١) والبخاري في التاريخ الكبير (٤/١/٢٢٩) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/٢/١٦٧).

(٥٧١) وهو حديث ضعيف جداً بل موضوع وهو من الأحاديث التي تتحدث عن فضل العقل ولم يصح في فضله حديث فرواه الطبري (١٥/٢٥٠ ـ ٢٥١) وفي سنده داود بن المحبر وهو ضعيف جداً صاحب مناكير قال الدارقطني كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر... الخ، وقال الحاكم حدثوا عن الحارث بن أبي أسامة عنه (أي عن داود بن المحبر) بكتاب العقل وأكثر ما أودع في ذلك الكتاب عن الحديث الموضوع على رسول الله ﷺ. وفي سند الحديث أيضاً عبد الواحد بن زيد وهو ضعيف منكر الحديث راجع الميزان (٢/١٥٧) وغيره. ونسب السيوطي الحديث في الدر (٤/٤٠٤) لداود بن المحبر في كتاب العقل وابن أبي حاتم والحاكم في التاريخ وابن مردويه.

قوله عز وجل: ﴿ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلى فناء أمة معلومة، ذكره علي بن عيسى.

الثاني: إلى أجل معدود، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين وتكون الأمة عبارة عن المدة، وأصلها الجماعة فعبر بها عن المدة لحلولها في مدة.

﴿ليقولن ما يحبسه﴾ يعني العذاب. وفي قولهم ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم قالوا ذلك تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم.

الثاني: أنهم قالوا ذلك استعجالاً للعذاب واستهزاء، [٥٧٢] بمعنى ما الذي حبسه عنا؟

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ
﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ
إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ
أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا
يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟
فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ
شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن

---

(٥٧٢) وحكى الله تعالى الثاني عنهم في قوله ﴿ويستعجلونك بالعذاب وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾.

يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: محمد ﷺ، قاله مجاهد وعكرمة وأبو العالية وأبو صالح وقتادة والسري. والضحاك.

الثالث: الحجج الدالة على توحيد الله تعالى ووجوب طاعته، قاله ابن بحر.

وذكر بعض المتصوفة قولاً رابعاً: أن البينة هي الإشراف على القلوب والحكمة على الغيوب.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه لسانه يشهد له بتلاوة القرآن، قاله الحسن وقتادة، ومنه قول الأعشى:[٥٧٣]

فلا تحسبنّي كافراً لك نعمةً ... على شاهدي يا شاهد الله فاشهد

الثاني: أنه محمد ﷺ شاهد من الله تعالى، قاله علي بن الحسين.

الثالث: أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس والنخعي وعكرمة والضحاك.

الرابع: أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى المنهال عن[٥٧٤] عباد بن عبد الله قال: قال عليّ: ما في[٥٧٥] قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك؟ قال ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

الخامس: أنه ملك يحفظه، قاله مجاهد وأبو العالية.

---

(٥٧٣) اللسان «شهد» ديوانه: ٦١ والشطر الثاني فيه عليّ شهيد شاهد الله فاشهد.

(٥٧٤) وفي روح المعاني (١٢/٢٨) وأخرج المنهال عن عبادة بن عبدالله.

(٥٧٥) وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يخالف هذا قال العلامة الآلوسي (١٢/٢٨) وأنت تعلم أن الخبر مما لا يكاد يصح... ويكذبه ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ والطبراني في الأوسط عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال قلت لأبي كرم الله وجهه إن الناس يزعمون في قول الله تعالى في« يتلوه شاهد منه» أنك أنت التالي؟ قال وددت أني هو ولكنه لسان محمد ﷺ على أن في تقرير الاستدلال ضعفاً وركاكة بلغت الغاية القصوى كما لا يخفى على من له أدنى فطنة.

ويحتمل قولاً سادساً: ويتلوه شاهد من نفسه بمعرفة حججه ودلائله وهو عقله ووحدته، قاله ابن بحر.

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة، قاله ابن زيد.

الثاني: ومن قبل محمد كتاب موسى، قاله مجاهد.

﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني متقدماً علينا ورحمة لهم.

الثاني: إماماً للمؤمنين لاقتدائهم بما فيه ورحمة لهم.

﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني من كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل الأديان كلها لأنهم يتحزبون: قاله سعيد بن جبير.

الثاني: هم المتحزبون على رسول الله ﷺ المجتمعون على محاربته.

وفي المراد بهم ثلاثة أوجه:

أحدها: قريش، قاله السدي.

الثاني: اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أهل الملل كلها.

﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أي أنها مصيره، قال حسان بن ثابت(٥٧٦):

أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنار موعِدُها والموت لاقيها

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ منه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في مرية من القرآن قاله مقاتل.

الثاني: في مرية من أن النار موعد الكفار، قاله الكلبي، وهذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ

(٥٧٦) ديوانه: ٤٢٤.

﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ معناه ومن أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذباً بأن يدعي إنزال ما لم ينزل عليه أو ينفي ما أنزل عليه.

﴿أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهو حشرهم إلى موقف الحساب كعرض الأمير لجيشه، إلا أن الأمير يعرضهم ليراهم وهذا لا يجوز على الله تعالى لرؤيته لهم قبل الحشر.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ والأشهاد جمع، وفيما هو جمع له وجهان:

أحدهما: أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب.

والثاني: جمع شهيد مثل شريف وأشراف.

وفي الأشهاد أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم الملائكة، قاله مجاهد.

الثالث: الخلائق، قاله قتادة.

الرابع: أن الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد، قاله زيد بن أسلم.

قوله عزوجل: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني قريشاً.

وفي سبيل الله التي صدوا عنها وجهان:

أحدهما: أنه محمد ﷺ صدت قريش عنه الناس، قاله السدي.

والثاني: دين الله تعالى، قاله ابن عباس.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني يؤمنون بملة غير الإسلام ديناً، قاله أبو مالك.

الثاني: يبغون محمداً هلاكاً، قاله السدي.

الثالث: أن يتأولوا القرآن تأويلاً باطلاً، قاله عليّ بن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معنى لا جرم: لا بد.

الثاني أن ﴿لا﴾ عائد على الكفار، أي لا دافع لعذابهم، ثم استأنف فقال: جرم، أي كسب بكفره استحقاق النار، ويكون معنى جرم: كسب، أي بما كسبت يداه، قال الشاعر:

نَصَبنا رأسه في جذع نخل ... بما جَرَمت يداه وما اعتدينا

أي بما كسبت يداه.

الثالث: أن ﴿لا﴾ زائدة دخلت توكيداً، يعني حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قال الشاعر: (٥٧٧)

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارةُ بعدها أن يغضبوا.

أي أحقتهم الطعنة بالغضب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾

قوله عزوجل: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني خافوا ربهم، قاله ابن عباس.

الثاني: يعني اطمأنوا، قاله مجاهد.

الثالث: أنابوا، قاله قتادة.

---

(٥٧٧) هو أبو أسماء بن الضريبة وقيل غيره. والبيت في مجاز القرآن (١/١٤٧) واللسان (جرم) والاقتضاب: ٣١٣ وسيبويه (١/٤١٨) ومعاني القرآن (٨٠) وشواهد الكشاف ٣٢.

الرابع: خشعوا وتواضعوا لربهم، رواه معمر.
الخامس: أخلصوا إلى ربهم، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلاَّ ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ الأراذل جمع أرذل، وأرذل جمع رذل، والرذل الحقير، وعنوا بأراذلهم الفقراء وأصحاب المهن المتضعة.

﴿باديَ الرأي﴾ أي ظاهر الرأي، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إنك تعمل بأول الرأي من غير فكر، قاله الزجاج.

الثاني: أن ما في نفسك من الرأي ظاهر، تعجيزاً له، قاله ابن شجرة.

الثالث: يعني أن أراذلنا اتبعوك بأقل الرأي وهم إذا فكروا رجعوا عن اتباعك، حكاه ابن الأنباري.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من فضل تفضلون به علينا من دنياكم.

والثاني: من فضل تفضلون به علينا في أنفسكم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني على ثقة من ربي، قاله أبو عمران الجوني.(٥٧٨)

والثاني: على حجة من ربي، قاله عليّ بن عيسى.

(٥٧٨) وفيهاقراءة أخرى بتخفيف الميم وفتح العين هكذا «فَعَمِيت» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم زاد المسير (٤/٩٧).

﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الإيمان.

والثاني: النبوة، قاله ابن عباس.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني البينة في قوله ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي﴾.

وإنما قال ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ وهم الذين عموا عنها، لأنها خفيت عليهم بترك النظر فأعماهم الله عنها.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿فعميت عليكم﴾ بضم العين وتشديد الميم، وفي قراءة أُبي ﴿فعمّاها﴾ وهي موافقة لقراءة من قرأ بالضم[٥٧٩] على ما لم يسم فاعله.

وفي الذي عماها على هاتين القراءتين وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى عماها عليهم.

الثاني: بوسوسة الشيطان. وما زينه لهم من الباطل حتى انصرفوا عن الحق.

وإنما قصد نبي الله نوح بهذا القول لقومه أن يرد عليهم قولهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ليظهر فضله عليهم بأنه على بينة من ربه وآتاه رحمة من عنده وهم قد سلبوا ذلك، فأي فضل أعظم منه.

ثم قال تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ فيها وجهان:

أنلزمكم الرحمة، قاله مقاتل.

الثاني: أنلزمكم البينة وأنتم لها كارهون، وقبولكم لها لا يصح مع الكراهة عليها.

قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ
إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى
مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

(٥٧٩) وهي قراءة الأعمش أيضاً زاد المسير (٤/٩٧).

قوله عزوجل: ﴿. . وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لأنهم سألوه طرد من اتبعه من أراذلهم، فقال جواباً لهم ورداً لسؤالهم: وما أنا بطارد الذين آمنوا.

﴿إِنَّهُم مُّلَاقُواْ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون قال ذلك على وجه الإعظام لهم بلقاء الله تعالى.

الثاني: على وجه الاختصام، بأني لو فعلت ذلك لخاصموني عند الله.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم.

الثاني: تجلون في أنهم خير منكم لإيمانهم وكفركم.

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

قوله عزوجل: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ احتمل هذا القول من نوح عليه السلام وجهين:

أحدهما: أن يكون جواباً لقومه على قولهم ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا﴾.

الثاني: أن يكون جواباً لهم على قولهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فقال الله تعالى له قل: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾.

وفيها وجهان:

أحدهما: أنها الرحمة أي ليس بيدي الرحمة فأسوقها إليكم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الأموال، أي ليس بيدي أموال فأعطيكم منها على إيمانكم. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ فأخبركم بما في انفسكم. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ يعني فأباين جنسكم.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ والازدراء الإحتقار، يقال ازدريت عليه إذا عبته، وزريت عليه إذا حقرته.

وأنشد المبرد(٥٨٠):

يباعده الصديق وتزدريه حليلته وينهره الصغير

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ أي ليس لاحتقاركم لهم يبطل أجرهم أو ينقص ثوابهم، وكذلك لستم لعلوكم في الدنيا تزدادون على أجوركم.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني أنه يجازيهم عليه ويؤاخذهم به.

﴿إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني إن قلت هذا الذي تقدم ذكره.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يعني النبي ﷺ، افترى افتعل من قبل نفسه ما أخبر به عن نوح وقومه.

﴿قُلْ إِنْ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إجرامي﴾ وفي الإجرام وجهان:

أحدهما: أنه الذنوب المكتسبة. حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنها الجنايات المقصودة، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر(٥٨١):

طريد عشيرةٍ ورهين جرم بما جرمت يدي وجنى لساني

ومعناه: فعليّ عقاب إجرامي.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي وعليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ما أنا بريء منه.

وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟

(٥٨٠) وأورد الشوكاني البيت في فتح القدير (٢/٤٩٥) وقال: وأنشد الفراء...

(٥٨١) هو الهَيْرُدان بني خطار بن حفص السعدي والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٨٨) واللسان (جرم) والطبري (١٥/٣٠٦).

مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٌ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

قوله عزوجل ﴿وأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أنه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ حقق الله تعالى استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم، قال الضحاك: فدعا عليهم لما أخبر بهذا فقال: ﴿ربِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ديَّاراً. إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا تأسف ومنه قول يزيد بن عبد المدان(٥٨٢):

فارسُ الخيل إذا ما ولولت ربّةُ الخِدر بصوتٍ مبتئس

الثاني: فلا تحزن، ومنه قول الشاعر(٥٨٣):

وكم من خليلٍ أو حميم رُزئته فلم أبتئس والرزءُ فيه جَليلُ

والابتئاس: الحزن في استكانة، وأصله من البؤس، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: فلا تحزن لهلاكهم.

الثاني: فلا تحزن لكفرهم المفضي إلى هلاكهم.

قوله عزوجل: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: بحيث نراك، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن بها تكون الرؤية.

الثاني: بحفظنا إياك حفظ من يراك(٥٨٤).

---

(٥٨٢) هو يزيد بن عبدالله المدان من اليمن وهو شاعر أقبل مع خالد بن الوليد مع قومه الى رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة له ترجمة في الاصابة (٩٢٨٨) وفي سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٠).

(٥٨٣) فتح القدير (٢/ ٤٩٧).

(٥٨٤) اعلم أيها القارىء الكريم أن الرب تبارك وتعالى أخبر في كتابه أن له صفة العين وأخبر رسوله ﷺ كذلك في غير ما حديث صحيح وهذه الصفة نثبتها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل وعلى هذا الإثبات والنفي درج سلفنا الصالح رحمهم الله لإن السلف الصالح كانوا يمرون الآيات كما نزلت وكانوا يؤمنون بها إيماناً خالياً من التجسيم والتكيف وقد مر معك قول الشافعي رحمه الله تعالى حيث قال آمنت بما جاء عن الله بمراد الله وآمنت بما جاء عن رسول الله بمراد رسول الله ﷺ وكل عقائدهم تنسجم مع قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ومع قوله تعالى ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ فالله لا شبيه له ولا نظير ولا ند له في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله فيثبت لله ما أثبت لنفسه وينفي =

الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة.

ويحتمل وجهاً رابعاً: بمعونتنا لك على صنعها.

﴿وَوَحْيِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها.

الثاني: وتعليمنا لك كيف تصنعها.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ نهاه الله عن المراجعة فيهم فاحتمل نهيه أمرين:

أحدهما: ليصرفه عن سؤال ما لا يجاب إليه.

الثاني: ليصرف عنه مـأثم الممالأة للطغاة.

قوله عز وجل: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ قال زيد بن أسـلم: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ومائة سنة يعملها، واختلف في طولها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت مطبقة.

الثاني: ما قاله ابن عباس: كان طولها أربعمائة ذراع، وعلوها ثلاثون ذراعاً. وقال خصيف: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وكان في أعلاها الطير، وفي وسطها الناس وفي أسفلها السباع. ودفعت من عين وردة في يوم الجمعة لعشر مضين من رجب ورست بباقردي(٥٨٥) على الجودي يوم عاشوراء. قال قتادة وكان بابها في عرضها(٥٨٦).

= عنه الله ما نفاه عن نفسه ويثبت لله ما أثبته له رسوله وينفي عن الله ما نفاه عنه رسوله ﷺ. لذا فليحذر المسلم من آفات التجسيم والتمثيل فلقد ثبت في بعض الروايات عن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة أنه قال: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» وهذه الرواية أيضاً رويت عن الزاهد الصالح الشهير ذي النون المصري ولقد قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في رسالته الشهيرة المسماة بيان أهل السنة والجماعة قال: «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

(٥٨٥) وهو موضع بالقرب من جبل الجودي ذكره ياقوت في معجم البلدان بكسر القاف وفتح الدال.

(٥٨٦) ولا داعي للخوض في طول السفينة وعرضها ومن أي مادة هي لأن الله تعالى لم يبين لنا ذلك لم يثبت في السنة المطهره فالأولى الوقوف عند قول الله ورسوله ولا نتكلف علم ما غاب عنا ولقد أعجبني الامام =

﴿وكلّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ وفي سخريتهم منه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً.

الثاني: أنهم لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح: ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشيْ على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه.

﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن تسخروا من قولنا فسنسخر من غفلتكم.

الثاني: إن تسخروا من فِعلنا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غداً عند الغرق.

والمراد بالسخرية ها هنا الاستجهال. ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم.

قال ابن عباس: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه. قال: ومياه البحار بقية الطوفان.

فإن قيل: فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية؟ قيل: لأنه ذمٌّ جعله مجازاة على السخرية فجاء به على مزاوجة الكلام(٥٨٧)، وكان الزجاج لأجل هذا الاعتراض يتأوله على معنى إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلوننا.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

= الألوسي رحمه الله حيث سرد هذه الإسرائيليات في تفسيره ثم كر عليها بالسخرية قائلاً (١٢/٥٠) وسفينة الأخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها إذ هي غير سالمة من عيب فالحري بحال من لا يميل الى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام صنع السفينة حسبما قضى الله في كتابه ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ومن أي خشب صنعها وبكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة اهـ وكذا تكلم على هذه الروايات الفخر الرازي والحافظ ابن كثير وغيرهما.

(٥٨٧) أقول: ولهذا قال العلامة الألوسي (١٢/٥١) «وقيل لا مانع من أن يراد الظاهر ولا ضرر في ذلك الحديث الجزاء ومن هنا قال بعضهم إن في الآية دليلاً على جواز مقابلة نحو الجاهل والأحمق بمثل فعله ويشهد له قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ و﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾ ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى غير ذلك اهـ.

قوله عزوجل: ﴿حَتَّىٰ إذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تَنُّوراً، قاله ابن عباس وقيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

الثاني: أن التنور العين التي بالجزيرة «عين وردة»، رواه عكرمة.

الثالث: أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الرابع: أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها، قاله قتادة.

الخامس: أنه التنور الذي يخبز فيه، قيل له: إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك، قاله مجاهد.

قال الحسن: كان تنوراً من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح: وقال مقاتل: فارَ من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام، قال أمية بن الصلت:

فــار تنــورهم وجــاش بـمــاءٍ   صار فوق الجبال حتى علاهـا

السادس: أن التنور هو تنوير الصبح، من قولهم: نور الصبح تنويراً، وهو مروي عن علي رضي الله عنه.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني من الآدميين والبهائم ذكراً وأنثى.

﴿وأهْلَكَ﴾ أي احمل أهلك.

﴿إلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ من الله تعالى أنه يهلكهم وهو ابنه كنعان وامرأته كانا كافرين، قاله الضحاك وابن جريج.

﴿وَمَن آمَنَ﴾ أي احمل من آمن.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلَّا قَلِيلٌ﴾ واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ثمانون رجلاً منهم جرهم، قاله ابن عباس.

الثاني: ثمانين، قاله ابن جريج.

الثالث: سبعة[٥٨٨]، قاله الأعمش ومطر، وكان فيهم ثلاثة بنين: سام وحام

(٥٨٨) قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله (١٥/٣٢٧) «والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله» ﴿وما آمن من معه إلا قليل﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً ولم يحد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ =

ويافث، وثلاث بنات له ونوح معهم فصاروا سبعة.

وعلى القول الثاني: كانت فيهم امرأة نوح فصاروا ثمانية.

قال محمد بن عباد بن جعفر: فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح أن يغير الله نطفته فجاء السودان.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿وقال اركبوا فيها بِآسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيمٌ﴾** قال قتادة: ركب نوح عليه السلام في السفينة في اليوم العاشر من رجب، ونزل منها في اليوم العاشر من المحرم، وهو يوم عاشوراء، فقال لمن معه: من كان صائماً فليتم صومه، ومن لم يكن صائماً فليصمه.

وقوله **﴿بسم الله مجريها﴾** أي مسيرها، **﴿ومُرساها﴾** أي مثبتها، فكان إذا أراد السير قال: بسم الله مجريها، فتجري، وإذا أراد الوقوف قال: بسم الله مرساها. فتثبت واقفة.

قوله عز وجل: **﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾** قال ذلك لبقائه على كفره تكذيباً لأبيه، وقيل إن الجبل الذي أوى إليه طور زيتا.

﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا من رحم الله وهم أهل السفينة.

الثاني: إلا من رحم نوح فحمله في سفينته وقوله **﴿لا عاصم﴾** يعنى لا معصوم. **﴿من أمر الله﴾** يعني الغرق.

= صحيح فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله اذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله ﷺ».

وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾[٦٨٩] جعل نزول الماء فيها بمنزلة البلع، ومعناه ابلعي الماء الذي عليك، فروى الحسن والحسين عليهما السلام أن بعض البقاع امتنع أن يبلع ماءه فصار ماؤه مراً وترابه سبخا.

﴿ويا سماء أقلعي﴾ أي لا تمطري، من قولهم أقلع عن الشيء إذا تركه.

﴿وغيض الماء﴾ أي نقص حتى ذهبت زيادته عن الأرض.

﴿وقضي الأمر﴾ يعني بهلاك من غرق من قوم نوح.[٥٩٠].

﴿واستوت﴾ يعني السفينة.

﴿على الجودي﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جبل بالموصل، قاله الضحاك.

الثاني: أنه جبل بالجزيرة، قاله مجاهد. قال قتادة: هو بباقردى من أرض الجزيرة.

الثالث: أن الجودي اسم لكل جبل، ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل[٥٩١].

سبحانه ثم سُبحاناً يعود له   وقبلنا سبح الجوديُّ والجمد

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا

---

(٦٨٩) قال العلامة الألوسي رحمه الله (٦٣/١٢) «اعلم أن هذه الآيات الكريمة قد بلغت من مراتب الإعجاز أقاصيها واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان وكانت من سهري البلاغة مكان البستان اهـ ثم شرع رحمه الله في بيان أوجه البلاغة قرابة ثلاث صفحات فراجعها.

(٥٩٠) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (١١٣/٤).

فإن قيل: ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال؟

فالجواب: ان آجالهم حضرت فأميتوا بالغرق قاله الضحاك وابن جريج.

(٥٩١) ذكره ايضاً في فتح القدير (٥٠٠/٢).

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿ونادى نوحٌ ربه فقال رَبِّ إنَّ ابني من أهلي﴾ وإنما قال ﴿من أهلي﴾ لأن الله تعالى وعده أن ينجي أهله معه.

﴿وإن وعدك الحق﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الذي يحق فلا يخلف.

الثاني: الذي يلزم كلزوم الحق.

﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ يعني بالحق. فاحتمل هذا من نوح أحد أمرين: إما أن يكون قبل علمه بغرق ابنه فسأل الله تعالى له النجاة، وإما أن يكون بعد(٥٩٢) علمه بغرقه فسأل الله تعالى له الرحمة.

قوله عزوجل: ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ فيه ثلاثة أقاويل:(٥٩٣)

أحدها: أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشدة، قاله الحسن ومجاهد.

الثاني: أنه ابن امرأته.

الثالث: أنه كان ابنه، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك. قال ابن عباس: ما بغت امرأةنبي قط(٥٩٤).

(٥٩٢) وهو قول الواحدي أيضاً قال العلامة الآلوسي (٧١/١٢) «وزعم الواحدي أن السؤال قبل الغرق ومع العلم بكفره وذلك أن نوحاً عليه السلام لم يعلم أن سؤاله ربه نجاة ولده محظور عليه مع إصراره على الكفر حتى أعلمه الله تعالى ذلك واعترض بأنه إذا كان عالماً بكفره مع التصريح بأنه في أهله من يستحق العذاب كان طلب النجاة منكراً من المناكير فتدبر ا هـ.

(٥٩٣) اي لغير نكاح صحيح وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٤٤٨/٢) وقدنص غيرواحدمن الأئمة على تخطئة من ذهب الى تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه وانما كان ابن زنية ويحكي القول بأنه ليس بابنه وانما كان ابن امرأتـه عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج.

(٥٩٤) قال الحافظ ابن كثير (٤٤٩/٢) وكذا روي عن مجاهد ايضاً وعكرمة والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج وهو اختيار أبي جعفر الطبري وهو الصواب الذي لا شك فيه ا هـ. قلت وإليه ذهب عدد كبير من المفسرين.

وقيل إن اسمه كان كنعان، وقيل بل كان اسمه يام.

قال الحسن: وكان منافقاً ولذلك استعجل نوح أن يناديه فعلى هذا يكون في تأويل قوله تعالى ﴿إنه ليس من أهلك﴾ وجهان:

أحدهما: ليس من أهل دينك وولايتك، وهو قول الجمهور.

الثاني: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، قاله سعيد بن جبير.

﴿إنه عملٌ غير صالحٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن مسألتك إياي أن أنجيه **عمل** غير صالح، قاله قتادة وإبراهيم وهو تأويل من قرأ عمـلٌ غير صالح بالتنوين.

والثاني: معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ، أي أنه لغير رشدة، قاله الحسن(٥٩٥).

والثالث: أنه **عملٌ** غير صالحٍ، قاله ابن عباس، وهو تأويل من لم ينون.

﴿فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فيما نسبته إلى نفسك وليس منك.

الثاني: في دخوله في جملة من وعدتك بإنجائهم من أهلك وليس منهم.

﴿إني أعظُك أن تكون من الجاهلين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الجاهلين بنسبك.

الثاني: من الجاهلين بوعدي لك.

وفي قوله **﴿إني أعظك﴾** تأويلان:

أحدهما: معناه إني رافعك أن تكون من الجاهلين.

الثاني: معناه أني أحـذرك ومنه قـوله تعـالى **﴿يعظكم الله أن تعـودوا لمثله أبداً﴾** أي يحذرّكم.

قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ

(٥٩٥) راجع ما كتب في تعليق رقم ٢٧.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ
ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ
وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

قوله عز وجل: ﴿يُرْسِلِ السماء عليكم مدراراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه المطر في إبانه، قاله هارون التيمي(٥٩٦).

الثاني: المطر المتتابع، قاله ابن عباس.

ويحتمل وجهين آخرين:

أحدهما: يُدرّه عند الحاجة.

والثاني: يُدرُّ به البركة، وهو مأخوذ من درور اللبن من الضرع.

﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني شدة إلى شدتكم، قاله مجاهد.

الثاني: خصباً إلى خصبكم، قاله الضحاك.

الثالث: عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم وأموالكم، قاله علي بن عيسى.

الرابع: أنه ولد الولد، قاله عكرمة.

ويحتمل خامساً: يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوتكم في أبدانكم.

قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ

(٥٩٦) وقول هارون التيمي رواه أبو الشيخ كما في الدر (٤٤٣/٤) ونصه قال في قوله ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ قال يدر ذلك عليهم مطراً ومطراً. وإذا كان ذلك كذلك فلا فرق بين تفسير ابن عباس وهارون التيمي.

﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ
عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ
هُودٍ ﴿٦٠﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . إن ربي على صراط مستقيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على الحق، قاله مجاهد.

الثاني: على تدبير محكم، قاله علي بن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أنه على طريق الآخرة في مصيركم إليه للجزاء وفصل القضاء(٥٩٧).

۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . هو أنشأكم من الأرض﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: خلقكم من الأرض لأنكم من آدم وآدم من الأرض، قاله السدي.

والثاني: معناه أنشأكم في الأرض.

والثالث: أنشأكم بنبات الأرض(٥٩٨).

---

(٥٩٧) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢ / ٤٥٠) وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ولا توالي ولا تعادى وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك والتصرف وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله الا هو ولا رب سواه.

(٥٩٨) كما قال تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح: ١٧].

﴿واستعمركم فيها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم، قاله مجاهد، من قولهم أعمر فلان فلاناً داره فهي له عمرى (٥٩٩).

الثاني: أمركم بعمارة ما تحتاجون (٦٠٠) إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار، قاله علي بن عيسى.

الثالث: أطال فيها أعماركم، قال الضحاك، كانت أعماركم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة.

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾

قوله عز وجل ﴿قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجُوّاً قَبل هذا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي مؤملاً برجاء خيرك.

الثاني: أي حقيراً من الإرجاء وهو التأخير، فيكون على الوجه الأول عتباً، وعلى الثاني زجراً.

قوله عزوجل: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كُنْتُ على بينةٍ من ربي﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على حق بيّن.

الثاني: على حجة ظاهرةٍ. وقال الكلبي على دين من ربي.

﴿وآتاني منه رحمة﴾ قال ابن جرير الطبري (٦٠١) يعني النبوة والحكمة.

---

(٥٩٩) بضم فسكون مقصور وهي كما قال الراغب الأصفهاني في العطية أن تجعل له شيئاً مدة عمرك أو عمره نقله في روح المعاني (١٢/٨٨).

(٦٠٠) قال العلامة الآلوسي رحمه الله (١٢/٨٨) واستدل بالآية على أن عمارة الأرض واجبة لهذا الطلب. وقسمها في الكشاف الى واجب كعمارة القناطر اللازمة والمسجد الجامع ومندوب كعمارة المساجد ومباح كعمارة المنازل وحرام كعمارة الحانات وما يبتنى للمباهاة أو من مال حرام كأبنية كثير من الظلمة.

(٦٠١) جامع البيان (١٥/٣٧٠).

﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾ أي فمن يدفع عني عذاب الله إن عصيته بطاعتكم.

﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني ما تزيدونني في احتجاجكم باتباع آبائكم إلا خساراً تخسرونه أنتم، قاله مجاهد.

الثاني: فما تزيدونني مع الرد والتكذيب إن أجبتم إلى ما سألتم إلا خساراً لاستبدال الثواب بالعقاب.

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن جبريل عليه السلام صاح بهم.

الثاني: أن الله تعالى أحدثها في حيوان صاح بهم.

الثالث: أن الله تعالى أحدثها من غير حيوان.

﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ لأن الصيحة أخذتهم ليلاً فأصبحوا منها هلكى.

﴿في ديارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في منازلهم وبلادهم، من قولهم هذه ديار بكر وديار ربيعة.

الثاني: في دار الدنيا لأنها دار لجميع الخلق.

وفي ﴿جاثمين﴾ وجهان:

أحدهما: مبيتين، لأن الصيحة كانت بياتاً في الليل، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني : هلكى بالجثوم .

وفي الجثوم تأويلان :

أحدهما : أنه السقوط على الوجه .

الثاني : أنه القعود على الرُّكب .

قوله عزوجل : ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ فيه وجهان :

أحدهما : كأن لم يعيشوا فيها .

الثاني : كأن لم ينعموا فيها .

﴿ألا إنَّ ثمود كفروا ربهم﴾ فيه وجهان :

أحدهما : كذبوا وعيد ربهم .

الثاني : كفروا بأمر ربهم .

﴿ألا بُعْداً لثمود﴾ فقضى عليهم بعذاب الاستئصال فهلكوا جميعاً إلا رجلاً منهم وهو أبو رمحان(٦٠٢) كان في حرم الله تعالى فمنعه الحرم من عذاب الله تعالى(٦٠٣) .

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ . أما إبراهيم ففيه وجهان :

أحدهما : أنه اسم أعجمي ، قاله الأكثرون . وقيل معناه أب رحيم .

---

(٦٠٢) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب أبو رغال والتصويب من الطبري (١٥/ ٣٨٠) .

(٦٠٣) وقد تقدم في سورة الأعراف نبأ هلاكهم وكيف حل عليهم غضب الله عز وجل .

الثاني: أنه عربي مشتق من البرهمة وهي إدامة النظر.

والرسل جبريل ومعه ملكان قيل إنهما ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان المرسل مع جبريل اثني عشر ملكاً.

وفي البشرى التي جاءوه بها أربعة أقاويل:

أحدها: بشروه بنبوّته، قاله عكرمة.

الثاني: بإسحاق(٦٠٤)، قاله الحسن.

الثالث: بشروه بإخراج محمد ﷺ من صلبه وأنه خاتم الأنبياء.

الرابع: بشروه بهلاك قوم لوط، قاله قتادة.

﴿قالوا سلاماً قال سلامٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تحية من الملائكة لإبراهيم عليه السلام فحياهم بمثله فدل على أن السلام تحية الملائكة والمسلمين جميعاً.

الثاني: سلمت أنت وأهلك من هلاك قوم لوط.

وقوله ﴿سلام﴾ أي الحمد لله الذي سلّمني، فمعنى سلام: سلمت.

وقرأ (٦٠٥) حمزة والكسائي ﴿سِلم﴾ بكسر السين وإسقاط الألف.

واختلف في السلم والسلام على وجهين:

أحدهما: أن السلم من المسالمة والسلام من السلامة.

الثاني: أنهما بمعنى واحد، قال الشاعر، وقد أنشده الفراء لبعض العرب(٦٠٦):

وقفنا فقلنا إيه سِلْم فسَلّمَتْ كما اكتلَّ بالبرْقِ الغمامُ اللوائحُ

﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ ظنَّ رُسُل ربه أضيافاً لأنهم جاؤوه في صورة الناس فعجل لهم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ.

وفي الحنيذ قولان:

(٦٠٤) وهذا القول أول الأقوال لدلالة سياق الآية عليه لأن الله تعالى قال في سورة الصافات ﴿وبشروه بغلام حليم﴾ راجع فتح القدير (٢/٥٩) وروح المعاني (١٢/٩٣).

(٦٠٥) راجع المبسوط في القراءات ص ٢٤١ وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٢٧).

(٦٠٦) وفي نسخه أخرى للمخطوطة نسب البيت لأبي الرمة غيلان بن عقبة. والبيت في اللسان (كلل) والطبري (١٥/٣٨٢) وحاشية الكشاف (٢/٢٢٤) وأول البيت في هذه المصادر «مررنا فقلنا» وأما ما ذكره المؤلف هنا فلعله رواية أخرى للبيت.

أحدهما: أنه الحار، حكاه أبان بن تغلب عن علقمة النحوي.

الثاني: هو المشوي نضيجاً وهو المحنوذ مثل طبيخ ومطبوخ وفيه قولان:

أحدهما: هو الذي حُفر له في الأرض ثم غُمَّ فيها، قال الشاعر:

اذا ما اعتبطنا اللحم للطالب القِرى   حنذناه حتى عَين اللحم آكله

الثاني: هو أن يوقد على الحجارة فإذا اشتد حرها ألقيت في جوفه ليسرع نضجه، قال طرفة بن العبد:

لهم راحٌ وكافور ومسكٌ   وعِقر الوحش شائلة حنوذ

قوله عز وجل: ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ في نكرهم وأنكرهُم وجهان:

أحدهما: أن معناهما مختلف، فنكرهم إذا لم يعرفهم وأنكرهم إذا وجدهم على منكر.

الثاني: أنهما بمعنى واحد، قال الأعشى(٦٠٧):

وأنكرَتْني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصّلَعا

واختلف في سبب إنكاره لهم على قولين:

أحدهما: أنهم لم يطعموا، ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شراً، فنكرهم إبراهيم لذلك، قاله قتادة.

والثاني: لأنه لم تكن لهم أيدي فنكرهم، قاله يزيد بن أبي حبيب.

وامتنعوا من طعامه لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أضمر في نفسه خوفاً منهم.

والثاني: أحسّ من نفسه تخوفاً منهم، كما قال يزيد بن معاوية(٦٠٨).

جاء البريد بقرطاس يُخَبُّ به   فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

﴿قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط﴾ يعني بهلاكهم.

---

(٦٠٧) مجاز القرآن (١/٢٩٣) وشواهد الكشاف (١٦٩) واللسان «نكر» والطبري (١٥/٣٨٨) والتاج «نكر» ديوانه: ١٠٤.

(٦٠٨) وفي فتح القدير للشوكاني (٢/٥١٠) «جاء البريد بقرطاس يحث به»..

وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان:

أحدهما: ليزول خوفه منهم.

والثاني: لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول: ويحكم أينهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ وفي قيامها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب.

الثاني: أنها كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد.

الثالث: أنها كانت قائمة تُصَلّي، قاله محمد بن إسحاق.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني حاضت، قاله مجاهد والعرب تقول ضحكت المرأة إذا حاضت، والضحك الحيض في كلامهم، قال الشاعر(٦٠٩):

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الخوف يوم اللّقا

والثاني: أن معنى ضحكت: تعجبت، وقد يسمى التعجب ضحكاً لحدوث الضحك عنه، ومنه قول أبي ذؤيب(٦١٠):

فجاء بمزجٍ لم ير الناس مثله هو الضحك إلّا انه عمل النحل

الثالث: أنه الضحك المعروف في الوجه، وهو قول الجمهور.

فإن حمل تأويله على الحيض ففي سبب حيضها وجهان:

أحدهما: أنه وافق وقت عادتها فخافت ظهور دمها وأرادت شداده فتحيرت مع حضور الرسل.

والقول الثاني: ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن يكون الحيض بشيراً بالولادة لأن من لم تحض لا تلد.

وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجبت منه أربعة أقاويل:

---

(٦٠٩) اللسان ضحك والطبري (١٥/٣٩٣) وفتح القدير للشوكاني (٢/٥١٠).

(٦١٠) ديوانه (١/٤٢) واللسان (ضحك) والطبري (١٥/٣٩٣).

أحدها: أنها تعجبت من أنها وزوجها يخدمان الأضياف تكـرمة لهم وهم لا يأكلون، قاله السدي.

الثاني: تعجبت من أن قوم لوط قد أتاهم العذاب وهم[٦١١] غافلون، قاله قتادة.

الثالث: أنها تعجبت من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، قاله وهب بن منبه.

الرابع: أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار، قاله عون بن أبي شداد.

وإن حمل تأويله على ضحك الوجه ففيما ضحكت منه أربعة أقاويل:

أحدها: ضحكت سروراً بالسلامة.

الثاني: سروراً بالولد.

الثالث: لما رأت ما بزوجها من الورع، قاله الكلبي.

الرابع: أنها ضحكت ظناً بأن الرسل يعملون عمل قوم لوط[٦١٢]، قاله محمد بن عيسى.

﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ وفي ﴿وراء﴾ ها هنا قولان:

أحدهما: أن الوراء ولد الولد، قاله ابن عباس والشعبي.

الثاني: أنه بمعنى بعد، قاله مقاتل، وقال النابغة الذبياني[٦١٣]:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

فعجلوا لها البشرى بالولدين مظاهرة للنعمة ومبالغة في التعجب، فاحتمل أن يكون البشارة بهما باسميهما فيكون الله تعالى هو المسمى لهما، واحتمل أن تكون البشارة بهما وسماها أبوهما.

فإن قيل: فلم خصت سارة بالبشرى من دون إبراهيم؟ قيل عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنها لما اختصت بالضحك خصت بالبشرى.

---

(٦١١) ورجحه الطبري (١٥/ ٣٩٤).

(٦١٢) واين الدليل على ما قاله محمد هنا.

(٦١٣) ديوانه: ٧٢.

الثاني: أنهم كافأوها بالبشرى مقابلة على استعظام خدمتها.

الثالث: لأن النساء في البشرى بالولد أعظم سروراً وأكثر فرحاً.

قال ابن عباس: سمي إسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به.

قوله عز وجل: **﴿قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوزٌ وهذا بَعْلي شيخا﴾** لم تقصد بقولها يا ويلتا الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخفُّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه، وعجبت من ولادتها وهي عجوز وكون بعلها شيخاً لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر.

واختلف في سنها وسن إبراهيم حينئذ، فقال مجاهد: كان لسارة تسع وتسعون سنة وكان لإبراهيم مائة سنة.

وقال محمد بن إسحاق: كانت سارة بنت تسعين سنة وكان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة.

وقال قتادة: كان كل واحد منهما ابن تسعين سنة.

وقيل انها عرّضت بقولها **﴿وهذا بعلي شيخاً﴾** عن ترك غشيانه لها. والبعل هو الزوج في هذا الموضع، ومنه قوله تعالى **﴿وبعولتهن أحق بردّهن في ذلك﴾**. [البقرة: ٢٢٨]

والبعل: المعبود، ومنه قوله تعالى **﴿أتدعون بعلاً﴾** [الصافات: ١٢٥] أي اليها معبوداً.

والبعل السيد، ومنه قول لبيد:

حاسري الديباج عن أذرعهم ... عند بعل حازم الرأي بَطل

فسمي الزوج بعلاً لتطاوله على الزوجة كتطاول السيد على المسود.

﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ أي منكر، ومنه قوله تعالى **﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾** [ق: ٢] أي أنكروا. ولم يكن ذلك منها تكذيباً ولكن استغراباً له.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرّوع﴾ يعني الفزع، والرُّوع بضم الراء النفس، ومنه قولهم ألقى في رُوعي أي في نفْسي.

﴿وجاءتْهُ البشرى﴾ أي بإسحاق ويعقوب.

﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جادل الملائكة بقوله ﴿إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ [العنكبوت: ٣٢] قاله الحسن.

الثاني: أنه سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها أربعون؟ قالوا: لا، إلى أن أنزلهم إلى عشرة، فقالوا لا، قاله قتادة.

الثالث: أنه سألهم عن عذابهم هل هو عذاب الاستئصال فيقع بهم لا محالة على سبيل التخويف ليؤمنوا، فكان هذا هو جداله لهم وإن كان سؤالاً لأنه خرج مخرج الكشف عن أمر غامض.

قال أبو مالك: ولم يؤمن بلوط إلا ابنتاه رقية وهي الكبرى وعروبة وهي الصغرى.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
(٧٧) وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ
رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)

قوله عز وجل: ﴿ولما جاءَت رُسُلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ قال ابن عباس: ساء ظنه بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه.

ويحتمل وجهاً آخر أنه ساء ظنه برسل ربه، وضاق ذرعاً بخلاص نفسه لأنه نكرهم قبل معرفتهم.

﴿وقال هذا يومٌ عصيب﴾ أي شديد لأنه خاف على الرسل من قومه أن يفضحوهم على قول ابن عباس. وعلى الاحتمال الذي ذكرته خافهم على نفسه فوصف يومه بالعصيب وهو الشديد، قال الشاعر(٦١٤):

(٦١٤) مجاز القرآن (١/٢٩٤) والطبري (١٥/٤١٠).

وإنــك إلاّ تــرض بــكــر بــن وائــل يكن لــك يــومٌ بــالـعــراق عصيب

قال أبو عبيدة: وإنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر، قال الكلبي: كان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ.

قوله عزوجل: ﴿وجاءه قومُه يهرعون إليه﴾ أي يسرعون، والإهـراع بين الهرولة والحجزى. قال الكسائي والفراء: لا يكون الإهراع إلا سراعاً مع رعدة.

وكان سبب إسراعهم إليه أن أمرأة لوط أعلمتهم بأضيافه وجَمـالهم فأسـرعوا إليهم طلباً للفاحشة منهم.

﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قبل إسراعهم اليه كانوا ينكحون الذكور، قاله السدي.

الثاني: أنه كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة، قاله عمر بن أبي زائدة.

﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هُنَّ أطهر لكم﴾ قال لهم لوط ذلك ليفتدي أضيافه منهم.

﴿هؤلاء بناتي﴾ فيهن قولان:

أحدهما: أنه أراد نساء أمته ولم يرد بنات نفسه. قال مجاهد وكـل نبي أبو أمّته وهم أولاده. وقال سعيد بن جبير: كان في بعض القرآن: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم.

الثاني: أنه أراد بنـات نفسه وأولاد صلبـه لأن أمره فيهن أنفـذ من أمره في غيرهن، وهو معنى قول حذيفة بن اليمان.

فإن قيل: كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته؟

قيل عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتى نسخ، قاله الحسن.

الثاني: أنه يزوجهم على شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح.

الثالث: أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا تعريض بخطبتهن، قاله ابن أبي نجيح.

﴿هن أطهرلكم﴾ أي أحل لكم بالنكاح الصحيح.،

﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تذلوني بعار الفضيحة، ويكون الخزي بمعنى الذل.

الثاني: لا تهلكوني بعواقب فسادكم، ويكون الخزي بمعنى الهلاك.

الثالث: أن معنى الخزي ها هنا الاستحياء، يقال خزي الرجل إذا استحى، قال الشاعر[٦١٥]:

من البيض لا تخزى إذا الريح ألصقت بها مِرطها أو زايل الحلي جيدها

والضيف: الزائر المسترقد، ينطلق على الواحد والجماعة، قال الشاعر[٦١٦]:

لا تعدمي الدهر شفار الجازر للضيف والضيف أحق زائر

﴿أليس منكم رجلٌ رشيد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي مؤمن، قاله ابن عباس.

الثاني: آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر، قاله أبو مالك.

ويعني: رجل رشيد ليدفع عن أضيافه، وقال ذلك تعجباً من اجتماعهم على المنكر.

قوله عزوجل: ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما لنا فيهن حاجة، قاله الكلبي.

الثاني: [٦١٧] ليس لنا بأزواج، قاله محمد بن إسحق.

﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلم أننا لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وليس منا رجل إلا له امرأة، قاله الكلبي.

الثاني: أننا نريد الرجال.

---

(٦١٥) انظر زاد المسير (٤/ ١٣٨).

(٦١٦) انظر فتح القدير (٢/ ٥١٤).

(٦١٧) كذا وفي المطبوعة والصواب لست لنا بأزواج والتصحيح من زاد المسير (٤/ ١٣٩) حيث نقل هذا القول بتمامه وزاد نسبته لابن قتيبة ولا يفوتن الى انين الى أن محقق المطبوعة قد نبه على ذلك فجزاه الله خيراً.

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

قوله عز وجل: ﴿**قال لو أن لي بكم قوة**﴾ يعني أنصاراً. وقال ابن عباس: أراد الولد.

﴿**أو آوي إلى رُكنٍ شديد**﴾ يعني إلى عشيرة مانعة. وروى أبو سلمة عن أبي هريرة(٦١٨) أن رسول الله ﷺ قال «**يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**». يعني الله تعالى قال رسول الله ﷺ: «**فما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه**».

قال وهب بن منبه: لقد وجدت الرسل على لوط وقالوا: إن ركنك لشديد.

قوله عز وجل: ﴿**قالوا يا لوط إنا رُسُل ربِّك لن يصلوا إليك**﴾ وفي اسمه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثرين.

الثاني: أنه اسم عربي مأخوذ من قولهم: لطتُ الحوض إذا ملسته بالطين.

وقيل إن لوطاً كان قائماً على بابه يمنع قومه من أضيافه، فلما أعلموه أنهم رسل ربه مكّن قومه من الدخول فطمس جبريل عليه السلام على أعينهم فعميت، وعلى أيديهم فجفت.

﴿**فأسْرِ بأهلك**﴾ أي فسِرْ بأهلك ليلاً، والسُرىٰ سير الليل، قال عبد الله بن رواحة:

عند الصباح يحمد القوم السُرَى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

يقال وأسرى وفيهما وجهان:

أحدهما: أن معناهما في سير الليل واحد.

الثاني: أن معناهما مختلف، فأسرى إذا سار من أول الليل، وسرى إذا سار في آخره، ولا يقال في النهار إلا سار، قال لبيد:

---

(٦١٨) رواه الطبري (١٥/٤١٦ ـ ٤٢٠) واللفظ له والترمذي (٢/١٣٩) وحسنه والحاكم (٢/٥٦١) وصححه على شرط مسلم ورواه البخاري (٦/٢٩٧) إلا قوله «وما بعث الله نبياً. .» الخ.

إذا المرءُ أسرى ليلة ظن أنه قضى عملاً، والمرءُ ما عاش عامِلُ

﴿بقطعٍ من الليل﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه سواد الليل، قاله قتادة.

الثاني: أنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين، ومنه قول الشاعر(٦١٩):

ونائحةٍ تنوح بقطع ليل على رجلٍ بقارعة الصّعيد

الثالث: أنه الفجر الأول، قاله حميد بن زياد.

الرابع: أنه قطعة من الليل، قاله ابن عباس.

﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا ينظر وراءه منكم أحد، قاله مجاهد.

الثاني: يعني لا يتخلف منكم أحد، قاله ابن عباس:

الثالث: يعني لا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو امتناع، حكاه علي بن عيسى.

﴿إلا امرأتك إنّه مُصيبها ما أصابهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله ﴿إلا امرأتك﴾ استثناء من قوله ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك﴾ وهذا قول من قرأ ﴿إلا امرأتك﴾ بالنصب.

الثاني: أنه استثناء من قوله ﴿ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك﴾ وهو على معنى البدل إذا قرئ(٦٢٠) بالرفع.

﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾ فذكر قتادة أنها خرجت مع لوط من القرية فسمعت الصوت فالتفتت، فأرسل الله عليها حجراً فأهلكها.

﴿إنّ موعدهم الصبح أليْسَ الصُّبحُ بقريبٍ﴾ فروى(٦٢١) عن النبي ﷺ أنه قال «إن لوطاً لما علم أنهم رسل ربه قال: فالآن إذن فقال له جبريل عليه السلام ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقاتاً

---

(٦١٩) هو مالك بن كنانة والبيت أورده صاحب روح المعاني (١٢/١٠٩) والشطر الثاني فيه على رجل أهانته شعوب.

(٦٢٠) وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو المبسوط ص ٢٤١.

(٦٢١) وقد رواه الطبري (١٥/٤٢٥، ٤٢٦) عن حذيفة موقوفاً مطولاً وبنحوه رواه (١٥/٤٢٤) عن سعيد بن جبير وتصدير المؤلف للخبر بروى يشعر بضعفه والله أعلم.

لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع .

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿فلمّا جاء أمرُنا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أمر الله تعالى للملائكة.

الثاني: أنه وقوع العذاب بهم.

الثالث: أنه القضاء بعذابهم.

﴿جعلنا عاليَها سافلَها﴾ قال محمد بن كعب القرظي إن الله تعالى بعث جبريل إلى مؤتفكات قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجّيل حتى أهلكها وما حولها، وكن خمساً: صبغة ومقرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى(٨٢٢).

وقال قتادة: كانوا في ثلاث قرى يقال لها سدوم بين المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف(٦٢٣).

﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أنه فارسي معرب وهو «سنك وكيل» فالسنك: الحجر، والكيل الطين، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء، ذكره ابن عيسى.

الثالث: أنه الحجارة الصلبة الشديدة، قاله أبو عبيدة وأنشد قول ابن مقبل(٦٢٤):

---

(٨٢٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٢/٥١٧) وقد ذكر المفسرون روايات وقصصاً في كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة وليس في ذكرها فائدة لا سيما وبين من قال بشيء من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويل ولا يتيسر له في مثله إسناد صحيح وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب وحالهم في الرواية معروف وقد أُمرنا بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم. . اهـ.

(٦٢٣) وقيل في كل قرية مائة ألف وهو قول قتادة أيضاً وقد حدث اختلاف كبير في أسماء القرى الخمس راجع الطبري (١٥/٤٢٦).

(٦٢٤) مجاز القرآن (١/٢٩٦) والطبري (١٥/٤٣٤) واللسان «سجن» وجمهرة أشعار العرب ١٦٢، منتهى الطلب ٤٤ والمعاني الكبير، واللسان «سجيل» وروى الشطر الثاني ضرباً تواصى به الأبطال سجيلاً.

ورحلة يضربون البيض عن عَرَضٍ ضربا تواصى به الأبطال سجِّينا

إلا أن النون قلبت لاماً.

الرابع: من سجيل يعني من سماء اسمها سجيل، قاله ابن زيد(٦٢٥).

الخامس: من سجيل من جهنم واسمها سجين فقلبت النون لاماً.

السادس: أن السجيل من السجل وهو الكتاب وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها، وفي التنزيل ﴿**كلا إن كتاب الفجار لفي سجين. وما أدراك ما سجين. كتاب مرقوم**﴾ [المطففين: ٧ ـ ٩].

السابع: أنه فِعِّيل من السجل وهو الإرسال، يقال أسجلته أي أرسلته، ومنه سمي الدلو سجلاً لإرساله فكان السجيل هو المرسل عليهم.

الثامن: أنه مأخوذ من السجل الذي هو العطاء، يقال سجلت له سجلاً من العطاء، فكأنه قال سُجلوا البلاء أي أعطوه.

﴿**منضود**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: قد نُضِّد بعضه على بعض، قاله الربيع.

الثاني: مصفوف، قالة قتادة.

قوله عزوجل: ﴿**مسومة عند ربك**﴾ والمسومة: المعلّمة، مأخوذ من السيماء وهي العلامة، قال الشاعر(٦٢٦):

غُلامٌ رماه الله بالحُسْن يافعا له سيمياءُ لا تشقُّ على البصر

وفي علامنها قولان:

أحدهما: أنها كانت مختمة، على كل حجر منها اسم صاحبه.

الثاني: معلمة ببياض في حمرة، على قول ابن عباس، وقال قتادة: مطوقة بسواد في حمرة.

﴿**عند ربك**﴾ فيه وجهان:

---

(٦٢٥) وقد تعقب هذا القول والذي يليه أبو حيان كما نقله عنه الألوسي في روح المعاني(١٢/١١٣)قال: قال أبو حيان: وهو ضعيف لوصفه بقوله سبحانه منضود أي نضد ووضع بعضه على بعض معداً لعذابهم أو نضد في الارسال يرسل بعضه إثر بعض كقطار الأمطار ولا يخفى أن هذه المعاني كما تأبى ما قال أبو العالية وابن زيد تأبى بحسب الظاهر ما قيل إن المراد بها جهنم».

(٦٢٦) هوأسيد بن عنقاء الفزاري والبيت في اللسان «سام».

أحدهما: في علم ربك، قاله ابن بحر.

الثاني: في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره.

﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ذلك وعيداً لظالمي قريش، قاله مجاهد.

الثاني: وعيد لظالمي العرب، قاله عكرمة.

الثالث: وعيد لظالمي هذه الأمة، قاله قتادة.

الرابع: وعيد لكل ظالم (٦٢٧)، قاله الربيع.

وفي الحجارة التي أمطرت قولان:

أحدهما: أنها أمطرت على المدن حين رفعها.

الثاني: أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

قوله عزوجل: **﴿وإلى مَدْين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبُدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** ومدين هم قوم شعيب، وفي تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما: لأنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقيل مدين والمراد بنو مدين، كما يقال مضر والمراد بنو مضر.

الثاني: أن مدين اسم مدينتهم فنسبوا إليها ثم اقتصر على اسم المدينة تخفيفاً.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي.

الثاني: أنه اسم عربي وفي اشتقاقه وجهان:

أحدهما: أنه من قولهم مدن بالمكان إذا أقام فيه، والياء زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة.

---

(٦٢٧) وفي الطبري (١٥/ ٤٣٩) أن هذا قول قتادة وكذا نسبه اليه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٤٦).

الثاني: أنه مشتق من قولهم دَيَنْت أي ملكت والميم زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل.

وأما شعيب فتصغير شعب وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الطريق في الجبل.

الثاني: أنه القبيلة العظيمة.

الثالث: أنه مأخوذ من شَعْب الإناء المكسور.

﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف.

﴿إني أراكم بخير﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه رخص السعر، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: أنه المال وزينة الدنيا، قاله قتادة وابن زيد.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أنه الخصب والكسب.

﴿إني أخافُ عليكم عذاب يوم ٍمحيط﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: غلاء السعر، وهو مقتضى قول ابن عباس والحسن.

الثاني: عذاب الاستصال في الدنيا.

الثالث: عذاب النار في الآخرة.

وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

قوله عزوجل: ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ فيها ستة أقاويل:

أحدها: يعني طاعة الله تعالى خير لكم، قاله مجاهد.

الثاني: وصية من الله، قاله الربيع.

الثالث: رحمة الله، قاله ابن زيد.

الرابع: حظكم من ربكم خير لكم، قاله قتادة.

الخامس: رزق الله خير لكم، قاله ابن عباس.

السادس: ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان خير لكم، قاله ابن جرير الطبري[٦٢٨].

﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: حفيظ من عذاب الله تعالى أن ينالكم.

الثاني: حفيظ لنعم الله تعالى أن تزول عنكم.

الثالث: حفيظ من البخس والتطفيف إن لم تطيعوا فيه ربكم.

قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

قوله عزوجل: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ في ﴿صلاتك﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: قراءتك، قاله الأعمش.

الثاني: صلاتك التي تصليها للّه تعبّداً.

الثالث: دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع، ومنه أخذ المصلي في الخيل.

﴿تأمرك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تدعوك إلى أمرنا.

الثاني: فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الأوثان والأصنام.

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما كانوا عليه من البخس والتطفيف.

الثاني: الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها، قاله زيد بن أسلم وسفيان الثوري.

الثالث: قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه، قاله زيد بن أسلم.

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك استهزاء به، قاله قتادة.

---

(٦٢٨) جامع البيان (١٥/٤٤٧).

الثاني : معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه النفي ، قاله ابن عباس .

الثالث: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه الحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلِم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله، قال ابن بحر.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل : ﴿قال يا قوم أرأيتُم إن كُنتُ على بيِّنةٍ من ربي﴾ قد ذكرنا تأويله .

﴿ورزقني منه رِزقاً حسناً﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه المال الحلال، قاله الضحاك .

قال ابن عباس وكان شعيب كثير المال .

الثاني : أنه النبوة، ذكره ابن عيسى ، وفي الكلام محذوف وتقديره : أفأعدل مع ذلك عن عبادته .

ثم قال ﴿وما أريدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أي لا أفعل ما نهيتكم عنه كما لا أترك ما أمرتكم به .

﴿إنْ أريد إلا الإصلاح مـا استطعت﴾ ومعنـاه ما أريـد إلا فعل الصـلاح ما استطعت، لأن الاستطاعة من شرط الفعل دون الإرادة .

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلْتُ وإليه أُنيب﴾(٦٢٩) فيه وجهان :

أحدهما : أنّ الإنابة الرجوع ومعناه وإليه أرجع ، قاله مجاهد .

الثاني : أن الإنابة الدعاء، ومعناه وإليه أدعو، قاله عبيد الله بن يعلى .

(٦٢٩) **فائدة :** قال البيضاوي في انوار التنزيل ص «إن لأجوبته عليه السلام الثلاثة يعني ﴿يا قوم أرأيتم. .﴾ الخ . ﴿وما أريد أن أحالفكم﴾ الخ ﴿وإن أريد إلا الاصلاح﴾ على هذا النسق شأناً وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره ثلاثة حقوق أهمها وأعلاها حق الله تعالى فإن الجواب الأول متضمن بيان حق الله تعالى من شكر نعمته والاجتهاد في خدمته وثانيها حق النفس فإن الجواب الثاني قد ضمن بيان حق نفسه في كفها عما ينبغي أن ينتهي عنه غيره وثالثها حق الناس فإن الجواب الثالث متضمن للاشارة إلى أن حق الغير عليه اصلاحه وارشاده. . ونقله الألوسي في روح المعاني (١٢/١٢١).

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

قوله عزوجل: ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾

في **﴿يجرمنكم﴾** تأويلان:

أحدهما: معناه لا يحملنكم، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: معناه لا يكسبنكم، قاله الزجاج.

وفي قوله **﴿شقاقي﴾** ثلاثة تأويلات:

أحدها: إضراري، قاله الحسن.

الثاني: عداوتي، قاله السدي ومنه قول الأخطل(٦٣٠):

ألا من مبلغ قيساً رسولاً ... فكيف وجدتم طعمَ الشقاق

الثالث: فراقي، قاله قتادة.

﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوحٍ﴾ وهم أول أمة أهلكوا بالعذاب.

﴿أو قوم هودٍ أو قوم صالحٍ وما قوم لوطٍ منكم ببعيدٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بعد الدار لقربهم منهم، قاله قتادة.

الثاني: بعد العهد لقرب الزمان.

ويحتمل أن يكون مراداً به قرب الدار وقرب العهد.

وقد أهلك قوم هود بالريح العاصف، وقوم صالح بالرجفة والصيحة، وقوم لوط بالرجم.

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾

(٦٣٠) وذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٢٠) والشطر الأول فيه ألا من مبلغ عني رسولاً.

قوله عزوجل: ﴿قالوا يا شعيبُ ما نفقهُ كثيراً مما تقول﴾ أي ما نفهم، ومنه سمي عِلم الدين فقهاً لأنه مفهوم، وفيه وجهان:

أحدهما: ما نفقه صحة ما تقول من البعث والجزاء.

الثاني: أنهم قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه واحتقاراً لكلامه.

﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: ضعيف البصر، قاله سفيان.

الثاني: ضعيف البدن، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أعمى(٦٣١)، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

الرابع: قليل المعرفة وحيداً، قاله السدي.

الخامس: ذليلاً مهيناً، قاله الحسن.

السادس: قليل العقل.

السابع: قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها.

﴿ولولا رهطك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عشيرتك، وهو قول الجمهور.

الثاني: لولا شيعتك، حكاه النقاش.

﴿لرجمناك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لقتلناك بالرجم.

الثاني: لشتمناك بالكلام، ومنه قول الجعدي(٦٣٢).

---

(٦٣١) ولكن نقل الإمام الألوسي (١٢/١٢٣) عن بعض أهل العلم قوله «جوز بعض أصحابنا العمى على الأنبياء عليهم السلام لكن لا يحسن الحمل عليه هنا وأنت تعلم أن المصحح عند أهل السنة أن الأنبياء عليهم السلام ليس منهم أعمى وما حكاه الله تعالى عن يعقوب عليه السلام كان أمراً عارضاً وذهب ا هـ والأخبار المروية عمن ذكرنا في شعيب [أي من كونه ضعيف البصر وأعمى] لم نقف على تصحيح لها سوى ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما فإن الحاكم صحح بعض طرقه لكن تصحيح الحاكم كتضعيف ابن الجوزي غير معول عليه وربما يقال فيه ما قيل في يعقوب ا هـ.

قلت: ومن هنا نعلم أن القول الأول والثاني متعقبان والقول الأول تفسيره بلغة اليمن الأعمى والصواب في قوله تعالى ﴿إن لنراك فينا ضعيفاً﴾ أي لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع» راجع فتح القدير (٢/٥٢٠) وروح المعاني (١٢/١٢٣) والكشاف (٢/٢٣٣).

(٦٣٢) فتح القدير (٢/٥٢٠).

تــراجـمـنـــا بــمُــرِّ الـقــول حــتــى ... نــصــيــر كــأنــنـــا فَــرسَـــا رِهـــان

﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بكريم.

الثاني: بممتنع لولا رهطك.

قوله عز وجل: ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله﴾ أي تراعون رهطي فيّ ولا تراعون الله فيّ(٦٣٣).

﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: اطرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به، قاله السدي، ومنه قول الشاعر(٦٣٤):

... ... وجَـدْنا بني البـرصاءِ من وَلَـدِ الـظَّهْـرِ

أي ممن لا يلتفت إليهم ولا يعتد بهم.

الثاني: يعني أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم، قاله السدي، من قولهم حملت فلاناً على ظهري اذا أظهرت عناده.

الثالث: يعني أنكم جعلتم الله ظهرياً إن احتجتم استعنتم به، وإن اكتفيتم تركتموه. كالذي يتخذه الجمَّال من جماله ظهرياً إن احتاج إليها حمل عليها وإن استغنى عنها تركها، قاله عبد الرحمٰن بن زيد.

الرابع: إن الله تعالى جعلهم وراء ظهورهم ظهرياً، قاله مجاهد(٦٣٥).

﴿إنّ ربي بما تعملون محيط﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(٦٣٣) فائدة: قال الإمام الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٥٢٠) «انما قال أعز عليكم من الله ولم يقل أعز عليكم مني لأن نفي العزة عنه واثباتها لقومه كما يدل عليه ايلاء الضمير حرف النفي استهانة به والاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله عز وجل فقد تضمن كلامهم أن رهطه أعزّ عليه من الله فاستنكر ذلك عليهم وتعجب منهم وألزمهم ما لا مخلص لهم عنه ولا مخرج لهم منه بصورة الاستفهام وفي هذا من قوة المحاجة ووضوح المجادلة والقام الخصم الحجر ما لا يخفى ولأمر ما سمي شعيب خطيب الأنبياء اهـ.

(٦٣٤) هو أرطاة بن سمية المري وما قاله هنا شطر من بيت صدره: فمن مبلغ أبناء مرة أننا والبيت في مجاز القرآن (١/٢٩٨) واللسان ظهر والطبري (١٥/٤٥٩).

(٦٣٥) وقول مجاهد في الطبري (١٥/٤٦١). . «تركتم ما جاء به شعيب وفي قول آخر نبذوا أمره وفي ثالث هم رهط شعيب بتركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهرياً اهـ. ولا أدري هنا ما معنى القول الذي أورده المؤلف لمجاهد.

أحدهما: حفيظ.
الثاني: خبير.
الثالث: مُجازٍ.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ناحيتكم، قاله ابن عباس.

الثاني: على تمكنكم، قاله ابن عيسى.

وقوله ﴿اعملوا﴾ يريد ما وعدوه من إهلاكه، قال ذلك ثقة بربه.

ثم قال جواباً لهم فيه تهديد ووعيد ﴿إني عاملٌ سوف تعلمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلمون الإجابة.

الثاني: عامل في أمر من يأتي بهلاككم ليطهر الأرض منكم، وسترون حلول العذاب بكم.

﴿من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ قال عكرمة: الغرق.

وفي ﴿يخزيه﴾. وجهان:

أحدهما: يذله.

الثاني: يفضحه.

﴿ومن هو كاذب﴾ فيه مضمر محذوف تقديره: ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله، فحذفه اكتفاء بفحوى الكلام.

﴿وارتقبوا﴾ أي انتظروا العذاب.

﴿إني معكم رقيب﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إني معكم شاهد.

الثاني : إني معكم كفيل.

وفيه وجه ثالث: إني منتظر، قاله الكلبي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن اللعنة في الدنيا من المؤمنين وفي الآخرة من الملائكة.

الثاني: أنه عنى بلعنة الدنيا الغرق، وبلعنة الآخرة النار، قاله الكلبي ومقاتل.

﴿بئس الرِّفد المرفود﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بئس العون المعان، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أن الرَّفد بفتح الراء: القدح، والرفد بكسرها ما في القدح من الشراب، حكي ذلك عن الأصمعي فكأنه ذم بذلك ما يُسقونه في النار.

الثالث: أن الرفد الزيادة، ومعناه بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار، قاله الكلبي.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ذلك من أنباء القُرى نقصُّه عليك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نخبرك.

الثاني: نتبع بعضه بعضاً.

﴿منها قائمٌ وحصيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن القائم: العامرة، والحصيد: الخاوية، قاله ابن عباس.

الثاني: أن القائم: الآثار، والحصيد: الدارس، قاله قتادة، قال الشاعر[٦٣٦]:

والناس في قسم المنية بينهم كالزرع منه قائم وحصيد

قوله عزوجل: ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن التتبيب الشر، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه الهلكة، قاله قتادة. قال لبيد:

فلقد بَليتُ وكلُّ صاحب جِدّةٍ لبِلىً يعودُ وذاكم التتبيب

ومنه قول جرير:

عرابة[٦٣٧] من بقية قوم لوطٍ ألا تباً لما فعلوا تبابا[٦٣٨]

الثالث: التخسير، وهو الخسران، قاله مجاهد وتأول قوله تعالى ﴿تبَّتْ يدا أبي لهب﴾ [المسد: ١] أي خسرت.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تشفع إلا بإذنه.

الثاني: لا تتكلم إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام لأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح.

الثالث: أن لهم في القيامة وقت يمنحون فيه من الكلام إلا بإذنه.

﴿فمنهم شقيٌ وسعيد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: محروم ومرزوق، قاله ابن بحر.

(٦٣٦) أورده في روح المعاني (١٢/١٣٥) وفتح القدير (٢/٥٢٤).

(٦٣٧) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب عَرادة والتصويب من الطبري (١٥/٤٧٢) وغيره.

(٦٣٨) والبيت في ديوانه: ٧٢ والطبري (١٥/٤٧٢).

الثاني: معذب ومكرم، قال لبيد.

فمنهم سعيد آخذٌ بنصيبه ... ومنهم شقي بالمعيشة قانعُ

ثم في الشقاء والسعادة قولان:

أحدهما: أن الله تعالى جعل ذلك جزاء على عملهما فأسعد المطيع وأشقى العاصي، قاله ابن بحر.

الثاني: أن الله ابتدأهما بالشقاوة والسعادة من غير جزاء. وروى عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال: لما نزلت ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ قلت: يا رسول الله فعلام نعمل؟ أعلى شيء قد فرغ منه أم على ما لم يفرغ منه؟ فقال: «بلى على شيء قد فرغ منه يا عمر، وجرت به الأقلام ولكن كل شيء ميسور لما خلق له»[٦٣٩].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الزفير في الحلق من شدة الحزن، مأخوذ من الزفير، والشهيق في الصدر، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: أن الزفير تردد النفس من شدة الحزن، مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل، قاله ابن عيسى.

الرابع: أن الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخر نهيقه، قال الشاعر[٦٤٠]:

---

(٦٣٩) رواه الطبري (١٥/ ٤٨٠) وفي سنده سليمان بن سفيان وهو ضعيف منكر الحديث ولكن للحديث شواهد تقويه وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٤٧٥) وزاد نسبته للترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه. راجع لشواهد الحديث كتاب القدر لابن وهب ص

(٦٤٠) هو رؤبة بن العجاج والبيت في ديوانه ١٠٦ واللسان «حشرج» والطبري (١٥/ ٤٧٩) (٢٩/ ٤).

حشرج في الجوف سحيلاً أو شهق   حتى يقال ناهق وما نهق

﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: خالدين فيها ما دامت سماء الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها حكاه ابن عيسى.

الثاني: ما دامت سموات الآخرة وأرضها إلا ما شاء ربك من قدر وقوفهم في القيامة، قاله بعض المتأخرين.

الثالث: ما دامت السموات والأرض، أي مدة لبثهم في الدنيا، قاله ابن قتيبة.

الرابع: (٦٤١) خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من أهل التوحيد أن يخرجهم منها بعد إدخالهم إليها، قاله قتادة، فيكونون أشقياء في النار سعداء في الجنة، حكاه الضحاك عن ابن عباس، وروى يزيد بن أبي حبيب عن أنس بن مالك(٦٤٢) قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحممة أخرجوا منها وأدخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجهنميون»**.

الخامس: إلا ما شاء من أهل التوحيد أن لا يدخلهم إليها، قاله أبو نضرة(٦٤٣) يرويه مأثوراً عن النبي ﷺ.

السادس: إلا ما شاء ربك من كل من دخل النار من موحد ومشرك أن يخرجه منها إذا شاء، قاله ابن عباس.

السابع: أن الاستثناء راجع إلى قولهم ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي ليست بزفير ولا شهيق مما لم يسم ولم يوصف ومما قد

---

(٦٤١) واختار هذا القول ابن جرير رحمه الله (١٥/٤٨٤) وقال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٥٢٥) «وقد ثبت بالأحاديث المتواترة تواتراً يفيد العلم الضروري إلى أنه يخرج من النار أهل التوحيد فكان ذلك مخصصاً لكل عموم ا هـ.

قلت وقد رد الأقوال في هذا الانتقاد الإمام الشوكاني في تفسيره، (٢/٥٢٥) فراجعها وقد اشار هناك الى أنه جمع فيها رسالة.

(٦٤٢) رواه البخاري (١١/٣٧١)، (١٣/٤٣٤) وقد روى نحوه عن عمران بن حصين مرفوعاً البخاري (١١/٣٨٤) وابو داود (٤٧٤٠) والترمذي (٢٦٠٣).

(٦٤٣) لكن الذي في الطبري (١٥/٤٨٣) وغيره أن هذا القول رواه أبو نضرة عن جابر أو عن أبي سعيد الخدري أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وعلى هذا فالقول موقوف وليس بمرفوع.

سمّي ووصف، ثم استأنف ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ حكاه ابن الأنباري.

الثامن: أن الاستثناء واقع على معنى لو شاء ربك أن لا يخلدهم لفعل ولكن الذي يريده ويشاؤه ويحكم به تخليدُهم.

وفي تقدير خلودهم بمدة السموات والأرض وجهان:

أحدهما: أنها سموات الدنيا(٦٤٤) وأرضها، ولئن كانت فانية فهي عند العرب كالباقية على الأبد فذكر ذلك على عادتهم وعرفهم كما قال زهير:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

والوجه الثاني: أنها سموات الآخرة وأرضها لبقائها على الأبد(٦٤٥).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾

قوله عزوجل: **﴿وأمّا الذين سُعدُوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾** فيها خمسة تأويلات:

أحدها: دامت سموات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها في الخلود فيها:

الثاني: إلا ما شاء ربك من مدة يوم القيامة.

الثالث: إلا ما شاء ربك من مدة مكثهم في النار إلى أن يخرجوا منها، قاله الضحاك.

---

(٦٤٤) واختار العلامة الألوسي أن السموات والأرض هي هي فقال (١٢/١٤٢) «والأولى أن تبقى على ظاهرها ويجعل الكلام خارجاً مخرج ما اعتادته العرب في محاوراتهم عند إرادة التبعيد والتأييد وهو أكثر من أن يحصى اهـ.

(٦٤٥) قال العلامة الألوسي (١٢/١٤٦): «وأنت تعلم أن خلود الكفار مما أجمع عليه المسلمون ولا عبرة بالمخالف والقواطع أكثر من أن تحصى ولا يقاوم واحداً منها كثير من الاخبار ولا دليل في الآية على ما يقوله المخالف اهـ.

قلت: قال ذلك يرد على من استدل ببعض الاحاديث التي فيها أن جهنم سيأتي عليها يوم وتفنى وهذه الاحاديث لا تصح راجع رفع الأستار في إبطال أدلة القائلين بفناء النار.

الرابع: خالدين فيها يعني أهل التوحيد، إلا ما شاء ربك يعني أهل الشرك، وهو يشبه قول أبي نضرة.

الخامس: خالدين فيها إلا ما شاء ربك أي ما شاء من عطاء غير مجذوذ، فتكون ﴿إلا﴾ هنا بمعنى (٦٤٦) الواو كقول الشاعر:

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

أي والفرقدان.

﴿عطاءً غير مجذوذ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غير مقطوع.

الثاني: غير ممنوع.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

قوله عز وجل: ﴿... وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية.

الثاني: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد.

الثالث: ما وعدوا به من خير أو شر، قاله ابن عباس.

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ فيه أربعة تأويلات:

---

(٦٤٦) قال العلامة الألوسي رحمه الله (١٢/ ١٤٤) عن بعض أهل العلم: «إن هذا القول مردود عند النحاة».

أحدها: لا تميلوا(٦٤٧)، قاله ابن عباس.

الثاني: لا تدنوا، قاله سفيان.

الثالث: لا ترضوا أعمالهم، قاله أبو العالية.

الرابع: لا تدهنوا لهم في القول وهو أن يوافقهم في السر ولا ينكر عليهم في الجهر. ومنه قوله تعالى ﴿ودّوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٩]، قاله عبد الرحمن بن زيد

﴿فتمسكم النار﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فيمسكم عذاب النار لركونكم إليهم.

الثاني: فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها، ويكون ذكر النار على هذا الوجه استعارة وتشبيهاً، وعلى الوجه الأول خبراً ووعيداً.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ أما الطرف الأول فصلاة الصبح باتفاق وأما الطرف الثاني ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى صلاة الظهر والعصر، قاله مجاهد.

الثاني: صلاة العصر وحدها، قاله الحسن.

الثالث: صلاة المغرب، قاله ابن عباس.

﴿وزلفاً من الليل﴾ والزلف جمع زلفة، والزلفة المنزلة، فكأنه قال ومنازل من

---

(٦٤٧) وقال في روح المعاني (١٢/١٥٤) «وإذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الإفضاء الى مساس الناس النار فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم كل الميل ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويتعب قلبه وقالبه من إدخال السرور عليهم ويستنهض الرجل والخيل في جلب المنافع لهم ويبتهج بالتزي بزيهم والمشاركة لهم في غيهم ويمد عينيه إلى ما قنعوا به من زهرة الدنيا الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية، غافلاً عن حقيقة ذلك ذاهلاً عن منتهى ما هنالك وينبغي أن يعدّ مثل ذلك من الذين ظلموا الا من الراكنين إليهم بناءاً على ما روي أن رجلاً قال لسفيان إني اخيط للظلمة فهل أعد من أعوانهم؟ فقال لا أنت منهم والذي يبيعك ألا الإبرة من أعوانهم وماأحسن ما كتبه بعض الناصحين للزهري حين خالط السلاطين.. راجعه فإنه كلام جميل.

الليل، أي ساعات من الليل، وقيل إنما سميت مزدلفة من ذلك لأنها منزل بعد عرفة، وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها،ومنه قول العجاج(٦٤٨) في صفة بعير:

ناجٍ طواه الأين مما وجفا طيُّ الليالي زُلَفاً فزلفا

وفي معنى ﴿زلفاً من الليل﴾ قولان:

أحدهما: صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثانية: صلاة المغرب والعشاء الآخرة، قاله الضحاك والحسن ورواه مرفوعاً(٦٤٩).

﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ في هذه الحسنات أربعة أقاويل:

أحدها: الصلوات الخمس، قاله ابن عباس والحسن وابن مسعود والضحاك.

الثاني: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قاله مجاهد قال عطاء: وهن الباقيات الصالحات.

الثالث: أن الحسنات المقبولة يذهبن السيئات المغفورة.

الرابع: أن ثواب الطاعات يذهبن عقاب المعاصي.

﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: توبة للتائبين، قاله الكلبي.

الثاني: بيان للمتعظين، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«واتبع السيئة الحسنة تمحها»**(٦٥٠).

وسبب نزول هذه الآية ما روى الأسود عن ابن مسعود قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة فأصبت منها دون أن أمسّها وأنا هذا فاقض فيّ ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت على

(٦٨٤) ديوانه: ٨٤ ومجاز القرآن (١/٣٠٠) وسيبويه (١/١٨٠) واللسان (زلف) (حقف) (سما) (جف) والكامل للمبرد (١/١٢٩) (٣/٨٢٤).

(٦٤٩) رواه الطبري (١٥/٥٠٧) وهو مرسل من مرسلات الحسن وزاد في الدر (٤/٤٨١) نسبته لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦٥٠) جزء من حديث رواه أحمد (٥/٢٢٨) عن معاذ بن جبل ورواه (٥/١٥٣) عن أبي ذر الغفاري ورواه الترمذي (٢/٢٠) عن أبي ذر ومعاذ وصححه في السنن وحسنه في اخرى ولفظه «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

نفسك. ولم يردّ عليه النبي ﷺ شيئاً، فنزلت هذه الآية: **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾** فدعاه رسول الله ﷺ فقرأها عليه فقال عمر: يا رسول الله أله خاصة أم للناس كافة؟ فقال: «**بل للناس كافة**»(٦٥١).

قال أبو موسى طمحان: إن هذا الرجل أبو اليسر الأنصاري(٦٥٢). وقال ابن عباس هو عمرو بن غزية الأنصاري، وقال مقاتل: هو عامر بن قيس الأنصاري.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أولو طاعة.

الثاني: أولو تمييز.

الثالث: أولو حذر من الله تعالى.

﴿ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً(٦٥٣) ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أنهم اتبعوا على ظلمهم ما أترفوا فيه من استدامة نعمهم استدراجاً لهم.

الثاني: أنهم أخذوا بظلمهم فيما أترفوا فيه من نعمهم. والمترف: المنعّم.

وقال ابن عباس: أترفوا فيه: معناه انظروا فيه(٦٥٤).

---

(٦٥١) رواه الطبري (١٥/٥١٦) عن علقمة والأسود عن أبي مسعود واللفظ له ورواه أحمد رقم ٤٢٥٠، ٤٢٩٠ ومسلم (٤/٢١١٦) وابو داود (٤٤٦٨) والترمذي (٢/١٣٩).

(٦٥٢) وقد توسع الحافظ ابن حجر في الفتح في اسم هذا الرجل فراجعه (٨/٢٦٨، ٢٦٩).

(٦٥٣) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٤/١٧٠) «استثناء منقطع أي لكن قليلاً ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد».

(٦٥٤) وقد أورد هذا القول صاحب فتح القدير (٢/٥٣٥) ولفظه عن ابن عباس «أنظروا فيه» قلت وما هنا =

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿ولو شاء ربُّك لجعل الناس أمّةً واحدةً﴾** فيه وجهان:

أحدهما: على ملة الإسلام وحدها، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أهل دين واحد، أهل ضلالة وأهل هدى، قاله الضحاك.

﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رَحِمَ ربّك﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق، قاله مجاهد وعطاء.

الثاني: مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة، قاله ابن عباس.

الثالث: مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة. قاله الحسن.

الرابع: مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق(٦٥٥).

الخامس: مختلفين في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة.

السادس: أنه معنى مختلفين أي يخلف بعضهم بعضاً، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سوءاً في كل منهم خلف بعضهم بعضاً، فاقتتلوا ومنه قولهم: ما اختلف الجديدان، أي جاء هذا بعد ذاك، قاله ابن بحر.

﴿ولذلك خلقهم﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: للاختلاف خلقهم، قاله الحسن وعطاء.

الثاني: للرحمة خلقهم، قاله مجاهد.

الثالث: للشقاء والسعادة خلقهم(٦٥٦)، قاله ابن عباس.

= انظروا فيه فإذا كان هذا كذلك فإن تفسير ما أورده المؤلف هنا يكون بمعنى الإنظار والمراد أنهم تركوا مدة في ترفهم وفي التنزيل حكاية عن إبليس **﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾**.

(٦٥٥) واختاره ابن جرير (١٥/ ٥٣٧) وتبعه الزجاج كما في زاد المسير (٤/ ١٧٢).

(٦٥٦) وهو اختيار الطبري (١٥/ ٥٤٣).

الرابع: للجنة والنار خلقهم، قاله منصور بن عبد الرحمن.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبتُ به فؤادك﴾ أي نقوّي به قلبك وتسكن إليه نفسك، لأنهم بُلُوا فصبروا، وجاهدوا فظفروا.

﴿وجاءك في هذه الحقُّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في هذه السورة، قاله ابن عباس وأبو موسى.

الثاني: في هذه الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: في هذه الأنباء، حكاه ابن عيسى.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

وفي هذا ﴿الحق﴾ وجهان:

أحدهما: صدق القصص وصحة الأنباء وهذا تأويل من جعل المراد السورة.

الثاني: النبوة، وهذا تأويل من جعل المراد الدنيا.

﴿وموعظةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: القرآن الذي هو وعظ الله تعالى لخلقه.

الثاني: الاعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي ﷺ «والسعيد من وعظ بغيره» (٦٥٧).

---

(٦٥٧) جزء من حديث رواه مسلم (٤/٢٠٣٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه ابن ماجة عن ابن مسعود (٤٦) بسياق آخر وفيه هذه الجملة.

من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الثالث

راجعه وعلق عليه
السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

مؤسسة الكتب الثقافية
الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب:
ص ب ٥١١٥ - ١١٤ - برقياً: الكتبكو.
بيروت - لبنان

النكت والعيون
تفسير الماوردي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ يُوسُف

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

مكية كلها. وقال ابن عباس وقتادة إلاّ أربع آيات منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

قوله عزوجل: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الآيات المتقدم ذكرها في السورة التي قبلها.

الثاني: الآيات التي في هذه السورة، ويكون معنى قوله تعالى ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين.

الثالث: أن تلك الآيات إشارة إلى ما افتتحت به السورة من الحروف وأنها علامات الكتاب العربي، قاله ابن بحر.

وفي قوله تعالى: ﴿الكتاب المبين﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: المبين حلاله وحرامه، قاله مجاهد.

الثاني: المبين هداه ورشده، قاله قتادة.

الثالث: المبين للحروف التي سقطت من ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف، قاله معاذ (١).

---

(١) ولم يصح هذا الأثر عن معاذ رواه الطبري (١٥/٥٠٥).

قوله عز وجل ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربيا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً بلسان العرب، وهو قول الجمهور.

الثاني: إنا أنزلنا خبر يوسف قرآناً، أي مجموعاً عربياً أي يعرب عن المعاني بفصيح من القصص وهو شاذ.

﴿لعلكم تعقلون﴾.

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ أي نبين لك أحسن البيان، والقاصّ الذي يأتي بالقصة[٢] على حقيقتها.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحَدَ عشر كوكباً والشمس والقمر﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فثنى ذكرهم، وعنى بأحد عشر كوكباً إخوته وبالشمس أباه يعقوب، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين، فعبر عنه بما ذكره، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه، والقمر أمه، وهو قول الأكثرين. وقال ابن جريج: الشمس أمه والقمر أبوه، لتأنيث الشمس وتذكير القمر.

وروى السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر [٣] قال: أتى رسول الله ﷺ

= وفي سنده الوليد بن سلمة الفلسطيني وهو كذاب يضع الحديث على الثقات. راجع الميزان للذهبي (٣/٤٧١) ولسان الميزان (٦/٢٢٢).

والحروف هي الطاء والظاء والضاد والصاد والعين والحاء. راجع روح المعاني (١٢/١٧١).

(٢) قال القرطبي رحمه الله (٩/١١٨) قال العلماء ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ولا على معارضة غير المتكرّر.

(٣) رواه الطبري (١٥/٥٥٥) وفي سنده انقطاع بن جابر وعبد الرحمن بن سابط وفي سنده أيضاً الحكم بن ظهير، وهو متروك قال الجوزجاني فيه: ساقط لميله وأعاجيب حديثه وهو صاحب حديث نجوم يوسف. =

رجلٌ من اليهود يقال له بستانة فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها، فسكت رسول الله ﷺ ولم يجب بشيء، فنزل عليه جبريل بأسمائها قال فبعث رسول الله ﷺ إليه وقال **«أنت تؤمن إن أخبرتك بأسمائها»**؟ فقال نعم، فقال: **«جريان، والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس والوثّاب والعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء والنور»** فقال اليهودي: بلى واللّه إنها لأسماؤها.

وفي إعادة قوله **﴿رأيتهم لي ساجدين﴾** وجهان:

أحدهما: تأكيداً للأول لبعد ما بينها، قاله الزجاج.

الثاني: أن الأول رؤيته (٤) لهم والثاني رؤيته لسجودهم.

وفي قوله **﴿ساجدين﴾** وجهان:

أحدهما: أنه السجود المعهود في الصلاة إعظاماً لا عبادة.

الثاني: أنه رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجوداً، كقول الشاعر (٥):

... ... تـرى الأكم فيـه سُجّـداً للحـوافـر

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾

وقيل إنه كان له عند هذه الرؤيا سبع عشرة سنة، قال ابن عباس: رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر، فلما قصها على يعقوب أشفق عليه من حسد

= الميزان (١/ ٢٦٨) وبعد ما عرفت ما في سند الحديث فالعجب من الحاكم رحمه الله كيف صححه وفيه من سبق وقد نقل العلامة الألوسي في روح المعاني (١٢/ ١٧٩) عن أبي زرعة وابن الجوزي أنهما قالا عن الحديث: منكر موضوع.. قلت: وضعف الحديث الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/ ٤٦٨) ونقل تضعيف ابن الجوزي له.

والحديث زاد السيوطي في الدر (٤/ ٤٩٨، ٤٩٩) نسبته لسعيد بن منصور البزار وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حبان في الضعفاء وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في دلائل النبوة.

(٤) قال الفرّاء رحمه الله «إنما قال رأيتهم» على جمع ما يعقل لأن السجود مقل ما يعقل زاد المسير (٤/ ١٨٠) وجامع البيان (١٥/ ٥٥٦).

(٥) هو زيد الخيل وما ذكر هنا عجز بيت صدره بجمع تضل البلق في هجراته.

إخوته فقال: يا بني هذه رؤيا الليل فلا يعول عليها، فلما خلا به **﴿قال يا بني**(٦) **لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين﴾**.

وفي تسميته بيوسف قولان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي.

الثاني: أنه عربي مشتق من الأسف، والأسف في اللغة الحزن.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾

قوله عز وجل: **﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بحسن الخَلق والخُلق.

الثاني: بترك الإنتقام.

الثالث: بالنبوة، قاله الحسن.

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: عبارة الرؤيا، قاله مجاهد.

الثاني: العلم والحكمة، قاله ابن زيد.

الثالث: عواقب الأمور، ومنه قول الشاعر:

وللأحبة أيام تذكّرُها ... وللنوى قبل يوم البيْن تأويل

﴿ويتم نعمته عليك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: باختيارك للنبوة.

الثاني: بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك، قاله مقاتل.

وفيه وجه ثالث: أن أخرج (٧) إخوته إليه حتى أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه.

﴿وعلى آل يعقوب﴾ بأن جعل فيهم النبوة.

(٦) وهذا التصغير هنا يطلق عليه عند النحاة تصغير تحبيب. راجع روح المعاني (٢/ ١٨٠).

(٧) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب «أحوج» والتصويب من زاد المسير (١/ ١٨١) فإنه ذكر قول الماوردي هناك.

﴿كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق﴾ قال عكرمة: فنعمته على إبراهيم أن أنجاه من النار، وعلى إسحاق(٨) أن أنجاه من الذبح.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين﴾ في هذه الآيات وجهان:

أحدهما: أنها عِبرٌ للمعتبرين.

الثاني: زواجر للمتقين.

وفيها من يوسف وإخوته أربعة أقاويل:

أحدها: ما أظهره الله تعالى فيه من عواقب البغي عليه.

الثاني: صدق رؤياه وصحة تأويله.

الثالث: ضبط نفسه وقهر شهوته حتى سلم من المعصية وقام بحق الأمانة.

الرابع: الفرج بعد شدة الإياس. قال ابن عطاء: ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها.

قوله عزوجل: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا مِنّا﴾ وأخوه بنيامين وهما أخوان لأب وأم، وكان يعقوب قد كلف بهما لموت أمهما وزاد في المراعاة لهما، فذلك سبب حسدهم لهما، وكان شديد الحب ليوسف، فكان الحسد له أكثر، ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد.

---

(٨) وهذا قول عكرمة لكن خالفه غيره والقول الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وأدلة ذلك كثيرة وقد ذكر منها ابن القيم في مقدمة زادالمعاد للإمام السيوطي رحمه الله رسالة بعنوان «القول الفصيح في تعيين الذبيح» ضمن رسائل الحاوي جمع فيها أدلة الفريقين ولعلنا نزيد الأمر وضوحاً في سورة الصافات فإلى هناك والله المستعان.

﴿ونحن عصبة﴾ وفي العصبة أربعة أقاويل:
أحدها: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبير.
الثاني: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد.
الثالث: من عشرة إلى أربعين، قاله قتادة.
الرابع: الجماعة، قاله عبد الرحمن بن زيد.
﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: لفي خطأ من رأيه، قاله ابن زيد.
الثاني: لفي جور من فعله، قاله ابن كامل.
الثالث: لفي محبة(٩) ظاهرة، حكاه ابن جرير(١٠).
وإنما جعلوه في ضلال مبين لثلاثة أوجه:
أحدها: لأنه فضّل الصغير على الكبير.
الثاني: القليل على الكثير.
الثالث: من لا يراعي ما له على من يراعيه.

واختلف فيهم هل كانوا حينئذ بالغين؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا بالغين مؤمنين ولم يكونوا أنبياء(١١) بعد لأنهم قالوا ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ وهذه

(٩) قال العلامة الألوسي رحمه الله (١٢/١٩٠) «والذي ينبغي أن يعول عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ما لم ير فيهم وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدها تلك الأمارات عنده ولا لوم على الوالد في تفضيله بعض ولده على بعض في المحبة لمثل ذلك وقد صرح غير واحد أن المحبة ليست مما يدخل تحت وسع البشر والمرء معذور فيما لم يدخل تحته أ. هـ.

(١٠) جامع البيان (١٥/٥٦٣).

(١١) وهذا هو الصواب ولهذا قال العلامة الألوسي (١٢/١٨٤) والذي عليه الأكثرون سلفاً وخلفاً أنهم لم يكونوا أنبياء أصلاً أما السلف فلم ينقل عن الصحابة منهم أنه قال بنبوتهم ولا يحفظ عن أحد من التابعين أيضاً وأما أتباع التابعين فنقل عن ابن زيد أنه قال بنبوتهم وتابعه شرذمة قليلة وأما الخلف فالمفسرون فرقة منهم من قال بقول ابن زيد كالبغوي ومنهم من بالغ في رده كالقرطبي وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض للمسألة لكن ذكر ما يشعر بعدم كونهم أنبياء كتفسيره الأسباط عن نبي من بني إسرائيل والمنزل إليهم بالمنزل الى أنبيائهم كابن الليث السمرقندي والواحدي ومنهم من لم يذكر شيئاً من ذلك لكن فسر الأسباط بأولاد يعقوب فحسبه ناس قولاً بنبوتهم وليس نصاً فيه لاحتمال أنه يريد بالأولاد ذريته لا بنيه لِصلبه وذكر الشيخ ابن تيمية في مؤلف له خاص في هذه المسألة ما ملخصه «الذي يدل عليه القرآن واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف عليه =

حالة لا تكون إلا من بالغ، وقال آخرون: بل كانوا غير بالغين لأنهم قالوا ﴿**أرسله معنا غداً نرتع ونلعب**﴾ وإنما استغفروه بعد البلوغ.

قوله عزوجل: ﴿**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اطرحوه أرضاً لتأكله السباع.

الثاني: ليبعد عن أبيه.

﴿**يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم أرادوا صلاح الدنيا لاصلاح الدين، قاله الحسن.

الثاني: أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل. وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم.

قوله عزوجل: ﴿**قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف**﴾ اختلف في قائل هذا منهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه روبيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته، قاله قتادة.

الثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد.

الثالث: أنه يهوذا(١٢)، قاله السدي.

﴿**وألقُوه في غيابة الجُبِّ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني قعر الجب وأسفله.

الثاني: ظلمه الجب التي تغيّب عن الأبصار ما فيها، قاله الكلبي.

فكان رأس الجب ضيقاً وأسفله واسعاً.

أحدهما: لأنه يغيب فيه خبره. وفي تسميته

﴿**غيابة الجب**﴾ وجهان:

الثانـي: لأنه يغيب فيه أثره، قال ابن أحمر(١٣):

= السلام ليسوا بأنبياء وليس في القرآن ولا عن النبي ﷺ بل ولا عن أحد من أصحابه رضي الله تعالى عنهم خبر بأن الله تعالى نبأهم... اهـ. قلت وللسيوطي رحمه الله رسالة في ضمن رسائل الحاوي تتعلق بهذا الموضوع فراجعها.

(١٢) قال الألوسي رحمه الله: ولعله الأصح (١٢/١٩٢).

(١٣) وهو عمرو بن أحمر الباهلي والبيت أورده الشوكاني في فتح القدير (٩/٣) والشطر الثاني فيه «إلى ذا كما قد غيبتني غيابياً..

ألا فـالبثا شهـرين أو نصف ثـالثٍ إلى ذاك مـا قـد غيبتني غيـابيـا

وفي ﴿الجب﴾ قولان:

أحدهما: أنه اسم بئر في بيت المقدس، قاله قتادة.

الثاني: أنه بئر غير معينة، وإنما يختص بنوع من الآبار قال الأعشى(*):

لئن كنت في جب ثمـانين قـامـة ورقيـت أسبـاب السـمـاء بسـلم

وفيما يسمى من الآبار جباً قولان:

أحدهما: أنه ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن.

الثاني: أنه ما لا طيّ له من الآبار، قاله الزجاج، وقال: سميت جبًّا لأنها قطعت من الأرض قطعاً ولم يحدث فيها غير القطع.

﴿يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ معنى يلتقطه يأخذه، ومنه اللقطة لأنها الضالة المأخوذة.

وفي ﴿السيارة﴾ قولان:

أحدهما: أنهم المسافرون سُموا بذلك لأنهم يسيرون.

الثاني: أنهم مارة الطريق، قاله الضحاك.

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

قوله عزوجل: ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: نلهو ونلعب، قاله الضحاك.

الثاني: نسعى وننشط، قاله قتادة.

الثالث: نتحارس فيحفظ بعضنا بعضاً ونلهو، قاله مجاهد.

الرابع: نرعى ونتصرف، قاله ابن زيد، ومنه قول الفرزدق.

راحـت بمسلمـة البغـالُ مـودعـاً فـارعي فـزارة لا هنـاك المـرتـع

(*) ديوانه: ١٨٣.

الخامس: نطعم ونتنعم مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب، قاله ابن شجرة وأنشد قول الشاعر(١٤):

أكُفراً بعد رَدّ الموت عنّي ... وبعد عطائك المائة الرِّتاعا

أي الراتعة لكثرة المرعى.

ولم ينكر عليهم يعقوب عليه السلام اللعب لأنهم عنوا به ما كان مباحاً.

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

قوله عزوجل: **﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخافُ أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾** فيه قولان:

أحدهما: (١٥) أنه قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، وخوفه إنما كان من قتلهم له فكنى عنهم بالذئب مسايرة لهم، قال ابن عباس فسماهم ذئاباً.

والقول الثاني: ما خافهم عليه، ولو خافهم ما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يخاف منه من الصحاري.

وقال الكلبي: بل رأى في (١٦) منامه أن الذئب شَدّ على يوسف فلذلك خافه عليه.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

﴿وأوحينا إليه﴾ فيه وجهان:

---

(١٤) هو القطامي واسمه عمير بن شييم، والبيت في ديوانه: ٤١.

(١٥) قال الألوسي رحمه الله في روح المعاني (١٢/١٩٥) « وادعى بعضهم أنه عليه السلام ورى بالذئب. واحد منهم فإنه عليه السلام أجل قدراً من أنه لا يعلم أن رؤياه تلك من أي أقسام الرؤيا هي فإن منها ما يحتاج للتعبير ومنها ما لا يحتاج إليه والكامل يعرف ذلك.

(١٦) وقال العلامة الألوسي (١٢/١٩٥) وأنا لم أجد لرواية الرؤيا مطلقاً سنداً يعول عليه ولا حاجة بنا إلى اختبارها لتكلف الكلام فيها.

أحدهما: يعني وألهمناه، كما قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾. [القصص: ٧].

الثاني: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في الجب، قاله مجاهد وقتادة.

﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا، فعلى هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجب تبشيراً له بالسلامة.

الثاني: أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به، فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجب إنذاراً له.

﴿وهم لا يشعرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف، قاله قتادة وابن جريج.

الثاني: لا يشعرون بوحي الله تعالى له بالنبوة، قاله ابن عباس ومجاهد.

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

قوله عزوجل: ﴿قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق﴾ هو نفتعل من السباق وفيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه ننتصل، من السباق في الرمي، قاله الزجاج.

الثاني: أنهم أرادوا السبق بالسعي على أقدامهم.

الثالث: أنهم عنوا استباقهم في العمل الذي تشاغلوا به من الرعي والاحتطاب.

الرابع: أي نتصيد وأنهم يستبقون على اقتناص الصيد.

﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يحتمل أن يعنوا بتركه عند متاعهم إظهار الشفقة عليه، ويحتمل أن يعنوا حفظ رحالهم.

﴿فأكله الذئب﴾ لما سمعوا أباهم يقول: وأخاف أن يأكله الذئب أخذوا ذلك من فيه وتحرّموا به لأنه كان أظهر المخاوف عليه.

﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق لنا.

﴿ولو كنا صادقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لم يكن ذلك منهم تشكيكاً لأبيهم في صدقهم وإنما عنوا: ولو كنا أهل صدق ما صدقتنا، قاله ابن جرير[١٧].

الثاني: معناه وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق.

قوله عزوجل: ﴿وجاءُوا على قميصه بدمٍ كذب﴾ قال مجاهد: كان دم سخلة. وقال قتادة: كان دم ظبية.

قال الحسن: لما جاءُوا بقميص يوسف فلم ير يعقوب فيه شقاً قال: يا بني والله ما عهدت الذئب حليماً أيأكل ابني ويبقي على قميصه. ومعنى قوله ﴿بدم كذب﴾ أي مكذوب فيه، ولكن وصفه بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب.

وقرأ الحسن[١٨] ﴿بدم كذب﴾ بالدال غير معجمة، ومعناه بدم متغير قاله الشعبي.

وفي القميص ثلاث آيات[١٩]: حين جاءُوا عليه بدم كذب، وحين قُدَّ قميصه من دُبر، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً.

﴿قال بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بل أمرتكم أنفسكم، قاله ابن عباس.

الثاني: بل زينت لكم أنفسكم أمراً، قاله قتادة.

وفي ردّ يعقوب عليهم وتكذيبه لهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان ذلك بوحي من الله تعالى إليه بعد فعلهم.

---

(١٧) جامع البيان (١٥/ ٥٧٨).

(١٨) وهي قراءة ابن عباس وابن العالية وفيها قراءة أخرى هكذا «يدم كذباً» وهي قراءة ابن أبي عبلة كما في زاد المسير (٤/ ١٩٣).

(١٩) وقد تعقب هذا القول القرطبي رحمه الله (٩/ ١٤٩) وقال: «وهذا مردود لأن القمصان مختلفة أي أنه كان في كل حالة من الحالات قميص مختلف ا هـ.

قلت: وقول المؤلف في القميص.. الخ هو قول الشعبي رحمه الله ورواه الطبري (١٥/ ٥٨٢).

الثاني: أنه كان عنده علم بذلك قديم أطلعه الله عليه.

الثالث: أنه قال ذلك حدساً بصائب رأيه وصدق ظنه.

قال ترضية لنفسه ﴿فصبر جميل﴾ فاحتمل ما أمر به نفسه من الصبر وجهين:

أحدهما: الصبر على مقابلتهم على فعلهم فيكون هذا الصبر عفواً عن مؤاخذتهم.

الثاني: أنه أمر نفسه بالصبر على ما ابتُلي به من فقد يوسف.

وفي قوله ﴿فصبر جميل﴾ وجهان [٢٠]:

أحدهما: أنه بمعنى أن من الجميل أن أصبر.

الثاني: أنه أمر نفسه بصبر جميل.

وفي الصبر الجميل وجهان:

أحدهما: أنه الصبر الذي لا جزع فيه قاله مجاهد.

الثاني: أنه الصبر الذي لا شكوى فيه.

روى حباب بن أبي حبلة[١٠٨] قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿فصبر جميل﴾ فقال: صبر لا شكوى فيه، ومن بث لم يصبر.

﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: والله المستعان على الصبر الجميل.

الثاني: والله المستعان على احتمال ما تصفون.

الثالث: يعني على ما تكذبون، قاله قتادة.

قال محمد بن إسحاق: ابتلى الله يعقوب في كبره، ويوسف في صغره لينظر كيف عز مهما.

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

(٢٠) كذا في المطبوعة والصواب حبان بن أبي حبل والتصويب من الطبري (١٥/٥٨٤) وهو حديث مرسل كما قال الحافظ في تخريج الكشاف.

قوله عزوجل: ﴿وجاءت سيارةٌ فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد أمامهم الماء ليستقي لهم. وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك [٢١] بن ذعر بن حجر بن يكه بن لخم.

﴿فأدلى دلوه﴾ أي أرسلها ليملأها، يقال أدلاها إذا أرسل الدلو ليملأها، ودلّاها إذا أخرجها ملأى.

قال قتادة: فتعلق يوسف عليه السلام بالدلو حين أرسلت. والبئر ببيت المقدس معروف مكانها.

﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ناداهم بالبشرى يبشرهم بغلام، قاله قتادة.

الثاني: أنه نادى أحدهم، كان اسمه بشرى فناداه باسمه يعلمه بالغلام، قاله السدي.

﴿وأسرُّوه بضاعة﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن إخوة يوسف كانوا بقرب الجب فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسرّوا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الواردين إلى الجُب أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون [٢٢] بضاعة لهم كيلا يشركوهم فيه لرخصه وتواصوا أنه بضاعة استبضعوها من أهل الماء، قاله مجاهد.

الثالث: أن الذين شروه أسرُّوا بيعه على الملك حتى لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لهم.

وحكى [٢٣] جويبر عن الضحاك أنه ألقيَ في الجب وهو ابن ست سنين، وبقي فيه إلى أن أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام.

وقال الكلبي: ألقي فيه وهو ابن سبع عشرة سنة [٢٤].

---

(٢١) وفي زاد المسير (٤/١٩٤) هو مالك بن ذعْر بن يؤيب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم قاله أبو صالح عن ابن عباس وقيل مجلث بني رعويل قاله وهب بن منبه.

(٢٢) ورجح هذا القول ابن جرير رحمه الله (٧/١٦).

(٢٣) وهو ضعيف كما سبق.

(٢٤) زدناها ليستقيم الكلام.

قوله عزوجل: ﴿وشروه بثمن بخسٍ﴾ معنى شروه أي باعوه، ومنه قول ابن مفرغ الحميري (٢٥).

وشريت برداً ليتني   من بعدِ بُرْدٍ كنت هامه

واسم البيع والشراء يطلق على كل واحد من البائع والمشتري لأن كل واحد منهما بائع لما في يده مشتر لما في يد صاحبه.

وفي بائعه قولان:

أحدهما: أنهم إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب فادّعوه عبداً، قاله ابن عباس والضحاك ومجاهد.

الثاني: أن السيارة باعوه عن ملك مصر، قاله الحسن وقتادة.

﴿بثمن بخس﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن البخس ها هنا الحرام، قاله الضحاك، قال ابن عطاء: لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها فكان ثمنه وإن جَلّ بخساً. وما هو وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوةٍ ساعةٍ من معاصيك.

الثاني: أنه الظلم، قاله قتادة.

الثالث: أنه القليل، قاله مجاهد والشعبي.

﴿دراهم معدودة﴾ اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعطية والسدي.

الثاني: باثنين وعشرين درهماً، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين، قاله مجاهد.

الثالث: بأربعين درهما، قاله عكرمة وابن إسحاق. وكان السدي يقول: اشتروا بها خفافاً ونعالاً.

وفي قوله تعالى ﴿دراهم معدودة﴾ وجهان:

أحدهما: معدودة غير موزونة لزهدهم فيه.

الثاني: لأنها كانت أقل من أربعين درهماً، وكانوا لا يَزِنُون أقل من أربعين

(٢٥) واسمه يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري والبيت في طبقات فحول الشعراء ٥٥٥ والطبري (١٦/ ٨).

درهماً، لأن أقل الوزن عندهم كان الأوقية، والأوقية أربعون درهماً.

﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ وفي المعنيّ بهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف كانوا فيه من الزاهدين حين صنعوا به ما صنعوا.

الثاني: أن السيارة كانوا فيه من الزاهدين حين باعوه بما باعوه به.

وفي زهدهم فيه وجهان:

أحدهما: لعلمهم بأنه حرٌّ لا يبتاع.

الثاني: أنه كان عندهم عبداً فخافوا أن يظهر عليه مالكوه فيأخذوه.

وفيه وجه ثالث: أنهم كانوا في ثمنه من الزاهدين لاختبارهم له وعلمهم بفضله، وقال عكرمة أعتق يوسف حين بيع.

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال الذي اشتراه[٢٦] من مصر﴾ وهو العزيز ملكها واسمه إظفير بن رويجب.

﴿لامرأته﴾ واسمها راعيل بنت رعاييل، على ما ذكر ابن اسحاق.

وقال ابن عباس: اسمه قطفير وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الوليد بن الرّيان من العماليق.

قال مقاتل: وكان البائع له للملك مالك بن ذعر بعشرين ديناراً وزاده حُلة ونعلين.

﴿أكرمي مثواه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أجملي منزلته.

---

(٢٦) قال العلامة الألوسي رحمه الله (٢٠٦/١٢) هذا الشراء غير الشراء السابق الذي كان بثمن بخس وزعم أثمادها ضعيف جداً وإلا لا يبقى لقوله «من مصر» كثير جدوى.

الثاني: أجلي منزلته، قال كثير:

أريد ثواءً عندها وأظنها إذا ما أطَلْنا عندها المكث ملَّت

وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه وتوطئة مبيته.

﴿عسى أن ينفعنا﴾ قيل: في ثمنه إن بعناه. ويحتمل: ينفعنا في الخدمة والنيابة.

﴿أو نتخذه ولداً﴾ إن أعتقناه وتبنيناه.

قال عبد الله بن مسعود (٢٧): أحسن الناس في فراسة ثلاثة: العزيز في يوسف حين قال لامرأته ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا﴾ وابنة شعيب (٢٨) في موسى حين قالت لأبيها ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر (٢٩).

﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بإخراجه من الجب.

الثاني: باستخلاف الملك له.

﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ قد ذكرنا في تأويله وجهين.

﴿والله غالبٌ على أمره﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غالب على أمر يوسف حتى يبلغ فيه ما أراده له، قاله مقاتل.

الثاني: غالب على أمر نفسه فيما يريده، أن يقول له كن فيكون.

قوله عزوجل: ﴿ولما بلغ أشدَّه﴾ يعني منتهى شدته وقوة شبابه. وأما الأشدُّ ففيه ستة أقاويل:

---

(٢٧) وفي نسخه أخرى للمخطوطة قال عبد الرحمن بن مسعود والصواب ما هنا كما في الطبري حيث أورد قول عبدالله بن مسعود في (١٦/١٩).

أقول: ومع هذا فإن نسخة المخطوطة الأخرى ربما سقط منها أبو قبل عبد الرحمن فإن كنية ابن مسعود أبو عبد الرحمن فلعل الناسخ قال ابو عبد الرحمن بن مسعود فسقط منها أبو والله أعلم.

(٢٨) وفي كونها ابنه نبي الله شعيب خلاف وقد بسط بعض علماء التفسير أقوالاً في هذا الموضوع فمنهم من قال أن والد البنتين هو سيدنا شعيب النبي وهو الأصح ولكن البعض خالف وقال إنه غيره والله أعلم بغيبه وأحكم ورد الأمور إليه أسلم.

(٢٩) وتعقب العلامة أبو بكر بن العربي هذا القول الأخير وقال: «إنما ولى الصديق عمر بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصحبة وطولها».

أحدها: ببلوغ الحلم، قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم.

الثاني: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: عشرون سنة، قاله ابن عباس والضحاك.

الرابع: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

الخامس: ثلاثون سنة، قاله السدي.

السادس: ثلاث وثلاثون سنة. قاله الحسن ومجاهد وقتادة.

هذا أول الأشد، وفي آخر الأشد قولان:

أحدهما: أنه أربعون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أنه ستون سنة، حكاه ابن جرير الطبري [٣٠]، وقال سُحَيْم بن وثيل الرياحي [٣١]:

أخو خمسين مجتمع أشُدّي وتجذّني مداورة الشئون

وفي المراد ببلوغ الأشد في يوسف قولان:

أحدهما: عشرون سنة، قاله الضحاك.

الثاني: ثلاثون سنة، وهو قول مجاهد.

﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ في هذا الحكم الذي آتاه خمسة أوجه:

أحدها: العقل، قاله مجاهد.

الثاني: الحكم على الناس.

الثالث: الحكمة في أفعاله.

الرابع: القرآن، قاله سفيان.

الخامس: النبوة، قاله السدي.

وفي هذا العلم الذي آتاه وجهان:

أحدهما: الفقه، قاله مجاهد.

الثاني: النبوة، قاله ابن أبي نجيح.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنه العلم بتأويل الرؤيا [٣٢].

---

(٣٠) جامع البيان (١٦/٢١).

(٣١) اللسان «تـجـذ».

قال العلامة الألوسي قوله «وعلماً» يعني علم تأويل الرؤيا وخص بالذكر لأنه غير داخل فيما قبله أو =

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المطيعين.

الثاني: المهتدين، قاله ابن عباس.

والفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه، والعالم هو المقتصر على العلم دون العمل.

﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ وهي راعيل امرأة العزيز إظفير. قال الضحاك: وكان اسمها زليخا(٣٣).

قال محمد بن إسحاق: وكان إظفير فيما يحكى لنا رجلاً لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء، وكان يوسف عليه السلام قد أُعطي من الحسن ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده كما لم يكن في النساء مثل حواء حسناً. قال ابن عباس: اقتسم يوسف وحواء الحسن نصفين.

فراودته امرأة العزيز عن نفسه استدعاء له إلى نفسها.

﴿وغلقت الأبواب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بتكثير الأغلاق.

الثاني: بكثرة الإيثاق.

﴿وقالت هيت لك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه تهيأت لك، قاله عكرمة وأبو عبد الرحمن السلمي، وهذا تأويل من قرأ (٣٤) بكسر الهاء وترك الهمز، وقال الشاعر(٣٥):

قد رابني أن الكرى أسكتا لو كان معنياً بها لهيتا

= أفرد بالذكر لأنه مما له شأن ليوسف عليه السلام به اختصاص تام كذا قيل أ. هـ.

(٣٣) وقيل هو لقبها راجع روح المعاني (١٢/٢٠٧).

(٣٤) وهي قراءة نافع وابن عامر زاد المسير (٤/٢٠١) والمبسوط (ص ٢٤٥).

(٣٥) والبيت في اللسان «هيت» وغريب القرآن (٢١٥) والصحاح «هيت» والقرطبي (٩/١٦٥).

الثاني: هلم لك، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأنشد أبو عمرو بن العلاء:(٣٦):

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا
أن العراق وأهله عنق إليك، فهيت هيتا

وهذا تأويل من قرأ هيت لك بفتح الهاء وهي أصح وأفصح، قال طرفة بن العبد(٣٧):

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرة: هيتا

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الكلمة فحكى عطية عن ابن عباس أن ﴿هيت لك﴾ كلمة بالقبطية معناها هلم لك، وقال مجاهد بل هي كلمة عربية هذا معناها وقال الحسن: هي كلمة سريانية.

﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ أي أعوذ بالله.

وفي ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ وجهان:

أحدهما: إن الله ربي أحسن مثواي فلا أعصيه، قاله الزجاج.

الثاني: أنه أراد العزيز إظفير إنه ربي أي سيدي أحسن مثواي فلا أخونه. قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي.

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى بُرهان ربه﴾ أما همها به ففيه قولان:

أحدهما: أنه كان هَمَّ شهوة.

الثاني: أنها آستلقت له وتهيأت لمواقعته.

وأما همّه بها ففيه ستة أقاويل:

(٣٦) مجاز القرآن (١/ ٣٠٠) والطبري (١٦/ ٢٠) واللسان (هيت) و (عنق) وفي اللسان سلم إليك.

(٣٧) أورده الطبري (١٦/ ٣٠) والشطر الثاني منه:

قال داع من العشيرة هيتُ.

أحدها: أنه همّ بها أن يضـربها حين راودته (٣٨) عـن نفسه ولم يهم بمواقعتها قاله بعض المتأخرين.

الثاني: أن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ ومعنى الكلام لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها (٣٩)، قاله قطرب.

الثالث: أن همها كان شهوة، وهمه كان عفة.

الرابع: أن همه بها لم يكن عزماً وإرادة (٤٠) وإنما كان تمثيلاً (٤١) بين الفعل والترك، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل، وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً، ومنه قول جميل (٤٢):

هـممـت بـهـمٍّ من بـثـيـنـة لـو بـدا شفيت غليـلات الهـوى من فـؤاديـا

الخامس: أن همـه كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهراً لـه وهو معنى قول الحسن.

السادس: أنه هم بمواقعتها وعزم عليه. قال ابن عباس: وحل الهميان (٤٣)

---

(٣٨) وهو قول ذكره ابن الأنباري ويؤيده قوله تعالى ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بـالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ [غافر: ٥] وإلى هذا القول ذهب ابن حزم في الفصل (٤/ ١٠).

(٣٩) وهذا بناء على التقديم والتأخير قال العلامة الشوكاني في فتح القديـر (٣/ ١٧): ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها شطح أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف فمن ذلك ما قاله أبو حاتم قال: كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن فلما أتيت على ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: هذا على التقديم والتأخير كأنه قال «ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها».

(٤٠) وهذا القول بين أن هناك فرقاً بين الهمين فإن قيل إن القرآن سوى بين الهمين فلم فرقتم أجاب عن هذا العلامة ابن الجوزي قائلاً إن الاستواء وقع في بداية الهمة ثم ترقت همتها إلى العزيمة بدليـل مراودتها واستلقائها بين يديه ولم تتعد همته مقامها بل نزلت عن رتبتها وانحل معقودها بدليل هربه منها وقوله معاذ الله وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم أ. هـ. زاد المسير (٤/ ٢٠٥).

(٤١) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب تميبلا والتصويب من الطبري (١٦/ ٣٩).

(٤٢) ذكره في فتح القدير (٣/ ١٧) والشطر الأول فيه هممت بهم من بثينة لؤلؤ ولعل فيه تحريف والله أعلم.

(٤٣) قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٤/ ٢٠٥): «ولا يصح ما يروى عن المفسرين من أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الرجل فإنه لو كان هذا دل على العزم والأنبياء معصومون من العزم على الزنا» أ. هـ.

يعني السراويل وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة، وهو قول جمهور المفسرين (٤٤).

فإن قيل: فكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل؟

قيل: هي منه معصية، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة إنما ابتلاه ليكون من الله تعالى على وجل إذا ذكرها فيجدّ في طاعته إشفاقاً منها ولا يتكل على سعة عفوه ورحمته.

الثاني: أن الله تعالى ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة على معصيتهم.

الثالث: أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا.

وفي قوله تعالى ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ ستة أقاويل:

أحدها: أن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، قال ابن عباس: نودي يا ابن يعقوب تزني فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع.

الثاني: أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول: يا يوسف أتهمُّ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فخرجت شهوته من أنامله (٤٥)، قاله قتادة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير.

= قلت: ومن العزم على غيره من المعاصي والموبقات.

(٤٤) كالقشيري وابن الأنباري وغيرهم كما حكاه القرطبي في تفسيره (١٦٦/٩) قال الشوكاني في فتح القدير (١٨/٣) وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى ما قدمنا من حمل اللفظ على معناه اللغوي ويدل على هذا ما سيأتي من قوله ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ وقوله ﴿وما أبرىء نفسي﴾ ومجرد الهم لا ينافي العصمة فإنها قد وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب أ. هـ. وقد توسع العلامة الألوسي في تفسير الهم والقول الصحيح فيه في (١٢/ ١٢٣ ـ ٢١٦) ومن جملة ما قال «وبالجملة لا ينبغي التعويل على ما شاع من الأخبار والعدول عما ذهب إليه المحققون الأخيار وإياك والهم بنسبة تلك الشنيعة إلى ذلك الجناب بعد أن كشف الله سبحانه عن بعد بصيرتك فرأيت برهان ربك بلا حجاب أ. هـ.

(٤٥) وهذه الروايات والأقوال التي هنا في تفسير البرهان أغلبها من الإسرائيليات التي لم يعرف لها سند =

قال مجاهد: فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف فلم يولد له إلا غلامان ونقص بتلك الشهوة ولده.

الثالث: أن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى، قال محمد بن كعب القرظي: رأى كتاباً على الحائط: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢].

الرابع: أن البرهان الذي رآه. الملك إظفير سيده، قاله ابن إسحاق.

الخامس: أن البرهان الذي رآه هو ما آتاه الله تعالى من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة، قاله ابن بحر.

السادس: أن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها: ما وراء هذه الستر؟ فقالت: صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه. فقال: إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه، قاله الضحاك(*).

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن السوء الشهوة، والفحشاء المباشرة.

الثاني: أن السوء عقوبة الملك العزيز. والفحشاء مواقعة الزنى.

﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالى.

وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها الذين أخلصهم الله برسالته، وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين (٤٦) لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مستخلصاً لرسالة الله.

= ثابت وصحيح ولم يعرف بين الروايات التي ذكرت رواية مرفوعة يمكن الركون اليها والصواب أن يقال في البرهان أنه عليه السلام رأي حجج الله الباهرة الدالة على كمال قبيح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته للبرهان كمال إيقانه عليه السلام ومشاهدته له بحيث يصير الى مرتبة عين اليقين وعلى هذا فإن البرهان علم ما أحل الله مما حرم الله كما هو قول محمد بن كعب القرظي قال ابن الجوزي رحمه الله «وهذا هو القول الصحيح وما تقدم فليس بشيء إنما هي أحاديث من أعمال القصاص» أ هـ زاد المسير (٤/ ٢٠٩) وروح المعاني (١٢/ ٢١٣).

(*) وفي نسخه للمخطوطة قول بأن البرهان هو الملك قاله ابن إسحاق.

(٤٦) قال العلامة الألوسي رحمه الله في روح المعاني (١٢/ ٢١٧): ولا يخفى ما في التعبير بالجملة =

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

قوله عزوجل: ﴿واستبقا الباب﴾ أي أسرعا إليه، أما يوسف فأسرع إليه هرباً، وأما امرأة العزيز فأسرعت إليه طلباً.

﴿وقَدت قميصه من دبر﴾ لأنها أدركته وقد فتح بعض الأغلاق فجذبته من ورائه فشقت قميصه إلى ساقه، قال ابن عباس: وسقط عنه وتبعته.

﴿وألفيا سيدها لَدى الباب﴾ أي وجدا زوجها عند الباب. قال أبو صالح: والسيد هو الزوج بلسان القبط.

﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلّا أن يسجن أو عذابٌ أليمٌ﴾ هذا قولها لزوجها لتدفع الريبة عن نفسها بإلقائها على يوسف، ولو صدق حبها لم تفعل ذلك به ولآثرته على نفسها، ولكنها شهوة نزعت ومحبة لم تصف. وذلك أنه لما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر بالتكذيب عليه، ولو خلص من الشهوة لطلبت دفع الضرر عنه بالصدق.

﴿قال هي راودتني عن نفسي﴾ لأنها لما برأت نفسها بالكذب عليه احتاج أن يبرىء نفسه بالصدق عليها، ولو كفت عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليها.

﴿ وشهد شاهد من أهلها﴾ لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك الى

= الاسمية من الدلالة على انتظامه عليه السلام في أولئك العباد الذين هم من أولي الأمر لا أنه حدث له ذلك بعد أن لم يكن وفي هذاعندذوي الألباب ما ينقطع معه عذر أولئك المتشبثين بأذيال هاتيك الأخبار التي ما أنزل الله تعالى بها من كتاب أ. هـ.

شاهد يعلم به صدق الصادق منهما من الكاذب، فشهد شاهد(٤٧) من أهلها، أي حكم حاكم من أهلها لأنه حكم منه وليس شهادة.

وفيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك.

الثاني: أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن(٤٨)، قاله مجاهد.

الثالث: أنه رجل حكيم من أهلها، قاله قتادة. قال السدي وكان ابن عمها.

الرابع: أنه عنى شهادة القميص المقدود، قاله مجاهد أيضاً(٤٩).

﴿إن كان قميصُه قد مِن قُبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾

﴿وإن كان قميصه قد من دُبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ لأن الرجل إذا طلب المرأة كان مقبلاً عليها فيكون شق قميصه من قبله دليلاً على طلبه. وإذا هرب من المرأة كان مدبراً عنها فيكون شق قميصه من دبره دليلاً على هربه.

وهذه إحدى الآيات الثلاث في قميصه: إن كان قُدَّ من دبر فكان فيه دليل على صدقه، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب، وحين ألقي على وجه أبيه فارتدّ بصيراً(٥٠).

﴿فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ علم بذلك صدق يوسف فصدّقه وقال إنه من كيدكن(٥١).

وفي الكيد هنا وجهان:

أحدهما: يعني به كذبها عليه.

---

(٤٧) قال العلامة الألوسي رحمه الله (١٢/٢٢١).. وجعل الله تعالى انشاهد من أهلها قيل ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وألزم لها أ.هـ.

(٤٨) وقد عقب الشوكاني على هذا القول في فتح القدير (٣/٢٠) بقوله: «لعله لم يستحضر قوله تعالى **﴿من أهلها﴾**».

(٤٩) وعقب على قول مجاهد هذا العلامة الألوسي في روح المعاني (١٢/٢٢١) بقوله «ليس بشيء كما لا يخفى».

(٥٠) راجع التعليق رقم ٢٩.

(٥١) يعني كأنه قال أنت التي راودتيه فلم يفعل وفر فاجتذبتيه فشققت قميصه فهو الصادق في إسناد المراودة إليك وأنت الكاذبة في نسبة السوء إليه روح المعاني (١٢/٢٢٤).

الثاني : أنه أراد السوء الذي دعته إليه .

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : أنه الزوج، قاله محمد بن إسحاق .

الثاني : أنه الشاهد، حكاه علي بن عيسى .

قوله عزوجل : ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أعرض عن هذا الأمر، قال قتادة : على وجه التسلية له في ارتفاع الإثم .

الثاني : أعرض عن هذا القول، قاله ابن زيد على وجه التصديق له في البراءة من الذنب .

﴿واستغفري لذنبك﴾ هذا قول الملك لزوجه وهو القائل ليوسف أعرض عن هذا. وفيه قولان :

أحدهما : أنه لم يكن غيوراً فلذلك كان ساكتاً .

الثاني : أن الله تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتى كفى بادرته وحلم عنها فأمرها بالاستغفار من ذنبها توبة منه وإقلاعاً عنه .

﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ يعني من المذنبين، يقال لمن قصد الذنب خَطِىءَ، ولمن لم يقصده أخطأ، وكذلك في الصوب والصواب، قال الشاعر (٥٢) :

لعمرك إنما خطئي وصوبي ... عليّ وإنما أهلكت مالي

وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ

(٥٢) هو أوس بن غلفاء والبيت في اللسان (صوب)، ونوادر ابن زيد، وطبقات فحول الشعراء ١٤٠ ومجاز القرآن (١/٢٤١) ورواية اللسان دعيني انما خطئي وصوبي وفي رواية اخرى ذريني إنما خطئي وصوبي .

مَا ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾
فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ قال جويبر: كن أربعاً: امرأة الحاجب وامرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة القهرمان. قال مقاتل: وامرأة صاحب السجن وفي هذه المدينة قولان:

أحدهما: مصر.

الثاني: عين شمس.

﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ قلن ذلك ذماً لها وطعناً فيها وتحقيقاً لبراءة يوسف وإنكاراً لذنبه.

والعزيز اسم الملك مأخوذ من عزته، ومنه قول أبي دؤاد (٥٣):

درة غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم طل

﴿قد شغفها حباً﴾ أي قد دخل حبه من شغاف قلبها. وفي شغاف القلب خمسة أقاويل:

أحدها: أنه حجاب القلب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب وربما سميت لباس القلب، قاله السدي وسفيان.

الثالث: أنه باطن القلب، قاله الحسن، وقيل هو حبة القلب.

الرابع: أنه ما يكون في الجوف، قاله الأصمعي.

الخامس: هو الذعر والفزع الحادث عن شدة الحب، قاله إبراهيم.

وقد قرىء في الشواذ عن ابن محيصن: قد شعفها حباً (بالعين غير معجمة) واختلف في الفرق بينهما على قولين:

---

(٥٣) البيت أورده الطبري (١٦/٦٢).

أحدهما: أن الشغف بالغين معجمة هو الجنون(*) وبالعين غير معجمة هو الحب، قاله الشعبي.

والثاني: أن الشغف بالإعجام الحب القاتل، والشعف بغير إعجام دونه، قاله ابن عباس وقال أبو ذؤيب:

فلا وجْدَ إلا دُون وجْدٍ وجَدتـه أصاب شغافَ القلب والقلبُ يشغف

﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في ضلال عن الرشد وعدول عن الحق.

الثاني: معناه في محبة شديدة. ولما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق على نفسها.

قوله عزوجل: ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه ذمهن لها وإنكارهن عليها.

الثاني: أنها أسرت إليهن بحبها له فأشعْن ذلك عنها.

﴿أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ﴾ وفي ﴿أعتدت﴾ وجهان:

أحدهما: أنه من الإعداد.

الثاني: أنه من العدوان.

وفي (المُتْكَأ) ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المجلس، قاله ابن عباس والحسن.

والثاني: أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها، قاله أبو عبيدة والسدي.

الثالث: أنه الطعام مأخوذ من قول العرب اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده، وأصله أن من دعي إلىٰ طعام أُعد له متكأ فسمي الطعام بذلك متكأ على الاستعارة.

فعلى هذا أي الطعام هو؟

فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الـزُّماورد (٥٤)، قاله الضحاك وابن زيد.

(*) وفي نسخة للمخطوطة الحيوان وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٥٤) هو الرقاق الملفوف باللحم وغيره أو هو شيء يشبه الأترج وفي الطبري (١٦/ ٧٠) البزماورد بدلاً من الزماورد.

الثاني: أنه الأترج، قاله ابن عباس ومجاهد وهو وتأويل من قرأها مخففة غير مهموزة، والمتْك في كلامهم الأترج، قال الشاعر(٥٥):

نشرب الإثم بالصُّواع جهارا   وترى المتك بيننا مستعارا

والإثم :الخمر، والمتك: الأترج.

الثالث: أنه كل ما يجز بالسكين وهو قول عكرمة لأنه في الغالب يؤكل على متكأ.

الرابع: أنه كل الطعام والشراب على عمومه، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة.

﴿وآتت كلَّ واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن﴾ وإنما دفعت ذلك إليهن في الظاهر معونة على الأكل، وفي الباطن ليظهر من دهشتهن ما يكون شاهداً عليهن. قال الزجاج: كان كالعبد لها فلم تمكنه أن يخرج إلا بأمرها.

﴿فلمّا رأينه أكبرنه﴾ وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أعظمنه، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً، قال ابن بحر.

الثالث: معناه حضن عند رؤيته(٥٦)، وهو قول رواه عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس.

وقيل: إن المرأة اذا جزعت او خافت حاضت، وقد يسمى الحيض إكباراً، قال الشاعر(٥٧):

نأتي النساء على أطهارهن ولا   نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

---

(٥٥) اللسان «أثم» والتاج «متك» والقرطبي (١٢/١٧٨).

(٥٦) رواه الطبري (١٦/٧٦) وسنده ضعيف من أجل عبد الصمد هذا وقد ترجم له الذهبي في الميزان (٢/٦٢٠) وذكر حديثا من منكراته وقال: فيه عبد الصمد وليس بحجة. وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٥٣١) لابن المنذر وابن أبي حاتم وفيه زيادة بيت الشعر الآتي مباشرة.

(٥٧) اللسان «كبر» والقرطبي (١٢/١٨٠) والطبري (١٦/٧٧) وقال العلامة ابن جرير (١٦/٧٧) «وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده في أكبرن بمعنى حضن بيناً لا أحسب أن له أصلاً لأنه ليس بالمعروف عند الرواة... ثم ساق البيت السابق.

قلت: وقد نقل الشوكاني في فتح القدير (٣/٢٢) إنكار أبي عبيدة وغيره الإكبار بمعنى الحيض راجع ايضاً روح المعاني (١٢/٢٣٠).

﴿وقطعن أيديهن﴾ دهشاً ليكون شاهداً عليهن على ما أضمرته امرأة العـزيز فيهن.

وفي قطع أيديهن وجهان:

أحدهما: أنهن قطعن أيديهن حتى بانت.

الثاني: أنهن جرحن أيديهن حتى دميت، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها.

﴿وقلن حاش لله﴾ بالألف في قراءة أبي عمرو ونافع في رواية الأصمعي وقرأ الباقون حاش لله بإسقاط الألف، ومعناهما واحد.

وفي تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: معاذ الله، قاله مجاهد.

الثاني: معناه سبحان الله، قاله ابن شجرة.

وفي أصله وجهان:

أحدهما: أنه مأخوذ من قولهم كنت في حشا فلان اي في ناحيته.

والثاني: أنه مأخوذ من قولهم حاش فلاناً أي اعزله في حشا يعني في ناحية.

﴿ما هذا بشراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما هذا أهلاً للمباشرة.

الثاني: ما هذا من جملة البشر [٥٨]. وفيه وجهان:

أحدهما: لما علمن من عفته وأنه لو كان من البشر لأطاعها.

الثاني: لما شاهدن من حسنه البارع وجماله البديع.

﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾وقرىء ما هذا بشراً [٥٩] (بكسر الباء والشين) أي ما هذا عبداً مشترى إن هذا إلا ملك كريم، مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة[٦٠] تعظيماً لشأنه.

قوله عز وجل ﴿قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه﴾ وهذا يدل على أنها دعته إلى نفسها ثانية بعد ظهـور حالهما، فقال: ﴿رب السجن أحب إليَّ﴾ يعني

(٥٨) والقول الثاني هو الصواب كما لا يخفى.

(٥٩) وهي قراءة ابن الحويرث الحنفي كما في الطبري (١٦/٨٤) وفيها قراءة أخرى وهي قراءة لابن مسعود هكذا بشراءٍ كما في زاد المسير (٤/٢١٩).

(٦٠) وليس في الآية ما يدل على تفضيل الملك على البشر كما ذهب إلى ذلك المعتزلة وأيدهم بعض المفسرين كالفخر الرازي راجع روح المعاني (١٢/٢٣١).

الحبس في السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أراد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع إما تعظيماً لشأنها في الخطاب وإما ليعدل عن التصريح إلى التعريض.

الثاني: أنه أراد بذلك جماعة النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدنه لاستحسانهن له واستمالتهن لقلبه.

﴿وإلّا تصرف عني كيدهن﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما دعي إليه من الفاحشة إذا أضيف ذلك إلى امرأة العزيز.

الثاني: استمالة قلبه اذا أضيف ذلك إلى النسوة.

﴿أَصْبُ إليهن﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أتابعهن، قاله قتادة.

الثاني: أمل إليهن، ومنه قول الشاعر(٦١):

الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ۝٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ في الآيات التي رأوها وجهان:

أحدهما: قدُّ القميص وحز الأيدي.

الثاني: ما ظهر لهم من عفته وجماله حتى قلن ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾.

﴿ليسجننه حتى حين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الحين ها هنا ستة أشهر، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه سبع سنين، قاله عكرمة.

---

(٦١) هو يزيد بن ضبة الثقفي والبيت في الأغاني (١٠٢/٧) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣١١/١) والطبري (٨٩/١٦).

الثالث: أنه زمان غير محدود، قاله كثير من المفسرين(٦٢).

وسبب حبسه بعد ظهور صِدْقه ما حكى السدي أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني وقال إني راودته عن نفسه، فإما أن تطلقني حتى أعتذر وإما أن تحبسه مثل ما حبستني، فحبسه(٦٣).

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ودخَلَ معه السجن فتيان﴾ قال ابن عباس:

كان أحدهما خازن الملك على طعامه، وكان الآخر ساقي الملك على شرابه، وكان الملك وهو الملك الأكبر الوليد بن الرّيان قد اتهمهما بسمّه فحبسهما، فحكى مجاهد أنهما قالا ليوسف لما حُبسا معه: والله لقد أحببناك حين رأيناك، فقال يوسف: أنشدكما بالله أن أحببتماني فما أحبّني أحد إلا دخل عليّ من حبه بلاء(٦٤)، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه

---

(٦٢) وهو قول قتادة قال العلامة الشوكاني في فتح القدير (٢٧/٣) «إن كان المراد بالآيات الدالة على براءته فلا يصح عد قطع أيدي النسوة منها لأنه وقع منهن ذلك لما حصل من الدهشة عند ظهوره لهن على ما ألبسه الله سبحانه من الجمال الذي تنقطع عند مشاهدته عرى الصبر وتضعف عند رؤيته قوى التجلد وإن كان المراد الآيات الدالة على أنه قد أعطي من الحسن ما يسلب عقول المبصرين ويذهب بإدراك الناظرين فنعم يصح عد قطع الأيدي من جملة الآيات ولكن ليس هذه الآيات هي المرادة هنا».

(٦٣) وهو الصواب قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٢/٤): وهذا هو الصحيح لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة وانما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

(٦٤) قال العلامة الألوسي (٢٣٧/١٢) قال ابن عباس أنه أمر به عليه السلام فحمل على حمار وضرب معه الطبل ونودي عليه في أسواق مصر أن يوسف العبراني راود سيدته فهذا جزاؤه وكان ابن عباس رضي الله عنهما كلما قال أبو صالح كلما ذكر هذا بكى وأرادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال بنفسها وأعوانها أ هـ قلت: وهكذا يفعل كثير من الظلمة يلصقون التهم بالبريء وهم أهلها وما أكثرهم في زماننا والأمثلة على هذا لا تعد ولا تحصى وإن شئنا سميت لك منهم لا كَثَّرَهُمُ الله.

بلاء (٦٥) ، ثم أحبتني زوجة صاحبي العزيز فدخل عليّ من حبها بلاء، لا أريد أن يحبني إلا ربي.

وقال ﴿فتيان﴾ لأنهما كان عبدين، والعبد يسمى فتى صغيراً كان أم كبيراً.

﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحملُ فوق رأسي خُبزاً تأكل الطير منه﴾ وسبب قولهما ذلك ما حكاه ابن جرير الطبري (٦٦) أنهما سألاه عن علمه (٦٧) فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها قال مجاهد وابن إسحاق: وكذلك صدق تأويلها. روى محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**» (٦٨).

الثاني: أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة (٦٩) ، فلما أجابهما قالا: إنما كنا نلعب فقال **﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾** وهذا معنى قول ابن مسعود والسدي.

الثالث: أن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً، قاله أبو مجلز.

وقوله **﴿إني أراني أعصر خمراً﴾** أي عنباً. وفي تسميته خمراً وجهان:

أحدهما: لأن عصيره يصير خمراً فعبر عنه بما يؤول إليه.

الثاني: أن أهل عُمان يسمون العنب خمراً، قاله الضحاك. وقرأ ابن مسعود: إني أراني أعصر عنباً.

﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنهم وصفوه بذلك لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم، قاله الضحاك.

الثاني: معناه لأنه كان يأمرهم بالصبر ويعدهم بالثواب والأجر.

---

(٦٥) ويقول أشرف الخلق ﷺ إن البلايا أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه» رواه ابن حبان (٤/ ٢٥٥) من حديث عبدالله بن مغفل. وحسنه الألباني صحيح الجامع الصغير رقم ١٥٩٢.

(٦٦) جامع البيان (١٦/ ٩٥).

(٦٧) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب «عن عمله» والتصويب من الطبري (١٦/ ٩٥).

(٦٨) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٢٦٣ وأوله «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب. . . .

(٦٩) أي اختباراً له.

الثالث: إنا نراك ممن أحسن العلم. حكاه ابن جرير الطبري (٧٠).

الرابع: أنه كان لا يرد عذر معتذر.

الخامس: أنه كان يقضي حق غيره ولا يقضي حق نفسه.

السادس: إنا نـراك من المحسنين إن أنبأتنـا بتأويـل رؤيانـا هذه، قـاله ابن إسحاق.

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

قوله عز وجل ﴿**قَال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما**﴾ فيه ثلاثة أوجه (٧١):

أحدها: لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة قاله السدي.

الثاني: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يصلكما لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسى، قاله الحسن.

الثالث: أن الملك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معـروفاً وأرسل به إليه، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه، فلما ألحّ عليه عبرها، لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه، فلما ألحَّ عليه عبرها، قاله ابن جريج. وكذلك روى ابن سيرين عن أبي هريرة (٧٢) قال: قال رسول الله ﷺ «**من رأى رؤيا فلا يقصها إلا على حبيب أو لبيب**».

---

(٧٠) واختاره ابن جرير (١٦/١٠٠).

(٧١) جامع البيان (١٦/١٠٠).

(٧٢) حديث أبي هريرة رواه الترمذي (٢٢٧١) وأبو داود (٥٠١٩) ولفظه «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو =

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ يعني تأويل الرؤيا.

﴿إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ وإنما عدل عن تأويل ما سألاه عنه لما كان فيها من الكرامة، وأخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون تنبيهاً لهم على ثبوته وحثاً لهم على طاعة الله.

قوله عزوجل: ﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ قال ابن عباس: من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء، وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلاً.

ويحتمل وجهاً آخر (٧٣) ذلك من فضل الله علينا في أن برأنا من الزنى، وعلى الناس من أن خلصهم من مأثم القذف.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ذلك الدين القيم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ذلك الدين المستقيم، قاله السدي.

الثاني: الحساب البيّن، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث: يعني القضاء الحق، قاله ابن عباس.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

= ناصح» وحسَّنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٢/٥٢٣) وأما هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف فروى نحوه أبو داود (٥٠٢٠).

والحاكم (٤/٣٩٠) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في الفتح (١/٣٧٧) من حديث لقيط بن عامر بن صبرة ولفظه.. رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة... الحديث وفيه وأحسبه قال.. ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً.

(٧٣) زدناها ليستقيم سياق الكلام.

قوله عزوجل: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً﴾ وهو الذي قال: إني أراني أعصر خمراً، بشره بالنجاة وعوده إلى سقي سيده خمراً لأنه كان ساقيه.

﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ وهو الذي قال ﴿اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه﴾ فأنذره بالهلكة وكان خباز الملك، قال ابن جرير: (٧٤) وكان اسمه مجلثاً، واسم الساقي نبواً. فلما سمع الهالك منهما تأويل رؤياه قال: إنما كنا نلعب.

قال ﴿قُضيَ الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قضي السؤال والجواب.

الثاني: سيقضى تأويله ويقع.

فإن قيل: فكيف قطع بتأويل الرؤيا وهو عنده ظن من طريق الاجتهاد الذي لا يقطع فيه؟ ففيه وجهان:

أحدهما: يجوز أن يكون قاله عن وحي من الله تعالى.

الثاني: لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالى وأجراه على لسانه، بخلاف من ليس بنبي.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَـٰهُ الشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني للذي علم أنه ناج، فعبر عن العلم بالظن، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه ظن ذلك من غير يقين.

وفي ظنه وجهان:

أحدهما: لأن عبارة الرؤيا بالظن فلذلك لم يقطع به، قاله قتادة.

الثاني: أنه لم يتيقن صدقهما في الرؤيا فكان الظن في الجواب لشكه في صدقهما.

(٧٤) حكاه في جامع البيان (١٦/ ٩٥) عن ابن إسحاق.

﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند سيدك يعني الملك الأكبر الوليد بن الريان تأميلاً للخلاص إن ذكره عنده.

﴿فأنساه الشيطان ذكر ربِّه﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملك الرؤيا قاله محمد بن إسحاق.

الثاني: أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه.

روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (٧٥) **«رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال: اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث»**.

﴿فلبث في السِّجن بضع سنين﴾ قال ابن عباس: عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه.

وفي «البضع» أربعة أقاويل:

أحدها: من ثلاث إلى سبع، وهذا قول أبي بكر الصديق وقطرب.

الثاني: من ثلاث إلى تسع، قاله مجاهد والأصمعي.

الثالث: من ثلاث إلى عشر، قاله ابن عباس.

الرابع: ما بين الثلاث إلى الخمس، حكاه الزجاج (٧٦).

قال الفراء: والبِضع لا يذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين، ولا يذكر بعد المائة.

وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً ثلاثة أقاويل:

أحدها: سبع سنين، قاله ابن جريج وقتادة.

الثاني: أنه لبث اثنتي عشرة سنة، قاله ابن عباس.

الثالث: لبث أربع عشرة سنة، قاله الضحاك، وإنما البضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله.

---

(٧٥) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن أبي هريرة كما في الدر (٤/٥٤١).

(٧٦) والصواب أن البضع ما بين السبع إلى التسع كما ورد مرفوعاً.

رواه أحمد (٤/١٦٨) والطبري (٢١/١٧) والترمذي (٢/١٥٠) وحسنه من حديث ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع وسيأتي في تفسير سورة الروم.

وقال وهب: حبس يوسف سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين (٧٧).

قال الكلبي: حبس سبع سنين بعد الخمس السنين التي قال فيها ﴿اذكرني عند ربك﴾.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ
سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ
لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ
أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ
سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ
﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ
﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

قوله عزوجل: ﴿**وقال الملك إني أرى سبع بقراتٍ سمان..**﴾ الآية. وهذه الرؤيا رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين:

أحدهما: أنها كانت سبباً لخلاص يوسف من سجنه.

الثاني: أنها كانت نذيراً بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عدته.

﴿**يا أيها الملأ افتوني في رؤياي**﴾ وذلك أن الملك لما لم يعلم تأويل رؤياه نادى بها في قومه ليسمع بها من يكون عنده عِلْمٌ بتأويلها فيعبرها له.

قوله عزوجل: ﴿**قالوا أضغاث أحلام**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أخلاط أحلام، قاله معمر وقتادة.

---

(٧٧) والصواب أنه مكث في البلاء ثمان عشرة سنة كما رواه أبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم من حديث انس مرفوعاً وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١٧.

الثاني: ألوان أحلام، قاله الحسن.

الثالث: أهاويل أحلام قاله مجاهد.

الرابع: أكاذيب أحلام، (٧٨) قاله الضحاك.

وفيه خامس: شبهة أحلام(٧٩)، قاله ابن عباس.

قال أبو عبيدة: الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا، ومنه قول الشاعر:

كضغث حلم عُزَّ منه حالمُه.

وروى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «**إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب**»(٨٠).

وفي تقارب الزمان وجهان:

أحدهما: أنه استواء الليل والنهار لأنه وقت اعتدال تنفتق فيه الأنوار وتطلع فيه الثمار فكان أصدق الزمان في تعبير الرؤيا.

الثاني: أنه آخر الزمان وعند انتهاء أمده.

والأضغاث جمع واحده ضغث والضغث الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلى بعض وقيل هو ملء الكف، ومنه قوله تعالى: ﴿**خذ بيدك ضغثاً**﴾ وقال ابن مقبل(٨١):

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ ... أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالِ

والأحلام جمع حُلم، والحُلم الرؤيا في النوم، وأصله الأناة، ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرى في النوم حلم لأنها حال أناة وسكون.

﴿**وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**﴾ فدل ذلك على أنه ليس التأويل الأول مما تؤول به الرؤيا هو الحق المحكوم به لأن يوسف عرفهم تأويلها بالحق، وإنما قال يوسف للغلامين ﴿**قضي الأمر الذي فيه تستفتيان**﴾ لأنه منه نذير نبوة. ويجوز أن يكون

---

(٧٨) قال الحافظ في الفتح (٨/٣٦٠) ولأبي يعلى من حديث ابن عباس في قوله ﴿**أضغاث أحلام**﴾ قال: هي الأحلام الكاذبة أ هـ قلت: ورواه الطبري (١٦/١١٨) عنه بسند مسلسل بالضعفاء.

(٧٩) رواه الطبري (١٦/١١٨) ولفظه عن ابن عباس قوله ﴿**أضغاث أحلام**﴾ يقول مشتبهة. قلت وفي سنده انقطاع بن علي بن أبي طلحة وابن عباس.

(٨٠) تقدم تخريجه في تعليق رقم ٦٨.

(٨١) أورده الطبري في التفسير (١٦/١١٨) والألوسي في روح المعاني (١٢/٢٥١).

الله تعالى صرف هؤلاء عن تفسير هذه الرؤيا لطفاً بيوسف ليتذكر الذي نجا منهما حاله فتدعوهم الحاجة إليه فتكون سبباً لخلاصه.

قوله عزوجل: ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكر بَعْدَ أمة﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني بعد حين، قاله ابن عباس.

الثاني: بعد نسيان، قاله عكرمة.

الثالث: بعد أمة من الناس، قاله الحسن.

قال الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة وجمع له شمله (٨٢) فعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة.

وقرىء ﴿وادّكر بعد أمَةٍ﴾ بفتح الألف وتخفيف الميم، والأمه: بالتخفيف النسيان.

﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ أي أخبركم بمن عنده علم بتأويله ثم لم يذكره لهم.

قال ابن عباس: لم يكن السجن بالمدينة فانطلق إلى يوسف حين أذن له وذلك بعد أربع سنين بعد فراقه.

قوله عزوجل: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا﴾ احتمل تسميته بالصديق وجهين:

أحدهما: لصدقه في تأويل رؤياهما.

الثاني: لعلمه بنبوته.

والفرق بين الصادق والصديق أن الصادق في قوله بلسانه، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره، فصار كل صدّيق صادقاً وليس كل صادق صدّيقاً.

﴿أفتنا في سبع بقرات سمان﴾ قال قتادة: هي السنون المخصبات.

﴿يأكلهن سبع عجافٌ﴾ قال قتادة: هي السنون المجدبات.

﴿وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات﴾ والخضر الخصب لأن الأرض بنباتها

---

(٨٢) هو أبو زبيد الطائي والبيت في أمالي اليزيدي ٨ وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣١٣/١) واللسان نجد، عصر.

خضراء، واليابسات هي الجدب لأنّ الأرض فيه يابسة، كما أن ماشية الخصب سمان، وماشية الجدب عجاف.

﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي لكي أرجع الى الناس وهو الملك وقومه، ويحتمل أن يريد الملك وحده فعبر عنه بالناس تعظيماً له.

﴿ولعلهم يعلمون﴾ لأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا، فلذلك قال ﴿لعلهم يعلمون﴾ يعني تأويلها. ولم يكن ذلك منه شكاً في علم يوسف. لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه، ولكن تخوف أحد أمرين إما أن تكون الرؤيا كاذبةً، وإما ألاّ يصدقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر إلى وقت العيان.

قوله عزوجل: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تباعاً متوالية.

الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة.

﴿فما حصدتم فذروه في سُنْبُلِهِ إلا قليلاً مما تأكلون﴾ يعني فيخرج من سنبله لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل، وهذا القول منه أمر، والأول خبر، ويجوز لكونه نبياً أن يأمر بالمصالح، ويجوز أن يكون القول الأول أيضاً أمراً وإن كان الأظهر منه أنه خبر.

قوله عزوجل: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد﴾ يعني المجدبات لشدتها على أهلها.

وحكى زيد بن أسلم عن أبيه أن يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه ويدع نصفه، حتى إذا كان يوماً قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم السبع الشداد.

﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ يعني تأكلون فيهن ما ادخرتموه لهن.

﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مما تدخرون، قاله قتادة.

الثاني: مما تخزنون في الحصون.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: إلا قليلاً مما تبذرون لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات.

قوله عزوجل: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يغاثون بنزول الغيث، قاله ابن عباس.

الثاني: يغاثون بالخصب، حكاه ابن عيسى.

﴿وفيه يعصرون﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعصرون العنب والزيتون من خصب الثمار، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: أي فيه يحلبون المواشي من خصب المراعي، قاله ابن عباس.

الثالث: يعصرون السحاب بنزول الغيث وكثرة المطر، من قوله تعالى ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجاً﴾ [النبأ: ١٤]. قاله عيسى بن عمر الثقفي.

الرابع: تنجون، مأخوذ من العُصْرة وهي المنجاة، قاله أبو عبيدة والزجاج، ومنه قول الشاعر(٨٣):

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عُصْرَة المنجود

الخامس: تحسنون وتفضلون، ومنه قول الشاعر(٨٤):

لو كان في أملاكنا ملك يعصر فينا مثل ما تعصر

أي يحسن. وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلقه الله تعالى عليه من آيات نبوته.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ يعني يوسف عليه السلام.

---

(٨٣) والطبري (١٦/١٣١).

(٨٤) هو طرفة بن العبد والبيت في اللسان (عصر) وروايته.

لو كان في أملاكنا واحد يعصر فينا كالذي تعصر

﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾ يعني الملك.

﴿فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ وإنما توقف عن الخروج مع طول حبسه ليظهر للملك عذره قبل حضوره فلا يراه مذنباً ولا خائناً(٨٥).

فروى أبو الزناد عن أبي هريرة قال(٨٦): قال رسول الله ﷺ **«يرحم الله يوسف إنه كان ذا أناةٍ لو كنت أنا المحبوس ثم أُرسل لخرجت سريعاً»**.

وفي سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز ثلاثة أوجه:

أحدها: ان في سؤاله عنها ظنَّةً ربما صار بها متهماً.

والثاني: صيانة لها لأنها زوج الملك فلم يتبـذلها بالذكر.

الثالث: أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها.

﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه إن الله بكيدهن عليم.

الثاني: أن سيدي الذي هو العزيز بكيدهن عليم.

قوله عزوجل: **﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾** فهذا سؤال الملك قد تضمن تنزيه يوسف لما تخيله من صدقه لطفاً من الله تعالى بـه حتى لا تسرع واحدة منهن إلى التكذب عليه.

وفي قوله: **﴿راودتن﴾** وإن كانت المراودة من إحداهن وجهان:

أحدهما: أن المراودة كانت من امرأة العزيز وحدها فجمعهن في الخطاب وإن توجه إليها دونهن احتشاماً لها.

الثاني: أن المراودة كانت من كل واحدة منهن.

﴿قلن حاش لـله ما علمنا عليه من سوءٍ﴾ فشهدن له بالبراءة من السوء على علمهن لأنها شهادة على نفي، ولو كانت شهادتهن على إثبات لشهدن قطعاً، وهكذا

---

(٨٥) إنها لعظمة من نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام إذا دلت فإنما تدل على عزة المؤمن الواثق بربه تبارك وتعالى وتدل على اعتزازه بإيمانه وقوة جأشه.

(٨٦) رواه الطبري (١٦/ ١٣٤) واللفظ له وفي سنده رجل مجهول ويغني عن هذا الضعيف ما رواه البخاري (٨/ ٣٦٦) والطبري (١٦/ ١٣٥) ومسلم (٢/ ١٨٣) ١٥/ ٣٢٢، ١٨٣، ولفظه عند الطبري «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

* وفي نسخة للمخطوطة: عن الأعرج عن أبي هريرة.

حكم الله تعالى في الشهادات أن تكون على العلم في النفي، وعلى القطع في الإثبات.

﴿قالت امرأة العزيز الآنَ حصحص الحق﴾ معناه الآن تبين الحق ووضح، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وأصله مأخوذ من قولهم حَصّ شعره اذا استأصل قطعه فظهرت مواضعه ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها. فمعنى حصحص الحق أي انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه. وفيه زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق مثل قوله: (كبوا، وكبكبوا) قاله الزجاج. وقال الشاعر(٨٧):

ألا مبلغ عني خداشاً فإنه كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم

﴿أنا راودته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين﴾ وهذا القول منها وإن لم تسأل عنه إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف ونزاهته لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه، فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتى لا يخامر نفساً ظن ولا يخالجها شك.

قوله عزوجل: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه (٨٨) قول امرأة العزيز عطفاً على ما تقدم، ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، يعني الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن الله لا يهدي كيد الخائنين، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه، وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي.

﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ معناه وأن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم.

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ

(٨٧) وقد أورده الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣٤) والشطر الأول فيه فإنه..

فمن مبلغ عني خداشاً فإنه ....

(٨٨) لاحظ أن المؤلف قد ذكر قولين بينما نص على ثلاثة أقوال والقول الثالث هو أن هذا القول من قول العزيز وهذا الوجه قال الشوكاني في فتح القدير عنه (٣/ ٣٥) «وهو بعيد جداً».

﴿رَحِيمٌ ۝٥٣ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾

قوله عزوجل: ﴿**وما أبرىء نفسي**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قول العزيز أي [٨٩] وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف.

﴿**إنَّ النفس لأمارة بالسوء**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الأمارة بسوء الظن.

الثاني: بالاتهام عند الارتياب.

﴿**إلا ما رحم ربي**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلَّا ما رحم ربي إن كفاه سوء الظن.

الثاني: أن يثنيه حتى لا يعمل. فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز.

الوجه الثاني: أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها.

﴿**إلا ما رحم ربي**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلا ما رحم ربي من نزع شهوته منه.

الثاني: إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز.

الوجه الثاني: أنه من قول يوسف، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل:

أحدها: أن يوسف لما قال ﴿**ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب**﴾ قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل [٩٠]؟ فقال: وما أبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء، قاله السدي.

---

(٨٩) قال الشوكاني (٣/٣٤) عن قوله تعالى ﴿وما أبريء نفسي﴾ قال «إن كان من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس وعدم التزكية بها مع أنه علم هو وغيره والناس أنه بريء وظهر ذلك ظهور الشمس وأقرت به المرأة التي ادعت عليه الباطل ونزهته النسوة اللاتي قطعن أيديهن وإن كان من كلام امرأة العزيز فهو واقع على الحقيقة لأنها قد أقرت بالذنب واعترفت بالمراودة وبالافتراء على يوسف أ. هـ.

(٩٠) وقد تقدم قول ابن الجوزي في التعليق على هذا راجع تعليق (٤٣).

الثاني: أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال: ولا حين هممت؟ فقال ﴿**وما أُبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء**﴾ قاله ابن عباس.

الثالث: أن الملك الذي مع يوسف قال له: اذكر ما هممت به، فقال: ﴿**وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء**﴾ قاله قتادة.

الرابع: أن يوسف لما قال ﴿**ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب**﴾ كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال[٩١] ﴿**وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ قاله الحسن.

ويحتمل قوله ﴿**لأمارة بالسوء**﴾ وجهين:

أحدهما: يعني أنها مائلة إلى الهوى بالأمر بالسوء.

الثاني: أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزماً أفضت إلى السوء.

قوله عز وجل ﴿**وقال الملك ائتوني به استْخلصه لنفسي**﴾ وهذا قول الملك الأكبر لما علم أمانة يوسف اختاره ليستخلصه لنفسه في خاص خدمته.

﴿**فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾ لأنه استدل بكلامه على عقله، وبعصمته على أمانته فقال: ﴿**إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾ وهذه منزلة العاقل العفيف.

وفي قوله ﴿**مكين**﴾ وجهان:

أحدهما: وجيه، قاله مقاتل.

الثاني: متمكن في المنزلة الرفيعة.

وفي قوله ﴿**أمين**﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه بمعنى آمن لا تخاف العواقب، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه بمعنى مأمون ثقة، قاله ابن عيسى.

الثالث: حافظ، قاله مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿**قال اجعلني على خزائن الأرض**﴾ أي على خزائن أرضك، وفيها قولان:

---

(٩١) وقد تقدم قول الشوكاني في تعليق (٨) وكأنه رحمه الله اعتمَد كلام الحسن هنا.

أحدهما: هو قول بعض المتعمقة[٩٢] أن الخزائن ها هنا الرجال، لأن الأفعال والأقوال مخزونة فيهم فصاروا خزائن لها.

الثاني: وهو قول أصحاب الظاهر أنها خزائن الأموال، وفيها قولان:

أحدهما: أنه سأله جميع الخزائن، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه سأله خزائن الطعام، قاله شيبة بن نعامة[٩٣] الضبي.

وفي هذا دليل على جواز[٩٤] أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم.

فيما حكى ابن سيرين عن أبي هريرة قال: نزعني عمر بن الخطاب عن عمل البحرين ثم دعاني إليها فأبيت، فقال: لم؟ وقد سأل يوسف العمل.

فإن كان المولي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين:

أحدهما: جوازها إن عمل بالحق فيما تقلده[٩٥]، لأن يوسف عليه السلام ولي من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره.

الثاني: لا يجوز ذلك له لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة[٩٦] لهم وتزكيتهم بتنفيذ أعمالهم.

---

(٩٢) وأين الدليل على قول المتعمقة هنا.

(٩٣) هو أبو نعامة شيبة بن نعامة الضبي وهو أحد الضعفاء في الحديث ولا يحتج به له ترجمه في التاريخ الكبير (٢/٢/١٤٣) والجرح والتعديل (٢/١/٣٣٥) وميزان الاعتدال (٣/٤٥٣) ولسان الميزان (٣/١٥٩).

(٩٤) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/٣٥) «وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل طلب ذلك لنفسه ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها ترغيباً فيما يرومه وتنشيطاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن نبينا ﷺ والنهي عن طلب الولاية والمنع من توليه من طلبها أو حرص عليها. . . . . إلى أن قال: وقد استدل بهذه الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق.

(٩٥) ولهذا قال الشوكاني رحمه الله (٢/٥٣١) «فكل من أمروه ابتداءً به يدخل في شيء من الأعمال التي أمرها إليهم مما لم يكن فيه معصية الله كالمناصب الدينية ونحوها إذا وثق من نفسه بالقيام بما وكل إليه فذلك واجب عليه فضلاً عن أن يقال جائز له ا هـ» قلت: وكلام الشوكاني هذا في تقلد الحكم عند الظلمة لا الكافرين فتنبه.

(٩٦) وقال الشوكاني رحمه الله (٢/٥٣١) «وأما مخالطتهم والدخول عليهم لجلب مصلحه عامة أو خاصة أو =

وأجاب من ذهب إلى هذا القول عن ولايته من قبل فرعون بجوابين:

أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحاً، وإنما الطاغي فرعون موسى.

الثاني: أنه نظر له في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه.

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات فيجوز توليته من جهة الظالمين لأن النص على مستحقيه قد أغنى عن الاجتهاد فيه، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التنفيذ.

والقسم الثاني: ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الإجتهاد في مصرفه كأموال الفيء فلا يجوز توليته من جهة الظالم لأنه يتصرف بغير حقٍ ويجتهد فيما لا يستحق.

والقسم الثالث: ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام، فعقد التقليد فيه محلول، فإن كان النظر تنفيذاً لحكم بين متراضيين أو توسطاً بين مجبورين جاز، وإن كان إلزام إجبار لم يجز.

﴿إني حفيظ عليم﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني، قاله ابن زيد.

الثاني: حفيظ بالكتاب، عليم بالحساب، حكاه ابن سراقة، وأنه أول من كتب في القراطيس(٩٧).

الثالث: حفيظ بالحساب، عليم بالألسن، قاله الأشجع عن سفيان.

الرابع: حفيظ لما وليتني، قاله قتادة، عليم بسني المجاعة، قاله شيبة الضبي.

= دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ما هم عليه من الظلم وعدم ميل النفس إليهم ومحبتها لهم وكراهة المواصلة لهم لولا جلب تلك المصلحة أو دفع تلك المفسدة فعلى فرض صدق مسمى الركون على هذا فهو مخصص بالأدلة الدالة على مشروعية جلب المصالح ودفع المفاسد والأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ولا تخفي على الله خافية وبالجملة فمن ابتلي بمخالطة من فيه ظلم فعليه أن يزن أقواله وأفعاله وما يأتي وما يذر بميزان الشرع فإن زاغ عن ذلك فعلى نفسها براقش تجني ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته فهو الأولى له والأليق به أ هـ.

(٩٧) وهذا يحتاج إلى نقل صحيح.

وفي هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكن مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من سؤاله ولما يرجوه من الظفر بأهله.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾** قال ابن جرير الطبري(٩٨): استخلصه الملك الأكبر الوليد بن الريان على عمل إظفير وعزله. قال مجاهد: وأسلم على يده. قال ابن عباس: ملك بعد سنة ونصف. فروى مقاتل أن النبي ﷺ قال(٩٩): **«لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك في وقته ذلك»**.

ثم مات إظفير فزوّجه الملك بامرأة إظفير راعيل، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء(١٠٠) وولدت له ولدين أفرائيم ومنشا(١٠١) ابني يوسف.

ومن زعم أنها زليخا(١٠٢) قال لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فضمها إليه فكانت في عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها.

﴿يتبوّأ منها حيث يشاء﴾ فيه وجهان:

---

(٩٨) جامع البيان (١٦/١٤٧).

(٩٩) وهذا حديث مرسل ولم أظفر بمن خرجه.

(١٠٠) قال العلامة الألوسي (١٣/٥) وشاع عند القصاص أنها عادت بكراً إكراماً له عليه السلام بعد ما كانت ثيباً غير شابة وهذا مما لا أصل له».

(١٠١) كذا هنا وفي المطبوعة والذي في الطبري (١٦/١٥١) «ميشا».

(١٠٢) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٣/٥) «وخبر تزويجها أيضاً مما لا يعول عليه عند المحدثين».

أحدهما: يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: يصنع في الدنيا ما يشاء لتفويض الأمر إليه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ يعني في الدنيا بالرحمة والنعمة.

﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ يعني في الآخرة بالجزاء. ومنهم من حملها على الدنيا، ومنهم من حملها على الآخرة، والأصح ما قدمناه.

واختلف فيما أوتيه يوسف من هذا الحال على قولين:

أحدهما: ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه.

الثاني: أنه أنعم بذلك عليه تفضلاً منه، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة.

قوله عز وجل **﴿ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾** فيه وجهان:

أحدهما: ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من أجر الدنيا، لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا منقطع.

الثاني: ولأجر الآخرة خير ليوسف من التشاغل بملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة.

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

قوله عزوجل: **﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه﴾** الآية. قال ابن إسحاق والسدي: وإنما جاءُوا ليمتاروا[١٠٣] من مصر في سني القحط التي ذكرها يوسف في تفسير الرؤيا، ودخلوا على يوسف لأنه كان هو الذي يتولى بيع الطعام لعزته.

﴿فعرفهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف، قاله ابن عباس.

(١٠٣) يعني يأخذوا ميرتهم وهو ما يحتاجون إليه من طعام.

الثاني : ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم ، قاله الحسن .

وقيل بل عرفهم بلسانهم العبراني حين تكلموا به .

قال ابن عباس : إنما سميت عبرانية لأن إبراهيم عليه السلام عبر بهم فلسطين فنزل من وراء نهر الأردن فسمّوا العبرانية .

﴿وهم له منكرون﴾ لأنه فارقوه صغيراً فكبر، وفقيراً فاستغنى ، وباعوه عبداً فصار ملكاً ، فلذلك أنكروه ، ولم يتعرف إليهم ليعرفوه .

قوله عزوجل : ﴿ولمّا جهزهم بجهازهم﴾ وذلك أنه كال لهم الطعام ، قال ابن إسحاق : وحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدَّتهم .

﴿قال ائتوني بأخٍ لكم(١٠٤) من أبيكم﴾ قال قتادة :يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه .

قال السدي : أدخلهم الدار وقال : قد استريت بكم ـ تنكر عليهم ـ فأخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيوناً ، فذكروا حال أبيهم وحالهم وحال يوسف وحال أخيه وتخلفه مع أبيه ، فقال : إن كنتم صادقين فائتوني بهذا الأخ الـذي لكم من أبيكم ، وأظهر لهم أنه يريد أن يستبرِيء به أحوالهم . وقيل : بل وصفوا له أنه أَحَبُّ إلى أبيهم منهم ، فأظهر لهم محبة رؤيته .

﴿ألا تروْن أني أوفي الكيلَ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أرخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل .

الثاني : أنه كال لهم بمكيال واف .

﴿وأنا خير المنزلين﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني خير المضيفين ، قاله مجاهد .

الثاني : وهو محتمل ، خير من نزلتم عليه من المأمونين .

فهو على التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعـام ، وعلى التأويـل الثاني مأخوذ من المنزل وهو الدار .

---

(١٠٤) فائدة : قال العلامة الألوسي (١٣/ ٨) «ولم يقل بأخيكم» مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم كأنه لا يدري من هو ولو أضافه اقتضى معرفته لإشعار الإضافة به أ. هـ.

قوله عزوجل: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كَيْل لكم عندي﴾ يعني فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال.

﴿ولا تقربون﴾ أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب. ولم يُرد أن يبعدوا منه ولا يعودوا إليه لأنه على العود حثهم.

قال السدي: وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا، فارتهن شمعون عنده. قال الكلبي: إنما اختار شمعون(١٠٥) منهم لأنه يوم الجُبّ كان أجملهم قولاً وأحسنهم رأياً.

قوله عزوجل: ﴿قالوا سَنُرَاوِدُ عنه أباه﴾ والمراودة الاجتهاد في الطلب، مأخوذ من الإرادة.

﴿وإنّا لفاعلون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإنا لفاعلون مراودة أبيه وطلبه منه.

الثاني: وإنا لفاعلون للعود إليه بأخيهم، قاله ابن إسحاق.

فإن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليُعظم له الثواب فاتّبع أمره فيه(١٠٦).

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف.

الثالث: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.

والرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه.

قوله عزوجل: ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص(١٠٧) ﴿لفتيانه﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم غلمانه، قاله قتادة.

الثاني: أنهم الذين كالوا لهم الطعام، قاله السدي.

(١٠٥) وقيل يهوذا و هو المشهور، راجع روح المعاني (٨/١٣).

(١٠٦) قال ابن الجوزي في زاد المسير عن هذا القول (٢٤٨/٤) «وهذا الأظهر» وبعد أن سرد الأقوال قال «كل هذه الأجوبة مدخولة إلا الأول فإنه الصحيح».

(١٠٧) وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر وأبو بكر عن عاصم «لفتيته» زاد المسير (٢٤٩/٤) والمبسوط ص ٢٤٧.

وفي بضاعتهم قولان:

أحدهما: أنها وَرِقهم(١٠٨) التي ابتاعوا الطعام بها.

الثاني: أنها كانت ثمانية جُرُب فيها سويق المقل، قاله الضحاك.

وقال بعض العلماء: نبه الله تعالى برد بضاعتهم إليهم على أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يثابون إليه من الطاعات ويعاقبون عليه من المعاصي.

﴿لعلهم يعرفونها﴾ أي ليعرفوها.

﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ يعني رجعوا إلى أهلهم، ومنه قوله تعالى **﴿فانقلبوا بنعمة من الله﴾** [آل عمران: ١٧٤].

﴿لعلهم يرجعون﴾ أي ليرجعوا.

فإن قيل: فلم فعل ذلك يوسف؟

قيل: يحتمل أوجهاً خمسة:

أحدها: ترغيباً لهم ليرجعوا، على ما صرّح به.

الثاني: أنه علم منهم أنهم لا يستحلّون إمساكها، وأنهم يرجعون لتعريفها.

الثالث: ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعاً في أموالهم.

الرابع: أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذي نزل به.

الخامس: أنه تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم.

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

قوله عزوجل: **﴿فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِعَ مِنّا الكيل﴾** واختلفوا في نزلهم الذي رجعوا إليه إلى أبيهم على قولين:

أحدهما: بالعربات(١٠٩) من أرض فلسطين.

(١٠٨) الورِق بكسر الراء مفتوح ما قبلها هو الفضة والمراد به هنا الدراهم التي كانوا يدفعونها لشراء الحاجيات.

(١٠٩) هو وادي في جنوب البحر الميت في فلسطين. معجم البلدان لياقوت الحموي.

الثاني : بالأولاج[١١٠] من ناحية الشعب أسفل من حمس . وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل .

﴿قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ أي سيمنع منا الكيل إن عدنا بغير أخينا لأن ملك مصر ألزمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا منه .

﴿فأرسل معنا أخانا نكتَل﴾ أي إن أرسلته معنا أمكننا أن نعود إليه ونكتال منه .

﴿وإنا له لحافظون﴾ ترغيباً له في إرساله معهم .

فلم يثق بذلك منهم لما كان منهم في يوسف .

﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ لأنهم ضمنوا له حفظ يوسف فأضاعوه، فلم يثق بهم فيما ضمنوه .

﴿فالله خير حافظاً﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص[١١١] ﴿حافظاً﴾ يعني منكم لأخيكم .

﴿وهو أرحم الراحمين﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أرحم الراحمين في حفظ ما استودع .

والثاني : أرحم الراحمين فيما يرى من حزني .

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل :﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم﴾ أي وجدوا التي كانت بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذي امتاروه .

﴿قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ فيه وجهان :

---

(١١٠) الأولاج وحمس : اسم لجبلين في الأراضي السعودية راجع معجم البلدان لياقوت .

(١١١) وفيها قراءة أخرى وهي «حفظاً» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وعلى هذه القراءة يكون المعنى فالله خير حفظاً من حفظكم. راجع زاد المسير (٤/ ٢٥١) .

أحدهما: أنه على وجه الاستفهام بمعنى ما نبغي بعد هذا الذي قد عاملنا به، قاله قتادة.

الثاني: معناه ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملك، حكاه ابن عيسى.

﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ احتمل أن يكون قولهم ذلك له تعريفاً واحتمل أن يكون ترغيباً، وهو أظهر الاحتمالين.

﴿ونمير أهلنا﴾ أي نأتيهم بالميرة، وهي الطعام المقتات، ومنه قول الشاعر(١١٢):

بعثتك مائراً فمكثت حولاً متى يأتي غياثك من تغيث.

﴿ونمير أهلنا﴾ هذا ترغيب محض ليعقوب.

﴿ونحفظ أخانا﴾ وهذا استنزال.

﴿ونزداد كيل بعير﴾ وهو ترغيب وفيه وجهان:

أحدهما: كيل البعير نحمل عليه أخانا.

والثاني: كيل بعير هو نصيب أخينا لأن يوسف قسّط الطعام بين الناس فلا يعطى الواحد أكثر من حمل بعير.

﴿ذلك كَيْلٌ يسير﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الذي جئناك به كيل يسير لا ينفعنا.

والثاني: أن ما نريده يسير على من يكيل لنا، قاله الحسن. فيكون على الوجه الأول استعطافاً، وعلى الثاني تسهيلاً.

وفي هذا القول منهم وفاءٌ، ليوسف فيما بذلوه من مراودة في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيباً واستنزالاً واستعطافاً وتسهيلاً.

قوله تعالى: ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله﴾ في هذا الموثق ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه إشهادهم الله على أنفسهم.

الثاني: أنه حلفهم بالله(١١٣)، قاله السدي.

(١١٢) أورده الطبري (١٦/١٦٢) ولم ينسبه لأحد.

(١١٣) وهو قول اكثر المفسرين.

الثالث: أنه كفيل يتكفل بهم [١١٤].

﴿لتأتنني به إلَّا أن يحاط بكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلا أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد.

الثاني: إلا أن تُغلَبوا على أمركم، قاله قتادة.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد...﴾ يعني لا تدخلوا مصر من باب واحد، وفيه وجهان:

أحدها: يعني من باب واحد من أبوابها.

﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾، قاله الجمهور.

الثاني: من طريق واحد من طرقها ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ أي طرق، قاله السدي.

وفيما خاف عليهم أن يدخلوا من باب واحد قولان:

أحدهما: أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي صور وجمال، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنه خاف عليهم الملك أن يرى عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسداً أو حذراً، قاله بعض المتأخرين.

﴿وما أغني عنكم من الله من شيءٍ﴾ أي من أي شيء أحذره عليكم فأشار عليهم في الأول، وفوض إلى الله في الآخر.

---

(١١٤) وفيه قول ثالث وهو أنه أحب أن يَلقَوا يوسف في خلوه وهو قول إبراهيم النخعي راجع زاد المسير (٢٥٤/٤).

قوله عز وجل: **﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيءٍ﴾** أي لا يرد حذر المخلوق قضاءَ الخالق.

﴿إلاَّ حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ وهو حذر المشفق وسكون نفسه بالوصية أن يتفرقوا خشية العين.

﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ فيه ثلاثة أوجه(١١٥):

أحدها: إنه لعامل(١١٦) بما علم، قاله قتادة.

الثاني: لمتيقن بوعدنا، وهو معنى قول الضحاك.

الثالث: إنه لحافظ لوصيتنا، وهو معنى قول الكلبي:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾** قال قتادة: ضمَّهُ إليه وأنزله معه.

﴿قال إني أنا أخوك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أخبره أنه يوسف أخوه، قاله ابن إسحاق.

الثاني: أنه قال له: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب.

﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا تأسف، قاله ابن بحر.

الثاني: فلا تحزن بما كانوا يعملون.

وفيه وجهان:

أحدهما: بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك.

الثاني: باستبدادهم دونك بمال أبيك.

---

(١١٥) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير أربعة أقوال راجعها هناك (٤/٢٥٥).

(١١٦) قال ابن الأنباري سمي العمل علماً لأن العلم أول أسباب العمل نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٢٥٤).

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**فلما جهزهم بجهازهم**﴾ وهو كيل الطعام لهم بعد إكرامهم وإعطائه بعيراً لأخيهم مثل ما أعطاهم.

﴿**جعل السقاية في رحل أخيه**﴾ والسقاية والصواع واحد. قال ابن عباس. وكل شيء يشرب فيه فهو صواع، قال الشاعر(١١٧):

نشرب الخمر بالصواع جهاراً وترى المتك بيننا مستعارا

قال قتادة: وكان إناء المتك(١١٨) الذي يشرب فيه.

واختلف في جنسه، فقال عكرمة كان من فضة، وقال عبد الرحمن بن زيد: كان من ذهب(١١٩)، وبه كال طعامهم مبالغة في إكرامهم.

وقال السدي: هو المكوك العادي الذي يلتقي طرفاه.

﴿**ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون**﴾ أي نادى مناد فسمى النداء أذاناً لأنه إعلام كالأذان.

وفي ﴿**العير**﴾ وجهان:

أحدهما: أنها الرفقة.

الثاني: أنها الإبل المرحولة المركوبة، قاله أبو عبيدة.

فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليسرقهم وهم برآء، وهذه معصية؟

قيل عن هذه أربعة أجوبة:

أحدها: أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف.

---

(١١٧) تقدم تخريجه.

(١١٨) كذا في المطبوعة والصواب الملك والتصويب من الطبري (١٦/١٧٢).

(١١٩) ولا طائل تحت هذا الخلاف فضلاً عن ذكره.

الثاني: أن المنادي الذي كال حين فقد السقاية ظن أنهم سرقوها ولم يعلم بما فعله يوسف، فلم يكن عاصياً.

الثالث: أن النداء كان بأمر يوسف، وعنى بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه، وذلك صدق.

الرابع: أنها كانت خطيئة من قبل يوسف فعاقبه الله عليها بأن قال القوم **﴿إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل﴾** يعنون يوسف[١٢٠]. وذهب بعض من يقول بغوامض المعاني إلى أن معنى قوله **﴿إنكم لسارقون﴾** أي لعاقون لأبيكم في أمر أخيكم حيث أخذتموه منه وخنتموه فيه.

قوله عز وجل: **﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾** لأنهم استنكروا ما قذفوا به مع ثقتهم بأنفسهم فاستفهموا استفهام المبهوت.

﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ والصواع واحد وحكى غالب الليثي عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ صوغ الملك بالغين معجمة، مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب وقيل من نحاس.

﴿ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ وهذه جعالة بذلت للواجد.

وفي حمل البعير وجهان:

أحدهما: حمل جمل، وهو قول الجمهور.

الثاني: حمل حمار[١٢١]، وهو لغة، قاله مجاهد.

واختلف في هذا البذل على قولين:

أحدهما: أن المنادي بذله عن نفسه لأنه قال **﴿وأنابه زعيم﴾** أي كفيل ضامن.

فإن قيل: فكيف ضمن حمل بعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما: أن حمل البعير قد كان عندهم معلوماً كالسوق فصح ضمانه.

---

(١٢٠) وقد يقال إن هذا الفعل من وحي الله تعالى وتدبيره ويدل عليه قوله تعالى ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك.....﴾ الآية.

(١٢١) ونقل الألوسي رحمه الله في روح المعاني (١٢/١٣) أن هذا القول في اللغة عده بعضهم شاذاً.

الثاني: أنها جعالة وقد أجاز بعض الفقهاء فيها في الجهالة، ما لم يُجزه في غيرها كما أجاز فيها ضمان ما لم يلزم، وإن منع منه في غيرها.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي لنسرق، لأن السرقة من الفساد في الأرض. وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم قد كانوا عرفوهم بالصلاح والعفاف. وقيل لأنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ومن يؤد الأمانة في غائب لا يقدم على سرقة مال حاضر.

﴿وما كنا سارقين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما كنا سارقين من غيركم فنسرق منكم.

والثاني: ما كنا سارقين لأمانتكم فنسرق غير أمانتكم. وهذا أشبه لأنهم أضافوا بذلك إلى عملهم.

قوله عز وجل: ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ أي ما عقوبة من سرق منكم إن كنتم كاذبين في أنكم لم تسرقوا منا.

﴿قالوا جزاؤه مَن وُجِدَ في رحلِه فهو جزاؤه﴾ أي جزاء من سرق إن يُسْترق.

﴿كذلك نِجزي الظالمين﴾ أي كذلك نفعل بالظالمين إذا سرقوا وكان هذا من دين يعقوب.

﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاءِ أخيه﴾ لتزول الريبة من قلوبهم لو بدىء بوعاء أخيه.

﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ قيل عنى السقاية فلذلك أنّث، وقيل عنى الصاع، وهو يذكر ويؤنث في قول الزجاج.

﴿كذلك كدنا ليوسُف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صنعنا ليوسف قاله الضحاك.

والثاني: دبّرنا ليوسف[١٢٢]، قاله ابن عيسى.

﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في سلطان الملك، قاله ابن عباس.

والثاني: في قضاء الملك، قاله قتادة.

والثالث: في عادة الملك، قال ابن عيسى: ولم يكن في دين الملك استرقاق من سرق. قال الضحاك: وإنما كان يضاعف عليه الغرم.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا أن يشاء الله أن يُسْتَرق من سرق.

والثاني: إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل.

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾

قوله عز وجل: ﴿قالوا إن يسرق فقد سَرَق أخ له من قبلُ﴾ يعنون يوسف. وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: أنه عقوبة ليوسف أجراها الله تعالى على ألسنتهم، قاله عكرمة.

والثاني: ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن سرق فقد جذبه عِرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلاً في الأخلاق.

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه بذلك، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

---

(١٢٢) كثير من العلماء والأئمة كتبوا في موضوع الحيل وحكمها الشرعي ومن أهم من ألف في هذا الموضوع الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

الثاني: كان مع إخوته على طعام فنظر إلى عرق فخبأه، فعيّروه بذلك، قاله عطية العوفي.

الثالث: أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين، حكاه ابن عيسى.

الرابع: أن عمته وكانت أكبر ولد إسحاق وإليها صارت منطقة إسحاق لأنها كانت في الكبير من ولده، وكانت تكفل يوسف، فلما أراد يعقوب أخذه منها جعلت المنطقة، واتهمته فأخذتها منه، فصارت في حكمهم أحق به، فكان ذلك منها لشدة ميلها وحبها له، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن.

﴿**فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أسر في نفسه قولهم ﴿**إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل**﴾ قاله ابن شجرة وعلي بن عيسى.

الثاني: أسر في نفسه ﴿**أَنتُمْ شَرٌّ مكاناً . .**﴾ الآية، قاله ابن عباس وابن إسحاق.

وفي قوله: ﴿**قال أنتم شر مكاناً**﴾ وجهان:

أحدهما: أنتم شر منزلة عند الله ممن نسبتموه إلى هذه السرقة.

الثاني: أنتم شر صنعاً لما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم.

وفي قوله تعالى: ﴿**والله أعلم بما تصفون**﴾ تأويلان:

أحدهما: بما تقولون، قاله مجاهد.

الثاني: بما تكذبون، قاله قتادة.

وحكى بعض المفسرين أنهم لما دخلوا عليه دعا بالصواع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال: إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً وأنكم انطلقتم بأخٍ لكم فبِعْتموه، فلما سمعها بنيامين قام وسجد ليوسف وقال أيها الملك سلْ صواعكَ هذا عن أخي أحيٌّ هو أم هالك؟ فنقره، ثم قال: هو حي وسوف تراه. قال: فاصنع بي ما شئت، فإنه إن علم بي سينقذني. قال: فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج، فقال بنيامين: افقر[١٢٣] صواعك ليخبرك بالذي سرقه فجعله في رحلي، فنقره، فقال:

(١٢٣) كذا في المطبوعة والصواب انقر لدلالة سياق الكلام عليه.

صواعي هذا غضبان وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت(١٢٤).

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾

قوله عزوجل: ﴿... يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾ لكن قالوا ذلك ترقيقاً واستعطافاًوفي قولهم ﴿كبيراً﴾ وجهان:

أحدهما: كبير السن.

الثاني: كبير القدر لأن كبر السن معروف من حال الشيخ.

﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ أي عبْداً بدله.

﴿إنا نراك من المحسنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نراك من المحسنين في هذا إن فعلت، قاله ابن إسحاق.

الثاني: نراك من المحسنين فيما كنت تفعله بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا وبضاعتنا.

ويحتمل ثالثاً: إنا نراك من العادلين، لأن العادل محسِن.

فأجابهم يوسف عن هذا ﴿قال معاذَ الله أن نأخذ إلا من وَجدْنا متاعنا عنده إنَّا إذاً لظالمون﴾ إن أخذنا بريئاً بسقيم، وفيه وجه ثان: إناإذاً لظالمون عندكم إذا حكمنا عليكم بغير حكم أبيكم أن من سرق استُرِقّ.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ

---

(١٢٤) هذا الكلام من قول السدي رحمه الله ورواه مطولاً الطبري عنه (١٦/ ٢٠٠) وهذا السياق من الإسرائيليات كما لا يخفى.

أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا
كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ
أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

قوله عزوجل: ﴿فلما استيأسوا منه﴾ أي يئسوا من رد أخيهم عليهم.

الثاني: استيقنوا أنه لا يرد عليهم، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الشاعر(١٢٥):

أقول لها بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

﴿خلصوا نجيّاً﴾ أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يختلط بهم غيرهم.

﴿قال كبيرهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى كبيرهم في العقل والعلم وهو شمعون الذي كان قد ارتهن يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عنى كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف، قاله قتادة.

الثالث: أنه عنى كبيرهم في الرأي والتمييز وهو يهوذا، قاله مجاهد.

﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ يعني عند إيفاد ابنه هذا معكم.

﴿ومن قبل ما فرَّطتم في يوسف﴾ أي ضيعتموه.

﴿فلن أبرح الأرض﴾ يعني أرض مصر.

﴿حتى يأذن لي أبي﴾ يعني بالرجوع.

﴿أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني أو يقضي الله لي بالخروج منها، وهو قول الجمهور.

الثاني: أو يحكم الله لي بالسيف والمحاربة لأنهم هموا بذلك، قاله أبو صالح.

قوله عزوجل: ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ وقرأ ابن عباس

---

(١٢٥) هو سحيم بن وثيل والبيت في اللسان «يأس» والشطر الثاني فيه.
ألم تيئسوا أني ابن فارس لازم.

﴿سُرِق﴾ بضم السين وكسر الراء(١٢٦) وتشديدها.

﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: وما شهدنا عندك بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من وجود السرقة في رحله، قاله ابن إسحاق.

الثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد.

﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، قاله قتادة.

الثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسترقّ، وهو قول مجاهد.

قوله عزوجل: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ وهي مصر، والمعنى واسأل أهل القرية فحذف ذكر الأهل إيجازاً، لأن الحال تشهد به.

﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ وفي ﴿العير﴾ وجهان:

أحدهما: أنها القافلة، وقافلة الإبل تسمى عيراً على التشبيه.

الثاني: الحمير(١٢٧)، قاله مجاهد، والمعنى أهل العير.

وقيل فيه وجه ثالث: أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه نبي، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً(١٢٨).

﴿وإنا لصادقون﴾ أي يستشهدون بصدْقنا أن ابنك سرق.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟

(١٢٦) وكذا الضحاك وابن أبي سريح عن الكسائي راجع زاد المسير (٤/٢٦٧).

(١٢٧) سبق التعليق على مثل هذا.

(١٢٨) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٣/٣٨) «ولا يخفى أن مثل هذا لا يقي من ارتكاب مجاز نعم هو معنى لطيف بيد أن الجمهورعلى خلافه وما أكثرهم على اعتبار مجاز الحذف.

﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بل سهلت.

الثاني: بل زينت لكم أنفسكم أمراً في قولكم إن ابني سرق وهو لا يسرق، وإنما ذاك لأمر يريده الله تعالى.

﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يعني بيوسف وأخيه المأخوذ في السرقة وأخيه المتخلف معه فهم ثلاثة.

﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ يعني العليم بأمركم، الحكيم في قضائه بما ذكرتم.

قوله عزوجل: ﴿وتولَّى عنهم وقال ياأسفَى على يوسف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه واجزعاه قاله مجاهد، ومنه قول كثير[(١٢٩)]:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافُه ... وللنفس لما سليت فتسلّتِ

الثاني: معناه يا جزعاه، قاله ابن عباس. قال حسان بن ثابت يرثي رسول الله ﷺ:

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت ... عليه وما تحت السلام المنضد

وفي هذا القول وجهان:

أحدهما: أنه أراد به الشكوى إلى الله تعالى ولم يرد به الشكوى منه رغباً إلى الله تعالى في كشف بلائه.

الثاني: أنه أراد به الدعاء، وفيه قولان:

أحدهما: مضمر وتقديره يا رب ارحم أسفي على يوسف[(١٣٠)].

﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه.

---

(١٢٩) أورده هنا في فتح القدير (٣/٤٨).

(١٣٠) لم يذكر هنا الوجه الثاني فتنبه.

الثاني: أنه ذهب بصره[١٣١]، قاله مجاهد.

﴿فهو كظيم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الكمد، قاله الضحاك.

الثاني: أنه الذي لا يتكلم، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه المقهور، قاله ابن عباس، قال الشاعر[١٣٢]:

فإن أك كاظماً لمصاب شاسٍ فإني اليوم منطلق لساني

والرابع: أنه المخفي لحزنه، قاله مجاهد وقتادة، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه، قال الشاعر:

فحضضت قومي واحتسبت قتالهم والقوم من خوفِ المنايا كظم

قوله عز وجل: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه لا تزال تذكر يوسف، قال أوس بن حجر[١٣٣]:

فما فتئت خيل تثوبُ وتدّعي ويلحقُ منها لاحق وتقطّعُ

أي فما زالت. وقال مجاهد: تفتأ بمعنى تفتر.

﴿حتى تكون حرضاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني هرماً، قاله الحسن.

والثاني: دنفاً من المرض، وهو ما دون الموت، قاله ابن عباس ومجاهد.

والثالث: أنه الفاسد العقل، قاله محمد بن إسحاق. وأصل الحرض فساد الجسم والعقل من مرض أو عشق، قال العرجي[١٣٤].

إني امرؤلجّ بي حُبٌّ فأحرضني حتى بَليتُ وحتى شفّني السقم

﴿أو تكون من الهالكين﴾ يعني ميتاً من الميتين، قاله الجميع.

---

(١٣١) تقدم الكلام عن حكم العمى بالنسبة للأنبياء.

(١٣٢) أورده في فتح القدير (٣/٤٨) ولم ينسبه.

(١٣٣) ديوانه: ١٧، المعاني الكبير (١٠٠٢)، الطبري (١٦/٢٢١)، مجاز القرآن (١/٣١٦)، جمهرة أشعار العرب (٣/٢٨٧).

(١٣٤) ديوانه: ٥، مجاز القرآن ٣١٧، اللسان (حرض) الطبري (١٦/٢٢٢)، الاشتقاق ٤٨، السمط ٤٢٢، القرطبي (٩/٢٥٠) والعرجي هو عبدالله بن عمر بن عبدالله العرجي.

فإن قيل: فكيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً متمكناً بمصر، وأبوه بحرّان من أرض الجزيرة؟ وهلّا عجّل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء؟

قيل يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالى، ابتلاء له لمصلحة علمها فيه لأنه نبيّ مأمور (١٣٥).

الثاني: أنه بلي بالسجن، فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر.

الثالث: أن في مفاجأة السرور خطراً وأحب أن يروض نفسه بالتدريج (١٣٦).

الرابع: لئلا يتصور الملك الأكبر فاقة أهله بتعجيل استدعائهم حين ملك.

قوله عزوجل: ﴿**قال إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله**﴾ في بثي وجهان:

أحدهما: همّي، قاله ابن عباس.

الثاني: حاجتي، حكاه ابن جرير (١٣٧). والبث تفريق الهم بإظهار ما في النفس. وإنما شكا ما في نفسه فجعله بثاً وهو مبثوث.

﴿**وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني ساجد له، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه أحست نفسه حين أخبروه فدعا الملك وقال: لعله يوسف، وقال لا يكون في الأرض صدّيق إلا نبي، قاله السدّي.

وسبب قول يعقوب ﴿**إنما أشكو بثي وحزني إلى الله**﴾ ما حكي أن رجلاً دخل عليه فقال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني؟ فقال: خطيئة أخطأتها فاغفرها لي. وكان بعد ذلك يقول ﴿**إنما أشكو بثي وحزني إلى الله**﴾.

يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا

(١٣٥) قال ابن الجوزي عن هذا القول في زاد المسير (٤/٢٧٥) «وهو الأظهر».

(١٣٦) جامع البيان (١٦/٢٢٦) حكاه ابن جرير عن الحسن.

(١٣٧) هذه الحكاية ذكرها حبيب ابن أبي ثابت كما في الطبري (١٦/٢٢٨) وبمثلها عن ثور بن يزيد (١٦/٢٢٨).

يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . اذهبوا فتحسَّسُوا مِن يوسُفَ وأخيه﴾ أي استعلموا وتعرّفوا، ومنه قول عديّ بن زيد:

فـإنْ حَييتَ فـلا أحسسـك في بلدي وإن مـرضت فـلا تحسِسْـك عُـوّادِي

وأصله طلب الشيء بالحس.

﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: من فرج الله، قاله محمد بن إسحاق.

والثاني: من رحمة الله، قاله قتادة. وهو مأخوذ من الريح التي بالنفع. وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنبّه على يوسف برد البضاعة واحتباس أخيه وإظهار الكرامة ولما حكي أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا.

قوله عزوجل: ﴿فلمّا دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مَسّنا وأهلنا الضر﴾وهذا مِن ألطف ترفيق وأبلغ استعطاف. وفي قصدهم بذلك قولان:

أحدهما: بأن يرد أخاهم عليهم، قاله ابن جرير(١٣٨).

والثاني: توفية كيلهم والمحاباة لهم، قاله علي بن عيسى.

﴿وجئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ﴾ وأصل الإزجاء السَّوْق بـالدفـع، وفيه قـول الشاعـر عدي بن الرقاع(١٣٩).

تـزجـي أغَـنّ كـأن إبـرَة روقِـهِ قـلمٌ أصـاب مـن الدواة مـدادهـا

وفي بضاعتهم هـذه خمسة أقاويل:

أحدهـا: أنها كانت دراهم، قاله ابن عباس.

---

(١٣٨) جامع البيان (١٦/٢٣٤).

(١٣٩) اللسان «زجا» والشطر الأول منه:

تزجي أغن كأنه ابره ورقه.

الثاني: متاع الأعراب، صوف وسمن، قاله عبدالله بن الحارث.

الثالث: الحبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح.

الرابع: سويق المقل[١٤٠]. قاله الضحاك.

الخامس: خلق الحبْل[١٤١] والغرارة، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي المزجاة ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنها الرديئة، قاله ابن عباس.

والثاني: الكاسدة، قاله الضحاك.

الثالث: القليلة، قاله مجاهد. قال ابن إسحاق: وهي التي لا تبلغ قدر الحاجة ومنه قول الراعي[١٤٢]:

ومرسل برسول غير متّهم   وحاجة غير مزجاة من الحاج

وقال الكلبي: هي كلمة من لغة العجم، وقال الهيثمي: من لغة القبط.

﴿فأوف لنا الكيل﴾ فيه قولان:

أحدهما: الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم، وهو قول ابن جريج.

الثاني: مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل، قاله السدي.

﴿وتصدق علينا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدهما: معناه تفضل علينا بما بين الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير والسدي والحسن، وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء[١٤٣].

الثاني: تصدق علينا بالزيادة على حقنا، قاله سفيان بن عيينة. قال مجاهد: ولم تحرم الصدقة إلا على محمد ﷺ وحده[١٤٤].

الثالث: تصدق علينا برد أخينا إلينا، قاله ابن جريج، وكره للرجل أن يقول في دعائه: اللهم تصدّق عَليّ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب.

---

(١٤٠) السويق هو طعام يتخذ من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو.

(١٤١) الخلق: البالي والغرارة بكسر الغين: الجوالق.

(١٤٢) اللسان «زجا».

(١٤٣) هذا بناء على القول القائل بأن أخوة يوسف كانوا أنبياء.

(١٤٤) وحكاه عن ابن عيينة أيضاً أبو سليمان الدمشقي وأبو يعلى بن الفراء. كما في زاد المسير (٤/ ٢٧٩).

الرابع: معناه تجوّز عنا، قاله ابن شجرة وابن زيد واستشهد بقول الشاعر:

تصدّق علينا يا ابن عفان واحتسب وأمر علينا الأشعري لياليا

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿قال هَلْ علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾** معنى قوله **﴿هل علمتم ما فعلتم﴾** أي قد علمتم، كقوله تعالى **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾** أي قد أتى.

قال ابن إسحاق: ذكر لنا أنهم لما قالوا **﴿مسّنا وأهلنا الضر﴾** رحمهم ورقّ لهم، فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ وعَدَّدَ عليهم ما صنعوا بهما.

﴿إذ أنتم جاهلون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهل الصغر.

الثاني: جهل المعاصي.

الثالث: الجهل بعواقب أفعالهم. فحينئذ عرفوه.

﴿قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ وحكى الضحاك في قراءة عبدالله: وهذا أخي وبيني وبينه قربى.

﴿قد مَنّ الله علينا﴾ يعني بالسلامة ثم بالكرامة، ويحتمل بالإجتماع بعد طول الفرقة.

﴿إنه مَنْ يتّق ويصبرْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يتقي الزنى ويصبر على العزوبة، قاله إبراهيم.

الثاني: يتقي الله تعالى ويصبر على بلواه. وهو محتمل(١٤٥).

﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ فيه قولان:

أحدهما: في الدنيا.

الثاني: في الآخرة.

قوله عزوجل: ﴿قالوا تالله لقد آثرك اللهُ علينا﴾ مأخوذ من الإيثار، وهو إرادة تفضيل أحد النفسين على الآخر، قال الشاعر(١٤٦):

والله أسماك سُمًّا مباركاً   آثرك الله به إيثارَكا

﴿وإن كنا لخاطئين﴾ أي فيما صنعوا بيوسف، وفيه قولان:

أحدهما: آثمين.

الثاني: مخطئين. والفرق بين الخاطىء والمخطىء أن الخاطىء آثم.

فإن قيل: فقد كانوا عند فعلهم ذلك به صغاراً ترفع عنهم الخطايا.

قيل لما كبروا واستداموا إخفاء ما صنعوا صاروا حينئذ خاطئين.

قوله عز وجل: ﴿قال لا تثريب عليكم﴾ فيه قولان أربعة تأويلات:

أحدها: لا تغيير عليكم، وهو قول سفيان بن عيينة.

الثاني: لا تأنيب فيما صنعتم، قاله ابن إسحاق.

الثالث: لا إباء عليكم في قولكم، قاله مجاهد.

الرابع: لا عقاب عليكم وقال الشاعر(١٤٧):

فعفوت عنهم عفو غير مثربٍ   وتركتهم لعقاب يومٍ سرمد

﴿اليوم يغفر الله لكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لتوبتهم بالاعتراف والندم.

الثاني: لإحلاله لهم بالعفو عنهم.

﴿وهو أرحم الراحمين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: في صنعه بي حين جعلني ملكاً.

---

(١٤٥) وهذا القول أعم وأشمل والله أعلم.

(١٤٦) اللسان «سما» ولم ينسبه في اللسان.

(١٤٧) هو بشر وقيل تبع والبيت في اللسان «يثرب».

الثاني: في عفوه عنكم عما تقدم من ذنبكم.

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

قوله عزوجل: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾(١٤٨) وفيه وجهان:

أحدهما: مستبصراً بأمري لأنه إذا شم ريح القميص عرفني.

الثاني: بصيراً من العمى فذاك من أحد الآيات الثلاث في قميص يوسف بعد الدم الكذب وقدّه من دُبُره. وفيه وجه آخر لأنه قميص إبراهيم(١٤٩) أنزل عليه من الجنة لما أُلقي في النار، فصار لإسحاق ثم ليعقوب، ثم ليوسف فخلص به من الجب وحازه حتى ألقاه أخوه على وجه أبيه فارتد بصيراً، ولم يعلم بما سبق من سلامة إبراهيم من النار ويوسف من الجب أن يعقوب يرجع به بصيراً.

قال الحسن: لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره.. وكان الذي حمل قميصه يهوذا بن يعقوب، قال ليوسف: أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته فأنا الآن أحمل قميصك لأسرّه وليعود إليه بصره فحمله، حكاه السدي.

﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ لتتخذوا مِصرَ داراً. قال مسروق فكانوا ثلاثة وتسعين بين رجل وامرأة.

قوله عزوجل: ﴿ولمّا فصلت العير﴾ أي خرجت من مصر منطلقة إلى الشام.

﴿قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها أمارات شاهدة وعلامات قوي ظنه بها، فكانت هي الريح التي

---

(١٤٨) وقد استشكل بعضهم ما قطع به يوسف من كونه قال يأت بصيراً.

والجواب أن ذلك كان بالوحي إليه كما قال مجاهد ونقله في زاد المسير (٤/ ٢٨٣).

(١٤٩) وهذا القول يحتاج إلى نقل بسند صحيح مرفوع أو في حكمه.

وجدها ليوسف، مأخوذ من قولهم تنسمت رائحة كذا وكذا إذا قرب منك ما ظننت أنه سيكون.

والقول الثاني: وهو قول الجمهور أنه شم ريح يوسف التي عرفها. قال جعفر بن محمد رضي الله عنه: وهي ريح الصبا. ثم اعتذر فقال(١٥٠):

﴿لولا أن تفنّدون﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: لولا أن تسفهون، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه قول النابغة الذبياني:

إلّا سليمان إذ قال المليكُ له ... قم في البرية فاجددها عن الفنَد

أي عن السفة.

الثاني: معناه لولا أن تكذبون، قاله سعيد بن جبير والضحاك، ومنه قول الشاعر:

هل في افتخار الكريم من أود ... أم هل لقول الصديق من فند

أي من كذب.

الثالث: لولا أن تضعّفون، قاله ابن إسحاق. والتفنيد: تضعيف الرأي، ومنه قول الشاعر(١٥١):

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي ... فليس ما فات من أمري بمردود

وكان قول هذا لأولاد بنيه، لغيبة بنيه عنه، فدل هذا على أن الجدَّ أبٌ.

الرابع: لولا أن تلوموني، قاله ابن بحر.

ومنه قول جرير(١٥٢):

يا عاذليَّ دعا الملامة واقصِرا ... طال الهوى وأطلْتُما التفنيدا

واختلفوا في المسافة التي وجد ريح قميصه منها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه وجدها من مسافة عشرة أيام. قاله أبو الهذيل.

---

(١٥٠) والبيت من معلقة النابغة ديوان ص ٢٠.

(١٥١) هو هاني بن شكيم العدوي والبيت في مجاز القرآن (١/٣١٨)، الطبري (١٣/٥٩) والقرطبي (٩/٢٦٠).

(١٥٢) ديوانه: ١٦٩. الطبري (١٦/٢٥٦).

الثاني: من مسيرة ثمانية أيام، قاله ابن عباس.

الثالث: من مسيرة ستة أيام، قاله مجاهد. وكان يعقوب بأرض كنعان ويوسف بمصر وبينهما ثمانون فرسخاً، قاله قتادة.

قوله عزوجل: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أي في خطئك القديم، قاله ابن عباس وابن زيد.

الثاني: في جنونك القديم، قاله سعيد بن جبير. قال الحسن: وهذا عقوق.

الثالث: في محبتك القديمة، قاله قتادة وسفيان.

الرابع: في شقائك القديم، قاله مقاتل، ومنه قول لبيد:

تمنى أن تلاقي آل سلمى بحطمة والمنى طرف الضَّلال

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: بنوه، ولم يقصدوا بذلك ذماً فيأثموا.

والثاني: بنو نبيه وكانوا صغاراً.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٩٦) قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ (٩٧) قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٩٨)﴾

قوله عزوجل: ﴿فلما أن جاء البشير﴾ وفي قولان:

أحدهما: شمعون، قاله الضحاك.

الثاني: يهوذا. سمي بذلك لأنه أتاه ببشارة.

﴿ألقاه على وجهه﴾ يعني ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب.

﴿فارتدَّ بصيراً﴾ أي رجع بصيراً، وفيه وجهان:

أحدهما: بصيراً بخبر يوسف.

الثاني: بصيراً من العمى.

﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إني أعلم من صحة رؤيا يوسف ما لا تعلمون.

الثـاني : إني أعلم من قول ملك المـوت أنـه لم يقبض روح يـوسف مـا لا تعلمون .

الثالث: إني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول العراج ونيل الثواب ما لا تعلمون .

قوله عزوجل :﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ وإنما سألوه ذلك لأمرين :

أحدهما : أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإجلاله .

الثاني : أنه نبيٌّ تجاب دعوته ويعطى مسألته، فروى ابن وهب عن الليث بن سعد أن يعقوب وإخوة يوسف قاموا عشرين سنة يطلبون التوبة فيما فعل إخوة يوسف بيوسف لا يقبل ذلك منهم حتى لقي جبريـــل يعقوب فعلمه هذا الدعاء : يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجـائي ، ويا غوث المؤمنين أغثني ، ويـا عَـوْن المؤمنين أعني ، ويـا مجيب التّوابين[١٥٣] تُبْ عليَّ فاستجيب لهم .

فإن قيل قد تقدمت المغفرة لهم بقول يوسف من قبل ﴿لا تثـريب عليكم﴾ الآية ، فلمَ سألوا أباهم أن يستغفر لهم؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة[١٥٤] :

أحدها : لأن لفظ يوسف عن مستقبل صار وعداً ، ولم يكن عن ماض فيكون خبراً .

الثاني : أن ما تقدم من يوسف كان مغفرة في حقه ، ثم سألوا أباهم أن يستغفر لهم في حق نفسه .

الثالث : أنهم علموا نبوة أبيهم فوثقوا بإجابته ، ولم يعلموا نبوة أخيهم فلم يثقوا بإجابته .

قوله عز وجل :﴿قـال سوف أستغفـر لكم ربي﴾ وفي تأخيـره الاستغفار لهم وجهان :

أحدهما : أنه أخره دفعاً عن التعجيل ووعداً من بعد ، فلذلك قال عطاء : طلب

---

(١٥٣) رواه ابن ابي حاتم عنه كما في الدر (٥٨٧/٤) وقوله في الحديث هنا «يا مجيب التوابين» ورد في نسخة أخرى للمحفوظة يا حبيب . . وهو الصواب كما في الدر.

(١٥٤) قال الامام الشوكاني في فتح القدير (٥٤٠/٣) معقباً على قول عطاء «أقول في هذا الكلام نظر فإنهم ـ

الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ وإلى قول يعقوب: ﴿سوف استغفر لكم ربي﴾.

الثاني: أنه أخّره انتظاراً لوقت الإجابة وتوقعاً لزمان الطلب.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند صلاة الليل، قاله عمرو بن قيس.

الثاني: إلى السحَر، قاله ابن مسعود وابن عمر. روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب**»(١٥٥).

الثالث: إلى ليلة الجمعة قاله ابن عباس ورواه عن النبي ﷺ(١٥٦) مرفوعاً.

وإنما سألوه الاستغفار لهم وإن كان المستحق في ذنوبهم التوبة منها دون الاستغفار لهم ثلاثة أمور:

أحدها: للتبرك بدعائه واستغفاره.

الثاني: طلباً لاستعطافه ورضاه.

الثالث: لحذرهم من البلوى والامتحان في الدنيا.

= طلبوا من يوسف أن يعفوا عنهم بقولهم لقد آثرك الله علينا فقال لا تثريب عليكم اليوم لأن مقصودهم صدور العفو منه عنهم وطلبوا من أبيهم يعقوب أن يستغفر الله لهم وهو لا يكون إلا بطلب ذلك منه إلى الله عز وجل وبين المقامين فرق فلم يكن وعد يعقوب لهم بخلاً عليهم بسؤال الله لهم ولا سيما إذا ما تقدم من أنه أخر ذلك إلى وقت الاجابة فإنه لو طلبه لهم في الحال لم يحصل له علم بالقبول» ا هـ.

(١٥٥) لكن رواه ابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سئل لم أخر يعقوب بنيه من الاستغفار قال أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب الدر المنثور (٤/٥٨٤) أما حديث أنس فلم أظفر عمن خرجه والله اعلم.

(١٥٦) رواه ابن جرير (١٦/٢٦٢) من الحاكم وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه والترمذي (٣٥٧٠) مطولاً من حديث علي مرفوعاً وقال هذا (١/٣١٦) حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ا هـ قلت وفي سنده سليمان بن عبد الرحمن التميمي وهو ثقة لكنه حدث بالمناكير ولهذا قال الحافظ الذهبي متعقباً لتصحيح الحاكم، هذا حديث منكر شاذ أضاف أن يكون موضوعاً وقد حيرني والله جودة إسناده.

قلت وقول الذهبي منكر شاذ يقصد المسند ولا يلزم من جودة الاسناد صحة المتن كما هو معلوم عند أهل الفقه وقال الحافظ ابن كثير (٢/٤٩٠) هذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله اعلم راجع ما كتب في حاشية الطبري.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾

قوله عزوجل: **﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾** اختلف في إجتماع يوسف مع أبويه وأهله، فحكى الكلبي والسدي أن يوسف خرج عن مصر وركب معه أهلها، وقيل خرج الملك الأكبر معه واستقبل يعقوب، قال الكلبي على يوم من مصر، وكان القصر على ضحوة من مصر، فلما دنا يعقوب متوكئاً على ابنه يهوذا يمشي، فلما نظر إلى الخيل والناس قال: يا يهوذا أهذا فرعون؟ قال: لا، هذا ابنك يوسف، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان عني، فأجابه يوسف:

﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: آمنين من فرعون، قاله أبو العالية.

الثاني: آمنين من القحط والجدب، قاله السدي.

وقال ابن جريج: كان اجتماعهم بمصر بعد دخولهم عليه فيها على ظاهر اللفظ، فعلى هذا يكون معنى قوله **﴿ادخلوا مصر﴾** استوطنوا مصر.

وفي قوله: **﴿إن شاء الله﴾** وجهان:

أحدهما: أن يعود إلى استيطان مصر، وتقديره استوطنوا مصر إن شاء الله.

الثاني: أنه راجع إلى قول يعقوب(١٥٧): سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم، ويكون اللفظ مؤخراً، وهو قول ابن جريج.

---

(١٥٧) قال الشوكاني(٣/٥٩) «وقيل إن التقيد بالمشيئة راجع إلى **﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾** وهو بعيد» «وقال الألوسي (١٣/٥٦)» وأنت تعلم أن هذا مما لا ينبغي أن يلتفت إليه فإن ذلك من كلام يوسف عليه السلام بلا مرية فلا أدري ما الداعي إلى ارتكابه ولعله محض جهل اهـ قلت وهو بهذا يتعقب قول ابن جريج.

فحكى ابن مسعود أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون إنساناً من رجل وامرأة، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

قوله عزوجل: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ قال مجاهد وقتادة:

وفي أبويه قولان:

أحدهما: أنهما أبوه وخالته راحيل، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمه فسميت أُماً، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين، قاله وهب والسدي.

الثاني: أنهما أبوه وأمه وكانت باقية إلى دخول مصر، قاله الحسن وابن إسحاق.

﴿وخرّوا له سجداً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له، قال قتادة: وكان السجود تحية من قبلكم وأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة.

وقال الحسن: بل أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا.

وقال محمد بن إسحاق: سجد له أبواه وإخوته الأحد عشر.

والقول الثاني: أنهم سجدوا لله عز وجل(١٥٨)، قاله ابن عباس، وكان يوسف في جهة القبلة فاستقبلوه بسجود، وكان سجودهم شكراً، ويكون معنى قوله ﴿وخروا﴾ أي سقطوا، كما قال تعالى ﴿فخرّ عليهم السقف مِنْ فوقهم﴾ أي سقط.

والقول الثالث: أن السجود ها هنا الخضوع والتذلل، ويكون معنى قوله تعالى ﴿خروا﴾ أي بدروا.

﴿وقال يا أبَتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ واختلف العلماء فيما بين رؤياه وتأويلها على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه كان بينهما ثمانون سنة، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: كان بينهما أربعون سنة، قاله سليمان.

الثالث: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير.

---

(١٥٨) وهذا التأويل بناء على أنه الضمير في له «راجع إلى الله» يعني وخروا لله سجداً ولكن الامام الشوكاني قال (٣/٥٩) «وهو بعيد جداً» أن ثم قال «وقيل إن الضمير ليوسف واللام للتعليل أي وخروا لأجله وفيه أيضاً بعد» قلت والصواب من القول أن هذا السجود سجود تحية ولا مانع من كونه بالجبهة على الأرض.

الرابع: اثنتان وعشرون سنة(١٥٩).

والخامس: أنه كان بينهما ثماني عشرة سنة، قاله ابن إسحاق.

فإن قيل: فإن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا صادقة فهلّا وثق بها يعقوب وتسلى؟ ولم **﴿قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾** وما يضر الكيد مع سابق القضاء؟

قيل عن هذا جوابان:

أحدهما: أنه رآها وهو صبي فجاز أن تخالف رؤيا الأنبياء المرسلين.

الثاني: أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوى وخاف كيد الإخوة في تعجيل الأذى.

﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾ فإن قيل فلم اقتصر من ذكر ما بُلي به على شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله في الجب أخطر؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه كان في السجن مع الخوف من المعرة ما لم يكن في الجب فكان ما في نفسه من بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر.

الثاني: أنه قال ذلك شكراً لله عز وجل على نقله من البلوى إلى النعماء، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب، فصار أخص بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملكاً، وبخروجه من الجب عبداً.

الثالث: أنه لما عفا عن إخوته بقوله **﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾** أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ.

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله **﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾** أي من سجن السخط إلى فضاء الرضا.

وفي قوله: **﴿وجاء بكم من البدو﴾** ثلاثة أقاويل:

---

(١٥٩) وهو قول ابن عباس كما في زاد المسير (٤/ ٢٩٠).

أحدهـا: أنهم كانوا في بادية بأرض كنعان أهل مواشٍ وخيام، وهذا قـول قتادة.

الثاني :أنه كان قد نزل[١٦٠] «بدا» وبنى تحت جبلها مسجداً ومنها قصد، حكاه الضحاك عن ابن عباس. قال جميل[١٦١]:

وأنتِ التي حَـبَبْـتِ شغبـاً إلى بَـدَا إلـيّ وأوطـانـي بـلادُ سِـواهـمـا

يقال بدا يبدو إذا نزل «بدا» فلذلك قال: وجاء بكم من البدو وإن كانوا سكان المدن.

الثالث: لأنهم جاءُوا في البادية وكانوا سكان مدن، ويكون بمعنى في.

واختلف من قال بهذا في البلد الذي كانوا يسكنونه على ثلاثة أقاويل.

أحدهـا: أنهم كانوا من أهل فلسطين، قاله علي بن أبي طلحة.

الثاني: من ناحية حران من أرض الجزيرة، ولعله قول الحسن.

الثالث: من الأولاج من ناحية الشعب، حكاه ابن إسحاق.

﴿من بَعْدِ أن نَزَغَ الشيطانُ بيني وبين إخوتي﴾ وفي نزغه وجهان:

أحدهما: أنه إيقاع الحسد، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه حرّش وأفسد، قاله ابن قتيبة.

﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ قال قتادة: لطيف بيوسف بإخراجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع عن يوسف نزغ الشيطان.

۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

قوله عزوجل: ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ فيه أربعة أقاويل:

---

(١٦٠) قال الشوكاني «وفيه نظر» (٥٩/٣).

(١٦١) وقد اورده في فتح القدير (٥٩/٣) وكذا في روح المعاني (٦٠/١٣) ونسب في هامش روح المعاني الكثير عنده.

أحدهـا: أن الملك هو احتياج حساده إليه، قاله ابن عطاء.

الثاني: أراد تصديق الرؤيا التي رآها.

الثالث: أنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء.

الرابع: أنه أراد مُلْك الأرض وهو الأشهر. وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون.

﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عبارة الرؤيا. قاله مجاهد.

الثاني: الإخبار عن حوادث الزمان، حكاه ابن عيسى.

﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهما.

﴿أنت وليّي في الدنيا والآخرة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مولاي.

الثاني: ناصري.

﴿توفني مسلماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني مخلصاً للطاعة، قاله الضحاك.

الثاني: على ملة الإسلام.

حكى الحسن أن البشير لما أتى يعقوب قال له يعقوب عليه السلام: على أي دين خلفت يوسف؟ قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمت النعمة.

﴿وألحقني بالصالحين﴾ فيه قولان:

أحدهما: بأهل الجنة، قاله عكرمة.

الثاني: بآبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك.

قال قتادة والسدي: فكان يوسف أول نبي تمنى الموت(١٦٢).

وقال محمد بن إسحاق: مكث يعقوب بأرض مصر سبع عشرة سنة. وقال ابن

(١٦٢) قال الشوكاني (٣/٥٧) وذهب الجمهور إلى أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء وإنما دعا ربه أن يتوفاه على الإسلام ويلحق بالصالحين من عباده عند حضور أجله». ا. هـ.

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٢٩٢) عن ابي الوفاء ابن عقيل قوله «لم يتمن يوسف الموت وإن سأل أن يموت على صفة والمعنى إذا توفيتني مسلماً قال [أي ابن الجوزي] وهذا الصحيح.

عباس مات يعقوب بأرض مصر وحمل إلى أرض كنعان فدفن هناك. ودفن يوسف بأرض مصر ولم يزل بها حتى استخرج موسى عظامه(١٦٣) وحملها فدفنها إلى جنب يعقوب عليهم السلام.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

(١٦٣) وهذا الموضع يحتاج إلى بسط وتفصيل فدونك إياه فأقول وبالله التوفيق ورد في الحديث الصحيح أن جسد يوسف نقل ونقله نبي الله موسى كما قال ابن اسحاق ويؤيده ما صح عن رسول الله ﷺ فروى الحاكم (٢/٤ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥ و ٥٧١ ـ ٥٧٢) وابو يعلى (١/٣٤٤) وصححه الحاكم على شرط، الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٣١٣ وقال إنما هو على شرط مسلم وحده من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال «اتى النبي ﷺ أعرابياً فأكرمه فقال له ائتنا فأتاه فقال رسول الله ﷺ «وفي رواية» نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ تعهدنا ائتنا فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ﷺ سل حاجتك فقال ناقة برحلها وعنزاً يحلبها أهلي فقال رسول الله ﷺ «اعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني اسرائيل [فقال أصحابه يا رسول الله وما عجوز بني اسرائيل] قال ان موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق فقال ما هذا؟ فقال علماؤهم [نحن نحدثك] إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا [وما ندري اين قبر يوسف] إلا عجوز من بني اسرائيل فبعث إليها فأتته فقال دلوني على قبر يوسف قالت [لا والله لا أفعل] حتى تعطين حكمي قال وما حكمك قالت اكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقال انضبوا هذا الماء فانضبوه قالت احضروا واستخرجوا عظام يوسف فلما اقلوها إلى الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار» اقول فيستفاد من الحديث أن موسى عليه السلام حمل جثة نبي الله يوسف حين خروجه من مصر مع من آمن من قومه.

وقد يستشكل البعض من قوله في الحديث «عظام يوسف» ويظن أن هذا يتعارض مع الحديث الصحيح. إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والصواب أن لا اشكال ولا تعارض.

فقد وقع في بعض الأحاديث الصحيحة اطلاق العظام على الجسد كله فيعتبر هذا الاطلاق من باب اطلاق الجزء وارادة البعض كقوله تعالى في الآية ﴿وقرآن الفجر﴾ المراد «صلاة الفجر» وكقول تميم الداري رضي الله عنه فيما رواه ابو داود (١٠٨١) بسند جيد على شرط مسلم «أن النبي ﷺ لما بدّن قال له تميم الداري ألا اتخذ لك منبراً يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك. قال بلى فاتخذ له منبراً له مرقاتين. . فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يطلقون العظام ويريدون البدن كله» افاده العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣١٣.

﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب.

﴿نوحيه إليك﴾ أي نعلمك بوحي منا إليك.

﴿وما كنت لديهم﴾ أي إخوة يوسف.

﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ في إلقاء يوسف في الجب.

﴿وهم يمكرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بيوسف في إلقائه في غيابة الجب.

الثاني: يعقوب حين جاؤوا على قميصه بدم كذب.

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا، قاله مجاهد.

الثاني: أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى، قاله الحسن.

الثالث: هو أن يشبه الله تعالى بخلقه، قاله السدي.

الرابع: أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان، وهذا قول أبي جعفر.

الخامس: أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بمحمد ﷺ، فلا يصح إيمانهم حكاه ابن الأنباري.

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قل هذه سبيلي﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: هذه دعوتي، قاله ابن عباس.

الثاني: هذه سنتي، قاله عبد الرحمن بن زيد. والمراد بها تأويلان:

أحدهما: الإخلاص لله تعالى بالتوحيد.

الثاني: التسليم لأمره فيما قضاه.

﴿أدْعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبَعَني﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: على هدى، قاله قتادة.

الثاني: على حق، وهو قول عبد الرحمن بن زيد. وذكر بعض أصحاب الخواطر تأويلاً (ثالثاً) أي أبلغ الرسالة ولا أملك الهداية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ قال قتادة: من أهل الأمصار دون البوادي لأنهم أعلم وأحلم. وقال الحسن(١٦٤): لم يبعث الله تعالى نبياً من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن.

﴿ولدار الآخرة خير﴾ يعني بالدار الجنة، وبالآخرة القيامة، فسمى الجنة داراً وإن كانت النار داراً لأن الجنة وطن اختيار، والنار مسكن اضطرار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

---

(١٦٤) قال العلامة الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ٦٠). وتدل الآية على أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من النساء ولا من الجن وهذا يرد على من قال إن في النساء أربع نبيات حواء وأسية وأم موسى ومريم اهـ.

قلت وقد ذهب ابن حزم إلى أن من النساء نبيات وخولف ذلك بينما حكى القاضي عياض الاجماع على خلاف قول ابن حزم والمسألة طويلة الذيول. راجعها في كتب العقيدة المطولة.

قوله عزوجل: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قولهم أن يصدقوهم(١٦٥) ، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يعذب قومهم، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: استيأسوا من النصر.

﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ في ﴿كذبوا﴾ قراءتان:

أحدهما: بضم الكاف وكسر الذال وتشديدها،قرأ بها الحرميّان وأبو عمرو(١٦٦) وابن عامر، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: يعني أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذّبوهم، حكاه ابن عيسى.

والقراءة الثانية ﴿كُذِبوا﴾ بضم الكاف وتخفيف الذال، قرأ بها الكوفيون، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: فظن اتباع الرسل أنهم قد كذبوا فيما ذكروه لهم.

الثاني: فظن الرسل أن اتباعهم قد كذبوا فيما أظهروه من الإيمان بهم.

﴿جاءهم نصرنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جاء الرسل نصر الله تعالى، قاله مجاهد.

الثاني: جاء قومهم عذاب الله تعالى، وهو قول ابن عباس.

﴿فنجي من نشاءُ﴾ قيل الأنبياء ومَن آمن معهم.

﴿ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القومِ المجرمين﴾ يعني عذابنا إذا نزل بهم.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

قوله عزوجل: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ يعني في قصص

(١٦٥) وقد توسع العلامة ابن جرير (١٦/ ـ ٢٩٩ ـ ٣١٢) في بيان الآية وكذا العلامة الألوسي (١٣/ ٦٩ ـ ٧٢) فراجع ما قيل حولها حتى تقف على حقيقة الحال.

(١٦٦) راجع المبسوط ص ٢٤٨.

يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن وعن الذل والرق إلى أن جعله مَلِكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر، وإنما الإمهال إنذار وإعذار.

﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أن يختلف ويتخرّص، وفيه وجهان:

أحدهما: يعني القرآن، قاله قتادة.

الثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق.

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدِّق لما قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى، وهذا تأويل من زعم أنه القرآن.

الثاني: يعني ولكن يصدّقه ما قبله من كتب الله تعالى، وهذا قول من زعم أنه القصص.

﴿وهُدًى ورحمة لقومٍ يؤمنون﴾ والله أعلم.

تمت سورة يوسف

بحمدالله وعونه وحسن توفيقه

سُورَةُ الرَّعْدِ

آياتها ٤٣ — ترتيبها ١٣

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل. وقال ابن عباس مدنية إلا آيتين منها وهما قوله تعالى: ﴿**ولو أن قرآناً سُيِّرَتْ به الجبال**﴾ إلى آخرهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

قوله عزوجل: ﴿**الٓمٓر تلك آيات الكتاب**﴾ وفي الكتاب ثلاثة أقاويل:

أحدها: الزبور، وهو قول مطر.

الثاني: التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثالث: القرآن، قال قتادة. فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله ﴿**تلك آيات الكتاب**﴾ أي هذه آيات الكتاب.

﴿**والذي أنزل اليك من ربك الحق**﴾ يعني القرآن.

﴿**ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**﴾ يعني بالقرآن أنه منزل بالحق. وفي المراد بـ ﴿**أكثر الناس**﴾ قولان:

أحدهما: أكثر اليهود والنصارى، لأن أكثرهم لم يسلم.

الثاني: أكثر الناس في زمان رسول الله ﷺ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

قوله عزوجل: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني بِعُمد لا ترونها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها مرفوعة بغير عمد، قاله قتادة وإياس بن معاوية(١٦٧).

وفي رفع السماء وجهان:

أحدهما: رفع قدرها وإجلال خطرها، لأن السماء أشرف من الأرض.

الثاني: سمكها حتى علت على الأرض(١٦٨).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

قوله عزوجل: ﴿وهو الذي مَدّ الأرض﴾ أي بسطها للاستقرار عليها، رداً على من زعم أنها مستديرة كالكرة(١٦٩).

﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً، واحدها راسية، لأن الأرض ترسو بها، أي تثبت. قال جميل(١٧٠):

(١٦٧) هذا القول هو الأصح كما ذكر الطبري(١٣/ ١٩٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٠١) وهو يدل على كمال قدرة الرب تبارك وتعالى.

(١٦٨) ويدل عليه قوله﴿رفع سمكها فسواها﴾ وقوله ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾.

(١٦٩) وقال غير واحدة من المفسرين بكروية الأرض والمد والبسط فيها لا ينافي كرويتها راجع ،فتح القدير (٣/ ٦٤) وروح المعاني (١٣/ ـ ٩٠ ـ ٩٢).

(١٧٠) أورده في فتح القدير (٣/ ٦٤) والشعر الأول فيه: أحبها والذي أرسى قواعده.

أحبُّــهُ والـذي أرسى قـواعـده حُبًّـا إذا ظهـرت آيـاتُـه بـطنا

قال عطاء: أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس.

﴿وأنهاراً﴾ وفيها من منافع الخلق شرب الحيوان ونبات الأرض ومغيض الأمطار ومسالك الفلك.

﴿ومِنْ كُلِّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها، كذلك كل النبات وإن خفي. والزوج الآخر حلو وحامض، أو عذب ومالح، أو أبيض وأسود، أو أحمر وأصفر، فإن كل جنس من الثمار ذو نوعين، فصار كل ثمر ذي نوعين زوجين، وهي أربعة أنواع.

﴿يغشي الليل النهار﴾ معناه يغشي ظلمةَ الليـل ضوءَ النهـار، ويغشي ضوء النهار ظلمة الليل.

قوله عزوجل: ﴿وفي الأرض قطعٌ متجاورات﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المتجاورات المدن وما كان عامراً، وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر.

الثاني: أي متجاورات في المدى، مختلفات في التفاضل. وفيه وجهان:

أحدهما: أن يتصل ما يكون نباته مرآً.

الثاني: أن تتصل المعـذبة[١٧١] التي تنبت بالسبخة التي لا تنبت، قـاله ابن عباس.

﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الصنوان المجتمع، وغير الصنوان المفترق، قاله ابن جرير[١٧٢]. قال الشاعر:

العلم والحلم خُلّتـا كـرَمٍ للمـرءِ زين إذا هما اجتمعـا
صنـوانٍ لا يستتـم حسنهمـا إلا بـجمـع ذا وذاك مـعـا

(١٧١) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب المعذية بفتح العين وسكون الذال وفتح الياء وهي الأرض الكريمة المنبت والتصويب من الطبري (١٩/٣٣١).

(١٧٢) جامع البيان (١٦/٣٣٥).

الثاني: أن الصنوان النخلات يكون أصلها واحداً، وغير صنوان أن تكون أصولها شتى، قاله ابن عباس والبراء بن عازب.

الثالث: أن الصنوان الأشكال، وغير الصنوان المختلف، قاله بعض المتأخرين.

الرابع: أن الصنوان الفسيل يقطع من أمهاته، وهو معروف، وغير الصنوان ما ينبت من النوى، وهو غير معروف حتى يعرف، وأصل النخل الغريب من هذا، قاله علي بن عيسى.

﴿يسقى بماءٍ واحدٍ ونُفَضّلُ بعْضَها على بعضٍ في الأكل﴾ فبعضه حلو، وبعضه حامض، وبعضه أصفر، وبعضه أحمر، وبعضه قليل، وبعضه كثير.

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن في اختلاف ذلك اعتبار يدل ذوي العقول على عظيم القدرة، وهو معنى قول الضحاك.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد، قاله الحسن.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وإن تعجب فعجَبٌ قولهم﴾** الآية. معناه وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك فأعجبُ منه تكذيبهم بالبعث. والله تعالى لا يتعجب[173] ولا يجوز

(١٧٣) اعلم علمني الله وإياك أن الله تعالى له صفة العجب التي تليق بذاته وجلاله وكماله وقد دل على ذلك الكتاب في قوله تعالى **﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾** على القراءة الأخرى وكذلك السنة في قوله ﷺ: «عجب ربك من قوم يقادون بالسلاسل إلى الجنة... الحديث وفي هذه الآية التي نحن بصددها يقول قتادة في تفسيرها عجب الرحمن من تكذيبهم بالبعث» رواه الطبري (١٣/ ١٠٤) وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر (٤/ ٦٦) ولا يلزم مما ذكره المصنف هنا نفي صفة العجب لله تعالى لأننا نقول أن الله تعالى لا شبيه له في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته ومدار ذلك كله قوله تعالى **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** فالصواب إثبات هذه الصفة لله على الوجه اللائق به سبحانه ومذاهب أهل السنة في هذا كالشمس في رابعة النهار والمعصوم من عصمه الله.

عليه التعجب، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ويستعجلونَكَ بالسيئة قَبْلَ الحسنة﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني بالعقوبة قبل العافية، قاله قتادة.

الثاني: بالشر قبل الخير، وهو قول رواه سعيد بن بشير.

الثالث: بالكفر قبل الإجابة. رواه القاسم بن يحيى.

ويحتمل رابعاً: بالقتال قبل الاسترشاد.

﴿وقد خلت من قبلهم المثلاتُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: الأمثال التي ضربها الله تعالى لهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنها العقوبات التي مثل الله تعالى بها الأمم الماضية(١٧٤)، قاله ابن عباس.

الثالث: أنها العقوبات المستأصلة التي لا تبقى معها باقية كعقوبات عاد وثمود حكاه ابن الأنباري والمثلاث: جمع مُثْلة(١٧٥).

﴿وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يغفر لهم ظلمهم السالف بتوبتهم في الآنف، قاله القاسم بن يحيى.

الثاني: يغفر لهم بعفوه عن تعجيل العذاب مع ظلمهم بتعجيل المعصية.

الثالث: يغفر لهم بالإنظار توقعاً للتوبة.

﴿وإنّ ربّك لشديد العقاب﴾ فروى سعيد بن المسيب(١٧٦) أن النبي ﷺ قال عند نزول هذه الآية: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد.

---

(١٧٤) وفي نسخة أخرى للمخطوطة السالفة.

(١٧٥) بفتح الميم وضم المثلثة مثل سمرة راجع فتح الباري (٨/ ٣٧١).

(١٧٦) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في روح المعاني (١٣/ ١٠٧) من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب وسنده، ضعيف لإرساله ولضعف علي بن زيد وقد أورده السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٧) موقوفاً عن ابن عباس ونسبه لابن جرير ولم أجده عند تفسير الآية.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . **إنما أنت منذر**﴾ يعني النبي ﷺ نذير لأمته.

﴿**ولكل قومٍ هادٍ**﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه الله تعالى، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

الثاني: ولكل قوم هادٍ أي نبي يهديهم، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: ولكل قوم هاد معناه ولكل قوم قادة وهداة، قاله أبو صالح.

الرابع: ولكل قوم هاد، أي دعاة، قاله الحسن.

الخامس: معناه ولكل قوم عمل، قاله أبو العالية.

السادس: معناه ولكل قوم سابق بعلم يسبقهم إلى الهدى، حكاه ابن عيسى.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

قوله عزوجل: ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى**﴾ قال ابن أبي نجيح يعلم أذكر هو أم أنثى.

ويحتمل وجهاً آخر: يعلم أصالح هو أم طالح.

﴿**وما تغيض الأرحام وما تزداد**﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ﴿**وما تغيض الأرحام**﴾ بالسقط الناقص ﴿**وما تزداد**﴾ بالولد التام، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: ﴿**ما تغيض الأرحام**﴾ بالوضع لأقل من تسعة أشهر، ﴿**وما تزداد**﴾ بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبير والضحاك. وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد خرجت سني.

الثالث: ﴿**وما تغيض الأرحام**﴾ بانقطاع الحيض في الحمل ﴿**وما تزداد**﴾ بدم النفاس بعد الوضع. قال مكحول: جعل الله تعالى دم الحيض غذاء للحمل.

الرابع: ﴿**وما تغيض الأرحام**﴾ بظهور الحيض من أيام على الحمل، وفي ذلك

نقص في الولد ﴿وما تزداد﴾ في مقابلة أيام الحيض من أيـام الحمل، لأنهـا كلما حاضت على حملها يوماً ازدادت في طهرها يوماً حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهراً، قاله عكرمة وقتادة.

الخامس: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ مـن ولدته قبل ﴿وما تزداد﴾ من تلده من بعد، حكاه السدي وقتادة.

﴿وكُلُّ شيءٍ عنده بمقدار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الرزق والأجل، قاله قتادة.

الثاني: فيما تغيض الأرحام وما تزداد، قاله الضحاك.

ويحتمل ثالثاً: أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية.

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿سواءٌ منكم مَن أسَرَّ القول ومَن جَهَرَ به﴾ إسرار القول: ما حدّث به نفسه، والجهر ما حَدّث به غيره. والمراد بذلك أنه تعالى يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر.

﴿ومَن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار﴾ فيه وجهان:

أحـدهما: يعلم من استخفى بعمله في ظلمـة الليل، ومن أظهـره في ضوء النهار.

الثاني: يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضـوء النهار، بخـلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهلهم. قال الشاعر:

وليـلٍ يقول النـاسُ في ظلُماتِـه سَواءٌ صحيحات العُيون وعورها

والسارب: هو المنصرف الذاهب، مـأخوذ من السُّروب في المرعى، وهـو

بالعشي. والسروح بالغداة، قال قيس بن الخطيم[١٧٧] :

أنّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غير سروب   وتقرب الأحلام غير قريب

قوله عزوجل: ﴿له معقبات مِن بين يديه ومن خَلْفِه﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس، قاله ابن عباس وعكرمة.

الثاني: أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: أنهم الملائكة، إذا صعدت[١٧٨] ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل، وإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار، قاله مجاهد وقتادة. قال الحسن: وهم أربعة أملاك: اثنان بالنهار، واثنان بالليل، يجتمعون عند صلاة الفجر.

وفي قوله تعالى: ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: من أمامه ووراءه، وهذا قول من زعم أن المعقبات حراس الأمراء.

الثاني: الماضي والمستقبل، وهذا قول من زعم أن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه.

الثالث: من هُداه وضلالِه، وهذا قول من زعم أن المعقبات الملائكة.

﴿يحفظونَه من أمر الله﴾ تأويله يختلف بحسب اختلاف المعقبات، فإن قيل بالقول الأول أنهم حراس الأمراء ففي قوله ﴿يحفظونه﴾ أي عند نفسه من أمر الله ولا راد لأمره ولا دافع لقضائه، قاله ابن عباس وعكرمة.

الثاني: أن في الكلام حرف نفي محذوفاً وتقديره: لا يحفظونه من أمر الله.

وإن قيل بالقول الثاني، إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه، ففي تأويل قوله تعالى ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ وجهان:

أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله، قاله الضحاك.

---

(١٧٧) ديوانه: ٥ والطبري (١٦/ ٣٦٧)، واللسان (سرب).

(١٧٨) وردفي البخاري (٢/ ٢٨) ومسلم (١/ ٤٣٩) عن أبي هريرة مرفوعاً يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» وراجع ما كتبه العلامة ابن كثير حول هذه الآية (٢/ ٥٠٣).

الثاني: يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر، قاله أبو مالك وكعب الأحبار.

وإن قيل بالقول الثالث: وهو الأشبه: أن المعقبات الملائكة ففيما أريد بحفظهم له وجهان:

أحدهما: يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله.

الثاني: يحفظون نفسه.

فعلى هذا في تأويل قوله تعالى ﴿**يحفظونه من أمر الله**﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يحفظونه بأمر الله، قاله مجاهد.

الثاني: يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله، وهو محكي عن ابن عباس.

الثالث: أنه على التقديم والتأخير وتقديره: له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، قاله ابراهيم.

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنها خاصة نزلت في رسول الله ﷺ حين أزمع عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد على قتل رسول الله ﷺ فمنعه الله عز وجل منهما وأنزل هذه الآية فيه، قاله ابن زيد(١٧٩).

﴿**إنَّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسِهم**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية.

الثاني: لا يغير ما بهم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة.

﴿**وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا أراد الله بهم عذاباً فلا مرد لعذابه.

الثاني: إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه.

﴿**وما لهم مِن دونه من وال**﴾ فيه وجهان:

---

(١٧٩) وقد أورد قول ابن زيد هذا في الطبري(١٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢)وعقب الحافظ ابن جرير على قول ابن زيد هذا فقال «وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية قول بعيد عن تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا من أهل التأويل.

أحدهما: من ملجأ وهو معنى قول السدي.

الثاني: يعني من ناصر، ومنه قول الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من والِ

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: خوفاً للمسافر من أذيته، وطمعاً للمقيم في بركته، قاله قتادة.

الثاني: خوفاً من صواعق البرق، وطمعاً في غيثه المزيل للقحط، قاله الحسن.

وقد كان النبي ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال(١٨٠): «**اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك**».

الثالث: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ قال مجاهد: ثقال بالماء.

قوله عزوجل: **﴿ويسبِّح الرعد بحمده﴾** وفي الرعد قولان:

أحدهما: أنه الصوت المسموع(١٨١)، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال «**الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب(١٨٢)**».

---

(١٨٠) رواه أحمد (٥٧٩٣) والبخاري في الأدب المفرد (٧٢١) من حديث ابن عمر وزاد السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٣) نسبته لابن أبي شيبة. والترمذي والنسائي وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والحاكم في المستدرك وابن مردويه.

(١٨١) تقدم الكلام على الرعد والبرق في سورة البقرة عند قوله ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ فراجعه هناك.

(١٨٢) وقد اخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إنما الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فامسكوا عن الحديث».
الدر (٤/ ٦٢٤) ولم أقف على تخريج الحديث بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف هنا.

الثاني: أن الرعد ملك، والصوت المسموع تسبيحه، قاله عكرمة.

﴿والملائكة مِن خيفته﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى[١٨٣]، قاله ابن جرير.

الثاني: من خيفة الرعد، ولعله قول مجاهد.

﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ اختلف فيمن نزل ذلك فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ فأخذته صاعقة، قاله قتادة.

الثاني: في أربد بن ربيعة وقد كان همّ بقتل النبي ﷺ مع عامر[١٨٤] بن الطفيل فتيبست يده على سيفه، وعصمه الله تعالى منهما، ثم انصرف فأرسل الله تعالى عليه صاعقة أحرقته. قال ابن جرير: وفي ذلك يقول أخوه لبيد[١٨٥]:

أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السِّماك والأسد

فجّعني البرق والصواعق بالفا ... رسِ يوم الكريمة النُّجُدِ

الثالث: أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء، من لؤلؤ أو ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، قاله علي[١٨٦] وابن عباس ومجاهد.

روى أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ[١٨٧] «**لا تأخذ الصاعقة ذاكراً لله عز وجل**».

---

(١٨٣) جامع البيان (١٦/ ٣٩٠).

وقال ابن الجوزي عن هذا القول في زاد المسير (٤/ ٣١٤) وهو الأظهر.

(١٨٤) تقدم الكلام على هذه الرواية وأنها من قول عبد الرحمن بن زيد.

(١٨٥) ديوان لبيد: ٥.

(١٨٦) الطبري (١٣/ ١٢٥).

(١٨٧) سنده ضعيف من أجل ابان وهو أبي عياش متروك الحديث.

وقد روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابي جعفر رضي الله عنه قال: الصاعقة تصيب المؤمن والكافر ولا تصيب ذاكراً لله، الدر (٤/ ٦٢٧).

﴿وهم يجادلون في الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله: من أي شيء هو؟ قاله مجاهد.

الثاني: جدال أربد فيما همّ به من قتل النبي ﷺ، قاله ابن جريج.

﴿وهو شديد المِحالِ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: يعني شديد العداوة، قاله ابن عباس.

الثاني: شديد الحقد(١٨٨)، قاله الحسن.

الثالث: شديد القوة، قاله مجاهد.

الرابع: شديد الغضب، قاله وهب بن منبه.

الخامس: شديد الحيلة، قاله قتادة والسدي.

السادس: شديد الحول، قاله ابن عباس أيضاً.

السابع: شديد الإهلاك بالمحل وهو القحط، قاله الحسن أيضاً.

الثامن: شديد الأخذ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

التاسع: شديد الانتقام والعقوبة، قاله أبو عبيدة وأنشد لأعشى بني ثعلبة(١٨٩).

فرع نبع يهتز في غصن المجـ ـد كريم الندى عظيم المحال

= وروى الطبراني وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً «إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً» الدر(٤/٦٢٤).

(١٨٨) وقد ذكر ابن الجوزي الأقوال في ذلك ومنها هذا القول وعقب عليه (٤/٣١٦) وإليك نصه «الخامس: شديد الحقد: قاله الحسن البصري في سمعنا. عنه مسنداً من طرفة وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري والنقاش ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى قال النقاش هذا قول منكر عند أهل الخبر والنظر في اللغة ولا يجوز أن تكون هذه صفةً من صفات الله عز وجل والذي اختاره في هذا ما قاله علي عليه السلام شديد الأخذ يعني أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته. قلت وقد قال هذا القول أعني «شديد الحقد» عكرمة أيضاً فيما رواه عنه أبو الشيخ ونقله في الدر المنثور (٤/٦٢٧).

(١٨٩) ديوانه: ٧، ٩ ومجاز القرآن (١/٣٢٥) والسمط (٩٠٧) والقرطبي (٩/٢٩٩) والطبري (١٦/٣٩٥) ويروي البيت في شطره الثاني.
«شديد المحال» راجع الطبري.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

قوله عز وجل ﴿له دعوة الحق﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن دعوة الحق لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الله تعالى هو الحق، فدعاؤه دعوة الحق.

الثالث: أن الإخلاص في الدعاء هي دعوة الحق، قاله بعض المتأخرين.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن دعوة الحق دعاؤه عند الخوف لأنه لا يدعى فيه إلا إياه، كما قال تعالى ﴿ضلّ من تدعون إلا إياه﴾ [الإسراء: ٦٧] هو أشبه بسياق الآية لأنه قال:

﴿والذين يدعون مِن دونه﴾ يعني الأصنام والأوثان.

﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ أي لا يجيبون لهم دعاءً ولا يسمعون لهم نداء.

﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ ضرب الله عز وجل الماء مثلاً لإياسهم من إجابة دعائهم لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد، كما قال أبو الهذيل(١٩٠):

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها ... مِن الود مثل القابض الماء باليد

وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي يدعو إلٰهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، لأن الماء لا يستجيب له وما الماء ببالغ إليه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفر فيه ليبلغ فاه، وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفيه شيء منه.

وزعم الفراء أن المراد بالماء ها هنا البئر لأنها معدن للماء، وأن المثل كمن مد

(١٩٠) البيت في مجاز القرآن (١/٣٢٧)، الطبري (١٦/٤٠٠) والقرطبي (٩/٣٠٠) والزهري ٥: ١٨٣.

يده إلى البئر بغير رشاء، وشاهده قول الشاعر(١٩١):

فـإن الـمـاء مـاءُ أبـي وجـدي وبئـري ذو حَـفَـرْتُ وذو طـويـت

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأٓصَالِ ۩ ﴾ (١٥)

قوله عزوجل: ﴿ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: طوعاً سجود المؤمن، وكرهاً سجود الكافر، قاله قتادة.

الثاني: ﴿طوعاً﴾ من دخل في الإسلام رغبة، ﴿وكرهاً﴾ من دخل فيه رهبة بالسيف، قاله ابن زيد.

الثالث: ﴿طوعاً﴾ من طالت مدة إسلامه فألف السجود، ﴿وكرهاً﴾ من بدأ بالإسلام حتى يألف السجود، حكاه ابن الأنباري.

الرابع: ما قاله بعض أصحاب الخواطر أنه إذا نزلت به المصائب ذل، وإذا توالت عليه النعم ملّ(١٩٢).

﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ يعني أن ظل كل إنسان يسجد معه بسجوده، فظل المؤمن يسجد طائعاً كما أن سجود المؤمن طوعاً، وظل الكافر يسجد كارهاً كما أن سجود الكافر كرهاً.

والآصال جمع أُصُل، والأصل جمع أصيل، والأصيل العشيّ وهو ما بين العصر والمغرب قال أبو ذؤيب(١٩٣):

لـعـمـري لأنـت الـبـيـت أكـرم أهـلـه وأقـعـدُ فـي أفـيـائِـه بـالأصـائـل

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ

(١٩١) هو سنان بن الفحل الطائي والبيت في خزانة الأدب (   ).

(١٩٢) وأين الدليل على ما ذكره أصحاب الخواطر.

(١٩٣) ديوانه: ١٤١ ومجاز القرآن (١/ ٢٣٩) والانصاف ٣٠٤، ٣٠٥ والخزانة ٢/ ٤٨٩، ٦٤، واللسان (أصل) والطبري (١٦/ ٤٠٥).

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش ﴿من رب السموات والأرض﴾ ثم أمره أن يقول لهم:

﴿قل الله﴾ إن لم يقولوا ذلك إفهاماً قالوه تقريراً لأنه جعل ذلك إلزاماً.

﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾ ثم أمره ﷺ أن يقول لهم هذا بعد اعترافهم بالله: أفاتخذتم من دون الخالق المنعم آلهة من أصنام وأوثان فعبدتموها من دونه، لا يملكون لأنفسهم نفعاً يوصلونه إليها ولا ضراً يدفعونه عنها، فكيف يملكون لكم نفعاً أو ضراً؟ وهذا إلزام صحيح.

ثم قال تعالى ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كالأعمى والبصير، والهدى والضلالة كالظلمات والنور، فالمؤمن في هُداه كالبصير يمشي في النور، والكافر في ضلاله كالأعمى يمشي في الظلمات، وهما لا يستويان، فكذلك المؤمن والكافر لا يستويان، وهذا من أصح مثل ضربه الله تعالى وأوضح تشبيه.

ثم قال تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ ومعناه أنه لما لم يخلق آلهتهم التي عبدوها خلقاً كخلق الله فيتشابه عليهم خلقُ آلهتهم بخلق الله فلما اشتبه عليهم حتى عبدوها كعبادة الله تعالى؟

﴿قل الله خالق كل شيء﴾ فلزم لذلك أن يعبده كل شيء.

﴿وهو الواحد القهار﴾.

وفي قوله ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ تأويلان:

أحدهما: فتماثل الخلق عليهم.

الثاني: فأشكل الخلق عليهم، ذكرهما ابن شجرة.

أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا

يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ
فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ
ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بما قدر لها من قليل أو كثير.

الثاني: يعني الصغير من الأودية سال بقدر صغره، والكبير منها سال بقدر كبره.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وما يدخل منه في القلوب، فشبه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه، وشبه القلوب بالأودية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية من الماء بحسب سعتها وضيقها.

قال ابن عباس: ﴿أنزل من السماء ماءً﴾ أي قرآناً ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ قال: الأودية قلوب العباد.

﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ الرابي: المرتفع. وهو مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل، فالحق ممثل بالماء الذي يبقى في الأرض فينتفع به، والباطل ممثل بالزبد الذي يذهب جُفاءً لا ينتفع به.

ثم ضرب مثلاً ثانياً بالنار فقال ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ يعني الذهب والفضة.

﴿أو متاع﴾ يعني الصُفر والنحاس.

﴿زبد مِثله..﴾ يعني أنه اذا سُبِك بالنار كان له خبث كالزبد الذي على الماء يذهب فلا ينتفع به كالباطل، ويبقى صفوة فينتفع به كالحق(١٩٤).

وقوله تعالى: ﴿.. فيذهب جفاءً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني منشقاً(١٩٥)، قاله ابن جرير.

---

(١٩٤) وقد أسهب ابن القيم في شرح أمثال القرآن ومنها هذا المثل في كتاب امثال القرآن له فراجعه.

(١٩٥) والذي في الطبري (٤١٥/١٦) قال «وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله» =

الثاني: جافياً على وجه الأرض، قاله ابن عيسى.

الثالث: مرمياً، قاله ابن إسحاق.

وحكى أبو عبيدة أنه سمع رؤبة يقرأ(١٩٦): جفالاً. قال أبو عبيدة: يقال أجفلت القدر إذا قَذَفت بزبدها.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل: **﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾** فيها تأويلان:

أحدهما: الجنة، رواه أبي بن كعب(١٩٧) عن النبي ﷺ.

الثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن تكون مضاعفة الحسنات.

﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثلَهُ معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب﴾.

في **﴿سوء الحساب﴾** أربعة تأويلات:

أحدها: أن يؤاخذوا بجميع ذنوبهم فلا يعفى لهم عن شيء منها، قاله إبراهيم النخعي. وقالت عائشة رضي الله عنها: من نوقش الحساب هلك(١٩٨).

الثاني: أنه المناقشة في الأعمال، قاله أبو الجوزاء.

= فيذهب جفاءً «تنشفه الأرض وقال جفى الوادي واجفى في معنى نشف».

وعلى هذا ما ذكر هنا من قوله منشقاً «هكذا مصرف والصواب منشفاً» بالفاء.

(١٩٦) ونقل الألوسي (١٣/١٣١) قوله «قال ابن ابي حاتم ولا يقرأ بقراءته [أي بقراءة رؤبة] لأنه كان يأكل الفأر يعني أنه كان أعرابياً جافياً وعنه لا تعتبر قراءة الأعراب في القرآن.

(١٩٧) تقدم الكلام على تفسير الحسن في سورة يونس عند قوله ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

(١٩٨) وقد ورد مرفوعاً من حديثها رواه البخاري وغيره راجع تفسيره يتوسع في بهجـة النفوس لابن أبي جمرة (١/١٤٥ ـ ١٤٨) وقد تقدم تحريم هذا الحديث.

الثالث: أنه التقريع والتوبيخ، حكاه ابن عيسى.

الرابع: هو أن لا تقبل حسناتهم فلا[١٩٩] تغفر سيئاتهم.

ويحتمل خامساً: أن يكون سوء الحساب ما أفضى إليه حسابهم من السوء وهو العقاب.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الرحم التي أمرهم الله تعالى بوصلها.

﴿ويخشون ربهم﴾ في قطعها ﴿ويخافون سُوءَ الحساب﴾ في المعاقبة عليها، قاله قتادة.

الثاني: صلة محمد ﷺ، قاله الحسن.

الثالث: الإيمان بالنبيين والكتب كلها[٢٠٠]، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل رابعاً: أن يصلوا الإيمان بالعمل.

---

(١٩٩) ولعله «ولا تغفر سيآتهم».

(٢٠٠) والأولى حمل الوصل على العموم قال العلامة الألوسي «(١٣/ ١٤٠)» الظاهر العموم من كل ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ إلى أن قال ومن ذهب إلى العموم أدخل في ذلك الأنبياء عليهم السلام ووصلهم أن يؤمن بهم جميعاً ولا يفرق بين أحد منهم والناس على اختلاف طبقاتهم ووصلهم بمراعاة حقوقهم في سائر الحيوانات ووصلها بمراعاة ما يطلب من حقها وجوباً أو ندباً وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم؟ قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله تعالى وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن محسناً.

﴿ويخشون ربهم﴾ فيما أمرهم بوصله.

﴿ويخافون سوءَ الحساب﴾ في تركه.

قوله عزوجل: ﴿ ويدرءُون بالحسنة السيئة﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يدفعون المنكر بالمعروف، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: يدفعون الشر بالخير، قاله ابن زيد.

الثالث: يدفعون الفحش بالسلام، قاله الضحاك.

الرابع: يدفعون الظلم بالعفو، قاله جويبر.

الخامس: يدفعون سفه الجاهل بالحلم، حكاه ابن عيسى.

السادس: يدفعون الذنب بالتوبة، حكاه ابن شجرة.

السابع: يدفعون المعصية بالطاعة[٢٠١].

قوله عزوجل :﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه بما صبرتم على أمر الله تعالى، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: بما صبرتم على الفقر في الدنيا، قاله أبو عمران الجوني.

الثالث: بما صبرتم على الجهاد في سبيل الله، وهو مأثور عن عبدالله بن عمر.

الرابع: بما صبرتم عن فضول الدنيا، قاله الحسن، وهو معنى قول الفضيل بن عياض.

السادس: بما صبرتم عما تحبونه حين فقدتموه، قاله ابن زيد.

ويحتمل سابعاً: بما صبرتم على عدم اتباع الشهوات[٢٠٢].

﴿فنعم عقبى الدار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فنعم عقبى الجنة عن الدنيا، قاله ابو عمران الجوني.

الثاني: فنعم عقبى الجنة من النار، وهو مأثور.

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ

(٢٠١) قال الشوكاني رحمه الله (٣/٧٩) ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور.

(٢٠٢) ولا مانع أيضاً من دخول كل هذه المعاني تحت هذه الآية.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أي قليل ذاهب، قاله مجاهد.

الثاني: زاد الراعي، قاله ابن مسعود.

ويحتمل ثالثاً: وما جعلت الحياة الدنيا إلا متاعاً يتزود منها إلى الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿والذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بذكر الله بأفواههم، قاله قتادة.

الثاني: بنعمة الله عليهم.

الثالث: بوعد الله لهم، ذكره ابن عيسى.

الرابع: بالقرآن، قاله مجاهد.

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: بطاعة الله.

الثاني: بثواب الله.

الثالث: بوعد الله تعالى لهم.

قوله عزوجل: ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أن طوبى اسم من أسماء الجنة، قاله مجاهد.

الثالث: معنى طوبى لهم حسنى لهم، قاله قتادة.

الرابع: معناه نِعَم مالهم، قاله عكرمة.

الخامس: معناه خير لهم، قاله إبراهيم.

السادس: معناه غبطة لهم، قاله الضحاك.

السابع: معناه فرج لهم وقرة عين، قاله ابن عباس.

الثامن: العيش الطيب لهم، قاله الزجاج.

التاسع: أن طوبى فُعلى من الطيب كما قيل أفضل وفضلى، ذكره ابن عيسى.

وهذه معان أكثرها متقاربة.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كلمة حبشية، قاله ابن عباس.

الثاني: كلمة هندية، قاله عبدالله بن مسعود.

الثالث: عربية، قاله الجمهور.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿.. وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي﴾ قال قتادة وابن جريج نزلت في قريش يوم الحديبية حين أمر رسول الله ﷺ بكتب القضية بينه وبينهم، فقال للكاتب: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقالوا ما ندري ما الرحمن وما نكتب إلا: باسمك اللهم. وحكي عن ابن إسحاق أنهم قالوا: قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذي تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لن نؤمن به أبداً، فأنزل الله تعالى ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو﴾ يعني أنه إله واحد وإن اختلفت أسماؤه.

﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ قال مجاهد يعني بالمتاب التوبة.

ويحتمل ثانياً: وإليه المرجع.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض﴾** الآية. وسبب ذلك ما حكاه مجاهد وقتادة أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إن يسرَّك أن نتبعك فسيِّرْ جبالنا حتى تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة، وقرب لنا الشام فإننا نتَّجر إليها، وأخرج لنا الموتى من القبور نكلمها، فأنزل الله تعالى. **﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾** أي أُخرت. **﴿أو قطعت به الأرض﴾** أي قربت.

﴿أو كُلِّم به الموْتَى﴾ أي أُحيوا.

وجواب هذا محذوف وتقديره لكان هذا القرآن، لكنه حذف إيجازاً لما في ظاهر الكلام من الدلالة على المضمر المحذوف.

ثم قال تعالى: **﴿بل لله الأمر جميعاً﴾** أي هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها.

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ وذلك أن المشركين لما سألوا رسول الله ﷺ ما سألوه استراب المؤمنون إليه فقال الله تعالى **﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾**.

وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أفلم يتبين الذين آمنوا، قاله عطية، وهي في القراءة الأولى(٢٠٣): أفلم يتبين الذين آمنوا. وقيل لغة جرهم **﴿أفلم ييأس﴾** أي يتبين.

(٢٠٣) وقد قرأ بهذه القراءة ابن عباس كما رواه الطبري وعبد بن حميد بسند صحيح كما قال الحافظ في الفتح وقرأ بها غير واحد ذكرهم هناك (٣٧٣/٨) واشتد تكبر البعض على هذه القراءة وطعنوا في النقل عن ابن عباس والصواب أن القتل صحيح بلا مرية ولكن غير هذه القراءة هو المعتمد كما قال الحافظ ابن حجر.

الثاني: أفلم يعلم، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد، ومنه قول رباح بن عدي(٢٠٤):

ألم ييأس الأقوام أنّي أنا آبْنُهُ   وإن كنتُ عن أرض العشيرة نائيا

الثالث: أفلم ييأس الذين آمنوا بانقطاع طمعهم.

وفيما يئسوا منه على هذا التأويل وجهان:

أحدهما: يئسوا مما سأله المشركون، قاله الفراء.

الثاني: ييأسوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي.

﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لهداهم إلى الإيمان.

الثاني: لهداهم إلى الجنة.

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بماصنعوا قارعة﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: ما يقرعهم من العذاب والبلاء، قاله الحسن وابن جرير(٢٠٥).

الثاني: أنها الطلائع والسرايا التي كان ينفذها رسول الله ﷺ، قاله عكرمة.

﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أو تحل القارعة قريباً من دارهم، قاله الحسن.

الثاني: أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم، قاله ابن عباس وقتادة.

﴿حتى يأتي وَعْدُ الله﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: فتح مكة(٢٠٦)، قاله ابن عباس.

الثاني: القيامة، قاله الحسن.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ

(٢٠٤) الطبري (١٦/ ٤٥٠) والقرطبي (٩/ ٣٢٠) واساس البلاغة (يأس) وابو حبان (٥/ ٣٩٢).

(٢٠٥) جامع البيان (١٦/ ٤٥٦).

(٢٠٦) رواه الطبري (١٦/ ٤٥٦، ٤٥٧) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٧٣).

كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

قوله عزوجل: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم(٢٠٧)، قاله الضحاك.

الثاني: هو الله(٢٠٨) القائم على كل نفس بما كسبت، قاله قتادة.

الثالث: أنها نفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿قائم﴾ وجهان:

أحدهما: يعني والياً، كما قال تعالى ﴿قائماً بالقسط﴾ أي والياً بالعدل.

الثاني: يعني عالماً بما كسبت، قال الشاعر(٢٠٩):

فلولا رجالٌ من قريش أعزةٌ سرقتم ثياب البيت واللّه قائم

ويحتمل ﴿بما كسبت﴾ وجهين:

أحدهما: ما كسبت من رزق تفضلاً عليها فيكون خارجاً مخرج الامتنان.

الثاني: ما كسبت من عمل حفظاً عليها، فيكون خارجاً مخرج الوعد والوعيد.

﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يعني أصناماً جعلوها آلهة.

﴿قل سموهم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: قل سموهم آلهة على وجه التهديد.

الثاني: يعني قل صفوهم ليعلموا أنهم لا يجوز أن يكونوا آلهة.

﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي تخبرونه بما لا يعلم أن في الأرض إلَهاً غيره.

﴿أم بظاهر مِن القول﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: معناه بباطل من القول، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

أعَيّرتنا ألبانها ولحومها وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر

---

(٢٠٧) وعقب على ذلك الألوسي بقوله (١٣/١٥٩) «وما حكاه القرطبي عن الضحاك من أن المراد بذلك الملائكة الموكلون ببني آدم فمما لا يكاد يعرج عليه هنا.

(٢٠٨) قال الشوكاني عن هذا القول (٣/٨٥) وهو أولى ا هـ قلت وهو قول ابن جرير (١٦/٤٦٢).

(٢٠٩) أورده في فتح القدير (٣/٨٥) وروح المعاني (١٣/١٦١).

أي بالحل.

الثاني: بظن من القول، وهو قول مجاهد.

الثالث: بكذب من القول، قاله الضحاك.

الرابع: أن الظاهر من القول هو القرآن، قاله السدي.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أن يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم، ويكون معنى الكلام: أتخبرونه بذلك مشاهدين أم تقولون محتجّين.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَٰفِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون﴾ فيه قولان:

أحدهما: يشبه الجنة، قاله علي بن عيسى.

الثاني: نعت الجنة لأنه ليس للجنة مثل، قاله عكرمة.

﴿تجري من تحتها الأنهار أكُلُها دائم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثمرها غير منقطع، قاله القاسم بن يحيى.

الثاني: لذتها في الأفواه باقية، قاله إبراهيم التيمي.

ويحتمل ثالثاً: لا تمل من شبع (٢١٠) ولا مرباد (٢١١) لمجاعة.

﴿وظلها﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: دائم البقاء (٢١٢).

---

(٢١٠) قال الحافظ في الفتح (١٣/٤٨٨). وأكل أهل الحبشة للتنعم والاستلذاذ لا عن الجوع واختلف في الشبع فيها والصواب أنه لا شبع فيها إذ لو كان لمنع دوام أكل المستلذ.

(٢١١) كهذا هنا وفي المطبوعة وقد وقفت على النقل الصحيح وعلى الكلمة الصحيحة فقد ورد هذا القول عن إبراهيم التيمي نقله صاحب روح المعاني عنه وعقب عليه وهاله نصه «وقال إبراهيم التيمي إن لذته دائمة لا تزداد بجوع ولا تمل بشبع وهو خلاف الظاهر».

قلت فعلم ذلك أن هذه الكلمة هنا هي «ولا يزداد» «أو لا يـزاد» والله أعلم.

(٢١٢) وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة أن الجنة نعيمها دائم غير منقطع خلافاً للجهمية ومن على شاكلتهم.

الثاني : دائم اللذة.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله عزوجل : **﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾** فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أصحاب النبي ﷺ فرحوا بما أنزل عليه من القرآن، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني : أنهم مؤمنو أهل الكتاب، قاله مجاهد.

الثالث : أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى فرحوا بما أنزل عليه من تصديق كتبهم، حكاه ابن عيسى.

﴿ومِن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد.

الثاني : أنهم كفار قريش.

وفي إنكارهم بعضه وجهان :

أحدهما : أنهم عرفوا نعت رسول الله ﷺ في كتبهم وأنكروا نبوته.

الثاني : أنهم عرفوا صِدْقه وأنكروا تصديقه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ

= وروى ابن المنذر وابو الشيخ عن خارجة بن مصعب رضي الله عنه قال كفرت الجهمية بآيات من القرآن قالوا إن الجنة تنفد ومن قال تنفد فقد كفر بالقرآن قال الله تعالى «إن هذا لرزقنا ما له من نفاد» [ص: ٥٤] وقال لا مقطوعة ولا ممنوعة [الواقعة: ٣٣] فمن قال انها تنقطع فقد كفر وقال عطاء غير مجذوذ ممنوعة قال إنها تنقطع فقد كفر وقال أكلها دائم وظلها «فمن قال إنها لا تدوم فقد كفر» الدر (٤/ ٦٥٧).

﴿بِءَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ يعني بالأزواج النساء، وبالذرية الأولاد. وفيه وجهان:

أحدهما: معناه أن من أرسلناه قبلك من المرسلين بشر لهم أزواج وذرية كسائر البشر، فلمَ أنكروا رسالتك وأنت مثل من قبلك.

الثاني: أنه نهاه بذلك عن التبتل، قاله قتادة.

وقيل إن اليهود عابت على النبي ﷺ الأزواج، فأنزل الله تعالى إلى ذلك فيهم يعلمهم أن ذلك سُنَّة الرسل قبله.

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ قيل إن مشركي قريش سألوه آيات قد تقدم ذكرها في هذه السورة فأنزل الله تعالى ذلك فيهم.

﴿لكل أجل كتابٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه لكل كتاب نزل من السماء أجل. وهو من المقدَّم والمؤخر، قاله الضحاك.

الثاني: معناه لكل أمر قضاه الله تعالى كتاب كتبه فيه، قاله ابن جرير(٢١٣).

الثالث: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله تعالى، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: لكل عمل خَبر.

قوله عزوجل: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران، قاله ابن عباس.

الثاني: يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء في كتاب سوى أُم الكتاب، وهما كتابان أحدهما: أم الكتاب لا يغيره ولا يمحو منه شيئاً كما أراد(٢١٤)، قاله عكرمة.

---

(٢١٣) جامع البيان (١٦/٤٧٦).

(٢١٤) قال االشـوكاني رحمه الله (٨٨/٣) والمراد من الآية أن يمحو ما يشاء ما في اللوح المحفوظ فيكون =

الثالث: أن الله عز وجل ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه، قاله قتادة وابن زيد.

الرابع: أنه يمحو مَنْ قد جاء أجلُه ويثبت من لم يأت أجلُه، قاله الحسن(٢١٥).

الخامس: يغفر ما يشاء من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء فلا يغفره، قاله سعيد بن جبير.

السادس: أنه الرجل يقدم الطاعة ثم يختمها بالمعصية فتمحو ما قد سلف، والرجل يقدم المعصية ثم يختمها بالطاعة فتمحو ما قد سلف، وهذا القول مأثور عن ابن عباس أيضاً.

السابع: أن الحفظة من الملائكة يرفعون جميع أقواله وأفعاله، فيمحو الله عز وجل منها ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب، قاله الضحاك.

﴿وعنده أم الكتاب﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: الحلال والحرام، قاله الحسن.

الثاني: جملة الكتاب، قاله الضحاك.

الثالث: هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق، قاله كعب الأحبار.

الرابع: هو الذكر، قاله ابن عباس.

الخامس: أنه الكتاب الذي لا يبدل، قاله السدي.

السادس: أنه أصل الكتاب في اللوح المحفوظ، قاله عكرمة.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

= كالعدم ويثبت ما يشاء مما فيه فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته، وهذا لاينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله «جف القلم» وذلك لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه» اهـ.

(٢١٥) واختاره ابن جرير (١٣/ ١٧٠) وفي الآية أقوال أخرى ذكرها الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٨٨).

قوله عزوجل: ﴿أَوَلَم يروا أنا نأتي الأرض ننقُصُها من أطرافها﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله قتادة.

الثاني: بخراجها بعد العمارة، قاله مجاهد.

الثالث: بنقصان بركتها وتمحيق ثمرتها، قاله الكلبي والشعبي.

الرابع: بموت فقهائها وخيارها، قاله ابن عباس.

ويحتمل خامساً: أنه بجور ولاتها.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عز وجل ﴿ويقول الذين كفروا لست مُرْسلاً﴾ قال قتادة: هم مشركو العرب.

﴿قلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ أي يشهد بصدقي وكذبكم.

﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم عبدالله بن سلام وسلمان وتميم الداري، قاله قتادة.

الثاني: أنه جبريل، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: هو الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد والضحاك.

وكانوا يقرأون ﴿ومِن عنده علم الكتاب﴾ أي من عِنْد الله علم الكتاب، وينكرون على(٢١٦) من قال هو عبدالله بن سلام وسلمان لأنهم يرون السورة مكية، وهؤلاء أسلموا بالمدينة، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٢١٦) راجع تفصيل القول في ذلك في روح المعاني (١٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

سورة إبراهيم

ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها مدنية وهي ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾ والتي بعدها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾

﴿الـر كتاب أنزلناه إليك﴾ يعني القرآن.

﴿لتُخرِجَ الناسَ مِن الظلمات إلى النُّور﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من الشك إلى اليقين.

الثاني: من البدعة إلى السنّة.

الثالث: من الضلالة إلى الهدى.

الرابع: من الكفر إلى الإيمان.

﴿بإذن ربهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بأمر ربهم، قاله الضحاك.

الثاني: بعلم ربهم.

﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ فروى مِقْسم عن ابن عباس قال: كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما بعث محمد ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فنزلت هذه الآية.

قوله عزوجل: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يختارونها على الآخرة، قاله أبو مالك.

الثاني: يستبدلونها من الآخرة، ذكره ابن عيسى، والاستحباب هو التعرض للمحبة.

ويحتمل ما يستحبونه من الحياة الدنيا على الآخرة وجهين:

أحدهما: يستحبون البقاء في الحياة الدنيا على البقاء في الآخرة.

الثاني: يستحبون النعيم فيها على النعيم في الآخرة.

﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: عن دين الله.

ويحتمل: عن محمد ﷺ.

﴿ويبغونها عِوَجاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يرجون بمكة غير الإسلام ديناً، قاله ابن عباس.

الثاني: يقصدون بمحمد ﷺ هلاكاً، قاله السدي.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته.

والعِوَج بكسر العين: في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً. والعوج بفتح العين: في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحُججنا وبراهيننا وقال مجاهد هي التسع الآيات:

﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الضلالة إلى الهدى.

الثاني: من ذل الاستعباد إلى عز المملكة.

﴿وذكِّرهم بأيام الله﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه وعظهم بما سلف من الأيام الماضية لهم، قاله ابن جرير(٢١٧).

الثاني: بالأيام التي انتقم الله فيها من القرون الأولى، قاله الربيع وابن زيد.

الثالث: أن معنى أيام الله أن نعم الله عليهم، قاله مجاهد وقتادة، وقد رواه أبيّ(٢١٨) بن كعب مرفوعاً. وقد تسمَّى النعم بالأيام، ومنه قول عمرو بن كلثوم(٢١٩):

وأيـام لـنـا غُـرٍّ طِـوالٍ عصينا المَلْك فيها أن نَـدِينا

ويحتمل تأويلاً رابعاً: أن يريد الأيام التي كانوا فيها عبيداً مستذلين لأنه أنذرهم قبل استعمال النعم عليهم.

﴿إنَّ في ذلك لآيات لكُلِّ صبَّارٍ شكورٍ﴾ الصبار: الكثير الصبر، والشكور: الكثير الشكر، قال قتادة: هو العبد إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر. وقال الشعبي: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف، وقرأ ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وتوارى الحسن عن الحجاج(٢٢٠) تسع سنين، فلما بلغه موته قال: اللهم قد أمته فأمت سنته وسجد شكراً وقرأ ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وإنما خص بالآيات كل صبار شكور، وإن كان فيه آيات لجميع الناس لأنه يعتبر بها ويغفل عنها.

---

(٢١٧) جامع البيان (١٦/ ٥١٩).

(٢١٨) رواه الطبري (١٦/ ٥٢٢) وأحمد (٥/ ١٢١) (٥/ ٥٢٣) وقال الحافظ ابن كثير (٢/ ٥٢٣) ورواه عبدالله [أي ابن الإمام أحمد] أيضاً موقوفاً وهو أشبه قلت وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٦) نسبه للنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٢١٩) من معلقته المشهورة أنظر شرح العقائد السبع لابن الأنباري (٣٨٨) والطبري (١٦/ ٥١٩).

(٢٢٠) والحجاج هو من هو وما أدراك وهو صاحب الأفاعيل التي يبكي لها عيون الإسلام دماً راجع ذنوبه من سير أعلام النبلاء.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿. . وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: نعمة من ربكم، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: شدة البلية، ذكره ابن عيسى.

الثالث: اختبار وامتحان، قاله ابن كامل.

قوله عزوجل: ﴿وإذ تأذن ربُّكم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه وإذ سمع ربكم، قاله الضحاك.

الثاني: وإذ قال ربكم، قاله أبو مالك.

الثالث: معناه وإذ أعلمكم ربكم، ومنه الأذان لأنه إعلام، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى   سَمِعْنا في مجالِسنا الأذينا

﴿لئن شكرتم لأزيدنكمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع.

الثاني: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن وأبو صالح.

الثالث: لئن وحّدتم وأطعتم لأزيدنكم، قاله ابن عباس.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: لئن آمنتم لأزيدنكم من نعيم الآخرة إلى نعيم الدنيا.

وسُئِل بعض الصلحاء على شكر الله تعالى، فقال: أن لا تتقوى بنِعَمِهِ على معاصيه. وحكي أنَّ داود عليه السلام قال: أي ربِّ كيف أشكرك وشكري لك نعمة مجددة منك عليّ؟ قال: «يا داود الآن شكرتني».

﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديدٌ﴾ وعد الله تعالى بالزيادة على الشكر، وبالعذاب على الكفر.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . والذين من بعدهم لا يَعْلَمُهم إلا الله﴾ فيها وجهان:

أحدهما: يعني بعد من قص ذكره من الأمم السالفة قرون وأمم لم يقصها على رسول الله ﷺ لا يعلمهم إلا الله عالم ما في السموات والأرض.

الثاني: ما بين عدنان وإسماعيل من الآباء. قال ابن عباس: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون.

وكان ابن مسعود يقرأ: لا يعلمهم إلا الله كذب النسّابون.

﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج.

﴿فردُّوا أيديهم في أفواههم﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أنهم عضوا على أصابعهم تغيظاً عليهم(٢٢١)، قاله ابن مسعود واستشهد أبو عبيدة(٢٢٢) بقول الشاعر:

لو أن سلمى أبصرت تخدُّدي ... ودقةً في عظم ساقي ويدي
وبعد أهلي وجفاءَ عُوَّدي ... عضت من الوجد بأطراف اليد

الثاني: أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم، قاله ابن عباس.

الثالث: معناه أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم إني رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن اسكت تكذيباً له ورداً لقوله، قاله أبو صالح.

---

(٢٢١) رواه الطبري (١٦/ ٥٣١) وصحح الحافظ في الفتح. رواية عبد بن حميد ونقل تصحيح الحاكم له.

(٢٢٢) أورده الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٦٧) وقال هذا أقرب التفاسير للآية وإن لم يصح عن العرب ما ذكره أبو عبيده والأخفش فإن صح ما ذكراه فتفسير الآية به أقرب.

الرابع: معناه أنهم كذبوهم بأفواههم، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم، قاله الحسن.

السادس: أن الأيدي هي النعم، ومعناه أنهم ردوا نعمهم بأفواههم جحوداً لها.

السابع: أن هذا مثل أريد به أنهم كفوا عن قبول الحق ولم يؤمنوا بالرسل، كما يقال لمن أمسك عن الجواب رَدّ في فيه.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

قوله عزوجل: ﴿**قالت رسلهم أفي الله شك**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أفي توحيد الله شك؟ قاله قتادة.

الثاني: أفي طاعة الله شك؟

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أفي قدرة الله شك؟ لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها.

﴿**فاطر السموات والأرض**﴾ أي خالقهما، لسهوهم عن قدرته.

﴿**يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم**﴾ أي يدعوكم إلى التوبة ليغفر ما تقدمها من معصية.

وفي قوله تعالى: ﴿**من ذنوبكم**﴾ وجهان:

أحدهما: أن ﴿**من**﴾ زائدة، وتقديره: ليغفر لكم ذنوبكم، قاله أبو عبيدة.

الثاني: ليست زائدة، ومعناه أن تكون المغفرة بدلاً من ذنوبكم، فخرجت مخرج البدل.

﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ يعني إلى الموت فلا يعذبكم في الدنيا.

قوله عزوجل: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرٌ مثلكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن ينكر قومهم أن يكونوا مثلهم وهم رسل الله إليهم.

الثاني: أن يكون قومهم سألوهم معجزات اقترحوها.

وفي قوله تعالى: ﴿ولكن الله يمنّ على مَنْ يشاء من عباده﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: بالنبوة.

الثاني: بالتوفيق والهداية.

الثالث: بتلاوة القرآن وفهم ما فيه، قاله سهل بن عبدالله.

﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بكتاب.

الثاني: بحجة.

الثالث: بمعجزة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي
مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ
كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾
يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ
بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ أي المقام بين يدّي، وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به:

والفرق بين المقام بالفتح وبين المقام بالضم أنه إذا ضم فهو فعل الإقامة، وإذا فتح فهو مكان الإقامة.

﴿وخاف وعيد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه العذاب.

والثاني: أنه ما في القرآن من زواجر.

﴿واستفتحوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الرسل استفتحوا بطلب النصر، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الكفار استفتحوا بالبلاء، قاله ابن زيد.

وفي الاستفتاح وجهان:

أحدهما: أنه الإبتداء.

الثاني: أنه الدعاء، قاله الكلبي.

﴿وخاب كلُّ جبار عنيد﴾ في ﴿خاب﴾ وجهان:

أحدهما: خسر عمله.

الثاني: بطل أمله.

وفي ﴿جبار﴾ وجهان:

أحدهما: أنه المنتقم.

الثاني: المتكبر بطراً.

وفي ﴿عنيد﴾ وجهان.

أحدهما: أنه المعاند للحق.

الثاني: أنه المتباعد عن الحق، قال الشاعر:

ولست إذا تشاجر أمْرُ قوم ... بأوّلِ مَنْ يخالِفهُم عَنيدا

قوله عزوجل: ﴿مِن ورائه جهنم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه من خلفه جهنم. قال أبو عبيدة(٢٢٣): وراء من الأضداد وتقع على خلف وقدام. جميعاً.

الثاني: معناه أمامه جهنم، ومنه قول الشاعر:

ومن ورائك يومٌ أنت بالغه ... لا حاضرٌ معجز عنه ولا بادي

(٢٢٣) قال أبو عبيدة هو من أسماء الأضداد لأن أحدهما ينقلب إلى الآخر راجع فتح القدير (٣/ ١٠٠).

الثالث: أن جهنم تتوارى ولا تظهر، فصارت من وراء لأنها لا ترى حكاه ابن الأنباري.

الرابع: من ورائه جهنم معناه من بعد هلاكه جهنم، كما قال النابغة(٢٢٤):

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرْءِ مذهب

أراد: وليس بعد الله مذهب.

﴿ويسقى من ماءٍ صديد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع أسد، أي مثل الأسد.

الثاني: من ماء كرهته تصد عنه، فيكون الصديد مأخوذاً من الصد.

قوله عزوجل: ﴿... ويأتيه الموت مِنْ كل مكان﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره، قاله ابراهيم التيمي، للآلام التي في كل موضع من جسده.

الثاني: تأتيه أسباب الموت من كل جهة، عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحته، ومن قدامه وخلفه، قاله ابن عباس.

الثالث: تأتيه شدائد الموت من كل مكان، حكاه ابن عيسى.

﴿وما هو بميتٍ﴾ لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون ذلك زيادة في عذابه.

﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ فيه الوجوه الأربعة الماضية. والعذاب الغليظ هو الخلود في جهنم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿مثل الذين كفروا بربِّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافر في أنه لا يحصل على شيء منها، بالرماد الذي هو بقية النار الذاهبة لا ينفعه، فإذا اشتدت به الريح العاصف: وهي

(٢٤٤) ديوانه: ١٢، مختار الشعر الجاهلي ص ١٧٥.

الشديدة: فأطارته لم يقدر على جمعه، كذلك الكافر في عمله.

وفي قوله ﴿في يوم عاصف﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه وصف اليوم بالعصوف وهو من صفة الريح، لأن الريح تكون فيه، كما يقال يوم بارد، ويوم حار، لأن البرد والحر يكونان فيه.

الثاني: أن المراد به في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذكرت قبل ذلك.

الثالث: أن العصوف من صفة الريح المقدم ذكرها، غير أنه لما جاء بعد اليوم اتبع إعرابه.

﴿لا يقدرون مما كسَبَوا على شيء﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يقدرون في الآخرة على شيء من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر.

الثاني: لا يقدرون على شيء مما كسبوه من عروض الدنيا، بالمعاصي التي اقترفوها، أن ينتفعوا به في الآخرة.

﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ وإنما جعله بعيداً لفوات استدراكه بالموت.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

قوله عزوجل: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي ظهروا بين يديه تعالى في القيامة.

﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع.

﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة المتبوعون.

﴿إنا كُنّا لكم تبعاً﴾ يعني في الكفر بالإجابة لكم.

﴿فهل أنتم مغنون عَنّا مِن عذاب الله من شيء﴾ أي دافعون عنا يقال أغنى عنه

إذا دفع عنه الأذى، وأغناه إذا أوصل إليه النفع.

﴿قالوا لو هَدانا الله لهديناكم﴾ فيه ثلاثة أوجه

أحدها: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه.

الثاني: لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

الثالث: لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه.

﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصٍ﴾ أي من منجى أو ملجأ، قيل إن أهل النار يقولون: يا أهل النار إن قوماً جزعوا في الدنيا وبكوا ففازوا، فيجزعون ويبكون. ثم يقولون: يا أهل النار إن قوماً صبروا في الدنيا ففازوا، فيصبرون. فعند ذلك يقولون ﴿سواءُ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾.

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال الشيطان لمّا قضي الأمر﴾ يعني إبليس.

قال الحسن: يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً.

﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعذاب العاصي.

﴿ووعدتكم﴾ أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب.

﴿فأخلفتكم وما كان لي عليكم مِن سلطان إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيَّ، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثي، قاله مجاهد. والمصرخ: المغيث. والصارخ: المستغيث. ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فلا تجزعوا إنّي لكم غير مُصْرخ فليس لكم عندي غناءٌ ولا صبر

﴿إني كفرتُ بما أشركتمون مِن قبل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إني كفرت اليوم بما كنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك بالله تعالى، قاله ابن بحر.

الثاني: إني كفرت قبلكم بما أشركتموني من بعد، لأن كفر إبليس قبل كفرهم.

قوله عزوجل: ﴿... تحيّتُهم فيها سلامٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تحية أهل الجنة إذا تلاقوا فيها السلام، وهو قول الجمهور.

الثاني: أن التحية ها هنا الملك، ومعناه أن ملكهم فيها دائم السلامة، مأخوذ من قولهم في التشهد: التحيات لله، أي الملك لله، ذكره ابن شجرة.

وفي المحيّي لهم بالسلام ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الله تعالى يحييهم بالسلام.

الثاني: أن الملائكة يحيونهم بالسلام.

الثالث: أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام.

وتشبيه الكلمة الطيبة بها لأنها ثابتة في القلب كثبوت أصل النخلة في الأرض، فإذا ظهرت عرجت إلى السماء كما يعلو فرع النخلة نحو السماء فكلما ذكرت نفعت، كما أن النخلة إذا أثمرت نفعت.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿ألم تَرَ كَيْفَ ضرب اللّهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ﴾ في الكلمة الطيبة قولان:

أحدهما: أنها الإيمان، قاله مجاهد وابن جريج.

الثاني: أنه عنى بها المؤمن نفسه، قاله عطية العوفي والربيع بن أنس.

وفي الشجرة الطيبة قولان:

أحدهما: أنها النخلة، وروى ذلك عن النبي ﷺ عبدالله[٢٢٥] بن عمر وأنس بن مالك[٢٢٦].

الثاني: أنها شجرة في الجنة، قاله ابن عباس.

وحكى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن الكلمة الطيبة: الإيمان، والشجرة الطيبة: المؤمن.

﴿أصلها ثابت﴾ يعني في الأرض.

﴿وفرعها في السماء﴾ أي نحو السماء.

﴿تؤتي أُكُلَها﴾ يعني ثمرها.

﴿كلَّ حين بإذن ربها﴾ والحين عند أهل اللغة: الوقت. قال النابغة[٢٢٧]:

تناذرها الرّاقون من سُوءِ سُمِّها ... تُطلِّقُه حيناً وحيناً تُراجع

وفي ﴿الحين﴾ ها هنا ستة تأويلات:

أحدها: يعني كل سنة، قاله مجاهد، لأنها تحمل كل سنة.

الثاني: كل ثمانية أشهر، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنها مدة الحمل ظاهراً وباطناً.

الثالث: كل ستة أشهر، قاله الحسن وعكرمة، لأنها مدة الحمل ظاهراً.

الرابع: كل أربعة أشهر، قاله سعيد بن المسيب لأنها مدة يرونها من طلعها إلى جذاذها.

---

(٢٢٥) رواه البخاري (١/ ١٣٠) ومسلم (٤/ ٢١٦٥) من حديث ابن عمر.

(٢٢٦) رواه ابن جرير (١٦/ ٥٧٠) والحاكم (٢/ ٣٥٢) والترمذي (٣١١٩) وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٢٢) نسبته للنسائي والبزار وابن ليلى وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وهذا القول في تعيين الشجرة هنا هو الصواب ورجحه ابن جرير (١٦/ ٥٧٣).

(٢٢٧) ديوانه: ٣٤.

الخامس: كل شهرين، لأنها مدة صلاحها إلى جفافها.

السادس: كل غدوة وعشية، لأنه وقت اجتنائها، قاله ابن عباس.

وفي قوله تعالى **﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾** وجهان:

أحدهما: أن المراد بالحياة الدنيا زمان حياته فيها، وبالآخرة المساءلة في القبر، قاله طاوس وقتادة.

الثاني: أن المراد بالحياة الدنيا المساءلة في القبر أن يأتيه منكر ونكير فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: إن اهتَدَى: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ(٢٢٨).

﴿ويضلُّ اللهُ الظالمين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن حجتهم في قبورهم، كما ضلوا في الحياة الدنيا بكفرهم.

الثاني: يمهلهم حتى يزدادوا ضلالاً في الدنيا.

﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مِن إمهال وانتقام.

الثاني: من ضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير.

وروى ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال:(٢٢٩): **«لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منه سعد بن معاذ، ولقد ضم ضَمّةً»**.

وقال قتادة(٢٣٠): ذكر لنا أنّ عذاب القبر من ثلاثة: ثلثٌ من البول. وثلثٌ من الغيبة، وثلثٌ من النميمة.

---

(٢٢٨) وقد ثبت ذلك بالتواتر عن رسول الله ﷺ ولم يخالف من ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والجهمية. أنظر جملة من الأحاديث في ذلك تراها في الدر (٥/ ٢٦ ـ ٣٩) والطبري (١٣/ ٢١٣ ـ ٢١٨).

(٢٢٩) الحديث من حديث ابن عباس بهذا اللفظ رواه السمين في إثبات عذاب القبر ص ٨٤ والطبراني في الكبير والأوسط كما في المجمع (٣/ ٤٦، ٤٧) وقال الهيثمي رجاله موثقون وصححه الألباني في الصحيحة(١٦٩٥) وصحيح الجامع (١٨٢) وبنحوه من حديث عائشة رواه أحمد (٦/ ٥٥، ٩٨) وقال العراقي إسناده جيد وقال الهيثمي ٣/ ٤٦ رجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٧٦) ومن حديث ابن عمر وفيه زيادة رواه النسائي(٤/ ٨٢)والبزار (٢٦٩٨) كشف الأستار والطبراني في الكبير (٦/ ١٢) وصححه الألباني في (الصحيحة ١٦٩٥) وصحيح الجامع (٦٦٨٦)

(٢٣٠) رواه البيهقي في آيات عذاب القبر ٢٦١ وابن أبي الدنيا في الصمت، (١٨٩) وأخرجه من طريق قتادة =

وسبب نزول هذه الآية ما روي عن النبي ﷺ(٢٣١) لما وصف مساءَلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر: يا رسول الله أيكون معي عقلي: ؟ قال: «نعم» قال. كُفيت إذن، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله عزوجل: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الكفر.

الثاني: أنها الكافر نفسه.

﴿كشجرة خبيثةٍ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة الحنظل، قاله أنس بن مالك(٢٣٢).

الثاني: أنها شجرة لم تخلف، قاله ابن عباس.

الثالث: أنها الكشوت(٢٣٣).

﴿ اجتثت من فوق الأرض﴾ أي اقتلعت من أصلها، ومنه قول لقيط:

= عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً والصواب أنه موقوف على قتادة كما قال البيهقي حيث رواه موقوفاً من قول قتادة في إثبات عذاب القبر (٢٦٢) وقال الصحيح رواه ابن أبي عروبة عن قتادة من قوله وقال ابن رجب في أهوال القبور (ص ٦٥) أخرجه الخلال عن قتادة وهذا أصح.

(٢٣١) رواه أبو بكر بن أبي داود في البعث والنشور ص ٢١ والبيهقي في الاعتقاد (٢٢٢ ـ ٢٢٣) والحاكم في التاريخ كما في الدر (٥/ ٣٦) وسنده ضعيف جداً ففيه المفضل بن صالح وقد تفرد به كما قال البيهقي ونقل في الميزان (٤/١٦٧) قول البخاري وابن أبي حاتم فيه منكر الحديث وقال الترمذي ليس عند أهل الحديث بذاك الحافظ. ا ـ هـ. وعن عطاء بن يسار مرسلاً رواه الآجري في الشريعة ٢٦٦ وقال الحافظ العراقي في المغنى (٤/ ٥٠٣) رجاله ثقات ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس ونص الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال لي رسول الله ﷺ كيف أنت إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً؟ قال قلت يا رسول الله وما منكر ونكير قال فتانا القبر يبحثان الأرض بأنيابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا أرخصها هي أيسر عليهما من عصاتي هذه قال قلت يا رسول الله وأنا على حالي هذه قال نعم قلت إذاً أكفيكهما.

(٢٣٢) رواه الطبري (١٦/ ٥٨٥) مرفوعاً وكذا رواه موقوفاً (رقم ٢٠٦٨٠) وصحح الترمذي الموقوف وعلق الطبري عليه القول بصحه الحديث راجع الطبري (١٦/ ٥٧١).

(٢٣٣) كذا في المطبوعة وفي زاد المسير (٤/ ٣٦٠) الكشوف.

ويؤيده قول الشاعر:

فهو الكشوف فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

راجع روح المعاني (١٣/ ٢١٥).

هـو الجـلاء الـذي يجتث أصلكم   فمن رأى مِثـل ذا يـومـاً ومَنْ سمعـا

﴿ما لها من قرار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما لها من أصل.

الثاني: ما لها من ثبات.

وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى، ولا ثمر يجتنى أن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى، ولا ذكر في السماء يرقى (٢٣٤).

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يزيدهم الله أدلة على القول الثابت.

الثاني: يديمهم الله على القول الثابت، ومنه قول عبدالله بن رواحة.

يُثبِّتُ الـله مـا آتـاكَ مـن حسـنٍ   تثبيتَ موسى ونصراً كـالـذي نصِـرا

وفي قوله: ﴿بالقول الثابت﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الشهادتان، وهو قول ابن جرير(٢٣٥).

الثاني: أنه العمل الصالح.

ويحتمل ثالثاً: أنه القرآن.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾ فيهم خمسة أقاويل:

(٢٣٤) وهذا القول الذي ذكره المؤلف هنا هو قول ابن عباس كما في زاد المسير (٤/ ٣٦٠).

(٢٣٥) جامع البيان (١٦/ ٥٨٩).

أحدها: أنهم قريش بدلوا نعمة الله عليهم لما بعث رسوله منهم، كفراً به وجحوداً له، قاله سعيد بن جبير ومجاهد.

الثاني: أنها نزلت في الأفجرين من قريش بني أمية وبني مخزوم فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وأما بنو مخزوم فأهلكوا يوم بدر، قاله عليٌّ[٢٣٦]، ونحوه عن عمر رضي الله عنهما.

الثالث: أنهم قادة المشركين يوم بدر، قاله قتادة.

الرابع: أنه جبلة من الأيهم حين لُطم، فجعل له عمر رضي الله عنه القصاص بمثلها، فلم يرض وأنف فارتد متنصراً ولحق بالروم في جماعة[٢٣٧] من قومه، قاله ابن عباس. ولما صار إلى بلاد الروم ندم وقال:

تنصَّرت الأشْرافُ من عار لطمةٍ — وما كان فيها لو صبرت لها ضَرَرْ
تكنفني منها لجاجٌ ونخوةٌ — وبعث لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليتني أرْعَى المخاض ببلدتي — ولم أنكِرِ القول الذي قاله عمر

الخامس: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن.

ويحتمل تبديلهم نعمة الله كفراً وجهين:

أحدهما: أنهم بدلوا نعمة الله عليهم في الرسالة بتكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: أنهم بدلوا نعم الدنيا بنقم الآخرة.

﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها جهنم، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها يوم بدر، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومجاهد. والبوار في كلامهم الهلاك، ومنه قول الشاعر[٢٣٨]:

---

(٢٣٦) رواه الطبري (١٣/ ٢٢٠) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٧٨) وهو عند عبدالرزاق أيضاً والنسائي وصححه الحاكم قلت والمراد بعضهم لا جميع بني أمية وبني مخزوم فإن بني مخزوم لم يستأصلوا يوم بدر بل المراد بعضهم كأبي جهل من بني مخزوم وابي سفيان من بني أمية... اهـ وأما خبر عمر الآتي فهو في الطبري (١٣/ ٢١٩).

(٢٣٧) رواه الطبري (١٣/ ٢١٩).

(٢٣٨) أورده في فتح القدير (٣/ ١٠٩) وروح المعاني (١٣/ ٢١٨).

فلم أر مثلهم أبطال حربٍ غداة الحرب إن خيف البَوارُ

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾

قوله عزوجل: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصّلاة وينفقوا مما رزَقناهم سِرًّا وعلانية﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالسر ما خفي، وبالعلانية ما ظهر، وهو قول الأكثرين.

الثاني: أن السر التطوع، والعلانية الفرض، قاله القاسم بن يحيى.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن السر الصدقات، والعلانية النفقات.

﴿مِنْ قبل أن يأتي يومٌ، لا بَيْعٌ فيه ولا خلالٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه لا فِدية ولا شفاعة للكافر.

الثاني: أن معنى قوله ﴿لا بيع﴾ أي لا تباع الذنوب ولا تشترى الجنة. ومعنى قوله ﴿ولا خِلال﴾ أي لا مودة بين الكفار في القيامة لتقاطعهم.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أن الخلال جمع خلة، مثل قِلال وقُلّة.

الثاني: أنه مصدر من خاللت خِلالاً، مثل قاتلت قِتالاً. ومنه قول لبيد(٢٣٩):

خالت البرقة شركاً في الهدى خلة باقية دون الخلل

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ﴾

(٢٣٩) ديوانه:

ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ
أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿ربّنا إني أسكنت مِنْ ذُرِّيتي بوادٍ غير ذي زَرْعٍ﴾ هذا قول إبراهيم عليه السلام. وقوله ﴿مِن ذريتي﴾ يريد بهم إسماعيل وهاجر أمه.

﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ يعني مكة أسكنها في بطحائها، ولم يكن بها ساكن، ثقة باللّه وتوكلاً عليه.

﴿عند بيتك المحرم﴾ لأنه قبلة الصلوات فلذلك أسكنهم عنده. وأضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره، ووصفه بأنه محرَّم لأنه يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال.

﴿ربّنا ليقيموا الصلاة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون سأل الله تعالى بذلك أن يهديهم إلى إقامة الصلاة.

الثاني: أن يكون ذكر سبب تركهم فيه أن يقيموا الصلاة.

﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ في ﴿أفئدة﴾ وجهان:

أحدهما: أن الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد، قال الشاعر(٢٤٠):

وإنّ فؤاداً قادني بصبابةٍ ... إليك على طول الهوَى لصَبورُ

الثاني: أن الأفئدة جمع وفد، فكأنه قال: فاجعل وفوداً من الأمم تهوي إليهم.

وفي قوله: ﴿تهوي إليهم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه بمعنى تحن إليهم،

الثاني: أنه بمعنى تنزل إليهم، لأن مكة في واد والقاصد إليها نازل إليها،

(٢٤٠) أورده في زاد المسير (٤/ ٣٦٧) ولم ينسبه.

الثالث: ترتفع إليهم، لأن ما في القلوب بخروجه منها كالمرتفع عنها.

الرابع: تهواهم. وقد قرىء تَهْوَى(٢٤١).

وفي مسألة إبراهيم عليه السلام أن يجعل اللّهُ أفئدةً من الناس تهـوي إليهم قولان:

أحدهما: ليهووا السكنى بمكة فيصير بلداً محرّماً، قاله ابن عباس.

الثاني: لينزعوا إلى مكة فيحجوا، قاله سعيد بن جبير ومجاهد.

قال ابن عباس: لولا أنه قال من الناس لحجه اليهود والنصارى وفارس والروم.

﴿وارزقهم من الثمرات﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد ثمرات القلوب بأن تحببهم إلى قلوب الناس فيزوروهم.

الثاني: ومن الظاهر من ثمرات النخل والأشجار، فأجابه بما في الطائف من الثمار، وما يجلب إليهم من الأمصار.

﴿لَعَلَّهُمْ يشكرون﴾ أي لكي يشكروك.

قوله عز وجل: **﴿ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين﴾** وفي استغفاره لوالديه مـع شركهما ثلاثة أوجه:

أحدهما: كانا حيين فطمع في إيمانهما. فدعا لهما بالاستغفار، فلما ماتا على الكفر لم يستغفر لهما.

الثاني: أنه أراد آدم وحوّاء.

الثالث: أنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبـراهيم(٢٤٢) يقرأ: **﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾** يعني ابنيه، وكذلك قرأ يحيـى بن يعمر(٢٤٣).

---

(٢٤١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٨) ولم يذكر هؤلاء البعض وقد ذكر الألوسي في روح المعاني (١٣/ ٢٤٠) أنها قراءة علي بن أبي طالب وجماعة من أهله ومجاهد وفيها قراءة أخرى بضم التاء مبيناً للمفعولين أهدى وهي قراءة مسلمة بن عبدالله.

(٢٤٢) وهو إبراهيم النخعي وهي قراءة ابن مسعود والزهري أيضاً وهي بتشديد الياء لِولَدَيّ على التثنية قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٩) ويدل عليه ذكرهما قبل ذلك.

(٢٤٣) لكن ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٩) أن قراءة يحيى بن يعمر بفتح الواو أو كسر الدال على التوحيد هكذا «لِوَلَدِي».

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ
رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾
وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ
تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ
وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**﴾ قال ميمون بن مهران: وعيد للظالم وتعزية(٢٤٤) للمظلوم.

قوله عزوجل: ﴿**مهطعين**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه مسرعين قاله سعيد بن جبير والحسن وقتادة، مأخوذ من أهطع يهطع إهطاعاً إذا أسرع، ومنه قوله تعالى: ﴿**مهطعين إلى الداع**﴾ أي مسرعين. قال الشاعر(٢٤٥):

بدجلة دارُهُم ولقد أراهم   بدجلة مهطعين إلى السماع

الثاني: أنه الدائم النظر لا يطرف، قاله ابن عباس والضحاك.

الثالث: أنه المطرق الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد.

﴿**مقنعي رءوسهم**﴾ وإقناع الرأس فيه تأويلان:

أحدهما: ناكسي رؤوسهم بلغة قريش، قاله مؤرج(٢٤٦) السدوسي وقتادة.

---

(٢٤٤) يعني تسلية وتخفيف.

(٢٤٥) البيت في اللسان هطع ولم ينسبه وشطره الأولى فيه بدجلة أهلها ولد أراهم وأورده الشوكاني في فتح القدير (٣/ ١١٥) كما هنا وشطره الثاني «بدجلة مهطعين إلى السماء». وهو تحريف والصواب السماع كما في اللسان. وأورده في روح المعاني كما ذكره المؤلف هنا (١٣/ ٢٤٥).

(٢٤٦) هو مؤرج بن عمرو أبو غيد السدوسي صاحب العربية له كتاب في غريب القرآن رواه عنه أهل مرو وهو من أصحاب الخليل بن أحمد راجع ترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

الثاني: رافعي رؤوسهم، وإقناع الرأس رفْعُه، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه قول الشاعر:

أنغض رأسه نحوي وأقنعا كأنما أبصَرَ شيئاً أطمعَا(٢٤٧)

﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ أي لا يرجع إليهم طرفهم، والطرف هو النظر وسميت العَيْن طرْفاً لأنها بها يكون، قال جميل:

وأَقْصِرُ طَرْفي دُون جُمْل كرامةً لجُمْلٍ وللطرْفِ الذي أنا قاصِر

﴿وأفئدتهم هواءٌ﴾ والمراد بالأفئدة مواضع القلوب، وهي الصدور.

وقوله: ﴿هواء﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنها تتردد في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه فكأنها تهوي، قاله سعيد بن جبير ومجاهد.

الثاني: أنها قد زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر، فلا تنفصل ولا تعود، قاله قتادة.

الثالث: أنها المتخرمَة التي لا تعي شيئاً، قاله مُرّة.

الرابع: أنها خالية من الخير، وما كان خالياً فهو هواء، قاله ابن عباس ومنه قول حسان(٢٤٨):

ألا أبلِغ أبا سفيان عني فأنتَ مُجوَّف نخب هواء

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ

---

(٢٤٧) الطبري (١٣/ ٢٣٨) والقرطبي (٩/ ٣٧٧) فتح القدير (٣/ ١١٥).

(٢٤٨) ديوانه: ٧ والطبري (١٣/ ٢٤١) والقرطبي (٩/ ٣٧٧) واللسان (هـوا) (جوف) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).

مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وأنذر النّاس يَوْمَ يأتيهم العذاب﴾ معناه وأنذرهم باليوم الذي يأتيهم فيه العذاب، يعني يوم القيامة. وإنما خصه بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب أيضاً لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي وإن تضمن ترغيباً للمطيع.

﴿فيقول الذين ظلَموا ربّنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرُّسل﴾ طلبوا رجوعاً إلى الدنيا حين ظهر لهم الحق في الآخرة ليستدركوا فارط ذنوبهم، وليست الآخرة دار توبة فتقبل توبتهم، كما ليست بدار تكليف فيستأنف تكليفهم. فأجابهم الله تعالى عن هذا الطلب فقال:

﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة، قاله مجاهد.

الثاني: ما لكم من زوال عن العذاب، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى بالمكر الشرك، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه عنى به العتو والتجبّر، وهي فيمن تجبر في ملكه وصعد مع النسرين(٢٤٩) في الهواء، قاله علي رضي الله عنه. وقال ابن عباس: هو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن حام بن نوح بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعاً وصعد منه مع النسور، فلما علم أنه لا سبيل إلى السماء اتخذه حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه، فأتى الله بنيانه من القواعد، فتداعى الصرح عليهم، فهلكوا جميعاً، فهذا معنى قوله ﴿وقد مكروا مكرهم﴾.

(٢٤٩) وهو النمرود وهذه القصة التي ذكرت هنا من الإسرائيليات وكر عليها العلامة أبو بكر ينعى العرب بالبلاء ونقله الألوسي وارتضاه في روح المعاني (١٣/ ٢٥٢) وقال «وقد شاع ذلك في أخبار القصاص وخبرهما (أي خبر النسرين) واقع عن درجة القبول ولو طاروا إلى النسر الطائر ومثل ذلك فيما أرى خبر المتهمة».

﴿وعند الله مكرهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وعند الله مكرهم عالماً به لا يخفى عليه، قاله علي بن عيسى.

الثاني: وعند الله مكرهم محفوظاً عليهم حتى يجازيهم عليه، قاله الحسن وقتادة.

﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ فيه قراءتان.

إحداهما: بكسر اللام الأولى(٢٥٠) وفتح الثانية، ومعناها وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، احتقاراً له، قاله ابن عباس والحسن.

الثانية: بفتح اللام الأولى وضم الثانية(٢٥١)، ومعناها وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال استعظاماً له. قرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم ﴿وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال﴾.

وفي ﴿الجبال﴾ التي عنى زوالها بمكرهم قولان:

أحدهما: جبال الأرض.

الثاني: الإسلام(٢٥٢) والقرآن، لأنه لثبوته، ورسوخه كالجبال.

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة، لم تعمل عليها خطيئة، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: تبدل الأرض من فضة بيضاء.

الثاني: أنها هي هذه الأرض، وإنما تبدل صورتها ويطهر دنسها، قاله الحسن.

﴿السموات﴾ فيها ستة أقاويل:

---

(٢٥٠) وهي قراءة الأكثرية والمراد أن مكرهم أوهن وأضعف راجع زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٢٥١) وهي قراءة الكسائي أراد قد كادت الجبال تزول من مكرهم كذلك فسرها ابن الأنباري كما نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٢٥٢) وتعقب الألوسي هذا القول (١٣/ ٢٥٢) والقول الأول هو الأرجح وهو قول الجمهور.

أحدها: أن السموات تبدل بغيرها كالأرض فتجعل السماء من ذهب، والأرض من فضة، قاله علي بن أبي طالب.

الثاني: أن السموات تبدل بغيرها كالأرض، فتصير السموات جناناً والبحار نيراناً وتبدل الأرض بغيرها، قاله كعب الأحبار.

الثالث: أن تبديل السموات تكوير شمسها وتكاثر نجومها، قاله ابن عيسى.

الرابع: أن تبديلها أن تطوى كطي السجل للكتب، قاله القاسم بن يحيى.

الخامس: أن تبديلها أن تنشق فلا تظل، قاله ابن شجرة.

السادس: أن تبديلها اختلاف أحوالها، تكون في حال كالمهل(٢٥٣)، وفي حال كالوردة(٢٥٤)، وفي حال كالدهان، حكاه ابن الأنباري.

﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾ أي صاروا إلى حكم الله تعالى وأمره فروى الحسن(٢٥٥) قال: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله يوم تبدَّل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذٍ؟ قال «**إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد ثم قال على الصراط يا عايشة**».

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾

قوله عزوجل: ﴿وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الأصفاد الأغلال، واحدها صفد، ومنه قول حسان(٢٥٦):

ما بين مأسورٍ يشد صِفادُهُ   صقرٍ إذا لاقى الكريهة حامي

---

(٢٥٣) كما في قوله تعالى ﴿يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن﴾.

(٢٥٤) كما في قوله ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾

(٢٥٥) رواه الطبري (١٣/ ٢٥٣) واللفظ له وأحمد كما أشار ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٣) وله طريق أخرى عن عائشة رواه مسلم (٢٧٩١) والترمذي (٣١٢١) وابن ماجة (٤٢٧٩) والحاكم (٢/ ٣٥٢).

(٢٥٦) ديوان حسان: ٢١٥. فتح القدير (٣/ ١١٨).

الثاني: أنها القيود، ومنه قول عمرو بن كلثوم(٢٥٧):

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأُبنا بالملوكِ مُصَفَّدينا

أي مقيّدين. وأما قول النابغة الذبياني(٢٥٨):

هذا الثناء فإن تسمع لقائله فلم أعرض، أبيت اللعن، بالصفدِ

فأراد بالصفد العطية، وقيل لها صفد لأنها تقيد المودة.

وفي المجرمين المقرنين في الأصفاد قولان:

أحدهما: أنهم الكفار يجمعون في الأصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي.

الثاني: أنه يجمع بين الكافر والشيطان في الأصفاد.

قوله عزوجل: ﴿سرابيلهم مِن قطرانٍ﴾ السرابيل: القمص، واحدها سربال، ومنه قول الأعشى(*):

عهدي بها في الحي قد سربلت صفراء مثل المهرة الضامر

وفي القطران ها هنا قولان:

أحدهما: أنه القطران الذي تهنأ(٢٥٩) به الجمال، قاله الحسن، وإنما جعلت سرابيلهم من قطران لإسراع النار إليها.

الثاني: أنه النحاس الحامي، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

وقرأ عكرمة وسعيد بن جبير ﴿من قطران﴾ بكسر القاف وتنوين(٢٦٠) الراء وهمزآن لأن القطر النحاس، ومنه قوله تعالى ﴿آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ [الكهف: ٩٦] والآني: الحامي، ومنه قوله تعالى ﴿وبين جحيم آن﴾ [الرحمن: ٤٤].

---

(٢٥٧) ديوان: ص ٤١٢، واللسان صفر، والطبري (١٣/ ٢٥٤).

(٢٥٨) ديوانه: ص ٢٧، مختار الشعر الجاهلي ص ١٥٥، الطبري (١٣/ ٢٥٤) وفيه. فما عرضت.

(٢٥٩) يقال هنأ الإبل يهنؤها ويهنئها هنأً وهِناءً: طلاها بالهناء وهو القطران.

(٢٦٠) وهي أيضاً قراءة ابن عباس وأبي رزين وأبي مجلز وقتادة وابن أبي عبلة وأبي حاتم عن يعقوب زاد المسير (٤/ ٣٧٧).

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ فيه قولان[٢٦١]:

أحدهما: هذا الإنذار كاف للناس، قاله ابن شجرة.

الثاني: هذا القرآن كافٍ للناس، قاله ابن زيد.

﴿ولينذروا به﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالرسول.

الثاني: بالقرآن.

﴿وليعملوا أنما هو إله واحدٌ﴾ لما فيه من الدلائل على توحيده.

﴿وليذكّرَ أولوا الألباب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وليتعظ، قاله الكلبي.

الثاني: ليسترجع يعني بما سمع من المواعظ. أولو الألباب، أي ذوو العقول.

وروى يمان بن رئاب أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(٢٦١) واختاره الطبري (١٣/ ٢٥٨) والشوكاني (٣/ ١١٩).

سُورَةُ الحِجْر

ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

مكية باتفاق إلا قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ فمدنية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

﴿آلر تلك آياتُ الكتاب وقرآن مبينٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الكتاب هو القرآن، جمع له بين الاسمين.

الثاني: أن الكتاب هو التوراة والانجيل، ثم قرنها بالقرآن المبين. وفي المراد بالمبين ثلاثة أوجه:

أحدها: المبين إعجازه حتى لا يعارض.

الثاني: المبين الحق من الباطل حتى لا يشكلا.

الثالث: المبين الحلال من الحرام حتى لا يشتبها.

قوله عز وجل: ﴿رُبما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ وفي زمان هذا التمني ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند المعاينة في الدنيا حين يتبين لهم الهدى من الضلالة، قاله الضحاك.

الثاني: في القيامة اذا رأوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين.

الثالث: إذا دخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

وقال الحسن: اذا رأى المشركون المؤمنين وقد دخلوا الجنة وصاروا هم إلى النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين.

وربما مستعملة في هذا الموضع للكثير، وإن كانت في الأصل موضوعة للتقليل، كما قال الشاعر:

ألا ربّما أهدت لك العينُ نظرة قصاراك مِنْها أنها عنك لا تجدي

وقال بعضهم هي للتقليل أيضاً في هذا الموضع، لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ يعني من أهل قرية.

﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أجل مقدر.

الثاني: فرض محتوم.

قوله عز وجل: ﴿ما تسبق من أمةٍ أجَلَها وما يَستأخرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يتقدم هلاكهم عن أجله ولا يتأخر عنه.

الثاني: لا يموتون قبل العذاب فيستريحوا، ولا يتأخر عنهم فيسلموا.

وقال الحسن فيه تأويلاً ثالثاً: ما سبق من أمة رسولها وكتابها فتعذب قبلهما ولا يستأخر الرسول والكتاب عنها.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: إلا بالقرآن، قاله القاسم.

الثاني: إلا بالرسالة، قاله مجاهد.

الثالث: إلا بالقضاء عند الموت لقبض أرواحهم، قاله الكلبي.

الرابع: إلا بالعذاب إذا لم يؤمنوا، قاله الحسن.

﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ أي مؤخّرين.

قوله عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ قال الحسن والضحاك يعني القرآن.

﴿وإنا له لحافظون﴾ فيه قولان:

أحدهما: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه، حكاه ابن (٢٦٢) جرير.

الثاني: وإنا للقرآن لحافظون.

وفي هذا الحفظ ثلاثة أوجه:

أحدها: حفظه حتى يجزى به يوم القيامة، قاله الحسن.

الثاني: حفظه من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً، أو يزيل منه حقاً، قاله قتادة.

الثالث: إنا له لحافظون في قلوب من أردنا به خيراً، وذاهبون به من قلوب من أردنا به شراً.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشيع الأمم، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أن الشيع جمع شيعة، والشيعة الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة، فكأن الشيع الفرق، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ [الأنعام: ٦٥] أي فرقاً، وأصله مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار، فهو عون النار.

(٢٦٢) جامع البيان (١٤/ ٨).

الثالث: أن الشيع القبائل(*)، قاله الكلبي.

قوله عز وجل: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: كذلك نسلك الاستهزاء في قلوب المجرمين، وإن لم يعرفوا، قاله قتادة.

الثاني: كذلك نسلك التكذيب في قلوب المجرمين، قاله ابن جريج.

الثالث: كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين، وإن لم يؤمنوا، قاله الحسن.

الرابع: كذلك إذا كذب به المجرمون نسلك في قلوبهم أن لا يؤمنوا به.

قوله عز وجل: ﴿لا يؤمنون به﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالقرآن أنه من عند الله.

الثاني: بالعذاب أن يأتيهم.

﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ السنة: الطريقة، قال عمر بن أبي ربيعة:

لها من الريم عيناه و سُنّتُهُ ... ونحرُه السابق المختال إذ صَهَلا

فيه وجهان:

أحدهما: قد خلت سنة الأولين بالعذاب لمن أقام على تكذيب الرسل.

الثاني: بأن لا يؤمنوا برسلهم إذا عاندوا.

ويحتمل ثالثاً: بأن منهم مؤمناً وكافراً.

كما يحتمل رابعاً: من أقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ فيه وجهان:

(*) وفي نسخه للمخطوطة: القرى.

أحدهما: فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم، قاله ابن عباس والضحاك.

قوله عز وجل: ﴿لقالوا إنما سكِرت أبصارنا﴾ في ﴿سكرت﴾ قراءتان:

إحداهما بتشديد الكاف[٢٦٣]، والثانية بتخفيفها[٢٦٤]، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا ستة تأويلات:

أحدها: سُدّت، قاله الضحاك.

الثاني: عميت، قاله الكلبي.

الثالث: أخذت، قاله قتادة.

الرابع: خدعت، قاله جويبر.

الخامس: غشيت وغطيت، قاله أبو عمرو بن العلاء، ومنه قول الشاعر[٢٦٥]:

وطلعت شمسٌ عليها مغفر ... وجَعَلَتْ عين الحرور تسكر

السادس: معناه حبست، قاله مجاهد. ومنه قول أوس بن حجر[٢٦٦]:

فصرن على ليلة ساهرة ... فليست بطلقٍ ولا ساكرة

والوجه الثاني: أن معنى سكرت بالتشديد والتخفيف مختلف، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: أن معناه بالتخفيف سُحِرَتْ، وبالتشديد: أخذت.

الثاني: أنه بالتخفيف من سُكر الشراب، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء.

﴿بل نحن مسحورون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي سحرنا فلا نبصر.

الثاني: مضللون، حكاه ثعلب.

---

(٢٦٣) وهي قراءة الأكثرين.

(٢٦٤) وهي قراءة ابن كثير وحده راجع المبسوط ص ٢٥٩.

(٢٦٥) أورده في فتح القدير (٣/ ١٢٣). والشطر الثاني فيه وجعلت عين الجزور تسكر.

(٢٦٦) ديوانه: والبيت فيه.

خذلت على ليلة ساهرة ... بصحراء سرج أني ناظرة

تزداد ليالي في طولها ... فليست لطلق ولا ساكره

واللسان (سكر) والبيت أورده في فتح القدير (٣/ ١٢٣) كما هنا.

الثالث: مفسدون.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ
شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨ وَالْأَرْضَ
مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجاً**﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنها قصور في السماء فيها الحرس، قاله عطية.

الثاني: أنها منازل الشمس والقمر، قاله علي بن عيسى.

الثالث: أنها الكواكب العظام، قاله أبو صالح، يعني السبعة السيارة.

الرابع: أنها النجوم، قاله الحسن وقتادة.

الخامس: أنها البروج الاثنا عشر.

وأصل البروج الظهور، ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت نفسها.

﴿**وزيناها للناظرين**﴾ أي حسنّاها.

﴿**وحفظناها من كل شيطان رجيم**﴾ يعني السماء. وفي الرجيم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الملعون، قاله قتادة.

الثاني: المرجوم بقول أو فعل، ومنه قول الأعشى (٢٦٧):

يظل رجيماً لريب المنون ... والسقم في أهله والحزن

الثالث: أنه الشتيم. زعم الكلبي أن السموات كلها لم تحفظ من الشياطين إلى زمن عيسى، فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات، إلى مبعث رسول الله ﷺ فحفظ جميعها بعد بعثه وحرسها منهم بالشهب.

قوله عز وجل: ﴿**إلا من استرق السمع**﴾ ومسترق السمع من الشياطين يسترقه من أخبار الأرض دون الوحي، لأن الله تعالى قد حفظ وحيه منهم.

ومن استراقهم له قولان:

---

(٢٦٧) ديوانه: ١٩٠.

أحدهما: أنهم يسترقونه من الملائكة في السماء.

الثاني: في الهواء عند نزول الملائكة من السماء.

وفي حصول السمع قبل أخذهم بالشهاب قولان:

أحدهما: أن الشهاب يأخذهم قبل وصولهم إلى السمع، فيصرفون عنه.

الثاني: أنه يأخذهم بعد وصول السمع إليهم.

وفي أخذهم بالشهاب قولان:

أحدهما: أنه يخرج ويحرق ولا يقتل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه يقتل، قاله الحسن وطائفة.

فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان:

أحدهما: أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم، فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، قاله ابن عباس: ولذلك انقطعت الكهانة.

الثاني: أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن، ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الإستراق وانقطع الإحراق.

وفي الشهب التي يرجمون بها قولان:

أحدهما: أنها نور يمتد بشدة ضيائه فيحرقهم ولا يعود، كما إذا أحرقت النار لم تعد.

الثاني: أنها نجوم يرجمون بها وتعود إلى أماكنها، قال ذو الرمة(٢٦٨):

كأنه كوكب في إثر عفريةٍ ... مُسَوَّمٌ في سوادِ الليل منقضبُ

قوله عز وجل: ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها. قال قتادة. بسطت من مكة لأنها أم القرى.

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ وهي الجبال.

﴿وأنتبنا فيها من كل شيء موزون﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني مقدر معلوم(٢٦٩)، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير. وإنما قيل

---

(٢٦٨) ديوانه: ٣٦، مجاز القرآن (٢/ ٩٥)، الكامل للمبرد (٨٣٣) الأمالي للقالي (٣/ ٦٥)، اللسان قضب، القرطبي (٣/ ٢٠٣).

(٢٦٩) واختاره ابن جرير (١٤/ ١٧).

﴿موزون﴾لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء. قاله الشاعر (٢٧٠):

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرَّةٍ عندي لكل مُخاصِم ميزانُه

الثاني: يعني به الأشياء التي توزن في أسواقها، قاله الحسن وابن زيد.

الثالث: معناه مقسوم، قاله قتادة.

الرابع: معناه معدود، قاله مجاهد.

ويحتمل خامساً: أنه ما يوزن فيه الأثمان لأنه أجل قدراً وأعم نفعاً مما لا ثمن له.

قوله عز وجل: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنها الملابس، قاله الحسن.

الثاني: أنها المطاعم والمشارب التي يعيشون فيها، ومنه قول جرير (٢٧١):

تكلفني معيشة آل زيدٍ ومَن لي بالمرقق والصنابِ

الثالث: أنها التصرف في أسباب الرزق مده أيام الحياة، وهو الظاهر.

﴿ومن لستم له برازقين﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الدواب والأنعام، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الوحوش، قاله منصور.

الثالث: العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾[الإسراء: ٣١] قاله ابن بحر.

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(٢٧٠) أورده في فتح القدير (٣/ ١٢٦)، اللسان (وزن) ولم ينسبه.

(٢٧١) ديوانه ( ) اللسان (رفق) فتح القدير (٣/ ١٢٦) والشطر الثاني في اللسان:

ومن لي بالصلائق والضباب.

قوله عز وجل: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ يعني وإن من شيء من أرزاق الخلق إلا عندنا خزائنه وفيه وجهان:

أحدهما: يعني مفاتيحه لأن في السماء مفاتيح الأرزاق، وهو معنى قول الكلبي.

الثاني: أنها الخزائن التي هي مجتمع الأرزاق. وفيها وجهان:

أحدهما: ما كتبه الله تعالى وقدره من أرزاق عباده.

الثاني: يعني المطر المنزل من السماء، لأنه نبات كل شيء، قال الحسن: المطر خزائن كل شيء.

﴿وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم﴾ قال ابن مسعود: ما كان عامٌ بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث يشاء، فيمطر قوماً ويحرم آخرين.

قوله عز وجل: ﴿وأرسلنا الرياحَ لواقِحَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لواقح السحاب حتى يمطر، قاله الحسن وقتادة، وكل الرياح لواقح غير أن الجنوب ألقح .وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[٢٧٢]: «ما هبت ريح جنوب إلا أنبع الله تعالى بها عيناً غدقة».

الثاني: لواقح للشجر حتى يثمر، قاله ابن عباس.

وقال أبو عبيدة: لواقح بمعنى ملاقح. وقال عبيد بن عمير: يرسل الله تعالى المبشرة[٢٧٣] فتقم الأرض قمّاً، ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب، ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر.

قوله عز وجل: ﴿فأنزلنا من السماء ماءً﴾ يعني من السحاب مطراً.

﴿فأسقيناكموه﴾ أي مكناكم منه، والفرق بين السقي والشرب أن السقي بذل

(٢٧٢) لم اعثر على تخريجه والأشبه أنه ضعيف لتصدير المؤلف له بصيغة التضعيف المشعرة بضعفه وقد روى نحوه وفي معناه أحاديث راجعها في الدر (٥/ ١٧٢) وابن كثير (٢/ ٥٤٩).

(٢٧٣) كما في قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن أرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾ الآية [الروم: ٤٦] وأعط المثيرة. فكما في قوله: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (فاطر: ٩].

والمؤلف كما في قوله: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله﴾ الآية [النور: ٤٣]. واللواقح هي المذكورة هنا وقد تعقب ابن قتيبة كلام ابن عبيدة فراجعه في زاد المسير (٤/ ٣٩٣).

المشروب، والشرب: استعمال المشروب، فصار الساقي باذلاً، والشارب مستعملاً.

﴿وما أنتم له بخازنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بخازني الماء الذي أنزلناه.

الثاني: بمانعي الماء الذي أنزلناه.

قوله عز وجل: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد عَلِمنا المستأخرين﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أن المستقدمين الذين خلقوا، والمستأخرين الذين لم يخلقوا، قاله عكرمة.

الثاني: المستقدمين الذين ماتوا، والمستأخرين الذين هم أحياء لم يموتوا، قاله الضحاك.

الثالث: المستقدمين أول الخلق، والمستأخرين آخر الخلق، قاله الشعبي.

الرابع: المستقدمين أول الخلق ممن تقدم على أمة محمد، والمستأخرين أمة محمد ﷺ، قاله مجاهد.

الخامس: المستقدمين في الخير، والمستأخرين في الشر، قاله قتادة.

السادس: المستقدمين في صفوف الحرب، والمستأخرين فيها، قاله سعيد بن المسيب.

السابع: المستقدمين من قتل في الجهاد، والمستأخرين من لم يقتل، قاله القرظي.

الثامن: المستقدمين في صفوف الصلاة(٢٧٤)، والمستأخرين فيها.

روى عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال(٢٧٥): كانت تصلي

---

(٢٧٤) وقال العلامة الألوسي (١٤/ ٣٣) «وأنت تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن هنا قال بعضهم الحمل على العموم أن علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة والموت على الإسلام وصفوف الصلاة وغيرها.

(٢٧٥) رواه الطبري (١٤/ ٢٦) واللفظ له والترمذي (٢٢/ ٣١) والنسائي في التفسير كما في ابن كثير (٢/ ٥٤٩) وزاد السيوطي في الدر نسبته (٥/ ٧٣) لأحمد وابن ماجة وابن المنذروابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه والطيالسي وسعيد بن منصور.

قال الترمذي رحمه الله «وروي جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه =

خلف رسول الله ﷺ امرأةٌ من أحسن الناس، لا والله ما رأيت مثلها قط، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه في الصف، فأنزل الله تعالى في شأنها هذه الآية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حَمَإٍ مسنون﴾ أما الإنسان هاهنا فهو آدم عليه السلام في قول أبي هريرة والضحاك. أما الصلصال ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة، قاله ابن عباس وقتادة، ومنه قول الشاعر:

وقاعٍ ترى الصَّلصال فيه ودونه ... بقايا بلالٍ بالقرى والمناكبِ

والصلصة: الصوت الشديد المسموع من غير الحيوان، وهو مثل القعقعة في الثوب.

الثاني: أنه طين خلط برمل، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الطين المنتن، قاله مجاهد، مأخوذ من قولهم: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ إذا أنتن، قال الشاعر(٢٧٦):

ذاك فتى يبذل ذا قدرِهِ ... لا يفسد اللحم لديه الصلول

والحمأ: جمع حمأة وهو الطين الأسود المتغير.

وفي المسنون سبعة أقاويل:

= ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح. وقال الحافظ ابن كثير (٢/ ٥٤٩) «حديث غريب جداً فيه نكارة شديدة فالظاهر أنه من أخلاط أبي الجوزاء ليس فيه لابن عباس ذكر».

قلت والرواية التي أشار إليها الترمذي أخرجها عبد الرزاق كما نقلها ابن كثير (٢/ ٥٥٠).

(٢٧٦) هو الحطيئة والبيت في اللسان (صلل).

أحدها: أن المسنون المنتن المتغير، من قولهم قد أسن الماء إذا تغير، قاله ابن عباس، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

سَقَتْ صداي رضاباً غير ذي أَسَنٍ كالمسكِ فُتَّ على ماءِ العناقيد

الثاني: أن المسنون المنصوب القائم، من قولهم وجه مسنون، قاله الأخفش.

الثالث: أن المسنون المصبوب، من قولهم سنيتُ الماء على الوجه إذا صببته عليه، قاله أبو عمرو بن العلاء، ومنه الأثر المروي عن عمر أنه كان يسن الماء على وجهه ولا يشنُّه، والشن تفريق الماء، والسن صبه.

الرابع: أن المسنون الذي يحك بعضه بعضاً، من قولهم سننت الحجر على الحجر إذا حككت أحدهما بالآخر، ومنه سمي المِسَنّ لأن الحديد يسن عليه، قاله الفراء.

الخامس: أن المسنون المنسوب.

السادس: أنه الرطب، قاله ابن أبي طلحة.

السابع: أنه المخلص من قولهم سن سيفك أي اجلهُ.

قوله عز وجل: ﴿**والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ وفي الجان ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إبليس، قاله الحسن.

الثاني: انهم الجن حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنه أبو الجن قاله الكلبي فآدم أبو الإنس، والجان: أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين.

قال ابن عباس: الجان أبو الجن وليسوا شياطين(٢٧٧). والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس. والجن يموتون(٢٧٨)، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر.

﴿**خلقناه من قبل**﴾ يعني من قبل آدم. قال قتادة: لأن آدم إنما خلق آخر الخلق.

---

(٢٧٧) وذهب الحسن فيما صح عنه ورواه الطبري كما تقدم في سورة البقرة أن إبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

(٢٧٨) والدليل على ذلك حديث قوله ﷺ في الحديث «أنت الحي القيوم الذي لا تموت والإنس والجن يموتون».

وقوله تعالى: ﴿من نار السّموم﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني من لهب النار(٢٧٩)، قاله ابن عباس.

الثاني: يعني من نار الشمس، قاله عمرو بن دينار.

الثالث: من حر السموم، والسموم: الريح الحارة. ذكره ابن عيسى.

الرابع: أنه نار السموم نار الصواعق بين السماء وبين حجاب دونها، قاله الكلبي وسمي سموماً لدخوله في مسام البدن.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ
مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ
﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قال رَبِّ فأنظرني إلى يوم يبعثونَ﴾ وهذا السؤال من إبليس لم يكن من ثقة منه بمنزلته عند الله تعالى وأنه أهل أن يجاب له دعاء، ولكن سأل تأخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الآيس من السلامة. وأراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون أن لا يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده.

فقال الله تعالى: ﴿فإنك من المنظرين﴾ يعني من المؤجلين.

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ فلم يجبه إلى البقاء.

وفي الوقت المعلوم وجهان:

أحدهما: معلوم عند الله تعالى، مجهول عند إبليس.

---

(٢٧٩) وروي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

الثاني: إلى يوم النفخة الأولى يموت إبليس. وبين النفخة والنفخة أربعون سنة. فتكون مدة موت إبليس أربعين سنة، وهو قول ابن عباس وسمي يوم الوقت المعلوم لموت جميع الخلائق فيه.

وليس هذا من الله تعالى إجابة لسؤاله، لأن الإجابة تكرمة، ولكن زيادة في بلائه، ويعرف أنه لا يضر بفعله غير نفسه.

وفي كلام الله تعالى له قولان:

أحدهما: أنه كلمه على لسان رسول.

الثاني: أنه كلمه تغليظاً في الوعيد لا على وجه التكرمة والتقريب.

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ
عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قال ربِّ بما أغويتني﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بما أضللتني[٢٨٠]، قاله ابن عباس.

الثاني: بما خيبتني من رحمتك.

الثالث: بما نسبتني إلى الإغواء.

ويحتمل هذا من إبليس وجهين:

أحدهما: أنه يقوله على وجه القسم وتقديره: وحق إغوائك لي.

الثاني: أنه يقوله على وجه الجزاء، وتقديره لأجل إغوائك لي.

﴿لأزينن لهم في الأرض﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لأزينن لهم فعل المعاصي.

الثاني: لأشغلنهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة.

(٢٨٠) وقد تمسك المعتزلة بقوله «لأغوينهم» على قولهم بوجوب رعاية الأصلح على الله ولا حجة لهم في ذلك راجع روح المعاني (١٤/ ٥٠).

﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أي لأضلنهم عن الهدى.

﴿إلّا عبادك منهم المخلصين﴾ وهم الذين أخلصوا العبادة من فساد أو رياء حكى أبو ثمامة أن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلص للّه، فقال: الذي يعمل لله ولا يحب أن يحمده الناس.

قوله عز وجل: ﴿قال هذا صراطُ عليَّ مستقيم﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة، قاله عمر رضي الله عنه.

الثاني: هذا صراط إليَّ مستقيم، قاله الحسن فتكون عليَّ بمعنى إليَّ.

الثالث: أنه وعيد وتهديد، ومعناه أن طريقه إليَّ ومرجعه عليَّ، كقول القائل لمن يهدده ويوعده: عليَّ طريقك، قاله مجاهد.

الرابع: معناه هذا صراط(٢٨١) عليّ استقامته بالبيان والبرهان. وقيل بالتوفيق والهداية. وقرأ الحسن وابن سيرين: ﴿عليٌّ مستقيم﴾ برفع الياء وتنوينها، ومعناه رفيع مستقيم، أي رفيع أن ينال، مستقيم أن يمال.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿آدخلوها بسلامٍ آمنين﴾ في قوله ﴿بسلام﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: بسلامة من النار، قاله القاسم بن يحيى.

الثاني: بسلامة تصحبكم من كل آفة، قاله علي بن عيسى.

الثالث: بتحية من الله لهم، وهو معنى قول الكلبي.

﴿آمنين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(٢٨١) قال العلامة الألوسي رحمه الله (٥٠/١٤) «وكلمه على» تستعمل للوجوب والمعتزلة يقولون به حقيقة لقولهم بوجوب الأصلح عليه تعالى وقال أهل السنة إن ذلك وإن كان تفضلاً منه سبحانه إلا أنه أشبه الحق بالواجب فتأكد ثبوته وتحقق وقوعه بمعنى وعده جل وعلا فجيء بعلى لذلك أو إلى ما تضمنه ا هـ.

أحدها: آمنين من الخروج منها.

الثاني: آمنين من الموت.

الثالث: آمنين من الخوف والمرض.

قوله عز وجل: ﴿ونزعنا ما في صدورهم مِنْ غِلٍّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نزعنا بالإسلام ما في صدورهم من غل الجاهلية، قاله علي بن الحسين.

الثاني: نزعنا في الآخرة ما في صدورهم من غل الدنيا، قاله الحسن، وقد رواه أبو سعيد(٢٨٢) الخدري مرفوعاً.

﴿إخواناً عَلَى سُرُرٍ متقابلين﴾ في السرر وجهان:

أحدهما: أنه جمع أسرة(٢٨٣) هم عليها.

الثاني: أنه جمع سرورهم فيه.

وفي ﴿متقابلين﴾ خمسة أوجه:

أحدها: متقابلين بالوجوه يرى بعضهم بعضاً فلا يصرف طرفه عنه تواصلاً وتحابياً، قاله مجاهد.

الثاني: متقابلين بالمحبة والمودة، لا يتفاضلون فيها ولا يختلفون، قاله علي بن عيسى.

الثالث: متقابلين في المنزلة لا يفضل بعضهم فيها على بعض لاتفاقهم على الطاعة واستوائهم في الجزاء، قاله أبو بكر بن زياد.

الرابع: متقابلين في الزيارة والتواصل، قاله قتادة.

الخامس: متقابلين قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهم بالود، حكاه القاسم.

---

(٢٨٢) رواه البخاري (٥/ ٧٠).

ولفظه «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة قال فوالذي نفسي محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان في الدنيا» اهـ.

(٢٨٣) ويدل على هذا القول قوله في سورة الواقعة ﴿على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين﴾ ولا مانع من دخول التفسير الثاني في الأول بأن يقال هم في حالة سرور وسعادة وهم على الأسرة متكئون.

قيل إن هذه الآية نزلت في العشرة من قريش. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير منهم.

قوله عز وجل: **﴿نَبِّيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾** سبب نزولها ما روي أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يضحكون،فقال[٢٨٤]: «**تضحكون وبين أيديكم الجنة والنار**» فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: **﴿نَبِّيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾**.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿قالوا لا توجل﴾** أي لا تخف، ومنه قول معن بن أوس[٢٨٥]:

لعمرك ما أدري وأني لأوجل   على أينا تعدو المنية أوّل

﴿إنّا نبشِّرك بغلامٍ عليم﴾ أي بولد هو غلام في صغره، عليم في كبره، وهو إسحاق.

لقوله تعالى **﴿فضحكت فبشرناها بإسحاق﴾**.

وفي **﴿عليم﴾** تأويلان:

أحدهما: حليم، قاله مقاتل.

الثاني: عالم، قاله الجمهور.

فأجابهم عن هذه البشرى مستفهماً لها متعجباً منها **﴿قال أبَشّرتموني على أن مسنيَ الكبر﴾** أي علو السن عند الإياس من الولد.

﴿فبم تبشرونَ﴾ فيه وجهان:

---

(٢٨٤) رواه البزار والطبراني وابن مردويه كما في الدر (٤ / ٨٦). من حديث عبدالله بن الزبير.

(٢٨٥) اللسان «وجل» والشطر الثاني فيه: على أينا تغدو والمنية أوّل.

أحدهما: أنه قال ذلك استفهاماً لهم، هل بشروه بأمر الله؟ ليكون أسكن لنفسه.

الثاني: أنه قال ذلك تعجباً من قولهم، قاله مجاهد.

﴿قالوا بشرناك بالحقّ﴾ أي بالصدق، إشارة منهم إلى أنه عن الله تعالى.

﴿فلا تكن مِنَ القانطين﴾ أي من الآيسين من الولد.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿قالوا إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين إلاّ آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين﴾ آل لوط اتباعه ومؤمنو قومه، سمّاهم آلَهُ لنصرتهم له، وإيمانهم به، فاستثناهم من المجرمين المأمور بهلاكهم، فخرجوا بالاستثناء منهم.

ثم قال تعالى ﴿إلاّ امْرأَته﴾ فكانت مستثناة من آل لوط ولاحقة بالمجرمين، لأن كل استثناء يعود إلى ما تقدمه فيخالفه في حكمه. فإن عاد إلى إثبات كان الاستثناء نفياً، وإن عاد إلى نفي كان الاستثناء إثباتاً، فصارت امرأة لوط ملحقة بالمجرمين المهلكين.

ومثال هذا في الإقرار أن يقول له: عليّ عشرة إلا سبعة إلا أربعة، فيكون عليه سبعة لأن الأربعة استثناء يرجع إلى السبعة التي قبلها، فصار الباقي منها ثلاثة. وتصير الثلاثة الباقية هي الاستثناء الراجع إلى العشرة، فيبقى منها سبعة.

وهكذا في الطلاق لو قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً أو اثنتين إلا واحدة طلقت ثنتين لأن الواحدة ترجع إلى الثنتين، فتبقى منها واحدة فتصير الواحدة هي القدر المستثنى من الثلاثة فيصير الباقي منها ثنتين وهكذا حكم قوله: ﴿إلا امرأته﴾.

﴿قدرنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه قضينا، قاله النخعي.

الثاني: معناه كتبنا، قاله علي بن عيسى.

﴿إنها لَمِنَ الغابرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي من الباقين في العذاب مع المجرمين.

الثاني: من الماضين بالعذاب.

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ
جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ
حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ
مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل: ﴿فأسرِ بأهلك بقطع مِن الليل﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بآخر الليل، قاله الكلبي.

الثاني: ببعض الليل، قاله مقاتل.

الثالث: بظلمة الليل، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر(٢٨٦):

ونائحةٍ تنوحُ بقطع ليلٍ　　على رَجُلٍ بقارعةِ الصعيد

قوله عز وجل: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي أوحينا إليه ذلك الأمر.

﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: آخرهم.

الثاني: أصلهم.

﴿مقطوع مصبحين﴾ أي يستأصلون بالعذاب عند الصباح.

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن
كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

---

(٢٨٦) تقدم تخريج هذا البيت وهو لمالك بن كنانة كما في سورة هود.

قوله عز وجل: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ لعمرك: قسم فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه وعيشك، وهذا مروي عن ابن عباس.

الثاني: معناه وعملك، قاله قتادة.

الثالث: معناه وحياتك[٢٨٧]، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً وقال: ما أقسم الله تعالى بحياة غيره.

الرابع: وحقك، يعني الواجب على أمتك، والعمر الحق، ومنه قولهم: لعمر الله، أي وحق الله. وفي ﴿سكرتهم﴾ وجهان:

أحدهما: في ضلالتهم، قاله قتادة.

الثاني: في غفلتهم، قاله الأعمش.

وفي ﴿يعمهون﴾ أربعة أوجه:

أحدها: معناه يترددون، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وأبو مالك.

الثاني: يتمارون، قاله السدي.

الثالث: يلعبون، قاله الأعمش.

الرابع: يمعنون، قاله الكلبي.

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

(٢٨٧) قال القاضي عياض «اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله عبرة حياة محمد ﷺ وكذا حكى إجماع المفسرين على هذا المعنى أبو بكر بن العربي فقال: «قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له...» إلى أن قال ما الذي يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل ما يعطيه الله تعالى للوط من فضل يؤتى ضعفه من شرف لمحمد ﷺ لأنه أكرم على الله منه أو لا تسراه سبحانه أعطى إبراهيم الخلة وموسى التكلم وأعطى ذلك لمحمد ﷺ فإذا أقسم الله سبحانه بحياة لوط فحياة محمد أرفع اهـ.
وقد كره كثير من العلماء القسم بغير الله سبحانه وجاءت بذلك الأحاديث الصحيحة في النهي عن القسم بغير الله فليس لعباده أن يقسموا بغيره وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ راجع فتح القدير (٣/ ١٣٨).

قوله تعالى: ﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسمين﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: للمتفرسين، قاله مجاهد. وروي عن النبي ﷺ أنه قال (٢٨٨): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه» ثم تلا هذه الآية..

الثاني: للمعتبرين، قاله قتادة.

الثالث: للمتفكرين، قاله ابن زيد.

الرابع: للناظرين، قاله الضحاك. قال زهير بن أبي سلمى (٢٨٩):

وفيهن ملهى للصديق ومنظر   أنيقٌ لعَيْنِ الناظر المتوسم

الخامس: للمبصرين، قاله أبو عبيدة. قال الحسن: هم الذين يتوسمون الأمور

---

(٢٨٨) ورد الحديث من عدة طرق وهاك بيانها:

فرواه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٣٥٤) والترمذي (٥/٣٣). وابن جرير (١٤/ ٤٦) وأبو الشيخ (١٢٧) وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين ص ١٤ والخطيب (٣/ ١٩١) (٧/ ٢٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٦) فما أصاب. وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٩٠) نسبة حديث ابن سعيد لإبن أبي حاتم وابن السني في الطب وابن مردويه. وضعّف الحديث الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٨٧).

وللحديث شاهد من حديث أبي أمامة رواه الطبراني في الكبير (٧٤٩٧) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨) والخطيب في التاريخ (٥/ ٦٩) والبيهقي في الزهد ص ٧٨ والشهاب القضاعي في مسنده (٤٣٣) وفي سنده راشد بن سعد وهو ثقة كثير الإرسال ومعاوية بن صالح وهو صدوق له أوهام وعبدالله بن صالح وكان كثير الغلط وفيه غفلة وقد حسّن هذا الطريق الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٨) وفيه من ذكرت. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٨٧) وزاد السيوطي في الجامع مع نسبه للحكيم الترمذي وسمويه وابن عدي.

وله طريق ثالث عن ابن عمر رواه ابن جرير (١٤/ ٤٦) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) وفي سنده فرات ابن السائب كذّبه أبو حاتم وقال البخاري والدارقطني متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وله طريقة رابعة من حديث ثوبان رواه ابن جرير (١٤/ ٤٦ ـ ٤٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٨١) بلفظ أحذروا دعوة المؤمن وفراسته فإنه ينظر بنور الله عز وجل وتوفيق الله عز وجل وفي سنده سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك ومؤمل بن سعيد منكر الحديث. وله طريق ثانٍ عن ثوبان رواه أبو الشيخ (١٢٦) وفي سنده سليمان بن أرقم وهو أبو معاذ وهو متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣ / ١٤٧). وله طريق خاصة عن أنس مرفوعاً بلفظ «إن لله عباد يعرفون الناس بالتوسم» رواه ابن جرير (١٤/ ٤٦) وزاد في الدر (٥/ ٩١) ونسبته للحكيم الترمذي والبزار وابن السني وأبي نعيم.

(٢٨٩) من معلقة زهير المشهورة. أنظر شرح المعلقات السبع ص ٢٥٢ والشطر الأول فيها: وفيهن ملهى للطيف ومنظر.

فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار، ومنه قول عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ:

إني توسمت فيك الخير أعرِفُه والله يعلم أني ثابت البصر[٢٩٠]

قوله عز وجل: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لهلاك دائم، قاله ابن عباس.

الثاني: لبطريق معلم، قاله مجاهد. يعني بقوله ﴿وإنما﴾ أهل مدائن قوم لوط وأصحاب الأيكة قوم شعيب.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ يعني في تكذيب رسول الله إليهم وهو شعيب، لأنه بعثَ إلى أمتين، أصحاب الأيكة وأهل مدين. فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها، قاله قتادة.

وفي ﴿الأيكة﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الغيضة، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الشجر الملتف، وكان أكثر شجرهم الدوم وهو المقل، وهذا قول ابن جرير[٢٩١]، ومنه قول النابغة الذبياني[٢٩٢]:

تجلو بِقادِمَتَي حمامةِ أيكة بَرَداً أُسفَّ لثاثُهُ بالإثمدِ.

الثالث: أن الأيكة اسم البلد، وليكة اسم المدينة بمنزلة بكة من مكة، حكاه ابن شجرة.

قوله عز وجل: ﴿فانتقمنا منهم وإنهما لبإمامٍ مبينٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لبطريق واضح، قاله قتادة. وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده.

---

(٢٩٠) أورده في روح المعاني (١٤/ ٧٤).

(٢٩١) جامع البيان (١٤/ ٤٨) حكاه عن قتادة.

(٢٩٢) ديوانه: ٩٤.

الثاني: لفي كتاب مستبين، قاله السدي. وإنما سمي الكتاب إماماً لتقدمه على سائر الكتب، وقال مؤرج: هو الكتاب بلغة حِمْيَر.

ويعني بقوله ﴿وإنهما﴾ أصحاب الأيكة وقوم لوط.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ وهم ثمود قوم صالح. وفي ﴿الحجر﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الوادي، قاله قتادة.

الثاني: أنها مدينة ثمود، قاله ابن شهاب.

الثالث: ما حكاه ابن جرير أن الحجر أرض بين الحجاز والشام.

وروى جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ مرّ في غزاة تبوك بالحجر، فقال(٢٩٣): **«هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلاّ رجلاً كان في حَرَم الله، منعه حرمُ الله من عذاب الله»**. قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: **«أبو رغال»**.

قوله عز وجل: ﴿وكانوا ينحتون مِنَ الجبال بيوتاً آمنين﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: آمنين أن تسقط عليهم.

الثاني: آمنين من الخراب.

الثالث: آمنين من العذاب.

الرابع: آمنين من الموت.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

(٢٩٣) رواه الطبري (١٤/ ٥٠)

قوله عز وجل: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الإعراض من غير جزع.

الثاني: أنه صفح المنكر عليهم بكفرهم، المقيم على وعظهم، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف.

الرابع: أنه الرضا بغير عتاب، قاله علي بن أبي طالب.

وفيه قولان:

أحدهما: أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى، ثم نسخ بالسيف، فقال لهم النبي ﷺ بعد ذلك[٢٩٤] **«لقد أتيتكم بالذبح، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة»** قاله عكرمة ومجاهد.

الثاني: أنه أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم، قاله الحسن.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد آتيناك سبعاً مِن المثاني والقرآن العظيم﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن السبع المثاني هي الفاتحة، سميت بذلك لأنها تثنى كلما قرىء القرآن وصُلّي، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية والحسن. وقيل: لأنها يثني فيها الرحمن الرحيم، ومنه قول الشاعر[٢٩٥]:

نشدتكم بمنزل القرآن　　أمّ الكتاب السّبع من مثاني
ثُنّين مِن آيٍ مِن القرآن　　والسبع سبع الطول الدواني

الثاني: أنها السبع الطوَل: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد.

---

(٢٩٤) رواه ابن جرير (١٤/ ٥١) بسنده عن سفيان بن عيينة ولفظه أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة.

وهو معضل كما ترى.

(٢٩٥) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة.

قال ابن عباس: سميت المثاني لما تردد فيها من الأخبار والأمثال والعبر وقيل: لأنها قد تجاوزت المائة الأولى إلى المائة الثانية. قال جرير(٢٩٦):

جـزى الله الفـرزدق حين يـمسي مـضيعـاً لـلمـفـصـل والـمـثـانـي

الثالث: أن المثاني القرآن كله، قاله الضحاك، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

فقد كان نوراً ساطعاً يهتدى بـه يخص بتنـزيـل المثـاني الـمعـظم

الرابع: أن المثاني معاني القرآن السبعة أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون، قاله زياد بن أبي مريم.

الخامس: أنها سبع كرامات أكرمه الله بها، أولها الهدى ثم النبوة، ثم الرحمةِ ثم الشفقة ثم المودة ثم الألفة ثم السكينة وضم إليها القرآن العظيم، قاله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما.

قوله عز وجل: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم﴾ يعني ما متعناهم به من الأموال.

وفي قوله: ﴿أزواجاً منهم﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الأشباه، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم الأصناف قاله أبو بكر بن زياد.

الثالث: أنهم الأغنياء، قاله ابن أبي نجيح.

﴿ولا تحزن عليهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تحزن عليهم بما أنعمت عليهم في دنياهم.

الثاني: لا تحزن بما يصيرون إليه من كفرهم.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اخضع لهم، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: معناه أَلِنْ جانبك لهم، قال الشاعر(٢٩٧):

وحسبـك فتيـةٌ لـزعـيـم قـومٍ يـمـدّ عـلى أخي سُقْم جَنـاحـا

(٢٩٦) ديوانه ( ) والنقائض.

(٢٩٧) أورده في فتح القدير (٣/ ١٤٢).

وروى أبو رافع[٢٩٨] أن النبي ﷺ نزل به ضيف فلم يلق عنده أمراً يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود يستسلف منه دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلاّ برهن، فقال النبي ﷺ **«أما والله إني لأمينٌ في السماء وأمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديّتُ إليه»** فنزلت عليه **﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾**.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾** فيهم سبعة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاءً أي أجزاءً فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم أهل الكتاب اقتسموا القرآن استهزاءً به، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وهذه السورة لك، فسموا مقتسمين، قاله عكرمة.

الثالث: أنهم أهل الكتاب اقتسموا كتبهم، فآمن بعضهم ببعضها، وآمن آخرون منهم بما كفر به غيرهم وكفروا بما آمن به غيرهم، فسماهم الله تعالى مقتسمين، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم قوم صالح تقاسموا على قتله، فسموا مقتسمين، كما قال تعالى **﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله﴾** [النمل: ٤٩] قاله ابن زيد.

الخامس: أنهم قوم من كفار قريش اقتسموا طرق مكة ليتلقوا الواردين إليها من القبائل فينفروهم عن رسول الله ﷺ بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون، حتى لايؤمنوا به، فأنزل الله تعالى عليهم عذاباً فأهلكهم، قاله الفراء.

السادس: أنهم قوم من كفار قريش قسموا كتاب الله، فجعلوا بعضه شعراً وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين، قاله قتادة.

---

(٢٩٨) ونسبه الإمام السيوطي في الدر لابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي وأبي نعيم عن أبي رافع وذكره الحافظ ابن كثير (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) رواه ابن أبي حاتم.

السابع: أنهم قوم أقسموا أيماناً تحالفوا عليها، قاله الأخفش.

وقيل إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف ومنبه [٢٩٩] بن الحجاج.

قوله عز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني فرقاً، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين، فجعلوه أعضاء كما يعضّى الجزور و ﴿عضين﴾ جمع عضو، مأخوذ من عضّيت الشيء تعضية اذا فرقته كما قال رؤبة بن العجاج: [٣٠٠]

وليس دينُ الله بالمعضى

يعني بالمفرَّق، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: أن العضين جمع عضه وهو البهت، ومن قولهم: عضهتُ الرجل أعضهه عضهاً إذا بهتّه، لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به، قاله قتادة. ومنه قول الشاعر:

إن العضيهة ليستْ فعل أحرار

الثالث: أن العضين المستهزئون، لأنه لما ذكر في القرآن البعوض والذباب والنمل والعنكبوت قال أحدهم: أنا صاحب البعوض، وقال آخر: أنا صاحب الذباب وقال آخر: أنا صاحب النمل. وقال آخر: أنا صاحب العنكبوت، استهزاء منهم بالقرآن، قاله الشعبي والسدي.

الرابع: أنه عنى بالعضه السحر، لأنهم جعلوا القرآن سحراً، قاله مجاهد، قال الشاعر [٣٠١]:

لك من عضائهن زمزمة

يعني من سحرهن. وقال عكرمة: العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة العاضهة، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه [٣٠٢] لعن العاضهة والمستعضهه، يعني الساحرة والمستسحرة.

---

(٢٩٩) كذا في المطبوعة، وهو خطأ والصواب زمعة بن الحجاج والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤١٨).

(٣٠٠) ديوانه: ٨١، مجاز القرآن (١/ ٣٥٥) الطبري (١٤/ ٦٨) اللسان (عضا).

(٣٠١) الطبري (١٤/ ٦٥) ولم ينسبه ومعاني القرآن (١٦٩).

(٣٠٢) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص   رواه أبو يعلى وابن عدي ومن حديث ابن عباس وفي =

وفي اشتقاق العضين وجهان:

أحدهما: أنه مشتق من الأعضاء، وهو قول عبيدة.

الثاني: أنه مشتق من العضه وهو السحر، وهو قول الفراء.

قوله عز وجل: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني عما كانوا يعبدون، قاله أبو العالية.

الثاني: عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين، رواه الربيع بن أنس(٣٠٣).

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: فامضِ بما تؤمر، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه فاظهر بما تُؤمر، قاله الكلبي. قال الشاعر:

ومَن صادعٌ بالحق يعدك ناطقٌ   بتقوى ومَن إن قيل بالجوْر عيّرا

الثالث: يعني إجهر بالقرآن في الصلاة، قاله مجاهد.(٣٠٤)

الرابع: يعني أعلن بما يوحى إليك حتى تبلغهم، قاله ابن زيد.

الخامس: معناه افرق بين الحق والباطل، قاله ابن عيسى.

السادس: معناه فرق القول فيهم مجتمعين وفرادى، حكاه النقاش.

وقال رؤبة: ما في القرآن أعْرَبُ من قوله ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

= إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن بهرام وهما ضعيفان وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن عطاء ا هـ.

(٣٠٣) لم يذكر القول الثالث هنا فتنبه.

(٣٠٤) ولا داعي هنا للتخصيص حيث لم يدل عليه دليل كما قال الألوسي (١٤/ ٨٥).

أحدها: أنه منسوخ بقوله تعالى ﴿فاقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥] قاله ابن عباس.

الثاني: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم.

الثالث: معناه بالاستهانة بهم، قاله ابن بحر.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: اصدع الحق بما تؤمر من اظهاره.

الثاني: اصدع الباطل بما تؤمر من إبطاله.

قوله تعالى: ﴿إنّا كفيناكَ المستهزئينَ﴾ وهم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة. أهلكهم الله جميعاً قبل بدر لاستهزائهم برسول الله ﷺ.

وسبب هلاكهم ما حكاه مقسم وقتادة أن الوليد بن المغيرة ارتدى فعلق سهم بردائه، فذهب فجلس فقطع أكحله فنزف فمات. وأما العاص بن وائل فوطىء على شوكة، فتساقط لحمه عن عظامه، فمات، وأما أبو زمعة فعمى. وأما الأسود بن عبد يغوث فإنه أتي بغصن شوك فأصاب عينيه، فسالت حدقتاه على وجهه، فكان يقول: [دعا] عليّ محمد فاستجيب له، ودعوت عليه فاستجيب لي، دعا عليّ أن أعمى فعميت، ودعوت عليه أن يكون طريداً بيثرب، فكان كذلك، وأما الحارث بن الطلاطلة(*) فإنه استسقى بطنه، وكان رسول الله ﷺ قال لجبريل [حين] نزل عليه بقوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ «دع لي خالي» يعني الأسود بن الطلاطلة فقال له: كفيت(٣٠٥).

قوله عز وجل: ﴿ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك﴾ أي قلبك لأن الصدر محل القلب.

﴿بما يقولون﴾ يعني من الاستهزاء، وقيل من الكذب بالحق.

﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ فيه وجهان:

(*) وقع في الأصول: ابن عيطلة والتصويب من السيرة لابن هشام ٢/ ٥١، ٥٢.

(٣٠٥) والقصة بطولها في الطبري (١٤/ ٧٠).

أحدهما: الخاضعين.

الثاني: المصلين.

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، قاله شجرة.

الثاني: الموت الذي لا محيد عنه[٣٠٦]، قاله الحسن ومجاهد وقتادة.

(٣٠٦) وهذا القول هو الصواب ولا محيد عنه.

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر: وقال ابن عباس: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي قوله ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ إلى قوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ نزلت بعد قتل حمزة بأحد(٣٠٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)

قوله تعالى: ﴿أتى أمرُ الله فلا تستعجلوهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه بمعنى سيأتي أمر الله تعالى.

الثاني: معناه دنا أمر الله تعالى.

الثالث: أنه مستعمل على حقيقة إتيانه في ثبوته واستقراره.

وفي ﴿أمر﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنه إنذار رسول الله ﷺ، قاله أبو مسلم.

(٣٠٧) قال محقق المطبوعة في الهامش (٢/ ٣٨٢) هكذا ورد في الأصول الخطية ويبدو أن سهواً قد وقع من النساخ فإن جمهور أهل التفسير على الآيات الثلاثة المدنية هي قوله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى آخر السورة وقد نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد وقد وقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتب السيرة أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٢) وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٠١) وغيرها رحم الله أبا الحسن الماوردي فهو أعلم وأكيس من أن يقول ما أراده نساخ تفسيره في هذا الموضع ولئن كان هو قائل ذلك فإن لكل مجتهد نصيباً ولكل جواد كبوة.

الثاني: أنه فرائضه وأحكامه(٣٠٨)، قاله الضحاك.

الثالث: أنه وعيد أهل الشرك ونصرة الرسول ﷺ قاله ابن جريج.

الرابع: أنه القيامة، وهو قول الكلبي.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لما نزلت: ﴿أتى أمر الله﴾ رفعوا رؤوسهم فنزل ﴿فلا تستعجلوه﴾ أي فلا تستعجلوا وقوعه.

وحكى مقاتل بن سليمان أنه لما قرأ جبريل على رسول الله ﷺ ﴿أتى أمر الله﴾ نـهض رسول الله خوفاً من حضورها حتى قرأ ﴿فلا تستعجلوه﴾.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: فلا تستعجلوا التكذيب فإنه لن يتأخر.

الثاني: فلا تستعجلوا أن يتقدم قبل وقته، فإنه لن يتقدم.

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ينزل الملائكة بالروحِ من أمره على من يشاء من عبادِهِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن الروح هاهنا الوحي، وهو النبوة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه كلام الله تعالى وهو القرآن، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: أنه بيان الحق الذي يجب اتباعه، قاله ابن عيسى.

الرابع: أنها أرواح الخلق. قال مجاهد لا ينزل ملك إلا ومعه روح.

الخامس: أن الروح الرحمة، قاله الحسن وقتادة.

ويحتمل تأويلاً سادساً: أن يكون الروح الهداية، لأنها تحيا بها القلوب كما تحيي الروح الأبدان.

---

(٣٠٨) وقد تعقب العلامة ابن جرير هذا القول في تفسيره (١٤/ ٧٦) وهاك لفظه قال «ولم يبلغنا أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل الفرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها وأما مستعجلو العذاب من المشركين فقد كانوا كثيراً.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين﴾.

الخصيم المحتج في الخصومة، والمبين هو المفصح عما في ضميره.

وفي صفته بذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: تعريف قدرة الله تعالى في إخراجه من النطفة المهينة إلى أن صار بهذه الحال في البيان والمكنة.

الثاني: ليعرفه نعم الله تعالى عليه في إخراجه إلى هذه الحال بعدما خلقه من نطفه مهينة.

الثالث: يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر، قاله الحسن. وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في أُبي بن خلف الجمحي حين أخذ عظاماً نخرة فذراها وقال: أنُعادُ إذا صرنا هكذا؟

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

قوله عز وجل: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اللباس، قاله ابن عباس.

الثاني: ما استدفىء به من أصوافها وأوبارها وأشعارها، قاله الحسن.

الثالث: أن الدفء صغار أولادها التي لا تركب، حكاه الكلبي.

﴿ومنافِعُ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: النسل، قاله ابن عباس.

الثاني: يعني الركوب والعمل.

﴿ومنها تأكلون﴾ يعني اللبن واللحم.

قوله عز وجل: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الرواح من المراعي إلى الأفنية، والسراح انتشارها من الأفنية إلى المراعي.

الثاني: أنه على عموم الأحوال في خروجها وعودها من مرعى أو عمل أو ركوب وفي الجمال بها وجهان:

أحدهما: قول الناس إذا رأوها: هذه نَعَمُ فلان، قاله السدي.

الثاني: توجه الأنظار إليها، وهو محتمل.

وقد قدم الرواح على السراح وإن كان بعده لتكامل درها ولأن النفس به أسَرُّ.

﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس﴾ في البلد قولان:

أحدهما: أنه مكة لأنها من بلاد الفلوات.

الثاني: أنه محمول على العموم(٣٠٩) في كل بلد مسلكه على الظهر.

﴿إلا بشق الأنفس﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنكم لولاها ما بلغتموه إلا بشق الأنفس.

الثاني: أنكم مع ركوبها لا تبلغونه إلا بشق الأنفس، فكيف بكم لو لم تكن.

وفي شق الأنفس وجهان:

أحدهما: جهد النفس، مأخوذ من المشقة.

الثاني: أن الشق النصف فكأنه يذهب بنصف النفس(٣١٠).

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿... ويخلق ما لا تعلمون﴾(٣١١) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما لا تعلمون من الخلق، وهو قول الجمهور.

الثاني: في عين تحت العرش، قاله ابن عباس.

---

(٣٠٩) وهذا القول هو الأرجح والصواب فإن القول الأول لا دليل على تخصيصه.

(٣١٠) يعني من شدة الجهد المبذول.

(٣١١) وفي تفسير هذا الحرف من القرآن إعجاز كبير راجع زاد المسير (٤/ ٤٣٢).

الثالث: ما روي عن النبي ﷺ أنها[٣١٢] أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوماً. مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض، قالوا: يا رسول الله فأين إبليس عنهم؟ قال «لا يعلمون أن الله خلق إبليس» ثم تلا ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾.

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾
يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وعلى الله قصد الحق في الحكم بين عباده ومنهم جائر عن الحق في حكمه.

الثاني: وعلى الله أن يهدي إلى قصد الحق في بيان السبيل، ومنهم جائر عن سبيل الحق، أي عادل عنه لا يهتدي إليه.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل الأهواء المختلفة، قاله ابن عباس.

الثاني: ملل الكفر.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

(٣١٢) وقد أشار العلامة الألوسي إلى إبطال هذا الأثر في روح المعاني (١٤/ ١٠٣) وقد صدره المؤلف بصيغة التمريض المشعرة بضعفه.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: **﴿وَتَرَى الفلك مواخِرَ فيه﴾** فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن المواخر المواقر، قاله الحسن.

الثاني: أنها التي تجري فيه معترضة، قاله أبو صالح.

الثالث: أنها تمخر الريح من السفن، قاله مجاهد: لأن المخر في كلامهم هبوب الريح.

الرابع: أنها تجري بريح واحدة مقبلة ومدبرة، قاله قتادة.

الخامس: أنها التي تشق الماء من عن يمين وشمال، لأن المخر في كلامهم شق الماء وتحريكه قاله ابن عيسى.

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالتجارة فيه.

الثاني: بما تستخرجون من حليته، وتأكلونه من لحومه.

قوله عز وجل: **﴿وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون﴾** في العلامات ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها معالم الطريق بالنهار، وبالنجوم يهتدون بالليل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها النجوم أيضاً لأن من النجوم ما يهتدى بها، قاله مجاهد وقتادة والنخعي.

الثالث: أن العلامات الجبال(٣١٣).

وفي **﴿النجم﴾** قولان:

(٣١٣) ومن الغرائب ما ذكره العلامة الألوسي في تفسير هذه الآية (١٤/ ١١٦) قال في قوله **﴿وعلامات﴾** قال معالم يستدل بها السابلة من نحو جبل ومنهل ورائحة تراب فقد حكي أن من الناس من يشم التراب فيعرف بشمه الطريق وأنها مسلوكة أو غير مسلوكة ولذا سميت المسافة مسافة أخذاً لها من السوف بمعنى الشم.

أحدهما: أنه جمع النجوم الثابتة، فعبر عنها بالنجم الواحد إشارة إلى الجنس.

الثاني: أنه الجدي (٣١٤) وحده لأنه أثبت النجوم كلها في مركزه.

وفي المراد بالاهتداء بها قولان:

أحدهما: أنه أراد الاهتداء بها في جميع الأسفار، قاله الجمهور.

الثاني: أنه أراد الاهتداء به في القِبلة. قال ابن عباس(٣١٥): سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ قال «**هو الجدي يا ابن عباس عليه قبلتكم، وبه تهتدون في بركم وبحركم**».

قوله عز وجل: ﴿**وإن تعدوا نعمة اللهِ لا تحصوها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تحفظوها، قال الكلبي.

الثاني: لا تشكروها(٣١٦) وهو مأثور.

ويحتمل المقصود بهذا الكلام وجهين:

أحدهما: أن يكون خارجاً مخرج الامتنان تكثيراً لنعمته أن تحصى.

الثاني: أنه تكثير لشكره أن يؤدى. فعلى الوجه الأول يكون خارجاً مخرج الامتنان. وعلى الوجه الثاني خارجاً مخرج الغفران.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا
يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

---

(٣١٤) ولا داعي للتخصيص والقول الأول أرجح.

(٣١٥) وهذا الأثر لم يصح فقد أشار إليه الطبري (٩٢/١٤) من رواية عطية العوفي عن ابن عباس وعطية ضعيف مدلس ولعل هذا الحديث هو حجة من قال بالقول الثاني في تفسير النجم كما تقدم.

(٣١٦) قال الشوكاني رحمه الله (١٥٤/٣) قال العقلاء «إن كل جزء من أجزاء الإنسان لو ظهر فيه أذى خلل وأيسر نقص لنغص النعم على الإنسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل فهو سبحانه يدير بدن هذا الإنسان على الوجه الملائم له مع أن الإنسان لا علم له بوجود ذلك فيكف يطيق حصر بعض نعم الله عليه أو يقدر على إحصائها أو يتمكن من شكر أدناها.

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قيل لهم ماذا أنزل ربُّكم﴾ يعني وإذا قيل لمن تقدم ذِكره ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة بالبعث.

﴿مَّاذَا أنزل ربكم﴾ يحتمل القائل ذلك لهم وجهين:

أحدهما: أنه قول بعض لبعض، فعلى هذا يكون معناه ماذا نسب إلى إنزال ربكم، لأنهم منكرون لنزوله من ربهم.

والوجه الثاني: أنه من قول المؤمنين لهم اختباراً لهم، فعلى هذا يكون محمولاً على حقيقة نزوله منه.

﴿قالوا أساطير الأولين﴾ وهذا جوابهم عما سئلوا عنه ويحتمل وجهين:

أحدهما: أي أحاديث الأولين استرذالاً له واستهزاء به.

الثاني: أنه مثل ما جاء به الأولون، تكذيباً له ولجميع الرسل.

قوله عز وجل: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي أثقال كفرهم وتكذيبهم.

﴿كاملة يوم القيامة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها لم تسقط بالتوبة.

الثاني: أنها لم تخفف بالمصائب.

﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علمٍ﴾ يعني أنه قد اقترن بما حملوه من أوزارهم ما يتحملونه من أوزار من أضلوهم(٣١٧).

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن المضل يتحمل أوزار الضال بإغوائه.

الثاني: أن الضال يتحمل أوزار المضل بنصرته وطاعته.

ويحتمل قوله تعالى ﴿بغير علمٍ﴾ وجهين:

أحدهما: بغير علم المضلّ بما دعا إليه.

---

(٣١٧) لأنهم كانوا سبباً في إضلالهم حيث سنوا لهم سنن الكفر والضلال والتكذيب والإعراض وفي الحديث: «من سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

الثاني: بغير علم الضال بما أجاب إليه.

ويحتمل المراد بالعلم وجهين:

أحدهما: يعني أنهم يتحملون سوء أوزارهم لأنه تقليد بغير استدلال ولا شبهة.

الثاني: أراد أنهم لا يعلمون بما تحملوه من أوزار الذين يضلونهم.

﴿ألا ساءَ ما يزرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أنهم يتحملون سوء أوزارهم.

الثاني: معناه أنه يسوؤهم ما تحملوه من أوزارهم. فيكون على الوجه الأول معجلاً في الدنيا، وعلى الوجه الآخر مؤجلاً في الآخرة.

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل: **﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾** فيه قولان:

أحدهما: أنه هدم بنيانهم من قواعدها وهي الأساس.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لاستئصالهم.

﴿فخرّ عليهم السقف من فوقهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فخرّ أعالي بيوتهم وهم تحتها، فلذلك قال **﴿من فوقهم﴾** وإن كنا نعلم أن السقف عال إلا أنه لا يكون فوقهم إذا لم يكونوا تحته، قاله قتادة.

الثاني: يعني أن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم، قاله ابن عباس.

وفي الذين خر عليهم السقف من فوقهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه النمرود بن كنعان(٣١٨) وقومه حين أراد صعود السماء وبنى الصرح

(٣١٨) قال الشوكاني رحمه الله (٣/ ١٥٧)«والأولى أن الآية عامة في جميع المبطلين من المتقدمين الذين يحاولون إلحاق الضرر بالمحقين، ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطابق الحق وفي هذا وعيد للكفار المعاصرين له صلى الله عليه وآله وسلم بأن مكرهم سيعود عليهم كما عاد مكر من قبلهم على أنفسهم.

فهدمه الله تعالى عليه، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: أنه بختنصر وأصحابه، قاله بعض المفسرين.

الثالث: يعني المقتسمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر، قاله الكلبي.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ قال عكرمة: نزلت هذه الآية في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فأخرجتهم قريش إلى بدر كرها، فقتلوا، فقال الله ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ يعني بقبض أرواحهم. ﴿ظالمي أنفسهم﴾ في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة.

﴿فألقوا السَّلَمَ﴾ يعني في خروجهم معهم وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الصلح، قاله الأخفش.

الثاني: الاستسلام، قاله قطرب.

الثالث: الخضوع، قاله مقاتل.

﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ يعني من كفر.

﴿بلَى إن الله عليمٌ بما كنتم تعملون﴾ يعني إن أعمالهم أعمال الكفار.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . ولدار الآخرة خيرٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الجنة خير من النار، وهذا وإن كان معلوماً فالمراد به تبشيرهم بالخلاص منها.

الثاني: أنه أراد أن الآخرة خير من دار الدنيا، قاله الأكثرون.

﴿ولنعم دار المتقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولنعم دار المتقين الآخرة.

الثاني: ولنعم دار المتقين الدنيا، قال الحسن: لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة.

قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾

قيل معناه صالحين.

ويحتمل طيبي الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى.

ويحتمل ـ وجهاً ثالثاً ـ أن تكون وفاتهم وفاة طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض عليه روح الكافر.

﴿يقولون سلام عليكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون السلام عليهم إنذاراً لهم بالوفاة.

الثاني: أن يكون تبشيراً لهم بالجنة، لأن السلام أمان.

﴿ادخلوا الجنة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه أبشروا بدخول الجنة.

الثاني: أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة.

﴿بما كنتم تعملون﴾ يعني في الدنيا من الصالحات.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن

دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
(٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ
فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٧) وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ
كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٤٠)
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجْرُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٤١) ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

قوله عز وجل: **﴿والذين هاجروا في الله من بَعْدِ ما ظُلموا﴾** يعني من بعد ما ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم إلى الحبشة بعد العذاب والإبعاد.

﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: نزول المدينة، قاله ابن عباس والشعبي وقتادة.

الثاني: الرزق الحسن، قاله مجاهد.

الثالث: أنه النصر على عدوهم، قاله الضحاك.

الرابع: أنه لسان صدق، حكاه ابن جرير(٣١٩).

ويحتمل قولاً خامساً: أنه ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات.

(٣١٩) ولم نجده عند تفسير الآية لا من قول ابن جرير ولا حكاية عن أحد وقد نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٨) ونسبه لمجاهد وقال عن القول السادس الذي نقله عن الماوردي «روى معناه عن مجاهد» قلت وبعد هذا كله لا مانع من حمل الآية على العموم بأن يمكنهم الله في الأرض حيث تكون لهم الكلمة والنصر على الأعداء والرزق الوفير ولسان الصدق وفتح البلدان وتولي الولايات فكل هذا يدخل تحت حسنة الدنيا.

ويحتمل قولاً سادساً: أنه ما بقي لهم في الدنيا من الثناء، وما صار فيها لأولادهم من الشرف.

وقال داود بن إبراهيم(٣٢٠): نزلت هذه الآية في أبي جندل بن سهل (٣٢١)، وقال الكلبي: نزلت في بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرتّ عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا في الدنيا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة.

وروي أن عمر بن الخطاب(٣٢٢) رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما خولكم في الآخرة أكثر(٣٢٣)، ثم تلا عليهم هذه الآية:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ هذا خطابٌ لمشركي قريش.

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن أهل الذكر العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلا من رجال الأمة، وما بعث إليهم ملَكاً.

الثاني: أنه عنى بأهل الذكر أهل الكتاب خاصة، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: أنهم أهل القرآن(*)، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿. . . وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم﴾ تأويلان:

---

(٣٢٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب داود بن أبي هند وهو الذي يروي عن الشعبي والتصويب من جامع البيان (١٤/ ١٠٧) وزاد المسير (٤/ ٤٤٨) وغيرهما.

(٣٢١) كذا هنا وهو خطأ والصواب أبي جندل بن سهيل بن عمرو والتصويب من الطبري (١٤/ ١٠٧).

(٣٢٢) رواه ابن جرير (١٤/ ١٠٧) وفي سنده مجهول وزاد السيوطي في الدر (٥/ ١٣٢) نسبته لابن المنذر.

(٣٢٣) وهذه الجملة في الطبري (١٤/ ١٠٧) «وما ذخره لك في الآخرة أفضل».

(*) وفي نسخة: أهل القرون وهو خطأ ظاهر.

أحدهما: أنه القرآن.

الثاني: أنه العلم.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: في إقبالهم وإدبارهم، قاله ابن بحر.

الثاني: في اختلافهم، قاله ابن عباس.

الثالث: بالليل والنهار، قاله ابن جريج.

الرابع: في سفرهم.

﴿أو يأخذهم على تخوفٍ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: يعني على تنقص بأن يهلك واحد بعد واحد فيخافون الفناء، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك.

الثاني: على تقريع بما قدموه من ذنوبهم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: على عجل، وهذا قول الليث.

الرابع: أن يهلك القرية فتخاف القرية الأخرى، قاله الحسن.

الخامس: أن يعاقبهم بالنقص من أموالهم وثمارهم، قاله الزجاج(٣٢٤).

﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ أي لا يعاجل بل يمهل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

(٣٢٤) لاحظ أنه لم يذكر القول السادس.

قوله عز وجل: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظِلالُهُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يرجع ظلالُه، لأن الفيء الرجوع، ولذلك كان اسماً للظل بعد الزوال لرجوعه.

الثاني: معناه تميل ظلاله، قاله ابن عباس.

الثالث: تدور ظلاله، قاله ابن قتيبة.

الرابع: تتحول ظلاله، قاله مقاتل.

﴿عن اليمين والشمائل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تارة إلى جهة اليمين، وتارة إلى جهة الشمال، قاله ابن عباس، لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت.

الثاني: أن اليمين أول النهار، والشمال آخر النهار، قاله قتادة والضحاك.

﴿سجداً لله﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن ظل كل شيء سجوده، قاله قتادة.

الثاني: أن سجود الظلال سجود أشخاصها، قاله الضحاك.

الثالث: أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله خاضعة، قاله الحسن ومجاهد.

وقال الحسن: أما ظلك فيسجد لله، وأما أنت فلا تسجد لله، فبئس والله ما صنعت.

﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون خاضعون. قال ذو الرمة(٣٢٥):

فلم يبق إلا داخرٌ في مخيس ... ومنحجر في غير أرضك حُجر

قوله عز وجل: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة﴾ أما سجود ما في السموات فسجود خضوع وتعبد، وأما سجود ما في الأرض من دابة فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن سجوده خضوعه لله تعالى.

الثاني: أن ظهور ما فيه من قدرة الله يوجب على العباد السجود لله سبحانه.

(٣٢٥) ديوانه: واللسان حنس ولكنه نسبه للفرزدق، الطبري (١٤/ ١١٦).

وفي تخصيص الملائكة بالذكر، وإن دخلوا في جملة من في السموات والأرض وجهان:

أحدهما: أنه خصهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من الجملة بالذكر وإن دخلوا فيها.

الثاني: لخروجهم من جملة من يدب، لما جعل الله تعالى لهم من الأجنحة فلم يدخلوا في الجملة، فلذلك ذكروا.

وجواب ثالث: أن في الأرض ملائكة يكتبون أعمال العباد لم يدخلوا في جملة ملائكة السماء فلذلك أفردهم بالذكر.

﴿وهم لا يستكبرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يستكبرون عن السجود لله تعالى.

الثاني: لا يستكبرون عن الخضوع لقدرة الله.

﴿يخافون رَبَّهم من فوقهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عذاب ربهم من فوقهم لأن العذاب ينزل من السماء.

الثاني: يخافون قدرة الله(٣٢٦) التي هي فوق قدرتهم وهي في جميع الجهات.

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من العبادة، قاله ابن عباس.

الثاني: من الانتقام من العصاة.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

(٣٢٦) وقد سبق الكلام عن فوقية الرب تعالى وأنها على ما يليق بذاته وجلاله كما مرّ في سورة الأنعام عند قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ فراجعه.

قوله عز وجل: ﴿. . . وله الدين واصباً﴾

في ﴿الدين﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الإخلاص، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الطاعة، قاله ابن بحر.

وفي قوله تعالى: ﴿واصباً﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: واجباً، قاله ابن عباس.

الثاني: خالصاً، حكاه الفراء والكلبي.

الثالث: مُتعِباً(٣٢٧)، والوصب: التعب والإعياء، قال الشاعر(٣٢٨)

لا يشتكي الساق مِن أين ولا وصَبٍ ولا يزال أمام القوم يقتفرُ

الرابع: دائماً، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك، ومنه قوله تعالى ﴿ولهم عذاب واصب﴾ [الصافات: ٩] أي دائم، وقال الدؤلي(٣٢٩):

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

قوله عز وجل: ﴿. . . ثم إذا مَسّكُم الضُرُّ فإليه تجأرون﴾

في ﴿الضر﴾ ها هنا ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه القحط، قاله مقاتل.

الثاني: الفقر، قاله الكلبي.

الثالث: السقم، قاله ابن عباس.

﴿فإليه تجأرون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: تضجون، قاله ابن قتيبة.

الثاني: تستغيثون.

الثالث: تضرعون بالدعاء، وهو في اللغة الصياح مأخوذ من جؤار الثور وهو صياحه.

---

(٣٢٧) وتفسير هذا الوجه «وله الدين موصباً» أي متعباً لأن الحق ثقيل. قال الزجاج ويجوز أن يكون المعنى له الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه أم لم يسهل فله الدين وإن كان فيه الوصب. والوصب شدة النصب زاد المسير (٤/ ٤٥٦).

(٣٢٨) هو الأعشى. البيت في ديوانه (   ) والشطر الأول فيه «لا يغمر الساق» والطبري (١٤/ ١١٩) والشطر الثاني فيه «ولا يعض على شر شوفه الصغر».

(٣٢٩) مجاز القرآن (١/٣٦١) والطبري (١٤/ ١١٨) والقرطبي (١٠/ ١١٤).

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**وإذا بُشِّر أحدُهُم بالأنثى ظلَّ وجهُهُ مسودّاً وهو كظيمٌ**﴾ في قوله ﴿**مسودّاً**﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: مسود اللون، قاله الجمهور.

الثاني: متغير اللون بسواد أو غيره، قاله مقاتل.

الثالث: ان العرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسودّ وجهه غماً وحزناً، قاله الزجاج.

ومنه: سَوَّدْت وجه فلان، إذا سُؤته.

﴿**وهو كظيم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الكظيم الحزين، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الذي يكظم غيظه فلا يظهر، قاله الأخفش.

الثالث: أنه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الفم، مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة، قاله ابن عيسى.

﴿ . . . **أيمسكُهُ على هُونٍ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الهوان بلغة قريش، قاله اليزيدي.

الثاني: هو القليل بلغة تميم، قاله الفراء.

الثالث: هو البلاء والمشقة، قاله الكسائي. وقالت الخنساء[٣٣٠]:

نهينُ النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

(٣٣٠) ديوانها: ١٢١.

﴿أم يدُسُّهُ في التراب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الموءُودة التي تدس في التراب قتلاً لها.

الثاني: أنه محمول على إخفائه عن الناس حتى لا يعرفوه كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار. وهو محتمل.

قوله عز وجل: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صفة السوء من الجهل والكفر.

الثاني: وصفهم الله تعالى بالسوء من الصاحبة والولد.

﴿ولله المَثلُ الأعلى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الصفة العليا بأنه خالق ورزاق وقادر ومُجازٍ.

الثاني: الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ يعني في الدنيا بالانتقام لأنه يمهلهم في الأغلب من أحوالهم.

﴿ما ترك عليها من دابةٍ﴾ يعني بهلاكهم بعذاب الاستئصال من أخذه لهم بظلمهم.

﴿ولكن يؤخرهم إلى أجلٍ مسمى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى يوم القيامة.

الثاني: تعجيله في الدنيا.

فإن قيل: فكيف يعمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه يجعل هلاك الظالم انتقاماً وجزاء، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة.

الثاني: ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم.

الثالث: يعني أنه لو أهلك الآباء بالكفر لم يكن الأبناء ولانقطع النسل فلم يولد مؤمن.

قوله عز وجل: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعني من البنات.

﴿وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحُسنَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن لهم البنين مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات، قاله مجاهد.

الثاني: معناه أن لهم من الله الجزاء الحسن، قاله الزجاج.

﴿لاجرم أن لهم النار﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه حقاً أن لهم النار.

الثاني: معناه قطعاً أن لهم النار.

الثالث: اقتضى فعلهم أن لهم النار.

الرابع: معناه بلى إن لهم النار، قاله ابن عباس.

﴿وأنهم مفرطون﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معناه منسيون، قاله مجاهد.

الثاني: مضيّعون، قاله الحسن.

الثالث: مبعدون في النار، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: متروكون في النار، قاله الضحاك.

الخامس: مقدَّمون إلى النار، قاله قتادة. ومنه قول النبي ﷺ[٣٣١]: «**أنا فَرَطكم على الحوض**»، أي متقدمكم. وقال القطامي[٣٣٢]:

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا   كما تعجّل فرّاطٌ لوُرّادِ

والفرّاط: المتقدمون في طلب الماء، والورّاد: المتأخرون.

وقرأ نافع ﴿مُفْرِطون﴾ بكسر الراء وتخفيفها، ومعناه مسرفون في الذنوب، من الإفراط فيها.

(٣٣١) ورد ذلك من حديث جندب بن عبدالله رواه البخاري (١١/ ٤١٤) ومسلم رقم ٢٢٨٩ وفي الباب عن عبدالله بن مسعود وسهل بن سعد وغيرهما.

(٣٣٢) ديوانه (   ): اللسان: فرط الطبري (١٤/ ١٢٨).

وقرأ الباقون من السبعة ﴿مفرطون﴾ أي معجلون إلى النار متروكون فيها.

وقرأ أبو جعفر القارىء(٣٣٣) ﴿مفرِّطون﴾ بكسر الراء وتشديدها، ومعناه من التفريط في الواجب.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)﴾

قوله عز وجل: ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بُطونه**﴾ أي نبيح لكم شرب ما في بطونه، فعبر عن الإباحة بالسقي.

﴿**مِن بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خالصاً من الفرث والدم.

الثاني: أن المراد من الخالص هنا الأبيض، قاله ابن بحر ومنه قول النابغة(٣٣٤):

يصونون أجساداً قديمها نعيمُها ... بخالصةِ الأردان خُضْرِ المناكب

فخالصة الأردان أي بيض الأكمام، وخضر المناكب يعني من حمائل السيوف.

﴿**سائغاً للشاربين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حلال للشاربين.

الثاني: معناه لا تعافه النفس. وقيل: إنه لا يغص أحد باللبن.

(٣٣٣) وكذا هي قراءة ابن أُبي عبلة كما في زاد المسير (٤/ ٤٦١) وعلى هذه القراءة يكون معنى المفرط والمفرط واحد.

(٣٣٤) ديوانه: ٩.

قوله عز وجل: ﴿ومن ثَمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكراً ورزقاً حسَناً﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن السكر الخمر، والرزق الحسن التمر والرطب والزبيب. وأنزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت من بعد. قال ابن عباس: السَّكر ما حرم من شرابه، والرزق الحسن ما حل من ثمرته، وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ومن ذلك قول الأخطل(٣٣٥):

بئس الصُّحاة وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم المزاءُ والسكُرُ

والسكر: الخمر، والمزاء: نوع من النبيذ المسكر.

واختلف من قال بهذا هل خرج مخرج الإباحة أو مخرج الخبر على وجهين:

أحدهما: أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ. قاله قتادة.

الثاني: أنه خرج مخرج الخبر أنهم يتخذون ذلك وإن لم يحل، قاله ابن عباس.

الثاني: أن السّكر: النبيذ المسكر، والرزق الحسن التمر والزبيب، قاله الشعبي والسدي. وجعلها أهل العراق دليلاً(٣٣٦) على إباحة النبيذ.

الثالث: أن السكر: الخل بلغة الحبشة، والرزق الحسن: الطعام.

الرابع: أن السكر ما طعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والأعناب وهو الرزق الحسن، وبه قال أبو جعفر(٣٣٧) الطبري وأنشد قول الشاعر(٣٣٨):

وَجَعلت عيب الأكرمين سكرا

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى

(٣٣٥) وهذا البيت من قصيدة هجاء له يهجو فيها بني يربوع والبيت في روح المعاني (١٤/ ١٧٩) وفي فتح القدير (٣/ ١٧٥).

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم الهذي والسكر

(٣٣٦) قال الزجاج وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة المتواترة على فرض تأخره عن آية تحريم الخمر راجع فتح القدير (٣/ ١٧٥).

(٣٣٧) جامع البيان (١٤/ ١٣٨).

(٣٣٨) مجاز القرآن (١/ ٣٦٣) والطبري (١٤/ ١٣٨) والقرطبي (١٠/ ١٢٩) واللسان «سكر».

مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الوحي إليها هو إلهامـاً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: يعني أنه سخرها، حكاه ابن قتيبة.

الثالث: أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله على غيرها، قاله الحسن.

﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشُون﴾ فذكر بيـوتها لمـا ألهمها وأودعه في غرائزها من صحة القسمة وحسن المنعة.

﴿ومما يعرشون﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه الكرم، قاله ابن زيد.

الثاني: ما يبنون، قاله أبو جعفر الطبري(٣٣٩).

﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك﴾ أي طرق ربك.

﴿ذللاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مذللة،(٣٤٠) قاله أبو جعفر الطبري.

الثاني: مطيعة، قاله قتادة.

الثالث: أي لا يتوعر عليها مكان تسلكه، قاله مجاهد.

الرابع: أن الذلل من صفات النحل وأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا، قاله ابن زيد.

﴿يخرج من بطونها شرابٌ﴾ يعني العسل.

﴿مختلف ألوانُه﴾ لاختلاف أغذيتها.

﴿فيه شفاءٌ للناسِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك عائد إلى القرآن، وأن في القرآن شفاء للناس أي بياناً للناس، قاله مجاهد.

---

(٣٣٩) جامع البيان (١٤/ ١٣٩).

(٣٤٠) جامع البيان (١٤/ ١٣٩).

الثاني: أن ذلك عائد إلى الاعتبار بها أن فيه هدى للناس، قاله الضحاك.

الثالث[٣٤١]: أن ذلك عائد إلى العسل، وأن في العسل شفاء للناس، قاله ابن مسعود وقتادة.

روى قتادة قال[٣٤٢]: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبي ﷺ «اذهب فاسق أخاك عسلاً»، ثم جاء فقال: ما زاده إلا شدة. فقال النبي ﷺ «اذهب فاسق أخاك عسلاً». ثم جاء فقال له: ما زاده إلا شدة، فقال النبي ﷺ **«اذهب فاسق أخاك عسلاً، صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فكأنه نشط من عِقال»**.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العُمرِ﴾** فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أوضعه وأنقصه، قاله الجمهور.

الثاني: أنه الهرم، قاله الكلبي.

الثالث: ثمانون سنة، حكاه قطرب.

الرابع: خمس وسبعون سنة، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣٤٣].

﴿لكيلا يعلم بعد عِلْمٍ شيئاً﴾ يعني أنه يعود جاهلاً لا يعلم شيئاً كما كان في حال صغره.

أو لأنه قد نسي ما كان يعلم، ولا يستفيد ما لا يعلم.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون معناه لكي لا يعمل بعد علم شيئاً، فعبر عن العمل

---

(٣٤١) وهو الأرجح لأن الضمير يعود على أقرب مذكور راجع روح المعاني (١٤/١٨٥) وفتح القدير (٣/ ١٧٦) وابن كثير (٢/ ٥٧٥).

(٣٤٢) رواه الطبري هكذا مرسلاً (١٤/ ١٤١).

ورواه البخاري (١٠/ ١١٨، ١٤٢) ومسلم (٤/ ١٧٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد توسع ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/ ٧٣) في الكلام على فوائد هذا الحديث الطبية فراجعه فإنه كلام فيه شفاء.

(٣٤٣) وقيل تسعون سنة قاله قتادة كما في زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

بالعلم لافتقاره إليه، لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾

قوله عز وجل: ﴿**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أغنى وأفقر، ووسّع وضيّق.

الثاني: في القناعة والرغبة.

الثالث: في العلم والجهل.

قال الفضيل بن عياض: أجلُّ ما رزق الإنسان معرفة تدله على ربه، وعقل يدله على رشده.

وفي التفضيل وجهان:

أحدهما: أنه فضل السادة على العبيد، قاله ابن قتيبة ومن يرى أن التفضيل في المال.

الثاني: أنه فضل الأحرار بعضهم على بعض، قاله الجمهور.

﴿**فما الذين فُضِّلوا بِرادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانُهم فهم فيه سواء**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عبيدهم لما لم يشركوهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في ملكه، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. وفي هذا دليل على أن العبد لا يملك.

الثاني: أنهم وعبيدهم سواء في أن الله تعالى رزق جميعهم، وأنه لا يقدر أحد على رزق عبده إلا أن يرزقه الله تعالى إياه كما لا يقدر أن يرزق نفسه، حكاه ابن عيسى.

﴿**أفبنعمة الله يجحدون**﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: بما أنعم الله عليهم من فضله ورزقه ينكرون.

الثاني: بما أنعم الله عليهم من حججه وهدايته يضلون.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جعل لكم من جنسكم مثلكم، فضرب المثل من أنفسكم، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني آدم خلق منه حوّاء، قاله الأكثرون.

﴿**وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**﴾ وفي الحفدة خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الأصهار أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود وأبو الضحى وسعيد بن جبير وإبراهيم، ومنه قول الشاعر(٣٤٤):

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت ... لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثيرُ

ولكنها نفس عليَّ أبيّة ... عَيُوفٌ لأصهارِ اللئام قَذور

الثاني: أنهم أولاد الأولاد، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنهم الأعوان، قاله الحسن.

الخامس: أنهم الخدم، قاله مجاهد وقتادة وطاووس، ومنه قول جميل(٣٤٥):

حفد الولائدُ حولهم وأسلمت ... بأكفهن أزِمّةَ الأجمال

وقال طرفة بن العبد(٣٤٦):

يحفدون الضيف في أبياتهم ... كرماً ذلك منهم غير ذل

وأصل الحفد الإسراع، والحفدة جمع حافد، والحافد هو المسرع في العمل، ومنه قولهم في القنوت وإليك نسعى ونحفد، أي نسرع إلى العمل بطاعتك، منه قول الراعي(٣٤٧):

(٣٤٤) هو جميل بن معمر والبيت في اللسان (حفد) وفتح القدير (٣/ ١٧٥) والقرطبي (١٠/ ١٤٤).

(٣٤٥) هو جميل أيضاً والبيت في الطبري (١٤/ ١٤٤) ومجاز القرآن (١/ ٣٦٤) واللسان حفد وروح المعاني (١٤/ ١٩٠).

(٣٤٦) روح المعاني (١٤/ ١٩٠).

(٣٤٧) اللسان (كسا) ونسبه في القرطبي (١٠/ ١٤٣) للأعشى وفي اللسان وقع الشطر الثاني «إذا الحداد...»

كلفت مجهولها نوقاً ثمانية   إذا الحُداة على أكسائها حفدوا

وذهب بعض العلماء في تفسير قوله تعالى ﴿بنين وحفدة﴾ البنين الصغار والحفدة الكبار.

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من الفييء والغنيمة.

الثاني: من المباحات في البوادي.

الثالث: ما أوتيه عفواً من غير طلب ولا تعب.

﴿أفبالباطِل يؤمنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالأصنام.

الثاني: يجحدون البعث والجزاء.

﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ فيها وجهان:

أحدهما: بالإسلام.

الثاني: بما رزقهم الله تعالى من الحلال آفة من أصنامهم. حكاه الكلبي.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لا يملك ما لم يؤذن وإن كان باقياً معه.

الثاني: أن لسيده انتزاعه من يده وإن كان مالكاً له.

﴿ومَن رزقناه مِنا رزقاً حسناً﴾ يعني الحُرّ، وفيه وجهان:

أحدهما: ملكه ما بيده.

الثاني: تصرفه في الاكتساب على اختياره.

وفي هذا المثل قولان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله للكافر لأنه لا خير عنده، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً هو المؤمن، لما عنده من الخير، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والأوثان، لأنها لا تملك شيئاً، وإنهم عدلوا عن عبادة الله تعالى الذي يملك كل شيء، قاله مجاهد.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكمُ لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخير هل يستوي هو ومن يأمُرُ بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ اختلف المفسرون في المثل المضروب بهذه الآية على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن، فالأبكم الذي لا يقدرعلى شيء هو الوثن، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى، وهذا معنى قول قتادة.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالأبكم: الكافر، والذي يأمر بالعدل: المؤمن، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الأبكم: عبد كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعرض عليه الإسلام فيأبى. ومن يأمر بالعدل: عثمان، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ يحتمل خمسة أوجه:

أحدها: ولله علم غيب السموات والأرض، لأنه المنفرد به دون خلقه.

الثاني: أن المراد بالغيب إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات.

الثالث: يعني فعل ما كان وما يكون، وأما الكائن في الحال فمعلوم.

الرابع: أن غيب السماء الجزاء بالثواب والعقاب. وغيب الأرض القضاء بالأرزاق والآجال[٣٤٨].

﴿وما أمرُ الساعة إلاَّ كلمح البصر أو هو أقرب﴾ لأنه بمنزلة قوله: ﴿كن فيكون﴾ وإنما سماها ساعة لأنها جزء من يوم القيامة وأجزاء اليوم ساعاته.

وذكر الكلبي ومقاتل: أن غيب السموات هو قيام الساعة.

قال مقاتل: وسبب نزولها أن كفار قريش سألوا رسول الله ﷺ عن قيام الساعة استهزاء بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

قوله عز وجل: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: البيوت، قاله الكلبي.

الثاني: الشجر، قاله قتادة.

﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ الأكنان: جمع كِنّ وهو الموضع الذي يستكن فيه، وفيه وجهان:

---

(٣٤٨) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الخامس.

أحدهما: أنه ظل الجبال.

الثاني: أنه ما فيها من غار أو شَرَف.

﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ﴾ يعني ثياب القطن والكتان والصوف.

﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني الدروع التي تقي البأس، وهي الحرب.

قال الزجاج: كل ما لبس من قميص ودروع فهو سربال.

فإن قيل: فكيف قال: ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ ولم يذكر السهل وقال ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يذكر البرد؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة: (٣٤٩)

أحدها: أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل، وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد، فذكر لهم نعمه عليهم مما هو مختص بهم، قاله عطاء.

الثاني: أنه اكتفى بذكر أحدهما عن ذكر الآخر، إذ كان معلوماً أن من اتخذ من الجبال أكناناً اتخذ من السهل، والسرابيل التي تقي الحر تقي البرد، قاله الفراء، ومثله قول الشاعر:

وما أدري إذا يممتُ أرضاً ... أريد الخير أيهما يليني

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه.

الثالث: أنه ذكر الجبال لأنه قدم ذكر السهل بقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ وذكر الحرَّ دون البرد تحذيراً من حر جهنم وتوقياً لاستحقاقها بالكف عن المعاصي.

﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ أي تؤمنون بالله إذا عرفتم نعمه عليكم. وقرأ ابن عباس(٣٥٠) ﴿لعلكم تسلمون﴾ بفتح التاء أي تسلمون من الضرر، فاحتمل أن يكون عنى ضرر الحر والبرد واحتمل أن يكون ضرر القتال والقتل، واحتمل أن يريد ضرر العذاب في الآخرة إن اعتبرتم وآمنتم.

قوله عزوجل: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ فيه خمسة تأويلات:

---

(٣٤٩) هو المثقب العبدي، الطبري (١٤/ ١٥٧) والقرطبي (١٠/ ١٨٠) والمفضَليات وبقية البيت:

الخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني

(٣٥٠) وهي قراءة سعيد بن جبير وعكرمة وأبي رجاء، زاد المسير (٤/ ٤٧٨).

أحدها: أنه عنى النبي ﷺ يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه، قاله السدي.

الثاني: أنهم يعرفون ما عدد الله تعالى عليهم في هذه السورة من النعم وأنها من عند الله وينكرونها بقولهم أنهم ورثوا ذلك عن آبائهم، قاله مجاهد.

الثالث: أن انكارها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلانٌ ما أصبت كذا، قاله عون بن عبدالله.

الرابع: أن معرفتهم بالنعمة إقرارهم بأن الله رزقهم، وإنكارهم قولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

الخامس: يعرفون نعمة الله بتقلبهم فيها، وينكرونها بترك الشكر عليها.

ويحتمل سادساً: يعرفونها في الشدة، وينكرونها في الرخاء.

ويحتمل سابعاً: يعرفونها بأقوالهم، وينكرونها بأفعالهم.

قال الكلبي: هذه السورة تسمى سورة النعم، لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه.

﴿وأكثرهم الكافرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه وجميعهم كافرون، فعبر عن الجميع بالأكثر، وهذا معنى قول الحسن.

الثاني: أنه قال **﴿وأكثرهم الكافرون﴾** لأن فيهم من جرى عليه حكم الكفر تبعاً لغيره كالصبيان والمجانين، فتوجه الذكر إلى المكلفين.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾
وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا
ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾
وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟
يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: استسلامهم لعذابه، وخضوعهم لعزه.

الثاني: إقرارهم بما كانوا ينكرونه من طاعته.

﴿وضَلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وبطل ما كانوا يأملون.

الثاني: خذلهم ما كانوا به يستنصرون.

قوله عزوجل: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زِدناهُم عذاباً فوق العذاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الزيادة هي عذاب الدنيا مع ما يستحق من عذاب الآخرة.

الثاني: أن أحد العذابين على كفرهم، والعذاب الآخر على صدهم عن سبيل الله ومنعهم لغيرهم من الإيمان.

﴿بما كانوا يفسدون﴾ في الدنيا بالمعاصي.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ويوم نبعث في كل أمةٍ شهيداً عليهم من أنفسِهم﴾ وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة.

وفي كل زمان شهيد وإن لم يكن نبياً. وفيهم قولان.

أحدهما: أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء.

الثاني: أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه.

﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ يعني محمداً ﷺ شهيداً على أمته.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان. . .﴾ الآية. في تأويل هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: الصبر على أمره ونهيه وطاعة الله في سره وجهره ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ صلة الرحم، ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ يعني الزنى. ﴿والمنكر﴾ القبائح. ﴿والبغي﴾ الكبر والظلم حكاه ابن جرير الطبري[٣٥١].

الثاني: أن العدل: القضاء بالحق، والإحسان: التفضل بالإنعام، وإيتاء ذي القربى: ما يستحقونه من النفقات. وينهى عن الفحشاء ما يستتر بفعله من القبائح. والمنكر: مايتظاهر به منها فينكر. والبغي: ما يتطاول به من ظلم وغيره، وهذا معنى ما ذكره ابن عيسى.

الثالث: أن العدل ها هنا استواء السريرة والعلانية في العمل لله. والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته. والفحشاء والمنكر: أن تكون علانيته أحسن من سريرته، قاله سفيان بن عيينة. فأمر بثلاث ونهى عن ثلاث.

﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تتذكرون ما أمركم به وما نهاكم عنه.

الثاني: تتذكرون ما أعده من ثواب طاعته وعقاب معصيته.

وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ
جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟
كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه النذور.

---

(٣٥١) جامع البيان (١٤/ ١٦٢، ١٦٣).

الثاني: ما عاهد الله عليه من عهد في طاعة الله.

الثالث: أنه التزام أحكام الـدين بعد الدخول فيه(٣٥٢).

﴿ولا تنقضوا الأيمان بَعْدَ توكيدها﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تنقضوها بالامتناع بعد توكيدها بالالتزام.

الثاني: لا تنقضوها بالعذر بعد توكيدها بالوفاء.

الثالث: لا تنقضوها بالحنث بعد توكيدها بالِبرّ.

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في بيعة النبي ﷺ(٣٥٣).

الثاني: أنها نزلت في الحلف الذي كان في الجاهلية بين أهل الشرك، فجاء الإسلام بالوفاء به.

الثالث: أنها نزلت في كل عقد يمين عقده الإنسان على نفسه مختاراً يجب عليه الوفاء به ما لم تدع ضرورة إلى حله(*).

وقـول النبي ﷺ: «فليأت الـذي هو خيـر»(٣٥٤) محمول على الضـرورة دون المباح. وأهل الحجاز يقولون. وكّدت هذه اليمين توكيداً، وأهل نجد يقولون أكدتها تأكيداً.

قوله عزوجل: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن نقض عهده، وفيه قولان:

أحدهما: أنه عنى الحبْل، فعبر عنه بالغزل، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عنى الغزل حقيقة.

﴿من بعد قوة﴾ فيه قولان:

أحدهما: من بعد إبرام. قاله قتادة.

---

(٣٥٢) والأولى الحمل على العموم بحيث يشمل العهد بين العبد وربه وعهد العباد بينهم كالبيع من الشراء، والعقود وغيرها.

(٣٥٣) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، راجع فتح القدير (٣/ ١٩٠).

(*) هكذا في الأصول ولعل الصواب حنثه.

(٣٥٤) جزء من حديث أوله «من حلف على يمين. . .».

رواه مسلم (١٦٥١) والنسائي (١١٧) من حديث تميم بن طرفة الطائي.

الثاني: أن القوة ما غزل على طاق ولم يثن.

﴿أنكاثاً﴾ يعني أنقاضاً، واحده نكث، وكل شيء نقض بعد الفتل أنكاثٌ.

وقيل أن التي نقضت غزلها من بعد قوة امرأة بمكة حمقاء، قال الفراء: إنها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، سميت جعدة لحمقها، كانت تغزل الصوف ثم تنقضه بعدما تبرمه، فلما كان هذا الفعل لو فعلتموه سفهاً تنكرونه كذلك نقض العهد الذي لا تنكرونه.

﴿تتخذون أيمانكُمْ دَخَلاً بينكُمْ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الدخل الغرور.

الثاني: أن الدخل الخديعة.

الثالث: أنه الغل والغش.

الرابع: أن يكون داخل القلب من الغدر غير ما في الظاهر من لزوم الوفاء.

الخامس: أنه الغدر والخيانة، قاله قتادة.

السادس: أنه الحنث في الأيمان المؤكدة.

﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أن أكثر عدداً وأزيد مدداً، فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدل بعهد الأقل عهد الأكثر. وأربى: أفعل الربا، قال الشاعر:(٣٥٥)

وأسمر خطيّاً كأنّ كعوبه ... نوى القسب أو أربى ذراعاً على عشر

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

(٣٥٥) قيل هو حاتم الطائي والبيت في اللسان (سب) والطبري (١٤/ ١٦٧) ومجاز القرآن (١/ ٣٦٧).
والشطر الأول في الطبري أسمر خطّي وفي الشطر الثاني «قد أربى ذرعاً».

قوله عزوجل: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: يريد به أن الدنيا فانية، والآخرة باقية.

الثاني: أن طاعتكم تفنى وثوابها يبقى.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

قوله عزوجل: ﴿مَن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة﴾ فيها خمسة تأويلات:

أحدها: أنها الرزق الحلال، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها القناعة، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري.

الثالث: أن يكون مؤمناً بالله عاملاً بطاعته، قاله الضحاك.

الرابع: أنها السعادة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الخامس: أنها الجنة، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل سادساً: أن تكون الحياة الطيبة العافية والكفاية.

ويحتمل سابعاً: أنها الرضا بالقضاء.

﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجازى على أحسن الأعمال وهي الطاعة، دون المباح منها.

الثاني: مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى ﴿من جاءَ بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله عزوجل: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله تعالى، قاله الزجاج.

الثاني: فإذا كنت قارئاً فاستعذ بالله.

الثالث: أنه من المؤخر الذي معناه مقدم، وتقديره: فإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن.

والاستعاذة هي استدفاع الأذى بالأعلى من وجه الخضوع والتذلل والمعنى فاستعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل، وفي التأويل من الخطأ. وقد ذكرنا في صدر الكتاب معنى الرجيم.

قوله عزوجل: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾** فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، قاله سفيان.

الثاني: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد.

الثالث: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم بالله منه، لقوله تعالى **﴿وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾** [فصلت: ٣٦].

الرابع: أنه ليس له عليهم سلطان بحال لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس **﴿ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادَك منهم المخلصين﴾** [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠] فقال الله تعالى **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾** [الحجر: ٤٢] وفي معنى السلطان وجهان:

أحدهما: الحجة، ومنه سمي الوالي سلطاناً لأنه حجة الله تعالى في الأرض.

الثاني: أنها القدرة، مأخوذ من السُّلْطَة(*)، وكذلك سمي السلطان سلطاناً لقدرته. **﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾** يعني يتبعونه.

﴿والذين هُمْ به مشركون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: والذين هم بالله مشركون، قاله مجاهد.

الثاني: والذين أشركوا الشيطان في أعمالهم، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: والذين هم لأجل الشيطان وطاعته مشركون، قاله ابن قتيبة.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ

(*) في نسخة: السلاطة وهو خطأ.

أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا بدّلنا آيةً مكان آيةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شريعة تقدمت بشريعة مستأنفة، قاله ابن بحر.

الثاني: وهو قول الجمهور أي نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة.

﴿والله أعلم بما ينزل﴾ يعني أعلم بالمصلحة فيه ينزله ناسخاً ويرفعه منسوخاً.

﴿قالوا إنما أنت مفْترٍ﴾ أي كاذب.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون جواز النسخ.

الثاني: لا يعلمون سبب ورود النسخ.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمُه بشرٌ﴾ اختلف في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله ﷺ على أربعة أقاويل:

أحدها: أنه بلعام وكان قيناً(*) بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدخل عليه يعلمه، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كان عبداً أعجمياً لامرأة بمكة، يقال له أبو فكيهة، كان يغشى رسول الله ﷺ فيقرأ عليه ويتعلم منه، فقالوا لمولاته احبسيه فحبسْته، وقالت له: اكنس

(*) القين: الحداد.

البيت وكل كناسته، ففعل وقال: والله ما أكلت أطيب منه ولا أحلى، وكان يسأل مولاته بعد ذلك أن تحبسه فلا تفعل.

الثالث: أنهما غلامان لبني الحضرمي، وكانا من أهل عين التمر صيقلين يعملان السيوف اسم أحدها يسار، والآخر جبر، وكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ربما جلس إليهما، قاله حصين بن عبدالله بن مسلم.

الرابع: أنه سلمان الفارسي، قاله الضحاك(٣٥٦).

﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ في يلحدون تأويلان:

أحدهما: يميلون إليه.

الثاني: يعترضون به، يعني أن لسان من نسبوا رسول الله ﷺ إلى التعلم منه أعجمي.

﴿وهذا لسانٌ عربيٌ مبين﴾ يعني باللسان القرآن لأنه يقرأ باللسان، والعرب تقول: هذا لسان فلان، تريد كلامه، قال الشاعر(٣٥٧):

لسان السوء تهديها إلينا ... وخُنْتَ وما حسبتُك أن تخونا

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

قوله عزوجل: **﴿مَن كفر بالله من بعد إيمانه﴾** ذكر الكلبي أنها نزلت في

(٣٥٦) وفيها أقوال أخرى راجعها في فتح القدير (٣/ ١٩٥).

(٣٥٧) الطبري (١٤/ ١٨٠) وفتح القدير (٣/ ١٩٥) والشطر الأول فيه: لسان الشر تهديها إلينا «ولم ينسبه».

عبدالله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة وعبدالله بن خطل(*) وقيس بن الوليد بن المغيرة، كفروا بعد إيمانهم ثم قال تعالى:

﴿إلا من أُكره وقلبُه مطمئن بالإيمان﴾ قال الكلبي: نزل ذلك في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمية وبلال وصهيب وخبّاب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان.

ثم قال تعالى: ﴿ولكن من شرح بالكُفْر صدراً﴾ وهم من تقدم ذكرهم، فإذا أكره على الكفر فأظهره بلسانه وهو معتقد الإيمان بقلبه ليدفع عن نفسه بما أظهر، ويحفظ دينه بما أضمر فهو على إيمانه، ولو لم يضمره لكان كافراً.

وقال بعض المتكلمين: إنما يجوز للمكرَه إظهارُ الكفر على وجه التعريض دون التصريح الباتّ. لقبح التصريح بالتكذيب وخطره في العرف والشرع ،كقوله إن محمداً كاذب في اعتقادكم، أو يشير لغيره ممن يوافق اسمه لاسمه إذا عرف منه الكذب، وهذا لعمري أولى الأمرين، ولم يَصِرِ المكرَه بالتصريح كافر.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنةً مطمئنةً﴾ يريد بالقرية أهلها ﴿آمنة﴾ يعني من الخوف. ﴿مطمئنة﴾ بالخصب والدعة.

﴿يأتيها رزقُها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أقواتها.

(*) في الأصول: عبدالله بن أنس بن خطل وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

الثاني : مرادها.

﴿رغداً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : طيباً.

الثاني : هنيئاً.

﴿من كُلِّ مكانٍ﴾ يعني منها بالزراعة، ومن غيرها بالتجارة، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعم في النعمة عليهم.

﴿فكفرت بأنعم الله﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما : بترك شكره وطاعته.

الثاني : بأن لا يؤدوا حقها من مواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات.

وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مكة، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون(*) كالبوادي.

﴿فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوْف﴾ وسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم، والقِد أديم يؤكل، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني : أنها المدينة آمنت برسول الله ﷺ، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله ﷺ بها من الفتن، وهذا قول عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

الثالث : أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ

(*) وفي نسخة : لا يتغامزون.

﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ثم إنّ ربّك للذين عملوا السُّوء بجهالةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بجهالة أنها سوء.

الثاني: بجهالة لغلبة الشهوة عليهم مع العلم بأنها سوء.

ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يعجل بالإقدام عليها ويعد نفسه بالتوبة.

﴿ثم تابوا مِنْ بعد ذلك وأصْلَحوا﴾ لأنه مجرد التوبة من السالف إذا لم يصلح عمله في المستأنف لا يستحق ولا يستوجب الثواب.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿إنّ إبراهيم كان أمّةً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يُعلّم الخير، قاله ابن مسعود وإبراهيم النخعي. قال زهير:

فأكرمه الأقوام من كل معشر ... كرام فإن كذبتني فاسأل الأمم

يعني العلماء.

الثاني: أمة يقتدىٰ به، قاله الضحاك. وسمي أمة لقيام الأمة به.

الثالث: إمام يؤتم به، قاله الكسائي وأبو عبيدة.

﴿قانتاً لله﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مطيعاً لله، قاله ابن مسعود.

الثاني: إن القانت هو الذي يدوم على العبادة لله.

الثالث: كثير الدعاء لله عز وجل.

﴿حنيفاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مخلص، قاله مقاتل.

الثاني: حاجّا، قاله الكلبي.

الثالث: أنه المستقيم على طريق الحق، حكاه ابن عيسى.

﴿ولم يَكُ من المشركين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يك من المشركين بعبادة الأصنام.

الثاني: لم يك يرى المنع والعطاء إلا من اللَّه.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الحسنة النبوة، قاله الحسن.

الثاني: لسان صدق، قاله مجاهد.

الثالث: أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه، قاله قتادة.

الرابع: أنها تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل خامساً: أنه بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره.

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في منازل الصالحين في الجنة.

الثاني: من الرسل المقربين.

قوله عزوجل: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: اتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه، وهذا قول بعض أصحاب الشافعي، وهذا دليل على جواز اتّباع الأفضل للمفضول لأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء.

الثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري(٣٥٨).

---

(٣٥٨) جامع البيان (١٤/ ١٩٣)

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ وهم ايهود وفي اختلافهم في السبت ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن بعضهم جعله أعظم الأيام حُرْمَةً لأن الله فرغ من خلق الأشياء فيه.

الثاني: أن بعضهم جعل الأحد أعظم حُرمة منه لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه.

الثالث: أنهم عدلوا عما أمروا به من تعظيم الجمعة تغليباً لحرمة السبت والأحد، قاله مجاهد وابن زيد.

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿آدعُ إلى سبيل ربِّك﴾ يعني إلى دين ربك وهو الإسلام.

﴿بالحكمة﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: بالقرآن، قاله الكلبي.

الثاني: بالنبوة، وهو محتمل.

﴿والموعظة الحسنة﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: بالقرآن في لين من القول، قاله الكلبي.

الثاني: بما فيه من الأمر والنهي، قاله مقاتل.

﴿وجادلْهُم بالتي هي أحسنُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني بالعفو.

الثاني: بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول.

الثالث: بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف.

الرابع: على قدر ما يحتملون.

روى نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال «أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم»(٣٥٩).

(٣٥٩) لم أظفر بتخريج حديث ابن عمر وأكبر ظني أنه هذا النقل هنا خطأ فإن الحديث معروف من حديث =

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها نزلت في قتلى أُحد حين مثلت بهم قريش. واختلف قائل ذلك في نسخه على قولين.

أحدهما: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾.

الثاني: أنها ثابتة غير منسوخة فهذا أحد القولين.

والقول الثاني: أنها نزلت في كل مظلوم أن يقتص من ظالمه، قاله ابن سيرين ومجاهد ﴿واصبر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اصبر على ما أصابك من الأذى، وهو محتمل.

الثاني: واصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا من المثلة بقتلى أُحد، قاله الكلبي.

﴿وما صبرك إلا بالله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وما صبرك إلا بمعونة الله.

= ابن عباس مرفوعاً رواه الديلمي بسند ضعيف كما قال صاحب اللآلىء ونقله عنه صاحب كشف الخفا (١/ ١٩٦) وقال السيوطي مبيناً سبب ضعفه: في إسناده مجهول. وضعفه جدا السخاوي أيضاً في المقاصد ونقل عن الحافظ ابن حجر نسبته للحسن بن سفيان كما رواه أبو الحسن التميمي وهو من الحنابلة في كتاب العقل له وقال صاحب كشف الخفا «وله ـ أي للحديث ـ شاهد من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً بلفظ إنا معشر الأنبياء أمرنا وذكره. . رواه في الغنية الشيخ عبد القادر قدس سره بلفظ أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدِّث الناس على قدر عقولهم أ هـ. ويغني عن هذا الضعيف ما ورد موقوفاً بسند صحيح.

عن علي رضي الله عنه قال «حدثوا الناس بما يعرفونه أتحبون أنه يكفر بالله ورسوله؟» ذكره البخاري معلقاً ورواه الخطيب في الجامع (٢/ ١٠٨).

وثبت عن ابن مسعود قوله «ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

الثاني : وما صبرك إلا لوجه الله .

﴿ولا تحزن عليهم﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إن لم يقبلوا .

الثاني : إن لم يؤمنوا .

﴿ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون﴾ قرأ ابن كثير **﴿ضيق﴾** بالكسر وقرأ الباقون بالفتح . وفي الفرق بينهما قولان :

أحدهما : أنه بالفتح ما قل ، وبالكسر ما كثر ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أنه بالفتح ما كان في الصدر ، وبالكسر ما كان في الموضع الذي يتسع ويضيق ، قاله الفراء .

قوله عزوجل : **﴿إن الله مع الذين اتقَوا والذين هم محسنون﴾** اتقوا يعني فيما حرم الله عليهم . والذين هم محسنون فيما فرضه الله تعالى ، فجمع في هذه الآية اجتناب المعاصي وفعل الطاعات .

وقوله : **﴿مع الذين اتقوا﴾** أي ناصر الذين اتقوا .

وقال بعض أصحاب الخواطر : من اتقى الله في أفعاله أَحْسَنَ إليه في أحواله ، والله أعلم .

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثماني آيات من قوله تعالى ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الى قوله ﴿سلطاناً نصيراً﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

قوله عزوجل: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ أما قوله ﴿سبحان﴾ ففيه تأويلان:

أحدهما: تنزيه الله تعالى من السوء، وقيل بل نزه نفسه أن يكون لغيره في إسراء عبده تأثير.

الثاني: معناه براءة الله تعالى من السوء، وقد قال الشاعر:[٣٦٠]

أقول لمّا جاءني فَخْرُه ... سبحان مِنْ علقمةَ الفاخِر

وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر، وهو

(٣٦٠) هو الأعشى والبيت في ديوانه: ١٤٣، مقاييس اللغة (٣/١٢٥)، أمالي ابن الشجري (١/٣٤٧) (٢/٥٠) خزانة الأدب (٢/٤١) (٣/٢٥١)، مجالس ثعلب (١/٢٦٠) الكتاب (١/١٦٣) معاني القرآن (١/٥٧).

من السبح في التعظيم وهو الجري فيه إلى أبعد الغايات. وذكر أبان بن ثعلبة أنها كلمة بالنبطية «شبهانك».

وقد ذكر الكلبي ومقاتل: إن ﴿سبحان﴾ في هذا الموضع بمعنى عجب، وتقدير الآية: عجب من الذي أسرى بعبده ليلاً، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب، وجعل البيت شاهداً عليه، وأن معناه عجبٌ من علقمة الفاخر. ووجه هذا التأويل أنه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل عجب، ومثله قول بشار:

تلقي بتسبيحةٍ مِنْ حيثما انصرفت وتستفزُّ حشا الرائي بإرعاد

وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه:

أحدها: أن يستعمل في موضع الصلاة، من ذلك قوله تعالى: ﴿**فلولا أنه كان من المسبِّحينَ**﴾ [الصافات: ١٤٣] أي من المصلين.

الثاني: أن يستعمل في الاستثناء، كما قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿**ألم أقل لكم لولا تسبحون**﴾ [القلم: ٢٨] أي لولا تستثنون.

الثالث: النور، للخبر المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال[٣٦١] «**لأحرقت سبحات وجهه**» أي نور وجهه.

الرابع: التنزيه، روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن التسبيح[٣٦٢] فقال: «**تنزيه الله تعالى عن السوء**».

وقوله تعالى: ﴿**أسرى بعبده**﴾ أي بنبيه محمد ﷺ، والسُّرى: سير الليل، قال الشاعر[٣٦٣]:

وليلة ذات ندًى سَرَيت ولم يلتني مِنْ سُراها ليت

وقوله ﴿**من المسجد الحرام**﴾ فيه قولان:

(٣٦١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ١٧٩ في الإيمان باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام من» حديث أبي موسى الأشعري.

(٣٦٢) رواه الطبري (١٥/٢) بسنده عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ أنه سئل عن التسبيح فذكره وهو هكذا مرسل وفي روح المعاني (١٥/٣) نقل أن الذي سأل هو طلحة فقال الآلوسي: ففي العقد الفريد عن طلحة قال سألت رسول الله ﷺ.

(٣٦٣) هو رؤبة بن العجاج والبيت في اللسان (ليت) والطبري (١٥/٢).

أحدهما: يعني من الحرم، والحرم كله مسجد. وكان ﷺ حين اسرى به نائماً في بيت ام هانىء بنت أبي طالب، روى ذلك أبو صالح عن أم هانىء (٣٦٤).

الثاني: أنه أسرى به من المسجد، وفيه كان حين أسرى به روى ذلك أنس بن مالك (٣٦٥).

ثم اختلفوا في كيفية إسرائه على قولين:

أحدهما: أنه أسريَ بجسمه وروحه (٣٦٦)، روى ذلك ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان.

واختلف قائلو ذلك هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا، فروى ابو هريرة أنه صلى فيه بالأنبياء (٣٦٧)، ثم عرج به إلى السماء، ثم رجع به الى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته.

وروى حذيفة بن اليمان (٣٦٨) أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلِّ فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به، ثم عاد إلى ملكه.

والقول الثاني: أن النبي ﷺ أسري بروحه ولم يسر بجسمه، روى ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت (٣٦٩): ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

وروى عن معاوية قال: (٣٧٠) كانت رؤيا من الله تعالى صادقة، وكان الحسن

---

(٣٦٤) وحديثها رواه الطبري (٢/١٥) وفي سنده محمد بن السائب الكلبي وهو متروك ساقط قال الهيثمي في المجمع (١/٧٦) رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك كذاب.

(٣٦٥) رواه مسلم (١/١٤٩) والطبري (١٥/٣) وقد جمع الحافظ ابن حجر من هذه الروايات بأنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانىء ثم أتاه الملكان فأيقظاه وأخذاه إلى الحطيم بجوار زمزم ثم توليا شق صدره وغسل قلبه وإيداع الحكمة والإيمان فيه.

(٣٦٦) وهو الصواب وعليه الجمهور من السلف والخلف راجع الشفا للقاضي عياض (٢/٢٦٩) والسيرة لابن كثير (٢/١٠٤).

(٣٦٧) رواه مسلم (١/١٥٧) وهذا القول هو الصواب.

(٣٦٨) رواه الطبري (١٥/١٥).

(٣٦٩) رواه ابن إسحاق في السيرة (٢/٣٠٤). وهذا باطل لأن عائشة لم تكن زوجته يومها.

(٣٧٠) ما عليه جمهور المسلمين أن الإسراء والمعراج حقيقة ثابتة بالروح والجسد فمن أنكر الإسراء فقد ضلَّ ومن أنكر المعراج فقد فسق.

يتأول قوله تعالى ﴿وما جَعَلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس﴾ [الإسراء: ٦٠] أنها في المعراج، لأن المشركين كذبوا ذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم، ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعباً(٣٧١) مغطى مملوءاً ماء، فشرب الماء ثم غطاه كما كان، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً، وأنها تقدُم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق(٣٧٢)؛ فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت، وقال آخر: هذه والله العير يقدُمها جمل أورق كما قال محمد. وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه(٣٧٣).

وقوله تعالى: ﴿الى المسجد الأقصى﴾ يعني بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام. وسمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالثمار ومجاري الأنهار.

الثاني: بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين ولهذا جعله مقدساً.

وروى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال(٣٧٤) «**يقول الله تعالى: يا شام أنت**

---

(٣٧١) وهو إناء.

(٣٧٢) هو المختلط أبيض وأسود ورمادي اللون.

(٣٧٣) وهو الصواب كما سلف.

(٣٧٤) ورد مثله من حديث عبدالله بن حوالة الأزدي أنه قال يا رسول الله خرْ لي بلداً أكون فيه فلو أعلم أنك تبقى لم أختر عن قربك شيئاً قال عليك بالشام فلما رأى كراهيتي للشام قال أتدري ما يقول الله في الشام إن الله عز وجل يقول يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي: - الله قد تكفل لي بالشام وأهله. قال الهيثمي في المجمع (١٠/٥٩) رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة اهـ قلت وأشار الهيثمي في المجمع إلى أن أبا داود رواه باختصار قلت وهو في أبي داود رقم (٢٤٨٣) في الجهاد باب في سكنى الشام من حديث عبدالله بن حوالة وفي سياقه اختلاف يسير. وصححه الارناؤوط في جامع الأصول.

وأما حديث معاذ فلم أظفر بتخريجه ولكني رأيت في المجمع للهيثمي(١٠/٥٩)عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشيران في المنزل فأومأ إلى الشام ثم سألاه فأومأ إلى الشام ثم سألاه فأومأ إلى الشام قال عليكما بالشام فإنها صفوة بلاد الله سكنها خيرية من خلقه فمن أبى فليلحق بمنه وليسق من غدره فإن الله تكفل لي بالشام وأهله قال الهيثمي رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة.

راجع مجمع الزوائد فإنه ذكر أحاديث كثيرة في فضل الشام (١٠/٥٧ ـ ٦٠).

صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي».

﴿**لنريه من آياتنا**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة، وهي مسيرة شهر.

الثاني: أنه أراه في هذا المسرى آيات.

وفيها قولان:

أحدهما: ما أراه من العجائب التي فيها اعتبار.

الثاني: من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً.

﴿**إنه هو السميع البصير**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير.

الثاني: أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه، فقال: السميع يعني لما يقولون من تصديق أو تكذيب، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**وآتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة.

﴿وجعلناه هدًى لبني إسرائيل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن موسى هدى لبني اسرائيل.

الثاني: أن الكتاب هدى لبني اسرائيل.

﴿**ألّا تتخذوا من دوني وكيلاً**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: شريكاً، قاله مجاهد.

الثاني: يعني ربّاً يتوكلون عليه في أمورهم، قاله الكلبي.

الثالث: كفيلاً بأمورهم، حكاه الفراء.

قوله عزوجل: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ يعني موسى وقومه من بني إسرائيل ذرية من حملهم الله تعالى مع نوح في السفينة وقت الطوفان.

﴿إنّه كان عبداً شكوراً﴾ يعني نوحاً، وفيه قولان:

أحدهما: أنه سماه شكوراً لأنه كان يحمد الله تعالى على طعامه، قاله سلمان.

الثاني: أنه كان لا يستجد ثوباً إلا حمد الله تعالى عند لباسه، قاله قتادة.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن نوحاً كان عبداً شكوراً فجعل الله تعالى موسى من ذريته.

الثاني: أن موسى كان عبداً شكوراً إذ جعله الله تعالى من ذرية نوح.

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا
كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ
أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾.

معنى قضينا ها هنا: أخبرنا.(٣٧٥)

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن معناه حكمنا، قاله قتادة.

ومعنى قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أي قضينا عليهم.

﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ الفساد الذي فعلوه قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم على أموالهم قهراً، وإخراب ديارهم بغياً.

وفيمن قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان:

(٣٧٥) انظر معاني القضاء ذكرها الحافظ في الفتح (٨/ ٣٨٩).

أحدهما: أنه زكريا قاله ابن عباس.

الثاني: أنه شعيا[٣٧٦]، قاله ابن إسحاق، وأن زكريا مات حتف أنفه.

أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني فيحيى بن زكريا في قول الجميع قال مقاتل: وإن كان بينهما مائتا سنة وعشر.

﴿فإذا جاء وعْد أولاهما﴾ يعني أولى المرتين من فسادهم.

﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ﴾ في قوله بعثنا وجهان:

أحدهما: خلينا بينكم وبينهم خذلاناً لكم بظلمكم، قاله الحسن.

الثاني: أمرنا بقتالكم انتقاماً منكم.

وفي المبعوث عليهم في هذه المرة الأولى خمسة أقاويل:

أحدها: جالوت وكان ملكهم طالوت إلى أن قتله داود عليه السلام، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه بختنصر[٣٧٧]، وهو قول سعيد بن المسيب.

الثالث: أنه سنحاريب[٣٧٨]، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنهم العمالقة وكانوا كفاراً، قاله الحسن.

الخامس: أنهم كانوا قوماً من أهل فارس يتجسسون أخبارهم، وهو قول مجاهد.

﴿. . . فجاسوا خلال الديار﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني مشوا وترددوا بين الدور والمساكن، قال ابن عباس وهو أبلغ في القهر.

الثاني: معناه فداسوا خلال الديار، ومنه قول الشاعر:

إِلَـيْكَ جُسْـتُ اللَّـيْلَ بِـالمَطِيِّ

الثالث: معناه فقتلوهم بين الدور والمساكن، ومنه قول حسان بن ثابت:

ومِنَّا الَّذِي لاقَـى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجَاس بِهِ الأَعْدَاءَ عَرْضَ العَسَاكِر[٣٧٩]

---

(٣٧٦) وخبره مطولاً رواه الطبري (١٥/٢٢، ٢٣) واسمه في الكتاب العبراني «أشعياء بن آموص».

(٣٧٧) وهو ملك من ملوك الكدانيين فتح القدس وأحرقها. وأجلي بني إسرائيل الى مدينة بابل.

(٣٧٨) وهو ملك آشور بن سنجور وخليفته حمل على بلاذ الكلدانيين واليهود وأرمينية.

(٣٧٩) وأنشده الفراء لحسان كما في فتح القدير (٣/٢٠٩)، الطبري (١٥/٢٨).

الرابع: معناه فتشوا وطلبوا خلال الديار، قاله أبو عبيدة.

الخامس: معناه نزلوا خلال الديار، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر:

فَجُسنا ديارهم عَنْوَةً وأبنا بساداتهم موثَقينا(٣٨٠)

قوله عزوجل: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ يعني الظفر بهم، وفي كيفية ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن بني إسرائيل غزوا ملك بابل واستنقذوا ما في يديه من الأسرى والأموال.

الثاني: أن ملك بابل أطلق من في يده من الأسرى، وردّ ما في يده من الأموال.

الثالث: أنه كان بقتل جالوت حين قتله داود.

﴿وأمددناكم بأموالٍ وبنين﴾ بتجديد النعمة عليهم.

﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أكثر عزاً وجاهاً منهم.

الثاني: أكثر عدداً، وكثرة العدد تنفر عدوهم منهم، قال تُبع بن بكر(٣٨١):

فأكرِم بقحْطَانَ مِن وَالِدٍ وحِمْيَرَ أكْرِم بقَوْمٍ نَفِيراً

قال قتادة: فكانوا بها مائتي سنة وعشر سنين، وبعث فيهم أنبياء.

قوله عزوجل: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ لأن الجزاء بالثواب يعود إليها، فصار ذلك إحساناً لها.

﴿وإن أسأتم فلها﴾ أي فإليها ترجع الإساءة لما يتوجه إليها من العقاب، فرغّب في الإحسان وحذر من الإساءة.

ثم قال تعالى: ﴿فإذا جاءَ وعْدُ الآخرة ليسوءُوا وجُوهكم﴾ يعني وعد المقابلة على فسادهم في المرة الثانية. وفيمن جاءهم فيها قولان:

أحدهما: بختنصّر، قاله مجاهد.

---

(٣٨٠) فتح القدير (٣/٢٠٩).

(٣٨١) روح المعاني (١٥/١٩).

الثاني :أنه انطياخوس[٣٨٢] الرومي ملك أرض[٣٨٣] نينوى،وهو قول مقاتل، وقيل إنه قتل منهم مائة ألف وثمانين ألفاً، وحرق التوراة وأخرب بيت المقدس، ولم يزل على خرابه حتى بناه المسلمون.

﴿وليدخلوا المسجد كما دَخلوه أوّل مرّة﴾ يعني بيت المقدس.

﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه الهلاك والدمار.

الثاني: أنه الهدم والإخراب، قاله قطرب. ومنه قول لبيد:

وما النَّاسُ إلا عَامِلان فَعَامِلٌ ... يُتَبِّـرُ مَـا يَبْنِي وَآخَـرُ رَافِـعُ

قوله عزوجل: ﴿عسى ربُكم أن يرحمكم﴾ يعني مما حل بكم من الانتقام منكم.

﴿وإن عدتم عدنا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام، فعادوا. قال ابن عباس وقتادة: فبعث الله عليهم المؤمنين يذلونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة.

الثاني: إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى القبول، قاله بعض الصالحين.

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني فراشاً ومهاداً، قاله الحسن: مأخوذ من الحصير المفترش.

الثاني: حبساً يحبسون فيه، قاله قتادة، مأخوذ من الحصر وهو الحبس. والعرب تسمي الملك حصيراً لأنه بالحجاب محصور، قال لبيد:[٣٨٤]

ومقامَةِ غُلْبِ الرِّقَابِ كَـأَنَّهُمْ ... جِنٌّ لَـدَى بَـابِ الحَصِيـرِ قِيَامُ

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ فيها تأويلان:

(٣٨٢) وفي الدر المنثور (٥/٢٤٣) «ايطنا نحوس» وفي الطبري (١٥/٢٢) ابطيانحوس.

(٣٨٣) والتي منها نبي الله يونس على نبيناوعليه أفضل الصلاة والسلام كما أخبره بذلك الصادق المصدوق.

(٣٨٤) ديوانه (٢٩) وفيه «طرف الحصير» ومجاز القرآن ص ٣٧١ واللسان قوم والطبري (١٥/٤٥).

أحدهما: شهادة أن لا إله إلا الله، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: ما تضمه من الأوامر والنواهي التي هي أصوب، قاله مقاتل.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿ويدعو الإنسان بالشر دُعاءَه بالخير﴾** فيه وجهان من التأويل:

أحدهما: أن يطلب النفع في العاجل بالضر العائد عليه في الآجل.

الثاني: أن يدعو أحدهم على نفسه أو ولده بالهلاك، ولو استجاب دعاءه بهذا الشر كما استجاب له بالخير لهلك.

﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: عجولاً في الدعاء على نفسه وولده وما يخصه، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد.

الثاني: أنه عنى آدم حين نفخ فيه الروح، حتى بلغت الى سُرّته فأراد أن ينهض عجلاً، وهذا قول إبراهيم والضحاك.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾** فيه قولان:

أحدهما: أنها ظلمة الليل التي لا نبصر فيها الطرقات كما لا نبصر ما محي من الكتاب، وهذا من أحسن البلاغة، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: أنها اللطخة السوداء التي في القمر، وهذا قول علي وقتادة ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيميز به الليل من النهار.

﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الشمس مضيئة للأبصار.

الثاني: موقظة.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ فيه قولان:

أحدهما: ألزمناه عمله من خير أو شر(٣٨٥) مثل ما كانت العرب تقوله سوانح الطير وبوارحه. والسانح: (٣٨٦) الطائر يمر ذات اليمين وهو فأل خير، والبارح: الطائر يمر ذات الشمال وهو فأل شر، وأضيف إلى العنق(*)..

الثاني: أن طائره حظه ونصيبه، من قول العرب: طار سهم فلان إذا خرج سهمه ونصيبه منه، قاله أبو عبيدة.

﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ يعني كتاب طائره الذي في عنقه من خير أو شر.

ويحتمل نشر كتابه الذي يلقاه وجهين:

أحدهما: تعجيلاً للبشرى بالحسنة، والتوبيخ بالسيئة.

الثاني: إظهار عمله من خير أو شر.

﴿آقرأ كتابك﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لما في قراءته من زيادة التقريع والتوبيخ.

والثاني: ليكون إقراره بقراءته على نفسه.

﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني شاهداً.

والثاني: يعني حاكماً بعملك من خير أو شر. ولقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك بعملك(٣٨٧).

---

(٣٨٥) وقد ورد حديث مرفوع في ذلك من حديث جابر مرفوعاً في تفسير قوله: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «طائر كل إنسان في عنقه» رواه أحمد (٣/٣٤٢، ٣٤٩، ٣٦٠) وفي سنده ابن لهيعة وعنعنة ابن الزبير لكن توبع كما عند ابن جرير (١٥/٣٩) والحديث صححه الألباني في السلسلة برقم ١٩٠٧.

(٣٨٦) وكانوا يتشائمون بها في الجاهلية.

(*) هنا عبارة مطموسة بالأصل.

(٣٨٧) هنا عبارة مطموسة في الأصل قلت ولعلها «قاله الحسن» فإن هذا القول الذي ساقه المؤلف هنا جزء من قول الحسن بل من أحسن كلام الحسن كما قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٨).

﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿مَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ يعني لما يحصل له من ثواب طاعته.

﴿ومَن ضلّ فإنما يضل عليها﴾ يعني لما يحصل عليه من عقاب معصيته.

﴿ولا تزر وازِرةٌ وزر أخرى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره.

الثاني: لا يجوز لأحد أن يعصى لمعصية غيره.

الثالث: لا يأثم أحد بإثم غيره.

ويحتمل رابعاً: أن لا يتحمل أحد ذنب غيره ويسقط مأثمه عن فاعله.

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما كنا معذبين على الشرائع الدينية حتى نبعث رسولاً مبيناً، وهذا قول من زعم أن العقل تقدم الشرع(٣٨٨).

الثاني: وما كنا معذبين على شيء من المعاصي حتى نبعث رسولاً داعياً، وهذا قول من زعم أن العقل والشرع جاءا معاً(٣٨٩).

وفي العذاب وجهان:

أحدهما: عذاب الآخرة. وهو ظاهر قول قتادة.

الثاني: عذاب الاستئصال في الدنيا، وهو قول مقاتل(٣٩٠).

---

(٣٨٨) وهو قول المعتزلة وقد ترتب على هذا القول أن العبد معاقب قبل ورود الشرع استناداً إلى أن العقل يحسن ويقبح.

(٣٨٩) قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٩) والتحقيق أن سبب العذاب قائم قبل البعثة ولكن لا يلزم من وجود سبب العذاب حصوله لأن هذا السبب قد نصب الله تعالى له شرطاً وهو بعثه الرسل وانتفاء التعذيب قبل البعثة هو لانقضاء شرطه لا لعدم سببه ومقتضيه.

وقال في (٢/ ٨) «وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت للعقل في نفسه وأن لا يعذب عليه إلا الله بعد إقامة الحجة بالرسالة وهذه النكتة هي التي فاتت المعتزلة والكلابية كليهما فاستطالت كل طائفة منها على الأخرى لعدم جمعهما بين هذين الأمرين».

(٣٩٠) ولا مانع من حمل الآية على نفي العذاب الدنيوي والأخروي ونقله الشوكاني في فتح القدير عن طائفة =

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . . ﴾ الآية في قوله ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه إذا أردنا أن نحكم بهلاك قرية.

والثاني: معناه وإذا أهلكنا قرية، وقوله ﴿أردنا﴾ صلة زائدة كهي في قوله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ [الكهف: ٧٧].

الثالث: أنه أراد بهلاك القرية فناء خيارها وبقاء شرارها.

﴿أمرنا مترفيها﴾ الذي عليه الأئمة السبعة من القراء أن أمرنا مقصور مخفف، وفيه وجهان:

أحدهما: أمرنا مترفيها بالطاعة(٣٩١)، لأن الله تعالى لا يأمر إلا بها، ﴿ففسقوا فيها﴾ أي فعصوا بالمخالفة، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه: بعثنا مستكبريها، قاله هارون، وهي في قراءة أُبيٍّ: بعثنا أكابر مجرميها.

وفي قراءة(٣٩٢) ثانية ﴿أمّرنا مترفيها﴾ بتشديد الميم، ومعناه جعلناهم أمراء مسلطين، قاله أبو عثمان النهدي.

وفي قراءة ثالثة ﴿آمَرْنا مُترفيها﴾ ممدود، ومعناه أكثرنا عددهم، من قولهم آمر

= من أهل العلم (٣/٢١٤) وهاك نص عبارته «والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وبه قالت طائفة من أهل العلم وذهب الجمهور إلى أن المنفي هنا هو عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة».

(٣٩١) وقد قدر بعضهم أمرنا بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها لكن قال ابن القيم في شفاء العليل ص ٤٨ «لا حاجة إلى تكلف تقدير امرنا مترفيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الأمر ههنا أمر تكوين وتقدير لا أمر تشريع لوجوه احدها أن المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به كما تقول امرته فقام وأمرته فأكل كما لو صرح بلفظه أفعل كقوله تعالى ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ وهذا كما تقول دعوته فأقبل وقال تعالى ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ والثاني أن الأمر بالطاعة لا يخص المترفين فلا يصح حمل الآية عليه بل تسقط فائدة ذكر المترفين فإن جميع المبعوث إليهم مأمورون بالطاعة فلا يصح أن يكون أمر المترفين على إهلاك جميعهم الثالث.

(٣٩٢) وهي قراءة أبي العالية والنخعي والجحدري زاد المسير (٥/١٩).

القوم إذا كثروا، لأنهم مع الكثرة يحتاجون إلى أمير يأمرهم وينهاهم. ومنه قول النبي ﷺ[٣٩٣] «خير المال مهرة مأمورة أو سُكة مأبورة». [٣٩٤] أيَ كثيرة النسل، وقال لبيد:

إن يـغـبـطوا يـهـبـطوا وإن أَمِـروا يـومـاً يصيـروا إلى الإهـلاك والنكـد

وهذا قول الحسن وقتادة.

وفي ﴿مترفيها﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: جباروها(*)، قاله الحسن.

الثاني: رؤساؤها، قاله علي بن عيسى.

الثالث: فساقها، قاله مجاهد. [٣٩٥]

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نُوح﴾ واختلفوا في مدة القرن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مائة وعشرون سنة، قاله عبدالله بن أبيَ أوفى.

الثاني: أنه مائة سنة، قاله عبدالله بن بُسْر المازني [٣٩٦].

---

(٣٩٣) رواه أحمد (٣/٤٦٨) والبغوي (١٠/٣٨٧) والطبراني كما في المجمع (٥/٢٥٨) وحديث سويد بن هبيرة التابعي قال الهيثمي رجال أحمد ثقات وقد صحح الحديث العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم. بل ضعفه في ضعيف الجامع لإرساله.

(٣٩٤) سكه مأبورة: هي الطريقة المصطفة المستوية من النخل والمأبورة التي قد أبرت ونقحت وسميت الأزقة سككاً لاصطفاف الدور فيها شرح السنة للبغوي (١٠ / ٣٨٧).

(٣٩٥) ديوانه ص ١٩ وفي الشطر الثاني «للملك والنكد» والطبري (١٥/٥٦) وفيه «للقل والنكد» وفي فتح القدير للشوكاني (٣/٢١٤) للهلاك والفند.

(*) وفي نسخه للمخطوطة قال الطبري.

(٣٩٦) وقد رواه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ كما رواه الطبري (١٥/٥٨).

الثالث: أنه أربعون سنة، روى ذلك محمد بن سيرين عن النبي ﷺ.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّكَ﴾ يعني البر والفاجر من عطاء ربك في الدنيا دون الآخرة.

﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: منقوصاً، قاله قتادة.

الثاني: ممنوعاً، قاله ابن عباس.(٣٩٧)

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وقضى ربُّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه﴾ معناه وأمر ربك، قاله ابن عباس والحسن وقتادة. وكان ابن مسعود وأبيّ بن كعب يقرآن ﴿ووصى ربك﴾ قاله الضحاك(٣٩٨)، وكانت في المصحف: ﴿ووصى ربك﴾ لكن ألصق الكاتب الواو فصارت ﴿وقضى ربك﴾.

(٣٩٧) وهو من مرسلات ابن سيرين رحمه الله رواه الطبري (١٥/ ٥٨)

(٣٩٨) ولكن هذا الأثر لم يصح عن الضحاك فقد رواه ابن جرير (١٥/ ٦٣) وفي سنده أبو إسحاق الكوفي وهو عبدالله بن ميسرة الحارثي ضعفه ابن معين وأحمد بن حنبل والنسائي والدارقطني وقال ابن أبي حاتم ليس بشيء وقال ابن حيان لا يحل الاحتجاج بخبره وهشيم الراوي عن ابن إسحاق ثقة مدلس وقد عنعن هنا. قلت وقد ورد عن ابن عباس مثل ما ورد عن الضحاك لكن قال العلامة الآلوسي في روح المعاني وهذا إن صح عجيب من ابن عباس ولاندفاع المحذور يحمل القضاء على الأمر ولا أقل... الخ (١٥/ ٢٧٤).

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٨٩) وتفسير ﴿قضى ربك ألا تعبدوا﴾ بمعنى وصى منقول من مصحف =

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ معناه ووصى بالوالدين إحساناً، يعني أن يحسن إليهما بالبر بهما في الفعل والقول.

﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يبلغن كبرك وكمال عقلك.

الثاني: يبلغان كبرهما بالضعف والهرم.

﴿فلا تقل لهما أفٍّ﴾ يعني حين ترى منهما الأذى وتميط عنهما الخلا، وتزيل عنهما القذى فلا تضجر، كما كانا يميطانه عنك وأنت صغير من غير ضجر.

وفي تأويل ﴿أف﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح، قاله مقاتل.

الثاني: أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة، قاله الكلبي.

الثالث: أنها كلمة تدل على التبرم والضجر، خرجت مخرج الأصوات المحكية. والعرب تقول أف وتف، فالأف وسخ الأظفار، والتُّف ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير.

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليناً.

والآخر: حسناً. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝٢٥﴾

قوله عزوجل: ﴿... إنه كان للأوّابين غفوراً﴾ فيهم خمسة(٣٩٩) أقاويل:

أحدها: أنهم المحسنون، وهذا قول قتادة.

= أبي بن كعب أخرجه الطبري أيضاً (١٥/٦٢) وأخرجه أيضاً (١٥/٦٢) من طريق قتادة قال هي في مصحف ابن مسعود ووصى ومن طريق مجاهد في قوله وقضى قال وأوصى ومن طريق الضحاك أنه قرأ ووصى قال ألصقت الواو بالصاد فصارت قافاً فقرئت وقضى كذا وقال واستنكروه منه.

(٣٩٩) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٢٦) خمسة أوجه أخرى.

والثاني: أنهم الذين يصلّون بين المغرب والعشاء، وهذا قول ابن المنكدر[٤٠٠] يرفعه.

الثالث: هم الذين يصلون الضحى، وهذا قول عون العقيلي.

والرابع: أنه الراجع عن ذنبه الذي يتوب، وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد.

والخامس: أنه الذي يتوب مرة بعد مرة، وكلما أذنب بادر بالتوبة وهذا قول سعيد بن المسيب.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وإما تعرضَنَّ عنهم ابتغاء رحمةٍ من ربّك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكره لتعذره عندك ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ أي انتظاراً للرزق منه ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي عِدْهم خيراً ورد عليهم رداً جميلاً، وهذا قول الحسن ومجاهد.

الثاني: معناه إذا أعرضت عمن سألك حذراً أن ينفقه في معصية فمنعته ابتغاء رحمة له فقل لهم قولاً ميسوراً، أي ليناً سهلاً، وهذا قول ابن زيد.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي ويقتر ويقلل.

﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: خبيراً بمصالحهم بصيراً بأمورهم.

والثاني: خبيراً بما أضمروا بصيراً بما عملوا.

---

(٤٠٠) لكنه مرسل كما ترى ورواه ابن جرير (١٥/ ٦٩).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ﴾ يعني وأد البنات أحياء خيفة الفقر.

﴿نحن نرزقهم وإياكُم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾.

والخِطءُ العدول عن الصواب بعمد، والخطأ العدول عنه بسهو، فهذا الفرق بين الخِطْءِ والخطأ، وقد قال الشاعر(٤٠١):

الـخِطْءُ فـاحشـةٌ والـبِـرُّ نـافِـلَةٌ ... كعَجْـوةٍ غـرسَتْ في الأرض تـؤتَبـرُ

الثاني: أن الخطء ما كان إثماً، والخطأ ما لا إثم فيه، وقرأ الحسن خطاء بالمد(٤٠٢).

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حَرَّم الله إلاَّ بالحق﴾ يعني إلا بما تستحق به القتل.

﴿ومَن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه القود، قاله قتادة.

الثاني: أنه الخيار بين القود أو الدية أو العفو، وهذا قول ابن عباس والضحاك.

الثالث: فقد جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه.

﴿فلا يُسْرِف في القَتل﴾ فيه قولان:

أحدهما: فلا يسرف القاتل الأول في القتل تعدياً وظلماً، إن وليّ المقتول كان منصوراً، قاله مجاهد.

الثاني: فلا يسرف وليّ المقتول في القتل.

---

(٤٠١) الطبري (١٥/٧٩) ولم ينسبه.

(٤٠٢) وهي قراءة ابن كثير كما في المبسوط ص ٤٦٨.

وفي إسرافه أربعة أوجه:

أحدها: أن يقتل غير قاتله، وهذا قول طلق بن حبيب.

الثاني: أن يمثل اذا اقتص، قاله ابن عباس.

الثالث: أن يقتل بعد أخذ الدية، قاله يحيى.

الرابع: أن يقتل جماعة بواحد، قاله سعيد بن جبير وداود.

﴿**إنه كان منصوراً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الولي كان منصوراً بتمكينه من القود، قاله قتادة.

الثاني: أن المقتول كان منصوراً بقتل قاتله، قاله مجاهد.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن**﴾ وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج، والطمع في ماله أكثر. وفي قوله ﴿**إلّا بالتي هي أحسن**﴾ قولان:

أحدهما: حفظ أصوله وتثمير فروعه، وهو محتمل.

الثاني: أن التي هي أحسن التجارة له بماله.

﴿**حتى يَبْلُغَ أشدَّه**﴾ وفي الأشد وجهان:

أحدهما: أنه القوة.

الثاني: المنتهى.

وفي زمانه ها هنا قولان:

أحدهما: ثماني عشرة سنة.

والثاني: الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد(٤٠٣).

﴿**وأوفوا بالعهد**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

(٤٠٣) راجع تفسير قوله تعالى ﴿**وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح**﴾.. الآية في سورة النساء.

أحدها: أنها العقود التي تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها، وهذا قول أبي[٤٠٤] جعفر الطبري.

الثاني: أنه العهد في الوصية بمال اليتيم يلزم الوفاء به.

الثالث: أنه كل ما أمر الله تعالى به أو نهى فهو من العهد الذي يلزم الوفاء به[٤٠٥].

﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العهد كان مطلوباً، قاله السدي.

الثاني: أن العهد كان مسئولا عنه الذي عهد به، فيكون ناقض العهد هو المسئول.

الثالث: أن العهد نفسه هو المسئول بم نقِضت، كما تُسأل الموءُودة بأي ذنب قتلت.

قوله عزوجل: ﴿... وزنُوا بالقسطاس المستقيم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه القبان. قاله الحسن.

الثاني: أنه الميزان صغر أو كبر، وهذا قول الزجاج.

الثالث: هو العدل.

واختلف من قال بهذا على قولين:

أحدهما: أنه رومي، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عربي مشتق من القسط، قاله ابن درستويه.

﴿ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحسن باطناً فيكون الخير ما ظهر، وحسن التأويل ما بطن.

الثاني: أحسن عاقبة، تأويل الشيء عاقبته.

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

---

(٤٠٤) جامع البيان (١٥/٨٤).

(٤٠٥) وهذا القول أرجح لأنه أعم فيدخل فيه العهد بين الله وعباده وبين العباد وبعضهم من شراء وبيع وعقود ونكاح وأمانة وغير ذلك.

قوله عزوجل: ﴿ولا تقف ما ليس لك به عِلْمٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه لا تقل ما ليس لك به علم فلا تقل رأيت، ولم تر، ولا سمعت، ولم تسمع، ولا علمت ولم تعلم(٤٠٦). وهذا قول قتادة.

الثاني: معناه ولا ترم أحد بما ليس لك به علم، وهذا قول ابن عباس. ومنه قول النبي ﷺ: (٤٠٧) «نحن بني النضر بن كنانة لا نقْفُو أمنا ولا ننتفي من أبينا».

الثالث: أنه من القيافة وهو اتباع الأثر، وكأنه يتبع قفا المتقدم، قال الشاعر(٤٠٨):

وِمثْلُ الدُّمى شُمُّ العَرَانِينِ سَاكِنٌ   بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا

أي التقاذف.

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أُولئك كان عنه مسئولاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الإنسان هو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد لأنه يعمل بها إلى الطاعة والمعصية.

الثاني: أن السمع والبصر والفؤاد تُسأل عن الإنسان ليكونوا شهوداً عليه، وله، بما فعل من طاعة وما ارتكب من معصية. ويجوز أن يقال أولئك لغير الناس، كما قال جرير(٤٠٩):

---

(٤٠٦) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/٢٢٧) «إن هذه الآية قد دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم ولكنها عامة مخصصة بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظن كالعمل بالعام وبخبر الواحد والعمل بالشهادة والاجتهاد في القبلة وفي جزاء الصيد ونحو ذلك... إلى أن قال.. وأما التوثب على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب والسنة ولكنه قصر صاحب الرأي عن البحث فجاء برأيه فهو داخل تحت هذا النهي دخولاً أولياً لأنه محض رأي في شرع الله وبالناس عن غنى بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله ﷺ» اهـ.

(٤٠٧) رواه ابن ماجه (٢/٢٦) وأحمد (٥/٢١١، ٢١٢) والطيالسي (١٠٤٩) واللفظ الآتي له من حديث الأشعث بن قيس قال قلت يا رسول الله إنا نزعم أنا منكم أو أنكم منا فقال رسول الله ﷺ نحن بنو النضر ابن كنانة لا ننتفي من أبينا ولا نقفو أمنا فقال الأشعث لا أجد أحداً أو أوتى بأحد نفى قريشاً من كنانة إلا جلدته الحد» قال العلامة البوصيري في الزوائد عن إسناد ابن ماجه هذا إسناد صحيح رجالة ثقات لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم.

(٤٠٨) هو النابغة الجعدي والبيت في مجاز القرآن (١/٣٧٩) واللسان (قفو) والطبري (١٥/٧٨).

(٤٠٩) ديوانه: ٥٥١، والطبري (١٥/٨٧) والنقائض (١/٢٥٦) والقرطبي (١٠/٢٦٠).

ذُمَّ المنازِلِ بَعْدَ منزِلةِ اللِّوى والْعَيْش بَعْدَ أُولئكَ الأَيَّامِ

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**ولا تمش في الأرض مَرحاً**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن المرح شدة الفرح بالباطل.

الثاني: أنه الخيلاء في المشي، قاله قتادة.

الثالث: أنه البطر والأشر.

الرابع: أنه تجاوز الإنسان قدره.

الخامس: التكبر في المشي.

﴿**إنّك لن تخرِقَ الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك زجراً له عن تجاوزه الذي لا يدرك به غرضاً.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى له، ومعناه كما أنك لن تخرق الأرض في مشيك، ولن تبلغ الجبال طولاً فإنك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك، إياساً له من بلوغ إرادته.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كررنا في هذا القرآن من المواعظ والأمثال.

الثاني: غايرنا بين المواعظ باختلاف أنواعها.

﴿**ليذكروا**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليذكروا الأدلة.

الثاني: ليهتدوا إلى الحق.

﴿وما يزيدهم الا نفوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نفوراً عن الحق والاتباع له.

الثاني: عن النظر والاعتبار. وفي الكلام مضمر محذوف، وتقديره ولقد صرفنا الأمثال في هذا القرآن.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿قل لو كان مَعَهُ آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغـوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾** فيه وجهان:

أحدهما: لطلبوا إليه طريقاً يتصلون به لأنهم شركاء؛ قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ليتقربوا إليه لأنهم دونه، قاله قتادة.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾

قوله عزوجل: **﴿وإن من شيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وإن من شيء من الأحياء الا يسبح بحمده، فأما ما ليس بحي فلا، قاله الحسن.

الثاني: إن جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي حتى صرير الباب(٤١٠)، قاله إبراهيم.

الثالث: أن تسبيح ذلك ما يظهر فيه من لطيف صنعته وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه، كما قال الشاعر:

تُلْقِي بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَيْثُما انْصَرَفَتْ ... وتَسْتَقِرُّ حَشَا الـرَّائِي بـإرْعَـادِ

كَـأَنَّمَا خُلِقَتْ مِن قِشْـرِ لُؤْلُؤةٍ ... فَكُـلُّ أَكْنَـافِهـا وَجْـهٌ لِمِـرْصَـادِ

---

(٤١٠) وتسبيح كل شيء بحسبه وهو تسبيح حقيقي لا نفقه كما قال ربنا.

وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي جعلنا القرآن حجاباً ليسترك عنهم إذا قرأته.

الثاني: جعلنا القرآن حجاباً يسترهم عن سماعه إذا جهرت به. فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاباً في عدم رؤيتك. قاله الحسن.

والثاني: أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه، قاله قتادة.

الثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى، قاله الزجاج.

﴿مستوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه.

الثاني: أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه، ويكون مستور بمعنى ساتر، وقيل إنها نزلت في بني عبد الدار.

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

قوله عزوجل: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ في هذه النجوى قولان:

أحدهما: أنه ما تشاوروا عليه في أمر النبي ﷺ في دار الندوة.

الثاني: أن هذا في جماعة من قريش منهم الوليد بن المغيرة كانوا يتناجون بما ينفّرون به الناس عن اتباعه ﷺ. قال قتادة: وكانت نجواهم أنه مجنون، وأنه ساحر، وأنه يأتي بأساطير الأولين.

﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجُلاً مسحوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه سحر فاختلط عليه أمره، يقولون ذلك تنفيراً عنه.

الثاني: ان معنى مسحور مخدوع، قاله مجاهد.

الثالث: معناه أن له سحراً، أي رئة، يأكل ويشرب فهو مثلكم وليس بملك، قاله أبو عبيدة، ومنه قول لبيد (٤١١):

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هذَا الأَنَامِ الْمُسَحَّرِ

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وقالوا أئِذا كُنّا عظاماً ورفاتاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الرفات التراب، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: أنه ما أرفت من العظام مثل الفتات، قاله أبو عبيدة، قال الراجز:

صُمَّ الصَّفَا رَفتَ عَنْهَا أُصْلُهُ

قوله عزوجل: ﴿قل كونوا حجارةً أو حديداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه إن عجبتم من إنشاء الله تعالى لكم عظاماً ولحماً فكونوا أنتم حجارة أو حديداً إن قدرتم، قاله(٤١٢) أبو جعفر الطبري.

---

(٤١١) اللسان: سحر، ديوانه ٥٦، مجاز القرآن (١/٣٨١)، البيان والتبيين (١/١٨٩)، الطبري (١٥/٩٦)، القرطبي (١٠/٣٧٣) الحيوان (٥/٣٢٩).

(٤١٢) جامع البيان (١٥/٩٧).

الثاني: معناه أنكم: لو كنتم حجارة أو حديداً لم تفوتوا الله تعالى إذا أرادكم إلا أنه أخرجه مخرج الأمر لأنه أبلغ من الإلزام، قاله علي بن عيسى.

الثالث: معناه لو كنتم حجارة أو حديداً لأماتكم الله ثم أحياكم.

﴿أو خَلْقاً ممّا يكبر في صدوركم﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عنى بذلك السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس، قاله مجاهد.

الثاني: أنه أراد الموت لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه وقد قال أمية بن أبي الصلت:

نادوا إلٰهَهُمُ ليسرع خلقهم ... وللموت خلق للنفوس فظيعُ

وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص.

الثالث: أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدورهم قاله الكلبي.

الرابع: ما يكبر في صدوركم من جميع ما استعظمتموه من خلق الله تعالى، فإن الله يميتكم ثم يحييكم ثم يبعثكم، قاله قتادة(٤١٣).

﴿... فسينغضون إليك رءُوسَهُم﴾ قال ابن عباس وقتادة، أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيباً، قال الشاعر(٤١٤):

قلت لها صلي فقالت مِضِّ ... وحركت لي رأسها بالنغضِ

قوله عزوجل: ﴿يَوْمَ يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ في قوله تعالى يدعوكم قولان:

أحدهما: أنه نداء كلام يسمعه جميع الناس يدعوهم الله بالخروج فيه إلى أرض المحشر.

الثاني: أنها الصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم إلى الاجتماع في أرض القيامة.

(٤١٣) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٥/٤٤) فإن قيل كيف قيل لهم ﴿كونوا حجارة أو حديداً﴾ وهم لا يقدرون على ذلك ففيه جوابان أحدهما: إن قدرتم على تغيّر حالاتكم فكونوا حجارة أو أشدّ منها فإنا نميتكم وننفّذ أحكامنا فيكم ومثل هذا قولك للرجل اصعد إلى السماء فإني لاحقك والثاني تصوروا أنفسكم حجارة أو أصلب منها فإنّا سنبيدكم.

(٤١٤) اللسان (مضض).

وفي قوله: ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أربعة أوجه:

أحدها: فتستجيبون حامدين لله تعالى بألسنتكم.

الثاني: فتستجيبون على ما يقتضي حمد الله من أفعالكم.

الثالث: معناه فستقومون من قبوركم بحمد الله لا بحمد أنفسكم.

الرابع: فتستجيبون بأمره، قاله سفيان وابن جريج.

﴿وتظنون إن لبثتم إلاّ قليلاً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: إن لبثتم إلا قليلاً في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة، قاله الحسن.

الثاني: معناه الاحتقار لأمر الدنيا حين عاينوا يوم القيامة، قاله قتادة.

الثالث: أنهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور.

الرابع: أنهم بين النفختين يرفع عنهم العذاب فلا يعذبون، وبينهما أربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليلة؛ قاله الكلبي.

الخامس: أنه لقرب الوقت، كما قال الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه تصديق النبي ﷺ فيما جاء به.

﴿إنّ الشيطان ينزغُ بينهم﴾ في تكذيبه.

الثاني: أنه امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه، قاله الحسن.

الثالث: أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابع: أن يرد خيراً على من شتمه.

وقيل إنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من بعض كفار قريش، فهم به عمر، فأنزل الله تعالى فيه ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا

﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

قوله عزوجل: ﴿إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن يشأ يرحمكم بالهداية أو يعذبكم بالإضلال.

الثاني: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أعدائكم أو يعذبكم بتسلطهم عليكم، قاله الكلبي.

الثالث: إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة(٤١٥)، قاله الحسن.

﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما وكلناك أن تمنعهم من الكفر بالله سبحانه، وتجبرهم على الإيمان به.

الثاني: ما جعلناك كفيلاً لهم تؤخذ بهم، قاله الكلبي، قال الشاعر:

ذكرت أبا أرْوَى فبتُّ كأنني ... بِرَدِّ الأمور الماضيات وكيلُ(٤١٦)

وكيل: أي كفيل.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

قوله عزوجل: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقْرَبُ﴾ الآية فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في نفر من الجن كان يعبدهم قوم من الإنس، فأسلم الجن ابتغاء الوسيلة عند ربهم، وبقي الإنس على كفرهم؛ قاله عبد الله بن مسعود(٤١٧).

---

(٤١٥) أي بالإقامة والإصرار عليها.

(٤١٦) أورده في فتح القدير (٣/ ٢٣٥).

(٤١٧) قال الشوكاني رحمه الله (٣/ ٢٣٧) وهذا رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على أنها =

الثاني: أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب، وهذا مروي عن ابن مسعود أيضاً.

الثالث: هم وعيسى وأُمُّهُ، قاله ابن عباس ومجاهد(*). وهم المعنيّون بقوله تعالى ﴿قلِ ادعُوا الذين زعمتم مِن دونه﴾.

وتفسيرها أن قوله تعالى ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يدعون الله تعالى لأنفسهم.

الثاني: يدعون عباد الله الى طاعته.

وقوله تعالى: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ وهي القربة، وينبني تأويلها على احتمال الوجهين في الدعاء.

فإن قيل إنه الدعاء لأنفسهم كان معناه يتوسلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى ما سألوا.

وإن قيل دعاء عباد الله إلى طاعته كان معناه أنهم يتوسلون لمن دعوه إلى مغفرته.

﴿أيهم أقرَبُ﴾ تأويله على الوجه الأول: أيهم أقرب في الإجابة. وتأويله على الوجه الثاني: أيهم أقرب إلى الطاعة.

﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون هذا الرجاء والخوف في الدنيا.

الثاني: أن يكونا في الآخرة.

فإن قيل إنه في الدنيا احتمل وجهين:

أحدهما: أن رجاء الرحمة التوفيق والهداية، وخوف العذاب شدة البلاء(٤١٨).

= صور الملائكة وعلى طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بإلهية عيسى ابن مريم وعزير فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول لهم أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله وقيل أراد بالذين زعمتم نفراً من الجن عبدهم ناس من العرب وإنما خصصت الآية عن ذكرنا لقوله ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ فإن هذا لا يليق بالجمادات ا هـ قلت وروى البخاري في صحيحه (٨/٣٠١) ومسلم (٤/٤٣٢) عن ابن مسعود الاثر في ذلك فراجعه.

(*) وفي نسخة للمخطوطة: قاله الحسن ومجاهد.

(٤١٨) لم يذكر الوجه الثاني فتنبه.

وإن قيل إن ذلك في الآخرة احتمل وجهين:

أحدهما: أن رجاء الرحمة دوام النعم وخوف عذاب النار.

الثاني: أن رجاء الرحمة العفو، وخوف العذاب مناقشة الحساب.

ويحتمل هذا الرجاء والخوف وجهين:

أحدهما: أن يكون لأنفسهم إذا قيل إن أصل الدعاء كان لهم.

الثاني: لطاعة الله تعالى إذا قيل إن الدعاء كان لغيرهم. ولا يمتنع أن يكون على عمومه في أنفسهم وفيمن دعوه.

قال سهل بن عبدالله: الرجاء والخوف ميزانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر.

قال رسول الله ﷺ(٤١٩) **«لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا»**.

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

قوله عزوجل: **﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الآيات معجزات الرسل جعلها الله تعالى من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذبين.

الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي.

الثالث: أنها تقلُّبُ الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهُّل ثم إلى مشيب، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمْرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رحمه الله.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

(٤١٩) هذا الحديث لم أظفر به مرفوعاً ولكن ظفرت به من قول مطر الوراق كما في حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٠٨/٢)(٧٦/٣).

قوله عزوجل: ﴿وإذ قلنا لك إنّ ربّك أحاط بالناس﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه أحاطت بالناس قدرته فهم في قبضته، قاله مجاهد وابن أبي نجيح.

الثاني: أحاط علمه بالناس، قاله الكلبي.

الثالث: أنه عصمك من الناس أن يقتلوك حتى تبلغ رسالة ربك، قاله الحسن وعروة وقتادة.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها رؤيا عينٍ ليلة(٤٢٠) الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن أبي نجيح وابن زيد، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي ﷺ أنه أُسريَ به.

الثاني: أنها رؤيا نوم رأى فيها أنه يدخل مكة، فعجل النبي ﷺ قبل الوقت يوم الحديبية، فرجع فقال ناس قد كان قال إنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: أنها رؤيا منام رأى فيها قوماً يعلون على منابره ينزون نزو القردة، فساءه، وهذا قول سهل بن سعد(٤٢١). وقيل إنه ما استجمع ضاحكاً حتى مات ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة الزقوم طعام الأثيم(٤٢٢)، وقال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير وطاووس وابن زيد. وكانت فتنتهم بها قول أبي جهل وأشياعه: النار تأكل الشجر فكيف تنبتها.

---

(٤٢٠) وهذا القول هو الراجح رجحه ابن جرير (١٥/ ١١٣) وغيره.

(٤٢١) ولم يصح هذا الأثر وسنده ضعيف جداً (١٥/ ١١٢، ١١٣) ففي سنده محمد بن الحسن بن زياد وهو متروك وكذا شيخه عبد المهيمن بن عباس بن سهل ضعيف جداً وضعّف الأثر الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٣٨).

(٤٢٢) وقد نقل الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٤٠) عن ابن كثير إجماع أهل التأويل على ذلك فلا اعتبار بغيرهم معهم وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٩٩) وهذا هو الصحيح ذكره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين اهـ قلت وساق ابن جرير الإجماع فيه (١٥/ ١١٥).

الثاني : هي الكشوت(٤٢٣) التي تلتوي على الشجر، قاله ابن عباس(٤٢٤) .

الثالث: أنهم اليهود تظاهروا على رسول الله ﷺ مع الأحزاب، قاله ابن بحر.

الرابع : أن النبي ﷺ رأى في منامه قوماً يصعدون المنابر، فشق عليه، فأنزل الله تعالى ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ قاله سعيد بن المسيب.

والشجرة كناية عن المرأة، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . لأحتنكن ذُرِّيته إلاّ قليلاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه لأستولين عليهم بالغلبة، قاله ابن عباس.

الثاني : معناه لأضلنهم بالإغواء.

الثالث: لأستأصلنهم بالإغواء.

الرابع : لأستميلنهم، قاله الأخفش.

الخامس: لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيه حبل يجذبها وهو افتعال من الحنك إشارة الى حنك الدابة.

السادس: معناه لأقطعنهم إلى المعاصي، قال الشاعر(٤٢٥) :

أشْكــو إليــك سَنَــةً قــد أجحفت جـهْـداً إلى جهـدٍ بنــا وأضعـفـت
واحتنكَتْ أمْوالُنا واجتلفت.

---

(٤٢٣) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب الكشوث والتصويب من الطبري (١١٥/١٥) وزاد المسير (٥٦/٥) وقد مر تفسير هذه الشجرة في سورة إبراهيم.

(٤٢٤) قال الآلوسي (١٠٦/١٥) والمعول عليه عند الجمهور رواية الصحيح عن الحبر. قلت يعني قول ابن عباس وهو القول الأول.

(٤٢٥) والراجز هو عطاء بن أسيد والبيت من ملحق ديوان العجاج ص ٦٥ والبيتان الأولان.

نشكــو إليــك سنــة قــد جلفت أمــوالــنــا مــن أصـلهــا وجـرفـت

ومجاز القرآن (٣٨٤/١) والطبري (١١٦/١٥).

وأورده في روح المعاني (١١٠/١٥) وفيه اجلفت بدلاً من اجتلفت ووقع في الرجز تحريف في فتح القدير للشوكاني (٢٤١/٣) فتنبه.

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

قوله عزوجل: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: واستخف، وهذا قول الكلبي والفراء.

الثاني: واستجهل.

الثالث: واستذل من استطعت، قاله مجاهد.

﴿**بصوتك**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه صوت الغناء واللهو، قاله مجاهد.

الثاني: أنه صوت المزمار، قاله الضحاك.

الثالث: بدعائك إلى معصية الله تعالى وطاعتك، قاله ابن عباس.

﴿**وأجلب عليهم بخيلك ورجَلِك**﴾ والجلب هو السوْق بجلبه من السائق، وفي المثل: إذا لم تغلب فأجلب.

وقوله ﴿**بخيلك ورجلك**﴾ أي بكل راكب وماشٍ في معاصي الله تعالى.

﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾ أما مشاركتهم في الأموال ففيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها الأموال التي أصابوها من غير حلها، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالى، قاله الحسن.

الثالث: ما كانوا يحرّمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، قاله ابن عباس.

الرابع: ما كانوا يذبحون لآلهتهم، قاله الضحاك.

وأما مشاركتهم في الأولاد ففيها أربعة أوجه:

أحدها: أنهم أولاد الزنى، قاله مجاهد.

الثاني: أنه قتل الموؤودة من أولادهم، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه صبغة أولادهم في الكفر حتى هوّدوهم ونصّروهم، قاله قتادة.

الرابع: أنه تسمية أولادهم عبيد آلهتهم كعبد شمس وعبد العزّى وعبد اللات، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ربُّكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾ معناه يجريها ويسيرها، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد، قال الشاعر(٤٢٦):

يا أيها الراكب المزجي مطيتُه سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا مَسّكم الضُّرُّ في البحر ضَلَّ من تدعون إلا إياه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بطل من تدعون سواه، كما قال تعالى ﴿أضلَّ أعمالهم﴾ [محمد: ١] أي أبطلها.

الثاني: معناه غاب من تدعون(٤٢٧) كما قال تعالى ﴿أئِذا ضَلَلْنا في الأرض﴾ [السجدة: ١٠] أي غِبْنا.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ

(٤٢٦) هو رويشد بن كثير الطائي (اللسان) صوت.

(٤٢٧) ومن اللطائف أن بعض الناس قال لبعض الأئمة أثبت لي وجود الله ولا تذكر لي الجوهر والعرض فقال له هل ركبت البحر؟ قال نعم قال فهل عصفت الريح قال نعم قال فهل أشرفت بك السفينة على الغرق قال نعم قال فهل يئست من نفع من في السفينة ونحوهم من المخلوقين بك وإنجائهم مما أنت فيه إياك قال نعم قال فهل بقي قلبك متعلقاً بشيء غير أولئك قال نعم قال ذلك هو الله عز وجل راجع روح المعاني (١١٥/١٥).

﴿ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يريد بعض البر وهو موضع حلولهم منه، فسماه جانبه لأنه يصير بعد الخسف جانباً.

الثاني: أنهم كانوا على ساحل البحر، وساحله جانب البر، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر.

﴿أو يُرْسِلَ عليكم حاصباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني حجارة من السماء، قاله قتادة.

الثاني: إن الحاصب الريح العاصف سميت بذلك لأنها تحصب أي ترمي بالحصباء. والقاصف الريح التي تقصف الشجر، قاله الفراء وابن قتيبة.

وقال غيرهما أن العاصف المهلكة في البر، والقاصف المغرقة في البحر.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم..﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: يعني كرمناهم بإنعامنا عليهم.

الثاني: كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولاً وتمييزاً.

الثالث: بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس.

الرابع: بأن يأكلوا ما يتناولونه من الطعام والشراب بأيديهم، وغيرهم يتناوله بفمه، قاله الكلبي ومقاتل.

الخامس: كرمناهم بالأمر والنهي.

السادس: كرمناهم بالكلام والخط.

السابع: كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم (٤٢٨).

---

(٤٢٨) وقيل كرمنا الرجال باللحى والنساء بالذوائب وفيها غير ذلك راجع زاد المسير (٥/٦٢، ٦٣) وقال الشوكاني (٣/٢٤٤) ولا مانع من حمل التكريم المذكور في الآية على جميع هذه الأشياء وأعظم =

﴿. . . ورزقناهُمْ من الطيبات﴾ فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: ما أحله الله لهم.

الثاني: ما استطابوا أكله وشربه.

الثالث: أنه كسب العامل إذا نفع، قاله سهل بن عبد الله.

﴿وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالغلبة والاستيلاء.

الثاني: بالثواب والجزاء.

الثالث: بالحفظ والتمييز.

الرابع: بإصابة الفراسة.

يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

قوله عزوجل: ﴿يوم ندعوا كل أناسٍ بإمامِهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: بنبيِّهم، قاله مجاهد.

الثاني: بكتابهم الذي أنزل عليهم أوامر الله ونواهيه، قاله ابن زيد.

الثالث: بدينهم، ويشبه أن يكون قول قتادة.

الرابع: يكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر، قاله ابن عباس.

الخامس: بمن كانوا يأتمرون به في الدنيا فيتبعونه في خير أو شر، أو على حق، أو باطل، وهو معنى قول أبي عبيدة.

قوله عزوجل: ﴿ومن كان في هذه أعمى . .﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: من كان في الدنيا أعمى عن الطاعة ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن الثواب.

= خصال التكريم العقل فإن به تسلطوا على سائر الحيوانات وميزوا بين الحسن والقبيح وتوسعوا في المطاعم والمشارب وكسبوا الأموال التي تسببوا بها الى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر والبرد ا هـ.

الثاني: ومن كان في الدنيا أعمى عن الاعتبار ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن الاعتذار.

الثالث: ومن كان في الدنيا أعمى عن الحق ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن الجنة.

الرابع: ومن كان في تدبير دنياه أعمى فهو في تدبير آخرته أعمى(٤٢٩) ﴿وأضل سبيلاً﴾.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما روى سعيد بن جبير أن النبي(٤٣٠) ﷺ كان يستلم الحجر في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال: «ما عليّ أن ألمَّ بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر والله يعلم أني لها كاره» فأبى الله تعالى وأنزل عليه هذه الآية، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: ما روى ابن عباس(٤٣١) أن ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجِّلْنا سنة حتى نأخذ

---

(٤٢٩) فائدة: قال ابن الجوزي رحمه الله (٥/٦٦) فإن قيل لم قال ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ ولم يقل أشد عمى لأن العمى خلقة بمنزلة الحمرة والزرقة والعرب تقول ما أشد سواد زيد وما أبين زرقة عمرو وقلما يقولون ما أسود زيداً وما أزرق عمراً..

فالجواب أن المراد بالعمى عمى القلب وذلك يزداد ويحدث منه شيء بعد شيء فيخالف الخلقة اللازمة التي لا تزيد نحو عمى العين والبياض والحمرة ذكره ابن الأنباري.

(٤٣٠) وهذا الخبر باطل إذ كيف يظن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هم بمس أصنام المشركين.

(٤٣١) ولم يصح هذا الخبر عن ابن عباس فقد رواه ابن جرير (١٥/ ١٣٠) وإسناده مسلسل بالضعفاء. ولهذا قال ابن الجوزي تعقيباً على القول الأول والثاني هنا (٥/٦٧/ ٦٨) وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ ولا ما ذكرنا عن عطية من أنه هم أن ينظرهم سنة وكل ذلك محال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رووا عنه راجع روح المعاني (١٥/ ١٢٨).

ما نُهدي لآلهتنا، فإذا أخذناه كسرنا آلهتنا وأسلمْنا، فهمّ رسول الله ﷺ أن يطيعهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لتدّعي علينا غير وحينا.

الثاني: لتعتدي في أوامرنا.

﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صديقاً، مأخوذ من الخُلة بالضم وهي الصداقة لممالأته لهم.

الثاني: فقيراً، مأخوذ من الخلة بالفتح وهي الفقر لحاجته إليهم.

قوله عز وجل: ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ فيه قولان:

أحدهما: لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، حكاه الطبري(٤٣٢):

وفي المراد بالضِّعف ها هنا وجهان:

أحدهما: النصيب، ومنه قوله تعالى ﴿لكل ضِعفٌ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي نصيب.

الثاني: مثلان، وذلك لأن ذنبك أعظم.

وفيه وجه ثالث: أن الضعف هو العذاب يسمى ضعف لتضاعف ألمه، قاله أبان بن تغلب وأنشد قول الشاعر(٤٣٣):

لمقتل مالكٍ إذ بان مني ... أبيتُ الليل في ضعفٍ أليم

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»(٤٣٤).

---

(٤٣٢) جامع البيان (١٢/١٣٢).

(٤٣٣) أورده في روح المعاني (١٥/١٢٩).

(٤٣٤) هذا الأثر مرسل من مرسلات قتادة.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن كادوا ليستفزونك مِنَ الأرض ليخرجوك منها﴾ في قوله ﴿ليستفزّونك﴾ وجهان:

أحدهما: يقتلونك، قاله الحسن.

الثاني: يزعجونك باستخفافك، قاله ابن عيسى. قال الشاعر:

يُطِيعُ سَفِيهَ القَوْمِ إذ يَسْتَفِزُّهُ ... ويعْصِي حَكِيماً شَيَّبَتْهُ الْهَزَاهِزُ

وفي قوله ﴿ليخرجوك منها﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود أرادوا أن يخرجوا رسول الله ﷺ من المدينة، فقالوا: إن أرض الأنبياء هي الشام وإن هذه ليست بأرض الأنبياء(٤٣٥)، قاله سليمان التيمي.

الثاني: أنهم قريش هموا بإخراج النبي ﷺ من مكة قبل الهجرة، قاله قتادة.

الثالث: أنهم أرادوا إخراجه من جزيرة العرب كلها لأنهم قد أخرجوه من مكة.

الرابع: أنهم أرادوا قتله ليخرجوه من الأرض كلها، قاله الحسن.

﴿وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً﴾ يعني بعدك، يقال خلْفك وخلافك وقد قرئا جميعاً بمعنى بعدك، ومنه قول الشاعر(٤٣٦):

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلَافَها فَكَأَنَّمـا ... بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُم حَصِيرا

وقيل خلفك بمعنى مخالفتك، ذكره ابن الأنباري.

﴿إلا قليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر، وهذا قوله من ذكر أنهم قريش.

(٤٣٥) وقد ضعّف هذا القول العلامة ابن كثير في تفسيره (٣/٥٣) وقال: وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكن المدينة بعد ذلك.

(٤٣٦) مجاز القرآن (١/٣٨٧) واللسان (خلف) وفيه عقب الربيع والطبري (١٥/١٣٣).

الثاني: ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

قوله عزوجل: ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل**﴾

أما دلوك الشمس ففيه تأويلان:

أحدهما: أنه غروبها، وأن الصلاة المأمور بها صلاة المغرب، ومنه قول ذي الرمة(٤٣٧):

مصابيح ليست باللواتي تقودها ... نجومٌ ولا بالآفلات الدوالك

قاله ابن مسعود(٤٣٨) وابن زيد، ورواه مجاهد عن ابن عباس، وهو مذهب أبي حنيفة.

الثاني: أنه زوالها، والصلاة المأمور بها صلاة الظهر، وهذا قول ابن عباس في رواية الشعبي عنه، وهو قول أبي بردة والحسن وقتادة ومجاهد، وهو مذهب الشافعي ومالك لرواية أبي بكر بن عمرو بن حزم عن ابن مسعود(٤٣٩) وعقبة بن عامر قالا: قال رسول الله ﷺ «**أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر**» وقال الشاعر(٤٤٠):

---

(٤٣٧) ديوانه (٥١١) واللسان (دلك) وغريب القرآن (٢٦٠) والقرطبي (١٠/٣٠٣).

(٤٣٨) رواه الطبري (١٥/١٣٤) والحاكم (٢/٣٦٣) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٥/١٩٥) نسبته لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود . وقال الهيثمي في المجمع (٧/٥١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٤٣٩) كذا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب رواية أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبي مسعود عقبة بن عمرو والتصويب من الطبري (١٥/١٣٧) قلت قال الحافظ في تخريج الكشاف (ص١٠١) أخرجه البيهقي من طريقه أيوب عن عتبة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عروة عن ابن مسعود.

(٤٤٠) مجاز القرآن (١/٣٨٧)، نوادر أبي زيد (ص ٨٨)، الطبري (١٥/١٣٦) اللسان (برح).

هـــذا مُـقـــام قَـــدَمـــي ربـــاح ذَيّـــبَ حـــتـــى دَلَـــكـــت بَـــراح

وبـراح اسم الشمس، والباء التي فيـه من أصل الكلمـة، وذهب بعض أهل العربية إلى أن الباء التي فيها باء الجر، واسم الشمس راح.

فمن جعل الدلوك اسماً لغروبها فلأن الإنسان يدلك عينيه براحته لتبينها، ومن جعله اسماً لزوالها فلأنه يدلك عينيه براحته لشدة شعاعها. وقيل إن أصل الدلوك في اللغة هو الميل، والشمس تميل عند زوالها وغروبها فلذلك انطلق على كل واحدٍ منهما.

وأما ﴿غسق الليل﴾ ففيه تأويلان:

أحدهما: أنه ظهور ظلامه، قاله الفراء وابن عيسى، ومنه قول زهير:

ظَلَّت تَجُودُ يَدَاها وهِـيَ لاَهِيَةٌ حتى إذا جَنَحَ الإظْـلاَمُ والغَسَقُ

الثاني: أنه دنوّ الليل وإقباله، وهو قول ابن عباس وقتادة. قال الشاعر(٤٤١):

إن هـــذا الـــلـيـــل قـــد غـــســـقـــا ....

وفي الصلاة المأمور بها قولان:

أحدهما: أنها صلاة المغرب، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحـاك:

الثاني: هي صلاة العشاء الآخرة، قاله أبو جعفر الطبري(٤٤٢).

ثم قال ﴿وقرآن الفَجْر إنّ قرآن الفجْر كان مشهوداً﴾ في ﴿قرآن﴾ تأويلان:

أحدهما: أقم القراءة في صلاة الفجر، وهذا قول أبي جعفر(٤٤٣) الطبري:

الثاني: معناه صلاة الفجر، فسماها قرآناً لتأكيد القراءة في الصلاة، وهذا قول أبي اسحاق الزجاج.

﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن من الحكمة أن تشهده بالحضور إليه في المساجد، قاله ابن بحر.

الثاني: أن المراد به ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**تشهده ملائكة**

---

(٤٤١) هو عبدالله بن قيس وبقية البيت «واشتكيت الهم والأرقا» راجع الطبري (١٥/ ١٣٨) وفيه آب هذا الليل قد عسفا. ورواية البيت في اللسان (غسق) كما أورده المؤلف هنا.

(٤٤٢) جامع البيان (١٥/ ١٣٩) ولكن الذي فيه (وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عن غسق الليل هي صلاة المغرب دون غيرها).

(٤٤٣) جامع البيان (١٥/ ٣٩).

الليل وملائكة النهار»(٤٤٤) وفي هذا دليل على أنها ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار.

قوله عزوجل: **﴿ومن الليـل فتهجد بـه نافلة لـك﴾** أما الهجـود فمن أسماء الأضـداد، وينطلق على النـوم وعلى السهر، وشـاهـد انـطلاقـه على السهـر قـول الشاعر(٤٤٥):

ألا زارت وأهْـلُ مِنىً هُـجُـود وليْتَ خَـيَـالَهَـا بِـمِنـىً يعُـود

وشاهد انطلاقه على النوم قول الشاعر(٤٤٦):

أَلا طَـرَقَتْنَـا والـرِّفَـاقُ هُجُـود فَبَـاتَتْ بِعُـلَّات النّـوالِ تجـود

أما التهجد فهو السهر، وفيه وجهان:

أحدهما: السهر بالتيقظ لما ينفي النوم، سواء كان قبل النوم أو بعده.

الثاني: أنه السهر بعد النوم، قاله الأسود(٤٤٧) بن علقمة.

وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره: فتهجد بالقرآن وقيام الليل نافلة أي فضلاً وزيادة على الفرض.

وفي تخصيص النبي ﷺ بأنها نافلة له ثلاثة أوجه:

أحدها: تخصيصاً له بالترغيب فيها والسبق إلى حيازة فضلها، لاختصاصها بكرامته، قاله علي بن عيسى.

الثاني: لأنها فضيلة له، ولغيره كفارة، قاله مجاهد.

الثالث: لأنها عليه مكتوبة ولغيره مستحبة، قاله ابن عباس.

﴿عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

---

(٤٤٤) رواه الطبري واللفظ له (١٥/١٣٩) وأحمد (١٣/٢٣٨) وابن ماجه (١/٢٢٠) والنسائي (١/٢٤١) والترمذي (٢/١٤١) وقال حسن صحيح. وبلفظ آخر قريب رواه البخاري (٨/٣٠٢) ومسلم (١/٤٥٠) عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه تفضل صلاة الجمع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة قال وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾. قلت وقد روى ابن جرير (١٥/١٤١) الجزء الأخير من حديث البخاري.

(٤٤٥) فتح القدير (٣/٢٥٦).

(٤٤٦) الطبري (١٥/١٤١).

(٤٤٧) أخشى أن يكون الأسود وعلقمة فإن الطبري رواه عنهما معاً في (١٥/١٤٢).

أحدها: أن المقام المحمود الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله حذيفة بن اليمان(٤٤٨).

الثاني: أنه إجلاسه على عرشه يوم القيامة(٤٤٩)، قاله مجاهد.

(٤٤٨) رواه الطبري (١٤٥/١٥) وزاد السيوطي في الدر (٣٢٥/٥) نسبته لابن أبي شيبة والنسائي والبزار وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وأبي نعيم في الحلية وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور والخطيب في المتفق والمفترق وقد صحح الأثر الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٩٩/٨) من رواية النسائي وهذا القول هو الصحيح لأن الخبر يؤيده ورجحه ابن جرير (١٤٥/١٥) وغيره وقال الواحدي وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وقال الشوكاني والأحاديث الصحيحة الواردة في تعيين هذا المقام المحمود متواترة فالمصير إليها فتح القدير (٢٢/٣).

(٤٤٩) وقول مجاهد هذا سنفصل القول فيه. فنقول بالله المستعان ورد هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً.

فمرفوعاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أورده الذهبي في العلو ص ٥٥ من طريق سلمة بن الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود قال الذهبي وهذا حديث منكر لا يفرح به وسلمة هذا متروك الحديث وأشعث لم يلحق ابن مسعود ا هـ وقال الألباني عن هذا الخبر باطل السلسلة الضعيفة ٨٦٥ ثم أشار إلى أن الحديث موصول من طريق آخر عن ابن مسعود ولا يصح أيضاً ثم أحال عليه برقم ٥١٦٠ ورواه الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعاً كما في الدر (٣٢٨/٥) ولا أدري حال سنده.

ورواه الطبراني عن ابن عباس موقوفاً كما في المجمع (٥١/٤) وقال الهيثمي فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن جبير وله طريق آخر عن ابن عباس أشار إليه الذهبي في العلو وفي سنده عمرو بن مدرك الرازي وهو متروك وجويبر المفسر وهو متروك ولذلك قال الذهبي إسناده ساقط ويروى مرفوعاً وهو باطل.

وورد من قول عبد الله بن سلام وقال الذهبي عن أثر ابن سلام «موقوف ولا يثبت» إنما هذا شيء قاله مجاهد.

وأما أثر مجاهد فقال الذهبي في العلو ص ٧٣.

لهذا القول طرق خمسة وأخرجه ابن جرير (١٤٥/١٥) في تفسيره وعمل فيه المروزي مصنفاً ا هـ قلت وفي سند ابن جرير ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مخلط.

قال الإمام ابن عبد البر كما نقله الشوكاني في فتح القدير (٢٥٢/٣) «مجاهد وإن كان أحد الأئمة بالتأويل فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم. أحدهما هذا والثاني تأويل وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. قال معناه تنتظر الثواب وليس من النظر ا هـ

قلت يشير رحمه الله بقوله هذا إلى تفسير المقام المحمود بإجلاسه ﷺ على العرش.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة مجاهد في الميزان (٤٢٩/٣) ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال يجلسه معه على العرش ا هـ. وقد نسب إلى الإمام الدارقطني أنه قال:

حديث الشفاعة في أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده
فأما حديث بإقعاده ... على العرش فلا نجحده =

الثالث: أنه إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن يكون المقام المحمود شهادته على أمته بما أجابوه من تصديق أو تكذيب، كما قال تعالى ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وقل ربِّ أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مُخرج صدق﴾** فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أن مدخل الصدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها، ومخرح صدق بخروجه من مكة حين هاجر منها، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: أدخلني مدخل صدق إلى الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة، قاله الحسن.

الثالث: أدخلني مدخل صدق فيما أرسلتني به من النبوة، وأخرجني منه بتبليغ الرسالة مخرج صدق، وهذا قول مجاهد.

الرابع: أدخلني في الإسلام مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق، قاله أبو صالح.

الخامس: أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق آمناً، قاله الضحاك.

= أقول لم يصح نسبته القول إلى الدارقطني كما أشار إلى ذلك العلامة الألباني (٢/ ٢٥٦) ونقل الشوكاني (٣/ ٢٥٢) عن النقاش قوله عن أبي داود السجستاني أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث اهـ.

قلت وهذا إن ثبت الحديث فإنه لم يثبت هذا الحديث فلا داعي للتمسك به فضلاً عن اتهام منكره في دينه ومن الغلو الفاحش قول بعض المحدثين لو أن حالفاً حلف بالطلاق أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني لقلت له صدقت وبررت قال الحافظ الذهبي رحمه الله متعقباً هذا القول: «فابصر حفظك الله من الهوى كيف آل الغلو بهذا المحدث الى وجوب الأخذ بأثر منكر واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ اهـ. وقول الذهبي في العلو أي الذي يليق بكمال الله من غير مكان ولا جهة.

السادس: أدخلني في قبري مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق، قاله ابن عباس.

السابع: أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مدخل صدق، وأخرجني مما نهيتني عنه من معاصيك مخرج صدق، قاله بعض المتأخرين.

والصدق ها هنا عبارة عن الصلاح وحسن العاقبة.

﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني مُلكاً عزيزاً أقهر به العصاة، قاله قتادة.

الثاني: حجة بيّنة، قاله مجاهد.

الثالث: أن السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أن يجمع له بين القلوب بالدين وبين قهر الأبدان بالسيف.

قوله عزوجل: **﴿وقُلْ جاء الحق وزهق الباطل﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: أن الحق عبادة الله تعالى والباطل عبادة الأصنام، قاله مقاتل بن سليمان.

الثالث: أن الحق الجهاد، والباطل الشرك، قاله ابن جريج.

﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ أي ذاهباً هالكاً، قال الشاعر:

ولقدْ شفَى نفسي وأبْرأ سُقْمَهَا ... إقدامُهُ قهْراً لـه لَمْ يَـزْهَق

وحكى قتادة(٤٥٠) أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة ورأى فيها التصاوير أمر بثوب فبُل بالماء وجعل يضرب به تلك التصاوير ويمحوها ويقول **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

---

(٤٥٠) وقد روى البخاري (٨/٣٠٣) ومسلم(٣/١٤٠٨) والترمذي(٢/١٤٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنهاويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

قوله عز وجل ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى.

الثاني: شفاء من السقم، (٤٥١) لما فيه من البركة.

الثالث: شفاء من الفرائض والأحكام، لما فيه من البيان.

وتأويل الرحمة ها هنا على الوجوه الأُوَلِ الثلاثة:

أحدها: أنها الهدى.

الثاني: أنها البركة.

الثالث: أنها البيان.

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يزيدهم خساراً لزيادة تكذيبهم.

الثاني: يزيدهم خساراً لزيادة ما يرد فيه من عذابهم.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إذا أنعمنا عليه بالصحة والغنى أعرض ونأى وبعد من الخير.

الثاني: إذا أنعمنا عليه بالهداية أعرض عن السماع وبعُد من القبول وفي قوله ﴿ونأى بجانبه﴾ وجهان:

أحدهما: أعجب بنفسه، لأن المعجب نافر من الناس متباعد عنهم.

الثاني: تباعد من ربه.

﴿وإذا مَسّهُ الشر كان يئوساً﴾ يحتمل إياسه من الفرج إذا مسه الشر وجهين:

أحدهما: بجحوده وتكذيبه.

الثاني: بعلمه بمعصيته أنه معاقب على ذنبه.

وفي ﴿الشر﴾ ها هنا ثلاثة تأويلات:

(٤٥١) ولا مانع من حمل الآية على الشفاعتين راجع تفسير الشوكاني (٣/٢٥٢).

أحدها: أنه الفقر، قاله قتادة.

الثاني: أنه السقم، قاله الكلبي.

الثالث: السيف، وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿قُلْ كلٌّ يعمل على شاكلته﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: على حِدّته، قاله مجاهد.

الثاني: على طبيعته، قاله ابن عباس.

الثالث: على بيته، قاله قتادة.

الرابع: على دينه، قاله ابن زيد.

الخامس: على عادته.

السادس: على أخلاقه.

﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحسن ديناً.

الثاني: أسرع قبولاً.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس. كما قال تعالى ﴿نـزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣].

الثاني: ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك، قاله علي بن أبي طالب(٤٥٢) رضي الله عنه.

الثالث: أنه القرآن، قاله الحسن، كما قال تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً

---

(٤٥٢) رواه ابن جرير (١٥/ ١٥٦) وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٣٣١) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات وإسناده ضعيف ففي سنده مجهول.

قال الآلوسي في روح المعاني (١٥/ ١٥٢) ولا يصح عن علي كرم الله وجهه.

من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢] فيكون معناه أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني.

الرابع: أنه عيسى ابن مريم (٤٥٣) هو من أمر الله تعالى وليس كما ادعته النصارى أنه ابن الله، ولا كما افترته اليهود أنه لغير رشدة.

الخامس: أنه روح الحيوان، (٤٥٤) وهي مشتقة من الريح. قال قتادة سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبيّ فقال الله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ فلم يجبهم عنها فاحتمل ذلك ستة أوجه:

أحدها: تحقيقاً لشيء إن كان في كتابهم.

الثاني: أنهم قصدوا بذلك الإعنات كما قصدوا اقتراح الآيات.

الثالث: لأنه قد يتوصل إلى معرفته بالعقل دون السمع.

الرابع: لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سؤال ما لا يعني.

الخامس: قاله بعض المتكلمين، أنه لو أجابهم عنها ووصفها؛ بأنها جسم (٤٥٥) رقيق تقوم معه الحياة؛ لخرج من شكل كلام النبوة، وحصل في شكل كلام الفلاسفة. فقال ﴿من أمر ربي﴾ أي هو القادر عليه.

السادس: أن المقصود من سؤالهم عن الروح أن يتبين لهم أنه محدث أو قديم، فأجابهم بأنه محدث لأنه قال: ﴿من أمر ربي﴾ أي من فعله وخلقه، كما قال تعالى ﴿إنما أمرنا لشيء﴾.

---

(٤٥٣) وقد نقل ابن الجوزي رحمه الله قول أبي الحسن الماوردي هذا في تفسيره زاد المسير (٨٢/٥) ثم عقبه بكلام لأبي سليمان الدمشقي قال [القائل أبوسليمان] «وقد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن فغالب الظن أن الناقلين نقلوا تفسيره [أي تفسير الماوردي للروح] من موضعه إلى موضع لا يليق به وظنوه مثله وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم.

(٤٥٤) وهو القول المشهور وقد اختاره ابن جرير (١٥٥/١٥) واستظهره الشوكاني (٢٥٤/٣) ورجحه ابن حجر في الفتح (٤٠٣/٨) وحكاه الألوسي في روح المعاني عن الجمهور (١٥١/١٥) وجنح ابن القيم في كتابه الروح الى تفسير الروح بأن الروح الذي يقوم مع الملائكة عليهم السلام كما في قوله﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون﴾ ونقل ابن القيم عن بعض السلف هذا القول لكن الحافظ ابن حجر تعقبه في (٤٠٣/٨) الفتح والألوسي في روح المعاني (١٥٢/١٥).

(٤٥٥) ومن فضول الاقوال البحث في ماهيتها وقد استأثر الله تعالى بعلم كنهها وحقيقتها فلا طائل تحت الأقوال التي أوصلها بعض المفسرين إلى مائة وثمانية عشر قولاً.

فعلى هذا الوجه يكون جواباً لما سألوه، ولا يكون على الوجوه المتقدمة جواباً.

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا قليلاً من معلومات الله.

الثاني: إلا قليلاً بحسب ما تدعو الحاجة إليه حالاً فحالاً.

وفيمن أريد بقوله تعالى: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** قولان:

أحدهما: أنهم اليهود خاصة(٤٥٦)، قاله قتادة.

الثاني: النبي ﷺ وسائر الخلق.

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾** فيه وجهان:

أحدهما: لأذهبناه من الصدور والكتب حتى لا يقدر عليه(٤٥٧).

الثاني: لأذهبناه بقبضك إلينا حتى لا ينزل عليك.

﴿ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلاً﴾ فيه وجهان:

---

(٤٥٦) وهو قول الأكثرين كما قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٨٢) ولا تنس أن الخطاب يراد به جميع الخلق واختاره ابن جرير (١٥/١٥٧) وعلى هذا يكون القول الراجح الثاني دون الاول.

(٤٥٧) وقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وصححه البوصيري والحاكم (٤/٤٧٣، ٥٤٥). على شرط مسلم وقواه ابن حجر في الفتح (١٣/٨٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ولُيسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية... الحديث وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة وانت تعلم ايها القارىء أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وقد فسر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله قول السلف وإليه يعود برفع القرآن الوارد في هذا الحديث السابق فراجعه في الفتاوى. وقد وردت أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة في رفع القرآن من الصدور قبل قيام الساعة راجعها في الدر (٥/٣٣٤ ـ ٣٣٦) وروح المعاني (١٥/١٦٥).

أحدهما: أي لا تجد من يتوكل في رده إليك، وهو تأويل من قال بالوجه الأول.

الثاني: لا تجد من يمنعنا منك، وهو تأويل من قال بالوجه الثاني.

﴿إلاّ رحمة من ربك﴾ أي لكن رحمة من ربك أبقاك له وأبقاه عليك.

﴿إنّ فضله كان عليك كبيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جزيلاً لكثرته.

الثاني: جليلاً لعظيم خطره.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ التفجير تشقيق الأرض لينبع الماء منها، ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود الصبح، ومنه سمي الفجور لأنه شق الحق بالخروج إلى الفساد.

والينبوع: العين التي ينبع منها الماء، قال قتادة ومجاهد: طلبوا عيوناً ببلدهم.

﴿أو تكون لك جنةٌ من نخيلٍ وعنب﴾ سألوا ذلك في بلد ليس ذلك فيه.

﴿أو تسقط السماء كمْ زعمت علينا كسفاً﴾ أي قطعاً. قرىء(٤٥٨) بتسكين السين وفتحها،(٤٥٩) فمن قرأ بالتسكين أراد السماء جميعها، ومن فتح السين جعل المراد به بعض السماء، وفي تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: يعني حيزاً، حكاه ابن الأنباري، ولعلهم أرادوا به مشاهدة ما فوق السماء.

(٤٥٨) وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو وحمزة والكسائي، زاد المسير (٥/٨٧) والمبسوط في القراءات ص ٢٧٢.

(٤٥٩) وهي قراءة أبي عامر، زاد المسير (٥/٨٧) المبسوط ص (٢٧٢).

الثاني: يعني قطعاً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. والعرب تقول: أعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه. ومن هذا الكسوف لانقطاع النور منه، وعلى الوجه الثاني لتغطيته بما يمنع من رؤيته.

﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني كل قبيلة على حدتها، قاله الحسن.

الثاني: يعني مقابلة، نعاينهم ونراهم(٤٦٠)، قاله قتادة وابن جريج.

الثالث: كفيلاً، والقبيل الكفيل، من قولهم تقبلت كذا أي تكفلت به، قاله ابن قتيبة.

الرابع: مجتمعين، مأخوذ من قبائل الرأس لاجتماع بعضه إلى بعض ومنه سميت قبائل العرب لاجتماعها، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: **﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أن الزخرف النقوش، وهذا قول الحسن.

الثاني: أنه الذهب، وهذا قول ابن عباس وقتادة، قال مجاهد: لم أكن أدري ما الزخرف حتى سمعنا في قراءة عبدالله: بيت من ذهب.

وأصله من الزخرفة وهو تحسين الصورة، ومنه قوله تعالى **﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾** [يونس: ٢٤].

والذين سألوا رسول الله ﷺ ذلك نفر من قريش قال ابن عباس: هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والأسود بن عبد المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبدالله بن أمية والعاص بن وائل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

---

(٤٦٠) وشاهده قول الأعشى في ديوانه ٢٥٦.

لصالحكم حتى تبوأوا بمثلها كصرخة حبلى بسرتها قبيلها =

قوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ يعني برسول الله ﷺ.

﴿إذ جاءَهم الهُدى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: القرآن.

الثاني: الرسول.

﴿إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾ وهذا قول كفار قريش أنكروا أن يكون البشر رُسُل الله تعالى، وأن الملائكة برسالاته أخص كما كانوا رسلاً إلى أنبيائه، فأبطل الله تعالى عليهم ذلك بقوله:

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ يعني أن الرسول إلى كل جنس يأنس بجنسه، وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكاً لنفروا من مقاربته ولما أنسوا به ولداخلهم من الرهب منه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم من سؤاله، فلا تعمّ المصلحة. ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، وعادوا إلى مثل حالهم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ومن يهد الله فهو المهتدِ﴾ معناه من يحكم الله تعالى بهدايته فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته.

﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ومن يحكم بضلاله فلن تجد له أولياء من دونه في هدايته.

الثاني: ومن يقض الله تعالى بعقوبته لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه.

﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم، من قول العرب: قدم القوم على وجوههم إذا أسرعوا.

الثاني: أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم(٤٦١) كمن يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه.

﴿عُمْياً وبكماً وصماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم حشروا في النار عُمي الأبصار بُكم الألسن صُمّ الأسماع ليكون ذلك زيادة في عذابهم، ثم أبصروا لقوله تعالى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ [الكهف: ٥٣] وتكلموا لقوله تعالى ﴿دَعوا هنالك ثبوراً﴾ [الفرقان: ١٣] وسمعوا، لقوله تعالى ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ [الفرقان: ١٢].

وقال مقاتل بن سليمان: بل إذا قال لهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمُون﴾ [المؤمنون: ١٨] صاروا عمياً لا يبصرون، صُمّاً لا يسمعون، بكماً لا يفقهون.

الثاني: أن حواسهم على ما كانت عليه، ومعناه عمي عما يسرّهم، بكم عن التكلم بما ينفعهم، صم عما يمتعهم، قاله ابن عباس والحسن.

﴿مأواهم جهنم﴾ يعني مستقرهم جهنم.

﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كلما طفئت أوقدت، قاله مجاهد.

الثاني: كلما سكن التهابها زدناهم سعيراً والتهاباً، قاله الضحاك، قال الشاعر(٤٦٢):

وكُنّا كَالحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً ... فَيَخْبُو سَاعَةً ويَهُبُّ سَاعا

وسكون التهابها من غير نقصان في آلامهم ولا تخفيف من عذابهم.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ

(٤٦١) ويؤيده ما رواه البخاري (٣٧٨/٨) ومسلم (٢١٦١/٤) من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال «إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

(٤٦٢) هو القطامي والبيت في ديوانه: ٣٩ واللسان (سرع) ومجاز القرآن (٣٩١/١) والطبري (١٦٨/١٥) وقد اقتصر على عجز البيت.

﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن الأرض الأرزاق، قاله الكلبي.

الثاني: خزائن النعم، وهذا أعم.

﴿إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأمسكتم خشية الفقر، والإنفاق الفقر، قاله قتادة وابن جريج.

الثاني: يعني أنه لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله تعالى لما جاد بها كجود الله تعالى لأمرين:

أحدهما: أنه لا بدّ أن يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته.

الثاني: أنه يخاف الفقر ويخشى العدم، والله عز وجل يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين.

﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مقتراً، قاله قطرب والأخفش.

الثاني: بخيلاً، قاله ابن عباس وقتادة.

واختلف في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في المشركين خاصة، قاله الحسن.

الثاني: أنها عامة، وهو قول الجمهور.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسْع آيات بيناتٍ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنها يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس، والأخرى الحجر، قاله محمد بن كعب القرظي.

الثالث: أنها نحو من ذلك، وزيادة السنين ونقص من الثمرات، وهو قول الحسن.

الرابع: ما روى صفوان بن عسال[٤٦٣] عن النبي ﷺ أن قوماً من اليهود سألوه عنها فقال: «**لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء الى السلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفرُّوا من الزحف. وأنتم يا يهود خاصة لا تعدُوا في السبت**» فقبلوا يده ورجله.

﴿**فاسأل بني إسرائيل..**﴾ وفي أمره بسؤالهم وإن كان خبر الله أصدق من خبرهم ثلاثة أوجه:

أحدها: ليكون ألزم لهم وأبلغ في الحجة عليهم.

الثاني: فانظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل فهو سؤالهم، قاله الحسن.

الثالث: إنه خطاب لموسى عليه أن يسأل فرعون في إطلاق بني إسرائيل قاله ابن عباس.

وفي قوله ﴿.. **إني لأظنك يا موسى مسحوراً**﴾ أربعة أوجه:

---

(٤٦٣) رواه ابن جرير (١٥/١٧٢، ١٧٣) والترمذي (٢٧٣٤) وصححه وأحمد (٤/٢٣٩) وابن ماجه (٣٧٠٥) وقال الحافظ في تخريج الكشاف رواه الحاكم وأحمد وإسحاق وأبي يعلى والطبراني كلهم من رواية عبدالله بن مسلمة عن صفوان وعبدالله بن سلمة كبر فساء حفظه فالسند ضعيف اهـ وزاد السيوطي في الدر (٥/٣٢٤) نسبته للطيالسي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن قانع وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل وبعد ما تقدم من تضعيف الحافظ للحديث رأيت أن الإمام النووي في رياض الصالحين ص ٣٨٥ قال «رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحة وقال الحافظ ابن كثير (٣/٦٧) وهو حديث مشكل وعبدالله بن سلمة أحد الرواة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم.

أحدهـا: قد سُحرت لما تحمل نفسك عليه من هذا القول والفعل المستعظمين.

الثاني: يعني ساحراً لغرائب أفعالك.

الثالث: مخدوعاً.

الرابع: مغلوباً: قاله مقاتل.

﴿... وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: مغلوباً، قاله الكلبي ومقاتل. وقال الكميت (٤٦٤):

وَرَأَتْ قُضَاعَةُ في الأَيَا مِنِ رَأْيَ مَثْبُورٍ وَثَابِرِ

الثاني: هالك، وهو قول قتادة.

الثالث: مبتلى، قاله عطية.

الرابع: مصروفاً عن الحق، قاله الفراء.

الخامس. ملعوناً، قاله أبان بن تغلب وأنشد (٤٦٥):

يا قَوْمَنَا لاَ تَرُومُوا حَرْبَنَا سَفَهاً إنّ السَّفَاهَ وإنَّ البَغْيَ مَثْبُورُ

قوله عز وجل: ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: يزعجهم منها بالنفي عنها، قاله الكلبي.

الثاني: يهلكهم فيها بالقتل. ويعني بالأرض أرض مصر وفلسطين والأردن.

قوله عزوجل: ﴿... فإذا جاءَ وعد الآخرة﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وعد الإقامة وهي الكرة الآخرة، قاله مقاتل.

الثاني: وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام.

الثالث: نزول عيسى عليه السلام من السماء، قاله قتادة.

﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مختلطين لا تتعارفون، قاله رزين.

الثاني: جئنا بكم جميعاً من جهات شتى، قاله ابن عباس وقتادة. مأخوذ من لفيف الناس.

---

(٤٦٤) اللسان «ثبر».

(٤٦٥) أورده في فتح القدير (٣/٢٦٣) لم ينسبه وشطره الأول فيه.

وسا قومنا لا ترموا حزيناً سفهاً ....

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ
عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نَزَل﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أن إنزاله حق.

الثاني: أن ما تضمنه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد حق.

﴿وبالحق نزل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وبوحينا نزل.

الثاني: على رسولنا نزل.

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ يعني مبشراً بالجنة لمن أطاع الله تعالى، ونذيراً بالنار لمن عصى الله تعالى.

قوله عزوجل: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فرقنا فيه بين الحق والباطل، قاله الحسن.

الثاني: فرّقناه بالتشديد(٤٦٦) وهي قراءة ابن عباس أي نزل مفرّقاً آية آية وهي كذلك في مصحف ابن مسعود وأُبيٍّ بن كعب: فرقناه عليك.

الثالث: فصّلناه سُوَراً وآيات متميزة، قاله ابن بحر.

﴿لتقرأه على الناس على مُكْثٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني على تثبت وترسّل، وهو قول مجاهد.

الثاني: أنه كان ينزل منه شيء، ثم يمكثون بعده ما شاء الله، ثم ينزل شيء آخر.

الثالث: أن يمكث في قراءته عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء، قاله أبو مسلم.

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ

(٤٦٦) وهي أيضاً قراءة علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وأبي رزين ومجاهد والشعبي وقتادة والأعرج وابن رجاء وابني محيصن زاد المسير (٥/٩٦).

﴿سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾** يعني القرآن، وهذا من الله تعالى على وجه التبكيت لهم والتهديد، لا على وجه التخيير.

﴿إن الذين أوتوا العلم من قَبله﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، قاله الحسن.

الثاني: أنهم أناس من اليهود، قاله مجاهد.

﴿إذا يتلى عليهم يخرُّون للأذقان سُجّداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: كتابهم إيماناً بما فيه من تصديق محمد ﷺ.

الثاني: القرآن كان أناس من أهل الكتاب إذا سمعوا ما أنزل منه قالوا: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، وهذا قول مجاهد.

وفي قوله **﴿يخرُّون للأذقان﴾** ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الأذقان مجتمع اللحيين.

الثاني: أنها ها هنا الوجوه، قاله ابن عباس وقتادة.

الثالث: أنها اللحى، قاله الحسن.(٤٦٧)

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾** في سبب نزولها قولان:

أحدهما: قاله الكلبي. أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلاً وهو في التوراة كثير، فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءَهم قلة ذكر الرحمن في القرآن، وأحبوا أن يكون كثيراً فنزلت.

---

(٤٦٧) رواه الطبري (١٥/١٨٢).

الثاني: ما قاله ابن عباس أنه كان النبي ﷺ ساجداً يدعو «**يا رحمن يا رحيم**»، فقال المشركون هذا يزعم أن له إلهاً واحداً وهو يدعو مثنى، فنزلت الآية.

﴿**ولا تجهر بصوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى بالصلاة الدعاء، ومعنى ذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به، وهذا قول عائشة رضي الله عنها ومكحول. قال إبراهيم: لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم.

الثاني: أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله ﷺ بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله ابن عباس[٤٦٨].

الثاني: أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها وعن الإسرار بها في جميعها وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار.

الثالث: أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين.

الرابع: أنه نهي عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته، بمكة فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر، فأمره الله ألّا يجهر بها كما كان، ولا يخافت بها كما صار، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله عكرمة.

الخامس: يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرائياً بها في العلانية، ولا تخافت بها تسيئها في السريرة، قال الحسن: تحسّن علانيتها وتسيء سريرتها.

وقيل: لا تصلّها رياءً ولا تتركها حياء. والأول أظهر.

روي أن أبا بكر الصديق[٤٦٩] كان إذا صلى خفض من صوته فقال له النبي ﷺ «**لم تفعل هذا؟**» قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي، فقال ﷺ **أحسنت**. وكان

(٤٦٨) رواه البخاري (٨/٤٠٤) وأحمد (١/٢١٥) والطبري (١٥/١٨٤).

(٤٦٩) رواه ابن جرير (١٥/١٨٦) وزاد في الدر (٥/٣٥٠) نسبته لسعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر وفيه قال ابن سيرين نبئت أن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا قرأ. الحديث، وهومنقطع كما ترى بين ابن سيرين وأبي بكر.

عمر بن الخطاب يرفع صوته فقال له النبي ﷺ: **لم تفعل هذا؟** فقال أُوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال النبي ﷺ: **أحسنت**. فلما نزلت هذه الآية قال لأبي بكر: **ارفع شيئا**، وقال لعمر: **أخفض شيئاً**.

قوله تعالى: ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أمره بالحمد لتنزيه الله تعالى عن الولد.

الثاني: لبطلان ما قرنه المشركون به من الولد.

﴿**ولم يكن له شريك في الملك**﴾ لأنه واحد لا شريك له في ملك ولا عبادة.

﴿**ولم يكن له وليٌّ من الذل**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يحالف أحداً.

الثاني: لا يبتغي نصر أحد.

الثالث: لم يكن له وليٌّ من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس، قاله الكلبي.

﴿**وكبره تكبيراً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: صِفه بأنه أكبر من كل شيء.

الثاني: كبّره تكبيراً عن كل ما لا يجوز في صفته.

الثالث: عظِّمْه تعظيماً والله أعلم.

سورة الكهف

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى ﴿واصبر نفسك﴾ [الكهف: ٢٨].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾

قوله عزوجل: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ يعني على محمد القرآن، فتمدح بإنزاله لأنه أنعم عليه خصوصاً، وعلى الخلق عموماً.

﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ في ﴿عوجاً﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني مختلفاً، قاله مقاتل، ومنه قول الشاعر:

أدوم بودي للصديق تكرُّماً ولا خير فيمن كان في الود أعوجا

الثاني: يعني مخلوقاً، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه العدول عن الحق الى الباطل، وعن الاستقامة إلى الفساد، وهو قول علي بن عيسى.

والفرق بين العوج بالكسر والعوج بالفتح أن العوج بكسر العين ما كان في الدين وفي الطريق وفيما ليس بقائم منتصب، والعوج بفتح العين ما كان في القناة والخشبة وفيما كان قائماً منتصباً.

﴿قيِّماً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه المستقيم المعتدل، وهذا قول ابن عباس والضحاك.

الثاني: أنه قيم على سائر كتب الله تعالى يصدقها وينفي الباطل عنها.

الثالث: أنه المعتمد عليه والمرجوع إليه كقيم الدار الذي يرجع إليه في أمرها، وفيه تقديم وتأخير في قول الجميع وتقديره: أنزل الكتاب على عبده قيماً ولم يجعل له عوجاً ولكن جعله قيماً.

﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه عذاب الاستئصال في الدنيا.

الثاني: أنه عذاب جهنم في الآخرة.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاتل نفسك، ومنه قول ذي الرُّمَّةِ (٤٧٠):

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه ... بشيء نحتهُ عن يديك المقادِرُ

الثاني: أن الباخع المتحسر الأسِف، قاله ابن بحر.

﴿على آثارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على آثار كفرهم.

الثاني: بعد موتهم.

(٤٧٠) ديوانه ٣٣٨، مجاز القرآن (١/٣٩٣) اللسان بخع، الطبري ١٥/١٩٤ القرطبي (١٠/٣٤٨) فتح الباري (٨/٣٠٨).

﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ يريد إن لم يؤمن كفار قريش بهذا الحديث يعني القرآن.

﴿أسفاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أي غضباً، قاله قتادة.

الثاني: جزعاً، قاله مجاهد.

الثالث: أنه غمّاً، قاله السدي.

الرابع: حزناً، قاله الحسن، وقد قال الشاعر(٤٧١):

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما ... تضُمُّ إلى كشحيه كفّاً مخضبّا

قوله عزوجل: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها الأشجار والأنهار التي زين الله الأرض بها، قاله مقاتل.

الثاني: أنهم الرجال لأنهم زينة الأرض، قاله الكلبي.

الثالث: أنهم الأنبياء والعلماء(٤٧٢)، قاله القاسم.

الرابع: أن كل ما على الأرض زينة لها، قاله مجاهد(٤٧٣).

الخامس: أن معنى ﴿زينة لها﴾ أي شهوات لأهلها تزين في أعينهم وأنفسهم.

﴿لنبلوهم أيهم أحْسَنُ عملاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أيهم أحسن إعراضاً عنها وتركاً لها، قاله ابن عطاء.

الثاني: أيهم أحسن توكلاً علينا فيها، قاله سهل بن عبدالله.

الثالث: أيهم أصفى قلباً وأهدى سمتاً.

ويحتمل رابعاً: لنختبرهم أيهم أكثر اعتباراً بها.

---

(٤٧١) هو الأعشى الكبير والبيت في ديوانه ١١٥ واللسان أسف.

(٤٧٢) قال العلامة الآلوسي (١٥/٢٠٦) روح المعاني «الظاهر عموم جميع ما لا يغفل أي سواء كان حيواناً أو نباتاً أو معدناً أي جعلنا جميع ما عليها من غير ذوي العقول. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/١٠٦) عن قول مجاهد» وقول مجاهد أعم يدخل فيه النبات والماء والمعادن وغير ذلك.

(٤٧٣) **فائدة**: قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٥/١٠٦) «فإن قيل ترى بعض ما على الأرض سمجاً وليس بزينة فالجواب أنا إن قلنا إن المراد به شيء مخصوص فالمعنى أنا جعلنا بعض ما على الأرض زينة لها فخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص وإن قلنا هم الرجال أو العلماء قلنا فلعبادتهم أو لدلالتهم على خالقهم وإن قلنا النبات والشجر فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية وإن قلنا إنه عام في كل ما عليها فلكونه دالاً على خالقه فكان زينة الأرض من هذه الجهة.

ويحتمل خامساً: لنختبرهم في تجافي الحرام منها.

قوله عزوجل: ﴿وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ في الصعيد ثلاثة أقاويل:

أحدها: الأرض المستوية، قاله الأخفش ومقاتل.

الثاني: هو وجه الأرض لصعوده، قاله ابن قتيبة.

الثالث: أنه التراب، قاله أبان بن تغلب.

وفي الجُرُز أربعة أوجه:

أحدها: بلقعاً، قاله مجاهد.

الثاني: ملساء، وهو قول مقاتل.

الثالث: محصورة، وهو قول ابن بحر.

الرابع: أنها اليابسة التي لا نبات بها ولا زرع قال الراجز(٤٧٤):

قد جرفتهن السُّنون الأجراز

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ أما الكهف فهو غار في الجبل الذي أوى إليه القوم. وأما الرقيم ففيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنه اسم القرية التي(٤٧٥) كانوا منها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم الجبل، قاله الحسن.

الثالث: أنه اسم الوادي، قاله الضحاك. قال عطية العوفي(٤٧٦): هو واد

(٤٧٤) الطبري (١٥/١٩٧) ومجاز القرآن (١/٣٩٤) واللسان جرز وهو غير منسوب في هذه المصادر.

(٤٧٥) قال الحافظ في الفتح (٨/٤٠٧) وقد روى ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال ما كنت أعرف الرقيم ثم سألت عنه فقيل لي هي القرية التي خرجوا منها وإسناده ضعيف.

(٤٧٦) وقد روي مثله عن ابن عباس بسند ضعيف رواه الطبري (١٥/١٩٨) كما في الفتح (٦/٥٠٣) قلت وسنده مسلسل بالضعفاء.

بالشام نحو إيلة[٤٧٧] وقد روي أن اسم جبل الكهف بناجلوس، واسم الكهف ميرم[٤٧٨] واسم المدينة أفسوس، واسم الملك وفيانوس[٤٧٩].

الرابع: أنه اسم كلبهم. قاله سعيد بن جبير، وقيل هو اسم لكل كهف.

الخامس: أن الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم، قاله مجاهد. مأخوذ من الرقم في الثوب. وقيل كان الكتاب لوحاً من رصاص[٤٨٠] على باب الكهف، وقيل في خزائن الملوك لعجيب أمرهم.

السادس: الرقيم الدواة بالرومية، قاله أبو صالح.

السابع: أن الرقيم قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل[٤٨١] حال أصحاب الكهف، قاله سعيد بن جبير.

﴿كانوا مِنْ آياتنا عجباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ما حسبت أنهم كانوا من آياتنا عجباً لولا أن أخبرناك وأوحينا إليك.

الثاني: معناه أحسبت أنهم أعجب آياتنا وليسوا بأعجب خلقنا، قاله مجاهد.

قوله عزوجل: **﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾** اختلف في سبب إيوائهم إليه على قولين:

أحدهما: أنهم قوم هربوا بدينهم إلى الكهف، قاله الحسن. **﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمةوهيىء لنا من أمْرِنا رشداً﴾**[٤٨٢]

الثاني: أنهم أبناء عظماء وأشراف خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال أسَنُّهم: إني أجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، إن ربي رب السموات والأرض، **﴿فقالوا﴾** جميعاً **﴿ربُّنا ربُّ السموات والأرض لن ندعوامن دونه**

---

(٤٧٧) وفي مكان الكهف أقوال أخرى راجعها في الفتح (٥٠٣/٦).

(٤٧٨) وفي الطبري (١٩٩/١٥) «حيزم».

(٤٧٩) وفي زاد المسير (١٢١/٥) «دقسوس».

(٤٨٠) وفي الطبري (٢٠١/١٥) «دقينوس» وفي الفتح (٥٠٥/٦) دقيانوس.

(٤٨١) وذكره البخاري معلقاً (٤٠٧/٨) وقال الحافظ وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً وقد لخصته في أحاديث الأنبياء وإسناده على شرط البخاري.

(٤٨٢) قال الحافظ في الفتح (٥٠٤/٦) «وليس كذلك بل السياق يقضي أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم والله أعلم».

إلهاً لقد قلنا إذاً شَطَطَاً ثم دخلوا الكهف فلبثوا فيه ثلاثمائةٍ سنين وازدادوا تسعاً، قاله مجاهد.

قال ابن قتيبة: هم أبناء الروم دخلوا الكهف قبل عيسى، وضرب الله تعالى على آذانهم فيه، فلما بعث الله عيسى أخبر بخبرهم، ثم بعثهم الله تعالى بعد عيسى في الفترة التي بينه وبين النبي ﷺ (٤٨٣).

وفي ﴿**شططاً**﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: كذباً، قاله قتادة.

الثاني: غلوّاً، قاله الأخفش.

الثالث: جوراً، قاله الضحاك.

قوله عزوجل: ﴿**فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً**﴾ والضرب على الآذان هو المنع من الاستماع، فدل بهذا على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً، ﴿**سنين عدداً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إحصاء.

الثاني: سنين كاملة ليس فيها شهور ولا أيام.

وإنما ضرب الله تعالى(٤٨٤) على آذانهم وإن لم يكن ذلك من أسباب النوم لئلا يسمعوا ما يوقظهم من نومهم.

قوله عزوجل: ﴿**ثم بعثناهم**﴾ الآية. يعني بالبعث إيقاظهم من رقدتهم.

﴿**لنِعلَم**﴾ أي لننظر ﴿**أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: عدداً، قاله مجاهد.

الثاني: أجلاً، قاله مقاتل.

الثالث: الغاية، قاله قطرب.

وفي الحزبين أربعة أقاويل:

---

(٤٨٣) وقد ورد حديث بسند واه أنهم يحجون مع عيسى ابن مريم وورد آخر بسند ضعيف أنهم أعوان المهدي راجع الفتح (٦/٥٠٤).

(٤٨٤) راجع تفصيل قصتهم في زاد المسير (٥/١٠٩ ـ ١١٣) والطبري (١٥/٢٠٠ ـ ٢٠٥) وخير سند للقصة ما رواه عبد بن حميد بسند صحيح عن ابن عباس كما أشار الحافظ إلى ذلك في الفتح (٦/٥٠٥).

أحدها: أن الحزبين هما المختلفان في أمرهم من قوم الفتية، قاله مجاهد.

الثاني: أن أحد الحزبين الفتية، والثاني من حضرهم من أهل ذلك الزمان.

الثالث: أن أحد الحزبين مؤمنون، والآخر كفار.

الرابع: أن أحد الحزبين الله تعالى، والآخر الخلق، وتقديره: أنتم أعلم أم الله.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن
دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً
لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن
رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**وربطنا على قلوبهم..**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثبتناها.

الثاني: ألهمناها صبراً، قاله اليزيدي.

﴿... **لقد قلنا إذاً شططاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غُلواً.

الثاني: تباعداً.

قوله تعالى: ﴿... **لولا يأتون عليهم بسلطان بيّنٍ**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بحجة بينة، قاله مقاتل.

الثاني: بعذر بيّن، قاله قتادة.

الثالث: بكتاب بيّن، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿... **ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سعة.

الثاني: معاشاً.

ويحتمل ثالثاً: يعني خلاصاً، ويقرأ ﴿مِرْفقاً﴾ بكسر الميم وفتح[٤٨٥] الفاء ﴿ومَرفِقاً﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، والفرق بينهما أنه بكسر الميم وفتح الفاء إذا وصل إليك من غيرك، وبفتح الميم وكسر الفاء إذا وصل منك إلى غيرك.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وترى الشمس إذا طَلَعَتْ تزاور عن كهفهم ذاتَ اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعرض عنه فلا تصيبه.

الثاني: تميل عن كهفهم ذات اليمين.

﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معنى تقرضهم تحاذيهم، والقرض المحاذاة، قاله الكسائي والفراء.

الثاني: معناه تقطعهم ذات الشمال أي أنها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولك قرضته بالمقراض أي قطعته.

الثالث: معناه تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها، مأخوذ من قرض الدراهم التي ترد لأنهم كانوا في مكان موحش، وقيل لأنه لم يكن عليهم سقف يظلهم ولو طلعت عليهم لأحرقتهم.

وفي انحرافها عنهم في الطلوع والغروب قولان:

أحدهما: لأن كهفهم كان بإزاء بنات نعش فلذلك كانت الشمس لا تصيبه في وقت الشروق ولا في وقت الغروب، قاله مقاتل.

الثاني: أن الله تعالى صرف الشمس عنهم لتبقى أجسامهم وتكون عبرة لمن يشاهدهم أو يتصل به خبرهم[٤٨٦].

---

(٤٨٥) وهي قراءة الجمهور والقراءة الثانية التي ذكرها المؤلف هي قراءة نافع وابن عامر. زاد المسير (١١٦/٥).

(٤٨٦) ومن الغرائب ما ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره ونقله الحافظ في الفتح (٥٠٥/٦) عن شهر بن =

﴿وهم في فجوة منه﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني في فضاء منه، قاله قتادة.

الثاني: داخل منه، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنه المكان الموحش.

الرابع: أنه ناحية متسعة، قاله الأخفش، ومنه قول الشاعر:

ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ رجالاً وخيلاً غير ميلٍ ولا عُزْلِ

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ﴾ الأيقاظ: المنتبهون.

قال الراجز[٤٨٧]:

قد وجدوا إخوانهم أيقاظا والسيف غياظ لهم غياظا

والرقود: النيام. قيل إن أعينهم كانت مفتوحة ويتنفسون ولا يتكلمون.

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ يعني تقلب النيام لأنهم لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض لطول مكثهم. وقيل إنهم كانوا يقلبون في كل عام مرتين، ستة أشهر على جنب. وستة أشهر على جنبٍ آخر، قاله ابن عباس.

قال مجاهد: إنما قلبوا تسع سنين بعد ثلاثمائة[٤٨٨] سنة لم يقلبوا فيها.

وفيما تحسبهم من أجله أيقاظاً وهم رقود قولان:

أحدهما: لانفتاح أعينهم.

الثاني: لتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال.

= حوشب قال كان لي صاحب قوي النفس فمر بالكهف فأراد أن يدخل فنهي فأبى فأشرف عليهم فأبيضت عيناه وتغير شعره.

(٤٨٧) هو العجاج والبيت في ديوانه ٨١ ـ ٨٢ ومجاز القرآن (١/٣٩٧) والطبري (١٥/٢١٣).

(٤٨٨) وقد وردت تقديرات أخرى راجعها في روح المعاني (١٥/٢٢٥) وقال الآلوسي عقبها: «وتعقب الإمام ذلك بأن هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها لفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيها خبر صحيح ا هـ.

﴿وكلبهم باسِطٌ ذِراعيه بالوصيد﴾ في ﴿كلبهم﴾ قولان:

أحدهما: أنه كلب من الكلاب كان معهم، وهو قول الجمهور(٤٨٩). وقيل إن اسمه كان حمران.

الثاني: أنه إنسان من الناس كان طباخاً لهم تبعهم، وقيل بل كان راعياً.

وفي ﴿الوصيد﴾ خمسة تأويلات:

أحدها: أنه العتبة(٤٩٠).

الثاني: انه الفناء قاله ابن عباس.

الثالث: أنه الحظير، حكاه اليزيدي.

الرابع: أن الوصيد والصعيد التراب(٤٩١)، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: أنه الباب، قاله عطية، وقال الشاعر(٤٩٢):

بأرض فضاءً لا يُسَدُّ وَصيدها عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنْكَرِ

وحكى جرير بن عبيد أنه كان كلباً ربيباً صغيراً. قال محمد بن إسحاق كان أصفر اللون.

﴿لو اطّلعت عليهم لوليت منهم فِراراً ولمِلئت منهم رُعباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لطول أظفارهم وشعورهم يأخذه(٤٩٣) الرعب منهم فزعاً.

---

(٤٨٩) وهو الصواب من القولين وظاهر القرآن يدل عليه كما في روح المعاني (١٥/٢٢٥) وقال «وأبعد من هذا من زعم من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم أو أحدهم وقعد على الباب طليعة لهم نعم حكى أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب أنه قرىء «وكالئهم» بهمزة مضمومة بدل الباء وألف بعد الكاف من كلأ إذا حفظ ولا يبعد فيه أن يراد الرجل الربيئة لكن ظاهر القراءة المتواترة يقتضي إرادة الكلب المعروف منه أيضاً وإطلاق ذلك عليه لحفظه ما استحفظ عليه وواسقه اياه وقيل في هذه القراءة أنها تفسير أو تحريف».

(٤٩٠) وتعقب هذا القول بأن الكهف لا يكون له عتبة ولا باب فتح القدير (٣/٢٧٥).

(٤٩١) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١٥/٢٢٦) «وليس بذاك» قلت وقد روى مثله عن ابن عباس لكن بسند ضعيف اخرجه الطبري (١٠/٩٤) والأولى تفسير الوصيد بالفناء كما هو منقول عن أكثر المفسرين وأهل اللغة راجع زاد المسير ٥/١١٩).

(٤٩٢) هو عبيد بن وهب العبسي والبيت في غريب القرآن (٢٦٥) والبحر المحيط (٦/٩٣) والقرطبي (١٠/٣٧٣،٣٥١)، روح المعاني (١٥/٢٢٦).

(٤٩٣) وتعقب الشوكاني هذا القول في فتح القدير (٣/٢٧٥) بقوله «ويدفعه قوله تعالى ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة أ. هـ.

الثاني: لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة التي ترد عنهم الأبصار لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله.

حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزوت مع معاوية رضي الله عنه في بحر الروم فانتهينا إلى الكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية أريد أن أدخل عليهم فأنظر إليهم، فقلت ليس هذا لك فقد منعه الله من هو خير منك، قال تعالى ﴿**لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً**﴾ الآية. فأرسل جماعة إليهم دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم.

وقيل إن هذه المعجزة من قومهم كانت لنبي قيل إنه كان أحدهم وهو الرئيس الذي اتبعوه وآمنوا به.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**وكذلك بعثناهم**﴾ يعني به إيقاظهم من نومهم.

قال مقاتل: وأنام الله كلبهم معهم.

﴿**ليتساءلوا بينهم قال قائلٌ منهم كم لبثتم**﴾ ليعلموا قدر نومهم.

﴿**قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم**﴾ كان السائل منهم أحدهم، والمجيب له غيره، فقال لبثنا يوما لأنه أطول مدة النوم المعهود، فلما رأى الشمس لم تغرب قال ﴿**أو بعض يوم**﴾ لأنهم أنيموا أول النهار ونبهوا آخره.

﴿**قالوا ربُكم أعْلمُ بما لبثتم**﴾ وفي قائله قولان.

أحدهما: أنه حكاية عن الله تعالى أنه أعلم بمدة لبثهم.

الثاني: أنه قول كبيرهم مكسلمينا حين رأى الفتية مختلفين فيه فقال ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فنطق بالصواب ورد الأمر إلى الله عالمه، وهذا قول ابن عباس.

﴿فابعثوا أحدكم[٤٩٤] بورقكم هذه الى المدينة﴾ قرىء بكسر الراء[٤٩٥] وبتسكينها،[٤٩٦] وهو في القراءتين جميعاً الدراهم، وأما الورَق بفتح الراء فهي الإبل والغنم، قال الشاعر:

إياك أدعو فتقبل مَلَقي كَفِّرْ خطاياي وثمِّرْ ورقي

يعني إبله وغنمه.

﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أيها أكثر طعاماً، وهذا قول عكرمة.

الثاني: أيها أحل طعاماً[٤٩٧] وهذا قول قتادة.

الثالث: أطيب طعاماً، قاله الكلبي.

الرابع: أرخص طعاماً.

﴿فليأتكم برزق مِنْه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما ترزقون أكله.

الثاني: بما يحل لكم أكله.

﴿وليتلطف. . .﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وليسترخص.

الثاني: وليتلطف في إخفاء أمركم. وهذا يدل على جواز اشتراك الجماعة في طعامهم وإن كان بعضهم أكثر أكلاً وهي المناهدة، وكانت مستقبحة في الجاهلية

(٤٩٤) فائدة: قال ابن الأنباري انما قال «أحدكم» ولم يقل واحدكم لئلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم فإن العرب تقول رأيت أحد القوم ولا يقولون: رأيت واحد القوم إلا إذا أرادوا المعظَّم فأراد بأحدهم بعضهم ولم يُرد شريفهم ا هـ زاد المسير (٥/١٢١).

(٤٩٥) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم. زاد المسير (٥/١٢١).

(٤٩٦) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وأبي بكر عن عاصم زاد المسير (٥/١٢١) وذكر فيها قراءات أخرى راجع فتح القدير (٣/٢٧٥).

(٤٩٧) وذلك لأن أهل المدينة على عهدهم على ما قيل كانوا يذبحون للطواغيت على ما جاء عن ابن عباس وقيل إنهم كانوا يذبحون للخنازير وقيل إن أكثر أموالهم كانت مغصوبة راجع روح المعاني (١٥/٢٣٠).

فجاء الشرع بإباحتها.

قوله عزوجل: ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يرجموكم بأيديهم استنكاراً لكم، قاله الحسن.

الثاني: بألسنتهم غيبة لكم وشتماً، قاله ابن جريج.

الثالث: يقتلوكم. والرجم القتل لأنه أحد أسبابه.

﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ يعني في كفرهم.

﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ إن أعادوكم في ملتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أظهرنا أهل بلدهم عليهم.

الثاني: أطلعنا برحمتنا إليهم.

﴿وليعلموا أنّ وعْدَ اللهِ حقٌّ. . .﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر على إحياء من أماته وأقبره.

الثاني: معناه ليرى أهل الكهف بعد علمهم أن وعد الله حق في إعادتهم.

﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ ذلك أنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها وطعام، استنكروا شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل إلى الملك وكان صالحاً قد آمن ومن معه، فلما نظر إليه قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يريناهم، وسأل الفتى فأخبره فانطلق والناس معه إليهم، فلما دنوا من أهل الكهف وسمع الفتية كلامهم خافوهم ووصى بعضهم بعضاً بدينهم فلما دخلوا عليهم أماتهم الله ميتة الحق، فحينئذ كان التنازع الذي ذكره الله تعالى فيهم.

وفي تنازعهم قولان:

أحدهما: أنهم تنازعوا هل هم أحياء أم موتى؛

الثاني: أنهم تنازعوا بعد العلم بموتهم هل يبنون عليهم بنياناً يعرفون به أم يتخذون عليهم مسجداً(٤٩٨).

وقيل: إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب، فأتاه آت منهم في المنام فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود فدعْنا.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

(٤٩٨) المسجد له في الإسلام مكانة عظمى فهو المعبد الذي يرتاده المسلمون كل المسلمين من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين كانوا يدينون بدين الإسلام لأن كل الأنبياء كانوا مسلمين وأتباعهم الذين اتبعوهم بالحق كانوا مسلمين وكانت الصلاة لا تجوز في شرائع الأنبياء السالفين إلا في المساجد وكانوا كلهم يتجهون في صلاتهم إلى الكعبة والصحابة في مكة اتجهوا إلى الكعبة ولما هاجروا إلى المدينة ولحكمة يقتضيها ربنا أمروا بالتوجه إلى البيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أمر بالتحول إلى جهة الكعبة زادها الله شرفاً ولم يتخذ نبيّ من الأنبياء كنيسة على الإطلاق وإن الكنيسة هي من صنع النصارى الذين حرفوا شريعة سيدنا عيسى عليه السلام وقد زعم البعض ممن ينتسبون إلى العلم محاباة للنصارى بأن الكنيسة هي بيت الله فهذا ضلال.

فالمساجد لها تعظيم في قلوب المسلمين قال رسول الله ﷺ: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال المساجد وقال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. لذا فإن المسجد له حرمته في قلب المسلم فلا يجوز أن يدخله حائض ولا جنب ولا نفساء ولا يلتفت إلى قول بعض من ينتسب إلى العلم زوراً بأنه يجوز للجنب أن يدخل المسجد فهذا باطل وقد روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب».

فمن استخف بالمسجد أو سخر به أو ألحق به ما يشعر الاستخفاق فقد ضل. ولا يجوز تصغير إسم المسجد وكذلك يحرم فيه إضاءة الشموع لغير منفعة معتبرة وأفضل مساجد الدنيا ثلاثة المسجد الحرام في مكة والحرم النبوي الشريف والمسجد الأقصى والصلاة في هذه المساجد الثلاثة فيها من الأجر والثواب ما ليس في غيرها فلا تشد الرحال من أجل الصلاة إلا لها.

قوله عزوجل: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ فأدخل الواو على انقطاع القصة لأن الخبر قد تم.

﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ في المختلفين في عددهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل المدينة قبل الظهور عليهم.

الثاني: أنهم أهل الكتاب بعد طول العهد بهم.

وقوله تعالى: ﴿رجماً بالغيب﴾ قال قتادة قذفاً بالظن، قال زهير(٤٩٩):

وما الحرب إلّا ما علمتم وذقتم … وما هو عنها بالحديث المرجّم(٥٠١)

وقال ابن عباس(٥٠٠): أنا من القليل الذي استثنى الله تعالى: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

وقال ابن جريج ومحمد بن إسحاق: كانوا ثمانية، وجعلا قوله تعالى: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ أي صاحب كلبهم.

وكتب قومهم أسماءهم حين غابوا، فلما بان أمرهم كتبت أسماؤهم على باب الكهف. قال ابن جريج: أسماؤهم مكسلمينا(٥٠٢) ويمليخا وهو الذي مضى بالورق يشتري به الطعام، ومطرونس(٥٠٣)، ومحسيميلنينا، وكشوطوش، ويطلنوس(٥٠٤) ويوطونس وبيرونس.

---

(٤٩٩) شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري، ديوانه: ١٨ والطبري ١٥/٢٢٦ والقرطبي (١٠/٣٨٣) اللسان رجم.

(٥٠٠) أخرجه الطبراني عن ابن عباس كما في الدرر (٥/٣٧٥) وصححه السيوطي.

(٥٠١) قال الحافظ ابن كثير (٣/٧٨) يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال... ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله ﴿وثامنهم كلبهم﴾ فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر اهـ.

(٥٠٢) قال القرطبي (١٠/٣٦٠) وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية والسند في معرفتها واه «قلت ولكن صحح السيوطي سند الأثر الوارد عن ابن عباس وكذا ابن حجر في الفتح. نعم هناك اختلاف كثير في ضبط الأسماء كما قال الحافظ في الفتح بحيث لا يقع الوثوق بضبطها.

(٥٠٣) وفي الطبري (١٥/٢٠١) مرطوس».

(٥٠٤) وفي الطبري (١٥/٢٠١) «دينموس» بدلاً من «بطلنوس».

وقد ظن بعضهم أن أسماء أهل الكهف لها أسرار في دفع البلاء والمرض والصداع.. الخ وحفظ المال اعتماداً على ما ورد عن ابن عباس ولم يصح هذا الأثر وقد أبطله غاية الإبطال العلامة الآلوسي رحمه الله فراجع ما كتب حوله في روح المعاني (١٥/٣٤٧).

قال مقاتل: وكان الكلب لمكسلمينا وكان أسنهم وكان صاحب غنم.

﴿فلا تمار فيهم إلاّ مراءً ظاهراً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: إلا ما قد أظهرنا لك من أمرهم، قاله مجاهد.

الثاني: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم، فلا تسألني عن إظهار غيره، قاله قتادة.

الثالث: إلا مِراء ظاهراً يعني بحجة واضحة وخبر صادق، قاله علي بن عيسى.

الرابع: لا تجادل فيهم أحداً ألا أن تحدثهم به حديثاً، قاله ابن عباس.

الخامس: هو أن تشهد الناس عليهم.

﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تستفت يا محمد فيهم أحداً من أهل الكتاب، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ ونهي لأمته.

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً﴾ ﴿إلا أن يشاء الله﴾ قال الأخفش: فيه إضمار وتقديره: إلا أن تقول إن شاء الله، وهذا وإن كان أمراً فهو على وجه التأديب والإرشاد أن لا تعزم على أمر إلا أن تقرنه بمشيئة الله(٥٠٥) تعالى لأمرين:

أحدهما: أن العزم ربما صد عنه بمانع فيصير في وعده مخلفاً وفي قوله كاذباً، قال موسى عليه السلام ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾[الكهف: ٧٠] ولم يصبر ولم يكن كاذباً لوجود الاستثناء في كلامه.

الثاني: إذعاناً لقدرة الله تعالى، وإنه مدبر في أفعاله بمعونة الله وقدرته.

---

(٥٠٥) وفي هذه الآية رد على القدرية.

الثالث: يختص بيمينه إن حلف وهو سقوط الكفارة عنه إذا حنث(٥٠٦).

﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنك إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليذكرك إياه، فإن فعل فقد أراد منك ما ذكرك، وإلا فسيدلك على ما هو أرشد لك مما نسيته، قاله بعض المتكلمين.

الثاني: واذكر ربك إذا غضبت(٥٠٧)، قاله عكرمة، ليزول عنك الغضب عند ذكره.

الثالث: واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله في يمينك.

وفي الذكر المأمور به قولان:

أحدهما: أنه ما ذكره في بقية الآية **﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾**.

الثاني: أنه قول إن شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه.

واختلفوا في ثبوت الاستثناء بعد اليمين على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه يصح الاستثناء بها إلى سنة، فيكون كالاستثناء بها مع اليمين في سقوط الكفارة ولا يصح بعد السنة، قاله ابن عباس.

الثاني: يصح الاستثناء بها في مجلس يمينه، ولا يصح بعد فراقه، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: يصح الاستثناء بها ما لم يأخذ في كلام غيره.

الرابع: يصح الاستثناء بها مع قرب الزمان، ولا يصح مع بعده.

الخامس: أنه لا يصح الاستثناء بها إلا متصلاً بيمينه وهو الظاهر من مذهب مالك والشافعي رحمهما الله.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

(٥٠٦) لاحظ أن المؤلف هنا أورد ثلاثة أمور بينما نص في الابتداء على أمرين فلعله أراد ثلاثة أمور.

(٥٠٧) قال ابن الأنباري عن قول عكرمة «وليس ببعيد لأن الغضب ينتج النسيان». زاد المسير (١٢٨/٥).

قوله عزوجل: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ في قراءة ابن مسعود قالوا لبثوا في كهفهم. وفيه قولان:

أحدهما: أن هذا قول اليهود، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فرد الله تعالى عليهم قولهم وقال لنبيه ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾.

والقول الثاني: أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخلوه إلى أن ماتوا فيه.

﴿وازدادوا تسعاً﴾ هو ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية.

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما لبثوا بعد مدتهم إلى نزول القرآن فيهم.

الثاني: الله أعلم بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها عن اليهود إذ ذكروا زيادة ونقصاناً.

قوله عز وجل: ﴿... أبصر به وأسمع﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الله أبصر وأسمع، أي أبصر، بما قال وأسمع لما قالوا.

الثاني: معناه أبصرهم وأسمعهم ما قال الله فيهم.

﴿ما لهم من دونه من وَليّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ناصر.

الثاني: من مانع.

﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا يشرك في علم غيبه أحداً.

الثاني: أنه لم يجعل لأحد أن يحكم بغير حكمه فيصير شريكاً له في حكمه.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ
عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿. . . ولن تجد من دونه مُلتحداً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ملجأ، قاله مجاهد، قال الشاعر:

لا تحفيا يا أخانا من مودّتنا فما لنا عنك في الأقوام مُلتحد

الثاني: مهرباً، قاله قطرب، قال الشاعر(٥٠٨):

يا لهف نفسي ولهفٌ غير مغنيةٍ عني وما مِنْ قضاء الله ملتحدُ

الثالث: معدلاً، قاله الأخفش.

الرابع: ولياً، قاله قتادة. ومعانيها متقاربة.

قوله عز وجل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريدون تعظيمه.

الثاني: يريدون طاعته. قال قتادة(٥٠٩): نزلت هذه الآية على النبي ﷺ بالمدينة فلما نزلت عليه قال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم».

﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يدعونه رغبة ورهبة.

الثاني: أنهم المحافظون على صلاة الجماعة، قاله الحسن.

الثالث: أنها الصلاة المكتوبة، قاله ابن عباس ومجاهد.

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق، ويختموه بالدعاء طلباً للمغفرة.

﴿يريدون وجهه﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بدعائهم.

الثاني: بعمل نهارهم. وخص النهار بذلك دون الليل لأن عمل النهار إذا كان لله تعالى فعمل الليل أولى أن يكون له.

﴿ولا تعد عيناك عنهم . .﴾ فيه وجهان:

---

(٥٠٨) روح المعاني (١٥/٢٥٧) والبيت لخصيب العمري.

(٥٠٩) هذا أثر مرسل رواه الطبري (١٥/٢٣٥) بسنده عن قتادة قال ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبي الله ﷺ. . .

أحدهما: ولا تتجاوزهم بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلباً لزينتها، حكاه اليزيدي.

الثاني: ما حكاه ابن جريج أن عيينة بن حصن قال للنبي ﷺ قبل أن يسلم: لقد آذاني ريح سلمان الفارسي وأصحابه فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعونا فيه، واجعل لهم مجلساً لا نجامعهم فيه، فنزلت.

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذِكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾

قوله ﴿أغفلنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جعلناه غافلاً عن ذكرنا.

الثاني: وجدناه غافلاً عن ذكرنا.

وفي هذه الغفلة لأصحاب الخواطر ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها إبطال الوقت بالبطالة، قاله سهل بن عبد الله.

الثاني: أنها طول الأمل.

الثالث: أنها ما يورث الغفلة.

﴿واتبع هواه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في شهواته وأفعاله.

الثاني: في سؤاله وطلبه التمييز عن غيره.

﴿وكان أمرُه فُرُطاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ضيقاً، وهو قول مجاهد.

الثاني: متروكاً، قاله الفراء.

الثالث: ندماً، قاله ابن قتيبة.

الرابع: سرفاً وإفراطاً، قاله مقاتل.

الخامس: سريعاً. قاله ابن بحر. يقال أفرط إذا أسرف وفرط إذا قصر.

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وإن كان خارجاً مخرج التخيير فهو على وجه التهديد والوعيد، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لا ينفعون الله بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم.

الثاني: فمن شاء الجنة فليؤمن، ومن شاء النار فليكفر، قاله ابن عباس.

الثالث: فمن شاء فليعرِّض نفسه للجنة بالإيمان، ومن شاء فليعرض نفسه للنار بالكفر.

﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن سرادقها حائط من النار يطيف بهم، قاله ابن عباس.

الثاني: هو دخانها ولهيبها قبل وصولهم إليها، وهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ [المرسلات: ٣٠ ـ ٣١] قاله قتادة.

الثالث: أنه البحر المحيط بالدنيا. روى يعلى بن أمية(٥١٠) قال: قال رسول الله ﷺ «البحر هو جهنم» ثم تلا ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ ثم قال «والله لا أدخلها أبداً ما دمت حياً ولا يصيبني منها قطرة» والسرادق فارسي معرب، وأصله سرادر.

﴿وإن يستغيثوا يُغَاثوا بماءٍ كالمهل...﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه القيح والدم، قاله مجاهد.

الثاني: دردي الزيت، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه كل شيء أذيب حتى انماع؛ قاله ابن مسعود.

الرابع: هو الذي قد انتهى حره، قاله سعيد بن جبير، قال الشاعر:

شاب بالماء منه مهلاً كريهاً ثم علّ المتون بعد النهال

وجعل ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الاستغاثة.

﴿... بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾ في المرتفق أربعة تأويلات:

أحدها: معناه مجتمعاً، قاله مجاهد، كأنه ذهب إلى معنى المرافقة.

(٥١٠) رواه ابن جرير (١٥/ ٢٣٩) وأحمد (٤/ ٢٢٣). والحاكم (٤/ ٥٦٩) وصححه ووافقه الذهبي.
وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٨٤) نسبته لابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والبخاري في التاريخ.

الثاني: منزلاً قاله الكلبي، مأخوذ من الارتفاق.

الثالث: أنه من الرفق.

الرابع: أنه من المتكأ مضاف إلى المرفق، ومنه قول أبي ذؤيب[٥١١]:

نَامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً ... كَأَنَّ عَيْنِي فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾** روى البراء بن عازب[٥١٢] أن أعرابياً قام إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن هذه الآية **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** الآية فقال رسول الله ﷺ **«يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك، هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم»**.

قوله عز وجل: **﴿... ويلبسون ثياباً خُضْراً مِن سندس وإستبرق﴾** أما السندس: ففيه قولان:

أحدهما: أنه من ألطف من الديباج، قاله الكلبي.

الثاني: ما رَقَّ من الديباج، واحده سندسة، قاله ابن قتيبة.

وفي الاستبرق قولان:

أحدهما: أنه ما غلظ من الديباج، قاله ابن قتيبة، وهو فارسي معرب، أصله استبره وهو الشديد، وقد قال المرقش[٥١٣]:

(٥١١) ديوان الهذليين (١٠٤/١) وشرح أشعار الهذليين (١٢٠/١) مجاز القرآن (٤٠٠/١) والطبري (٢٤١/١٥) والقرطبي (٣٩٥/١٠) الكشاف (٢٨٣/٢) اللسان صوب، شواهد المغني (٧٢).

(٥١٢) ولم اهتد إلى تخريجه ولكن قد ورد في فضائل الخلفاء الأربعة أحاديث كثيرة منها أحاديث صحيحة انظر على سبيل المثال السنة لابن أبي عاصم (٥٣٩/٢ ـ ٥٥١) وكذلك في مجمع الزوائد (٥١/٩ ـ ٦٠).

(٥١٣) الطبري (٢٤٣/١٥) ولم ينسبه، وفي فتح القدير (٢٨٣/٣) اقتصر على الشطر الثاني منه.

تـراهُنَّ يَلبسْنَ المشـاعِـرَ مـرة وإسْتَبْـرَقَ الديـاج طوراً لبـاسُها

الثاني: أنه الحرير المنسوج بالذهب، قاله ابن بحر.

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الحجال، قاله الزجاج.

الثاني: أنها الفُرُش في الحجال.

الثالث: أنها السرر في الحجال، وقد قال الشاعر(٥١٤):

خدوداً جفت في السير حتى كأنما يباشرْن بالمعزاء مَسَّ الأرائكِ

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا
خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا
مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين﴾ الجنة: البستان، فإذا جمع العنب والنخل وكان تحتها زرع فهي أجمل الجنان وأجداها نفعاً، لثمر أعاليها وزرع أسافلها، وهو معنى قوله ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾.

﴿كلتا الجَنتين آتت أُكُلها﴾ أي ثمرها وزرعها، وسماه أُكُلًا لأنه مأكول.

﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي استكمل جميع ثمارها وزرعها.

﴿وفجرنا خِلالهما نهراً﴾ يعني أن فيهما أنهاراً من الماء، فيكون ثمرها وزرعها بدوام الماء فيهما أوفى وأروى، وهذه غاية الصفات فيما يجدي ويغل.

وفي ضرب المثل في هاتين الجنتين قولان:

أحدهما: ما حكاه مقاتل بن سليمان أنه إخبار الله تعالى عن أخوين كانا في

(٥١٤) هو ذو الرمة والبيت في ديوانه: ٤٢٢ والطبري (١٥/٢٤٣).

بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً جزيلاً، قال ابن عباس ثمانية آلاف دينار. فأخذ أحدهما حقه وهو مؤمن فتقرب به إلى الله تعالى، وأخذ الآخر حقه منه وهو كافر فتملك به ضياعاً منها هاتان الجنتان، ولم يتقرب إلى الله تعالى بشيء منه، فكان من حاله ما ذكره الله من بعد، فجعله الله تعالى مثلاً لهذه الأمة . .

والقول الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة، وليس بخبر عن حال متقدمة، ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، وجعله زجراً وإنذاراً.

قوله عزوجل: ﴿وكان له ثمرٌ﴾ قرأ عاصم بفتح الثاء[٥١٥] والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ الباقون ثُمُر بضم الثاء والميم. وفي اختلاف هاتين القراءتين بالضم والفتح قولان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه الذهب والفضة، قاله قتادة،لأنها أموال مثمرة.

الثاني: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس، لأن تثميره أكثر.

الثالث: أنه الأصل الذي له نماء، قاله ابن زيد، لأن في النماء تثميراً.

والقول الثاني: أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف، فعلى هذا في الفرق بينهما، أربعة أوجه:

أحدها: أنه بالفتح جمع ثمرة، وبالضم جمع ثمار.

الثاني: أنه بالفتح ثمار النخيل خاصة، وبالضم جميع الأموال، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله، وبالضم ما كان ثماره من غيره.

الرابع: أن الثمر بالضم الأصل، وبالفتح الفرع، قاله ابن زيد.

وفي هذا الثمر المذكور قولان:

أحدهما: أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنه ثمر ملكه من غير جنتيه، وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصولها، قاله ابن عباس، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله فيكون أعم مِلكا.

﴿فقال لصاحبه﴾ يعني لأخيه المسلم الذي صرف ماله في القُرب طلباً للثواب

---

(٥١٥) راجع زاد المسير (٥/ ١٤٠، ١٤١).

في الآخرة، وصرف هذا الكافر ماله فيما استبقاه للدنيا والمكاثرة.

﴿وهو يحاوره﴾ أي يناظره. وفيما يحاوره فيه وجهان:

أحدهما: في الإيمان والكفر.

الثاني: في طلب الدنيا وطلب الآخرة، فجرى بينهما ما قصه الله تعالى من قولهما.

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ
رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ
قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ
أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فعسى ربّي أن يؤتين خيراً مِنْ جنتك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خيراً من جنتك في الدنيا فأساويك فيها.

الثاني: وهو الأشهر خيراً من جنتك في الآخرة، فأكون أفضل منك فيها.

﴿ويرسل عليها حُسْباناً من السماء﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني عذاباً، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: ناراً.

الثالث: جراداً.

الرابع: عذاب حساب بما كسبت يداك، قاله الزجاج، لأنه جزاء الآخرة والجزاء من الله تعالى بحساب.

الخامس: أنه المرامي الكثيرة، قاله الأخفش وأصله الحساب وهي السهام التي يرمى بها في طلق واحد، وكان من رَمي الأساورة.

﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ يعني أرضاً بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم، وهي أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض.

﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ يعني ويصبح ماؤها غوراً، فأقام أو مقام الواو. و﴿غوراً﴾ يعني غائراً ذاهباً فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كان فيها.

﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: فلن تستطيع رد الماء الغائر.

الثاني: فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه وإلى هذا الحد انتهت مناظرة أخيه وإنذاره.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وأحيط بثمرِهِ﴾ أي أهلك ماله، وهذا أول ما حقق الله به إنذار أخيه.

﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: يقلب كفيه ندماً على ما أنفق فيها وأسفاً على ما تلف.

الثاني: يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك، لأن الملك قد يعبر عنه باليد، من قولهم في يده مال، أي في ملكه.

﴿وهي خاويةٌ على عروشِها﴾ أي منقلبة على عاليها فجمع عليه بين هلاك الأصل والثمر، وهذا من أعظم الجوائح مقابلة على بغيه.

قوله عزوجل: ﴿ولم تكُنْ له فِئة ينصرونه منْ دونِ الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الفئة الجند، قاله الكلبي.

الثاني: العشيرة، قاله مجاهد.

﴿وما كان منتصراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما كان ممتنعاً، قاله قتادة.

الثاني: وما كان مسترداً بدل ما ذهب منه.

قال ابن عباس: هما الرجلان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات حيث يقول:

﴿إني كان لي قرين﴾ إلى قوله ﴿في سواء الجحيم﴾ وهذا مثل قيل إنه ضرب لسلمان وخباب وصهيب مع أشراف قريش من المشركين.

قوله تعالى: ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾ يعني القيامة. وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة فلا يبقى مؤمن ولا كافر إلا تولاه، قاله الكلبي.

الثاني: أن الله تعالى يتولى جزاءهم، قاله مقاتل.

الثالث: أن الـولاية مصدر الولاء فكأنهم جميعاً يعترفون بأن الله تعالى هو الوليّ قاله الأخفش.

الرابع: أن الولاية النصر، قاله اليزيدي.

وفي الفرق بين الولاية بفتح الواو وبين الولاية بكسرها وجهان:

أحدهما: أنها بفتح الواو: للخالق، وبكسرها: للمخلوقين، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنها بالفتح في الدين، وبكسرها في السلطان.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

قوله عزوجل: ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الماء اختلط بالنبات حين استوى.

الثاني: أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء حتى نما.

﴿**فأصبح هشيماً تذروهُ الرياحُ**﴾ يعني بامتناع الماء عنه، فحذف ذلك إيجازاً لدلالة الكلام عليه، والهشيم ما تفتت بعد اليبس من أوراق الشجر والزرع، قال الشاعر:

فأصبحت نيّماً أجسادهم يشبهها من رآها الهشيما

واختلف في المقصود بضرب هذا المثل على قولين:

أحدهما: أن الله تعالى ضربه مثلاً للدنيا ليدل بـه على زوالها بعـد حسنها وابتهاجها:

الثاني: أن الله تعالى ضربه مثلاً لأحوال أهل الدنيا أن مع كل نعمة نقمة ومع كل فرحة ترحة.

قوله عزوجل: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي ﴿البنين﴾ قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا.

﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس[٥١٦] وسعيد بن جبير.

الثاني: أنها الأعمال الصالحة، قاله ابن زيد.

الثالث: هي الكلام الطيب. وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وقاله عطية العوفي.

الرابع: هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قاله عثمان بن عفان[٥١٧] رضي الله عنه.

وروى أبو هريرة[٥١٨] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات».

وفي ﴿الصالحات﴾ وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى الصالحين لأن الصالح هو فاعل الصلاح.

الثاني: أنها بمعنى النافعات فعبر عن المنفعة بالصلاح لأن المنفعة مصلحة.

وروي عن النبي[٥١٩] ﷺ أنه قال: «لما عُرج بي إلى السماء أريت إبراهيم

---

(٥١٦) رواه الطبري (١٥/١٦٥) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٥/١٤٩) وقال: وبه قال ابن مسعود ومسروق وإبراهيم.

(٥١٧) الطبري (١٥/٢٥٤) وزاد السيوطي في الدر (٥/٣٩٨) نسبته لابن المنذر وأحمد قال الشوكاني (٣/٢٩٠) «والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير فلا وجه لقصرها على الصلاة كما قال البعض ولا لقصرها على نوع من أنواع الذكر كما قال بعض آخر ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبهذا تعرف ان تفسير الباقيات الصالحات في الأحاديث مما سيأتي لا ينافي هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرها ا هـ. قلت وقد اختار القول بالعموم ابن جرير (١٥/٢٥٦).

(٥١٨) رواه الطبري (١٥/٢٢٥) وذكر السيوطي في الدر (٥/٣٩٦) روايات له متقاربة من حديث أبي هريرة.

(٥١٩) رواه الطبري (١٥/٢٥٥) من حديث أبي أيوب الأنصاري وبنحوه رواه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب.

فقال: مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقلت وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

﴿خير عند ربك ثواباً﴾[٥٢٠] يعني في الآخرة، **﴿وخير أملاً﴾** يعني عند نفسك في الدنيا، ويكون معنى قوله **﴿وخيرٌ أملاً﴾** يعني أصدق أملاً، لأن من الأمل كواذب وهذا أمل لا يكذب.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿ويوم نُسَيِّر الجبال﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يسيرها من السير حتى تنتقل عن مكانها لما فيه من ظهور الآية وعظم الإعتبار.

الثاني: يسيرها أي يقللها حتى يصير كثيرها قليلاً يسيراً.

الثالث: بأن يجعلها هباء منثوراً[٥٢١].

﴿وترى الأرض بارزة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه بروز ما في بطنها من الأموات بخروجهم من قبورهم[٥٢٢].

الثاني: أنها فضاء لا يسترها جبل ولا نبات.

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ فيه ثلاثة تأويلات.

---

(٥٢٠) وللعلامة الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بني كيكلدي العلائي الدمشقي جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها فراجعه فإنه اشتمل على فوائد ممتعة.

(٥٢١) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١٥/٢٨٨) وقد ذكر بعض المحققين أخذاً من الآيات أنه أولاً تنفصل الجبال عن الأرض وتسير في الجو ثم تسقط فتصير كثيباً مهيلاً ثم هباءاً منثوراً.

(٥٢٢) قال الآلوسي (١٥/٢٨٨) «وهو خلاف الظاهر» وقال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٥/١٥٠) عن القول الثاني وهو قول الأكثرين.

أحدها: يعني فلم نخلف منهم أحداً، قاله ابن قتيبة، قال ومنه سمي الغدير لأنه ما تخلفه(٥٢٣) السيول.

الثاني: فلم نستخلف منهم أحداً، قاله الكلبي.

الثالث: معناه فلم نترك منهم أحداً، حكاه مقاتل.

قوله عزوجل: **﴿وعُرِضوا على ربِّك صَفّاً﴾** قيل إنهم يُعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة، وقيل إنهم يحشرون عراة حفاة غرلاً، فقالت(٥٢٤) عائشة رضي الله عنها فما يحتشمون يومئذ؟ فقال النبي ﷺ «**﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**» [عبس: ٣٧].

قوله عزوجل: **﴿ووضع الكتابُ﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أنها كتب الأعمال(٥٢٥) في أيدي العباد، قاله مقاتل.

الثاني: أنه وضع الحساب، قاله الكلبي، فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة.

﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ لأنه أحصاه الله ونسوه.

﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها﴾.

وفي الصغيرة(٥٢٦) تأويلان:

أحدهما: أنه الضحك، قاله ابن عباس(٥٢٧).

الثاني: أنها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرها.

---

(٥٢٣) كذا في المطبوعة وهو خطأ فاحش والصواب لأنه ماءٌ تخلفه السيول والتصويب من زاد المسير (١٩١/٥) وروح المعاني (٢٨٩/١٥).

(٥٢٤) رواه البخاري (٣٣٤/١١) ومسلم (٢٨٥٩) والنسائي (١١٤/٤) وأحمد (٢٢٣/١).

(٥٢٥) وهو القول الصواب واختاره ابن جرير وغيره ويدل عليه قوله ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ وقوله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر فنسأل الله الحساب اليسير والستر في الدنيا والآخرة.

(٥٢٦) وقد فصل ابن الجوزي رحمه الله هنا في معنى الكبيرة والصغيرة المراد في الآية فراجعه (١٥٣/٥) زاد المسير.

(٥٢٧) قال العلامة الآلوسي (٢٩١/١٥) «وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في الآية الصغيرة التبسم والاستهزاء بالمؤمنين والكبيرة القهقهة بذلك وعلى هذا يحمل إطلاق ابن مردويه في الآية عنه رضي الله تعالى عنه تفسير الصغيرة بالتبسم والكبيرة بالضحك ويندفع استشكال بعض الفضلاء ذلك ويعلم من أن الضحك على الناس من الذنوب».

وأما الكبيرة[٥٢٨] ففيها قولان:

أحدهما: ما جاء النص بتحريمه.

الثاني: ما قرن بالوعيد والحَـدِّ.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الصغيرة الشهوة، والكبيرة العمل.

قال قتادة: اشتكى القوم الإحْصاء وما اشتكى أحد ظلماً، وإياكم والمحقرات من الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

﴿ووجَدوا ما عَملوا حاضِراً﴾ يحتمل تأويلين:

أحدهما: ووجدوا إحصاء ما عملوا حاضراً في الكتاب.

الثاني: ووجدوا جزاء ما عملوا عاجلاً في القيامة.

﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ يعني من طائع في نقصان ثوابه، أو عاص في زيادة عقابه.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجُدوا لآدم فسجـدوا إلا إبليس كان من الجنِّ**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كان من الجن على ما ذكره الله تعالى. ومنع قائل هذا بعد ذلك أن يكون من الملائكة لأمرين:

أحدهما: أن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم.

الثاني: أن الملائكة رسل الله سبحانه ولا يجوز عليهم الكفر، وإبليس قـد كفر، قال الحسن[٥٢٩]: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

---

(٥٢٨) وقد تقدم في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم﴾ الآية معنى الكبيرة وأمثلة منها.

(٥٢٩) تقدم قول الحسن في سورة البقرة والحجر عن أصل إبليس ورواه ابن جرير عنه وصححه ابن كثير.

الثاني: أنه من الملائكة، ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى ﴿**كان من الجن**﴾ على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله قتادة أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجن.

الثاني: ما قاله ابن عباس، أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل من الجن لخزانة الجنة، كما يقال مكي وبصري.

الثالث: أن الجن سبط من الملائكة(٥٣٠) خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور، قاله سعيد بن جبير، قاله الحسن: خلق إبليس من نار وإلى النار يعود.

الثالث: أن إبليس لم يكن من الإنس ولا من الجن(٥٣١)، ولكن كان من الجان، وقد مضى من ذكره واشتقاق اسمه ما أغنى.

﴿**ففسق عن أمر ربه...**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الفسق الاتساع ومعناه اتسع في محارم الله تعالى.

الثاني: أن الفسق الخروج أي خرج من طاعة ربه، من قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من حجرها قال رؤبة بن العجاج(٥٣٢):

يهوين من نجدٍ وغورٍ غائرا فواسقاً عن قصدها جوائرا

وفي قوله تعالى: ﴿**... بئس للظالمين بدلاً**﴾ وجهان:

أحدهما: بئس ما استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس، قاله قتادة.

الثاني: بئس ما استبدلوا بالجنة النار.

۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

---

(٥٣٠) لكن الحديث الوارد الصحيح يقول «خلقت الملائكة من نور وهذا المعنى عام لم يأت ما يخصه والأولى أن يقال إن ابليس دخل معهم في الصورة والخطاب وخرج منهم بجنسه» وهو قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى.

(٥٣١) وقد تعقب هذا القول راجع سورة الحجر آية ٢٧.

(٥٣٢) ديوانه: ١٩٠ اللسان فسق مجاز القرآن (٤٠٦/١) الطبري (٢٦١/١٥) روح المعاني (٢٩٣/١٥).

قوله عزوجل: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما أشهدت إبليس وذريته.

الثاني: ما أشهدت جميع الخلق خلق السموات والأرض.

وفيه وجهان:

أحدهما: ما أشهدتهم إياها استعانة بهم في خلقها.

الثاني: ما أشهدتهم خلقها فيعلموا من قدرتي ما لا يكفرون معه.

ويحتمل ثالثاً: ما أشهدتهم خلقها فيحيطون علماً بغيبها لاختصاص الله بعلم الغيب دونه خلقه.

﴿ولا خلق أنفسهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما استعنت ببعضهم على خلق بعض.

الثاني: ما أشهدت بعضهم خلق بعض.

ويحتمل ثالثاً: ما أعلمتم خلق أنفسهم(٥٣٣) فكيف يعلمون خلق غيرهم.

﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أولياء.

الثاني: أعواناً(٥٣٤)، ووجدته منقولاً عن الكلبي.

وفيما أراد أنه لم يتخذهم فيه أعواناً وجهان:

أحدهما: أعواناً في خلق السموات والأرض.

الثاني: أعواناً لعبدة الأوثان، قاله الكلبي.

---

(٥٣٣) وهذه الآية من أكبر الأدلة بل من الصادعات الرادعات لكل من أصابته عدوى وهوس نظرية تشالز دارون التي تمحض عنها بأن الانسان أصله قرد ولقد انتشرت هذه النظرية في مدارسنا وجامعاتنا انتشار النار في الهشيم ويدرسها قوم هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وبعضهم والعياذ بالله يشرحها على أنها حقيقة مسلّم بها ونسي هؤلاء أو تناسوا قول الله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ . والتكريم يقتضي رفعه عن هذه الحيوانات في المراتب الخلقية والعقلية والبدنية وكذلك قوله ﴿الذي خلقك فسَوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾ وكذلك قوله «وصوركم فأحسن صوركم﴾ وقوله ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم».

ألا تدل هذه الآيات وغيرها كثير وكثير وكذا الأحاديث الواردة في خلق الإنسان ألا يدل هذا كله على إبطال هذه النظرية التي قالها هذا اليهودي قاتله الله»؟

(٥٣٤) وهو قول قتادة رواه الطبري (١٥/٢٦٣).

وفي هؤلاء المضلين قولان(٥٣٥):

أحدهما: إبليس وذريته.

الثاني: كل مضل من الخلائق كلهم.

قال بعض السلف: إذا كان ذنب المرء من قبل الشهوة فارْجُه، وإذا كان من قبل الكبر فلا ترْجه، لأن إبليس كان ذنبه من قبل الكبر فلم تقبل توبته، وكان ذنب آدم من قبل الشهوة فتاب الله عليه. وقد أشار بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال:

إذا ما الفتى طاح في غيّه ... فَرَجِّ الفتى للتُّقى رَجّه

فقد يغلط الركب نهج الطـ ... ـريق ثم يعود إلى نهجه

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . وجعلنا بينهم موبقاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: مجلساً، قاله الربيع.

الثاني: مهلكاً، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك، قال الشاعر:

استغفر الله أعمالي التي سلفت ... من عثرةٍ إن تؤاخذني بها أبق

أي أهلك، ومثله قول زهير:

ومن يشتري حسن الثناء بماله ... يصن عرضَه من كل شنعاء موبق

قال الفراء: جعل تواصلهم في الدنيا مهلكاً في الآخرة.

الثالث: موعداً، قاله أبو عبيدة.

الرابع: عداوة، قاله الحسن.

الخامس: أنه واد في جهنم، قاله أنس بن مالك.

---

(٥٣٥) راجع روح المعاني فقد توسع في ذلك (١٥/٢٩٦ ـ ٢٩٧): وقال «واستدل بها (أي بالآية) على أنه لا ينبغي الاستعانة بالكافر. في أمور الدين كجهاد الكفار وقتال أهل البغي كما ذهب اليه بعض الائمة ولبعضهم في ذلك تفصيل وأما الإستعانة بهم في أمور الدنيا فالذي يظهر أنه لا بأس بها سواء كانت في أمر ممتهن كنزح الكنف أو غيره. . . . الخ.

السادس: أنه واد يفصل بين الجنة والنار، حكاه بعض المتأخرين.

قوله عزوجل: ﴿ورأى المجرمون النّار﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم عاينوا في المحشر.

الثاني: أنهم علموا بها عند العرض.

﴿فظنّوا أنهم مُواقعوها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم أمّلوا العفو قبل دخولها فلذلك ظنوا أنهم مواقعوها.

الثاني: علموا أنهم مواقعوها لأنهم قد حصلوا في دار اليقين وقد يعبر عن العلم بالظن لأن الظن مقدمة العلم.

﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ملجأ، قاله الكلبي.

الثاني: معدلاً ينصرفون إليه، قاله ابن قتيبة، ومنه قول أبي كبير الهذلي(٥٣٦):

أزهير هل عن شيبةٍ من مصرِفِ ... أم لا خلود لباذل متكلفِ

وفي المراد وجهان:

أحدهما: ولم يجد المشركون عن النار مصرفاً.

الثاني: ولم تجد الأصنام مصرفاً للنار عن المشركين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للناس من كلِّ مثَل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما ذكره لهم من العبر في القرون الخالية.

الثاني: ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية. فيكون على الوجه الأول جزاء، وعلى الثاني بياناً.

﴿وكان الإنسان أكثر شيءٍ جَدلاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عناداً، وهو مقتضى الوجه الأول.

---

(٥٣٦) ديوان الهذليين: ١٠٤ مجاز القرآن (١/٤٠٧) الطبري (١٥/٢٢٦) روح المعاني (١٥/٢٩٩) ووقع فيه تحريف والكشاف (٢/٣٩٤).

الثاني: حجاجاً وهو مقتضى القول الثاني.

رويَ أن النبي ﷺ(٥٣٧) دخل على عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال: «الصلاة، ألا تصليان؟ فقال علي رضي الله عنه: إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف النبي ﷺ وهو يقول﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ۝٥٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءَهم الهُدى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما منع الناس أنفسهم أن يؤمنوا.

الثاني: ما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا.

وفي هذا الهدي وجهان:

أحدهما: حجج الله الدالة على وحدانيته ووجوب طاعته.

الثاني: رسول الله ﷺ المبعوث لهداية الخلق.

﴿إلاّ أن تأتيهم سنةُ الأولين﴾ أي عادة الأولين في عذاب الإستئصال.

﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿قُبلاً﴾ بضم القاف(٥٣٨) والباء وفيه وجهان:

أحدهما: تجاه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه جمع قبيل معناه ضروب العذاب.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد: من أمامهم مستقبلاً لهم فيشتد عليهم هول مشاهدته.

---

(٥٣٧) رواه البخاري (٤٠٨/٨) ومسلم (٧٧٥) والنسائي (٣، ٢٠٥، ٢٠٦) وزاد السيوطي في الدر (٤٠٦/٥) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥٣٨) انظر زاد المسير (١٥٨/٥) الحجة في القراءات ٤٢٠.

وقرأ الباقون قِبَلاً(٥٣٩) بكسر القاف، وفيه وجهان:

أحدهما: مقابلة.

الثاني: معاينة.

ويحتمل ثالثاً: من قبل الله تعالى بعذاب من السماء، لا من قبل المخلوقين، لأنه يعم ولا يبقى فهو أشد وأعظم.

قوله عزوجل: ﴿. . لِيُدحضوا به الحقَّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ليذهبوا به الحق، ويزيلوه، قاله الأخفش.

الثاني: ليبطلوا به القرآن ويبدلوه، قاله الكلبي.

الثالث: ليهلكوا به الحق. والداحض الهالك، مأخوذ من الدحض وهو الموضع المزلق من الأرض الذي لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم، قال الشاعر(٥٤٠):

رَدَيت ونَجّى اليشكري حِذارُه وحادَ كما حادَ البعير عن الدحض

﴿واتخذوا آياتي وما أنذروا هُزُواً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الآية البرهان، وما أنذروا القرآن.

الثاني: الآيات القرآن وما أنذروا الناس.

ويحتمل قوله: ﴿هزواً﴾ وجهين:

أحدهما: لعباً.

الثاني: باطلاً.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ

(٥٣٩) انظر زاد المسير (١٥٨/٥) الحجة في القراءات ٤٢٠.

(٥٤٠) قيل هو طرفة بن العبد والبيت في اللسان (دحض) وأساس البلاغة(دحض) الطبري (٢٦٨/١٥) ومجاز القرآن (٤٠٨/١).

أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وربُّكَ الغفور﴾ يعني للذنوب وهذا يختص به أهل الإيمان دون الكفرة[٥٤١].

﴿ذو الرّحمة. . .﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: ذو العفو.

الثاني: ذو الثواب، وهو على هذين الوجهين مختص بأهل الإيمان[٥٤٢] دون الكفرة.

الثالث: ذو النعمة.

الرابع: ذو الهدى، وهو على هذين الوجهين يعم أهل الإيمان وأهل الكفر لأنه ينعم في الدنيا على الكافر كإنعامه على المؤمن، وقد أوضح هداه للكافر كما أوضحه للمؤمن، وإن اهتدى به المؤمن دون الكافر.

﴿بل لهم موعدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أجل مقدر يؤخرون إليه.

الثاني: جزاء واجب يحاسبون عليه.

﴿لن يجدوا مِن دونه مَوْئلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ملجأ، قاله ابن عباس وابن زيد.

الثاني: محرزاً، قاله مجاهد.

الثالث: ولياً، قاله قتادة.

الرابع: منجى، قاله أبو عبيدة. قال والعرب تقول: لا وألَت نفسه، أي لا نجت، ومنه قول الشاعر[٥٤٣]:

لا وألت نفسك خلّيتها للعامريّين ولم تُكْلَمِ

قوله عزوجل: ﴿وتلك القُرى أهلكناهم لمّا ظلموا﴾ فيه وجهان:

---

(٥٤١) بدليل قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقاً﴾ سورة النساء.

(٥٤٢) بدليل قوله تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ سورة الأعراف.

(٥٤٣) اللسان (وأل) والطبري (١٥/٢٦٩) والقرطبي (١١/٨) زاد المسير (٥/١٦٠) فتح القدير (٣/٢٩٦) فتح الباري (٨/٤٠٦).

أحدهما: أهلكناهم بالعذاب لما ظلموا بالكفر.

الثاني: أهلكناهم بأن وكلناهم إلى سوء تدبيرهم لما ظلموا بترك الشكر.

﴿وجعلنا لمهلكهم مَوْعِداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أجلا يؤخرون إليه، قاله مجاهد.

الثاني: وقتاً يهلكون فيه. وقرىء بضم الميم[٥٤٤] وفتحها[٥٤٥]، فهي بالضم من أُهلك وبالفتح من هَلَك.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ يعني يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وسمي فتاهُ لملازمته إياه، قيل في العلم، وقيل في الخدمة. وهو خليفة موسى على قومه من بعده.

وقال محمد بن إسحاق: إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن منشى بن يوسف[٥٤٦]، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران.

والذي عليه جمهور المسلمين أنه موسى بن عمران[٥٤٧].

---

(٥٤٤) وهي قراءة الأكثرين كما قاله ابن الجوزي (٥/١٦١) زاد المسير.

(٥٤٥) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم بفتح الميم واللام وهناك روايات أخرى عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام ومعناه لوقت اهلاكهم زاد المسير (٥/١٦١).

(٥٤٦) والذي في زاد المسير (٥/١٦٤) «موسى بن ميشا».

(٥٤٧) ويدل عليه خبر الصحيحين من حديث سعيد بن جبير قلت لابن عباس إن نوفاً البكالي يزعم أن =

﴿لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني بحر الروم وبحر فارس، أحدهما قبل المشرق، والآخر قبل المغرب وحكى الطبري أنه ليس في الأرض مكان أكثر ماء منه.

والقول الثاني: هو بحر أرمينية مما يلي الأبواب.

الثالث: الخضرُ وإلياس(٥٤٨)، وهما بحران في العلم، حكاه السدي.

﴿أو أمضي حُقباً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن الحقب ثمانون سنة، قاله عبد الله بن عمر.

الثاني: سبعون سنة، قاله مجاهد.

الثالث: أن الحقب الزمان، قاله قتادة.

الرابع: أنه الدهر، قاله ابن عباس، ومنه قول امرىء القيس(٥٤٩):

نحن الملوك وأبناء الملوك، لنا ... مِلكٌ به عاش هذا الناس أحقابا

الخامس: أنه سنة بلغة قيس، قاله الكلبي.

وفي قوله ﴿لا أبْرحُ﴾ تأويلان:

أحدهما: لا أفارقك، ومنه قول الشاعر(٥٥٠):

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً ... وتحمل أُخرى أثقلتك الودائع

= موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر قال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب.. الحديث.

ونقل الشوكاني قول ابن إسحاق في فتح القدير (٢٩٧/٣) وقال وهذا باطل قد ردّه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم» وقال ابن الجوزي (١٦٣/٥) عن قول ابن إسحاق ليس بشيء».

(٥٤٨) وفي قول آخر «الخضر وموسى» قال الشوكاني في فتح القدير (٢٩٨/٣) معقباً على القول الذي هنا وهو من الضعف بمكان وقد حكي عن ابن عباس ولا يصح قال الحافظ في الفتح (٤١٠/٨) «وأغرب من ذلك ما نقله القرطبي عن ابن عباس قال المراد بمجمع البحرين اجتماع موسى والخضر لأنهما بحران والله أعلم وهذا غير ثابت ولا يقتضيه اللفظ وإنما يحسن أن يذكر في مناسبة اجتماعهما بهذا المكان المخصوص كما قال السهيلي اجتمع البحران بمجمع البحرين» اهـ وقال العلامة الألوسي (٣١٢/١٥) تعقيباً على هذا التفسير. «هو تأويل صوفي والسياق ينبو عنه».

(٥٤٩) ديوانه: ٢٧٩ من قصيدة له أولها:

بأن الملوك وأمسي القلب مرتاباً ... من هؤلاء الناس عاشوا بعد أحزاب

(٥٥٠) هو بهيس العذري والبيت في اللسان «برح».

الثاني: لا أزال، قاله الفراء، ومنه قول الشاعر[٥٥١]:

وأبرح ما أدام اللهُ قومي بحمد الله منتطقاً مجيداً

أي لا أزال. وقيل إنه قال﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ لأنه وعد أن يلقى عنده الخضر عليه السلام.

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حُوتَهما﴾ قيل إنهما تزودا حوتاً مملوحاً وتركاه حين جلسا، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه ضل عنهما حتى اتخذ سبيله في البحر سرباً، فسمي ضلاله عنهما نسياناً منهما.

الثاني: أنه من النسيان له والسهو عنه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أن الناسي له أحدهما وهو يوشع بن نون وحده وإن أضيف النسيان إليهما، كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه أحدهم.

الثاني: أن يوشع نسي أن يحمل الحوت ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فصار كل واحد منهما ناسياً لغير ما نسيه الآخر.

﴿فاتّخذ سبيله في البحر سَرَباً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مسلكاً، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: يبساً، قاله الكلبي.

الثالث: عجباً، قاله مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿فلما جاوَزا﴾ يعني مكان الحوت.

﴿قال لفَتاهُ﴾ يعني موسى قال لفتاه يوشع بن نون.

﴿آتِنا غداءَنا﴾ والغداء الطعام بالغداة كما أن العشاء طعام العشي والإنسان إلى الغداء أشد حاجة منه إلى العشاء.

﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه التعب.

الثاني: الوهن.

---

(٥٥١) هو خداش بن زهير والبيت في اللسان «نطق» وفيه «على الأعداء» بدلاً من بحمد الله.

﴿قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة﴾ فيه قولان:

أحدهما: قاله مقاتل، إن الصخرة بأرض تسمى شره ان على ساحل بحر أيلة، وعندها عين تسمى عين الحياة.

الثاني: أنها الصخرة التي دون نهر الزيت على الطريق.

﴿فإني نسيت الحُوت﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فإني نسيت حمل الحوت.

الثاني: فإني نسيت أن أخبرك بأمر الحوت.

﴿وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن اذكُره﴾ أي أنسانية بوسوسته إليّ وشغله لقلبي.

﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ فيه قولان:

أحدهما:(٥٥٢) انه كان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماؤه صخراً فلما رآه موسى عجب من مصير الماء صخراً.

الثاني: أن موسى لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع الى مكانه فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري فيها فعجب من عود الحوت حياً.

﴿قال ذلك ما كُنّا نبغِ﴾ أي نطلب، وذلك أنه قيل لموسى إنك تلقى الخضر في موضع تنسى فيه متاعك، فعلم أن الخضر بموضع الحوت.

﴿فارتدّا على آثارهما قَصصاً﴾ أي خرجا إلى آثارهما يقصان أثر الحوت ويتبعانه.

﴿فَوَجدا عَبْداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: النبوة،(٥٥٣) قاله مقاتل.

الثاني: النعمة.

الثالث: الطاعة.

الرابع: طول الحياة.

﴿وعلّمناه من لدُنا عِلْماً﴾ قال ابن عباس لما اقتفى موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل راقد وقد سجي عليه ثوبه، فسلم عليه موسى، فكشف ثوبه عن وجهه وردّ عليه

(٥٥٢) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (١٥/٢٧٤) وإسناده ضعيف.

(٥٥٣) ولعله أقرب إلى الصواب فإن الله تعالى سمى النبوة رحمة كما في سورة الزخرف ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ على أن القول الثاني لا ينافي الأول فإن النبوة نعمة وهبة من الله تعالى لعبد من عباده».

السلام وقال: من أنت؟ قال: موسى. قال صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: وما لك في بني إسرائيل شغل، قال: أمرت أن آتيك وأصحبك.

واختلفوا في الخضر هل كان مَلَكاً أو بشراً على قولين:

أحدهما: أنه كان ملكاً(٥٥٤) أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه من علم الباطن.

الثاني: أنه كان بشراً من الإنس(٥٥٥).

واختلف من قال هذا على قولين:

أحدهما: كان نبياً(٥٥٦) لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه؛ ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، قال مقاتل: هو اليسع لأنه وسع علمه ست سموات وست أرضين.

الثاني: أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أودعه الله تعالى مِن علْم باطن الأمور ما لم يودع غيره، لأن النبي هو الداعي، والخضر كان مطلوباً ولم يكن داعياً طالباً، وقد ذكر أن سبب تسميته بالخضر لأنه كان إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله(٥٥٧).

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ

---

(٥٥٤) وهو الصواب بلا مرية ولا دليل على القول الأول.

(٥٥٥) وهذا القول لا دليل عليه ومن ثم قال الألوسي (١٥/٣١٩) وهاه ابن الجوزي وأنت تعلم أنه باطل... ومثله القول بأن اسمه الياس.

(٥٥٦) وهو الصواب إن شاء الله ونقله القرطبي عن الجمهور. والقول بنبوته يقطع الطريق على الطغام الذين يجعلون الولي أفضل من النبي ويزعمون أن الولاية درجه أعلى من النبوة حتى قال أحدهم.

مقام النبوة في برزخ فويق التي ودون الولي

وقال الألوسي (١٥/ ٣٢٠) والتصور ما عليه الجمهور» أي القول بنبوة الخضر.

(٥٥٧) وهو قول مجاهد كما في الفتح (٦/٤٣٣).

وقد روى البخاري (٦/٣٠٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراءقال الحافظ في الفتح (٦/٤٣٣) وزاد عبد الرزاق في مصنفه بعد أن أخرجه بهذا الإسناد الفرو الحشيش الأبيض وما أشبهه اهـ وقد نبه الحافظ رحمه الله على أن هذا التفسير من قول عبد الرزاق فيما نقله عن أحمد، رحمه الله.

ان شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٧٠﴾

قوله عزوجل: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رُشْداً﴾ في الرشد هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه العلم، قاله مقاتل ويكون تقديره على أن تعلمني مما علمت علماً.

الثاني: معناه على أن تعلمني مما علمت لإرشاد الله لك.

الثالث: ما يرى في علم الخضر رشداً يفعله وغياً يجتنبه، فسأله موسى أن يعلمه من الرشد الذي يفعله، ولم يسأله أن يعلمه الغيّ الذي يجتنبه لأنه عرف الغي الذي يجتنبه ولم يعرف ذلك الرشد.

﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صبراً عن السؤال.

الثاني: صبراً عن الإنكار.

﴿وكيف تصبر على ما لم تُحِطْ به خُبراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم تجد له سبباً.

الثاني: لم تعرف له علماً، لأن الخضر علم أن موسى لا يصبر إذا رأى ما بنكر ظاهره.

﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ فوعد بالصبر والطاعة ثم استثنى بمشيئة الله تعالى حذراً مما يلي فأطاع ولم يصبر.

وفي قوله: ﴿ ولا أعصي لك أمراً﴾ وجهان:

أحدهما: لا ابتدىء بالإنكار حتى تبدأ بالإخبار.

الثاني: لا أفشي لك سراً ولا أدل عليك بشراً. فعلى الوجه الأول يكون مخالفاً. وعلى الوجه الثاني يكون موافقاً.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا

﴿نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ لأنه أراد أن يعبر في البحر إلى أرض أخرى فركب في السفينة وفيها ركاب، فأخذ الخضر فأساً ومنقاراً فخرق السفينة حتى دخلها الماء وقيل إنه قلع منها لوحين فضج ركابها من الغرق.

فـ ﴿قال﴾ له موسى ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ وإن كان في غرقها غرق جميعهم لكنه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه لأنها عادة الأنبياء.

ثم قال بعد تعجبه وإكباره ﴿لقد جئت شيئاً إمْراً﴾ فأكبر ثم أنكر، وفي الإمر ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني منكراً، قاله مجاهد،

الثاني: عجباً، قاله مقاتل.

الثالث: أن الإمر الداهية العظيمة، قاله أبو عبيدة وأنشد(٥٥٨):

قد لقي الأقران مِنّي نُكْرا داهيةً دهياء إدّاً إمْرا

وهو مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح، ومنه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه، ومنه أمِر القومُ إذا أكثروا لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم.

قوله عزوجل: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيتُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بما نسيته وغفلت عنه فلم أذكره، وقد رفعه أبي بن كعب(٥٥٩).

الثاني: بما كأني نسيته، ولم أنسه في الحقيقة. حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: لم ينس ولكنها معاريض الكلام.

الثالث: بما تركته من عهدك، قاله ابن عباس، مأخوذ من النسيان الذي هو الترك لا من النسيان الذي هو من السهو.

﴿ولا تُرهقني مِنْ أمري عُسْراً﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٥٥٨) مجاز القرآن (١/٤٠٩) واللسان (امرا) والطبري (١٥/٢٨٤).

(٥٥٩) وهو قوله في الحديث «فكانت الأولى من موسى نسياناً».
رواه البخاري (٨/٣١٠) ومسلم (٤/١٧٤٨).

أحدها: لا تعنفني على ما تركت من وصيتك، قاله الضحاك.

الثاني: لا يغشني منك العسر، من قولهم غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه البلوغ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال(٥٦٠) «ارهقوا القبلة» أي اغشوها واقربوا منها.

الثالث: لا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان، وهو معنى قول مقاتل:

الرابع: لا يلحقني منك طردي عنك.

قوله تعالى: ﴿**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله**﴾ يعني انطلق موسى والخضر فاحتمل أن يكون يوشع تأخر عنهما، لأن المذكور انطلاق اثنين وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر عن وحي، واحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تابع لموسى، فاقتصر على ذكر المتبوع دون التابع لقول موسى: ﴿**ذلك ما كنا نبغي**﴾ فكان ذلك منه إشارة إلى فتاه يوشع.

واختلف في الغلام المقتول هل كان بالغاً، فقال ابن عباس: كان رجلاً شاباً قد قبض على لحيته لأن غير البالغ لا يجري عليه القلم بما يستحق به القتل، وقد يسمى الرجل غلاماً، قالت ليلى الأخيلية في الحجّاج(٥٦١):

شفاها من الداء العُضال الذي بها غُلامٌ إذا هزَّ القَناةَ سقاها

وقال الأكثرون: كان صغيراً غير بالغ وكان يلعب مع الصبيان، حتى مر به الخضر فقتله.

وفي سبب قتله قولان:

أحدهما: لأنه طبع على الكفر(٥٦٢).

(٥٦٠) رواه ابو يعلى (٧/٣٥٠، ٨/٢٥٣) والبزار في الزوائد (٢/٥٩) مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها وفي سنده مصعب بن ثابت قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤/٣٤٨) إسناده ضعيف لضعف مصعب بن ثابت.

وقال الهيثمي في المجمع (٢/٥٩) رواه أبو يعلى والبزار ورجاله موثقون ا هـ. قلت ومصعب وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وأما قول الهيثمي رحمه الله رجاله موثوقون فلا يعني صحة الحديث كما هو معلوم عند أهل الحديث. والحديث أورده ابن حجر في المطالب (١/٨٩).

(٥٦١) الأغاني (١١/٢٤٨) والقرطبي (١١/٢٨) روح المعاني (١٥/٣١٠) البحر المحيط (٦/١٥٠).

(٥٦٢) ويؤيده الحديث الصحيح الوارد أن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً وانظر تأويله باستفاضة في كتاب ابن القيـم: شفاء العليل ص.

الثاني: لأنه أصلح بقتله حال أبويه.

وفي صفة قتله قولان:

أحدهما: أنه أخذه من بين الصبيان فأضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه أخذ حجراً فقتل به الغلام، قاله مقاتل فاستعظم موسى ما فعله الخضر من قتل الغلام من غير سبب.

فـ ﴿قال أقتلت نَفْساً زكيةً بغير نفْسٍ﴾ فاختلف هل قاله استخباراً أو إنكاراً على قولين:

أحدهما: أنه قال ذلك استخباراً عنه لعلمه بأنه لا يتعدى في حقوق الله تعالى.

الثاني: أنه قاله إنكاراً عليه لأنه قال ﴿لقد جئت شيئاً نُكراً﴾.

قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثيرٌ ﴿زاكية﴾ وقرأ حمزة وابن عامر وعاصم والكسائي زكيّة(٥٦٣) بغير ألف.

واختلف في زاكية ـ وزكية على قولين:

أحدهما: وهو قول الأكثرين أن معناهما واحد، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على ستة أوجه:

أحدها: أن الزاكية التائبة، قاله قتادة.

الثاني: أنها الطاهرة، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنها النامية الزائدة، قاله كثير من المفسرين، قال نابغة بني ذبيان:

وما أخرتَ من دُنياك نقص   وإن قدّمْتَ عادَ لَك الزّكاءُ

يعني الزيادة.

الرابع: الزاكية المسلمة، قاله ابن عباس لأن عنده أن الغلام المقتول رجل.

الخامس: أن الزاكية التي لم يحل دمها، قاله أبو عمرو بن العلاء.

السادس: أنها التي لم تعمل الخطايا، قاله سعيد بن جبير.

والقول الثاني: أن بين الزاكية والزكية فرقاً، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الزاكية في البدن، والزكية في الدين، وهذا قول أبي عبيدة.

(٥٦٣) زاد المسير (١٧٢/٥).

الثاني : أن الزكية أشد مبالغة من الزاكية ، قاله ثعلب .

الثالث : أن الزاكية التي لم تذنب ، والزكية التي أذنبت ثم تابت فغفر لها ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : شيئاً منكراً ، قاله الكلبي .

الثاني : أمراً فظيعاً قبيحاً ، وهذا معنى قول مقاتل .

الثالث : أنه الذي يجب أن ينكر ولا يفعل .

الرابع : أنه أشد من الإِمْر ، قاله قتادة .

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : فلا تتابعني .

الثاني : فلا تتركني أصحبك ، قاله الكسائي .

الثالث : فلا تصحبني .

الرابع : فلا تساعدني على ما أريد .

﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذراً ﴾ قد اعتذرت حين أنذرت .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ اختلف في هذه القرية على ثلاثة أقاويل

أحدها : أنها أنطاكية، قاله الكلبي .

الثاني : أنها الأُبُلة ، قاله قتادة .

الثالث : أنها باجروان بإرمينية ، قاله مقاتل .

﴿ فَأَبَوْا إن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ يقال أضفت الرجل إذا نزل عليك فأنت مضيف . وضفت الرجل إذا نزلت عليه فأنت ضيف . وكان الطلب منهما الفاقة عُذراً فيهما . والمنع من أهل القرية لشحٍ أثموا به .

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ أي كاد أن ينقض ؛ ذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل في التالي ، كقول الشاعر(٥٦٤) :

يريد الرمح صدر أبي براءٍ ... ويرغب عن دماءِ بني عقيل

ومعنى ينقض يسقط بسرعة ، وينـاقض ينشق طولاً .وقرأ يحيى بن يعمر(٥٦٥) ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَصَّ ﴾ بالصاد غير المعجمة ، من النقصان .

﴿فَأَقَامَهُ﴾ قال سعيد بن جبير : أقام الجدار بيده فاستقام ، وأصل الجدر الظهور ومنه الجدري لظهوره .

وعجب موسى عليه السلام وقد ﴿ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ فأقام لهم الجدار فـ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ قال قتادة : شر القرى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه .

قوله عزوجل : ﴿ قَالَ هَذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هذا الذي قلته ﴿ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾

الثاني : هذا الوقت ﴿ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾

﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لم تستطع على المشاهدة له صبراً .

الثاني : لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنه صبراً . فروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال(٥٦٦) : « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَىٰ لَو صَبَرَ لَاقْتَبَسَ مِنْهُ أَلْفَ بَابٍ » .

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

(٥٦٤)هو الحارثي والبيت في مجاز القرآن (١ / ٤١٠) واللسان «رود» والطبري (١٥ / ٢٨٩) .

(٥٦٥)وفيهاقراءات أخرى راجع زاد المسير (٥/ ١٧٦) والحجة في القراءات ص ٤٢٤ .

(٥٦٦)والذي في البخاري (٦/ ٤٣٣) وغيره من حديث ابن عباس « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » وأما هذا اللفظ الذي أورده المؤلف فلم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

قوله عز وجل : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾ وفي تسميتهم مساكين أربعة أوجه :

أحدها : لفقرهم وحاجتهم .

الثاني : لشدة ما يعانونه في البحر ، كما يقال لمن عانى شدة قد لقي هذا المسكين جهداً .

الثالث : لزمانة كانت بهم وعلل .

الرابع : لقلة حيلتهم وعجزهم عن الدفع عن أنفسهم ، كما قال النبي ﷺ « مِسْكِينٌ رَجُلٌ لَا امرأة له » فسماه مسكيناً لقلة حيلته وعجزه عن القيام بنفسه لا لفقره ومسكنته .

وقرأ بعض أئمة القراء « لِمَسَّاكِينَ » بتشديد السين ، والمساكون هم الممسكون ، وفي تأويل ذلك وجهان :

أحدهما : الممسكون لسفينتهم للعمل فيها بأنفسهم .

الثاني : الممسكون لأموالهم شحاً فلا ينفقونها .

﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أي أن أُحْدِثَ فيها عيباً (٥٦٧) .

﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ في قوله ﴿ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه خلفهم ، وكان رجوعهم عليه ولم يعلموا به ، قاله الزجاج .

الثاني : أنه كان أمامهم . وكان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ ﴾

واختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقاويل :

أحدها : يجوز استعماله بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد ، قال الله تعالى ﴿ مِن وَرَائِهِم جَهَنَّمُ ﴾ أي من أمامهم وقدامهم جهنم قال الشاعر(٥٦٨) :

---

(٥٦٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤٥٢/٤) وسعيد بن منصور (١٣٨/١) والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٢٥٢/٤) وقال الهيثمي رجاله ثقات إلا أن أبا نجيم لا صحبة له . .

(٥٦٨) هو سوار بن المضرب والبيت في مجاز القرآن (٤١٢/١) واللسان « ورى » والطبراني (١/١٦) وروح المعاني (٩/١٦) والبيت في اللسان « أيرجو بنو مروان . . . .

أيـرجـو بنـو مـروان سمعي وطـاعتي   وقــومـي تـمـيـم والـفــلاة ورائـيــا

يعني أمامي .

الثاني : أن وراء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها .

الثالث : أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كـل واحد منهما وراء الآخر ، ولا يجوز في غيره قاله ابن عيسى .

﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ قرأ ابن مسعود : يأخذ كل سفينة صالحة غصباً . وهكذا كان الملك يأخذ كـل سفينة جيـدة غصباً ، فلذلـك عابهـا الخضر لتسلم من الملك . وقيـل إن اسم الملك هُدَد بن بُـدَد ، وقال مقـاتل : كـان اسمه منـدلـة بن جلندى بن سعد الأزدي .

وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَـا طُغْيَانـاً وَكُفْـراً ﴾ قال سعيـد بن جبير : وجـد الخضر غلمـانـاً يلعبـون فأخـذ غلامـاً ظـريفـاً فأضجعه وذبحه ، وقيل كان الغلام سداسياً وقيل أنه أراد بالسداسي ابن ست عشـرة سنة ، وقيل بـل أراد أن طولـه ستة أشبـار . قالـه الكلبي : وكان الغـلام لصاً يقـطع الطريق بين قرية أبيه وقرية أمه فينصره أهل القريتين ويمنعون منه .

قال قتادة : فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولـو بقي كان فيـه هلاكهما . قيل كان اسم الغلام جيسور . قال مقاتل وكان اسم أبيـه كازيـر ، واسم أمه سهوى .

﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : علم الخضر أن الغلام يرهق أبويه طغياناً وكفراً (٥٦٩) لأن الغلام كان كافراً

(٥٦٩) وقد استشكل قتل الخضر للغلام قال الشوكاني رحمه الله (٣/٣٠٤) الحاصل أنه لا إشكـال في قتل الخضر له إذا كان بالغاً كافراً أو قاطعـاً للطريق هذا فيمـا تقتضيه الشـريعة الإسلامية ويمكن أن يكون =

قال قتادة : وفي قراءة أبي ﴿ وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ كَافِراً وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ فعبر عن العلم بالخشية .

الثاني : معناه فخاف ربك أن يرهق الغلام أبويه طغياناً وكفراً ، فعبر عن الخوف بالخشية قال مقاتل : في قراءة أبي ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ ﴾ والخوف ها هنا استعارة لانتفائه عن الله تعالى .

الثالث : وكره الخضر أن يرهق الغلام أبويه بطغيانه وكفره إثماً وظلماً فصار في الخشية ها هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها العلم(٥٧٠) .

الثاني : أنها الخوف .

الثالث : الكراهة .

وفي ﴿ يُرْهِقَهُمَا ﴾ وجهان :

أحدهما : يكفلهما ، قاله ابن زيد .

الثاني : يحملهما على الرهق وهو الجهد .

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خيراً منه إسلاماً . قاله ابن جريج .

الثاني : خيراً منه علماً ، قاله مقاتل .

الثالث : خيراً منه ولداً .

وكانت أمه حبلى فولدت ، وفي الذي ولدته قولان :

أحدهما : ولدت غلاماً صالحاً مسلماً ، قاله ابن جريج .

= للخضر شريعة من عند الله سبحانه تسوّغ له ذلك وأما إذا كان الغلام صبياً غير بالغ فقيل إن الخضر علم بإعلام الله له أنه لو صار بالغاً لكان كافراً يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهما وهذا وإن كان ظاهر الشريعة الإسلامية يأباه فإن قتل من لا ذنب له ولا قد جرى عليه قلم التكليف لخشية أن يقع منه بعد بلوغه ما يجوز قتله لا تحل في الشريعة المحمدية ولكنه حلّ في شريعة أخرى فلا إشكال.

(٥٧٠) أي علمنا أنه لو أدرك وبلغ لدعا أبويه إلى الكفر فيحبانه ويدخلان معه في دينه لفرط حبهما إياه راجع روح المعاني (١١/١٦) وقد نقله عن بعض شراح البخاري .

الثاني : ولدت جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدىٰ الله على يديه أمة من الأمم .

﴿ وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني أكثر براً بوالديه من المقتول ، قاله قتادة ، وجعل الرحم البر ، ومنه قول الشاعر(٥٧١):

طـريدٌ تـلافاه يـزيـد بـرحمـةٍ ... فـلم يُلْف من نعمـائـه يتعـذَّرُ

الثاني : أعجل نفعاً وتعطفاً ، قال أبو يونس النحوي وجعل الرحم المنفعة والتعطف ، ومنه قول الشاعر(٥٧٢):

وكيف بظلم جارية . . . ... ومنها اللين والرحم

الثالث : أقرب أن يرحما به ، والرُّحم الرحمة ، قاله أبو عَمْرو بن العلاء ، ومنه قول الشاعر :

أحنى وأرحمُ مِن أمٍّ بـواحـدِهـا ... رُحْماً وأشجع من ذي لبدةٍ ضاري

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ زعم مقاتل أن اسم الغلامين(٥٧٣) صرم وصريم ،واسم أبيهما كاشخ ، واسم أمهما رهنا ، وأن المدينة قرية تسمى عيدشى .

وحقيقة الجدار ما أحاط بالدار حتى يمنع منها ويحفظ بنيانها ، ويستعمل في غيرها من حيطانها مجازاً .

---

(٥٧١) هو الأحوص بن محمد الأنصاري والبيت في اللسان « عذر » .

(٥٧٢) البيت غير منسوب وهو في مجاز القرآن (٤١٣/١) واللسان «رحم» والقرطبي (٣٧/١١).

(٥٧٣) وفي زاد المسير (١٨١/٥) « أصرم وصريم » .

﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ وفي هذا الكنز ثلاثة أقاويل :

أحدها : صحف علم ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد .

الثاني : لوح من ذهب مكتوب فيه حِكَم ، قاله الحسن ، وروى ابن الكلبي(٥٧٤) عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ ، كَانَ الكَنزُ لَوحاً مِن ذَهَبٍ مَكْتُوباً فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ عَجَبٌ لِّمَن يُؤْمِنُ بِالمَوتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ، عَجَبٌ لِّمَن يُوقِنُ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ ، عَجَبٌ لِّمَن يُوقِنُ بِزَوالِ الدُّنيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا كَيفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيهَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » .

الثالث : كنز : مال مذخور(٥٧٥) من ذهب وفضة ، قاله عكرمة وقتادة .

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ قيل إنهما حفظا لصلاح أبيهما السابع ، قال محمد بن المنكدر : إن الله تعالى يحفظ عبده المؤمن في ولده وولد ولده وفي ذريته وفي الدويرات حوله . وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ مثله(٥٧٦) .

واختلف أهل العلم في بقاء الخضر عليه السلام إلى اليوم ، فذهب قوم إلى بقائه لأنه شرب من عين الحياة(٥٧٧) . وذهب آخرون إلى أنه غير باقٍ(٥٧٨) لأنه لو كان

---

(٥٧٤) وقد روى نحوه ابن مردويه من حديث علي مرفوعاً كما في الدر (٥/٤٢١) ونحوه من حديث أبي ذر مرفوعاً رواه بن أبي حاتم وابن مردويه والبزار كما في الدر (٥/٤٢١) كما ورد نحوه موقوفاً من قول ابن عباس أخرجه الخرائطي في قمع الحرص وابن عساكر كما في الدر (٥/٤٢١) أما حديث أنس الذي أورده الفريق هنا فلم اهتد إليه والله أعلم .

(٥٧٥) وقد رجحه الطبري (٦/١٦) وقال «وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أصله صرفه إلى غير ذلك .

(٥٧٦) وقد ورد من حديث جابر أخرجه ابن مردويه كما في الدر (٥/٤٢٢) ولفظه إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده وأهل دويرات حوله . فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم .
وأخرجه ابن المبارك وابن أبي شيبة عن محمد بن المنكدر موقوفاً .

(٥٧٧) لم نعلم لذلك أثراً صحيحاً .

(٥٧٨) وهو الصواب وقد ساق الأدلة على ذلك ابن الجوزي رحمه الله من الكتاب والسنة والعقل والنظر وهو قول الحقيقة والعلماء كالبخاري وأبي يعلى الحنبلي وأبي بكر بن العربي، وابن تيمية وابن القيم وابن حجر وإبراهيم الحربي وغيرهم .

باقياً لعرف ، ولأنه لا يجوز أن يكون بعد نبينا ﷺ نبي وهذا قول من زعم أن الخضر نبي .

وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ اختلف فيه هل كان نبياً ؟ فذهب قوم إلى أنه نبي مبعوث فتح الله على يده الأرض وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن نبياً ولا ملكاً ، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله ، وناصح لله فناصحه الله ، وضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر ، ولم يكن له قرنان كقرني الثور .

واختلف في تسميته بذي القرنين على أربعة أقاويل :

أحدها : لقرنين في جانبي رأسه على ما حكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثاني : لأنه كانت له ضفيرتان فَسُمِّيَ بهما ذو القرنين ، قاله الحسن .

الثالث : لأنه بلغ طرفي الأرض من المشرق والمغرب ، فَسُمِّيَ لاستيلائه على قرني الأرض ذو القرنين ، قاله الزهري .

الرابع : لأنه رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه فَسُمِّيَ ذو القرنين ، قاله وهب بن منبه (٥٧٩) .

وحكى ابن عباس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد ، وحكى محمد بن إسحاق أنه رجل من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة (٥٨٠) اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح . وقال معاذ بن جبل : كان رومياً اسمه الاسكندروس . قال ابن هشام : هو الإسكندر وهو الذي بنى الإسكندرية .

---

(٥٧٩) وما ورد في سبب التسمية الذي ساقه المؤلف هنا قال الألوسي (١٦/٢٤) وأما الوجوه المذكورة في وجه التسمية ففيها ما لا يكاد يصح ولعله لا يخفى عليك .

(٥٨٠) وفي فتح القدير (٣/٣٠٧) مرزبان بن مرذبة وفي الطبري (١٦/١٧) مرزبا بن مرذبة كما هنا .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : باستيلائه على ملكها .

الثاني : بقيامه بمصالحها .

﴿ وَأَتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : وجعلنا له من كل أرض وليها سلطاناً وهيبة .

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن
ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : منازل الأرض ومعالمها .

الثاني : يعني طرقاً بين المشرق والمغرب ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثالث : طريقاً إلى ما أريد منه .

الرابع : قفا الأثر ، حكاه ابن الأنباري (٥٨١) .

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ﴿ حَمِئَةٍ ﴾ (٥٨٢) وفيها وجهان :

أحدهما : عين ماء ذات حمأة ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثاني : يعني طينة سوداء ، قاله كعب .

---

(٥٨١) هذا التفسير على قراءة من قرأ ﴿فاتّبع سبباً﴾ كما حكاه ابن الجوزي عن ابن الأنباري زاد المسير (١٨٥/٥).

(٥٨٢) حجة القراءات ص ٤٢٩ وزاد المسير (١٨٥/٥).

وقرأ ابن الزبير، والحسن : ﴿ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ﴾ وهي قراءة الباقين[٥٨٣] يعني حارة .

فصار قولاً ثالثاً : وليس بممتنع أن يكون ذلك صفة للعين أن تكون حمئة سوداء حامية ، وقد نقل مأثوراً في شعر تُبَّع وقد وصف ذا القرنين بما يوافق هذا فقال[٥٨٤]:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً . . ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خُلُبٍ وثاطٍ حرمد

الخُلُب : الطين . والثأط : الحمأة . والحرمد : الأسود .

ثم فيها وجهان :

أحدهما : أنها تغرب في نفس العين .

الثاني : أنه وجدها تغرب وراء العين حتى كأنها تغيب في نفس العين[٥٨٥] .

﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه خيره في عقابهم أو العفو عنهم .

الثاني : إما أن تعذب بالقتل لمقامهم على الشرك وإما أن تتخذ فيهم حُسناً بأن تمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العَمَى ، فحكى مقاتل أنه لم يؤمن منهم إلا رجل واحد .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

---

(٥٨٣) حجة القراءات ص ٤٢٨ وزاد المسير (٥/١٨٥)

(٥٨٤) روح المعاني (١٦/٢٧) واللسان خلب ، حرمد، ثأط ونسبه إلى أمية بن أبي الصلت .

(٥٨٥) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٦/٣٢)«والمراد وجدها في نظر العين كذلك إذا لم ير هناك الماء لا أنها كذلك حقيقة وهذا كما أن راكب البحر يراها (أي الشمس) كأنها تطلع من البحر وتغيب فيه».

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴾ قرىء بقطع الألف(٥٨٦)، وقرىء بوصلها وفيها وجهان :

أحدهما : معناهما واحد .

الثاني : مختلف . قال الأصمعي : بالقطع إذا لحق ، وبالوصل إذا كان على الأثر ، وإن لم يلحق .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ قرىء بكسر اللام ، وقرىء بفتح اللام، (٥٨٧) وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد.

الثاني: معناهما مختلف. وهي بفتح اللام الطلوع، وبكسرها الموضع الذي تطلع منه. والمراد بمطلع الشمس ومغربها ابتداء العمارة وانتهاؤها.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾ يعني من دون الشمس ما يسترهم منها من بناء أو شجر أو لباس. وكانوا يأوون إذا طلعت عليهم إلى أسراب لهم، فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش و سمك(٥٨٨) .

قال ابن الكلبي : وهم تاريس وتأويل ومنسك .

وهذه الأسماء والنعوت التي نذكرها ونحكيها عمن سلف إن لم تؤخذ من صحف النبوة السليمة لم يوثق بها، ولكن ذكرت فذكرتها.

وقال قتادة. هم الزنج .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ

(٥٨٦) حجة القراءات ص ٤٢٨ .

(٥٨٧) وهي قراءة الحسن ومجاهد وابن مجلز وأبي رجاء وابن محيصن زاد المسير (٥/١٨٧).

(٥٨٨) وزعم بعض أشياء عجيبة تتعلق بطولهم وعرضهم ومأكلهم . . . الخ .

قال العلامة الألوسي (١٦/٣٦) « وأنت تعلم أن مثل هذه الحكايات لا ينبغي أن يلتفت إليها ولا يعول عليها وما هي إلا أخبار عن هيان بني بيان يحكيها العجائز وأمثالهن لصغار الصبيان ».

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

قوله عزوجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بالفتح قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص. وقرأ الباقون بين السُّدين(٦٨٩) بالضم، واختلف فيهما على قولين.

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد.

الثاني: أن معناهما مختلف.

وفي الفرق بينهما ثلاثة أوجه:

أحدها: أن السد بالضم من فعل الله عز وجل وبالفتح من فعل الآدميين.

الثاني: أنه بالضم الاسم، وبالفتح المصدر، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك. والسدان جبلان، قيل إنه جعل الروم بينهما. وفي موضعهما قولان:

أحدهما: فيما بين إرمينية وأذربيجان.

الثاني: في متقطع الترك مما يلي المشرق.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي من دون السدين، وفي ﴿يَفْقَهُونَ﴾ قراءتان:

إحداهما: بفتح الياء والقاف يعني أنهم لا يفهمون كلامَ غيرهم.

والقراءة الثانية: بضم الياء وكسر القاف، أي لا يفهم كلامهم غيرهم.

قوله عزوجل: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهما من ولد(٥٩٠) يافث بن نوح، واسمهما مأخوذ من أجت النار إذا تأججت، ومنه قول جرير:

---

(٦٨٩) زاد المسير (٥/ ١٩٠) الحجة في القراءات ص ٤٣٢.

(٥٩٠) قال الألوسي (١٦/ ٣٨).. ونقل النووي في فتاواه القول بأنهم أولاد آدم عليه السلام من غير حواء عن جماهير العلماء، اهـ.

قلت: وهذا القول هو قول كعب الأحبار «قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٠٧) ولم يرد ذلك عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح عليه السلام ونوح من ذرية حواء قطعاً».

وأيام أتين على المطايا كأن سمومهن أجيج نارِ

واسمها في الصحف الأولى ياطغ وماطغ. وكان أبو سعيد الخدري يقول أن النبي ﷺ قال: «لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ منهُمْ حَتَّى يُولَدُ لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ»[٥٩١].

واختلف في تكليفهم على قولين:

أحدهما: أنهم مكلفون لتمييزهم.

الثاني: أنهم غير مكلفين لأنهم لو كلفوا لما جاز ألاَّ تبلغهم دعوة الإسلام.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ قرأ حمزة والكسائي[٥٩٢]: ﴿خَرَاجاً﴾ وقرأ الباقون ﴿خَرْجاً﴾ وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الخراج الغلة، والخرج الأجرة.

الثاني: أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض، والخرج ما يؤخذ عن الرقاب، قاله أبو عمرو بن العلاء.

الثالث: أن الخرج ما يؤخذ دفعة، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة، قاله ثعلب.

قوله عزوجل: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ يعني خير من الأجر الذي تبذلونه لي.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بآلة، قاله الكلبي.

الثاني: برجال، قاله مقاتل.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الحجاب الشديد.

الثاني: أنه السد المتراكب بعضه على بعض فهو أكبر من السد.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها قطع الحديد، قاله ابن عباس ومجاهد.

---

(٥٩١) رواه الطبري (٢٢/١٦) عن ابن عباس قال: كان أبو سعيد الخدري يقول: إن نبي الله ﷺ قال: لا يموت رجل منهم حتى يولد له . . . الحديث ولكن سنده مسلسل بالضعفاء.

وله طريق أخرى عن حذيفة مطولاً أورده السيوطي في الدر (٤٥٧/٥) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار ولم يصح فرائحة الإسرائيليات تفوح منه.

(٥٩٢) حجة القراءات ص ٤٣٢ زاد المسير (١٩١/٥).

الثاني: أنه فلق الحديد، قاله قتادة.

الثالث: أنه الحديد المجتمع، ومنه الزَّبور لاجتماع حروفه في الكتابة، قال تبع اليماني:

ولقد صبرت ليعلموه وحولهم زبر الحديد عشيةً ونهاراً

﴿حَتَّى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: الصدفان: جبلان، قال عمرو بن شاش:

كلا الصدفين ينفذه سناها توقد مثل مصباح الظلام

وفيهما وجهان:

أحدهما: أن كل واحد منهما محاذ لصاحبه، مأخوذ من المصادفة في اللقاء، قاله الأزهري.

الثاني: قاله ابن عيسى، هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أن الصدفين اسم لرأسي الجبلين.

الثاني: إسم لما بين الجبلين.

ومعنى قوله: ﴿ سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ أي بما جعل بينهما حتى وارى رؤوسهما وسوّى بينهما.

﴿ قَالَ ٱنفُخُوا ﴾ يعني أي في نار الحديد.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾ يعني ليناً كالنار في الحر واللهب.

﴿ قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن القطر النحاس، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: أنه الرصاص حكاه ابن الأنباري.

الثالث: أنه الصفر المذاب، قاله مقاتل، ومنه قول الحطيئة:

وألقى في مراجل من حديد قدور الصُّفر ليس من البُرام

الرابع : أنه الحديد المذاب ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٥٩٣) :

حُساماً كلون الملح صار حديده حراراً من أقطار الحديد المثقب

وكان حجارته الحديد وطينه النحاس .

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ **فَمَا ٱسْطَاعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ** ﴾ أي يعلوه. ﴿ **وَمَا ٱسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً** ﴾ يعني من أسفله ، قاله قتادة ، وقيل إن السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط . وقيل : ارتفاع السد مقدار مائتي ذراع ، وعرضه نحو خمسين ذراعاً وأنه من حديد شبه المصمت .

ورُوي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ(٥٩٤) : إنِّي رَأيتُ السَّدَّ « **قَالَ : انعتهُ** » : قَالَ : هُوَ كَالبَرَدِ المُحَبَّر ، طَرِيقُه سَوداءُ وَطَرِيقُه حَمْرَاءُ ، « **قَالَ قَدْ رَأيتَهُ** » .

قوله عز وجل : ﴿ **قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن عمله رحمة من الله تعالى لعباده .

الثاني : أن قدرته على عمله رحمة من الله تعالى له .

---

(٥٩٣) مجاز القرآن (١١/ ٤١٥) والطبري (١٦/ ٢٦) وفيه الحديد المنعت .

(٥٩٤) رواه الطبري (١٦/ ٢٣) وسنده ضعيف فإنه مرسل بل معضل حيث قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبي الله .....

وقد رواه ابن مردويه عن أبي بكر الشفى أن رجلاً قال : يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج . . . الحديث أورده في الدر (٥/ ٤٥٨).

خبر قتادة رواه البخاري معلقاً وجزم به (٦/ ٣٨٦) قال الحافظ : وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة ثم قال الحافظ : ورواه الطبراني من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة . . . . فذكر نحوه وزاد فيه زيادة منكرة . آ هـ .

قلت : وهي من تخاليط سعيد بن بشير فإنه صاحب مناكير .

ثم قال الحافظ وأخرجه البزار من طريق يوسف بن أبي مريم الحنفي عن أبي بكر ورجل رأى السد فساقه مطولاً .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ﴾ قال ابن مسعود : وذلك يكون بعد قتل عيسىٰ عليه السلام الدجال في حديث مرفوع .وروي أن النبي ﷺ قال (٥٩٥) : « إِنَّهُم يَدْأَبُونَ فِي حَفْرِهِم نَهارُهُم حَتَّىٰ إِذَا أَمْسَوْا وَكَادُواْ يُبْصِرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالُوا نَرْجِعُ غداً فَنَحْفُرُ بَقِيَّتَهُ ، فَيَعُودُونَ مِنَ الغَدِ وَقَدِ اسْتَوَىٰ كَمَا كَانَ ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قَالُواْ : غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَنْقُبُ بَقِيَّتَهُ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَيهِ فَيَنْقُبُونَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنهُ عَلَى النَّاسِ مِن حُصُونِهِم ، ثُمَّ يَرْمُونَ نبلاً إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيَرْجِعُ إِلَيهِم فِيهَا أَمْثَالُ الدِّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ ظَفَرْنَا عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَقَهَرْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعالَىٰ عَلَيهِم مَّا يَهْلِكُهُم » .

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يوم القيامة ، قاله ابن بحر .

الثاني : هو الأجل الذي يخرجون فيه .

﴿ جَعَلَهُ دَكَّآءَ ﴾ يعني السد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أرضاً ، قاله قطرب .

الثاني : قطعاً ، قاله الكلبي .

الثالث : هدماً حتى اندك بالأرض فاستوى معها ، قاله الأخفش ، ومنه قول الأغلب(٥٩٦) :

هل غير غادٍ دك غاراً فانهدم

قوله عز وجل : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم القوم الذين ذكرهم ذو القرنين يوم فتح السد يموج بعضهم في بعض .

---

(٥٩٥) رواه أحمد (٢/٥١٠ ـ ٥١١) والترمذي (٢/١٤٤) وحسنه وابن ماجة (٤٠٨٠) وابن حبان (١٩٠٨) والحاكم (٤/٤٨٨) وصححه ووافقه الذهبي وابن جرير (١٦/٢١) وزاد السيوطي في الدر (٥/٤٥٨) نسبته لابن مردويه والبيهقي في البعث . قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة . رقم ١٧٣٢ وقال: له شاهد من حديث أبي سعيد ثم أحال عليه رقم ١٧٩٣ وصححه .

(٥٩٦) فتح القدير (٣/٣١٣) .

الثاني : الكفار في يوم القيامة يموج بعضهم في بعض .

الثالث : أنهم الإنس والجن عند فتح السد .

وفيه وجهان :

أحدهما : يختلط بعضهم ببعض .

الثاني : يدفع بعضهم بعضاً ، مأخوذ من موج البحر .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)

قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الضلال كالمغطي لأعينهم عن تَذَكُّر الانتقام .

الثاني : أنهم غفلوا عن الاعتبار بقدرته الموجبة لذكره .

﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المراد بالسمع ها هنا العقل(٥٩٧)، ومعناه لا يعقلون .

الثاني : أنه معمول على ظاهره في سمع الآذان .

وفيه وجهان :

أحدهما : لا يستطيعونه استثقالاً .

الثاني : مقتاً .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن النزل الطعام ، فجعل جهنم طعاماً لهم ، قاله قتادة .

الثاني : أنه المنزل ، قاله الزجاج .

---

(٥٩٧) أي سماع القبول والاستجابة لأنهم قد يكونون صحاح الأسماع والأبصار لكن لا تغني عنهم شيئاً صم بكم عمي عن دعوة الحق ومنهج الرسل . .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم القسيسون والرهبان ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثاني : أنهم الكتابيون اليهود والنصارىٰ ، قاله سعد بن أبي وقاص .

الثالث : هم أهل حروراء من الخوارج ، وهذا مروي عن علي رضي الله عنه .

الرابع : هم أهل الأهواء .

الخامس : أنهم من يصطنع المعروف ويمن عليه .

ويحتمل سادساً : أنهم المنافقون بأعمالهم المخالفون باعتقادهم .

ويحتمل سابعاً : أنهم طالبو الدنيا وتاركو الآخرة(٥٩٨) .

قوله تعالىٰ : ﴿ . . . فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : لهوانهم على الله تعالى بمعاصيهم التي ارتكبوها يصيرون محقورين لا وزن لهم .

الثاني : أنهم لخفتهم بالجهل وطيشهم بالسفه صاروا كمن لا وزن لهم .

الثالث : أن المعاصي تذهب بوزنهم حتى لا يوازنوا من خفتهم شيئاً .

روي عن كعب أنه قال : يجاء بالرجل يوم القيامة(٥٩٩) فيوزن بالحبة فلا

---

(٥٩٨) قال العلامة الشوكاني (٣/٣١٦): والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة .

(٥٩٩) وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري (٨/٣٢٤) ومسلم (٤/٢١٤٧) ولفظه « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ .

يزنها ، ويوزن بجناح البعوضة فلا يزنها ، ثم قرأ : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ .

الرابع : أن حسناتهم تُحْبَط بالكفر فتبقى سيئاتهم ، فيكون الوزن عليهم لا لهم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُم جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ في ﴿ ٱلْفِرْدَوْسِ ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أن الفردوس وسط الجنة وأطيب موضع فيها ، قاله قتادة .

الثاني : أنه أعلى الجنة وأحسنها ، رواه ضمرة(٦٠٠) مرفوعاً .

الثالث : أنه البستان بالرومية ، قاله مجاهد .

الرابع : أنه البستان الذي جمع محاسنٍ كل بستان ، قاله الزجاج .

الخامس : أنه البستان الذي فيه الأعناب ، قاله كعب .

واختلف في لفظه على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه عربي وقد ذكرته العرب في شعرها ، قاله ثعلب .

الثاني : أنه بالرومية ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه بالنبطية فرداساً ، قاله السدي .

الرابع : بالسريانية ، قاله أبو صالح .

---

(٦٠٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب سمرة والتصويب من الطبري وغيره وحديث سمرة رواه الطبري (٣٨/١٦) والطبراني في الكبير (٦٨٨٥، ٦٨٨٦) من طريق الحسن عن سمرة ولفظه الفردوس من ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها » وفي اللفظ الآخر « الفردوس هي أعلى الجنة وأحسنها وأرفعها » وفي سند اللفظ الأول الوليد بن مسلم وهو مدلس مشهور وقد عنعن وفي سند اللفظ الثاني إسماعيل بن مسلم ـ وهو ـ ضعيف ـ وفي سماع الحسن من سمرة خلاف مشهور.

قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (٣٩٨١٠): رواه الطبراني والبزار باختصار وزاد فيه «فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس» وأحد أسانيد الطبراني رجاله وثقوا وفي بعضهم ضعف .

قوله عز وجل : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ أي متحولاً وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بدلاً ، قاله الضحاك .

الثاني : تحويلاً ، قاله مقاتل .

الثالث : حيلة ، أي لا يحتالون منزلاً غيرها .

وقيل إنه يقول أولهم دخولاً إنما أدخلني الله أولهم لأنه ليس أحد أفضل مني ، ويقول آخرهم دخولاً إنما أخرني الله لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل ما أعطاني .

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وعد بالثواب لمن أطاعه ، ووعيد بالعقاب لمن عصاه ، قاله ابن بحر ومثله ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ .

الثاني : أنه العلم بالقرآن ، قاله مجاهد.

الثالث : وهذا إنما قاله الله تعالى تبعيداً على خلقه أن يُحصواْ أفعاله ومعلوماته ، وإن كانت عنده ثابتة محصية .

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني فمن كان يخاف لقاء ربه ، قاله مقاتل ، وقطرب .

الثاني : من كان يأمل لقاء ربه .

الثالث : من كان يصدّق بلقاء ربه ، قاله الكلبي .

وفي لقاء ربه وجهان :

أحدهما : معناه لقاء ثواب ربه ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : من كان يرجو لقاء ربه إقراراً منه بالبعث إليه والوقوف بين يديه .

﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه الخالص من الرياء ، قاله ذو النون المصري .

الثاني : أن يلقى الله به فلا يستحي منه ، قاله يحيى بن معاذ .

الثالث : أن يجتنب المعاصي ويعمل بالطاعات .

﴿ وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الشرك بعبادته الكفر ، ومعناه لا يُعْبَد معه غيرُه ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الرياء ، ومعناه ولا يرائي بعمله أحداً ، قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد .

روي عن النبي ﷺ(٦٠١) أنه قال : « **أَخْوَفُ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الخَفِيَّةَ** » قيل : أتشرك أمتك بعدك ؟ قال : « **لاَ ، أَمَا أَنَّهُم لاَ يَعْبُدونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ حَجراً وَلاَ وَثَناً وَلٰكِنَّهُم يُرَاءُونَ بِعَمَلِهِم** »، فقيل : يا رسول الله وذلك شرك ؟ فقال : « **نَعَم** ». قيل : وما الشهوة الخفية ، قال : « **يُصْبِحُ أَحَدُهُم صَائِماً فَتَعْرِضُ لَهُ الشَّهْوَةُ مِن شَهَواتِ الدُّنْيَا فَيُفْطِرَ لَهَا وَيَتْرُكَ صَوْمَهُ** ».

وحكى الكلبي ومقاتل : أن هذه الآية نزلت في جندب بن زهير العامري أتى رسول الله ﷺ فقال له : إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله فيثنى به علينا فيعجبنا ، وأني لأصلي الصلاة فأطولها رجاء أن يثنى بها عليّ ،فقال رسول الله ﷺ (٦٠٢) : « **إنَّ**

---

(٦٠١) رواه أحمد (٤/١٢٤) والحاكم (٤/٣٣٠) من حديث شداد بن أوس وزاد في الدر (٥/٤٧١) نسبته لابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي وقال الحاكم: صحيح الاسناد. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٣٦) تعقيباًعلى كلام الحاكم « كيف وعن الواحد بن زياد الزاهد متروك ورواه ابن ماجه مختصراًمن رواية رواد بن الجراح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان عن عبادة بن يونس . . . . ثم قال المنذري وعامر بن عبد الله لا يعرف وقال الحافظ ابن كثير (٣/١٠٩): وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر آ هـ ويعني عنه أحاديث كثيرة في الترهيب من الرياء راجعها في الترغيب والترهيب (١/٢٩ ـ ٣٩) والدر المنثور (٥/٤٧٠ ـ ٤٧٥).

(٦٠٢) وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم (٢٩٨٥) ولفظه «أنا أغنى الشركاء عن =

اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا خَيرُ شَرِيكٍ فَمَنْ أَشرَكَنِي فِي عَمَلٍ يَعْمَلُهُ لِي أَحداً مِن خَلْقِي تَرَكْتُهُ وذَٰلِكَ الشَّرِيكَ » ونزلت فيه هذه الآية : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحداً ﴾ فتلاها عليه رسول الله ﷺ ، وقيل(٦٠٣) إنها آخر آية نزلت من القرآن .

= الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك » وما حكاه المؤلف هنا عن مقاتل والكلبي أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس .

(٦٠٣) القائل هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رواه الطبري (١٦/ ٤٠) لكن الحافظ ابن كثير رحمه الله قال (٣/ ١١٠) : وهذا أثر مشكل فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم . .

وقال العلامة الألوسي (١٦/ ٥٥) على أثر معاوية « وفيه كلام والحق خلافه والله تعالى أعلم» وقال القرطبي (١١/ ٧٢): لكن المشهور أن آخر آية هي قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ إلا أن يقال إن هذه آخر آية نزلت بمكة لأن الكهف كلها مكية باتفاق آ هـ.

سُورَةُ مَرْيَمَ

ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ
بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ
رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : أنه اسم من أسماء الله ، قاله علي كرم الله وجهه .

الثالث : أنه استفتاح السورة ، قاله زيد بن أسلم .

الرابع : أنه اسم السورة ، قاله الحسن .

الخامس : أنه من حروف الجُمل (٦٠٤) تفسير لا إله إلا الله ، لأن الكاف

(٦٠٤) راجع ما كتب حول أوائل السورة في سورة البقرة وأزيد هنا فأقول قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/٣٠٤) وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روى عن غيره ما يخالفه وقد =

عشرون والهاء خمسة والياء عشرة والعين سبعون والصاد تسعون . كذلك عدد حروف لا إله إلا الله ، حكاه أبان بن تغلب .

السادس : أنها حروف أسماء الله .

فأما الكاف فقد اختلفوا فيها من أي اسم هي على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من كبير ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها من كاف ، قاله الضحاك .

الثالث : أنها من كريم ، قاله ابن جبير .

وأما الهاء فإنها من هادٍ عند جميعهم .

وأما الياء ففيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها من يمن ، قاله ابن عباس .

الثاني : من حكيم قاله ابن جبير .

الثالث : أنها من ياسين حكاه سالم .

الرابع : أنها من يا للنداء وفيه على هذا وجهان :

أحدهما : يا من يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه لما تعقبه من دعاء زكريا .

الثاني : يا من يجير ولا يجار عليه ، قاله الربيع بن أنس .

وأما العين ففيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من عزيز ، قاله ابن جبير .

الثاني : أنها من عالم، قاله ابن عباس .

الثالث : من عدل ، قاله الضحاك .

وأما الصاد فإنها من صادق في قول جميعهم فهذا بيان للقول السادس .

ويحتمل سابعاً : أنها حروف من كلام أغمضت معانيه ونبه على مراده فيه يحتمل أن يكون : كفى وهدى من لا يعص فتكون الكاف من كفى والهاء من هدى

= يروى عن الصحابي نفسه التفاسير المخالفة ، المتناقضة في هذه الفواتح فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف ورد العلم في مثلها إلى الله سبحانه .

والباقي حروف يعصى لأن ترك المعاصي يبعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فصار تركها كافياً من العقاب وهادياً إلى الثواب وهذا أوجز وأعجز من كل كلام موجز لأنه قد جمع في حروف كلمة معاني كلام مبسوط وتعليل أحكام وشروط .

ثم ذكر حال من كفاه وهداه فقال :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ ﴾ فذكر رحمته حين أجابه إلى ما سأله فاحتمل وجهين :

أحدهما : أنه رحمه بإجابته له .

الثاني : أنه إجابة لرحمته له .

قوله تعالى : ﴿ . . . . نِدَآءً خَفِيّاً ﴾ [فيه قولان][٦٠٥] .

أحدهما : قاله ابن جريج ، سراً لا رياء فيه . قال قتادة إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي فأخفى زكريا نداءه لئلا ينسب إلى الرياء فيه .

الثاني : قاله مقاتل ، إنما أخفى لئلا يهزأ الناس به ، فيقولون انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد .

ويحتمل ثالثاً : أن إخفاء الدعاء أخلص للدعاء وأرجى للإجابة للسنة الواردة فيه : إن الذي تدعونه ليس بأصم[٦٠٦] .

قوله تعالى : ﴿ . . . إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أي ضعف وفي ذكره وهن العظم دون اللحم وجهان :

أحدهما : أنه لما وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى .

الثاني : أنه اشتكى ضعف البطش ، والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم .

---

(٦٠٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦٠٦) جزء من حديث لأبي موسى الأشعري مرفوعاً .
رواه البخاري (٦/٩٤) ومسلم (٤/٢٥٧٦) .

﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً ﴾ هذا من أحسن الاستعارة لأنه قد ينشر فيه الشيب كما ينشر في الحطب شعاع النار .

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾ أي خائباً ، أي كنت لا تخيبني إذا دعوتك ولا تحرمني إذا سألتك .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ . . . . ﴾ فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : العصبة ، قاله مجاهد وأبو صالح .

الثاني : الكلالة ، قاله ابن عباس .

الثالث : الأولياء أن يرثوا علمي دون من كان من نسلي قال لبيد :

ومولى قد دفعت الضيم عنه وقد أمسى بمنزلةِ المُضيمِ

الرابع : بنو العم لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل .

وسموا موالي لأنهم يلونه في النسب لعدم الصلب .

وفيما خافهم عليه قولان :

أحدهما : أنه خافهم على الفساد في الأرض .

الثاني : أنه خافهم على نفسه في حياته وعلى أشيائه بعد موته . ويجوز أن يكون خافهم على تبديل الدين وتغييره . روى كثير بن كلثمة أنه سمع علي بن الحسين عليهما السلام يقرأ: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ﴾ بالتشديد بمعنى قلّت(٦٠٧) .

وفي قوله : ﴿ مِن وَرَآءِي ﴾ وجهان :

أحدهما : من قدامي وهو قول الأخفش .

الثاني : بعد موتي ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ﴿ . . فَهَبْ لِي مِن لَّدنكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة(٦٠٨) ، قاله أبو صالح .

---

(٦٠٧) ففي زاد المسير (٥/٢٠٨) وعلى هذا يكون المعنى أنه خاف على علمه ونبوته ألا يُورث فيموت العلم .

(٦٠٨) والصحيح أنه لم يرد وراثة المال لما صح عن رسول الله ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة » رواه البخاري (٤/١٢) ومسلم (٣/١٣٧٩) إنما أراد وراثة العلم والنبوة .

الثاني : يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة ، قاله الحسن .

الثالث : يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء .

الرابع : يرثني العلم ويرث من آل يعقوب الملك(٦٠٩) ، قاله ابن عباس . فأجابه الله إلى وراثة العلم ويرث من آل يعقوب الملك ، قاله ابن عباس . فأجابه الله إلى وراثة العلم ولم يجبه إلى وراثة الملك . قال الكلبي : وكان آل يعقوب أخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى . قال مقاتل ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم لأن يعقوب وعمران إبنا ماثان ، فروى قتادة أن النبي ﷺ قال : « يَرْحَمُ اللَّهُ زَكَرِيَّا مَا كَانَ عَلَيهِ مِن وَرثَتِهِ »(٦١٠) .

﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مرضياً في أخلاقه وأفعاله .

الثاني : راضياً بقضائك وقدرك .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد نبياً .

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ فتضمنت هذه البشرى ثلاثة أشياء :

أحدها : إجابة دعائه وهي كرامة .

الثاني : إعطاؤه الولد وهو قوة .

الثالث : أن يفرد بتسميته . فدل ذلك على أمرين :

أحدهما : اختصاصه به .

الثاني : على اصطفائه له . قال مقاتل سماه يحيى لأنه صبي بين أب شيخ وأم عجوز .

---

(٦٠٩) وهذا القول ذهب إليه أكثر المفسرين راجع فتح القدير (٣/٣٢٢) .

(٦١٠) رواه الطبري (١٦/٤٨) بسنده عن قتادة وهو مرسل من مرسلات قتادة لأنه قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية» . .

﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أي لم تلد مثله العواقر ، قاله ابن عباس . فيكون المعنى لم نجعل له مثلاً ولا نظيراً .

الثاني : أنه لم نجعل لزكريا من قبل يحيى ولداً ، قاله مجاهد .

الثالث : أي لم يسم قبله باسمه أحد(٦١١) ، قاله قتادة .

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ أي ولد .

﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ أي لا تلد وفي تسميتها عاقراً وجهان :

أحدهما : لأنها تصير إذا لم تلد كأنها تعقر النسل أي تقطعه .

الثاني : لأن في رحمها عقراً يفسد المني ، ولم يقل ذلك عن شك بعد الوحي ولكن على وجه الاستخبار : أتعيدنا شابين ؟ أو ترزقنا الولد شيخين ؟

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني سناً، قاله قتادة .

الثاني : أنه نحول العظم ، قاله ابن جريج .

الثالث : أنه الذي غيره طول الزمان إلى اليبس والجفاف ، قاله ابن عيسى قال الشاعر(٦١٢) :

إنما يعذر الوليد ولا يعذر … من كان في الزمان عتياً

قال قتادة : كان له بضع وسبعون سنة وقال مقاتل خمس وتسعون سنة . وقرأ

---

(٦١١) **فائدة**: قال ابن الجوزي رحمه الله (٥/ ٢١٠) فإن اعترض معترض فقال ما وجه المِدْحَة باسم لم يسم به أحد قبله ونرى كثيراً من الأسماء لم يُسبق إليها. فالجواب إن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولّى تسميته ولم يكل ذلك إلى أبويه فسماه باسم لم يسبق إليه .

(٦١٢) فتح القدير (٣/ ٣٢٣).

ابن عباس(٦١٣) : ﴿ عِسِيّاً ﴾ وهي كذلك في مصحف أبي من قولهم للشيخ إذا كبر : قد عسا وعتا ومعناهما واحد .

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ أي علامة وفيها وجهان :

أحدهما : أنه سأل الله آية تدله على البشرى بيحيى منه لا من الشيطان لأن إبليس أوهمه ذلك ، قاله الضحاك .

الثاني : سأله آية تدله على أن امرأته قد حملت .

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه اعتقل لسانه ثلاثاً من غير مرض وكان إذا أراد أن يذكر الله انطلق لسانه وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل ، وكانت هذه الآية ، قاله ابن عباس .

الثاني : اعتقل من غير خرس ، قاله قتادة والسدي .

﴿ سَوِيّاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : صحيحاً من غير خرس ، قاله قتادة .

الثاني : ثلاث ليال متتابعات ، قاله عطية ، فيكون السوي على الوجه الأول راجعاً إلى لسانه ، وعلى الثاني إلى الليالي .

قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ قال ابن جريج أشرف على قومه من المحراب . وفي ﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه مصلاة ،قاله ابن زيد .

الثاني : أنه الشخص المنصوب للتوجه إليه في الصلاة .

وفي تسميته محراباً(٦١٤) وجهان :

(٦١٣) وهي قراءة مجاهد كما في زاد المسير (٥/٢١١) .

(٦١٤) قال الألوسي (١٦/٧١) واطلاق المحراب على المعروف اليوم في المساجد لذلك وهو محدث لم =

أحدهما : أنه للتوجه إليه في صلاته كالمُحَارِب للشيطان في صلاته .

الثاني : أنه مأخوذ من منزل الأشراف الذي يحارب دونه ذباً عن أهله فكأن الملائكة تحارب عن المصلي ذباً عنه ومنعاً منه .

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أوصى إليهم ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : أشار إليهم بيده ، قاله الكلبي .

الثالث : كتب على الأرض . والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول جرير :

كأن أخا اليهود يخط وحياً ... بكافٍ من منازلها ولام

﴿ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ أي صلواْ بكرة وعشياً ، قاله الحسن وقتادة ، وقيل للصلاة تسبيح لما فيها من التسبيح .

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ وفي قائله قولان :

أحدهما : أنه قول زكريا ليحيى حين نشأ .

الثاني : قول الله ليحيى حين بلغ .

وفي هذا ﴿ ٱلْكِتَابَ ﴾ قولان :

أحدهما : صحف إبراهيم .

الثاني : التوراة .

﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بجد واجتهاد ، قاله مجاهد .

= يكن على عهد رسول الله ﷺ وقد ألف الجلال السيوطي في ذلك رسالة صغيرة سماها اعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب . .

الثاني : العمل بما فيه من أمر والكف عما فيه من نهي ، قاله زيد بن أسلم .

﴿وءاتيناه الحكم صبياً﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : اللب ، قاله الحسن .

الثاني : الفهم ، قاله مقاتل .

الثالث : الأحكام والمعرفة بها(٦١٥) .

الرابع : الحكمة .

قال معمر : إن الصبيان قالوا ليحيى إذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت ، فأنزل الله ﴿ وءاتيناه الحكم صبياً ﴾ . قاله مقاتل وكان ابن ثلاث سنين .

قوله تعالى : ﴿ وحناناً من لدنا ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : رحمة من عندنا ، قاله ابن عباس وقتادة ، ومنه قول الشاعر(٦١٦) :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيكَ بعض الشر أهون من بعض

أي رحمتك وإحسانك .

الثاني : تعطفاً ، قاله مجاهد .

الثالث : محبة ، قاله عكرمة .

الرابع : بركة ، قاله ابن جبير .

الخامس : تعظيماً .

السادس : يعني آتينا تحنناً على العباد .

ويحتمل سابعاً : أن يكون معناه رفقاً ليستعطف به القلوب وتسرع إليه الإجابة ﴿ وزكاةً ﴾ فيها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العمل الصالح الزاكي ، قاله ابن جريج .

الثاني : زكيناه بحسن الثناء كما يزكي الشهود إنساناً .

---

(٦١٥) هنا بياض في الأصل أ.

(٦١٦) هو طرفة بن العبد والبيت في ديوانه : ٢٠٨ ومجاز القرآن (٢/٢) وجمهرة أشعار العرب (٤٤٩/٣) والطبري (٣٨/١٦) روح المعاني (٧٢/١٦) اللسان (حنن) والكامل ٣٤٨.

الثالث : يعني صدقة به على والديه ، قاله ابن قتيبة .

﴿ وَكَانَ تَقِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مطيعاً لله ، قاله الكلبي .

الثاني : باراً بوالديه ، قاله مقاتل .

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا
زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾
قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا
وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ يعني في القرآن ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إنفردت ، قاله قتادة .

الثاني : اتخذت .

﴿ مَكَاناً شَرْقِياً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ناحية المشرق ، قاله الأخفش ولذلك اتخذت النصارىٰ المشرق قبلة .

الثاني : مشرقة داره التي تظلها الشمس ، قاله عطية (٦١٧) .

الثالث : مكاناً شاسعاً بعيداً ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : حجاباً من الجدران ، قاله السدي .

(٦١٧) وهو قول الأكثرين كما في زاد المسير (٥/٢١٦) روح المعاني (١٦/٧٥) ابن كثير (٣/١١٥) وفتح القدير (٣/٣٢٧) وابن جرير (١٦/٦٠).

الثاني : حجاباً من الشمس جعله الله ساتراً ، قاله ابن عباس .

الثالث : حجاباً من الناس ، وهو محتمل ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنها اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة .

الثاني : أنها اتخذت مكاناً تعتزل فيه أيام حيضها .

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ الآية : فيه قولان :

أحدهما : يعني الروح التي خلق منها المسيح حتى تمثل لها بشراً سوياً .

الثاني : أنه جبريل ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن منبه .

وفي تسميته له روحاً وجهان :

أحدهما : لأنه روحاني لا يشوبه شيء غير الروح ، وأضافه إليه بهذه الصفة تشريفاً له .

الثاني : لأنه تحيا به الأرواح .

واختلفوا في سبب حملها على قولين :

أحدهما : أن جبريل نفخ في جيب درعها وكُمِّهَا فَحَمَلَتْ ، قاله ابن جريج ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فأهوى لها بالنفخ في جيب درعها فألقت سويّ الخلق ليس بتوأم

الثاني : أنه ما كان إلا أن حملت فولدته ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في مدة حملها على أربعة أقاويل :

أحدها : تسعة أشهر ، قاله الكلبي .

الثاني : ستة أشهر . حكى لي ذلك أبو القاسم الصيمري .

الثالث : يوماً واحداً[٦١٨] .

الرابع : ثمانية أشهر ، وكان هذا آية عيسى فإنه لم يعش مولوداً لثمانية أشهر سواه .

---

(٦١٨) قال الحافظ ابن كثير (١١١٦/٣) . . والمشهور عن الجمهور إنها حملت به تسعة أشهر .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ﴾ لأن مريم خافت جبريل على نفسها حين دنا منها فقالت ﴿ إِنِّي أَعُوذُ ﴾ أي أمتنع ﴿ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ ﴾ فاستغاثت بالله في امتناعها منه .

فإن قيل : فلم قالت ﴿ إن كُنتَ تَقِيّاً ﴾ والتقي مأمون وإنما يستعاذ من غير التقي ؟

ففيه وجهان :

أحدهما : أن معنى كلامها إن كنت تقياً لله فستمتنع من استعاذتي وتنزجر عني من خوفه ، قاله أبو وائل(*).

الثاني : أنه كان اسماً لرجل فاجر من بني إسرائيل مشهور بالعهر يُسَمَّىٰ تقياً(٦١٩) فخافت أن يكون الذي جاءها هو ذلك الرجل المسمى تقياً الذي لا يأتي إلا للفاحشة فقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قاله ابن عباس .

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه ألجأها ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ومنه قول الشاعر(٦٢٠) :

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

الثاني : معناه فجأها المخاض كقول زهير(٦٢١) :

وجارٍ سارَ معتمداً إلينا أجاءته المخافة والرجاء

وفي قراءة ابن مسعود ﴿ فَأَوَاهَا ﴾ .

(*) في الأصل أو أويل وهو تحريف .

(٦١٩) قال الشوكاني في فتح القدير (٣/٣٢٨) بعد أن حكى القولين «والأول أولى» .

(٦٢٠) هو حسان بن ثابت .

والبيت في ديوانه : ١٨١ واللسان (جيأ) وفيه فأجاءتكم إلى سفح الجبل ونسبه للكميت .

(٦٢١) اللسان (جيأ) والطبري (١٦/٦٤) فتح القدير (٣/٣٢٨) روح المعاني (١٦/٨١) .

﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها خافت من الناس أن يظنوا بها سوءاً قاله السدي .

الثاني : لئلا يأثم الناس بالمعصية في قذفها .

الثالث : لأنها لم تَرَ في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من السوء ، قاله جعفر بن محمد رحمهما الله .

﴿ وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : لم أخلق ولم أكن شيئاً ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا أعرف ولا يدرى من أنا ، قاله قتادة .

الثالث : النسي المنسي هو السقط ، قاله الربيع ، وأبو العالية .

الرابع : هو الحيضة الملقاة ، قاله عكرمة ، بمعنى خرق الحيض .

الخامس : معناه وكنت إذا ذكرت لم أطلب حكاه اليزيدي . والنسي عندهم في كلامهم ما أعقل من شيء حقير قال الراجز(٦٢٢) :

كالنسي ملقى بالجهاد البسبس .

فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المنادي لها من تحتها جبريل ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي .

الثاني : أنه عيسى ابنها ، قاله الحسن ، ومجاهد .

وفي قوله من تحتها وجهان :

أحدهما : من أسفل منها في الأرض وهي فوقه على رأسه ، قاله الكلبي .

---

(٦٢٢) هو دكين وصدر الرجز بالدار وحي كاللَّقى المطرس اللسان (انسان) .

الثاني : من بطنها : قاله بعض المتكلمين ، بالقبطية .

﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن السريّ هو ابنها عيسى ، لأن السري هو الرفيع الشريف مأخوذ من قولهم فلان من سروات قومه أي من أشرافهم ، قاله الحسن ، فعلى هذا يكون عيسى هو المنادي من تحتها ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ .

الثاني :أن السريّ هو النهر(٦٢٣) ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ،

---

(٦٢٣) ورد هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً .
فورد مرفوعاً من حديث البراء بن عازب وابن عمر .
أما حديث البراء فرواه الطبراني في الصغير ص ١٤٢ والحاكم (٣٧٣/٢) وصححه على شرط الشيخين وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٠٢/٥) لابن مردويه ولكن الحديث ضعيف السند ففي سنده معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف وبه أعله الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) وفي سنده أيضاً بقية بن الوليد وهو مدلس تدليس تسوية ولم يصرح هنا بالسماع وقال الطبراني بعد روايته للحديث لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا أبو سنان سعيد بن سنان ا هـ.
قلت لكنه لم ينفرد بالرفع كما قال الطبراني وإنما تابعه الأعمش عن أبي إسحق به وروى هذه المتابعة محمد بن العباس البزار في حديثه (١/١١٦) كما نقله الألباني في السلسلة ١١٩١ وسند هذه المتابعة جيد كما قال .
وقد ورد الحديث موقوفاً على البراء كما رواه ابن جرير (٦٩/١٦) وسنده صحح وصحح الموقوف الشوكاني في فتح القدير (٣٣١/٣) وأورده البخاري معلقاً (٤٧٦/٦) وأسند عبد الرزاق أيضاً والحاكم (٣٧٣/٢) وصححه والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥٠٢/٥) .
قال الألباني عن الموقوف وهو أصح «يعني من المرفوع» لكن تفسير الصحابي للقرآن له حكم الرفع كما قرره الحاكم في مستدركه لا سيما وقد روى عن ترجمان القرآن ابن عباس من قوله رواه ابن جرير (٩٠٦/١٦) وغيره ا هـ.
قلت لكن سنده إلى ابن عباس في الطبري منقطع وله سند آخر في الطبري ايضاً سلسل بالضعفاء . فاقتضى التنبيه.
وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير (١٦٧/٣) وابن مردويه وابن النجار كما في الدر (٥٠٢/٥) وسنده ضعيف جداً .
قال الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) فيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف .
قال الحافظ ابن كثير (١١٧/٣) هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلى قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال ابو الفتح الأزدي متروك الحديث . والحديث ضعفه الشوكاني بأيوب في فتح القدير (٣٣١/٣) وضعفه الألباني ١٩١١ =

وقتادة ، والضحاك ، لتكون النخلة لها طعاماً ، والنهر لها شراباً ، وعلى هـذا يكون جبريل هو المنادي لها ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ .

الثاني(٦٢٤) : أنه عربي مشتق من السراية فَسُمِّيَ السريّ لأنه يجري فيه ومنه قول الشاعر(٦٢٥) :

سهل الخليقة ماجد ذو نائلٍ   مثل السريّ تمده الأنهار

وقيل : إن اسم السري يطلق على ما يعبره الناس من الأنهار وثباً .

وروى أبـان بن تغلب في تفسيـره القـرآن خبـراً عن عدد لم يسمهم(٦٢٦) أن رسول الله ﷺ بعث شداد بن ثمامة مصـدقاً لبني كعب بن مـذحج وكتب لـه كتابـاً : « عَلَىٰ مَا سَقَتْهُ المَرَاسِمُ وَالجَدَاوِلُ وَالنَّوَاهِرُ وَالدَّوَافِعُ العُشْـرُ وَنِصْفُ العشر بقيمـة عَدْلٍ إِلَّا الضَّوَامِرَ وَاللَّوَاقِحَ وَمَا أَطل الصور من الجفن . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ شَـاةً شَاةٌ إِلَّا العَقِيلَ وَالأَكِيلَ وَالربِيَّ . ومن كل ثلاثين بقرةً جِذْعٌ أَوْ جِذْعَةٌ إِلَّا العَاقِرَ وَالنَّاشِطَ وَالـرَّاشِحَ . وَمِن كُـلِّ خَمْسٍ مِنَ الإِبِلِ المُـوَبَّلَةِ مُسِنَّةٌ مِنَ الغَنَمِ . وَلَا صَـدَقَـةَ فِي الخَيلِ وَلَا فِي الإِبِلِ العَامِلَةِ . شَهِدَ جَرِيرٌ بن عَبدِ اللّهِ بن جَابـرٍ البَجْلِي وَشَدَّادُ بن ثُمَامَةَ وَكَتَبَ المُغِيـرَةُ بن شُعْبَةِ » . فـالمراسم العيـون ، والجداول الأنهـار الصغار ، والنواهر الدوالي ، والدوافع الأودية ، والضوامر مـا لم تحمل من النخـل ، واللواقح الفحول ، والجفن الكرم ، وما أطلاه من الزرع عفو ، والعقيل فحل الغنم والأكيـل الذي يُرَبَّى للأكل . والربي التي تربي ولـدها ، والعـاقر من البقـر التي لا تحمل ، والناشط الفحل الذي ينشط من أرض إلى أرض والراشح الذي يحرث الأرض .

قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ . . . ﴾ الآية . اختلف في النخلة على أربعة أقاويل :

= وأورده الحـافظ في الفتح (٦/٤٧٩ ، ٤٨٠) من روايـة ابن مردويه وسكت عليـه وهذا يـدل على أن كل ما سكت عليه الحافظ ابن حجر ليس حسناً كما قال بعضهم فتنبه .

(٦٢٤) لعل هذا هو القول الثالث فإن المؤلف ذكر هنا قولين ثم أورد هذا القول .

(٦٢٥) أورده في روح المعاني (١٦/٨٣) .

(٦٢٦) هذا الحديث أشار إليه الحافظ في الإصابة (٣/٣٢١) من رواية ابن السكن في كتابه الذي ألفه في الصحابة وقال ابن السكن عن الحديث تفرد به عبد الله بن ناصح الرقي عن القـاسم بن معن . ا هـ. والحديث من مسند أنس رضي الله عنه .

أحدها : كانت برنية[٦٢٧] .

الثاني : صرفاتة ، قاله أبو داود .

الثالث : قريناً .

الرابع : عجوة ، قاله مجاهد .

وفي ﴿ الجَنِي ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : المترطب البسر ، قاله مقاتل .

الثاني : البلح لم يتغير ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

الثالث : أنه الطري بغباره . وقيل لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء فجعله الله آية . قال مقاتل فاخضرت وهي تنظر ثم حملت وهي تنظر ثم نضجت وهي تنظر .

قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي ﴾ يعني من الرطب الجني .

﴿ وَٱشْرَبِي ﴾ يعني من السريّ .

﴿ وَقَرِّي عَيْناً ﴾ يعني بالولد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : جاء يقر عينك سروراً ، قاله الأصمعي ، لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة .

الثاني : طيبي نفساً ، قاله الكلبي .

الثالث : تسكن عينك ولذلك قيل ما شيء خير للنفساء من الرطب والتمر .

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً ﴾ يعني إما للإنكار عليك وإما للسؤال لك .

﴿ فَقُولِيَ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني صمتاً ، وقد قرىء في[٦٢٨] بعض الحروف : ﴿ لِلرَّحْمٰنِ صَمْتاً ﴾ وهذا تأويل ابن عباس وأنس بن مالك والضحاك .

الثاني : صوماً عن الطعام والشراب والكلام ، قاله قتادة .

---

(٦٢٧) نوع من أجود أنواع التمر .

(٦٢٨) وهي قراءة أُبي بن كعب وأنس بن مالك وأبي رزين العقيلي ، زاد المسير (٥ / ٢٢٥) .

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها امتنعت من الكلام ليتكلم عنها ولدها فيكون فيه براءة ساحتها ، قاله ابن مسعود ووهب بن منبه وابن زيد .

الثاني : أنه كان من صام في ذلك الزمان لم يكلم الناس ، فأذن لها في المقدار من الكلام قاله السدي .

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ
مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ
مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾
وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾
وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أنه القبيح من الإفتراء ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه العمل العجيب ، قاله الأخفش .

الثالث : العظيم من الأمر ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي .

الرابع : أنه المتصنع مأخوذ من الفرية وهو الكذب ، قاله اليزيدي .

الخامس : أنه الباطل .

قوله تعالى : ﴿ يَآ أُخْتَ هَارُونَ . . . ﴾ وفي هذا الذي نسبت إليه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ينسب إليه من يعرف بالصلاح ، قاله مجاهد وكعب ، والمغيرة بن شعبة يرفعه(٦٢٩) للنبي ﷺ .

(٦٢٩) رواه مسلم (٣/١٦٨٥) والترمذي (٢/١٤٤) وأحمد (٤/٢٥٢) وزاد السيوطي في الدر =

الثاني : أنه هارون أخو موسى فنسبت إليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا بني فلان ، قاله السدي .

الثالث : أنه كان أخاها لأبيها وأمها ، قاله الضحاك .

الرابع : أنه كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق ونسبت إليه ، قاله ابن جبير .

﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾ أي زانية . وسميت الزانية بغياً لأنها تبغي الزنا أي تطلبه .

قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أشارت إلى الله فلم يفهموا إشارتها ، قاله عطاء .

الثاني : أنها أشارت إلى عيسى وهو الأظهر ، إما عن وحي الله إليها ، وإما لثقتها بنفسها في أن الله تعالى سيظهر براءتها ، فأشارت إلى الله إليها ، فأشارت إلى عيسى أن كلموه فاحتمل وجهين :

أحدهما : أنها أحالت الجواب عليه استكفاء .

الثاني : أنها عدلت إليه ليكون كلامه لها برهاناً ببراءتها .

﴿ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ ﴾ وفي ﴿ كَانَ ﴾ في هذا الموضع وجهان :

أحدهما : أنها بمعنى يكون تقديره من يكون في المهد صبياً ، قاله ابن الأنباري .

الثاني : أنها صلة زائدة وتقديره من هو في المهد ، قاله ابن قتيبة .

وفي ﴿ ٱلْمَهْدِ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه سرير الصبي المعهود لمنامه .

= (٥٠٧/٥) نسبته لابن أبي شيبة . وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن حبان والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

قال الشوكاني بعد ايراده لهذا الحديث في فتح القدير (٣٣٢/٣) وهذا التفسير النبوي يغني عن سائر ما روى عنه السلف في ذلك .

الثاني : إنه حجرها الذي تربيه فيه ، قاله قتادة . وقيل إنهم غضبوا وقالوا : لسخريتها بنا أعظم من زناها ، قاله السدي . فلما تكلم قالواْ : إن هذا لأمر عظيم .

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ وإنما قدم إقراره بالعبودية ليبطل به قول من ادعى فيه الربوبية وكان الله هو الذي أنطقه بذلك لعلمه بما يتقوله الغالون فيه .

﴿ءَآتَانِيَ ٱلْكِتَابَ ﴾ أي سيؤتيني الكتاب .

﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وسيجعلني نبياً ، والكلام في المهد من مقدمات نبوته .

الثاني : أنه كان في حال كلامه لهم في المهد نبياً كامل العقل ولذلك كانت له هذه المعجزة ، قاله الحسن . وقال الضحاك : تكلم وهو ابن أربعين [يوماً].

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : نبياً ، قاله مجاهد .

الثاني : آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر .

الثالث : معلماً للخير ، قاله سفيان .

الرابع : عارفاً بالله وداعياً إليه .

﴿ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلاَةِ ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : الدعاء والإخلاص .

الثاني : الصلوات ذات الركوع والسجود .

ويحتمل ثالثاً : أن الصلاة الإستقامة مأخوذ من صلاة العود إذا قوّم اعوجاجه بالنار .

﴿ وَٱلزَّكَاةِ . . ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : زكاة المال .

الثاني : التطهير من الذنوب .

ويحتمل ثالثاً : أن الزكاة الاستكثار من الطاعة ، لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة .

قوله تعالى : ﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بما برأها به من الفاحشة .

الثاني : بما تكفل لها من الخدمة .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الجبار الجاهل بأحكامه ، الشقي المتكبر عن عبادته .

الثاني : أن الجبار الذي لا ينصح ، والشقي الذي لا يقبل النصيحة .

ويحتمل ثالثاً : أن الجبار الظالم للعباد ، والشقي الراغب في الدنيا .

قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ . . . ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : يعني بالسلام السلامة ، يعني في الدنيا . ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ يعني في القبر ، ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ يعني في الآخرة ، لأن له أحوالاً ثلاثاً : في الدنيا حياً ، وفي القبر ميتاً ، وفي الآخرة مبعوثاً ، فسلم في أحواله كلها ، وهو معنى قول الكلبي .

الثاني : يعني بالسلام ﴿ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ سلامته من همزة الشيطان فإنه ليس مولود يولد إلا همزه الشيطان وذلك حين يستهل ،غير عيسى (٦٣٠) فإن الله عصمه منها . وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ يعني سلامته من ضغطة القبر لأنه غير مدفون في الأرض ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ لم أر فيه على هذا الوجه ما يُرضي .

---

(٦٣٠) وقد رواه البخاري (٦/٤٦٩) وحديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه «ما من ابن آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة ﴿إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ آل عمران : ٣٦ .

قال الحافظ نقلاً عن القرطبي (٦/٤٧٠) قوله :«هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى » اهـ.

ويحتمل أن تأويله على هذه الطريقة سلامته من العرض والحساب لأن الله ما رفعه إلى السماء إلا بعد خلاصه من الذنوب والمعاصي .

قال ابن عباس ثم انقطع كلامه حتى بلغ مبلغ الغلمان .

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق هو الله تعالى .

الثاني : عيسى وسماه حقاً لأنه جاء بالحق .

الثالث : هو القول الذي قاله عيسى من قبل .

﴿ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يشكّون ، قاله الكلبي .

الثاني : يختلفون لأنهم اختلفوا في الله وفي عيسى ، فقال قوم هو الله ، وقال آخرون هو ابن الله ، وقال آخرون هو ثالث ثلاثة . وهذه الأقاويل الثلاثة للنصارى(٦٣١) .

وقال المسلمون : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم .

ونسبته اليهود إلى غير رشدة(٦٣٢) فهذا معنى قوله : ﴿ ٱلَّذِي فِيهِ تَفْتَرُونَ ﴾ بالفاء معجمة(٦٣٣) من فوق .

(٦٣١) والعجيب أن كل طائفة من الطوائف الثلاث تكفر الأخرى أما المسلم فيكفر الطوائف الثلاث ومن عقوبة الله تعالى لهؤلاء المشركين أن ضرب قلوب بعضهم ببعض بحيث أنهم لا يتفقون على قول وصدق من قال « لو اجتمع أحد عشر قساً لافترقوا على اثني عشر قولاً » .

(٦٣٢) أي هو ابن زنا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

(٦٣٣) وفي روح المعاني (٩١/١٦) وقرأ عن علي كرم الله تعالى وجهه والسلمي وداود بن أبي هند ونافع=

قال ابن عباس ففرّ بمريم ابن عمها ومعها ابنها إلى مصر فكانواْ فيها اثنتي عشرة سنة حتى مات الملك الذي كانوا يخافونه .

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ
ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى
مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ
ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق فما أسمعهم له وأبصرهم به في الآخرة يوم القيامة ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أسمع بهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم القيامة يوم يأتوننا ، قاله أبو العالية .

ويحتمل ثالثاً : أسمع أمّتك بما أخبرناك من حالهم فستبصر يوم القيامة ما يصنع بهم .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يوم القيامة(٦٣٤) إذ قضي العذاب عليهم ، قاله الكلبي .

= في رواية والكسائي كذلك « تمترون » بتاء الخطاب ا هـ. قلت وهي قراءة أبي مجلز ومعاذ القاري وابن يعمر وأبي رجاء كما في زاد المسير (٥/ ٢٣١).

(٦٣٤) ومن موجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة وأشدها ذبح الموت بين الجنة والنار حيث يؤتى به في صورة كبش أملح ويقال لأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فتكون الحسرة على أهل النار كبيرة حين ذلك ينقطع رجاؤهم في الخروج من النار والحديث في ذلك رواه البخاري =

الثاني : يوم الموت إذ قضى الموت انقطاع التوبة واستحقاق الوعيد ، قاله مقاتل .

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

قال تعالى : ﴿ . . . لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالحجارة حتى تباعد عني ، قاله الحسن .

الثاني : لأرجمنك بالذم باللسان والعيب بالقول ، قاله الضحاك ، والسدي ، وابن جريج .

﴿ وَٱهْجُرنِي مَلِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : دهراً طويلاً ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وابن جبير ، والسدي ، ومنه قول مهلهل(٦٣٥) :

فتصدعت صم الجبال لموته . وبكت عليه المرملات ملياً

الثاني : سوياً سليماً من عقوبتي ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء .

الثالث : حيناً ، قاله عكرمة .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيكَ ﴾ هذا سلام إبراهيم على أبيه ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه سلام توديع وهجر لمقامه على الكفر ، قاله ابن بحر .

= (٨/٣٢٥) ومسلم (٤/٢١٨٨) وابن جرير (١٦/٨٧) وأحمد (٣/٩) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
راجع موجبات الحسرة في زاد المسير (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٥) .

(٦٣٥) فتح القدير (٣/٣٣٦) وروح المعاني (١٦/٩٩) .

الثاني : وهو أظهر أنه سلام بر وإكرام ، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية .

ثم قال : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما : سأستغفر لك إن تركت عبادة الأوثان .

الثاني : معناه سأدعوه لك بالهداية التي تقتضي الغفران .

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : مُقَرَّباً .

الثاني : مُكْرِماً .

الثالث : رحيماً ، قاله مقاتل .

الرابع : عليماً ، قاله الكلبي .

الخامس : متعهداً .

فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : جعلنا لهم ذكراً جميلاً وثناءً حسناً ، قاله ابن عباس ، وذلك أن جمع الملك بحسن الثناء عليه .

الثاني : جعلناهم رسلاً لله كراماً على الله ، ويكون اللسان بمعنى الرسالة : قال الشاعر(٦٣٦) :

أتتني لسان بني عامر أحاديثهما بعد قول ونكر

ويحتمل قولاً [ثالثاً] أن يكون الوفاء بالمواعيد والعهود

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

---

(٦٣٦) اللسان (لسن) ولم ينسب فيه .

قوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ والطور جبل بالشام ناداه الله من ناحيته اليمنى . وفيه وجهان :

أحدهما : من يمين موسى .

الثاني : من يمين الجبل ، قاله مقاتل .

﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قربه من الموضع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه .

الثاني : أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صريف القلم (٦٣٧) ، قاله ابن عباس ، وقال غيره : حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة .

الثالث : أنه قربه تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب اجتذاب وإدناء لأنه لا يوصف بالحلول في مكان دون مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب ، قاله ابن بحر .

وفي قوله : ﴿ نَجِيّاً ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه مأخوذ من النجوىٰ ، والنجوىٰ لا تكون إلا في الخلوة ، قاله قطرب .

الثاني : نجاه لصدقه مأخوذ من النجاة .

الثالث : رفعه بعد التقريب مأخوذ من النجوة وهو الإرتفاع ، قال الحسن لم يبلغ موسى من الكلام الذي ناجاه به شيئاً .

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ وصفه بصدق الوعد لأنه وعد رجلاً أن ينتظره ، قال ابن عباس : حولاً حتى أتاه . وقال يزيد الرقاشي : انتظره اثنين وعشرين يوماً . وقال مقاتل : انتظره ثلاثة أيام .

(٦٣٧) وهو قول قتادة كما في الطبري (١٦/ ٩٥) قاله الألوسي (١٦/ ١٠٤) ولا يخفى بعده .

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يأمر قومه فسماهم أهله .

الثاني : أنه بدأ بأهله قبل قومه . وفي الصلاة والزكاة ما قدمناه . وهو على قول الجمهور : إسماعيل بن إبراهيم (٦٣٨) . وزعم بعض المفسرين أنه ليس بإسماعيل بن إبراهيم لأن إسماعيل مات قبل إبراهيم ، وإن هذا هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلدة رأسه ، فخيره الله تعالى فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض أمرهم إليه في عفوه أو عقوبته .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) ﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن إدريس رفع إلى السماء الرابعة ، وهذا قول أنس بن مالك في حديث مرفوع (٦٣٩) ، وأبي سعيد الخدري (٦٤٠) ، وكعب ، ومجاهد (٦٤١) .

الثاني : رفعه إلى السماء السادسة ، قاله ابن عباس (٦٤٢) ، والضحاك ، وهو مرفوع في السماء .

---

(٦٣٨) قال الشوكاني (٢٣٨/٣) « ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به » .

(٦٣٩) رواه ابن أبي شيبة (٥٣٣/١١) والحاكم (٣٧٣/٢) والطبري (١١/١٦) وهناد (١٨٨/١) وصححه الحاكم وأقره الذهبي وزاد السيوطي (٤ /) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٤٠) قول أبي سعيد وسنده ضعيف جداً .

رواه هناد في الزهد (١١٩/١) وابن أبي شيبة (٥٥١/١١) والطبري (٢٧٣/١٦) وابن مردويه كما في الدر (٥/) وفي سنده أبو هارون وهو الصيمري واسمه عمارة بن جوين البصري قال الحافظ في التقريب متروك ومنهم من كذبه شيعي .

(٦٤١) قول مجاهد إسناده صحيح عنه رواه الطبري (٧٣/١٦) وابن أبي شيبة (٥٥٠/١١) وهناد في الزهد (١١٩/١) .

(٦٤٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٤٩/٢) عن الحسن عن سمرة قاله الذهبي إسناده مظلم لا تقوم به حجة .

وقد اشتهر بين الناس أن إدريس رفع حياً إلى السماء قال الحافظ ابن حجر (٣٧٥/٦) وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية . . . وأثر ابن عباس أن إدريس في السماء السادسة رواه الطبري (٩٦/١٦) وإسناده مسلسل بالضعفاء .

واختلفوا في موته فيها على قولين :

أحدهما : أنه ميت فيها ، قاله مقاتل وقيل أنه مات بين السماء الرابعة والخامسة .

الثاني : أنه حيّ فيها لم يمت مثل عيسى .

روى ابن إسحاق أن إدريس أول من أُعطِي النبوة من ولد آدم وأول من خط بالقلم(٦٤٣) ، وهو أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم . وحكى ابن الأزهر عن وهب بن منبه أن إدريس أول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى ، ولبس الثياب وإنما كانوا يلبسون الجلود ، وأول من وضع الأوزان والكيول ، وأقام علم النجوم والله أعلم .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ (٥٨)

قوله تعالى : ﴿ .... خَرّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ أي سُجّداً لله ، وبكياً جمع باك ، ليكون السجود رغبة والبكاء رهبة . وقد روي في الحديث(٦٤٤) : « **فَهٰذَا السُّجُودُ فَأَينَ البُكَاءُ** ؟ » يعني هذه الرغبة فأين الرهبة ؟ لأن الطاعة لا تخلص إلا بالرغبة والرهبة .

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا (٦٠)

---

(٦٤٣) قال الحافظ في الفتح (٣٧٥/٦) . وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أن إدريس كان نبياً رسولاً وأنه أول من خط بالقلم .

(٦٤٤) هذا الحديث موقوف عن عمر رضي الله عنه رواه ابن جرير (٩٨/١٦) وزاد السيوطي في الدر (٥٢٥/٥) نسبته لابن أبي الدنيا في البكاء وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فأين البكاء .

قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآية . في الفرق بين الخلْف بتسكين اللام والخلف بتحريكها وجهان :

أحدهما : أنه بالفتح إذا خلفه من كان من أهله ، وبالتسكين إذا خلفه من ليس من أهله .

الثاني : أن الخلْف بالتسكين مستعمل في الذم ، وبالفتح مستعمل في المدح قال لبيد(٦٤٥) :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلفٍ كجلد الأجْرب

وفي هذا الخلف قولان :

أحدهما : أنهم اليهود من بعد ما تقدم من الأنبياء ، قاله مقاتل .

الثاني : أنهم من المسلمين .

فعلى هذا في قوله ﴿ من بَعْدِهِم ﴾ قولان :

أحدهما : من بعد النبي ﷺ ، من عصر الصحابة وإلى قيام الساعة كما روى الوليد بن قيس حكاه إبراهيم عن عبيدة .

الثاني : إنهم من بعد عصر الصحابة . روى الوليد بن قيس عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ(٦٤٦) : « يَكُونُ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً ﴿خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَاةَ﴾ . الآية .

وفي إضاعتهم الصلاة قولان :

أحدهما : تأخيرها عن أوقاتها ، قاله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز .

الثاني : تركها ، قاله القرظي .

ويحتمل ثالثاً : أن تكون إضاعتها الإخلال باستيفاء شروطها(٦٤٧) .

(٦٤٥) اللسان (خلف) روح المعاني (١٦/١٠٩) .

(٦٤٦) رواه أحمد (٣/٣٨) والحاكم (٢/٣٧٤ ، ٤/٥٤٧) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان (٢/٦٧) والبخاري في التاريخ (٨/١٥١) وزاد السيوطي في الدر (٥/٥٢٧) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والمؤلف هنا اقتصر على جزء من الحديث .

(٦٤٧) ولا مانع من دخول كل هذه الصور تحت إضاعة الصلاة وأشدها تركها بالكلية .

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَونَ غَيّاً ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه واد في جهنم(٦٤٨) ، قالته عائشة(٦٤٩) وابن مسعود(٦٥٠) .

الثاني : أنه الخسران ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه الشر ، قاله ابن زيد .

الرابع : الضلال عن الجنة .

الخامس : الخيبة ، ومنه قول الشاعر(٦٥١) :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

من يغو : أي من يخب .

جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الكلام الفاسد .

الثاني : الخلف ، قاله مقاتل .

﴿ إِلاَّ سَلاَماً ﴾ فيه وجهان :

---

(٦٤٨) وقد ورد مرفوعاً من حديث ابن عباس رواه ابن مردويه كما في الدر (٥٢٨/٥) وفي سنده نهشل وهو كذاب .

(٦٤٩) تقدم تخريجه في سورة الكهف .

(٦٥٠) رواه هناد (١٨٣/١) والطبري (٧٥/١٦) والطبراني (٢٥٩/٩) وأبو نعيم في الحلية (٢٠٧/٤) والحاكم (٣٧٤/٢) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة رقم (٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الهيثمي (٥٥/٧) رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه .

وقال في موضع آخر (٣٩٠/١٠) رجاله رجال الصحيح وزاد السيوطي في الدر (٥٢٧/٥) نسبته للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٥١) هو المرقش الأصغر والبيت في المفضليات ص ١١٨ والطبري (١٠١/١٩) واللسان (غوى) وروح المعاني (١١٠/١٦).

أحدهما : إلا السلامة .

الثاني : تسليم الملائكة عليهم ، قاله مقاتل .

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن العرب إذا أصابت الغداء والعشاء نعمت، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة غداء وعشاء ، وإن لم يكن في الجنة ليل ولا نهار .

الثاني : معناه مقدار البكرة ومقدار العشي من أيام الدنيا ، قاله ابن جريج . وقيل إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وغلق الأبواب ، ومقدار النهار(٦٥٢) برفع الحجب وفتح الأبواب .

ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم ، والعشي بعد فراغهم من لذاتهم ، لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال .

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قول أهل الجنة : إننا لا ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه قول جبريل عليه السلام ، لما ذكر أن جبريل أبطأ على النبي ﷺ باثنتي عشرة ليلة ، فلما جاءه قال : « غِبْتَ عَنِّي حَتَّى ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ كلَّ ظَنٍ »(٦٥٣) فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : إذا أُمِرْنا نزلنا عليك .

(٦٥٢) إعلم أن الجنة ليس فيها ليل ولا نهار ناشيء عن شمس ولا عن قمر إنما نوَّرها الله بنور جميل، خلقه الله تعالى ويعرفون انقضاء اليوم بعلامة يُعرِفهم الله بها فنسأله تعالى رضاه والجنة ونستعيذ من غضبه والنار.

(٦٥٣) رواه الطبري ١٦/ ١٠٤ بنسده عن مجاهد.

الثاني : إذا أَمَرَكَ ربك نَزَّلنا عليك الأمر على الوجه الأول متوجهاً إلى النزول ، وعلى الثاني متوجهاً إلى التنزيل .

﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من الآخرة ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ من الدنيا .

﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني ما بين النفختين ، قاله قتادة .

والثاني : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ أي ما مضى أمامنا من الدنيا . ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة . ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما مضى من قبل وما يكون من بعد ، قاله ابن جرير(٦٥٤) .

ويحتمل ثالثاً : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ : السماء ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ : الأرض . ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما بين السماء والأرض .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي ما نسيك ربك .

الثاني : وما كان ربك ذا نسيان .

قوله عز وجل : ﴿ . . . . هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني مِثْلاً وشبيهاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، مأخوذ من المساماة .

الثاني : أنه لا أحد يسَمى بالله غيره ، قاله قتادة ، والكلبي .

الثالث : أنه لا يستحق أحد أن يسمى إلٰهاً غيره .

الرابع : هل تعلم له من ولد ، قاله الضحاك . قال أبو طالب(٦٥٥) :

أمّا المسمى فأنت منه مكثر   لكنه ما للخلود سبيلُ

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا

(٦٥٤) جامع البيان (١٦/١٠٥).

(٦٥٥) روح المعاني (١٦/١١٦).

خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أن جهنم اسم من أسماء النار .

الثاني : أنه إسم لأعمق موضع في النار ، كالفردوس الذي هو اسم لأعلى موضع في الجنة .

﴿جِثِيّاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : [جماعات*]، قاله الكلبي والأخفش .

الثاني : بُروكاً على الرُّكَب ، قاله عطية .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ ﴾ الشيعة الجماعة المتعاونون . قال مجاهد : والمراد بالشيعة الأمة لاجتماعهم وتعاونهم .

وفي ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ ﴾ وجهان :

أحدهما : لننادين ، قاله ابن جريج .

الثاني : لنستخرجن ، قاله مقاتل .

﴿ عِتِيّاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أهل الإفتراء بلغة بني تميم . قاله بعض أهل اللغة .

الثاني : جرأة ، قاله الكلبي .

الثالث : كفراً ، قاله عطية .

الرابع : تمرداً .

الخامس : معصية .

قوله عز وجل : ﴿ . . . أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيّاً ﴾ فيه وجهان :

(*) زيادة يقتضيها السياق.

أحدها : دخولاً ، قاله الكلبي .

الثاني : لزوماً .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني الحمى والمرض ، قاله مجاهد .

روى أبو هريرة قال(٦٥٦) : خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه فيه وعك وأنا معه ، فقال رسول الله : « أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ » أي في الآخرة .

الثاني : يعني جهنم . ثم فيه قولان :

أحدهما: يعني بذلك الكافرين يردونها دون المؤمن ؛ قاله عكرمة ويكون قوله : ﴿ وَإِن مِّنْكُمْ ﴾ أي منهم كقوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُم رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً ﴾ أي لهم .

الثاني : أنه أراد المؤمن والكافر .روى ابن زيد عن النبي(٦٥٧) ﷺ أنه قال « الزَّالُّونَ وَالزَّالَّات يومَئذٍ كَثِيرٌ » .

وفي كيفية ورودها قولان :

---

(٦٥٦) رواه الطبري (١١١/١٦) وقال ابن كثير غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه قلت لأن في سنده عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف .
قلت ولم يتفرد به بل تابعه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر .
رواه أحمد (٤١٠/٢) وابن ابي شيبة (٢٩٩/٢) وابن ماجة (٣٤٧٠) والحاكم (٣٤٥/١) وصححه ووافقه الذهبي وصحح المتابعة الألباني أيضاً (٤٣٨/٤) وللحديث شواهد راجعها في السلسلة الصحيحة رقم ١٨٢١ ، ١٨٢٢ وقال الألوسي (١٢٢/١٦) والحق أنه لا دلالة فيه على عدم ورود المؤمن المحموم في الآخرة وقصارى ما يدل عليه أنه يخفف من ألم النار يوم القيامة .

(٦٥٧) رواه الطبري (١١١/١٦).
وهو خبر مرسل كما ترى .

أحدهما : الدخول فيها . قال ابن عباس : ليردنها كل بر وفاجر . لكنها تمس الفاجر دون البر . قال وكان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنة عالماً .

والقول الثاني : أن ورود المسلم عليها الوصول إليها ناظراً لها ومسروراً بالنجاة منها ، قاله ابن مسعود ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص ٢٣] أي وصل . وكقول زهير بن أبي سلمى (٦٥٨) :

ولما وردن الماء زُرْقاً جِمامُه   وضعن عِصيَّ الحاضر المتخيمِ

ويحتمل قولاً ثالثاً : أن يكون المراد بذلك ورود عرضة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر (٦٥٩) .

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : قضاء مقتضياً ، قاله مجاهد .

الثاني : قسماً واجباً (٦٦٠) ، قاله ابن مسعود .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : منزل إقامة في الجنة أو النار .

والثاني : يعني كلام قائم بجدل واحتجاج أي : أمّن فلجت حجته بالطاعة

(٦٥٨) شرح ديوان زهير : ٣٠ ، اللسان ورد القرطبي (١١/ ١٣٧) . زاد المسير (٥/ ٢٥٦) .

(٦٥٩) قال الشوكاني رحمه الله (٣/ ٣٤٤) .

« وقد اختلف الناس في هذا الورود . . . . ثم قال وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود . . . . . ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة وينبغي حمل هذه الآية على ذلك لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً عن عذابها أو على المضي فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط .

(٦٦٠) قال الألوسي (١٦/ ١٢٢) في تفسير هذا القول :

« المراد يخذله الواجب في تحتم الوقوع إذ لا يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة .

خير أم من دحضت حجته بالمعصية ، وشاهده قول لبيد :

ومقام ضيق فرجتهْ بلساني وحسامي وجدل

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أفضل مجلساً .

الثاني : أوسع عيشاً .

ويحتمل ثالثاً : أيهما خير مقاماً في موقف العرض ، من قضى له بالثواب أو العقاب ؟

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ منزل إقامة في الجنة أو في النار . وقال ثعلب : المقام بضم الميم : الإقامة ، وبفتحها المجلس .

قوله تعالى : ﴿ أَثَاثاً وَرِءْياً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن الأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر ، قاله ابن عباس . قال الشاعر(٦٦١) :

أشاقت الظعائن يوم ولوا بذي الرئي الجميل من الأثاث

الثاني : أن الأثاث ما كان جديداً من ثياب البيت، والرئي الارتواء من النعمة.

الثالث: الأثاث ما لا يراه الناس. والرئي ما يراه الناس.

الرابع : معناه أكثر أموالاً وأحسن صوراً .

ويحتمل خامساً : أن الأثاث ما يعد للاستعمال ، والرئي ما يعد للجمال .

قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ
وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدىً ﴾ فيه وجهان :

(٦٦١) هو محمد بن نمير الثقفي والبيت في اللسان (رأى).
روح المعاني (١٢٦/١٦) فتح القدير (٣٤٧/٣).

أحدهما : يزيدهم هدى بالمعونة في طاعته والتوفيق لمرضاته .

الثاني : الإيمان بالناسخ والمنسوخ ، قاله الكلبي ومقاتل ، فيكون معناه : ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ .

ويحتمل ثالثاً : ويزيد الله الذين اهتدوا إلى طاعته هدى إلى الجنة .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا . . . ﴾ اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على قولين :

أحدهما : في العاص بن وائل[٦٦٢] السهمي ، قاله جابر وابن عباس ومجاهد .

الثاني : في الوليد بن المغيرة ، قاله الحسن .

﴿ . . . مَالاً وَوَلَداً ﴾ قرأ حمزة والكسائي[٦٦٣] ﴿ وَوُلْداً ﴾ بضم الواو ، وقرأ الباقون بفتحها ، فاختلف في ضمها وفتحها على وجهين :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد ، يقال ولَد ووُلْد ، وعَدَم وعُدْم ، وقال الحارث ابن حلزة[٦٦٤] .

ولقد رأيت معاشراً   قد ثمَّروا مالاً ووُلْدا

والثاني : أن قيساً تجعل الوُلْد بالضم جميعاً ، والولد بالفتح واحداً .

(٦٦٢) وذلك حينما ذهب جناب بن الأريب ليأخذ أجره وكان ديناً على العاص فقال له العاص لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم بعثت ثم جئت ولي ثم مال وولد أعطيتك فنزلت فيه هذه الآية .

رواه البخاري (٣٢٦/٨) ومسلم (٣١٥/٤) وأحمد (١٤٠/٥) والترمذي (١٤٥/٣) وقال حسن صحيح وهذا القول عليه أكثر المفسرين .

(٦٦٣) الحجة في القراءات ص ٤٤٧ زاد المسير (٢٦٠/٥) .

(٦٦٤) اللسان (ولد) معاني للفراء للقرار ص ١٩٥ الطبري (١٢٢/١٦)

وفي قوله تعالى : ﴿ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه أراد في الجنة استهزاء بما وعد الله على طاعته وعبادته ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه أراد في الدنيا ، وهو قول الجمهور . وفيه وجهان محتملان :

أحدهما : إن أقميت(٦٦٥) على دين آبائي وعبادة آلهتي لأوتين مالاً وولداً .

الثاني : معناه لو كنت أقمت على باطل لما أوتيت مالاً وولداً .

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : معناه أعلم الغيب أنه سيؤتيه على كفره مالاً وولداً .

الثاني : أعلم الغيب لما آتاه الله على كفره .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْداً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني عملاً صالحاً قدمه ، قاله قتادة .

الثاني : قولاً عهد به الله إليه ، حكاه ابن عيسى .

قوله عز وجل : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله يسلبه ما أعطاه في الدنيا من مال وولد .

الثاني : يحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد .

﴿ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بلا مال ولا ولد .

الثاني : بلا ولي ولا ناصر .

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا
﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

(٦٦٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب إن أقمت والتصويب من فتح القدير للشوكاني (٣٤٩/٣).

قوله عز وجل : ﴿ . . . سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما شاهدوا من سوء عاقبتها .

الثاني : سيكفرون بمعبوداتهم ويكذبونهم .

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أعواناً في خصومتهم ، قاله مجاهد .

الثاني : قرناء في النار يلعنونهم ، قاله قتادة .

الثالث : يكونون لهم أعداء ، قاله الضحاك .

الرابع : بلاء عليهم ، قاله ابن زيد .

الخامس : أنهم يكذبون على ضد ما قدروه فيهم وأمّلوه منهم ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تزعجهم إزعاجاً حتى توقعهم في المعاصي ، قاله قتادة .

الثاني : تغويهم إغواء ، قاله الضحاك .

الثالث : تغريهم إغراء بالشر : إمض إمض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ . . . إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : نعد أعمالهم عداً ، قاله قطرب .

الثاني : نعد أيام حياتهم ، قاله الكلبي .

الثالث : نعد مدة إنظارهم إلى وقت الإنتقام منهم بالسيف والجهاد ، قاله مقاتل .

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

﴿ . . . وَفْداً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ركباناً ، قاله الفراء .

الثاني : جماعة ، قاله الأخفش .

الثالث : زوّاراً ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : مشاة ، قاله الفراء .

الثاني : عطاشاً .

الثالث : أفراداً .

﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴾ فيه وجهان :
أحدهما :(٦٦٦) . . .

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ
ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فَرْدًا ﴿٩٥﴾

﴿ شَيْئاً إِدّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : منكراً ، قاله ابن عباس .

الثاني : عظيماً ، قاله مجاهد . قال الراجز(٦٦٧):

في لهث منه وحبك إدّ

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدّاً ﴾ فيه وجهان :

---

(٦٦٦) لاحظ أن هنا سقطاً وقد ورد في بعض التفاسير أن العهد هو شهادة ألا إله إلا الله .

(٦٦٧) الطبري (١٦ / ١٣٠) ولم ينسبه وفيه «وحتل إذاً بدلاً من وحبك».

أحدهما : حباً في الدنيا مع الأبرار ، وهيبة عند الفجار .

الثاني : يحبهم الله ويحببهم الناس . قال الربيع بن أنس : إذا أحب الله عبداً ألقى له المحبة في قلوب أهل السماء ، ثم ألقاها في قلوب أهل الأرض(٦٦٨) .

ويحتمل ثالثاً : أن يجعل لهم ثناء حسناً . قال كعب : ما يستقر لعبد ثناء في الدنيا حتى يستقر من أهل السماء . وحكى الضحاك عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه جعل له وداً في قلوب المؤمنين(٦٦٩) .

قوله عز وجل : ﴿ قَوْماً لُّدّاً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : فجّاراً ، قاله مجاهد .

الثاني : أهل إلحاح في الخصومة ، مأخوذ من اللدود في الأفواه ، فلزومهم الخصومة بأفواههم كحصول اللدود في الأفواه ، قاله ابن بحر .

قال الشاعر :

بغوا لَدَدَي حَنقاً عليَّ كأنما ... تغلي عداوة صدرهم في مِرجل

الثالث : جدالاً بالباطل ، قاله قتادة ، مأخوذ من اللدود وهو شديد الخصومة . قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ وقال الشاعر :

أبيت نجياً للهموم كأنني ... أخاصم أقواماً ذوي جدلٍ لُدّا

قوله عز وجل : ﴿ وِكْزاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : صوتاً ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك .

الثاني : حِسّاً ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه ما لا يفهم من صوت أو حركة ، قاله اليزيدي .

---

(٦٦٨) وقد ورد في هذا المعنى حديثاً مرفوعاً رواه البخاري (٦/٢٢٠ ، ١١٠ ، ٣٨٦) ومسلم (٤/٢٠٣٠) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه قال فيجلسه جبريل ثم ينادي من السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض».

(٦٦٩) راجع ما كتبه العلامة الألوسي في روح المعاني (١٦/١٤٣) حول هذا القول .

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ طه ﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أنه بالسريانية يا رجل ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد . وحكى الطبري(٦٧٠) : أنه بالنبطية يا رجل ؛ وقاله ابن جبير ، والسدي كذلك .

وقال الكلبي : هو لغة عكل(٦٧١)، وقال قطرب :هو بلغة طيىءوأنشد ليزيد بن مهلهل(٦٧٢) :

إن السفاهة (طه) من خليقتكم لا قدس الله أرواح الملاعين

(٦٧٠) جامع البيان (١٦/ ١٣٥) واختاره ورجحه على غيره .

(٦٧١) وفي الطبري (١٦/ ١٣٦) عك .

(٦٧٢) الطبري (١٦/ ١٣٧) ولم ينسبه والشطر الثاني فيه.

لا بارك الله في القوم الملاعين.

الثاني : أنه اسم من أسماء الله تعالى[٦٧٣] وَقَسَمٌ أَقْسَمَ بِهِ ، وهـذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : أنه اسم السورة ومفتاح لها .

الرابع : أنه اختصار من كلام خص الله رسوله بعلمه .

الخامس : أن حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنىً .

السادس : معناه : طوبىٰ لمن اهتدىٰ ، وهذا قول محمد الباقـر بن علي زين العابدين رحمهما الله .

السـابع : معنـاه طَإِ الأَرْضَ بقـدمك ، ولا تقم علىٰ إحـدىٰ رجليك يعني في الصلاة ، حكاه ابن الأنباري .

ويحتمل ثامناً : أن يكون معناه طهّر . ويحتمل ما أمره بتطهيره وجهين :

أحدهما : طهر قلبك من الخوف .

والثاني : طهر أُمَّتَك من الشرك .

قوله تعالى : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدهـا : بالتعب والسهر في قيام الليل ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه جواب للمشركين لما قالواْ : إنه بالقرآن شقى ، قاله الحسن .

الثالث : معناه لا تشْقِ نفسـك بالحـزن والأسف على كفر قـومك ، قـاله ابن بحر .

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إلا إنذاراً لمن يخشى الله .

والثاني : إلا زجراً لمن يتقي الذنوب .

والفرق بين الخشية والخوف : أن الخوف فيما ظهرت أسبابه والخشية فيما لم تظهر أسبابه[٦٧٤].

---

(٦٧٣) انظر تفصيل ذلك في زاد المسير (٥/ ٢٠٥ ، ٢٠٧).

(٦٧٤) كيف ذلك والله تعالى يقول ﴿ إنما يخشى الله من عبـاده العلماء ﴾ فـالعلم سبب من أسباب خشيـة الله فتنبه وإلا لما قال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

قوله عز وجل : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : له ملك السموات والأرض .

الثاني : له تدبيرها .

الثالث : له علم ما فيها .

وفي ﴿ . . . الثَّرَىٰ ﴾ وجهان :

أحدها : كل شيء مُبْتلّ ، قاله قتادة .

الثاني : أنه التراب في بطن الأرض ، قاله الضحاك .

الثاني : أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة ، وهي صخرة خضراء وهي سجِّين التي فيها كتاب الفجار ، قاله السدي .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَجْهَـرْ بِٱلْقَـوْلِ ﴾ فما حـاجتك إلى الجهـر ؟ لأن الله يعلـم بالجهر وبالسر .

﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : أن « السِّرَّ » ما حدَّث به العبد غيره في السر . « وأَخْفَىٰ » ما أضمره في نفسه ، ولم يحدِّث به غيره ، قاله ابن عباس .

الثـاني : أن السر مـا أضمـره العبـد في نفســه . وأخفى منـه مـا لم يكن ولا أضمره أحد في نفسه قاله قتادة وسعيد بن جبير .

الثالث : يعلم أسرار عباده ، وأخفى سر نفسه عن خلقه ، قاله ابن زيد .

الرابع : أن السر ما أسره الناس ، وأخفى : الوسوسة ، قاله مجاهد .

الخامس : أن السر مـا أسره من علمـه وعمله السالف ، وأخفى : ومـا يعلمه من عمله المستأنف ، وهذا معنى قول الكلبي .

السادس : السر : العزيمة ، وما هو أخفىٰ : هو الهم الذي دون العزيمة .

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أي قد أتاك حال موسى فيما اجتباه ربه لنبوته وحمله من رسالته . واحتمل ذلك أن يكون بما قصه عليه في هذا الموضع ، واحتمل أن يكون بما عرفه في غيره .

﴿ إِذْ رَءَا نَاراً ﴾ وكانت عند موسى ناراً ، وعند الله نوراً ، قال مقاتل : وكانت ليلة الجمعة في الشتاء(٦٧٥) .

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ أي أقيموا . والفرق بين المكث والإقامة أن الإقامة تدوم والمكث لا يدوم .

﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَاراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : رأيت ناراً .

والثاني : إني آنست بنار .

﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ أي بنار تصطلون بها .

﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدىً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هادياً يهديني الطريق ، قاله قتادة .

والثاني : علامة أستدل بها علىٰ الطريق . وكانوا قد ضلوا عنه فمكثوا بمكانهم بعد ذهاب موسىٰ ثلاثة أيام حتىٰ مر بهم راعي القرية فأخبرهم بمسير موسىٰ ، فعادوا مع الراعي إلى قريتهم وأقاموا بها أربعين سنةً حتىٰ أنجز موسى أمر ربه .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ
طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا

(٦٧٥) قال محقق المطبوعة في الهامش « كان ذلك بعد أن قضى موسى الأجل في خدمة شعيب شيخ مدينة . . . الخ . وجواباً على هذا نقول لقد عوّل المحقق على ما ورد وشاع من أن الذي صاهره نبي الله موسى هو نبي الله شعيب ولكن لم يرد ذلك في حديث صحيح وقد أسهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة جميعها في ذلك راجعها ضمن جامع الرسائل بتحقيق الدكتور محمد رشاد .

﴿تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَاهَا ﴾ يعني النار ، التي هي نور ﴿ نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ وفي هذا النداء قولان :

أحدهما : أنه تفرد بندائه .

الثاني : أن الله أنطق النور بهذا النداء فكان من نوره[٦٧٦] الذي لا ينفصل عنه ، فصار نداء منه أعلمه به أنه ربه لتسكن نفسه ويحمل عنه أمره فقدم تأديبه بقوله : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ الآية . وفي أمْره بخلعهما قولان :

أحدهما : ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس ، قاله علي بن أبي طالب ، والحسن ، وابن جريج .

والثاني : لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت[٦٧٧]، قاله كعب ، وعكرمة ، وقتادة .

﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المقدس هو المبارك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه المطهر ، قاله قطرب ، وقال الشاعر :

وأنت وصول للأقارب مدره ... بريء من الآفات من مقدس

وفي ﴿ طُوًى ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : أنه اسم من طوىٰ لأنه مر بواديها ليلاً فطواه ، قاله ابن عباس .

الثاني : سمي طوىٰ لأن الله تعالى ناداه مرتين . وطوىٰ في كلامهم بمعنى مرتين ، لأن الثانية إذا أعقبتها الأولى صارت كالمطوية عليها .

الثالث : بل سمي بذلك لأن الوادي قدس مرتين ، قاله الحسن .

---

(٦٧٦) وهو قول المعتزلة ومن وافقهم راجع روح المعاني (١٦/ ١٦٩) .

(٦٧٧) وقد ورد مرفوعاً رواه الترمذي (١/ ٢٠٦) من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث حميد الأعرج وحميد هو ابن علي الأعرج الكوفي منكر الحديث وقال الطبري (١٦/ ١٤٤) في إسناده نظر يجب التثبت منه .

الرابع : أن معنى طوى : طَإِ الوادي بقدمك ، قاله مجاهد .

الخامس : أنه الإسم للوادي قديماً . قاله ابن زيد :

فخلع موسىٰ نعليه ورمىٰ بهما وراء الوادي .

قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأقم الصلاة لتذكرني فيها ، قاله مجاهد .

والثاني : وأقم الصلاة بذكري ، لأنه لا يُدْخَلُ في الصلاة إلا بذكره .

الثالث : وأقم الصلاة حين تذكرها ، قاله إبراهيم .

ورویٰ سعيد بن المسيب(٦٧٨) أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا** »(٦٧٩)، قال تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ **أَكَادُ أُخْفِيهَا** ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أي لا أظهر عليها أحداً ، قاله الحسن . ويكون أكاد بمعنى أريد أ[illegible] .

الثاني : أكاد أخفيها من نفسي ، قاله ابن عباس ومجاهد ، وهي كذلك في قراءة أُبَيّ(٦٨٠) «أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي» ويكون المقصود من ذلك تبعيد الوصول إلى علمها . وتقديره : إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك ؟ .

الثالث : معناه أن الساعة آتية أكاد . انقطع الكلام عند أكاد وبعده مضمر أكاد آتي بها تقريباً لورودها ، ثم استأنف : أخفيها لتجزى كل نفسٍ بما تسعى . قاله الأنباري ، ومثله قول ضابىء البرجمي(٦٨١) :

همَمت ولم أفعل وكدت وليتني ترکت على عثمان تبكي حلائله

---

(٦٧٨) هذا الحديث مرسل رواه الطبري (١٤٨/١٦) موصولاً من حديث أبي هريرة.

(٦٧٩) وورد من حديث انس رواه البخاري (٧٠/٢) ومسلم (٤٧٧/١) وأبو داود (٤٤٢) وغيرهم راجع الدر (٥٦١/٥).

(٦٨٠) وهي قراءة ابن مسعود ومحمد بن علي كما في زاد المسير (٢٧/٥).

(٦٨١) الطبري (١٥٢/١٦) والقرطبي (١٨٣/١١) وزاد المسير (٢٧٦/٥) البحر المحيط (٢٣٣/٦).

أي كدت أن أقتله ، فأضمره لبيان معناه .

الرابع : أن معنى ـ أخفيها : أظهرها ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٦٨٢):

فإن تدفنوا الداءَ لا نخفيه وأن تبعثوا الحرب لا نقعد

يقال أخفيت الشيء أي أظهرته وأخفيته إذا كتمته ، كما يقال أسررت الشيء إذا كتمته ، وأسررته إذا أظهرته .

وفي قوله : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أسر الرؤساء الندامة عن الأتباع الذين أضلوهم .

والثاني : أظهروا الندامة . قال الشاعر(٦٨٣):

ولما رأى الحجاج أظهر سيفه أسر الحروري الذي كان أضمرا

﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه على وجه القسم من الله ، إن كل نفس تجزى بما تسعى .

الثاني : أنه إخبار من الله أن كل نفس تجزى بما تسعى .

قوله عز وجل : ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فتشقى .

الثاني : فتنزل .

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ
بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا
هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

(٦٨٢) هو امرىء القيس .

والبيت في ديوانه : ١٨٦ والطبري (١٦/١٥٠) ، ومجاز القرآن (٢/١٧) اللسان (خفا) والقرطبي (١١/١٨٢) زاد المسير (٥/٢٧٦) .

(٦٨٣) هو الفرذدق

والبيت في الطبري (١٦/١٥٢) اللسان (سرر) وفي الطبري

فلما رأى الحجاج جرّد سيفه .

(تنبيه) هذا الفعل من الاضداد يحمل معنيين متضادين .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ليس هذا سؤال استفهام ، وإنما هو سؤال تقرير لئلاّ يدخل عليه ارتياب بعد انقلابها حيةً تسعى .

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ فتضمن جوابه أمرين :

أحدهما : الإخبار بأنها عصا وهذا جواب كافٍ .

الثاني : إضافتها إلى ملكه ، وهذه زيادة ذكرها ليكفي الجواب بما سئل عنه .

ثم أخبر عن حالها بما لم يُسأل عنه ليوضح شدة حاجته إليها واستعانته بها(٦٨٤) لئلا يكون عابثاً بحملها ، فقال : ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ أي أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي . قال الراجز(٦٨٥) :

أهش بالعصا على أغنامي   من ناعم الأراك والبشام

وقرأ عكرمة(٦٨٦) « وأهس » بسين غير معجمة . وفي الهش والهس وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد .

والثاني : أن معناهما مختلف ، فالهش بالمعجمة : خبط الشجر ، والهس بغير إعجام زجر الغنم .

﴿ وَلِيَ فِيهَا مَئَارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ أي حاجات أخرىٰ ، فنص على اللازم وكنّى عن العارض ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يطرد بها السباع ، قاله مقاتل :

الثاني : أنه كان يَقْدَحُ بها النار ، ويستخرج الماء بها .

---

(٦٨٤) وقد أبدى بعض المفسرين نكتة في ذلك وهي أن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام أراد أن يتلذذ بطول المناجاة مع ربه تبارك وتعالى ولهذا أطال الكلام عن العصا.

(٦٨٥) أورده الطبري (١٦/ ١٥٤) ولم ينسبه .

وفي اللسان « هش » قال الفراء في تفسير البيت : أي أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها فترعاه غنمي والأراك والبشام نوعان من الشجر ترعيها الماشية وفي أغصانها لين وقد تأكلها الماشية إذا كانت خضراء .

(٦٨٦) وهي قراءة الحسن راجع روح المعاني (١٦٠ /١٧٥).

الثالث : أنها كانت تضيء له بالليل[٦٨٧]، قاله الضحاك .

وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إلى عضدك . قاله مجاهد .

الثاني : إلى جيبك .

الثالث : إلى جنبك فعبر عن الجنب بالجناح لأنه مائل في محل الجناح .

قوله عز وجل : ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لحفظ مناجاته .

الثاني : لتبليغ رسالته .

﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ما لا يطيق .

الثاني : في معونتي بالقيام على ما حملتني .

﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها عقدة كانت بلسانه من الجمرة التي ألقاها بفيه في صغره عند فرعون .

(٦٨٧) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣/١٤٥) « وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل كانت تضيء بالليل وتحرس له الغنم إذا نام يغرسها ،فتصيرشجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة والظاهر أنها لم تكن لذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً فما كان يفرّ منها هارباً ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية وكذلك قول بعضهم أنها كانت لآدم عليه السلام وفي قول الآخر أنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة .

الثاني : عقدة كانت بلسانه عند مناجاته لربه ، حتى لا يكلم غيره إلا بإذنه .

الثالث : استحيائه من الله من كلام غيره بعد مناجاته .

﴿ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ببيان كلامه .

الثاني : بتصديقه على قوله .

﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ﴾ وإنما سأل الله أن يجعل له وزيراً إلا أنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة ، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة .

﴿ هَارُونَ أَخِي آشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الأزر : الظهر من موضع الحقوين ومعناه فقوّ به نفسي . قال أبو طالب[٦٨٨] :

أليس أبونا هاشمٌ شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

الثاني : أن يكون عوناً يستقيم به أمري . قال الشاعر :

شددت به أزري وأيقنت أنه ... أخ الفقر من ضاقت عليه مذاهبه

فيكون السؤال على الوجه الأول لأجل نفسه وعلى الثاني لأجل النبوة . وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين ، وكان في جبهة هارون شامة ، وكان على أنف موسى شامة ، وعلى طرف لسانه [شامه].

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ
أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ
عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ

(٦٨٨) هو بيت من قصيدة لأبي طالب مطلعها :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا ... لؤياً وحصنا من لؤي بني يعرب

راجع سيرة ابن هشام (١/٣٧٧).

فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَأَلْقَيتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : حببتك إلى عبادي ، قاله سلمى بن كميل(٦٨٩) .

الثاني : يعني حسناً وملاحة ، قاله عكرمة .

الثالث : رحمتي ، قاله أبو جعفر (الطبري)(٦٩٠) .

الرابع : جعلت من رآك أحبك ، حتى أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك ، قاله ابن زيد .

ويحتمل خامساً : أن يكون معناه : وأظهرت عليك محبتي لك وهي نعمة عليك لأن من أحبه الله أوقع في القلوب محبته .

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لتغذى على إرادتي ، قاله قتادة .

الثاني : لتصنع على عيني أمك بك ما صنعت من إلقائك في اليم(٦٩١) ومشاهدتي .

---

(٦٨٩) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب سلمة بن كهيل والتصويب من الطبري (١٦/ ١٦٢) والدر (٥/ ٥٦٧) وابن كثير (٣/ ١٤٣) وفتح القدير (٣/ ٣٦٧) .

(٦٩٠) هنا كلمة مطموسة . لعلها ما أثبتناه لأن سياق الكلام يدل عليها .

(٦٩١) ربما يتوهم متوهم فيظن أن موسى عليه الصلاة والسلام يربي فوق عين الله تعالى وكذلك الأمر بالنسبة للسفينة في قوله ﴿تجري بأعيننا﴾ ، فيظن أن السفينة تجري وعين الرب وهذا التوهم وذاك غير صحيح بل هو باطل من الناحيتين اللفظية والمعنوية فلا أحد يفهم من قول القائل . . فلان يسير بعين أن المعنى أنه يسير داخل عينيه ولا من قول القائل فلان تخرج على عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينيه فإذا بين بطلان هذا الفهم تعيين أن يكون ظاهر الكلام أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى مني فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينيه لزم من ذلك أن يراه ولازم المعنى صحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون المطابقة والتضمن والالتزام . راجع القواعد المثلى بتصرف ٦٧ .

ويحتمل ثالثاً : لتكفل وتربى على اختياري ، ويحتمل قوله : ﴿ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ وجهين :

أحدهما : على اختياري وإرادتي .

الثاني : بحفظي ورعايتي(٦٩٢) .

﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : تقرعينها بسلامتك ولا تحزن بفراقك .

الثاني : تقر بكفالتك ولا تحزن بنفقتك .

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْساً ﴾ يعني القبطي .

﴿ فَنَجَّيناكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : سلمناك من القَوَد .

الثاني : أمناك من الخوف .

﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أخبرناك حتى صلحت للرسالة .

الثاني : بلوناك بلاء بعد بلاء ، قاله قتادة .

الثالث : خلصناك تخليصاً محنة بعد محنة ، أولها أنها حملته في السنة التي كان يذبح فرعون فيها الأطفال ثم إلقاؤه في اليم ، ومنعه الرضاع إلا من ثدي أمه ، ثم جره بلحية فرعون حتى همّ بقتله ، ثم تناوله الجمرة بدل التمرة ، فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ، ثم مجيىء رجل من شيعته يسعى بما عزموا عليه من قتله قاله ابن عباس .

وقال مجاهد : أخلصناك إخلاصاً .

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على قدر الرسالة والنبوة ، قاله قتادة .

الثاني : على موعدة ، قاله قتادة ، ومجاهد .

(٦٩٢) لاحظ أنه لم يذكر القول الرابع ولعله قول مجاهد المذكور هنا والله أعلم .

ويحتمل ثالثاً : جئت على مقدار في الشدة وتقدير المدة ، قال الشاعر[٦٩٣] :

نال الخلافة أو كانت له قدراً   كما أتى ربه موسى على قدر

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ يحتمل وجهان :

أحدهما : خلقتك ، مأخوذ من الصنعة .

الثاني : اخترتك ، مأخوذ من الصنيعة .

﴿ لِنَفْسِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لمحبتي .

الثاني : لرسالتي[٦٩٤] .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لا تفترا في ذكري ، قال الشاعر[٦٩٥] :

فما ونى محمد مذ أن غفر   له الإله ما مضى وما غبر

الثاني : لا تضعفا في رسالتي ، قاله قتادة .

الثالث : لا تبطئا ، قاله ابن عباس .

الرابع : لا تزالا ، حكاه أبان واستشهد بقول طرفة :

كأن القدور الراسيات أمامهم   قباب بنوها لا تني أبداً تغلي

(٦٩٣) هو جرير الشاعر
والبيت في ديوانه ٢٧٤ والطبري (١٦/١٦٨) .

(٦٩٤) أما مذهب السلف في هذه الآية فإنهم يؤمنون بهذا النص إيماناً لا يشوبه تجسيم ولا تكييف متطابقاً مع قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لذا فإنهم يؤمنون بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

(٦٩٥) هو رؤبة بن العجاج
والبيت في ديوانه : ١٥ والطبري (١٦/١٦٨) .

قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لطيفاً رقيقاً .

الثاني : كنّياه ، قاله السدي وقيل أن كنية فرعون أبو مرة ، وقيل أبو الوليد .

ويحتمل ثالثاً : أن يبدأه بالرغبة قبل الرهبة ، ليلين بها فيتوطأ بعدها من رهبة ووعيد قال بعض المتصوفة : يا رب هذا رفقك لمن عاداك ، فكيف رفقك بمن والاك؟

وقيل إن فرعون كان يحسن لموسى حين رباه ، فأراد أن يجعل رفقه به مكافأة له حين عجز موسى عن مكافأته .

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يعجل علينا ، قال الراجز(٦٩٦) :

قد أفرط العلج علينا وعجل

الثاني : يعذبنا عذاب الفارط في الذنب ، وهو المتقدم فيه ، قاله المبرد ويقال لمن أكثر في الشيء أفرط ، ولمن نقص منه فرّط .

﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ أي أن يقتلنا .

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

(٦٩٦) أورده الطبري (١٦/ ١٧٠) هكذا ولم يبينه وفيه «قد فرّط» . وفتح التقدير (٣/ ٣٦٨) .

قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه لنكاحه ، قاله ابن عباس والسدي .

الثاني : أعطى كل شيء صورته ، ثم هداه إلى معيشته ومطعمه ومشربه ، قاله مجاهد قال الشاعر(٦٩٧) :

وله في كل شيء خلقةٌ وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة .

الثالث : أعطى كلًا ما يصلحه ، ثم هداه له ، قاله قتادة .

ويحتمل رابعاً : أعطى كل شيءٍ ما ألهمه من علم أو صناعة وهداه إلى معرفته .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وهي جمع قرن ، والقرن أهل كل عصر مأخوذ من قرانهم فيه .

وقال الزجاج : القرن أهل كل عصر وفيه نبي أو طبقة عالية في العلم ، فجعله من اقتران أهل العصر بأهل العلم ، فإذا كان زمان فيه فترة وغلبة جهل لم يكن قرناً .

واختلف في سؤال فرعون عن القرون الأولى على أربعة أوجه :

أحدها : أنه سأله عنها فيما دعاه إليه من الإيمان ، هل كانوا على مثل ما يدعو إليه أو بخلافه .

الثاني : أنه قال ذلك له قطعاً للاستدعاء ودفعاً عن الجواب .

(٦٩٧) فتح القدير (٣/٣٦٨) ولم ينسبه راجع تفسيرات القيم في شفاء العليل حول تفسير هذه الآية ثم اعلم أنه لا تنافي بين هذه الأقوال فكلها صحيحة فكل عبر يجب ما فهمه .

الثالث : أنه سأله عن ذنبهم ومجازاتهم .

الرابع : أنه لما دعاه إلى الإقرار بالبعث قال : ما بال القرون الأولى لم تبعث .

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ فرد موسى علم ذلك إلى ربه .

﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ .

﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ أي لم يجعل علم ذلك في كتاب لأنه يضل أو ينسى .

ويحتمل إثباته في الكتاب وجهين :

أحدها : أن يكون له فضلاً له وحكماً به .

الثاني : ليعلم به ملائكته في وقته .

وفي قوله : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ وجهان :

أحدهما : لا يخطىء فيه ولا يتركه .

الثاني : لا يضل الكتاب عن ربي ، ولا ينسى ربي ما في الكتاب ، قاله ابن عباس .

قال مقاتل : ولم يكن في ذلك [الوقت] عند موسى علم القرون الأولى ، لأنه علمها من التوراة ، ولم تنزل عليه إلا بعد هلاك فرعون وغرقه .

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾
وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أولي الحكم .

الثاني : أولي العقل(*)، قاله السدي .

الثالث : أولي الورع .

وفي تسميتهم بذلك وجهان :

أحدهما : لأنهم ينهون النفس عن القبيح .

الثاني : لأنه ينتهي إلى آرائهم .

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حجج الله الدالة على توحيده .

الثاني : المعجزات الدالة على نبوة موسى ، يعني التي أتاها موسى ، وإلا فجميع الآيات لم يرها .

﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ يعني فكذب الخبر وأبى الطاعة .

ويحتمل وجهاً آخر : يعني فجحد الدليل وأبى القبول .

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

قوله تعالى : ﴿ مَكَاناً سُوىً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : منصفاً بينهم .

الثاني : عدلاً بيننا وبينك ، قاله قتادة والسدي .

الثالث : عدلاً وسطاً ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٦٩٨) :

وإن أبانا كان حلّ ببلدة　　　سوى بين قيس قيس عيلان والغزر

الرابع : مكاناً مستوياً يتبين للناس ما بيناه فيه ، قاله ابن زيد .

(*) هكذا بالأصول والصواب أن يقال العقول لأنها تفسير النهى .

(٦٩٨) هو موسى بن جابر الحنفي .

والبيت في اللسان (سوى) وفيه . . . . وجدنا أبانا بدلاً من إن أبانا والطبري (١٦/١٧٦) .

ويقرأ سُوى[٦٩٩] بضم السين وكسرها ، وفيهما وجهان :

أحدهما : أنْ : معناهما واحد وإن اختلف لفظهما .

والثاني : أن معناهما مختلف ، فهو بالضم المنصف ، وبالكسر العدل .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه يوم عيد كان لهم ، قاله مجاهد وابن جريج والسدي وابن زيد وابن إسحاق .

الثاني : يوم السبت ، قاله الضحاك .

الثالث : عاشوراء ، قاله ابن عباس .

الرابع : أنه يوم سوق كانوا يتزينون فيها ، قاله قتادة .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا تفترواْ على الله كذباً بسحركم .

الثاني : بتكذيبي وقولكم ما جئت به سحر .

﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ فيهلككم ويستأصلكم ، قال الفرزدق[٧٠٠] :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مُجَلَّف

(٦٩٩) راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٢٨ زاد المسير (٥/٢٩٤) الطبري (١٦/١٧٦) .

(٧٠٠) ديوانه (٥٥٦) والطبري (١٦/١٧٨) مجاز القرآن (٢/٢١) شرح المفضليات ٣٩٦ جمهرة أشعار العرب ٢/١٠٧ واللسان جلف ،سحت. القرطبي(١١/٢١٥)الخزانة (٢/٣٤٧) زاد المسير (٥/٢٩٦) .

فالمسحت : المستأصل ، والمجلف : المهلك .

﴿ فَتَنَازَعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فيما هيؤوه من الحبال والعصي ، قاله الضحاك .

والثاني : فيمن يبتدىء بالإلقاء .

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن النجوى التي أسروها أن قالوا : إن كان هذا سحراً فسنغلبه ، وإن كان من السماء فله أمره ، قاله قتادة .

الثاني : أنه لما قال لهم ﴿وَيْلَكُمْ﴾ . الآية . قالوا : ما هذا بقول ساحر ، قاله ابن منبه .

الثالث : أنهم أسروا النجوىٰ دون موسىٰ وهارون بقولهم، ﴿إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ . . ﴾الآيات، قاله مقاتل والسدي .

الرابع : أنهم أسرواْ النجوى . إن غَلَبَنَا موسىٰ اتبعناه ، قاله الكلبي .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ هذه قراءة أبي عمرو(٧٠١) وهي موافقة للإعراب مخالفة للمصحف وقرأ الأكثرون : إن هذان لساحران ، فوافقوا المصحف فيها ، ثم اختلفوا في تشديد إنّ فخففها ابن كثير وحفص فسلما بتخفيف إن من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب ، ويكون معناها : ما هذان إلا ساحران . وقرأ أُبَيّ : إن ذان إلا ساحران ، وقرأ باقي القراء بالتشديد : إنَّ هذان لساحران . فوافقوا المصحف وخالفوا ظاهر الإعراب . واختلف من قرأ بذلك في إعرابه على أربعة أقاويل :

---

(٧٠١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) « وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ إن هذان لساحران لحن وأن عثمان رضي الله عنه قال إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها وهذا خبر باطل لا يصح » قلت وقد رد الطبري أيضاً ما نسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد ورد عن عائشة مثل ما ورد عن عثمان والأثر عنها رواه أبو عبيد في فضائل القرآن وقال السيوطي إسناد صحيح على شرط الشيخين فتعقب ذلك الألوسي في روح المعاني (١٦/ ٢٢١) بكلام رصين فراجعه .

أحـدها : أن هـذا على لغة بلحـارث بن كعب وكنـانـة بن زيـد يجعلون رفـع الإثنين ونصبه وخفضه بالألف ، وينشدون(٧٠٢) :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغاً لِناباهُ الشجاع لصمّما

والوجه الثاني : لا يجوز أن يحمل القرآن على ما اعتل من اللغات ويعدل بـه عن أفصحها وأصحها ، ولكن في « إن » هاء مضمرة تقديرها إنّه هـذان لساحـران ، وهو قول متقدمي النحويين .

الثالث : أنه بَنَىٰ « هذان » على بناء لا يتغير في الإعراب كما بَنَىٰ الذين على هذه الصيغة في النصب والرفع .

الـرابع : أن « إن » المشـددة في هذا المـوضع بمعنى(٧٠٣) نعم ، كمـا قـال رجل لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقـال ابن الزبيـر : إنّ وصاحبهـا . وقال عبد الله بن قيس الرقيات(٧٠٤) :

بكى العواذل في الصبا ح يلمنني وألـومُهُنّـة
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنهْ

أي نعم

﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ في قائل هذه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قول السحرة.

الثاني : أنه قول قوم فرعون .

الثالث : قول فرعون من بين قومه ، وإن أشير به إلى جماعتهم .

وفي تأويله خمسة أوجه :

أحدها : ويذهبا بأهل العقل والشرف . قاله مجاهد .

الثاني : ببني إسرائيل ، وكانوا أولي عدد ويسار ، قاله قتادة .

---

(٧٠٢) هو الملتمس والبيت في الطبري (١٦/١٨٠) واللسان «حمم» والقرطبي (١١/٢١٧) زاد المسير (٥/٢٩٨).

(٧٠٣) وضعف بعضهم هذا القول راجع روح المعاني (١٦/٢٢٢).

(٧٠٤) روح المعاني (١٦/٢٢) والقرطبي (١١/٢١٨) وزاد المسير (٥/٢٩٩) واللسان.

الثالث : ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة قاله ابن زيد .

الرابع : ويذهبا بدينكم وعبادتكم لفرعون ، قاله الضحاك .

الخامس : ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى ، [والمثلى مؤنث] الأمثل والمراد بالأمثل الأفضل ، قال أبو طالب(٧٠٥) :

وإنا لعمرو الله إن جدّ ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : جماعتكم على أمرهم في كيد موسى وهارون .

الثاني : معناه أحكموا أمركم ، قال الراجز(٧٠٦) :

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدون يوماً وأمري مجمع

أي محكم .

﴿ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً ﴾ أي اصطفواْ ولا تختلطواْ .

﴿ . . . مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ أي غلب .

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ
وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ
هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ . . ﴾ الآية . في أمر موسى للسحرة بالإلقاء ـ وإن كان ذلك كفراً لا يجوز أن يأمر به ـ وجهان :

أحدهما : إن اللفظ على صفة الأمر ، ومعناه معنى الخبر ، وتقديره : إن كان إلقاؤكم عندكم حجة فألقواْ .

---

(٧٠٥) بيت من قصيدة طويلة لابي طالب راجعها السيرة (١/٢٩١) .

(٧٠٦) اللسان « جمع »، معاني القرآن للفراء (١/٤٧٣) الطبري (١٦/١٨٣) القرطبي (١١/٢٢١) زاد المسير (٥/٣٠٠).

الثـاني : إن ذلك منـه على وجه الاعتبـار ليظهـر لهم صحـة نبـوتـه ووضـوح محبته ، وأن ما أبطل السحر لم يكن سحراً .

واختلفـواْ في عدد السحـرة فحكي عن القاسم بن أبي بـزة أنهم كانـواْ سبعين ألف سـاحر ، وحكي عن ابن جـريج أنهم كـانواْ تسعمـائة سـاحـر ، ثـلاثمـائـة من العريش ، وثلاثمائة من الفيوم ، ويشكون في الثـلاثمائـة من الإسكندريـة ، وحكى أبـو صالـح عن ابن عباس أنهم كـانواْ اثنين وسبعين سـاحراً ، منهم اثنـان من القبط وسبعون من بني إسرائيل ، كانواْ في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء .

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه يخيل ذلك لفرعون .

الثاني : لموسى كذلك .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ وفي خوف وجهان :

أحدهما : أنـه خاف أن يلتبس على النـاس أمرهم فيتـوهمواْ أنهم فعلواْ مثـل فعله وأنه من جنسه .

الثاني : لما هو مركوز في الطباع من الحذر. وأوجس : بمعنى أسر .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ . . ﴾ الآية . تثبيتاً لنفسه ، وإزالة لخوفه .

قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾ أي تأخذه بفيها ابتـلاعاً بسـرعة ، فقيـل إنها ابتلعت حمـل ثلاثمـائة بعيـر من الحبال والعصي ، ثم أخـذها موسى ورجعت عصا كما كانت .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها(٧٠٧) كانت من عوسج ، قاله وهب .

الثـاني : من الجنة ، قـالـه ابن عبـاس ، قـال : وبهـا قتـل مـوسى عـوج بن عناق(٧٠٨) .

---

(٧٠٧) ليس مما يجب على المسلمين أن يعرفوا ماهية عصا موسى عليه السلام إنما يجب عليهم تعلم العلم الضروري التي تستقيم به عقائدهم وعباداتهم.

(٧٠٨) وقيل كان هذا الرجل في زمان نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وأنه نجا من الطوفان وذكـروا من =

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً ﴾ طاعة لله وتصديقاً لموسى .

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ أي بالرب الذي دعا إليه هارون وموسى ، لأنه رب لنا ولجميع الخلق ، فقيل إنهم(٧٠٩) ما رفعوا رؤوسهم حتى رأواْ الجنة وثواب أهلها ، فعند ذلك .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ ﴾ وقيل إن امرأة فرعون كانت تسأل : من غلب؟ فقيل لها : موسى وهارون . فقالت : آمنت برب موسىٰ وهارون فأرسل إليها فرعون فقال : فخذواْ أعظم صخرة فحذِّروها ، فإن أقامت على قولها [فألقوها عليها] ، فنزع [الله] روحها ، فألقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح .

﴿ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه قسم .

الثاني : بمعنى [ولا] على الذي فطرنا .

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ فيه وجهان :

= ضخامة جسمه وعظم ساقيه . . . . أشياء كثيرة يطول ذكرها وكلها من الإسرائيليات بل هذه الشخصية المسماة بعوج ربما لا تكون لها حقيقة وقد فصّل الكلام فيها العلامة السيوطي في رسالته المسماة الأوج في خبر عوج وهي رسالة ضمن الحاوي فراجعها .

(٧٠٩) وهو قول عكرمة رحمه الله قال الألوسي (١٦ / ٢٣٠) . واستبعد ذلك القاضي بأنه كالإلحاد إلى الإيمان وأنه ينافي التكليف وأجيب بأنه حيث كان الإيمان مقدماً على هذا الكشف فلا منافاة ولا إلجاء .

أحدهما : فاصنع ما أنت صانع .

الثاني : فاحكم ما أنت حاكم .

﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إنما سلطانك وعذابك في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة .

الثاني : أن التي تنقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا ، وتبقى الآخرة .

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : والله خير منك وأبقى ثواباً إن أُطيع ، وعقاباً إن عُصِي .

الثاني : خير منك ثواباً إن أطيع وأبقى منك عقاباً إن عُصِي .

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته ، كما قال الشاعر(٧١٠):

ألا من لنفسٍ لا تموت فينقضي ... شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

الثاني : أن نفس الكافر معلقة بحنجرته كما أخبر الله عنه فلا يموت بفراقها ، ولا يحيا باستقرارها .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ قال ابن جريج : قال أصحاب

(٧١٠) البيت في اللسان (طعم) والقرطبي (٢٢٧/١١) وزاد المسير (٣٠٩/٥) ولم ينسب البيت في هذه المصادر .

موسىٰ له : هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر وقد غشينا ، فأنزل الله هذه الآيـة ، أي لا تخاف دركاً من فرعون ولا تخشىٰ من البحر غرقاً إن غشيك .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ (٨٠) كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ (٨٢) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ ﴾ وفيه ثلاثة أوجه .

أحدها : لا تكفروا به .

الثاني : لا تدّخرواْ منه لأكثر من يوم وليلة ، قال ابن عباس : فـدُوّد عليهم ما ادخروه ، ولولا ذلك ما دَوّد طعام أبداً .

الثالث : لا تستعينوا برزقي على معصيتي .

﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ قرىء بضم الحاء[٧١١] وبكسرها ومعناه بالضم ينزل ، وبالكسر يجب .

﴿ فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فقد هوى في النار .

الثاني : فقد هلك في الدنيا .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ أي غفار لمن تاب من الشرك ﴿وآمن﴾ يعني بالله ورسوله و ﴿ عمل صالحاً ﴾ يريد العمل بأوامره والوقوف عند نواهيه .

﴿ ثُمَّ آهْتَدَىٰ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : ثم لم يشك في إيمانه ، قاله ابن عباس .

---

(٧١١) وهي قراءة الكسائي ، راجع السبعة في القرآن ٤٢٢ ، زاد المسير (٣١١/٥) الحجة في القراءات ص ٤٦٠ .

الثاني : لزم الإيمان حتى يموت ، قاله قتادة .

الثالث : ثم أخذ بسنة نبيه ﷺ ، قاله الربيع بن أنس .

الرابع : ثم أصاب العمل ، قاله ابن زيد .

الخامس : ثم عرف جزاء عمله من خير بثواب ، أو شر بعقاب ، قاله الكلبي .

السادس : ثم اهتدى في ولاية أهل بيت النبي ﷺ ، قاله ثابت .

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الأسف أشد الغضب .

الثاني : الحزين ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

الثالث : أنه الجزع ، قاله مجاهد .

الرابع : أنه المتندم .

الخامس : أنه المتحسِّر .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حسناً ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه وعدكم النصر والظفر .

الثاني : أنه قوله: ﴿ وَإِنِّي لَغفَّارٌ ﴾ الآية .

الثالث : التوراة فيها هدىً ونور ليعملواْ بما فيها فيستحقواْ ثواب عملهم .

الرابع : أنه ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا ، قاله الحسن .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه وعدهم على أثره للميقات فتوقفوا(٧١٢).

﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بطاقتنا ، قاله قتادة والسدي .

الثاني : لم نملك أنفسنا عند ذلك للبلية التي وقعت بنا ، قاله ابن زيد .

الثالث : لم يملك المؤمنون منع السفهاء من ذلك والموعد الذي أخلفوه أن وعدهم أربعين فعدّوا الأربعين عشرين يوماً وعشرين ليلة وظنوا أنهم قد استكملوا الميعاد(٧١٣)، وأسعدهم السامري أنهم قد استكملوه .

﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي حملنا من حلي آل فرعون ، لأن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي . وقيل : جعِلت حملاً .

والأوزار : الأثقال ، فاحتمل ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يراد بها أثقال الذنوب لأنهم قد كان عندهم غلول .

الثاني : أن يراد أثقال الحمل لأنه أثقلهم وأثقل أرجلهم .

قوله تعالى : ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ الآية . قال قتادة . أن السامري قال لهم حين استبطأ القومُ موسىٰ : إنما احتبس عليكم من أجل ما عندكم من الحلي ، فجمعوه ورفعوه للسامري ، فصاغ منه عجلاً ، ثم ألقى عليه قبضة قبضها من أثر الرسول وهو جبريل ، وقال معمر : الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة فلما ألقى القبضة عليه صار عجلاً جَسَداً له خوار .

(٧١٢) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثاني .

(٧١٣) أي أعانهم على هذا .

والخوار صوت الثور ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه صوت حياة خلقه ، لأن العجل المُصَاغ(٧١٤) انقلب بالقبضة التي من أثر الرسول فصار حيواناً حياً ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وقال ابن عباس : خار العجل خورة واحدة لم يتبعها مثلها .

الثاني : أن خواره وصوته كان بالريح ، لأنه عمل فيه خروقاً فإذا دخلت الريح فيه خار ولم يكن فيه حياة ، قاله مجاهد .

﴿ فقالوا هـذا إلٰهكم وإله مـوسى ﴾ يعني أن السامري قال لقوم موسى بعد فراغه من العجل : هذا إلٰهكم وإلٰه موسى ، يعني ليسرعوا إلى عبادته .

﴿ فَنَسِيَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : فنسي السامري إسلامه وإيمانه ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن السامري قال لهم : قد نسي موسى إلٰهه عندكم ، قاله قتادة ، والضحاك .

الثالث : فنسي أن قومه لا يصدقونه في عبادة عجل لا يضر ولا ينفع ، قاله ابن بحر .

الرابع : أن موسى نسي أن قومه قد عبدوا العجل بعده ، قاله مجاهد .

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ يعني أفلا يرىٰ بنو إسرائيل أن العجل الذي عبدوه لا يرد عليهم جواباً .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَراً وَلَا نَفْعاً ﴾ ؟ فكيف يكون إلٰهاً .

قال مقاتل : لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوماً أمر السامري بني إسرائيل أن يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون ، وصاغه عجلاً في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادة العجل في التاسع فأجابوه ، وجاءهم موسى بعد استكمال الأربعين .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى

(٧١٤) الأولى أن يقال المصوغ .

وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ
يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ
يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾ يعني بعبادة العجل .

﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ألا تتبعني في الخروج ولا تقم مع من ضل .

الثاني : ألا تتبع عادتي في منعهم والإنكار عليهم ، قاله مقاتل .

﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ وقال موسى لأخيه هارون : أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلمّا أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم نسبه إلى العصيان ومخالفة أمره .

﴿ قَالَ يَا بْنَ أُمَّ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لأنه كان أخاه لأبيه وأمه .

الثاني : أنه كان أخاه لأبيه دون أمه ، وإنما قال يا بن أم ترفيقاً له واستعطافاً .

﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أخذ شعره بيمينه ، ولحيته بيسراه ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه أخذ بأذنه ولحيته ، فعبر عن الأذن بالرأس ، وهو قول من جعل الأذن من الرأس[٧١٥] .

واختلف في سبب أخذه بلحيته ورأسه على ثلاثة أقوال :

---

(٧١٥) وقد ثبت في المرفوع أن الأذنان من الرأس، وهو حديث صحيح راجع السلسلة الصحيحة رقم ٣٦ .

أحدها : ليسر إليه نزول الألواح عليه ، لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل قبل التوبة ، فقال له هارون : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ليشتبه سراره على بني إسرائيل .

الثاني : فعل ذلك لأنه وقع في نفسه أن هارون مائل إلى بني إسرائيل فيما فعلوه من أمر العجل ، ومثل هذا لا يجوز على الأنبياء .

الثالث : وهو الأشبه ـ أنه فعل ذلك لإمساكه عن الإنكار على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ومقامه بينهم على معاصيهم .

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ وهذا جواب هارون عن قوله : ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما : فرقت بينهم بما وقع من اختلاف معتقدهم .

الثاني : [فرقت] بينهم بقتال مَنْ عَبَدَ العجل منهم .

وقيل : إنهم عبدوه جميعاً إلا اثني عشر ألفاً بقوا مع هارون لم يعبدوه .

﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لم تعمل بوصيتي ، قاله مقاتل .

الثاني : لم تنتظر عهدي ، قاله أبو عبيدة .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ الخطب ما يحدث من الأمور الجليلة التي يخاطب عليها ، قال الشاعر(٧١٦):

(٧١٦) هو المرقش الأصغر.

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾

آذنت جارتي بوشك رحيل بكرا جاهرت بخطب جليل

وفي السامري قولان :

أحدهما : أنه كان رجلاً من أهل كرمان ، تبع موسىٰ من بني إسرائيل ، قاله الطبري ، وكان إسمه موسىٰ بن ظفر .

وفي تسميته بالسامري قولان :

أحدهما : أنه كان من قبيلة يقال لها سامرة ، قاله قتادة .

الثاني : لأنه كان من قرية تسمى سامرة .

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نظرت ما لم ينظروه ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : بما لم يفطنواْ له ، قاله مقاتل .

وفي بصرت وأبصرت وجهان :

أحدهما : أنَّ معناهما واحد .

الثاني : أن معناهما مختلف ، فأبصرت بمعنى نظرت ، وبَصُرت بمعنى فطنت .

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾ قرأه الجماعة بالضاد المعجمة ، وقرأ الحسن بصاد غير معجمة(٧١٧) ، والفرق بينهما أن القبضة بالضاد المعجمة ، بجميع الكف ، وبصاد غير معجمة : بأطراف الأصابع ﴿ مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الرسول جبريل .

= والبيت من قصيدة له في شرح المفضليات لأبي بكر الأنباري ص ٤٤٦ .

(٧١٧) راجع زاد المسير (٣١٨/٥) والطبري (٢٠٦/١٦) .

وفي معرفته قولان :

أحدهما : لأنه رآه يوم فلق البحر فعرفه .

الثاني : أن حين ولدته أمه [جعلته في غار] ـ حذراً عليه من فرعون حين كان يقتل بني إسرائيل وكان جبريل يغذوه صغيراً لأجل البلوىٰ ، فعرفه حين كبر ، فأخذ قبضة تراب من حافر فرسه وشدها في ثوبه ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ يعني فألقيتها ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه ألقاها فيما سبكه من الحلي بصياغة العجل حتى خار بعد صياغته .

الثاني : أنه ألقاها في جوف العجل بعد صياغته حتى ظهر خواره ، فهذا تفسيره على قول من جعل الرسول جبريل .

والقول الثاني : أن الرسول موسى ، وأن أثره شريعته التي شرعها وسنته التي سنها ، وأن قوله : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾ أي طرحت شريعة موسى ونبذت سنته ، ثم اتخذت العجل جسداً له خوار .

﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حدثتني نفسي ، قاله ابن زيد .

الثاني : زينت لي نفسي ، قاله الأخفش .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن قوله : ﴿ فَٱذْهَبْ ﴾ وعيد من موسىٰ ، ولذا [فإن] السامري خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع ، لا يجد أحداً من الناس يمسه ، حتى صار كالقائل لا مساس ، لبعده عن الناس وبعد الناس منه .

قالت الشاعرة(٧١٨) :

حمال رايات بها قنعاسا حتى يقول الأزد لا مساسا

(٧١٨) فتح القدير (٣/٣٨٣) وفيه قناعاً وهو محرف .

القول الثاني : أن هذا القول من موسىٰ [كان] تحريماً للسامري ، وأن موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ، فكان لا يَمَسُّ وَلاَ يُمَسُّ ، قال الشاعر[٧١٩]:

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساسا

أي لا يُخَالِطُونَ وَلاَ يُخالَطُون .

﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في الإمهال لن يقدم .

الثاني : في العذاب لن يؤخر .

قوله عز وجل : ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أحاط بكل شيء حتى لم يخرج شيء من علمه .

الثاني : وسع كل شيء علماً حتى لم يخل شيء عن علمه به .

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ
إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : عُمياً ، قاله الفراء .

الثاني : عطاشاً قد أزرقت عيونهم من شدة العطش ، قاله الأزهري .

الثالث : تشويه خَلْقِهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم .

الرابع : أنه الطمع الكاذب إذ تعقبته الخيبة ، وهو نوع من العذاب .

الخامس : أن المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف ، قال الشاعر[٧٢٠]:

---

(٧١٩) روح المعاني (١٦/٢٥٦) ولم ينسبه .

(٧٢٠) روح المعاني (١٦/٢٦٠) وفتح القدير (٣/٣٨٦) وفي المصدر الأول وقع الشطر الثاني في البيت: ألا كل ضبي من اللوم أزرق

لقد زرقت عيناك يا بن مكعبر كما كل ضبي مِن اللؤم أزرق

قوله عز وجل : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يتسارُّون بينهم ، من قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] أي لا تُسرّ بها.

﴿ إن لَّبِثْتُمْ إلَّا عَشْراً ﴾ العشر على طريق التقليل دون التحديد وفيه وجهان :

أحدهما : إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً ، لما شاهدوا من سرعة القيامة ، قاله الحسن .

الثاني : إن لبثتم في قبوركم إلّا عشراً لما ساواه(*) من سرعة الجزاء .

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : نحن أعلم بما يقولونه مما يتخافتون به بينهم .

الثاني : نحن أعلم بما يجري بينهم من القول في مدد ما لبثوا .

﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أوفرهم عقلاً .

الثاني : أكبرهم سداداً .

﴿ إن لَّبِثْتُمْ إلَّا يَوْماً ﴾ لأنه كان عنده أقصر زماناً وأقل لبثاً ، ثم فيه وجهان :

أحدهما : لبثهم في الدنيا .

الثاني : لبثهم في القبور .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ
ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذري الطعام .

(*) هكذا في الأصول ولعلها شاهدوه أو رأوه .

الثاني : تصير كالهباء .

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ﴾ في القاع ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الموضع المستوي الذي لا نبات فيه ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد .

الثاني : الأرض الملساء .

الثالث : مستنقع المـاء ، قاله الفراء .

وفي الصفصف وجهان :

أحدهما : أنه ما لا نبات فيه ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه المكان المستوي ، كأنه قال على صف واحد في استوائه ، قاله مجاهد .

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : عوجاً يعني وادياً ، ولا أمتاً يعني رابية ، قاله ابن عباس .

الثاني : عوجاً يعني صدعاً ، ولا أمتاً يعني أكمة ، قاله الحسن .

الثالث : عوجاً يعني ميلاً . ولا أمتاً يعني أثراً ، وهو مروي عن ابن عباس .

الرابع : الأمت الجذب والانثناء ، ومنه قول الشاعر(٧٢١):

ما في انطلاق سيره من أمت

قاله قتادة .

الخامس : الأمت أن يغلظ مكان في الفضاء أو الجبل ، ويدق في مكان ، حكاه الصولي ، فيكون الأمت من الصعود والارتفاع .

قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ قال ابن عباس : أي خضعت بالسكون ، قال الشاعر(٧٢٢):

---

(٧٢١) هو العجاج.

والبيت في اللسان «أمت» والطبري (١٦/ ٢١٣) وفيه « ما في انجذاب بدلاً ما في انطلاق ».

(٧٢٢) تقدم تخريج هذا البيت .

لما أتى خبر الزبير تصدعت   سور المدينة والجبال الخشع

﴿ إلَّا هَمْساً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الصوت الخفي ، قاله مجاهد .

الثاني : تحريك الشفة واللسان ، وقرأ أُبيّ : فلا ينطقون إلا همساً .

الثالث : نقل الأقدام ، قال ابن زيد ، قال الراجز(٧٢٣) :

وهن يمشين بنا هَمِيسا

يعني أصوات أخفاف الإبل في سيرها .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أي ذلت ، قاله ابن عباس .

الثاني : خشعت ، قاله مجاهد ، والفرق بين الذل والخشوع ـ وإن تقارب معناهما ـ هو أنّ الذل أن يكون ذليل النفس ، والخشوع : أن يتذلل لذي طاعة . قال أمية بن الصلت(٧٢٤) :

وعنا له وجهي وخلقي كله   في الساجدين لوجهه مشكورا

الثالث : عملت ، قاله الكلبي .

الرابع : استسلمت ، قاله عطية العوفي .

---

(٧٢٣) روح المعاني (١٦/٢٦٤) فتح القدير (٣/٣٨٧) الطبري (١٦/٢١٤) اللسان « همس » .

(٧٢٤) وله بيت آخر ولفظه :

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزته تعنو الوجوه وتسجد

فتح القدير (٣/٣٨٧) .

الخامس : أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود ، قاله طلق بن حبيب .

﴿ ٱلْقَيُّومِ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه القائم على كل نفس بما كسبت ، قاله الحسن .

الثاني : القائم بتدبير الخلق .

الثالث : الدائم الذي لا يزول ولا يبيد .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ يعني شركاً .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فلا يخاف الظلم بالزيادة في سيئاته ، ولا هضماً بالنقصان من حسناته ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

الثاني : لا يخاف ظلماً بأن لا يجزىٰ بعمله ، ولا هضماً بالانتقاص من حقه ، قاله ابن زيد ، والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله ، [والهضم] المنع من بعضه ، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه ، قال المتوكل الليثي (٧٢٥) :

إن الأذلة واللئام لمعشر   مولاهم المتهضم المظلوم

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : حذراً ، قاله قتادة .

الثاني : شرفاً لإيمانهم ، قاله الضحاك .

الثالث : ذِكراً يعتبرون به .

(٧٢٥) روح المعاني (١٦/ ٢٦٦) .

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا تسأل إنزاله قبل أن يقضى ، أي يأتيك وحيه .

الثاني : لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله ، قاله عطية .

الثالث : لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه ، لأنه كان يعجل بتلاوته(٧٢٦) قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه خوف نسيانه ، قاله الكلبي .

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : زدني أدباً في دينك ، لأن ما يحتاج إليه من علم دينه لنفسه أو لأمته لا يجوز أن يؤخره الله عنده حتى يلتمسه منه .

الثاني : زدني صبراً على طاعتك وجهاد أعدائك ، لأن الصبر يسهل بوجود العلم .

الثالث : زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك .

الرابع : زدني علماً بحال أمتي وما تكون عليه من بعدي .

ووجدت للكلبي جواباً .

خامساً : معناه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علماً به .

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ
﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ
يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

(٧٢٦) وهو قول ابن عباس في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ .

سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ . . . ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فترك أمر ربه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه نسي من النسيان والسهو ، قال ابن عباس : إنما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسي .

﴿ . . . وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : صبراً ، قاله قتادة .

الثاني : حفظاً قاله عطية .

الثالث : ثباتاً . قال أبو أمامة : لو قرنت أعمال بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه على حلمهم ، وقد قال الله : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ .

الرابع : عزماً في العودة إلى الذنب ثانياً .

قوله عز وجل : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد . ولم يقل : فتشقيا لأمرين :

أحدهما : لأنه المخاطب دونها .

الثاني : لأنه الكادّ عليها والكاسب لها ، فكان بالشقاء أخص .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ
مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ
وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ وعمل بما فيه ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ . لا يضل في الدنيا ولا يشقى .

قال ابن عباس : ضمن الله لمن يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ألّا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾ فيه أربع تأويلات :

أحدها : كسباً حراماً ، قاله عكرمة .

الثاني : أن يكون عيشه منغّصاً بأن ينفق من لا يوقن بالخلف ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه عذاب القبر ، قاله أبو سعيد الخدري وابن مسعود وقد رفعه أبو هريرة(٧٢٧) عن النبي ﷺ .

الرابع : أنه الطعام الضريع والزقوم في جهنم ، قاله الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . والضنك في كلامهم : الضيق قال ، عنترة(٧٢٨) :

إن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

ويحتمل خامساً : أن يكسب دون كفايته .

﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعمىٰ في حال ، وبصير في حال .

الثاني : أعمىٰ عن الحجة ، قاله مجاهد .

الثالث : أعمى عن وجهات الخير لا يهتدي لشيء منها .

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ
يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُوْلِي
ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ

---

(٧٢٧) رواه ابن أبي شيبة والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥/٦٠٨) وقال الحافظ ابن كثير (٣/١٦٩) بعد ما ساقه من رواية البزار إسناد جيد.

(٧٢٨) والبيت:

إنْ يُلْحَقُوا أكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا ... أشْدُدْ وإنْ يُلقوا بِضَنْكٍ أنزل

مجاز القرآن (٢/٣٢) والطبري (١٦/٢٢٥) والقرطبي (١١/٢٥٨) مختار الشعر الجاهلي (١/٢٨٨) وزاد المسير (٥/٣٣١) فتح القدير (٣/٣٩١).

مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بأن جعل الجزاء يوم القيامة ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : بتأخيرهم إلى يوم بدر .

﴿ لَكَانَ لِزَاماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لكان عذاباً لازماً .

الثاني : لكان قضاء ، قاله الأخفش .

﴿ وَأَجَلٌ مُسَمّىً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يوم بدر .

والثاني : يوم القيامة ، قاله قتادة . وقال في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً .

قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يعني من الإيذاء والافتراء .

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ قبل طلوع الشمس صلاة الفجر ، وقبل غروبها صلاة العصر .

﴿ وَمِنْ ءَانَآءِ ٱللَّيْلِ . . . . ﴾ ساعاته ، وأحدها إنىً ، وفيه وجهان :

أحدهما : هي صلاة الليل كله ، قاله ابن عباس .

الثاني : هي صلاة المغرب والعشاء والآخرة .

﴿ . . . أَطْرَافِ ٱلنَّهَارِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : صلاة الفجر لأنها آخر النصف الأول ، وأول النصف الثاني ، قاله قتادة .

الثاني : أنها صلاة التطوع ، قاله الحسن .

﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ أي تعطى ، وقرأ عاصم والكسائي (٧٢٩) ﴿ تُرضَىٰ ﴾ بضم التاء يعني لعل الله يرضيك بكرامته ، وقيل بالشفاعة .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . . . ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد بمد العين النظر .

الثاني : أراد به الأسف .

﴿ أَزْوَاجاً ﴾ أي أشكالاً ، مأخوذ من المزاوجة .

﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال قتادة : زينة الحياة الدنيا .

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ يعني فيما متعناهم به من هذه الزهرة ، وفيه وجهان :

أحدهما : لنفتنهم أي لنعذبهم به ، قاله ابن بحر .

الثاني : لنميلهم عن مصالحهم وهو محتمل .

﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه القناعة بما يملكه والزهد فيما لا يملكه .

الثاني : وثواب ربك في الآخرة خير وأبقىٰ مما متعنا به هؤلاء في الدنيا .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون الحلال المُبْقِي خيراً من الكثير المُطْغِي .

وسبب نزولها ما رواه أبو رافع (٧٣٠) أن النبي ﷺ استلف من يهودي طعاماً فأبىٰ أن يسلفه إلا برهن ، فحزن وقال : « **إني لأمين في السماء وأمين في الأرض ، أحمل درعي إليه** »، فنزلت هذه الآية .

---

(٧٢٩) زاد المسير (٥/٣٣٤) الحجة في القراءات ص ٤٦٤ ، السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٢٥ .

(٧٣٠) رواه الطبري (١٦/٢٣٥) وزاد السيوطي في الدر (٥/٦١٢) نسبته لابن ابي شيبة واسحاق بن راهويه والبزار وابي يعلى والبن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن القيم في المعرفة .

وروىٰ أنه لما نزلت هذه الآية(٧٣١) أمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى : من لم يتأدب بأدب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

قوله عز وجل : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَاةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد أهله المناسبين له .

والثاني : أنه أراد جميع من اتبعه وآمن به ، لأنهم يحلون بالطاعة له محل أهله .

﴿ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ أي اصبر على فعلها وعلى أمرهم بها .

﴿ وَلَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ فالمراد به جميع الخلق أنه تعالى يرزقهم ولا يسترزقهم ، وينفعهم ولا ينتفع بهم ، فكان ذلك أبلغ في الامتنان عليهم .

﴿ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي وحسن العاقبة لأهل التقوىٰ .

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ
مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ أي منتظر ، ويحتمل وجهين .

أحدهما : منتظر النصر على صاحبه .

الثاني : ظهور الحق في عمله .

﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ وهذا تهديد .

﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : فستعلمون بالنصر من أهدىٰ إلى دين الحق .

الثاني : فستعلمون يوم القيامة من أهدىٰ إلى طريق الجنة . والله أعلم . .

---

(٧٣١) لم أهتد إلى تخريجه ولعله لم يصح فقد صدره المؤلف هنا بصيغة التمريض المشعر بالضعف.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ
﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا
أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ أي اقترب منهم ، وفيه قولان :

أحدهما : قرب وقت عذابهم ، يعني أهل مكة ، لأنهم استبطؤواْ ما وُعِدواْ به من العذاب تكذيباً ، فكان قتلهم يوم بدر ، قاله الضحاك .

الثاني : قرب وقت حسابهم وهو قيام الساعة .

وفي قربه وجهان :

أحدهما : لا بُد آت ، وكل آت قريب .

الثاني : لأن الزمان لكثرة ما مضى وقلة ما بقي قريب .

﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في غفلة بالدنيا معرضون عن الآخرة .

الثاني : في غفلة بالضلال ، معرضون عن الهدىٰ .

قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ التنزيل مبتدأ (٧٣٢) التلاوة لنزوله سورة بعد سورة . وآية بعد آية ، كما كان ينزله الله عليه في وقت بعد وقت .

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ أي استمعوا تنزيله فتركوا قبوله .

﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي يلهون .

الثاني : يشتغلون . فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين .

أحدهما : بلذاتهم .

الثاني : بسماع ما يتلىٰ عليهم .

وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما يشتغلون به وجهين :

أحدهما : بالدنيا ، لأنها لعب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

الثاني : يتشاغلون بالقَدْحِ فيه والاعتراض عليه .

قال الحسن : كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل .

قوله عز وجل : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني غافله باللهو عن الذكر ، قاله قتادة .

الثاني : مشغلة بالباطل عن الحق ، قاله ابن شجرة ، ومنه قول امرىء القيس(٧٣٣) :

---

(٧٣٢) هذا التفسير من الإمام الماوردي يدل على أنه لم يكن معتزلياً كما قال بعضهم فقد تابع المؤلف هنا أهل السنة والجماعة وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق .

(٧٣٣) بيت من معلقته المشهورة التي أولها :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي في ديوانه : ١

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محوِلِ

أي شغلتها عن ولدها .

ولبعض أصحاب الخواطر وجه ثالث : أنها غافلة عما يراد بها ومنها .

﴿ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ذكره ابن كامل أنهم أخفوا كلامهم الذي يتناجون به ، قاله الكلبي .

الثاني : يعني أنهم أظهروه وأعلنوه ، وأسروا من الأضداد المستعملة وإن كان الأظهر في حقيقتها أن تستعمل في الإخفاء دون الإظهار إلا بدليل .

﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ إنكاراً منهم لتميزه عنهم بالنبوة .

﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ويحتمل وجهين :

أحدهما : أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر .

الثاني : أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أهاويل أحلام رآها في المنام ، قاله مجاهد .

الثاني : تخاليط أحلام رآها في المنام ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

كضغث حلمٍ غُـرَّ منه حالمه(٧٣٤)

الثالث : أنه ما لم يكن له تأويل ، قاله اليزيدي .

وفي الأحلام تأويلان :

أحدهما : ما لم يكن له تأويل ولا تفسير ، قاله الأخفش .

الثاني : إنها الرؤيا الكاذبة ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول الشاعر :

أحاديث طسم أو سراب بفدفَدٍ ترقوق للساري وأضغاث حالم

= مختار الشعر الجاهلي ص ٢٥
شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص
الطبري (١٧/ ١١٤)

(٧٣٤) تقدم هذا البيت في سورة يوسف فراجعه هناك .

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَاسْأَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ الآية . فيهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أهل التوراة والإنجيل ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أنهم علماء المسلمين ، قاله علي رضي الله عنه .

الثالث : مؤمنو أهل الكتاب ، قاله ابن شجرة .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً . . . ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام ولا يموتون فنجعلك كذلك، وذلك لقولهم : ﴿مَا هٰذا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون : ٢٤] قاله ابن قتيبة .

الثاني : إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام وما كانواْ خالدين ، فلذلك جعلناك جسداً مثلهم ، قاله قتادة .

قال الكلبي : أو الجسد هو الجسد(*) الذي فيه الروح ويأكل ويشرب ، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسماً . وقال مجاهد : الجسد ما لا يأكل ولا يشرب ، فعلى مقتضىٰ هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفساً .

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

(*) هكذا في الأصل وفي تفسير القرطبي نقلاً عن المؤلف : الجسد هو المتجسد .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ الآية ٠ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : فيه حديثكم، قاله مجاهد.

الثاني : مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم ، قاله سفيان .

الثالث : شرفكم إن تمسكتم به وعملتم بما فيه ، قاله ابن عيسىٰ .

الرابع : ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم .

الخامس : العمل بما فيه حياتكم ، قاله سهل بن عبد الله .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾ أي عاينواْ عذابنا .

﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من القرية .

الثاني : من العذاب ، والركض : الإسراع .

قوله تعالى : ﴿ لاَ تَرْكُضُواْ وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ أي نعمكم، والمترف المنعم .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لعلكم تسألون عن دنياكم شيئاً ، استهزاء بهم ، قاله قتادة .

الثاني : لعلكم تقنعون بالمسألة ، قاله مجاهد .

الثالث : لتسألوا عما كنتم تعملون ، قاله ابن بحر .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ يعني ما تقدم ذكره من قولهم ﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بالعذاب ، قاله الحسن .

الثاني : بالسيف ، قال مجاهد : حتى قتلهم بختنصر .

والحصيد قطع الاستئصال كحصاد الزرع . والخمود : الهمود كخمود النار

إذا أطفئت ، فشبه خمود الحياة بخمود النار ، كما يقال لمن مات قد طفىء تشبيهاً بانطفاء النار .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ولداً ، قاله الحسن .

الثاني : أن اللهو النساء ، قاله مجاهد . وقال قتادة : اللهو بلغة أهل اليمن المرأة . قال ابن جريج : لأنهم قالواْ : مريم صاحبته وعيسىٰ ولده .

الثالث : أنه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة ، كما قال الشاعر :

ويلعينني في اللهو أن لا أحبه   وللهو داعٍ لبيب غير غافلِ

﴿ لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي من عندنا إن كنا فاعلين . قال ابن جريج : لاتخذنا نساء وولداً من أهل السماء وما اتخذنا من أهل الأرض .

﴿ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وما كنا فاعلين ، قاله ابن جريج .

الثاني : أنه جاء بمعنى الشرط ، وتقدير الكلام لو كنا لاتخذناه بحيث لا يصل علمه إليكم .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحق الكلام المتبوع ، والباطل المدفوع . ومعنى يدمغه أي يذهبه ويهلكه كالمشجوج تكون دامغة في أم رأسه تؤدي لهلاكه .

الثاني : أن الحق القرآن ، والباطل إبليس .

الثالث : أن الحق المواعظ والباطل المعاصي ، قاله بعض أهل الخواطر .

ويحتمل رابعاً : أن الحق الإسلام ، والباطل الشرك .

﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هالك ، قاله قتادة .

الثاني : ذاهب ، قاله ابن شجرة .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا يملون ، قاله ابن زيد .

الثاني : لا يعيون ، قاله قتادة .

الثالث : لا يستنكفون ، قاله الكلبي .

الرابع : لا ينقطعون ، مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء ، قال الشاعر(٧٣٥) :

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي مما خلق في الأرض .

﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يخلقون ، قاله قطرب .

الثاني : قاله مجاهد ، يحيون ، يعني الموتى ، يقال : أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا ، مأخوذ من النشر بعد الطي ، قال الشاعر(٧٣٦) :

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشِر

(٧٣٥) هو علقمة بن عبدة التميمي والبيت في مختار الشعر الجاهلي (٢) والطبري (١٢/١٧).

(٧٣٦) هو الأعشى الكبير

والبيت في ديوانه : ٩٢ واللسان « نشر ».

قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ يعني في السماء والأرض .

﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه سوىٰ الله ، قاله الفراء .

الثاني : أن « إلا » الواو ، وتقديره : لو كان فيهما آلهة والله لفسدتا ، أي لهلكتا بالفساد فعلى الوجه الأول يكون المقصود به إبطال عبادة غيره لعجزه عن أن يكون إلّهاً لعجزه عن قدرة الله ، وعلى الوجه الآخر يكون المقصود به إثبات وحدانية الله عن أن يكون له شريك يعارضه في ملكه .

قوله عز وجل : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يسأل الخلق الخالق عن قضائه في خلقه ، وهو يسأل الخلق عن عملهم ، قاله ابن جريج .

الثاني : لا يسأل عن فعله ، لأن كل فعله صواب وهو لا يريد عليه الثواب ، وهم يسألون عن أفعالهم ، لأنه قد يجوز أن تكون في غير صواب ، وقد لا يريدون بها الثواب إن كانت صواباً فلا تكون عبادة ، كما قال تعالى : **﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾** [الأحزاب : ٨] .

الثالث : لا يُحاسَب على أفعاله وهم يُحاسَبُونَ على أفعالهم ، قاله ابن بحر .

ويحتمل رابعاً : لا يؤاخذ على أفعاله وهم يؤاخذون على أفعالهم .

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ
﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ

خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام ، وذكر من قبلي ممن يخاطب من الأمم بالإيمان ، وهلك بالشرك ، قاله قتادة .

الثاني : ذكر من معي بإخلاص التوحيد في القرآن ، وذكر من قبلي في التوراة والإنجيل ، حكاه ابن عيسى .

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما بين أيديهم من أمر الآخرة ، وما خلفهم من أمر الدنيا ، قاله الكلبي .

الثاني : ما قدموا وما أخروا من عملهم ، قاله ابن عباس .

وفيه الثالث : ما قدموا : ما عملوا ، وما أخروا : يعني ما لم يعملوا ، قاله عطية .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يستغفرون في الدنيا إلا لمن ارتضى .

الثاني : لا يشفعون يوم القيامة إلا لمن ارتضىٰ .

وفيه وجهان :

أحدهما : لمن ارتضىٰ عمله ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : لمن رضي الله عنه ، قاله مجاهد .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا

﴿مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء ، قاله ابن عباس(٧٣٧) .

الثاني : أن السموات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سموات وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين ، قاله مجاهد .

الثالث : أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، قاله عكرمة ، وعطية ، وابن زيد .

والرتق سدٌّ ، والفتق شق ، وهما ضدان ، قال عبد الرحمٰن بن حسان :

يهون عليهم إذا يغضبو ... ن سخط العداة وإرغامُها
ورتق الفتوق وفتق الرتو ... ق ونقض الأمور وإبرامها

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَـاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن خلق كل شيء من الماء ، قاله قتادة .

الثاني : حفظ حياة كل شيء حي بالماء ، قاله قتادة .

الثالث : وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي ، قاله قطرب .

﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني أفلا يصدقون بما يشاهدون .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ والرواسي الجبال ، وفي تسميتها بذلك وجهان :

---

(٧٣٧) وفي قول آخر لابن عباس أن السموات كانت رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لاتنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات أورده في زاد المسير (٣٤٨/٥)

أحدهما : لأنها رست في الأرض وثبتت ، قال الشاعر:

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجـم فرعٌ لا يزال طويل

الثاني : لأن الأرض بها رست وثبتت .

وفي الرواسي من الجبال قولان :

أحدهما : أنها الثوابت ، قاله قطرب .

الثاني : أنها الثقال قاله الكلبي .

﴿ أَن تَمِيدَ بِهِم ﴾ فيه وجهان .

أحدهما : لئلا تزول بهم .

الثاني : لئلا تضطرب بهم . والميد الإضطراب .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً ﴾ في الفجاج وجهان :

أحدهما : أنها الأعلام التي يهتدىٰ بها .

الثاني : الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين . قال الكميت :

تضيق بنا النجاح وهنّ فج ونجهل ماءها السلم الدفينا

﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : سبل الاعتبار ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم .

الثاني : مسالك ليهتدوا بها إلى طرق بلادهم .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : محفوظاً من أن تسقط على الأرض .

الثاني : محفوظاً من الشياطين ، قاله الفراء :

الثالث : بمعنى مرفوعاً ، قاله مجاهد .

ويحتمل رابعاً : محفوظاً من الشرك والمعاصي .

قوله عـز وجل : ﴿ وَهُـوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱللَّيْـلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَـرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الفلك السماء ، قاله السدي .

الثاني : أن القطب المستدير الدائر بما فيه من الشمس والقمر والنجوم ومنه سميت فلكة المغزل لاستدارتها ، قال الشاعر(٧٣٨) :

باتت تقاسي الفلك الدّوار حتى الصباح تعمل الأقتار

وفي استدارة الفلك قولان :

أحدهما : أنه كدوران الأكرة(٧٣٩) .

الثاني : كدوران الرحى قاله الحسن ، وابن جريج .

واختلف في الفلك على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه السماء تدور بالشمس والقمر والنجوم .

الثاني : أنه استدارة في السماء تدور فيها النجوم مع ثبوت السماء ، قاله قتادة .

الثالث : أنها استدارة بين السماء والأرض تدور فيها النجوم ، قاله زيد بن أسلم .

﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ وجهان :

أحدهما : يجرون ، قاله مجاهد .

الثاني : يدورون قاله ابن عباس ، فعلى الوجه الأول يكون الفلك مديرها ، وعلى الثاني تكون هي الدائرة في الفلك .

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)

قوله عز وجل : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ فيها أربعة أوجه :

أحدها : بالشدة والرخاء، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الشر : الفقر والمرض ، والخير الغنى والصحة ، قاله الضحاك .

---

(٧٣٨) الطبري (١٧/ ٢٣) وفيه باتت تناجي .

(٧٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة .والاكراه هي الحفرة. قال محقق المطبوعة : ولعل المؤلف أراد البكرة وجمعها بكرات وهي ما يمر عليها الحبل لرفع الاثقال وحطها .

الثالث : أن الشر : غلبة الهوىٰ على النفس ، والخير : العصمة من المعاصي ، قاله التستري .

الرابع : ما تحبون وما تكرهون . لنعلم شكركم لما تحبون ، وصبركم على ما تكرهون ، قاله ابن زيد .

﴿ فِتْنَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اختباراً .

الثاني : إبتلاء.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المعنيّ بالإنسان آدم ، فعلى هذا في قوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أي معجل قبل غروب الشمس من يوم الجمعة وهو آخر الأيام الستة ، قاله مجاهد والسدي .

الثاني : أنه سأل ربه بعد إكمال صورته ونفخ الروح في عينيه ولسانه أن يعجل إتمام خلقه وإجراء الروح في جميع جسده ، قاله الكلبي .

الثالث : أن معنى ﴿ من عجل ﴾ أي من طين ، ومنه قول الشاعر(٧٤٠):

(٧٤٠) روح المعاني (١٧/ ٤٩) وقال وأنشد أبو عبيدة لبعضهم . . . . . . ثم ساق البيت.

والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

والقول الثاني : أن المعنى بالإنسان الناس كلهم ، فعلى هذا في قوله : ﴿ من عجل ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خلق الإنسان عجولاً ، قاله قتادة .

الثاني : خلقت العجلة في الإنسان ، قاله ابن قتيبة .

الثالث : يعني أنه خلق على حُب العجلة .

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته ، والسرعة تقديمه في أول أوقاته .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم . . ﴾ الآية . أي يحفظكم ، قال ابن هرمة(٧٤١) :

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

ومخرج اللفظ مخرج الإستفهام ، والمراد به النفي ، تقديره : قل لا حافظ لكم بالليل والنهار من الرحمن .

قوله تعالى : ﴿ . . وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يجارون ، قاله ابن عباس . من قولهم : إن لك من فلان صاحباً ، أي مجيراً ، قال الشاعر(٧٤٢) :

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ليصحب منها والرماح دواني

الثاني : يحفظون ، قاله مجاهد .

(٧٤١) هو إبراهيم بن هرمة.
والبيت في اللسان « كلأ » والطبري (١٧/ ٢٠)

(٧٤٢) فتح القدير (٣/ ٤٠٩).

الثالث : ينصرون ، وهو مأثور(٧٤٣) .

الرابع : ولا يصحبون من الله بخير ، قاله قتادة .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : ننقصها من أطرافها عند الظهور عليها أرضاً بعد أرض وفتحها بلداً بعد بلد ، قاله الحسن .

الثاني : بنقصان أهلها وقلة بركتها ، قاله ابن أبي طلحة .

الثالث : بالقتل والسبي ، حكاه الكلبي .

الرابع : بموت فقهائها وعلمائها ، قاله عطاء ، والضحاك .

ويحتمل خامساً : بجور ولاتها وأمرائها .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

---

(٧٤٣) أي مأثور عن ابن عباس رواه الطبري (٣١/١٧) وزاد السيوطي في الدر (٨٣/١٥) نسبته لابن المنذر وقال الحافظ في الفتح (٤٣٦/٨) بعدما ساقه ورواه ابن المنذر « منقطع » ثم قال وهو قول مجاهد رواه الطبري (٣١/١٧).

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : التوراة التي فرق فيها بين الحق والباطل ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثاني : هو البرهان الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون ، قاله ابن زيد .

الثالث : هو النصر والنجاة فنصر موسىٰ وأشياعه ، وأهلك فرعون وأتباعه ، قاله الكلبي .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : رشْده : النبوة ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : هو أن هداه صغيراً ، قاله مجاهد ، وقتادة .

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من قبل أن يرسل نبياً .

الثاني : من قبل موسىٰ وهارون .

﴿وكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عالمين أنه أهل لإيتاء الرشد .

الثاني : أنه يصلح للنبوة .

وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا
كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ

لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ قراءة الجمهور بضم الجيم ، وقرأ الكسائي(٧٤٤) وحده بكسرها ، وفيه وجهان :

أحدهما : حُطاماً ، قاله ابن عباس ، وهو تأويل من قرأ بالضم .

الثاني : قِطعاً مقطوعة ، قال الضحاك : هو أن يأخذ من كل عضوين عضواً ويترك عضواً وهذا تأويل من قرأ بالكسر ، مأخوذ من الجذ وهو القطع ، قال الشاعر(٧٤٥) :

جذَّذ الأصنام في محرابها ذاك في الله العلي المقتدر

﴿ قَالُواْ فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي بمرأى من الناس .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يشهدون عقابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : يشهدون عليه بما فعل ، لأنهم كرهواْ أن يعاقبوه بغير بينة ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي .

انثالث : يشهدون بما يقول من حجة ، وما يقال له من جواب ، قاله ابن كامل .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، فجعل إضافة الفعل إليهم مشروطاً بطقهم تنبيهاً لهم على فساد اعتقادهم .

---

(٧٤٤) وكذا هي قراءة ابن محيصن (٤٣٦/٨) فتح الباري .

(٧٤٥) فتح القدير (٤١٣/٣)

الثاني : أن هذا القول من إبراهيم سؤال إلزام خرج مخرج الخبر وليس بخبر ، ومعناه : أن من اعتقد أن هذه آلهة لزمه سؤالها ، فلعله فعله [كبيرهم] فيجيبه إن كان إلَهاً ناطقاً .

﴿ إن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ أي يخبرون ، كما قال الأحوص :

وما الشعر إلا خطبةٌ من مؤلفٍ لمنطق حق أو لمنطق باطل

﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾

قوله تعالى : ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن رجع بعضهم إلى بعض .

الثاني : أن رجع كل واحد منهم إلى نفسه متفكراً فيما قاله إبراهيم ، فحاروا عما أرادوه من الجواب فأنطقهم الله تعالى الحق ﴿ فَقَالُوٓاْ : إِنَّكم أَنتُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾ يعني في سؤاله ، لأنها لو كانت آلهة لم يصل إبراهيم إلى كسرها ، ولو صحبهم التوفيق لآمنوا مع هذا الجواب لظهور الحق فيه على ألسنتهم .

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءوسِهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه أنهم رجعوا إلى شِركهم بعد اعترافهم بالحق .

الثاني : يعني أنهم رجعواْ إلى احتجاجهم على إبراهيم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلآءِ يَنطِقُونَ ﴾ .

الثالث : أنهم نكسواْ على رؤوسهم واحتمل ذلك منهم واحداً من أمرين : إما انكساراً بانقطاع حجتهم ، وإما فكراً في جوابهم فأنطقهم الله بعد ذلك بالحجة إذعاناً لها وإقراراً بها ، بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلآءِ يَنطِقُونَ ﴾ فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجة .

قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ وفي الذي أشار عليهم بذلك قولان :

أحدهما : أنه رجل من أعراب فارس يعني أكراد فارس ، قاله ابن عمر ، ومجاهد . وابن جريج .

الثاني : أنه هيزون(٧٤٦) فخسف الله به الأرض وهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقيل إن إبراهيم حين أوثق ليلقى في النار فقال : لا إلّه إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك .

وقال عبد الله بن عمر(٧٤٧) : كانت كلمة إبراهيم حين أُلقِيَ في النار : حسبي الله ونعم الوكيل .

قال قتادة : فما أحرقت النار منه إلا وثاقه .

قال ابن جريج : أُلقِيَ إبراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة .

وقال كعب : لم يبق في الأرض يومئذ إلا من يطفىء عن إبراهيم النار ، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه ، فلذلك أمر النبي ﷺ(٧٤٨) بقتلها .

قال الكلبي : بنوا له أتوناً ألقوه فيه ، وأوقدوا عليه النار سبعة أيام ، ثم أطبقوه عليه وفتحوه من الغد ، فإذا هو عرق أبيض لم يحترق ، وبردت نار الأرض فما أنضجت يومئذ كراعاً .

---

(٧٤٦) وفي الطبري (١٧/ ٤٣) هيزن

(٧٤٧) ورد نحوه من حديث ابن عباس في قوله « لعله كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل » رواه البخاري (٨/ ٢٢٩) وأما أثر ابن عمر فقد رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر ولكن نسبته في الدر (٥/ ٦٣٩) إلى ابن عمرو .

(٧٤٨) وذلك فيما رواه أحمد (٦/ ٨٣) والطبراني وأبو يعلى وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٦٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه به إن إبراهيم حين ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفىء النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم . وله شاهد مرسل عن قتادة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كما في الدر (٥/ ٦٣٩).

قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ جعل الله فيها برداً يدفع حرها ، وحراً يدفع بردها ، فصارت سلاماً عليه .

قال أبو العالية : ولو لم يقل « سلاماً » لكان بردها أشد عليه من حرها ، ولو لم يقل « على إبراهيم » لكان بردها باقياً على الأبد .

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ
ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ
مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾
وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً ﴾ قيل إن لوط كان ابن أخي إبراهيم فآمن به ، قال تعالى : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] فلذلك نجاهما الله .

﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [فيه] ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أرض العراق إلى أرض الشام قاله قتادة ، وابن جريج .

الثاني : إلى أرض بيت المقدس ، قاله أبو العوام .

الثالث : إلى مكة ،قاله ابن عباس .

وفي بركتها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن منها بعث الله أكثر الأنبياء .

الثاني : لكثرة خصبها ونمو نباتها .

الثالث : عذوبة مائها وتفرقه في الأرض منها . قال أبو العالية : ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس ، ثم يتفرق في الأرض .

قال كعب الأحبار : والذي نفسي بيده إن العين التي بدارين لتخرج من تحت هذه الصخرة ، يعني عيناً في البحر .

قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النافلة الغنيمة ، قال لبيد(٧٤٩) :

لله نافلة الأفضل .

الثاني : أن النافلة الابن ، حكاه السدي .

الثالث : إنها الزيادة في العطاء . وفيما هو زيادة قولان :

أحدهما : أن يعقوب هو النافلة ، لأنه دعا بالولد فزاده الله ولد الولد ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أن إسحاق ويعقوب هما جميعاً نافلة ، لأنهما زيادة على ما تقدم من النعمة عليه ، قاله مجاهد ، وعطاء .

قوله وجل : ﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه القضاء بالحق بين الخصوم قاله ابن عيسى .

الثاني : النبوة ، قاله ....(٧٥٠)

﴿ عِلْماً ﴾ يعني فهماً .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعمَلُ الْخَبَآئِثَ ﴾ وهي قرية سدوم .

وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان :

أحدهما : اللواط .

الثاني : الضراط ﴿ ونجيناه ﴾ قيل من قلب المدائن ورمي الحجارة .

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

(٧٤٩) وفي اللسان نفل « لله نافلة الأجل الأفضل »

(٧٥٠) وفي هذا الموضع اسم غير واضح .

قوله تعالى : ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ يعني إذ دعانا على قومه من قبل إبراهيم .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ويحتمل وجهاً آخر إذ نجيناه من أذية قومه حين أغرقهم الله .

ويحتمل ثالثاً : نجاته من مشاهدة المعاصي في الأرض بعد أن طهرها الله بالعذاب .

﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نصرناه عليهم بإجابة دعائه فيهم .

الثاني : معناه خلصناه منهم بسلامته دونهم .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾ فيه قولان :

أحدها : أنه كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً ، قاله قتادة .

الثاني : كان كرماً نبتت عناقيده ، قاله ابن مسعود ، وشريح .

﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ قال قتادة : النفش رعي الليل ، والهمل : رعي النهار ، قال الشاعر :

متعلقة بأفناء البيوت نافشاً في عشا التراب

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وفي حكمهما قولان :

أحدهما : أنه كان متفقاً لم يختلفا فيه ، لأن الله حين أثنىٰ عليهما دل على إتفاقهما في الصواب ويحتمل قوله تبارك وتعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ على أنه فضيلة له على داود لأنه أوتي الحكم في صغره ، وأوتي داود الحكم في كبره ، وإن اتفقا عليه ولم يختلفا فيه لأن الأنبياء معصومون من الغلط والخطأ لئلا يقع الشك في أمورهم وأحكامهم ، وهذا قول شاذ من المتكلمين .

والقول الثاني : وهو قول الجمهور من العلماء والمفسرين أن حكمهما كان مختلفاً أصاب فيه سليمان ، وأخطأ داود ، فأما حكم داود فإنه قضىٰ لصاحب الحرث ، وأما حكم سليمان فإنه رأى أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بدرّها ونسلها ، ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليأخذ بعمارته ، فإذا عاد في السنة المقبلة إلى مثل حاله ردّت الغنم إلى صاحبها ، وردّ الحرث إلى صاحبه ، حكاه ابن مسعود ، ومجاهد . فرجع داود إلى قضاء سليمان فحكم به ، فقال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ فجعل الحق معه وفي حكمه ، ولا يمتنع وجود الغلط(٧٥١) والخطأ من الأنبياء كوجوده من غيرهم . لكن لا يقرون عليه وإن أقر عليه غيرهم ، ليعود الله بالحقائق لهم دون خلقه ، ولذلك تسمىٰ بالحق وتميز به عن الخلق .

واختلف القائلون بهذا في حمله على العموم في جميع الأنبياء على قولين :

أحدهما : أن نبينا محمداً ﷺ مخصوص منهم بجواز الخطأ عليهم دونه قاله أبو علي بن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفرق بينه وبين غيره من جميع الأنبياء ، لأنه خاتم الأنبياء فلم يكن بعده من يستدرك غلطه ، ولذلك عصمه الله منه ، وقد بعث بعد غيره من الأنبياء مَنْ يستدرك غلطه .

والقول الثاني : أنه على العموم في جميع الأنبياء ، وأن نبينا وغيره من الأنبياء في تجويز الخطأ على سواء ، إلا أنهم لا يقرون على إمضائه ، فلم يعتبر فيه استدراك مَنْ بعدهم من الأنبياء ،فهذا رسول الله ﷺ قد سألته امرأة عن العدة(٧٥٢)،

(٧٥١) وهذا يصدر عن اجتهاد منهم صلوات الله وسلامه عليهم .

(٧٥٢) رواه مالك (٥٩١/٢) وأبو داود (٢٣٠٠) والترمذي (١٢٠٤) وقال حسن صحيح وابن ماجه =

فقال لها : « اعْتَدِّي حَيْثُ شِئْتِ » ثم قال : « يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، امْكُثِي فِي بَيتِكِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ » . وقال رجل(٧٥٣) : أرأيتَ إن قُتِلتُ صابراً محتسباً أيحجزني عن الجنة شيء ؟ فقال : (لا)، ثم دعاه فقال : « إلاَّ الدَّينُ كَمَا أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ » . ولا يوجد منه إلّا ما جاز عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ قال الحسن : لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا ، ولكنه أثنىٰ على سليمان على صوابه وعذر داود باجتهاده .

فإن قيل : فكيف نقض داود حكمه باجتهاد سليمان ؟ فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما : يجوز أن يكون داود ذكر حكمه على الإطلاق وكان ذلك منه على طريق الفتيا فذكره لهم ليلزمهم إياه ، فلما ظهر له ما هو أقوى في الاجتهاد منه عاد إليه .

الثاني : أنه يجوز أن يكون الله أوحىٰ بهذا الحكم إلى سليمان فلزمه ذلك ، ولأجل النص الوارد بالوحي رأى أن ينقض اجتهاده ، لأن على الحاكم أن ينقض حكمه بالاجتهاد إذا خالف نصاً .

على أن العلماء قد اختلفوا في الأنبياء ، هل يجوز لهم الاجتهاد في الأحكام ؟ فقالت طائفة يجوز لهم الاجتهاد لأمرين :

أحدهما : أن الاجتهاد في الإجتهاد(٧٥٤) فضيلة ، فلم يجز أن يحرمها الأنبياء .

= (٢٠٣١) والدارمي (١٦٨/٢) وأحمد (٣٧٠/٦ ، ١٢٠) واللسان (١٩٩/٦) والشافعي في الرسالة (١٢١٤) والطيالسي (١٦٦٤) وابن حبان (١٣٣٢) وصححه والحاكم (٢٠٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي وقال صاحب تخريج زاد المعاد (٦٧٦/٥) إسناده صحيح .

(٧٥٣) طرف من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم الجهاد في سبيل الله الإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله .... الحديث فذكره رواه مسلم (٣٧/٦، ٢٨) وأحمد (٢٩٧/٥ ، ٣٠٨) والنسائي (٦٢/٢) والدارمي (٢٧/٢) ومالك (٤٦١/٢) والبيهقي (٢٥/٩) .

(٧٥٤) لعله الأحكام والله أعلم .

الثاني : أن الاجتهاد أقوى فكان أحبها ، وهم [في] التزام الحكم به أولى ، وهذا قول من جوز من الأنبياء وجود الغلط .

وقال الآخرون : لا يجوز للأنبياء أن يجتهدوا في الأحكام ، لأن الاجتهاد إنما يلجأ إليه الحاكم لعدم النص ، والأنبياء لا يعدمون النص لنزول الوحي عليهم ، فلم يكن لهم الاجتهاد وهذا قول من قال بعصمة الأنبياء من الغلط والخطأ .

فأما ما استقر عليه شرعنا فيما أفسدته البهائم من الزرع فقد روى سعيد بن المسيب أن ناقة(٧٥٥) البراء بن عازب دخلت حائطاً وأفسدته ،فقضى النبي ﷺ على أهل المواشي بحفظ مواشيهم ليلاً ، وعلى أهل الحوائط بحفظ حوائطهم نهاراً ، فصار ما أفسدته البهائم بالليل مضموناً ، وما أفسدته نهاراً غير مضمون لأن حفظها شاق على أربابها ، ولا يشق عليهم حفظها نهاراً ، فصار الحفظ في الليل واجباً على أرباب المواشي فضمنوا ما أفسدته مواشيهم ، والحفظ في النهار واجباً على أرباب الزروع ، فلم يحكم لهم ـ مع تقصيرهم ـ بضمان زرعهم ، وهذا من أصح قضاء وأعدل حكم ، رفقاً بالفريقين ، وتسهيلاً على الطائفتين ، فليس ينافي هذا ما حكم داود [به] وسليمان عليهما السلام من أصل الضمان ، لأنهما حكما به في رعي الليل ، وإنما يخالف من صفته ، فإن الزرع في شرعنا مضمون لأنهما حكما بنقصانه من زائد وناقص ، ولا تعرض للبهائم المفسدة إذا وصل الضمان إلى المستحق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أتى كل واحد منهما من الحكم والعلم مثل ما آتى الآخر وفي المراد بالحكم والعلم وجهان محتملان :

أحدهما : أن الحكم القضاء ، والعلم الفتيا .

والثاني : أن الحكم الاجتهاد ، والعلم النص .

---

(٧٥٥) رواه أحمد (٤/٢٩٥) وأبو داود (٣٥٦٩ / ٣٥٧٠) وابن ماجة (٢٣٣٢) والطبري (١٧/٥٣) من حديث حرام بن محيّصة عن أبيه . والمؤلف ذكره هنا من مرسل سعيد ولم نهتدِ إلى تخريجه ولا إلى من وصله .

قوله عز وجل : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ذللنا .

الثاني : ألهمنا .

﴿ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ وفي تسبيحها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن سيرها معه هو تسبيحها ، قاله ابن عيسى ، والتسبيح مأخوذ من السباحة .

الثاني : أنها صلواتها معه ، قاله قتادة .

الثالث : أنه تسبيح مسموع كان يفهمه ، وهذا قول يحيى بن سلام .

قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ . . . ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اللبوس الدرع الملبوس ، قاله قتادة .

الثاني : أن جميع السلاح لبوس عند العرب .

﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من سلاحكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : حرب أعدائكم ، قاله الضحاك .

قوله عز وجل : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ معناه وسخرنا لسليمان الريح ، والعصوف شدة حركتها والعصف التبن ، فسمي به شدة الريح لأنها تعصفه لشدة تكسيرها له .

﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ هي أرض الشام ، وفي بركتها ثلاثة أقاويل :

أحدها : بمن بعث فيها من الأنبياء .

الثاني : أن مياه أنهار الأرض تجري منها .

الثالث : بما أودعها الله من الخيرات ، قاله قتادة : ما نقص من الأرض زيد في أرض الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر .

وكانت الريح تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء . قال مقاتل : وسليمان أول من استخرج اللؤلؤ بغوص الشياطين .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي ﴾ الآية . حكى الحسن البصري : أن أيوب آتاه الله مالاً وولداً فهلك ماله ، ومات أولاده ، فقال : ربِّ قد أحْسَنْتَ إليَّ الإحسانَ كُلَّه ، كنتُ قبل اليوم شَغَلَنِي حُبُّ المالِ بالنهارِ ، وَشَغَلَنِي حُبُّ الولدِ بالليلِ ، فالآن أُفرِغُ لك سمعي وبصري وليلي ونهاري بالحمد والذكر فلم ينفذ لإبليس فيه مكر ، ولا قدر له على فتنة ، فَبُلِي في بَدَنِهِ حتى قرح وسعى فيه الدود ، واشتد به البلاء حتى طرح على مزبلة بني إسرائيل ، ولم يبق أحد يدنو منه غير زوجته صبرت معه ، تتصدق وتطعمه ، وقد كان آمن به ثلاثة من قومه ، رفضوا(*) عند بلائه ، وأيوب يزداد حمداً لله وذكراً ، وإبليس يجتهد في افتتانه فلا يصل إليه حتى شاور أصحابه ، فقالوا : أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته ؟ قال : من قبل امرأته ، فقالوا شأنك أيوب من قبل امرأته قال : أصبتم فأتاها فذكر لها ضر أيوب بعد جماله وماله وولده ، فصرخت ، فطمع عدو الله فيها ، فأتاها بسخلة ، فقال ليذبح أيوب هذه السخلة لي ويبرأ ، فجاءت إلى أيوب فصرخت وقالت يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ولا يرحمك ؟ أين المال ؟ أين الولد ؟ أين لونك الحسن ؟ قد بلى ، وقد تردد(٧٥٦) الدواب ، إذبح هذه السخلة واسترح . قال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقاً فأجبتيه ؟ أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والشباب والصحة من أعطانيه ؟ فقالت الله ، قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : منذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء ؟

(*) هكذا في الأصل ولعل الصواب رفضوه .

(٧٥٦) وفي الطبري (١٧ / ٧٠) . . وقد ترددت الدواب . . قلت ولعله تردّت أي هلكت والله أعلم .

فقالت : منذ سبع سنين وأشهر قال : ويلك والله ما أنصفت ربك ، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة ، ثم طردها وقال : ما تأتيني به عليَّ حرام إن أكلته ، فيئس إبليس من فتنته(٧٥٧) .

ثم بقي أيوب وحيداً فخر ساجداً وقال : ربِّ ،

﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾ وفيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الضر المرض ، قاله قتادة .

الثاني : أنه البلاء الذي في جسده ، قاله السدّي ، حتى قيل إن الدودة كانت تقع من جسده فيردها في مكانها ويقول : كلي مما رزقك الله(٧٥٨) .

الثالث : أنه الشيطان كما قال في موضع آخر ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١] قاله الحسن.

الرابع : أنه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض ، فقال : مسني الضر ، إخباراً عن حاله ، لا شكوىٰ لبلائه ، رواه أنس مرفوعاً(٧٥٩) .

---

(٧٥٧) رواه ابن جرير عن الحسن (١٧/ ٦٩) وهذا الحديث كما يبدو من الإسرائيليات وسنده إلى الحسن ضعيف ففي سنده مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن وورد نحوه من قول وهب رواه ابن جرير (١٧/ ٢٥٧) والرائحة الإسرائيلية تفوح منه .

(٧٥٨) لقد قف شعري مما أورده المؤلف هنا في نبي الله أيوب ﷺ والأمر بخلاف ذلك. فهذه الأقوال وما شابهها لا يشك عاقل في أنها من روايات أهل الكتاب وتلقاها منهم وهب وكعب والسدي والحسن البصري وقد رواه الطبري عنهم .

(٧٥٩) رواه ابن جرير (٢٣/ ١٦٧) وأبو نعيم (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) وابن حبان (٤/ ٢٤٥) والحاكم (٢/ ٥٨١) والبزار (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وأبو ليلى (٦/ ٢٩٩) والضياء المقدسي كما نقله الالباني في السلسلة (١/ ٢٥) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٣/ ١) كلهم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن انس مرفوعاً أن نبي الله أيوب ابتلي فلبث في بلائه ثماني عشرة سنة قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . . .

قلت وهذا وهم منه رحمه الله فإن نافعاً لم يرو له البخاري بل روى له مسلم فهو على شرط مسلم فقط . .

وقال أبو نعيم غريب من حديث الزهري لم يروه عنه إلا عقيل ورواته متفق على عدالتهم تفرد به نافع . . قلت وهذا التفرد لا يضر فإنه من رجال مسلم وهو نفسه وقال البزار لا نعلم رواه عن الزهري عن أنس إلا عقيل ولا عنه إلا نافع سواه عن نافع غير واحد. . قلت وقد رواه مرسلاً ابن المبارك في الزهد برقم ١٧٩ من طريقه يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب مرسلاً مطولاً .

الخامس : أنه انقطع الوحي عنه أربعين يوماً فخاف هجران ربه ، فقال : مسني الضر ، وهذا قول جعفر الصادق رحمه الله .

وفي مخرج قوله : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : أنه خارج مخرج الإستفهام ، وتقديره أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

الثاني : أنت أرحم بي أن يمسني الضر .

الثالث : أنه قال [ذلك] استقالة من ذنبه ورغبة إلى ربه .

الرابع : أنه شكا ضعفه وضره استعطافاً لرحمته ، فكشف بلاءه فقيل له : ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ﴾ [ص ٤٢] فركض برجله فنبعت عين، فاغتسل منها وشرب فذهب باطن دائه وعاد إليه شبابه وجماله، وقام صحيحاً، وضاعف الله له ما كان من أهل ومال وولد.

ثم إن امرأته قالت : إن طردني فإلى من أكِله ؟ فَرَجَعَتْ فلم تَرَهُ ، فجعلت

= وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٠٨) رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح ا هـ.
ووقع في رواية الحاكم خمسة عشر سنة . والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٢٥).
تنبيهات:

التنبيه الأول: وقع في فتح الباري (٦/٤٢١) نسبة هذا الحديث هكذا قال الحافظ أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة . وفي هذا خطأ .

(أ) قوله ابن جريج لعله خطأ مطبعي والصواب ابن جرير .

(ب) صنيع الحافظ هنا وهم أن الحديث موقوف من قول أنس بينما هو مرفوع فلعل الناسخ أسقط قال رسول الله أو قوله مرفوعاً .

(جـ) ذكره مدة البلاء وأنها ثلاث عشرة يخالف الروايات التي ذكرها المؤلف إذ فيها خمسة عشر وقد عرفت أن رواه الأكثرين ثماني عشرة فلتعتمد .

التنبيه الثاني: اعرب الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال في البداية والنهاية (١/٢٠٨) وكذا في التفسير (٣/١٨٩) هذا غريب . رفعه جيداً والأشبه أن يكون موقوفاً . . قلت ولم يدل على الوقف دليل وحتى لو كان غريباً فالغرابة لا تنافي الصحة كما هو معلوم وعلى فرض أنه موقوف فهو في حكم المرفوع على أن التسليم بصحة وقفه يحتاج إلى بينة وهي مفقودة هنا .

تنبيه ثالث : في سند هذا الحديث عندأبي يعلى حميدي الربيع الخزاز .

وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم ولكنه لم يتفرد به بل تابعه عن الحاكم (أحمد بن مهران) (٢/٥٨١) وعند ابي نعيم اسماعيل بن عبد الله ويحيى بن أيوب كما تقدم في تخريج الحديث.

تطوف وتبكي ، وأيوب يراها وتراه فلا تعرفه فلما سألته عنه وكلمتـه فعرفتـه ، ثم إن الله رحمها لصبرها معها على البلاء ، فأمره أن يضربها بضِغث(٧٦٠) ليبرّ في يمينـه ، قاله ابن عباس . وكانت امرأته مـاخيرا بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾

قال ابن مسعود(٧٦١) : رد الله إليه أهله الذين أهلكهم بأعيانهم ، وأعطاه مثلهم معهم . قال الفراء كان لأيوب سبع بنين وسبع بنـات فماتـواْ في بلائـه ، فلما كشف الله ضره رَدّ عليه بنيه وبناته وولد له بعد ذلك مثلهم ، قال الحسن : وكانوا ماتوا قبل آجـالهم فـأحيـاهم الله فـوفـاهم آجـالهم ، وأن الله أبقــاه حتى أعـطاهم من نسلهم مثلهم .

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه لم يكن نبياً وكان عبداً صالحاً كُفِلَ لنبي قيل إنـه اليسع بصيـام النهار وقيام الليل ، وألا يغضب ، ويقضي بالحق ، فوفىٰ به فـأثنىٰ الله عليه ، قـاله أبو موسى ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : أنه كان نبياً كفل(٧٦٢) بأمر فوفىٰ به ، قاله الحسن .

وفي تسميته بذي الكفل ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان(٧٦٣) . . . . .

---

(٧٦٠) وهي حزمة من عثكال النخل .

(٧٦١) رواه الطبري (١٧/ ٧٢) والطبراني كما في المجمع (٤/ ٦٧)

وفي سنده انقطاع بين الضحاك وابن مسعود .

وفي سند الطبراني يسمى الحماني وهو ضعيف كما نبه على ذلك الهيثمي في المجمع .

(٧٦٢) قال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٩٠) . وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهـو نبي .

(٧٦٣) ذكـر ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسيـر (٥/ ٣٧٩) ثلاثـة أقـوال في سبب التسميـة ولا بأس

الثاني : لأنه كفل بأمر فوفىٰ به .

الثالث : لأن ثوابه ضعف ثواب غيره ممن كان في زمنه .

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ وهـو يونس بن متىٰ ، سمي بـذلك لأنـه صاحب الحوت ، كما قال تعالى : ﴿فَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم : ٤٨] والحوت النون ، نسب إليه لأنه ابتلعه ، ومنه قول الشاعر :

يا جيد القصر نِعم القصر والوادي وجيداً أهلهِ من حاضر بادي
توفي قراقره والوحش راتعه والضب والنون والملاح والحادي

يعني أنـه يجتمع فيـه صيد البر والبحر ، وأهـل المال والـظهر ، وأهـل البدو والحضر .

﴿ إذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني مـراغماً للملك وكـان اسمه حـزقيا ولم يكن بـه بأس ، حكـاه النقاش .

الثاني : مغاضباً لقومه ، قاله الحسن .

الثالث : مغاضباً لربه ، قاله الشعبي ، ومغاضبته ليست مراغمة ، لأن مراغمة الله كفر لا تجوز على الأنبياء ، وإنما هي خروجه بغير إذن ، فكانت هي معصيته .

وفي سبب ذهابه لقومه وجهان :

= بايرادها هنا ومقارنتها بما ذكره المؤلف . وإليك هذه الوجوه: أحدهما أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي فكفل صلاته فسمى ذا الكفل قاله أبو موسى الأشعري . الثاني أن تكفل لنبي بقومه أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدل ففعل فسمي ذا الكفل قاله مجاهد . الثالث أن ملكاً قتل في يوم ثلاثمائة نبي وفر منه مائة نبي فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا فسمي ذا الكفل قاله ابن السائب .

أحدهما : أنه كان في خُلُقِه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة ضاق ذرعه بها ولم يصبر لها ، وكذلك قال الله : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٣٥] قاله وهب.

الثاني : أنه كان من عادة قومه أن من كذب قتلوه ، ولم يجربواْ عليه كذباً ، فلما أخبرهم أن العذاب يحل بهم ورفعه الله عنهم ، قال لا أرجع إليهم كذّاباً ، وخاف أن يقتلوه فخرج هارباً(٧٦٤) .

﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : فظن أن لن نضيق طرقه ، ومنه قوله : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [الطلاق: ٧] أي ضيق عليه، قاله ابن عباس.

الثاني : فظن أن لن نعاقبه بما صنع ، قاله قتادة ، ومجاهد .

الثالث : فظن أن لن نحكم عليه بما حكمنا ، حكاه ابن شجرة ، قال الفراء : معناه لن نُقدِرَ عليه من العقوبة ما قَدَّرْنَا ، مأخوذ من القدر ، وهو الحكم دون القدرة ، وقرأ ابن عباس : نقدّر بالتشديد(٧٦٥) ، وهو معنى ما ذكره الفراء . ولا يجوز أن يكون محمولاً على العجز عن القدرة عليه لأنه كفر .

الرابع : أنه على معنى استفهام ، تقديره : أفظن أن لن نقدر عليه ، فحذف ألف الاستفهام إيجازاً ، قاله سليمان بن المعتمر .

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة جوف الحوت ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

الثاني : أنها ظلمة الحوت في بطن الحوت ، قاله سالم بن أبي الجعد .

ويحتمل ثالثاً : أنها ظلمة الخطيئة ، وظلمة الشدة ، وظلمة الوحدة .

---

(٧٦٤) روى قصته باسناد صحيح ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود كما قال الحافظ في الفتح (٤٥٢/٦).

(٧٦٥) وهي قراءة سعيد بن جبير وأبي الجوزاء وابن أبي ليلى وفيها قراءات أخرى راجعها في زاد المسير (٣٨٢/٥).

﴿ أن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني لنفسي في الخروج من غير أن تأذن لي ، ولم يكن ذلك عقوبة من الله ، لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا ، وإنما كان تأديباً ، وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان .

قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ وفي استجابة الدعاء قولان :

أحدهما : أنه ثواب من الله للداعي ولا يجوز أن يكون غير ثواب .

والثاني : أنه استصلاح فربما كان ثواباً وربما كان غير ثواب .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : من الغم بخطيئته .

الثاني : من بطن الحوت لأن الغم التغطية . وقيل : إن الله أوحىٰ إلى الحوت ألاّ تكسر له عظماً ، ولا تخدش له جلداً .

وحينما صار في بطنه : قال يا رب اتخذتَ لي مسجداً في مواضع ما اتخذها أحد .

وفي مدة لبثه في بطن الحوت ثلاثة أقاويل :

أحدها : أربعون يوماً .

الثاني : ثلاثة أيام .

الثالث : من ارتفاع النهار إلى آخره . قال الشعبي : أربع ساعات ، ثم فتح الحوت فاه فرأى يونس ضوء الشمس ، فقال : سبحانك إني كنت من الظالمين ، فلفظه الحوت .

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟
لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خلياً من عصمتك ، قاله ابن عطاء .

الثاني : عادلاً عن طاعتك .

الثالث : وهو قول الجمهور يعني وحيداً بغير ولد .

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ أي خير من يرث العباد من الأهل والأولاد ، ليجعل رغبته إلى الله في الولد والأهل لا بالمال ، ولكن ليكون صالحاً ، وفي النبوة تالياً .

قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها كانت عاقراً فَجُعِلَتْ ولوداً . قال الكلبي : وَلَدَتْ له وهو ابن بضع وسبعين سنة .

والثاني : أنها كانت في لسانها طول فرزقها حُسْنَ الخَلْقِ ، وهذا قول عطاء ، وابن كامل .

﴿ . . . . يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ أي يبادرون في الأعمال الصالحة ، يعني زكريا ، وامرأته ، ويحيى .

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : رغباً في ثوابنا ورهباً من عذابنا .

الثاني : رغباً في الطاعات ورهباً من المعاصي .

والثالث : رغباً ببطون الأكف ورهباً بظهور الأكف .

والرابع : يعني طمعاً وخوفاً .

ويحتمل وجهاً خامساً : رغباً فيما يسعون من خير ، ورهباً مما يستدفعون من شر .

﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :(٧٦٦)

أحدها : يعني متواضعين ، وهذا قول ابن عباس .

(٧٦٦) واستظهر هذا القول ابن كثير رحمه الله (٣/١٩٣) وأما القول الثاني فقد ورد من قول ابن عباس رواه الحاكم (٢/٣٨٣) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله طلحة (أحد الرواة) واهٍ .

والثاني : راغبين راهبين ، وهو قول الضحاك .

والثالث : أنه وضع اليمنىٰ على اليسرىٰ ، والنظر إلى موضع السجود في الصلاة .

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عفّت فامتنعت عن الفاحشة .

والثاني : أن المراد بالفَرْج فَرْجُ درعها منعت منه جبريل قبل أن تعلم أنه رسول .

﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أي أجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ ، فأضاف الروح إليه تشريفاً له ، وقيل بل أمر جبريل فحلّ جيب درعها بأصابعه ثم نفخ فيه فحملت من وقتها.

﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لأنها حملت من غير مسيس ، ووُلد عيسى من غير ذَكرٍ ، مع كلامه في المهد ، ثم شهادته ببراءتها من الفاحشة ، فكانت هذه هي الآية ، قال الضحاك : ولدته في يوم عاشوراء .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ معناه أن دينكم دين واحد ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

ويحتمل عندي وجهين آخرين :

أحدهما : أنكم خلق واحد ، فلا تكونوا إلا على دين واحد .

والثاني : أنكم أهل عصر واحد ، فلا تكونوا إلا على دين واحد .

﴿ وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ فأوصىٰ ألا يعبد سواه .

﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اختلفوا في الدين ، قاله الأخفش .

الثاني : تفرقوا ، قاله الكلبي .

وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة ، وهو قول عكرمة .

الثاني : وحرام على قرية أهلكناها بالعذاب أنهم لا يرجعون إلى الدنيا ، وهذا قول الحسن ، وقرأ ابن عباس(٧٦٧) : وحَرُم على قرية ، وتأويلها ما قاله سفيان : وجب على قرية أهلكناها(*) . [أنهم لا يرجعون قال :لا يتوبون] .

قوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي فتح السد ، وهو من أشراط الساعة ،وروىٰ أبو هريرة(٧٦٨) عن زينب بنت جحش قالت :كان رسول

---

(٧٦٧) وفيها قراءات أخرى كثيرة راجعها في زاد المسير (٥/٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

(*) بعد قوله أهلكناها عبارة مضطربة ومطموسة في الأصل وما بين المربعين أخذناه من القرطبي

(٧٦٨) في هذا الموضع حدث طمس في أصل المخطوطة وأظن أن قوله هنا روى أبو هريرة عن زينب خطأ بل أكاد أجزم بذلك .

وأن الصواب روى أبو هريرة وزينب بنت جحش . .

فإن هذا الحديث ورد من حديث ابي هريرة مرفوعاً وكذا من حديث زينب مرفوعاً وهاك بيانها

حديث أبي هريرة رواه الحاكم (١/١٠٨) من ثلاثة طرق عن أبي هريرة الأول قال فيه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي بقوله فيه انقطاع . =

الله ﷺ نائماً في بيتي، فاستيقظ محمرة عيناه، فقال: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ ثَلَاثاً، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هٰذَا » وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ عِقْدِ التِّسْعِينَ.

ويأجوج ومأجوج قيل أنهما أخوان، وهما ولدا يافث بن نوح، وفي اشتقاق اسميهما قولان:

أحدهما: أنه مشتق من أجّت النار.

والثاني: من الماء الأُجاج. وقيل إنهم يزيدون على الإنس الضعف.

﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ وفي حدب الأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه فجاجها وأطرافها، قاله ابن عباس.

والثاني: حولها.

الثالث: تلاعها وآكامها، مأخوذ من حدبة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازْدَهاني تواترهم إليَّ من الحِداب

وفي قوله: ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ وجهان:

أحدها: معناه يخرجون، ومنه قول امرىء القيس[٧٦٩]:

فسلي ثيابي من ثيابك تنسلِ

والثاني: معناه يسرعون، ومنه قول الشاعر[٧٧٠]:

عسلان الذئب أمسى قارباً برد الليل عليه فنسل

= الثاني: قد صححه على شرط مسلم ولم وفيه زيادة.

والطريق الثالث: قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه زيادة أيضاً وقد روى الحديث البزار. كما نقله ابن كثير من (١/١٠٥) وهي طرق رائجة عن أبي هريرة.

وقد روى البخاري (٦/٣٨٢) ومسلم (٢٨٨١) من حديثه مرفوعاً ولفظه فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده التسعين ورواه أحمد (٢/٤٤١) وأبو داود (٤٢٤٩).

وأما حديث زينب رضي الله عنها.

فرواه البخاري (٦/٣٨١) ومسلم (٤/٢٢٠٨) والترمذي (٤/٤٨٠) والبغوي في مصابيح السنة (٤١١٢). وفيه فائدة إسنادية ذكرها ابن كثير (١/١٠٥).

(٧٦٩) وصدر البيت وإن تك قد ساءتك مني خليقة.

(٧٧٠) هو لبيد أو النابغة الجعدي والبيت في اللسان «عسل، نسل» والطبري (١٧/٩١).

وفي الذين هم من كل حدب ينسلون قولان :

أحدهما : هم يأجوج ومأجوج(٧٧١) ، وهذا قول ابن مسعود .

الثاني : أنهم الناس يحشرون إلى الموقف .

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم
مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى
مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وقود جهنم ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : معناه حطب جهنم ، وقرأ علي بن أبي طالب وعائشة : حطب جهنم(٧٧٢) .

الثالث : أنهم يُرمَون فيها كما يُرْمَىٰ بالحصباء ، حتى كأن جهنم تحصب بهم ، وهذا قول الضحاك ، ومنه قول الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

يعني الثلج ، وقرأ ابن عباس : حضب جهنم ، بالضاد معجمة . قال الكسائي : حضبت النار بالضاد المعجمة إذا أججتها فألقيت فيها ما يشعلها من الحطب .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

---

(٧٧١) وهو أرجح لدلالة السياق عليه ومواقعة الخبر الوارد له .

(٧٧٢) وفيها قراءات أخرى راجعها في زاد المسير (٥/ ٣٩٠) .

أحدها : أنها الطاعة لله تعالى ، حكاه ابن عيسى .

والثاني : السعادة من الله ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : الجنة ، وهو قول السدي .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أنها التوبة .

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ يعني عن جهنم . وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبِدوا من دون الله وهم كارهون وهذا قول مجاهد .

الثاني : أنهم عثمان وطلحة والزبير ، رواه النعمان بن بشير عن علي بن أبي طالب .

الثالث : أنها عامة في كل من سبقت له من الله الحسنى .

وسبب نزول هذه الآية(٧٧٣) ما حكي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ قال المشركون : فالمسيح والعزير والملائكة قد عُبِدُوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ يعني عن جهنم ، ويكون قوله : ﴿ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ محمولاً على من عذبه ربه .

قوله عز وجل : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الفزع الأكبر النفخة الأخيرة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه ذَبْحُ الموتِ ، حكاه ابن عباس .

والثالث : حين تطبق جهنم على أهلها ، وهذا قول ابن جريج .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أنه العرض في المحشر .

يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

(٧٧٣) رواه ابن جرير (١٧ / ٩٧) وزاد السيوطي في الدر (٥ / ٦٧٩) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم .

قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن السجل الصحيفة تطوىٰ على ما فيها من الكتابة ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

الثاني : أنه الملك .

الثالث : أنه كاتب يكتب(٧٧٤) بين يدي رسول الله ﷺ ، وهذا قول ابن عباس .

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

(٧٧٤) وقد ورد الحديث بذلك عن ابن عباس شاهد من حديث ابن عمر .أما حديث ابن عباس :فرواه أبو داود (٢٩٣٥) والنسائي (في الكبرى كما في التحفة للمزي) (٤/٣٦٦) وابن جرير (١٧/١٠٠) وزاد السيوطي في الدر (٥/٦٨٤) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في المعرفة والبيهقي في سننه وصححه كلهم من طريق عمرو بن مالك عن ابن الجوزاء عن ابن عباس بلفظ السجل كاتب النبي ﷺ.
أخرجه ابن المنذر وابن عدي وابن عساكر من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن ابن الجوزاء به. الشاهد: رواه ابن مردويه وابن منده في الصحابة وابو نعيم كلهم من طريق ابن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال كان للنبي كاتب يقال له سجل .
قال الحافظ ابن كثير (٣/٢٠٠) وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية ابن داود وغيره لا يصح أيضاً وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ونسأ في أجله وختم له بصالح عمله وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حدته ولله الحمد وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبي ﷺ معروفون ليس منهم أحد اسمه السجل وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث وأما من ذكره في اسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم. والصحيح عن ابن عباس أن السجل الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة ا هـ.

أحدها : أن الزبور الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ، والذكر أُمّ الكتاب الذي عنده في السماء ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أن الزبور من الكتب التي أنزلها الله تعالى على مَنْ بعد موسى من أنبيائه ، وهذا قول الشعبي(٧٧٥) .

﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها أرض الجنة يرثها أهل الطاعة ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وابن زيد .

والثاني : أنها الأرض المقدسة يرثها بنو إسرائيل ، وهذا قول الكلبي .

والثالث : أنها أرض الدنيا ، والذي يرثها أمة محمد ﷺ ، وهذا قول ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ ، أما قوله ﴿ إِنَّ فِي هٰذَا ﴾ ففيه قولان :

أحدهما : يعني في القرآن .

والثاني : في هذه السورة .

وفي قوله : ﴿ لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه بلاغ إليهم يَكُفُّهُم عن المعصية ويبعثهم على الطاعة .

الثاني : أنه بلاغ لهم يبلغهم إلى رضوان الله وجزيل ثوابه .

وفي قوله : ﴿ عَابِدِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : مطيعين .

والثاني : عالمين .

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ فيما أريد بهذه الرحمة وجهان :

أحدهما : الهداية إلى طاعة الله واستحقاق ثوابه .

(٧٧٥) لم يذكر المؤلف هنا الوجه الثالث فتنبه.

الثاني : أنه ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال .

وفي قوله : ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : من آمن منهم ، فيكون على الخصوص في المؤمنين إذا قيل إن الرحمة الهداية .

الثاني : الجميع ، فيكون على العموم في المؤمنين والكافرين إذا قيل إن الرحمة ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال .

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ
﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا
تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ يعني أعرضوا ، وفيه وجهان :

أحدهما : عنك .

والثاني : عن القرآن .

﴿ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ فيه سبعة تأويلات :

أحدها : على أمر بَيِّنٍ سَوِي ، وهذا قول السدي .

والثاني : على مَهْلٍ ، وهذا قول قتادة .

والثالث : على عدل ، وهذا قول الفراء .

والرابع : على بيان علانية غير سر ، وهذا قول الكلبي .

والخامس : على سَوَآءٍ في الإعلام يظهر لبعضهم ميلاً به عن بعض ، وهذا قول علي بن عيسىٰ .

والسادس : استواء في الإيمان به .

والسابع : معناه أن من كفر به فهم سواء في قتالهم وجهادهم ، وهذا قول لحسن .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لعل تأخير العذاب فتنة لكم .

والثاني : لعل رفع عذاب الاستئصال فتنة لكم .

وفي هذه الفتنة ثلاثة أوجه :

أحدها : هلاك لكم .

والثاني : محنة لكم .

والثالث : إحسان لكم .

﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلى يوم القيامة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : إلى الموت ، وهذا قول قتادة .

والثالث : إلى أن يأتي قضاء الله تعالى فيهم .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾(٧٧٦) فيه وجهان :

أحدهما : عجّل الحكم بالحق .

الثاني : معناه افصل بيننا وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع ، وهذا معنى قول قتادة .

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على ما تكذبون ، قاله قتادة .

والثاني : على ما تكتمون ، قاله الكلبي .

وقيل(٧٧٧) إن النبي ﷺ كان إذا شهد قتالاً قرأ هذه الآية . والله أعلم .

---

(٧٧٦) قال العلامة ابن هبيرة . . المراد منه كن أنت أيها القائل على الحق ليمكنك أن تقول احكم بالحق لأن المبطل لا يمكن أن يقول احكم بالحق

راجع ذيل الطبقات لابن رجب الحنبلي (١ / ٢٦٦) .

(٧٧٧) من حديث مرسل من مرسلات قتادة رواه عنه مطولاً ابن أبي حاتم كما نسبه السيوطي إليه في الدر (٥ / ١٨٩) ورواه مختصراً عنه ابن جرير (١٧ / ١٠٧) وزاد السيوطي نسبة المختصر في الدر (٥ / ٦٨٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الرابع

راجعه وعلق عليه
السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨

هاتف المكتب:

ص ب ٥١١٥ - ١١٤ - برقيا: الكتبكو.

بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النُّكتُ والعُيُونُ
تفسِيرُ الماوردي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الحَجّ

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

مدنية كلها ، وقال ابن عباس إلا أربع آيات مكيات، من قوله سبحانه ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول** ﴾ إلى آخر الأربع . وحكى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها إلا آيتين من قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ وما بعدها ، لأن ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ مدني و ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ مكي .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ في زلزلتها قولان :

أحدهما : أنها في الدنيا ، وهي أشراط ظهورها ، وآيات مجيئها .

والثاني : أنها في القيامة(١) .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها نفخ الصور للبعث .

---

(١) واختاره ابن جرير (١١١/١٧) وابن كثير (٢٠٤/٣ ـ ٢٠٥)

والثاني : أنها عند القضاء بين الخلق .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ يعني زلزلة الساعة .

﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ وفيه أربعة أوجه :

أحدها : تسلو كل مرضعة عن ولدها ، قاله الأخفش .

والثاني : تشتغل عنه ، قاله قطرب ، ومنه قول عبد الله بن رواحة[٢] :

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

والثالث : تلهو عنه ، قاله الكلبي ، ومنه قول امرىء القيس :

أذاهِلٌ أنت عن سَلْماك لا برحت أم لست ناسيها ما حنّت النيبُ

والرابع : تنساه ، قاله اليزيدي ، قال الشاعر :

تطاولت الأيام حتى نسيتها كأنك عن يوم القيامة ذاهل

﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ قال الحسن : تذهل الأم عن ولدها لغير فطام ، وتلقي الحامل ما في بطنها لغير تمام .

﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾ قال ابن جريج : هم سكارىٰ من الخوف ، وما هم بسكارىٰ من الشراب .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن يخاصم في الدين بالهوىٰ ، قاله سهل بن عبد الله .

والثاني : أن يرد النص بالقياس ، قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ

(٢) بيت من رجز قاله عبد الله بن رواحة حين دخل النبي ﷺ مكة لأداء عمرة القضاء والخبر بطوله في سيرة ابن هشام ص وزاد المسير (٥/٤٠٤) وفتح القدير (٣/٤٣٥) .

ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ
مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ
وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن
فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُم فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني آدم .

﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني ولده .

﴿ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ﴾ يعني أن النطفة تصير في الرحم علقة .

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ يعني أن العلقة تصير مضغة ، وذلك مقدار ما يمضع من اللحم .

﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن المخلقة ما صار خلقاً ، وغير مخلقة ما دفعته الأرحام من النطف فلم يصير خلقاً ، وهو قول ابن مسعود .

والثاني : معناه تامة الخلق وغير تامة الخلق ، وهذا قول قتادة .

والثالث : معناه مصورة وغير مصورة كالسقط ، وهذا قول مجاهد .

والرابع : يعني التام في شهوره ، وغير التام ، قاله الضحاك ، قال الشاعر(٣) :

أفي غير المخلقة البكاءُ　　　فأين العزم ويحك والحَياءُ

(٣) فتح القدير (٤٣٦/٣).

﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ يعني في القرآن بدء خلقكم وتنقل أحوالكم .

﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال مجاهد : إلى التمام .

﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ وقد ذكرنا عدد الأشُدّ .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني قبل أن تبلغ إلىٰ أرذل العمر .

والثاني : قبل بلوغ الأشُدّ .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : الهرم ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : إلى مثل حاله عند خروجه من بطن أمّه ، حكاه النقاش .

والثالث : ذهاب العقل ، قاله اليزيدي .

﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يستفيد علماً ما كان به عالماً .

الثاني : لا يعقل بعد عقله الأول شيئاً .

ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً : أنه لا يعمل بعد علمه شيئاً ، فعبر عن العمل بالعلم [لافتقاره إليه لأن تأثير الكبر في العمل أبلغ من تأثيره في العلم][*] .

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : غبراء ، وهذا قول قتادة .

والثاني : يابسة لا تنبت شيئاً ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : أنها الدارسة، والهمود : الدروس ، ومنه قول الأعشى[٤] :

قالت قتيلة ما لجسمك شاحباً   وأرى ثيابك باليات همَّدا

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ وفي ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ وجهان :

(*) هذه العبارة مطموسة في الأصل وقد أخذناها من القرطبي (١٠/١٤١)

(٤) ديوانه : ٢٢٧ ،والطبري (١٧/١١٩) وفتح القدير (٣/٤٣٧)
وفي الطبري سائيا بدلاً من شاحباً وفي فتح القدير . . باليات هموداً بدلاً من باليات همَّدا .

أحدهما: معناه أنبتت ، وهو قول الكلبي .

والثاني : معناه اهتز نباتها واهتزازه شدة حركته ، كما قال الشاعر :

تثني إذا قامت وتهتز إن مشت   كما اهتز غُصْن البان في ورق خضرِ

﴿ وَرَبَتْ ﴾ وجهان :

أحدهما : معناه أضعف نباتها.

والثاني : معناه انتفخت لظهور نباتها ، فعلى هذا الوجه يكون مقدماً ومؤخراً وتقديره : فإذا أنزلنا عليها الماء رَبتْ واهتزت ، وهذا قول الحسن وأبي عبيدة ، وعلى الوجه الأول لا يكون فيه تقديم ولا تأخير .

﴿ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني من كل نوع ، وهو قول ابن شجرة .

والثاني : من كل لون لاختلاف ألوان النبات بالخضرة والحمرة والصفرة .

﴿ بَهِيجٍ ﴾ يعني حسن الصورة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ ... ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لَاوِي عنقه إعراضاً عن الله ورسوله ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

الثاني : معناه لَاوِي عنقه كِبْرا عن الإجابة ، وهذا قول ابن عباس .

قال المفضل : والعِطف الجانب ، ومنه قولهم فلان ينظر في أعطافه أي في جوانبه . قال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث .

﴿ لِيضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تكذيبه للرسول وإعراضه عن أقواله .

والثاني(*): فإذا أراد أحد من قومه الدخول في الإسلام أحضره وأقامه وشرط له وعاتبه وقال: هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد، حكاه الضحاك.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني على وشك وهو قول مجاهد، لكونه منحرفاً بين الإيمان والكفر.

والثاني: على شرط، وهو قول ابن كامل.

والثالث: على ضعف في العبادة كالقيام على حرف، وهو قول علي بن عيسى.

ويحتمل عندي تأويلاً رابعاً: أن حرف الشيء بعضه، فكأنه يعبد الله بلسانه ويعصيه بقلبه.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ وهذا قول(٥) الحسن.

الثاني: أن ذلك نزل في بعض قبائل العرب وفيمن حول المدينة من أهل القرى، كانوا يقولون: نأتي محمداً فإن صادفنا خيراً اتبعناه، وإلا لحقنا بأهلنا، وهذا قول ابن جريج، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾.

ويحتمل وجهين آخرين:

(*) يوجد بالأصل ثلاثة كلمات مطموسة.

(٥) وفي الأصل هناحروف لم تمكننا من معرفة القول وقد استفدنا من تفسير القرطبي قال: قال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه.

أحدهما : اطمأن بالخير إلى إيمانه .

الثاني : اطمأنت نفسه إلى مقامه .

﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ أي محنة في نفسه أو ولده أو ماله .

﴿ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ يحتمل عندي وجهين :

أحدهما : رجع عن دينه مرتداً .

الثاني : رجع إلى قومه فزعاً .

﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾ خسر الدنيا بفراقه ، وخسر الآخرة بنفاقه .

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ أي البيِّن لفساد عاجله وذَهَاب آجله .

قوله عز وجل : ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ يعني الصنم ، وفيه وجهان :

أحدهما : أن المولى الناصر ، والعشير الصاحب ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : المولى المعبود ، والعشير الخليط ، ومنه قيل للزوج عشير لخلطته مأخوذ من المعاشرة .

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن يرزقه الله ، وهو قول مجاهد . والنصر الرزق . ومنه قول الأعشى :

أبوكَ الذي أجرى عليّ بنصره ... فأنصب عني بعده كل قابل

والثالث : معناه أن لن يمطر الله أرضه(٦)، ومنه قول رؤبة(٧) :

إني وأسطار سطر ن سطرا ... لقائل يا نصرَ نصرٍ نصرا

وقال أبو عبيدة : يقال للأرض الممطرة أرض منصورة .

﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ ﴾ والنصر في الدنيا بالغلبة ، وفي الآخرة بظهور الحجة .

ويحتمل وجهاً آخر أن يكون النصر في الدنيا علو الكلمة ، وفي الآخرة علو المنزلة .

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : فليمدد بحبل إلى سماء الدنيا ليقطع الوحي عن محمد ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ أي يذهب الكيد منه ما يغيظه من نزول الوحي عليه ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : فليمدد بحبل إلى سماء بيته وهو سقفه ، ثم لِيخْنقَ به نفسه فلينظر هل يذهب ذلك بغيظه من ألا يرزقه الله تعالى ، وهذا قول السدي .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكرمٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ومن يهن الله فيدخله النار فما له من مكرم فيدخله الجنة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ من ثواب وعقاب ، وهذا قول يحيى بن سلام .

---

(٦) لاحظ أن التأويل الثاني لم يذكر .

(٧) اللسان (سطر) وفيه : إني وأسطار سُطِرن : يا نصر نصراً نصراً .

والثاني : ومن يهن الله بالشقوة فما له من مكرم بالسعادة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ من شقوة ، وهذا قول الفراء وعلي بن عيسى .

ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً : ومن يهن الله بالإنتقام فما له من مكرم بالإنعام ، إن الله يفعل ما يشاء من إنعام وانتقام .

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ﴾ والخصمان ها هنا فريقان ، وفيهما أربعة أقاويل :

أحدها : أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر ، وهذا قول أبي ذر ، وقال محمد بن سيرين : نزلت في الثلاثة (٨) الذين بارزوا يوم بدر ثلاثة من المشركين فقتلوهم .

والثاني : أنهم أهل الكتاب قالوا : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونحن خير منكم ، فقال المسلمون كتابنا يقضي على كتابكم ، ونبينا خاتم الأنبياء ، ونحن أولى بالله منكم ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء ، وهذا قول مجاهد ، والحسن ، وعطاء .

والرابع : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقني الله لنقمته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته ، وهذا قول عكرمة .

---

(٨) هم حمزة عم النبي وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بارزوا من المشركين عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة والوليد بن عتبة رواه البخاري (٨/٣٣٦) والطبري (١٧/١٣١) ومسلم (٣٠٣٣) من حديث ابن ذر .

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ معناه أن النار قد أحاطت بهم كإحاطة الثياب المقطوعة إذا لبسوها عليهم ، فصارت من هذا الوجه ثياباً ، لأنها بالإحاطة كالثياب .

﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ ها هنا هو الماء الحار ، قال الشاعر :

كأن الحميم على متنها   إذا اغترفته بأطساسها
جُمان يحل على وجنةٍ   علته حدائد دوّاسها

وضم الحميم إلى النار وإن كانت أشد منه لأنه ينضج لحومهم ، والنار بانفرادها تحرقها ، فيختلف به العذاب فيتنوع ، فيكون أبلغ في النكال .

وقيل إنها نزلت في ثلاثة من المسلمين قتلوا ثلاثة من المشركين يوم بدر حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة ، وعليّ بن أبي طالب قتل الوليد بن عتبة ، وعبيدة بن الحارث قتل شيبة بن ربيعة(٩) .

قوله تعالى : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يحرق به وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : يقطع به ، وهو قول الحسن .

والثالث : ينضج به ، وهو قول الكلبي ومنه قول العجاج(١٠) :

شك السفافيد الشواء المصطهرْ

والرابع : يذاب به ، وهو قول مجاهد ، مأخوذ من قولهم : صهرت الألية إذا أذبتها ، ومنه قول ابن أحمر(١١) :

تروي لقى ألقى في صفصفٍ   تصهره الشمس فما ينْصهِر

﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ والمقامع : جمع مقمعة ، والمقمعة ما يضرب به الرأس حتى لا يعي فينكب أو ينحط .

---

(٩) سبق تخريجه في التعليق السابق .
(١٠) السان « صهر » الطبري (١٧/ ١٣٤) .
(١١) اللسان « صهر » الطبري (١٧/ ١٣٤) روح المعاني (١٧/ ١٣٤). واقتصر على الشطر الثاني لكن فيه : يصهره الشمس ولا ينصهر .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه قول لا إله إلا الله ، وهو قول الكلبي .

والثاني : أنه الإيمان ، وهو قول الحسن .

والثالث : القرآن ، وهو قول قطرب .

والرابع : هو الأمر بالمعروف .

ويحتمل عندي تأويلاً خامساً : أنه ما شكره عليه المخلوقون وأثاب عليه الخالق .

﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الإسلام ، وهو قول قطرب .

والثاني : الجنة .

ويحتمل عندي تأويلاً ثالثاً : أنه ما حمدت عواقبه وأمنت مغبته .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أراد المسجد نفسه . ومعنى قوله : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم .

﴿سَوَآءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ وهو المقيم ، ﴿ وَٱلْبَادِ ﴾ وهو الطارىء إليه ، وهذا قول ابن عباس .

والقول الثاني : أن المراد بالمسجد الحرام جميع الحرم ، وعلى هذا في قوله :

﴿ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنهم سواء في دوره ومنازله ، وليس العاكف المقيم أولى بها من البادي المسافر ، وهذا قول مجاهد ومَنْ منع بيع دور مكة(١٢) كأبي حنيفة .

والثاني : أنهما سواء في أن من دخله كان آمناً ، وأنه لا يقتل بها صيداً ولا يعضد بها شجراً .

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ والإلحاد : الميل عن الحق والباء في قوله : ﴿ بِإِلْحَادٍ ﴾ زائدة كزيادتها في قوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] ومثلها في قول الشاعر(١٣):

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفَرَجِ

أي نرجو الفرج ، فيكون تقدير الكلام : ومن يرد فيه إلحاداً بظلم .

وفي الإلحاد بالظلم أربعة تأويلات :

أحدها : أنه الشرك بالله بأن يعبد فيه غير الله ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه استحلال الحرام فيه ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : استحلال الحرم متعمداً ، وهذا قول ابن عباس .

والرابع : أنه احتكار الطعام بمكة ، وهذا قول حسان بن ثابت(*) .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عن عمرته عام الحديبية .

---

(١٢) وفي المسألة قول آخر بجواز بيع دورها وتملكها وأجارتها وهو قول الشافعي ومن تابعه والدليل معه لظاهر قوله في سورة الحشر .

فأضاف الله تعالى إليهم الدور إضافة تملك والمسألة مبسوطة في زاد المعاد فراجعها (٣/٤٢٩ - ٤٣٨) .

(١٣) هو راجز من بني جعدة .

والبيت في مجاز القرآن (٢/٥٦) والاقتضاب (٤٥٨) وشواهد المغني (٤/١١١) وخزانة الأدب (٤/١٥٩) وفتح القدير . (٣/٤٤٧) .

(*) هكذا في الأصل وفي تفسير القرطبي أن هذا القول هو قول عمر بن الخطاب .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه وطأنا له مكان البيت ، حكاه ابن عيسىٰ .

والثاني : معناه عرفناه مكان البيت بعلامة يستدل بها .

وفي العلامة قولان :

أحدهما : قاله قطرب ، بعثت سحابة فتطوقت حيال الكعبة فبنى على ظلها .

الثاني : قاله السدي ، كانت العلامة ريحاً هبت وكنست حول البيت يقال لها الخجوج .

﴿ أن لَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً ﴾ أي لا تعبد معي إلهاً غيري .

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من الشرك وعبادة الأوثان ، وهذا قول قتادة .

الثاني : من الأنجاس والفرث والدم الذي كان طرح حول البيت ، ذكره ابن عيسى .

والثالث : من قول الزور ، وهو قول يحيى بن سلام .

﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَـآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أما الطائفون فيعني بالبيت وفي ﴿ الْقَائِمِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني القائمين في الصلاة ، وهو قول عطاء .

والثاني : المقيمين بمكة ، وهو قول قتادة .

﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ يعني في الصلاة ، وفي هذا دليل على ثواب الصلاة في البيت . وحكىٰ الضحاك أن إبراهيم لما حضر أساس البيت وجد لَوْحاً ، عليه

مكتوب : أنا الله ذو بكّة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن قَدَّرْتُ على يديه الخير ، ووَيلٌ لمن قدرت على يديه الشر .

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ يعني القلوب(١٤).

﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ يعني حجاج الله ، ﴿ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾ يعني الإيمان ، ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ يعني الخوف والرجاء .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ يعني أَعْلِمْهُم ونَادِ فيهم بالحق ، وفيه قولان :

أحدهما : أن هذا القول حكاية عن أمر الله سبحانه لنبيه إبراهيم ، فروي أن إبراهيم(١٥) صعد جبل أبي قبيس فقال : عباد الله إن الله سبحانه وتعالى قد ابتنى بيتاً وأَمَرَكُمْ بحجه فَحُجُّوا ، فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك داعي ربنا لبيك . ولا يحجه إلى يوم القيامة إلا من أجاب دعوة إبراهيم ، وقيل إن أول من أجابه أهل اليمن ، فهم أكثر الناس حجاً له .

والثاني : أن هذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يأمر الناس بحج البيت .

﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ يعني مشاةِ على أقدامهم ، والرجال جمع راجل .

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي جملِ ضامر ، وهو المهزول ، وإنما قال ﴿ ضَامِرٍ ﴾ لأنه ليس يصل إليه إلا وقد صار ضامراً .

﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي بعيد ، ومنه قول الشاعر :

تلعب لديهن بالحريق مدى نياط بارح عميق

---

(١٤) لعل مسند هذا القول لأصحاب الخواطر الحديث الباطل الإسرائيلي المصدر القلب بيت الرب وقد نص على بطلانه كثير من أهل الحديث وهذه الأحاديث وما شابهها سبب لفساد العقائد .

(١٥) قال الحافظ ابن حجر (٤٠٦/٦) روى الفاكهي بإسناد صحيح عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال قام إبراهيم على الحجر فقال يا أيها الناس كتب الله عليكم الحج فاسمع من في اصلاب الرجال وأرحام النساء فأصابه من آمن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك اهـ.

لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه شهود المواقف وقضاء المناسك .

والثاني : أنها المغفرة لذنوبهم ، قاله الضحاك .

والثالث : أنها التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة ، وهذا قول مجاهد .

﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عشر ذي الحجة آخرها يوم النحر ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وهو مذهب الشافعي .

والثاني : أنها أيام التشريق الثلاثة ، وهذا قول عطية العوفي .

والثالث : أنها يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ، وهذا قول الضحاك .

﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ ﴾ يعني على نحر ما رزقهم نحره من بهيمة الأنعام ، وهي الأزواج الثمانية(١٦) من الضحايا والهدايا .

﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ في الأكل والإطعام ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الأكل والإطعام واجبان لا يجوز أن يخل بأحدهما ، وهذا قول أبي الطيب بن سلمة .

والثاني : أن الأكل والإطعام مستحبان ، وله الاقتصار على أيهما شاء وهذا قول أبي العباس بن سريج .

والثالث : أن الأكل مستحب والإطعام واجب ، وهذا قول الشافعي ، فإن

(١٦) وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الآية. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين . . .

أطعم جميعها أجزأه، وإن أكل جميعها لم يُجْزه، وهذا فيما كان تطوعاً، وأما واجبات الدماء فلا يجوز أن نأكل منها.

وفي ﴿ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ خمسة أوجه :

أحدها : أن الفقير الذي به زمَانةٌ ، وهو قول مجاهد .

والثاني : الفقير الذي به ضر الجوع .

والثالث : أن الفقير الذي ظهر عليه أثر البؤس .

والرابع : أنه الذي يمد يده بالسؤال ويتكفف بالطلب .

والخامس : أنه الذي يؤنف عن مجالسته .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر .

والثاني : حلق الرأس ، وهو قول قتادة ، قال أمية بن أبي الصلت .

حفوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثاً(١٧) . . . .

والثالث : رمي الجمار ، وهو قول مجاهد .

والرابع : إزالة قشف الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال الطيب ، وهو قول الحسن .

وقيل لبعض الصلحاء : ما المعنى في شعث المحرم ؟ قال : ليشهد الله تعالى منك الإعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته .

وسئل الحسن عن التجرد في الحج فقال : جرّد قلبك من السهو ، ونفسك من اللهو ولسانك من اللغو ، ثم يجوز كيف شئت .

وقال الشاعر :

قضواْ تفثاً ونحباً ثم ساروا ْ إلى نجدٍ وما انتظروا علياً

﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ وهو تأدية ما نذروه في حجهم من نحر أو غيره .

﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ يعني طواف الإفاضة ، وهو الواجب في الحج

(١٧) عجز البيت وهو: ولم يسلوا لهم قملاً وصئباناً .

والعمرة ، ولا يجوز في الحج إلا بعد عرفة ، وإن جاز السعي .

وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أوجه :

أحدها : أن الله أعتقه من الجبابرة ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : لأنه عتيق لم يملكه أحد من الناس ، وهو قول مجاهد .

والثالث : لأنه أعتق من الغرق في الطوفان ، وهذا قول ابن زيد(١٨) .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

قوله عز وجل : ﴿ ذٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه فعل ما أمر به من مناسكه ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه اجتناب ما نهىٰ عنه في إحرامه .

ويحتمل عندي قولاً ثالثاً : أن يكون تعظيم حرماته أن يفعل الطاعة ويأمر بها ، وينتهي عن المعصية وينهىٰ عنها .

﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إلا ما يتلى عليكم من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذُبحَ على النصب .

والثاني : إلا ما يتلىٰ عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم .

﴿ فَاجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلأَوْثَانِ ﴾ فيه وجهان :

(١٨) لم يذكر هنا الوجه الرابع وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٤٢٨) وهو أنه سمي العتيق لأنه قديم .

أحدهما : أي اجتنبواْ من الأوثان الرجس ، ورجس الأوثان عبادتها ، فصار معناه : فاجتنبوا عبادة الأوثان .

الثاني : معناه : فاجتنبواْ الأوثان فإنها من الرجس .

﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : الشرك ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثاني : الكذب ، وهو قول مجاهد .

والثالث : شهادة الزور . روى أيمن بن محمد[١٩] أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الشِّرْكَ بِاللَّهِ مَرَّتَيْنِ » ثم قرأ : ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ .

والرابع : أنها عبادة المشركين ، حكاه النقاش .

ويحتمل عندي قولاً خامساً : أنه النفاق لأنه إسلام في الظاهر زور في الباطن .

---

(١٩) رواه ابن جرير (١٧/١٥٤) وأحمد (٤/١٨٧ ـ ٢٢٢ ، ٢٣٣) من طريق سفيان بن زياد العصفري عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال أيها الناس . . . الحديث وسند الحديث ضعيف .

فإن فيه فاتك بن خريم وهو مجهول الحال كما في التقريب (١/١٠٧) وأيمن بن خريم مختلف في صحبته كما قال الحافظ في التقريب (١/٨٨) والحديث رواه الترمذي (٢٢٩٩) من طريق مروان بن معاوية عن سفيان به وقال غريب ومن اختلف فيه على سفيان بن زياد ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ اهـ.

قال الحافظ في التهذيب(١/٣٤٤) وقد رواه جماعة عن سفيان بن زياد عن أبيه عن حبيب بن النعمان عن خريم بن فاتك واستصوبه ابن معين . .

قلت وقد تحصل من كلام الحافظ الذي نقله أن الأصح من طريق خريم بن فاتك . . وقلت وقد رواه الترمذي من هذا الطريق برقم ٢٣٠٠ وقال هذا عندي أصح وخريم بن فاتك له صحبة وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث وهو مشهور اهـ.

وقد رواه غير الترمذي أحمد (٤/٣٢١) وابن جرير مختصراً (١٧/١٥٤) وابن ماجة (٢٣٧٢) وأبو داود (٣٥٩٩) والبغوي في مصابيح السنة برقم (٢٨٤٨).

وقد ثبت في الترهيب في شهادة الزور أحاديث كثيرة راجعها في الترغيب والترهيب.

(تنبيه): قوله هنا أيمن بن محمد كذا وقع في المخطوطة والمطبوعة وهو خطأ والصواب أيمن بن خريم. والتصويب من المصادر السابقة. .

قوله عز وجل : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني مسلمين لله ، وهو قول الضحاك ، قال ذو الرمة :

إذا حول الظل العشي رأيته حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر

والثاني : مخلصين لله ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثالث : مستقيمين لله ، وهو قول عليّ بن عيسى .

والرابع : حجاجاً إلى الله ، وهو قول قطرب .

﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : غير مرائين بعبادته أحداً من خلقه .

والثاني : غير مشركين في تلبية الحج به أحداً لأنهم كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، قاله الكلبي .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فروض الله .

والثاني : معالم دينه ، ومنه قول الكميت :

نقتلهم جيلاً فجيلاً نراهم شعائر قربان بهم يتقرب

وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مناسك الحج ، وتعظيمها إشعارها ، وهو مأثور عن جماعة .

والثاني : أنها البُدن المشعرة ، وتعظيمها استسمانها واستحسانها ، وهو قول مجاهد .

والثالث : أنها دين الله كله ، وتعظيمها التزامها ، وهو قول الحسن .

﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ قال الكلبي والسدي : من إخلاص القلوب .

ويحتمل عندي وجهاً آخر أنه قصد الثواب .

ويحتمل وجهاً آخر أيضاً : أنه ما أرضىٰ الله تعالى .

قوله عز وجل : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المنافع التجارة ، وهذا قول من تأول الشعائر بأنها مناسك الحج ، والأجل المسمى العود .

والثاني : أن المنافع الأجر ، والأجل المسمى القيامة ، وهذا تأويل من تأولها بأنها الدين .

والثالث : أن المنافع الركوب والدر والنسل ، وهذا قول من تأولها بأنها الهَدْي فعلىٰ هذا في الأجل المسمى وجهان :

أحدهما : أن المنافع قبل الإيجاب وبعده ، والأجل المسمى هو النحر ، وهذا قول عطاء(٢٠) .

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ إن قيل إن الشعائر هي مناسك الحج ففي تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ وجهان :

أحدهما : مكة ، وهو قول عطاء .

والثاني : الحرم كله محل لها ، وهو قول الشافعي .

وإن قيل إن الشعائر هي الدين كله فيحتمل تأويل قوله : ﴿ **ثم محلها إلى البيت العتيق** ﴾ أن محل ما اختص منها بالأجر له ، هو البيت العتيق .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني حجاً ، وهو قول قتادة .

(٢٠) لم يذكر الوجه الثاني .

والثاني : ذبحاً ، وهو قول مجاهد .

والثالث : عيداً ، وهو قول الكلبي والفراء ، والمنسك في كلام العرب هو الموضع المعتاد ، ومنه تسمية مناسك الحج ، لاعتياد مواضعها .

﴿ لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ ٱلأَنْعَامِ ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : أنها الهدي ، إذا قيل إن المنسك الحج .

والثاني : الأضاحي ، إذا قيل إن المنسك العيد .

قوله عز وجل : ﴿ . . . وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ فيه تسعة تأويلات :

أحدها : المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتُخْبِتْ لَهُ قُلُوبُهُم ﴾ [الحج : ٥٤].

والثاني : معناه المتواضعين ، وهو قول قتادة .

والثالث : الخاشعين ، وهو قول الحسن . والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان .

والرابع : الخائفين ، وهو معنىٰ قول يحيى بن سلام .

والخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي .

والسادس : الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي .

والسابع : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد .

والثامن : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً .

والتاسع(٢١) : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلمواْ لم ينتصرواْ ، وهو قول الخليل بن أحمد .

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

---

(٢١) ونسبه في القرطبي لعمرو بن أوس .

قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ ٱللَّهِ ﴾ في البدن ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الإبل ، وهو قول الجمهور .

والثاني : أنها الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو قول جابر ، وعطاء .

والثالث : كل ذات خُفٍّ وحافر من الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهو شاذ حكاه ابن الشجرة ، وسميت بُدْناً لأنها مبدنة في السمن ، وشعائر الله تعالى دينه في أحد الوجهين ، وفروضه في الوجه الآخر .

وتعمق بعض أصحاب الخواطر فتأول البُدْن أن تطهر بدنك من البدع ، والشعائر أن تستشعر بتقوى الله وطاعته ، وهو بعيد .

﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي أجر ، وهو قول السدي .

والثاني : منفعة فإن ٱحْتِيجَ إلى ظهرها رُكِبَ ، وإن حُلِبَ لَبَنُها شُرِبَ ، وهو قول إبراهيم النخعي .

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ وهي قراءة الجمهور ، وقرأ الحسن : صوافي ، وقرأ ابن مسعود : صوافن .

فتأول صواف على قراءة الجمهور فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مصطفة ، ذكره ابن عيسى .

والثاني : قائمة لتصفّد يديها بالقيود، وهو قول ابن عمر .

والثالث : معقولة ، وهو قول مجاهد .

وتأويل صوافي ، وهي قراءة الحسن : أي خالصة لله تعالى ، مأخوذ من الصفوة .

وتأويل صوافن وهي قراءة ابن مسعود : أنها مصفوفة ، وهو أن تَعقِل إحدى يديها حتى تقف على ثلاث ، مأخوذ من صفن الفرس إذا ثنى إحدى يديه حتى يقف على ثلاث ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ وقال الشاعر[٢٢] :

(٢٢) هو امرؤ القيس والبيت في اللسان (صفن) وفتح القدير (٣/٤٥٤)

الف الصفون مما يزال كأنه   مما يقوم على الثلاث كسيراً

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي سقطت جنوبها على الأرض ، ومنه وجب الحائط إذا سقط ، ووجبت الشمس إذا سقطت للغروب ، وقال أوس بن حجر(٢٣) :

ألم تكسف الشمس ضوء النهار   والبدر للجبل الواجب

﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن أكله منها واجب إذا تطوع بها ، وهو قول أبي الطيب بن سلمة .

والثاني : وهو قول الجمهور أنه استحباب وليس بواجب ، وإنما ورد الأمر به لأنه بعد حظر ، لأنهم كانواْ في الجاهلية يحرمون أكلها على نفوسهم .

﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ فيهم أربعة تأويلات :

أحدها : أن القانع السائل ، والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل ، وهذا قول الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومنه قول الشماخ(٢٤) :

لمالُ المرء يصلحه فيغني   مفاقِرَه أعف من القُنُوع

أي من السؤال .

والثاني : أن القانع الذي يقنع ولا يسأل ، والمعتر الذي يسأل ، وهذا قول قتادة ، ومنه قول زهير :(٢٥)

على مكثريهم رزق من يعتريهم   وعند المقلين السماحةُ والبذلُ

والثالث : أن القانع المسكين الطوّاف ، والمعتر : الصديق الزائر ، وهذا قول زيد بن أسلم ، ومنه قول الكميت :

إما إعتياداً وإما اعترارا

والرابع : أن القانع الطامع ، والمعتر الذي يعتري البُدْنَ ويتعرض للحم لأنه

(٢٣) ديوانه :   واللسان (وجب) والطبري (١٧/١٦٦)
ورواية البيت في الديوان : ألم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب .

(٢٤) اللسان (قنع) ومجاز القرآن (٢/٥١) والطبري (١٧/١٦٨)، القرطبي (١٢/٦٤) زاد المسير (٥/٤٣٤) فتح القدير (٣/٤٥٤).

(٢٥) فتح القدير (٣/٤٥٤).

ليس عنده لحم ، وهذا قول عكرمة ، ومنه قول الشاعر :

على الطارق المعتر يا أم مالك إذا ما اعتراني بين قدري وصخرتي

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لن يقبل الله الدماء وإنما يقبل التقوىٰ ، وهذا قول علي بن عيسىٰ .

والثاني : معناه لن يصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها ، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا ذبحوا بُدنهم استقبلوا الكعبة بدمائها فيضجعونها نحو البيت ، فأراد المسلمون فعل ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُم** ﴾ أي يصعد إليه التقوى والعمل الصالح ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ **كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ** ﴾ أي ذللها لكم يعني الأنعام .

﴿ **لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني التسمية عند الذبح .

والثاني : لتكبروا عند الإحلال بدلاً من التلبية في الإحرام .

﴿ **عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ** ﴾ أي ما أرشدكم إليه من حجكم .

﴿ **وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ يحتمل وجهين .

أحدهما : بالقبول .

والثاني : بالجنة .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بالكفار عن المؤمنين ، وبالعصاة عن المطيعين ، وبالجهال عن العلماء .

والثاني : يدفع بنور السنة ظلمات البدعة ، قاله سهل بن عبد الله[٢٦] .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، وهذا قول ابن جريج .

الثاني : ولولا دفع الله عن الدين بالمجاهدين ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : ولولا دفع الله بالنبيين عن المؤمنين ، وهذا قول الكلبي .

والرابع : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله ﷺ عمن بعدهم من التابعين ، وهذا قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

والخامس : ولولا دفع الله بشهادة الشهود على الحقوق ، وهذا قول مجاهد .

والسادس : ولولا دفع الله على النفوس بالفضائل ، وهذا قول قطرب .

ويحتمل عندي تأويلاً سابعاً : ولولا دفع الله عن المنكر بالمعروف .

﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾ فيه قولان :

أحدها : أنها صوامع الرهبان ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنها مصلى الصابئين ، وهو قول قتادة .

(٢٦) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[٢٧]: « صَوْمَعَةُ الْمُؤْمِنِ بَيْتُه » وسميت صومعة لانضمام طرفيها ، والمنصمع : المنضم ، ومنه أذنٌ صمعاء .

﴿ وَبِيَعٌ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها بيع النصارىٰ ، وهو قول قتادة .

والثاني : أنها كنائس اليهود ، وهو قول مجاهد . والبيعة اسم أعجمي مُعَرَّب .

﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها كنائس اليهود يسمونها : صلوتا ، فعرب جمعها ، فقيل صلوات ، وهذا قول الضحاك .

والثاني : معناه : وتركت صلوات ، ذكره ابن عيسىٰ .

﴿ وَمَسَاجِدُ ﴾ المسلمين ، ثم فيه قولان :

أحدهما : لهدمها الآن المشركون لولا دفع الله بالمسلمين ، وهو معنى قول الضحاك .

والثاني : لهدمت صوامع في أيام شريعة موسىٰ ، وبيع في أيام شريعة عيسىٰ ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ ، وهذا قول الزجاج ، فكان المراد بهدم كل شريعة ، الموضع الذي يعبد الله فيه .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ

(٢٧) هذا الحديث اختلف في رفعه ووقفه والأشبه وقفه على أبي الدرداء. فقد رواه مرفوعاً الإمام العسكري كما أشار إلى ذلك صاحب كشف الخفا (٢/٣٢٢) ورواه موقوفاً بسند صحيح البيهقي في الزهد رقم (٢٨ ، ٢٣٣) وأحمد في الزهد ص ١٣٥ وهناد في الزهد ١١٢٣ والخطابي في العزلة ص ١٨ وابن أبي عاصم في الزهد ص ٣٦ وابن المبارك في زوائد الزهد ص ٤ ووكيع في الزهد (٢/٥١٦) وابن عساكر كما في كنز العمال (٣/٧٧٤).

ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني خالية من أهلها لهلاكها .

والثاني : غائرة الماء .

والثالث : معطلة من دلالتها[٢٨] وأرشيتها .

﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المشيد الحصين وهو قول الكلبي ، ومنه قول امرىء القيس[٢٩] :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أطماً إلا مشيراً بجندل

والثاني : أن المشيد الرفيع ، وهو قول قتادة ، ومنه قول عدي بن زيد[٣٠] :

شاده مرمراً وجلله كلـ ـساً فللطير في ذراه وُكورُ

والثالث : أن المشيد المجصص ، والشيد الجص ، وهو قول عكرمة ومجاهد ومنه قول الطرماح[٣١] :

كحية الماء بين الطين والشيد

وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : وقصر مشيد مثلها معطل ، وقيل إن القصر والبئر بحضرموت من أرض اليمن معروفان ، وقصر مشرف على قلة جبل ولا

(٢٨) كذا هنا والصواب دلائها جمع دلو وهو ما يحمل فيه الماء من البئر وأرشيتها جمع رشاء وهو حبل الدلو .

(٢٩) من معلقته المشهورة والبيت في مختار الشعر الجاهلي ٣٣ والطبري (١٨٢/١٧) .

(٣٠) فتح القدير (٤٥٩/٣) والطبري (١٨٢/١٧) .

(٣١) وصدر هذا البيت من الرجز: لا تحسبن وإن كنت أمرأ غمراً .
اللسان (شيد) ونسبه للشماخ بن ضرار، والبيت في فتح القدير أيضاً (٤٥٩/٣) والطبري (١٨١/١٧) .

يـرتقي إليه بحـال ، والبئر في سفحـه لا تقر الـريح شيئاً سقط فيها إلا أخـرجتـه ، وأصحـاب القصور ملوك الحضـر ، وأصحاب الآبـار ملوك البـوادي ، أي فـأهلكنـا هؤلاء وهؤلاء .

قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَـا ﴾ هذا يدل على أمرين : على أن العقل علم ، ويدل على أن محله القلب(٣٢) .

وفي قوله : ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ وجهان :

أحدهما : يعملون بها ، لأن الأعين تبصر والقلوب تصير(٣٣) .

﴿ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُـونَ بِهَـا ﴾ أي يفقهـون بهـا مـا سمعـوه من أخبـار القـرون السالفة .

﴿ فَـإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّـدُورِ ﴾ يحتمـل عندي وجهين :

أحـدهمـا : أنهـا لا تعمىٰ الأبصـار عن الهـدىٰ ولكن تعمىٰ القلوب عن الاهتداء .

والثـاني : فـإنهـا لا تعمىٰ الأبصـار عن الاعتبـار ولكن تعمىٰ القلوب عن الادّكار .

قال مجاهد : لكل إنسـان أربع أعين : عينـان في رأسه لـدنياه ، وعينـان في قلبه لآخرته ، فإن عميت عينـا رأسه وأبصـرت عينا قلبـه لم يضره عمـاه شيئاً ، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه لم ينفعه نظره شيئاً .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى وهو عبد الله بن زائدة .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ

---

(٣٢) وقيل إن العقل محله الـدماغ ولـه تعلق بالقلب ولا مـانع من ذلـك فإن القلب هـو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان محله خارجاً عنه فتح القدير (٣/ ٤٥٩) .

(٣٣) لاحظ أنه لا يذكر الوجه الثاني .

سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ يستبطئون نزوله بهم استهزاء منهم .

﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ ولن يؤخر عذابه عن وقته .

﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة ، قاله مجاهد .

الثاني : أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة .

الثالث : أن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك يوم النعيم .(٣٤)

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه تكذيبهم بالقرآن ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه عنادهم في الدين ، قاله الحسن .

﴿ مُعَجِزِينَ ﴾ قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وقرأ الباقون ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ فمن قرأ معجزين ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ ، وهو قول السدي .

(٣٤) الحجة في القراءات ص ٤٨ زاد المسير (٥ / ٤٤٠) .

الثاني : مثبطين في اتباع النبي ﷺ ، وهو قول مجاهد .

والثالث : مكذبين ، حكاه ابن شجرة .

الرابع : مَعَجزِينَ لمن آمن بإظهار تعجيزه في إيمانه .

ومن قرأ ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه :

أحدها : مشاققين ، قاله ابن عباس .

والثاني : متسارعين ، حكاه ابن شجرة .

والثالث : معاندين ، قاله قطرب .

والرابع : مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً ، قاله السدي .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِه ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني أنه إذا حدّث نفسه ألقىٰ الشيطان في نفسه ، قاله الكلبي .

الثاني : إذا قرأ ألقىٰ الشيطان في قراءته ، قاله قتادة ومجاهد ، قال الشاعر(٣٥) :

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادِرِ

﴿ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ . . . . ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الرسول والنبي واحد ، ولا فرق بين الرسول والنبي ، وإنما

(٣٥) مجاز القرآن (٢ / ٥٤) اللسان (منى) .

جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر ، والرسل تعم الملائكة والبشر .

والقول الثاني : أنهما مختلفان ، وأن الرسول أعلى منزلة من النبي .

واختلف قائل هذا في الفرق بين الرسول والنبي على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الرسول هو الذي تتنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي يوحىٰ إليه في نومه .

والثاني : أن الرسول هو المبعوث إلى أُمَّةٍ، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة ، قاله قطرب .

والثالث : أن الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة الله ، قاله الجاحظ .

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ﴾ أي يرفعه .

﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَاتِهِ ﴾ أي يثبتها . واختلف أهل التأويل فيما قرأه النبي ﷺ من ذلك على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه ألقاه الشيطان على لسانه فقرأه ساهياً .

الثاني : أنه كان ناعساً فألقاه الشيطان على لسانه فقرأه في نعاسه قاله قتادة .

الثالث : أن بعض المنافقين تلاه عن إغواء الشيطان فخيل للناس أنه من تلاوة رسول الله ﷺ ، حكاه ابن عيسىٰ .

الرابع : إنما قال : هي كالغرانيق العلا ـ يعني الملائكة ـ وأن شفاعتهم لترتجى ، أي في قولكم ، قاله الحسن .

سبب نزول هذه الآية ما روي أن[٣٦] النبي ﷺ لما نزلت عليه سورة النجم

---

(٣٦) هذه القصة معروفة عند العلماء بقصة الغرانيق وقد اختلف أهل العلم في صحتها وقبولها فبعضهم حكم عليها بالبطلان كالقاضي أبو بكر بن العربي وابن كثير والألوسي والشوكاني والبيهقي وابن إسحق وأبو منصور الماتريدي كما نقله الألوسي عنهم (١٧/ ١٧٧) وأثبت بعضهم بعض طرقها كالحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٤٣٩) وقال العلامة الألوسي رحمه الله (١٧/ ١٨٢) « ولعمري إن هذا القول بان هذا الخبر مما ألقاه الشيطان على ألسنة الرواة ثم وفق الله تعالى جمعاً من خاصة لإِبْطَالِهِ أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله ﷺ ثم نسخه سبحانه وتعالى لا سيما وهو لم يتوقف عليها حصول شبه في قلوب كثير من ضعفاء المؤمنين لا تكاد تدفع إلا =

قرأها في المسجد الحرام حتىٰ بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقىٰ الشيطان على لسانه «أولئك الغرانيق العلا. وأن شفاعتهن لترتجىٰ» ثم ختم السورة وسجد. وسجد معه المسلمون والمشركون ورفع الوليد بن المغيره تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، ورضي بذلك كفار قريش، وسمع بذلك من هاجر لأرض الحبشة. فأنكر جبريل على النبي ﷺ ما قرأه، وشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

قوله تعالى : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ فيه وجهان :

أولهما : محنة .

الثاني : اختباراً .

﴿ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي نفاق .

﴿ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني المشركين .

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لفي ضلال طويل ، قاله السدي .

الثاني : لفي فراق للحق بعيد إلى يوم القيامة ، قاله يحيى بن سلام .

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

= بجهد جهيد ويؤيد عدم الثبوت مخالفته لظواهر الآيات فقد قال سبحانه في وصف القرآن ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ اهـ. انظر التأويل الصحيح للآية في تفسير الطبري (١٧/ ١٩٠) وقد جمع العلامة الألباني طرق القصة وتكلم عليها تفصيلياً في رسالة بعنوان «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق»، فراجعها.

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ يعني في شك ﴿ مِّنْهُ ﴾ من القرآن ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ساعة القيامة على من يقوم عليه من المشركين ، قاله الحسن .

الثاني : ساعة موتهم .

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يوم القيامة ، قاله عكرمة ، والضحاك .

الثاني : يوم بدر ، قاله مجاهد ، وقتادة .

وفي العقيم وجهان :

أحدهما : أنه الشديد ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الذي ليس له مثيل ولا عديل . قال يحيى بن سلام : لقتال الملائكة فيه .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون العقيم هو الذي يجدب الأرض ويقطع النسل .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ الآية ، فيها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في قوم من مشركي قريش لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الثاني : أنها في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله فنزل ذلك فيهم ، حكاه ابن عيسى . ونصر الله في

الدنيا بالغلبة والقهر ، وفي الآخرة بالحجة والبرهان .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَّهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٦٤)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ
ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ (٦٦)

قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ** ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق اسم من أسمائه تعالى ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه ذو الحق ، قاله ابن عيسى .

الثالث : معناه أن عبادته حق وهو معنىٰ قول السدي .

﴿ **وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ** ﴾ فيه قولان .

أحدهما : الأوثان ، قاله الحسن .

الثاني : إبليس ، قاله قتادة .

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ
رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
(٦٨) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ
عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى : ﴿ مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه العيد ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : أنها المواضع المعتادة لمناسك الحج والعمرة ، قاله الفراء .

الثالث : المذبح ، قاله الضحاك .

الرابع : المنسك الْمُتَعَبد والنسك العِبَادَة ومنه سمي العَابِدُ ناسكاً ، قاله الحسن .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا
يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ ﴾ لأن حجج الله عليهم بضرب الأمثال لهم أقرب لأفهامهم : فإن قيل فأين المثل المضروب ؟ ففيه وجهان :

أحدهما : أنه ليس هنا مثل ومعنى الكلام أنهم ضربوا لله مثلاً في عبادته غيره ، قاله الأخفش .

الثاني : أنه ضرب مثلهم كمن عبد من لا يخلق ذباباً ، قاله ابن قتيبة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم الأوثان الذين عبدوهم من دون الله .

الثاني : أنهم السادة الذين صَرَفُوهُم عن طاعة الله .

الثالث : أنهم الشياطين الذين حملوهم على معصية الله .

﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ ﴾ ليعلمهم أن العبادة إنما تكون للخالق المنشىء دون المخلوق المنشأ ، وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته ، وسُمِّي ذباباً لأنه يُذَبُّ احتقاراً واستقذاراً .

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إفساده لثمارهم وطعامهم حتى يسلبهم إياها .

والثاني : أَلَمُهُ في قرض أبدانهم ، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يكونون آلهة معبودين وأرباباً مُطَاعين وهذا من أقوىٰ حجة وأوضح برهان .

ثم قال : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلمَطْلُوبُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون عائداً إلى العَابِد والمَعْبُود ، فيكون في معناه وجهان :

أحدهما : أن يكون عائداً إلى العابد والمعبود .

الثاني : قهر العابد والمعبود .

والاحتمال الثاني : أن يكون عائداً للسالب فيكون في معناه وجهان :

أحدهما : ضعف للسالب عن القدرة والمسلوب عن النُصْرَة .

الثاني : ضعف السالب بالمهانة والمسلوب بالاستكانة .

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : ما عظموه حق عظمته ، قاله الفراء .

الثاني : ما عرفوه حق معرفته ، قاله الأخفش .

الثالث : ما وصفوه حق صفته ، قاله قطرب . قال ابن عباس : نزلت في يهود المدينة حين قالواْ استراح الله في يوم السبت .

ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ

بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما بين أيديهم : ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء ، وما خلفهم : ما يكون بعد خلقهم ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : ما بين أيديهم : أول أعمالهم ، وما خلفهم آخر أعمالهم ، قاله الحسن .

الثالث : ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا ، قاله يحيى بن سلام .

ويحتمل رابعاً : ما بين أيديهم : من أمور السماء ، وما خلفهم : من أمور الأرض .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَجَاهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ قال السدي : اعملوا لله حق عمله ، وقال الضحاك أن يطاع فلا يعصىٰ ويُذْكر فلا يُنْسَىٰ ويُشْكر فلا يُكْفَر . وهو مثل قوله تعالى : ﴿ **اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

واختلف في نسخها على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿ **فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن : ١٦] .

والثاني : أنها ثابتة الحكم لأن حق جهاده ما ارتفع معه الحرج ، روى سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ دِيْنِكُمْ أَيْسَرَهُ »(٣٧).

﴿ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ ﴾ أي اختاركم لدينه .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يعني من ضيق ، وفيه خمسة أوجه :

أحدها : أنه الخلاص من المعاصي بالتوبة .

الثاني : المخرج من الأيمان بالكفارة .

الثالث : أنه تقديم الأهلة وتأخيرها في الصوم والفطر والأضحى ، قاله ابن عباس .

الرابع : أنه رخص السفر من القصر والفطر .

الخامس : أنه عام لأنه ليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من المأثم فيه .

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنه وسع عليكم في الدين كما وسع ملة أبيكم إبراهيم .

الثاني : وافعلوا الخير كفعل أبيكم إبراهيم .

الثالث : أن ملة إبراهيم وهي دينه لازمة لأمة محمد ﷺ ، وداخلة في دينه .

الرابع : أن علينا ولاية إبراهيم وليس يلزمنا أحكام دينه .

---

(٣٧) هذا الحديث الذي ذكره المؤلف مرسل لم أر من وصله . وقد ورد من حديث محجن بن الأدرع رواه أحمد (٤/٣٣٨) (٥/٣٢) والطيالسي (١٢٩٦) والبخاري في الأدب (٣٤١) وضعفه الحافظ العراقي في تخريج الاحياء .
وقد ورد الحديث من حديث أنس بزيادة رواه ابن عبد البر بسند ضعيف كما قال الحافظ العراقي ونقله في كشف الخفا (١/٣٩٢) وقال الحافظ الذهبي في الميزان منكر .
ولحديث محجن بن الأدرع شاهد آخر من حديث عمران بن حصين رواه الطبري في الكبير وقال تفرد به إسماعيل بن يزيد . وصححه الألباني بشواهده في صحيح الجامع (١/٦٢٥) ورمز له السيوطي في الجامع بالصحة .
(تنبيه :) لحديث محجن بن الأدرع طريق أخرى عند الطبري في الكبير قال المنادي في فيض القدير (٣/٤٨٩) نقلاً عن الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله سماكم المسلمين من قبل هذا القرآن وفي هذا القرآن ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني : أن إبراهيم سماكم المسلمين ، قاله ابن زيد احتجاجاً بقوله تعالىٰ : ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾[البقرة: ١٢٨].

﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربه إليكم ، وتكونوا شهداء على الناس تُبَلِغُونَهُم رسالة ربهم كما بلغتم إليهم ما بلغه الرسول إليكم .

الثاني : ليكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم وتكونوا شهداء على الناس بأن رُسُلَهُم قد بَلَّغُوهم .

﴿ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ﴾ يعني المفروضة .

﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَاةَ ﴾ يعني الواجبة .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : امتنعوا بالله ، وهو قول ابن شجرة .

والثاني : معناه تمسّكوا بدين الله ، وهو قول الحسن .

﴿ هُوَ مَوْلاَكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مَالِكُكُم .

الثاني : وليكم المتولي لأموركم .

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾أي فنعم المولىٰ حين لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه ، ونعم النصير حين أعانكم لما أطعتموه .

سورة المؤمنون

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه قد سعد المؤمنون ومنه قول لبيد[٣٨] :

فاعقلي إن كنت لم تعقلي   إنما أفلح من كان عقل

الثاني : أن الفلاح البقاء ومعناه قد بقيت لهم أعمالهم ، وقيل : إنه بقاؤهم في الجنة ، ومنه قولهم في الأذان : حي على الفلاح أي حي على بقاء الخير قال طرفة بن العبد :

أفبعدنا أو بعدهم . . . يرجى لغابرنا الفلاح

(٣٨) هو لبيد بن ربيعة وقد تقدم تخريج هذا البيت .

الثالث : أنه إدْراك المطالب قال الشاعر :

لو كان حي مدرك الفلاح — أدركه ملاعب الرماح

قال ابن عباس : المفلحون الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا .

روىٰ عمر بن الخطاب(٣٩) قال كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن يسمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل ، فنزل عليه يوماً فلما سرىٰ عنه استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال : « **اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تُنْقِصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا** » ، ثم قال : « **لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ** » ، ثم قرأ علينا ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ حتىٰ ختم العشر .

روى أبو عمران الجوني(٤٠) قال قيل لعائشة ما كان خُلُق رسول الله ﷺ ؟ ، قالت أتقرأون سورة المؤمنون ؟ قيل : نعم ، قالت اقرأوا فقرىء عليها ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ حتىٰ بَلَغَ ﴿ **يُحَافِظُونَ** ﴾ .

فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : خائفون ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

والثاني : خاضعون ، وهو قول ابن عيسىٰ .

والثالث : تائبون ، وهو قول إبراهيم .

---

(٣٩) رواه أحمد (١/ ٣٤) والترمذي (٢/ ١٤٦).
والحاكم (٢/ ٣٩٣) وقال الترمذي منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه .
وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي قائلاً سئل عبد الرزاق (أحد الرواة) عن شيخه ذا (وهو يونس بن سليم) فقال أظنه لا شيء وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٨٢) نسبته لعبد الرزاق والعقيلي وابن المنذر وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل والضياء في المختارة والنسائي ونقل الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٤٧٥) عن النسائي قوله لا نعرف أحداً رواه عن ابن شهاب إلا يونس بن سليم ويونس لا نعرفه .

(٤٠) القائل لعائشة هو يزيد بن بانيوس والراوي عنه أبو عمران الجوني والحديث رواه أحمد (٦/ ٩١ و١٦٣)والنسائي في التفسير كما نقله ابن كثير (٣/ ٢٣٧) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٨٢) نسبته لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

والرابع : أنه غض البصر ، وخفض الجناح ، قاله مجاهد .

الخامس : هو أن ينظر إلى موضع سجوده من الأرض ، ولا يجوز بصره مُصَلَّاهُ ، فقد روي أن النبي[٤١] ﷺ كان يرفع بصره إلى السماء فنزلت : ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ فصار لا يجوِّز بصره مُصَلَّاهُ .

فصار في محل الخشوع على هذه الأوجه قولان :

أحدهما : في القلب خاصة ، وهو قول الحسن وقتادة .

والثاني : في القلب والبصر ، وهو مقتضى قول مجاهد وإبراهيم .

قوله : ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن اللغو الباطل ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الكذب ، قاله السدي .

الثالث : أنه الحلف ، قاله الكلبي .

الرابع : أنه الشتم لأن كفار مكة كانوا يشتمون المسلمين فهو عن الإجابة ، حكاه النقاش .

الخامس : أنها المعاصي كلها ، قاله الحسن .

قوله : ﴿ **أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ** ﴾ روي عن النبي[٤٢] ﷺ أنه قال : « **مَا مِنْكُم إلَّا لَهُ مَنزِلَانِ: مَنزِلٌ فِي الجَنَّةِ وَمَنزِلٌ في النَّارِ ، فَإن مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ الجَنَّةَ ، وَرِثَ أَهْلُ النَّارِ مَنزِلَهُ ، فَذلِكَ قَولَه :** ﴿ **أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ** ﴾ » ، ثم بيَّن ما يرثون فقال :

﴿ **ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ** ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أنه اسم من أسماء الجنة ، قاله الحسن .

---

(٤١) رواه الحاكم (٣٩٣/٢) من حديث ابي هريرة وقال حديث صحيح لولا اختلاف فيه على محمد (يعني ابن سيرين) فقد قيل عنه مرسلاً ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله والصحيح أنه مرسل .
قلت وقد روى المرسل ابن جرير (١٨/٣) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٢٣٨/٣) .

(٤٢) رواه ابن جرير (١٨/٥ ، ٦) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٢٣٩/٣) وابن ماجه (٤٣٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وزاد السيوطي في الدر (٩٠/٦) نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث .

الثاني : أنه أعلى الجنان ، قاله قطرب .

الثالث : أنه جبل الجنة الذي تتفجر منه أنهار الجنة ، قاله أبو هريرة .

الرابع : أنه البستان وهو رومي معرب ، قاله الزجاج .

الخامس : أنه عربي وهو الكرم ، قاله الضحاك .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

قوله : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : آدم استل من طين ، وهذا قول قتادة ، وقيل : لأنه اسْتُلَ من قِبَل ربه .

والثاني : أن المعني به كل إنسان ، لأنه يرجع إلى آدم الذي(٤٣) خلق من سلالة من طين ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقيل : لأنه استل من نطفة أبيه ، والسلالة من كل شيء صفوته التي تستل منه ، قال الشاعر(٤٤) :

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراسٍ تجلّلها بغل

وقال الزجاج : السلالة القليل مما ينسل ، وقد تُسَمَّى المضغة سلالة والولد سلالة إما لأنهما صفوتان على الوجه الأول ، وإما لأنهما ينسلان على الوجه الثاني ،

(٤٣) قال ابن جرير (١٨/ ٨) وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه. . . «ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفة مائه وآدم هو الطين لأنه خلق منه».

(٤٤) وهي هند بنت النعمان والبيت في اللسان (سلل) والطبري (١٨/ ٨) وفيه وهل كنت إلا مهرة عربية. . . .

وكذا أوقع في فتح القدير (٣/ ٤٧٧).

وحكى الكلبي : أن السلالة الطين الذي إذا اعتصرته بين أصابعك خرج منه شيء ، ومنه قول الشاعر :

طوت أحشاء مرتجةٍ لوقت على مشج سلالته مهينُ

وحكىٰ أبان بن تغلب أن السلالة هي التراب واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت :

خلق البرية من سلالة منتن وإلى السلالة كلها ستعود

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ النطفة هي ماء الذكر الذي يعلق منه الولد ، وقد ينطلق اسم النطفة على كل ماء ، قال بعض شعراء هذيل :

وأنهما لحرّابا حروب وشرّابان بالنطف الظوامي

قوله تعالى : ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعني بالقرار الرحم ، ومكين : أي متمكن قد هيىء لاستقراره فيه .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ العلقة الدم الطري الذي خلق من النطفة سُمّيَ علقة لأنه أول أحوال العلوق .

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ وهي قدر ما يمضغ من اللحم .

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾ وإنما بين الله أن الإنسان تنتقل أحوال خلقه ليعلم نعمته عليه وحكمته فيه ، وإن بعثه بعد الموت حياً أهون من إنشائه ولم يكن شيئاً .(٤٥)

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني بنفخ الروح فيه ، وهذا قول ابن عباس والكلبي .

والثاني : بنبات الشعر ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أنه ذكر أو أنثىٰ ، وهذا قول الحسن .

والرابع : حين استوىٰ به شبابه ، وهذا قول مجاهد .

ويحتمل وجهاً خامساً : أنه بالعقل والتمييز .

---

(٤٥) هو الشماخ بن ضرار والبيت في اللسان (سلل) .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس[٤٦] أنه لما نزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ . قال عمر بن الخطاب : فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

قوله : ﴿ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي سبع سموات ، وفي تسميتها طرائق ثلاثة أوجه :

أحدها : لأن كل طبقة على طريقة من الصنعة والهيئة .

الثاني : لأن كل طبقة منها طريق الملائكة ، قاله ابن عيسىٰ .

الثالث : لأنها طباق بعضها فوق بعض ، ومنه أخذ طراق الفحل إذا أطبق عليها ما يمسكها ، قاله ابن شجرة ، فيكون على الوجه الأول مأخوذاً من التطرق ، وعلى الوجه الثاني مأخوذاً من التطارق .

﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : غافلين عن حفظهم من سقوط السماء عليهم ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : غافلين عن نزول المطر من السماء عليهم ، قاله الحسن .

الثالث : غافلين ، أي عاجزين عن رزقهم ، قاله سفيان بن عيينة .

وتأول بعض المتعمقة في غوامض المعاني سبع طرائق : أنها سبع حجب بينه وبين ربه ، الحجاب الأول قلبه ، الثاني جسمه ، الثالث نفسه ، الرابع عقله ، الخامس علمه ، السادس إرادته ، السابع مشيئته توصله إن صلحت وتحجبه إن فسدت ، وهذا تكلف بعيد[٤٧] .

---

(٤٦) رواه ابن مردويه والطبراني كما في الدر (٦/٩٤) وقد رواه مطولاً ابن أبي حاتم ونقله عنه ابن كثير (٣/٢٤١) .

وقد ورد عن معاذ مثل قول عمر رواه الطبراني وابن راهويه وابن المنذر وابن مردويه قال الهيثمي في المجمع (٨/٧٢) فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح وقال الشوكاني (٣٠/٤٩٠) في اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف جداً وقال ابن كثير (٣/٢٤١) وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك أن السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة والله أعلم .

(٤٧) وقد أحسن المؤلف صنعاً بالتعقيب على هذا التأويل .

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾
فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ
لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ هي شجرة الزيتون ، وخصت بالذكر لكثرة منفعتها وقلة تعاهدها .

وفي طور سيناء خمسة تأويلات :

أحدها : أنه سيناء البركة فكأنه قال جبل البركة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

الثاني : أنه الحسن المنظر ، قاله قتادة ..

الثالث : أنه الكثير الشجر ، قاله ابن عيسى .

الرابع : أنه اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ ، قاله أبو عبيدة .

الخامس : أنه المرتفع مأخوذ من النساء ، وهو الارتفاع فعلى هذا التأويل يكون إسماً عربياً وعلى ما تقدم من التأويلات يكون إسماً أعجمياً واختلف القائلون بأعجميته على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سرياني ، قاله ابن عباس .

الثاني : نبطي .

الثالث : حبشي .

﴿ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ اختلف في الدهن هنا على قولين :

أحدهما : أن الدهن هنا المطر اللين ، قاله محمد بن درستويه ، ويكون دخول الباء تصحيحاً للكلام .

الثاني : أنه الدهن المعروف أي بثمر الدهن .

وعلى هذا اختلفوا في دخول الباء على وجهين :

أحدهما : أنها زائدة وأنها تنبت الدهن ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٤٨) :

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

فكانت الباء في بالفرج زائدة كذلك في الدهن وهي قراءة ابن مسعود .

الثاني : أن الباء أصل وليست بزائدة ، وقد قرىء تنبت بالدهن بفتح التاء الأولىٰ إذا كانت التاء أصلاً ثابتاً . فإن كانت القراءة بضم التاء الأولىٰ فمعناه تنبت وينبت بها الدهن ومعناهما إذا حقق متقارب وإن كان بينهما أدنىٰ فرق . وقال الزجاج : معناه ينبت فيها الدهن ، وهذه عبرة : أن تشرب الماء وتخرج الدهن .

﴿ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ أي إدام يصطبغ به الآكلون . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال(٤٩): « **الزَّيتُ مِنْ شَجَرةٍ مُبَارَكَةٍ فَائْتَدِمُواْ بِهِ وَادَّهِنُوا** » وقيل إن الصبغ ما يؤتدم به سوى اللحم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

(٤٨) هو نابغة بني جعدة والبيت في خزانة الأدب (٤/١٦٠) والطبري (١٨/٤) وفتح القدير (٤٧٨/٣) وشطره .

نحن بنو جعدة أرباب الفلج. ووقع في الطبري نضرب بالبيض بدلاً من السيف

(٤٩) أورده المؤلف هنا وقدم وأخر فيه والحديث لفظه ائتدموا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة .

رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩٥٦٨) وابن ماجه (٣٣١٩) والحاكم (١٢٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي وزاد ابن القيم في الزاد (٣١٧/٤) نسبته للبيهقي وقال الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد رجاله ثقات .

وقد ورد الحديث من حديث عمر بلفظ كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة رواه الترمذي (٣٤٠/١) وابن ماجه (٣٣١٩) والحاكم (١٢٢/٢) وله شاهد من حديث أبي سعيد رواه الدارمي (١٠٢/٢) والحاكم (٣٩٨/٢ / ٣٩٩) وأحمد (٤٩٧/٣) وصححه الألباني بشواهده في السلسلة رقم ٣٧٩ راجع فوائد الزيت في زادالمعاد(٣١٦/٤ ـ ٣١٨) .

قوله عز وجل : ﴿ **مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما سمعنا بمثل دعوته .

والثاني : ما سمعنا بمثله بشراً أتىٰ برسالة من ربه .

وفي أبائهم الأولين وجهان :

أحدهما : أنه الأب الأدنىٰ ، لأنه أقرب ، فصار هو الأول .

والثاني : أنه الأب الأبعد لأنه أوّل أبٍ وَلدَك .

﴿ **فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حتى يموت .

الثاني : حتى يستبين جنونه .

قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ
وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم
مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾

قوله : ﴿ **وَفَارَ التَّنُّورُ** ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : تنور الخابزة ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه آخر مكان في دارك ، قاله أبو الحجاج .

الثالث : أنه طلوع الفجر، قاله علي رضي الله عنه .

الرابع : أنه مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لاشتداد الأمر كما قال النبي ﷺ(٥٠) : « **الآن حَمِيَ الوَطِيسُ** » قاله ابن بحر .

---

(٥٠) جزء من حديث رواه مسلم كتاب الجهاد رقم ٧٦ وأحمد (١ /٢٠٧) من حديث .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ قراءة الجمهور بضم[٥١] الميم وفتح الزاي ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي والفرق بينهما أن المُنزَلَ بالضم فعل النزول وبالفتح موضع النزول .

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ في ذلك قولان :

أحدهما : أن نوحاً قال ذلك عند نزوله في السفينة فعلى هذا يكون قوله مباركاً يعني بالسلامة والنجاة .

الثاني : أنه قاله عند نزوله من السفينة ، قاله مجاهد . فعلى هذا يكون قوله مباركاً يعني بالماء والشجر .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يموت منا قوم ويحيا منا قوم ، قاله ابن عيسى .

الثاني : يموت قوم ويولد قوم ، قاله يحيى بن سلام . قال الكلبي : يموت الآباء ويحيا الأبناء .

(٥١) راجع الحجة في القراءات ص ٤٨٦ ، زاد المسير (٥/٤٧١) .

الثالث : أنه مقدم ومؤخر معناه نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين ، قاله ابن شجرة .

قوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً ﴾ أي هلكىٰ كالغثاء، وفي الغثاء ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه البالي من الشجر ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : ورق الشجر إذا وقع في الماء ثم جف ، وهذا قول قطرب .

والثالث : هو ما احتمله الماء من الزبد والقذىٰ ، ذكره ابن شجرة وقاله الأخفش .

﴿ فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فبعداً لهم من الرحمة كاللعنة ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : فبعداً لهم في العذاب زيادة في الهلاك ، ذكره أبو بكر النقاش .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

قوله : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : متواترين يتبع بعضهم بعضاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

الثاني : منقطعين بين كل إثنين دهر طويل وهذا تأويل من قرأ بالتنوين(٥٢) ، وفي اشتقاق تترىٰ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مشتق من وتر القوس لاتصاله بمكانه منه ، قاله ابن عيسىٰ ، وهو اشتقاقه على القول الأول .

الثاني : أنه مشتق من الوتر وهو الفرد لأن كل واحد بعد صاحبه فرد ، قاله الزجاج ، وهو اشتقاقه على التأويل الثاني :

الثالث : أنه مشتق من التواتر ، قاله ابن قتيبة ويحتمل اشتقاقه التأويلين معاً .

(٥٢) وهي قراءة ابن كثير وابي عمر «الحجة ص ٤٨٧».

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله : ﴿ قَوْماً عَالِينَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : متكبرين ، قاله المفضل .

الثاني : مشركين ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : قاهرين ، قاله ابن عيسىٰ .

الرابع : ظالمين ، قاله الضحاك .

قوله : ﴿ . . . وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : مطيعون ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : خاضعون ، قاله ابن شجرة.

الثالث : مستبعدون ، قاله يحيى بن سلام .

الرابع : ما قاله الحسن كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وكان فرعون يعبد الأصنام .

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ﴾ فآيته أن خلق من غير ذكر وآيتها أن حملت من غير بعل ، ثم تكلم في المهد فكان كلامه آية له ، وبراءة لها .

﴿ وَءَاوَيْنَاهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ الآية . الربوة ما ارتفع من الأرض وفيه قولان :

أحدهما : أنها لا تسمى ربوة إلا إذا اخضرت بالنبات وربت ، وإلاّ قيل نشز اشتقاقاً من هذا المعنى واستشهاداً بقول الله تعالى : ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ويقول الشاعر:

طوى نفسه طيّ الحرير كأنه　　حوى جنة في ربوة وهو خاشع

الثاني : تسمى ربوة وإن لم تكن ذات نبات قال امرؤ القيس :

فكنت هميداً تحت رمس بربوة تعاورني ريحٌ جنوب وشمألُ

وفي المراد بها هنا أربعة أقاويل :

أحدها : الرملة ، قاله أبو هريرة .

الثاني : دمشق ، قاله ابن جبير .

الثالث : مصر ، قاله ابن زيد .

الرابع : بيت المقدس . قاله قتادة ، قال كعب الأحبار ، هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً .

وفي : ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : ذات استواء ، قاله ابن جبير .

الثاني : ذات ثمار ، قاله قتادة .

الثالث : ذات معيشة تقرهم ، قاله الحسن .

الرابع : ذات منازل تستقرون فيها ، قاله يحيى بن سلام .

وفي ﴿ مَعِينٍ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه الجاري ، قاله قتادة .

الثاني : أنه الماء الطاهر ، قاله عكرمة ومنه قول جرير :

إن الذين غروا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا

أي ظاهراً ، وفي اشتقاق المعين ثلاثة أوجه :

أحدها : لأنه جار من العيون، قاله ابن قتيبة فهو مفعول من العيون .

الثاني : أنه مشتق من المعونة .

الثالث : من الماعون .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ
حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا

﴿نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦﴾

قوله : ﴿ وإنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : دينكم دين واحد ، قاله الحسن ، ومنه قول الشاعر[٥٣] :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وهل يأتَمن ذو أمة وهو طائع

الثاني : جماعتكم جماعة واحدة ، حكاه ابن عيسىٰ .

الثالث : خلقكم خلق واحد .

قوله : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ففرقوا دينهم بينهم قاله الكلبي .

الثاني : انقطع تواصلهم بينهم . وهو محتمل .

﴿ زُبُراً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني قطعاً وجماعات ، قاله مجاهد ، والسدي ، وتأويل من قرأ[٥٤] بفتح الباء .

الثاني : يعني ، كتباً ، قاله قتادة ، وتأويل من قرأ بضم الباء ومعناه ، أنهم تفرقوا الكتب ، فأخذ كل فريق منهم كتاباً ، آمن به وكفر بما سواه .

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : كل حزب بما تفردوا به من دين وكتاب فرحون .

والثاني : كل حزب بما لهم من أموال وأولاد فرحون .

وفي فرحهم وجهان :

أحدهما : أنه سرورهم .

والثاني : أنها أعمالهم .

قوله عز وجل : ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ فيها أربعة تأويلات :

أحدها : في ضلالتهم ، وهو قول قتادة .

---

(٥٣) هو النابغة الذبياني والبيت في ديوانه : ٣٥ ، فتح القدير (٣/٤٨٦) .

(٥٤) وهي قراءة ابن عباس وأبي عمر الجوني وفيها قراءات أخرى راجعها في زاد المسير (٥/٤٧٨) .

والثاني : في عملهم ، وهو قول يحيى بن سلام .

والثالث : في حيرتهم ، وهو قول ابن شجرة .

والرابع : في جهلهم ، وهو قول الكلبي .

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : حتى الموت .

والثاني : حتى يأتيهم ما وعدوا به ، وهو يوم بدر .

والثالث : أنه خارج مخرج الوعيد كما تقول للتوعد : لك يوم ، وهذا قول الكلبي .

قوله عز وجل : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ أي نعطيهم ونزيدهم من أموال وأولاد .

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نجعله في العامل خيراً .

والثاني : أنما نريد لهم بذلك خيراً .

﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بل لا يشعرون أنه استدراج .

والثاني : بل لا يشعرون أنه اختبار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني الزكاة .

الثاني : أعمال البر كلها .

﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي خائفة .

قال بعض أصحاب الخواطر : وجل العارف من طاعته أكثر من وجلِه من مخالفته لأن المخالفة تمحوها التوبة ، والطاعة تطلب لتصحيح الغرض .

﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يخافون ألا ينجوا من عذابه إذا قدموا عليه .

الثاني : يخافون أن لا تقبل أعمالهم إذا عرضت عليهم . روته عائشة مرفوعاً(٥٥) .

قوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يستكثرون منها لأن المسارع مستكثر .

الثاني : يسابقون إليها لأن المسارع سابق .

﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وهم بها سابقون إلى الجنة .

الثاني : وهم إلى فعلها سابقون .

وفيه وجه ثالث : وهم لمن تقدمهم من الأمم سابقون . قاله الكلبي .

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

---

(٥٥) أخرجه ابن جرير (٢٦/١٨) وأحمد (١٥٩/٦/ ٢٠٥) والحاكم (٣٩٣/٢ ـ ٣٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، والترمذي (٢٠١/٢)وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٢ وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٠٥/٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان من حديث عائشة ولفظ الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات .

قوله عز وجل : ﴿ **بَلْ قُلُوبُهُم فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هٰذا** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في غطاء ، قاله ابن قتيبة .

والثاني : في غفلة قاله قتادة .

﴿ **مِنْ هٰذا** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من هذا القرآن ، وهو قول مجاهد .

الثاني : من هذا الحق ، وهو قول قتادة .

﴿ **وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خطايا [يعملونها] من دون الحق ، وهو قول قتادة .

الثاني : أعمال [رديئة] لم يعملوها وسيعملونها ، حكاه يحيى بن سلام .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : أنه ظلم المخلوقين مع الكفر بالخالق .

قوله عز وجل : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ** ﴾ فيهم وجهان :

أحدهما : أنهم الموسع عليهم بالخصب ، قاله ابن قتيبة .

والثاني : بالمال والولد ، قاله الكلبي ، فعلى الأول يكون عامّاً وعلى الثاني يكون خاصاً .

﴿ **إِذَا هُم يَجْأَرُونَ** ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يجزعون ، وهو قول قتادة .

الثاني : يستغيثون ، وهو قول ابن عباس .

والثالث : يصيحون ، وهو قول علي بن عيسىٰ .

والرابع : يصرخون إلى الله تعالى بالتوبة ، فلا تقبل منهم ، وهو قول الحسن . قال قتادة نزلت هذه الآية في قتلىٰ بدر ، وقال ابن جريج ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ** ﴾ هم الذين قتلواْ ببدر .

قوله عز وجل : ﴿ **وَكُنتُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ** ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تستأخرون ، وهو قول مجاهد .

والثاني : تكذبون .

والثالث : رجوع القهقرى . ومنه قول الشاعر[٥٦]:

زعموا أنهم على سبل الحق وأنا نكص على الأعقاب

وهو أي النكوص ، موسع هنا ومعناه ترك القبول .

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي بحرمة الله ، ألا يظهر عليهم فيه أحد ،وهو قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

ويحتمل وجهاً آخر : مستكبرين بمحمد أن يطيعوه ، وبالقرآن أن يقبلوه .

﴿ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ سامر فاعل من السمر . وفي السمر قولان :

أحدهما : أنه الحديث ليلاً ، قاله الكلبي ، وقيل به : سمراً تهجرون .

والثاني : أنه ظل القمر ، حكاه ابن عيسى ، والعرب تقول حلف بالسمر والقمر أي بالظلمة والضياء ، لأنهم يسمرون في ظلمة الليل وضوء القمر ، والعرب تقول أيضاً : لا أكلمه السمر والقمر ، أي الليل والنهار ، وقال الزجاج ومن السمر أخذت سمرة اللون . وفي ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ وجهان :

أحدهما : تهجرون الحق بالإعراض عنه ، قاله ابن عباس .

والثاني : تهجرون في القول بالقبيح من الكلام، قاله ابن جبير ، ومجاهد . وقرأ نافع ﴿ تُهْجِرُونَ ﴾ بضم التاء[٥٧] وكسر الجيم وهو من هجر القول . وفي مخرج هذا الكلام قولان :

أحدهما : إنكار تسامرهم بالإزراء على الحق مع ظهوره لهم .

الثاني : إنكاراً منهم حتى تسامروا في ليلهم والخوف أحق بهم .

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

---

(٥٦) فتح القدير (٣/٤٩٠) .

(٥٧) الحجة في القراءات ٤٨٩ ، زاد المسير (٥/٤٨٣) .

فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ
تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞
وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

قوله : ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ في الحق هنا قولان :

أحدهما : أنه الله ، قاله الأكثرون .

الثاني : أنه التنزيل أي لو نزل بما يريدون لفسدت السمٰوات والأرض .

وفي اتباع أهوائهم قولان :

أحدهما : لو اتبع أهواءهم فيما يشتهونه .

الثاني : فيما يعبدونه .

﴿ **لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لفسد تدبير السمٰوات والأرض ، لأنها مدبرة بالحق لا بالهوىٰ .

الثاني : لفسدت أحوال السمٰوات والأرض لأنها جارية بالحكمة لا على الهوىٰ .

﴿ **وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ أي ولفسد من فيهن ، وذلك إشارة إلى من يعقل من ملائكة السمٰوات وإنس الأرض ، وقال الكلبي : يعني ما بينهم من خلق ، وفي قراءة ابن مسعود لفسدت السمٰوات والأرض وما بينهما ، فتكون على تأويل الكلبي ، وقراءة ابن مسعود ، محمولاً على فساد ما لا يعقل من حيوان وجماد ، وعلى ظاهر التنزيل في قراءة الجمهور يكون محمولاً على فساد ما يعقل وما لا يعقل من الحيوان ، لأن ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد ، فعلى هذا يكون من الفساد ما يعود على من في السمٰوات من الملائكة بأن جعلت أرباباً وهي مربوبة ، وعبدت وهي مستعبدة .

وفساد الإنس يكون على وجهين:

أحدهما : باتباع الهوىٰ . وذلك مهلك .

الثاني : بعبادة غير الله . وذلك كفر .

وأما فساد الجن فيكون بأن يطاعوا فيطغوا .

وأما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه التبع لأنهم مدبرون بذوي العقول . فعاد فساد المدبرين عليهم .

﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عنى ببيان الحق لهم ، قاله ابن عباس .

الثاني : بشرفهم لأن الرسول ﷺ منهم . والقرآن بلسانهم ، قاله السدي ، وسفيان .

ويحتمل ثالثاً : بذكر ما عليهم من طاعة ولهم من جزاء .

﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فهم عن القرآن معرضون ، قاله قتادة .

الثاني : عن شرفهم معرضون ، قاله السدي .

قوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً ﴾ يعني أمراً .

﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فرزق ربك في الدنيا خير منهم ، قاله الكلبي .

الثاني : فأجر ربك في الآخرة خيرٌ منه ، قاله الحسن .

وذكر أبو عمرو بن العلاء الفرق بين الخرج والخراج فقال : الخرج من الرقاب : والخراج من الأرض .

قوله : ﴿ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لعادلون ، قاله ابن عباس .

الثاني : لحائدون ، قاله قتادة .

الثالث : لتاركون، قاله الحسن .

الرابع : لمعرضون ، قاله الكلبي ، ومعانيها متقاربة .

وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا
عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه دعاء النبي ﷺ(٥٨) عليهم فقال : « **اللَّهُمّ اجْعَلْهَا عَلَيهِم سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ فَقَحَطُوا سَبْعَ سِنِينَ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعَلْهَزَ مِنَ الجُوعِ وَهُوَ الوَبَرُ بِالدَّمِ** » ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه قتلهم بالسيف يوم بدر ، قاله ابن عباس .

الثالث : يعني باباً من عذاب جهنم في الآخرة ، قاله بعض المتأخرين .

﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ قد مضىٰ تفسيره .

قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَ ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خلقكم ، قاله الكلبي ويحيى بن سلام .

الثاني : نشركم ، قاله ابن شجرة .

قوله : ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بالزيادة والنقصان .

الثاني : تكررهما يوماً بعد ليلة وليلة بعد يوم .

ويحتمل ثالثاً : اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاء وضلال وهدىٰ .

(٥٨) هذا الحديث مرسل وأصله في الصحيحة موصولاً وقد تقدم تخريجه في سورة البقرة، عند قوله تعالى ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ . . . الآية .

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ
تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

قوله : ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خزائن كل شيء ، قاله مجاهد .

الثاني : ملك كل شيء ، قاله الضحاك . والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت .

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي يمنع ولا يُمنع منه ، فاحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : في الدنيا ممن أراد هلاكه لم يمنعه منه مانع ، ومن أراد نصره لم يدفعه من نصره دافع .

الثاني : في الآخرة لا يمنعه من مستحقي الثواب مانع ولا يدفعه من مستوجب العذاب دافع .

﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بالبعث.

الثاني : فكيف تكذبون فيخيل لكم الكذب حقاً .

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾

قوله : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : بالإغضاء والصفح عن إساءة المسيء ، قاله الحسن .

الثاني : إدفع الفحش بالسلام ، قاله عطاء والضحاك .

الثالث : ادفع المنكر بالموعظة ، حكاه ابن عيسىٰ .

الرابع : معناه امسح السيئة بالحسنة وهذا قول ابن شجرة .

الخامس : معناه قابل أعداءك بالنصيحة وأولياءك بالموعظة . وهذا وإن كان خطاباً له عليه السلام فالمراد به جميع الأمة .

قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : من نزغات .

الثاني : من إغواء .

الثالث : أذاهم .

الرابع : الجنون .

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أي يشهدوني ويقاربوني وفيه وجهان :

أحدهما : في الصلاة عند تلاوة القرآن . قال الكلبي .

والثاني : في أحواله كلها ، وهذا قول الأكثرين .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾

قوله : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ الآية . أي من أمامهم برزخ[٥٩]، البرزخ الحاجز ومنه قوله تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[الرحمن: ٢٠] وفيه خمسة أقاويل .

أحدها : أنه حاجز بين الموت والبعث، قاله ابن زيد .

(٥٩) وقد تقدم أنه قد تأتي وراء بمعنى أمام .

الثاني : حاجز بين الدنيا والآخرة . قاله الضحاك .

الثالث : حاجز بين الميت ورجوعه للدنيا . قاله مجاهد .

الرابع : أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة ، حكاه ابن عيسىٰ .

الخامس : هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة ، قاله الكلبي .

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا
كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

قوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي لا يتعارفون للهول الذي قد أذهلهم .

الثاني : أنهم لا يتواصلون عليها ولا يتقابلون بها مع تعارفهم لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ الآية [عبس : ٣٤]

﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يتساءلون أن يحمل بعضهم عن بعض ، أو يعين بعضهم بعضاً ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبره لانشغال كل واحد بنفسه قاله ابن عيسىٰ .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا
شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله : ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الهوىٰ .

الثاني : حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق .

قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ
ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه اصغروا والخاسىء الصاغر ، قاله الحسن ، والسدي .

الثاني : أن الخاسىء الساكت الذي لا يتكلم ، قاله قتادة .

الثالث : ابعدوا بعد الكلب ، قاله ابن عيسىٰ .

﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا تكلمون في دفع العذاب عنكم .

الثاني : أنهم زجروا عن الكلام ، غضباً عليهم . قاله الحسن ، فهو آخر كلام يتكلم به أهل النار .

﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ قرأ بضم السين نافع[٦٠]، وحمزة ، والكسائي . وقرأ الباقون بكسرها . واختلف في الضم والكسر على قولين :

أحدهما : أنهما لغتان ، ومعناهما سواء وهما من الهزء .

الثاني : أنها بالضم من السُخرة والاستعباد وبالكسر من السخرية والاستهزاء .

قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ
ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ
أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ

(٦٠) الحجة في القراءات ص ٤٩١، ٤٩٢ ،زاد المسير (٥/ ١٩٣).

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾

قوله : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا ، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، استقلالاً لحياتهم في الدنيا لطول لبثهم في عذاب جهنم .

الثاني : أنه سؤال لهم عن مدة لبثهم في القبور وهي حالة لا يعلمونها فأجابوا بقصرها لهجوم العذاب عليهم ، وليس بكذب منهم لأنه إخبار عما كان عندهم .

﴿ فَاسْئَلِ ٱلْعَادِّينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الملائكة ، قاله مجاهد .

الثاني : الحُسّابُ ، قاله قتادة .

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قوله : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه ليس له برهان ولا صحة بأن مع الله إلٰهاً آخر .

الثاني : أن هذه صفة الإلٰه الذي يدعى من دون الله أن لا برهان له .

﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني أن محاسبته عند ربه يوم القيامة .

الثاني : أن مكافأته على ربه والحساب المكافأة ، ومنه قولهم حسبي الله . أي كفاني الله تعالىٰ . والله أعلم وأحكم .

سورة النور

آياتها ٦٤ — ترتيبها ٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا** ﴾ أي هذه سورة أنزلناها ويحتمل أن يكون قد خصها بهذا الافتتاح لأمرين :

أحدهما : أن المقصود الزجر والوعيد فافتتحت بالرهبة كسورة التوبة .

الثاني : أن فيها تشريفاً للنبي ﷺ بطهارة نسائه فافتتحت بذكر والسورة اسم للمنزلة الشريفة ولذلك سميت السورة من القرآن سورة قال الشاعر(٦١) :

ألم تَرَ أنَّ اللَّهَ أعْطَاكَ سُورةً ... ترىٰ كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ

﴿ **وَفَرَضْنَاهَا** ﴾ فيه قراءتان بالتخفيف وبالتشديد(٦٢) :

فمن قرأ بالتخفيف ففي تأويله وجهان :

أحدهما : فرضنا فيها إباحة الحلال وحظر الحرام ، قاله مجاهد .

(٦١) هو النابغة الذبياني والبيت تقدم تخريجه ونسبه في فتح القدير (٤/٣) لزهير فأخطأ .

(٦٢) وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو ، راجع الحجة في القراءات ص ٤٩٤ .

الثاني : قدرنا فيها الحدود من قوله تعالى : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ أي [البقرة: ٢٣٧] أي قدرتم، قاله عكرمة.

ومن قرأ بالتشديد ففي تأويله وجهان :

أحدهما : معناه تكثير ما فرض فيها من الحلال والحرام ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : معناه بيناها ، قاله ابن عباس .

﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها الحجج الدالة على توحيده ووجوب طاعته .

الثاني : أنها الحدود والأحكام التي شرعها .

قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وإنما قدم ذكر الزانية على الزاني لأمرين :

أحدهما : أن الزنى منها أعرُّ ، وهو لأجل الحَبَل أضر .

الثاني : أن الشهوة فيها أكثر وعليها أغلب ، وقدر الحد فيه بمائة جلدة من الحرية والبكارة ، وهو أكثر حدود الجلد ، لأن فعل الزنى أغلظ من القذف بالزنى ، وزادت السنة على الجلد بتغريب عام بعده ، لقول رسول الله ﷺ(٦٣) : « خُذُواْ عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مَائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ». ومنع العراقيون من التغريب اقتصاراً على الجلد وحده ، وفيه دفع السنة والأثر(٦٤). والجلد مأخوذ من وصول الضرب إلى الجلد. فأما المحصنان فحدهما الرجم بالسنة إما بياناً لقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٥] على قول فريق، وإما ابتداء فرض على قول آخرين. وروىٰ زر بن حبيش عن أُبَيٍّ أن في مصحفه من سورة الأحزاب ذكر الرجم(٦٥): «إِذَا زَنَىٰ الشَّيخُ وَالشَّيخَةُ فَارْجُمُوهُمَا البَتَّةَ نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

---

(٦٣) رواه مسلم (١٦٩٠) وأبو داود (٤٤١٥) (٤٤١٦) وأحمد (١٣/٥) والترمذي (١٤٣٤).

(٦٤) العبرة في الاستدلال بكتاب الله ثم السنة النبوية الشريفة ثم إجماع المسلمين والقياس فهذه هي مصادر التشريع الإسلامية فلا يرد حديث النبي ﷺ بالقياس فهذا الأمر لا يستقيم في شرع الله أبداً.

(٦٥) وإن مما يندى له الجبين أن هذا الحكم المنزل من الله تعالى لم يطبق إلى الآن في بعض الأقطار=

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ أي في طاعة الله ، وقد يعبر بالدين عن الطاعة .

﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ﴾ أي إن كنتم تقيمون طاعة الله قيام من يؤمن بالله واليوم الآخر ، والرأفة الرحمة ولم ينه عنها لأن الله هو الذي يوقعها في القلوب وإنما نهىٰ عما تدعو الرحمة إليه ، وفيه قولان :

أحدهما : أن تدعوه الرحمة إلى إسقاط الحد حتى لا يقام ، قاله عكرمة .

الثاني : أن تدعوه الرحمة إلى تخفيف الضرب حتىٰ لا يؤلم ، قاله قتادة . واستنبط هذا المعنىٰ الجنيد فقال : الشفقة على المخالفين كالإعراض عن المواقعين ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ يعني بالعذاب الحد يشهده عند الإقامة طائفة من المؤمنين ، ليكونوا زيادة في نكاله وبينة على إقامة حده واختلف في عددهم على أربعة أقاويل :

أحدها : أربعة فصاعداً ، قاله مالك والشافعي .

الثاني : ثلاثة فصاعداً ، قاله الزهري .

الثالث : اثنان فصاعداً ، قاله عكرمة .

الرابع : واحد فصاعداً ، قاله الحسن ، وإبراهيم .

ولما شرط الله إيمان من يشهد عذابهما ، قال بعض أصحاب الخواطر : لا يشهد مواضع التأديب إلا من لا يستحق التأديب .

ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً . . . ﴾ الآية . فيه خمسة أوجه :

= الإسلامية بل والأدهى من ذلك أن قوانين الشرق والغرب التي هي من صنع البشر ومن أهوائهم أقول الأدهى أنها حلّت محل هذا الحكم المشار إليه نسأل الله تعالى أن يهدي قومنا للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أحدها : أنها نزلت مخصوصة في رجل من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت من بغايا الجاهلية من ذوات الرايات وشرطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية فيه وفيها قاله عبد الله(٦٦) بن عمرو ، ومجاهد(٦٧) .

الثاني : أنها نزلت في أهل الصفة ، وكانوا قوماً من المهاجرين فقراء ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر ، فنزلوا صفة المسجد ، وكانوا نحو أربعمائة رجل يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون إلى الصفة في الليل ، وكان بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور مما يصيب الرجال بالكسوة والطعام ، فهمَّ أهل الصفة أن يتزوجوهن ليأووا إلى مساكنهن وينالوا من طعامهن وكسوتهن فنزلت فيهن هذه الآية ، قاله أبو صالح .

الثالث : معناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان ، قاله ابن عباس(٦٨) .

الرابع : أنه عامٌّ في تحريم نكاح الزانية على العفيف ونكاح العفيفة على الزاني ثم نسخ بقوله تعالى : ﴿ **فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ [النساء : ٣] قاله ابن المسيب.

الخامس : أنها مخصوصة في الزاني المحدود لا ينكح إلا زانية محدودة ، ولا ينكح غير محدودة ولا عفيفة ، والزانية المحدودة لا ينكحها إلا زان محدود ، ولا ينكحها غير محدود ولا عفيف ، قاله الحسن ، ورواه أبو هريرة(٦٩) مرفوعاً .

---

(٦٦) رواه ابن جرير (١٨/ ٧١) والحاكم (٢/ ٣٩٦) وصححه وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٧٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ورجال أحمد ثقات .
قلت وزاد السيوطي في الدر (٦/ ١٢٨) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والبيهقي والنسائي .

(٦٧) رواه ابن جرير (١٨/ ٧١) وفي سنده مجهول .

(٦٨) رواه ابن جرير (٨/ ٧٤) وسنده صحيح كما قال ابن كثير (٣/ ٢٦٢) .

(٦٩) ولفظه لا ينكح الزاني إلا مثله رواه أبو داود (٢٠٥٢) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ١٣٠) نسبته لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن عدي وابن مردويه وقد حسن إسناده الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١١/ ٤٦٨) .

﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الزنى .

الثاني : نكاح الزوانى (٧٠).

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ يعني بالزنى .

﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ يعني ببينة على الزنىٰ .

﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ وهذا حد أوجبه الله على القاذف للمقذوفة يجب بطلبها ويسقط بعفوها ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه من حقوق الآدميين ، لوجوبه بالطلب ، وسقوطه بالعفو ، وهذا مذهب الشافعي .

الثاني : من حقوق الله لأنه لا ينتقل إلى مال ، وهذا مذهب أبي حنيفة .

الثالث : أنه من الحقوق المشتركة بين حق الله وحق الآدميين لتمازج الحقين وهذا مذهب بعض المتأخرين .

ولا يكمل حد القذف بعد البلوغ والعقل إلا بحريتهما وإسلام المقذوف وعفافه ، فإن كان المقذوف كافراً أو عبداً عُزِّر قاذفه ولم يحد ، وإن كان القاذف كافراً حُدّ حدّاً كاملاً ، وإن كان عبداً حُدّ نصف الحد .

﴿ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾ وهذا مما غلظ الله به

---

(٧٠) قال الحافظ ابن كثير (٢٦٢/٣) وذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ .

القذف حتىٰ علق به من التغليظ ثلاثة أحكام : وجوب الحد ، والتفسيق وسقوط الشهادة . ولم يجعل في القذف بغير الزنى حَدّاً لما في القذف بالزنىٰ من تعدّي المعرّة إلى الأهل والنسل .

قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تابواْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ ﴾ الآية . التوبة من القذف ترفع الفِسق ولا تسقط الحدّ . واختلفوا في قبول الشهادة على أربعة أقوال :

أحدها : تقبل شهادته قبل الحد وبعده لارتفاع فسقه وعوده إلى عدالته وهذا مذهب مالك والشافعي وبه قال جمهور المفسرين .

الثاني : لا تقبل شهادته أبداً ، لا قبل الحد ولا بعده ، وهذا مذهب شريح .

الثالث : أنه تقبل شهادته بالتوبة قبل الحد ولا تقبل بعده ، وهذا مذهب أبي حنيفة .

الرابع : تقبل شهادته بعد الحد ولا تقبل قبله ، وهذا مذهب إبراهيم النخعي قال الشعبي : تقبل توبته ولا تقبل شهادته .

وفي صفة التوبة قولان :

أحدهما : أنها بإكذابه نفسه وقد رواه الزهري عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب جلد أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كلدة وقال لهم : من أكذب نفسه أحرز شهادته فأكذب نفسه شبل ونافع ، وأبى أبو بكرة أن يفعل . قال الزهري ، هو والله السنة فاحفظوه .

الثاني : أن توبته منه تكون بصلاح حاله وندمه على قذفه والاستغفار منه وترك العود إلى مثله ، قاله ابن جرير[٧١] .

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾

(٧١) جامع البيان (١٨/٨١) .

﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ** ﴾ يعني بالزنى .

﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ** ﴾ يعني يشهدون بالزنى إلا أنفسهم وهذا حكم خص الله به الأزواج في قذف نسائهم ليلاعنوا فيذهب حد القذف عنهم .

وفي سبب ذلك قولان :

أحدهما : ما رواه عكرمة عن ابن عباس أن هلال(٧٢) بن أمية أتى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع أهلي رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه حتى أنزل الله فيه هذه الآية .

الثاني : ما رواه الأوزاعي عن الزهري عن سهل بن سعد أن عويمر(٧٣) أتى رسول الله فقال : يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله ﷺ : « **قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ القُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ** » فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة فلاعنها فقال رسول الله ﷺ : « انظروا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ عَظِيمَ الأَلْيَتَيْنِ خَدْلَجَ السَّاقِينِ فَلَا أَحْسَبُ عُوَيمِراً إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيمِرَ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ فَلَا أَرَاهُ إِلَّا كَاذِباً » فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ في تصديق عويمر وكان

---

(٧٢) رواه البخاري (٩/ ٤٠٥، ٤٠٦)، ومسلم (١٤٩٧) والترمذي (٢/ ١٤٨).

(٧٣) رواه البخاري (٨/ ٣٤٠) ومسلم (١٤٩٢) وابن ماجه (٢٠٦٦) وأحمد (٥/ ٣٣٤) وأبو داود (٢٢٤٥ ـ ٢٢٥٢) والنسائي (٦/ ١٧٠، ١٧١) وابن جرير (١٨/ ٨٥) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٣٧) نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني .

غريب الحديث .

الأسحم :الشديد السواد : خدلج الساقين عظيمهما.الوحرة :دويبة شبه الوزغة تلزق بالأرض جمعها وحَر.

بعد ينسب إلى أمه ، قال سعيد بن جبير : ولقد صار أميراً بمصر وإنه ينسب إلى غير أب .

فإذا قذف الرجل زوجته بالزنىٰ كان له اللعان منها إن شاء ، وإن لم يكن ذلك لقاذف سواه ، لأن الزوج لنفي نسب ليس منه ورفع فراش قد عرّه مضطر إلى لعانها دون غيره ، فإذا أراد ذلك لاعن بينهما حاكم نافذ الحكم في الجامع على المنبر أو عنده ، ويبدأ بالزوج وهي حاضرة فيقول : أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما قذفت به زوجتي هذه من الزنى بفلان إذا ذكره في قذفه ، وإن لم يذكره في لعانه كان لعانه نافذاً . وإن أراد نفي ولدها قال : إن هذا الولد من زنى ما هو مني فإذا أكمل ما وصفنا أعاده أربعاً كما قال الله تعالى :

﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِم أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ والشهادة هنا يمين عبر عنها بلفظ الشهادة في قول مالك والشافعي ، وقال أبو حنيفة هي شهادة فرد بها لعان الكافر والمملوك ولو كانت شهادة ما جاز أن تشهد لنفسها وبلعنها ، والعرب تسمي الحلف بالله تعالى شهادة كما قال قيس بن الملوح(٧٤) :

وأشهـدُ عِنْـدَ اللَّهِ أَنِّي أُحِبُّهـا   فهذَا لَهَا عِنْـدي فَمَا عِنْدَها لِيَا

أي أحلف بالله فيما وصفتها من الزنىٰ ، وهو تأويل قوله : ﴿ وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾ فإذا أكمل الخامسة فقد أكمل لعانه ، فتلاعن هي بعده على المنبر أو عنده فتقول وهو حاضر : أشهد بالله أن زوجي فلاناً هذا من الكاذبين فيما رماني به من الزنى وأن هذا ـ إن كان الزوج قد نفى في لعانه ولده منها ـ ما هو من زنى ، تقول كذلك أربعاً . وهو تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي يدفع ، وفي هذا العذاب قولان :

أحدهما : أنه الحد ، وهو مذهب مالك ، والشافعي .

الثاني : أنه الحبس ، وهو مذهب أبي حنيفة .

﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ ثم تقول في الخامسة وأن

(٧٤) ديوانه : ٣٠٠ وقصيدة مطلعها :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا   وأيام لا نحس على اللهو ناهيا

عليّ غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به من الزنى وهو تأويل قوله تعالى :

﴿وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ والغضب في لعانها بدلاً من اللعنة في لعان زوجها ، وإذا تم اللعان وقعت الفرقة المؤبدة بينهما ، وبماذا تقع ؟ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : بلعان الزوج وحده وهو مذهب الشافعي .

الثاني : بلعانهما معاً ، وهو مذهب مالك .

الثالث : بلعانهما وتفريق الحاكم بينهما ، وهو مذهب أبي حنيفة .

والرابع : بالطلاق الذي يوقعه الزوج بعد اللعان ، وهو مذهب أحمد بن حنبل ثم حرمت عليه أبداً .

واختلفوا في إحلالها له إن أكذب بعد اللعان نفسه على قولين :

أحدهما : تحل ، وهو مذهب أبي حنيفة .

الثاني : لا تحل ، وهو مذهب مالك والشافعي(٧٥) . وإذا نفى الزوج الولد باللعان لحق بها دونه ، فإن أكذب نفسه لحق به الولد حياً أو ميتاً ، وألحقه أبو حنيفة به في الحياة دون الموت .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ في فضل الله ورحمته هنا وجهان :

أحدهما : أن فضل الله الإسلام ورحمته القرآن ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أن فضل الله منه ، ورحمته نعمته ، قاله السدي .

وفي الكلام محذوف اختلف فيه على قولين :

أحدهما : أن تقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته بإمهاله حتى تتوبوا لهلكتم .

الثاني : تقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيم .

---

(٧٥) وأصح القولين في مذهب أحمد ونقله ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ١٥).

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ فيكون المحذوف على القول الأول الجواب وبعض الشرط ، وعلى الثاني الجواب وحده بعد استيفاء الشرط .

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ ﴾ في الإفك وجهان :

أحدهما : أنه الإثم ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أنه الكذب . قال الشاعر :

شهيدٌ على الإفك غَيْرِ الصَّوابِ وما شَاهِدُ الإفكِ كَالْأحْنَفِ

﴿ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ وهم زعماء الإفك ، حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعبدالله بن أبي بن سلول وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش، وسبب الإفك أن عائشة رضي الله عنها كانت مع رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فضاع عقد لها من جزع أظفار وقد توجهت لحاجتها فعادت في طلبه ودخل رسول الله ﷺ من منزله فَرُفِعَ هودجها ولم يُشْعَرْ بها أنها ليست فيه لخفتها وعادت فلم ترَ في المنزل أحداً فأدركها صفوان بن المعطل فحملها على راحلته وألحقها برسول الله ﷺ فتكلم فيها وفي صفوان من تكلم وقدمت المدينة وانتشر الإفك وهي لا تعلم به ثم علمت فأخذها من ذلك شيء عظيم إلى أن أنزل الله براءتها بعد سبعة وثلاثين يوماً من قدوم المدينة هذه الآية(٧٦) .

و ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي لا تحسبوا ما ذكر من الإفك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله قد بَرَّأَ منه وأبان عليه .

وفي المراد بهذا القول قولان :

أحدهما : أن المقصود به عائشة وصفوان لأنهما قصدا بالإفك ، قاله يحيى ابن سلام .

(٧٦) وقصة الإفك رواها البخاري (١٩٨/٥) (٣٣٣/٧ ، ٣٣٥) (٣٤٣/٨ ، ٣٦٧) مسلم (٢٧٧٠) والترمذي (٣١٧٩) وابن هشام (٢٩٧/٢ ، ٢٠٧).

الثاني : أن المقصود بـه النبي ﷺ وأبو بكـر وعائشـة رضي الله عنهما ، قـاله ابن شجرة .

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ ﴾ أي لـه عقـاب مـا اكتسب من الإثم بقدر إثمه .

﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية قـرىء بكسر الكـاف وضمها ، وفي الفـرق بينهما وجهان :

أحدهما : أن كبره بالضم معظمه وبالكسر مأثمه .

الثاني : أنه بالضم في النسب وبالكسر في النفس .

وفي متولي كبره قولان :

أحدهما : أنه عبد الله بن أبيّ ، والعذاب العظيم جهنم ، وهـذا قول عـائشة وعروة بن الزبير وابن المسيب .

الثاني : أنه مسطح(*) بن أثاثة ، والعذاب العظيم ذهاب بصـره في الدنيـا : حكاه يحيى بن سلام .

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ هلا إذ سمعتم الإفك .

﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ظن بعضهم ببعض خيراً كما يظنون بأنفسهم .

الثاني : ظنواْ بعائشة عفافاً كظنهم بأنفسهم .

﴿ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ أي كذب بيِّن .

قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيهِ ﴾ أي هلا جاءُوا عليه لو كانوا صادقين .

(*) في الأصل مسطى وهو تحريف .

﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ يشهدون بما قالوه .

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ ﴾ الآية . .

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون وعيداً بما له عند الله من العقاب .

الثاني : أريد به تكذيب المؤمنين الذين يصدقون ما أنزل الله من كتاب .

واختلف هل حد النبي ﷺ أصحاب الإفك على قولين :

أحدهما : أنه لم يحدّ أحداً منهم لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة ولم يتعبدنا الله أن نقيمها بإخباره عنها كما لم يتعبدنا بقتل المنافقين وإن أخبر بكفرهم .

والقول الثاني : أن النبي ﷺ(٧٧) حد في الإفك حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة رواه عروة بن الزبير وابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها فقال بعض شعراء المسلمين :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحمنةُ إذ قالا هجيراً ومسطح

---

(٧٧) قال العلامة الآلوسي (١٨/١١٦) « وفي البحر أنه حد حسان ومسطح وحمنة وقد أخرج البزار وابن مردويه بسند حسن عن أبي هريرة وقد جاء ذلك في أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة لابن إسحاق وهي . . . . ثم سرد الأبيات التي هنا.

وابن سلول ذاق في الحدّ خزيه كما خاض في إفك من القول يفصح
تعاطوْا برجم الغيب زوج نبيّهم وسخطة ذي العرش العظيم فأبرحوا
وآذوا رسول اللّه فيها فجللوا مخازي تبقى عمموها وفضحواْ
فصبت عليهم محصدات كأنها شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

حكى مسروق أن حسان استأذن على عائشة فقلت أتأذنين له فقالت : أو ليس قد أصابه عذاب عظيم . فمن ذهب إلى أنهم حدوا زعم أنها أرادت بالعذاب العظيم الحد ، ومن ذهب إلى أنهم لم يحدّوا زعم أنها أرادت بالعذاب العظيم ذهاب بصره ، قاله سفيان . قال حسان بن ثابت(٧٨) يعتذر من الإفك :

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنّ بِرِيبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد بُلِّغْتُم فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أنامِلِي
فكيفَ ووُدِّي ما حَيِيتُ ونُصْرَتِي لِآلِ رسُولِ اللّهِ زَينِ المَحَافِلِ

قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هو أن تتحدث به وتلقيه بين الناس حتى ينتشر .

الثاني : أن يتلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره . وحكى ابن أبي مليكة أنه سمع عائشة تقرأ إذ تلِقونه(٧٩) بكسر اللام مخففة وفي تأويل هذه القراءة وجهان :

أحدهما : ترددونه ، قاله اليزيدي .

الثاني : تسرعون في الكذب وغيره، ومنه قول الراجز(٨٠) :

.... جَاءَتْ بِه عنسٌ من الشأمِ تَلِقْ

أي تسرع

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ

(٧٨) الأبيات في ديوان حسان ١٩٠ ، ١٩١ .

(٧٩) وهي قراءة مجاهد وأبي حيوة، زاد المسير (٦/ ٢١).

(٨٠) الطبري (١٨/ ٩٨)، اللسان (ولق) القرطبي (١٢/ ٢٠٤).

بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : خطايا الشيطان ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : آثاره ، قاله ابن شجرة .

الثالث : هو تخطي الشيطان الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ، قاله ابن عيسىٰ .

الرابع : هو النذور في المعاصي ، قاله أبو مجلز .

ويحتمل خامساً : أن تكون خطوات الشيطان الانتقال من معصية إلى أخرى مأخوذ من نقل القدم بالخطو من مكان إلى مكان .

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ وقرىء ولا يتأل(٨١) وفي اختلاف القراءتين وجهان :

أحدهما : أن معناهما متقارب واحد وفيه وجهان :

أحدهما : أي لا يقتصر مأخوذ من قولهم لا ألوت أي لا قصرت ، قاله ابن بحر .

(٨١) وهي قراءة الحسن وأبي العالية وأبي جعفر وابن أبي عبلة، زاد المسير (٦ / ٢٤).

الثاني : لا يحلف مأخوذ من الألية وهي اليمين .

ـ والقول الثاني : معناهما مختلف فمعنى يأتل أي يألو أو يقصر ، ومعنى يتأل أي يحلف .

﴿ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يحلفوا ألّا يبروّا هؤلاء ، وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة فلما خاض في الإفك ونشره حلف أبو بكر ألا يبره وكان ابن خالته فنهاه الله عن يمينه وندبه إلى بره مع إساءته . وهذا معنى لا يألو جهداً فالمنهى عنه فيها التوقف عن بر من أساء وأن نقابله بالتعطف والإغضاء . فقال :

﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ﴾ وفيها وجهان :

أحدهما : أن العفو عن الأفعال والصفح عن الأقوال .

الثاني : أن العفو ستر الذنب من غير مؤاخذة والصفح الإغضاء عن المكروه .

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي كما تحبون أن يغفر الله لكم ذنوبكم فاغفروا لمن أساء إليكم ، فلما سمع أبو بكر هذا قال : بلى يا رب(٨٢) وعاد إلى برّه وكفّر عن يمينه .

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء ، قاله ابن زيد .

الثاني : الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس

(٨٢) انظر إلى مسارعة الصديق رضي الله عنه لتنفيذ أمر الله تعالى

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالرجال فلاح

للخبيثات من الأعمال والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال قاله مجاهد وقتادة .

الثالث : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام قاله ابن عباس والضحاك . وتأول بعض أصحاب الخواطر[٨٣]: الخبيثات الدنيا ، والطيبات الآخرة .

﴿ أُوْلَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن عائشة وصفوان مبرآن من الإفك المذكور فيهما ، قاله الفراء .

الثاني : أن أزواج النبي ﷺ مبرآت من الفواحش ، قاله ابن عيسىٰ .

الثالث : أن الطيبين والطيبات مبرؤون من الخبيثين والخبيثات ، قاله ابن شجرة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : حتى تستأذنوا . واختلف من قال بهذا التأويل فقال ابن عباس[٨٤]: أخطأ الكاتب فيه فكتب تستأنسوا وكان يقرأ : حتى تستأذنوا . وقال غيره : لأن

(٨٣) ولا دليل على هذا التأويل .

(٨٤) وثبوت هذا عن ابن عباس محل خلاف بينهم فراجع ما كتبه العلامة الآلوسي حول هذا الاثر (١٨/٣٣/١٣٤٤) .

الاستئذان مؤنس فعبر عنه بالاستئناس ، وليس فيه خطأ من كاتب ولا قارىء .

الثاني : معناه حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح فيعلموا بقدومكم عليهم ، قاله مجاهد .

الثالث : أن تستأنسوا يعني أن تعلموا فيها أحداً استأذنوه فتسلموا عليه ومنه قوله تعالى : ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ [النساء: ٦] أي علمتم، قاله ابن قتيبة. وقال ابن الأعرابي الإستئناس الاستثمار، والإيناس اليقين. والإذن يكون بالقول والإشارة فإن جاهر فسؤال ، فقد روى قتادة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ(٨٥) : « رَسُولُ الرَّجُلِ إِذْنُهُ فَإِنِ اسْتَأْذَنَ ثَلَاثاً وَلَمْ يُؤْذَنْ لَه ولَّى فلم يُراجِعْ فِي الاسْتِئْذَانِ » .

روى الحسن البصري أن [أبا موسى] الأشعري استأذن على عمر(٨٦) رضي الله عنه ثلاثاً فلم يؤذن له فرجع فأرسل إليه عمر فقال : ما ردّك ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اسْتَأْذَنَ ثلاثاً فَلَمْ يُؤذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِع » فقال عمر : لتجيئني على بينة أو لأجعلنك نكالاً فأتى طلحة فشهد له قال الحسن : الأولى إذنٌ ، والثانية مؤامرة ، والثالثة : عزمة ، إن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا .

ولا يستأذن وهو مستقبل الباب إن كان مفتوحاً ، وإن أذن لأول القوم فقد أذن

---

(٨٥) ولفظ الحديث «رسول الرجل إلى الرجل إذن» وفي لفظ «إذا دعي أحدكم إلى الطعام ثم جاء معه الرسول فإن ذلك إذن له » .

والحديث رواه أبو داود (٥١٨٩) (٥١٩٠) والبخاري في الأدب (١٠٧٥) قال أبو داود لم يسمع قتادة من أبي رافع شيئاً كذا في رواية اللؤلؤي للسنة وفي رواية أبي الحسن بن العبد يقال لم يسمع قتادة من أبي رافع شيئاً. قال الحافظ في الفتح (١١/٢٧) كذا قال وقد ثبت سماعه منه في الحديث الذي سيأتي في البخاري في كتاب التوحيد من رواية سليمان التيمي عن قتادة أن أبا رفع حدثه والحديث مع ذلك متابع فقد أخرجه البخاري في الأدب (١٠٧٦) وأبو داود(٥١٨٩)من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة وإسناده صحيح صححه الارناؤط في تخريج زاد المعاد (٢/٤٣٢) وله شاهد موقوف من حديث ابن مسعود رواه البخاري في الأدب (١٠٧٤) وإسناده قوي .

تنبيه :قول المؤلف هنا روى قتادة عن أبي هريرة لعله حدث سقط من الناسخ فإن قتادة رواه عن ابن رافع عن ابي هريرة كما سبق والحديث رواه البخاري معلقاً (١١/٢٧) .

(٨٦) رواه البخاري (١١/٢٣ ومسلم (٢١٥٣) وأبو داود (٥١٨٠) واالترمذي (٢٦٩١) وقد رواه البيهقي في كتاب الآداب رقم ٢٧٥ بتحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا راجع ما كتب حول تخريجه هناك .

لآخرهم ، ولا يقعدوا على الباب بعد الرد فإن للناس حاجات .

﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ والسلام ندب والاستئذان حتم . وفي السلام قولان :

أحدهما : أنه مسنون بعد الإذن على ما تضمنته الآية من تقديم الإذن عليه .

الثاني : مسنون قبل الإذن وإن تأخر في التلاوة فهو مقدم في الحكم وتقدير الكلام حتى تسلموا وتستأذنوا لما روى محمد بن سيرين(٨٧) أن رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ فقال : أأدخل؟ فقال النبي ﷺ لرجل عنده : « **قُمْ فَعَلِّمْ هٰذَا كَيْفَ يَسْتَأْذِنُ فَإِنَّهُ لَمْ يُحْسِنْ** » فسمعها الرجل فسلم واستأذن .

وأولى من إطلاق هذين القولين أن ينظر فإن وقعت العين على العين قبل الإذن فالأولىٰ تقديم السلام ، وإن لم تقع العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم الاستئذان على السلام .

فأما الاستئذان على منازل الأهل فإن كانوا غير ذي محارم لزم الإستئذان عليهم كالأجانب وإن كانوا ذوي محارم وكان المنزل مشتركاً هو فيه وهم ساكنون لزم في دخوله إنذارهم إما بوطءٍ . أو نحنحة مفهمة إلا الزوجة فلا يلزم ذلك في حقها بحال لارتفاع العورة بينهما . وإن لم يكن المنزل مشتركاً ففي الاستئذان عليهم وجهان :

أحدهما : أنها النحنحة والحركة .

الثاني : القول كالأجانب . روىٰ صفوان عن عطاء بن يسار(٨٨) أن رجلاً قال للنبي ﷺ : «أستأذن على أمي»؟ فقال : « **نعم** » ، فقال إني أخدمها فقال : « **استأذن عليها** » فعاوده ثلاثاً : فقال : « **أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً** » ؟ قال : لا قال : « **فَاسْتَأْذِنْ عَلَيهَا** » .

قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَا أَحَداً ﴾ يعني يأذن لكم .

(٨٧) راجع الدر (١٧٣/٦) فقد أورد أحاديث كثيرة موقوفة وأما مرسل ابن سيرين فقد ورد موصولاً رواه أبو داود (٥١٧٧) والبيهقي في الآداب رقم ٣٧٤ وصححه النووي في رياض الصالحين ص ٣٨١ .

(٨٨) رواه الطبري (١٨/١١١ ـ ١١٢) .

﴿ فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُم ﴾ ولا يجوز التطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقاً لقول النبي ﷺ[٨٩] : « إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ لِأَجْلِ البَصَرِ ، إلَّا أَنْ يَكُونَ مَفْتُوحاً فَيَجُوزُ إِذَا كَانَ خَارِجاً أَنْ يَنْظُرَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ بالفتح قَدْ أَبَاحَ النَّظَرَ »

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ وهنا ينظر فإن كان بعد الدخول عن إذن لزم الانصراف وحرم اللبث ، وإن كان قبل الدخول فهو رد الإذن ومنع من الدخول . ولا يلزمه الانصراف عن موقفه من الطريق إلا أن يكون فناء الباب المانع فيكفي عنه ، قال قتادة : لا تقعد على باب قوم ردوك فإن للناس حاجات .

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها الخانات المشتركة ذوات البيوت المسكونة ، قاله محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

الثاني : أنها حوانيت التجار، قاله الشعبي .

الثالث : أنها منازل الأسفار ومناخات الرجال التي يرتفق بها مارة الطريق في أسفارهم ، قاله مجاهد .

الرابع : أنها الخرابات العاطلات ، قاله قتادة .

الخامس : أنها بيوت مكة ، ويشبه أن يكون قول مالك .

﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عروض الأموال التي هي متاع التجار ، قاله مجاهد .

الثاني : أنها الخلاء والبول سمي متاعاً لأنه إمتاع لهم ، قاله عطاء .

الثالث : أنه المنافع كلها ، قاله قتادة ، فلا يلزم الاستئذان في هذه المنازل

(٨٩) الحديث إلى قوله « من أجل البصر» رواه البخاري (١١/ ٢٠، ٢١) ومسلم (٢١٥٦) والترمذي (٢٧١٠) والنسائي (٨/ ٢٦٠، ٦١٢) وأحمد (٥/ ٣٣٠، ٣٣٥) وحديث سهل بن سعد « أما الزيادة التي أوردها المؤلف هنا فلم اعثر على تخريج الحديث والله أعلم.

كلها . قال الشعبي : حوانيت التجار إذنهم أنهم جاءوا ببيوتهم فجعلوها فيها وقالوا للناس : هَلُمّ .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠)

قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ وفي ﴿ مِنْ ﴾ في هذا الموضع ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها صلة وزائدة وتقدير الكلام : قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم ، قاله السدي .

الثاني : أنها مستعملة في مضمر وتقديره : يغضوا أبصارهم عما لا يحل من النظر ، وهذا قول قتادة .

الثالث : أنها مستعملة في المظهر ، لأن غض البصر عن الحلال لا يلزم وإنما يلزم غضها عن الحرام فلذلك دخل حرف التبعيض في غض الأبصار فقال : من أبصارهم ، قاله ابن شجرة .

ويحرم من النظر ما قصد ، ولا تحرم النظرة الأولى الواقعة سهواً . روى الحسن البصري قال : قال[٩٠] رسول الله ﷺ : « **ابنُ آدَمَ لَكَ النَّظْرَةُ الأُولَىٰ وَعَلَيكَ الثَّانِيَة** » .

﴿ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يعني بحفظ الفرج عفافه ، والعفاف يكون عن الحرام دون المباح ولذلك لم يدخل فيه حرف التبعيض كما دخل في غض البصر .

---

(٩٠) ومرسل الحسن هذا لم أعثر عليه ولكن رأيته في الزهد للإمام أحمد بلفظ كانوا يقولون ابن آدم النظرة الأولى تعذر فيها فما بال الآخرة .

ومرسلات الحسن عن العلماء شبه الريح كما قالوا ويغني عن هذا المرسل ما رواه أبو داود (٢٤١٩) والترمذي (٢٧٧٧) .عن بريدة قال، قال رسول الله ﷺ «لعلي» لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦/٢٩٩) .وأحمد (٥/٣٥١، ٣٥٣ ، ٣٥٧) والدارمي (٢/٣٧٦) .

الثاني : قاله أبو العالية الرياحي المراد بحفظ الفروج في هذا الموضع سترها عن الأبصار حتىٰ لا ترى ، وكل موضع في القرآن ذكر فيه الفرج فالمراد به الزنىٰ إلا في هذا الموضع فإن المراد به الستر ، وسميت فروجاً لأنها منافذ الأجواف ومسالك الخارجات .

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ .... ﴾ والزينة ما أدخلته المرأة على بدنها حتى زانها وحسنها في العيون كالحلي والثياب والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال الشاعر (٩١) :

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... وإذا عطلن فهن غير عواطل

والزينة زينتان : ظاهرة وباطنة (٩٢) ، فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل :

(٩١) فتح القدير (٤/ ٢٣) .

(٩٢) وكذلك الزينة قرينتان زينة مكتسبة وخلقية ، فالخلقية ما كانت من أصل الخلقة والمكتسبة ما كانت من حلي وثياب فالأولى لا يجوز إبداؤها للأجانب إلا عند الضرورة كالتطبيب والشهادة وغيرها . والثانية يجوز إبداؤها لتعذر إخفائها أثناء الخروج في الطرقات وأدلة هذا القول كثيرة راجع المطولات في ذلك كالصارم المشهور للتويجري والحجاب لمحمد صالح العثيمين وفقه النظر والإسلام لمحمد أديب كلكل وغيرها كثير .

أحدها : أنها الثياب ، قاله ابن مسعود(٩٣) .

الثاني : الكحل والخاتم ، قاله ابن عباس(٩٤) ، والمسور بن مخرمة .

الثالث : الوجه والكفان ، قاله الحسن ، وابن جبير ، وعطاء .

وأما الباطنة فقال ابن مسعود : القرط(*) والقلادة(*) والدملج(*) والخلخال(*) ، واختلف في السوار فروي عن عائشة أنه من الزينة الظاهرة ، وقال غيرها هو من الباطنة ، وهو أشبه لتجاوزه الكفين . فأما الخضاب فإن كان في الكفين فهو من الزينة الظاهرة ، وإن كان في القدمين فهو من الباطنة ، وهذه الزينة الباطنة يجب سترها عن الأجانب ويحرم عليهم تعمد النظر إليها فأما ذوو المحارم فالزوج منهم يجوز له النظر والالتذاذ ، وغيره من الآباء والأبناء والإخوة يجوز لهم النظر ويحرم عليهم الالتذاذ .

روى الحسن والحسين رضي الله عنهما [أنهما] كانا يدخلان على أختهما أم كلثوم وهي تمتشط .

وتأول بعض أصحاب الخواطر هذه الزينة بتأويلين :

أحدهما : أنها الدنيا فلا يتظاهر بما أوتي منها ولا يتفاخر إلا بما ظهر منها ولم ينستر .

الثاني : أنها الطاعة لا يتظاهر بها رياءً إلا ما ظهر منها ولم ينكتم ، وهما بعيدان .

(٩٣) رواه الطبري (١٨/ ١١٩) وإسناده صحيح غاية في الصحة كما قال الشيخ السندي في رسالته الحجاب ص ٧٢ .

(٩٤) رواه الطبري (٢٢/ ٤٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٦٥٩) لابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي وإسناده منقطع لأنه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولم يدرك الأول الثاني ولكن هذه الرواية احتج بها أهل العلم كالبخاري فقد شحن بها كتاب التفسير وكذا القرطبي وابن كثير والقاسمي في محاسن التأويل راجع رسالة الحجاب لعبد القادر السندي ص ٧٤ .

(*) القرط هو ما تعلقه المرأة من الزينة في أسفل الأذن .

(*) القلادة : ما أحاط بالعنق من الحلي.

(*) الدملج : الحجر الأملس والمِعْضَدُ من الحُليّ.

(*) الخلخال : سوار من الحلي تجعله المرأة في ساقها .

﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ الخمر(*) المقانع أمِرن بإلقائها على صدورهن تغطية لنحورهن فقد كن يلقينها على ظهورهن بادية نحورهن ، وقيل : كانت قمصهن مفروجة الجيوب كالدرعة يبدو منها صدورهن فأمرن بإلقاء الخمر لسترها . وكني عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها .

ثم قال : ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾ يعني الزينة الباطنة إبداؤها للزوج استدعاءِ لميله وتحريكاً لشهوته ولذلك لعن[٩٥] رسول الله ﷺ السلتاء والمرهاء فالسلتاء التي لا تختضب ، والمرهاء التي لا تكتحل تفعل ذلك لانصراف شهوة الزوج عنها فأمرها بذلك استدعاء لشهوته ، ولعن ﷺ[٩٦] المفشلة والمسوفة ، المسوفة التي إذا دعاها للمباشرة قالت سوف أفعل ، والمفشلة التي إذا دعاها قالت إنها حائض وهي غير حائض ، وروي عن النبي[٩٧] ﷺ قال : « **لُعِنَتِ الغَائِصَةُ وَالمُغَوِّصَةُ** » فالغائصة التي لا تعلم زوجها بحيضها حتى يصيبها ، والمغوصة التي تدعى أنها حائض ليمتنع زوجها من إصابتها وليست بحائض .

(*) الخمر: قال الحافظ ابن حجر في كتاب الأشربة أثناء تعريف الخمر : ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها اهـ.

وقال في حديث عائشة يرحم الله نساء المهاجرات . . . . الحديث وفيه شققن مروطهن فاختمرن بها قال قوله فاختمرن بها ، أي غطين وجوههن . . وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع .

ـ المقانع : جمع مقنعة : وهي ما تغطي به المرأة رأسها ومحاسنها كما في القاموس وشرحه .

(٩٥) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

(٩٦) رواه أبو يعلى كما في المطالب (٢٧/٢) والديلمي كما في فردوس الأخبار (٥١٨/٣) من حديث أبي هريرة وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٧/٤) فيه يحيى بن العلاء وهو ضعيف متروك اهـ.

وضعفه البوصيري كما نقله محقق المطالب وقال المناوي في فيض القدير (٢٧٢/٥) وأقول بل قال الذهبي قال أحمد (أي ابن حنبل) كذاب أي (يحيى بن العلاء) يضع ذكره في الضعفاء اهـ. وقد رمز السيوطي له بالضعف .

تنبيه: وقع هنا وفي المطولة المفشلة «بالشين المعجمة » وهو خطأ والصواب المفسِّلة بضم الميم وتشديد السين والتصويب من فيض القدير (٢٧٢/٢) والمطالب .

وقد ورد حديث مستقل يلعن المسوفات من حديث ابن عمر مرفوعاً وسنده ضعيف راجع المجمع (٢٩٦/٤) وفيض القدير (٢٧٢/٥) .

(٩٧) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم .

واختلف أصحابنا[٩٨] في تعمد كل واحد من الزوجين النظر إلى فرج صاحبه تلذذاً به على وجهين :

أحدهما : يجوز كما[٩٩] يجوز الاستمتاع به لقوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾[البقرة: ١٨٧] .

الثاني : لا يجوز لما روي عن النبي ﷺ أنه قال[١٠٠]: « لَعَنَ اللَّهُ النَّاظِرَ وَالمَنْظُورَ إِلَيهِ » .

فأما ما سوى الفرجين منهما فيجوز لكل واحدٍ منهما أن يتعمد النظر إليه من صاحبه وكذلك الأمة مع سيدها .

﴿ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ وهؤلاء كلهم ذوو محارم بما ذكر من الأسباب والأنساب يجوز أبداً نظر الزينة الباطنة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ، ويجوز تعمد النظر من غير تلذذ .

---

(٩٨) أي من الشافعية لأن الماوردي رحمه الله شافعي المذهب من الفروع .

(٩٩) ويؤيد القول بالجواز وهو الراجح :
ما رواه البخاري (١/ ٩٤٠) وترجم له « باب غسل الرجل مع امرأته من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد تختلف أيدينا فيه فيبادرني حتى أقول دع لي دع لي قالت وهما جنبان.
وقال الحافظ « استدل به [أي بالحديث] الداودي على جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته فقال سألت عطاء فقال سألت عائشة فذكرت هذا الحديث بمعناه وهو نص في المسألة » ا هـ.
ويؤيد الجواز أيضاً ما رواه أصحاب السنن إلا النسائي فقد رواه في العشرة ترجم عليه « نظر المرأة إلى عورة زوجها» من حديث .
ولفظه « احفظ عورتك إلا من امرأتك أو ما ملكت يمينك » . . . الحديث .
قال الألباني في رسالته أداب الزفاف ص ٣٥ نقلاً عن ابن عروة الحنبلي في كتابه المخطوط الكواكب الدراري « ومباح لكل واحد من الزوجين النظر إلى جميع بدن صاحبه ولمسه حتى الفرج لهذا الحديث ولأن الفرج يحل له الاستمتاع به فجاز النظر إليه ولمسه كبقية البدن.

(١٠٠) لم يصح هذا الحديث وما في معناه . وقد ذكر العلامة الألباني على الأحاديث الواردة في النهي فراجعها في آداب الزفاف ص ٣٣، ٣٤، ٣٥ وفي السلسلة الضعيفة ج١ وهذا الحديث رواه البيهقي في السنن (٧/ ٩٩) والديلمي كما في فردوس الأخبار (٣/ ٥١٥) وحكم الألباني عليه بالوضع والحديث من مسند ابن عمر .

والذي يلزم الحرة أن تستر من بدنها مع ذوي محارمها ما بين سرتها وركبتها ، وكذلك يلزم مع النساء كلهن أو يستتر بعضهن من بعض ما بين السـرة والركبـة وهو معنى قوله :

﴿ أو نِسَآئِهِنَّ ﴾ وفيهن وجهان :

أحدهما : أنهن المسلمات لا يجوز لمسلمة أن تكشف جسدها عند كـافرة ، قاله الكلبي .

والثاني : أنه عام في جميع النساء .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُنَّ ﴾ يعني عبيـدهن ، فلا يحـل للحرة عبدها ، وإن حل للـرجل أمته ، لأن البضع إنمـا يستحقه مـالكه ، وبضـع الحرة لا يكون ملكاً لعبدها ، وبضع الأمة ملك لسيدها .

واختلف أصحابنا في تحريم ما بطن من زينة الحرة على عبدها ، على ثلاثـة أوجه :

أحـدها : أنهـا تحـل ولا تحـرم ، وتكـون عـورتهـا معـه كعـورتهـا مـع ذوي محارمها ، ما بين السرة والركبة لتحريمه عليها ولاستثناء الله تعالى له مع استثنائه من ذوي محارمها وهـو مروي عن عائشة وأم سلمة .

والثـاني : أنها تحـرم ولا تحل وتكـون عـورتهـا معـه كعـورتهـا مـع الـرجـال والأجانب وهو ما عدا الـزينة الـظاهرة من جميـع البدن إلا الـوجه والكفين ، وتـأول قائل هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمَانُـهُنَّ ﴾ على الإمـاء دون العبيد ، وتأوله كذلك سعيد بن المسيب(١٠١) ، وعطاء ، ومجاهد .

والثالث : أنه يجوز أن ينظر إليهـا فضلاء ، كمـا تكون المـرأة في ثياب بيتهـا بارزة الذراعين والساقين والعنق اعتباراً بالعرف والعادة ، ورفعاً لما سبق ، وهو قـول عبد الله بن عباس ، وأما غير عبدها فكالحـر معها ، وإن كان عبداً لزوجها وأمها .

---

(١٠١) وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ورجحه كثير من الشافعية كما نقله الألوسي في روح المعـاني (١٨/ ١٤٤) وقال « والذي يقتضيه ظاهر الآية عـدم الفرق بين الـذكر والأنثى لعمـوم (ما) ولأنـه لو كان المراد بالإناث خاصة لقيل أو إمائهن فإنه أخصر وأنص في المقصود . . . الخ .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ فيه ثمانية أوجه :

أحدها : أنه الصغير لأنه لا إرب له في النساء لصغره ، وهذا قول ابن زيد .

والثاني : أنه العنين لأنه لا إرب له في النساء لعجزه ، وهذا قول عكرمة ، والشعبي .

والثالث : أنه الأبله المعتوه لأنه لا إرب له في النساء لجهالته ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وعطاء .

والرابع : أنه المجبوب لفقد إربه ، وهذا قول مأثور .

والخامس : أنه الشيخ الهرم لذهاب إربه ، وهذا قول يزيد بن حبيب .

والسادس : أنه الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل ، وهذا قول قتادة .

والسابع : أنه المستطعم الذي لا يهمه إلا بطنه ، وهذا قول مجاهد .

والثامن : أنه تابع القوم يخدمهم بطعام بطنه ، فهو مصروف لا لشهوة ، وهو قول الحسن .

وفيما أخذت منه الإربة قولان :

أحدهما : أنها مأخوذة من العقل من قولهم رجل أريب إذا كان عاقلاً .

والثاني : أنها مأخوذة من الأرب وهو الحاجة ، قاله قطرب .

ثم أقول : إن الصغير والكبير والمجبوب من هذه التأويلات المذكورة في وجوب ستر الزينة الباطنة منهم ، وإباحة ما ظهر منها معهم كغيرهم ، فأما الصغير فإن لم يظهر على عورات النساء ولم يميز من أحوالهن شيئاً فلا عورة للمرأة معه .

[فإن كان مميزاً غير بالغ](*) لزم أن تستر المرأة منه ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما عداه وجهان :

أحدهما : لا يلزم لأن القلم غير جار عليه والتكليف له غير لازم .

والثاني : يلزم كالرجل لأنه قد يشتهي ويشتهى .

(*) هنا عبارة مطموسة بالأصل.

وفي معنى قوله تعالى : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ ﴾ ثلاثة أوجه :

الأول : لعدم شهوتهم .

والثاني : لم يعرفوا عورات النساء لعدم تمييزهم[١٠٢].

والثالث : لم يطيقوا جماع النساء .

وأما الشيخ فإن بقيت فيه شهوة فهو كالشباب ، فإن فقدها ففيه وجهان :

أحدهما : أن الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة .

والثاني : أنها معه محرمة وجميع البدن معه عورة إلا الزينة الظاهرة ، استدامة لحاله المتقدمة .

وأما المجبوب والخصي ففيهما لأصحابنا ثلاثة أوجه :

أحدها : استباحة الزينة الباطنة معهما .

والثاني : تحريمها عليهما .

والثالث : إباحتها للمجبوب وتحريمها على الخصي .

والعورة إنما سميت بذلك لقبح ظهورها وغض البصر عنها ، مأخوذ من عور العين .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ قال قتادة : كانت المرأة إذا مشت تضرب برجلها ليسمع[١٠٣] قعقعة خلخالها ، فنهين عن ذلك .

---

(١٠٢) قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٢٨٥) «قوله ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ قال : يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله فأما إذا كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدركه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إياكم والدخول على النساء** » قال يا رسول الله أفرأيت الحمو قال: «الحمو الموت».

(١٠٣) وإذا كانت الشريعة قد نهت المرأة عن الضرب بالخلخال في الأرض حتى لا يسمع الأجنبي صوتها فيفتن أفيجوز لقائل أن يقول إن الشريعة أجازت للمرأة كشف الوجه واليدين أمام الرجال بلا عذر ، سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اعصمنا من الزلل ومن مضلات الفتنة .

ويحتمل فعلهن ذلك أمرين : فإما أن يفعلن ذلك فرحاً بزينتهن ومرحاً وإما تعرضاً للرجال وتبرجاً ، فإن كان الثاني فالمنع منه حتم ، وإن كان الأول فالمنع منه ندب .

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَامَىٰ مِنكُمْ** ﴾ وهو جمع أيّم ، وفي الأيم قولان :

أحدهما : أنها المتوفىٰ عنها زوجها ، قاله محمد بن الحسن .

الثاني : أنها التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً وهو قول الجمهور . يقال رجل أيّم إذا لم تكن له زوجة وامرأة أيّم إذا لم يكن لها زوج . ومنه ما روي(١٠٤) عن النبي ﷺ أنه نهى عن الأيمة يعني العزبة قال الشاعر(١٠٥) :

فَإِن تَنْكِحِي أَنكِحْ وإن تَتَأَيَّمِي وإن كُنْتَ أَفْتَى مِنكُم أَتَأَيَّمُ

وروى القاسم قال : أمر بقتل الأيم يعني الحية .

وفي هذا الخطاب قولان :

أحدهما : أنه خطاب للأولياء أن ينكحوا آيامهم من أكفائهن إذا دعون إليه

(١٠٤) لم أهتد إليه بهذا اللفظ والمشهور في الحديث «نهي عن التبتل» رواه الترمذي (١٠٨٢) وغيره وهو نفس معنى الحديث الذي هنا .

(١٠٥) اللسان (أيم) والشطر الثاني فيه « يدا الدهر ما لم تنكحي أتأيم » والطبري (١٨ / ١٢٦) .

لأنه خطاب خرج مخرج الأمر الحتم فلذلك يوجه إلى الولي دون الزوج .

الثاني : أنه خطاب للأزواج أن يتزوجوا الأيامىٰ عند الحاجة .

واختلف في وجوبه(١٠٦) فذهب أهل الظاهر إليه تمسكاً بظاهر الأمر ، وذهب جمهور الفقهاء إلى استحبابه للمحتاج من غير إيجاب وكراهته لغير المحتاج .

ثم قال : ﴿ وَٱلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن معنى الكلام وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من رجالكم وأنكحوا إماءَكم .

الثاني : وهو الأظهر أنه أمر بإنكاح العبيد والإماء كما أمرنا بإنكاح الأيامىٰ لاستحقاق السيد لولاية عبده وأمته فإن دعت الأمة سيدها أن يتزوجها لم يلزمه لأنها فراش له ، وإن أراد تزويجها كان له خيراً وإن لم يختره ليكتسب رق ولدها ويسقط عنه نفقتها .

وإن أراد السيد تزويج عبده أو طلب العبد ذلك من سيده فهل للداعي إليه أن يجبر الممتنع فيهما عليه أم لا ؟ على قولين :

﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنهم الله به عن السفاح .

الثاني : إن يكونوا فقراء إلى المال يغنهم الله إما بقناعة الصالحين، وإما باجتماع الرزقين، وروىٰ عبد العزيز(١٠٧) بن أبي رواد أن النبي ﷺ قال : « ٱطْلُبُواْ الغِنَىٰ فِي هٰذِهِ الآية » ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ .

﴿ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : واسع العطاء عليم بالمصلحة .

---

(١٠٦) يعني وجوب النكاح وقد ذهب البعض إلى وجوبه لمن خاف على نفسه الزنى ولعلهم لا يختلفون في وجود هذه الصورة كما قال الشوكاني في فتح القدير (٤/٢٨) .

(١٠٧) هذا الحديث الذي أورده المؤلف لم أظفر به ولكن ورد هذا المعنى موقوفاً من كلام ابن عباس رواه الطبري (١٨/١٢٥)وفي المسند وغيره بسند حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً . . ثلاث حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله . .

الثاني : واسع الرزق عليهم بالخلق .

قوله تعالىٰ : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً ﴾ أي وليعف ، والعفة في العرف الامتناع من كل فاحشة ، قال رؤبة :

يعف عن أسرارها بعد الفسق .

يعني عن الزنى بها .

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً ﴾ يعني لا يقدرون عليه مع الحاجة إليه لإعسار إما بصداقٍ أو نفقة .

﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يغنيهم الله عنه بقلة الرغبة فيه .

الثاني : يغني بمال حلال يتزوجون به .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ أما الكتاب المبتغى هنا فهو كتابة العبد والأمة على مال إذا أدياه عتقا به وكانا قبله مالكين للكسب ليؤدي في العتق ، فإن تراضى السيد والعبد عليها جاز ، وإن دعا السيد إليها لم يجبر العبد عليها .

وإن دعا العبد إليها ففي إجبار السيد عليها إذ علم فيه خيراً مذهبان :

أحدهما : وهو قول عطاء ، وداود ، يجب على السيد مكاتبته ويجبر إن أبىٰ .

الثاني : وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وجمهور الفقهاء أنه يستحب له ولا يجبر عليه فإذا انعقدت الكتابة لزمت من جهة السيد وكان المكاتب فيها مخيراً بين المقام والفسخ .

﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : أن الخير : القدرة على الاحتراف والكسب ، قاله ابن عمر وابن عباس .

الثاني : أن الخير : المال ، قاله عطاء ومجاهد .

الثالث : أنه الدين والأمانة ، قاله الحسن .

الرابع : أنه الوفاء والصدق ، قاله قتادة وطاووس .

الخامس : أنه الكسب والأمانة ، قاله الشافعي .

﴿ وءَآتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ءَاتَاكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني من مال الزكاة من سهم الرقاب يعطاه المكاتب ليستعين به في أداء ما عليه للسيد . ولا يكره للسيد أخذه وإن كان غنياً ، قاله الحسن ، وإبراهيم وابن زيد .

الثاني : من مال المكاتبة معونة من السيد لمكاتبه كما أعانه غيره من الزكاة .

واختلف من ذهب إلى هذا التأويل في وجوبه فذهب أبو حنيفة إلى أنه مستحب وليس بواجب ، وذهب الشافعي إلى وجوبه وبه قال عمر وعلي وابن عباس .

واختلف من قال بوجوبه في هذا التأويل في تقديره فحكي عن علي أنه قدره بالربع من مال الكتابة ، وذهب الشافعي إلى أنه غير مقدر ، وبه قال ابن عباس .

وإن امتنع السيد منه طوعاً قضى الحاكم به عليه جبراً واجتهد رأيه في قدره ، وحكم به في تركته إن مات ، وحاص به الغرماء إن أفلس .

والمكاتب عبد ما بقي عليه(١٠٨) درهم في قول الشافعي وأصحابه. وإذا عجز عن أداء نجم(١٠٩) عند محله كان السيد بالخيار بين إنظاره وتعجيزه وإعادته رقاً، ولا يرد ما أخذه منه أو من زكاة أعين بها أو مال كسبه .

قال الكلبي وسبب نزول قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُم فِيهِمْ خَيْراً ﴾ الآية ؛ أن عبداً اسمه صبح لحويطب بن عبد العزى سأله أن يكاتبه فامتنع حويطب فأنزل الله ذلك فيه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ الفتيات

---

(١٠٨) ويؤيده ما رواه أبو داود (٣٩٢٦) والبيهقي (١٠/٣٢٤) من حديث ابن عمرو وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٧٢٢ والإرواء ١٦٧٤ .
ولفظه: المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابة درهم .

(١٠٩) أي قسط من المال من الأقساط التي اصطلح مع سيده على أدائها مقابل الحرية .

الإماء ، البغاء الـزنى . والتحصن التعفف . ولا يجوز أن يكـرهها ولا يمكنهـا سواء أرادت تعففاً أو لم تُرِدْ .

وفي ذكر الإكراه هنا وجهان :

أحـدهما : لأن الإكـراه لا يصح إلا فيمن أراد التعفف ، ومن لم يـرد التعفف فهو مسارع إلى الزنىٰ غير مكره عليه .

الثـاني : أنـه وارد على سبب فخـرج النهي على صفـة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه ، وهذا ما روى جابـر بن عبد الله(١١٠) أن عبد الله بن أبي بن سلول كانت لـه أمة يقـال لها مسيكـة وكان يكـرهها على الـزنىٰ فزنت ببُـرْدٍ فأعـطته إيـاه فقال : ارجعي فـآزني على آخـر فقـالت : لا والله مـا أنـا بـراجعـة وجـاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن سيدي يكـرهني على البغاء فـأنزل الله هـذه الآية ، وكـان مستفيضاً من أفعال الجاهلين طلباً للولد والكسب .

﴿ لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي لتأخذوا أجورهن على الزنىٰ .

﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ ﴾ يعني من السادة .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني للأمة المكـرهة دون السيـد المكره .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١١١) فيه أربعة أقاويل :

---

(١١٠) رواه الطبري (١٨/١٣٢) والنسائي بالسنن الكبرى، كتاب التفسير (رقم ٣٨٥).

(١١١) النور هنا بمعنى الهادي وليس بمعنى الضوء لأن الضوء لا يستطيع أن يخلق ضوءآ.

أحدها : معناه الله هادي السمٰوات والأرض ، قاله ابن عباس ، وأنس .

الثاني : الله مدبر السموات والأرض ، قاله مجاهد .

الثالث : الله ضياء السمٰوات والأرض ، قاله أُبي .

الرابع : منور السمٰوات والأرض .

فعلى هذا فبما نورهما به ثلاثة أقاويل :

أحدها : الله نور السمٰوات بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء .

الثاني : أنه نور السمٰوات بالهيبة ونور الأرض بالقدرة .

الثالث : نورهما بشمسها وقمرهما ونجومهما ، قاله الحسن ، وأبو العالية .

﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : مثل نور الله ، قاله ابن عباس .

الثاني : مثل نور محمد ﷺ ، قاله ابن شجرة .

الثالث : مثل نور المؤمن ، قاله أُبي .

الرابع : مثل نور القرآن ، قاله سفيان .

فمن قال : مثل نور المؤمن ، يعني في قلب نفسه . ومن قال : مثل نور محمد ، يعني في قلب المؤمن . ومن قال : نور القرآن ، يعني في قلب محمد . ومن قال : نور الله ، ففيه قولان :

أحدهما : في قلب محمد .

الثاني : في قلب المؤمن .

﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن المشكاة كوة لا منفذ لها والمصباح السراج ، قاله كعب الأحبار .

الثاني : المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة ، قاله مجاهد .

الثالث : المشكاة موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأُنبوب، والمصباح الضوء قاله ابن عباس .

الرابع : المشكاة الحديد الذي يعلق به القنديل وهي التي تسمىٰ السلسلة

والمصباح هو القنديل ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً .

الخامس : أن المشكاة صدر المؤمن والمصباح القرآن الذي فيه والزجاجة قلبه ، قاله أُبَي ، قال الكلبي : والمشكاة لفظ حبشي معرب .

﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني أن نار المصباح في زجاجة القنديل لأنه فيها أضوأ ، وهو قول الأكثرين .

الثاني : أن المصباح القرآن والإيمان ، والزجاجة قلب المؤمن ، قاله أُبَي .

﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أما الكوكب ففيه قولان :

أحدهما : أنه الزهرة خاصة ، قاله الضحاك .

الثاني : أنه أحد الكواكب المضيئة من غير تعيين ، وهو قول الأكثرين .

وأما درّي ففيه أربع قراءات :

إحداها : دُريّ (١١٢) بضم الدال وترك الهمز وهي قراءة نافع وتأويلها أنه مضيء يشبه الدر لضيائه ونقائه .

الثانية : بالضم والهمز وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر وتأويلها أنه مضيء .

الثالثة : بكسر الدال وبالهمز وهي قراءة أبي عمرو والكسائي وتأويلها أنه متدافع لأنه بالتدافع يصير منقضاً فيكون أقوىٰ لضوئه مأخوذ من درأ يدرأ أي دفع يدفع .

الرابعة : بالكسر وترك الهمز وهي قراءة المفضل بن عاصم ، وتأويلها أنه جار كالنجوم الدراري الجارية مأخوذ من درّ الوادي إذا جرىٰ .

﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ فيه قولان :

---

(١١٢) راجع هذه القراءات وما بعدها في الحجة في القراءات ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، زاد المسير (٤١/٦ ، ٤٢) .

أحدهما : يعني بالشجرة المباركة إبراهيم والزجاجة التي كأنها كوكب دري محمد ﷺ ، وهو مروي عن ابن عمر(١١٣) .

الثاني : أنه صفة لضياء المصباح الذي ضربه الله مثلاً يعني أن المصباح يشعل من دهن شجرة زيتونة .

﴿ مُبَارَكَةٍ ﴾ في جعلها مباركة وجهان :

أحدهما : لأن الله بارك في زيتون الشام فهو أبرك من غيره .

الثاني : لأن الزيتون يورق غصنه من أوله إلى آخره وليس له في الشجر مثيل إلا الرمان .

قال الشاعر :

بُورِكَ الْمَيْتُ الغَرِيبُ كَمَا بُو رِكَ نَضْرُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ

﴿ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أنها ليست من شجرة الشرق دون الغرب ولا من شجرة الغرب دون الشرق لأن ما اختص بأحد الجهتين أقل زيتاً وأضعف ، ولكنها شجر ما بين الشرق والغرب كالشام لاجتماع القوتين فيه ، وهو قول ابن شجرة وحكي عن عكرمة .

ومنه قولهم : لا خير في المتقاة والمضحاة ، فالمتقاة أسفل الوادي الذي لا تصيبه الشمس ، والمضحاة رأس الجبل الذي لا تزول عنه الشمس .

الثاني : أنها ليست بشرقية تستر عن الشمس في وقت الغروب ولا بغربية تستر عن الشمس في وقت الطلوع بل هي بارزة للشمس من وقت الطلوع إلى وقت الغروب فيكون زيتها أقوى وأضوأ ، قاله قتادة .

الثالث : أنها وسط الشجر لا تنالها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت وذلك أضوأ لزيتها ، قاله عطية .

---

(١١٣) رواه الطبراني في الكبير والأوسط أما في السجمع (٨٣/٧) وقال الهيثمي فيه الوازع بين نافع وهو متروك .

وزاد السيوطي في الدر (١٩٨/٦) نسبته لابن عدي وابن مردويه وابن عساكر .

الرابع : أنها ليس في شجر الشرق ولا في شجر الغرب مثلها ، حكاه يحيى ابن سلام .

الخامس : أنها ليست من شجر الدنيا التي تكون شرقية أو غربية ، وإنما هي من شجر الجنة ، قاله الحسن .

السادس : أنها مؤمنة لا شرقية ولا غربية ، أي ليست بنصرانية تصلي إلى الشرق ، ولا غربية أي ليست بيهودية تصلي إلى الغرب ، قاله ابن عمر .

السابع : أن الإيمان ليس بشديد ولا لين لأن في أهل الشرق شدة ، وفي أهل الغرب لينٌ .

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن صفاء زيتها كضوء النار وإن لم تمسسه نار ، ذكره ابن عيسى .

الثاني : أن قلب المؤمن يكاد أن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته له ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : يكاد العلم يفيض من فم العالم المؤمن من قبل أن يتكلم به .

الرابع : تكاد أعلام النبوة تشهد لرسول الله ﷺ قبل أن يدعو إليها .

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : يعني ضوء النار على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة ، قاله مجاهد .

الثاني : نور النبوة على نور الحكمة ، قاله الضحاك .

الثالث : نور الزجاجة على نور الخوف .

الرابع : نور الإيمان على نور العمل .

الخامس : نور المؤمن فهو حجة الله ، يتلوه مؤمن فهو حجة الله حتى لا تخلو الأرض منهم .

السادس : نور نبي من نسل نبي ، قاله السدي .

﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يهدي الله لدينه من يشاء من أوليائه ، قاله السدي .

الثاني : يهدي الله لدلائل هدايته من يشاء من أهل طاعته .

الثالث : يهدي الله لنبوته من يشاء من عباده .

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . وفيما ضربت هذه الآية مثلاً فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مثل ضربه الله للمؤمن في وضوح الحق له .

الثاني : أنها مثل ضربه الله لطاعته فسمى الطاعة نوراً لتجاوزها عن محلها .

الثالث : ما حكاه ابن عباس أن اليهود قالوا : يا محمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله ذلك مثلاً لنوره .

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ
﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ
يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

قوله : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ في هذه البيوت قولان :

أحدهما : أنها المساجد ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد .

الثاني : أنها سائر البيوت ، قاله عكرمة .

﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : أن تُبْنَىٰ ، قاله مجاهد كقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي يبني .

الثاني : أنها تطهر من الأنجاس والمعاصي ، حكاه ابن عيسى .

الثالث : أن تعظم ، قاله الحسن .

الرابع : أن ترفع فيها الحوائج إلى الله(١١٤) .

(١١٤) المساجد لها حرمتها شرعاً فلا يجوز لأيٍّ من الناس أن يهتك حرمتها بشيء من الخوارم التي تؤدي إلى =

﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : يتلىٰ فيها كتابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : تذكر فيها أسماؤه الحسنىٰ ، قاله ابن جرير(١١٥) .

الثالث : توحيده بأن لا إلٰه غيره ، قاله الكلبي .

وفيما يعود إليه ذكر البيوت التي أذن الله أن ترفع قولان :

أحدهما : إلى ما تقدم من قوله : كمشكاة فيها مصباح في بيوت أذن الله .

الثاني : إلى ما بعده من قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾ وفي هذا التسبيح قولان :

أحدهما : أنه تنزيه الله .

الثاني : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس والضحاك .

﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ الغدو جمع غَدوة والآصال جمع أصيل وهي العشاء .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قال الكلبي : التجار هم الجلاب المسافرون ، والباعة هم المقيمون .

﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فيه وجهان .

أحدهما : عن ذكره بأسمائه الحسنى .

الثاني : عن الأذان ، قاله يحيى بن سلام .

﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : يعني به تقلبها على حجر جهنم .

الثاني : تقلب أحوالها بأن تلفحها النار ثم تنضجها وتحرقها .

الثالث : أن تقلب القلوب وجيبها ، وتقلب الأبصار النظر بها إلى نواحي الأهوال .

الرابع : أن تقلب القلوب بلوغها الحناجر، وتقلب الأبصار الزَرَق بعد الكحل، والعمى بعد البصر.

= الإزدراء بالمسجد كالبيع وانشاد الضالة وما يسمى بحلقات الذكر «الحضرة» فيرفعون أصواتهم محرفين اسم الله تعالى ويتثنون بطريقة ما وردت لا بكتاب الله ولا سنة رسوله .

(١١٥) جامع البيان (١٨/ ١٤٥) .

الخامس : أن الكافر بعد البعث ينقلب قلبه على الكفر إلى الإيمان وينقلب بصره عما كان يراه غياً فيراه رشداً .

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء على السيئات وإن كان يجازى عليها لأمرين :

أحدهما : أنه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة .

الثاني : أنه يكون في صفة قوم لا تكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة .

﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ما يضاعفه من الحسنة بعشر أمثالها .

الثاني : ما يتفضل به من غير جزاء .

﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : بغير جزاء بل يسديه تفضلاً .

الثاني : غير مقدر بالكفاية حتى يزيد عليها .

الثالث : غير قليل ولا مضيق .

الرابع : غير ممنون به .

وقيل لما نزلت هذه الآية أمر(١١٦) رسول الله ﷺ ببناء مسجد قباء فحضر عبد الله بن رواحة فقال : يا رسول الله قد أفلح من بنىٰ المساجدا ؟ قال : « **نَعَمْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ** » قال ، وصلىٰ فيها قائماً وقاعداً قال : « **نَعَمْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ** » قال : ولم يبت لله إلا ساجداً ؟ قال : « **نَعَمْ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ . كُفَّ عَنِ السَّجْعِ فَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئاً شَرّاً مِن طَلَاقَةِ لِسَانِهِ** » .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ

(١١٦) لم نعثر عليه .

بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ﴾ أما السراب فهو الذي يخيل لمن رآه في الفلاة كأنه الماء الجاري قال الشاعر(١١٧) :

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُهُمْ كَلَمْعِ سَرَابٍ بِالْفَلاَ مُتَأَلِّق

والآل كالسراب إلا أنه يرتفع عن الأرض في وقت الضحى حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء ، وقيل : إن السراب بعد الزوال والآل قبل الزوال والرقراق بعد العصر وأما القيعة فجمع قاع مثل جيرة وجار ، والقاع ما انبسط من الأرض واستوىٰ .

﴿ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ يعني العطشان يحسب السراب ماءً .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ وهذا مثل ضربه الله للكافر يعول على ثواب عمله فإذا قدم على الله وجد ثواب عمله بالكفر حابطاً .

﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وجد أمر الله عند حشره .

الثاني : وجد الله عند عرضه .

﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ووجد الله عند عمله فجازاه على كفره .

والثاني : وجد الله عند وعيده فوفى بعذابه ويكون الحساب على الوجهين معاً محمولاً على العمل ، كما قال امرؤ القيس(١١٨) :

فَــوَلَّى مُــدْبِــراً وأيْــقَـنَ أنَّــه لاَقِـى الْـحِسَــابَــا

﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لأن حسابه آت وكل آت سريع .

---

(١١٧) روح المعاني (١٨/ ١٨٠) وفتح القدير (٤/ ٣٩).

(١١٨) روح المعاني (٤/ ٣٩)

الثاني : لأنه يحاسب جميع الخلق في وقت سريع .

قيل إن هذه الآية نزلت في شيبة بن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية ويلبس الصوف ويطلب الدين فكفر في الإسلام .

قوله : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ الظلمات : ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل .

وفي قوله لجيّ ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه البحر الواسع الذي لا يرى ساحله ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : أنه البحر الكثير الموج ، قاله الكلبي .

الثالث : أنه البحر العميق ، وهذا قول قتادة ، ولجة البحر وسطه ، ومنه ما روي(١١٩) عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ رَكِبَ البَحْرَ إِذَا الْتَجَّ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ » يعني إذا توسطه .

﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يغشاه موج من فوق الموج ريح ، من فوق الريح سحاب فيجمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب .

الثاني : معناه يغشاه موج من بعده فيكون المعنى الموج بعضه يتبع بعضاً حتى كأنه بعضه فوق بعض وهذا أخوف ما يكون إذا توالى موجه وتقارب ، ومن فوق هذا الموج سحاب وهو أعظم للخوف من وجهين :

أحدهما : أنه قد يغطي النجوم التي يهتدى بها .

الثاني : الريح التي تنشأ مع السحاب والمطر الذي ينزل منه .

﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ يحتمل وجهين :

---

(١١٩) رواه أحمد (٥/٢٧١) والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٤) وفي تاريخه (٢/١/٣٨٩) عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

وروواه أحمد أيضاً (٤/٧٩) ولفظه من بات فوق بيت ليس له إجار فوقع فمات فبرئت منه الذمة ومن ركب البحر عند ارتجاجه فمات فقد برئت منه الذمة والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٨٢٨ وأورد الشطره الأول شواهد من حديث جابر بن عبد الله وابن عباس وعلي بن شيبان .

أحدهما : أن يريد الظلمات التي بدأ بذكرها وهي ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل .

الثاني : يعني بالظلمات الشدائد أي شدائد بعضها فوق بعض .

﴿ إذا أَخْرَجَ يَدَه لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه أنه رآها بعد أن كاد لا يراها ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : لم يرها ولم يكد ، قاله الزجاج ، وهو معنى قول الحسن .

وفي قوله لم يكد وجهان :

أحدهما : لم يطمع أن يراها .

الثاني : لم يرها ويكاد صلة زائدة في الكلام .

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللّه لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ومن لم يجعل الله له سبيلاً إلى النجاة في الآخرة فما له من سبيل إليها حكاه ابن عيسى .

الثاني : ومن لم يهده الله للإسلام لم يهتد إليه ، قاله الزجاج .

وقال بعض أصحاب الخواطر وجهاً ثالثاً : ومن لم يجعل الله نوراً له في وقت القسمة فما له من نور في وقت الخلقة .

ويحتمل رابعاً : ومن لم يجعل الله له قبولاً في القلوب لم تقبله القلوب .

وهذا المثل ضربه الله للكافر ، فالظلمات ظلمة الشرك وظلمة الليل وظلمة المعاصي ، والبحر اللجي قلب الكافر . يغشاه من فوقه عذاب الدنيا ، فوقه عذاب الآخرة .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۢ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَآفَّاتٍ ﴾ أي مصطفة الأجنحة في الهواء(*) .

﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الصلاة للإنسان والتسبيح لما سواه من سائر الخلق ، قاله مجاهد .

الثاني : أن هذا في الطير وإن ضرب أجنحتها صلاة وأن أصواتها تسبيح ، حكاه النقاش .

الثالث : أن للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ، قاله سفيان .

ثم فيه قولان :

أحدهما : أن كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه .

الثاني : أن الله قد علم صلاته وتسبيحه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يُزْجِي سَحَاباً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ينزله قليلاً بعد قليل ، ومنه البضاعة المزجاة لقلتها .

الثاني : أنه يسوقه إلى حيث شاء ومنه زجا الخراج إذا انساق إلى أهله قال النابغة(١٢٠) :

إنِّي أتَيْتُكَ من أَهْلِي ومنْ وَطَنِي ... أُزْجِي حُشَاشَةَ نَفْسٍ ما بِها رَمَقُ

﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ أي يجمعه ثم يفرقه عند انتشائه ليقوى ويتصل .

(*) في الأصل الهوى وهو خطأ .

(١٢٠) روح المعاني (٣/٤١) فتح القدير (٤/٤١)

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً ﴾ أي يركب بعضه بعضاً .

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الودق البرق يخرج من خلال السحاب قال الشاعر(١٢١) :

أثرن عجاجة وخرجن منها خروج الودق من خلَلَ السحاب

وهذا قول أبي الأشهب :

الثاني : أنه المطر يخرج من خلال السحاب ، وهو قول الجمهور ، ومنه قول الشاعر(١٢٢) :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل أبقالها

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن في السماء جبال برد فينزل من تلك الجبال ما يشاء فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء .

الثاني : أنه ينزل من السماء برداً يكون كالجبال .

الثالث : أن السماء السحاب ، سماه لعلوه ، والجبال صفة السحاب أيضاً سمي جبالاً لعِظمه فينزل منه برداً يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فتكون إصابته نقمة وصرفه نعمة .

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِٱلأَبْصَارِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : صوت برقه .

الثاني : ضوء برقه ، قاله يحيى بن سلام ومنه قول الشماخ(١٢٣) :

وما كادت إذا رفعت سناها ليبصر ضوءها إلّا البصير

الثالث : لمعان برقه ، قاله قتادة والصوت حادث عن اللمعان كما قال امرؤ القيس(١٢٤) :

---

(١٢١) فتح القدير (٤١/٤)

(١٢٢) هو عامر بن جوين الطائي والبيت في اللسان (ودق) والطبري (١٥٣/١٨) وفتح القدير (٣١/٤) .

(١٢٣) فتح القدير (٤٢/٤) .

(١٢٤) فتح القدير (٤٢/٤) ، والديوان ٢٤ .

(تنبيه) : قوله «آمال السليط خطأ والصواب أهان ولعله تحريف من الناسخ والتصويب من الديوان .

يضي سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل

فيكون البرق دليلاً على تكاثف السحاب ، ونذيراً بقوة المطر ، ومحذراً من نزول الصواعق .

قوله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : هو أن يأتي بالليل بعد النهار ويأتي بالنهار بعد الليل ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : أن ينقص من الليل ما يزيد في النهار وينقص من النهار ما يزيد في الليل ، حكاه يحيى بن سلام .

الثالث : أنه يغير النهار بظلمة السحاب تارة وبضوء الشمس أخرىٰ ، ويغير الليل بظلمة السحاب مرة وبضوء القمر مرة ، حكاه النقاش .

ويحتمل رابعاً : أن يقلبها باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦) ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن أصل الخلق من ماء ثم قلب إلى النار فخلق منها الجن ، وإلى النور فخلق منها الملائكة ، وإلى الطين فخلق منه من خلق وما خلق(١٢٥) ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : أنه خالق كل دابة من ماء النطفة ، قاله السدي .

﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ كالحية والحوت .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَين ﴾ الإنسان والطير .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ كالمواشي والخيل ، ولم يذكر ما يمشي ،

(١٢٥) وهذا يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم ﷺ .

ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لأنه كالذي يمشي على أربع لأنه يعتمد في المشي على أربع .

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ هذه الآية نزلت في بشر ، رجلٌ من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه بشر إلى كعب بن الأشرف لأن الحق إذا كان متوجهاً على المنافق إلى غير رسول الله ﷺ ليسقط عنه ، وإذا كان له حاكم إليه ليستوفيه منه فأنزل الله هذه الآية(١٢٦) .

وقيل : إنها نزلت في المغيرة بن وائل من بني أمية كان بينه وبين علي كرم الله وجهه خصومة في ماء وأرض فامتنع المغيرة أن يحاكم علياً إلى رسول الله ﷺ وقال : إنه يبغضني ، فنزلت هذه الآية .

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : طائعين ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : خاضعين ، حكاه النقاش .

الثالث : مسرعين ، قاله مجاهد .

(١٢٦) ذكرها الواحدي في أسباب النزول ص ١٨٨ بدون سند .

الرابع : مقرنين ، قاله الأخفش وفيها دليل على أن من دعي إلى حاكم فعليه الإجابة ويحرج إن تأخر(١٢٧).

وقد روى أبو الأشهب عن الحسن قال(١٢٨): قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ دُعِيَ إِلَى حَاكِمٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْ فَهُوَ ظَالِمٌ لاَ حَقَّ لَهُ** ». ثم قال : ﴿ **أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : شرك ، قاله الحسن .

الثاني : نفاق ، قاله قتادة .

---

(١٢٧) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٤/٤٥) « وفي هذه الآية دليل على وجوب الإجابة إلى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لأن العلماء ورثة الأنبياء والحكم من قضاة الاسلام العادلين بحكم الله العارفين بكتاب الله العادلين في القضاء هو حكم الله وحكم رسوله فالداعي إلى التحاكم إليهم قد دعا إلى الله وإلى رسوله أي إلى حكمهما قال ابن خويز منداد واجب على كل من دعي إلى مجلس الحاكم أن يجيب ما لم يعلم أن الحاكم فاسق وقال القرطبي وفي هذه الآية دليل على وجوب إجابة الداعي إلى الحاكم لأن الله سبحانه ذم من دُعِيَ إلى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه بأقبح الذم قال : ﴿ **أفي قلوبهم مرض** ﴾ الآية ا هـ. فإن كان القاضي مقصراً لا يعلم بأحكام الكتاب والسنة ولا يعقل حجج الله ومعاني كلامه وكلام رسوله بل كان جاهلاً جهلاً بسيطاً وهو من لا علم له بشيء من ذلك أو جهلاً مركباً وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكن قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين واطلع على شيء من علم الرأي فهذا في الحقيقة جاهل وإن اعتقد أنه يعلم شيئاً من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة هكذا فلا تجب الإجابة إليه لأنه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله حتى يحكم به بين المتخاصمين إليه بل هو من قضاة الطاغوت وحكام الباطل فإن ما عرفه من علم الرأي إنما رخص في العمل به للمجتهد الذي هو منسوب إليه عند عدم الدليل من الكتاب والسنة ولم يرخص فيه لغيره مما يأتي بعده » . . . . الخ .

(١٢٨) رواه الطبراني عن الحسن عن سمرة كما في الدر (٦/٢١٣) وفي سماع الحسن من سمرة خلاف مشهور ولكن الحديث له شاهد مرسل عن الحسن رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وعبد بن حميد كما في الدر (٦/٢١٣) ولفظه « من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه إلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له » .

قال ابن كثير رحمه الله (٣/٢٩٩) هذا حديث غريب وهو مرسل . ا هـ. قلت وأما قول العلامة أبي بكر بن العربي أنه حديث باطل فأما قوله فهو ظالم فكلام صحيح وأما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل أنه يريد أنه على غير الحق ا هـ. فقد رد الشوكاني كلام ابن العربي وهاك عبارته في فتح القدير (٤/٤٨) « أقول وأما كون الحديث مرسلاً فظاهر ، وأما دعوى كونه باطلاً » فمحتاجة إلى برهان فقد أخرجه ثلاثة من أئمة الحديث عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر كما ذكرنا ويبعد كل البعد أن يتفق عليه ما هو باطل. . . . ثم ساق إسناد ابن أبي حاتم ثم قال وليس في هؤلاء كذاب ولا وضاع ويشهد له ما أخرجه الطبراني عن الحسن عن سمرة . . . ثم ساق الحديث المتقدم ا هـ.

﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ أي شكوا ويحتمل وجهين :

أحدهما : في عدل رسول الله ﷺ .

الثاني : في نبوته .

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : طاعة صادقة خير من أيمان كاذبة .

الثاني : قد عرف نفاقكم في الطاعة فلا تتجملوا بالأيمان الكاذبة .

قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي أعرضوا عن الرسول .

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ أي عليه ما حمل من إبلاغكم ، وعليكم ما حملتم من طاعته .

ويحتمل وجهاً ثانياً : أن عليه ما حمل من فرض جهادكم ، وعليكم ما حملتم من وزر عباده .

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ يعني إلى الحق .

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ يعني بالقول لمن أطاع وبالسيف لمن عصى .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ
ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني أرض مكة ، لأن المهاجرين سألوا الله ذلك ، قاله النقاش .

والثاني : بلاد العرب والعجم ، قاله ابن عيسى .

روى سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال(١٢٩) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لَا يَبْقَىٰ عَلَى ٱلْأَرْضِ بَيْتُ حَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الإِسْلَامِ بِعِزٍّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ ، إما يعزهم فيجعلهم من أهلها ، وإما يذلهم فيدينون لها** » .

﴿ **كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني بني إسرائيل في أرض الشام .

الثاني : داود وسليمان .

﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ** ﴾ يعني دين الإسلام وتمكينه أن يظهره على كل دين .

﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** ﴾ لأنهم كانوا مطلوبين فطلبوا ، ومقهورين فقهروا .

---

(١٢٩) رواه ابن منده في كتاب الإيمان (١/١٠٢) وهو صحيح على شرط مسلم كما قال الألباني في تحذير الساجد ص ١٢١ وله شاهد آخر رواه أحمد (٤/١٠٣) والحاكم (٤/٤٣٠ ـ ٤٣١) وابن منده في الإيمان (١/١٠٢) وابن حبان (١٦٣١ ، ١٦٣٢) وصححه الألباني أيضاً على شرط مسلم في المصدر السابق .

راجع السلسلة الصحيحة وقد ذكر أحاديث كثيرة تدل على أن المستقبل للاسلام وتبشر الأحاديث بعودة الخلافة .

الأحاديث رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : لا يعبدون إلهاً غيري ، حكاه النقاش .

الثاني : لا يراءون بعبادتي أحداً .

الثالث : لا يخافون غيري ، قاله ابن عباس .

الرابع : لا يحبون غيري ، قاله مجاهد .

قال الضحاك : هذه الآية في الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم وهم ، الأئمة المهديون ، وقد قال(١٣٠) النبي ﷺ : « **الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلاثون سَنَةً** » .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيمَانُكُم﴾ فيهم قولان :

---

(١٣٠) جزء من حديث رواه أبو داود (٤٦٤٦ ، ٤٦٤٧) وأحمد (٥/ ٢٢٠ ، ٢٢١) وابن حبان (١٥٣٤ ، ١٥٣٥) موارد والترمذي (٢/ ٣٥) والطحاوي في مشكل الآثار . (٤/ ٣١٣) وصححه الحاكم والطبري وأحمد وابن أبي عاصم وابن حبان والترمذي والذهبي والعسقلاني وابن تيمية راجع السلسلة الصحيحة رقم ٤٦٠ .

أحدهما : أنهم النساء يستأذنَّ في هـذه الأوقات خـاصة ويستـأذن الرجـال في جميع الأوقات ، قاله ابن عمر .

الثاني : أنهم العبيد والإماء .

وفي المعنى بالاستئذان ثلاثة أقاويل :

أحدها : العبد دون الأمة يستأذن على سيده في هـذه الأوقات الثـلاثة ، قـاله ابن عمر ، ومجاهد .

الثاني : أنها الإماء لأن العبد يجب أن يستأذن أبداً في هذه الأوقات وغيرها ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه على عمومه في العبد والأمة ، قاله أبو عبد الرحمن السلمي .

﴿ وَالَّـذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الحُلُمَ مِنْكُم ﴾ هم الصغـار الأحرار فمن كـان منهم غير مميـز لا يصف مـا رأى فليس من أهـل الاستئـذان ومن كـان مميـزاً يصف مـا رأىٰ ويحكي ما شاهد فهو المعني بالاستئذان .

﴿ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاَةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيـرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ ٱلْعِشَآءِ ﴾ وهذه الساعات الثـلاث هي أوقات استئـذان من تقدم ذكـره ولا يلزمهم الاستئذان في غيرهـا من الأوقات ، فـذكر الـوقت الأول وهو من قبـل صلاة الفجـر وهو من بعـد الاستيقاظ من النـوم إلى صلاة الصبـح ، ثم ذكر الـوقت الثاني فقال : ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ﴾ وهو وقت الخلوة لنومـة القائلة ، ثم ذكـر الوقت الثـالث فقال : ﴿ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ ٱلْعَشَآءِ ﴾ يعني الآخرة وقد تسميها العامـة العتمة وسميت العشاء لأن ظلام وقتها يعشي البصر .

وإنما خص هذه الأوقـات الثلاثـة لأنها أوقـات خلوات الرجـل مع أهله ولأنـه ربمـا بدا فيهـا عند خلوتـه مـا يكـره أن يـرى من جسـده ، فقـد روي أن عمـر بـن الخطاب كان في منزله وقت القائلة فأنفذ إليه رسول الله ﷺ بصبي من أولاد الأنصار يقال له مدلج فدخل على عمر بغير إذن وكـان نائمـاً فاستيقظ عمـر بسرعـة فانكشف شيء من جسـده فنظر إليـه الغلام فحـزن عمر فقـال : وددت لو أن الله بفضله نهى أبناءنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بـإذننا ثم انـطلق إلى النبي ﷺ فوجـد هذه الآية قد أنزلت فخرَّ ساجداً [شكراً لله] .

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ يعني هذه الساعات الثلاث هي أوقات العورات فصارت من عورات الزمان فجرت مجرى عورات الأبدان فلذلك خصت بالإذن .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني ليس عليكم يا أهل البيوت جناح في تبذلكم في هذه الأوقات .

الثاني : ليس عليكم جناح في منعهم في هذه الأوقات . ولا على المملوكين والصغار جناح في ترك الاستئذان فيما سوى هذه الأوقات .

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني أنهم طوّافون عليكم للخدمة لكم فلم ينلهم حرج في دخول منازلكم ، والطوافون الذين يكثرون الدخول والخروج .

ثم أوجب على من بلغ من الصبيان الاستئذان إذا احتلموا وبلغوا لأنهم صاروا بالبلوغ في حكم الرجال فقال تعالى :

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني الرجال .

قوله : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ والقواعد جمع قاعدة وهن اللاتي قعدن بالكبر عن الحيض والحمل ولا يحضن ولا يلدن . قال ابن قتيبة : بل سمين بذلك لأنهن بعد الكبر يكثر منهن القعود . وقال زمعة : لا تراد ، فتقعد عن الاستمتاع بها والأول أشبه .قال الشاعر :

فلو أن ما في بطنه بين نسوة حبلن ولو كان القواعد عقراً

وقوله : ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي أنهن لأجل الكبر لا يردن الرجال ولا يريدهن الرجال .

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ فيه قولان .

أحدهما : جلبابها وهو الرداء الذي فوق خمارها فتضعه عنها إذا سترها باقي ثيابها قاله ابن مسعود وابن جبير .

الثاني : خمارها ورداؤها ، قاله جابر بن زيد .

﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ والتبرج أن تظهر من زينتها ما يستدعي النظر إليها فإنه في القواعد وغيرهن محظور . وإنما خص القواعد بوضع الجلباب لانصراف النفوس عنهن ما لم يبد شيء من عوراتهن . والشابات المشتهيات يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار ويؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن . وقد روى مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ(١٣١): « لِلزَّوْجِ مَا تَحْتَ الدِّرْعِ ، وَلِلإِبْنِ وَالأَخِ مَا فَوقَ الدِّرْعِ ، وَلِغَيْرِ ذِي مُحْرِمٍ أَرْبَعَةُ أَثْوَابٍ : دِرْعٍ وَخِمَارٍ وَجِلْبَابٍ وَإِزَارٍ ».

﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ يعني إن يستعفف القواعد عن وضع ثيابهن ويلزمن لبس جلابيبهن خير لهن من وضعها وإن سقط الحرج عنهن فيه .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أن الأنصار كانوا يتحرجون أن يؤاكلوا هؤلاء إذا دعوا إلى طعام فيقولون : الأعمى لا يبصر أطيب الطعام ، والأعرج لا يستطيع الزحام عند الطعام ،

(١٣١) لم أعثر على تخريجه وهو أشبه بالموقوف والله أعلم .

والمريض يضعف عن مشاركة الصحيح في الطعام . وكانوا يقولون : طعامهم مفرد ويرون أنه أفضل من أن يكونوا شركاء ، فأنزل الله هذه الآية فيهم ورفع الحرج عنهم في مؤاكلتهم ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، والكلبي .

الثاني : أنه ليس على هؤلاء من أهل الزمانة حرج أن يأكلوا من بيوت من سمىٰ الله بعد هذا من أهاليهم ، قاله مجاهد .

الثالث: أنه كان المذكورون من أهل الزمانة يخلفون الأنصار في منازلهم إذا خرجوا بجهاد وكانوا يتحرجون أن يأكلوا منها فرخص الله لهم في الأكل من بيوت من استخلفوهم فيها ، قاله الزهري .

الرابع : أنها نزلت في إسقاط الجهاد عمن ذكروا من أهل الزمانة .

الخامس : ليس على من ذكر من أهل الزمانة حرج إذا دُعِي إلى وليمة أن يأخذ معه قائده ، وهذا قول عبد الكريم .

﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أموال عيالكم وأزواجكم لأنهم في بيته .

الثاني : من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى بيوت أنفسهم لقوله ﷺ : « أَنتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ »(١٣٢) ولذلك لم يذكر الله بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء والأقارب اكتفاء بهذا الذكر .

الثالث : يعني بها البيوت التي هم ساكنوها خدمة لأهلها واتصالاً بأربابها كالأهل والخدم .

﴿ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾ فأباح الأكل من بيوت هؤلاء لمكان النسب من غير استئذانهم في الأكل إذا كان الطعام

(١٣٢) ورد من حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ،وعبد الله من مسعود وعائشة وسمرة بن جندب وغيرهم . وسأقتصر في التخريج على رواية جابر حيث رواها ابن ماجه (٢٢٩١) والطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٢٣٠) وصححها البوصيري في الزوائد على شرط البخاري وكذا الألباني في إرواء الغليل (٣٢٣/٣) وأحيلك أيها القارىء لقراءة باقي تخريج الروايات في الإرواء.

مبذولاً ، فإن كان محروزاً دونهم لم يكن لهم هتك حرزه . ولا يجوز أن يتجاوزوا الأكل إلى الادخار ، ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محروز عنهم إلا بإذن منهم ثم قال :

﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه عَنَى به وكيل الرجل وَقيِّمه في ضيعته يجوز له أن يأكل مما يقوم عليه من ثمار ضيعته ، قاله ابن عباس :

الثاني : أنه أراد منزل الرجل نفسه يأكل مما ادخره ، قاله قتادة .

الثالث : أنه عنى به أكل السيد من منزل عبده وماله لأن مال العبد لسيده ، حكاه ابن عيسى .

﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يأكل من بيت صديقه في الوليمة دون غيرها .

الثاني : أنه يأكل من منزل صديقه في الوليمة وغيرها إذا كان الطعام حاضراً غير محرز . قال ابن عباس : الصديق أكثر من الوالدين ، ألا ترى أن الجهنميين لم يستغيثوا بالآباء ولا الأمهات وإنما قالوا : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي الصَّدِيقِ البَارِّ عِوَضاً عَنِ الرَّحِمِ المَذْمُومَةِ »(١٣٣) والمراد بالصديق الأصدقاء وهو واحد يعبر به عن الجميع ، قال جرير :

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا .. بأسهم أعداءٍ وهن صديقُ

وفي الصديق قولان :

أحدهما : أنه الذي صدقك عن مودته .

الثاني : أنه الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك .

ثم اختلفوا في نسخ ما تقدم ذكره بعد ثبوت حكمه على قولين :

أحدهما : أنه على ثبوته لم ينسخ شيء منه ، قاله قتادة .

---

(١٣٣) لم أعثر على تخريجه والله أعلم .

الثاني : أنه منسوخ بقوله تعالى :

﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ الآية . ويقول النبي ﷺ : « لا يحل مَالُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنهُ »(١٣٤) .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أنها نزلت في بني كنانة كان رجل منهم يرىٰ أن مُحرَّماً عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتىٰ أن الرجل ليسوق الزود الحفل(*) وهو جائع حتى يجد من يؤاكله ويشاربه ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، قاله قتادة وابن جريج .

الثاني : أنها نزلت في قوم من العرب كان الرجل منهم إذا نزل به ضيف تحرج أن يتركه يأكل وحده حتى يأكل معه ، فنزل ذلك فيهم ، قاله أبو صالح .

الثالث : أنها نزلت في قوم كانوا يتحرجون أن يأكلوا جميعاً ويعتقدون أنه ذنب ويأكل كل واحد منهم منفرداً ، فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الرابع : أنها نزلت في قوم مسافرين اشتركوا في أزوادهم فكان إذا تأخر أحدهم أمسك الباقون عن الأكل حتى يحضر، فنزل ذلك فيهم ترخيصاً للأكل جماعة وفرادىٰ.

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً ﴾ فيها قولان :

---

(١٣٤) هذا الحديث أورده الحافظ ابن حجر في المطالب (٤٢٢/١) من حديث معتمر عن أبيه حدثني شيخ لقيته بالبحرين عن خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع أنه قال«لا يحل من مال امرىء إلا ماأعطى عن طيب نفسه » رواه مسدد وقال محقق المطالب وسكت عليه البوصيري . . . وللحديث طريق آخرى عن عمرو بن يثربي رواها الدارقطني في السنن (٢٥/٣) وأحمد (٧٢/٥) والطبراني كما نقله الحافظ في تلخيص الحبير ص ٤٥ ج ٣ وقال الطبراني لايروى عن ابن يثربي إلا بهذا الإسناد تفرد به عبد الملك .

قلت: وهو عبد الملك بن الحسن الأحول قال الحافظ فيه مجهول وللحديث طريق ثالثة عن أنس مرفوعاً رواها الدارقطني (٢٦/٣) وفي سنده داود بن الزبرقان وهو متروك الحديث .

وله طريق رابعة عن أبي حرة الرقاشي عن عمه مرفوعاً .

رواها الدارقطني (٢٦/٣) وأحمد (٧٢/٥) وفي سندها علي بن زيد بن جدعان وهو متكلم فيه .

(*) الممتلئة لبناً.

أحدهما : أنه المساجد .

الثاني : أنها جميع البيوت .

﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : يعني إذا دخلتم بيوت أنفسكم فسلموا على أهاليكم وعيالكم ، قاله جابر .

الثاني : إذا دخلتم المساجد فسلموا على من فيها ، وهذا قول ابن عباس .

الثالث : إذا دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم ، قاله الحسن .

الرابع : إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهل دينكم ، قاله السدي .

الخامس : إذا دخلتم بيوتاً فارغة فسلموا على أنفسكم وهو أن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، قاله ابن عمر ، وإبراهيم ، وأبو مالك ، وقيل : سلامه على نفسه أن يقول : السلام علينا من ربنا تحية من عند الله .

وإذا سلم الواحد من الجماعة أجزأ عن جميعهم ، فإذا دخل الرجل مسجداً ذا جمع كثير سلم يسمع نفسه ، وإذا كان ذا جمع قليل أسمعهم أو بعضهم .

قال الحسن : كان النساء يسلمن على الرجال ولا يسلم الرجال على النساء ، وكان ابن عمر يسلم على النساء ، ولو قيل لا يسلم أحد الفريقين على الآخر كان أولى لأن السلام مواصلة(١٣٥) .

﴿ تَحِيَّةً مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : يعني أن السلام اسم من أسماء الله تعالى .

الثاني : أن التحية بالسلام من أوامر الله .

الثالث : أن الرد عليه إذا سلم دعاء له عند الله .

الرابع : أن الملائكة ترد عليه فيكون ثواباً من عند الله .

﴿ مُبَارَكَةً ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : لما فيها من الثواب الجزيل .

(١٣٥) ولعل هذا القول أصون وأبعد عن الفتنة .

الثاني : لما يرجى من ثواب الدعاء .

﴿ طَيِّبَةً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لما فيها من طيب العيش بالتواصل .

الثاني : لما فيها من طيب الذكر والشأن .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الأمر الجامع الجمعة والعيدان والاستسقاء وكل شيء يكون فيه الخطبة ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أنه الجهاد ، قاله زيد بن أسلم .

الثالث : طاعة الله ، قاله مجاهد .

﴿ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَئْذِنُوهُ ﴾ أي لم ينصرفوا عنه حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيه .

﴿ فَإِذَا اسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ . . . . ﴾ الآية . وهذا بحسب ما يرى من أعذارهم ونياتهم وروي أن هذا نزل في عمر بن الخطاب[١٣٦] رضي الله عنه كان مع النبي ﷺ في غزاة تبوك فاستأذنه في الرجوع إلى أهله فقال : « **انْطَلِقْ فَوَاللَّهِ مَا أَنتَ بِمُنَافِقٍ وَلاَ مُرْتَابٍ** » وكان المنافقون إذا استأذنوا نظر إليهم ولم يأذن لهم فكان بعضهم يقول لبعض : محمدٌ يزعم أنه بُعِث بالعدل وهكذا يصنع بنا .

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ يعني لمن أذن له من المؤمنين ليزول عنهم باستغفاره ملامة الانصراف قال قتادة : وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم ﴾ الآية .

(١٣٦) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً** ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه نهي من الله عن التعرض لدعاء رسول الله ﷺ بإسخاطه لأن دعاءه يوجب العقوبة وليس كدعاء غيره ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه نهي من الله عن دعاء رسول الله بالغلظة والجفاء وَلْيَدْعُ بالخضوع والتذلل : يا رسول الله ، يا نبي الله ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثالث : أنه نهي من الله عن الإبطاء عند أمره والتأخر عند استدعائه لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض ، حكاه ابن عيسى .

﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم المنافقون كانوا يتسلّلون عن صلاة الجمعة لواذاً أي يلوذ بعضهم ببعض ينضم إليه استتاراً من رسول الله ﷺ لأنه لم يكن على المنافقين أثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش .

الثاني : أنهم كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه يلوذ بعضهم ببعض لواذاً فنزل ذلك فيهم ، قاله مجاهد .

وقال الحسن معنى قوله : ﴿ **لِوَاذاً** ﴾ أي فراراً من الجهاد ، ومنه قول حسان ابن ثابت(١٣٧) :

---

(١٣٧) ديوانه : ص ٣٢٤ وروح المعاني (٥٨/٤) والبيت في الديوان :

وقريش تلوذ منا لـواذاً ... لم يقيموا أو خف منها الحلوم

وقريش تجول منكم لـواذاً لم تحافظ وخفّ منها الحلوم

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يخالفون عن أمر الله ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : عن أمر رسول الله ﷺ ، قاله قتادة .

ومعنى قوله : ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ أي يعرضون عن أمره ، وقال الأخفش : ﴿ عَنْ ﴾ في هذا الموضع زائدة ومعنى الكلام فليحذر الذين يخالفون أمره ، وسواء كان ما أمرهم به من أمور الدين أو الدنيا .

﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : كفر ، قاله السدي .

الثاني : عقوبة ، قاله ابن كامل .

الثالث : بلية تُظْهِرُ ما في قلوبهم من النفاق ، حكاه ابن عيسى .

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : القتل في الدنيا ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : عذاب جهنم في الآخرة .

سُورَةُ الفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

مكية كلها

قال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
نُشُورًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ . . . . ﴾ في تبارك ثلاثة أوجه :

أحدها : تفاعل مع البركة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الذي يجيىء البركة من قِبَلِه ، قاله الحسن .

الثالث : خالق البركة : قاله إبراهيم .

وفي البركة ثلاثة أقاويل :

أحدها : العلو .

الثاني : الزيادة .

الثالث : العظمة . فيكون تأويله على الوجه الأول : تعالى ، وعلى الوجه الثاني تزايد ، وعلى الوجه الثالث : تعاظم .

و ﴿ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ هو القرآن وقيل أنه اسم لكل كتاب منزل كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ .

وفي تسميته فرقاناً وجهان :

أحدهما : لأنه فرق بين الحق والباطل .

الثاني : لأن فيه بيان ما شرع من حلال وحرام ، حكاه النقاش .

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، وقرأ ابن الزبير ﴿ عَلَىٰ عِبَادِهِ ﴾ بالجمع .

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليكون محمد نذيراً ، قاله قتادة ، وابن زيد .

الثاني : ليكون الفرقان ، حكاه ابن عيسى . والنذر : المحذر من الهلاك ، ومنه قول الشاعر :

فلما تلاقينا وقد كان منذر . . نذيراً فلم يقبل نصيحة ذي النذر

والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن لأن النبي ﷺ قد كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما وأنه خاتم الأنبياء ، ولم يكن غيره عامّ الرسالة إلا نوحاً فإنه عم برسالته جميع الإنس بعد الطوفان لأنه بدأ به الخلق ، واختلف في عموم رسالته قبل الطوفان على قولين :

أحدهما : عامة لعموم العقاب بالطوفان على مخالفته في الرسالة .

الثاني : خاصة بقومه لأنه ما تجاوزهم بدعائه .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ
جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني مشركي قريش ، وقال ابن عباس : القائل منهم ذلك النضر بن الحارث .

﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾ يعني القرآن .

﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَاهُ ﴾ أي كذب اختلقه .

﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ وفيمن زعموا أنه أعانه عليه أربعة أقاويل :

أحدها : قوم من اليهود ، قاله مجاهد .

الثاني : عبد الله الحضرمي ، قاله الحسن .

الثالث : عدّاس غلام عتبة ، قاله الكلبي .

والرابع : أبو فكيهة الرومي ، قاله الضحاك .

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾
تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا
﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا
ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ
ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا لِهَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم قالوا ذلك إزراء عليه أنه لما كان مثلهم محتاجاً إلى الطعام

ومتبذلاً في الأسواق لم يجز أن يتميز عليهم بالرسالة ووجب أن يكون مثلهم في الحكم .

الثاني : أنهم قالوا ذلك استزادة له في الحال كما زاد عليهم في الاختصاص فكان يجب ألّا يحتاج إلى الطعام كالملائكة ، ولا يتبذل في الأسواق كالملوك .

ومرادهم في كلا الوجهين فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه ليس يوجب اختصاصه بالمنزلة نقله عن موضع الخلقة لأمرين :

أحدهما : أن كل جنس قد يتفاضل أهله في المنزلة ولا يقتضي تمييزهم في الخلقة كذلك حال من فضل في الرسالة .

الثاني : أنه لو نقل عن موضوع الخلقة بتمييزه بالرسالة لصار من غير جنسهم ولما كان رسولاً منهم ، وذلك مما تنفر منه النفوس .

وأما الوجه الثاني : فهو أن الرسالة لا تقتضي منعه من المشي في الأسواق لأمرين :

أحدهما : أن هذا من أفعال الجبابرة وقد صان الله رسوله عن التجبر .

الثاني : لحاجته لدعاء أهل الأسواق إلى نبوته ، ومشاهدة ما هم عليه من منكر يمنع منه ومعروف يقر عليه .

﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيهِ ﴾ الآية أي هلا أُنزل إليه ﴿ مَلَكٌ . . . ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون الملك دليلاً على صدقه .

الثاني : أن يكون وزيراً له يرجع إلى رأيه .

﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ فلا يكون فقيراً .

﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ والجنة البستان فكأنهم استقلّوه لفقره . قال الحسن : والله ما زَوَاهَا (*) عن نبيه إلا اختياراً ولا بسطها لغيره إلا اغتراراً ولولا ذاك لما أعاله .

(*) أي الدنيا وزينتها .

قوله : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ ﴾ يعني مشركي قريش وقيل إنه عبد الله بن الزبعرى .

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : سحر فزال عقله .

الثاني : أي سَحَرَكُمْ فيما يقوله .

قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلأَمْثَالَ ﴾ يعني ما تقدم من قولهم .

﴿ فَضَلُّواْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فضلواْ عن الحق في ضربها .

الثاني : فناقضوا في ذكرها لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه وهما متناقضان .

﴿ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مخرجاً من الأمثال التي ضربوها ، قاله مجاهد .

الثاني : سبيلاً إلى الطاعة لله ، قاله السدي .

الثالث : سبيلاً إلى الخير ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً ﴾ قال عبد الله بن عمرو[١٣٨]: إن جهنم لتضيق على الكافرين كضيق الزج على الرمح .

﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مُكَتَفِينَ، قاله أبو صالح .

الثاني : يقرن كل واحد منهم إلى شيطانه ، قاله يحيى بن سلام .

﴿ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ويلاً ، قاله ابن عباس .

---

(١٣٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عبد الله بن عمر والتصويب من الدر (٦/ ٢٤٠) والزهد لابن المبارك (رقم ٢٢٩) حيث رواه ابن المبارك .
وفيه انقطاع بين قتادة وابن عمر.

الثاني : هلاكاً ، قاله الضحاك .

الثالث : معناه وانصرافه عن طاعة الله ، حكاه ابن عيسى وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « أَوَّلُ مَن يَقُولُهُ إِبْلِيسُ »(١٣٩) .

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۝١٥ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ۝١٦ ﴾

قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ يعني من النعيم فأما المعاصي فتصرف عن شهواتهم .

﴿ خَالِدِينَ ﴾ يعني في الثواب كخلود أهل النار في العقاب .

﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه وعد الله لهم بالجزاء فسألوه الوفاء فوفاه ، وهو معنى قول ابن عباس .

الثاني : الملائكة تسأل الله لهم فيجابون إلى مسألتهم ، وهو معنى قول محمد بن كعب القرظي .

الثالث : أنهم سألوا الله الجنة في الدنيا ورَغِبوا إليه بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأعطاهم ما طلبوا ، وهو معنى قول زيد بن أسلم .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ

---

(١٣٩) رواه ابن جرير (١٨/١٨٨) وأحمد (٣/١٥٢ ، ١٥٣) وزاد السيوطي في الدر (٦/٢٤٠) نسبته لابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث أنس مرفوعاً وقال السيوطي سنده صحيح ولفظه « إن أول ما يكسى حلته من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبوراه ويقولون يا ثبورهم . . . . . الحديث .

قلت : وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف كما هو معلوم .

مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه حَشْرُ الموت ، قاله مجاهد .

الثاني : حشر البعث ، قاله ابن عباس .

﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال مجاهد : هم عيسى وعزير والملائكة .

﴿ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ ﴾ وهذا تقرير لإكذاب من ادّعى ذلك عليهم وإن خرج مخرج الإستفهام .

وفيمن يقال له ذلك القول قولان :

أحدهما : أنه يقال هذا للملائكة ، قاله الحسن .

الثاني : لعيسى وعزير والملائكة ، قاله مجاهد .

﴿ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أي أخطأوا قصد الحق فأجابوا بأن :

﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما كنا نواليهم على عبادتنا .

الثاني : ما كنا نتخذهم لنا أولياء .

﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : متعهم بالسلامة من العذاب ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : بطول العمر ، حكاه النقاش .

الثالث : بالأموال والأولاد .

﴿ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : حتى تركوا القرآن ، قاله ابن زيد .

الثاني : حتى غفلوا عن الطاعة .

الثالث : حتى نسوا الإحسان إليهم والإنعام عليهم .

﴿ **وَكَانُوا قَوْماً بُوراً** ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني هلكىٰ ، قاله ابن عباس ، مأخوذ من البوار وهو الهلاك .

الثاني : هم الذين لا خير فيهم ، قاله الحسن مأخوذ من بوار الأرض وهو تعطلها من الزرع فلا يكون فيها خير .

الثالث : أن البوار الفساد ، قاله شهر بن حوشب وقتادة ، مأخوذ من قولهم بارت إذا كسدت كساد الفاسد ومنه الأثر المروي : نعوذ بالله من بوار الأيم ، وقال عبد الله بن الزِبعرىٰ(١٤٠) :

يا رسول المليك إن لساني . راتق ما فتقت إذ أنا بُور

﴿ **فقد كذبوكُمْ بما تقولون** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الملائكة والرسل قد كذبوا الكفار فيما يقولون أنهم اتخذوهم أولياء من دونه ، قاله مجاهد .

الثاني : أن المشركين كذبوا المؤمنين فيما يقولونه من نبوة محمد ﷺ ، قاله ابن زيد .

﴿ **فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً** ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : صرف العذاب عنهم ولا ينصرون أنفسهم ، قاله ابن زيد .

الثاني : فما يستطيعون صرف الحجة عنهم ولا نصراً على آلهتهم في تعذيبهم ، قاله الكلبي .

الثالث : فما يستطيعون صرفك يا محمد عن الحق ولا نصر أنفسهم من عذاب التكذيب ، حكاه عيسى .

---

(١٤٠) وقيل هو بيت لعبد الله بن رواحة حين أسلم عند فتح مكة أورده الطبري (١٩١/١٨) ومجاز القرآن (٧٣/٢) وغريب القرآن (٣١١) واللسان (بور) والقرطبي (٣ [illegible]) وروح المعاني (٢٥٠/١٨) ، وزاد المسير (٧٩/٦) .

الرابع : أن الصرف الحيلة حكاه ابن قتيبة والصرف الحيلة مأخوذ من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال .

وأما قولهم لا يقبل منهم صرف ولا عَدْل ففيه وجهان :

أحدهما : أن الصرف : النافلة ، والعَدل : الفريضة .

الثاني : أن الصرف : الدية ، والعَدل : القود .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه افتتان الفقير بالغني أن يقول لو شاء الله لجعلني مثله غنياً(١٤١) والأعمى بالبصير أن يقول لو شاء لجعلني مثله بصيراً ، والسقيم بالصحيح أن يقول لو شاء لجعلني مثله صحيحاً ، قاله الحسن .

الثاني : فتنة بالعدوان في الدين ، حكاه ابن عيسى .

الثالث : أن الفتنة صبر الأنبياء على تكذيب قومهم ، قاله يحيى بن سلام .

الرابع : أنها نزلت حين أسلم أبو ذر الغفاري وعمار وصهيب وبلال وعامر بن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وأمثالهم من الفقراء الموالي فقال المستهزئون من قريش : انظروا إلى أتباع محمد من فقرائنا وموالينا فنزلت فيهم الآية ، حكاه النقاش .

وفي الفتنة هنا وجهان :

أحدهما : البلاء .

والثاني : الاختبار .

﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ يعني على ما مُحِنْتُمْ به من هذه الفتنة ، وفيه اختصار وتقديره أم لا تصبرون.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ قال ابن جريج : بصيراً بمن يصبر ممن يجزع .
ويحتمل وجهاً آخر : بصيراً بالحكمة فيما جعل بعضكم لبعض فتنة .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : لا يخافون ولا يخشون، قاله السدي ، ومنه قول الشاعر[١] :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها   وخالفها في بيت نوب عوامل

أي لم يخش .
الثاني : لا يبالون، قاله ابن عمير، وأنشد لخبيب[١٤٢] .

لعمرك ما أرجو إذا كنت مسلماً   على أي حال كان في الله مصرعي

أي ما أبالي .
الثالث : لا يأملون، حكاه ابن شجرة وأنشد قول الشاعر :

أترجو أمة قتلت حسيناً   شفاعة جدِّه يوم الحسابِ

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ فيه قولان :
أحدهما : ليخبرونا أن محمداً نبي قاله يحيى بن سلام .

---

(١٤١) هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت تقدم تخريجه .
(١٤٢) هو بيت من قصيدة لخبيب بن عدي ذكرها ابن هشام في السيرة (٢/٢١٩/١٨٣) في قصة الرجيع التي قتل فيها خبيب وعاصم وسرد ابن هشام منها ثلاثة عشر بيتاً وقال ومنهم من ينكرها لخبيب.
قلت وقد ذكر البخاري منها بيتين (٦/٣٧٨) وأحمد (٢/٣١٠) وابن سعد (٢/٥٥، ٥٦) والطبري (٣/٢٩) .
والبيت في السيرة : ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي

الثاني: ليكونوا رسلاً إلينا من ربهم بدلاً من رسالة محمد ﷺ.
﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيأمرنا باتباع محمد وتصديقه.
﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: تكبـرواْ في أنفسهم لما قـل في أعينهم من إرسال محمـد ﷺ نبياً إليهم.
الثاني: استكبروا في أنفسهم بما اقترحوه من رؤية الله ونزول الملائكة عليهم.
﴿وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾ فيه خمسة أوجه:
أحدها: أنه التجبر، قاله عكرمة.
الثاني: العصيان، قاله يحيى بن سلام.
الثالث: أنه السرف في الظلم، حكاه ابن عيسى.
الرابع: أنه الغلو في القول، حكاه النقاش.
الخامس: أنه شدة الكفر، قاله ابن عباس.
قيل أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة ومكرز بن حفص بن الأخنف في جماعة من قريش قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا.
فنزل فيهم قوله تعالىٰ:
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ﴾ فيه قولان:
أحدهما: عند الموت، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: يوم القيامة، قاله مجاهد.
﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني بالجنة، قاله عطية العوفي: إذا كان يوم القيامة يلقى المؤمن بالبشرىٰ فإذا رأىٰ الكافر ذلك تمناه فلم يره من الملائكة.
﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: معناه معاذ الله أن تكون لكم البشرىٰ يومئذ، قاله مجاهد.
الثاني: معناه: منعنا أن نصل إلى شيء من الخير، قاله عكرمة.
الثالث: حراماً محرماً أن تكون لكم البشرىٰ يومئذ، قاله أبو سعيد الخدري، والضحاك، وقتادة ومنه قول الملتمس[١٤٣]:

(١٤٣) اللسان «دهرس» روح المعاني (٦/١٩) والطبري (٢/١٩) فتح القدير (٤/٧٠).

حَنّتْ إلى النخلة القصوى فقلت لها حجْرٌ حرام ألا تلك الدهاريس

وفي القائلين حجراً محجوراً قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة قالوه للكفار، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم الكفار قالوه لأنفسهم، قاله قتادة.

قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ أي عمدنا، قاله مجاهد، قال الراجز[١٤٤]:

وقدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم فقالوا
إن دماءكم لنا حلال

﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من عمل خيراً لا يتقبل منهم لإحباطه بالكفر، قاله مجاهد.

الثاني: من عمل صالحاً لا يراد به وجه الله، قاله ابن المبارك.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه رهج الدواب، قاله علي بن أبي طالب.

الثاني: أنه كالغبار يكون في شعاع الشمس إذا طلعت في كوة، قاله الحسن، وعكرمة.

الثالث: أنه ما ذرته الرياح من يابس أوراق الشجر، قاله قتادة.

الرابع: أنه الماء المراق[١٤٥]، قاله ابن عباس.

الخامس: أنه الرماد، قاله عبيد بن يعلى.

قوله تعالى ﴿أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَراً﴾ يعني منزلاً في الجنة من مستقر الكفار في النار.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن المستقر في الجنة والمقيل دونها، قاله أبو سنان.

الثاني: أنه عنى موضع القائلة للدعة وإن لم يقيلواْ، ذكره ابن عيسى.

الثالث: أنه يقيل أولياء الله بعد الحساب على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين المقرنين، قاله ابن عباس.

---

(١٤٤) الطبري (٣/١٩) وفتح القدير (٤/٧٠).

(١٤٥) وفي الطبري (٥/١٩) الماء المهراق.

الرابع: لأنه يفرغ من حسابهم وقت القائلة وهو نصف النهار، فذلك أحسن مقيلاً، من مقيل الكفار، قاله الفراء.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِٱلْغَمَامِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بمعنى على الغمام كما يقال رميت بالقوس وعن القوس ويكون المراد به الغمام المعهود والذي دون السماء لأنه يبقى دونها إذا انشقت غمام.

والقول الثاني: أنه غمام أبيض يكون في السماء ينزله الله على أنبيائه مثل الذي أظل بني إسرائيل، وقد قال في ظل من الغمام فتنشق السماء فيخرج منها.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ يعني أن الملائكة تنزل فيه يوم القيامة، وهو يوم التلاق. الذي يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض.

وفي نزولهم قولان:

أحدهما: ليبشروا المؤمن بالجنة، والكافر بالنار.

الثاني: ليكون مع كل نفس سائق وشهيد.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ قيل هو عقبة بن أبي معيط[١٤٦].

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سبيلاً بطاعة الله. قاله قتادة.

الثاني: طريقاً إلى النجاة، حكاه ابن عيسىٰ.

الثالث: وسيلة عند الرسول يكون وصلة إليه، قاله الأخفش.

(١٤٦) وأخرج قصته ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل نسبة، صححه السيوطي في الدر (٦/ ٢٥٠) من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس.

﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني الشيطان، قاله مجاهد، وأبو رجاء.

الثاني: أنه أبي بن خلف، قاله عمرو بن ميمون.

الثالث: أنه أمية بن خلف، قاله السدي، وذكر أن سبب ذلك أن عقبة وأمية كانا خليلين وكان عقبة يغشىٰ مجلس النبي ﷺ، فقال أمية بن خلف له: بلغني أنك صبوت إلى دين محمد، فقال ما صبوت، قال: فوجهي من وجهك حرام حتى تأتيه فتتفُل في وجهه وتتبرأ منه فأتى عقبة رسول الله ﷺ فتفل على وجهه وتبرأ منه، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله فيه مخبراً عما يصير إليه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ...﴾ الآية والتي بعدها. وفلانٌ لا يُثنىٰ ولا يُجمْع.

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم هجروه بإعراضهم عنه فصار مهجوراً، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم قالوا فيه هجراً أي قبيحاً، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم جعلوه هجراً من الكلام وهو ما لانفع فيه من العبث والهذيان، قاله ابن قتيبة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ في قائل ذلك من الكفار قولان:

أحدهما: أنهم كفار قريش، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقاً، قالوا: هلا أُنزِل عليه جملة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى.

﴿كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لنشجع به قلبك، لأنه معجز يدل على صدقك، وهو معنى قول السدي.

الثاني: معناه كذلك أنزلناه مفرقاً لنثبته في فؤادك.

وفيه وجهان:

أحدهما: لأنه كان أمياً ولم ينزل القرآن عليه مكتوباً، فكان نزوله مفرقاً أثبتَ في فؤاده، وأعلَقَ بقلبه.

الثاني: لنثبت فؤادك باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن، فلا تصير بانقطاع الوحي مستوحشاً.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ورسلناه ترسيلاً: شيئاً بعد شيء، قاله ابن عباس.

الثاني: وفرقناه تفريقاً، قاله إبراهيم.

الثالث: وفصلناه تفصيلاً، قاله السدي.

الرابع: وفسرناه تفسيراً، قاله ابن زيد.

الخامس: وبينّاه تبييناً، قاله قتادة.

روي عن ابن عباس قال(١٤٧): قال رسول الله ﷺ«يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَرَتِّلْهُ تَرْتِيلاً»، فقلت وما الترتيل؟، قال: «بَيِّنْهُ تَبْييناً وَلَا تَبْتُرْهُ بَتْرَ الدقلِ، وَلَا تهذه هَذّ الشِّعرِ وَلَا يَكُونُ هَمَّ أحدِكُم آخِرَ السُّورَةِ».

(١٤٧) أورده في الدر (٣١٤/٨) وقال رواه الديلمي بسند رواه ولفظه إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلاً وبينه تبيناً ولا تنثره نثر الدقل ولا تهزّه هزّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة (تنبيه): قوله هنا «ولا تبتره بتر الدقل» هكذا أوقع في المخطوطة والمطبوعة وهو خطأ والتصويب من الدر ومن نقلت وقد ورد الحديث من حديث علي مرفوعاً أخرجه العسكري في المواعظ كما في الدر (٣١٤/٨) والله أعلم بسنده.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا
ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا
كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾
وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ
أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ
نُشُورًا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الرس المعدن، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه قرية من قرى اليمامة يقال له الفلج من ثمود، قاله قتادة.

الثالث: أنه ما بين نجران واليمن إلى حضرموت، قاله بعض المفسرين.

الرابع: أنه البئر.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه بئر بأذربيجان، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها البئر التي قتل فيها صاحب ياسين بأنطاكية الشام حكاه النقاش.

الثالث: أن كل بئر إذا حفرت ولم تطو فهي رس قال زهير(١٤٨):

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة   فهن ووادي الرس كاليد في الفم

وفي أصحاب الرس أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم شعيب، حكاه بعض المفسرين.

الثاني: أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر، قاله عكرمة.

الثالث: أنهم قوم كانوا نزولاً على بئر يعبدون الأوثان، وكانوا لا يظفرون بأحد يخالف دينهم إلا قتلوه ورسوه فيها، وكان الرس بالشام، قاله الضحاك.

---

(١٤٨) اللسان (رسس) وفتح القدير (٤/٧٦).

الرابع: أنهم قوم أرسل الله إليهم نبياً فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحر، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ وهي سدوم قرية لوط.

﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ الحجارة التي أُمطِرُوا بها، والذين أتوا عليها قريش.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أي يعتبرون بها.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ أي لا يخافون بعثاً.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم كان الرجل منهم يعبد حجراً يستحسنه، فإذا رأى أحسن منه عبده وترك الأول، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الحارث بن قيس كان إذا هوى شيئاً عبده، حكاه النقاش.

الثالث: أنه الذي يتبع هواه في كل ما دعا إليه، قاله الحسن، وقتادة.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني ناصراً، قاله قتادة.

الثاني: حفيظاً، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: كفيلاً، قاله الكلبي.

الرابع: مسيطراً، قاله السّدي.

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي بسطه على الأرض وفيه وجهان:

أحدهما: أن الظل الليل لأنه ظل الأرض يقبل بغروب الشمس ويدبر بطلوعها.

الثاني: أنه ظل النهار بما حجب من شعاع الشمس.

وفي الفرق بين الظل والفيء وجهان:

أحدهما: أن الظل ما قبل طلوع الشمس والفيء ما بعد طلوعها.

الثاني: أن الظل ما قبل الزوال والفيء ما بعده.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ يعني الظل، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قبض الظل بطلوع الشمس.

الثاني: بغروبها.

﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سريعاً، قاله ابن عباس.

الثاني: سهلاً، قاله أبو مالك.

الثالث: خفياً، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿... جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ يعني غطاءً لأنه يَسْتُرُ كَمَا يستر اللباس.

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأنه مسبوت فيه، والنائم لا يعقل كالميت، حكاه النقاش.

الثاني: يعني راحة لقطع العمل ومنه سمي يوم السبت، لأنه يوم راحة لقطع العمل، حكاه ابن عيسى.

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من النشر والبعث.

الثاني: لانتشار الناس في معايشهم، قاله مجاهد، وقتادة

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ قال أبي بن كعب كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب.

وقيل: لأن الرياح جمع وهي الجنوب والشمال والصبا لأنها لواقح، والعذاب ريح واحدة هي الدبور لأنها لا تلقح.

﴿بُشْراً﴾[149] قرئت بالنون وبالباء فمن قرأ بالنون ففيه وجهان:

أحدهما: أنه نشر السحاب حتى يمطر.

الثاني: حياة لخلقه كحياتهم بالنشور.

ومن قرأ ﴿بُشْراً﴾ بالباء ففيه وجهان:

أحدهما: لأنها بشرى بالمطر.

الثاني: لأن الناس يستبشرون بها.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني المطر لأنه رحمة من الله لخلقه. وتأوله بعض[150] أصحاب الخواطر يرسل رياح الندم بين يدي التوبة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: طاهراً، قاله أبو حنيفة ولذلك جوز إزالة النجاسات بالمائعات الطاهرات.

الثاني: مطهراً، قاله الشافعي ولذلك لم يجوز إزالة النجاسة بمائع سوى الماء.

﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾ وهي التي لا عمارة فيها ولا زرع، وإحياؤها يكون بنبات زرعها وشجرها، فكما أن الماء يطهر الأبدان من الأحداث والأنجاس، كذلك الماء يطهر الأرض من القحط والجدب.

---

(١٤٩) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو «الحجة في القراءات» ص ٢٨٥ «السبعة في القراءات» ص ٢٨٣.
(١٥٠) ولا دليل على ما قاله أهل الخواطر.

﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ فجمع بالماء حياة النبات والحيوان وفي الأناسي وجهان:

أحدهما: أنه جمع إنسي.

الثاني: جمع إنسان.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الفرقان المذكور في أول السورة.

الثاني: أراد الماء الذي أنزله طهوراً.

وفيه وجهان:

أحدهما: يعني قسمنا المطر فلا يدوم على مكان، فيهلك ولا ينقطع عن مكان، فيهلك، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: أنه يصرفه في كل عام من مكان إلى مكان، قال ابن عباس ليس عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه بين عباده.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ليتذكروا النعمة بنزوله.

الثاني: ليتذكروا النعمة بانقطاعه.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ قال عكرمة: هو قولهم مطرنا بالأنواء.

روى الربيع بن صبيح(١٥١) قال: أمطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ذات ليلة فلما أصبح قال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهَا بَيْنَ رَجُلَيْنِ شَاكِرٍ وَكَافِرٍ، فَأَمَّا الشَّاكِرُ فَيَحْمِدُ اللَّهَ عَلَى سُقْيَاهُ وَغِيَاثِهِ وَأَمَّا الكَافِرُ فَيَقُولُ مطرنا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا».

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا

(١٥١) هذا الحديث هنا معضل وقد ورد أصله من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعاً رواه البخاري (٢/٥٢٢) ومسلم (١/٨٣، ٨٤) والنسائي (٣/١٦٤، ١٦٥) وأحمد (١/٨٩).
وورد من حديث ابن عباس مرفوعاً رواه مسلم (١/٨٤) ومن حديث أبي هريرة رواه مسلم (١/٨٤) راجع مرويات الحديث في الدر (٨/٢٨ ـ ٣٢)

مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني إلى ما يدعونك إليه: إما من تعظيم آلهتهم، وإما من موادعتهم.

﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالقرآن.

الثاني: بالإسلام.

﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالسيف.

الثاني: بالغلظة.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو إرسال أحدهما إلى الآخر، قاله الضحاك.

الثاني: هو تخليتها، حكاه النقاش وقال الأخفش مأخوذ من مَرَجْتَ الشيء إذا خليته، وَمَرَجَ الوالي الناس إذا تركهم، وأمرجت الدابّة إذا خليتها ترعىٰ، ومنه قول العجاج(١٥٢):

«رَعى بها مَرْج ربيع ممرجاً»

وفي البحرين ثلاثة أقاويل:

أحدها: بحر السماء وبحر الأرض، وهو قول سعيد، ومجاهد.

الثاني: بحر فارس والروم، وهو قول الحسن.

الثالث: بحر العذب وبحر المالح(١٥٣).

﴿هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ قال عطاء:

الفرات: العذب، وقيل هو أعذب العذب.

وفي الأجاج: ثلاثة أقاويل:

---

(١٥٢) شطر من بيت رجز للعجاج في ديوانه ص٩، واللسان مادة رجا والطبري (١٩/٢٣).

(١٥٣) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (٦/٢٦٥) عن الحسن ولكن عند قوله تعالى ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾.

أحدها: أنه المالح، وهو قول عطاء، وقيل: هو أملح المالح.

الثاني: أنه المر، وهو قول قتادة.

والثالث: أنه الحار المؤجج، مأخوذ من تأجج النار، وهو قول ابن بحر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: حاجزاً من البر، وهو قول الحسن، ومجاهد.

الثاني: أن البرزخ: التخوم، وهو قول قتادة.

والثالث: أنه الأجل ما بين الدنيا والآخرة، وهو قول الضحاك.

﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ أي مانعاً لا يختلط العذب بالمالح، ومنه قول الشاعر:

فَرُبَّ في سُرادقٍ محجورِ سرت إليه من أعالي السور

محجور أي ممنوع.

وتأول بعض المتعمقين في غوامض المعاني أن مرج البحرين قلوب الأبرار مضيئة بالبر، وهو العذب، وقلوب الفجار مظلمة بالفجور وهو الملح الأجاج، وهو بعيد(١٥٤).

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً﴾ يعني من النطفة إنساناً.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾ فالنسب مِن تناسُب كل والد وولد، وكل شيء أضفته إلى شيء عرفته به فهو مناسِبُهُ.

وفي الصهر وجهان:

أحدهما: أنه الرضاع وهو قول طاووس.

الثاني: أنه المناكح وهو معنى قول قتادة، وقال الكلبي: النسب من لا يحل نكاحه من القرابة، والصهر من يحل نكاحه من القرابة وغير القرابة.

وأصل الصهر الاختلاط، فسميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها، ومنه قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِم﴾ [الحج: ٢٠] وقيل إن أصل الصهر الملاصقة.

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا

(١٥٤) وقد أحسن المؤلف بالتعقيب على قول المتعمقين.

﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن
شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا
﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ
نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾(١٥٥) فيه وجهان:

أحدهما: عوناً(١٥٦)، مأخوذ من المظاهر وهي المعونة. ومعنى قوله ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾ أي على أولياء ربه.

الثاني: هيناً، مأخوذ من قولهم ظهر فلان بحاجتي إذا تركها واستهان بها قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُم ظِهْرِياً﴾ [هود: ٩٢] أي هيناً، ومنه قول الفرزدق:

تميم بن زيد(١٥٧) لا تكونن حاجتي بظهرٍ فلا يعيا عَلَيّ جوابها

قيل إنها نزلت في أبي جهل(١٥٨).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن العرب لم تكن تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى، وكان مأخوذاً من الكتاب فلما دعوا إلى السجود لله تعالى بهذا الإسم سألواْ عنه مسألة الجاهل به فقالواْ ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَنَ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

الثاني: أن مسيلمة الكذاب كان يسمى الرحمٰن، فلما سمعوا هذا الإسم في

(١٥٥) قال الشوكاني في فتح القدير (٤/٨٣). والظهير المظاهر أي المعاون على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله وعلى دينه.

(١٥٦) وهو قول الحسن وابن زيد كما في الطبري (١٩/٢٦) وقول سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك راجع الدر (٦/٢٩٧).

(١٥٧) وفي فتح القدير (٤/٨٣) «تميم بن بدر».

(١٥٨) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (١٩/٢٧) والسند إليه ضعيف وهو قول الشعبي وعطية العوفي راجع الدر (٦/٢٦٧)

القرآن حسبوه مسيلمة، فأنكروا ما دعوا إليه من السجود له.

والثالث: أن هذا قول قوم كانواْ يجحدون التوحيد ولا يقرون بالله تعالى، فلما أمروا أن يسجدوا للرحمٰن ازدادوا نفوراً مع هواهم بما دعوا إليه من الإيمان، وإلا فالعرب المعترفون بالله الذين يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفىٰ كانوا يعرفون الرحمٰن في أسمائه وأنه اسم مسمى من الرحمة يدل على المبالغة في الوصف، وهذا قول ابن بحر.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها النجوم العظام، وهو قول أبي صالح.

الثاني: أنها قصور في السماء فيها الحرس، وهو قول عطية العوفي.

الثالث: أنها مواضع الكواكب.

والرابع: أنها منازل الشمس، وقرىء بُرجاً، قرأ بذلك قتادة، وتأوله النجم.

﴿وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ يعني مضيئاً، ولذا جعل الشمس سراجاً والقمر منيراً، لأنه لما اقترن بضياء الشمس وهج حرّها جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما كان ذلك في القمر معدوماً جعله نوراً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَار خِلْفَةً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه جعل ما فات من عمل أحدهما خلفة يقضي في الآخر، قاله عمر ابن الخطاب والحسن.

الثاني: أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل أحدهما أبيض والآخر أسود، قاله مجاهد.

الثالث: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا مضىٰ هذا جاء هذا، قاله ابن زيد ومنه وقول زهير[١٥٩]:

---

(١٥٩) شرح ديوان زهير: ٥، غريب القرآن ٣١٤، مجاز القرآن (٢/٨) اللسان (خلف) ومختار الشعر الجاهلي (٢/٨٠).

بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي يصلي بالنهار صلاة الليل ويصلي بالليل صلاة النهار.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ هو النافلة بعد الفريضة، وقيل نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: علماء وكلماء(١٦٠)، قاله ابن عباس.

الثاني: أعفاء أتقياء، قاله الضحاك.

الثالث: بالسكينة والوقار، قاله مجاهد.

الرابع: متواضعين لا يتكبرون، قاله ابن زيد(١٦١).

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلَاماً﴾ الجاهلون فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار.

الثاني: السفهاء.

﴿قَالُواْ سَلَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(١٦٠) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب حكماء والتصويب من الدر (٦/ ٢٧١).

(١٦١) ولا تضاد بين هذه الأقوال وكلها صحيحة ولذلك قال العلامة ابن جرير (١٩/ ٣٣) يقول تعالى ذكره ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

أحدها: قالوا سداداً، قاله مجاهد لأنه قول سليم.

الثاني: قالوا وعليك السلام، قاله الضحاك.

الثالث: أنه طلب المسالمة، قاله ابن بحر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لازماً، قاله ابن عيسىٰ، ومنه الغريم لملازمته وأنشد الأعشىٰ(١٦٢):

إن يعاقب يكن غَراماً وإن يعـ ـطر جزيلاً فإنه لا يبالي

الثاني: شديداً، قاله ابن شجرة، ومنه سميت شدة المحنة غراماً قال بشر بن أبي خازم(١٦٣):

ويوم الجفار ويوم النسا ر، كانا عذاباً، وكان غراما

الثالث: ثقيلاً، قاله قطرب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: ٤٦].

الرابع: أنهم أغرموا بالنعيم في الدنيا عذاب النار، قال محمد بن كعب: إن الله سأل الكفار عن(١٦٤) فأغرمهم فأدخلهم جهنم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لم ينفقواْ في معصية الله، والإسراف النفقة في المعاصي، قاله ابن عباس(١٦٥).

الثاني: لم ينفقوا كثيراً فيقول الناس قد أسرفوا، قاله إبراهيم.

الثالث: لا يأكلون طعاماً يريدون به نعيماً ولا يلبسون ثوباً يريدون به جمالاً، قاله يزيد بن أبي حبيب، قال: هؤلاء أصحاب النبي ﷺ كانت قلوبهم على قلب رجل واحد.

---

(١٦٢) ديوانه: ص ٩.

(١٦٣) مجاز القرآن (٢/ ٨٠) معجم ما استعجم ص ٣٨٥ اللسان(غرم)ونسبه للطرماح والطبري (١٩/ ٣٦).

(١٦٤) هنا حدث سقط في الكلام وتمامه «إن الله سأل الكفار عن [نعمه فلم يردوها إليه] فأغرقهم» وتكملة الكلام نقلناه من الطبري (١٩/ ٣٦) وسنده إلى محمد بن كعب ضعيف ففيه موسى بن جبير الربذي وهو ضعيف.

(تنبيه): كان على محقق المطبوعة أن يلتفت إلى هذا ويكمل الكلام من تفسير الطبري لكن أكمله من عنده وكان الأولى نقله من المصدر.

(١٦٥) لكن الإسناد إليه منقطع رواه ابن جرير (١٩/ ٣٧) ورجحه قوله ابن جرير (١٩/ ٣٨، ٣٩).

الرابع: لم ينفقوا نفقة في غير حقها فإن النفقة في غير حقها إسراف، قاله ابن سيرين.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لم يمنعوا حقوق الله فإن منع حقوق الله إقتار، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يعريهم ولا يجيعهم، قاله إبراهيم.

الثالث: لم يمسكوا عن طاعة الله، قاله ابن زيد.

الرابع: لم يقصروا في الحق، قاله الأعمش.

روىٰ معاذ بن جبل(١٦٦) قال: لما نزلت هذه الآية سألت رسول الله ﷺ عن النفقة في الإسراف والإقتار ما هو. فقال: من منع من حق فقد قتر، ومن أعطىٰ في غير حق فقد أسرف.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني عدلاً، قاله الأعمش.

الثاني: أن القوام: أن يخرجوا في الله شطر أموالهم، قاله وهب.

الثالث: أن القوام: أن ينفق في طاعة الله ويكف عن محارم الله(*).

ويحتمل رابعاً: أن القوام ما لم يمسك فيه عزيز ولم يقدم فيه على خطر، والفرق بين القَوام بالفتح والقِوام بالكسر، ما قاله ثعلب: أنه بالفتح الاستقامة والعدل، وبالكسر ما يدوم عليه الأمر ويستقر.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ﴾ يعني لا يجعلون لله تعالىٰ

(١٦٦) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم.

(*) وفي نسخة للمخطوطة «وهو قول ابن زيد».

شريكاً، ولا يجعلون بينهم وبينه في العبادة وسيطاً.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعني حرم قتلها، وهي نفس المؤمن والمعاهد.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ والحق المستباح به قتلها، ما روي عن النبي ﷺ(١٦٧) أنه قال «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: كُفرٍ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنىً بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْل نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ».

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ والزنىٰ إتيان النساء المحرمات في قبل أو دبر، واللواط زنى في أحد القولين وهو في القول الثاني موجب لقتل الفاعل والمفعول به (١٦٨)، وفي إتيان البهائم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كالزنى في الفرق بين البكر والثيب.

الثاني: أنه يوجب قتل البهيمة ومن أتاها للخبر المأثور فيه(١٦٩).

الثالث: أنه يوجب التعزير. فجمع في هذه الآية بين ثلاث من الكبائر الشرك وقتل النفس والزنى. روى عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود(١٧٠) قال: قلت: يا رسول الله (أو قال غيري): أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «أَن تَجْعَلَ لِلَّه نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قال: ثم أي؟ قال: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خِيفَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قال: ثم أيّ؟ قال: أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ» قال فأنزل الله ذلك.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يعني هذه الثلاثة أو بعضها.

﴿يَلْقَ أَثَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(١٦٧) رواه الترمذي (٢١٥٩) والنسائي (٧/٩٢) وأبو داود (٤٥٠٢) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد صحح سنده الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول (١٠/٢١٥) وللحديث روايات أخرى متقاربة في اللفظ راجعها في جامع الأصول لابن الأثير.

(١٦٨) ويؤيده ما ورد من حديث ابن عباس مرفوعاً» من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه» رواه أحمد (٢٧٣٢)(٢٧٢٧) والترمذي (١٤٥٦) وأبو داود (٤٤٦٢) وابن ماجة (٢٥٦١) والبيهقي (٨/٢٣٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٥/٤٠).

(١٦٩) وهو الراجح لما ورد في الحديث «من أتى بهيمة فاقتلوها واقتلوه معها» رواه أحمد (٢٤٢٠) وأبو داود (٤٤٦٤) والترمذي (١٤٥٤) والحاكم (١/٣٥٥) والبيهقي (٨/٢٣٣، ٢٣٤) وحسنه الأرناؤوط في زاد المعاد (٥/٤١).

(١٧٠) رواه البخاري (٨/٣٧٨) وأحمد (١/٣٨٠) ومسلم (١/٩) وابن جرير (١٩/٤١) وزاد في الدر (٦/٢٧٦) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أحدها: أن الأثام العقوبة قاله بلعام بن قيس[١٧١]:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام

الثاني: أن الأثام اسم واد في جهنم، قاله ابن عمر، وقتادة، ومنه قول الشاعر:

لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك تلقى أثاما

الثالث: الجزاء، قاله السدي، وقال الشاعر[١٧٢]:

وإن مقامنا ندعو عليكم بأبطح ذي المجاز له أثامُ

﴿يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: أنها الجمع بين عقوبات الكبائر المجتمعة.

الثالث: أنها استدامة العذاب بالخلود.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ أي يخلد في العذاب بالشرك.

﴿مُهَاناً﴾ بالعقوبة.

﴿إلَّا مَن تَابَ﴾ يعني من الزنى.

﴿وَءَامَنَ﴾ يعني من الشرك. ﴿وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً﴾ يعني بعد السيئات.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: في الدنيا يبدلهم بالشرك إيماناً، وبالزنى إحصاناً وبذكر الله بعد نسيانه، وبطاعته بعد عصيانه، وهذا معنى قول الحسن، وقتادة.

الثاني: أنه في الآخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته فيبدل الله السيئات حسنات، قاله أبو هريرة.

الثالث: أنه يبدل الله عقاب سيئاته إذا تاب منها بثواب حسناته إذا انتقل إليها، قاله ابن بحر.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لما تقدم قبل التوبة.

﴿رَحِيماً﴾ لما بعدها.

وحكى الكلبي أن وحشياً وهو عبد عتبة بن غزوان كتب بعد وقعة أحد وقَتْلِ

---

(١٧١) وقيل هو شافع الليثي.

والبيت في غريب القرآن (٣١٥) وفي القرآن (٢ / ٨١) واللسان (إثم) والطبري (١٩ / ٤٠).

(١٧٢) وهو بشر بن أبي خازم والبيت في اللسان مادة (أثم).

وشطره الأول «وكان مقامنا ندعو عليهم».

حمزة إلى النبي ﷺ: هل من توبة؟ فإن الله أنزل بمكة إياسي من كل خير ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ﴾ الآية وإن وحشياً قد فعل هذا كله، وقد زنى وأشرك وقتل النفس التي حرم الله، فأنزل الله ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ أي من الزنى وآمن بعد الشرك وعمل صالحاً بعد السيئات، فكتب بها رسول الله ﷺ إليه فقال وحشي: هذا شرط شديد ولعلي لا أبقى بعد التوبة حتى أعمل صالحاً، فكتب لرسول الله ﷺ: هل من شيء أوسع من هذا؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، فكتب بها رسول الله ﷺ إلى وحشي. فأرسل وحشي إلى النبي ﷺ: إني لأخاف أن لا أكون في مشيئة الله، فأنزل الله في وحشي وأصحابه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. فبعث بها رسول الله ﷺ إلى وحشي إلى النبي ﷺ فأسلم.

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أنه الشرك بالله، قاله الضحاك(١٧٣)، وابن زيد.

الثاني: أنه أعياد أهل الذمة وشبهه، قال ابن سيرين هو الشعانين.

الثالث: أنه الغناء، قاله مجاهد.

الرابع: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس.

الخامس: أنه لعب كان في الجاهلية، قاله عكرمة.

السادس: أنه الكذب، قاله ابن جريج، وقتادة.

السابع: أنه مجلس كان يشتم فيه النبي ﷺ، قاله خالد بن كثير.

(١٧٣) رواه الطبري (١٩/٤٨) وسنده إليه ضعيف فيه جويبر وهو متروك.

ويحتمل ثامناً: أنه العهود على المعاصي(١٧٤).

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه ما كان يفعله المشركون من أذية المسلمين في أنفسهم وأعراضهم فيعرضوا عنهم وعن أذاهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم إذا ذكروا النكاح كَنّوا عنه، حكاه العوّام(١٧٥).

الثالث: أنهم إذا ذكروا الفروج كَنّوا عنها، قاله محمد بن علي الباقر رحمه الله.

الرابع: أنهم إذا مروا بإفك المشركين ينكروه، قاله ابن زيد.

الخامس: أن اللغو هنا المعاصي كلها، ومرهم بها كراماً إعراضهم عنها، قاله الحسن.

ويحتمل سادساً: وإذا مروا بالهزل عدلوا عنه إلى الجد.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بوعده ووعيده.

الثاني: بأمره ونهيه.

﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ يعني سمعوا الوعظ فلم يصموا عنه وأبصروا الرشد فلم يعموا عنه بخلاف من أصمه الشرك عن الوعظ وأعماه الضلال عن الرشد.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا﴾ وجهان:

أحدهما: لم يقيموا، قاله الأخفش.

الثاني: لم يتغافلوا، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى ﴿. . . رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اجعل أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، قاله الكلبي.

الثاني: ارزقنا من أزواجنا ومن ذرياتنا أعواناً ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي أهل طاعة تقر بهم أعيننا في الدنيا بالصلاح، وفي الآخرة بالجنة.

وفي قرة العين وجهان:

(١٧٤) قال الشوكاني رحمه الله (٤/٨٩) والأولى عدم التخصيص بنوع من أنواع الزور بل المراد الذين لا يحضرون ما يصدق عليه اسم الزور كائناً ما كان» أهـ وبنحوه قال الطبري (١٩/٤٩).

(١٧٥) أي عن مجاهد كما رواه الطبري (١٩/٤٩).

أحدهما: أن تصادف ما يرضيهما فتقر على النظر إليه دون غيره.

الثاني: أن القرّ البرد فيكون معناة برّد الله دمعها، لأن دمعة السرور باردة، ودمعة [الحزن] حارة، وضد قرة العين سخنة العين، قاله الأصمعي.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أمثالاً، قاله عكرمة.

الثاني: رضاً، قاله جعفر الصادق.

الثالث: قادة إلى الخير، قاله قتادة.

الرابع: أئمة هدى يُهْتَدىٰ بنا، قاله ابن عباس.

الخامس: نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا، قاله مجاهد.

وفي الآية دليل على أن طلب الرياسة في الدين ندب.

أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَـٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الغرفة الجنة، قاله الضحاك.

الثاني: أنها أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى منازل الدنيا، حكاه ابن شجرة.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما صبروا عن الشهوات، قاله الضحاك.

الثاني: بما صبروا على طاعة الله.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بقاء دائماً.

الثاني: ملكاً عظيماً.

﴿وَسَلاَماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها جماع السلامة الخير.

الثاني : هو أن يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، قاله الكلبي .
ولأصحاب الخواطر في التحية والسلام وجهان :
أحدهما : التحية على الروح والسلام على الجسد .
الثاني : أن التحية على العقل والسلام على النفس .
قوله تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ فيه وجهان :
أحدهما : ما يصنع ، قاله مجاهد ، وابن زيد .
الثاني : ما يبالي ، قاله أبو عمرو بن العلاء .
﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : لولا عبادتكم وإيمانكم به ، والدعاء العبادة .
الثاني : لولا دعاؤه لكم إلى الطاعة ، قاله مجاهد .
ويحتمل ثالثاً : لولا دعاؤكم له إذا مسكم الضر وأصابكم السوء رغبة إليه وخضوعاً إليه .
﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فيه وجهان :
أحدهما : كذبتم برسلي .
الثاني : قصرتم عن طاعتي مأخوذ من قولهم قد كذب في الحرب إذا قصّر .
﴿لِزَامًا﴾ فيه أربعة أوجه :
أحدها : أنه عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر ، قاله ابن مسعود وأُبي .
الثاني : عذاب الآخرة في القيامة ، قاله قتادة .
الثالث : أنه الموت ، قاله محمد بن كعب ، ومنه قول الشاعر :

يولي عند حاجتها البشير ... ولم أجزع من الموت اللزام

الرابع : هو لزوم الحجة في الآخرة على تكذيبهم في الدنيا ، قاله الضحاك ، وأظهر الأوجه أن يكون اللزام الجزاء للزومه ، والله أعلم .

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

آياتها ٢٢٧ — ترتيبها ٢٦

مكية كلها، وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها نزلن بالمدينة من قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم
مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

قوله ﴿طسٓمٓ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله أقسم به، والمقسم عليه ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم﴾، قاله ابن عباس(١٧٦).

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه من الفواتح التي افتتح الله بها كتابه، قاله الحسن.

---

(١٧٦) تقدم الكلام على أوائل السور في صدر سورة البقرة فراجعه وأما قول ابن عباس هنا فقد رواه الطبري (٥٨/١٩) وسنده منقطع.

الرابع: أنها حروف هجاء مقطعة من أسماء الله وصفاته:

أما الطاء ففيها قولان:

أحدها: أنها من الطول.

الثاني: أنها من الطاهر.

وأما السين ففيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من القدوس.

الثاني: أنها من السميع.

الثالث: من السلام.

وأما الميم ففيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من المجيد.

الثاني: من الرحيم.

الثالث: من الملك.

ولأصحاب الخواطر في تأويل ذلك قولان:

أحدهما: (١٧٧) أن الطاء شجرة طوبىٰ، والسين سدرة المنتهىٰ، والميم محمد المصطفى ﷺ.

الثاني: أن الطاء طرب التائبين، والسين ستر الله على المذنبين، والميم معرفته بالغاوين، وقد ذكرنا في تفسير ﴿الٓمٓ﴾ من زيادة التأويلات ما يجزىء تخريجه قبل هذا الموضع.

قوله ﴿بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاتل نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والبخع القتل، قاله ذو الرمة(١٧٨):

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه بشيءٍ نحته عن يديه المقادِرُ

الثاني: محرج نفسك، قاله عطاء، وابن زيد.

---

(١٧٧) وهو قول جعفر الصادق كما في زاد المسير (٦/١١٥).

(١٧٨) هو ذو الرمة والبيت في ديوانه: ص ٢٥١ ومجاز القرآن (١/٣٩٣) والطبري (١٥/١٩٤) واللسان (بخع) ونسبه الألوسي في روح المعاني (١٩/٥٨) للفرزدق فأخطأ.

قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: ما عظم من الأمور القاهرة.

الثاني: ما ظهر من الدلائل الواضحة.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية.

الثاني: أنه أراد أصحاب الأعناق فحذفه وأقام المضاف إليه مقامه، ذكره ابن عيسىٰ.

الثالث: أن الأعناق الرؤساء، ذكره ابن شجرة، وقاله قطرب.

الرابع: أن العنق الجماعة من الناس، من قولهم: أتاني عنق من الناس أي جماعة، ورأيت الناس عنقاً إلى فلان، ذكره النقاش.

قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي نوع معه قرينة من أبيض وأحمر، وحلو وحامض.

﴿كَرِيمٍ﴾ فيه أربعة أوجه.

أحدها: حسن، قاله ابن جبير.

الثاني: أنه مما يأكل الناس والأنعام، قاله مجاهد.

الثالث: أنه النافع المحمود كما أن الكريم من الناس هو النافع المحمود.

الرابع: هم الناس نبات الأرض كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [نوح: ١٧] فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ
هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا
مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ
مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ

ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

قوله ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي أخاف أن يضيق قلبي وفيه وجهان:

أحدهما: بتكذيبهم إياي، قاله الكلبي.

الثاني: بالضعف عن إبلاغ الرسالة.

﴿وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ (١٧٩) فيه وجهان:

أحدهما: من مهابة فرعون، قاله الكلبي.

الثاني: للعقدة التي كانت به.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي ليكون معي رسولاً، لأن هارون كان بمصر حيث بعث الله تعالىٰ موسى نبياً.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ فتكون علي بمعنى عندي، وهو قول المفضل، وأنشد قول أبي النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدَّعي ... علي ذَنْبا كلّه لم أصْنَعِ

والثاني: معناه ولهم عليّ عقوبة ذنب.

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ قد خاف موسى أن يقتلوه بالنفس التي قتلها، فلا يتم إبلاغ الرسالة لأنه يعلم أن الله تعالى بعثه رسولاً تكفل بعونه على تأدية رسالته.

قوله عز وجل: ﴿فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أرْسَلَنا رب العالمين، حكاه ابن شجرة.

والثاني: معناه أن كل واحد منا رسول رب العالمين، ذكره ابن عيسى.

والثالث: معناه إنا رسالة رب العالمين، قاله أبو عبيدة، ومنه قول كثير(١٨٠):

لقد كَذَّب الواشون ما بُحْتُ عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

أي رسالة.

(١٧٩) قال العلامة الألوسي (١٩/ ٦٥) «وهذا الكلام منه عليه السلام ليس تشبث بأذيال العلل والـ عن امتثال أمره عز وجل وتلقيه بالسمع والطاعة بل هو تمهيد عذر في استدعاء عوناً له على الامتثال وإقامة الدعوة على أتم وجه فإن ما ذكره ربما يوجب اختلال الدعوة وانتباذ الحجة وقد تضمن هذا الاستدعاء قوله تعالى «فأرسل إلى هارون».

(١٨٠) اللسان مادة (رسل)، الطبري (١٩/ ٦٥) روح المعاني (١٩/ ٦٧).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾ أي صغيراً، لأنه كان في داره لقيطاً.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ لم يؤذن له في الدخول عليه سنة، وخرج من عنده عشر سنين، وعاد إليه يدعوه ثلاثين سنة، وبقي بعد غرقه خمسين سنة، قال ذلك امتناناً عليه.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل النفس.

﴿وَأنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أي على ديننا الذي لا تقول إنه كفر، وهو قول السدي.

الثاني: من الكافرين لإحساني إليك وفضلي عليك(١٨١)، وهذا قول محمد بن إسحاق.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني قتل النفس، قال المفضل: ومعنى إذن لموجب(*).

﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّالِّينَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: من الجاهلين(١٨٢)، وهو قول مجاهد لا يعلم أنها تبلغ.

والثاني: من الضالين عن النبوة، لأن ذلك كان قبل الرسالة، وهو معنى قول الضحاك.

الثالث: من الناسين، وهو قول ابن زيد، كما قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلأُخْرىٰ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه أن اتخاذك بني إسرائيل عبيداً قد أحبط نعمتك التي تمن عليّ، وهذا قول عليّ بن عيسى.

---

(١٨١) وقال ابن زيد في قوله ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ قال: ربيناك فينا وليداً فهذا الذي كافأتنا أن قتلت منا نفساً وكفرت بنعمتنا.

رواه الطبري (١٩/٦٦) واختاره ورجحه على قول السدي.

(*) هنا عبارة غير واضحة في الأصول.

(١٨٢) واختاره ابن جرير (١٩/٦٧) والألوسي (١٩/٦٩) والشوكاني (٤/٩٦) والزمخشري (٣/١١٠).

والثاني: معناه أنك لما ظلمت بني إسرائيل ولم تظلمني، أعددت ذلك نعمة تمنّ بها عليّ؟ قاله الفراء.

والثالث: أنه لم تكن لفرعون على موسىٰ نعمة لأن الذي رباه بنو إسرائيل بأمر فرعون لاستعباده لهم، فأبطل موسىٰ نعمته لبطلان استرقاقه.

والرابع: أن فرعون أنفق على موسى في تربيته من أموال بني إسرائيل التي أخذها من أكسابهم حين استعبدهم، فأبطل موسىٰ النعمة وأسقط المنة، لأنها أموال بني إسرائيل لا أموال فرعون، وهذا معنىٰ قول الحسن.

وفي التعبيد وجهان:

أحدهما: أنه الحبس والإذلال، حكاه أبان بن تغلب.

الثاني: أنه الاسترقاق، فالتعبيد الاسترقاق، سمي بذلك لما فيه من الإذلال، مأخوذ من قولهم طريق معبد، ومنه قول طرفة بن العبد(١٨٣):

تبارى عناقاً ناجيات وأتبعت ... وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ مُعَبَّدِ

أي طريق مذلل.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى

(١٨٣) ديوان الستة الجاهليين ٣١، الطبري (١/١٦١) ونسباه إلى طرفة بن العبد كما هنا وأورده صاحب اللسان (عبد) ونسبه لبشر بن أبي خازم.

﴿ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ قال سعيد بن جبير: كانت من عوسج، قال الحكيم: ولم يسخر العوسج لأحد بعده، وقال الكلبي: كانت من آس الجنة عشرة أذرع على طول موسى.

﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الحية الذكر، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اعتم الحيات الصفر شعراء العنق، حكاه النقاش.

﴿مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مبين أنه ثعبان.

الثاني: مبين أنها آية وبرهان، وكان فرعون قد همّ بموسىٰ، فلما صارت العصا ثعباناً فَاغِراً فَاهُ خافه ولاَذَ بموسى مستجيراً وَوَلَّىٰ قومُه هرباً حتىٰ وطىء بعضهم على بعض، قال ابن زيد: وكان اجتماعهم بالإسكندرية، قال الزجاج: روي أن السحرة كانوا اثني عشر ألفاً، وقيل: تسعة عشر ألفاً.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي تشيرون لأنه لا يجوز أن يأمر التابع المتبوع، فجعل المشورة أمراً لأنها على لفظه.

ويحتمل استشارته لهم وجهين:

أحدهما: أنه أراد أن يستعطفهم لضعف نفسه.

الثاني: أنه أذهله ما شاهد فحار عقله فلجأ إلى رأيهم وهو يقول أنا ربكم الأعلى، وقد خفي عليه تناقض الأمرين خذلانا(١٨٤).

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا﴾

(١٨٤) هذه حيلة يديرها الطغاة في كل عصر وفي كل مصر لانخداع الناس حينما يرون أن كراسيهم على وشك الانهيار وأن عروشهم على وشك الاهتزاز فتراهم يطلقون التهم على عباد الله الأبرياء من الدعاة انظروا انهم يريدون الحكم. إنهم متعصبون... إنهم إرهابيون.. إنهم متطرفون ويظهرون بذلك حرصهم على الجماهير الغافلة المخدوعة.

لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ
ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أخره وأخاه، قاله ابن عباس.

الثاني: احبسه وأخاه، قاله قتادة.

وفي مشورتهم على فرعون بإرجائه ونهيهم له عن قتله ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم خافوا إن قتلوه أن يفتن الناس بما شاهدوه منه، وأمّلوا إن جاء السحرة أن يغلبوه.

الثاني: أنهم شاهدوا من فعله ما بهر عقولهم، فخافوا الهلاك من قتله.

الثالث: أن الله صرفهم عن ذلك تثبيتاً لدينه وتأييداً لرسوله.

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ في الشرذمة وجهان:

أحدهما: أنهم سفلة الناس وأدنياؤهم، قاله الضحاك، ومنه قول الأعشى:

وهم الأعبد في أحيائهم لعبيدٍ وتراهم شرذمة

الثاني: أنهم العصبة الباقية من عصبة كبيرة وشرذمة كل شيء بقيته القليلة، ويقال لما قطع من فضول النعال من الجلد شراذم، وللقميص إذا خلق شراذم، وأنشد أبو عبيدة(١٨٥)

جاء الشتاء وقميصي أخلاق   شراذم يضحك منها التواق

واختلف في عدد بني إسرائيل حين قال فرعون فيهم: إنهم لشرذمة قليلون، على أربعة أقاويل:

أحدها: ستمائة وتسعين(١٨٦) ألفاً، قاله ابن مسعود.

الثاني: ستمائة وعشرون ألفاً، قال مقاتل: لا يعد ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره، وهو قول السدي.

الثالث: كانوا ستمائة ألف(١٨٧) مقاتل، قاله قتادة.

الرابع: كانو خمسمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة، وإنما استقل هذا العدد لأمرين:

أحدهما: لكثرة من قتل منهم.

الثاني: لكثرة من كان معه، حكى السدي أنه كان على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ليس فيها ماديانه(١٨٨)، وقال الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ﴾ (١٨٩) قراءة ابن كثير ونافع، وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿حَاذِرُونَ﴾ وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهما لغتان ومعناهما واحد، حكاه ابن شجرة وقاله أبو عبيدة واسْتَشْهَد بقول الشاعر:

وكنت عليه أحذر الموت وحده   فلم يبق لي شيء عليه أحاذره

---

(١٨٥) اللسان (شرذم) وفتح القدير (٤/ ١٠٠) والشطر الثاني فيه «شراذم يضحك منها الخلائق».

(١٨٦) والذي في الطبري (١٩/ ٧٥) والدر (٦/ ٢٩٥) عن ابن مسعود أن العدد ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

(١٨٧) وهو قول ابن عباس.

(١٨٨) وفي الدر (٦/ ٢٩٤) من رواية ابن أبي حاتم [ليس فيها ما ذيانه].

(١٨٩) كذا هي قراءة يعقوب وأبي جعفر راجع المبسوط في القراءات ص ٣٢٧.

الثاني: أن الحذر المطبوع على الحذر، والحاذر الفاعل الحذر، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أن الحذر الخائف والحاذر المستعد.

الرابع: أن الحذر المتيقظ، والحاذر آخذ السلاح، لأن السلاح يسمى حذراً قال الله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُم﴾ [النساء: ١٠٢] أي سلاحكم، وقرأ ابن عامر: ﴿حَادِرُونَ﴾[١٩٠] بدال غير معجمة وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أقوياء من قولهم جمل حادر إذا كان غليظاً.

الثاني: مسرعون.

قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الخزائن.

الثاني: الدفائن.

الثالث: الأنهار، قاله الضحاك.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها المنابر، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: مجالس الأمراء، حكاه ابن عيسى.

الثالث: المنازل الحسان، قاله ابن جبير.

ويحتمل رابعاً: أنها مرابط الخيل لتفرد الزعماء بارتباطها عُدة وزينة فصار مقامها أكرم منزول.

فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ
﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾
وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ

(١٩٠) وهي قراءة ابن عامر، انظر السبعة في القراءات، الحجة في القراءات.

نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ
لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾
قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: حين أشرقت الشمس بالشعاع، قاله السدي.

الثاني: حين أشرقت الأرض بالضياء، قاله قتادة.

الثالث: أي بناحية المشرق، قاله أبو عبيدة.

قال الزجاج: يقال شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت.

واختلف في تأخر فرعون وقومه عن موسى وبني إسرائيل حتى أشرقوا على قولين:

أحدهما: لاشتغالهم بدفن أبكارهم لأن الوباء في تلك الليلة وقع فيهم.

الثاني: لأن سحابة أظلتهم فخافوا وأصبحوا، فانقشعت عنهم.

وقرىء ﴿مُشَرِّقِينَ﴾ بالتشديد(١٩١) أي نحو المشرق، مأخوذ من قولهم شرّق وغرّب، إذا سار نحو المشرق والمغرب.

﴿قَالَ: كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي سيرشدني إلى الطريق.(١٩٢)

الثاني: معناه سيكفيني، قاله السدي.

و ﴿كَلَّا﴾ كلمة توضع للردع والزجر، وحكي أن موسى لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم عليهم القمر فقال لقومه: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال موسىٰ فأيكم يدري أين قبره؟ قالوا: ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل فأرسل إليها

(١٩١) الحجة في القراءات، السبعة في القراءات.

(١٩٢) زاد المسير (٦/١٢٦)، السبعة في االقراءات.

فقال: دلِّيني على قبر يوسف، قالت: لا والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة فثقل عليه فقيل له أعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروه واستخرجوا عظامه، فلما أقلوها فإذا الطريق مثل ضوء النهار.

فروىٰ أبو بردة عن أبي موسى[١٩٣]: أن النبي ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه فقال رسول الله ﷺ: **حَاجَتُكَ**؟ قال له: ناقة أرحلها وأعنزاً أحلبها فقال رسول اللّه ﷺ: «**أَعَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ** فقال الصحابة: وما عجوز بني إسرائيل **فَذَكَرَ لَهُم حَالَ هَـٰذِهِ العَجُوزِ الَّتِي حَكَمَت عَلَى مُوسَىٰ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ**».

قوله تعالى: ﴿**فَأَوْحَينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَانفَلَقَ**﴾ روىٰ عكرمة عن ابن عباس أن موسى لما بلغ البحر واتبعه فرعون قاله له فتاهُ يوشع بن نون: أين أمرك ربك؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر، ثم ذكر أنه أمر أن يضرب بعصاه البحر فضربه، فانفلق له اثنا عشر طريقاً وكانوا اثني عشر سبطاً لكل سبط طريق، عرض كل طريق فرسخان.

وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكناً لا يتحرك، فلما كان ليلة ضربه موسى بالعصا صار يمد ويجزر.

وحكى النقاش: أن موسىٰ ضرب بعصاه البحر وقد مضىٰ من النهار أربع ساعات، وكان يوم الاثنين عاشر المحرم وهو يوم عاشوراء، قال: والبحر هو نهر النيل ما بين إيلة ومصر وقطعوه في ساعتين، فصارت ست ساعات.

﴿**فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ**﴾ أي كالجبل العظيم، قاله امرؤ القيس:

فبينا المرءُ في الأحياء طَودٌ   رماه الناس عن كَثَبٍ فمالا[١٩٤]

وكان الأسباط لا يرى بعضهم بعضاً فقال كل سبط: قد هلك أصحابنا فدعا موسى ربه فجعل في كل حاجز مثل الكوى حتىٰ رأى بعضهم بعضاً.

---

(١٩٣) هذه القصة بما فيها حديث أبي موسى كلها مرفوعة وقد سبق الكلام عليها وعلى تخريجها في سورة يوسف في آخرها.

(١٩٤) ديوان: ٣١٠، فتح القدير (٤/١٠٢).

ورواية الديوان:

وبينا كان في الأحياء طوراً   رماه الدهر عن كثب فمالا

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قربنا إلى البحر فرعون وقومه، قاله ابن عباس، وقتادة، ومنه قول الشاعر(١٩٥):

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

الثاني: جمعنا فرعون وقومه في البحر، قاله أبو عبيدة، وحكي عن أُبي وابن عباس أنهما قرآ(١٩٦): ﴿وَأَزْلَقْنَا﴾ بالقاف من زلق الأقدام، كأقدام فرعون أغرقهم الله تعالى في البحر حتى أزلقهم في طينه الذي في قعره.

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذي خلقني بنعمته فهو يهدين لطاعته.

الثاني: الذي خلقني لطاعته فهو يهديني لجنته، فإن قيل فهذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها إبراهيم دليلاً على هدايته ولم يهتد بها غيره؟

قيل: إنما ذكرها احتجاجاً على وجوب الطاعة، لأن من أنعم وجب أن يطاع ولا يُعصى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها، وهذا إلزام صحيح ثم فصل ذلك بتعديد نعمه عليه وعليهم فقال:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

وهذا احتجاجاً عليهم لموافقتهم له ثم قال:

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ وهذا قاله استدلالاً ولم يقله احتجاجاً، لأنهم خالفوه فيه، فبين لهم أن ما وافقوه عليه موجب لما خالفوه فيه.

وتجوز بعض المتعمقة في غوامض المعاني فعدل بذلك عن ظاهره إلى ما

---

(١٩٥) فتح القدير (١٠٢/٤)

(١٩٦) وهي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي رجاء والضحاك وابن يعمر كما في زاد المسير (١٢٧/٦).

تدفعه بداهة العقول فتأول ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي يطعمني لذة الإيمان ويسقيني حلاوة القبول.

وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ وجهان:

أحدهما: إذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته.

الثاني: مرضت بمقاساة الخلق شفاني بمشاهدة الحق.

وتأولوا قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ على ثلاثة أوجه:

أحدها: والذي يميتني بالمعاصي ويحييني بالطاعات.

الثاني: يميتني بالخوف ويحييني بالرجاء.

الثالث: يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة. وهذه تأويلات تخرج عن حكم الاحتمال إلى جهة الاستطراف، فلذلك ذكرناها وإن كان حذفها من كتابنا أَوْلى.

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه اللب، قاله عكرمة.

الثاني: العلم، قاله ابن عباس.

الثالث: القرآن، قاله مجاهد.

الرابع: النبوة، قاله السدي.

ويحتمل خامساً: أنه إصابة الحق في الحكم.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: مع الأنبياء والمؤمنين.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: بالصالحين من أصفيائك في الدنيا.

الثاني: بجزاء الصالحين في الآخرة ومجاورتهم في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:
أحدها: ثناء حسناً في الأمم كلها، قاله مجاهد، وقتادة، وجعله لساناً لانه يكون باللسان.
الثاني: أن يؤمن به أهل كل ملة، قاله ليث بن أبي سليم.
الثالث: أن يجعل من ولده من يقوم بالحق بعده، قاله علي بن عيسىٰ.
ويحتمل رابعاً: أن يكون مصدقاً في جمع الملل وقد أجيب إليه.
قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِي﴾ الآية. في أبيه قولان:
أحدهما: أنه كان يسر الإيمان ويظهر الكفر فعلىٰ هذا يصح الاستغفار له.
الثاني: وهو الأظهر أنه كان كافراً في الظاهر والباطن.
فعلى هذا في استغفاره له قولان:
أحدهما: أنه سأل أن يغفر له في الدنيا ولا يعاقبه فيها.
والثاني: أنه سأل أن يغفر له سيئاته التي عليه والتي تسقط بعفوه.
قوله تعالى: ﴿بِقَلْبٍ﴾ فيه خمسة أوجه:
أحدها: سليم من الشك، قاله مجاهد.
الثاني: سليم من الشرك، قاله الحسن، وابن زيد.
الثالث: من المعاصي، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح.
الرابع: أنه الخالص، قاله الضحاك.
الخامس: أنه الناصح في خلقه، قاله عبد الرحمن بن أبي حاتم.
ويحتمل سادساً: سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرىٰ عند المعاينة(١٩٧).

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ
﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ
إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ

(١٩٧) والأولى أن يقال: سلم من هذه الأشياء كلها فسلم من الشهوات ومن الشبهات على حد سواء. راجع إغاثة اللهفان (١/٨٢٧).

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن
شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُم وَٱلْغَاوُونَ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: معناه جمعوا فيها أي النار، قاله ابن عباس.

الثاني: طرحوا فيها على وجوههم، قاله ابن زيد، وقطرب.

الثالث: نكسوا فيها على رؤوسهم، قاله السدي، وابن قتيبة.

الرابع: قلب بعضهم على بعض، قاله اليزيدي، قال الشاعر:

يقول لهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب في القَليب

﴿هُم وَٱلْغَاوُونَ﴾ يعني الآلهة التي يعبدون.

وفي الغاوين قولان:

أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس.

الثاني: الشياطين، قاله قتادة.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أعوانه من الجن.

الثاني: أتباعه من الإنس.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: الملائكة.

الثاني: من الناس.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الشقيق: قاله مجاهد.

الثاني: القريب النسيب، يقال حم الشيء إذا قرب ومنه الحمى لأنها تقرب الأجل، قال قيس بن ذريح:

لعل لبنى اليوم حُمَّ لقاؤها ... وبعض بلاء إنَّ ما حُمَّ واقِعُ

وقال ابن عيسى: إنما سمي القريب حميماً لأنه يحمى بغضب صاحبه، فجعله

مأخوذاً من الحمية، وقال قتادة: يذهب الله يومئذٍ مودة الصديق، ورقة الحميم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ
﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾
وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين يسألون ولا يقنعون.

الثاني: أنهم المتكبرون.

الثالث: سفلة الناس وأراذلهم، قاله قتادة.

الرابع: أنهم الحائكون، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم الأساكفة، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أنهم أصحاب المهن الرذلة كلها.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾
فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى
ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالحجارة، قاله قتادة.

الثاني: بالقتل، قاله محمد بن الحسن.

الثالث: بالشتيمة، قاله السدي. قال أبو داود:

صدّت غواة معدٍّ أن تراجمني ... كما يصدون عن لب كجفان

قوله تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾ قال قتادة والسدي: معنا[١٩٨] واقض بيني وبينهم قضاء، وهو أن ينجيه ومن معه من المؤمنين ويفرق الكافرين، ولم يدعُ نوح ربه عليهم إلا بعد أن أعلمه، ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فحينئذ دعا عليهم.[١٩٩]

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الريع الطريق، قاله السدي، ومنه قول المسيب بن علي:

في الآل يخفضها ويرفعها   ريع يلوح كأنه سحل

السحل: الثوب الأبيض، شبه الطريق به.

الثاني: أنه الثنية الصغيرة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه السوق، حكاه الكلبي.

الرابع: أنه الفج بين الجبلين، قاله مجاهد.

الخامس: أنه الجبال، قاله أبو صخر[٢٠٠].

السادس: أنه المكان المشرف من الأرض، قاله ابن عباس، قال ذو الرمة[٢٠١]:

طِراق الخوافي مشرق فوق ريعهِ   ندى ليله في ريشه يترقرق

---

(١٩٨) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب معناه.

(١٩٩) اللسان (ريع) والبيت منسوب فيه إلى المسيب بن علس.

(٢٠٠) قول ابن صخر في الدر (٣١٢/٦) «والريع ما استقبل الطريق بين الجبال والظراب».

(٢٠١) اللسان (ريع)، فتح القدير (١٠٩/٤)، الطبري (٩٣/١٩).

﴿ءَايَةٍ تَعْبَثُونَ﴾ في آية ثلاثة أوجه:

أحدها: البنيان، قاله مجاهد.

الثاني: الأعلام، قاله ابن عباس.

الثالث: أبراج الحمام، حكاه ابن أبي نجيح.

وفي العبث قولان:

أحدها: اللهو واللعب، قاله عطية.

الثاني: أنه عبث العشّارين بأموال من يمر بهم، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: القصور المشيدة، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٢٠٢):

تركنا ديارهم منهم قفاراً وهَدّمنا المصانع والبُروجا

الثاني: أنها مآجل الماء تحت الأرض، قاله قتادة، ومنه قول لبيد(٢٠٣):

بَلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

الثالث: أنها بروج الحمام، قاله السدي(٢٠٤).

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي كأنكم تخلدون باتخاذكم هذه الأبنية، وحكى قتادة: أنها في بعض القراءات: كأنكم خالدون(٢٠٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أقوياء، قاله ابن عباس.

الثاني: هو ضرب السياط، قاله مجاهد.

---

(٢٠٢) فتح القدير (٤/ ١١٠) وفيه:

تركن .... هدّ من ....

(٢٠٣) فتح القدير (٤/ ١١٠).

(٢٠٤) قال العلامة ابن جرير (١٩/ ٩٥، ٩٦) «والصواب من القول في ذلك أن يقال إن المصانع جمع مصنعة من العرب تسمى كل بناء مصنعة وجاز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً أو حصوناً مشيدة وجائز أن يكون كان مآخذ للماء ولا خبر يقطع العذر بأن ذلك كان ولا هو مما يدرك من جهة العقل فالصواب أن يقال فيه ما قال الله أنهم كانوا يتخذون مصانع» أ هـ.

(٢٠٥) وفيها قراءة أخرى وهي تخلدون برفع التاء وتسكن الخاء وفتح اللام مخففة وفيها قراءة ثالثة وهي تخلدون بفتح الخاء وتشديد اللام راجع زاد المسير (٦/ ١٣٦).

الثالث: هو القتل بالسيف في غير حق، حكاه يحيى بن سلام.

وقال الكلبي: هو القتل على الغضب.

ويحتمل رابعاً: أنه المؤاخذة على العمد والخطأ من غير عفو ولا إبقاء.

قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾
وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله تعالى ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: دين الأولين، قاله ابن عباس.

الثاني: كدأب الأولين، قاله مجاهد.

الثالث: عادة الأولين، قاله الفراء.

الرابع: يعني أن الأولين قبلنا كانوا يموتون فلا يبعثون ولا يحاسبون، قاله قتادة.

أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾
وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أنه الرطب اللين، قاله عكرمة.

الثاني: المذنب من الرطب، قاله ابن جبير.

الثالث: أنه الذي ليس فيه نوى، قاله الحسن.

الرابع: أنه المتهشم المتفتت إذا مس تفتّت، قاله مجاهد.

الخامس: المتلاصق بعضه ببعض، قاله أبو صخر.

السادس: أنه الطلع حين يتفرق ويخضر، قاله الضحاك.

السابع: اليانع النضيج، قاله ابن عباس.

الثامن: أنه المكتنز قبل أن ينشق عنه القشر، حكاه ابن شجرة، قال الشاعر:

كأن حمولة تجلى عليه هضيم ما يحس له شقوقُ

التاسع: أنه الرخو، قال الحسن.

العاشر: أنه اللطيف، قاله الكلبي.

ويحتمل أن يكون الهضيم هو الهاضم المريء.

والطلع اسم مشتق من الطلوع وهو الظهور، ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات.

قوله تعالى: ﴿فَرِهِينَ﴾(٢٠٦) قرأ بذلك أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وقرأ الباقون ﴿فَارِهِينَ﴾ بالألف فمن قرأ ﴿فَرِهِينَ﴾ ففي تأويله ستة أوجه:

أحدها: شرهين، قاله مجاهد.

الثاني: معجبين، قاله خصيف.

الثالث: آمنين، قاله قتادة.

الرابع: فرحين، حكاه ابن شجرة.

الخامس: بطرين أشرين، قاله ابن عباس.

السادس: متخيرين(٢٠٧)، قاله الكلبي، ومنه قول الشاعر:

إلى فره يماجدُ كلَّ أمْرٍ قصدت له لأختبر الطِّباعَا

ومن قرأ: ﴿فَارِهِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: معناه كيّسين قاله الـ(٢٠٨).

الثاني: حاذقين، قاله أبو صالح، مأخوذ من فراهة الصنعة، وهو قول ابن عباس.

---

(٢٠٦) المبسوط في القراءات ص ٣٢٨، زاد المسير (١٣٨/٦).

(٢٠٧) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب متجبرين وهو قول عطية العوفي.

(٢٠٨) كذا وقع سقط هنا وتهامة من الطبري (١٠١/١٩) هو قول الضحاك.

الثالث: قادرين، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه جمع فارِه، والفاره المرح، قاله أبو عبيدة، وأنشد لعدي بن الرقاع[٢٠٩] الغنوي:

لا أستكين إذا ما أزمةٌ أزمت ... ولن تراني بخير فاره اللبب

أي من اللبب.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾
فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: من المسحورين، قاله مجاهد.

الثاني: من السكرانين، قاله قتادة.

الثالث: من المخلوقين، قاله ابن عباس.

الرابع: من المخدوعين، قاله سهل بن عبدالله.

الخامس: أن المسحر الذي ليس له شيء ولا يملك، وهو المقل، أي لست بملك فيبقى، وهذا معنى قول الكلبي.

السادس: ممن له سحر أي رقية، حكاه ابن عيسى.

السابع: ممن يأكل ويشرب، حكاه ابن شجرة، ومنه قول لبيد[٢١٠]:

إن تسألينا فيم نحن فإننا ... عصافير من هذا الأنام المسحر

أي المعلل بالطعام والشراب، قال امرؤ القيس[٢١١]:

أرانا موضعين لأمر غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

---

(٢٠٩) معجم الشعراء ٢٥٢، الطبري (١٩/١٠١) واللسان فرة.

(٢١٠) تقدم تخريج هذا البيت.

(٢١١) ديوانه: ٩٧، وفتح القدير (٤/١١٢).

رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن
لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ
نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾
ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾
۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه القبان، قاله الحسن.

الثاني: الحديد، رواه ابن المبارك.

الثالث: أنه المعيار، قاله الضحاك.

الرابع: الميزان، قاله الأخفش والكلبي.

الخامس: العدل.

واختلف قائلو هذا التأويل فيه هل هو عربي أو رومي؟ فقال مجاهد والشعبي: هو العدل بالرومية، وقال أبو عبيدة وابن شجرة: هو عربي وأصله القسط وهو العدل،

ومنه قوله تعالى ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] أي بالعدل.

قوله تعالى: ﴿. . . وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه قولان:

أحدها: معناه ولا تمشوا فيها بالمعاصي، قاله أبو مالك.

الثاني: لا تمشوا فيها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل، قاله ابن المسيب.

ويحتمل ثالثاً: أن عبث المفسد ما ضر غيره ولم ينفع نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَالْجِبِلَّةِ﴾ يعني الخليقة، قال امرؤ القيس:

والموت أعظم حادثٍ فيما يمر على الجبلة(٢١٢)

﴿الْأَوَّلِينَ﴾ يعني الأمم الخالية، والعرب تكسر الجيم والباء من الجبلة، وقد تضمها وربما أسقطت الهاء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾ [يس: ٦٢].

قال أبو ذؤيب:

صناتا يقربن الحتوف لأهلها جهاراً ويستمتعن بالأنس الجبل(٢١٣)

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾

قوله تعالى: ﴿كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: جانباً من السماء، قاله الضحاك.

الثاني: قطعاً، قاله قتادة.

الثالث: عذاباً، قاله السدي. قال الشاعر:

(٢١٢) غريب القرآن (٣٢٠)، مجمع البيان (١٩/ ١٧٨) فتح القدير (٤/ ١١٥).

(٢١٣) والبيت في اللسان (جبل)،الطبري (١٩/ ١٠٨) ووقع في البيت تحريف في أوله هنا وفي المطبوعة. والصواب «منايا يقربن الحتوف لأهلها».

وُدّي لها خالص في القلب مجتمع ... ودها فاعلمي كسف لما فوق

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ يعني القرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني جبريل.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يعني محمد ﷺ.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ يعني لأمتك.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يعني أن لسان القرآن عربي مبين لأن المنزل عليه عربي، والمخاطبون به عرب ولأنه تحدىٰ بفصاحته فصحاء العرب.

وفي اللسان العربي قولان:

أحدهما: لسان جرهم، قاله أبو برزة.

الثاني: لسان قريش، قاله مجاهد.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني كتب الأولين من التوراة والإنجيل وغيرها من الكتب.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المراد به ذكر القرآن في زبر الأولين[٢١٤]، قاله قتادة.

الثاني: بعث محمد ﷺ في زبر الأولين، قاله السدي.

الثالث: ذكر دينك وصفة أمتك في زبر الأولين، قاله الضحاك.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾

(٢١٤) واختاره الطبري (١٩/ ١١٣) ورجحه الشوكاني (٤/ ١١٧) والألوسي (١٩/ ١٢٥) وقال ابن الجوزي (٦/ ١٤٤) وهو قول الأكثرين.

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠١﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٢﴾ أَفَبِعَذَابِنَا
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٥﴾
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٦﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٧﴾
ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٨﴾ ﴿٢٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كذلك أدخلنا الشرك. قاله أنس بن مالك.

الثاني: التكذيب، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: القسوة، قاله عكرمة.

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لمصروفون عن السمع للقرآن.

الثاني: أنهم مصروفون عن فهمه وإن سمعوه.

الثالث: أنهم مصروفون عن العمل به وإن سمعوه وفهموه.

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ
فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: حين تقوم في الصلاة، قاله ابن عباس.

الثاني: حين تقوم من فراشك ومجلسك، قاله الضحاك.

الثالث: يعني قائماً وجالساً وعلى حالاتك كلها، قاله قتادة.

الرابع: يعني حين تخلو، قاله الحسن، ويكون القيام عبارة عن الخلوة لوصوله إليها بالقيام عن ضدها.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، قاله ابن عباس.

الثاني: يرىٰ تقلبك في صلاتك وركوعك وسجودك، حكاه ابن جرير.

الثالث: أنك ترىٰ تقلبك في صلاتك من خلفك كما ترىٰ بعينك من قدامك، قاله مجاهد.

الرابع: معناه وتصرفك في الناس، قاله الحسن لتقلبه في أحواله وفي أفعاله.

الخامس: تقلب ذكرك وصفتك على ألسنة الأنبياء من قبلك.

السادس: أن معنى قوله ﴿ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إذا صليت منفرداً ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ إذا صليت في الجماعة، قاله قتادة.

ويحتمل سابعاً: الذي يراك حين تقوم لجهاد المشركين، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ فيما تريد به المسلمين وتشرعه من أحكام الدين.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ
وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ
وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ﴾ يعني إذا غضبوا سبوا. وفيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الشياطين، قاله مجاهد.

الثاني: المشركون، قاله ابن زيد.

الثالث: السفهاء، قاله الضحاك.

الرابع: الرواة[٢١٥]، قاله ابن عباس.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في كل فن من الكلام يأخذون[٢١٦]، قاله ابن عباس.

الثاني: في كل لغو يخوضون، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر[٢١٧]:

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

الثالث: هو أن يمدح قوماً بباطل، ويذم قوماً بباطل، قاله قتادة.

وفي الهائم وجهان:

أحدهما: أنه المخالف في القصد، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه المجاوز للحد.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ يعني ما يذكرونه في شعرهم من الكذب بمدح أو ذم أو تشبيه أو تشبيب.

﴿إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾ تقديره فإنهم لا يتبعهم الغاوون ولا يقولون ما لا يفعلون.

روي أن عبدالله[٢١٨] بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت أتوا رسول الله ﷺ حين نزل ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ﴾ فبكوا عنده وقالوا: هلكنا يا رسول الله،

---

(٢١٥) قال أبو جعفر الطبري (١٩/ ١٢٧، ١٢٨) وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أنه يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن وذلك أن الله عم بقوله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية ا هـ.

(٢١٦) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٤/ ٢١) قوله ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ أي ألم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون، وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون فتارة يمزقون الأعراض بالهجاء وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس إلى فعل المنكرات كما تسميه في اشعارهم في مدح الخمر والزنا واللواط ونحوه من الرذائل الملعونة.

(٢١٧) هو عبدالله بن الزبعري.

(٢١٨) رواه الطبري (١٩/ ١٢٩، ١٣٠) بسنده عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري قال: لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت.... الحديث.

قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٣٥٥) هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الانصار ففي ذلك نظر. ولم يتقدم آي في سبب النزول إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم.

فأنزل الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فقرأها عليهم حتىٰ بلغ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ فقال: أنتم.

﴿وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في شعرهم.

الثاني: في كلامهم[٢١٩].

﴿وَانتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ أي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين فقابلوهم عليه نصرة للمؤمنين وانتقاماً من المشركين.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وهذا وعيد يراد به من هجا رسول الله ﷺ من الشعراء لكل كافر من شاعر[٢٢٠] وغير شاعر سيعلمون يوم القيامة أي مصير يصيرون وأي مرجع يرجعون، لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العذاب وهو شر مرجع.

والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها، فصار إلى مرجع منقلباً وليس كل منقلب مرجعاً.

(٢١٩) قال الحافظ ابن كثير (٣٥٦/٣) وكلا القولين صحيح مكفّر لما سبقه.

(٢٢٠) ولذلك قال الحافظ ابن كثير (٣٥٦/٣) والصحيح ان هذه الآية عامة في كل ظالم ا هـ.

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ
ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ﴿٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي هذه آيات القرآن.

﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي وآيات الكتاب المبين، والكتاب هو القرآن، فجمع له بَيْنَ الصفتين بأنه قرآن وأنه كتاب لأنه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة.

﴿مُّبِينٍ﴾ لأنه يبين فيه نهيه وأمره، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده.

وفي المضمر في ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه يعود إلى الحروف التي في ﴿طسٓ﴾ قاله الفراء.

الثاني: إلى جميع السورة.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هدى إلى الجنة وبشرىٰ بالثواب، قاله يحيى بن سلام.

الثاني : هدى من الضلالة وبشرىٰ بالجنة ، قاله الشعبي .

قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ﴾ يعني المفروضة ، وفي إقامتها وجهان :

أحدهما : إستيفاء فروضها وسنتها ، قاله ابن عباس .

الثاني : المحافظة على مواقيتها ، قاله قتادة .

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾ فيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها زكاة المال ، قاله عكرمة ، وقتادة ، والحسن .

الثاني : أنها زكاة الفطر ؛ قاله الحارث العكلي .

الثالث : أنها طاعة الله والإخلاص ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

الرابع : أنها تطهير أجسادهم من دنس المعاصي .

قوله تعالى : ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يترددون ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

الثاني : يتمادون ، قاله أبو العالية ، وأبو مالك ، والربيع بن أنس .

الثالث : يلعبون ، قاله قتادة ، والأعمش

الرابع : يتحيرون ، قاله الحسن ، ومنه قول الراجز(٢٢١) :

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالجاهلين العمه

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لتأخذ القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : لتوفى القرآن ، قاله السدي .

الثالث : لتلقن القرآن ، قال ابن بحر .

ويحتمل رابعاً : لتقبل القرآن ، لأنه أوّل من يلقاه عند نزوله .

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي من عند حكيم في أمره ، عليم بخلقه .

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ

(٢٢١) هو رؤبة بن العجاج والبيت في ديوانه : ١٩٩، وقدتقدم تخريجه موسعاً في سورة البقرة .

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ
ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ
ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رأيت ناراً، قاله أبو عبيدة ومنه سمي الإنسان إنساً لأنهم مرئيون.

الثاني: أحسست ناراً، قاله قتادة، والإيناس: الإحساس من جهة يؤنس بها.

﴿سَئَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سأخبركم عنها بعلم، قاله ابن شجرة.

الثاني: بخبر الطريق، لأنه قد كان ضل الطريق، قاله ابن عباس.

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ والشهاب الشعاع المضيء، ومنه قيل للكوكب الذي يمر ضوؤه في السماء شهاب، قال الشاعر(٢٢٢):

في كفِّهِ صعدة مثقفة ... فيها سنان كشعلة القبسِ

والقبس هو القطعة من النار، ومنه اقتبست النارَ، أخذت منها قطعة، واقتبست منه علماً إذا أخذت منه علماً، لأنك تستضيء به كما تستضيء بالنار.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي لكي تصطلون من البرد. قال قتادة: وكان شتاء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يعني ظن أنها نار، وهي نور، قال وهب بن منبه: فلما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العليق، لا تزداد النار إلا تضرماً وعظماً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً، فعجب منها ودنا وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها، فمالت إليه فخافها

(٢٢٢) الطبري (١٩/١٣٣) وفتح القدير (٤/١٢٦).

فتأخر عنها، ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أن وضع أمْرها على أنها مأمورة ولا يدري ما أمرها، إلى أن:

﴿نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

وفي ﴿بُورِكَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني قُدِّس، قاله ابن عباس.

الثاني: تبارك، حكاه النقاش.

الثالث: البركة في النار، حكاه ابن شجرة، وأنشد لعبدالله بن الزبير:

فبورك في بنيك وفي بنيهم ... إذا ذكروا ونحن لك الفداء

وفي النار وجهان:

أحدهما: أنها نار فيها نور.

الثاني: أنها نور ليس فيها نار، وهو قول الجمهور.

وفي ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: بوركت النار، و ﴿مَن﴾ زيادة، وهي في مصحف أُبي: ﴿بُورِكَتِ ٱلنَّارُ وَمَن حَوْلَهَا﴾ قاله مجاهد.

الثاني: بورك النور الذي في النار، قاله ابن عيسى.

الثالث: بورك الله الذي في النور، قاله عكرمة، وابن جبير.

الرابع: أنهم الملائكة، قاله السدي.

الخامس: الشجرة لأن النار اشتعلت فيها وهي خضراء لا تحترق.

وفي قوله: ﴿وَمَن حَوْلَهَا﴾ وجهان:

أحدهما: الملائكة، قاله ابن عباس.

الثاني: موسىٰ، قاله أبو صخر.

﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن موسىٰ قال حين فرغ من سماع النداء من قول الله: ﴿سبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ استعانة بالله وتنزيهاً له، قاله السدي.

الثاني: أن هذا من قول الله ومعناه: وبورك فيمن يسبح الله رب العالمين، حكاه ابن شجرة. ويكون هذا من جملة الكلام الذي نودي به موسىٰ.

وفي ذلك الكلام قولان:

أحدهما: أنه كلام الله تعالى من السماء عند الشجرة وهو قول السدي. قال وهب بن منبه: ثم لم يمس موسىٰ امرأة بعدما كلمه ربه.

والثاني: أن الله خلق في الشجرة كلاماً خرج منها حتى سمعه موسىٰ(٢٢٣)، حكاه النقاش.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ قال وهب: ظن موسى أن الله أمره برفضها فرفضها.

﴿فَلَمَا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الجان الحية الصغيرة، سميت بذلك لاجتنانها واستتارها.

والثاني: أنه أراد بالجان الشيطان من الجن، لأنهم يشبهون كل ما استهولوه بالشيطان، كما قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

وقد كان انقلاب العصا إلى أعظم الحيات لا إلى أصغرها، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] و[الشعراء: ٣٣].

قال عبدالله بن عباس: وكانت العصا قد أعطاه إياها ملك من الملائكة حين توجه إلى مَدْيَن وكان اسمها: ما شاء، قال ابن جبير: وكانت من عوسج(٢٢٤).

﴿وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ولم يرجع، قاله مجاهد، قال قطرب: مأخوذ من العقب.

الثاني: ولم ينتظر، قاله السدي.

الثالث: ولم يلتفت، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: أن يكون معناه أنه بقي ولم يمش، لأنه في المشيء معقب لابتدائه بوضع عقبة قبل قدمه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قيل إنه أراد في الموضع الذي يوحىٰ فيه إليهم، وإلا فالمرسلون من الله أخوف.

---

(٢٢٣) ويلزم من قول النقاش هذا أن الشجرة هي التي قالت لموسى نبي الله إني أنا ربك، وأنني أنا الله والحقيقة أن هذا القول مرذول من أقوال المعتزلة وقد نبهت عليه فيما تقدم. وأما الصواب من القول في ذلك فهو القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا.

(٢٢٤) تقدم أنه لا طائل تحت هذا التعيين.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد من غير المسلمين لأن الأنبياء لا يكون منهم الظلم، ويكون منهم هذا الاستثناء المنقطع.

الوجه الثاني: أن الاستثناء يرجع إلى المرسلين.

وفيه على هذا وجهان:

أحدهما: فيما كان منهم قبل النبوة كالذي كان من موسى في قتل القبطي، فأما بعد النبوة فهم معصومون فيها من الكبائر(٢٢٥) والصغائر جميعاً.

الوجه الثاني: بعد النبوة فإنهم معصومون فيها مع وجود الصغائر منهم، غير أن الله لطف بهم في توفيقهم للتوبة منها، وهو معنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ يعني توبة بعد سيئة.

﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي غفور لذنبهم، رحيم بقبول توبتهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا
مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾
فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ
وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ
ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: فهماً، قاله قتادة.

(٢٢٥) هذا قول كثير من أهل السنة والجماعة وقد تقدم التفصيل في ذلك في سورة الأنبياء.

الثاني: صنعة الكيمياء وهو شاذ.

الثالث: فصل القضاء.

الرابع: علم الدين.

الخامس: منطق الطير.

السادس: بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وحمدهما لله شكراً على نعمه.

وفيما فضلهما به على كثير من عباده المؤمنين ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالنبوة.

الثاني: بالملك.

الثالث: بالنبوة والعلم.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ورث نبوته وملكه، قاله قتادة. قال الكلبي: وكان لداود تسعة عشر ولداً ذكراً وإنما خص سليمان بوراثته لأنها وراثة نبوة وملك، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء(٢٢٦).

الثاني: أن سخر له الشياطين والرياح، قاله الربيع.

الثالث: أن داود استخلفه في حياته على بني إسرائيل وكانت ولايته هي الوراثة وهو قول الضحاك، ومنه قيل: العلماء ورثة الأنبياء(٢٢٧)، لأنهم في الدين مقام الأنبياء.

---

(٢٢٦) ورجحه ابن كثير (٣/٣٥٨) والألوسي في روح المعاني (١٩/١٧٠) وابن الجوزي في زاد المسير (٦/١٥٦) وغيرهم.

(٢٢٧) جزء من حديث رواه أحمد (٥/١٩٦) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجة (٢٢٣) والدارمي (١/٩٨) وابن حبان (٨٨) والبغوي (١٢٩) والبزار (١٣٦) مختصراً وابن عبد البر في جامع بيان العلم (ص ٦٣، ٦٨) والخطيب في الرحلة (٧٧ ـ ٨١) منهم من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن داود بن جميل عن كثير بن قيس أن رجلاً قدم من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق.. الحديث.

وهذا إسناد ضعيف قال ابن عبد البر أما داود بن جميل فمجهول لا يعرف هو ولا أبوه ولا نعلم أحداً روى عنه غير عاصم بن رجاء، وأما كثير بن قيس فروى عن أبي الدرداء وابن عمر وسمع منهما وروى عنه =

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: يساقون، وهو قول ابن زيد.

الثاني: يدفعون، قاله الحسن، قال اليزيدي: تدفع أخراهم وتوقف أولاهم.

الثالث: يسحبون، قاله المبرِّد.

الرابع: يجمعون.

الخامس: يسجنون، قال الشاعر:

لسان الفتى سبع عليه سداته ... وإلا يزع من غَرْبه فهو قاتله

وما الجهل إلا منطق متسرع ... سواءٌ عليه حق أمرٍ وباطله

السادس: يمنعون، مأخوذ من وزعه عن الظلم، وهو منعه عنه، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما وزع الله بالسلطان أكبر مما وزع بالقرآن. وقال النابغة[٢٢٨]:

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا ... وقلت ألما تصدع والشيب وازعُ

والمراد بهذا المنع ما قاله قتادة: أن يُرد أولهم على آخرهم ليجتمعوا ولا يتفرقوا.

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّى إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه وادٍ بأرض الشام[٢٢٩]. وقال كعب: هو بالطائف.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ﴾ قال الشعبي: كان للنملة جناحان فصارت من الطير[٢٣٠]، فلذلك علم منطقها، ولولا ذلك، ما علمه[٢٣١].

= داود بن جميل والوليد بن مرة وليسا بالمشهورين. قال الذهبي في الميزان (٢/٥) في ترجمة داود بن جميل قال داود وابن كثير بن قيس عن ابي الدرداء بخبر من سلمك طريقاً يطلب علماً وعنه عاصم بن رجاء بن حيوة حديث مضطرب وضعفه الأزدي وأما ابن حبان فذكره في الثقات وداود لا يعرف كشيخه وقال الدارقطني في العلل عاصم ومن فوقه ضعفاء ولا يصح ا هـ.

وفي التقريب داود وكثير ضعيفان. ولكن للحديث شواهد ومتابعات منها عن أبي هريرة وعائشة ومعاذ وأنس وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٣٣) وراجع الفتح (١/١٦٠).

(٢٢٨) ديوانه: ٣٢ مختار الشعر الجاهلي ١٥٦ والطبري (١٩/١٤٢).

(٢٢٩) قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٥٩) ومن قال من المفسرين هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها.

(٢٣٠) انظر التعليق السابق.

(٢٣١) وأما ما نسب إلى أبي حنيفة رحمه الله أن سئل عن نملة سليمان أذكر هي أم أنثى الخ فهذا لا يصح عن=

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ أي لا يهلكنكم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والنمل لا يشعرون بسليمان وجنوده[٢٣٢]، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: وسليمان وجنوده لا يشعرون بهلاك النمل، وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها. وقيل إن النمل أكثر جنسه حساً لأنه إذا التقط الحبة من الحنطة والشعير للادخار قطعها اثنين لئلا تنبت، وإن كانت كزبرة قطعها أربع قطع لأنها تنبت إذا قطعت قطعتين، فألهم بحسه فرق ما بين الأمرين فلهذا الحس قالت ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ فحكي أن الريح أطارت كلامها[٢٣٣] إلى سليمان حتى سمع قولها من ثلاثة أميال فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمغادرة.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه تبسم من حذرها بالمغادرة.

الثاني: أنه تبسم من ثنائها عليه.

الثالث: أنه تبسم من استبقائها للنمل.

قال ابن عباس: فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ألهمني، قاله قتادة.

الثاني: اجعلني، قاله ابن عباس.

الثالث: حرضني، قاله ابن زيد فحكىٰ سفيان أن رجلاً من الحرس قال لسليمان، أنا بمقدرتي أشكر لله منك، قال فخرّ سليمان عن فرسه ساجداً.

= الإمام رحمه الله راجع روح المعاني (١٧٨/٤٩) وتعليق ابن المنير على الكشاف (٣٥٦/٣).

(٢٣٢) قال العلامة الألوسي (١٧٨/١٩) «وهذا يشعر بأدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده. . وليت من طعن في أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم تأسى بها فكف عن ذلك وأحسن الأدب».

(٢٣٣) قال الحافظ ابن كثير (٣٥٨/٣) «ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه كثير من الناس فهو قول بلا علم ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف اصنافها ا هـ.

وفي سبب شكره قولان:

أحدهما: أن علم منطق الطير حتى فهم قولها.

الثاني: أن حملت الريح قولها إليه حتى سمعه قبل وصوله لجنوده على ثلاثة أميال فأمكنه الكف.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شكر ما أنعم به عليه، قاله الضحاك.

الثاني: حفظ ما استرعاه، وهو محتمل.

﴿وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالنبوة التي شرفتني بها.

الثاني: بالمعونة التي أنعمت عليّ بها.

﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في جملة أنبيائك.

الثاني: في الجنة التي هي دار أوليائك.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَىٰ ٱلْهُدْهُدَ﴾ قيل إن سليمان كان إذا سافر أظله الطير من الشمس، فأخل الهدهد بمكانه، فبان بطلوع الشمس منه بعده عنه، وكان دليله على الماء، وقيل: إن الأرض كانت كالزجاج للهدهد، يرى ما تحتها فيدل على مواضع الماء حتى يحضر، قال ابن عباس(٢٣٤): فكانوا إذا سافروا نقر لهم الهدهد عن أقرب الماء في الأرض، فقال نافع بن الأزرق: فكيف يعلم أقرب الماء إلى الأرض ولا يعلم بالفخ حتى يأخذه بعنقه؟ فقال ابن عباس: ويحك يا نافع ألم تعلم أنه إذا جاء القدر ذهب الحذر؟ فقال سليمان عند زوال الهدهد عن مكانه ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ﴾ أي انتقل عن مكانه أم غاب.

---

(٢٣٤) وهو حديث حسن رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٠٦،١٠٧) وحسنه الألباني وأما توقف الألوسي (١٩/١٨٢) فيه بعد ثبوته فلا ينبغي».

﴿لأعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه نتف ريشه[٢٣٥] حتى لا يمتنع من شيء، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يحوجه إلى جنسه.

الثالث: أن يجعله مع أضداده.

﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بحجه بينة.

الثاني: بعذر ظاهر، قاله قتادة.

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ
﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

قوله: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي أقام غير طويل ويحتمل وجهين:

أحدهما: مكث سليمان غير بعيد حتى أتاه الهدهد.

الثاني: فمكث الهدهد[٢٣٦] غير بعيد حتى أتى سليمان.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بلغت ما لم تبلغه، قاله قتادة.

الثاني: علمت ما لم تعلمه، قاله سفيان.

---

(٢٣٥) قال السيوطي في الإكليل ص ٢٠١ «يستدل بالآية على جواز تأديب الحيوانات والبهائم بالضرب عند تقصيرها في المشي أو إسراعها أو نحو ذلك وعلى جواز نتف ريش الحيوان لمصلحة بناء على أن المراد بالتعذيب نتف ريشه ا هـ.

(٢٣٦) وهذا القول أظهر رجحه الشوكاني في فتح القدير (١٣٢/٤) والألوسي (١٨٦/١٩) ورجحه ابن كثير (٣٦٠/٣) وقد شرح ابن القيم هذه الآية في مفتاح دار السعادة.

الثالث: اطلعت على ما لم تطلع عليه، قاله ابن عباس، والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته، وفي الكلام حذف تقديره: ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن غيبته.

﴿وَجِئْتُكَ مِنَ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يقين﴾ أي بخبر صحيح صدق، وفي ﴿سبأ﴾ قولان:

أحدهما: أنها مدينة بأرض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال، قاله قتادة، قال السدي: بعث الله إلى سبأ اثني عشر نبياً، وقال الشاعر(٢٣٧):

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

الثاني: أن سبأ حي من أحياء اليمن(٢٣٨) واختلف قائلو هذا في نسبتهم إلى هذا، فذهب قوم إلى أنه اسم امرأة كانت أمهم، وروى علقمة عن ابن عباس قال(٢٣٩): سئل رسول الله ﷺ عن سبأ فقال **«هُوَ وَلَدُ رَجُلٍ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ فَبِاليَمَنِ مِنهُم سِتةٌ وبالشَّامِ مِنهُم أربَعَةٌ، فَأَمَّا اليَمَانِيونَ فَمَذحَجُ وجُهَينَةُ وَكِندَةُ وأنمارُ وَالأَزْدُ وَالأشعَرِيون وأَمَّا الشامِيون فَلَخْمُ وَجذامُ وعَامِلَةُ وَغسَّانُ»**

وقيل هو سبأ بن يعرب بن قحطان. قال المفضل وسُمِّيَ سبأ لأنه أول من سبا.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُم﴾ قال الحسن: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، وقال زهير بن محمد: هي بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن الديان وأمها فارعة الجنية، وقيل ولدها أربعون ملكاً آخرهم شرحبيل. قال قتادة كان

---

(٢٣٧) هو الجعدي والبيت في اللسان «عرم» وروى البيت في اللسان

من سبأ الحاضرين مأرب إذ شرَّ من دون سيله العرما

(٢٣٨) قال الشوكاني (١٣٤/٤) ولا شك أن سبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس وهو أيضاً اسم رجل من قحطان وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ولكن المراد هنا أن الهدهد جاء الى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ.

(٢٣٩) رواه أحمد (٣١٦/١) وزاد السيوطي في الدر (٦٨٧/٦) نسبة الحديث للطبراني وعبد بن حميد وابن مردوية، وابن أبي حاتم وابن عدي قال الهيثمي في المجمع (٩٤/٤) رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجالهما ثقات اهـ. قلت وقد حسَّن إسناد أحمد ابنُ كثير (٥٣٠/٣) قلت ولم يتفرد به ابن لهيعة بل تابعه عبدالله بن عياش القناني عند الحاكم (٤٢٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي وللحديث شاهد من حديث يزيد بن حصيد السلمي قال الهيثمي (٩٤/٤) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن بن صالح الصائغ ولم أعرفه وله شاهد ثان من حديث فروة بن مسيك رواه الحاكم (٤٢٤/٢) وصححه والترمذي (١٥٤/٢) وحسنه راجع تخريجه في الدر (٦٨٦/٦).

أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من كل شيء في أرضها، قاله السدي.

الثاني: من أنواع الدنيا كلها، قاله سفيان.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه السرير، قاله قتادة.

الثاني: أنه الكرسي، قاله سفيان.

الثالث: المجلس، قاله ابن زيد.

الرابع: الملك، قاله ابن بحر.

وفي قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: ضخم.

الثاني: حسن الصنعة، قاله زهير.

الثالث: لأنه كان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وكان مستراً بالديباج والحرير عليه سبعة تعاليق، قاله قتادة.

قال ابن إسحاق: وكان يخدمها النساء فكان معها لخدمتها ستمائة امرأة.

قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني غيب السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن جبير.

الثاني: أن خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات، قاله ابن زيد، والخبء بمعنى المخبوء وقع المصدر موقع الصفة.

وفي معنى الخبء في اللغة وجهان:

أحدهما: أنه ما غاب.

الثاني: أنه ما استتر.

وقرأ الكسائي ﴿أَلَا يَسْجُدُواْ﴾ بالتخفيف(٢٤٠) وقرأ الباقون بالتشديد ﴿أَلَّا

(٢٤٠) زاد المسير (٦/١٦٦) الحجة في القراءات ص ٢٦.

﴿يَسْجُدُواْ﴾ . قال الفراء: من قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة، ومن قرأ بالتشديد فليس بموضع سجدة.

وفي قائل هذا قولان:

أحدهما: أنه قول الله تعالى أمر فيه بالسجود له، وهو أمر منه لجميع خلقه وتقدير الكلام: ألا يا ناس اسجدواْ لله.

الثاني: أنه قول الهدهد حكاه الله عنه.

ويحتمل قوله هذا وجهين:

احدهما: أن يكون قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله.

الثاني: أن يكون قاله لسليمان عند عوده إليه واستكباراً لما وجدهم عليه.

وفي قول الهدهد لذلك وجهان:

أحدهما: أنه وإن يكن ممن قد علم وجوب التكليف بالفعل فهو ممن قد تصور بما ألهم من الطاعة لسليمان أنه نبي مطاع لا يخالف في قول ولا عمل.

الثاني: أنه كالصبي منا إذا راهق فرآنا على عبادة الله تصوّر أن ما خالفها باطل فكذا الهدهد في تصوره أن ما خالف فعل سليمان باطل.

۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

قوله: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ . . .﴾ الآية، هذا قول سليمان للهدهد قال ابتلي فاختبر من ذلك فوجده صادقاً.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيهِمْ﴾ قال مجاهد أخذ الهدهد الكتاب بمنقاره فأتى بهوها فجعل يدور فيه فقالت ما رأيت خيراً منذ رأيت هذا الطير في بهوي فألقى الكتاب إليها.

قال قتادة: فألقاه على صدرها وهي نائمة، قال يزيد بن رومان: كانت في ملك

من مضىٰ من أهلها وقد سيست وساست حتى أحكمها ذلك.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ قال ابن عباس كن قريباً منهم.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم، حكاه ابن عيسى، وقاله الفراء.

قوله: ﴿قَالَتْ يَآ أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وفي صفتها الكتاب أنه كريم، أربعة أوجه:

أحدها: لأنه مختوم، قاله السدي.

الثاني: لحسن ما فيه، قاله قتادة.

الثالث: لكرم صاحبه وأنه كان ملكاً، حكاه ابن بحر.

الرابع: لتسخير الهدهد به بحمله.

ويحتمل خامساً: لإلقائه عليها عالياً من نحو السماء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ الآية، أما قولها إنه من سليمان فلإعلامهم مرسل الكتاب وممن هو.

وأما قولها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فلاستنكار هذا الاستفتاح الذي لم تعرفه هي ولا قومها لأن أول من افتتح ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ سليمان.

روى ابن بريدة عن أبيه (٢٤١) قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «إِنِّي لأَعْلَمُ آيَةً لَمْ تَنْزِلْ عَلَى نَبِيٍ قَبْلِي بَعْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، قال: قلت يا رسول الله أي آية هي؟ قال: سَأُعَلِّمُكَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ قال: فانتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت: نسي ثم التفت إليّ فقال: إِنَّهُ مِنْ سُلَيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ»

حكى عاصم عن الشعبي قال: كَانَتْ كُتُبُ رسول(٢٤٢) الله ﷺ أربعة كتب كان

---

(٢٤١) رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في المجمع (٧/٨٧).
فيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف وفيه من لم أعرفهم.

(٢٤٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن الحرث العكلي وقال: قال لي الشعبي كيف كتاب النبي ﷺ إليكم...
أخرجه عبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الشعبي بنحوه راجع الدر (٦/٣٥٤).

يكتب: باسمك اللهم، فلما نزلت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِيهَا﴾ [هود: ٤١] كتب: باسم الله، فلما نزلت ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب: باسم الله الرحمن، فلما نزلت ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كتب: بسم الله الرحمن الرحيم. قال عاصم قلت للشعبي أنارأيت كتاب رسول الله ﷺ. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال ذلك الكتاب الثالث.

وأما قوله: ﴿ألا تعلواْ عليَّ وأتوني مسلمين﴾ فهذه كتب الأنبياء موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط ولا إسهاب.

وفي ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا تخالفوا عليّ، قاله قتادة.

الثاني: لا تتكبروا علي، قاله السدي وابن زيد.

الثالث: لا تمتنعوا عليّ، قاله يحيى بن سلام.

﴿وأْتوني مُسْلِمِينَ﴾ فيه أربعة تأويلات.

أحدها: مستسلمين، قاله الكلبي.

الثاني: موحدين، قاله ابن عباس.

الثالث: مخلصين، قاله زهير.

الرابع: طائعين، قاله سفيان.

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ
نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ
ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ
﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله: ﴿قَالَتْ يَآ أَيُّهَا ٱلْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أشيروا عليّ في هذا الأمر الذي نزل بي فجعلت المشورة فتيا وقيل: إنها أول من وضع المشورة.

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾ أي ممضية أمراً، وفي قراءة ابن مسعود قاضية أمراً، والمعنىٰ واحد.

﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: حتى تشيروا، قاله زهير.

الثاني: حتى تحضرواْ، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾ أي أهل عدد وعدة.

﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي شجاعة وآلة، وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها لأنها المدبرة لهم.

الثاني: أنهم أجابوها تبادرين إلى قتاله، قاله ابن زيد.

قال مجاهد: كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل(٢٤٣) تحت كل قيل مائة ألف مقاتل وهذا بعيد.

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ الآية. عرضـوا عليها الحرب وردواْ إليها الأمر، قال الحسن: ولّوا أمرهم علجة يضطرب ثدياها. حدث أبو بكرة قال رسول الله ﷺ(٢٤٤): «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ**».

قوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ قال ابن عباس أخذوهـا عنوة، وأفسدوها، وخربوها.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون بالاستيلاء على مساكنها وإجلاء أهلها عنها.

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ أي أشرافهم وعظماءهم أذلة وفيه وجهان:

أحدهما: بالسيف، قاله زهير.

الثاني: بالاستعباد، قاله ابن عيسىٰ.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون بأخذ أموالهم وحط أقدارهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن هذا من قول الله، وكذلك يفعل الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، قاله ابن عباسٍ.

---

(٢٤٣) القيل بفتح القاف وسكون الياء ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم بمثابة القائد للجيش وجمعه أقيال وأقوال.

(٢٦٤) رواه البخـاري (٨ / ٤٤٢٥) والترمذي (٢٢٦٣) والنسائـي (٨/٢٢٧) وأحمـد (٥/٣٨، ٤٣، ٤٧، ٥١).

الثاني أن هذا حكاية عن قول بلقيس: كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا، قاله ابن شجرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ اختلف فيها على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها كانت لبنة من ذهب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها كانت جوهراً، قاله ابن جبير.

الثالث: أنها كانت صحائف الذهب في أوعية الديباج، قاله ثابت البناني.

الرابع: أنها أهدت غلماناً لباسهم لباس الجواري، وجواري لباسهم لباس الغلمان، قاله مجاهد، وعكرمة وابن جبير، والسدي، وزهير، واختلف في عددهم فقال سعيد بن جبير: كانوا ثمانين غلاماً وجارية، وقال زهير كانوا ثمانين غلاماً وثمانين جارية.

﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة: يرحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها، قد علمت أن الهدية تقع موقعها من الناس.

واختلف فيما قصدت بهديتها على قولين:

أحدهما: ما ذكره قتادة من الملاطفة والاستنزال.

الثاني: إختبار نبوته من ملكه، ومن قال بهذا اختلفوا بماذا اختبرته على قولين:

أحدهما: أنها اختبرته بالقبول والرد، فقالت: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه على ملككم وإن لم يقبل الهدية فهو نبي لا طاقة لكم بقتاله، قاله ابن عباس وزهير.

الثاني: أنها اختبرته بتمييز الغلمان من الجواري، ومن قال بهذا اختلفوا بماذا ميزهم سليمان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أمرهم بالوضوء فاغترف الغلام بيده وأفرغت الجارية على يديها فميزهم بهذا، قاله السدي.

الثاني: لما توضؤوا غسل الغلمان ظهور السواعد قبل بطونها، وغسل الجواري بطون السواعد قبل ظهورها، فميزهم بهذا(٢٤٥)، قاله قتادة.

---

(٢٤٥) قال الحافظ ابن كثير (٣٦٤/٣) والله أعلم أكان ذلك أم لا وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءُوا به، ولا اعتني به بل أعرض عنه.

الثالث: أنهم لما توضؤوا بدأ الغلام من مرفقه إلى كفه وبدأت الجارية من كفها إلى مرفقها، فميزهم بهذا، قاله ابن[٢٤٦] جبير.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلما جاءت هداياها سليمان، قاله يزيد بن رومان.

الثاني: فلما جاءت رسلها سليمان لأن الهدهد قد كان سبق إلى سليمان فأخبره بالهدية والرسل فتأهب سليمان لهم.

قال السدي: فأمر الشياطين فموّهوا لَبِن المدينة وحيطانها ذهباً وفضة، وقيل إنها بعثت مع رسلها بعصاً كان يتوارثها ملوك حمير، وقالت: أريد أن يعرفني رأس هذه من أسفلها، وبقدح وقالت: يملؤه ماءً ليس من الأرض ولا من السماء، وبخرزتين إحداهما ثقبُها معوج وقالت يدخل فيها خيطاً والأخرى غير مثقوبة وقالت يثقب هذه.

﴿قَالَ﴾ سليمان للرسل حين وصلوا إليه ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ معناه أتزيدونني مالاً إلى ما تشاهدونه من أموالي.

﴿فَمَا ءَاتَانِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُم﴾ أي فما آتاني من النبوة والملك خير مما آتاكم من المال، فرد عليهم المال وميز الغلمان من الجواري، وأرسل العصا إلى الأرض فقال أي الرأسين سبق للأرض فهو أصلها، وأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال: ليس هذا من الأرض ولا من السماء، وثقب إحدى الخرزتين وأدخل الخيط في الأخرى. فقال الرسل ما شاهدوا.

واختلف في الرسل هل كانوا رجالاً أو نساء على قولين.

قوله ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان:

---

(٢٤٦) قال العلامة الألوسي (١٩/٢٠٠) بعد سرد الأقوال «كل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها ولعل في بعضها ما يحيل القلب إلى القول بكذبه والله أعلم.

أحدهما: أنه قال ذلك للرسول ارجع إليهم بما جئت به من الهدايا، قاله قتادة، ويزيد بن رومان.

الثاني: أنه قال ذلك للهدهد [ارجع إليه]، قائلاً لهم:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم بها ليكون الهدهد نذيراً لهم، قاله زهير.

وصدق نبي الله سليمان ﷺ لأن من جنوده الإنس والجن والطير فليس لأحدٍ بها طاقة.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾ الآية. إخباراً لهم عما يصنعه بهم ليسعد منهم بالإيمان من هدي وهذه سنة كل نبي.

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ الآية. حكى يزيد بن رومان أنه لما عاد رسلها بالهدايا قالت: قد والله عرفت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، ثم بعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي ثم أمرت بعرشها فجعلته في سبعة أبيات بعضها في جوف بعض وغلقت عليه الأبواب وشَخَصَت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن، فقال سليمان حين علم قدومها عليه:

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ الآية: وفيه وجهان:

أحدهما: مسلمين أي مستسلمين طائعين، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يأتوني مسلمين أي بحرمة الإسلام ودين الحق، قاله ابن جريج.

فإن قيل: فلم أَمَرَ أن يؤتىٰ بعرشها قبل أن يأتوا إليه مسلمين؟

قيل عنه في الجواب خمسة أوجه:

أحدها: أنه أراد أن يختبر صدق الهدهد، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه أعجب بصفته حين وصفه الهدهد وخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها فأراد أخذه قبل أن يحرم عليه بإسلامها، قاله قتادة.

الثالث: أنه أحب أن يعاليها به وكانت الملوك يعالون بالملك والقدرة، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها، وهل تعرفه أو تنكره، قاله ابن جبير.

الخامس: أنه أراد أن يجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته، لأنها خلفته في دارها وأوثقته في حرزها ثم جاءت إلى سليمان فوجدته قد تقدمها، قاله(٢٤٧) وهب.

قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ العفريت المارد القوي، قال أبو صالح كأنه جبل وفيه وجهان:

أحدهما: أنه المبالغ في كل شيء مأخوذ من قولهم فلان عفرية نفرية إذا كان مبالغاً في الأمور، قاله الأخفش.

الثاني: أصله العفر وهو الشديد، زيدت فيه التاء فقيل عفريت، قاله ابن قتيبة.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من مجلسك وسمي المجلس مقاماً لإقامة صاحبه فيه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

الثاني: أنه أراد يوماً معروفاً كان عادة سليمان أن يقوم فيه خطيباً يعظهم، ويأمرهم، وينهاهم، وكان مجيء اليوم تقريباً.

الثالث: أنه أراد قبل أن تسير عن ملكك إليهم محارباً.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ لقوي على حمله، وفي الأمين ثلاثة أقاويل:

أحدها: أمين على ما فيه من جوهر ولؤلؤ، قاله الكلبي وابن جرير(٢٤٨).

الثاني: أمين ألا آتيك بغيره بدلاً منه، قاله ابن زيد.

---

(٢٤٧) واختاره ابن جرير (١٩/ ١٦١).

(٢٤٨) جامع البيان (١٩/ ١٦٢).

الثالث: أمين على فرج المرأة، قاله ابن عباس، وحكى يزيد بن رومان ان اسم العفريت كودي، وحكى ابن أبي طلحة أن اسمه صخر، وحكى السدي أنه آصف بن السيطر بن إبليس، والله أعلم بصحة ذلك.

قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ملك أيد الله به سليمان، والعلم الذي من الكتاب هو ما كتب الله لبني آدم، وقد علم الملائكة منه كثيراً فأذن الله له أن يعلم سليمان بذلك، وأن يأتيه بالعرش الذي طلبه، حكاه ابن بحر.

القول الثاني: أنه بعض جنود سليمان من الجن والإنس، والعلم الذي عنده من الكتاب هو كتاب سليمان الذي كتبه إلى بلقيس وعلم أن الريح مسخرة لسليمان وأن الملائكة تعينه فتوثق بذلك قبل أن يأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه.

والقول الثالث: أنه سليمان قال ذلك للعفريت.

والقول الرابع: أنه قول غيره من الإنس. وفيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه مليخا، قاله قتادة.

الثاني: أنه أسطوم، قاله مجاهد.

الثالث: أنه آصف ابن برخيا وكان صدّيقاً، قاله ابن رومان.

الرابع: أنه ذو النور بمصر، قاله زهير.

الخامس: أنه الخضر، قاله ابن لهيعة(٢٤٩).

و ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ﴾ هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِ﴾ يعني بالعرش.

﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه، قاله ابن جبير.

الثاني: قبل أن يعود طرفك إلى مد بصرك، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثالث: قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك، قاله إدريس.

الرابع: قبل الوقت الذي تنتظر وروده فيه من قولهم: أنا ممد الطرف إليك أي منتظر لك، قاله ابن بحر.

---

(٢٤٩) قال الحافظ ابن كثير (٣٦٤/٣) وزعم عبدالله بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جداً.

الخامس: قبل أن يرجع طرف رجائك خائباً لأن الرجاء يمد الطرف والإياس يقصر الطرف.

السادس: قبل أن ينقص طرفك بالموت، أخبره أنه سيأتيه قبل موته.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ﴾ قبل أن يرتد إليه طرفه لأن الذي عنده علم من الكتاب دعا باسم الله الأعظم وعاد طرف سليمان إليه فإذا العرش بين يديه.

قال عبد الرحمن بن زيد: لم يعلم سليمان ذلك الإسم وقد أُعطي ما أُعطي. قال السدي: فجزع سليمان وقال: غيري أقدر على ما عند الله مني، ثم استرجع.

﴿قَالَ هَـٰذَا مِنْ فَضْلُ رَبِّي﴾ يعني وصول العرش إليّ قبل أن يرتد إليَّ طرفي.

﴿لِيَبْلُوَنِّي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ قال زهير: أأشكر على العرش إذ أوتيته في سرعة أم أكفر فلا أشكر إذ رأيت من هو أعلم مني في الدنيا.

قال زهير: ثم عزم الله له على الشكر فقال: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن الشكر تأدية حق واستدعاء مزيد.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل، وهذه معجزة لسليمان أجراها الله على يد من اختصه من أوليائه.

وكان العرش باليمن وسليمان بالشام فقيل: ان الله حرك به الأرض حتى صار بين يديه.

قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت
تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ
حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

قوله: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه وفي تغييره خمسة أوجه:

أحدها: أنه نزع ما عليه من فصوصه، ومرافقه وجواهره، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه غيّر ما كان أحمر فجعله أخضر وما كان أخضر جعله أحمر، قاله مجاهد.

الثالث: غيّر بأن زيد فيه ونقص منه، قاله عكرمة.

الرابع: حوّل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره، قاله شيبان بن عبد الرحمن.

الخامس: غيّره بأن جعل فيه تمثال السمك، قاله أبو صالح.

﴿نَنْظُرُ أَتَهْتَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أتهتدي إلى الحق بعقلها أم تكون من الذين لا يعقلون، وهذا معنىٰ قول ابن رومان.

الثاني: إلى معرفة العرش بفطنتها أم تكون من الذين لا يعرفون، وهذا معنى قول ابن جبير، ومجاهد.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ فلم تثبته ولم تنكره واختلف في سبب قولها ذلك، على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنها خلفته وراءها فوجدته أمامها فكان معرفتها له تمنع من إنكاره وتركها له وراءها يمنع من إثباته، وهذا معنى قول قتادة.

الثاني: لأنها وجدت فيه ما تعرفه فلذلك لم تنكره ووجدت فيه ما بُدِّل وغير فلذلك لم تثبته، قاله السدي.

الثالث: شبهوا عليها حين قالوا: أهكذا عرشك؟ فشبهت عليهم فقالت: كأنه هو ولو قالوا لها: هذا عرشك لقالت: نعم، قاله مقاتل.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ وهذا قول من سليمان وقيل هو من كلام قومه، وفي تأويله ثلاثة أقاويل:

أحدها: معرفة الله وتوحيده، قاله زهير.

الثاني: النبوة، قاله يحيـى بن سلام.

الثالث: أي علمنا أن العرش عرشها قبل أن نسألها، قاله ابن شجرة.

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طائعين لله بالاستسلام له.

الثاني : مخلصين لله بالتوحيد.

قوله تعالى ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : وصدها عبادة الشمس أن تعبد الله.

الثاني : وصدّها كفرها بقضاء الله أن تهتدي للحق.

الثالث : وصدّها سليمان عما كانت تعبد في كفرها.

الرابع : وصدها الله تعالى إليه بتوفيقها بالإيمان عن الكفر.

قوله : ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها بركة بنيت قوارير، قاله مجاهد.

الثاني : أنها صحن الدار، حكاه ابن عيسى يقال صرحة الدار وساحة الدار وباحة الدار وقاعة الدار كله بمعنى واحد. قال زهير مأخوذ من التصريح ومنه صرح بالأمر إذا أظهره.

الثالث : أنه القصر قاله ابن شجرة، واستشهد بقول الهذلي(٢٥٠).

على طرق كنحور الظباء تحسب أعلامهن الصروحا

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ أي ماء لأن سليمان أمر الجن أن يبنوه من قوارير في ماء فبنوه وجعلوا حوله أمثال السمك فأمرها بالدخول لأنها وصفت له فأحب أن يراها.

قال مجاهد : وكانت هلباء الشعر والهلباء الطويلة الشعر، قدمها كحافر الحمار وكانت أمها جنية. قال الحسن : وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فيطلع منها على أشياء كانت الجن تخفيها عنه. وهذا القول بأن أمها جنية مستنكر في العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفاوت الجسمين، لأن الآدمي جسماني، والجني روحاني، وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار وخلق الجني من مارج من نار، ويمتنع الامتزاج من هذا(٢٥١) التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف، لكنه قيل فذكرته حاكياً.

---

(٢٥٠) هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت في ديوان الهذليين (١/١٣٦) غريب القرآن (٣٢٥) واللسان (صرح) زاد المسير (٦/١٧٩).

(٢٥١) وقال بعضهم بإمكانية حدوث التزاوج بن الإنس والجن كمالك رحمه الله.

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فرآهما سليمان شعراوين فصنعت له الجن النورة فحلقهما، فكان أول ما صنعت النورة.

واختلفوا في السبب الذي كان من أجله أراد سليمان كشف ساقيها لدخول الصرح على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنه أراد أن يختبر بذلك عقلها.

الثاني: أنه ذكر له أن ساقها ساق حمار لأن أمها جنية فأحب أن يختبرها.

الثالث: لأنه أراد أن يتزوجها فأحب أن يشاهدها(٢٥٢).

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه المجلس ومنه الأمرد لملوسته، قاله علي بن عيسى.

الثاني: أنه الواسع في طوله وعرضه، قاله ابن شجرة وأنشد(٢٥٣):

غدوت صباحاً باكراً فوجدتهم قبيل الضحى في البابلي الممرد

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالشرك الذي كانت عليه، قاله ابن شجرة.

الثاني: بالظن الذي توهمته في سليمان لأنها لما أمرت بدخول الصرح حسبته لجة وأن سليمان يريد تغريقها فيه فلما بان لها أنه صرح ممرد من قوارير علمت أنها ظلمت نفسها بذلك الظن، قاله سفيان.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي استسلمت مع سليمان لله طائعة لله رب العالمين.

قال مقاتل: فتزوجها سليمان واتخذ لها حماماً ونورة بالشام، وهو أول من اتخذ ذلك، ثم لم ير إلا كذلك حتى فرق الموت بينهما، فحكى الشعبي عن ناس من حمير أنهم حفروا مقبرة الملك فوجدوا فيها أرضاً معقودة فيها امرأة عليها حلل منسوخة بالذهب وعند رأسها لوح رخام فيه مكتوب: ـ

يا أيها الأقوام عوجوا معاً وأربعوا في مقبري العيسا

---

(٢٥٢) لأن من المعروف أنه يستحب رؤية المرأة قبل خطبتها فلعل الأمر كان كذلك.

(٢٥٣) فتح القدير (١٤١/٤).

لتعلموا أني تلك التي قد كنت أدْعي الدهر بلقيسا
شيّدت قصر الملك في حمير قومي وقد كان مأنوسا
وكنت في ملكي وتدبيره أرغم في الله المعاطيسا
بَعْلي سليمان النبي الذي قد كان للتوراة دريسا
وسخّر الريح له مركباً تهب أحياناً رواميسا
مع ابن داود النبي الذي قدسه الرحمن تقديسا

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كافر ومؤمن، قاله مجاهد.

الثاني: مصدق ومكذب، قاله قتادة.

وفيم اختصموا؟ فيه قولان:

أحدهما: أن تقول كل فرقة نحن على الحق دونكم.

الثاني: اختلفوا أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه، قاله مجاهد.

قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالعذاب قبل الرحمة، قاله مجاهد، لقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الثاني: بالبلاء قبل العافية، قاله السدي.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالكفاية.

الثاني: بالإجابة.

قوله: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي تشاءمنا بك وبمن معك مأخوذ من الطيرة، وفي تطيرهم به وجهان:

أحدهما: لافتراق كلمتهم، قاله ابن شجرة.

الثاني: للشر الذي نزل بهم، قاله قتادة.

﴿قَالَ طَآئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مصائبكم عند الله، قاله ابن عباس، لأنها في سرعة نزولها عليكم كالطائر.

الثاني: عملكم عند الله، قاله قتادة، لأنه في صعوده إليه كالطائر.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تبتلون بطاعة الله ومعصيته، قاله قتادة.

الثاني: تصرفون عن دينكم الذي أمركم الله به وهو الإسلام، قاله الحسن.

وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرهط الجمع لا واحد له يعني من ثمود قوم صالح وهم عاقرو الناقة، وذكر ابن عباس أساميهم فقال: هم زعجي وزعيم وهرمي ودار وصواب ورباب ومسطح وقدار(٢٥٤)، وكانوا بأرض الحجر وهي أرض الشام، وكانوا فساقاً من أشراف قومهم.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يفسدون بالكفر ولا يصلحون بالإيمان.

الثاني: يفسدون بالمنكر ولا يصلحون بالمعروف.

---

(٢٥٤) وقيل هو الذي تولى عقر الناقة.

الثالث: يفسدون بالمعاصي ولا يصلحون بالطاعة.

الرابع: يفسدون بكسر الدراهم والدنانير ولا يصلحون بتركها صحاحاً، قاله ابن المسيب، قاله عطاء.

الخامس: أنهم كانوا يتتبعون عوارت النساء ولا يسترون عليهن.

قوله: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي تحالفواْ بالله.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي لنقتلنه وأهله ليلاً، والبيات قتل الليل.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي لرهط صالح.

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي قتله، وقتل أهله، ولا علمنا ذلك.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في إنكارنا لقتله.

﴿وَمَكَرُواْ مَكْراً﴾ وهو ما همّوا به من قتل صالح.

﴿وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ وهو أن رماهم الله بصخرة فأهلكهم.

﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يعلمون بمكرنا وقد علمنا بمكرهم.

وفي مكرهم ومكر الله تعالى بهم قولان:

أحدهما: قاله الكلبي، وهم لا يشعرون بالملائكة الذين أنزل الله على صالح ليحفظوه من قومه حين دخلوا عليه ليقتلوه، فرموا كل رجل منهم بحجر حتى قتلوهم جميعاً، وسَلِمَ صالح من مكرهم.

الثاني: قاله الضحاك، أنهم مكروا بأن أظهروا سفراً وخرجوا فاستتروا في غار ليعودوا في الليل فيقتلوهُ، فألقىٰ الله صخرة على باب الغار حتى سدّه وكان هذا مكر الله بهم.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أي وأنتم تعلمون أنها فاحشة.
الثاني: يبصر بعضكم بعضاً.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ﴾ فيها قولان:
أحدهما: أنها النخل، قاله الحسن.
الثاني: الحائط من الشجر والنخل، قاله الكلبي.
﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ فيها قولان:
أحدهما: ذات غضارة، قاله قتادة.
الثاني: ذات حسن، قاله الضحاك.
﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا﴾ أي ما كان في قدرتكم أن تخلقوا مثلها.
﴿أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أي ليس مع الله إله، قاله قتادة.
الثاني: أإله مع الله يفعل هذا، قاله زيد بن أسلم.
﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أي يعدلون عن الحق.
الثاني: يشركون بالله فيجعلون له عدلاً أي مثلاً، قاله قطرب ومقاتل.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً﴾ أي جعلها مستقراً.

﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَآ أَنْهَاراً﴾ أي في مسالكها ونواحيها أنهار جارية ينبت بها الزرع ويحيي به الخلق.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ يعني جبالاً هي لها ماسكة والأرض بها ثابتة.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: بحر السماء والأرض، قاله مجاهد.

الثاني: بحر فارس والروم، قاله الحسن.

الثالث: بحر الشام والعراق، قاله السدي.

الرابع: العذب والمالح، قاله الضحاك.

والحاجز المانع من اختلاط أحدهما بالآخر فيه وجهان:

أحدهما: حاجزاً من الله لا يبغي أحدهما على صاحبه، قاله قتادة.

الثاني: حاجزاً من الأرض أن يختلط أحدهما بالآخر، حكاه قتادة.

﴿أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يعقلون، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يعلمون توحيد الله، حكاه النقاش.

الثالث: لا يتفكرون، حكاه ابن شجرة.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ
أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قوله ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ وإنما خص إجابة المضطر لأمرين:

أحدهما: لأن رغبته أقوى وسؤاله أخضع.

الثاني: لأن إجابته أعم وأعظم لأنها تتضمن كشف بلوى وإسداء نعمى.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون عن المضطر بإجابته.

الثاني: عمن تولاه ألاّ ينزل به.

وفي ﴿السُّوءَ﴾ وجهان:

احدهما: الضر.

الثاني : الجور، قاله الكلبي .

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدهما : خلفاً من بعد خلف، قاله قتادة .

الثاني : أولادكم خلفاء منكم، حكاه النقاش .

الثالث : خلفاء من الكفار ينزلون أرضهم وطاعة الله بعد كفرهم، قاله الكلبي .

﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي ما أقل تذكركم لنعمة الله عليكم!

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

قوله ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يرشدكم من مسالك البر والبحر.

الثاني : يخلصكم من أهوال البر والبحر، قاله السدي .

وفي ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وجهان :

أحدهما : أن البر الأرض والبحر الماء .

الثاني : أن البر بادية الأعراب والبحر الأمصار والقرى، قاله الضحاك .

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : مبشرة، قاله ابن عباس وتأويل من قرأ بالباء .

الثاني : منشرة، قاله السدي وهو تأويل من قرأ بالنون(٢٥٥) .

الثالث : ملقحات، قاله يحيى بن سلام .

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ وهو المطر في قول الجميع .

﴿أَإِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي عما أشرك المشركون به من الأوثان .

(٢٥٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، راجع الحجة في القراءات ص ٢٨٥ والسبعة في القراءات ص ٢٨٣ .

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾
بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ
مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ وفي صفة علمهم بهذه الصفة قولان:

أحدهما: أنها صفة ذم فعلى هذا في معناه أربعة أوجه:

أحدها: غاب عليهم، قاله ابن عباس.

الثاني: لم يدرك علمهم، قاله ابن محيصن.

الثالث: اضمحل علمهم، قاله الحسن.

الرابع: ضل علمهم وهو معنى قول قتادة. فهذا تأويل من زعم أنها صفة ذم.

والقول الثاني: أنها صفة حمد لعلمهم وإن كانوا مذمومين فعلى هذا في معناه ثلاثة أوجه:

أحدها: أدرك علمُهم، قاله مجاهد.

الثاني: اجتمع علمهم، قاله السدي.

الثالث: تلاحق علمهم، قاله ابن شجرة.

﴿فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يعني من الآخرة فمن جعل ما تقدم صفة ذمٍ لعلمهم جعل نقصان علمهم في الدنيا فلذلك أفضى بهم إلى الشك في الآخرة. ومن جعل ذلك صفة حمد لعلمهم جعل كمال علمهم في الآخرة فلم يمنع ذلك أن يكونوا في الدنيا على شك في الآخرة.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم
بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه اقترب لكم ودنا منكم، قاله ابن عباس وابن عيسى.

الثاني: أعجل لكم، قاله مجاهد.

الثالث: تبعكم، قاله ابن شجرة ومنه رِدْف المرأة لأنه تبع لها من خلفها، قال أبو ذؤيب[٢٥٦]:

عاد السواد بياضاً في مفارقه ... لا مرحباً ببياض الشيب إذ ردفا

وفي قوله تعالى: ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: يوم بدر.

الثاني: عذاب القبر.

قوله: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ . . . .﴾ الآية. فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الغائبة القيامة، قاله الحسن.

الثاني: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض، حكاه النقاش.

الثالث: جميع ما أخفى الله عن خلقه وغيّبه عنهم، حكاه ابن شجرة.

وفي ﴿كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ قولان:

أحدهما: اللوح المحفوظ.

(٢٥٦) فتح القدير (٤/ ١٥٠).

الثاني: القضاء المحتوم.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وجب الغضب عليهم، قاله قتادة.

الثاني: إذا حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون، قاله مجاهد.

الثالث: إذا لم يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم، قاله ابن عمر وأبو سعيد الخدري.

الرابع: إذا نزل العذاب، حكاه الكلبي.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ما حكاه محمد بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن الدابة فقال: أما والله لها ذنب، وإن لها للحية، وفي هذا القول إشارة إلى أنها من الإنس وإن لم يصرح.

الثاني: وهو قول الجمهور أنها دابة من دواب الأرض(٢٥٧)، واختلف من قال بهذا في صفتها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم، قاله ابن عباس:

الثاني: أنها دابة ذات وبر تناغي السماء، قاله الشعبي.

القول الثالث: أنها دابة رأسها رأس(٢٥٨) ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيِّل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت في وجه المسلم بعصا موسى نكتة بيضاء وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه، قاله ابن الزبير.

---

(٢٥٧) وقد ورد في صفتها حديث تميم الداري وهو من صحيح مسلم ومن أصح الأحاديث التي يعتمد عليها في وصف الدابة فهو أولى ما أخذ، له ولإقرار النبي ﷺ له.

(٢٥٨) وهذا الوصف من الإسرائيليات ولا دليل عليها.

وفي قوله ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنها تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس.

الثاني: من صخرة من شعب أجياد، قاله ابن عمر.

الثالث: من الصفا، قاله ابن مسعود.

الرابع: من بحر سدوم، قاله ابن منبه.

وفي ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قراءتان:

الشاذة منهما(٢٥٩): ﴿تَسِمُهم﴾ بفتح التاء، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: تسمهم في وجوههم بالبياض في وجه المؤمن، وبالسواد في وجه الكافر حتى يتنادى الناس في أسواقهم يامؤمن يا كافر، وقد روى أبو أمامة(٢٦٠) أن النبي ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِم الناسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِم».

الثاني: معناه تجرحهم وهذا مختص بالكافر والمنافق، وجرحه إظهار كفره ونفاقه ومنه جرح الشهود بالتفسيق، ويشبه أن يكون قول ابن عباس.

والقراءة الثانية: وعليها الجمهور ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بضم التاء وكسر اللام من الكلام، وحكى قتادة أنها في بعض القراءة(٢٦١): ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ وحكى يحيى بن سلام أنها في بعض القراءة: ﴿تُحَدِّثُهُمْ﴾.

وفي كلامها على هذا التأويل قولان:

أحدهما: أن كلامها ظهور الآيات منها من غير نطق ولا لفظ.

والقول الثاني: أنه كلام منطوق به(٢٦٢).

---

(٢٥٩) وقيل هي قراءة ابن عباس وأبي زرعة والحسن وأبي رجاء. راجع فتح القدير (١٥٢/٤) وزاد المسير (١٩٣/٦).

(٢٦٠) رواه أحمد (٢٦٨/٥) وابن مردويه وسمويه كما في الدر المنثور (٣٧٩/٦) وبقية الحديث «ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال ممن اشتريتها فيقول من الرجل المخطم».

وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٣٢٢ وزاد نسبته للبخاري، في التاريخ والبغوي وأبي نعيم.

(٢٦١) وهي قراءة أبي بن كعب كما في فتح القدير (١٥٢/٤).

(٢٦٢) وهو الصواب فإنه لا دليل يدل على صرف الحقيقة إلى المجاز في هذا الموضع فالصواب أنها تتكلم بكلام حقيقي منطوق ولا تنسى أيها القارىء أن هذه الأوقات تكون أوقات ظهور آيات وخوارق عادات فما المانع من كون الدابة تنطق على الحقيقة.

فعلى هذا فيما تكلم به قولان:

أحدهما: أنها تكلمهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر.

الثاني: تكلمهم بما قاله الله ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قاله ابن مسعود وعطاء.

وحكى ابن البيلماني عن ابن عمر(٢٦٣) أن الدابة تخرج ليلة جمع وهي ليلة النحر والناس يسيرون إلى منى.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم كفارها المكذبون. وفي قوله ﴿بِـَٔايَاتَنَا﴾ وجهان:

أحدهما: محمد ﷺ، قاله السدي.

الثاني: جميع الرسل، وهو قول الأكثرين.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يجمعون، قاله ابن شجرة.

الثاني: يدفعون، قاله ابن عباس.

الثالث: يساقون، قاله ابن زيد والسدي، ومنه قول الشماخ(٢٦٤).

وكم وزعنا من خميس جحفل ... وكم حبونا من رئيس مسحل

الرابع: يُرَدُّ أولاهم على أُخراهم، قاله قتادة.

---

(٢٦٣) وسنده ضعيف من أجل ابن البيلماني.

وقد رواه ابن أبي حاتم، ونقله ابن كثير (٣/٣٧٦)

(٢٦٤) فتح القدير (٤/١٥٤).

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ
وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ
ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا
وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ
تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهو يوم النشور من القبور وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الصور جمع صورة، والنفخ فيها إعادة الأرواح إليها.

الثاني: أنه شيء ينفخ فيه كالبوق(٢٦٥) يخرج منه صوت يحيا به الموتى.

الثالث: أنه مثل ضربه الله لإحياء الموتى في وقت واحد بخروجهم فيه كخروج الجيش إذا أُنذروا بنفخ البوق فاجتمعوا في الخروج وقتاً واحداً.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وفي هذا الفزع هنا قولان:

أحدهما: أنه الإجابة والإسراع إلى النداء من قولك فزعت إليه من كذا إذا أسرعت إلى ندائه في معونتك قال الشاعر(٢٦٦):

كنا إذا ما أتانا صارخٌ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

فعلى هذا يكون ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء لهم من الإجابة والإسراع إلى النار.

ويحتمل من أريد بهم وجهين:

أحدهما: الملائكة الذين أخروا عن هذه النفخة.

الثاني: البهائم التي تصير إن أعيدت تراباً.

والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لأنهم

---

(٢٦٥) وهو الصواب لورود الحديث بذلك كما في الترمذي وقد تقدم في سورة الأنعام فراجعه، وأما القول الأول فهو على قراءة من قرأ ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ جمع صورة وهي قراءة الحسن.

(٢٦٦) هو سلامة بن جندل والبيت في اللسان «قرع».

أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين فعلى هذا يكون قوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ استثناء لهم من الخوف والفزع.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم، قاله ابن عيسى.

الثاني: أنهم الشهداء. روى أبو هريرة عن النبي(٢٦٧) ﷺ أنهم الشهداء ولولا هذا النص لكان الأنبياء بذلك أحق لأنهم لا يقصرون عن منازل الشهداء وإن كان في هذا النص تنبيه عليهم. وقيل إن إسرافيل(٢٦٨) هو النافخ في الصور.

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: راغمين، قاله السدي.

الثاني: صاغرين، قاله ابن عباس وقتادة ويكون المراد بقوله ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ من فزع ومن استثني من الفزع بقوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهذا يكون في النفخة الثانية، والفزع بالنفخة الأولى، وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ عَاماً»(٢٦٩).

قوله ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي واقفة.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي لا يرى سيرها لبعد أطرافها كما لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه وهذا مثل، وفيما ضرب له ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للدنيا يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب، قاله سهل بن عبدالله.

الثاني: أنه مثل ضربه الله للإيمان تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى السماء.

الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح والروح تسير إلى القدس.

---

(٢٦٧) ولكن رواه الطبري (٢٠/٢٠) موقوفاً وفي سنده مجهول وزاد السيوطي في الدر(٦/٣٨٤) نسبته لسعيد بن منصور.

(٢٦٨) وقد ثبت ذلك بقوله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن.......

(٢٦٩) وقد ورد الحديث الصحيح بذلك رواه البخاري (٨/٤٢٤).

ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة وفيه «ما بين النفختين أربعون قيل أربعون يوماً قال أبو هريرة: أبيت... الحديث والمرسل الذي أورده المؤلف هنا ولم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي فعل الله الذي أتقن كل شيء. وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أحكم كل شيء، قاله ابن عباس:

الثاني: أحصى، قاله مجاهد.

الثالث: أحسن، قاله السدي.

الرابع: أوثق، واختلف فيها فقال الضحاك: هي كلمة سريانية، وقال غيره: هي عربية مأخوذ من إتقان الشيء إذا أحكم وأوثق، وأصلها من التقن وهو ما ثقل من الحوض من طينة.

قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها أداء الفرائض كلها.

الثاني: أفضل منها لأنه يعطى بالحسنة عشراً، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: فله منها خير للثواب العائد عليه، قاله ابن عباس ومجاهد.

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وهم من فزع يوم القيامة آمنون في الجنة.

الثاني: وهم من فزع الموت في الدنيا آمنون في الآخرة.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الشرك في قول ابن عباس وأبي هريرة.

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ فيها قولان:

أحدهما: مكة، قاله ابن عباس.

الثاني: مِنىٰ، قاله أبو العالية. وتحريمها هو تعظيم حرمتها والكف عن صيدها وشجرها.

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يعني ملك كل شيء مما أحله وحرمه فيحل منه ما شاء ويحرم منه ما شاء لأن للمالك أن يفعل في ملكه ما يشاء.

قوله: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَآيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريكم في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحسن.

الثاني: يريكم في الدنيا ما ترون من الآيات في السموات والأرض فتعرفونها أنها حق، قاله مجاهد.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر فلا بد أن يجازي عليه، والله أعلم.

سُورَةُ القَصَصِ

آياتها ٨٨ — ترتيبها ٢٨

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بين مكة والمدينة، وقيل بالجحفة وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ الآية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ (٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ببغيه في استعباد بني إسرائيل وقتل أولادهم، قاله قتادة.

الثاني: بكفره وادعاء الربوبية.

الثالث: بملكه وسلطانه.

وهذه الأرض أرض مصر لأن فرعون ملك مصر، ولم يملك الأرض كلها. ومصر تسمى الأرض ولذلك قيل لبعض نواحيها الصعيد.

وفي علوه وجهان:

أحدهما: هو لظهوره في غلبته.

الثاني: كبره وتجبره.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ أي فرقاً. قال قتادة: فرّق بين بني إسرائيل والقبط.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل بالاستعباد بالأعمال القذرة.

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ قال السدي: إن فرعون رأى في المنام أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه عن تأويله، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون على يده هلاك مصر، فأمر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأسرع الموت في شيوخ بني إسرائيل فقال القبط لفرعون: إن شيوخ بني إسرائيل قد فنوا بالموت وصغارهم بالقتل فاستبقهم لعملنا وخدمتنا أن يستحيوا في عام ويقتلوا في عام فولد هارون في عام الاستحياء وموسى في عام القتل. وطال بفرعون العمر حتى حكى النقاش أنه عاش أربعمائة سنة وكان دميماً قصيراً، وكان أول من خضب بالسواد. وعاش موسى مائة وعشرين سنة.

قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: بنو إسرائيل، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: يوسف وولده، قاله علي رضي الله عنه.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ولاة الأمر، قاله قتادة.

الثاني: قادة متبوعين، قاله ابن شجرة.

الثالث: أنبياء لأن الأنبياء فيما بين موسى وعيسى كانوا من بني إسرائيل أولهم موسى وآخرهم عيسى وكان بينهما ألف نبي، قاله الضحاك.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم بعد غرق فرعون سبَوا القبط فاستعبدوهم بعد أن كانوا عبيدهم فصاروا وارثين لهم، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم المالكون لأرض فرعون التي كانوا فيها مستضعفين. والميراث زوال الملك عمن كان له إلى من صار إليه، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا[٢٧٠]

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إلهام من الله قد قذفه في قلبها وليس بوحي نبوة[٢٧١]، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه كان رؤيا منام، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنه وحي من الله إليها مع الملائكة كوحيه إلى النبيين، حكاه قطرب.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قال مجاهد: كان الوحي بالرضاع قبل الولادة، وقال غيره بعدها.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ يعني القتل الذي أمر به فرعون في بني إسرائيل.

﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ واليم: البحر وهو النيل.

---

(٢٧٠) بيت من معلقة عمرو المشهورة.

راجع المعلقات السبع وشرحها لأبي بكر الأنباري.

(٢٧١) قال الشوكاني (٤/١٥٩)«وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها عند من قال به على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيحين فلم يكن بذلك نبياً.

قلت: وقد ساق الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء منهم القاضي عياض وقد نوزع فيه والمسألة فيها شد وجذب، راجع المطولات في كتب العقيدة.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تخافي عليه الغرق، قاله ابن زيد.

الثاني: لا تخافي عليه الضيعة، قاله يحيى بن سلامة.

﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تحزني على فراقه، قاله ابن زيد.

الثاني: لا تحزني أن يقتل، قاله يحيى بن سلام.

فقيل: إنها جعلته في تابوت طوله خمسة أشبار وعرضه خمسة أشبار وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في البحر بعد أن أرضعته أربعة أشهر وقال آخرون ثمانية، أشهر في حكاية الكلبي. وحكي أنه لما فرغ النجار من صنعه التابوت أتى إلى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينه وقلبه فلم يعرف الطريق فأيقن أنه المولود الذي تخوف فرعون منه فآمن من ذلك الوقت وهو مؤمن آل فرعون.

قال ابن عباس: فلما توارى عنها ندَّمها الشيطان وقالت في نفسها لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إليّ من إلقائه بيدي إلى دواب البحر وحيتانه، فقال الله:

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ...﴾ الآية، حكى الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد:

استغفر الله لذنبي كله قبلت إنساناً بغير حلّه
مثل الغزال ناعماً في دَله فانتصف الليل ولم أُصله

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أوَيعد هذا فصاحة مع قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

قوله ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه التقطه جواري امرأته حين خرجن لاستسقاء الماء فوجدن تابوته فحملنه إليها، قاله ابن عباس.

الثاني: أن امرأة فرعون خرجت إلى البحر وكانت برصاء فوجدت تابوته فأخذته فبرئت من برصها فقالت: هذا الصبي مبارك، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي ليكون لهم عَدُوًّا وحزناً في عاقبة أمره ولم يكن

لهم في الحال عدوًا ولا حزناً لأن امرأة فرعون فرحت به وأحبته حبًا شديداً فذكر الحال بالمآل كما قال الشاعر[٢٧٢]:

وللمنايا تربي كل مرضعةٍ ودورنا لخراب الدهر نبنيها

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليذبحوه فمنعتهم وجاءت به إلى فرعون وقالت: قرة عين لي ولك.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ فقال فرعون: قرة عين لك فأما لي فلا، فقال رسول الله ﷺ: «وَٱلَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَونُ بِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّت امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ ٱللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَاهَا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَرَمَهُ ذٰلِكَ»[٢٧٣].

وفي قرة العين وجهان:

أحدهما: أنه بردها بالسرور مأخوذ من القر وهو البرد.

الثاني: أنه قر فيها دمعها فلم يخرج بالحزن مأخوذ من قر في المكان إذا أقام فيه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ هلاكهم على يديه وفي زمانه.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ
عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ
إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغاً﴾ فيه ستة أوجه:

---

(٢٧٢) فتح القدير (٤/ ١٦٠).

(٢٧٣) رواه الطبري (٢٠/ ٣٤).

أحدها: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: فارغاً من وحينا بنسيانه، قاله الحسن وابن زيد.

الثالث: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، قاله الأخفش.

الرابع: معنى فارغاً أي نافراً، قاله العلاء بن زيد.

الخامس: ناسياً، قاله اليزيدي.

السادس: معناه والهاً، رواه ابن جبير.

وقرأ فضالة بن عبيد الأنصاري وهو صحابي: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَزِعاً﴾ من الفزع وفي قوله ﴿وَأَصْبَحَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنها ألقته ليلاً فأصبح فؤادها فارغاً في النهار.

الثاني: أنها ألقته نهاراً ومعنى أصبح أي صار، قال الشاعر:

مضى الخلفاء بالأمر الرشيد ... وأصبحت المدينة للوليد(٢٧٤)

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن تصيح عند إلقائه وا إبناه، قاله ابن عباس.

الثاني: أن تقول لما حملت لإرضاعه وحضانته هو ابني، قاله السدي لأنه ضاق صدرها لما قيل هو ابن فرعون.

الثالث: أن تبدي بالوحي، حكاه ابن عيسى.

﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالإيمان، قاله قتادة.

الثاني: بالعصمة، قاله السدي.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال السدي: قد كانت من المؤمنين ولكن لتكون من المصدقين بأنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي استعلمي خبره وتتبّعي أثره. قال الضحاك، واسم أخته كلثمة(٢٧٥).

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

(٢٧٤) فتح القدير (٤/١٦١) وفيه مضى الخلفاء في أمر رشيد.

(٢٧٥) وقيل مريم، زاد المسير (٦/٢٠٥).

أحدها: عن جانب، قاله ابن عباس.

الثاني: عن بعد، قاله مجاهد ومنه الأجنبي قال علقمة بن عبدة(٢٧٦):

فلا تحرمنّي نائلاً عن جنابةٍ   فإني امرؤ وسط القباب غريب

الثاني: عن شوق، حكاه أبو عمرو بن العلاء وذكر أنها لغة جذام يقولون جنبت إليك [أي اشتقت].

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته لأنها كانت تمشي على ساحل البحر حتى رأتهم قد أخذوه.

قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ قال ابن عباس: لا يؤتى بمرضعة فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع كما قال امرؤ القيس:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصِري   إني امرؤ صرعي عليك حرام

أي ممتنع:

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل مجيء أخته وفي قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ وجهان:

أحدهما: ما ذكرناه.

الثاني: من قبل ردّه إلى أمه.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ الآية. وهذا قول أخته لهم حين رأته لا يقبل المراضع فقالوا لها عند قولها لهم:

﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وما يُدْريك؟ لعلك تعرفين أهله، فقالت: لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك ويرغبون في ظئره.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ قال ابن عباس انطلقت أخته إلى أمه فأخبرتها فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصَّه حتى امتلأ جنباه رياً وانطلق بالبشرى إلى امرأة فرعون قد وجدنا لابنك ظئراً، قال أبو عمران الجوني: وكان فرعون يعطي أم موسى في كل يوم ديناراً.

وروي أنه قال لأم موسى حين ارتضع منها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ فقالت: لأني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني.

(٢٧٦) فتح القدير (٤/١٦١) واللسان «جنب».

فكان من لطف الله بموسى أن جعل إلقاء موسى في البحر وهو الهلاك سبباً لنجاته وسخر فرعون لتربيته وهو يقتل الخلق من بني إسرائيل لأجله وهو في بيته وتحت كنفه.

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ الآية.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني من قوم فرعون.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون ما يراد بهم، قاله الضحاك.

الثاني: لا يعلمون مثل علمها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾
وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن
شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ فيه تسعة أقاويل:

أحدها: أربعون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان.

الثالث: ثلاث وثلاثون سنة، قاله ابن عباس.

الرابع: ثلاثون سنة، قاله السدي.

الخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

السادس: عشرون سنة، حكاه يحيى بن سلام.

السابع: ثماني عشرة سنة، قاله ابن جبير.

الثامن: خمس عشرة سنة، قاله محمد بن قيس.

التاسع: الحلم. قاله ربيعة ومالك.

والأشد جمع واختلف هل له واحد أم لا، على قولين:

أحدهما: لا واحد له، قاله أبو عبيدة.

الثاني: له واحد وفيه وجهان:

احدهما: شد، قاله سيبويه.

الثاني: شدة، قاله الكسائي.

﴿وَٱسْتَوَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: اعتدال القوة، قاله ابن شجرة.

الثاني: خروج اللحية، قاله ابن قتيبة.

الثالث: انتهى شبابه، قاله ابن قتيبة.

الرابع: أربعون سنة، قاله ابن عباس.

﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ في الحكم أربعة أقاويل:

أحدها: أنه العقل، قاله عكرمة.

الثاني: النبوة، قاله السدي.

الثالث: القوة، قاله مجاهد.

الرابع: الفقه، قاله ابن اسحاق.

قوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها مصر، قاله ابن شجرة.

الثاني: منف، قاله السدي.

الثالث: عين الشمس، قاله الضحاك.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: نصف النهار والناس قائلون، قاله ابن جبير.

الثاني: ما بين المغرب والعشاء، قاله ابن عباس.

الثالث: يوم عيد لهم وهم في لهوهم، قاله الحسن.

الرابع: لأنهم غفلوا عن ذكره لبعد عهدهم به، حكاه ابن عيسى.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: من شيعته إسرائيلي ومن عدوه قبطي، قاله ابن عباس.

الثاني: من شيعته مسلم ومن عدوه كافر، قاله ابن إسحاق.

﴿فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ حكى ابن سلام أن القبطي سخّر الإسرائيلي ليحمل له حطباً لمطبخ فرعون فأبى عليه فاستغاث بموسى. قال سعيد بن جبير: وكان خبازاً لفرعون ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾ قال قتادة: بعصاه وقال مجاهد: بكفه أي دفعه، الوكز واللكز واحد والدفع.

قال رؤبة[٢٧٧]:

بعددٍ ذي عُدَّةٍ ووكز

إلا أن الوكز في الصدر واللكز في الظهر.

فعل موسى ذلك وهو لا يريد قتله وانما يريد دفعه[٢٧٨].

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي فقتله.

و ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ أي من إغوائه.

﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ قال الحسن: لم يكن يحل قتل الكافر يومئذٍ في تلك الحال لأنها كانت حال كف عن القتال.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من المغفرة.

الثاني: من الهداية.

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي عوناً. قال ابن عباس: قال ذلك فابتلي لأن صاحبه الذي أعانه دل عليه.

فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

---

(٢٧٧) اللسان «وشر» وصدره.

وإن حينا أو شاء كل نشر

(٢٧٨) ولهذا قال الشوكاني رحمه الله (٤/ ١٦٤) ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكبائر والقتل الواقع منه لم يكن عن عمد فليس بكبيرة ولأن الوكزة في الغالب لا تقتل»،

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: خائفاً من قتل النفس أن يؤخذ بها.

الثاني: خائفاً من قومه.

الثالث: خائفاً من الله.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتلفت من الخوف، قاله ابن جبير.

الثاني: ينتظر.

وفيما ينتظر فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ينتظر الطلب إذا قيل إن خوفه كان من قتل النفس.

الثاني: ينتظر أن يسلمه قومه إذا قيل إن خوفه منهم.

الثالث: ينتظر عقوبة الله إذا قيل إن خوفه كان منه.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يعني الإسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز من أجله القبطي فقتله، استصرخه واستغاثه على رجل آخر من القبط خاصمه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك للإسرائيلي لأنه قد أغواه بالأمس حتى قتل من أجله رجلاً ويريد أن يغويه ثانية.

الثاني: أنه قال ذلك للقبطي فظن الإسرائيلي أنه عناه فخافه، قاله ابن عباس.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا...﴾ وهو القبطي لأن موسى أخذته الرقة على الإسرائيلي فقال الإسرائيلي:

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بِٱلْأَمْسِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الإسرائيلي رأى غضب موسى عليه وقوله إنك لغوي مبين، فخاف أن يقتله فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسا بِٱلْأَمْسِ﴾.

الثاني: أن الإسرائيلي خاف أن يكون موسى يقتل القبطي فيقتل به الإسرائيلي فقال ذلك دفعاً لموسى عن قتله، قاله يحيى بن سلام. قال يحيى: وبلغني أن هذا الإسرائيلي هو السامري.

وخلى الإسرائيلي القبطي فانطلق القبطي وشاع أن المقتول بالأمس قتله موسى.

﴿... إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال السدي: يعني قتالاً.

قال أبو عمران الجوني: وآية الجبابرة القتل بغير [حق].

وقال عكرمة: لا يكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين [بغير حق].

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ أي وما هكذا يكون الإصلاح.

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

قوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ قال الضحاك: هو مؤمن آل فرعون. وقال شعيب: اسمه شمعون. وقال محمد بن اسحاق: شمعان. وقال الضحاك والكلبي: اسمه حزقيل بن شمعون. قال الكلبي: هو ابن عم فرعون أخي أبيه.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يتشاورون في قتلك، قاله الكلبي، ومنه قول النمر بن تولب(٢٧٩):

أرى الناس قد أحدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يؤتمر

الثاني: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ومنه قوله ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الطلاق: ٦] أي ليأمر بعضكم بعضاً وكقول امرىء القيس(٢٨٠):

أحارِ بن عمرٍو كأني خَمِرْ ... ويعدو على المرء ما يأتمر

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ

(٢٧٩) فتح القدير (٤/١٦٥)، الطبري (٢٠/٥٢) مجاز القرآن (١/١٧٨).

(٢٨٠) ديوانه (١٥٤) اللسان «أمر».

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قال عكرمة: عرضت لموسى أربع طرق فلم يدر أيتها يسلك.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك عند استواء الطرق فأخذ طريق مدين، قاله عكرمة.

الثاني: أنه قال ذلك بعد أن اتخذ طريق مدين فقال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي قصد الطريق إلى مدين، قاله قتادة والسدي. قال قتادة: مدين ماء كان عليه قوم شعيب.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ قال ابن عباس: لما خرج موسى من مصر إلى مدين وبينه وبينهما ثماني ليال ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر وخرج حافياً فما وصل إليها حتى وقع خف قدميه.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾ أي جماعة. قال ابن عباس: الأمة أربعون.

﴿يَسْقُونَ﴾ يعني غنمهم ومواشيهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تحبسان، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر(٢٨١):

أبيتُ على باب القوافي كأنما ... أذود بها سِرباً من الوحش نُزَّعا

الثاني: تطردان. قال الشاعر(٢٨٢):

لقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري بأيٍّ عصا تذود

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهما تحبسان غنمهما عن الماء لضعفهما عن زحام الناس، قاله أبو مالك والسدي.

الثاني: أنهما تذودان الناس عن غنمهما، قاله قتادة.

---

(٢٨١) هو سويد بن كراع، والبيت في الطبري (٢٠/٥٥) والأغاني (١٢/٣٤٤) وفتح القدير (٤/١٩٠).

(٢٨٢) الطبري (٢٠/٥٥)، فتح القدير (٤/١٦٦).

الثالث: تمنعان غنمهما أن تختلط بغنم الناس، حكاه يحيى بن سلام.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما، وفي الخطب تضخيم الشيء ومنه الخطبة لأنها من الأمر المعظم.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ والصدور الانصراف ، ومنه الصَّدر لأن التدبير يصدر عنه، والمصدر لأن الأفعال تصدر عنه. والرعاء جمع راع.

وفي امتناعهما من السقي حتى يصدر الرعاء وجهان:

أحدهما: تصوناً عن الاختلاط بالرجال.

الثاني: لضعفهما عن المزاحمة بماشيتهما.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وفي قولهما ذلك وجهان:

أحدهما: أنهما قالتا ذلك اعتذاراً إلى موسى من معاناتهما سقي الغنم بأنفسهما.

الثاني: قالتا ذلك ترقيقاً لموسى ليعاونهما.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه زحم القوم عن الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما، قاله ابن إسحاق.

الثاني: أنه أتى بئراً عليها صخرة لا يقلها من أهل مدين إلا عشرة فاقتلعها بنفسه وسقى لهما. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ قال السدي: إلى ظل الشجرة وذكر أنها سَمُرة.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عباس: قال موسى ذلك وقد لصق بطنه بظهره من الجوع وهو فقير إلى شق تمرة ولو شاء إنسان لنظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع.

قال الضحاك: لأنه مكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً إلا بقل الأرض؛ فعرض لهما بحاله فقال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: شبعة من طعام، قاله ابن عباس.

الثاني: شبعة يومين، قاله ابن جبير.

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿**فَجَآءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ**﴾ قال ابن عباس: فاستبكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حُفّلا بطاناً فقال لهما: إن لكما اليوم لشأناً فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فجاءته تمشي على استحياء، وفيه قولان:

أحدهما: أنه استتارها بكم درعها، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢٨٣).

الثاني: أنه بعدها من النداء، قاله الحسن.

وفي سبب استحيائها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها دعته لتكافئه وكان الأجمل مكافأته من غير عناء.

الثاني: لأنها كانت رسولة أبيها.

الثالث: ما قاله عمر لأنها ليست بسلفع من النساء خَرَّاجة ولّاجة.

﴿**قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ**﴾ وفي أبيها قولان:

أحدهما: أنه شعيب النبي عليه السلام(٢٨٤).

الثاني: أنه يثرون ابن أخي شعيب، قاله أبو عبيدة والكلبي.

وكان اسم التي دعت موسى وتزوجها: صفوريا. واسم الأخرى فيه قولان:

---

(٢٨٣) رواه الطبري (٢٠ / ٦٠) وابن أبي حاتم وسنده صحيح صححه ابن كثير (٣/ ١٨٤) وفيه دليل على أن النقاب معروف في الأمم السابقة.

(٣٠) وقد تقدم ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من أن الرجل لم يكن شعيب النبي صلوات الله وسلامه عليه.

إحداهما: ليا، قاله ابن اسحاق.

الثاني: شرفا، قاله ابن جرير(٢٨٥).

﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أي ليكافئك على ما سقيت لنا فمشت أمامه فوصف الريح عجيزتها فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي أخبره بخبره مع آل فرعون.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني أنه ليس لفرعون وقومه عليّ سلطان ولسنا في مملكته.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَآ أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ﴾ والقائلة هي التي دعته وهي الصغرى يعني استأجره لرعي الغنم.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلأَمِينُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القوي فيما ولي، الأمين فيما استودع، قاله ابن عباس.

الثاني: القوي في بدنه، الأمين في عفافه. وروي أن أباها لما قالت له ذلك دخلته الغيرة فقال لها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ولا يكشفها دون عشرة، وأما أمانته فإنه خلفني خلف ظهره حين مشى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ فروى عبد الرحمن بن زيد أن موسى قال: فأيهما تريد أن تنكحني؟ قال: التي دعتك، قال: لا إلا أن تكون تريد ما دخل في نفسك عليها فقال: هي عندي كذلك فزوجه وكانت الصغيرة واسمها صفوريا.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ يعني عمل ثماني حجج فأسقط ذكر العمل واقتصر على المدة لأنه مفهوم منهما. والعمل رعي الغنم.

واختلف في هذه الثماني حجج على قولين:

أحدهما: أنها صداق المنكوحة.

الثاني: أنها شرط الأب في إنكاحها إياه وليس بصداق.

(٢٨٥) جامع البيان (٢٠/٦٢).

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ قال ابن عباس كانت على نبي الله موسى ثماني حجج واجبة وكانت سنتان عِدة منه فقضى الله عنه عِدته فأتمها عشراً.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من الصالحين في حسن الصحبة. قاله ابن إسحاق.

الثاني: فيما وعده به.

حكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شبه أمها فأوحى الله إلى موسى أن ألق عصاك في الماء فولدت كلهن خلاف شبههن. وقال غير يحيى: بل جعل له كل بلقاء فولدن كلهن بُلْقاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ قال السدي: لا سبيل عليّ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قول السدي: شهيد.

الثاني: حفيظ، قاله قتادة.

الثالث: رقيب، قاله ابن شجرة.

فروي أن النبي ﷺ قال(٢٨٦): «إِنَّ مُوسَىٰ أَجَّرَ نَفْسَهُ بِعِفَّةِ فَرْجِهِ وَطُعْمَةِ بَطْنِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ الأَجَلَيْنِ قَضَىٰ؟ فَقَالَ أَبَرُّهُمَا وَأَوفَاهُمَا».

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ

(٢٨٦) قوله «إن موسى ..... إلى بطنه».

رواه ابن ماجة (٢٤٤٤) من حديث عقبة بن المنذر السلمي.

وسنده ضعيف، لأن فيه مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٨٥) ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن روي من وجه آخر وفيه نظر أيضاً ثم ساق رواية ابن أبي حاتم.

قلت: والنظر الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير هو لأن في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف إلا في رواية العبادلة عنه.

وأما قوله «أي الأجلين ... الخ».

فقد رواه البخاري (٥/٢١٣، ٢١٤) من حديث ابن عباس.

راجع جامع الأصول (٢/٢٩٥).

ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ
فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ
يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ يعني العمل الذي شُرِطَ عليه.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أي بزوجته.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ أي رأى، وقد يعبر عن الرؤية بالعلم.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُواْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

يحتمل وجهين:

أحدهما: بخبر الطريق الذي أراد قصده هل هو على صوبه أو منحرف عنه.

الثاني: بخبر النار التي رآها هل هي لخير يأنس به أو لشر يحذره.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: الجذوة أصل الشجرة فيها نار، قاله قتادة.

الثاني: أنها عود في بعضه نار وليس في بعضه نار، قاله الكلبي.

الثالث: أنها عود فيه نار ليس له لهب، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنها شهاب من نار ذو لهب، قاله ابن عباس. قال الشاعر(٢٨٧):

وألقي على قبس من النار جذوة ... شديدٌ عليها حميها والتهابها

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا﴾ يعني النار أي قرب منها.

﴿نُودِيَ مِن شَاطِىءِ ٱلْوَادِ ٱلأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ﴾ وهي البقعة التي قال الله فيها لموسى ﴿ٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

(٢٨٧) روح المعاني (٢٠/٧٢) والشاعر هو ابن مقيل.

واحتمل وصفها بالبركة وجهين:

أحدهما: لأن الله كلم فيها موسى وخصه فيها بالرسالة.

الثاني: أنها كانت من بقاع الخصب وبلاد الريف.

ثم قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فأحل الله كلامه في الشجرة حتى سمعه موسى منها، لأنه لا يستطيع أن يسمعه من الله وهذه أعلى منازل الأنبياء أن يسمعوا كلام الله من غير رسول مبلغ وكان الكلام مقصوراً على تعريفه بأنه الله رب العالمين إثباتاً لوحدانيته ونفياً لربوبية غيره، وصار بهذا الكلام من أصفياء الله لا من رسله لأنه لا يصير رسولاً إلا بعد أمره بالرسالة، والأمر بها إنما كان بعد هذا الكلام.

فإن قيل: فكيف أضاف البركة إلى البقعة دون الشجرة والشجرة بالبركة أخص لأن الكلام عنها صدر ومنها سُمِعَ؟

قيل: عنه جوابان:

أحدهما: أن الشجرة لما كانت في البقعة أضاف البركة إلى البقعة لدخول الشجرة فيها ولم يخص به الشجرة فتخرج البقعة وصار إضافتها إلى البقعة أعم.

الثاني: أن البركة نفذت من الشجرة إلى البقعة فصارت البقعة بها مباركة فلذلك خصّها الله بذكر البركة، قاله ابن عباس، والشجرة هي العليق وهي العوسج.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ...﴾ الآية وإنما أمره بإلقاء عصاه في هذا الحال ليكون برهاناً عنده بأن الكلام الذي سمعه كلام الله ثم ليكون برهاناً له إلى من يرسل إليه من فرعون وملئه.

فإن قيل: فإذا كانت برهاناً إليه وبرهاناً له فلم ولَّى منها هارباً؟

قيل لأمرين:

أحدهما: رأى ما خالف العادة فخاف.

الثاني: أنه يجوز أن يظن الأمر بإلقائها لأجل أذاها فولَّى هارباً حتى نودي فعلم.

﴿... وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولم يثبت، اشتقاقاً من العقب الذي يثبت القدم.

الثاني: ولم يتأخر لسرعة مبادرته.

ويحتمل ثالثاً: أي لم يلتفت إلى عقبه لشدة خوفه وسرعة هربه.

﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الآمنين من الخوف.

الثاني: من المرسلين لقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال ابن بحر: فصار على هذا التأويل رسولاً بهذا القول. وعلى التأويل الأول يصير رسولاً بقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ والبرهانان اليد والعصا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وجهان:

أحدهما: أن الجناح الجيب جيب القميص وكان عليه مدرعة صوف.

الثاني: أن الجيب جنب البدن.

﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الرهب الكُمّ، قاله مورق.

الثاني: أنه من الخوف.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ
أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ
ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿رِدْءًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عوناً، قاله مجاهد.

الثاني: زيادة، والردء الزيادة وهو قول مسلم بن جندب وأنشد قول الشاعر[٢٨٨]:

وأسمر خطيّاً كأن كعوبه نوى القسب قد أردى ذِراعاً على العشر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي﴾ قال ابن عباس: كان بينها وبين قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أربعون سنة.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ قال قتادة: هو أول من طبخ الآجر.

﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحاً﴾ الصرح القصر العالي. قال قتادة: هو أول من صنع له الصرح.

﴿لَعَلِّيۤ أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ الآية. فحكى السدي أن فرعون صعد الصرح ورمى نشابه نحو السماء فرجعت إليه متلطخة دماً فقال: قد قتلت إله موسى.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾ قال قتادة: بحر يقال له أساف من وراء مصر غرقهم الله فيه.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً﴾ يعني فرعون وقومه، وفيه وجهان:

أحدهما: زعماء يُتْبَعُونَ على الكفر.

الثاني: أئمة يأتم بهم ذوو العبر ويتعظ بهم أهل البصائر.

(٢٨٨) فتح القدير (١٧٣/٤).

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يدعون إلى عمل أهل النار.

الثاني : يدعون إلى ما يوجب النار.

قوله : ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني خزياً وغضباً.

الثاني : طرداً منها بالهلاك فيها.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : من المقبحين بسواد الوجوه وزرقة الأعين، قاله الكلبي.

الثاني : من المشوهين بالعذاب، قاله مقاتل.

الثالث : من المهلكين، قاله الأخفش وقطرب.

الرابع : من المغلوبين، قاله ابن بحر.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها ست من المثاني السبع التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ، قاله ابن عباس ورواه مرفوعاً(٢٨٩).

الثاني : أنها التوراة، قاله قتادة. قال يحيى بن سلام : هو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال أبو سعيد الخدري : ما أهلك الله أمة من الأمم ولا قرناً من القرون ولا قرية من القرى بعذاب من السماء ولا من الأرض منذ أنزل الله التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخهم الله قردة، ألم تر إلى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

---

(٢٨٩) رواه ابن جرير (١٤/٥٢) وابن أبي حاتم وغيره كما في الدر (٥/٩٥).
راجع تفسير قوله ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾.

ومعنى قوله ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي بينات. ﴿وَهُدًى﴾ أي دلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي نعمة.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي ليذكروا هذه النعمة فيقيموا على إيمانهم في الدنيا ويثقوا بثوابهم في الآخرة.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ
مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ
مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله: ﴿وَمَاكُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وما كنت يا محمد ﴿بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: نودي يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني، قاله أبو هريرة.

الثاني: أنهم نودوا في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بُعِثْتَ، قاله مقاتل.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ما نودي به موسى من جانب الطور من ذكرك نعمة من ربك.

الثاني: أن إرسالك نبياً إلى قومك نعمة من ربك.

﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العرب.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ
يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١)﴾

قوله تعالى: ﴿... قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ قرأ الكوفيون سحران، فمن قرأ ساحران ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: موسى ومحمد عليهما السلام، وهذا قول مشركي العرب، وبه قال ابن عباس والحسن.

الثاني: موسى وهارون عليهما السلام وهذا قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة، قاله ابن جبير ومجاهد وأبو زيد.

الثالث: عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وهذا قول اليهود اليوم، وبه قال قتادة.

ومن قرأ سحران ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها التوراة والقرآن، قاله عاصم الجحدري والسدي.

الثاني: التوراة والإنجيل، قاله إسماعيل وأبو مجلز.

الثالث: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ يعني بما تقدم ذكره على اختلاف الأقاويل وفي قائل ذلك قولان:

إحداهما: اليهود.

الثاني: قريش.

قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه بيَّنا لهم القول، قاله السدي.

الثاني: أتممنا كصلتك الشيء بالشيء، قاله الأخفش.

الثالث: أتبعنا بعضه بعضاً، قاله علي بن عيسى.

وفي ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الخبر عن الدنيا والآخرة، قاله ابن زيد.

الثـاني: إخبارهم بمن أهلكنا من قوم نوح بكذا وقوم صالح بكذا وقـوم هود بكذا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يتذكرون محمداً فيؤمنوا به، قاله ابن عباس.

الثاني: يتذكرون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، قاله ابن عيسى.

الثالث: لعلهم يتعظون بالقرآن عن عبادة الأوثان، حكاه النقاش.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَآتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل القرآن هم بـالقرآن يؤمنون، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل محمد هم بمحمد يؤمنـون، قاله ابن شجرة.

وفيمن نزلت قولان:

أحدهما: نزلت في عبدالله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي أسلموا فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، قاله قتادة.

الثاني: أنها نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي ﷺ قبل مبعثه، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام. منهم بحيراً وأبرهة والأشراف وعامر وأيمن وإدريس ونافع فأنزل الله فيهم هذه الآية، والتي بعدها إلى قوله ﴿أُوْلَـٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ قال قتادة: [بإيمانهم] بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الآخر.

وفي قوله بما صبروا ثلاثة أوجه:

أحدها: بما صبروا على الإيمان، قاله ابن شجرة.

الثاني: على الأذى، قاله مجاهد.

الثالث: على طاعة الله وصبروا عن معصية الله، قاله قتادة.

﴿... وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يدفعون بالعمل الصالح ما تقدم من ذنب، قاله ابن شجرة.

الثاني: يدفعون بالحلم جهل الجاهل، وهذا معنى قول يحيى بن سلام.

الثالث: يدفعون بالسلام قبح اللقاء، وهذا معنى قول النقاش.

الرابع: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله ابن جبير.

الخامس: يدفعون بالخير الشر، قاله ابن زيد.

ويحتمل سادساً: يدفعون بالتوبة ما تقدم من المعصية.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يؤتون الزكاة احتساباً، قاله ابن عباس.

الثاني: نفقة الرجل على أهله وهذا قبل نزول الزكاة، قاله السدي.

الثالث: يتصدقون من أكسابهم، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يتلقونهم بالشتم والسب فيعرضون عنهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم قوم من اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غَيَّره اليهود من التوراة وبدلوه من نعت محمد ﷺ وصفته أعرضوا عنه وكرهوا تبديله، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الثالث: أنهم المؤمنون إذا سمعوا الشرك أعرضوا عنه، قاله الضحاك ومكحول.

الرابع: أنهم أناس من أهل الكتاب لم يكونوا يهوداً ولا نصارى وكانوا على دين أنبياء الله وكانوا ينتظرون بعثة رسول الله ﷺ فلما سمعوا بظهوره بمكة قصدوه، فعرض عليهم القرآن وأسلموا.

وكان أبو جهل ومن معه من كفار قريش يلقونهم فيقولون لهم: أفٍّ لكم من قوم منظور إليكم تبعتم غلاماً قد كرهه قومه وهم أعلم به منكم فإذا قالوا ذلك لهم أعرضوا عنهم، قاله الكلبي.

﴿قَالُواْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم، حكاه النقاش.

الثاني: لنا حلمنا ولكم سفهكم.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ردّوا خيراً واستكفوا شراً، وفيه تأويلان:

أحدهما: لا نجازي الجاهلين، قاله قتادة.

الثاني: لا نتبع الجاهلين، قاله مقاتل.

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
(٥٦) وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا
آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من أحببت هدايته.

الثاني: من أحببته لقرابته. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن: نزلت في أبي طالب عم النبي ﷺ.

وروى أبو هريرة أن النبي قال لعمه أبي طالب(٢٩٠) «قُل لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِندَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فقال: لولا أن تعيرني بها قريش لأقررت عينيك بها.

وروى مجاهد أنه قال: يا ابن أخي ملة الأشياخ، فنزلت الآية تعني أبا طالب.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ قاله قتادة: يعني العباس.

---

(٢٩٠) رواه البخاري (٨/٣٨٩) ومسلم (١/٥٤) مطولاً مع اختلاف يسير ورواه مسلم (١/٥٥) مختصراً هكذا، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/) لعبد بن حميد والترمذي وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ قال مجاهد: يعني بمن قدر له الهدى والضلالة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ قيل إن هذه الآية نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي ﷺ إنا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا يعني بمكة فإنما نحن أكلة رأس العرب ولا طاقة لنا بهم، فأجاب الله عما اعتل به فقال:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه جعله آمناً بما طبع النفوس عليه من السكون إليه حتى لا ينفر منه الغزال والذئب والحمام والحدأة.

الثاني: أنه جعله آمناً بالأمر الوارد من جهته بأمان من دخله ولاذ به، قاله يحيى بن سلام.

يقول كنتم آمنين في حرمي تأكلون رزقي وتعبدون غيري أفتخافون إذا عبدتموني وآمنتم بي.

﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي تجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد. وحكى مجاهد أن كتاباً وجد عند المقام فيه: إني أنا الله ذو بكة، وضعتها يوم خلقت الشمس والقمر، وحرمتها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، مبارك لأهلها في الماء واللحم، أول من يحلها أهلها.

﴿رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا﴾ أي عطاء من عندنا.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعقلون، قاله الضحاك.

الثاني: لا يتدبرون، قاله ابن شجرة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ والبطر الطغيان بالنعمة. وفيه وجهان:

أحدها: يعني بطرت في معيشتها، قاله الزجاج.

الثاني: أبطرتها معيشتها، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في أوائلها، قاله الحسن.

الثاني: في معظم القرى من سائر الدنيا، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أن أم القرى مكة، قاله قتادة.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاَقِيهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هو حمزة بن عبد المطلب والوعد الحسن الجنة و ﴿لاَقِيهِ﴾ دخولها، قاله السدي.

الثاني: هو النبي ﷺ والوعد الحسن النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، قاله الضحاك.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال السدي والضحاك: هو أبو جهل.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من المحضرين للجزاء، قاله ابن عيسى.

الثاني: من المحضرين في النار، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: من المحضرين: المحمولين، قاله الكلبي.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ

ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحجج، قاله مجاهد.

الثاني: الأخبار، قاله السدي.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لا يسألون بالأنساب، قاله مجاهد.

الثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحتمل من ذنوبه، حكاه ابن عيسى.

الثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله، حكاه ابن شجرة.

الرابع: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجة، وهذا قول الضحاك.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾
وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوماً كانوا يجعلون خير أموالهم لأهليهم في الجاهلية فقال ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من خلقه ﴿وَيَخْتَارُ﴾ من يشاء لطاعته، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿وَيَخْتَارُ﴾ من يشاء لنبوته، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ النبي محمداً ﷺ ﴿وَيَخْتَارُ﴾ الأنصار لدينه حكاه النقاش.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: معناه ويختار للمؤمنين ما كان لهم فيه الخيرة فيكون ذلك إثباتاً.

الثاني: معناه ما كان للخلق على الله الخيرة، فيكون ذلك نفياً. ومن قال بهذا فلهم في المقصود به وجهان:

أحدهما: أنه عنى بذلك قوماً من المشركين جعلوا لله ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فنزل ذلك فيهم، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال ما حكاه الله عنه في سورة الزخرف ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ﴾ الآية. [الزخرف: ٣١] يعني نفسه وعروة بن مسعود الثقفي فقال الله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أن يتخيروا على الله الأنبياء.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أخرجنا من كل أمة رسولاً مبعوثاً إليها.

الثاني: أحضرنا من كل أمة رسولاً يشهد عليها أن قد بلغ رسالة ربه إليها، قاله قتادة.

﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حجتكم، قاله أبو العالية.

الثاني: بينتكم، قاله قتادة.

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العدل لله، قاله ابن جبير.

الثاني: التوحيد لله، قاله السدي.

الثالث: الحجة لله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ يعني في القيامة.

﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من الكذب.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ قال ابن عباس: كان ابن عمه[٢٩١]، قال قتادة: ابن عم موسى أخي أبيه وكان قطع البحر مع بني إسرائيل وكان يسمى: المنور، من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: بغيه عليهم أنه كفر بالله، قاله الضحاك.

الثاني: أنه زاد في طول ثيابه شبراً، قاله شهر بن حوشب.

الثالث: أنه علا عليهم بكثرة ماله وولده، قاله قتادة.

الرابع: أنه صنع بغياً، حين أمر الله موسى برجم الزاني فعمد قارون إلى امرأة بغي فأعطاها مالاً وحملها على أن ادعت عليه أنه زنى بها وقال: فأنت قد زنيت. وحضرت البغي فادّعت ذلك عليه فعظم على موسى ما قالت وأحلفها بالله الذي فلق

(٢٩١) وهو قول أكثر أهل العلم كما قال ابن جرير ونقله ابن كثير (٣/٣٩٨).

البحر لبني إسرائيل وأنـزل التوراة على موسى إلاّ صدقت فقالت: أشهد أنك بريء وأن قارون أعطاني مالاً وحملني على أن قلت ما قلت وأنت الصادق وقارون الكاذب فكان هذا بغيه، قاله ابن عباس، قال السدي: وكان اسم البغي شجرتاوبذل لها قارون ألفي درهم.

الخامس: أنه كان غلاماً لفرعون فتعـدى على بني إسرائيـل وظلمهم، قالـه يحيى بن سلام.

السادس: أنه نسب ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته، قالـه ابن بحر.

﴿وَءَاتَيْنَهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أصاب كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، قاله عطاء.

الثاني: أنه كان يعمل الكيمياء (٢٩٢)، قاله الوليد.

---

(٢٩٢) قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٩٩) متعقباً هذا القول «وهذا القول ضعيف لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل؛ قال الله تعالى: **﴿يا أيها الناس ضُرِبَ مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾** وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقي فليـخـلقوا ذرة فليـخلقـوا شعيرة» وهذا ورد في المصورين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعي أن يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحـال وجهل وضـلال إنما يقدرون على الصبغ في الصور الظاهرة وهي كذب وزوز وتمويه وترويج أن صحيح في نفـس الأمر وليس كذلك قطعاً لا محالة ولم يثبت بطـريق شرعي أنـه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاطاها هؤلاء الجهلة الأفاكون فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهباً أو فضة أو نحو ذلك فهذا أمر لا ينكره مسلم ولا يرده مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وأن هذا من مشيئة رب الأرض والسموات واختياره وفعله كما روى عن حيوة بن شريح المصري رحمه الله تعالى أن سأله سائل فلم يكن عنده ما يعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول ذكرها أهـ.

قلت: ومما سبق يتبين. أن: أ ـ ادعاء قلب المواد من تراب إلى ذهب وفضة لم يقع.

ب ـ أن صناعة الكيمياء الباطلة التي يقصدها الحافظ رحمه الله هي قلب الأعيان كقلب التراب ذهباً، وأما صناعة الكيمياء التي تتشرف الجامعات والمدارس فهذه ليست باطلة إنما الباطل ما يقوم على السحر والدجل والشعوذة وقد كان منشأ ذلك في العصور الأولى ويوجد منه الآن بقية.

جـ ـ إن قلب بعض الأشياء على بعض الصالحين من قبيل الكرامة لا من قبيل الدجل والشعوذة فافهم هذا.

﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: خزائنه، قاله السدي وأبو رزين.

الثاني: أوعيته، قاله الضحاك.

الثالث: مفاتيح خزائنه وكانت من جلود يحملها أربعون بغلاً.

الرابع: أن مفاتيح الكنوز إحاطة علمه بها، حكاه ابن بحر لقول الله ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿لَتَنُوأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لتثقل العصبة، قاله ابن عباس وأبو صالح والسدي.

الثاني: لتميل بالعصبة، قاله الربيع بن أنس مأخوذ من النأي وهو البعد قال الشاعر:

ينأوْن عنا وما تنأى مودتهم   والقلب فيهم رهين حيثما كانوا

الثالث: لتنوء به العصبة كما قال الشاعر(٢٩٣):

إنّا وجدنا خلفاً بئس الخلف   عبداً إذا ما ناء بالحمل خضف

والعصبة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض واختلف في عددهم على سبعة أقاويل:

أحدها: سبعون رجلاً، قاله أبو صالح.

الثاني: أربعون رجلاً، قاله الحكم وقتادة والضحاك.

الثالث: ما بين العشرة إلى الأربعين، قاله السدي.

الرابع: ما بين العشرة إلى الخمسة عشر، قاله مجاهد.

الخامس: ستة أو سبعة. قاله ابن جبير.

السادس: ما بين الثلاثة والتسعة وهم النفر، قاله عبد الرحمن بن زيد.

السابع: عشرة لقول إخوة يوسف ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨] قاله الكلبي ومقاتل.

وزعم أبو عبيدة أن هذا من المقلوب تأويله: إن العصبة لتنوء بالمفاتح.

﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ قال السدي أولي الشدة.

---

(٢٩٣) فتح القدير (٤/١٨٩).

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قول المؤمنين منهم، قاله السدي.

الثاني: قول موسى، قاله يحيى بن سلام.

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تبغ إن الله لا يحب الباغين، قاله مجاهد.

الثاني: لا تبخل إن الله لا يحب الباخلين، قاله ابن بحر.

الثالث: لا تبطر إن الله لا يحب البطرين، قاله السدي. وقال الشاعر(٢٩٤):

ولست بمفراحٍ إذا الدهر سَرَّني ولا جازعٍ من صرفه المتغلب

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ الآخِرَةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طلب الحلال في كسبه، قاله الحسن.

الثاني: أنه الصدقة وصلة الرحم، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: وهو أعم أن يتقرب بنعم الله إليه. والمراد بالدار الآخرة الجنة.

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تنس حظك من الدنيا أن تعمل فيها لآخرتك، قاله ابن عباس.

الثاني: لا تنس استغناك بما أحل الله لك عما حرمه عليك، قاله قتادة.

الثالث: لا تنس ما أنعم الله عليك أن تشكره عليه بالطاعة وهذا معنى قول مجاهد ويكون معناه: لا تنس شكر نصيبك.

﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أعط فضل مالك كلما زاد على قدر حاجتك، وهذا معنى قول ابن زيد.

الثاني: وأحسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في إنعامه عليك، وهذا معنى قول يحيى بن سلام.

الثالث: أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يحتمل وجهين:

(٢٩٤) هو هدبة بن خشرم العذري والبيت في غريب القرآن: ٣٣٥ والكامل (١٢٤٨/٣) وحماسة البحتري ١٢٠ وعيون الأخبار (١٧٦/٢، ١٨١) وحماسة ابن الشجري: ١٣٧ والبحر المحيط (١٣٢/٧) والقرطبي (٣١٣/١٣) وزاد المسير (٢٤١/٦) والشطر الثاني منه «من طرفه المتقلب».

أحدهما: لا تعمل فيها بالمعاصي.

الثاني: لا تقطع(*).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحب أعمال المفسدين، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يقرب المفسدين، قاله ابن قتيبة.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أي بقوتي وعلمي، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: على خير وعلم عندي، قاله قتادة.

الثالث: لرضا الله عني ومعرفته باستحقاقي، قاله ابن زيد.

الرابع: على علم بوجه المكاسب، قاله ابن عيسى.

الخامس: العلم بصنعة الكيمياء(٢٩٥).

حكى النقاش أن موسى عليه السلام علّم قارون(٢٩٦) الثلث من صنعة الكيمياء، وعلم يوشع بن نون الثلث، وعلم ابني هارون الثلث فخدعهما قارون وكان على إيمانه حتى علم ما عندهما وعمل الكيمياء فكثرت أمواله.

وفي قوله تعالى: ﴿... وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: يعذبون ولا يحاسبون، قاله قتادة.

الثاني: لا يسألون عن إحصائها ويعطون صحائفها فيعرفون ويعترفون بها، قاله الربيع.

(*) كلمة مطموسة بالأصول ولعل المقصود لا تقطع الطريق.

(٢٩٥) راجع التعليق رقم ٢٣.

(٢٩٦) لا يدل على ذلك دليل صحيح والأنبياء أرفع منزلة من أن يتعلموا هذه الأشياء فضلاً عن تعليمهم إياها للناس.

الثالث: لأن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا تسأل عنهم، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم لا يُسألون سؤال استعتاب: لِمَ لَمْ يؤمنوا، قاله ابن بحر كما قال ﴿ولاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: في حشمه، قاله قتادة.

الثاني: في تَبَعه في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات[٢٩٧] وكان أول يوم رؤيت فيه المعصفرات قاله ابن زيد. قال أبو لبابة: أول من صبغ بالسواد قارون.

الثالث: خرج في جوارٍ بيض على بغال بيض بسروج من ذهب على قطف أرجوان، قاله السدي.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ تمنوا ماله رغبة في الدنيا.

﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لذو درجة عظيمة، قاله الضحاك.

الثاني: لذو جد عظيم، قاله السدي.

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

(٢٩٧) يعني الثياب المصبوغة بالعصفر.

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: لما شكا موسى إلى الله أمْر قارون أمر الله الأرض أن تطيع موسى، ولما أقبل قارون وشيعته قال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم، ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى أوساطهم ثم: قال: خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، ثم قال خذيهم فخسف الله بهم وبدار قارون وكنوزه.

روى يزيد الرقاشي أن قارون لما أخذته الأرض إلى عنقه أخذ موسى نعليه فخفق بهما وجهه فقال قارون: يا موسى ارحمني، قال الله تعالى (**يَا مُوسَىٰ مَا أَشَدَّ قَلْبَكَ، دَعَاكَ عَبْدِي وَاسْتَرْحَمَكَ فَلَمْ تَرْحَمْهُ: وَعِزَّتِي لَو دَعَانِي عَبْدِي لأَجَبْتُهُ**).

روى سمرة بن جندب أنه يخسف بقارون وقومه في كل يوم بقدر قامة فلا يبلغ إلى الأرض السفلى إلى يوم القيامة.

قال مقاتل لما أمر موسى الأرض فابتلعته قال بنو إسرائيل: إنما أهلكه ليرث ماله لأنه كان ابن عمه أخي أبيه فخسف الله بداره وبجميع أمواله بعد ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ فيه ثمانية أوجه:

أحدها: معناه أو لا يعلم أن الله؟ رواه معمر عن قتادة.

الثاني: أو لا يرى؟ رواه سعيد عن قتادة.

الثالث: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ بلغة حمير، قاله الضحاك.

الرابع: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ والياء، والكاف صلتان زائدتان، حكاه النقاش.

الخامس: ﴿وَكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ والياء وحدها صلة زائدة. وقال ابن عيسى بهذا التأويل غير أنه جعل الياء للتنبيه.

السادس: معناه ويك أن الله ففصل بين الكاف والألف وجعل ويك بمعنى ويح فأبدل الحاء كافاً ومنه قول عنترة(٢٩٨):

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدمِ

السابع: ويلك إن الله فحذف اللام إيجازاً، حكاه ابن شجرة.

الثامن: وي منفصلة على طريق التعجب ثم استأنف فقال كأن الله، قاله الخليل.

---

(٢٩٨) معاني القرآن (ص ٢٤٣)، الطبري (١٠/١٢١) مختار الشعر الجاهلي ٣٧٩.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معنى يقدر أن يختار له، قاله ابن عباس.

الثاني: ينظر له فإن كان الغنى خيراً له أغناه وإن كان الفقر خيراً له أفقره، قاله الحسن.

الثالث: يضيق، وهذا معنى قول ابن زيد.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ أي الجنة نجعلها.

﴿عُلُوًّا﴾ فيها ستة أوجه:

أحدها: يعني بغياً، قاله ابن جبير.

الثاني: تكبراً، قاله مسلم.

الثالث: شرفاً وعزاً، قاله الحسن.

الرابع: ظلماً، قاله الضحاك.

الخامس: شركاً، قاله يحيى بن سلام.

السادس: لا يجزعون من ذلها ولا يتنافسون على عزها، قاله أبو معاوية.

ويحتمل سابعاً: أن يكون سلطاناً فيها على الناس.

﴿وَلَا فَسَاداً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه الأخذ بغير حق، قاله مسلم.

الثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله عكرمة.

الثالث: أنه قتل الأنبياء والمؤمنين، قاله يحيى بن سلام.

ويحتمل رابعاً: أنه سوء السيرة.

﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والثواب للمتقين، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: معناه والجنة للمتقين، قاله ابن شجرة.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۢ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ
بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍۢ مُّبِينٍۢ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةًۭ مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًۭا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا
يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ
إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنزل عليك القرآن، قاله يحيى بن سلام والفراء.

الثاني: أعطاكه، قاله مجاهد.

الثالث: أوجب عليك العمل به، حكاه النقاش.

الرابع: حمّلك تأديته وكلفك إبلاغه، حكاه ابن شجرة.

الخامس: بينه على لسانك، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أي قدر عليك إنزاله في أوقاته لأن الفرض التقدير.

﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: إلى مكة، قاله مجاهد والضحاك وابن جبير، والسدي.

الثاني: إلى بيت المقدس، قاله نعيم القاري.

الثالث: إلى الموت، قاله ابن عباس وعكرمة.

الرابع: إلى يوم القيامة، قاله الحسن.

الخامس: إلى الجنة، قاله أبو سعيد الخدري.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في الجحفة حين عسف به الطريق إليها فليست مكية ولا مدنية.

قوله تعالى: ﴿. . . كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه إلا هو[٢٩٩]، قاله الضحاك.

الثاني: إلا ما أريد به وجهه، قاله سفيان الثوري.

الثالث: إلا ملكه، حكاه محمد بن إسماعيل البخاري.

الرابع: إلا العلماء فإن علمهم باق، قاله مجاهد.

الخامس: إلا جاهه كما يقال لفلان وجه في الناس أي جاه، قاله أبو عبيدة.

السادس: الوجه العمل ومنه قولهم: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار أي عمله. وقال الشاعر[٣٠٠]:

أستغفر الله ذنباً لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القضاء في خلقه بما يشاء من أمره، قاله الضحاك وابن شجرة.

الثاني: أن ليس لعباده أن يحكموا إلا بأمره، قاله ابن عيسى.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، والله أعلم.

(٢٩٩) بينا فيما مضى أن طريقة السلف هي التسليم بما ورد عن الله تعالى من غير اعتقاد التجسيم والتكيف كما قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ والبخاري كما قال في المصنف إنه قد أول الوجه بالملك وهو أي البخاري من السلف وقد ورد ذلك في صحيحه في باب التفسير.

(٣٠٠) الطبري (٢٠/١٢٧) ولم يعرف قائل هذا البيت.

سورة العنكبوت

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. ومدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة. وفي القول الثاني لهما وهو قول يحيى بن سلام مكية كلها إلا عشر آيات من أولها مدنية إلى قوله ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ﴾ وقال علي رضي الله عنه نزلت بين مكة والمدينة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ
فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ
حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ. أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟...﴾ هذا لفظ استفهام أريد به التقرير والتوبيخ وفيه خمسة أقاويل:

أحدها: معناه أظن الذين قالوا لا إله إلا الله أن يتركوا فلا يختبروا أصدقوا أم كذبوا. قاله الحسن.

الثاني: أظن المؤمنون ألا يؤمروا ولا ينهوا، قاله ابن بحر.

الثالث: أظن المؤمنون ألا يؤذوا ويقتلوا. قاله الربيع بن أنس. وقال قتادة: نزلت في أناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم المشركون فرجعوا فنزلت

فيهم فلما سمعوها خرجوا فقتل منهم من قتل وخلص من خلص فنزل فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ الآية.

الرابع: أنها نزلت في عمار بن ياسر ومن كان يعذب في الله بمكة، قاله عبيد بن عمير. قال الضحاك: نزلت في عباس بن أبي ربيعة أسلم وكان أخا أبي جهل لأمه أخذه وعذبه على إسلامه حتى تلفظ بكلمة الشرك مكرهاً.

الخامس: نزلت في قوم أسلموا قبل فرض الجهاد والزكاة فلما فرضا شق عليهم فنزل ذلك فيهم، حكاه ابن أبي حاتم.

وفي قوله: ﴿. . . وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: لا يسألون، قاله مجاهد.

الثاني: لا يختبرون في أموالهم وأنفسهم بالصبر على أوامر الله وعن نواهيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما افترضه عليهم.

الثاني: بما ابتلاهم به.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فليظهرن الله لرسوله صدق الصادق، قاله ابن شجرة.

الثاني: فليميزن الله الذين صدقوا من الكاذبين، قاله النقاش وذكر أن هذه الآية نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر قتله عامر بن الحضرمي. ويقال إنه أول من يدعى إلى الجنة من شهداء المسلمين وفيه يقول النبي ﷺ يوم بدر «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مهجع»(٣٠١).

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ قال قتادة: الشرك وزعم أنهم اليهود.

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يسبقوا ما كتبنا عليهم في محتوم القضاء.

الثاني: أن يعجزونا حتى لا نقدر عليهم، وهو معنى قول مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن يفوتونا حتى لا ندركهم.

(٣٠١) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ساء ما يظنون، قاله ابن شجرة.

الثاني: ساء ما يقضون لأنفسهم على أعدائهم، قاله النقاش.

مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من كان يخشى لقاء الله، قاله ابن جبير والسدي.

الثاني: من كان يؤمل.

وفي ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ وجهان:

أحدهما: ثواب الله، قاله ابن جبير.

الثاني: البعث إليه، قاله يحيى بن سلام.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ يعني الجزاء في القيامة فاستعدوا له.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالتكم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمعتقدكم.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ألزمناه أن يفعل بهما برًّا، قاله السدي.

الثاني: أن ما وصيناه به من برهما حسناً.

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ أي ألزماك.

﴿لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: ما ليس لك به حجة لأن الحجة طريق العلم.

الثاني: أن تجعل لي شريكاً لأنه ليس لأحد بذلك من علم.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فأمر بطاعة الوالدين في الواجبات حتماً وفي المباحات ندباً ونهى عن طاعتهما في المحظورات جزماً، وقد جاء في الأثر. لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(٣٠٢).

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ يعني في القيامة.

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني في الدنيا من خير يستحق به الثواب وشر يستوجب به عقاب.

واختلفوا في سبب نزولها وإن عم حكمها على قولين:

أحدهما: نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد حلفت أمّه عليه وأقسمت ألا تأكل طعاماً حتى يرجع عن دين محمد ﷺ. قاله مصعب وسعد وقتادة.

الثاني: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ
وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي
صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ
وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾
وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

---

(٣٠٢) ورد مرفوعاً بنفس اللفظ من حديث النواس بن سمعان رواه البغوي في شرح السنة (١٠/٤٤) وإسناده ضعيف كما قال الأرناؤوط قلت: لأن في سنده شهر بن حوشب قال الأرناؤوط حفظه الله: ويشهد له حديث الحكم بن عمرو الغفاري وعمران بن حصين رضي الله عنهما عند أحمد (٥/٦٦). والطيالسي (٨٥٦) وإسناده صحيح صححه الحاكم (٢/٤٤٣) ووافقه الذهبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فيه وجهان(٣٠٣):

أحدهما: أنهم أعوان الظلمة.

الثاني: أنهم أصحاب البدع إذا اتُّبِعوا عليها.

الثالث: أنهم محدِثو السنن الجائرة إذا عمل بها من بعدهم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ روى قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ نَبِيٍ أُرْسِلَ نُوحٌ»(٣٠٤) قال قتادة: وبعث من الجزيرة.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن هذا مبلغ عمره كله. قال قتادة: لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ودعاهم ثلاثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة.

فإن قيل فلم قال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً فعنه جوابان:

أحدهما: أن المقصود به تكثير العدد فكان ذكر الألف أفخم في اللفظ وأكثر في العدد.

الثاني: ما روي أنه أعطي من العمر ألف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة راجع في استكمال الألف فذكر الله ذلك تنبيهاً على أن النقيصة كانت من جهته، فهذا قول.

والقول الثاني: أنه بعث لأربعين سنة(٣٠٥) من عمره ولبث في قومه ألف سنة

(٣٠٣) لاحظ أن المؤلف أورد هنا ثلاثة أوجه بينما نص أولاً على وجهين.

(٣٠٤) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر كما في الدر (٤٧٩/٣) ويشهد له ما في البخاري (٢٦٤/٦، ٢٦٥) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه «اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض. . . . . » الحديث.

(٣٠٥) ما عليه مذاهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة من أن عمر الإنسان مقدر في الأزل قبل خلق الخلق قال تعالى: وإذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين عاماً فكان مبلغ عمره ألف سنة وخمسين سنة، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد ذلك سبعين سنة فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين سنة، قاله كعب الأحبار.

والقول الرابع: أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ولبث في قومه داعياً ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً فكان مبلغ عمره ألف سنة وستمائة وخمسين سنة، قاله عون بن أبي شداد.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الطوفان المطر، قاله ابن عباس وابن جبير وقتادة والسدي.

الثاني: أن الطوفان الغرق، قاله الضحاك.

الثالث: أنه الموت(٣٠٦)، روته عائشة عن النبي ﷺ ومنه قول الشاعر(٣٠٧):

أفناهم طوفان موت جارفِ

وقيل إن الطوفان كلُّ عامّ من الأذى. وحكى إسماعيل بن عبدالله أن الطوفان كان في نيسان.(٣٠٨)

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ

---

(٣٠٦) ورجح هذا القول ابن كثير (٣/٤٠٧).

(٣٠٧) رواه الطبري (١٣/٥١) وفي سنده المنهال بن خليفة العجلي وهو ضعيف وفي سنده أيضاً الحجاج بن أرطأة وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس وأورده الحافظ ابن كثير (٣/٤٠٧) من رواية ابن مردويه بنحوه وقال: حديث غريب.

(٣٠٨) الطبري (٢٠/١٣٦) مجاز القرآن (١٨٤) فتح القدير (٤/١٩٦).

يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ
﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يعذب من يشاء بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم من يشاء بالإعراض عنها.

الثاني: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة.

الثالث: يعذب من يشاء بسوء الخلق، ويرحم من يشاء بحسن الخلق.

الرابع: يعذب من يشاء ببغض الناس له، ويرحم من يشاء بحبهم له.

الخامس: يعذب من يشاء بمتابعة البدعة، ويرحم من يشاء بملازمة السنة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ قال ابن إسحاق: آمن لوط بإبراهيم وكان ابن أخيه وآمنت به سارة وكانت بنت عمه.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يعني مهاجر عن الظالمين.

وفيما هاجر إليه قولان:

أحدهما: أنه هاجر إلى حرّان، قاله كعب الأحبار.

الثاني: أنه هاجر من كوثي وهو من سواد الكوفة إلى أرض الشام، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: الذكر الحسن، قاله ابن عباس.

الثاني: رضا أهل الأديان، قاله قتادة.

الثالث: النية الصالحة التي اكتسب بها الأجر في الآخرة، قاله الحسن.

الرابع: لسان صدق، قاله عكرمة.

الخامس: ما أوتي في الدنيا من الأجر، رواه ابن برزة.

السادس: الولد الصالح، حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي حتى أن أكثر الأنبياء من ولده.

ويحتمل سابعاً: أنه بقاء الصلاة عند قبره[٣٠٩] وليس ذلك لغيره من الأنبياء.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ أي تنكحون الرجال.

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(٣٠٩) ولم يثبت أن نبي الله إبراهيم دفن عند الكعبة أو عند المقام كما يوهم صنيع المؤلف ولا تنس أن الشريعة الإسلامية نهت عن الصلاة في القبور أو إليها كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ.

أحدها: أنه قطع الطريق على المسافر، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم بإتيان الفاحشة من الرجال قطعوا الناس عن الأسفار حذراً من فعلهم الخبيث، حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال، قال وهب: استغنوا عن النساء بالرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ أي في مجلسكم المنكر فيه أربعة أوجه:

أحدها: هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم، قالته عائشة رضي الله عنها.

الثاني: أنهم كانوا يخذفون(٣١٠) من يمر بهم ويسخرون منه روته أم هانىء عن النبي ﷺ.

الثالث: أنهم كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم، رواه منصور عن مجاهد.

الرابع: هو الصفير ولعب الحمام والجلاهق(٣١١) والسحاق وحل أزرار القيان في المجلس، رواه الحاكم عن مجاهد.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ
إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا
تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا
مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ

(٣١٠) رواه أحمد (٦/٣٤١) والطبري (٢٠/١٤٥) والحاكم (٢/٤٠٩) وصححه والترمذي (٢/١٥٠) وحسنه وابن أبي الدنيا في الصمت ٣٧٧ وزاد السيوطي في الدر (٦/٤٦٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والشاشي في مسنده والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وابن عساكر.

(٣١١) وهي البندق التي يرمى بها.

﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ
أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي
دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن
مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم
مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا
أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ
وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ
بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾
وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: **﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾** يعني آلهة من الأصنام والأوثان عبدوها.

﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا﴾ يعني أنهم عبدوا ما لا يغني عنهم شيئاً كبيت العنكبوت الذي لا يدفع شيئاً وهو من أبلغ الأمثال فيهم.

﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ لأنه يستر الإبصار ولا يدفع الأيدي، وقد حكي عن يزيد بن ميسرة أن العنكبوت شيطان مسخها(٣١٢) الله.

(٣١٢) رواه بعضهم مرفوعاً ولم يصح وهو أشبه بالإسرائيليات وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة . .

وقال عطاء: نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود، ومرة على النبي ﷺ(٣١٣).

وجمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني القرآن وهذا خطاب للنبي ﷺ أن يتلو ما أنزل منه على أمته.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عمر.

الثاني: أنه الصلاة المفروضة. قاله ابن عباس.

الثالث: أن الصلاة هنا هي الدعاء ومعناه قم بالدعاء إلى أمر الله، قاله ابن بحر.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الفحشاء الزنى والمنكر الشرك، قاله ابن عباس.

ثم فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها، قاله الكلبي وابن زيد وحماد بن أبي سليمان.

الثاني: تنهى عن الفحشاء والمنكر قبلها وبعدها روى طاووس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ(٣١٤): «مَن لَّمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمنكرِ لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ ٱللَّهِ إلاَّ بُعْداً».

---

(٣١٣) وفي ثبوت حديث نسج العنكبوت على الغار نظر بين العلماء.

(٣١٤) لم يصح هذا الحديث مرفوعاً فقد رواه الطبراني في الكبير (١١٠٢٥) والشهاب القضاعي في مسنده (رقم ٥٠٩) وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٣/٤١٥) وسنده ضعيف ففيه ليث بن أبي سليم قال الحافظ في التقريب: صدوق اختلط أخيراً ولم يميز حديثه فترك وبه أعلّه الهيثمي في المجمع (١/١٣٤) وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/١٤٣) إسناده لين.

الثالث: إن ما تدعوهم إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قاله ابن زيد.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، قاله ابن عباس.

الثاني: ولذكر الله أفضل من كل شيء، قاله سلمان.

الثالث: ولذكر الله في الصلاة التي أنت فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر، قاله عبدالله بن عون.

الرابع: ولذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة، قاله أبو مالك.

الخامس: ولذكر الله أكبر من أن تحويه أفهامكم وعقولكم.

السادس: أكبر من قيامكم بطاعته.

السابع: أكبر من أن يبقي على صاحبه عقاب الفحشاء والمنكر.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

ورواه ابن جرير (٢٠/٩٢) موقوفاً على ابن عباس وفي سنده مجهول ورجح الألباني وقفه.

ورواه أحمد في الزهد ١٥٩ موقوفاً على ابن مسعود وصحح سنده العراقي (١/١٤٣) وروي مرسلاً عن الحسن.

رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية واسناده إلى الحسن، وورد من قول الحسن نفسه رواه ابن جرير (٢٠/٩٢) وأحمد في الزهد (٢٦٤) وصحح سنده الألباني وقد ضعف المرفوع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقال الذهبي في الميزان(٣/٢٩١) نقلاً عن ابن الجنيد عن الحديث كذب وزور، راجع السلسلة الضعيفة رقم ٢ فقد أبطل الشيخ الألباني الحديث من الناحية الإسنادية والمتنية ويرد الحديث ما أثبته عن النبي ﷺ من أنه قيل له إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول أو سيمنعه ما يقول رواه (٢/٤٣٠) (١/٣٤٦) والطحاوي في مشكل الآثار وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/١٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٨) رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح ويكفي أن الآية تقول ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾.

أحدها: أن ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قول لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: الكف عنهم عند بذل الجزية منهم وقتالهم إن أبوا، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم إن قالوا شراً فقولوا لهم خيراً، رواه ابن أبي نجيح (٣١٥).

ويحتمل تأويلاً رابعاً: وهو أن يحتج لشريعة الإسلام ولا يذم ما تقدمها من الشرائع.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل الحرب، قاله مجاهد.

الثاني: من منع الجزية منهم، رواه خصيف(٣١٦).

الثالث: ظلموا بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم، قاله ابن زيد.

الرابع: ظلموا في جدالهم فأغلظوا لهم، قاله ابن عيسى.

واختلف في نسخ ذلك على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة(٣١٧)؛ قاله قتادة.

الثاني: أنها ثابتة(٣١٨).

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الآية، فروى سلمة (٣١٩) عن أبي هريرة(٣٢٠) قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ «لَا تُصَدِّقُواْ أَهْلَ الكِتابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ إلى قوله ﴿مُسْلِمُونَ﴾» أي مخلصون وفيه قولان:

أحدهما: أنه يقوله لأهل الكتاب، قاله مجاهد.

الثاني: يقوله لمن آمن، قاله السدي.

---

(٣١٥) رواه عن مجاهد كما في الطبري (٢١/١).

(٣١٦) رواه عن مجاهد كما في الطبري (٢١/١).

(٣١٧) نسخها قوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق...﴾ الآية. وقد ضعف القول بالنسخ العلامة ابن جرير (٢١/٣).

(٣١٨) يعني محكمة وهو قول ابن زيد كما في الطبري (٢١/٢).

(٣١٩) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب أبي سلمة عن أبي هريرة.

(٣٢٠) رواه البخاري (١٣/٣٣٣) وابن جرير (٢١/٣) وزاد في الدر (٦/٤٦٩) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن﴾ قبل القرآن كتاباً من كتب الله المنزلة ولا تخطه أي تكتبه بيمينك فتعلم ما أنزل الله فيه حتى يشكوا في إخبارك عنه إنه من وحي الله سبحانه إليك وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: أنه كان أهل الكتاب يجدونه في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً فنزل ذلك فيهم ليدلهم على صحة نبوته، وهو معنى قول مجاهد.

﴿إِذاً لَّٱرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم مشركو قريش، قاله مجاهد.

الثاني: مشركو العرب أن يقولوا لو كان يقرأ قد تعلمه من غيره، قاله قتادة.

الثالث: أنهم المكذبون من اليهود، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه النبي ﷺ في كونه أمياً لا يكتب ولا يقرأ ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ من أهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة، قاله الضحاك.

الثاني: أنه القرآن ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون به، قاله الحسن.

قال الحسن: أعطيت هذه الأمة الحفظ وكان من قبلها لا يقرأُون كتابهم إلا نظراً فإذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيين.

وقال كعب في صفة هذه الأمة: إنهم حلماء علماء كأنهم في الفقه أنبياء.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: المشركون.

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنهم كانواْ يسألونه آيات يقترحونها عليه كما كان يفعله مشركو قريش أن يجعل الصفا ذهباً وأن يجري بمكة نهراً.

الثاني: أنهم سألوه مثل آيات الأنبياء قبله كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى بإحياء الموتى.

﴿قُلْ إِنَّما الآيَاتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أن الله هو الذي يعطي ما يشاء من الآيات لمن يشاء من الأنبياء بحسب ما يرى من المصلحة ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بنوع منها.

﴿وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني أن النبي ﷺ مندوب للإنذار والبيان لا لما يقترح عليه من الآيات وإنما يلزم أن يأتي بما يشهد بصدقه من المعجزات وقد فعل الله ذلك فأجابهم به فقال:

﴿أَوَلَـمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن يتلى عليهم وفيه وجهان:

أحدهما: أولـم يكفـهم من الآيات التي سألوها أنا أنزلنا عليك الكتاب آية لك ودليلاً على صدقك لما فيه من الإعجاز في نظمه وصدق خبره وصحة وعده؟

الثاني: أنه محمول على ما رواه عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة (٣٢١) قال: أتي

(٣٢١) رواه ابن جرير (٢١/٧) وزاد في الدر (٦/٤٧١) نسبته لأبي داود في مراسيله وابن المنذر وابن أبي حاتم.
قلت: وقد وصلـه الإسماعيلي في معجمه وابن مردويه من طريق يحيى بن هبيرة عن أبي هريرة بنحوه راجع الدر (٦/٤٧١).

النبي ﷺ بكتاب في كتف فقال: كفى بقوم حمقاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني استنقاذهم من الضلال، وبالذكرى إرشادهم إلى الحق.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يريدون الإيمان ولا يقصدون العناد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ يعني شهيداً بالصدق والإبلاغ، وعليكم بالتكذيب والعناد.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم لأنهم قد أقرواْ بعلمه فلزمهم أن يقرواْ بشهادته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَاطِلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بإبليس، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: بعبادة الأوثان والأصنام، قاله ابن شجرة.

﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتبه.

الثاني: بما أشركوه معه من الآلهة وأضافوه إليه من الأولاد والأنداد.

﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خسروا أنفسهم بإهلاكها، قاله علي بن عيسى.

الثاني: خسروا في الآخرة نعيم الجنة بعذاب النار، قاله يحيى بن سلام.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن استعجالهم له شدة عنادهم لنبيه.

الثاني: أنه استهزاؤهم بقولهم: ﴿إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله ابن جبير.

الثاني: أجل الحياة إلى حين الموت وأجل الموت إلى حين البعث إليه بين أجلين من الله، قاله قتادة.

الثالث: أنه النفخة الأولى، قاله يحيى بن سلام.

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني الذي استعجلوه.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون بنزوله بهم.

روى نعيم بن عبدالله عن أبي هريرة قال (٣٢٢): قال رسول الله ﷺ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ قَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَمَا تَصِلُ إِلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم
مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ
صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

(٣٢٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٨/١٣) ومسلم (رقم ١٥٧) من حديث أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ فيه خمس تأويلات:

أحدها: أي جانبوا أهل المعاصي بالخروج من أرضهم، قاله ابن جبير وعطاء(٣٢٣).

الثاني: اطلبوا أولياء الله إذا ظهروا بالخروج إليهم، قاله أبو العالية.

الثالث: جاهدوا أعداء الله بالقتال لهم، قاله مجاهد.

الرابع: إن رحمتي واسعة لكم، قاله مطرف بن عبدالله.

الخامس: إن رزقي واسع لكم، وهو مروي عن مطرف أيضاً.

﴿فَإِيَّايَ فَٱعْبُدُونِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فارهبون، قاله بلال بن سعد.

الثاني: فاعبدون بالهجرة إلى المدينة، قاله السدي.

الثالث: فاعبدون بألا تطيعوا أحداً في معصيتي، قاله علي بن عيسى.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: يعني أن كل حي ميت.

الثاني: أنها تجد كربه وشدته، وفي إعلامهم بذلك وإن كانوا يعلمونه وجهان:

أحدهما: إرهاباً بالموت ليقلعوا عن المعاصي.

الثاني: ليعلمهم أن أنبياء الله وإن اختصوا بكرامته وتفردوا برسالته فحلول الموت بهم كحلوله بغيرهم حتى لا يضلوا بموت من مات (٣٢٤) منهم، وروى جعفر

(٣٢٣) رجح هذا القول ابن جرير (٢١/١٠) لدلالة سياق الآية عليه.

(٣٢٤) هذا الحديث له روايات كثيرة.

فرواية عليّ هذه رواها الطبراني كما في المجمع (٣٥/٩) وقال الهيثمي عنه: عبدالله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث قلت: ولم ينفرد به بل تابعه علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد به رواه ابن أبي حاتم في التفسير ونقله بسنده الحافظ في الإصابة (٣١٣/٢) وله متابع ثان وهو محمد بن جعفر ابن محمد رواه الحافظ في الإصابة بسنده مطولاً (٣١٤/٢) ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم قال الحافظ في الإصابة (٣١٥/٢) ذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس كنت حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التي سمعوها منه وعاش سبعين سنة قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديث قال الذهبي أنه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود أورد عليهما السلام أ هـ.

وورد الحديث من حديث جابر رواه البيهقي في الدلائل وفيه محمد بن جعفر المتقدم وله طريق ثالث من حديث ابن عمر أخرجه سيف بن عمر التميمي في كتاب الردة وسنده فيه مقال وشيخه (أي شيخ

الصادق عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال لما توّفي رسول الله ﷺ جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوتِ﴾ ، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت؛ فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرِمَ الثواب.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ يريد البعث في القيامة بعد الموت في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿. . . لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفاً﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ بالثاء من الثواء وهو طول المقام وقرأ الباقون بالباء ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ معناه لنسكننهم أعالي البيوت. وإنما خصهم بالغرف لأمرين:

أحدهما: أن الغرف لا تستقر إلا فوق البيوت فصار فيها جمع بين أمرين.

الثاني: لأنها أنزه من البيوت لإشرافها وألذ سكنى منها لرياحها وجفافها.

وقد روى أبو مالك الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال(٣٢٥): «إنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِن بَاطِنِها، وبَاطِنُها مِن ظَاهِرِهَا، أَعدَّهَا اللَّهُ لِمَن أَطْعَمَ الطَّعامَ وَأَطَابَ الكَلَامَ وَتَابَعَ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَقَامَ باللَّيلِ وَ النَّاسُ نِيامٌ».

قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

سيف) لا يعرف كذا أفاده الحافظ. وله طريق خامس به حديث أنس رواه ابن أبي الدنيا وفي سنده عباد ابن عبد الصمد وضعفه البخاري والعقيلي ورواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به عباد عن أنس. ونقله الحافظ في الإصابة (٢/٣١٧) وللحديث طرق أُخر عن علي رواه ابن عبدالبر في التمهيد وفي سنده عبدالله بن محرز وهو متروك قال ابن المبارك فيه بعرة أحب إليّ منه وقد حكم على حديث علي بالوضع الحافظ ابن دحية ورد تصحيح أبي بكر بن العربي له.

ورواه مرسلاً الشافعي كما في بدائع السنن (٢/٣٩٧) من حديث علي بن الحسين.

(٣٢٥) رواه أحمد (٥/١٤٣) وابن حبان (٦٤١) موارد والبيهقي في الشعب كما في المشكاة (١/٣٨٨) والطبراني في الكبير كما في المجمع (٢/٢٥٤) وقال الهيثمي رجاله ثقات. وحسن إسناد الطبراني أيضاً الإمام محمد بن عبد الواحد كما نقله ابن القيم في حادي الأرواح ص ١١٦.

وللحديث شاهد من حديث علي بن أبي طالب رواه الترمذي (٢٢٥٧) وأحمد (١/١٥٦) وابن أبي شيبة كما في الدر (٦/٧٠٥).

وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه قلت: وقال الحافظ في التقريب: ضعيف.

راجع حادي الأرواح ص ١١٥، ١١٦.

أحدها: معناه تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئاً، قاله مجاهد.

الثاني: تأكل لوقتها ولا تدخر لغدها، قاله الحسن.

الثالث: يأتيها من غير طلب.

الرابع: أنه النبي ﷺ يأكل ولا يدخر، حكاه النقاش.

قال ابن عباس: الدواب هو كل ما دب من الحيوان. وكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يسوي بين الحريص المتوكل في رزقه وبين الراغب القانع وبين الجلود والعاجز حتى لا يغتر الجلْد أنه رزق بجلده ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية لما أُذن لرسول الله ﷺ في الهجرة وأمر المسلمين بها خافوا الضيعة والجوع فقال قوم نهاجر إلى بلد ليس فيها معاش فنزلت هذه الآية فهاجروا.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ قال الضحاك: الحياة الدائمة وقال أبو عبيدة: الحيوان والحياة واحد.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَآمِناً﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: هي مكة وهم قريش أمنهم الله بها.

﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال الضحاك: يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فأذكرهم الله بهذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة.

﴿أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أفبالشرك، قاله قتادة.

الثاني: بإبليس، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بعافية الله، قاله ابن عباس.

الثاني: بعطاء الله وإحسانه، قاله ابن شجرة.

الثالث: ما جاء به النبي ﷺ من الهدى، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: بإطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، حكاه النقاش. وهذا تعجب وإنكار خرج مخرج الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ بأن جعل لله شريكاً أو ولداً.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بالتوحيد، قاله السدي.

الثاني: بالقرآن، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: بمحمد ﷺ، قاله ابن شجرة.

﴿مَثْوًى. . . ﴾ أي مستقراً.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: قاتلوا المشركين طائعين لنا.

الثاني: جاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا.

الثالث: اجتهدوا في العمل بالطاعة والكف عن المعصية رغبة في ثوابنا وحذراً من عقابنا.

الرابع: جاهدوا أنفسهم في التوبة من ذنوبهم.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يعني الطريق إلى الجنة، قاله السدي .

الثاني : نوفقهم لدين الحق، حكاه النقاش .

الثالث : معناه الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا يعلمون، قاله عباس أبو أحمد .

الرابع : معناه لنخلصنّ نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم، قاله يوسف بن أسباط .

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي في العون لهم. الله أعلم .

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ
﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا
مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. روى ابن جبير عن ابن عباس قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان.

قال ابن شهاب: فغلبت فارس الروم فسر بذلك المشركون وقالوا للمسلمين إنكم تزعمون أنكم ستغلبوننا لأنكم أهل كتاب، وقد غلبت فارس الروم والروم أهل كتاب.

وقيل: إنه كان آخر فتوح كسرى أبرويز فتح فيه القسطنطينية حتى بنى فيها بيت النار فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فساءه فأنزل الله هاتين الآيتين فلما قال:
﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ سر بذلك المسلمون وبادر أبو

بكر رضي الله عنه إلى مشركي قريش فأخبرهم بما أنزل عليهم وأن الروم ستغلب الفرس. قال قتادة: فاقتمر أبو بكر والمشركون على ذلك، وذلك قبل تحريم القمار، مدة اختلف الناس فيها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: مدة ثلاث سنين تظهر الروم فيها على فارس، قاله السدي.

الثاني: خمس سنين، قاله قتادة.

الثالث: سبع سنين، قاله الفراء.

وكان الذي تولى ذلك من المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، واختلف في الذي تولاه من المشركين مع أبي بكر على قولين:

أحدهما: أنه أبو سفيان بن حرب، قاله السدي.

الثاني: أنه أُبي بن خلف، قاله قتادة. وحكى النقاش أن أبا بكر لما أراد الهجرة مع النبي ﷺ عَلِق به أبي بن خلف وقال: اعطني كفيلاً بالخطر إن غلبت فكفله ابنه عبد الرحمن.

واختلف في قدر العوض المبذول على قولين:

أحدهما: أربع قلائص، قاله عامر.

الثاني: خمس قلائص، قاله قتادة.

فلما علم رسول الله ﷺ أن أبا بكر قدر لهم هذه المدة أنكرها وقال «**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**» قال: ثقة بالله وبرسوله، قال: «**فَكَم البِضْعُ**» قال: ما بلغ بين الثلاث(٣٢٦) والعشر فقال له النبي ﷺ: «**زِدْهُم فِي الخَطَرِ وَزِدْ فِي الأَجَلِ**» فزادهم قلوصين وازداد منهم في الأجل سنتين فصارت القلائص ستاً على القول الأول وسبعاً على الثاني وصار الأجل خمساً على القول الأول، وسبعاً على الثاني، وتسعاً على الثالث.

واختلف في الاستزادة والزيادة على قولين:

أحدهما: أنها كانت بعد انقضاء الأجل الأول قبل ظهور الغلبة، قاله عامر.

---

(٣٢٦) رواه الطبري (٢١/١٩) ويغني عن هذا المرسل:

ما رواه الترمذي (٣١٩٤) وصححه وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع [illegible] رقم ٣٨٨٧ من حديث نيار بن مكرم الأسلمي مرفوعاً «البضع: ما بين الثلاث إلى التسع» ورد في فتح القدير (١٦/٤) نسبة الحديث للدارقطني في الأفراد وأبي نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب.

الثاني: أنها كانت قبل انقضاء الأجل الأول، قاله ابن شهاب. فأظفر الله الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لخبره في التقدير ولرسوله ﷺ في التنزيل.

واختلف في السنة التي غلبت فيها الروم أهل فارس على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها عام بدر ظهر الروم على فارس فيه وظهر المسلمون على قريش فيه، قاله أبو سعيد، قال: فكان في يوم بدر.

الثاني: أن ظهور فارس على الروم كان قبل الهجرة بسنتين، وظهور المسلمين على قريش كان في عام بدر بعد الهجرة بسنتين، ولعله قول عكرمة.

الثالث: عام الحديبية ظهرت الروم على فارس وكان ظهور المسلمين على المشركين في الفتح بعد مدة الحديبية، قاله عبيدالله بن عبدالله.

فأما قوله تعالى: ﴿فِي أَدْنَى ٱلأَرْضِ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: في أدنى أرض فارس؛ حكاه النقاش.

الثاني: في أدنى أرض الروم، وهو قول الجمهور وفي أدنى أرض الروم أربعة أقاويل:

أحدها: أطراف الشام، قاله ابن عباس.

الثاني: الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، قاله مجاهد.

الثالث: الأردن وفلسطين، قاله السدي.

الرابع: أذرعات الشام وكانت بها الواقعة، قاله يحيى بن سلام.

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿غَلَبَتِ﴾ بالفتح أي ظهرت فقيل له علام غلبت؟ فقال: في أدنى ريف الشام.

قوله تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وهو ما بين الثلاث إلى العشر وهذا نص[٣٢٧] عن الرسول ﷺ. وقال بعض أهل اللغة هو ما بين العقدين من الواحد إلى العشرة فيكون من الثاني إلى التاسع.

وأما النيف ففيه قولان:

أحدهما: ما بين الواحد والتسعة، قاله ابن زيد.

الثاني: ما بين الواحد والثلاثة، وهو قول الجمهور.

(٣٢٧) انظر التعليق السابق.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قبل أن تغلب الروم ومن بعد ما غلبت.

الثاني: من قبل غلبة دولة فارس على الروم ومن بعد غلبة دولة الروم على فارس:

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الخبر الذي ورد على رسول الله ﷺ يوم الحديبية بهلاك كسرى ففرح ومن معه فكان هذا يوم فرحهم بنصر الله لضعف الفرس وقوة العرب.

الثاني: يعني به نصر الروم على فارس.

وفي فرحهم بذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: تصديق خبر الله وخبر رسول الله ﷺ.

الثاني: لأنهم أهل كتاب مثلهم.

الثالث: لأنه مقدمة لنصرهم على المشركين.

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني من أوليائه لأن نصره مختص بغلبة أوليائه لأعدائه فأما غلبة أعدائه لأوليائه فليس بنصر وإنما هو ابتلاء.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في نقمته ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لأهل طاعته.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعلمون أمر معايشهم متى يزرعون(٣٢٨) ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف يبنون، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة. وقال الضحاك: هو بنيان قصورها وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها فهذا ظاهر الحياة الدنيا.

---

(٣٢٨) وهذا الصنف من الناس يقول رسول الله ﷺ فيه «إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار ما لم يأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة.

رواه ابن حبان (١٩٥٧) موارد والبيهقي (١٠/ ١٩٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج ابن حبان والشيخ الألباني في السلسلة برقم ٣٢١.

وقال الأخير: «ولبعض المسلمين نصيب كبير من هذا الوصف الذين يقضون نهارهم في التجول في الأسواق والصياح فيها ويضيعون عليهم الفرائض والصلوات» **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾**

الثاني: يعلمون ما ألقته الشياطين لهم من أمور الدنيا عند استراقهم السمع من سماء الدنيا، قاله ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: أن ظاهر الحياة الدنيا العمل لها، وباطنها عمل الآخرة.

﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عما أعده الله في الآخرة من ثواب عن طاعته وعقاب على معصيته.

الثاني: عما أمرهم الله به من طاعة وألزمهم إياه.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ
وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ
وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ
فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ
ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: بالعدل.

الثاني: بالحكمة.

الثالث: إلا ما استحق عليهم الطاعة والشكر.

والرابع: قاله الفراء، معناه إلا للحق يعني الثواب والعقاب.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قيام الساعة، قاله ابن عباس.

الثاني: وهو محتمل أنه أجل كل مخلوق على ما قدر له.

فدل ذلك على أمرين:

أحدهما: دل به على الفناء وعلى أن لكل مخلوق أجلاً.

الثاني: نبه على ثواب المحسن وعقاب المسيء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ أَسَآءُواْ﴾ قال ابن عباس: كفروا[٣٢٩].

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جهنم، قاله السدي.

الثاني: العذاب في الدنيا والآخرة، قاله الحسن.

وفي الفرق بين الإساءة والسوء وجهان:

أحدهما: أن الإساءة إنفاق العمر في الباطل، والسوء إنفاق رزقه في المعاصي.

الثاني: أن الإساءة فعل المسيء والسوء الفعل مما يسوء.

﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ لأن كذبوا.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بمحمد ﷺ والقرآن، قاله الكلبي.

الثاني: بالعذاب أن ينزل بهم، قاله مقاتل.

الثالث: بمعجزات الرسل، قاله الضحاك.

﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي بالآيات.

ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ
كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أنه الفضيحة، قاله مجاهد.

الثاني: الاكتئاب، قاله ابن أبي نجيح[٣٣٠].

الثالث: الإياس، قاله ابن عباس.

---

(٣٢٩) وتتمة القول في الطبري (٢١/٢٥) «وجزاؤهم العذاب».

(٣٣٠) رواه عن مجاهد كما في الطبري (٢١/٢٦).

الرابع: الهلاك، قاله السدي.

الخامس: الندامة، قاله ابن قتيبة.

السادس: الحيرة، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسْماً مكرساً ... قال نعم أعرفه وأبلسَا[٣٣١]

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الجزاء بالثواب والعقاب.

الثاني: في المكان بالجنة والنار.

قوله تعالى: ﴿. . . فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يكرمون، قاله ابن عباس.

الثاني: ينعمون، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: يتلذذون بالسماع والغناء، قاله يحيى بن أبي كثير.

الرابع: يفرحون، قاله السدي. والحبرة عند العرب السرور والفرح قال العجاج[٣٣٢]:

فالحمد لله الذي أعطى الحبر ... موالي الحي إن المولى يَسَر

فامأ الروضة فهي البستان المتناهي منظراً وطيباً ولم يكن عند العرب أحسن منظراً ولا أطيب منها ريحاً قال الأعشى[٣٣٣]:

ما روضة من رياض الحزن معشبةٌ ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضحك الشمس منها كوكب شَرِقٌ ... مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحةٍ ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصُل

قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: مدخلون، قاله يحيى بن سلام.

---

(٣٣١) تقدم تخريج هذا البيت في سورة البقرة.

(٣٣٢) ديوانه: ١٥، اللسان حبر والبيت في اللسان شطره الثاني: موالي الحي إن المولى شكر.

(٣٣٣) ديوانه: ٥٧ والطبري (٢١/٢٧).

تنبيه: قوله ما روضة من رياض الحزن كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب رياض الحسن والتصويب من المصادر السابقة.

الثاني: نازلون ومنه قوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] و[المائدة: ١٠٦] أي نزل به.

الثالث: مقيمون، قاله ابن شجرة

الرابع: معذبون.

الخامس: مجموعون، ومعاني هذه التأويلات متقاربة.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾

قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان:

أحدهما: لما تضمنتها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود.

الثاني: مأخوذ من السبحة، والسبحة الصلاة، ومنه قول النبي ﷺ «تَكُونُ لَكُم سَبْحَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ» أي(٣٣٤) صلاة.

وقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي صلاة المغرب والعشاء، قاله ابن عباس وابن جبير والضحاك. ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح في قولهم أيضاً.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّموات وَالْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الحمد لله على نعمه وآلائه.

الثاني: الصلاة لاختصاصها بقراءة الحمد في الفاتحة.

﴿وَعَشِيّاً﴾ يعني صلاة العصر.

﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يعني صلاة الظهر وإنما خص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في أحوال توجب حمد الله عليها، وفي الليل على خلوة توجب تنزيه الله من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار أخص فسميت به صلاة النهار، والتسبيح بالليل أخص فسميت به صلاة الليل.

---

(٣٣٤) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم.

والفرق بين المساء والعشي أن المساء بدو الظلام بعد المغيب، والعشي آخر النهار عند ميل الشمس للمغيب وهو مأخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس، فجاءت هذه الآية جامعة لأوقات الصلوات الخمس، وقد روى سفيان عن عاصم(٣٣٥) أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس: هل تجد في كتاب الله الصلوات الخمس؟ فقرأ هذه الآية.

قال يحيى بن سلام: كل صلاة ذكرت في كتاب الله قبل الليلة التي أسري فيها برسول الله ﷺ فليست من الصلوات الخمس لأنها فرضت في الليلة التي أسري به فيها وذلك قبل الهجرة بسنة، قال: وهذه الآية نزلت بعد ليلة الإسراء وقبل الهجرة.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي، قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وابن جبير.

الثاني: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والزهري، ورواه الأسود بن عبد يغوث عن النبي ﷺ(٣٣٦).

---

(٣٣٥) وقع في هذا السند سقط والصواب:
عاصم عن أبي رزين عن نافع والتصويب من الطبري (٢١/٢٩).

(٣٣٦) كذا هنا وهو خطأ وكذا في المطبوعة والصواب أم خالد بنت الأسود بن عبد يغوث.
والحديث روي مرسلاً وموصولاً.
فرواه مرسلاً من حديث عبيدالله بن عبد الله أخرجه المستقفري في الإصابة (٥٩٧/٧).
ومن مرسل الزهري أخرجه ابن جرير (٣٠٨/٦) وابن سعد (١٨١/٨).
وروي موصولاً من طريق جبارة بن المغلس عن ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها.
رواه ابن نجيب في جزئه ونقله الحافظ في الإصابة وقال جبارة ضعيف وتابعه معاوية بن جعفر عن ابن المبارك لكن قال: قال عن عبيد الله عن أم خالد بنت الأسود أخرجه ابن أبي عاصم فإن كان محفوظاً فلعلها كانت كنيتها وخالدة اسمها قلت: ورواه الطبراني كما في المجمع (٢٦٤/٥) وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين إسناد الثاني حسن ولفظه عن أم خالد بنت الأسود بن عبد يغوث أنها دخلت على النبي ﷺ فقال: «من هذه» فقالوا: بنت الأسود بن عبد يغوث فقال: «الحمد لله الذي يخرج الحي من الميت ويخرج المؤمن من الكافر».
وللحديث طريق أخرى موصولة عن عائشة أشار إليها الحافظ في الإصابة (٥٩٨/٧) وفي سندها الواقدي وهو متروك كما هو معلوم.

الثالث: يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة من الدجاجة، قاله عكرمة.

الرابع: يخرج النخلة من النواة ويخرج النواة من النخلة؛ والسنبلة من الحبة والحبة من السنبلة، قاله ابن مالك والسدي.

ويحتمل خامساً: يخرج الفطن اللبيب من العاجز البليد ويخرج العاجز البليد من الفطن اللبيب.

﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني بالنبات لأنه حياة أهلها فصار حياة لها.

ويحتمل ثانياً: أنه كثرة أهلها لأنهم يحيون مواتها ويعمرون خرابها.

﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي كما أحيا الأرض بإخراج النبات وأحيا الموتى كذلك يحييكم بالبعث. وفي هذا دليل على صحة القياس(٣٣٧).

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: حواء خلقها من ضلع آدم، قاله قتادة.

الثاني: أن خلق سائر الأزواج من أمثالهم من الرجال والنساء، قاله علي بن عيسى.

﴿لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا﴾ لتأنسوا إليها لأنه جعل بين الزوجين [من] الأنسية ما لم يجعله بين غيرهما.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فيه أربعة:

أحدها: أن المودة المحبة والرحمة والشفقة، قاله السدي.

الثاني: أن المودة الجماع والرحمة الولد، قاله الحسن.

الثالث: أن المودة حب الكبير والرحمة الحنو على الصغير، قاله الكلبي.

الرابع: أنهما التراحم بين الزوجين، قاله مقاتل.

---

(٣٣٧) وعلى هذا ففي الآية رد على نفاة القياس كالظاهرية وهذا القياس يسمى قياس شبه.

﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: يتفكرون في أن لهم خالقاً معبوداً.
الثاني: يتفكرون في البعث بعد الموت.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: لما فيهما من الآيات والعبر.
الثاني: لإعجاز الخلق عن إحداث مثلهما.
﴿وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: اختلاف ألسنتكم بالكلام، فللعرب كلام وللفرس كلام وللروم كلام. وألوانكم أبيض وأسود وأحمر، قاله السدي، وحكى وهب بن منبه في المبتدإ أن جميع الألسنة اثنان وسبعون لساناً منها في ولد سام بن نوح تسعة عشر لساناً، وفي ولد حام سبعة عشر لساناً، وفي ولد يافث ستة وثلاثون لساناً.
والوجه الثاني: اختلاف ألسنتكم: النغمة والصوت حتى لا يشتبه صوتان من أخوين لأم وأب، وألوانكم: الصور حتى لا يشتبه الناس في المعارف والمناكح والحقوق.
﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ قال ابن عيسى: الجن والإنس. وروى حفص عن عاصم ﴿للعالمين﴾ بكسر[٣٣٨] اللام يعني جميع العلماء.
قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُم بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن الليل والنهار معاً وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل، لأن من الناس من يتصرف في كسبه ليلاً وينام نهاراً.
الثاني: أن الليل وقت النوم والنهار وقت لابتغاء الفضل، ويكون تقدير الكلام:

(٣٣٨) المبسوط في القراءات ص ٣٤٩.

ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار.

وفي ابتغاء الفضل وجهان:

أحدهما: التجارة، قاله مجاهد.

الثاني: التصرف والعمل. فجعل النوم في الليل دليلاً على الموت، والتصرف في النهار دليلاً على البعث.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يسمعون الحق فيتبعونه.

الثاني: يسمعون الوعظ فيخافونه.

الثالث: يسمعون القرآن فيصدقونه.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم، قاله قتادة.

الثاني: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، قاله الضحاك.

الثالث: خوفاً من البرد أن يهلك الزرع وطمعاً في المطر أن يحيي الزرع، حكاه يحيى بن سلام.

الرابع: خوفاً أن يكون البرق برقاً خُلّباً لا يمطر وطمعاً أن يكون ممطراً، ذكره ابن بحر، وأنشد قول الشاعر:

لا يكن برقك برقاً خُلّباً   إن خير البرق ما الغيث معه

والعرب يقولون: إذا توالت أربعون برقة مطرت وقد أشار المتنبي (٣٣٩) إلى ذلك بقوله:

(٣٣٩) ديوان المتنبي (١٤٣/٤) بشرح العكبري ومعنى البيت: يقول لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني =

فقد أرد المياه بغير زادٍ سوى عَدّي لها بَرْق الغمام

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن تكون.

الثاني: أن تثبت.

﴿بِأَمْرِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بتدبيره وحكمته.

الثاني: بإذنه لها أن تقوم بغير عمد.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي وأنتم موتى في قبوركم.

﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي من قبوركم مبعوثين إلى القيامة. قال قتادة: دعاهم من السماء فخرجوا من الأرض.

ثم فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أخرجهم بما هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة قوله كن فيكون، قاله ابن عيسى.

الثاني: أنهم أخرجهم بدعاء دعاهم به، قاله قتادة.

الثالث: أنه أخرجهم بالنفخة الثانية وجعلها دعاء لهم. ويشبه أن يكون قول يحيى بن سلام.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿.. كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: مطيعون، قاله مجاهد. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة(٣٤٠).

= سوى أن أعدّ برق الغمام فأتبعه كعادة العرب في عدّها بروق الغمام.

(٣٤٠) رواه أحمد (٣/٧٥) وابن حبان (١/٢٦٤) وابن جرير (٣/٢٦٥، ٢٦٦) وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٢٥) وزاد السيوطي في الدر (١/٢٦٩) نسبته لأبي يعلى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي

الثاني: مصلون، قاله ابن عباس.

الثالث: مقرون بالعبودية، قاله عكرمة وأبو مالك والسدي.

الرابع: كل له قائم يوم القيامة، قاله الربيع بن أنس.

الخامس: كل له قائم بالشهادة أنه عبد له، قاله الحسن.

السادس: أنه المخلص، قاله ابن جبير.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أما بدء خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته، وأما إعادته فإحياؤه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما خفي من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب.

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن إعادة الخلق أهرن من ابتداء إنشائهم لأنهم ينقلون في الابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم يعود رضيعاً ثم فطيماً، وهو في الإعادة يصاح به فيقوم سوياً وهذا مروي عن ابن عباس.

الثالث: معناه وهو هين عليه فجعل ﴿أَهْوَنُ﴾ مكان ﴿هَيِّنٌ﴾ كقول الفرزدق(٣٤١):

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي دعائمه عزيزة طويلة:

وفي تأويل ﴿أَهْوَنُ﴾ وجهان:

أحدهما: أيسر، قاله ابن عباس.

الثاني: أسهل، وأنشد ابن شجرة قول الشاعر:

حاتم والنحاس في ناسخه والطبراني في الأوسط وأبي نصر السجزي في الإبانة والضياء في المختارة.

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ٤٢٣٠ والضعيفة برقم ٤١٠٥.

قلت: لأنه من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ودراج ضعيف ذو مناكير وضعف الحديث الحافظ ابن كثير (٤٣١/٣) وقال: هذا الإسناد ضعيف لا يعتمد عليه ورفع هذا الحديث منكر وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم وكثيراً ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فإن السند ضعيف أ هـ.

والحديث ضعفه الأرناؤوط في تخريج ابن حبان رقم ٣٠٩.

(٣٤١) ديوانه ٧١٤.

وهـان على أسماءَ أن شـطت النوى   يـحـن إلـيـهـا والـهٌ ويـتـوق

أي هي أسهل عليه، وقال الربيع بن هيثم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال: ما شيء على الله بعزيز.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الصفة العليا. وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ليس كمثله شيء، قاله ابن عباس.

الثاني: هو شهادة أن لا إله إلا الله، قاله قتادة.

الثالث: أنه يحيي ويميت، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: ـ هو أعلم ـ أنه جميع ما يختص به من الصفات التي لا يشاركه المخلوق فيها.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي لا إله فيها غيره.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنيع في قدرته.

الثاني: في انتقامه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في تدبيره لأمره وهو معنى قول أبي العالية.

الثاني: في إعذاره وحجته إلى عباده، قاله جعفر بن الزبير.

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ
عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ اختلف في سبب ضرب الله لهم المثل على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأن المشركين أشركوا به في العبادة غيره، قاله قتادة.

الثاني: لأنه كانت تلبية قريش في الجاهلية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك

لك، إلا شريكاً وهو لك، تملكه وما ملك، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن جبير.

الثالث: لأنهم كانوا لا يورثون مواليـهم فضرب الله هذا المثل، قاله السدي.

وتأويله: أنه لم يشارككم عبيدكم في أموالكم لأنكم مالكون لهم، فالله أَوْلى ألا يشاركه أحد من خلقه في العبادة لأنه مالكهم وخالقهم.

﴿تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تخافون أن يشاركوكم في أموالكم كما تخافون ذلك من شركائكم، قاله أبو مجلز.

الثاني: تخافون أن يرثوكم كما تخافون ورثتكم، قاله السدي.

الثالث: تخافون لائمتهم كما تخافون بعضكم بعضاً، قاله يحيى بن سلام.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾
مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قصدك.

الثاني: دينك، قاله الضحاك.

الثالث: عملك، قاله الكلبي.

﴿لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: مسلماً، وهذا قول الضحاك.

والثاني: مخلصاً، وهذا قول خصيف.

الثالث: متبعاً، قاله مجاهد.

الرابع: مستقيماً، قاله محمد بن كعب.

الخامس: حاجًا، قاله ابن عباس.

السادس: مؤمناً بالرسل كلهم، قاله أبو قلابة.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: صنعة الله التي خلق الناس عليها، قاله الطبري[٣٤٢].

الثاني: دين الله الذي فطر خلقه عليه، قاله ابن عباس والضحاك والكلبي يريد به الإسلام وقد روى عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: «مِن فِطْرةِ إبْرَاهِيمَ السُّوَاكُ»[٣٤٣] ومن قول كعب بن مالك[٣٤٤]:

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تبديل لدين الله، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: لا تغييرلخلق الله من البهائم أن يخصي فحولها[٣٤٥]، قاله عمر بن الخطاب وابن عباس وعكرمة.

الثالث: لا تبديل خالق غير الله فيخلق كخلق الله، لأنه خالق يخلق، وغيره مخلوق لا يخلق، وهو معنى قول ابن بحر.

ويحتمل رابعاً: لا يشقى من خلقه سعيداً ولا يسعد من خلقه شقيًّا[٣٤٦].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ذلك الحساب البين، قاله مقاتل بن حيان.

الثاني: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يتفكرون فيعلمون أن لهم خالقاً معبوداً وإلٰهاً قديماً:

---

(٣٤٢) جامع البيان (٢١/ ٤٠).

(٣٤٣) رواه ابن أبي حاتم بسنده عن عطاء وهو مرسل كما ترى، راجع الدر (١/ ٢٧٤).

(٣٤٤) بيت من قصيدة طويلة يمدح فيها كعب رسول الله وآل بيته وفي ثبوت هذه القصيدة نظر وخلاف بين العلماء.

(٣٤٥) إعلم رحمك الله تعالى إن الله سبحانه وتعالى قد قدر الأشياء في الأزل فلا راد لمشيئة ولا معقب لحكمه فالشقي هو الشقي في الأزل وكذا السعيد. فكل شيء بقضاء الله وقدره قال تعالى: ﴿إن كل شيء خلقناه بقدر﴾. وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾. ففي هذه الآيات والدلائل براهين ساطعة لأهل السنة والجماعة وهي تفضح مزاعم المعتزلة الذين يدعون أن العبد يخلق أفعال نفسه فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(٣٤٦) نقول هنا «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مقبلين إليه، قاله يحيى بن سلام والفراء.

الثاني: داعين إليه، قاله عبيد بن يعلى.

الثالث: مطيعين له، قاله عبد الرحمٰن بن زيد.

الرابع: تائبين إليه من الذنوب، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

فإن تابوا فإن بني سليم وقومهم هوازن قد أنابوا

وفي أصل الإنابة قولان:

أحدهما: أن أصله القطع ومنه أخذ اسم الناب لأنه قاطع فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله عز وجل بالطاعة.

الثاني: أن أصله الرجوع مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة ومنه النوبة لأنها الرجوع إلى عادة.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ أي أوقعوا فيه الاختلاف حتى صاروا فرقاً وقرىء(٣٤٧) ﴿فَارَقُواْ دِينَهُم﴾ أي تركوه وقد قرأبذلك علي رضي الله عنه وهي قراءة حمزة والكسائي وفيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود، قاله قتادة(٣٤٨).

الثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله معمر.

الثالث: أنهم الخوارج من هذه الأمة، وهذا قول أبي هريرة ورواه أبو أمامة مرفوعاً(٣٤٩).

الرابع: أنهم أصحاب الأهواء والبدع، روته عائشة مرفوعاً(٣٥٠).

---

(٣٤٧) راجع الحجة في القراءات ص ٢٧٨ والسبعة في القراءات.

(٣٤٨) والذي في الطبري (٢١/٤٣) أن قول قتادة في الذين فارقوا دينهم هم اليهود والنصارى.

(٣٤٩) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٣/٤٠٢).

(٣٥٠) رواه الطبراني في الصغير ص ١١٦ وابن أبي عاصم في السنة (١/٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٣٨) والحكيم الترمذي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه وأبو نصر السجزي في الإبانة والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً إنهم أصحاب البدع والأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب الأهواء والبدع فليس لهم توبة أنا منهم بريء وهم مني برآء» وهذا لفظ ابن أبي عاصم والحديث ضعيف السند ففيه مجالد بن سعيد وهو ليس بالقوي وبقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن.

﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ فيه وجهان:
أحدهما: فرقاً، قاله الكلبي.
الثاني: أدياناً، قاله مقاتل.
ويحتمل ثالثاً: أنهم أنصار الأنبياء وأتباعهم.
﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ أي فرقة.
﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فرِحُونَ﴾ أي بما عندهم من الضلالة.
﴿فَرِحُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: مسرورون، قاله الجمهور.
الثاني: معجبون، قاله ابن زيد.
الثالث: متمسكون، قاله مجاهد.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً﴾ فيه أربعة تأويلات:

وقد تفرد عن شعبة كما قال أبو نعيم: ولفظه غريب من حديث شعبة تفرد به بقية أهـ. وقال ابن عدي في الكامل: ولبقية عن شعبة كتاب وفيه غرائب وتلك الغرائب يتفرد بها بقية عنه وهي محتملة قال الهيثمي في المجمع (١/١٨٨): رواه الطبراني في الصغير وفيه بقية ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف وقال في موضع آخر (٧/٢٢): رواه الطبراني في الصغير وإسناده جيد.

قلت. ولا ريب أن قوله الأول هو الصحيح كما لا يخفى والحديث ضعفه الحافظ ابن كثير (٢/١٩٦) بقوله «حديث غريب ولا يصح رفعه» وضعفه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم».

وقد روي الحديث من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه رواه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٧/٢٣) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة.

أحدها: يعني كتاباً، قاله الضحاك.

الثاني: عذراً، قاله قتادة.

الثالث: برهاناً، وهو معنى قول السدي وعطاء.

الرابع: رسولاً، حكاه ابن عيسى محتملاً.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: معناه يخبر به.

الثاني: يحتج له.

قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها العافية والسعة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: النعمة والمطر، حكاه النقاش.

ويحتمل أنها الأمن والدعة.

﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ أي بالرحمة.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: بلاء وعقوبة، قاله مجاهد.

الثاني: قحط المطر، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: أنها الخوف والحذر.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بذنوبهم.

﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن القنوط اليأس من الرحمة والفرج، قاله الجمهور.

الثاني: أن القنوط ترك فرائض الله في اليسر، قاله الحسن.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ
ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم قرابة الرجل، أن يصل رحمهم بماله ونفسه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنهم ذوو قرابة رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقهم من الغنيمة والفيء، قاله السدي.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ هو الذي لا يجد كفايته.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: المسافر، قاله مجاهد فإن كان محتاجاً فحقه في الزكاة وإن كان غير محتاج فبرًّا وصلة.

الثاني: أنه الضيف الذي ينزل بك، قاله ابن عباس وابن جبير وقتادة، فإن أطعمه كان برًّا وصلة ولم يجز أن يكون من الزكاة محتاجاً كان أو غير محتاج. وإن دفعت إليه مالاً جاز إذا كان فقيراً أن يكون من الزكاة، ولم يجز إن كان غنيًّا.

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الرجل يهدي هدية ليكافأ عليها أفضل منها، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنه في رجل صحبه في الطريق رجل فخدمه فجعل له المخدوم بعض الربح من ماله جزاء لخدمته لا لوجه الله، قاله الشعبي.

الثالث: أنه في رجل يهب لذي قرابة له مالاً ليصير به غنيًّا ذا مال ولا يفعله طلباً لثواب الله، قاله إبراهيم.

ومعنى قوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي فلا يكون له ثواب عند الله.

قال ابن عباس: هما رِبَوان أحدهما حلال والآخر حرام، فما تعاطيتم بينكم حلال ولا يصل إلى الله.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي ثواب الله، وفيها قولان:

أحدهما: أنها الزكاة المفروضة وهو الظاهر.

الثاني: أنها الصدقة، قاله ابن عباس والسدي.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تضاعف لهم الحسنات لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، قاله السدي.

الثاني: تضاعف أموالهم في الدنيا بالزيادة فيها. وقال الكلبي: لم يقل مال رجل من زكاة.

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ﴾ في ﴿ٱلْفَسَادِ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: الشرك، قاله السدي.

الثاني: ارتكاب المعاصي، قاله أبو العالية.

الثالث: قحط المطر، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: فساد البر(٣٥١): قتل ابن آدم أخاه، وفساد البحر: أخذ السفينة غصباً.

ويحتمل خامساً: أن ظهور الفساد ولاة السوء.

﴿فِي ٱلْبَرِّ وَ ٱلْبَحْرِ﴾ هنا أربعة أقاويل:

أحدها: أن البر الفيافي والبحر القرى، قاله عكرمة، وقال: إن العرب تسمي الأمصار البحار.

---

(٣٥١) وهو قول مجاهد وابن نجيح وعكرمة وقد عقب الشوكاني على قول مجاهد وعكرمة في فتح القدير (٢٢٨/٤) يقول «وليت شعري أي دليل دلهما على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب فإن الآية نزلت في محمد ﷺ والتعريف في الفساد يدل على الجنس فيعم كل فساد واقع في حيزي البر والبحر. . . إلى أن قال: والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم ومن معاصيهم واقترافهم السيئات وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف والموتان ونقصان الذرائع ونقصان الثمار.

الثاني: البر أهل العمود والبحر أهل القرى والريف، قاله قتادة.

الثالث: أن البر بادية الأعراب، قاله الضحاك والبحر الجزائر؛ قاله عطاء.

الرابع: أن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان على شط نهر، قاله ابن عباس.

وللمتعمقين في غوامض المعاني وجهان:

أحدهما: أن البر النفس والبحر القلب.

الثاني: أن البر اللسان والبحر القلب. لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب. وهو بعيد.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ قال السدي: بما عملوا من المعاصي واكتسبوا من الخطايا.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا﴾ من المعاصي لأن للمعاصي جزاءً معجلاً في الدنيا وجزاءً مؤجلاً في الآخرة فصار عذاب الدنيا بعض الجزاء.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية.

الثاني: يرجعون إلى حق، قاله إبراهيم.

الثالث: يرجع من بعدهم، قاله الحسن.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أقم وجهك للتوحيد، قاله السدي.

الثاني: استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة، قاله ابن عيسى.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه يتفرقون قال الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل له يتصدعا

أي لن يتفرقا.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أنه ما يصدعهم يوم القيامة من أهوال.

وفيه قولان:

أحدهما: يتفرقون في عرصة القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير، قاله قتادة.

الثاني: يتفرق المشركون وآلهتهم في النار، قاله الكلبي.

قوله: ﴿ ... فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يسوون المضاجع في القبور، قاله مجاهد.

الثاني: يوطئون في الدنيا بالقرآن وفي الآخرة بالعمل الصالح، قاله يحيى بن سلام.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ قال الضحاك: بالغيث.

ويحتمل وجهاً ثانياً: بخصب الزمان وصحة الأبدان.

وقال أُبي بن كعب: كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب.

وقال عبدالله بن عمر: الرياح ثمانية، أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب، فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات، وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر، والعاصف والقاصف وهما في البحر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: بردها وطيبها، قاله الضحاك.

الثاني: المطر، قاله مجاهد وقتادة.

﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ يعني السفن.

﴿بِأَمْرِهِ. . .﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: بقدرته في تسييرها.
الثاني: برحمته لمن فيها.
﴿. . .وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يعني ما عدّده من نعمه فتطيعوه لأن طاعة العبد لربه في شكره لنعمته إذ ليس مع المعصية شكر ولا مع كفر النعمة طاعة.
قوله: ﴿. . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: نصر الأنبياء بإجابة دعائهم على المكذبين لهم من قومهم، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: نصر المؤمنين بإيجاب الذبّ عن أعراضهم. روت أم الدرداء قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول(٣٥٢) «مَا مِن آمْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَن يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ» ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٣٥٣)

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ
كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ
ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾

(٣٥٢) وقد ورد الحديث من حديث ام الدرداء عن ابي الدرداء.
رواه أحمد (٦/٤٥٠) وحسّن الهيثمي اسناد أحمد في المجمع (٨/٩٥) والترمذي (١٩٩٦) بلفظ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه يوم القيامة «وحسنه الترمذي والألباني في غاية المرام ص ٢٤٦ وقد ورد الحديث بلفظ آخر من حديث أسماء بنت يزيد في سنده علتان واختلاف في إسناده وضعف شهر بن حوْشب وقد رواه الطبراني في الكبير (٢٤/١٧٦) وأحمد (١/٤٦١) وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ٣٤٨) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٨٧) وابن عدي في الكامل (٢/٢٣٦) وأبو نعيم في الحلية (٦/٦٧) وابن المبارك في الزهد (٦٨٧).
(٣٥٣) زاد المسير (٦/٣٠٩).

قوله: ﴿. . . وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: قطعاً، قاله قتادة.

الثاني: متراكماً بعضه على بعض، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: في سماء دون سماء، قاله الضحاك.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي من خلال السحاب. وقرأ الضحاك(٣٩) بن مزاحم: من خلله، وفي ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه البرق، حكاه أبو نخيلة الحماني عن أبيه.

الثاني: أنه المطر، قاله مجاهد والضحاك ومنه قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودْقُها ولا أرض أبقل إبقالها

قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ ءَآثَارِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني المطر.

﴿كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يعني بالماء حتى أنبتت شجراً ومرعى بعد أن كانت بالجدب مواتاً. قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لأن القادر على إحياء الأرض الموات قادر على إحياء الأموات استدلالاً بالشاهد على الغائب.

وتأول من تعمّق في غوامض المعاني آثار رحمة الله أنه مواعظ القرآن وحججه تحيي القلوب الغافلة.

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: فرأوا السحاب مصفراً، لأن السحاب إذا كان كذلك لم يمطر، حكاه علي بن عيسى وقيل إنها الريح الدبور لأنها لا تلقح.

الثاني: فرأوا الزرع مصفراً بعد اخضراره، قاله ابن عباس وأبو عبيدة.

﴿لَّظَلُّواْ مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ومعنى ظل هو أنه أوقع الفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل، لأنه وقت مختص بأهم الأمور لتقديمه عن نيّة من الليل. وكذلك قولهم أضحى يفعل، لكن قد يعبر بقولهم ظل يفعل عن فعل أول النهار وآخره اتساعاً لكثرة استعماله، وقلّما يستعمل أضحى يفعل إلا في صدر النهار دون آخره.

ويحتمل ﴿يَكْفُرُونَ﴾ هنا وجهين:

أحدهما: يشكون.

الثاني: يذمّون.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الموتى الكفار الذين يموتون على الكفر وهم الصم الذين تولوا عن الهدى فلم يسمعوه، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن هذا مثل ضربه الله للكافرين كما أن الميت إذا خوطب لم يسمع والأصم إذا دعي لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع الوعظ لأن الكفر قد أماته والضلال قد أصمه.

قوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فالأصم لا يسمع الدعاء مقبلاً ولا مدبراً ولكن إذا دعي مقبلاً فقد يفهم الإشارة وإن لم يسمع الصوت، فإذا دعي مدبراً فهو لا يفهم الإشارة ولا يسمع الصوت فلذلك صارت حاله مدبراً أسوأ، فذكره باسوإ أحواله. وقيل أنها نزلت في بني عبد الدار.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ قال قتادة: من نطفة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ قاله مجاهد: شباباً.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾ يعني هرماً وشيبة، قال قتادة: لأن بياض الشعر نذير بالفناء، قال الشاعر:

أُريت الشيب من نذر المنايا   لصاحبه وحسبك من نذير

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من قوة وضعف.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبيره ﴿الْقَدِيرُ﴾ على إرادته.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قال ابن عباس: الكفار.

﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في الدنيا استقلالاً لأجل الدنيا لما عاينوا من الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: في قبورهم ما بين موتهم ونشورهم، قاله يحيى بن سلام.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي هكذا، قاله ابن جبير.

﴿كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يكذبون في الدنيا، قاله قتادة.

الثاني: يصدون في الدنيا عن الإيمان بالبعث. قاله يحيى بن سلام.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله الكلبي.

الثاني: أهل الكتاب.

﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الإيمان بالكتاب المتقدم من غير تحريف له ولا تبديل فيه.

الثاني: الإيمان بمحمد ﷺ.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لقد لبثتم في علم الله، قاله الفراء.

الثاني: لقد لبثتم بما بيانه في كتاب الله، قاله ابن عيسى.

الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ في كتاب الله والإيمان ﴿لَقَدْ لَبِثْتُم إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ قاله قتادة.

وفي ﴿لَبِثْتُمْ﴾ قولان:

أحدهما: لبثوا في قبورهم.

الثاني: في الدنيا أحياء وفي قبورهم أموات.

﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ يعني الذي كذبتم به في الدنيا.

﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تعلمون في الدنيا أن البعث حق وقد علمتم الآن أنه حق.

قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي عذرهم الذي اعتذروا به في تكذيبهم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يعاتبون على سيئاتهم، قاله النقاش:

الثاني: لا يستتابون، قاله بعض المتأخرين.

الثالث: لا يطلب منهم العتبى وهو أن يُردُوا إلى الدنيا لِيُعْتَبُوا أي ليؤمنوا، قاله يحيى بن سلام.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

قوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن وعد الله في نصرك وتأييدك حق.

الثاني: أن وعده في انتقامه من أعدائك حق.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يَسْتَعْجِلَنَّكَ، قاله ابن شجرة.

الثاني: لا يَسْتَفِزَّنَّكَ، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: لا يستنزلنك، قاله النقاش.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يؤمنون.

الثاني: لا يصدقون بالبعث والجزاء. روى سعيد عن قتادة أن رجلاً[٣٥٤] من الخوارج قال لعلي كرم الله وجهه وهو خلفه في صلاة الصبح ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية. فقال له عليّ وهو في الصلاة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ والله أعلم.

(٣٥٤) رواه ابن جرير (٢/٥٩) وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٠٢) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن ابي حاتم.

سُورَةُ لُقْمَانَ

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

مكية كلها في قول الجميع إلا رواية عطاء أن آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ﴾ والتي بعدها. وقال الحسن إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلـزَّكَاةَ﴾ لأن الصلاة والزكاة مدنيتان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

قوله: ﴿الٓمٓ. تِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: المحكم أُحكمت آياته بالحلال والحرام والأحكام. قاله يحيى بن سلام.

الثاني: المتقن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو قريب من المعنى الأول، قاله ابن شجرة.

الثالث: البين أنه من عند الله، قاله الضحاك.

الرابع: أنه يظهر من الحكمة بنفسه كما يظهره الحكيم بقوله، قاله ابن عيسى.

قوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هدى من الضلالة، قاله الشعبي.

الثاني: هدى إلى الجنة، قاله يحيى بن آدم.

﴿وَرَحْمَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن القرآن رحمة من العذاب لما فيه من الزجر عن استحقاقه وهو مأثور.

الثاني: أنه نعمة بالثواب لما فيه من البعث على الإستجابة، قاله قتادة ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه خرج مخرج النعت بأنه هدى ورحمة.

الثاني: أنه خرج مخرج المدح بأن فيه هدى ورحمة.

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي الإحسان ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الإيمان الذي يحسن به إلى نفسه، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه الصلة والصلاة، قاله الحسن.

الثالث: ما روى عمر بن الخطاب(٣٥٥) قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: «أن تخشى الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. و تحب للناس ما تحب لنفسك» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: «نعم» قال الرجل: صدقت. ثم انطلق الرجل فقال النبي ﷺ: «عليَّ بالرجل» فطلبناه فلم نقدر عليه فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر ذلك جبريل عليه السلام أراد أن يعلمكم أمور دينكم».

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على نور من ربهم، قاله ابن عباس.

الثاني: على بينة، قاله ابن جبير.

الثالث: على بيان، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٣٥٥) حديث سؤالات جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والاحسان رواه البخاري (١/ ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨) وغيرها ومسلم (١٩٠٧) والترمذي (١٦٩٨) وابو داود (٢١٨٦) وأحمد (١/ ٢٧) والنسائي (١/ ٥٨ ـ ٦٠) وابن ماجة (٤٢٢٧). وأما السياق الذي أورده المؤلف فلم أعثر عليه وأغلب الظن أنه روى الحديث بمعناه، واقتصر على المراد منه وهو تعريف الإحسان وبيان فضله.

أحدها: بمعنى السعداء، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: المنجحون، قاله ابن شجرة.

الثالث: الناجحون، قاله النقاش.

الرابع: أنهم الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا، قاله ابن عباس.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: شراء المغنيات لرواية القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة(٣٥٦) عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغنيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا التِّجَارَةُ فِيهِنَّ وَلَا أَثْمَانُهُنَّ وَفِيهِنَّ أَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾**».

الثاني: الغناء، قاله ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وابن جبير وقتادة.

الثالث: أنه الطبل، قاله عبد الكريم، والمزمار، قاله ابن زخر.

الرابع: أنه الباطل، قاله عطاء.

الخامس: أنه الشرك بالله، قاله الضحاك وابن زيد.

السادس: ما ألهى عن الله سبحانه،(٣٥٧) قاله الحسن.

السابع: أنه الجدال في الدين والخوض في الباطل، قاله سهل بن عبدالله.

---

(٣٥٦) رواه أحمد (٥/٢٦٤) والترمذي (٣١٩٥، ١٢٨٢) وابن ماجة (٢١٦٨) وابن جرير (٢١/٦٠) والبيهقي (٦/١٤). وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٠٤) نسبته للطبراني وسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقد ضعف الحديث الترمذي وابن كثير (٣/٤٥١) والألباني في ضعيف الجامع الصغير.

(٣٥٧) ولعل قول الحسن أرجح لأنه يعم ولهذا قال العلامة ابن جرير (٢١/٦٣) والصواب من القول في ذلك أن يقال هي كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله لأن الله تعالى عم بقوله ﴿لهو الحديث﴾ ولم يخصص بعضاً دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه والغناء والشرك من ذلك اهـ.

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص تأويلاً ثامناً: أنه السحر والقمار والكهانة.

وفيمن نزلت قولان:

أحدهما: أنها نزلت في النضر بن الحارث كان يجلس بمكة فإذا قالت قريش إن محمداً قال كذا وكذا ضحك منه وحدثهم بحديث رستم واسفنديار ويقول لهم إن حديثي أحسن من قرآن محمد، حكاه الفراء والكلبي.

الثاني: أنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية فشغل بها الناس عن اتباع النبي ﷺ، حكاه ابن عيسى.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليصد عن دين الله، قاله الطبري(٣٥٨).

الثاني: ليمنع من قراءة القرآن، قاله ابن عباس.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بغير حجة.

الثاني: بغير رواية.

﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتخذ سبيل الله هزواً يكذب بها، قاله قتادة. وسبيل الله دينه.

الثاني: يستهزىء بها، قاله الكلبي.

﴿وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي مذل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ
رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن

(٣٥٨) جامع البيان (٢١/٦٣).

اقول وقد ابتلي كثير من أهل زماننا والعياذ بالله بسماع الغناء الباطل واعرضوا عن سماع آيات الرحمن فأورث السماع الشيطاني لهم الصدود وعدم الانتفاع بآيات الله تعالى وصدق الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

فاللهم اهد قومنا إلى الحق.

﴿كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١١)﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بعمد لا ترونها. قاله عكرمة ومجاهد. (٣٥٩).

الثاني: أنها خلقت بغير عمد، قاله الحسن وقتادة(٣٦٠).

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾أي لئلا تميد بكم وفيه وجهان:

أحدهما: معناه أن لا تزول بكم، قاله النقاش.

الثاني: أن لا تتحرك بكم، قاله يحيى بن سلام. وقيل: إن الأرض كانت تتكفأ مثل السفينة فأرساها الله بالجبال وأنها تسعة عشر جبلًا تتشعب في الأرض حتى صارت لها أوتاداً فتثبتت وروى أبو الأشهب عن الحسن قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد فلما رأت الملائكة ما تفعل الأرض قالوا: ربنا هذه لا يقر لك على ظهرها خلق، فأصبح قد ربطها بالجبال فلما رأت الملائكة الذي أرسيت به الأرض عجبوا فقالوا: ياربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الجبال؟ قال: نَعم الرِّيحُ قالوا: هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال: «نَعَمْ ابنُ آدَمَ».

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وخلق فيها، قاله السدي.

الثاني: وبسط، قاله الكلبي.

الثالث: فرق فيها من كل دابة وهو الحيوان سُمِّيَ بذلك لدبيبه والدبيب الحركة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم الناس هم نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم، قاله الشعبي.

الثاني: أن نبات الأرض أشجارها وزرعها، والزوج هو النوع.

وفي الكريم ثلاثة أوجه:

(٣٥٩) وكذلك هو قول ابن عباس رضي الله عنه كما رواه الطبري (٢١/ ٦٥).

(٣٦٠) ورجحه الحافظ ابن كثير (٢/ ٥١٧) عند تفسير سورة الرعد وقال وهو اللائق بالسياق.

أحدها: أنه الحسن، قاله قتادة.

الثاني: أنه الطيب الثمر، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنه اليانع، قاله ابن كامل.

ويحتمل رابعاً: أن الكريم ما كثر ثمنه لنفاسة القدر.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ اختلف في نبوته على قولين:

أحدهما: أنه نبي، قاله عكرمة والشعبي.

الثاني: أنه حكيم وليس بنبي، قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه، قال إسماعيل: كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. وقال قتادة: خير الله لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح ينطق بها، فقيل له: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: انه لو أرسل إليّ بالنبوة عزمة لرجوت فيه العون منه ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إليّ.

واختلف في جنسه على قولين:[٣٦١]

أحدهما: أنه كان من النوبة قصيراً أفطس، قاله جابر بن عبدالله.

الثاني: كان عبداً حبشياً، قاله ابن عباس.

واختلف في صنعته على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان خياطاً بمصر، قاله سعيد بن المسيب.

الثاني: أنه كان راعياً[٣٦٢] فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال: ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعىٰ بالأمس؟ قال بلىٰ، قال: فما بلغ بك ما أرىٰ؟ قال: قَدَرُ الله

---

(٣٦١) وقول قتادة رواه الطبري (٢١/٦٦).

(٣٦٢) وهذا القول بهذا السياق والتمام رواه الطبري (٢١/٦٨) عن عمر وبن قيس.

وأدائي الأمانة، وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني، قاله عبد الرحمن بن زيد بن جابر.

الثالث: أنه كان نجاراً فقال له سيده: اذبح لي شاة وأتني بأطيبها مضغتين فأتاه باللسان والقلب فقال له: ما كان فيها شيء أطيب من هذين فسكت، ثم أمره فذبح له شاة ثم قال: ألقِ أخبثها مضغتين فألقى اللسان والقلب فقال له: أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت باللسان والقلب فقال إنه ليس شيىء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا، قاله خالد الربعي.

واختلف في زمانه على قولين:

أحدهما: أنه كان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

الثاني: أنه من ولد كوش بن سام بن نوح، ولد لعشر سنين من ملك داود عليه السلام وبقي إلى زمن يونس عليه السلام.

وفي ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ التي أوتيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الفهم والعقل، قاله السدي.

الثاني: الفقه والعقل والإصابة في القول(٣٦٣)، قاله مجاهد.

الثالث: الأمانة(٣٦٤).

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ يعني نعم الله، فيه وجهان:

أحدهما: معنى الكلام: ولقد آتيناه الحكمة وآتيناه الشكر لله، قاله المفضل.

الثاني: آتيناه الحكمة لأن يشكر لله، قاله الزجاج.

وفي شكره أربعة أوجه:

أحدها: هو حمده على نعمه.

الثاني: هو ألا يعصيه على نعمه.

الثالث: هو ألا يرى معه شريكاً في نعمه عليه.

الرابع: هو طاعته فيما أمره.

(٣٦٣) وتمام العبارة في الطبري (٢١/٦٧) [من غير نبوّة].

(٣٦٤) وهو قول مجاهد كما رواه الطبري (٢١/٦٨).

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي يعود شكره إلى نفسه لأنه على النعمة إذا زاد من الشكر.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني كفر بالله واليوم الآخر، قاله مجاهد.

الثاني: كُفْرُ النعمة، قاله يحيى بن سلام.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غني عن خلقه حميد في فعله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: غني عن شكره مستحمد إلى خلقه، قاله ابن عيسى(٣٦٥).

وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ
أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ
مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ أي واذكر يا محمد مقالة لقمان لابنه، وفي اسم ابنه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مشكم، قاله الكلبي.

الثاني: أنعم، حكاه النقاش.

الثالث: بابان.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ أي يُذكِرُهُ ويؤدبه.

﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يعني عند الله، وسماه ظلماً لأنه قد ظلم به نفسه، وقيل إنه قال ذلك لابنه وكان مشركاً. وقوله ﴿يَا بُنَيَّ﴾ ليس هو حقيقة

---

(٣٦٥) قال ابو جعفر الطبري (٢١/ ٦٨) في قوله حميد «محمود على كل حال له الحمد على نعمه كفر العبد نعمته، أو شكره عليها وهو مصروف من مفعول إلى فعيل».

التصغير وإن كان على لفظه وإنما هو على وجه الترقيق كما يقال للرجل يا أُخَيّ. وللصبي هو كُوَيّس.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ يعني براً لهما وتحنناً عليهما. وفيهما قولان:

أحدهما: أنها عامة وإن جاءت بلفظ خاص والمراد به جميع الناس، قاله ابن كامل.

الثاني: خاص في سعد بن أبي وقاص وُصي بأبويه؛ واسم أبيه مالك واسم أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية، حكاه النقاش.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه شدة على شدة(٣٦٦)، قاله ابن عباس.

الثاني: جهداً على جهد. قاله قتادة.

الثالث: ضعفاً على ضعف، قاله الحسن وعطاء(٣٦٧). ومن قول قعنب ابن أم صاحب:

هل للعواذل من ناهٍ فيزجرها ... إن العواذل فيها الأيْنُ والوهن

يعني الضعف.

ثم فيه على هذا التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها: ضعف الولد على ضعف الوالدة، قاله مجاهد.

الثاني: ضعف نطفة الأب على نطفة الأم، قاله ابن بحر.

الثالث: ضعف الولد حالاً بعد حال فضعفه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً سوياً ثم مولوداً ثم رضيعاً ثم فطيماً، قاله أبو كامل.

ويحتمل رابعاً: ضعف الجسم على ضعف العزم.

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ يعني بالفصال الفطام من رضاع اللبن.

واختلف في حكم الرضاع بعد الحولين هل يكون في التحريم كحكمه في الحولين على أربعة أقاويل:

---

(٣٦٦) وتمام العبارة في الطبري (٢١/ ٦٩) [وخلقاً بعد خلق].

(٣٦٧) وزاد الطبري (٢١/ ٦٩) نسبته للضحاك.

أحدها: أنه لا يحرم بعد الحولين ولو بطرفة عين لتقدير الله له بالحولين ولقول النبي ﷺ(٣٦٨) «لَا رِضَاعَةَ بَعْدَ الحَوْلَين» وهذا قول الشافعي.

الثاني: أنه يحرم بعد الحولين بأيام، وهذا قول مالك.

الثالث: يحرم بعد الحولين بستة أشهر استكمالاً لثلاثين شهراً لقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾ [الأحقاف: ١٥] قاله أبو حنيفة.

الرابع: أن تحريمه غير مقدر وأنه يحرم في الكبير كتحريمه في الصغير، وهذا قول بعض أهل المدينة.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ أي اشكر لي النعمة ولوالديك التربية. وشكر الله بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة، قال قتادة: إن الله فرق بين حقه وحق الوالدين وقال اشكر لي ولوالديك.

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ يعني إلى الله المرجع فيجازي المحسن بالجنة والمسيء بالنار. وقد

(٣٦٨) ورد هذا الحديث وقد اختلف في رفعه ووقفه فرجح وقفه الامام ابن عدي كما نقله صاحب التعليق المغني عن تلخيص الحبير (٤/١٧٤) وكذا الامام البيهقي (٧/٤٦٢) وكذا صاحب التنقيح فرواه مرفوعاً. البيهقي (٧/٤٦٢) والدارقطني (٤/١٧٤) وابن عدي كما في الدر المنثور (١/٦٨٩) من حديث ابن عباس مرفوعاً ولفظه «لا رضاع إلا ما كان في الحولين».

ولم يرفع الحديث إلا الهيثم بن جميل عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً واشار الدارقطني بعد روايته إلى توثيق الهيثم بن جميل كأنه يشير إلى قبول زيادته لكن زيادة الثقة مقبولة ما لم يخالف وهنا قد خالف الهيثم جماهير الرواة عن سفيان.

حيث رواه النحاس عن سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس موقوفاً من قوله.

فرواه سعيد بن منصور كما في البيهقي (٧/٤٦٢) ومعمر كما في مصنف عبد الرزاق (رقم ١٣٩٠١) ومن طريق أخرى رواه البيهقي (٧/٤٦٢) عن ابن عباس وقد صح اسناد الموقوف صاحب التعليق المغني على سنن الدارقطني (٤/١٧٤) ويغني عن هذا الموقوف حديث ام سلمة المرفوع ولفظه «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام».

رواه الترمذي (١١٥٢) في الرضاع باب ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين وصححه الترمذي والحاكم وأعله صاحب زاد المعاد بالانقطاع فلم يصب وقد تفرد به الترمذي عن بقية الكتب السنة كما قال أبو الأشبال أحمد شاكر وقد حسن الحديث الشيخ الأرناؤوط في شرح السنة للبغوي (٩/٨٤).

وقد وردت آثار صحيحة موقوفة في تحديد المدة.

منها عن ابن مسعود رواه الطبري (٥/٣٦) وسندة صحيح ومنها عن ابن المسيب وعمر كما في مصنف عبد الرزاق ٧/٤٦٥.

روى عطاء عن عبدالله بن عمر[٣٦٩] قال: قال رسول الله ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ مِن رِضَا الوَالِدِ وَسَخَط الرَّبِّ مِن سَخَط الوَالِدِ».

---

(٣٦٩) هذا الإسناد الذي ساق بعضه المؤلف وقع فيه تحريف من الناسخ فالحديث معروف عن عطاء عن عبدالله بن عمرو وليس عمر كما هنا والتصحيح من الترمذي وغيره.

والحديث أخرجه الترمذي (١٨٩٩) وابن حبان (٢٠٢٦) والبغوي في شرح السنة (١٣/١٢) وبحشل في تاريخ واسط ص (٥١) من طريق خالد بن الحارث حدثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد» وهذا سند ضعيف.

فإن فيه عطاء العامري والد يعلى فإنه مجهول، قال ابو الحسن القطان في التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٢٠) مجهول الحال ما روى عنه غير ابنه يعلى ا هـ.

وقال الذهبي في الميزان (٣/٧٨) لا يعرف إلا بابنه ا هـ ولم يوثقه غير ابن حيان على عادته في توثيق المجاهيل وقال الحافظ في التقريب (٢/٢٣) مقبول: يعني عند المتابعة وإلا فليّن الحديث كما هو معروف من كلام الحافظ في مقدمة التقريب وقد روى لعطاء العامري البخاري في الأدب المفرد وابو داود والترمذي والنسائي ولم يرو له مسلم.

وقد روى الحديث الترمذي (١٨٩٩) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو موقوفاً ثم رجح الموقوف الترمذي وقال هذا أصح يعني من الموضوع السابق ثم قال ولا نعلم أحداً رفعه غير خالد بن الحارث عن شعبة وخالد بن الحارث ثقة مأمون لكنه لم يتفرد برفعه كما يفهم من كلام الامام الترمذي رحمه الله بل تابعه على رفع الحديث عبد الرحمن بن مهدي عند الحاكم (٤/١٥١ ـ ١٥٢) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وقال الألباني في السلسلة رقم ٥١٦ وهو كما قال. وهذا وهم من الجميع عطاء على الطريق وقد عرفت حاله كما سبق.

وقد تابع خالد أيضاً ابو اسحاق الفزاري كما عند ابن عساكر في تاريخ دمشق.

وتابع خالد أحمد بن حنبل رحمه الله كما عند الحاكم (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢).

وقد روى الحديث ابو نعيم في الحلية (٨/٢١٥) عن ابن عمرو ووقع في إسناده تحريف حيث قال الناسخ ابن عمر والصواب ابن عمرو.

وقد وقع السند أيضاً عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن عمرو، هكذا وقع في السفر فلا أدري الصواب في ذلك والله أعلم وفي هذا السند محمد بن صبيح بن السماك الواعظ قال ابن نمير فيه مرة صدوق وقال مرة أخرى ليس حديثه بشيء الميزان (٣/٥٨٤).

وفي سنده أيضاً أشعث بن سعد وقد جهدت في البحث عنه فلم أجد له ترجمة وأخشى أن يكون مُحَرَفاً من سعيد لسعد فإن كان أشعث بن سعيد فهو متروك تركه الدارقطني
قال ابن معين ليس بشيء بل كذّبه هشيم ، انظر الميزان (١/٢٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ يعني أراداك.

﴿عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ معناه أنك لا تعلم أن لي شريكاً.

﴿فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾ يعني في الشرك.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ أي احْتِسَاباً. قال قتادة: تعودهما إذا مرضا وتشيعهما إذا ماتا، وتواسيهما مما أعطاك الله تعالى.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ قال يحيى بن سلام: من أقبل بقلبه مخلصاً وهو النبي ﷺ والمؤمنون. روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: حلفت أم سعد ألا تأكل ولا تشرب حتى يتحوّل سعد عن دينه (٣٧٠) فأبى عليهافلم تزل كذلك حتى غشي عليها(٣٧١) ثم دعت الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية:

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وهذا مثل مضروب لمثقال حبة من خردل. قال قتادة: من خير أو شر.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة قاله الرُّبَيعُ بن أنس والسدي. قال عبدالله بن الحارث وهي صخرة على ظهر الحوت، قال الثوري: بلغنا(٣٧٢) أن خضرة السماء من تلك الصخرة، وقال ابن عباس هذه الصخرة ليست في

(٣٧٠) وفي الطبري (٢١ / ٧٠) [قال].

(٣٧١) وفي الطبري (٢١ / ٧٠) [قال فأتاها بنوها فسقوها قال فلما أفاقت دعت الله عليه].

(٣٧٢) وهذا البلاغ لا نعلم له دليلاً صحيحاً.

السماء ولا في الأرض. وقيل إن هذه الصخرة هي سجِّين التي يكتب فيها أعمال الكفار ولا ترفع إلى السماء.

الثاني: معنى قوله في صخرة أي في جبل، قاله قتادة.

﴿أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بجزاء ما وازنها من خير وشر.

الثاني: يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء، كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازي عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها. ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها، قاله الربيع بن أنس.

روىٰ علي بن رباح اللخمي قال: لما وعظ لقمان ابنه بهذا أخذ حبة من خردلٍ فأتى بها البحر فألقاها في عرضه ثم مكث ما شاء ثم ذكرها وبسط يده فبعث الله ذبابة فاختطفتها وحملتها حتى وضعتها في يده.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على ما أصابك من الأذىٰ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: على ما أصابك من البلوىٰ في نفسك أو مالك.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما أمر الله به من الأمور.

الثاني: من ضبط الأمور، قاله المفضل.

الثالث: من قطع الأمور.

وفي العزم والحزم وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما.

الثاني: معناهما مختلف وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: أن الحزم الحذر والعزم القوة، ومنه المثل: لا خير في عزم بغير حزم.

الثاني: أن الحزم التأهب للأمر والعزم النفاذ فيه، ومنه قولهم في بعض الأمثال: رَوِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي(٣٧٣) ونافع:

﴿تُصَاعِرِ﴾ بألف، وتصاعر تفاعل من الصعر وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الكبر، قاله ابن عباس.

الثاني: الميل، قاله المفضل.

الثالث: التشدق في الكلام، حكاه اليزيدي. وتُصَعِّرْ هو على معنى المبالغة.

وفي معنى الآية خمسة أوجه:

أحدها: أنه إعراض الوجه عن الناس تكبراً، قاله ابن جبير.

الثاني: هو التشدق(٣٧٤)، قاله إبراهيم النخعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالث: أن يلوي شدقه عند ذكر الإنسان احتقاراً، قاله أبو الجوزاء قال عمرو بن كلثوم(٣٧٥):

وكنا إذا الجبّارُ صعر خَدّه أقمنا له من صعره فتقوّما(٣٧٦)

الرابع: هو أن يعرض عمن بينه وبينه إحنة هجراً له فكأنه أمر بالصفح والعفو، قاله الربيع بن أنس.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالمعصية، قاله الضحاك(٣٧٧).

الثاني: بالخيلاء والعظمة، قاله ابن جبير.

الثالث: أن يكون بطراً أشراً، قاله ابن شجرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المنان، قاله أبو ذر.

---

(٣٧٣) وهي قراءة خلف أيضاً كما في المبسوط للأصبهاني ص ٣٥٢.

(٣٧٤) وفي الطبري (٢١/٧٥) [التشديق أو التشدق] والشك من الطبري.

(٣٧٥) وفي الطبري (٢١/٧٤) [عمرو بن حني التغلبي] وهو الشاعر الجاهلي.

(٣٧٦) انظر معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ وقد نسب البيت في اللسان عند مادة (صعر) للملتمس جرير بن عبد المسيح.

(٣٧٧) وفي الطبري (٢١/٧٦) فسر الضحاك المرح «بالخيلاء».

الثاني: المتكبر، قاله مجاهد.

الثالث: البطر، قاله ابن جبير. وروى أبو ذر(٣٧٨) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثَلاثَةٌ يَشْنَؤُهُم اللَّهُ: الفَقِيرُ المُخْتَالُ، والبَخِيلُ المَنَّانُ، والبَيِّعُ الحَلاَّفُ**».

﴿**فَخُورٍ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المتطاول على الناس بنفسه، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه المفتخر عليهم بما يصفه من مناقبه، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنه الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله فيما أعطاه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿**وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه تواضع في نفسك، قاله مجاهد.

الثاني: انظر في مشيك موضع قدمك، قاله الضحاك.

الثالث: اسْرِع في مشيتك، قاله يزيد بن أبي حبيب.

الرابع: لا تسرع في المشي، حكاه النقاش. وقد روىٰ أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ(٣٧٩): «**سُرْعَةُ المَشْيِ تُذْهِبُ بَهَاءَ وَجْهِ المَرْءِ**».

الخامس: لا تختل في مشيتك، قاله ابن جبير.

---

(٣٧٨) جزء من حديث طويل عن أبي ذر مرفوعاً أوله «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله» رواه الترمذي (٢٥٧١) في صفة الجنة باب رقم ٢٥ والنسائي (٥/٨٤) في الزكاة باب ثواب من يعطي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر وقد صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٩/٥٦٤) وللحديث طريق أخرى عن أبي ذر نسبها السيوطي في الدر (٢/٥٣٦) لأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣٧٩) ورد من حديث أنس وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وكلها طرق واهية، والحديث الذي أفتى به المؤلف هنا هو حديث أنس، رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الرواي (٢/١٥٢) وفيه «بماء الوجه». وفي سنده محمد بن يونس الكريمي وهو متهم بالوضع كما قال ابن عدي والدارقطني وقال ابن حبان لعله وضع أكثر من ألف حديث. وفي سنده أيضاً أبان بن أبي عياش الراوي عن أنس وهو متروك كما قال أحمد بن حنبل وقال فيه شعبة بن الحجاج لأن يزني الرجل خير له من أن يروي عن أبان، والحديث ذكره العلامة الألباني في الضعيفة وقال منكر جداً راجعها رقم [٥٥] حيث تعرض لطرقه كلها وكشف عوارها.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي اخفض من صوتك والصوت هو أرفع من كلام المخاطبة.

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ يعني شر الأصوات، قاله عكرمة(٣٨٠) وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أقبح الأصوات(٣٨١)، قاله ابن جبير.

الثاني: قد تقدم(٣٨٢).

الثالث: أشد، قاله الحسن(٣٨٣).

الرابع: أبعد، قاله المبرد.

﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها العطسة المرتفعة، قاله جعفر الصادق.

الثاني: أنه صوت الحمار.

وفي تخصيصه بالذكر من بين الحيوان وجهان:

أحدهما: لأنه أقبحها في النفس وأنكرها عند السمع وهو عند العرب مضروب به المثل، قال قتادة: لأن أوله زفير وآخره شهيق.

الثاني: لأن صياح كل شيء تسبيحه إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان، قاله سفيان الثوري، وقد حكي عن بشر بن الحارث أنه قال: نهيق الحمار دعاء على الظلمة.

والسبب في أن ضرب الله صوت الحمار مثلاً ما روىٰ سليمان(٣٨٤) بن أرقم عن الحسن أن المشركين كانوا في الجاهلية يتجاهرون ويتفاخرون برفع الأصوات فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز، ومن كان أخفض صوتاً كان أذل، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي لو أن شيئاً يُهَابُ لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل بمنزلته.

(٣٨٠) وفي الطبري (٢١/٧٧) هذا القول منسوب للحكم بن عتيبة أيضاً.

(٣٨١) هذا القول في الطبري منسوب للضحاك بالرواية عنه (٢١/٧٧).

(٣٨٢) يقصد المؤلف رحمه الله بالقول الثاني قول عكرمة.

(٣٨٣) وهو الحسن بن مسلم كما في الطبري (٢١/٧٧).

(٣٨٤) وسليمان بن أرقم متروك الحديث راجع التهذيب (٤/١٤٨) والميزان (٢/١٩٦) والمجروحين لابن حبان (١/٣٢٤).

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوات وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وفي تسخيره ذلك وجهان:

أحدهما: تسهيله.

الثاني: الانتفاع به.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو وحفص (٣٨٥) بغير تنوين (٣٨٦) على الجمع والباقون بالتنوين(٣٨٧) يعني نعمة واحدة. وفي هذه القراءة وجهان:

أحدهما: أنه عنى الإسلام فجعلها واحدة، قاله إبراهيم.

الثاني: أنه قصد التكثير بلفظ الواحد كقول العرب: كثر الدينار والدرهم، والأرض سيف وفرس، وهذا أبلغ في التكثير من لفظ الجمع، قاله ابن شجرة.

وفي قوله: ﴿ظَاهِرةً وَبَاطِنَةً﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: أن الظاهرة الإسلام، والباطنة ما ستره الله من المعاصي قاله مقاتل.

الثاني: أن الظاهرة على اللسان، والباطنة في القلب، قاله مجاهد ووكيع.

الثالث: أن الظاهرة ما أعطاهم من الزي والثياب، والباطنة متاع المنازل، حكاه النقاش.

الخامس: الظاهرة الولد، والباطنة الجماع.

ويحتمل سادساً: أن الظاهرة في نفسه، والباطنة في ذريته من بعده.

ويحتمل سابعاً: أن الظاهرة ما مضىٰ، والباطنة ما يأتي.

(٣٨٥) وكذا هي قراءة أبي جعفر كما في المبسوط في القراءات للأصبهاني ص ٣٥٢.

(٣٨٦) قال ابن جرير رحمه الله(٢١/٧٨) والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى.

(٣٨٧) يعني ساكنة العين مفتوحة التاء على واحدة، انظر المبسوط للاصبهاني ص ٣٥٣.

ويحتمل ثامناً: أن الظاهرة في الدنيا، والباطنة في الآخرة.

ويحتمل تاسعاً: أن الظاهرة في الأبدان، والباطنة في الأديان.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو؟ فجاءت صاعقة فأخذته.

الثاني: أنها نزلت في النضر بن الحارث كان يقول: إن الملائكة بنات الله، قاله أبو مالك.

وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه يخلص لله، قاله السدي.

الثاني: يقصد بوجهه طاعة الله.

الثالث: يسلم نفسه مستسلماً إلى الله وهو محسن يعني في عمله.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: قول لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: القرآن، قاله أنس بن مالك.

الثالث: الإسلام، قاله السدي.

الرابع: الحب في الله والبغض في الله، قاله سالم بن أبي الجعد.

وفي تسميتها بالعروة الوثقىٰ وجهان:

أحدهما: أنه قد استوثق لنفسه فيما تمسك به كما يستوثق من الشيء بإمساك عروته.

الثاني: تشبيهاً بالبناء الوثيق لأنه لا ينحل.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ قال مجاهد: وعند الله ثواب ما صنعوا.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ..﴾ الآية. وفي سبب نزولها قولان:

أحدهما: ما رواه سعيد عن قتادة أن المشركين قالوا إنما هو كلام يعني القرآن يوشك أن ينفذ، فأنزل الله هذه الآية يعني أنه لو كان شجر البر أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحور قبل أن تنفد عجائب ربي وحكمته وعلمه.

الثاني: ما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة قالت له أحبار اليهود يا محمد أرأيت قولك: «﴿وَمَا أُوتِيْتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾» [الإسراء: ٨٥] إيانا تريد أم قومك؟ قال: «كُلّ لَمْ يُـؤْتَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً أَنْتُم وَهُمْ»، قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك من الله أنّا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ» فنزلت هذه الآية.

ومعنى: ﴿... يَمُدُّهُ...﴾[٣٨٨] أي يزيد فيه شيئاً بعد شيء فيقال في الزيادة مددته وفي المعونة أمددته.

﴿... مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ﴾ ونفاد الشيء هو فناء آخره بعد نفاد أوله فلا يقال لما فني جملة: نفد.

(٣٨٨) وقيل قراءة أخرى بالنصب وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب، انظر المبسوط ص ٣٥٣.

وفي ﴿كَلِمَاتُ ٱللَّهِ﴾ هنا أربعة أوجه :

أحدها : أنها نعم الله على أهل طاعته في الجنة .

الثاني : على أصناف خلقه .

الثالث : جميع ما قضاه في اللوح المحفوظ من أمور خلقه .

الرابع : أنها علم الله .

قوله تعالى : ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يقال أنهـا نزلت في أبي بن خلف وأبي الأشدين ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق قالوا للنبي ﷺ : إن الله خلقنا أطواراً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة فأنزل الله هذه الآية لأن الله لا يصعب عليه ما يصعب على العباد وخلقه لجميع العالم كخلقه لنفس واحدة .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ سميع لما يقولون ، بصير بما يفعلون .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجِ ٱلنَّهار فِي ٱللَّيلِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يأخذ الصيف من الشتاء ويأخذ الشتاء من الصيف ، قاله ابن مسعود ومجاهد .

الثاني : ينقص من النهار ليجعله في الليل وينقص من الليل ليجعله في النهار ، قاله الحسن وعكرمة وابن جبير وقتادة .

الثالث : يسلك الظلمة مسالك الضياء ويسلك الضياء مسالك الظلمة فيصير كل واحد منهما مكان الآخر ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل رابعاً : أنه يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار إذا أقبل ، ويدخل ضوء النهار في ظلمة الليل إذا أقبل ، فيصير كل واحد منهما داخلاً في الآخر .

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي ذللهما بالطلوع و الأفـول تقديراً للآجال وإتماماً للمنافع.

﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلى وقته في طلوعه وأفوله لا يعدوه ولا يقصر عنه، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: إلى يوم القيامة، قاله الحسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني بما تعملون في الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الله الذي لا إله غيره(٣٨٩)، قاله ابن كامل.

الثاني: أن الحق اسم من أسماء الله، قاله أبو صالح.

الثالث: أن الله هو القاضي بالحق.

ويحتمل رابعاً: أن طاعة الله حق.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشيطان هو الباطل، قاله مجاهد.

الثاني: ما أشركوا بالله تعالى من الأصنام والأوثان، قاله ابن كامل.

﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ أي العلي في(٣٩٠) مكانته الكبير في سلطانه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

---

(٣٨٩) وهذا يدل على أن التقدير في تفسير كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» التقدير فيها لا معبود بحق في الوجود إلا الله لأن الله تعالى اثبت في هذه الآية أن العبودية الحق لا تكون إلا له وحده. فهناك معبودات كثيرة في الوجود لكنها باطلة ضمن قدر المحذوف في قوله لا إله إلاّ الله بأن لاموجود إلاّ الله هذا كلام باطل قالت به أهل الحلول والإتحاد من المتصوفة حتى قال بعض شعرائهم وما في الوجود سوى واحد.. وهذا من أشنع الضلال.

(٣٩٠) قال العلامة ابن جرير (٢١/٨٤):

يقول تعالى ذكره «وبأن الله هو العلي يقول ذو العلو على كل شيء وكل ما دونه فله متذلل منقاد الكبير الذي كل شيء دونه فله متصاغر».

لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: برحمة الله لكم في خلاصكم منه.

الثاني: بنعمة الله عليكم في فائدتكم منه.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جري السفن فيه، قاله يحيى بن سلام، وقال الحسن: مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء.

الثاني: ما تشاهدونه من قدرة الله فيه، قاله ابن شجرة.

الثالث: ما يرزقكم الله منه، قاله النقاش.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صبَّار على البلوىٰ شكور على النعماء.

الثاني: صبَّار على الطاعة شكور على الجزاء.

قال الشعبي(٣٩١): الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، ألم ترإلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وإلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كالسحاب، قاله قتادة.

الثاني: كالجبال، قاله الحسن ويحيى بن سلام.

وفي تشبيهه بالظل وجهان:

أحدهما: لسواده، قاله أبو عبيدة.

الثاني: لعظمه.

---

(٣٩١) وهذا القول الذي نسبه المؤلف هنا للشعبي إنما هو للمغيرة كما في الطبري (٢١/٨٤) ولفظ الشعبي في الطبري (٢١/٨٤) «الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله».

﴿دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني موحدين له لا يدعون لخلاصهم(٣٩٢) سواه.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يعني من البحر.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه عَدل في العهد، يفي في البر بما عاهَد الله عليه في البحر، قاله النقاش.

الثاني: أنه المؤمن المتمسك بالتوحيد والطاعة، قاله الحسن.

الثالث: أنه المقتصد في قوله وهو كافر، قاله مجاهد.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِئَايَاتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجاحد، قاله عطية.

الثاني: وهو قول الجمهور أنه الغدار، قال عمرو بن معدي كرب(٣٩٣).

فإنك لو رأيت أبا عمير ... ملأت يديك من غدرٍ وختر

وجحد الآيات إنكار أعيانها، والجحد بالآيات إنكار دلائلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم وَٱخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

---

(٣٩٢) إعلم إن الإنسان يلجأ إلى الله في الحالات العصيبة ويستغيث بالله تعالى ليرفع عنه الضيم والبلاء ثم إذا نجاه الله تعالى من كربه وبلائه وجدت أكثر الناس يعودون إلى ما كانوا عليه وكأن شيئاً لم يكن والمسلم الحق يضع نصب عينيه حديث رسول الله ﷺ «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» وهذا من كمال الإيمان.

وقد يقعون في الشرك بعلم وبجهل نسأل الله صلاح حال المسلمين.

(٣٩٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (   ) واللسان مادة «ختر».

وقد أورد الطبري البيت في تفسيره (٢١/٨٥) وفيه «انك لو رأيت. . . . » بدون فاء.

أحدها: معناه لا يغني والد عن ولده يقال جزيت عنك بمعنى أغنيت عنك، قاله ابن عيسى. عيسى.

الثاني: لا يقضي والد عن ولده، قاله المفضل وابن كامل.

الثالث: لا يحمل والد عن ولده، قال الراعي:

وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ليجزي إلا كاملٌ وابن كامل

أي حملت.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني البعث والجزاء.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يغرنكم الإمهال عن الانتقام.

الثاني: لا يغرنكم المال عن الإسلام.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وهي تقرأ على وجهين:

أحدهما: بالضم.

الثاني: بالفتح وهي قراءة الجمهور.

ففي تأويلها بالضم وجهان:

أحدهما: أن الغُرور الشيطان، قاله مجاهد.

الثاني: الأمل وهو تمني المغفرة في عمل المعصية، قاله ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: أن تخفي على الله ما أسررت من المعاصي.

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن قيامها مختص بعلمه.

الثاني: أن قيامها موقوف على إرادته.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ فيما يشاء من زمان ومكان.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ذكر وأنثى، سليمٍ وسقيم.

الثاني : من مؤمن وكافر وشقي وسعيد .

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من خير أو شر .

الثاني : من إيمان أو كفر .

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على أي حكم تموت من سعادة أو شقاء ، حكاه النقاش .

الثاني : في أي أرض يكون موته ودفنه وهو أظهر . وقد روى أبو مليح عن[٣٩٤] أبي عزة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ إِلَيْهَا حَاجَةً فَلَمْ يَنْتَهِ حَتَّىٰ يُقْدِمَهَا ، ثم قرأ ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى قوله : ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾» .

وقال هلال بن إساف : ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي يدفن فيها .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يحتمل وجهين :

---

(٣٩٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢٨٢) وأحمد (٣/٤٢٩) وابن حبان (١٨١٥) والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٥٤ والحاكم (١/٤٢) والدولابي في الكنى (١/٤٤) والطبراني في الكبير (٢٢/٣٧٦) من طريق أيوب عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي .

وقال الحاكم «صحيح رواته عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي وقال الألباني في السلسلة الصحيحة وهو كما قال عند حديث رقم (١٢٢١) واسم أبي عزة الهذلي يسار بن عبد كما نقل البيهقي في الأسماء والصفات عن علي بن المديني (ص ١٥٤) وقد روى الحديث الطيالسي في مسنده (١١٢٥) من الطريق السابق وسماه مطر بن عكامس وقد روى الحديث الترمذي (٢١٤٦) وحسنه والحاكم (١/٤٢) والبخاري في التاريخ وابن مردويه كما في الدر (٦/٥٣٢) من طريق سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن مطر بن عكامس السلمي مرفوعاً وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهذا إذا كان أبو إسحاق السبيعي قد سمعه من مطر فإن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن كما لا يخفى .

وللحديث شاهد من حديث جندب بن سفيان أخرجه الحاكم (١/٣٦٧) وفي سنده الحسن البصري وهو ثقة مدلس وقد عنعن .

وله شاهد بزيادة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٣) والحاكم (١/٤١ ـ ٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٦) وقال الحاكم ، احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم ووافقه الذهبي وقال البوصيري في الزوائد هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

أحدهما: عليم بالغيب خبير بالنية.

الثاني: عليم بالأعمال خبير بالجزاء.

ويقال إن هذه الآية نزلت في رجل من أهل البادية يقال له الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد، وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى تقوم الساعة؟ فنـزلت هذه الآية. والله أعلم.

سُورَةُ السَّجْدَة

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

مكية في قول الجميع إلا الكلبي ومقاتل فإنهما قالا: إلا ثلاث آيات منها من: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً﴾ إلى آخرهن. وقال غيرهما: إلا خمس آيات من ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ إلى ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ. تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ﴾ يعني القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه أنه تنزيل.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ والريب هو الشك(٣٩٥) الذي يميل إلى السوء والخوف، قال أبو ذؤيب:

أسرين ثم سمعن حساً دونه ... سرف الحجاب وريب قرع يقرع

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾ يعني كفار قريش يقولون إن محمداً افترى هذا القرآن ويكذبه.

(٣٩٥) وقد قال بعضهم إن هناك فرقاً بين الشك والريب؛ فالريب مقدمة الشك ونفي الريب عن الكتاب يدل على أنه بلغ النهاية في اليقين بأنه من عند الله بحيث أن مقدمات الشك لا تتطرق إليه.

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن حق نزل عليك من ربك.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني قريشاً، قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦)﴾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يقضي الأمر، قاله مجاهد.

الثاني: ينزل الوحي، قاله السدي.

﴿مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ قال السدي من سماء الدنيا إلى الأرض العليا وفيه وجهان:

أحدهما: يدبر الأمر في السماء وفي الأرض.

الثاني: يدبره في السماء ثم ينزل به الملك إلى الأرض وروى عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال: يدبر(٣٩٦) أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأمَّا ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه الملك الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، قاله النقاش.

(٣٩٦) رواه أبو الشيخ في العظمة(٣/٨٠٨) وإسناده مقطوع ورجاله ثقات غير عبد الجبار بن العلاء وهو لا بأس به. وقد جاء نحوه في حديث مرفوع عن ابن عباس رواه أبو الشيخ في العظمة رقم ٢٩١ وهو حديث حسن راجع تخريجه هناك.

الثالث: أنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة، قاله ابن شجرة.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبداً، قاله مجاهد.

الثاني: أن الملك ينزل ويصعد في يوم مسيرة ألف سنة، قاله ابن عباس والضحاك(٣٩٧).

الثالث: أن الملك ينزل ويصعد في يوم مقداره ألف سنة فيكون مقدار نزوله خمسمائة سنة ومقدار صعوده خمسمائة سنة، قاله قتادة: فيكون بين السماء والأرض على قول ابن عباس والضحاك مسيرة ألف سنة، وعلى قول قتادة والسدي مسيرة خمسمائة سنة.

﴿مِمَّا تَعُدُّون﴾ أي تحسبون من أيام الدنيا وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سني العالم وليس بيوم يستوعب نهاراً بين ليلتين لأنه ليس عند الله ليل استراحة ولا زمان تودع، والعرب قد تعبر عن مدة العصر باليوم كما قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سيرٍ إلى الأعداءِ تأويب

وليس يريد يومين مخصوصين وإنما أراد أن زمانهم ينقسم شطرين فعبر عن كل واحد من الشطرين بيوم.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(٣٩٨) فيه خمسة تأويلات:

---

(٣٩٧) والإسناد إلى الضحاك ضعيف أخرجه الطبري (٢١/٩٣) وفيه جويبر وهو البلخي المفسر قال الحافظ في التقريب (١/١٣٦) ضعيف جداً.

(٣٩٨) وفي خلقه قراءتان وحسب نوع القراءة يختلف التفسير فالقراءة الأولى بسكون اللام وهي قراءة أبي

أحدها: أنه جعل كل شيء خلقه حسناً حتى جعل الكلب في خلقه حسناً، قاله ابن عباس.

الثاني: أحكم كل شيء خلقه حتى أتقنه، قاله مجاهد(٣٩٩).

الثالث: أحسن إلى كل شيء خلق فكان خلقه له إحساناً، قاله علي بن عيسى.

الرابع: ألهم ما خلقه(٤٠٠) ما يحتاجون إليه حتى علموه من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه.

الخامس: أعطى كل شيء خلقه(٤٠١) ما يحتاج إليه ثم هداه إليه، رواه حميد بن قيس.

ويحتمل سادساً: أنه عرف كل شيء خلقه وأحسنه من غير تعلم ولا سبق(٤٠٢) مثال حتى ظهرت فيه القدرة وبانت فيه الحكمة.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم، روى عون عن أبي زهير عن أبي موسى(٤٠٣) عن النبي ﷺ: أن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوه على ألوان الأرض منهم الأبيض والأحمر وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك.

جعفر وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو ويعقوب، والقراءة الثانية قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وهي بفتح اللام.

انظر المبسوط في القراءات للأصبهاني ص.

(٣٩٩) وعبارة مجاهد في الطبري (٢١/ ٩٤) أتقن كل شيء خلقه.

(٤٠٠) وهذا القول الرابع على قراءة سكون اللام في خلقه فتنبه، انظر الطبري (٢١/ ٩٤).

(٤٠١) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل ص ٦٥ قوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ فإحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال فالخلق الإيجاد والتسوية اتقانه وإحسان خلقه الخ راجع مراتب الهدى والضلال الباب الرابع عشر.

(٤٠٢) ومع كل هذه الدلائل على وجود الخالق تبارك وتعالى إلا أن الشيوعيين قاتلهم الله ينكرون وجود الخالق تبارك وتعالى وقديماً سئل الأعرابي ما الدليل على وجود الله قال البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير. سبحانك ربنا وتعاليت.

(٤٠٣) تقدم تخريج هذا الحديث عند قوله تعالى **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾** الآية.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي ذريته ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ لانسلاله من صلبه ﴿مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ قال مجاهد ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سوىٰ خلقه في الرحم.

الثاني: سوى خلقه كيف يشاء.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من قدرته، قاله أبو روق.

الثاني: من ذريته، قاله قتادة.

الثالث: من أمره أن يكون فكان، قاله الضحاك.

الرابع: روحاً من روحه أي من خلقه وأضافه إلى نفسه لأنه من فعله وعبر عنه بالنفخ لأن الروح من جنس الريح.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ﴾ يعني القلوب وسمى القلب فؤاداً لأنه ينبوع الحرارة الغريزية مأخوذ من المفتأد وهو موضع النار، وخصص الأسماع والأبصار والأفئدة بالذكر لأنها موضع الأفكار والاعتبار.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هلكنا، قاله مجاهد.

الثاني: صرنا فيه رفاتاً وتراباً، قاله قتادة والعرب تقول لكل شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيه أثره قد ضل، قال الأخطل:

كنت القذى في موج أكدر مزبد ... قذف الأتيُّ به فَضَلَّ ضلالاً.

الثالث: غُيِّبنا في الأرض، قاله قطرب وأنشد النابغة:

فآب مُضِلُّوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزمٌ ونائل

وقرأ الحسن: صللنا، بصاد غير معجمة وفيه على قراءته وجهان:

أحدهما: أي أنتنت لحومنا من قولهم صل اللحم إذا أنتن، قاله الحسن.

الثاني: صللنا من الصلة وهي الأرض اليابسة ومنه قوله تعالى: ﴿مِن صَلصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي أَتُعَادُ أجسامنا وأرواحنا للبعث خلقاً جديداً تعجباً من إعادتها وإنكاراً لبعثهم وهو معنى قوله تعالى:

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِم كَافِرُونَ﴾ وقيل إن قائل ذلك أُبي بن خلف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي يقبض أرواحكم والتوفي أخذ الشيء على تمام، مأخوذ من توفية العدد ومنه قولهم استوفيت دَيْني من فلان.

ثم في توفي ملك الموت لهم قولان:

الأول: بأعوانه.

الثاني: بنفسه. روى جعفر الصادق عن أبيه قال نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ[٤٠٤] [يا ملك الموت]: «ارْفُقْ بِصَاحِبِي فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ» فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفساً وقرعيناً فإني بكل مؤمن رفيق واعلَمْ أن ما[٤٠٥] من أهل بيت مدر ولا شعر[٤٠٦] إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها. قال جعفر[٤٠٧] إنما يتصفحهم عند مواقيت[٤٠٨] الصلوات[٤٠٩].

---

(٤٠٤) وفي تفسير ابن كثير (٣/٤٥٨) [يا ملك الموت] نقلاً عن رواية ابن أبي حاتم.

(٤٠٥) وفي ابن كثير (٣/٤٥٨) [ما في الأرض من بيت].

(٤٠٦) وفي ابن كثير (٣/٤٥٨) [في بر ولا بحر].

(٤٠٧) وفي ابن كثير (٣/٤٥٨) [قال جعفر بلغني أنه].

(٤٠٨) وتتمة العبارة في ابن كثير (٣/٤٥٨) [فإذا حضرهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إلّه إلا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة].

(٤٠٩) هذا الأثر الذي أورده المؤلف هنا عن جعفر الصادق أثر معضل.

فقد رواه معضلاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٦/٥٤٣) ونقل الحافظ ابن كثير سنده من تفسير ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقري حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول. . . الحديث.

وهذا السند الذي نقله الحافظ ابن كثير فيه تحريف يقيناً في عمر بن سمرة وصوابه عمرو بن شمر والتصويب من الإصابة (٢/٢٧٧).

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم تُرْجعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى جزائه.

الثاني: إلى أن لا يملك لكم أحد ضراً ولاً نفعاً إلا الله.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِم عِند رَبِّهِمْ﴾ أي عند محاسبة ربهم وفيه أربعة أوجه:

أحدها: من الغم، قاله ابن عيسى.

ثم رأيت الحديث موصولاً وصله البزار (٧٨٤) مختصراً والطبراني (٤/ ٢٢٠) وابن قانع وابن شاهين في الجنائز مطولاً وابن مندة مختصراً وابن ابي عاصم كما في الاصابة (٢/ ٢٧٧) وأبو نعيم في الصحابة كما في الدر المنثور (٦/ ٥٤١).

من طريق عمرو بن شمر عن جعفر بن محمد عن أبيه سمعت الحارث بن الخزرج الأنصاري يقول حدثني أبي أنه سمع النبي ﷺ ونظر..... الحديث فذكره.

وهذا السند ضعيف جداً.

ففيه عمرو بن شمر وهو الجعفي الكوفي الشيعي قال البخاري منكر الحديث وقال يحيى بن معين لا يكتب حديثه وقال مرة ليس بثقة وقال الجوزجاني زائغ كذاب وقال ابن حبان في المجروحين رافضي يشتم الصحابة يروي الموضوعات عن الثقات في فضائل أهل البيت وغيرها لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب.

راجع الميزان (٣/ ٢٦٨) والمجروحين لابن حبان (٢/ ٧٥) وبعد هذا كله فقول الإمام الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٦) فيه عمر [كذا قال] وصوابه عمرو بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج ولم أجد من ترجمهما وبقية رجاله رجال الصحيح «أقول هذا القول وقع سهواً من الحافظ الهيثمي رحمه الله وإلا فإن عمراً معروف وسبق بيان حاله وأما الحارث بن الخزرج فلم أهتد لترجمته. ولعل عذر الحافظ الهيثمي في قوله التحريف الذي وقع في اسم عمرو والله أعلم. واعلم أيها القارىء أن الراوي عن عمرو في رواية البزار قد دلس في اسمه فقال عمرو بن أبي عمرو... فتنبه».

الثاني: من الذل، قاله ابن شجرة.

الثالث: من الحياء، حكاه النقاش.

الرابع: من الندم، قاله يحيى بن سلام.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك، قاله ابن عيسى.

الثاني: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، قال قتادة، أبصروا حين لم ينفعهم البصر وسمعوا حين لم ينفعهم السمع.

﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي ارجعنا إلى الدنيا نعمل فيها صالحاً.

﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مصدقون بالبعث، قاله النقاش.

الثاني: مصدقون بالذي أتى به محمد ﷺ أنه حق، قاله يحيى بن سلام.

قال سفيان: فأكذبهم الله فقال: ﴿وَلَو رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هدايتها للإيمان(٤١٠).

الثاني: للجنة.

الثالث: هدايتها في الرجوع إلى الدنيا لأنهم سألوا الرجعة ليؤمنوا.

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَولُ مِنِّي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه سبق القول مني، قاله الكلبي ويحيى بن سلام.

الثاني: وجب القول مني، قاله السدي كما قال كثير:

فإن تكن العتبى فأهلاً ومرحباً ... وحقت لها العتبى لدنيا وقلّت

﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يعني من عصاه من الجنة والناس. وفي الجنة قولان:

أحدهما: أنه الجن، قاله ابن كامل.

(٤١٠) وهذه الهداية هي هداية التوفيق والمعونة فلو شاء الله أن يعطيها للعباد كلهم لفعل لكنه لم يشأ ذلك وذلك لحكمة يعلمها سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وفي الآية رد على القدرية والجبرية.

الثاني: أنهم الملائكة، رواه السدي عن عكرمة. وهذا التأويل [٤١١] معلول لأن الملائكة لا يعصون الله فيعذبون. وسموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار ومنه قول زيد بن عمرو:

عزلت الجن والجنان عني ... كذلك يفعل الجلد الصبور

قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فذوقوا عذابي بما تركتم أمري، قاله الضحاك.

الثاني: فذوقوا العذاب بما تركتم الإيمان بالبعث في هذا اليوم، قاله يحيى بن سلام.

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنا تركناكم [٤١٢] من الخير، قاله السدي.

الثاني: إنا تركناكم في العذاب، قاله مجاهد.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ وهو الدائم الذي لا انقطاع له.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾ يعني في الدنيا من المعاصي، وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق الطعام، قال ابن أبي ربيعة:

فذُقْ هجرها إن كنت تزعم أنه ... رشاد ألا يا رب ما كذب الزعم

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

(٤١١) بل هذا القول باطل لأنه مخالف لما جاء في الكتاب حيث قال الله تعالى عن الملائكة منزهاً لهم عن الوقوع في الأدناس والأرجاس ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ ولقول عكرمة عندي وجه وهو مني فإن كان صواباً فالحمد لله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان وأسأل الله العصمة من الزلل أقول وجه قول عكرمة عندي أن الله تعالى يملأ جهنم يوم القيامة من الملائكة الذين يتولون تعذيب الكافرين فيها ولا يدل ذلك على أنهم يعذبون والله أعلم بالصواب.

(٤١٢) واعلم أن النسيان يطلق على معنيين الأول النسيان الذي هو ضد التذكر وهذا محال في حق الله تعالى لأن الله تعالى لا ينسى وذلك كما قال ﴿في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ سورة طه: وأما النسيان المضاف إلى الرب هنا وفي سورة طه أيضاً عند قوله ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ فهو بمعنى الترك والإهمال لهم تحقيراً لشأنهم لأنهم تركوا أمر ربهم ولم يعظموه وارتكبوا نهيه وواقعوه فالجزاء من جنس العمل.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِئَايَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يصدق بحجتنا، قاله ابن شجرة.

الثاني: يصدق بالقرآن وآياته، قاله ابن جبير.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذين إذا دعوا إلى الصلوات الخمس بالأذان أو الإقامة أجابوا إليها قاله أبو معاذ، لأن المنافقين كانوا إذا أقيمت الصلاة خرجوا من أبواب المساجد(٤١٣).

الثاني: إذا قرئت عليهم آيات القرآن خضعوا بالسجود على الأرض طاعة لله وتصديقاً بالقرآن. وكل ما سقط على شيء فقد خر عليه قال الشاعر:

وخر على الألاءِ ولم يوسد   كأن جبينه سيف صقيل

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه صلوا حمداً لربهم، قاله سفيان.

الثاني: سبحوا بمعرفة الله وطاعته، قاله قتادة.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن عبادته، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: عن السجود كما استكبر أهل مكة عن السجود له، حكاه النقاش.

قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي ترتفع عن مواضع الاضطجاع قال ابن رواحة:

يبيت يجافي جنبه عن فِراشِه   إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجله قولان:

أحدهما: لذكر الله إما في صلاة أو في غير صلاة قاله ابن(٤١٤) عباس والضحاك.

---

(٤١٣) وهذا القول في الطبري (٢١/٩٩) لابن جريج.

(٤١٤) وقد رواه ابن جرير عند ابن عباس (٢١/١٠٢) وسنده مسلسل بالضعفاء وكثيراً ما يتكرر في الطبري محمد بن سعد: هو محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي ترجمه الخطيب في تاريخه وقال

الثاني: للصلاة ـ روى ميمون بن [٤١٥] شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال: «إِنْ شِئْتَ أَنبَأْتُكَ بِأَبْوابِ ٱلْخَيرِ: الصَّوْمُ جُنَّـةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ» [٤١٦] ثم تلا هذه الآية.

(٣٢٣/٥) لين الحديث وأما أبوه فهو سعد بن محمد ذكره الحافظ في لسان الميزان (١٨/٣) وقال: قال أحمد جهمي وأما عمه فهو الحسين بن الحسن بن عطية فقد ضعفه غير واحد منهم ابن معين وابن حبان وغيرهما انظر الميزان (٥٣٢٨) وأما أبوهما فهو الحسن بن عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف كما في التقريب.

(٤١٥) وقع هنا تحريف في الاسم والصواب ميمون بن أبي شبيب والتصحيح من الطبري وغيره.

(٤١٦) رواه ابن جرير (١٠٢/٢١) والحاكم (٧٦/٢) وأبو بكر بن أبي شيبـة في كتاب الإيمان ص ١٦ من حديث الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به.

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهذا من أوهامهما فإن الإسناد منقطع كما قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٣٢٨ فإن ميمون لم يدرك معاذاً.

ورواه أحمد (٢٣٥/٥) من طريقة شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل.

وشهر ضعيف الحديث راجع ترجمته في الميزان (٢٨٣/٢ ـ ٢٨٥) ورواه أحمد (٢٣٥/٥ و ٢٣٧) وابن جرير (١٠٢/٢١) وابو بكر بن أبي شيبة في الإيمان ص ١٦ من طريق شعبة عن الحكم بن عتيبة عن عروة بن النزال يحدث عن معاذ.

ووقع في الطبري ونقله ابن كثير (٤٦٨/٣) عن عروة بن الزبير وهوتحريف يقيناً لأن الحديث معروف عن عروة بن النزال وليس ابن الزبير ومما يؤكد هذا أن الحافظ ابن حجر قال في ترجمته عروة بن النزال (١٧٠/٧) تهذيب التهذيب قال رحمه الله «روى عن معاذ بن جبل حديث الصوم جُنّة وعنه الحكم بن عتيبة ذكره المثنى بن حبان في الثقات» قلت لكن قال الحافظ الذهبي في الميزان (٦٥/٣) عروة بن النزال عن معاذ لا يعرف.

وقد أخرج النسائي هذا الحديث من طريق عروة بن النزال (١٦٦/٤) وقد نبه على ذلك صاحب تحفة الاشراف (٤١٨/٨).

وروى الحديث مطولاً الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجة (٣٩٧٣) وأحمد (٢٣١/٥) من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ وقال الترمذي حسن صحيح وتعقب الترمذي الحافظُ ابن رجب بـأن أبا وائل لم يدرك معاذاً فهو على هـذا منقطع من هـذا الطريق وزاد السيـوطي في الدر (٥٤٧/٦) نسبته لابن أبي حاتم وابن نصر في كتاب الصلاة وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان

وروى الحديث أحمد (٢٣٤/٥) مختصراً من طريق أبي بكر بن أبي مريم حدثني عطية بن قيس عن معاذ به وخلاصة القول أن الحديث صحيح لا غبار عليه على الإطلاق.

قال الألباني في الإرواء (١٤٠/٢) وهذا إسناد متصل رجاله ثقات غير أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم الشامي وهو ضعيف لاختلاطه ا هـ.

قلت وفي الباب عن أبي هريرة فليطلب من مظانه.

وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لأجلها أربعة أقاويل:

أحدها: التنفل بين المغرب والعشاء، قاله قتادة وعكرمة.

الثاني: صلاة العشاء التي يقال لها صلاة العتمة، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: صلاة الصبح والعشاء في جماعة، قاله أبو الدرداء وعبادة.

الرابع: قيام الليل، قاله مجاهد والأوزاعي ومالك وابن زيد.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خوفاً من حسابه وطمعاً في رحمته.

الثاني: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

ويحتمل ثالثاً: يدعونه في دفع ما يخافون والتماس ما يرجون ولا يعدلون عنه في خوف ولا رجاء.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يؤتون الزكاة احتساباً لها، قاله ابن عباس.

الثاني: صدقه يتطوع بها سوى الزكاة، قاله قتادة.

الثالث: النفقة في طاعة الله، قال قتادة: أنفقوا مما أعطاكم الله فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها.

الرابع: أنها نفقة الرجل على أهله.

قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَآ أُخْفِيَ[٤١٧] لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه للذين تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه للمجاهدين قاله تبيع. وفي ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ التي أخفيت لهم أربعة أوجه:

أحدها: رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال[٤١٨]: قال رسول

(تنبيه) «وقع في رواية الطبري التي أوردها المؤلف «الصدقة تكفِّر الخطيئة» ومن هنا تعلم أن المؤلف أورد الحديث بالمعنى وقد ورد هذا اللفظ أعني لفظ تطفىء الخطيئة في الروايات الأخرى المطولة التي ذكرنا بعضها فتنبه.

(٤١٧) وفيها قراءتان قرأه حمزة ويعقوب بسكون الباء في أخفى وقرأ الباقون بفتح الباء انظر المبسوط للأصبهاني ص ٣٥٤.

(٤١٨) رواه البخاري (٨/٥١٥) ومسلم (٤/٢١٧٥) وابن ماجه (٤٤٧٢) وابن جرير (٢١/١٠٥) وابن أبي

الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنِي أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَينٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ(٤١٩) اقْرَأُواْ إِنْ شِئْتُم: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية.

الثاني: أنه جزاء قوم أخفوا عملهم فأخفى الله ما أعده لهم. قال الحسن بالخفية خفية وبالعلانية علانية.

الثالث: أنها زيادة تحف من الله ليست في حياتهم يكرمهم بها في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه زيادة نعيمهم وسجود الملائكة لهم، قاله كعب.

ويحتمل خامساً: اتصال السرور بدوام النعيم.

﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني من فعل الطاعات واجتناب المعاصي.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً﴾ المؤمن هنا علي بن أبي طالب

شيبة (١٣/ ١٠٩) وعبد الرزاق (١١/ ٤١٦) بدون ذكر الآية وهناد في الزهد (١/ ٤٧) وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد (١٩٦) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٥٤٩) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن الأنباري وزاد الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٥١٦) نسبته لسعيد بن منصور.

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وسهل بن سعد.

(٤١٩) وفي الطبري (٢١/ ١٠٥) [قال أبو هريرة من بَلْه ما اطلعتم عليه].

وأما تفسيرها فقد قال الحافظ في الفتح (٨/ ٥١٦) قال الخطابي كأنه يقول دع ما اطلعتم عليه فإنه سهل في جنب ما ادخر لهم».

رضي الله عنه والفاسق عقبة بن أبي معيط قال ابن عباس: سابّ عقبة علياً فقال أنا أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأملأ منك حشواً فقال له علي كرم الله وجهه: ليس كما قلت يا فاسق فنزلت، فيهما هذه الآية.

﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ قال قتادة: لا والله لا يستوون لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أما العذاب الأدنى ففي الدنيا وفيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنها مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، قاله أُبي.

الثاني: القتل بالسيف، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنه الحدود، قاله ابن عباس.

الرابع: القحط والجدب، قاله إبراهيم.

الخامس: عذاب القبر، قاله البراء بن عازب ومجاهد.

السادس: أنه عذاب الدنيا كلها، قاله ابن زيد.

السابع: أنه غلاء السعر والأكبر خروج المهدي، قاله جعفر الصادق.

ويحتمل ثامناً: أن العذاب الأدنى في المال، والأكبر في الأنفس(٤٢٠).

والعذاب الأكبر عذاب جهنم في الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم.

الثاني: يتوبون من الكفر، قاله ابن عباس.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى
لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

(٤٢٠) وأولى الأقوال القول بعموم العذاب لهم في الدنيا واختار القول بالعموم الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١١٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى ولقد لقيته ليلة الإسراء روى أبو العالية الرياحي[٤٢١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ[٤٢٢]: «رأيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَىٰ بْنَ عمرانَ رَجُلاً آدمَ طُوَالاً جَعْداً كَأَنَّهُ مِن رِجالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيتُ عِيسَىٰ ٱبنَ مَرْيَمَ رَجُلاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ سَبْطَ[٤٢٣] الرَّأْسِ». قال أبو العالية[٤٢٤] قد بين الله ذلك في قوله: ﴿وَٱسْأَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾.

الثاني: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها.

الثالث: فلا تكن في شك من لقاء موسى في الكتاب، قاله مجاهد والزجاج.

الرابع: فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقيه موسى، قاله الحسن.

الخامس: فلا تكن في شك من لقاء موسى لربه حكاه النقاش.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جعلنا موسى، قاله قتادة.

الثاني: جعلنا الكتاب، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم رؤساء في الخير تبع الأنبياء، قاله قتادة.

الثاني: أنهم أنبياء، وهو مأثور.

﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على الدنيا، قاله سفيان.

الثاني: على الحق، قاله ابن شجرة.

الثالث: على الأذى بمصر لما كلفوا ما لا يطيقون، حكاه النقاش.

---

(٤٢١) وفي الطبري (٢١/١١٢) [قال حدثكم ابن عم نبيكم].

(٤٢٢) وفي الطبري (٢١/١١٢) [أُريت].

(٤٢٣) وتمام الحديث في الطبري (٢١/١١٣) [ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مِرْية من لقائه أنه قد رأى موسى].

(٤٢٤) رواه الطبري (٢١/١١٣).

﴿وَكَانُواْ بِئَايَاتِنَا﴾[٤٢٥] يعني بالآيات التسع ﴿يُوقِنُونَ﴾ أنها من عند الله.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية فيها وجهان:

أحدهما: يعني بين الأنبياء وبين قومهم، حكاه النقاش.

الثاني: يقضي بين المؤمنين والمشركين فيما اختلفوا فيه من الإيمان والكفر، قاله يحيى بن سلام.

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالمطر والثلج.

الثاني: بالأنهار والعيون.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الأرض اليابسة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنها الأرض التي أكلت ما فيها من زرع وشجر، قاله ابن شجرة.

الثالث: أنها الأرض التي لا يأتيها الماء إلا من السيول، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها أرض أَبْيَنَ لا تنبت، قاله مجاهد.

الخامس: أنها قرى نبيا بين اليمن والشام، قاله الحسن. وأصل الجرز الانقطاع مأخوذ من قولهم سيف جراز أي قطاع وناقة جراز أي كانت تأكل كل شيء لأنها لا تبقي شيئاً إلا قطعته بفيها. ورجل جروز أكول قال الراجز[٤٢٦]:

حبُّ جروز وإذا جاع بكى ... يأكل التمر ولا يلقى النوى

(٤٢٥) والقول بالعموم أولى من التخصيص لأن الآيات التي أنزلها الله تعالى عليهم كثير، منها آيات مادية كالآيات التسع ومنها آيات التوراة والإيمان بهذه وتلك مطلوب بالنسبة لهم فالمؤمن الموقن يؤمن بكل آية نزلت من عند الله.

(٤٢٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء.

وفتح القدير (٤/ ٢٤٩) وفيه «ويأكل....» بزيادة واو.

وتأول ابن عطاء هذه الآية على أنه توصل بركات(٤٢٧) المواعظ إلى القلوب القاسية.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه فتح مكة، قاله الفراء.

الثاني: أن الفتح انقضى بعذابهم في الدنيا، قاله السدي.

الثالث: الحكم بالثواب والعقاب في القيامة، قاله مجاهد. قال الحسن لم يبعث الله نبياً إلا وهو يحذر من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَانُهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين قتلهم خالد بن الوليد يوم فتح مكة من بني كنانة، قاله الفراء.

الثاني: أن يوم الفتح يوم القيامة، قاله مجاهد.

الثالث: أن اليوم الذي يأتيهم من العذاب، قاله عبد الرحمٰن بن زيد.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون بالعذاب إذا جاء الوقت.

﴿فَأَعْرِضْ عَنهُمْ﴾ الآية. قال قتادة: نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم، ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أعرض عن أذاهم وانتظر عقابهم.

الثاني: أعرض عن قتالهم وانتظر أن يؤذن لك في جهادهم.

الثالث: فأعرض بالهجرة وانتظر ما يمدك به من النصرة، والله أعلم.

---

(٤٢٧) وهذا من الإشارات التي حذرناك منها مراراً وليس في الآية دليل على ما قال ابن عطاء واللفظ على ظاهره ما لم يرد صارف فتنبه.

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وهذا وإن كان معلوماً من حاله ففي أمره به أربعة أوجه:

أحدها: أن معنى هذا الأمر الإكثار من اتقاء الله في جهاد أعدائه.

الثاني: استدامة التقوى على ما سبق من حاله.

الثالث: أنه خطاب توجه إليه والمراد به غيره من أمته.

الرابع: أنه لنزول هذه الآية سبباً وهو ما روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة ليجددوا خطاب رسول الله ﷺ في عهد بينه وبينهم فنزلوا عند عبدالله بن أبي بن سلول والجد بن قيس ومعتب بن قشير وائتمروا بينهم وأتوا رسول الله ﷺ فعرضوا عليه أموراً كره جميعها فهمَّ رسول الله ﷺ والمسلمون أن يقتلوهم فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعني في نقض العهد الذي بينك وبينهم إلى المدة المشروطة لهم.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة.
﴿وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾ من أهل المدينة فيما دعوا إليه.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: عليماً بسرائرهم حكيماً بتأخيرهم.
الثاني: عليماً بالمصلحة حكيماً في التدبير.

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أن النبي ﷺ قام يوماً يصلي فخطر[٤٢٨] خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه إن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله هذه تكذيباً لهم؛ قاله ابن عباس و يكون معناه ما جعل الله لرجل من جسدين.

الثاني: أن رجلاً من مشركي قريش من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد وكذب فنزلت فيه، قاله مجاهد. ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من عقلين.

الثالث: أن جميل بن معمر ويكنى أبا معمر من بني جُمَح كان أحفظ الناس لما يسمع وكان ذا فهم ودهاء فقالت قريش ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد إن له قلبين فلما كان يوم بدر وهزموا أفلت وفي يديه إحدى نعليه والأخرى في رجليه فلقيه أبو سفيان بشاطىء البحر فاستخبره فأخبره أن قريشاً قتلوا وسمى من قتل من

(٤٢٨) يعني سها سهوة.

أشرافهم، قال له: إنه قد ذهب عقلك فما بال نعليك إحداهما في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما كنت أظنها إلا في رجلي فظهر لهم حاله فنزلت فيه الآية، قاله السدي ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من فهمين.

الرابع: أن رجلاً كان يقول إن لي نفسين نفساً تأمرني ونفساً تنهاني فنزل ذلك فيه، قاله الحسن ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من نفسين.

الخامس: أنه مثل ضربه الله لزيد بن حارثة حين تبناه النبي ﷺ بعد أن أعتقه فلما نزل تحريم التبنّي منع من ادعائه ولداً ونزل فيه ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ﴾ يقول: ماجعل الله لرجل من أبوين، كذلك لا يكون لزيد أبوين حارثة ومحمد ﷺ، قاله مقاتل بن حيان. وفيه إثبات لمذهب الشافعي في نفي الولد عن أبوين ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من أبوين.

السادس: معناه: أنه لا يكون لرجل قلب مؤمن معنا وقلب كافر علينا لأنه لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد ويكون معناه: ما جعل الله لرجل من دينين، حكاه النقاش.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وهو أن يقول لزوجته أنت عليّ كظهر أمي، فهذا ظهار كانوا في الجاهلية يحرمون به الزوجات ويجعلونهن في التحريم كالأمهات فأبطل الله بذلك أن تصير محرمة كالأم لأنها ليست بأم وأوجب عليه بالظهار منها إذا صار فيه عامداً كفارة ذكرها في سورة المجادلة(٤٢٩) ومنعه من إصابتها حتى يكفر وسنذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ يعني بذلك أدعياء النبي. قال مجاهد كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك فيقول نعم فإذا قبله واتخذه ابناً أصبح أعز أهله وكان زيد بن حارثة منهم قد تبناه رسول الله ﷺ على ما كان يصنع أهل الجاهلية فلما جاءت هذه الآية أمرهم الله أن يلحقوهم بآبائهم فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ في الإسلام.

---

(٤٢٩) وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبه من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير. فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسًا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾ [المجادلة: ٣، ٤].

﴿ذَٰلِكُم قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أن امرأته بالظهار أُمُّه وأن دَعيه بالتبني ابنه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في أن الزوجة لا تصير في الظهار أُمّاً والدعيُّ لا يصير بالتبني ابناً.

﴿وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني في إلحاق النسب بالأب، وفي الزوجة أنها لا تصير كالأم.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ يعني التبني. قال عبدالله بن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ قال السدي فدعاه النبي ﷺ إلى حارثة وعرف كل نسبه فأقرّوا به وأثبتوا نسبه.

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أعدل عند الله قولاً وحكماً.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فانسبوهم إلى أسماء إخوانكم ومواليكم مثل عبدالله و عبيدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد العزيز، قاله مقاتل بن حيان.

الثاني: قولوا أخونا فلان وولينا فلان، قاله يحيى بن سلام. وروى محمد بن المنكدر قال: جلس نفر من أصحاب النبي ﷺ منهم جابر بن عبدالله الأنصاري فتفاخروا بالآباء فجعل كل واحد منهم يقول أنا فلان بن فلان حتى انتهوا إلى سلمان فقال أنا سلمان ابن الإسلام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال صدق سلمان وأنا عمر بن الإسلام وذلك قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُم فِي ٱلدِّينِ﴾.

الثالث: إنه إن لم يُعرف لهم أب ينسبون إليه كانوا إخواناً إن كانوا أحراراً، وموالي إن كانوا عتقاء كما فعل المسلمون فيمن عرفوا نسبه وفيمن لم يعرفوه فإن المقداد بن عمرو كان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث الزهري فرجع إلى أبيه وسفيان بن معمر كانت أمه امرأة معمر في الجاهلية فادعاه ابناً ثم أسلم سفيان وشهد بدراً فنسب إلى أبيه ونسبه في بني زريق من الأنصار. وممن لم يعرف له أب سالم، مولى أبي حذيفة ونسب إلى ولاء أبي حذيفة.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما أخطأتم قبل النهي وما تعمدت قلوبكم بعد النهي في هذا وغيره، قاله مجاهد.

الثاني: ما أخطأتم به ما سهوتم عنه، وما تعمدت قلوبكم ما قصدتموه عن عمد، قاله حبيب بن أبي ثابت.

الثالث: ما أخطأتم به أن تدعوه إلى غير أبيه، قاله قتادة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غفوراً رَحِيماً﴾ أي غفوراً عما كان في الشرك، رحيماً بقبول التوبة في الإسلام.

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أولى بهم من بعضهم ببعض لإرساله إليهم وفرض طاعته عليهم، وقاله مقاتل بن حيان.

الثاني: أنه أولى بهم فيما رآه لهم بأنفسهم، قاله عكرمة.

الثالث: أنه كان في الحرف الأول: هو أب لهم. وكان سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أراد غزاة تبوك أمر الناس بالخروج فقال قوم منهم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فأنزل الله فيهم هذه الآية، حكاه النقاش.

الرابع: أنه أولى بهم في قضاء ديونهم وإسعافهم في نوائبهم على ما رواه عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة(٤٣٠) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن مُؤمنٍ إلاّ أنَا أوْلَىٰ النَّاس بِهِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ اقْرَأُوا إن شِئْتُم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فَأَيُّمَا(٤٣١) مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْتَرِثْهُ(٤٣٢) عُصْبَتُهُ مَن كَانُوا، وَإن تَرَكَ دَيناً أَوْ ضِيَاعاً فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا(٤٣٣) مَوْلاَهُ».

(٤٣٠) رواه البخاري (٨/٥١٧) وابن جرير (٢١/١٢٢) وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٦٦) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه وفي الباب عن جابر بن عبدالله ومالك بن أنس والمقدام الكندي.

(٤٣١) وفي الطبري (٢١/١٢٢) [وأيما].

(٤٣٢) وفي الطبري (٢١/١٢٢) [فلورثته وعصبته].

(٤٣٣) وفي الطبري (٢١/١٢٢) [وأنا مولاه].

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ يعني من مات عنها رسول الله ﷺ من أزواجه هن كالأمهات في شيئين.

أحدهما: تعظيم حقهن.

الثاني: تحريم نكاحهن. وليس كالأمهات في النفقة والميراث.

واختلف في كونهن كالأمهات في المحرم وإباحة النظر على وجهين:

أحدهما: هن محرم لا يحرم النظر إليهن لتحريم نكاحهن.

الثاني: أن النظر إليهن محرم لأن تحريم نكاحهن إنما كان حفظاً لحق رسول الله ﷺ فيهن فكان من حفظ حقه تحريم النظر إليهن ولأن عائشة رضي الله عنها كانت إذا أرادت دخول رجل عليها أمرت أختها أسماء أن ترضعه ليصير ابناً لأختها من الرضاعة فيصير محرماً يستبيح النظر.

وأما اللاتي طلقهن رسول الله ﷺ في حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة لهن على ثلاثة أوجه:

أحدها: تثبت لهن هذه الحرمة تغليباً لحرمة رسول الله ﷺ.

الثاني: لا يثبت لهن ذلك بل هذه كسائر النساء لأن النبي ﷺ قد أثبت عصمتهن وقال: أزواجي في الدنيا هن أزواجي في الآخرة(٤٣٤).

الثالث: أن من دخل بها رسول الله ﷺ منهن ثبتت حرمتها ويحرم نكاحها وإن طلقها حفاظاً لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم تثبت لها هذه الحرمة، وقد همّ عمر بن الخطاب برجم امرأة فارقها النبي ﷺ فنكحت بعده فقالت: لم هذا وما ضرب عليَّ رسول الله ﷺ حجاباً ولا سميت للمؤمنين أماً، فكف عنها.

وإذا كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين فيما ذكرناه فقد اختلف فيهن هل هن أمهات المؤمنات على وجهين:

أحدهما: أنهن أمهات المؤمنين والمؤمنات تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء.

الثاني: أن هذا حكم يختص بالرجال المؤمنين دون النساء لاختصاص الحظر

(٤٣٤) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

والإباحة بالرجال دون النساء. وقد روى الشعبي عن مسروق عن عائشة أن امرأة قالت لها يا أماه فقالت لست بأم لك أنا أم رجالكم[٤٣٥].

﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ﴾.

قيل إنه أراد بالمؤمنين الأنصار، وبالمهاجرين قريشاً. وفيه قولان:

أحدهما: أن هذا ناسخ للتوارث بالهجرة حكى سعيد عن قتادة قال كان نزل في الأنفال ﴿وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ فتوارث المسلمون بالهجرة فكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئاً ثم نسخ ذلك في هذه السورة بقوله ﴿وَأُوْلُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

الثاني: أن ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمؤاخاة في الدين روى هشام بن عمرو عن أبيه عن الزبير بن العوام قال أنزل فينا خاصة معشر قريش والأنصار لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فآخيناهم فأورثونا وأورثناهم، فآخى أبو بكر خارجة بن زيد وآخيت أنا كعب بن مالك، فلما كان يوم أُحد قتل كعب بن مالك فجئت فوجدت السلاح قد أثقله فوالله لقد مات ما ورثه غيري حتى أنزل الله هذه الآية فرجعنا إلى مواريثنا.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في القرآن، قاله قتادة.

الثاني: في اللوح المحفوظ الذي قضى أحوال خلقه، قاله ابن بحر.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ﴾ يعني أن التوارث بالأنساب أولى من التوارث بمؤاخاة المؤمنين وبهجرة المهاجرين ما لم يختلف بالمتناسبين دين فإن اختلف بينهما الدين فلا توارث بينهما روى شهر بن[٤٣٦] حوشب عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَينِ».

---

(٤٣٥) أثر أم المؤمنين عائشة نسبه السيوطي في الدر (٦/٥٦٧) لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه وصححه الحافظ ابن كثير (٣/٤٧٧) وقال «وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه».

(٤٣٦) هذه الرواية ضعيفة بهذا السند لأن شهراً ضعيف كما سبق بيانه.

والحديث ورد من، رواية جابر وعبدالله بن عمرو بن العاص وعائشة رضي الله عنها وأسامة بن زيد

﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أراد الوصية للمشرك من ذوي الأرحام(٤٣٧)، قاله قتادة.

الثاني: أنه عنَى الوصية للحلفاء الذين آخىٰ بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، قاله مجاهد.

الثالث: أنه أراد الذين آخيتم تأتون إليهم معروفاً، قاله مقاتل بن حيان.

الرابع: أنه عنى وصية الرجل لإخوانه في الدين، قاله السدي.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كان التوارث بالهجرة والمؤاخاة في الكتاب مسطوراً قبل النسخ.

والثاني: كان نسخه بميراث أولي الأرحام في الكتاب مسطوراً قبل التوارث.

الثالث: كان أن لا يرث مسلم كافراً في الكتاب مسطوراً.

وفي ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: في اللوح المحفوظ، قاله إبراهيم التيمي.

الثاني: في الذكر، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث: في التوراة أمر بني اسرائيل أن يصنعوا مثله في بني لاوي بن يعقوب حكاه النقاش.

الرابع: في القرآن، قاله قتادة.

وسأقتصر على رواية ابن عمرو فقد رواها أبو داود (٢٩١١) وابن ماجة (٢٧٣١) والبغوي في شرح السنة (رقم ٣٢٣٢) والدارقطني (٧٥/٤) وأحمد (١٧٨/٢، ١٩٥) وابن الجارود (٩٦٧) والبيهقي (٢١٨/٦) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

وحسن العلامة الألباني الحديث في الإرواء (١٢١/٦).

وأما قول الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٥١/١٢) بأن أصحاب السنن الأربعة رووه من طريق عمرو بن شعيب فإن هذا سهو منه رحمه الله فإن الترمذي لم يروه من هذه الطريق إنما رواه الترمذي رحمه الله برقم (٢١٠٨) من حديث جابر بن عبدالله وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٧٦١٣). وكذلك لم يرو الحديث النسائي من هذه الطريق في السنن التي بين أيدينا ثم وجدت أن الحافظ رحمه الله قد قال في بلوغ المرام وهذا التعبير أدق من قوله في الفتح والله أعلم. وأما حديث أبي أمامة فلم أهتد إلى من خرجه. وقد خرجت رواية عبدالله بن عمرو لأنها توافق رواية أبي أمامة التي ذكرها المؤلف في اللفظ.

(٤٣٧) وتمام كلام قتادة في الطبري (١٢٤/٢١) [ولا ميراث لهم].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ميثاقهم على قومهم أن يؤمنوا بهم، قاله ابن عباس.

الثاني: ميثاق الأمم على الأنبياء أن يبلغوا الرسالة إليهم، قاله الكلبي.

الثالث: ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم[٤٣٨] بعضاً، قاله قتادة.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ روى قتادة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قال «كُنتُ أَوَّلَهُم فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُم فِي البَعْثِ»[٤٣٩].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثاقاً غَلِيظاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الميثاق الغليظ تبليغ الرسالة.

الثاني: يصدق بعضهم بعضاً.

الثالث: أن يعلنوا أن محمداً رسول الله، ويعلن محمد أنه لا نبي بعده.

وفي ذكر من سمى من الأنبياء مع دخولهم في ذكر النبيين وجهان:

أحدهما: تفضيلاً لهم.

الثاني: لأنهم أصحاب الشرائع.

قوله تعالى: ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٤٣٨) وتمام كلامه في الطبري (٢١/١٢٥) [وأن يتبع بعضهم بعضاً].

(٤٣٩) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٢٦) كما في السلسلة الصحيحة (١٨٥٦) وزاد السيوطي في الدر (٦/٥٧٠) نسبته لأبي نعيم في الدلائل وللحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ولفظه كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدىء به قبلهم.

وهذا السند ضعيف لأن فيه عنعنة قتادة والحسن وهما مدلسان.

وقد رواه ابن جرير (٢١/١٢٥) عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله كان يقول. . . فذكره وهذا معضل وقد عرفت من وصله. في أعلاه.

أحدها: ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، حكاه النقاش.

الثاني: ليسأل الأنبياء عما أجابهم به قومهم، حكاه النقاش ابن عيسى.

الثالث: ليسأل الأنبياء عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم، حكاه ابن شجرة.

الرابع: ليسأل الأفواه الصادقة عن القلوب المخلصة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس يعني يوم الأحزاب حين أنعم الله عليهم بالصبر ثُم بالنصر.

﴿إِذْ جَآءَتْكُم جُنُودٌ﴾ قال مجاهد: جنود الأحزاب أبو سفيان وعيينة بن حصين وطلحة بن خويلد وأبو الأعور السلمي وبنو قريظة.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِمْ رِيحاً﴾ قال مجاهد: هي الصَّبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم وروى ابن جبير عن ابن عباس قال:(٤٤٠) قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا و أُهْلِكَت عَادٌ بِالدَّبُورِ» وكان من دعائه يوم الأحزاب(٤٤١) «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَورَتَنَا وآمِن رَوْعَتَنَا» فضرب الله وجوه أعدائه بريح الصَبا.

(٤٤٠) رواه البخاري (٤٣٢/٢) ومسلم (رقم ٩٠٠) وأحمد (٢٢٨/١) والبغوي في شرح السنة (٣٨٧/٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وزاد السيوطي في الدر (٥٧٣/٦) نسبة الحديث لابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وابن مردوية وأبي الشيخ في العظمة وأبي نعيم في الدلائل.

(٤٤١) رواه ابن جرير (١٢٧/٢١) وأحمد (٣/٣) وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر (٥٧٣/٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وفي سنده ربيح بن عبد الرحمن وقال البخاري فيه منكر الحديث الميزان (٣٨/٢) وربيح لقب واسمه

﴿وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ قال مجاهد وقتادة: هم الملائكة.

وفي ما كان منهم أربعة أقاويل:

أحدها: تفريق كلمة المشركين وإقعاد بعضهم عن بعض.

الثاني: إيقاع الرعب في قلوبهم، حكاه ابن شجرة.

الثالث: تقوية نفوس المسلمين من غير أن يقاتلوا معهم وأنها كانت نصرتهم بالزجر حتى جاوزت بهم مسيرة ثلاثة أيام فقال طلحة بن خويلد: إن محمداً قد بدأكم بالسحر فالنجاة النجاة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ يعني من حفر الخندق والتحرز من العدو.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني من فوق الوادي وهو أعلاه من قبل المشرق، جاء منه عوف بن مالك في بني نضر، وعيينة بن حصين في أهل نجد، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب أسفل أي تحتاً من النبي ﷺ، جاء منه أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش، وجاء أبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شخصت(٤٤٢).

الثاني: مالت:

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي زالت عن أماكنها حتى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة. وقيل إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب

سعيد وفي سنده أيضاً الزبير بن عبدالله مولى عثمان قال الذهبي في الميزان: ليس بذاك (٢/ ٦٨) ونقل عن ابن معين أنه قال فيه: يكتب حديثه وقال الحافظ عنه في التقريب: مقبول.

(تنبيه) وقع في تفسير ابن كثير خطأ في اسم ربيح حيث سماه هناك ربيع بن عبد الرحمن وهذا خطأ وتحريف والصواب ربيح كما سبق.

والمؤلف قد أورد الحديث هنا بالمعنى ولفظ الحديث «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا على صيغة الجمع لا المفرد كما صنع المؤلف هنا ـ وهو الثابت في الطبري وغيره.

(٤٤٢) وهو قول قتادة كما رواه الطبري (٢١/ ١٣١) وابن أبي حاتم كما في الدر (٦/ ٥٧٦).

الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة.

وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال يوم الخندق: يا رسول الله ﷺ هل تأمر بشيء تقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال: «نعم قُولُواْ: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتَنَا وَآمِنْ رَوْعَتَنَا»(٤٤٣) قال: فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزموا بها.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيما وعدوا به من نصر، قاله السدي.

الثاني: أنه اختلاف ظنونهم فظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يُستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون، قاله الحسن.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالحصار، حكاه النقاش.

الثاني: بالجوع فقد أصابهم بالخندق جوع شديد، قاله الضحاك.

الثالث: امتحنوا في الصبر على إيمانهم وتميز المؤمنون عن المنافقين، حكاه ابن شجرة. وحكى ابن عيسى أن ﴿هُنَالِكَ﴾ للبعد من المكان، وهناك للوسط وهنا للقريب.

﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: حركوا بالخوف تحريكاً شديداً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه اضطرابهم عما كانوا عليه فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه.

(٤٤٣) تقدم تخريجه والتنبيه على إيراد المؤلف إياه بالمعنى.

الثالث: أنه حركهم الأمر بالثبات والصبر، وهو محتمل.

الرابع: هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المرض النفاق، قاله قتادة.

الثاني: أنه الشرك، قاله الحسن.

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ حكى السدي(٤٤٤) أن النبي ﷺ كان يحفر الخندق لحرب الأحزاب فبينا هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول على صفاة(٤٤٥) فطار منها كهيئة الشهاب من نار في السماء، وضرب الثاني فخرج مثل ذلك، وضرب الثالث فخرج مثل ذلك فرأى ذلك سلمان فقال له النبي ﷺ «رَأَيتَ مَا خَرَجَ فِي كُلِّ ضَرْبَةٍ ضَرَبْتَهَا؟ قال: نعم يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: تُفْتَحُ لَكُمْ(٤٤٦) بِيضُ الْمَدَائِنِ وَقُصُورُ الرُّومِ وَمَدَائِنُ الْيَمن» قال ففشا ذلك في أصحاب رسول الله ﷺ فتحدثوا به، فقال رجل من الأنصار يدعى قشير بن معتب. وقال غيره قشير بن عدي الأنصاري من الأوس: وعدنا محمد أن تفتح لنا مدائن اليمن وقصور الروم وبيض المدائن وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته إلا قتل؟ هذا والله الغرور فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين قيل إنهم من بني سليم، وقيل إنه من قول أوس بن فيظي(٤٤٧) ومن وافقه على رأيه، ذكر ذلك يزيد بن رومان، وحكى السدي أنه عبدالله بن أُبي وأصحابه.

﴿يَـأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُم فَارْجِعُواْ﴾ قرأ حفص عن عاصم(٤٤٨) بضم الميم، والباقون بالفتح. وفي الفرق بينهما وجهان:

(٤٤٤) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (٥٧٧/٦) للسيوطي.

(٤٤٥) وفي الدر المنثور (٥٧٧/٦) [على صفا] والصفا هو الحجر الأملس.

(٤٤٦) وفي الدر (٥٧٧/٦) [تفتح لكم أبواب المدائن] بدلاً من بيض.

(٤٤٧) وقع هنا خطأ في الاسم وصوابه أوس بن «قيظي» وليس فيظي والتصحيح من تفسير ابن كثير (٤٨٢/٣) والدر المنثور (٥٧٩/٦).

(٤٤٨) انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٢٠.

أحدهما: وهو قول الفراء أن المقام بالفتح الثبات على الأمر ، وبالضم الثبات في المكان.

الثاني: وهو قول ابن المبارك انه بالفتح المنزل وبالضم الإقامة.

وفي تأويل ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أي لامقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن.

الثاني: لامقام لكم على القتال فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي.

الثالث: لا مقام في مكانكم فارجعوا إلى مساكنكم، قال النقاش.

والمراد بيثرب المدينة وفيه قولان:

أحدهما: أن يثرب هي المدينة، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أن المدينة في ناحية من يثرب، قاله أبو عبيدة وقد روى يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن البراء بن عازب(٤٤٩) قال رسول الله ﷺ: «مَن قَالَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ فَلْيَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ، هَي طَابَةٌ» ثلاث مرات.

﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ قال السدي: الذي استأذنه منهم رجلان من الأنصار من بني حارثة، أحدهما أبو عرابة بن أوس، والآخر أوس بن فيظي(٤٥٠). قال الضحاك: ورجع ثمانون رجلاً بغير إذن.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قاصية من المدينة نخاف على عورة النساء والصبيان من السبي، قاله قتادة.

---

(٤٤٩) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٥) من حديث البراء بن عازب وأشار الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٤٨١) إلى تفرد الإمام أحمد بـه وقال إسناده ضعيف أ هـ.

قلت: لأن في سنده يزيد بن أبي زياد الهاشمي الكوفي وهو ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعياً من الخامسة (تقريب) والحديث ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم [٥٦٤٧] وقد ورد من حديث ابن عباس مرفوعاً ولفظه «لا تدعونها يثرب فإنها طيبة يعني المدينة ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة هي طيبة» ونسبه السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٩) لابن مردويه والله أعلم بسنده.

(٤٥٠) سبق ضبط هذا الاسم وأنه أوس بن قيظي. بالقاف وليس بالفاء.

الثاني: خالية ليس فيها إلا العورة من النساء، قاله الكلبي والفراء، مأخوذ من قولهم قد اعور الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب قال الشاعر:

له الشدة الأولى إذا القرن أعورا.

الثالث: مكشوفة الحيطان نخاف عليها السراق والطلب، قاله السدي والعرب تقول قد أعور منزلك إذا ذهب ستره وسقط جداره وكل ما كره انكشافه فهو عندهم عورة، وقرأ ابن عباس: إن بيوتنا عَوِرة، بكسر الواو، أي ممكنة العورة.

ثم قال ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ تكذيباً لهم فيما ذكروه.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فراراً من القتل.

الثاني: من الدِّين. وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في قبيلتين من الأنصار من بني حارثة وبني سلمة، همّوا أن يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم أنزل الله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] الآية. فلما نزلت هذه الآية قالوا: والله ما سرّنا ما كنا هممنا به إن كان الله ولينا.

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي لو دخل على المنافقين من أقطار المدينة ونواحيها.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأتوهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما تلبثوا عن الإجابة إلى الفتنة إلا يسيراً، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما تلبثوا بالمدينة إلا يسيراً حتى يعدموا، قاله السدي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَاهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ الآية، فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم عاهدوه قبل الخندق وبعد بدر، قاله قتادة.

الثاني: قبل نظرهم إلى الأحزاب، حكاه النقاش.

الثالث: قبل قولهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا.

وحكي عن ابن عباس أنهم بنو حارثة.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مسئولاً عنه للجزاء عليه.

الثاني: للوفاء به.

قوله تعالى: ﴿قُل مَن ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّن ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾.

فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن أراد بكم هزيمة أو أراد بكم نصراً، حكاه النقاش.

الثاني: إن أراد بكم عذاباً أو أراد بكم خيراً، قاله قتادة.

الثالث: إن أراد بكم قتلاً أو أراد بكم توبة، قاله السدي.

قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ يعني المثبطين من المنافقين. قيل إنهم عبدالله بن أُبي وأصحابه.

﴿وَٱلْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد إلا أكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم إلينا.

الثاني: أنهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين هلم إلينا أي تعالوا إلينا وفارقوا محمداً فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر لم يبق منكم أحداً.

الثالث: ما حكاه ابن زيد أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ انصرف من عنده يوم

الأحزاب فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف فقال: أنت هكذا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف، فقال له أخوه وكان من أبيه وأمه. هلّم إليّ قد تُبع[٤٥١] بك وبصاحبك أي قد أحيط بك وبصاحبك، فقال له: كذبت والله لأخبرنه بأمرك وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحضرون القتال إلا كارهين وإن حضروه كانت أيديهم مع المسلمين وقلوبهم مع المشركين قاله قتادة.

الثاني: لا يشهدون القتال إلا رياء وسمعة، قاله السدي، وقد حكي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إنما قل لأنه كان لغير الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أشحة بالخير، قاله مجاهد.

الثاني: بالقتال معكم، قاله ابن كامل.

الثالث: بالغنائم إذا أصابوها، قاله السدي.

الرابع: أشحة بالنفقة في سبيل الله، قاله قتادة.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إذا جاء الخوف من قتال العدو إذا أقبل، قاله السدي.

الثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب، قاله ابن شجرة.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيكَ﴾ خوفاً من القتال على القول الأول، ومن النبي ﷺ على القول الثاني.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيهِ مِنَ ٱلْمَوتِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تدور أعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.

الثاني: تدور أعينهم لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٥١) وفي الدر (٦/٥٨٠) والطبري (٢١/١٣٩) [قد بلغ بك].

أحدهما: أي رفعوا أصواتهم عليكم بألسنة حداد أي شديدة ذربة، ومنه قول النبي ﷺ[٤٥٢] «لَعَنَ ٱللَّهُ السَّالِقَةَ وَالخَارِقَةَ والحَالِقَةَ» يعني بالسالقة التي ترفع صوتها بالنياحة والخارقة التي تخرق ثوبها في المصيبة وبالحالقة التي تحلق شعرها.

الثاني: معناه آذوكم بالكلام الشديد. والسلق الأذى، قاله ابن قتيبة. قال الشاعر:

ولقد سلقن هوازنا ... بنواهلٍ حتى انحنينا

وقال الخليل: سلقته باللسان إذا أسمعته ما يكره وفي سلقهم بألسنةٍ حداد وجهان:

أحدهما: نزاعاً في الغنيمة، قاله قتادة.

الثاني: جدالاً عن أنفسهم، قاله الحسن.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على قسمة الغنيمة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: على المال ينفقونه في سبيل الله، قاله السدي.

الثالث: على النبي ﷺ بظفره.

﴿أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ يعني بقلوبهم.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني حسناتهم أن يثابوا عليها لأنهم لم يقصدوا وجه الله تعالى بها.

---

(٤٥٢) حديث ليس منا من حلق وخرق وسلق.

والذي ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً لعن رسول الله من حلق أو خرق أو سلق. رواه ابن حبان برقم (٣١٤٤).

وله شاهد من حديث أبي أمامة رواه أيضاً برقم (٣١٤٦) ولفظه أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٠٩٢.
وورد الحديث بلفظ أنا بريء.

رواه البخاري (٣٢٦/١) ومسلم (٧٠/١) وأبو عوانة (٥٧/١) وأبو داود (٣١٣٠) والنسائي (٢٦٣/١) وابن ماجه (١٥٨٦) وابن أبي شيبة (١٠٧/٤) والبيهقي (٦٤/٤) وأحمد (٣٩٦/٤، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٦) وابن حبان (٣١٣٩).

وورد من حديث ابن مسعود مرفوعاً بلفظ ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب (ودعا بدعوى الجاهلية وهو في الصحيحة وغيرها.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وكان نفاقهم على الله هيناً.

الثاني: وكان إحباط عملهم على الله هيناً.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ يعني أن المنافقين يحسبون أبا سفيان وأحزابه من المشركين حين تفرقوا عن رسول الله ﷺ مغلوبين لم يذهبوا عنه وأنهم قريب منهم ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا على ذلك لبقاء خوفهم وشدة جزعهم.

الثاني: تصنعاً للرياء واستدامة التخوف.

﴿وَإِنَ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه من المشركين.

﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي يود المنافقون لو أنهم في البادية مع الأعراب حذراً من القتل وتربصاً للدوائر.

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ أي عن أخبار النبي ﷺ وأصحابه يتحدثون: أما هلك محمد وأصحابه، أما غلب أبو سفيان وأحزابه.

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَا قَاتَلُواْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا كرهاً.

الثاني: إلا رياءً.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي مواساة عند القتال، قاله السدي.

الثاني: قدوة حسنة يتبع فيها. والأسوة الحسنة المشاركة في الأمر يقال هو مواسيه بماله إذا جعل له نصيباً.

وفي المراد بذلك وجهان:

أحدهما: الحث على الصبر مع النبي ﷺ في حروبه.

الثاني: التسلية لهم فيما أصابهم فإن النبي ﷺ شُج و كُسِرَت رباعيته وقتل عمه حمزة.

﴿لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر، قاله ابن عيسى.

الثاني: لمن كان يرجو الله بإيمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، قاله ابن جبير.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أي استكثر من العمل بطاعته تذكراً لأوامره.

الثاني: أي استكثر من ذكر الله خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه واختلف فيمن أريد بهذا الخطاب على قولين:

أحدهما: المنافقون عطفاً على ما تقدم من خطابهم.

الثاني: المؤمنون لقوله: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ﴾

واختلف في هذه الأسوة بالرسول هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب على قولين:

أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب.

ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ. . .﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: أن الله وعدهم في سورة البقرة فقال ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية. فلما رأواْ أحزاب المشركين يوم الخندق ﴿قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قاله قتادة.

الثاني: ما رواه كثير بن عبدالله بن عمرو المزني عن أبيه(٤٥٣) عن جده قال خطب رسول الله ﷺ عام ذكرت الأحزاب فقال: «**أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيهَا يَعْنِي قُصُورِ الحِيرَةِ وَمَدَائِنِ كِسرَىٰ فَأَبْشِرُوا بِالنَّصْرِ**»، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صادق إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون ﴿**هَذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ الآية.

﴿**. . . إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلا إيماناً وتسليماً للقضاء، قاله الحسن.

الثاني: إلا إيماناً بما وعد الله وتسليماً لأمر الله.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم بايعوا الله على ألا يفرُّوا، فصدقوا في لقائهم العدو يوم أحد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنهم قوم لم يشهدوا بدراً فعاهدوا الله ألا يتأخروا عن رسول الله ﷺ في حرب يشهدها أو أمر بها، فوفوا بما عاهدوا الله عليه، قاله أنس بن مالك.

﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فمنهم من مات ومنهم من ينتظر الموت، قاله ابن عباس ومنه قول بشر بن أبي خازم:

قضى نحب الحياة وكلُّ حي إذا يُدْعى لميتته أجابا

(٤٥٣) سنده ضعيف لضعف كثير بن عبدالله المزني وقد قال الإمام الشافعي عنه: ركن من أركان الكذب.

وقد صحت أحاديث أخرى تدل على ظهور المسلمين على ملك فارس والروم وقد وقعت كما أخبر رسول الله ﷺ بعد موته. منها حديث إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وقد فتح المسلمون المدائن في وقعة القادسية والروم في وقعة اليرموك.

الثاني: فمنهم من قضى عهده قتل أو عاش، ومنهم من ينتظر أن يقضيه بقتال أو صدق لقاء، قاله مجاهد.

الثالث: فمنهم من قضى نذره ومنه قول الراعي:

حتى تحنّ إلى ابن أكرمها حسباً وكن منجز النحب

فيكون النحب على التأويل الأول الأجل، وعلى الثاني العهد، وعلى الثالث النذر.

﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما غيروا كما غير المنافقون، قاله ابن زيد(٤٥٤).

الثاني: ما بدلوا ما عاهدوا الله عليه من الصبر ولا نكثوا بالفرار، وهذا معنى قول الحسن.

قوله: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الذين صدقوا لما رأواْ الأحزاب ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية.

الثاني: الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من قبل فثابوا ولم يغيروا.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعذبهم إن شاء ويخرجهم من النفاق(٤٥٥) إن شاء، قاله قتادة.

الثاني: يعذبهم في الدنيا إن شاء أو يميتهم على نفاقهم فيعذبهم في الآخرة إن شاء(٤٥٦)، قاله السدي.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال السدي يخرجهم من النفاق بالتوبة حتى يموتوا وهم تائبون.(٤٥٧).

---

(٤٥٤) وعبارة ابن زيد في الطبري (٢١/١٤٨) [لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون].

(٤٥٥) وتمام عبارة قتادة في الطبري (٢١/١٤٨) [من النفاق إلى الإيمان].

(٤٥٦) قال الحافظ ابن كثير (٣/٤٨٥) في قوله ﴿ويعذب المنافقين﴾ هم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان ولما كانت رحمته ورأفته هي الغالبة لغضبه قال ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

(٤٥٧) **فائدة**: إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ وهل يجوز ألا يشاء تعذيب المنافق فيقال ويعذبه إن شاء فالجواب إنما معنى ذلك ويعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء فيستوجبوا بذلك العذاب فالاستثناء انما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم أهـ. بتصرف من تفسير الطبري (٢١/١٤٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: غفوراً بالتوبة رحيماً بالهداية إليها.

الثاني: غفوراً لما قبل التوبة رحيماً لما بعدها.

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ يعني أبا سفيان وجموعه من الأحزاب.

﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بحقدهم.

الثاني: بغمّهم.

﴿لَمْ يَنَالُواْ خيراً﴾ قال السدي لم يصيبوا من محمد وأصحابه ظفراً ولا مغنماً.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه. حكى سفيان الثوري عن زيد عن مرة قال(٤٥٨) أقرأنا ابن مسعود هذا الحرف: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بعلي بن أبي طالب.

الثاني: بالريح والملائكة، قاله قتادة والسدي.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِياً﴾ في سلطانه. ﴿عَزِيزاً﴾ في انتقامه.

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾ هم بنو قريظة من اليهود ظاهروا أبا سفيان ومجموعة من الأحزاب على رسول الله ﷺ أي عاونوه والمظاهرة

---

(٤٥٨) نسبه في الدر (٦/ ٥٩٠) لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

هي المعاونة. وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوه فغزاهم بعد ستة عشر يوماً من الخندق قال قتادة نزل عليه جبريل وهو عند زينب بنت جحش يغسل رأسه فقال عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة فانهد إلى بني قريظة فإني قد قلعت أوتادهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال(٤٥٩) فسار إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى نزلوا على التحكيم في أنفسهم.

وفيمن نزلوا على حكمه قولان:

أحدهما: انهم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم أن يقتل مقاتلوهم ويسبى ذراريهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقال قومه: آثرت المهاجرين بالعقار علينا، فقال: إنكم ذوو عقار وليس للمهاجرين فكبّر رسول الله ﷺ وقال «**قُضِيَ فِيهِم**(٤٦٠) **بِحُكْمِ ٱللَّهِ**» قاله قتادة(٤٦١).

الثاني: أنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولم يحكموا سعداً لكن أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فقال: «**أَشِر عَلَيَّ فِيهِم**» فقال: لو وليتني أمرهم لقتلت مقاتليهم ولسبيت ذراريهم ولقسمت أموالهم فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ أَشَرتَ عَلَيَّ فِيهِم بِالَّذِي أَمَرَنِي ٱللَّهُ بِهِ**» وروي ذلك عن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبيه.

﴿**مِن صَيَاصِيهِمْ**﴾ من حصونهم قال الشاعر:(٤٦٢).

---

(٤٥٩) يعني تركهم في اضطراب وهياج واختلاط وتشتت من الأمر.

(٤٦٠) وفي الطبري (٢١/١٥٠) [قضى فيكم بحكم الله].

(٤٦١) رواه ابن هشام في السيرة (٢/٢٤٠) من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال..... الحديث.

قال الشيخ الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد (٣/١٣٤) مرسل صحيح.

قلت: ورواه الطبري (٢١/١٥٣).

وورد الحديث من مسند عائشة رضي الله عنها رواه أحمد (٦/١٤١، ١٤٢) وحسنه الحافظ في الفتح (١١/٤٣) والهيثمي في المجمع (٦/١٢٨) والألباني في السلسلة الصحيحة (برقم ٦٧).

وورد من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢ والحاكم (٢/١٢٤) وصححه ووافقه الذهبي والنسائي كما في العلو للذهبي وصححه الحافظ الذهبي هناك انظر مختصر العلو ص ٨٧ وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤٦٢) هو لعبد بن الحسحاس لكن في اللسان مادة صيص.

فأصبحت النسوان عقرى وأصبحت　　نساء تميم يبتدرْن الصياصيا.

وسميت بذلك لامتناعهم بها، ومنه سميت قرون البقر صياصي لامتناعها بها، وسميت شوكة الديك التي في ساقه صيصية.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ قال قتادة بصنيع جبريل بهم.

﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ حكى عطية القرظي أنهم عُرضوا على النبي[٤٦٣] ﷺ يوم بني قريظة فمن كان احتلم أو نبتت عانته قتل، فنظروا إليّ فلم تكن نبتت عانتي فتركت فقيل إنه قتل منهم أربعمائة وخمسين رجلاً وهم الذين عناهم الله بقوله ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ وسبى سبعمائة وخمسين رجلاً وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ وقال قتادة: قتل أربعمائة وسبى سبعمائة.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُم وَأَمْوَالَهُم﴾ يريد بالأرض النخل والمزارع، وبالديار المنازل وبالأموال المنقولة.

﴿وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنها مكة، قاله قتادة.

الثاني: خيبر، قاله السدي وابن زيد.

الثالث: فارس والروم، قاله الحسن.

الرابع: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عكرمة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قديرٌ، قاله ابن اسحاق.

الثاني: على ما أراد أن يفتحه من الحصون والقرى، قدير، قاله النقاش.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

فأصبحت الثيران غرقى....　　ووقع في فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٧٤).

فأصبحت الثيران صرعى....

(٤٦٣) رواه أبو داود (٤٤٠٤) والترمذي (١٥٨٤) والنسائي (٦/ ١٥٥) وابن ماجة (٢٥٤١) وأحمد في المسند (٥/ ٣١١) من طرق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي وقال الترمذي: حسن صحيح.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية.

وهذا أمر من الله لنبيه أن يخبر(٤٦٤) أزواجه. واختلف أهل التأويل في تخييره لهن على قولين:

أحدهما: خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن واختيار الآخرة فيمسكهن، ولم يخيرهن في الطلاق، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنه خيّرهن بين الطلاق أو المقام معه(٤٦٥)، وهذا قول عائشة رضي الله عنها وعكرمة والشعبي ومقاتل.

روى عبدالله(٤٦٦) بن أبي ثور عن ابن عباس قال: قالت عائشة(٤٦٧) رضي الله عنها: أنزلت آية التخيير فبدأني أول امرأة من نسائه، فقال «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً وَلَا عَلَيك أَلَّا تَعْمَلِي حَتَّى تَسْتأمِرِي أَبَوَيكِ**»، وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم تلا آية التخيير فقالت أفي هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل قولي. وقال سعيد بن جبير: إلا الحميرية فإنها اختارت نفسها.

واختلف في السبب الذي لأجله خير رسول الله ﷺ نساءه على خمسة أقاويل:

أحدها: لأن الله تعالى خير نبيه بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا وقال:(٤٦٨) «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ**

---

(٤٦٤) هذا خطأ من الناسخ والصواب أن يخير أزواجه والله أعلم.

(٤٦٥) وقد جمع الحافظ رحمه الله بينهما جمعاً حسناً في الفتح (٥٢١/١) قال «والذي يظهر الجمع بين القولين لأن أحد الأمرين ملزوم للآخر وكأنهن خُيِّرن بين الدنيا فيطلقهن وبين الآخرة فيمسكهن وهو مقتضى سياق الآية.

(٤٦٦) هذا خطأ هنا في اسم الراوي وصوابه «روى عبيدالله بن عبدالله بن أبي ثور وقد وقع الخطأ أيضاً في ابن كثير (٤٨٩/٣) فليصحح والتصحيح من البخاري وغيره.

(٤٦٧) هذه الرواية من هذا الطريق رواها ابن ابي حاتم كما افاد الحافظ في الفتح (٢٧٩/٩) ورواها البخاري (٢٧٨/٩) عن ابن عباس عن عمر وقد ورد عن عائشة من طريق أخرى رواها البخاري (٥٢٠/٨) ومسلم (رقم ١٤٧٥) والترمذي (٣٢٠٤) وابن جرير (١٥٨/٢١) وزاد السيوطي في الدر (٥٩٥/٦) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وقال الترمذي حسن صحيح وورد من حديث جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٤٦٨) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١١١/٤) من حديث أبي سعيد الخدري وفي

المَساكِين» فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخيير نسائه ليكنَّ على مثل حاله إن كان اختيارهن مثل ما اختاره. حكاه أبو القاسم الصيمري.

الثاني: لأنهن تغايرن عليه، فروت عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: حلف رسول الله ﷺ ليهجرنّنا شهراً فدخل عليّ بعد صبحة تسعة وعشرين، فقلت يا رسول الله: ألم تكن حلفت لتهجرنا شهراً؟ فقال: «**إن الشهر هكذا وهكذا وهكذا**، ثم خنس الإبهام، ثم قال يا عائشة: **إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً وَلاَعَلَيْكِ أَن لاَّ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوِيكِ**؟ وخشي حداثة سني(٤٦٩) قلت: وما ذاك؟ قال **أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكُنَّ**».

الثالث: أن أزواجه طالبنه وكان غير مستطيع فكان أوّلهن أم سلمة فسألته ستراً معلماً، فلم يقدر عليه، وسألته ميمونة حلة يمانية، وسألته زينب بنت جحش ثوباً مخططاً وهو البرد اليماني، وسألته أم حبيبة ثوباً سحولياً، وسألته حفصة ثوباً من ثياب مصر، وسألته جويرية معجزاً، وسألته سودة قطيفة جبيرية، وكل واحدة منهن طلبت نصيباً إلا عائشة لم تطلب شيئاً، فأمر الله تعالى بتخييرهن، حكاه النقاش.

الرابع: لأن أزواجه اجتمعن يوماً فقلن: نريد ما تريد النساء من الحلي والثياب حتى قال بعضهن: لو كنا عند غير النبي ﷺ إذن لكان لنا شأن وثياب وحلي، فأنزل الله تعالى آية التخيير، حكاه النقاش.

الخامس: لأن الله تعالى صان خلوة نبيه فخيرهن على ألا يتزوجن بعده، فلما أَجَبْنَ إلى ذلك أمسكهن. قال مقاتل بن حيان: قاله الحسن وقتادة: وكان تحته يومئذ

سنده أبو المبارك وهو مجهول كما في التقريب وفيه أيضاً يزيد بن سنان ضعفه الجمهور وقال البخاري فيه مقارب الحديث وللحديث شواهد من حديث أنس وأبي قتادة وعبادة بن الصامت وابن عباس ولهذا صحح الحديث العلامة العلائي وابن حجر الفقيه وحسنه الألباني انظر الإرواء (٣٦٣/٣) وأما هذه المسكنة التي سألها رسول الله من ربه هي بمعنى الإخبات والتواضع لا الفقر وقد نبه على ذلك غير واحد من العلماء منهم الإمام البيهقي كما نقله ابن حجر في التلخيص (ص ٢٢٥) وكذلك ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١١٥.

ومن هذا يتبين أن ما ذهب إليه العلامة المعلمي في تعليقه على الفوائد المجموعة من الحكم على الحديث بالوضع لا يصح بدعوى أن يخالف القرآن. (انظر ما كتبه في الفوائد ص ٢٤٢).

(٤٦٩) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥٩٦/٦) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢/٨) قال العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر لاحتمال أن لا يكون عندها من الملكة ما يدفع ذلك لعارض فإذا استشارت أبويها أوضحا لها ما في ذلك من المفسدة وما في مقابله من المصلحة» أهـ.

تسع سوى الحميرية، خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة، هؤلاء خمس من قريش، وكان تحته صفية بنت حيي بن أخطب الحميرية(٤٧٠)، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. فلما اخترنه والصبر معه على ما يلاقيه من شدة ورخاء عوضهن الله تعالى على صبرهن بأمرهن بأمرين:

أحدهما: بأن يجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ تعظيماً لحقوقهن وتأكيداً لحرمتهن.

الثاني: أن حظر عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال ﴿لَا يَحِلُّ لك النِّسَاءُ مِن بَعد..﴾ الآية. فكان تحريم طلاقهن مستداماً. وأما تحريم التزويج عليهن فقد كان ذلك لما كان النبي ﷺ في شدته وقلة مكنته.

ثم اختلف الناس بعد سعة الدنيا عليه هل أحل الله له النساء على قولين:

أحدهما: أنه كان تحريمه عليهن باقياً لأن الله تعالى جعله جزاء لصبرهن.

الثاني: أن الله تعالى أحل له النساء أن يتزوج عليهن عند اتساع الدنيا عليه، لأن علة التحريم الضيق والشدة، فإذا زالت زال موجبها. قالت عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له النساء، يعني اللاتي حظرن عليه، وقيل أن الناسخ لتحريمهن قوله عز وجل: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية.

فأما غير رسول الله ﷺ فلا يلزمهم تخيير نسائهم فإن خيروهن فقد اختلف الفقهاء في حكمهن على ثلاثة مذاهب:

أحدها: إن اخترن الزوج فلافرقة، وإن اخترن انفسهن كانت تطليقة رجعية، وهذا قول الزهري وعائشة والشافعي.

الثاني: إن اخترن الزوج فهي تطليقة وله الرجعة، وإن اخترن أنفسهن فهي تطليقة بائن والزوج كأحد الخطاب، وهذا قول عليّ رضي الله عنه.

الثالث: إن اخترن الزوج فهي تطليقة والزوج كأحد الخطاب، وإن اخترن أنفسهن فهي ثلاث ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا قول زيد بن ثابت(٤٧١).

(٤٧٠) وفي الطبري (٢١/١٥٧) والدر المنثور (٦/٥٩٧) [الخيبرية].

(٤٧١) ورجح العلامة الشوكاني الأول في فتح القدير (٤/٢٧٦) وقال عن القول الثالث «ليس له وجه».

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: الزنى، قاله السدي.

الثاني: النشوز وسوء الخلق، قاله ابن عباس.

﴿يُضَاعَفْ لَهَا(٤٧٢) الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. قاله قتادة.

الثاني: أنهما عذابان في الدنيا لعظم جرمهن بأذية رسول الله ﷺ.

قال مقاتل: حدّان في الدنيا غير السرقة.

وقال أبو عبيدة(٤٧٣) والأخفش: الضعفان أن يجعل الواحد ثلاثة، فيكون عليهن ثلاثة حدود لأن ضعف الواحد اثنان فكان ضِعْفا الواحد ثلاثة.

وقال ابن قتيبة: المراد بالضعف المثل فصار المراد بالضعفين المثلين.(٤٧٤)

وقال آخر: إذا كان ضعف الشيء مثليه وجب أن يكون ضعفاه أربعة أمثاله.

قال سعيد بن جبير: فجعل عذابهن ضعفين، وجعل على من قذفهن الحد ضعفين.

---

(٤٧٢) **فائدة** واعلم أن الشرط المذكور في الآية لا يقتضي الوقوع وذلك كقوله **﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾** [الزخرف: ٨١].

وقوله عن الأنبياء **﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾** الأنعام: ١٨ وقوله **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لإن أشركت ليحبطن عملك﴾** [الزمر: ٦٥].

(٤٧٣) قال العلامة الشوكاني (٤/ ٢٧٦ فتح القدير) «قوله **﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾** أي يعذبهن مثلي عذاب غيرهن من النساء وإذا أتين بمثل تلك الفاحشة وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات.

(٤٧٤) واستضعف هذا القول العلامة ابن جرير في تفسيره (٢١/ ١٥٩) ونقل العلامة الشوكاني (٤/ ٢٧٦) عن النحاس قوله «وهذه التفرقة لا يعرفها أحد من أهل اللغة» يعني التفرقة بين يضاعف ويضعف في المعنى. بل معناهما واحد.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾ أي هيناً.

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي تُطِع الله ورسوله والقنوت الطاعة.

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾ أي فيما بينها وبين ربها.

﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَين﴾ أي ضعفين، كما كان عذابها ضعفين. وفيه قولان:

أحدهما: أنهما جميعاً في الآخرة.

الثاني: أن أحدهما في الدنيا والآخر في الآخرة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا، لكونه واسعاً حلالاً.

الثاني: في الآخرة وهو الجنة.

﴿كَرِيماً﴾ لكرامة صاحبه، قاله قتادة.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ﴾ قال قتادة: من نساء هذه الأمة.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ قال مقاتل: إنكن أحق بالتقوى من سائر النساء.

﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: معناه فلا ترققن بالقول.

الثاني: فلا ترخصن بالقول، قاله ابن عباس.

الثالث: فلا تُلِن القول، قاله الفراء.

الرابع: لا تتكلمن بالرفث، قاله الحسن. قال متمم.

ولستُ إذا ما أحدث الدهر نوبة ... عليه بزوّار القرائب أخضعا

الخامس: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب.

السادس: هو ما يدخل من كلام النساء في قلوب الرجال، قاله ابن زيد.

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شهوة الزنى والفجور، قاله عكرمة والسدي.

الثاني: أنه النفاق، قاله قتادة. وكان أكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.

﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: صحيحاً، قاله الكلبي.

الثاني: عفيفاً، قاله الضحاك.

الثالث: جميلاً.

قوله عزوجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئت على وجهين:

أحدهما: بفتح القاف، قرأها نافع وعاصم. وتأويلها اقررن في بيوتكن، من القرار في المكان.

الثانية: بكسر القاف(٤٧٥): قرأها الباقون. وتأويلها كن أهل وقار وسكينة.

﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلأُولَى﴾ وفيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح.

الثاني: كانت لهن مشية تكسرٍ وتغنج، فنهاهن عن ذلك، قاله قتادة، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال(٤٧٦) «المَائِلاتُ المُمِيلاَتُ: ٱللَّائِي يَسْتَمِلْنَ قُلُوبَ ٱلرِّجَالِ إِلَيهِنَّ».

الثالث: أنه كانت المرأة تمشي بين يدي الرجل، فذلك هو التبرج، قاله مجاهد.

---

(٤٧٥) الحجة في القراءات ص ٥٧٧ زاد المسير (٦/ ٣٧٩).

(٤٧٦) جزء من حديث رواه مسلم (٤/ ٢١٩٢ ـ ٢١٩٣) وأحمد (٢/ ٣٥٦ ـ ٤٤٠) والمؤلف رحمه الله قد فسر هذه اللفظة.

الرابع: هو أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشده ليواري قلائدها وعنقها وقرطها، ويبدو ذلك كله منها، فذلك هو التبرج. قال مقاتل بن حيان.

الخامس: أن تبدي من محاسنها ما أوجب الله تعالى عليها ستره، حكاه النقاش وأصله من برج العين وهو السعة فيها.

وفي ﴿ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الشعبي وابن أبي نجيح.

الثاني: زمان إبراهيم، قاله مقاتل والكلبي، وكانت المرأة في ذلك الزمان تلبس درعاً مفرجاً ليس عليها غيره وتمشي في الطريق، وكان زمان نمرود.

الثالث: أنه ما بين آدم ونوح عليهما السلام ثمانمائة سنة، وكان نساؤهم أقبح ما تكون النساء، ورجالهم حسان، وكانت المرأة تريد الرجل على نفسها، فهو تبرج الجاهلية الأولى: قاله الحسن.

الرابع: أنه ما بين نوح وإدريس(٤٧٧). روى عكرمة عن ابن عباس أن الجاهلية الأولى كانت ألف سنة. وفيه قولان:

أحدهما: أنه كانت المرأة في زمانها تجمع زوجاً وخلما، والخلم الصاحب، فتجعل لزوجها النصف الأسفل ولخلمها نصفها الأعلى، ولذلك يقول بعض الخلوم:

فهل لك في البدال أبا خبيب فأرضى بالأكارع والعجُوز

الثاني: وهو مبدأ الفاحشة، وهو أن بطنين من بني آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، وأن إبليس اتخذ لهم عيداً فاختلط أهل السهل بأهل الجبل فظهرت الفاحشة فيهم، فهو تبرج الجاهلية الأولى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وفي الرجس ها هنا ستة أقاويل:

أحدها: الإثم، قاله السدي.

الثاني: الشرك، قاله الحسن.

(٤٧٧) أورده الحافظ في الفتح (٨/٣٨١) من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقال إسناده قوي.

الثالث: الشيطان، قاله ابن زيد.

الرابع: المعاصي.

الخامس: الشك.

السادس: الأقذار.

وفي قوله تعالى ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ـ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم[٤٧٨]، قاله أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهم.

الثاني: أنه عنى أزواج النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس وعكرمة.

الثالث: أنها في الأهل والأزواج، قاله الضحاك.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من الإثم، قاله السدي.

الثاني: من السوء، قاله قتادة.

الثالث: من الذنوب، قاله الكلبي. ومعانيها متقاربة.

وفي تأويل هذه الآية لأصحاب الخواطر ثلاثة أوجه:

أحدها: يذهب عنكم رجس الأهواء والتبرج ويطهركم من دنس الدنيا والميل إليها.

الثاني: يذهب عنكم رجس الغل والحسد، ويطهركم بالتوفيق والهداية.

الثالث: يذهب عنكم رجس البخل والطمع ويطهركم بالسخاء والإيثار. روى أبو ليلى الكندي عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو في بيتها على منام له، عليه كساء خيبري.

قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ ٱللَّهِ﴾ قال قتادة القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: السنة[٤٧٩]، قاله قتادة.

الثاني: الحلال والحرام والحدود، قاله مقاتل.

---

(٤٧٨) وفي ذلك أحاديث كثيرة مشهورة منها حديث الكساء رواه الترمذي وصححه وقد أورد الحافظ ابن كثير طائفة من الأحاديث في فضائل أهل البيت راجعها في التفسير (٣/٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٤٧٩) وهو الصواب ولا ينافيه القول الثاني فإن السنة تشتمل على أحكام الحلال والحرام أيضاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ قال عطية العوفي: لطيفاً باستخراجها خبيراً بموضعها.

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواه يحيى بن عبدالرحمن عن أم سلمة قالت: (٤٨٠) يا رسول الله ما للرجال يذكرون في القرآن ولا تذكر النساء؛ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ﴾ ـ الآية وفيها قولان:

أحدهما: يعني بالمسلمين والمسلمات المتذللين والمتذللات. وبالمؤمنين والمؤمنات المصدقين والمصدقات.

الثاني: أنهما في الدين، فعلى هذا في الإسلام والإيمان قولان:

أحدهما: أنهما واحد في المعنى وإن اختلفا في الأسماء(٤٨١).

الثاني: أنهما مختلفان على قولين:

أحدهما: أن الإسلام الإقرار باللسان، والإيمان التصديق به، قاله الكلبي.

---

(٤٨٠) تقدم تخريجه في سورة النساء عند قوله تعالى ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ ونزيد هنا أن الحاكم رواه (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

ورواه ابن جرير (٢٢/ ١٠) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات... الحديث.

(٤٨١) والتحقيق أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فإذا ذكر الإيمان والإسلام في حديث أو آية فسر الأول بالاعتقادات الباطنة وفسر الثاني بالاعمال الظاهرة. وإذا ذكر الإسلام مفرداً دخل فيه الإيمان وكذا العكس وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إثبات هذه المسألة في كتابه الفذ الإيمان فراجعه فإنه لا نظير له في بابه.

الثاني : أن الإسلام هو اسم الدين والإيمان هو التصديق به والعمل عليه .

﴿وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المطيعين والمطيعات ، قاله ابن جبير .

الثاني : الداعين والداعيات .

﴿وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الصادقين في إيمانهم والصادقات ، قاله ابن جبير .

الثاني : في عهودهم .

﴿وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على أمر الله ونهيه ، قاله ابن جبير .

الثاني : في البأساء والضراء .

﴿وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : المتواضعين والمتواضعات ، قاله ابن جبير .

الثاني : الخائفين والخائفات : قاله يحيى بن سلام وقتادة .

الثالث : المصلين والمصليات ، قاله الكلبي .

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المتصدقين والمتصدقات بأنفسهم في طاعة الله .

الثاني : بأموالهم . ثم فيه وجهان :

أحدهما : المؤدين الزكوات المفروضات .

الثاني : المتطوعين بأداء النوافل بعد المفروضات ، قاله ابن شجرة .

﴿وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الإمساك عن المعاصي والقبائح .

الثاني : عن الطعام والشراب وهو الصوم الشرعي . وفيه وجهان :

أحدهما : صوم الفرض .

الثاني : شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر ، قاله ابن جبير . وروي عن النبي ﷺ أنه قال[٤٨٢] «صَومُ الشَّهْرِ وَثَلاَثَةُ أَيَّامٍ يُذْهِبْنَ وَغْرَ الصَّدْرِ» .

﴿وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَٱلْحَافِظَاتِ﴾ فيه وجهان :

(٤٨٢) جزء من حديث رواه مسدد مرسلاً عن مجاهد كما نقله الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٣٠٣) =

أحدهما: عن الفواحش.

الثاني: أنه أراد منافذ الجسد كلها فيحفظون أسماعهم عن اللغو والخنا، وأفواههم عن قول الزور وأكل الحرام. وفروجهم عن الفواحش.

﴿وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ﴾ فيهم ثلاثة أوجه:

أحدها: باللسان قاله يحيى بن سلام.

الثاني: التالون لكتابه، قاله ابن شجرة.

الثالث: المصلين والمصليات، حكاه النقاش.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ لعملهم، قاله ابن جبير، قال قتادة: وكانت هذه الآية أول آية نزلت في النساء فذكرن بخير.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها نزلت في زينب بنت جحش خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله بن جحش وأنهما ولدا عمة رسول الله ﷺ أمهما أميمة بنت عبد المطلب وأن زيداً كان بالأمس عبداً فنزلت هذه الآية فقالت: أمري بيدك يا رسول الله فزوجها به، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. قال مقاتل: ساق إليها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً من طعام وعشرة أمداد من تمر.

الثاني: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ قال «قَدْ قَبِلْتُ» فزوجها زيد بن حارثة فسخطت

= ونقل محقق المطالب عن البوصيري قوله رواه مسدد مرسلاً والنسائي مرفوعاً من حديث أبي هريرة اهـ وقلت ولفظه في النسائي (٤/٢٠٤) أمرني رسول الله ﷺ بركعتي الضحى وأن لا أنام إلا على وتر وصيام ثلاثة أيام من الشهر.

هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

﴿وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ فيه قولان:

أحدهما: فقد جار جوراً مبيناً، قاله ابن شجرة.

الثاني: فقد أخطأ خطأً طويلاً، قاله السدي ومقاتل.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ قال قتادة والسدي وسفيان هو زيد بن حارثة وفيه وجهان: (٤٨٣)

أحدهما: أنعم الله عليه لمحبة رسوله وأنعم الرسول عليه بالتبني.

الثاني: أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم عليه الرسول ﷺ بالعتق.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعني زينب بنت جحش، قاله الكلبي، أتى النبي ﷺ منزل زيد زائراً فأبصرها قائمة فأعجبته فقال: «سُبْحَانَ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ» فلما سمعت زينب منه ذلك جلست قال أبو بكر بن زياد: وجاء زيد إلى قوله فذكرت له ذلك فعرف أنها وقعت في نفسه فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كِبْراً وإنها لتؤذيني بلسانها فقال له رسول الله ﷺ «ٱتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» وفي قلبه ﷺ غير ذلك.

﴿وَتُخْفي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

---

(٤٨٣) وهذا الوجه ليس بشيء وفيه نسبة ما لا يليق بجناب رسول الله ﷺ وقد ورد في ذلك آثار كلها لا تصلح فهي إما مراسيل أو منقطعات لا حجة فيها ولهذا قال الحافظ في الفتح (٣٨٤/٨): وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين ولا ينبغي التشاغل بها» اهـ ولنا في إبطال هذه الآثار المشار اليها رسالة بعنوان «سل الحسام لنصرة خير الأنام» يسر الله طبعها.

أحدها: أن الذي أخفاه في نفسه ميله إليها.

الثاني: إشارة لطلاقها، قاله ابن جريج.

الثالث: أخفى في نفسه إن طلقها زيد تزوجها.

الرابع: أن الذي أخفاه في نفسه أن الله أعلمه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، قاله الحسن(٤٨٤).

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن نبي الله خشي قالة الناس، قاله قتادة.

الثاني: أنه خشي أن يبديه للناس فأيّد الله سره، قاله مقاتل بن حيان.

قال الحسن: ما نزلت على النبي ﷺ آية أشد عليه منها.

وقال عمر بن الخطاب: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية التي أظهرت غيبه.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الوطر الأرب المنتهي وفيه هنا قولان:

أحدهما: أنه الحاجة، قاله مقاتل.

الثاني: أنه الطلاق، قاله قتادة.

قال يحيى بن سلام: فدعا رسول الله ﷺ زيد فقال له «آئتِ زَينبَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ آللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ زَوَّجَنِيهَا» فانطلق زيد فاستفتح الباب فقالت من هذا؟ فقال: زيد قالت: وما حاجة زيد إليّ وقد طلقني؟ فقال إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ ففتحت له فدخل عليها وهي تبكي فقال زيد: لا أَبْكَىٰ الله لَكِ عيناً قد كنت نعمت المرأة إن كنت لتبرين قسمي وتطيعين أمر الله وتشبعين مسرتي فقد أبدلك الله خيراً مني فقالت: من لا أبا لك؟ قال: رسول الله ﷺ فخرت ساجدة لله تعالى قال الضحاك: فتزوجها رسول الله ﷺ وكان يومئذ في عسرة فأصدقها قِرْبَةً وعَبَاءَةً

---

(٤٨٤) وهو الصواب مر القول في ذلك وقد رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي رحمه الله وصحح الأثر الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٣٨٤) وقال: «والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمرلا أبلغ في الإبطال منه وهو التزوج امراة الذي يدعي ابناً ووقوع ذلك من إمام المسلمين يكون أدعى لقبولهم إنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم ا هـ.

ورحى اليد ووسادة حَشْوُهَا ليف وكانت الوليمة تمراً وسُوَيقاً. قال أنس فجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن(٤٨٥). قال قتادة: (٤٨٦): فكانت تفخر على نساء النبي ﷺ تقول أنتن زوجكن آباؤكن وأما أنا فزوجني ربُّ العرش تبارك وتعالى.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾ حكى ابن سلام أن المشركين قالوا للنبي ﷺ زعمت أن حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد فقال الله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ أي أن زيداً دعيٌّ وليس بابن من الصلب فلم يحرم نكاح زوجته.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفعُولاً﴾ أي كان تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش حكماً لازماً وقضاء واجباً، ومنه قول الشاعر:

حتى إذا نزلت عجاجة فتنة ... عمياء كان كتابها مفعولاً

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: فيما أحله الله له من تزويج زينب بنت جحش، قاله مقاتل.

الثاني: التي وهبت نفسها للنبي إذ زوجها الله إياه بغير صداق ولكن النبي ﷺ قد تطوع عليها وأعطاها الصداق، قاله الحسن.

الثالث: في أن ينكح من شاء من النساء وإن حرم(٤٨٧) على أمته اكثر من أربع لأن اليهود عابوه بذلك، قاله الضحاك.

---

(٤٨٥) رواه مسلم (١٠٤٨/٢) وزاد السيوطي في الدر (٦١٢/٦) نسبته لابن سعد وأبي يعلى وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه وغيرهم.

(٤٨٦) رواه البخاري (٢٤٨/١٣) وغيره من حديث أنس ولفظه كانت زينب تفتخر على أزواج النبي تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

(٤٨٧) وذلك لحديث غيلان بن أسلم حينما أسلم وكان تحته عدة من النساء فقال له النبي ﷺ «أمسك أربعاً وفارق سائرهن».

قال الطبري: نكح رسول الله خمس عشرة، ودخل بثلاث عشرة، ومات عن تسع، وكان يقسم لثمان.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ السنة الطريقة المعتادة أي ليس على الأنبياء حرج فيما أحل الله لهم كما أحل لداود مثل هذا في نكاح من شاء وفي المرأة التي نظر إليها(٤٨٨) وتزوجها ونكح مائة امرأة وأحل لسليمان ثلاثمائة(٤٨٩) امرأة وسبعمائة سُرِّية.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فعلاً مفعولاً، قاله الضحاك.

الثاني: قضاء مقضياً وهو قول الجمهور. وكانت زينب إذا أراد رسول الله ﷺ سفراً تصلح طعامه وهي أول من مات من أزواجه في خلافة عمر رضي الله عنه وهي أول امرأة حملت على نعش لأن عمر قال حين ماتت: واسوأتاه تحمل أم المؤمنين مكشوفة كما يحمل الرجال فقالت أسماء بنت عميس: يا أمير المؤمنين إني قد كنت شاهدت في بلاد الحبشة شيئاً فيه للمرأة صيانة ووصفته له فأمر بعمله فلما رآه قال: نِعم خباء الظعينة.

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني زيد بن حارثة فإن المشركين قالوا إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأكذبهم الله بقوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُم﴾ أي لم يكن أباً لزيد.

---

(٤٨٨) وهذه القصة لا تصح ولنا في إبطالها رسالة بعنوان «الشهاب المرصود على من اتهم النبي داود» وسنتكلم على إبطالها في سورة ص بشيء من التفصيل فإلى هناك والله المستعان وعليه التكلان.

(٤٨٩) والذي في صحيح البخاري (٦/ ٣٣٠) من حديث ابي هريرة مرفوعاً «قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً»

وفي بعض الروايات تسعين وعند مسلم سبعين وعند النسائي مائة فالمذكور هنا شيء مبالغ فيه جداً راجع الفتح (٦/ ٣٣١).

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعني آخرهم وينزل عيسى فيكون[٤٩٠] حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيقتل الدجال ويكسر الصليب وقد روى نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرجَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِن ثَلَاثِين كُلُّهم يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلا نَبِيَّ بَعْدِي**» [٤٩١] قال مقاتل بن سليمان ولم يجعل محمداً أبا أحد من الرجال لأنه لو جعل له ابناً لجعله نبياً وليس بعده نبي قال الله ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ۝٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ فيه قولان:

أحدهما: اذكروه بالقلب ذكراً مستديماً يؤدي إلى طاعته واجتناب معصيته.

الثاني: اذكروا الله باللسان ذكراً كثيراً، قاله السدي. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ [٤٩٢]: «**مَن عَجزَ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَجَبُنَ عَنِ العَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَبَخِلَ بِالمَالِ أَنْ يُنفِقَهُ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**» وفي ذكره هنا وجهان:

أحدهما: الدعاء له والرغبة إليه، قاله ابن جبير.

الثاني: الإقرار له بالربوبية والاعتراف له بالعبودية.

قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ قال قتادة صلاة: الصبح والعصر، قال الأخفش: والأصيل ما بين العصر والليل. وقال الكلبي: الأصيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وفي التسبيح هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه التسبيح الخاص الذي هو التنزيه.

---

(٤٩٠) يعني حاكماً بالشريعة الإسلامية عدلاً في حكمه.

(٤٩١) جزء من حديث رواه أحمد (٥/٢٧٨) وأبو داود (٤/٤٥١ ـ ٤٥٢) والترمذي (٢٢٠٢)، (٢٢٢٩) وابن ماجه (٢٢١٩) و(٣٩٥٢) والحاكم (٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤٩٢) لم اهتد إلى تخريجه والله أعلم.

الثاني: أنه الصلاة.

الثالث: أنه الدعاء، قاله جرير.

فلا تنس تسبيح الضُّحى إن يونسا ... دعا ربه فانتاشه حين سبحا.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُم وَمَلآئِكَتُهُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ثناؤه، قاله أبو العالية.

الثاني: كرامته، قاله سفيان.

الثالث رحمته، قاله الحسن.

الرابع: مغفرته، قاله ابن جبير.

وفي صلاة الملائكة قولان:

أحدهما: أنه دعاؤهم، قاله أبو العالية.

الثاني: استغفارهم، قاله مقاتل بن حيان.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من الكفر إلى الإيمان، قاله مقاتل.

الثاني: من الضلالة إلى الهدى، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: من النار إلى الجنة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ
وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ
ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ قال ابن عباس شاهداً على أمتك ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار.

قوله: ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: إلى طاعة الله، قاله ابن عيسى.

الثالث: إلى الإسلام: قاله النقاش.

وفي قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: بأمره، قاله ابن عباس.

الثاني: بعلمه قاله الحسن.

الثالث: بالقرآن، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن سراج منير أي مضيء لأنه يُهْتدىٰ بـه، قالـه ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه الرسول كالسراج المنير في الهداية، قاله ابن شجرة، ومنه قول كعب بن زهير: (٤٩٣)

إن الرسول لنورٌ يستضاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سيوف الله مَسْلول

قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّه لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثواباً عظيماً، قاله الكلبي.

الثاني: أنه الجنة، قاله قتادة والكلبي. وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أنزل الله عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً.﴾ [الفتح: ١] الآيات فقال المسلمون هنيئاً لك يا رسول الله بما أعطاك الله فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما لنا يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾ قال مقاتل يريد بالكافرين من أهل مكة أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور السلمي وبالمنافقين من أهل المدينة عبد الله ابن أُبي وعبد الله بن سعد وطعمة بن أبيرق اجتمعوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد اذكر أن لآلهتنا شفاعة.

فقال الله: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ وفيه أوجه:

أحدها: دع ذكر آلهتهم أن لها شفاعة، قاله مقاتل.

الثاني: كف عن أذاهم وقتالهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال، قاله الكلبي.

الثالث: معناه اصبر على أذاهم. قاله قتادة وقطرب.

الرابع: هو قولهم زيد بن محمد وما تكلموا به حين نكح زينب. قاله الضحاك.

(٤٩٣) بيت من قصيدة كعب وقد تقدم الكلام عنها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ...﴾ الآية. أجمع أهل العلم أن الطلاق إن كان قبل المسيس والخلوة فلا عدة فيه وليس للمطلقة من المهر إلا نصفه إن كان لها مهر سُمِّي ولا رجعة للمطلق ولكنه كأحد الخطاب إن كان طلاقه دون الثلاث. وإن كان ثلاثاً حرمت عليه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. وقال عطاء وجابر بن زيد إذا طلق البكر ثلاثاً[فهي] طلقة(٤٩٤) واحدة وهو خلاف قول الجمهور.

وإن كان الطلاق بعد الخلوة وقبل المسيس ففي وجوب العدة وكمال المهر وثبوت الرجعة قولان:

أحدهما: وهو قول أبي حنيفة أن العدة قد وجبت والمهر قد كمل والرجعة قد ثبتت وأقام الخلوة مقام المسيس إلا أن يكونا في الخلوة مُحرمين أو صائمين أو أحدهما.

والقول الثاني: وهو مذهب الشافعي وهو المعول عليه من أقاويله أنه لا عدة ولا رجعة ولا تستحق من المهر إلا نصفه.

﴿.. فَمَتِّعُوهُنَّ وسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ معنى فمتعوهن أي متعة الطلاق بدلاً من الصداق لأن المطلقة قبل الدخول إذا كان لها صداق مسمى فليس لها متعة وإن لم يكن لها صداق مسمى فلها بدل نصف المسمى متعة تقوم مقام المسمى تختلف باختلاف الإعسار والإيسار وقدرها حماد بنصف مهر المثل وقال أبو عبد الله الزيدي أعلاها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ما له ثمن.

فأما المدخول بها ففي استحقاقها المتعة من الصداق قولان:

أحدهما: ليس لها مع استكمال الصداق متعة.

---

(٤٩٤) وفي إيقاع الطلاق الثلاث ثلاث بلفظ واحد خلاف بين العلماء راجع زاد المعاد (٦/٢٤١ ـ ٢٧٢).

الثاني : لها المتعة بالطلاق(٤٩٥) ولها الصداق بالنكاح .

وفي قوله : ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾ وجهان :

أحدهما : أنه دفع المتعة حسب الميسرة والعسرة ، قاله ابن عباس

الثاني : أنه طلاقها طاهراً من غير جماع ، قاله قتادة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني صداقهن وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أحل له لهذه الآية أزواجه الأول اللاتي كن معه قبل نزول هذه الآية قاله مجاهد. وأما إحلال غيرهن فلا لقوله ﴿لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنْ بَعْدُ﴾

الثاني : أنه أحل له بهذه الآية سائر النساء ونسخ به قوله ﴿لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنْ بَـعْدُ﴾ .

الثالث : أنه أحل بها من سماه فيها من النساء دون من لم يسمه من قوله .

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإماء.

﴿مِمَّا أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يعني من الغنيمة فكان من الإماء مارية أم ابنه إبراهيم ومما أفاء الله عليه صفية وجويرية أعتقهما وتزوج بهما .

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ﴾ قاله أُبي بن كعب ثم قال : ﴿ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فيه قولان :

(٤٩٥) ويشهد لهذا القول قوله تعالى ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ سورة البقرة : ٢٤١ .

أحدهما: يعني المسلمات.

الثاني: المهاجرات إلى المدينة. روى أبو صالح عن أم هانىء قالت[٤٩٦]: نزلت هذه الآية وأراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني لأني لم أهاجر واختلف في الهجرة على قولين:

أحدهما: أنها شرط في إحلال النساء لرسول الله ﷺ من غريبة وقريبة حتى لا يجوز أن ينكح إلا بمهاجرة.

الثاني: أنها شرط في إحلال بنات عمه وعماته المذكورات في الآية، وليست شرطاً في إحلال الأجنبيات.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ اختلف أهل التأويل هل كان عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها علي قولين:

أحدهما: لم تكن عنده امرأة وهبت نفسها له، وهو قول ابن عباس ومجاهد وتأويل من قرأ إن وهبت بالكسر محمول على المستقبل.

الثاني: أنه كانت عنده امرأة وهبت نفسها، وهو قول الجمهور وتأويل من قرأ بالفتح أن وهبت على الماضي. وكان ابن شجرة يذهب إلى أن تأويل من قرأ أن وهبت بالفتح أنه في امرأة بعينها متى وهبت نفسها حل له أن ينكحها، ومن قرأ بالكسر أنه في كل امرأة وهبت نفسها أنه يحل له أن ينكحها.

واختلف في التي وهبت نفسها له على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها أم شريك بنت جابر بن ضباب، وكانت امرأة صالحة، قاله عروة بن الزبير.

الثاني: أنها خولة بنت حكيم، وهذا قول عائشة رضي الله عنها.

الثالث: أنها ميمونة بنت الحارث، قاله ابن عباس[٤٩٧].

(٤٩٦) رواه ابن جرير (٢٢/٢٠) والترمذي (٢/١٥٣) والحاكم (٢/٢٤٠) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه إلامن هذا الوجه من حديث السدي وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/٦٢٨) لابن سعد وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي وغيرهم وكذا ابن أبي حاتم بنحوه كما في ابن كثير (٣/٤٩٩).

(٤٩٧) رواه النسائي كما في الفتح (٨/٣٨٦) قال الحافظ عن الأثر منقطع وأورده من وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف ويعارضه حديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له، اخرجه الطبري (٢٢/٣٢) واسناده حسن ا هـ.

الرابع: أنها زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. قاله الشعبي.

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها خالصة له إذا وهبت له نفسها أن ينكحها بغير أمر ولي ولا مهر. وليس ذلك لأحد من المؤمنين، قاله قتادة.

الثاني: أنها خالصة له إذا وهبت له نفسها أن لا يلزمه لها صداق وليس ذلك لغيره من المؤمنين، قاله أنس بن مالك وسعيد بن المسيب.

الثالث: أنها خالصة له أن يملك عقد نكاحها بلفظ الهبة وليس ذلك لغيره من المؤمنين، قاله الشافعي.

قوله عزوجل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِم فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فرضنا ألا تتزوج امرأة إلا بولي وشاهدين.

الثاني: فرضنا ألا يتجاوز الرجل أربع نسوة، وهذا قول مجاهد.

الثالث: فرضنا عليهم لهن النفقة عليهن والقسم بينهن. قاله بعض الفقهاء.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني أن يحللن له من غير عدد محصور ولا قسم مستحق ﴿لِكَيلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾؛ قاله ابن عيسى.

الثاني: إلى قوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ويشبه أن يكون قول يحيى بن سلام.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: تطلق من تشاء من نسائك وتمسك من تشاء منهن، قاله ابن عباس.

الثاني: تترك نكاح من تشاء وتنكح من تشاء، قاله الحسن.

الثالث: تعزل من شئت من أزواجك فلا تأتيها، وتأتي من شئت من أزواجك فلا

تعزلها، قاله مجاهد. ويدل على أن القَسم في هذا التأويل كان ساقطاً عنه.

الرابع: تؤخر من تشاء من أزواجك، وتضم إليك من تشاء منهن، قاله قتادة.

وروى منصور عن ابن رزين قال[٤٩٨]: بلغ بعض نسوة النبي ﷺ أنه يريد أن يخلي سبيلهن، فأتينه فقلن: لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك، فأرجأ منهن نسوة وآوى نسوة فكان ممن أرجأ جويرية وميمونة وأم حبيبة وصفية وسودة. وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما تشاء، وكان ممن آوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان قسمه في ماله ونفسه فيهن سواء.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ أي من ابتغيت فأويته إليك ممن عزلت أن تؤديه إليك.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فيهن وجهان:

أحدهما: فلا جناح عليك في من ابتغيت، وفي من عزلت. قاله يحيى بن سلام.

الثاني: فلا جناح في من عزلت أن تؤويه إليك، قاله مجاهد.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: إذا علمن أنه لا يطلقهن قرت أعينهن ولم يحزن.

الثاني: إذا علمن أنه لا يتزوج عليهن قرت أعينهن ولم يحزن. قاله قتادة.

الثالث: إذا علمن أن هذا من حكم الله تعالى فيهن مَرَّت أعينهن ولم يحزن. قاله قتادة.

الرابع: أنهن إذا علمن أن له ردهن إلى فراشه إذا اعتزلهن قرَّت أعينهن ولم يحزن، قاله مجاهد.

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾

قوله عز وجل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحل لك نساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله

(٤٩٨) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٣٥ أخرجه ابن أبي شيبة من رواية رزين وهذا مرسل ا هـ.

والدار الآخرة. قال ابن عباس وقتادة: وهن التسع صار مقصوراً عليهن وممنوعاً من غيرهن.

الثاني: لا يحل لك النساء من بعد الذي أحللنا لك بقولنا **﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾** إلى قوله **﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾**. الآية.

وكانت الإباحة بعد نسائه مقصورة على بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته المهاجرات معه، قاله أبي بن كعب.

الثالث: لا يحل لك النساء من غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات، ويحل ما سواهن من المسلمات(٤٩٩)، قاله مجاهد.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ولا أن تبدل بالمسلمات مشركات، قاله مجاهد.(٥٠٠)

الثاني: ولا تطلق زوجاتك لتستبدل بهن من أعجبك حسنهن، قاله الضحاك، وقيل التي أعجبه حسنها أسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن أبي طالب عنها.

الثالث: ولا أن تبدل بأزواجك زوجات غيرك فإن العرب كانوا في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم فيعطي أحدهم زوجته لرجل ويأخذ بها منه زوجته بدلاً منها، قاله ابن زيد.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ

---

(٤٩٩) قال الشوكاني (٢٦٣/٤) «وهذا القول فيه بعد لأنه يكون التقدير لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر».

(٥٠٠) قال الحافظ ابن كثير (٥٠٢/٣) فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه ا هـ.

ﭐللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ﭐللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ﭐللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو نضرة عن أنس(٥٠١) بن مالك أن النبي ﷺ مر بنساء من نسائه وعندهن رجال يتحدثون، فكره ذلك وكان إذا كره الشيء عُرف من في وجهه فلما كان العَشي خرج فصعد المنبر فتلا هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: غير منتظرين نضجه، قاله الضحاك ومجاهد.

الثاني: غَيْرَ متوقعين لحينه ووقته، قاله قتادة.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ﴾ فدل هذا على حظر الدخول بغير إذن.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ أي فاخرجوا، فدلّ على أن الدخول للأكل يمنع من المقام بعد الفراغ من الأكل.

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ..﴾ روى أبو قلابة عن أنس(٥٠٢) قال: لما أهديت إلى رسول الله ﷺ زينبُ بنت جحش وضع طعاماً ودعا قوماً فدخلوا وزينب مع رسول الله ﷺ، فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾

قوله عز وجل: ﴿.. فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ أن يخبركم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يأمركم به.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حاجة، قاله السدي.

الثاني: صحف القرآن، قاله الضحاك.

الثالث: عارية، قاله مقاتل. ومعانيها متقاربة.

---

(٥٠١) رواه البخاري (٨/٤٠٦، ٤٠٧) ومسلم (٢/١٠٥٠) وابن جرير (٢٢/٣٧) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٤٠) نسبته لأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٥٠٢) رواه الطبري من هذا الطريق (٢٢/٣٨) وسبق تخريجه بنحوه مطولاً في التعليق السابق.

﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ أمرن وسائر النساء بالحجاب عن أبصار الرجال وأمر الرجال بغض أبصارهم عن النساء.

وفي سبب الحجاب ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما رواه مجاهد عن عائشة(٥٠٣) رضي الله عنها قالت: كنت آكل مع رسول الله ﷺ حيساً في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت إصبعه إصبعي فقال عمر لو أُطَاعُ فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آيات الحجاب.

الثاني: ما رواه عروة بن الزبير عن عائشة(٥٠٤) رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إلى المباضع وهي صعيد أفيح يتبرزن فيه، وكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك يا رسول الله، فلم يكن يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي، وكانت امرأة طويلة فناداها بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً أن ينزل الحجاب قالت: فأنزل الله تعالى الحجاب.

الثالث: ما روى ابن مسعود أن عمر رضي(٥٠٥) الله عنه أمر نساء النبي ﷺ بالحجاب فقالت زينب بنت جحش: يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزلت الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُم وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أطهر لها من الريبة.

الثاني: أطهر لها من الشهوة.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾ حكى السدي أن رجلاً من قريش من بني تميم قال عند نزول الحجاب أيحجبنا رسول

(٥٠٣) رواه النسائي وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وصححه السيوطي في الدر (٦/٦٤٠) وقال الهيثمي (٧/٦٣) رواه الطبري في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

(٥٠٤) رواه الطبري (٢٢/٤٠) قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٠٥) هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه أحمد والبخاري ومسلم في حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ثم ساق الحديث بلفظ البخاري.

تنبيه: كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب المناصع والتصويب من البخاري وغيره.

(٥٠٥) رواه الطبري (٢٢/٤٠) من طريق عطاء بن السائب عن ابي وائل عن ابن مسعود وذكره السيوطي في الدر (٦/٦٤٢) من رواية ابن مردويه وقال الحافظ في الكشاف ص ١٣٧ رواه الثعلبي من رواية مجاهد عن الشعبي.

الله عن بنات عمنا ويتزوج نساءَنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية. ولتحريمه تعديهن لزمت نفقاتهن من بيت المال.

واختلف أهل العلم في وجوب العدة عليهن بوفاة رسول الله ﷺ عنهن على وجهين:

أحدهما: لا تجب عليهن العدة لأنها مدة تربص ينتظر بها الإباحة.

الثاني: تجب لأنها عبادة وإن لم تعقبها إباحة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا جناح عليهن في ترك الحجاب: قاله قتادة.

الثاني: في وضع الجلباب، قاله مجاهد.

﴿وَلَآ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ قال الشعبي لم[٥٠٦] يذكر العم لأنها تحل لابنه فيصفها له.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني النساء المسلمات دون المشركات، قاله مجاهد.

الثاني: أنه في جميع النساء.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الإماء دون العبيد، قاله سعيد بن المسيب.

الثاني: أنه عام في الإماء والعبيد. واختلف من قال بهذا فيما أبيح للعبد على قولين:

أحدهما: ما أبيح لذوي المحارم من الآباء والأبناء ما جاوز السرة وانحدر عن الركبة لأنها تحرم عليه كتحريمها عليهم.

---

(٥٠٦) وعكرمة أيضاً وخالف الجمهور قولهما والراجح قول الجمهور هو الصواب.

الثاني: ما لا يواريه الدرع من ظاهر بدنها، قاله إبراهيم. لأنه العبد وإن حرم في الحال فقد يستباح بالعتق في ثاني حال[٥٠٧]. وسبب نزول هذه الآية ما حكاه الكلبي أنه لما نزل في آية الحجاب ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراءِ حِجَابٍ﴾ قام الآباء والأبناء وقالوا يا رسول الله نحن لا نكلمهن أيضاً إلا من وراء حجاب، فنزلت هذه الآية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، قاله أبو العالية.

الثاني: أن صلاة الله تعالى عليه المغفرة له، وصلاة الملائكة الإستغفار له، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أن صلاة الله تعالى عليه رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء له، قاله الحسن، وهو معنى قول عطاء بن أبي رباح.

الرابع: أن صلاتهم عليه أن يباركوا عليه؟ قاله ابن عباس.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ روى عبد الرحمن بن أبي ليلى[٥٠٨] قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى. قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قُولُواْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ».

---

(٥٠٧) يعني بهذا أن العبد بعد عتقه لا يجوز للمرأة الظهور عليه لأنه صار أجنبياً فلا يحل لها أن تظهر شيء من بدنها أمامه في هذه الحال.

(٥٠٨) رواه البخاري (٨/٤١٠) ومسلم (١/٣٠٥) وابن جرير (٢٢/٤٣) واقتصر على صيغة التشهد والترمذي (٤٨٣) وأبو داود (٩٧٦) والنسائي (٣/٤٧) وابن ماجة (٩٠٤) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٤٧) نسبته لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن مردويه.

قال أبو العباس ثعلب: معنى قولنا اللهم صل على محمد أي زد محمداً بركة ورحمة، ويجري فيه التأويلات المذكورة.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: سلموا لأمره بالطاعة له تسليماً.

الثاني: وسلموا عليه بالدعاء له تسليماً أي سلاماً.

حكى مقاتل قال: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون فما لنا يا رسول الله؟ فنزلت ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَآئِكَتُهُ﴾ الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أصحاب التصاوير؛ قاله عكرمة.

الثاني: أنهم الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم قوم من المنافقين كانوا يكذبون على رسول الله ﷺ ويبهتونه قاله يحيى بن سلام.

وفي قوله: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه يؤذون أولياء الله.

الثاني: أنه جعل أذى رسوله ﷺ أذى له تشريفاً لمنزلته.

الثالث: هو ما روي عن النبي ﷺ(٥٠٩): «يَقُولُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَتَمَنِي ٱبْنُ آدَمَ وَمَا كَانَ يَنبَغِي لَهُ أَن يَشْتُمَنِي، وَكَذَّبَنِي وَمَا كَانَ لَهُ أَن يُكَذِّبَنِي فَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ إِنَّ لِيَ وَلَداً

---

(٥٠٩) رواه البخاري (٨/٥٦٨) من حديث أبي هريرة وكذا البغوي في شرح السنة (١/٨١) ورواه البخاري (٨/١٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.

وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ إِنِّي لَا أَبْعَثُ بَعدَ المَوتِ أحداً. وَلَعنَةُ الدُّنْيَا التَّقْتِيلُ وَالجَلاءُ، وَلَعْنَةُ الآخِرَةِ النَّارُ».

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية. فيمن نـزلت فيه هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في الزناة وكانوا يمشـون فيرون المـرأة فيغمزونهـا؛ قالـه الكلبي(٥١٠).

الثاني: نزلت في قوم كانوا يؤذون علياً رضي الله عنه، ويكذبون عليه. قاله مقاتل والنقاش.

الثالث: أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطل بالإفك، قاله الضحاك. وروى قتادة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٥١١) قرأها ذات ليلة فأفزعه ذلك حتى انطلق إلى أبيّ فقال يا أبا المنذر إني قرأت كتاب الله فوقعت مني كل موقع. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ والله إني لأعاقبهم وأضربهم، فقال: إنك لست منهم، إنما أنت مؤدب، إنما أنت معلم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿. . . يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الجلباب الرداء، قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: أنه القناع؛ قاله ابن جبير.

(٥١٠) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢٠٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون سند.

(٥١١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة كما في الدر (٦٥٧/٦).

الثالث: أنه كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، قاله قطرب.

وفي إدناء جلابيبهن عليهن قولان:

أحدهما: أن تشده فوق رأسها وتلقيه فوق خمارها حتى لا ترى ثغرة نحرها، قاله عكرمة.

الثاني: أن تغطي وجهها حتى لا تظهر إلا عينها اليسرى، قاله عَبيدة(٥١٢) السلماني.

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليعرفن من الإماء بالحرية.

الثاني: يعرفن من المتبرجات بالصيانة. قال قتادة: كانت الأمة إذا مرت تناولها المنافقون بالأذى فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الزناة، قاله عكرمة والسدي.

الثاني: أصحاب الفواحش والقبائح، قاله سلمة بن كهيل.

وفي قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ﴾ قولان:

أحدهما: عن إيذاء نساء المسلمين قاله الكلبي.

الثاني: عن إظهار ما في قلوبهم من النفاق، قاله الحسن وقتادة.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين يكاثرون النساء ويتعرضون لهن، قاله السدي.

الثاني: أنهم الذين يذكرون من الأخبار ما يضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين قاله قتادة.

الثالث: أن الإرجاف التماس الفتنة، قاله ابن عباس. وسميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها وإفاضة الناس فيها.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه لنسلطنك عليهم، قاله ابن عباس.

(٥١٢) رواه الطبري (٢٢/٤٩) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٦٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر وسنده صحيح صححه غير واحد من العلماء.

الثاني : لنعلمنك بهم ، قاله السدي .

الثالث : لنحملنك على مؤاخذتهم ، وهو معنى قول قتادة .

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل بالنفي عنها ، وقيل الذي استثناه ما بين قوله لهم اخرجوا وبين خروجهم .

قوله : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني سنته فيهم أن من أظهر الشرك قتل ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : سنته فيهم أن من زَنَىٰ حُد ، وهو معنى قول السدي .

الثالث : سنته فيهم أن من أظهر النفاق أبعد ، قاله قتادة .

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني تحويلاً وتغييراً ، حكاه النقاش .

الثاني : يعني أن من قتل بحق فلا دية له على قاتله ، قاله السدي .

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله : ﴿. . . إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ في السادة هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم الرؤساء (٥١٣)

الثاني : أنهم الأمراء ، قاله أبو أسامة .

الثالث : الأشراف ، قاله طاوس .

وفي الكبراء هنا قولان :

(٥١٣) قال الشوكاني في فتح القدير (٣٠٦/٤) «وفي هذا زجر عن التقليد شديد وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه ولكن لمن فهم معنى كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب .

أحدهما: أنهم العلماء، قاله طاووس.

الثاني: ذوو الأسنان، وهو مأثور.

﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾ يعني طريق الإيمان.

وفي قوله الرسولا والسبيلا وجهان:

أحدهما: لأنها مخاطبة يجوز مثل ذلك فيها عند العرب، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن الألف للفواصل في رؤوس الآي، قاله ابن عيسى. وقيل إن هذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً من قريش هم المطعمون يوم بدر.

قوله: ﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: عذاب الكفر وعذاب الإضلال.

﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ بالباء قراءة عاصم يعني عظيماً وقرأ الباقون(٥١٤) بالتاء يعني اللعن على اللعن.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَـالَّذِينَ أَذَوْاْ مُـوسَىٰ﴾ معناه لا تؤذوا محمداً فتكونوا كالذين آذوا موسى.

وفيما آذوا به رسوله محمد ﷺ قولان:

أحدهما: قولهم زيد بن محمد، حكاه النقاش.

الثاني: أن النبي ﷺ قسم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي ﷺ فغضب وقال(٥١٥) «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَىٰ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذا فَصَبِرَ» قاله أبو وائل.

وفيما أوذي به موسى عليه السلام ثلاثة أقاويل:

---

(٥١٤) الحجة في القراءات (٥٨٠)، زاد المسير (٦/٤٢٤).

(٥١٥) رواه البخاري (١٠/٤٢٦) ومسلم (١٠٦٢)(١٤١) وابن ابي حاتم كما في الدر (٦/٦٦٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أحدها: أن رَمَوهُ بالسحر والجنون.

الثاني: ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (٥١٦) «**إِنَّ مُوسَىٰ كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سَتِيراً لَا يَكَادُ يُرَىٰ مِن جَسَدِهِ شَـيءٌ يَسْتَحَيامِنْه فآذاهُ مَن آذاهُ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ إِلَّا مِن عَيبٍ بِجِلْدِهِ أَوْجِسْمِهِ، إِمَّا مِن بَرَصٍ وَإِمَّا آدرٌ أَوْ بِهِ آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا وَإِنَّ مُوسَىٰ خَلَا يوماً وَحْدَهُ فَوضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ثُمَّ آغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثَوبِهِ لِيَأْخُذَهُ وَإِنَّ ٱلْحَجَرَ عَدَا بِثِيَابِهِ فَطَلَبَهُ مُوسَىٰ فَانتَهَىٰ إِلَىٰ مَلَإٍ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرأَوهُ عُرْيَاناً كَأَحْسَنِ ٱلرِّجالِ خَلْقاً فَبَرَّأَهُ اللَّه مِمَّا قَالُوا**».

الثالث: ما رواه ابن عباس عن علي رضي الله عنه ان موسى صعد وهارون الجبل فمات هارون فقال بنوا إسرائيل أنت قتلته وكان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجلس بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته ثم دفنته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وأن الله جعله أصم أبكم ومات هارون قبل موسى في التيه ومات موسى قبل انقضاء مدة التيه بشهرين.

﴿**وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المقبول، قاله ابن زيد.

الوجه الثاني: لأنه مستجاب الدعوة قاله الحسن.

الثالث: لأنه ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إلا النظر، قاله ابن سنان. قال قطرب: والوجيه مشتق من الوجه لأنه أرفع الجسد.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

قوله: ﴿**وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً**﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: عدلاً، قاله السدي.

الثاني: صدقاً، قاله قتادة.

---

(٥١٦) رواه البخاري (١/٣٣٠) (٦/٣١٢) ومسلم (٣٣٩) والترمذي (٣٢١٩) والطبري (٢٢/٥٢) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٦٤) نسبته لابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق وعبد بن حميد وأحمد بن حنبل وقال الحافظ ابن كثير (٣/٥٢) وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وانت كما ترى قد رواه مسلم.

الثالث: صواباً، قاله ابن عيسى.

الرابع: هو قول لا إله إلا الله، قاله عكرمة.

الخامس: هو الذي يوافق ظاهره باطنه.

السادس: أنه ما أريد به وجه الله دون غيره.

ويحتمل سابعاً: أن يكون الإصلاح بين المتشاجرين وهو مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيه وجهان:(٥١٧)

أحدهما: يصلحها بالقبول.

الثاني: بالتوفيق.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣)﴾

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أن هذه الأمانة هي ما أمر الله سبحانه من طاعته ونهي عن معصيته، قاله أبو العالية.

الثاني: أنها القوانين والأحكام التي أوجبها الله على العباد وهو قريب من الأول، قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وابن جبير.

الثالث: هي ائتمان الرجال والنساء على الفروج، قاله أبي (٥١٨). وقيل إن أول

---

(٥١٧) رواه الطبري (٢٢/٥٢) وأحمد بن منيع وابن ابي حاتم وإسناده قوي كما قال الحافظ في الفتح (٨/٣٩٥) وقال «وما في الصحيح أصح من هذا ولكن لا مانع أن يكون للشيء سبباً فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة» قلت وقوله وما في الصحيح، يقصد الحديث السابق في التعليق السابق.

(٥١٨) رواه ابن جرير (٢٢/٥٥) بسند صحيح.

ما خلق الله من آدم الفرج فقال: «**يَا آدَمُ هَذِهِ أَمَانَةٌ خَبَّأْتُهَا عِنْدَكَ فَلَا تَلبسها(*) إِلَّا بِحَقٍ فَإِن حَفِظْتَهَا حَفِظْتُكَ.** »(٥١٩).

الرابع: أنها الأمانات التي يأتمن الناس(٥٢٠) بعضهم بعضاً عليها وأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله(٥٢١) وولده حين أراد التوجه إلى أمر ربه فخان قابيل الأمانة في قتل أخيه هابيل، قاله السدي.

الخامس: أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرونها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها قاله بعض المتكلمين.

وفي عرض هذه الأمانة ثلاثة أقاويل:

أحدها: ان عرضها هو الأمر بما يجب من حفظها وعظم المأثم في تضييعها. قاله بعض المتكلمين.

الثاني: الأمانة عورضت بالسموات والأرض والجبال فكانت أثقل منها لتغليظ حكمها فلم تستقل بها وضعفت عن حملها، قاله ابن بحر.

الثالث: أن الله عرض حملها ليكون الدخول فيها بعد العلم بها.

واختلف قائلو هذا على وجهين:

أحدهما: أنها عرضت على السموات والأرض والجبال، قاله ابن عباس، ومجاهد.

(*) هكذا بالأصل والذي في نوادر الاصول فلا تبسل منها شيئاً إلا بحقها والابسال هنا التصحيح وفيه انقطاع.

(٥١٩) وقد ورد هذا الحديث موقوفاً رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع رقم ١٣٣ وفيه انقطاع عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو فإن الأول لم يلق أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كما قال العلائي في التحصيل وعلاوة على ذلك فإن في سند الحديث أيضاً ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٥٢٠) وهذا التفسير هو تفسير لبعض الامانة لا كلها والتحقيق أن الامانة امانتان: امانة تتعلق بحق الله ورسوله وامانة تتعلق بحق العباد. فالأول كالصلاة والصيام وسائر الأعمال والاوامر الشرعية واتباع رسول الله ووجوب محبته وطاعته.

والثانية: كالعقود بين الناس والعهود التي لا تشتمل على معصية والودائع وحفظ الاسرار والبيع والشراء، وغير ذلك فالقول بعموم ذلك اشمل للنوعين وبه قال غير واحد من المفسرين ولنا في جمع ما قيل في تفسيرها رسالة بعنوان «طلب الاعانة في شرح حديث رفع الامانة» يسر الله طبعها.

(٥٢١) وقد ابطل الشوكاني هذا القول وشدد النكير عليه فراجعه في فتح القدير (٤/٣٠٨، ٣٠٩).

الثاني: أنها عرضت على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة قاله الحسن.

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أَبَينَ أن يحملنها عجزاً وأشفقن منها خوفاً.

الثاني: أبين أن يحملنها حذراً وأَشْفَقْنَ منها تقصيراً.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جميع الناس، قاله ثعلب.

الثاني: أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده، قاله الحسن. روي عن معمر عن الحسن أن الأمانة لما عرضت على السموات والأرض والجبال قالت: وما فيها؟ قيل لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقالت: لا. قال مجاهد: فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال: وما هي؟ قال: ﴿إن أَحْسَنْتَ آجَرْتُكَ وَإنْ أَسَأْتَ عَذَّبْتُكَ﴾ قال تحملتها يا رب. قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها إلى أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ظلوماً لنفسه، جهولاً بربه، قاله الحسن.

الثاني: ظلوماً في خطيئته، جهولاً فيما حَمَّلَ ولده من بعده، قاله الضحاك.

الثالث: ظلوماً لحقها، قاله قتادة. جهولاً بعاقبة أمره، قاله ابن جريج.

قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَـافِقَاتِ وَٱلْمُشْـرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـاتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعذبهم بالشرك والنفاق وهو معنى قول مقاتل.

الثاني: بخيانتهما الأمانة. قال الحسن: هما اللذان ظلماها، واللذان خاناها: المنافق، والمشرك.

﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي يتجاوز عنهم بأداء الأمانة والوفاء بالميثاق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ لمن تاب من شِرْكه ﴿رَحِيماً﴾ بالهداية إلى طاعته. والله أعلم.

سُورَةُ سَبَإٍ

ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

مكية في قول الجميع إلا آية منها في قول الضحاك والكلبي وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦] فإنها مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذي خلق ما في السموات وما في الأرض.

الثاني: الذي يملك ما في السموات وما في الأرض.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو حمد أهل الجنة من غير تَكْلِفٍ فسرورهم بحمده كقولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعْدَه، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، قاله ابن عيسى.

الثاني: يعني أن له الحمد في السموات وفي الأرضين لأنه خلق السموات قبل الأرضين فصارت هي الأولى، والأرضون هي الآخرة، حكاه النقاش.

الثالث: له الحمد في الآخرة على الثواب والعقاب لأنه عَدْل منه، قاله بعض المتأخرين.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ يعني الحكيم في أمره، الخبير بخلقه.

قوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما يلج في الأرض المطر، وما يخرج منها النبات، قاله الضحاك.

الثاني: ما يلج فيها الأموات، قاله الكلبي، وما يخرج منها كنوز الذهب والفضة والمعادن، حكاه النقاش.

الثالث: ما يلج فيها: البذور، وما يخرج منها: الزروع.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الملائكة تنزل من السماء وتعرج فيها، قاله السدي.

الثاني: وما ينزل من السماء: القضاء، وما يعرج فيها: العمل، وهو محتمل.

الثالث: ما ينزل من السماء: المطر، قاله الضحاك، وما يعرج فيها: الدعاء. وهو محتمل.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا
يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَواْ فِي ءَايَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن سعيهم فيها بالجحود لها، قاله الضحاك.

الثاني: بالتكذيب بها.

﴿مُعَاجِزِينَ﴾ وقرىء. ﴿مُعْجِزِينَ﴾ (٥٢٢) وفي تأويل معاجزين أربعة أوجه:
أحدها: مسابقين، قاله قتادة.
الثاني: مجاهدين(*)، قاله ابن زيد.
الثالث: مراغمين مشاقين، وهو معنى قول ابن عباس وعكرمة.
الرابع: أي لا يعجزونني هرباً ولا يفوتونني طلباً، وهو معنى قول الكلبي. وفي تأويل معجزين ثلاثة أوجه:
أحدها: مثبطين الناس عن اتباع الرسول، قاله مجاهد.
الثاني: مضعّفين لله أن يقدر عليهم، قاله بعض المتأخرين.
الثالث: معجزين من آمن وصَدَّقَ بالبعث بإضافة العجز إليه.
ويحتمل رابعاً: أنهم نسبوا المؤمنين إلى العجز عن الانتصار لدينهم إما بضعف الحجة وإما بقلة القوة.
﴿أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قال قتادة: الرجز هو العذاب الأليم.
قوله عز وجل: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهم قولان:
أحدهما: أصحاب محمد ﷺ قاله قتادة.
الثاني: أنهم المؤمنون من أهل الكتاب، قاله الضحاك.
﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ قال الحسن هو القرآن كله حق.
﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فيه قولان:
أحدهما: يهدي إلى دين الله وهو الإسلام، رواه النواس بن سمعان(٥٢٣) الأنصاري عن رسول الله ﷺ.
الثاني: إلى طاعة الله وسبيل مرضاته.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ

(٥٢٢) الحجة في القراءات ص ٥٨٢ وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو.
(*) هكذا في الاصول ولعله محرف من كلمة معاندين.
(٥٢٣) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة.

﴿فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني بالبعث.

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي يخبركم أنكم إذا متم فأكلتكم الأرض أو الطير حتى صرتم عظاماً ورفاتاً.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي تحشرون وتبعثون. قيل إن أبا سفيان ابن حرب قال هذا لأهل مكة، فأجاب بعضهم بعضاً.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي قائل هذا أن يكون كذاباً أو مجنوناً فرد الله تعالى عليهم قولهم هذا بأن قال:

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ﴾ العذاب في الآخرة، والضلال البعيد في الدنيا. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه البعيد من الهدى، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه الشقاء الطويل، قاله السدي.

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ألم ينظروا إلى السماء والأرض كيف أحاطت بهم؟ لأنك إن نظرت عن يمينك أو شمالك، أو بين يديك أو خلفك رأيت السماء والأرض، قاله قتادة، إذكاراً لهم بقدرة الله تعالى عليهم وإحاطتها بهم، لأنهم، لا يرون لأوليتهما ابتداء ولا لآخرتهما انتهاء، وإن بعدوا شرقاً وغرباً.

الثاني: يعني ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فمن أهلكهم الله تعالى من الأمم الماضية في أرضه ﴿وَمَا خَلْفَهُم﴾ من أمر الآخرة في سمائه، قاله أبو صالح.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني كما خسفنا بمن كان قبلهم.

﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الكسف العذاب قاله السدي.

الثاني: قطعاً من السماء ليعلموا أنه قادر على أن يعذب بسمائه إن شاء ويعذب بأرضه إن شاء، وكل خلقه له جند، قاله قتادة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه المجيب، قاله مجاهد وعطاء.

الثاني: أنه المقبل بتوبته، قاله قتادة، قال الشاعر:

أناب إلى قولي فأصبحت مرصداً ... له بالمكافأة المنيبة والشكر

الثالث: أنه المستقيم إلى ربه، وهو قول الضحاك.

الرابع: أنه المخلص للتوحيد، حكاه النقاش.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: النبوة.

الثاني: الزبور.

الثالث: فصل القضاء بالعدل.

الرابع: الفطنة والذكاء.

الخامس: رحمة الضعفاء.

السادس: حسن الصوت.

السابع: تسخير الجبال له والطير.

﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: سبحي معه، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: سيرى معه قاله الحسن وهو من السير ما كان في النهار كله أو في الليل كله، وقيل: بل هو سير النهار كله دون الليل.

الثالث: ارجعي إذا رجع، قال الشاعر: (٥٢٤).

يومان يوم مقاماتٍ وأنديةٍ ويوم سير إلى الأعداء تأويب.

أي رجوع بعد رجوع.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال قتادة كان يعمل به كما يعمل بالطين لا يدخله النار ولا يضربه بمطرقة.

ويحتمل وجهاً آخر أنه سهل له الحديد أن يعمل منه ما شاء وإن كان على جوهره وطبعه من قولهم قد لان لك فلان إذا تسهل عليك.

قوله عز وجل: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ أي دروعاً تامة، ومنه إسباغ النعمة إتمامها، قال الشاعر:

وأكثرهم دروعاً سابغات وأمضاهم إذا طعنوا سنانا

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عدِّل المسامير في الحلقة لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنفصم الحلقة، قاله مجاهد.

الثاني: لا تجعل حلقه واسعة فلا تقي صاحبها، قال قتادة: وكان داود أول من عملها، وكانت قبل ذلك صفائح.

وفي ﴿ٱلسَّرْدِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه النقب الذي في حلق الدرع، قاله ابن عباس، قال لبيد(٥٢٥):

وما نسجت أسراد داود وابنه مضاعفة من نسجه إذ يقاتل

الثاني: أنه المسامير التي في حلق الدرع، قاله قتادة، مأخوذ من قولهم: سرد الكلام يسرده إذا تابع بينه، ومنه قول النبي ﷺ: في الأشهر الحرم ثلاثة سردٌ وواحد فرد. وقال الهذلي(٥٢٦):

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبّع

وحكى ضمرة بن شوذب أن داود عليه السلام كان يرفع كل يوم درعاً فيبيعها

(٥٢٤) هو سلامة بن جندل والبيت في اللسان (أوب)، والطبري (٢٢/٦٥) ومجاز القرآن (٢/١٠) وروح المعاني (٢٢/١١٣) وزاد المسير (٦/٤٩٣).

(٥٢٥) وفي نسخة أخرى للمخطوطة كثير بدلاً من لبيد.

(٥٢٦) اللسان (سبغ) والطبري (٢٢/٦٧).

بستة آلاف درهم، ألفان لأهله، وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري.

وحكى يحيى بن سلام والفراء أن لقمان حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيما يريد به ولا يدري ما يريد، فلم يسله حتى إذا فرغ منها داود قام فلبسها وقال: نعمت جنة الحرب هذه، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله.

﴿وَٱعْمَلُواْ صَالِحاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قاله ابن عباس.

الثاني: فعل جميع الطاعات.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي يعلم ما تعملون من خير أو شر.

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ
مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين.

وقال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقبل بإصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للمسرع.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال قتادة هي عين بأرض اليمن، قال السدي: سيلت له ثلاثة أيام، قال عكرمة: سال له القطر ثلاثة أيام من صنعاء اليمن كما يسيل الماء.

وقال الضحاك: هي عين بالشام.

وفي القطر قولان:

أحدهما: أنه النحاس، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

الثاني : الصُّفر(٥٢٧)، قاله مجاهد وعطاء وابن زيد.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني أن منهم من سخره الله تعالى للعمل بين يديه، فدل على أن منهم غير مسخر.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي بأمر ربه.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني عن طاعة الله تعالى وعبادته، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: عما يأمره سليمان، قاله قتادة. لأن أمر سليمان كان كأمر الله تعالى لكونه نبياً من أنبيائه.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي النار المسعرة وفيه قولان:

أحدهما: نذيقه ذلك في الآخرة، قاله الضحاك.

الثاني: في الدنيا، قاله يحيى بن سلام. لأنه لم يكن يسخر منهم إلا الكفار فإذا آمنوا أرسلوا، قال وكان مع المسخرين منهم ملك بيده سوط من عذاب السعير فإذا خالف سليمان ضربه الملك بذلك السوط.

قوله عز وجل: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها قصور، قاله عطية.

الثاني: المساجد، قاله قتادة، والحسن.

الثالث: المساكن، قاله ابن زيد.

قال أبو عبيدة: محراب الدار أشرف موضع فيها، ولا يكون إلا أن يرتقى إليه.

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ هي الصور(٥٢٨)، قال الحسن ولم تكن يومئذ محرمة، وفيها قولان:

أحدهما: أنها من نحاس، قاله مجاهد.

الثاني: من رخام وشبَه، قاله قتادة.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنها كانت طواويس وعقاباً ونسوراً تكون على كرسيه ودرجات سريره لكي يهاب من شاهدها أن يتقدم، قاله الضحاك.

(٥٢٧) نوع من أجود أنواع النحاس.

(٥٢٨) وقد استدل بالآية أن التصوير كان مباحاً في شرع سليمان لكن نسخ بشرع نبينا محمد ﷺ فتح القدير (٣/٣١٧).

الثاني: صور الأنبياء الذين قبله، قاله الفراء.

﴿وَجِفَانٍ﴾ قال مجاهد: صحاف.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كالحياض، قاله الحسن.

الثاني: كالجوبة من الأرض، قاله مجاهد.

الثالث: كالحائط، قاله السدي.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: عظام، قاله مجاهد.

الثاني: أن أثافيها[٥٢٩] منها، قاله ابن عباس.

الثالث: ثابتات لا يزلن عن أماكنهن، قاله قتادة، مأخوذ من الجبال الرواسي لثبوتها وثبوت الأرض بها. قال ابن جريج: ذكر لنا أن تلك القدور باليمن أبقاها الله تعالى آية وعبرة.

﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه توحيد الله تعالى، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: تقوى الله والعمل بطاعته، قاله محمد بن كعب.

الثالث: صوم النهار وقيام الليل، قاله ابن أبي زياد، فليس ساعة من نهار إلا وفيها من آل داود صائم ولا ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم.

الرابع: اعملوا من الأعمال ما تستوجبون عليه الشكر، قاله ابن عطاء.

الخامس: اذكروا أهل البلاء وسلوا ربكم العافية.

السادس: ما حكاه الفضيل[٥٣٠] أنه لما قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ فقال داود إِلَهي كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ قاله: «الآنَ شَكَرْتَنِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ النِّعَمَ مِنِّي»

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: المؤمن، قاله يحيى بن سلام.

---

(٥٢٩) وهي الحجارة التي تنصب وتجعل تحت القدر.

(٥٣٠) رواه ابن أبي حاتم ونقله الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٢٩).

الثاني : الموحّد، وهو معنى قول ابن عباس.

الثالث: المطيع، وهو مقتضى قول محمد بن كعب.

الرابع : ذاكر نعمه، وروي أن النبي ﷺ تلا هذه(٥٣١) الآية ثم قال: **«ثَلَاثَةٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ ءَالُ دَاوُد: العَدْلُ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، والقَصدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِ وَالعَلَانِيَةِ»**.

وفي الفرق بين الشاكر والشكور ثلاثة أوجه :(٥٣٢)

أحدها: أن الشاكر من لم يتكرر شكره والشكور من تكرر شكره.

الثاني : أن الشاكر على النعم والشكور على البلوى.

الثالث: أن الشاكر خوفه أغلب والشكور رجاؤه أغلب.

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل: **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ..﴾** الآية، روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ(٥٣٣) **«إِنَّ سُلَيْمَانَ نَبِيَّ اللَّهِ عَلَيهِ السَّلامُ كَانَ لَا يُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا وَجَدَ شَجَرَةً ثَابِتَةً بَيْنَ يَدَيهِ فَيَقُولُ لَهَا: مَا ٱسْمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا كَذَا، فَيَقُولُ لِمَ أَنتِ؟ فَتَقُولُ لِكَذَا وَكَذَا، فَصَلَّىٰ يَوماً فَإِذَا شَجَرَةٌ ثَابِتَةٌ بَيْنَ يَدَيهِ فَقَالَ لَهَا مَا اسْمُكِ؟ فَقَالَتْ: الخَرُّوبُ فَقَالَ: لِمَ أَنتَ؟ فَقَالَتْ لِخَرَابِ هٰذَا البَيْتِ.**

---

(٥٣١) رواه ابن النجار في تاريخه وطريق عطاء بن يسار عن أبي ذر مرفوعاً بنفس اللفظ الذي أورده المؤلف.

ورواه الحكيم الترمذي من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً إلا أنه قال وذكر الله في السر والعلانية بدلاً منه وخشية الله.

وكذا رواه ابن مردويه مثله لكن من طريق عطاء بن يسار عن حفصة ورواه ابن المنذر عن عطاء مرسلاً راجع الدر (٦/٦٨١).

(٥٣٢) رواه الطبري (٢٢/٧٤) وزاد السيوطي في الدر (٦/٦٨٣) نسبته للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في الطب النبوي وابن مردويه قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٢٩) بعد أن أورده من رواية ابن جرير حديث مرفوع غريب في صحته نظر...... وفي رفعه عنه نكارة والأقرب أن يكون موقوفاً وعطاء بن السائب بن مسلم الخرساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة.

(٥٣٣) وهي قراءة ابن المتوكل وابي الجوزاء وعاصم الجحدري زاد المسير (٦/٤٤١).

فَقَالَ سُلَيمَانُ اللَّهُمَّ أَغُمَّ عَلَى الجِنِّ مَوتي حَتَّى يَعْلَمَ الإِنسُ أَنَّ الجِنَّ كَانُوا لاَ يَعْلَمُونَ الغَيبَ قَالَ فَهَيَّأَ عَصاًثُمَّ تَوكَّأَ عَلَيهَا حَولاً وَهُم لاَ يَعْلَمُونَ ، قَالَ ثُمَّ أَكَلَتْهَا الأَرَضَةُ فَسَقَطَ فَعَلِمُوا عِندَ ذَلِكَ مَوتَهُ فَشَكَرَتِ الجِنَّةُ ذَلِكَ لِلأَرَضَةِ فَإِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَهَا بِالمَاءِ﴾ قال السدي : والطين، ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فإنما هو مما تأتيها به الشياطين شكراً : قال وقدروا مقدار أكلها العصا فكان مقدار سنة.

وفي ﴿دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ قولان :

أحدهما : الأرضة، قاله ابن عباس ومجاهد، وقد قرىء دابة(٥٣٤) الأَرض بفتح الراء وهو واحد الأرضة.

الثاني : أنها دابة تأكل العيدان يقال لها القادح، قاله ابن زيد.

والمنسأةالعصا، قال الشاعر(٥٣٥) :

إذا دببت على المنسأة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وأصلها مأخوذ من نسأت الغنم إذا سقتها، وقال السدي هي العصا بلسان الحبشة.

وفي دلالتها للجنة على موته قولان :

أحدها : وهو المشهور المرفوع عن النبي ﷺ أن سليمان وقف في محرابه يصلي متوكئاً على عصاه فمات وبقي على حاله قائماً على عصاه سنة والجن لا تعلم بموته، وقد كان سأل الله أن لا يعلموا بموته حتى مضى عليه سنة.

واختلف في سبب سؤاله لذلك على قولين :

أحدهما : لأن الجن كانوا يذكرون للإنس أنهم يعلمون الغيب، فسأل الله تعالى ذلك ليعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وهذا مأثور.

الثاني : لأن داود عليه السلام كان أسس بيت المقدس ثم مات فبناه سليمان بعده وسخر الجن في عمله، وقد كان بقي من إتمامه بعد موته بناء سنة فسأل الله تعالى ألا يعلم الجن بموته حتى يتموا البناء فأتموه.

ثم دلتهم دابة الأرض في أكل منسأته على موته بعد سنة من موته لأنه سقط

---

(٥٣٤) واللسان (نسأ) والطبري (٢٢/٧٤) فتح القدير (٣١٧).

(٥٣٥) تقدم تخريجه في تعليق رقم ١١.

عنها حين أكلتها الأرضة فعلمت الجن أنه قد مات.

والقول الثاني: ما حكاه ابن عباس أن الله تعالى ما قبض نبيه سليمان إلا على فراشه وكان الباب في وجهه مغلقاً على عادته في عبادته فلما كان بعد سنة أكلت الأرضة العتبة فخر الباب ساقطاً فتبينت الجن ذلك. قال: وكان سليمان يعتمد على العتبة إذا جلس.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ والشياطين ومن كانوا مسخرين في العمل.

﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

الثاني: تبينت الإنس أن الجن لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة. وروى سفيان عن عمر وعن ابن عباس أنه كان يقرأ في التلاوة: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الإنسُ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ سَنَةً﴾.

الثالث: أن الجن دخلت عليهم شبهة توهموا بها أنهم يعلمون الغيب فلما خر تبينوا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

وحكي أن سليمان عليه السلام ابتدأ بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه واستكمل بناءه في السنة الحادية عشرة من ملكه وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء فقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد فأوزعني [أن]أشكرك على ما أنعمت علي، وتوفني على ملتك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم إني اسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنته، ولا سقيم إلا شفيته، ولا فقير إلا أغنيته، والخامس ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه، إلا من أراد إلحاداً أو ظلماً يا رب العالمين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ

﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ الآية. وقد ذكرنا اختلاف الناس في سبإ على قولين:

أحدهما: أنه اسم أرض باليمن يقال لها مأرب، قاله سفيان.

الثاني: اسم قبيلة.

واختلف من قال بهذا هل هو اسم امرأة أو رجل على قولين.

أحدهما: أنه اسم امرأة نسبت القبيلة إليها لأنها أمهم.

الثاني: أنه رجل. روي أن فروة الغطيفي (٥٣٦) سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو؟ أبلد أم رجل أم امرأة؟ فقال: «**بَلْ رَجُلٍ وَلَدَ عَشْرَةً، فَسَكَنَ اليَمَنَ مِنهُم سِتَّةٌ وَالشَّامَ أَرْبَعَةٌ أَمَّا اليَمَانِيُّونَ فَمَذْحَجٌ وَكِنْدَةُ والأزد وَالأشعَرِيُّونَ وَأَنْمَارُ وحِمْيَرُ وَأَمَّا الشَّامِيُّونَ فَلَخْمٌ وَخِذَامُ وَغَسَّانُ وَعَامِلَةٌ**».

وذكر أهل النسب أنه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قال السدي: بعث إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً.

وأما ﴿جَنَّتَانِ﴾ فقال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب على أحدهما: نحن بنينا سالمين، في سبعين خريفاً دائبين، وعلى الآخر: نحن بنينا صرواح، مقيل ومراح. وكانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والأخرى عن شماله.

وفي الآية التي لسبأ في مساكنهم قولان:

أحدهما: أنه لم يكن في قريتهم بعوضة قط ولا ذبابة ولا برغوث ولا حية ولا

---

(٥٣٦) رواه الطبري (٢٢/٧٦) والترمذي (٢/١٥٤) وقال الترمذي حديث غريب حسن وزاد السيوطي في الدر (٦/) نسبته لعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وزاد الحافظ في نسبته في ترجمة فروة في الأصابة لابن سعد وابن داود وابن السكن مطولاً ومختصراً وقال الهيثمي (٧/٩٤) بعد أن أورده من رواية ابن عباس رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجالهما ثقات وأورده من حديث يزيد بن حصين وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن بن صالح الصائغ ولم أعرفه.

(*) وفي نسخة اثنا عشر.

عقرب وان الركب ليأتون في ثيابهم القمل والدواب فتموت تلك الدواب، قاله عبد الرحمن بن زيد

الثاني: أن الآية هي الجنتان كانت المرأة تمشي فيهما وعلى رأسها مكتل فيمتلىء وما مسته بيدها، قاله قتادة.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ يعني الذي رزقكم من جنتكم.

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُ﴾ يعني على ما رزقكم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ قال مجاهد: هي صنعاء.

ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن أرضها[٥٣٧] وليست بسبخة[٥٣٨].

الثاني: لأنها ليس بها هوام.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَىٰ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الشام، قاله مجاهد وقتادة.

﴿ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني بالشجر والثمر والماء. وقيل إنها كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية.

ويحتمل أن يكون التي باركنا فيها بكثرة العدد.

﴿قُرىً ظَـاهِرَةً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، قاله الحسن، وأبو مالك

(٥٣٧) هنا كلمة غير واضحة.

(٥٣٨) اي ملحة.

الثاني: أنها العامرة.

الثالث: الكثيرة الماء.

الرابع: أن القرى الظاهرة هي القرى القريبة، قاله سعيد بن، جبير، والضحاك.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها السروات، قاله مجاهد.

الثاني: أنها قرى لصنعاء، قاله ابن منبه.

الثالث: أنها قرى ما بين مأرب والشام، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيرَ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: قدرنا فيها المقيل والمبيت، قاله الكلبي:

الثاني: أنهم كانوا يصبحون في قرية ويمسون في أخرى، قاله الحسن.

الثالث: أنه قدر فيها السير بأن جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً، قاله ابن قتيبة.

﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من الجوع والظمأ، قاله قتادة. حتى أن المرأة تمشي وعلى رأسها مكتل فيمتلىء من الثمر.

الثاني: آمنين من الخوف قاله يحيى بن سلام، كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحركه.

قوله عز وجل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير﴿بَعِّد﴾ بغير ألف وبتشديد العين(٥٣٩)، وقرأ الباقون ﴿بَاعِدْ﴾ بألف وبتخفيف العين وفيهما ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم قالوا ذلك لأنهم ملّوا النعم كما ملَّ بنو اسرائيل المن والسلوى، قاله الحسن.

الثاني: أنهم قالوا لو كانت ثمارنا أبعد مما هي كانت أشهى في النفوس وأحلى، قاله ابن عيسى، وهو قريب من الأول لأنه بطر. فصار نوعاً من الملل.

---

(٥٣٩) زاد المسير (٦/٤٤٨).

الثالث: معناه زد في عمارتنا حتى تبعد فيه أسفارنا، حكاه النقاش. وهذا القول منهم طلباً للزيادة والكثرة.

وقرأ بعض القراء(٥٤٠) ﴿بَعُدَ﴾ بضم العين وتخفيفها،وهذا القول منهم شكوى لبعد سفرهم وتمني قصره.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ظلموها بقولهم باعد بين أسفارنا، قاله ابن زيد.

الثاني: بتكذيب الرسل وهم ثلاثة عشر نبياً. قال الكلبي: أنهم قالوا لرسلهم حين ابتلوا وهم مكذبون: وقد كنا نأبى عليكم وأرضنا عامرة خير أرض فكيف اليوم وأرضنا خراب شر أرض.

الثالث: أنهم ظلموا أنفسهم بالتغيير والتبديل بعد أن كانوا مسلمين، قاله الحسن.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾أي يتحدث الناس بما كانوا فيه من نعيم وما صاروا إليه من هلاك، حتى ضرب المثل فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، ومنه قول الشاعر:

باد قوم عصف الدهر بهم   فرقوا عن صرفه أيدي سبأ

﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم فرقوا بالهلاك حتى صاروا تراباً تذروه الرياح، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنهم مزقوا بالتفرق والتباعد، قاله قتادة.

حكى الشعبي قال: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما خزاعة فلحقوا بمكة، وأما الأوس والخزرج فلحقوا بيثرب يعني المدينة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صبار على البلوى شكور على النعماء.

الثاني: صبور على أمر الله شكور في طاعة الله.

---

(٥٤٠) وهي قراءة علي بن أبي طالب وابن عبد الرحمن السلمي وابن رجاء وابن السميفع وابن أبي عبلة، وقرأ أبو عمران الجوني وعاصم الجحدري بُوعِدَ برفع الباء وبواو ساكنة مع كسر العين، زاد المسير (٦/٤٤٩).

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه لما أُهْبِطَ آدم من الجنة ومعه حواء، وهبط إبليس، قال إبليس أما إذ أصيب من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ظناً من إبليس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قاله الحسن.

الثاني: أن إبليس إذ قال: خُلِقْتُ من نار وخلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء، لأحتنكن ذريته إلا قليلاً، فصدق ظنه عليه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه قال: يا رب أرأيت هؤلاء القوم الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم عليّ لا تجد أكثرهم شاكرين، ظن منه فصدق عليهم ظنه، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه ظن أنه إن أغواهم أجابوه وإن أضلّهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قاله الكلبي.

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فاتبعوا إبليس، قاله الحسن.

الثاني: فاتبعوا ظنه، قاله مجاهد.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حكى الفراء فيه وجهين:

أحدهما: حتى يؤذن له في الشفاعة.

الثاني: حتى يؤذن له فيمن يشفع له، ووجدت الأول قول الكلبي والثاني قول مقاتل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه خلي عن قلوبهم الفزع، قاله ابن عباس، وقال قطرب: أخرج ما فيها من الخوف.

الثاني: كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم الشياطين فزع عن قلوبهم ففارقوا ما كانوا عليه من إضلال أوليائهم، قاله ابن زيد.

الرابع: أنهم دعوا فاستجابوا من قبورهم مأخوذ من الفزع الذي هو الدعاء والاستصراخ فسمي الداعي فزعاً والمجيب فزعاً. قال زهير(٥٤١):

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرماح لا قصار ولا عُزْلُ

الخامس: أنهم الملائكة(٥٤٢) فزعوا عند سماع الوحي من الله تعالى لانقطاعه ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وكان لصوته صلصلة كوقع الحديد على الصفا، فخرُّوا عنده سجوداً مخافة القيامة فسألوا فقالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق أي الوحي، وهذا معنى قول كعب.

السادس: وهو تأويل قراءة الحسن(٥٤٣): حتى فرغ عن قلوبهم بالنين معجمة يعني فرغ ما فيها من الشك والشرك.

﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أي قال لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا.

﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجدوا ما وصفوه عن الله تعالى حقاً.

الثاني: أن يصدقوا بما قاله الله تعالى أنه حق.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

---

(٥٤١) روح المعاني (٢٢/١٣٩).

(٥٤٢) ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة رواه البخاري وغيره(٨/٤١٤) مرفوعاً إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير.

(٥٤٣) وهي قراءة قتادة وابن يعمر أيضاً زاد المسير (٦/٤٥٢).

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن رزق السمٰوات المطر ورزق الأرض النبات، قاله الكلبي.

الثاني: أن رزق السمٰوات ما قضاه من أرزاق عباده، ورزق الأرض ما مكنهم فيه من مباح. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ وهذا جواب قل من يرزقكم من السمٰوات والأرض، ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون للمشركين حين سئلوا عن ذلك لأنهم لا يجحدون أن الله رازقهم.

الثاني: أن يكون أمراً في أمر الله أن يجابوا به لأنهم لا يجحدونه لتقوم به الحجة عليهم.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٥٤٤)﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه: إننا نحن لعلى هدى وإنكم أنتم لفي ضلال مبين، قاله عكرمة وأبو عبيدة وزياد بن أبي مريم. قال الفراء: أو بمعنى الواو.

الثاني: أن أحدنا لعلى هدى والآخر لفي ضلال مبين، دفعاً لأنقصهما، ومنعاً من أرذلهما كقول القائل: إن أحدنا لكاذب، دفعا للكذب عن نفسه وإضافته إلى صاحبه وإن أحدنا لصادق، إضافة للصدق إلى نفسه ودفعاً عن صاحبه، قاله مجاهد.

الثالث: معناه: الله رزقنا وإياكم لعلى هدى كنا أو في ضلال مبين حكاه النقاش.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني يوم القيامة.

---

(٥٤٤) وهذا اسلوب من باب اللف والنشر في البلاغة.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي يقضي بيننا لأنه بالقضاء يفتح وجه الحكم، وقال السدي هي لغة يمانية.

قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قال مجاهد: بالعدل.

﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي القاضي العليم وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: العليم بما يخفون، قاله محمد بن إسحاق.

الثاني: العليم بالحكم، قاله ابن زياد(*).

الثالث: العليم بخلقه، قاله مقاتل.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل
لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنه رسول إلى كافة الناس أي إلى جميعهم، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه أنك رسول الله إلى جميع الناس وتضمهم، ومنه كف الثوب لأنه ضم طرفيه.

الثالث: معناه إنا أرسلناك كافاً للناس أي مانعاً لهم من الشرك وأدخلت الهاء للمبالغة، قاله ابن بحر.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ
إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ
جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ

(*) وفي نسخه ابن زيد.

مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ
يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني كفار العرب، ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: التوراة، وإلإنجيل، قاله السدي.

الثاني: من الأنبياء والكتب، قاله قتادة.

الثالث: من أمر الآخرة، قاله ابن عيسى. قال ابن جريج: قائل ذلك أبو جهل ابن هشام.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معناه بل غركم اختلاف الليل والنهار، قاله السدي.

الثاني: بل عملكم من الليل والنهار، قاله سفيان.

الثالث: بل معصية الليل والنهار، قاله قتادة.

الرابع: بل مر الليل والنهار، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: بل مكرهم في الليل والنهار، قاله الحسن.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أشباهاً، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: شركاء، قاله أبو مالك.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ
أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ
ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا

مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني من نبي ينذرهم بعذاب الله.

﴿إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ فيهم ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جبابرتها، قاله ابن جريج.

الثاني: أغنياؤها، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: ذوو النعم والبطر، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً﴾ قالوا ذلك للأنبياء والفقراء ويحتمل قولهم ذلك وجهين:

أحدهما: أنهم بالغنى والثروة أحق بالنبوة.

الثاني: أنهم أولى بما أنعم الله عليهم من الغنى أن يكونوا على طاعة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أي ما عذبنا بما أنتم فيه من الفقر.

الثاني: أي ما أنعم الله علينا بهذه النعمة وهو يريد عذابنا، فرد الله تعالى عليهم ما احتجوا من الغنى فقال لنبيه ﷺ.

﴿قُلْ إنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي يوسعه.

﴿وَيَقْدِرُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن يقتر عليه، قال الحسن يبسط لهذا مكراً به، ويقدر لهذا نظراً له.

الثاني: بنظره له، رواه حصين بن أبي الجميل.

الثالث: بخير له، رواه حارث بن السائب.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ قال

مجاهد: أي قربى والزلفه القربة، ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن أموالكم في الدنيا لا تدفع عنكم عذاب الآخرة.

الثاني: أن إنعامنا بها عليكم في الدنيا لا يقتضي إنعامنا عليكم بالجنة في الآخرة.

﴿إلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ روى ليث عن طاووس أنه كان يقول اللهم ارزقني الإيمان والعمل، وجنبني المال والولد، فإني سمعت فيما أوحيْتَ ﴿وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

﴿فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أضعاف الحسنة بعشر أمثالها، وأضعاف الدرهم بسبعمائة، قاله ابن زيد.

الثاني: أن المؤمن إذا كان غنياً تقياً آتاه الله أجره مرتين بهذه الآية، قاله محمد ابن كعب.

الثالث: يعني فله جزاء مثل عمله لأن الضعف هو المثل ويقتضي ذلك المضاعفة، قاله بعض المتأخرين.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ يعني غرفات الجنة.

﴿ءَامِنُونَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: آمنون من النار، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: من انقطاع النعم، قاله النقاش.

الثالث: من الموت، قاله مقاتل.

الرابع: من الأحزان والأسقام.

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فهو يخلفه إن شاء إذا رأى ذلك صلاحاً كإجابة الدعاء، قاله ابن عيسى.

الثاني: يخلفه بالأجر في الآخرة إذا أنفقه في طاعة، قاله السدي.

الثالث: معناه فهو أخلفه لأن نفقته من خلف الله ورزقه، قاله سفيان بن الحسين.

ويحتمل رابعاً: فهو يعني عنه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ يعني المشركين ومن عبدوه من الملائكة.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَآئِكَةِ أَهَؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا السؤال للملائكة تقرير وليس باستفهام، وإن خرج مخرج الاستفهام.

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنت الذي توالينا بالطاعة دونهم.

الثاني: أنت ناصرنا دونهم.

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يعني أنهم أطاعوا الجن في عبادتنا، وصاروا بطاعتهم عابدين لهم دوننا.

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ أي جميعهم بهم مؤمنون، وهذا خروج عن الظاهر.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَيناهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ يعني مشركي قريش ما أنزل الله تعالى عليهم كتاباً قط يدرسونه، فيه وجهان:

أحدهما: فيعلمون بدرسه أن ما جئت به حق أم باطل، قاله السدي.

الثاني: فيعلمون أن الله تعالى شريكاً على ما زعموه، قاله ابن زيد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ أي ما بعثنا إليهم رسولاً غيرك.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني من قبل أمة محمد ﷺ.

﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ فيه أربعة:

أحدها: يعني أنهم ما عملوا معشار ما أمروا به، قاله الحسن.

الثاني: أنه يعني ما أعطى ٱللَّه سبحانه قريشاً ومن كذب محمداً ﷺ من أمته معشار ما أعطى من قبلهم من القوة والمال، قاله ابن زيد.

الثالث: ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم، حكاه النقاش.

الرابع: ما أعطى الله من قبلهم معشار ما أعطاهم من البيان والحجة والبرهان. قال ابن عباس فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه.

وفي المعشار ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه العشر وهما لغتان.

الثاني: أنه عشر العشر وهو العشير.

الثالث: هو عشير العشير، والعشير عشر العشر، فيكون جزءاً من ألف جزء، وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في التقليل.

﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي عقابي وفي الكلام إضمار محذوف وتقديره: فأهلكناهم فكيف كان نذير.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بطاعة الله عز وجل، قاله مجاهد.

الثاني: بلا إله إلا الله، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: بالقرآن لأنه يجمع كل المواعظ.

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ يعني أن تقوموا لله بالحق، ولم يُرد القيام على

الأرجل كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧].

وفي قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه جماعة وفرادى، قاله السدي.

الثاني: منفرداً برأيه ومشاوراً لغيره، وهذا قول مأثور.

الثالث: مناظراً مع غيره ومفكراً في نفسه، قاله ابن قتيبة.

ويحتمل رابعاً: أن المثنى عمل النهار، والفرادى عمل الليل، لأنه في النهار مُعانٌ وفي الليل وحيد.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ قال قتادة أي ليس بمحمد جنون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني في الآخرة. قال مقاتل: وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ سأل كفار قريش ألا يؤذوه ويمنعوا منه لقرابته منهم حتى يؤدي رسالة ربه، فسمعوه يذكر اللات والعزى في القرآن فقالوا يسألنا ألا نؤذيه لقرابته منا ويؤذينا بسب آلهتنا فنزلت هذه الآية.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا
يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ
إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من مودة قاله ابن عباس، لأن النبي ﷺ سأل قريشاً أن يكفوا عن أذيته حتى يبلغ رسالة ربه.

الثاني: من جُعْل قاله قتادة، ويشبه أن يكون في الزكاة.

ويحتمل ثالثاً: أن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي فهو لكم دوني.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي ما ثوابي إلا على الله في الآخرة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شهيد أن ليس بي جنون.

الثاني : شهيد أني لكم نذير بين يدي عذاب شديد .

قوله عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالوحي ، قاله قتادة .

الثاني : بالقرآن ، رواه معمر .

وفي قوله : ﴿يَقْذِفُ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : يتكلم .

الثاني : يوحي .

الثالث : يلقي .

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ قال الضحاك : الخفيات .

قوله عز وجل : ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : بعثة رسول الله ﷺ ، قاله ابن زيد .

الثاني : القرآن ، قاله قتادة .

الثالث : الجهاد بالسيف ، قاله ابن مسعود .

﴿وَمَا يُبْدِيءُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الباطل الشيطان . رواه معمر .

الثاني : أنه إبليس ، رواه خليد .

الثالث : أنه دين الشرك ، قاله ابن بحر .

وفي إبداء الباطل وإعادته ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يخلق ولا يبعث ، قاله قتادة(٥٤٥) .

الثاني : لا يحيي ولا يميت ، قاله الضحاك .

الثالث : لا يثبت إذا بدا ، ولا يعود إذا زال ، قاله ابن بحر .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ

(٥٤٥) قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٤٤) وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل ها هنا إبليس أي أنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك قال وهذا إن كان حقاً لكن ليس هو المراد ها هنا والله أعلم .

﴿بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا﴾ في فزعهم خمسة أقاويل:

أحدها: فزعهم يوم القيامة، قاله مجاهد.

الثاني: فزعهم في الدنيا حين رأوا بأس الله عز وجل، قاله قتادة.

الثالث: هو الجيش(٥٤٦) الذي يخسف بهم في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعوا فهذا هو فزعهم، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة، قاله السدي.

الخامس: هو فزعهم في القبور من الصيحة، قاله الحسن.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: فلا نجاة، قاله ابن عباس.

الثاني: فلا مهرب، وهو معنى قول مجاهد.

الثالث: فلا سبق، قاله قتادة.

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: من تحت أقدامهم، قاله مجاهد.

الثاني: يوم بدر، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: هو جيش(٥٤٧) السفياني(٥٤٨)، قاله ابن عباس.

---

(٥٤٦) وقد ثبت في صحيح البخاري (٤/٢٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قال قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؛ قال يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم» لكن لا علاقة بين الحديث وتفسير الآية التي نحن بصددها.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٤٤) والصحيح أن المراد بذلك (أي بوقت الفزع) يوم القيامة وهو الطامة العظمى اهـ.

(٥٤٧) السفياني هو رجل من دمشق يأتي على رأس جيش ويقاتل في آخر الزمان وخروجه من علامات الساعة.

(٥٤٨) وقد ذكر في حديث طويل رواه ابن جرير (٢٢/١٠٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه وهو حديث

الرابع: عذاب الدنيا، قاله الضحاك.

الخامس: حين خرجوا من القبور، قاله الحسن.

السادس: هو يوم القيامة، قاله القاسم بن نافع.

ويحتمل سابعاً: في أسرِّ ما كانوا فيه نفوساً، وأقوى ما كانوا عليه أملاً لأنه أقرب بلاء من نعمه.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني بالله، قاله مجاهد.

الثاني: بالبعث، قاله الحسن.

الثالث: بالرسل، قاله قتادة.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ وفي التناوش ثلاثة أقاويل:

أحدها: هو الرجعة، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر(٥٤٩):

تمنى أن تؤوب إليّ ميٌّ وليس إلى تناوشها سبيل

الثاني: هو التوبة، قاله السدي.

الثالث: هو التناول من قولهم نشته أنوشه نوشاً إذا تناوله من قريب، وقد تناوش القوم إذا دنا بعضهم من بعض ولم يلتحم القتال بينهم، قال الشاعر(٥٥٠):

فهي تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من الآخرة إلى الدنيا، قاله مجاهد.(٥٥١)

الثاني: ما بين الآخرة والدنيا، رواه القاسم بن نافع.

الثالث: هو طلبهم الأمر من حيث لا ينال، قاله الحسن.

ويحتمل قولاً رابعاً: بعيد عليهم لاستحالته عندهم.

موضوع كما قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٤٤) وقد ورد ذكره أيضاً في حديث رواه الحاكم (٤/٥٢٠) وصححه على شرط الشيخين.

(٥٤٩) وهذا التأويل الذي ذكره المؤلف هنا على الحديث لم يصح فتنبه.

(*) هكذا بالأصول.

(٥٥٠) أورده في فتح القدير (٤/٣٣٦) وفيه تمنى أن يتوب.

(٥٥١) هو أبو النجم الراجز ونسبه في اللسان «نوش» إلى غيلان بن حريث والطبري (٢٢/١١٠) ونسبه في اللسان في (وش) لابن النجم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كفروا بالله تعالى، قاله مجاهد.

الثاني: بالبعث، قاله الحسن.

الثالث: بالرسول، قاله قتادة.

﴿مِن قَبْلُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا، قاله مجاهد.

الثاني: من قبل العذاب.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه يرجمون بالظن ويقولون في الدنيا لا بعث ولا جنة ولا نار، قاله الحسن.

الثاني: أنه طعنهم في القرآن، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: هو طعنهم في رسول الله ﷺ بأنه شاعر أو ساحر، قاله مجاهد، وسماه قذفاً لخروجه عن غير حق.

قوله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني بالموت، وفيه خمسة تأويلات:

أحدها: حيل بينهم وبين الدنيا، قاله مجاهد.

الثاني: بينهم وبين الإيمان، قاله الحسن.

الثالث: بينهم وبين التوبة، قاله السدي.

الرابع: بينهم وبين طاعة الله تعالى، قاله خليد.

الخامس: حيل بين المؤمن وبين العمل، وبين الكافر وبين الإيمان، قاله يزيد ابن أبي يزيد.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْياعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أوائلهم من الأمم الخالية، قاله مقاتل.

الثاني: أنهم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة، قاله الضحاك.

الثالث: هم أمثالهم من الكفار الذين لم يقبل الله سبحانه منهم التوبة عند المعاينة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعرفون نبيهم، قاله مقاتل.

الثاني: هو شكهم في وقوع العذاب، قاله الضحاك.

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ﴾ والفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحسن يقال فطر ناب الناقة إذا طلع، وفطر دمه إذا أخرجه. قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها.

وفي تأويله ههنا وجهان:

أحدهما: خالق السموات والأرض، قاله قتادة، والكلبي، ومقاتل.

الثاني: أنه شقها لما ينزل منها وما يعرج فيها.

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى الأنبياء، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: إلى العباد رحمة أو نقمة، قاله السدي.

﴿أُوْلِيِّ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة. والمثنى والثلاث والرباع ما تكرر فيه الاثنان والثلاثة والأربعة.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه حسن الصوت، قاله الزهري وابن جريج.

الثاني: أنه الشعر الجعد، حكاه النقاش.

الثالث: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أنه العقل والتمييز.

ويحتمل خامساً: أنه العلوم والصنائع(٥٥٢). ويكون معناه على هذين التأويلين: كما يزيد في الخلق ما يشاء كذلك يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء.

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ
مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا
يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: من خير، قاله قتادة.

الثاني: من مطر، قاله السدي.

الثالث: من توبة، قاله ابن عباس.

الرابع: من وحي، قاله الحسن.

الخامس: من رزق وهو مأثور.

---

(٥٥٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٣٣٨/٤) «ولا وجه لقصر ذلك على نوع خاص بل يتناول كل زيادة».

السادس: من عافية ، قاله الكلبي .

السابع: من دعاء، قاله الضحاك .

ويحتمل ثامناً: من توفيق وهداية .

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَناً﴾** فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة، ويكون سوء عمله معاندة الرسول.

الثاني: أنهم الخوارج، رواه عمرو بن القاسم، ويكون سوء عمله تحريف التأويل.

الثالث: الشيطان، قاله الحسن ويكون سوء عمله الإغواء.

الرابع: كفار قريش، قاله الكلبي، ويكون سوء عملهم الشرك.

وقيل إنها نزلت في العاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب، وقال غيره نزلت في أبي جهل بن هشام.

وفي قوله: **﴿فَرَءَاهُ حَسَناً﴾** وجهان:

أحدهما: صواباً، قاله الكلبي.

الثاني: جميلاً.

وفي الكلام محذوف اختلف فيه على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المحذوف منه: فإنه يتحسر عليه يوم القيامة، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن المحذوف منه: كمن آمن وعمل صالحاً لا يستويان، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أن المحذوف منه: كمن عمل الحسن والقبح.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ
ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ
وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ
أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ
مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالعزة المنعة فيتعزز بطاعة الله تعالى، قاله قتادة.

الثاني: علم العزة لمن هي، فلله العزة جميعاً.

وقيل إن سبب نزول هذه الآية ما رواه الحسن أن المشركين عبدوا الأوثان لتعزهم كما وصف الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُم عِزّاً﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه التوحيد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الثناء على من في الأرض من صالح المؤمنين يصعد به الملائكة المقربون، حكاه النقاش.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أداء الفرائض.

الثاني: أنه فعل القرب كلها.

وفي قوله: ﴿يَرْفَعُهُ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن العمل الصالح يرفعه الكلام الطيب، قاله الحسن، ويحيى بن سلام.

الثاني: أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب، قاله الضحاك وسعيد بن جبير.

الثالث: أن العمل يرفعه الله بصاحبه، قاله قتادة، والسدي.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ يعني يشركون في الدنيا.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يعني في الآخرة.

﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يفسد عند الله تعالى، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: يبطل، قاله قتادة.

الثالث: يهلك، والبوار الهلاك، قاله قطرب.

وفي المراد: ﴿أُوْلَٰئِكَ﴾ قولان:

أحدهما: أهل الشرك.

الثاني: أصحاب الربا، قاله مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدم.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعنى نسله.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أصنافاً، قاله الكلبي.

الثاني: ذكراناً وإناثاً، والواحد الذي معه آخر من شكله زوج والاثنان زوجان، قال الله تعالى ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَينَ ٱلذَّكَرَ والأُنْثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥] وتأول قتادة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي زوّج بعضكم لبعض.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ يعني بأمره.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ..﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: ما نمد في عمر معمر حتى يصير هرماً، ولا ينقص من عمر أحد حتى يموت طفلاً إلا في كتاب.

الثاني: ما يعمر من معمر قدر الله تعالى مدة أجله إلا كان ما نقص منه بالأيام الماضية عليه في كتاب عند الله.

قال سعيد بن جبير: هي صحيفة كتب الله تعالى في أولها أجله، ثم كتب في أسفلها ذهب يوم كذا ويوم كذا حتى يأتي على أجله، وبمثله قال أبو مالك، والشعبي.

وفي عمر المعمر ثلاثة أقاويل:

أحدها: ستون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أربعون سنة.

الثالث: ثماني عشرة سنة، قاله أبو غالب.

﴿... إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي هين.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن إثبات ذلك على الله يسير.

الثاني: أن زيادة عمر المعمر ونقصان عمر الآخر عند الله تعالى يسير.

وللكلبي فيه ثالث: أن حفظ ذلك بغير كتاب على الله يسير.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ
تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ
مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يستويان في أنفسهما.

الثاني: في منافع الناس بهما.

﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ والفرات هو العذب وذكره تأكيداً لاختلاف اللفظين كما يقال هذا حسن جميل.

﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُ﴾ أي ماؤه.

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي مُرٌّ مأخوذ من أجة النار كأنه يحرق من شدة المرارة، قال الشاعر:

دُرَّةٌ في اليمين أخرجها الغا ... ئص من قعر بحر ملح أجاج

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً﴾يعني لحم الحيتان مأكول من كلا البحرين.
﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ اللؤلؤ والمرجان يستخرج من الملح، ويكون المراد أحدهما وإن عطف بالكلام عليهما.

وقيل: بل هو مأخوذ منهما لأن في البحر عيوناً عـذبة، وما بينهما يخرج اللؤلؤ عند التمازج وقيل من مطر السماء.

ثم قال: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وإن لبسها النساء دون الرجال لأن جمالها عائـد عليهم جميعاً.

﴿وَترى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: مقبلة ومدبرة وريح واحدة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: مواقر، قاله الحسن:

قال الشاعر:

تـراهـا إذا راحـت ثـقـالاً كـأنـهـا ... مـواخـر فـلك أو نـعـام حـوافـل

الثالث: معترضة، قاله أبو وائل.

الرابع: جواري، قاله ابن قتيبة.

الخامس: تمخر الماء أي تشقه في جريها شقاً، قاله علي بن عيسى.

﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ قال مجاهد: التجارة في الفلك.

ويحتمل وجهاً آخر ما يستخرج من حليته ويصاد من حيتان.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فيه وجهان]:

أحدهما: على ما آتاكم من نعمه(٥٥٣).

الثاني: على ما آتاكم من فضله.

ويحتمل ثالثاً: على ما أنجاكم من هوله.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

(٥٥٣) قال الشوكاني (٣٤٣/٤) قال أكثر المفسرين: إن المراد من الآية ضرب المثل في حق المؤمن والكافر والكفر والإيمان فكما لا يستوي البحران كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ولا الكفر ولا الإيمان.

وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا
يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تحمل نفس ما تحمله نفس أخرى من ذنوبها، ومنه الوزير لأنه يحمل أثقال الملك بتدبيره.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ قال مجاهد مثقلة بالذنوب، ومعنى الكلام أن النفس التي قد أثقلتها ذنوبها إذا دعت يوم القيامة من يتحمل الذنوب عنها لم تجد من يتحمل عنها شيئاً من ذنوبها.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المدعو إلى التحمل قريباً مناسباً، ولو تحمله عنها ما قُبل تحمله، لما سبق من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في السر حيث لا يطلع عليه أحد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: في التصديق بالآخرة، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: يخشونه في ضمائر القلوب كما يخشونه في ظواهر الأفعال.

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا
ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ
مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ..﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، كما لا يستوي الأعمى

والبصير، ولا تستوي الظلمات ولا النور، ولا يستوي الظل ولا الحرور لا يستوي المؤمن والكافر، قاله قتادة.

الثاني: أن معنى قوله وما يستوي الأعمى والبصير أي عمى القلب بالكفر وبصره بالإيمان، ولا تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا يستوي ظل الجنة وحرور النار، قاله السدي.

والحرور الريح الحارة كالسموم، قال الفراء: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون إلا بالنهار.

وقال الأخفش: الحرور لا يكون إلا مع شمس النهار، والسموم يكون بالليل والنهار.

قال قطرب: الحرور الحر، والظل البرد. ومعنى الكلام: أنه لا يستوي الجنة والنار.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، كما أنه لا يستوي الأحياء والأموات فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر، قاله قتادة.

الثاني: أن الأحياء المؤمنون الذين أحياهم الإيمان. والأموات الكفار الذين أماتهم الكفر وهذا مقتضى قول السدي.

الثالث: أن الأحياء العقلاء، والأموات الجهال، قاله ابن قتيبة وفي ﴿لَا﴾ في هذا الموضع وفيما قبله قولان:

أحدهما: أنها زائدة مؤكدة.

الثاني: أنها نافية لاستواء أحدهما بالآخر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي يهدي من يشاء.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله، كما أنك لا تُسمع الموتى في القبور كذلك لا تسمع الكافر.

الثاني: أن الكافر قد أماته الكفر حتى أقبره في كفره فلذلك لا يسمع، وقيل إن مراد الله تعالى بهذه الآية الإخبار أن بين الخير فروقاً، كما أن بين الشر فروقاً، ليطلب

من درجات الخير أعلاها ولا يحتقر من درجات الشر أدناها، وهو الظاهر من قول علي ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً﴾ أي بالقرآن بشرى بالجنة.

﴿وَنَذِيراً﴾ من النار. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي سلف فيها نبي، قال ابن جريج: إلا العرب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾ وفيه مضمر محذوف تقديره مختلف ألوانها وطعومها وروائحها، فاقتصر منها على ذكر اللون لأنه أظهرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الجدد القطع مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعته، حكاه ابن بحر.

الثاني: أنها الخطط واحدتها جُدة مثل مُدة ومدد، ومنه قول زهير[٥٥٤]:

كأنه أسفع الخدين ذو جُدد ... طاوٍ ويرتع بعد الصيف عريانا

﴿بِيضٌ وَحُمرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ والغربيب الشديد السواد الذي لونه كلون الغراب. ومنه قول النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ الشَّيخَ ٱلْغِرْبِيبَ[٥٥٥]» يعني

(٥٥٤) فتح القدير (٤/٣٤٧).

(*) وفي نسخه للمخطوطة كأنها.

(٥٥٥) رواه ابن عدي في الكامل كما نقله السيوطي في الجامع الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم ١٦٨٨ وسبب ضعفه أن فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وتردد فيه المناوي في الفيض (٥/٢٨٤) فقال فيه رشدين فإن كان ابن سعد.. وإن كان ابن كريب... الخ اهـ والصواب الأول وأورده له الذهبي في الميزان (٢/٥٠) في ترجمته هذه الحديث.

الذي يخضب بالسواد، قال امرؤ القيس[٥٥٦]:

العين طامعة واليد سابحة والرجل لافحة والوجه غربيب

وقيل فيه تقديم وتأخير، وتقديره سود غرابيب.

وفي المراد بالغرابيب السود ثلاثة أوجه:

أحدها: الجبال السود، قاله السدي.

الثاني: الطرائف السود، قاله ابن عباس.

الثالث: الأودية السود، قاله قتادة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذلك مختلف ألوانه أبيض وأحمر وأسود.

الثاني: يعني بقوله كذلك أي كما اختلف ألوان الثمار والجبال والناس والدواب والأنعام كذلك تختلف أحوال العباد في الخشية.

ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَآءُ﴾يعني بالعلماء الذين يخافون[٥٥٧].

قال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم. قال ابن مسعود: المتقون سادة، والعلماء قادة. وقيل: فاتحة الزبور الحكمة خشية الله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

(٥٥٦) ديوانه: ٢٢٦ وفيه:

العين قادحة واليد سابحة والرجل طامحة واللون غربيب

وروح المعاني (٢٢/١٩٠) والبيت فيه:

العين طامحة واليد شامخة والرجل لائحة والوجه غربيب

(٥٥٧) قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٥٣) أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به اتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر ا هـ.

قوله عز وجل: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ يعني الجنة، وفيها وجهان:

أحدهما: لن تفسد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لن تكسد، قاله علي بن عيسى والأول أشبه لقول الشاعر(٥٥٨).

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذا أنا بور

قوله عز وجل: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يعني ثواب أعمالهم.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يفسح لهم في قبورهم، قاله الضحاك.

الثاني: يشفعهم فيمن أحسن إليهم في الدنيا، قاله أبو وائل.

الثالث: يضاعف لهم حسناتهم، وهو مأثور.

الرابع: غفر الكثير وشكر اليسير، قاله بعض المتأخرين.

ويحتمل خامساً: يوفيهم أجورهم على فعل الطاعات ويزيدهم من فضله على اجتناب المعاصي ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنب.

﴿شَكُورٌ﴾ للطاعة. ووصفه بأنه شكور مجاز ومعناه أن يقابل بالإحسان مقابلة الشكور لأنه يقابل على اليسير بأضعافه.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الكتاب هو القرآن، ومعنى الإرث انتقال الحكم إليهم.

الثاني: أن إرث الكتاب هو الإيمان بالكتب السالفة لأن حقيقة الإرث انتقال الشيء من قوم إلى قوم.

(٥٥٨) هو عبد الله بن الزبعري والبيت في اللسان (بور).

وفيه: يا رسول الإله . . . .

وفي ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنهم بنو إسرائيل لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً﴾[آل عمران: ٣٣] الآية. قاله ابن بحر.

الثالث: أمة محمد ﷺ . قاله الكلبي.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله: ﴿فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ كلام مبتدأ لا يرجع إلى المصطفين، وهذا قول من تأوّل المصطفين الأنبياء، فيكون من عداهم ثلاثة أصناف على ما بينهم.

الثاني: أنه راجع إلى تفصيل أحوال الذين اصطفينا، ومعنى الاصطفاء الاختيار وهذا قول من تأول المصطفين غير الأنبياء، فجعلهم ثلاثة أصناف.

فأما الظالم لنفسه ها هنا ففيه خمسة أوجه:

أحدها: أنهم أهل الصغائر من هذه الأمة، روى شهر بن حوشب أن عمر بن الخطاب(٥٥٩) رضي الله عنه قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له.

الثاني: أنهم أهل الكبائر وأصحاب المشأمة، قاله السدي.

الثالث: أنهم المنافقون وهم مستثنون.

الرابع: أنهم أهل الكتاب، قاله الحسن.

الخامس: أنه الجاحد، قاله مجاهد(٥٦٠).

وأما المقتصد ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه المتوسط في الطاعات وهذا معنى حديث أبي الدرداء(٥٦١)، روى

(٥٥٩) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٣٩ رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبدالله الحرازي عمن سمع عمر فذكره موقوفاً اهـ. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث. والرواية التي أشار إليها الحافظ فيها فرج بن فضالة وهو ضعيف والرواية التي أوردها المؤلف هنا فيها ضعف أيضاً فشهر بن حوشب حاله معروف وبينه وبين عمر مفازة تنقطع دونها أعناق المطي.

(٥٦٠) قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٥٥٥) والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به عن رسول الله ﷺ أحاديث من طرق يشد بعضها بعضاً.

(٥٦١) رواه أحمد (٥/ ١٩٨) (٦/ ٤٤٤) والحاكم (٢/ ٤٢٦) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٥) رواه أحمد

ابراهيم عن أبي صالح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال: « **أَمَّا السَّابِقُ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا المُقْتَصِدُ فَيُحَاسَب حِسَاباً يَسِيراً، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَيُحْصَرُ فِي طُولِ الحَبْسِ ثُمَّ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنهُ** ».

الثاني: أنهم أصحاب اليمين، قاله السدي.

الثالث: أنهم أصحاب الصغائر وهو قول متأخر.

الرابع: أنهم الذين اتبعوا سنن النبي ﷺ من بعده، قاله الحسن.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم المقربون، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم المستكثرون من طاعة الله تعالى، وهو مأثور.

الثالث: أنهم أهل المنزلة العليا في الطاعات، قاله علي بن عيسى.

الرابع: أنه من مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة.

روى عقبة بن صهبان قال: سألت عائشة(٥٦٢) رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: كلهم من أهل الجنة، السابق من مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالحياة والرزق، والمقتصد من اتبع أثره حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا.

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح وهي هذه إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي. وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٢٤) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور.

(٥٦٢) رواه الطيالسي (١٤٨٩) والحاكم (٢/ ٤٢٦) وزاد في الدر (٧/ ٢٤) نسبته لابن مردويه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط.

وقال الحاكم صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه الصلت بن دينار وهو ليس بالقوي وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٧) رواه الطبراني في الأوسط وفيه الصلت بن دينار وهو متروك.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أنه خوف النار، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه حزن الموت، قاله عطية.

الثالث: تعب الدنيا وهمومها، قاله قتادة.

الرابع: حزن المنّة، قاله سمُرة.

الخامس: حزن الظالم لما يشاهد من سوء حاله، قاله ابن زيد.

السادس: الجوع حكاه النقاش.

السابع: خوف السلطان، حكاه الكلبي.

الثامن: طلب المعاش، حكاه الفراء.

التاسع: حزن الطعام، وهو مأثور.

ويحتمل عاشراً: أنه حزن التباغض والتحاسد لأن أهل الجنة متواصلون لا يتباغضون ولا يتحاسدون.

وفي وقت قولهم لذلك قولان:

أحدهما: عند إعطاء كتبهم بأيمانهم لأنه أول بشارات السلامة، فيقولون عندها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾

الثاني: بعد دخول الجنة، قاله الكلبي، وهو أشبه لاستقرار الجزاء والخلاص من أهوال القيامة فيقولون ذلك عند أمنهم شكراً.

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي دار الإقامة وهي الجنة.

وفي الفرق بين المقامة بالضم والفتح وجهان:

أحدهما: أنها بالضم دار الإقامة، وبالفتح موضع الإقامة.

الثاني: أنها بالضم المجلس الذي يجتمع فيه للحديث.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعب، قاله ابن عيسى.

الثاني: وجع، قاله قتادة.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه العناء، قاله أبو جعفر الطبري(٥٦٣).

الثاني: أنه الإعياء، قاله قطرب وابن عيسى.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا**﴾ قال ابن جريج: وهم يستغيثون فيها ﴿**رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾ أي نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية.

﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ**﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه البلوغ، قاله الحسن لأنه أول زمان التذكر.

الثاني: ثماني عشرة سنة.

الثالث: أربعون سنة، قاله ابن عباس ومسروق.

الرابع: ستون سنة، قاله علي بن أبي طالب مرفوعاً.

الخامس: سبعون سنة لأنه آخر زمان التذكر، وما بعده هرم. روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ(٥٦٤): «**لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى عَبدٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً**».

قوله عز وجل: ﴿**وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: محمد ﷺ، قاله ابن زيد.

الثاني: الشيب، حكاه الفراء والطبري.

الثالث: الحمى.

الرابع: موت الأهل والأقارب.

ويحتمل خامساً: أنه كمال العقل.

---

(٥٦٣) جامع البيان (٢٢/ ١٤٠).

(٥٦٤) رواه البخاري (١١/ ٢٠٤) والترمذي (٢٣٣٢) والطبري (٢٢/ ١٤٢).

إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾

﴿فذُوقواْ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: حسرة الندم.

الثاني: عذاب جهنم.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ قال قتادة خلفاً بعد خلف قرناً بعد قرن، والخلف هو الثاني للمتقدم، ولذلك قيل لأبي بكر رضي الله عنه يا خليفة الله، فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضٍ بذلك. وقال بعد السلف إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى لا يغيب ولا يموت.

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي فعليه عقاب كفره.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرأَيْتُم شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾فيه وجهان:

أحدهما: شركاءكم في الأموال التي جعلتم لهم قسطاً منها الأوثان.

الثاني: الذين أشركتموهم في العبادة.

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلأَرْضِ﴾ قاله السدي يعني في الأرض.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ﴾ حتى صاروا شركاء في خلقها.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أم أنزلنا عليهم كتاباً بأن لله تعالى شركاء من الملائكة والأصنام فهم مستمسكون به، وهذا قول ابن زياد.

الثاني: أم أنزلنا عليهم كتاباً بأن الله لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون به، وهو معنى قول الكلبي(٥٦٥).

﴿بَلْ إن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إلاَّ غُرُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وعدوهم بأن الملائكة يشفعون.

الثاني: وعدوهم بأنهم ينصرون عليهم.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وحلفوا بالله جل اسمه يميناً

﴿لَئِن جَآءَهُم نَذِيرٌ﴾ أي نبي.

﴿لَّيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلأُمَمْ﴾ يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمْ إلاَّ نُفُوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نفوراً عن الرسول.

الثاني: نفوراً عن الحق.

قوله عز وجل: ﴿ٱسْتِكْبَاراً فِي ٱلأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: استكباراً عن عبادة الله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: استكباراً بمعاصي الله، وهذا قول متأخر.

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشرك بالله، قاله يحيى.

---

(٥٦٥) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث.

الثاني: أنه المكر برسول الله ﷺ ودينه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ﴾[الأنفال: ٣٠] الآية.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله الكلبي، يحيق بمعنى يحيط.

الثاني: قاله قطرب، يحيق بمعنى ينزل، وأنشد قول الشاعر(٥٦٦):

وقد دفعوا المنية فاستقلت ذراعاً بعدما كادت تحيق

قال فعاد ذلك عليهم بقتلهم يوم بدر.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني سنة الله في الأولين، وفيها وجهان:

أحدهما: نزول العذاب بهم عند إصرارهم في التكذيب.

الثاني: لا تقبل منهم التوبة عند نزول العذاب.

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ يعني من الذنوب.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ قال يحيى بن سلام بحبس المطر عنهم وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني جميع الحيوان مما دب ودرج، قاله ابن مسعود، قال قتادة: وقد فعل ذلك زمان نوح عليه السلام.

الثاني: من الإنس والجن دون غيرهما لأنهما مكلفان بالعقل، قاله الكلبي.

الثالث: من الناس وحدهم، قاله ابن جريج.

---

(٥٦٦) فتح القدير (٤/٣٥٦).

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه قولان:

أحدهما: الأجل المسمى الذي وعدهم في اللوح المحفوظ، قاله مقاتل.

الثاني: إلى يوم القيامة، قاله يحيى.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: نزول العذاب.

الثاني: البعث في القيامة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بصيراً بأجلهم.

الثاني: بصيراً بأعمالهم. والله أعلم.

من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الخامس

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب :
ص.ب ٥١١٥ - ١١٤ - برقياً : الكتبكو -
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النُّكتُ والعُيونُ
تفسير الماوردي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يس

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

مكية في قول الجميع، إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا إلا آية منها وهي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ﴾ [يس: ٤٧] الآية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾
تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ
الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿يس﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثاني: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه فواتح من كلام الله تعالى افتتح به كلامه، قاله مجاهد.

الرابع: أنه: يا محمد، قاله محمد بن الحنفية. وروى علي رضي الله عنه قال[١]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّانِي فِي الْقُرْآنِ بِسَبْعَةِ أَسْمَاءَ: مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ وَطه وَيس وَالْمُزَّمِّلِ وَالْمُدَّثِّرِ وَعَبدِ اللَّهِ».

الخامس: أنه يا إنسان: قاله الحسن، وعكرمة، والضحاك، وسعيد بن جبير.

ثم اختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وعكرمة هي بلغة الحبشة. وحكى الكلبي

(١) لم يصح هذا الحديث.

أنه بالسريانية وقال الشعبي: هو بلغة طيىء. وقال آخرون: هي بلغة كلب.

ويحتمل سادساً: يئس من كذب رسول الله ﷺ أن يكون مؤمناً بالله، نفياً للإيمان أن يكون إلا بالشهادتين، واليأس أبلغ في النفي من جميع ألفاظه، ثم أثبت رسالته بقسَمه فقال:

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على شريعة واضحة.

الثاني: على حجة بينة.

قوله عز وجل: ﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم قريش أنذروا بنبوة محمد ﷺ ولم ينذر آباؤهم من قبلهم، قاله قتادة.

الثاني: أنه عام ومعناه لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم، قاله السدي.

﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عن قبول الإنذار.

الثاني: عن استحقاق العذاب.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه لقد وجب العذاب على أكثرهم، قاله السدي.

الثاني: لقد سبق علم الله في أكثرهم، قاله الضحاك.

وفي هذا القول الذي حق عليهم وجهان:

أحدهما: أنه الوعيد الذي أوجبه الله تعالى عليهم من العذاب.

الثاني: أنه الإخبار عنهم بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني الأكثرية الذين حق القول عليهم، وهم الذين عاندوا رسول الله ﷺ من كفار قريش، وأكثرهم لم يؤمنوا فكان المخبر كالخبر.

إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ

عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ
وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ
الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول من التصرف، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ما حكاه السدي أن ناساً من قريش ائتمروا بالنبي ﷺ فجاءوا يريدون ذلك فجعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يداً.

الثالث: أن المراد به جعل الله سبحانه لهم في النار من الأغلال في أعناقهم ويكون الجعل ها هنا مأخوذاً من الجُعالة التي هي الأجرة كأن جعالتهم في النار الأغلال، حكاه ابن بحر.

وفي قوله: ﴿فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: في أيديهم، فكنى بالأعناق عن الأيدي لأن الغُل يكون في الأيدي، قاله الكلبي، وحكى قطرب أنها في قراءة ابن عباس: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالاً﴾

الثاني: أنها في الأعناق حقيقة، لأن الأيدي تجمع في الغل إلى الأعناق، قاله ابن عباس ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى الوجوه فكنى عنها بالأذقان لأنها منها، قاله قتادة، أي قد غلت يده عند وجهه.

الثاني: أنها الأذقان المنحدرة عن الشفة في أسفل الوجه لأن أيديهم تماسها إذا علت.

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: رفع رؤوسهم ووضع أيديهم على أفواههم، قاله مجاهد.

الثاني: هو الطامح ببصره إلى موطىء قدمه، قاله الحسن.

الثالث: هو غض الطرف ورفع الرأس مأخوذ من البعير المقمح وهو أن يرفع

رأسه ويطبق أجفانه في الشتاء إذا ورد ماء كريهاً، حكاه النقاش. وقال المبرد، وأنشد قول الشاعر[٢]:

ونحن على جوانبها قعود   نغض الطرف كالإبل القماح

الرابع: هو أن يجذب ذقنه إلى صدره ثم يرفعه مأخوذ من القمح وهو رفع الشيء إلى الفم، حكاه عليّ بن عيسى وقاله أبو عبيدة.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيۡنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني ضلالاً، قاله قتادة.

الثاني: سداً عن الحق، قاله مجاهد.

الثالث: ظلمة سدت قريشاً عن نبي الله ﷺ حين ائتمروا لقتله قاله السدي.

قال عكرمة: ما صنع الله تعالى فهو السُدُّ بالضم، وما صنع الإنسان فهو السد بالفتح.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فأغشيناهم بظلمة الكفر فهم لا يبصرون الهدى، قاله يحيى بن سلام، ومعنى قول مجاهد.

الثاني: فأغشيناهم بظلمة الليل فهم لا يبصرون محمداً[٣] ﷺ حين ائتمروا على قتله، قاله السدي، ومحمد بن كعب.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني القرآن.

﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يغيب به عن الناس من شر عمله، قاله السدي.

الثاني: ما غاب من عذاب الله وناره، قاله قتادة.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنبه.

﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ لطاعته، وفيه وجهان:

(٢) هو بشر بن أبي خازم والبيت في اللسان (قمح)، روح المعاني (٢٢/٢١٤) فتح القدير (٤/٣٦١) مجاز القرآن (٢/١٥٧) غريب القرآن (٣٦٣) القرطبي (١٥/٨).

(٣) وكان ذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ثم أذن الله له في الهجرة في تلك الليلة التي تآمروا فيها على قتل رسول الله فنجاه الله منهم.

أحدهما: أنه الكثير.

الثاني: الذي تنال معه الكرامة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نحييهم بالإيمان بعد الكفر، قاله الضحاك.

الثاني: بالبعث للجزاء، قاله يحيى بن سلام.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما قدموا هو ما عملوا من خير أو شر، وآثارهم ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ما قدموا: أعمالهم، وآثارهم: خطاهم إلى المساجد، قاله مجاهد.

روى سفيان عن أبي[٤] نضرة عن أبي سعيد الخدري قال[٥]: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد، فنزلت: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ﴾ وقال لهم النبي ﷺ: «إن آثَارَكُم تُكْتَبُ فَلَمْ يَنتَقِلُوا».

ويحتمل إن لم يثبت نقل هذا السبب تأويلاً ثالثاً أن آثارهم هو أن يصلح من صاحبهم بصلاحهم، أو يفسد بفسادهم.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيناهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علمناه.

الثاني: حفظناه.

﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدهما: اللوح المحفوظ. قاله السدي.

الثاني: أم الكتاب قاله مجاهد.

الثالث: معناه طريق مستقيم، قاله الضحاك.

---

(٤) هذا الموضع فيه سقط والصواب عن سفيان عن طريف عن أبي نضرة عن أبي سعيد والتصويب من الطبري (٢٢/١٥٤).

(٥) رواه الطبري (٢٢/١٥٤) والترمذي (٢/١٥٥) وحسنه والحاكم (٢/٤٢٨) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٧/٤٦) نسبته للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب وقد ورد الحديث من حديث جابر رواه مسلم وغيره.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هذه القرية هي أنطاكية من قول جميع المفسرين.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ اختلف في اسميهما على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهما شمعون ويوحنا، قاله شعيب.

الثاني: صادق وصدوق، قاله ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه.

الثالث: سمعان ويحيى، حكاه النقاش.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فشددنا، قاله مجاهد.

الثاني: فزدنا، قاله ابن جريج.

الثالث: قوينا مأخوذ من العزة وهي القوة المنيعة، ومنه قولهم: من عز وبز.

واختلف في اسمه على قولين:

أحدهما: يونس قاله شعيب.

الثاني: شلوم، قاله ابن عباس وكعب ووهب. وكان ملك أنطاكية أحد الفراعنة يعبد الأصنام مع أهلها، وكانت لهم ثلاثة أصنام يعبدونها، ذكر النقاش أن أسماءها رومس وقيل وارطميس.

واختلف في اسم الملك على قولين:

أحدهما: أن اسمه أنطيخس، قاله ابن عباس وكعب ووهب.

الثاني: انطرا، قاله شعيب.

قوله عز وجل: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وهذا القول منهم إنكار لرسالته، ويحتمل وجهين.

أحدهما: أنكم مثلنا غير رسل وإن جاز أن يكون البشر رسلاً.

الثاني: إن مثلكم من البشر لا يجوز أن يكونوا رسلاً.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك منهم إنكاراً للرحمن أن يكون إلّهاً مرسلاً.

الثاني: أن يكون ذلك إنكاراً أن يكونوا للرحمن رسلاً.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تكذبون في أن لنا إلهاً.

الثاني: تكذبون في أن تكونوا رسلاً.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فإن قيل يعلم الله تعالى أنهم لا تكون حجة عند الكفار لهم.

قيل يحتمل قولهم ذلك وجهين:

أحدهما: معناه ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون بما يظهره لنا من المعجزات، وقد قيل إنهم أحيوا ميتاً وأبرؤوا زمِناً.

الثاني: أن تمكين ربنا لنا إنما هو لعلمه بصدقنا.

واختلف أهل العلم فيهم على قولين:

أحدهما: أنهم كانوا رسلاً من الله تعالى إليهم.

الثاني: أنهم كانوا رسل عيسى عليه السلام من جملة الحواريين أرسلهم إليهم فجاز، لأنهم رسل رسول الله، أن يكونوا رسلاً لله، قاله ابن جريج.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعني بالإعجاز الدال على صحة الرسالة أن الذي على الرسل إبلاغ الرسالة وليس عليهم الإجابة، وإنما الإجابة على المدعوين دون الداعين.

قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تشاءَمنا بكم، وعساهم قالوا ذلك لسوء أصابهم، قاله يحيى بن سلام. قيل إنه حبس المطر عن أنطاكية في أيامهم.

الثاني: معناه إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، قاله قتادة. تحذيراً من الرجوع عن دينهم.

الثالث: استوحشنا منكم فيما دعوتمونا إليه من دينكم.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لنرجمنكم بالحجارة، قاله قتادة.

الثاني: لنقتلنكم، قاله السدي:

الثالث: لنشتمنكم ونؤذيكم، قاله النقاش.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه القتل.

الثاني: التعذيب المؤلم قبل القتل.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن أعمالكم معكم أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، قاله قتادة.

الثاني: أن الشؤم معكم إن أقمتم على الكفر إذا ذكرتم، قاله ابن عيسى.

الثالث: معناه أن كل من ذكركم بالله تطيرتم به، حكاه بعض المتأخرين.

الرابع: أن عملكم ورزقكم معكم، حكاه ابن حسام المالكي.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في تطيركم، قاله قتادة.

الثاني: مسرفون في كفركم، قاله يحيى بن سلام. وقال ابن بحر: السرف ها هنا الفساد ومعناه بل أنتم قوم مفسدون، ومنه قول الشاعر[٦]:

إن امرأ سرف الفؤاد يرى   عسلاً بماءِ غمامة شتمي

وقيل: إن شمعون من بينهم أحيا بنت ملك أنطاكية من قبرها، فلم يؤمن أحد منهم غير حبيب النجار فإنه ترك تجارته حين سمع بهم وجاءهم مسرعاً فآمن، وقتلوا جميعاً وحبيب معهم، وألقوا في بئر. قال مقاتل: هم أصحاب الرس. ولما عرج بروح حبيب إلى الجنة تمنى فقال ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾

(٦) هو طرفة بن العبد والبيت في اللسان (سرف) والشطر الثاني فيه:
عسلاً بماء سحابة شتمي

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾
ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ
عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ
ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ اختلف فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كان إسكافاً، قاله عمر بن عبد الحكيم.

الثاني: أنه كان قصاراً، قاله السدي.

الثالث: أنه كان حبيب النجار، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد.

﴿قَالَ يَا قومِ اتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وفي علمه بنبوتهم[7] وتصديقه [8] لهم قولان:

أحدهما: لأنه كان ذا زمانة أو جذام فأبرؤوه، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك أجراً؟ قالوا لا، فاعتقد صدقهم وآمن بهم، قاله أبو العالية.

قوله عز وحل: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون قال ذلك تنبيهاً على صدقهم.

الثاني: أن يكون قال ذلك ترغيباً في إجابتهم.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مهتدون لهدايتكم.

الثاني: مهتدون فاهتدوا بهم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي خلقني ﴿وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾

(٧) وفي هذا خلاف بين العلماء واستشكالاً كبيراً راجع تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٩).

(٨) واستظهر ابن كثير كونهم رسل من عند الله وليسوا من الحواريين لأنه لم يدل على ذلك دليل من سياق الآيات (٣/ ٥٦٩).

أي تبعثون. فإن قيل: فلم أضاف الفطرة إلى نفسه والبعث إليهم وهو معترف أن الله فطرهم جميعاً ويبعثهم إليه جميعاً؟

قيل: لأنه خلق الله تعالى له نعمة عليه توجب الشكر، والبعث في القيامة وعيد يقتضي الزجر، فكان إضافة النعمة، إلى نفسه إضافة شكر، وإضافة الزجر إلى الكافر أبلغ أثراً.

قال قتادة: بلغني أنهم لما قال لهم: وما لي لا أعبد الذي فطرني وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه وهو يقول: يا رب اهدِ قومي، أحسبه قال: فإنهم لا يعلمون.

قوله عز وجل: ﴿إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُم فَاسْمَعُونِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خاطب الرسل بذلك أنه يؤمن بالله ربهم ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ أي فاشهدوا لي، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه خاطب قومه بذلك، ومعناه إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعوا قولي، قاله وهب بن منبه.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر بدخول الجنة.

الثاني: أنه أخبر بأنه قد استحق دخول الجنة لأن دخولها يستحق بعد البعث.

﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ في هذا التمني منه قولان:

أحدهما: أنه تمنى أن يعلموا حاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته.

الثاني: أنه تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله. قال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً.

ويحتمل قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وجهين:

أحدهما: ممن أكرمه بقبول عمله.

الثاني: ممن أحله دار كرامته.

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل **﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾** فيه قولان.

أحدهما: معنى جند من السماء أي رسالة، قاله مجاهد، لأن الله تعالى قطع عنهم الرسل حين قتلوا رسله.

الثاني: أن الجند الملائكة الذين ينزلون الوحي على الأنبياء، قاله الحسن.

﴿وما كنا منزلين﴾ أي فاعلين.

﴿إن كانت إلا صيحة واحدةً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّ الصيحة هي العذاب.

الثاني: أنها صيحة من جبريل عليه السلام ليس لها مثنوية[٩]، قاله السدي.

﴿فإذا هم خامدون﴾ أي ميتون تشبيهاً بالرماد الخامد.

قوله عز وجل: **﴿يا حسرةً على العِباد ما يأتيهم﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يا حسرة العباد على أنفسها، قال قتادة، وحكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم في بعض القراءات متلوًّا.

الثاني: أنها حسرتهم على الرسل الثلاثة، قاله أبو العالية.

الثالث: أنها حسرة الملائكة على العباد في تكذيبهم الرسل، قاله الضحاك.

وفيه وجه رابع: عن ابن عباس أنهم حلوا محل من يتحسر عليهم.

﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءُون﴾ الاستهزاء منهم قبل العذاب.

وفي الحسرة منهم قولان:

أحدهما: بعد معاينة العذاب.

الثاني: في القيامة، قاله ابن عباس.

---

(٩) يعني أنها صحيحة لم تتكرر بل كانت واحدة من أمين الوحي جبريل.

قوله عزوجل: ﴿وإن كلٌّ لما جميعٌ﴾ يعني الماضين والباقين.

﴿لدينا محضرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معذبون، قاله السدي.

الثاني: مبعثون، قاله يحيى بن سلام.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وفجرنا فيها مِن العيون ليأكلوا من ثمَرِه وما عَمِلَتْهُ أيديهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها إثبات وتقديره: ومما عملته أيديهم، قاله الكلبي والفراء وابن قتيبة.

والوجه الثاني: أنها جحد وفيها على هذا القول وجهان:

أحدهما: وما لم تعمله أيديهم من الأنهار التي أجراها الله سبحانه لهم. قال الضحاك يعني الفرات ودجلة ونهر بلخ ونيل مصر.

الثاني: وما لم تعمله أيديهم من الزرع الذي أنبته الله تعالى لهم.

قوله عزوجل: ﴿سبحان الذي خَلَق الأزواج كلها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني الأصناف كلها، قاله السدي.

الثاني: يعني من النخل والشجر والزرع كل صنف منه زوج.

﴿ومن أنفسهم﴾ وفي ذلك دليل على مشاكلة الحيوان لهم في أنها زوج ذكر وأنثى.

﴿ومما لا يَعْلمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني الروح التي يعلمها الله ولا يعلمها غيره.

الثاني: ما يرى نادراً من حيوان ونبات.

ويحتمل ثالثاً: مما لا تعلمون من تقلب الولد في بطن أمه[١٠].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**وآيةٌ لهم الليل نسلخ منه النهار**﴾ أي نخرج منه النهار يعني ضوءه، مأخوذ من سلخ الشاة إذا خرجت من جلدها.

﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ أي في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه أظلم.

﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، حكاه ابن عيسى.

الثاني: لوقت واحد لا تعدوه، قاله قتادة.

الثالث: أي أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها، قاله الكلبي. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها[١١]: «والشمس تجري لا مستقر لها». وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار.

قوله عزوجل: ﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جعله في كل ليلة على مقر له، يزيد في كل ليلة من أول الشهر حتى يستكمل ثم ينقص بعد استكماله حتى يعود كما بدأ، وهو محتمل.

الثاني: أنه يطلع كل ليلة في منزل حتى يستكمل جميع المنازل في كل شهر، ولذلك جعل بعض الحساب السنة الشمسية ثلاثة عشر شهراً قمرياً.

﴿**حتى عَادَ كالعرجون القديم**﴾ فيه قولان:

---

(١٠) والأولى تفسير قوله ﴿ما لا يعلمون﴾ على العموم.

(١١) وهي قراءة ابن مسعود وعكرمة وعلي بن الحسين والشيزري الحنفي عن الكسائي زاد المسير (٧/ ١٩).

أحدهما: أنه العذق اليابس إذا استقوس، وهو معنى قول ابن عباس، ومنه قول أعشى قيس:

شـرق المسـك والعبيـر بهـا فهي صفـراء كعـرجـون القمـر

الثاني: أنه النخل إذا انحنى مائلاً، قاله الحسن.

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تُدْرِكَ القَمر﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر، قاله مجاهد.

الثاني: لا يجتمع ضوء أحدهما مع ضوء الآخر، لأن ضوء القمر ليلاً وضوء الشمس نهاراً، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر، قاله قتادة.

الثالث: معناه أنهما إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها، قاله ابن عباس.

الرابع: أنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، قاله الحسن.

الخامس: أنه لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها، حكاه يحيى بن سلام.

﴿ولا الليلُ سابق النهار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: أنه لا يأتي ليل بعد ليل متصل حتى يكون بينهما نهار منفصل، وهو معنى قول عكرمة.

ومن الناس من يجعل هذا دليلاً على أن أول الشهر النهار دون الليل، لأنه إذا لم يسبق الليل النهار واستحال اجتماعهما وجب أن يكون النهار سابقاً. وهذا قول يدفعه الشرع ويمنع منه الإجماع.

﴿وكلٌّ في فلك يسْبحون﴾ قال الحسن: الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت.

وفي قوله تعالى: ﴿يسبحون﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: يجرون، قاله ابن عباس.

الثاني : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة، قاله عكرمة ومجاهد.

الثالث: يعملون، قاله الضحاك.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وآية لهم﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: عبرة لهم لأن في الآيات اعتباراً.

الثاني : نعمة عليهم لأن في الآيات إنعاماً.

الثالث: إنذار لهم لأن في الآيات إنذاراً.

﴿أنَّا حَمَلْنا ذُرِّيتَهم في الفلك المشحون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام، قاله أبان(*) بن عثمان، وسمى الآباء ذرية لأن منهم ذرء الأبناء.

الثاني : أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرء الآباء حملوا في السفن، والفلك هي السفن الكبار، قاله السدي.

الثالث: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون ، قاله عليّ رضي الله عنه.

وفي **﴿المشحون﴾** قولان:

أحدهما: الموقر، قاله ابن عباس.

الثاني : المملوء، حكاه ابن عباس أيضاً.

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه خلق مثل سفينة نوح مما يركبونها من السفن، قاله ابن عباس.

الثاني : أنها السفن الصغار خلقها لهم مثل السفن الكبار، قاله أبو مالك.

الثالث: أنها سفن الأنهار خلقها لهم مثل سفن البحار، قاله السدي.

(*) وفي نسخه ابن عباس.

الرابع: أنها الإبل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، قاله الحسن وعبدالله بن شداد. والعرب تشبه الإبل بالسفن، قال طرفة[١٢]:

كأنَّ حدوج المالكية غدوةً خلايا سَفينٍ بالنواصِف من دَدِ

ويجيء على مقتضى تأويل عليّ رضي الله عنه في أن الذرية في الفلك المشحون هي النطف في بطون النساء.

قولٌ خامس في قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾:

أن يكون تأويله النساء خلقن لركوب الأزواج، لكن لم أره محكياً.

قوله عز وجل: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا مغيث لهم، رواه سعيد عن قتادة.

الثاني: فلا منعة لهم، رواه شيبان عن قتادة.

﴿ولا هم ينقذون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الغرق.

الثاني: من العذاب.

﴿إلا رحمة منا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا رحمتنا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: إلا نعمة منا، قاله مقاتل.

﴿ومتاعاً إلى حين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى الموت، قاله قتادة.

الثاني: إلى القيامة، قاله يحيى.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ
ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

(١٢) اللسان «نصف».

قوله عزوجل: ﴿وإذا قيل لهم اتَّقوا ما بين أيديكم وما خلْفكم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما بين أيديكم ما مضى من الذنوب، وما خلفكم ما يأتي من الذنوب، قاله مجاهد:

الثاني: ما بين أيديكم من الدنيا، وما خلفكم من عذاب الآخرة، قاله سفيان.

الثالث: ما بين أيديكم عذاب الله لمن تقدم من عاد وثمود، وما خلفكم من أمر الساعة، قاله قتادة.

ويحتمل تأويلًا رابعاً: ما بين أيديكم ما ظهر لكم، وما خلفكم ما خفي عنكم.

﴿لعلكم ترحمون﴾ معناه لكي ترحموا فلا تعذبوا. ولهذا الكلام جواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه.

قوله عزوجل: ﴿وما تأتيهم مِن آيةٍ مِنْ آيات ربِّهم﴾ فيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: من آية من كتاب الله، قاله قتادة.

الثاني: من رسول، قاله الحسن.

الثالث: من معجز، قاله النقاش.

ويحتمل رابعاً: ما أنذروا به من زواجر الآيات والعبر في الأمم السالفة.

قوله عزوجل: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللهُ قال الذين كفروا﴾ الآية. فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود أمروا بإطعام الفقراء فقالوا ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ قاله الحسن.

الثاني: أنهم الزنادقة أمروا فقالوا ذلك، قاله قتادة.

الثالث: أنهم مشركو قريش جعلوا لأصنامهم في أموالهم سهماً فلما سألهم الفقراء أجابوهم بذلك، قاله النقاش.

ويحتمل هذا القول منهم وجهين:

أحدهما: إنكارهم وجوب الصدقات في الأموال.

الثاني: إنكارهم على إغناء من أفقره الله تعالى ومعونة من لم يعنه الله تعالى.

﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من قول الكفار لمن أمرهم بالإطعام، قاله قتادة.

الثاني: أنه من قول الله تعالى لهم حين ردوا بهذا الجواب، حكاه ابن عيسى.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

قوله عزوجل: ﴿ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما وعدوا به من العذاب، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ما وعدوا به من الظفر بهم، قاله قتادة.

قوله عزوجل: ﴿ما ينظرون إلا صيحةً واحدة تأخذهم﴾ قال السدي: هي النفخة الأولى من إسرافيل ينتظرها آخر هذه الأمة من المشركين. وروى نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[١٣] «**تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم، والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم، والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم**».

﴿وهم يخصمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتكلمون في معايشهم ومتاجرهم، قاله السدي.

الثاني: يخصمون في دفع النشأة الثانية، حكاه ابن عيسى.

﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أي يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بما في يديه من حق.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أنه لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع.

﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ أي إلى منازلهم، قال قتادة لأنهم أعجلوا عن ذلك.

---

(١٣) جزء من حديث رواه البخاري (١٣/٧٢ ـ ٧٨) وقد تقدم بعضه ولكن ليس في رواية البخاري والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم لكن رواه الطبري (٢٣/١٣) عن قتادة قال ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول... الحديث وفيه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ
بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

قوله عزوجل: ﴿ونفخ في الصور﴾ وهذه هي النفخة الثانية للنشأة وقيل إن بينهما أربعين سنة. روى المبارك بن فضالة عن الحسن قال[١٤]: قال رسول الله ﷺ **«بين النفختين أربعون: الأولى يميت الله سبحانه بها كل حي، والآخرة يحيي الله بها كل ميت»**.

والنفخة الثانية من الآخرة. وفي الأولى قولان:

أحدهما: أنها من الدنيا، قاله عكرمة.

الثاني: أنها من الآخرة، قاله الحسن.

﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ والأجداث القبور، واحدها جدث. وفي قوله تعالى **﴿ينسلون﴾** ثلاثة تأويلات:

أحدها: يخرجون، قاله ابن عباس وقتادة، قال الشاعر[١٥]:

. . . . فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

الثاني: يسرعون، كقول الشاعر[١٦]:

عسلان الذئب أمسى قاربا بَرَدَ الليلُ عليه فنسل

الثالث: يتخلصون من السلو، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: **﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا مِن مَرقدنا﴾** قال قتادة: هي النومة بين النفختين لا يفتر عنهم عذاب القبر إلا فيها. وفي تأويل هذا القول قولان:

أحدهما: أنه قول المؤمنين ثم يجيبون أنفسهم فيقولون:

---

(١٤) تقدم تخريجه.

(١٥) تقدم تخريجه وهو لامرىء القيس راجع سورة الأنبياء.

(١٦) تقدم تخريجه وهو للنابغة وقيل للبيد راجع سورة الانبياء.

﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنه قول الكفار لإنكارهم البعث فيقال لهم: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

وفي قائل ذلك لهم قولان:

أحدهما: أنه قول المؤمنين لهم عند قيامهم من الأجداث معهم، قاله قتادة.

الثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن.

وفي ﴿هذا﴾ وجهان:

أحدهما: أنه إشارة إلى المرقد تماماً لقوله تعالى ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ وعليه يجب أن يكون الوقف.

الثاني: أنه ابتداء ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ فيكون إشارة إلى الوعد ويكون الوقف قبله والابتداء منه.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

قوله عزوجل: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: في افتضاض الأبكار، قاله الحسن وسعيد بن جبير وابن مسعود وقتادة.

الثاني: في ضرب الأوتار، قاله[١٧] ابن عباس ومسافع بن أبي شريح.

الثالث: في نعمة، قاله مجاهد.

الرابع: في شغل مما يلقى أهل النار، قاله إسماعيل بن أبي خالد وأبان بن تغلب. وروي[١٨] بضم الغين وقرىء[١٩] بتسكينها وفيها وجهان:

(١٧) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/٢٧) «ولا يثبت هذا القول».

(١٨) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي زاد المسير (٧/٢٧).

(١٩) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو «شُغْل» وقرأ أبو مجلز وأبو العالية وعكرمة والضحاك والنخعي وابن

أحدهما: أن الشغل بالضم المحبوب.

الثاني: الشغل بالإسكان يعني المروة، فعلى هذا لا يجوز أن يقرأ بالإسكان في أهل الجنة ولا يقرأ بالضم في أهل النار.

﴿فاكهون﴾ ويقرأ: فكهون[٢٠]، بغير ألف. وفي اختلاف القراءتين وجهان:

أحدهما: أنها سواء ومعناهما واحد يقال فاكه وفكه كما يقال حاذر وحذر قاله الفراء.

الثاني: أن معناهما في اللغة مختلف فالفكه الذي يتفكه بأعراض الناس. والفاكه ذو الفاكهة، قاله أبو عبيد وأنشد:

فكه إلى جنب الخوان إذا عدت ... نكْباء تقلع ثابت الأطنابِ

وفيه ها هنا أربعة تأويلات:

أحدها: فرحون، قاله ابن عباس.

الثاني: ناعمون، قاله قتادة.

الثالث: معجبون، قاله مجاهد.

الرابع: ذو فاكهة كما يقال شاحم لاحم أي ذو شحم ولحم، وكما قال الشاعر[٢١]:

وغررتني وزعمت أنَّك لابنٌ بالصيف تامر

أي ذو لبن وتمر.

قوله عزوجل: ﴿هم وأزواجُهم في ظلال﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وأزواجهم في الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم.

الثاني: أزواجهم اللاتي زوّجهم الله تعالى بهن في الجنة من الحور العين.

﴿في ظِلال﴾ يحتمل وجهين:

يعمر والجحدري شَغْل بفتح فسكون والأولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين راجع زاد المسير (٧/ ٢٧) وفتح القدير (٤/ ٣٧٦).

(٢٠) وهي قراءة ابن مسعود والسلمي وأبي المتوكل وقتادة وأبي الجوزاء والنخعي وأبي جعفر زاد المسير (٧/ ٢٨).

(٢١) هو الحطيئة والبيت في الطبري (٢٣/ ١٩) وفيه: ودعوتني بدلاً من وغررتني.

أحدهما: في ظلال النعيم.
الثاني: في ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم.
قوله عز وجل: ﴿لهم فيها فاكهةٌ ولهُم ما يَدَّعون﴾ فيه أربعة تأويلات:
أحدها: ما يشتهون، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: ما يسألون، قاله ابن زياد.
الثالث: ما يتمنون، قاله أبو عبيدة.
الرابع: ما يدعونه فيأتيهم، قاله الكلبي قال الزجاج: وهو مأخوذ من الدعاء.
ويحتمل خامساً: ما يدّعون أنه لهم فهو لهم لا يدفعون عنه، وهم مصروفون عن دعوى ما لا يستحقون.
قوله عز وجل: ﴿سلامٌ قولاً مِن رَبٍّ رحيم﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أنه سلام الله تعالى عليهم إكراماً لهم، قاله محمد بن كعب[٢٢].
الثاني: أنه تبشير الله تعالى لهم بسلامتهم.

وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وامتازوا اليوم أيُّها المجرمون﴾ فيه وجهان:
أحدهما: قاله الكلبي، لأن المؤمنين والكفار يحشرون مع رسلهم فلذلك يؤمرون بالامتياز.
الثاني: يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة، قاله الضحاك.
فيحتمل وجهين:
أحدهما: أن يكون الامتياز عند الوقوف.
الثاني: عند الانكفاء إلى النار.

---
(٢٢) واختاره ابن جرير (٢٣ / ٢١).

قال داود بن الجراح: فيمتاز المسلمون من المجرمين إلا صاحب الهوى فيكون مع المجرمين.

قوله عزوجل: ﴿ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جموعاً كثيرة، قاله قتادة.

الثاني: أمماً كثيرة، قاله الكلبي.

الثالث: خلقاً كثيراً، قاله مجاهد ومطرف. وحكى الضحاك أن الجِبلّ الواحد عشرة آلاف، والكثير ما لا يحصيه إلّا الله تعالى.

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾
ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا
وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

قوله عزوجل: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون منعها من الكلام هو الختم عليها.

الثاني: أن يكون ختماً يوضع عليها فيرى ويمنع من الكلام.

وفي سبب الختم أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم قالوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فختم الله تعالى على أفواههم حتى نطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري.

الثاني: لِيَعرفهم أهل الموقف فيتميزون منهم، قاله ابن زياد.

الثالث: لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الإلزام من إقرار الناطق لخروجه مخرج الإعجاز وإن كان يوماً لا يحتاج فيه إلى الإعجاز.

الرابع: ليعلم أن أعضاءه التي كانت له أعواناً في حق نفسه صارت عليه شهوداً في حق ربه.

﴿وتُكلِّمنا أيديهم وتشهـدُ أرجلهم بما كـانوا يكسبـون﴾ وفي كلامهـا ثلاثـة أقاويل:

أحدها: أنه يظهر منها سِمة[٢٣] تقوم [مقام][*] كلامها كما قال الشاعر:

وقـد قـالت العينـان سمعـاً وطـاعـة ... وحَـدَّرتـا كـالـدر لـمـا يـثَـقَّـبِ

الثاني: أن الموكلين بها يشهدون عليها[٢٤].

الثالث: أن الله تعالى يخلق فيها ما يتهيأ معه الكلام منها.

روى الشعبي عن أنس أن النبي ﷺ قال[٢٥] «**يقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل**».

فإن قيل فلم قال **﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾** فجعل ما كان من اليد كلاماً، وما كان من الرجل شهادة؟

قيل لأن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار، فلذلك عبّر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل بالشهادة. وقد روى شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر قال[٢٦]: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى**».

فاحتمل أن يكون تقدم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء لأن لـذة معاصيـه يدركها بحواسه التي في الشطر الأعلى من جسده، وأقرب أعضاء الشطر الأسفل منها الفخذ، فجاز لقربه منها أن يتقدم في الشهادة عليها، وتقدمت اليسرى لأن الشهوة في

(٢٣) وهذا تأويل غير مرض وكذا الثاني والصواب أن الأعضاء تنطق على الحقيقة كما ورد في الحديث الصحيح الذي أورده المؤلف في القول الثالث ومنه تعلم أن القول الثالث هو الراجح.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٤) وهذا إن كان صحيحاً فليس هو المقصود في الآية.

(٢٥) رواه مسلم (٢٩٦٩). وزاد في الدر (٦٧/٧) نسبته للنسائي وابن أبي الدنيا في التوبة وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢٦) رواه أحمد (٣/٥) وابن جرير (٢٤/٢٣) وزاد في الدر (٦٧/٧) نسبته لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

ميامن الأعضاء أقوى منها في مياسرها، فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها.

قوله عزوجل: ﴿ولو نشاءُ لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصِّراطَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأعمينا أبصار المشركين في الدنيا فضلوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم، قاله قتادة.

الثاني: لأعمينا قلوبهم فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه، قاله ابن عباس.

قال الأخفش وابن قتيبة: المطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق مأخوذ من طمس الريح الأثر.

﴿ولو نشاء لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: لأهلكناهم في مساكنهم، قاله ابن عباس.

الثالث: لغيّرنا خلْقهم فلا ينقلبون، قاله السدي.

﴿فما استطاعوا مُضِيًّا ولا يرجعون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فما استطاعوا لو فعلنا ذلك بهم أن يتقدموا ولا يتأخروا، قاله قتادة.

الثاني: فما استطاعوا مُضِيًّا في الدنيا، ولا رجوعاً فيها، قاله أبو صالح.

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

قوله عزوجل: ﴿ومَن نعمِّره ننكِّسْهُ في الخلْق﴾ في قوله ﴿نعمره﴾ قولان: .

أحدهما: بلوغ ثمانين سنة، قاله سفيان.

الثاني: هو الهرم، قاله قتادة.

وفي قوله تعالى ﴿ننكِّسْه﴾ تأويلان:

أحدهما: نردُّه في الضعف إلى حال الضعف فلا يعلم شيئاً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: نغير سمعه وبصره وقوته، قاله قتادة.

و ﴿في الخلق﴾ وجهان:

أحدهما: جميع الخلق ويكون معناه: ومن عمرناه من الخلق نكسناه في الخلق.

والوجه الثاني: أنه عنى خلقه، ويكون معنى الكلام: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصار مكان القوة الضعف، ومكان الشباب الهرم، ومكان الزيادة النقصان.

﴿أفلا تعقلون﴾ أن من فعل هذا بكم قادر على بعثكم.

قوله عز وجل: ﴿وما علّمْناه الشِّعر وما ينبغي له﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أي ليس الذي علمناه من القرآن شعراً.

الثاني: أي لم نعلم رسولنا أن يقول الشعر.

﴿وما ينبغي له﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وما ينبغي له أن يقول شعراً.

الثاني: وما ينبغي لنا أن نعلمه شعراً.

﴿إنْ هو إلا ذكر وقرآن مُبين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إنْ علّمناه إلا ذكراً وقرآناً مبيناً.

الثاني: إنْ هذا الذي يتلوه عليكم إلا ذكر وقرآن مبين.

قوله عز وجل: ﴿لينذر مَن كان حَيًّا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لتنذر يا محمد من كان حياً وهذا تأويل من قرأ بالتاء[٢٧].

الثاني: لينذر القرآن من كان حياً، وهو تأويل من قرأ بالياء.

وفي ﴿مَن كان حَيًّا﴾ ها هنا أربعة تأويلات:

أحدها: من كان غافلاً[٢٨]، قاله الضحاك.

الثاني: من كان حي القلب حي البصر، قاله قتادة.

الثالث: من كان مؤمناً، قاله يحيى بن سلام.

---

(٢٧) وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وفيها قراءة أخرى لينذر بياء مرفوعة وفتح الذال والراء جميعاً زاد المسير (٧/ ٣٧).

(٢٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عاقلاً والتصويب من الطبري (٢٣/ ٢٧) والدر (٧/ ٧٢).

الرابع: من كان مهتدياً، قاله السدي.

﴿ويحِقَّ القَوْل على الكافرين﴾ معناه: ويجب العذاب على الكافرين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عَمِلتْ أيدينا أنعاماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بقوتنا، قاله الحسن كقوله تعالى ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ [الذاريات: ٤٧] أي بقوة.

الثاني: يعني من[٢٩] فعلنا وعملنا من غير أن نكله إلى غيرنا، قاله السدي.

والأنعام: الإبل والبقر والغنم.

﴿فهم لها مالكون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ضابطون، قاله قتادة ومنه قول الشاعر[٣٠]:

أصبحت لا أحمل السِّلاح ولا ... أملِك رأس البعير إن نَفَرا

الثاني: مطبقون رواه معمر.

الثالث: مقتنون وهو معنى قول ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿وذللناها لهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وطيبناها لهم؛ قاله ابن عيسى.

---

(٢٩) وهو الصواب فإن إضافة العمل في الآية إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية بخلاف ما إذا إضيف إلى النفس وعدى بالباء إلى اليد فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم وبه يزول إشكالات كثير.

وعلى هذا فإضافة العمل إلى اليد المراد بذلك صاحبها ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال عملته بيدي كما في قوله تعالى ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد، راجع القواعد المثلى للشيخ العثيمين ص ٧٣.

(٣٠) هو الربيع بن منيع الفزاري والبيت في البحر المحيط (٣٤٧/٧).

وروح المعاني (٤٧/٢٣) وزاد المسير (٣٨/٧).

الثاني: سخرناها لهم، قاله ابن زيد.

الثالث: ملكناها لهم.

﴿فمنها ركوبُهم﴾ والركوب بالضم مصدر ركب يركب ركوباً، والركوب بالفتح الدابة التي تصلح أن تركب.

﴿ومنها يأكلون﴾ يعني لحوم المأكول منها.

﴿ولهم فيها منافع﴾ قال قتادة: هي لبس أصوافها.

﴿ومشارب﴾ يعني شرب ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ يعني رب هذه النعمة بتوحيده وطاعته.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

قوله عزوجل: ﴿... وهم لهم جندٌ محضرون﴾ يعني أن المشركين لأوثانهم جند، وفي الجند ها هنا وجهان:

أحدهما: شيعة، قاله ابن جريج.

الثاني: أعوان.

﴿محضرون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: محضرون عند الحساب، قاله مجاهد.

الثاني: محضرون في النار، قاله الحسن.

الثالث: محضرون للدفع عنهم والمنع منهم، قاله حميد. قال قتادة: يغضبون لآلهتهم، وآلهتهم لا تنصرهم.

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا

(*) وفي نسخه لا ينصرون.

أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

قوله عزوجل: ﴿أو لَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خلقناه مِن نطفةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي أتى النبي ﷺ يجادله في بعث الموتى، قاله عكرمة ومجاهد والسدي.

الثاني: أنها نزلت في العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله هذا بعدما أرمّ؟ فقال رسول الله ﷺ «**نعم ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم**» فنزلت هذه الآيات فيه، قاله ابن عباس (٣١).

﴿**فإذا هو خصيمٌ مبينٌ**﴾ أي مجادل في الخصومة مبين للحجة، يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً خصيماً مبيناً، فاحتمل ذلك أمرين:

أحدهما: أن ينبهه بذلك على نعمه عليه.

الثاني: أن يدله بذلك على إحياء الموتى كما ابتدأه بعد أن لم يكن شيئاً.

قوله عزوجل: ﴿**وضَرب لنا مثلاً ونَسي خلقه**﴾ وهو من قدمنا ذكره ويحتمل وجهين.

أحدهما: أي ترك خلقه أن يستدل به.

الثاني: سها عن الاعتبار به.

﴿**قال مَن يُحْيِ العظَامَ وهي رَميمٌ**﴾ استبعاداً أن يعود خلقاً جديداً. فأمر الله نبيه ﷺ أن يجيبه بما فيه دليل لأولي الألباب.

﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مَرَّة**﴾ أي من قدر على إنشائها أول مرة من غير شيءٍ فهو قادر على إعادتها في النشأة الثانية من شيء.

﴿**وهو بكل خَلقٍ عليم**﴾ أي كيف يبدىء وكيف يعيد.

---

(٣١) رواه الطبري (٢٣/ ٣٠) من رواية سعيد بن جبير مرسلاً ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد عن ابن عباس وكذا رواه الحاكم (٢/ ٤٢٩) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٧٤) نسبته لابن المنذر والإسماعيلي في معجمه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة.

قوله عزوجل: ﴿الذي جَعَلَ لكم مِنَ الشجر الأخضر ناراً﴾ الآية أي الذي جعل النار المحرقة في الشجر الرطب المَطفي وجمع بينهما مع ما فيهما من المضادة، لأن النار تأكل الحطب، وأقدركم على استخراجها هو القادر على إعادة الموتى وجمع الرفات.

ويحتمل ذلك منه وجهين:

أحدهما: أن ينبه الله تعالى بذلك على قدرته التي لا يعجزها شيء.

الثاني: أن يدل بها على إحياء الموتى كما أحييت النار بالإذكاء.

قال الكلبي(*): كل الشجر يقدح منه النار إلا العناب.

وحكى أبو جعفر السمرقندي عن(٣٢) أحمد بن معاذ النحوي في قوله تعالى ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر﴾ يعني به إبراهيم، ﴿ناراً﴾ أي نوراً يعني محمداً ﷺ.

﴿فإذا أنتم منه توقِدون﴾ أي تقتبسون الدين.

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله عزوجل: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه أن يأمر فيوجد.

الثاني: ما قاله قتادة أنه ليس شيء أخف في الكلام من ﴿كن﴾ ولا أهون على لسان العرب من ذلك، فجعله الله تعالى مثلاً لأمره في السرعة.

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كلِّ شيءٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن كل شيء.

الثاني: ملك كل شيء إلا أن فيه مبالغة.

(*) وفي نسخة قال الشعبي.

(٣٢) ولا دليل على هذا التفسير فتنبه.

﴿وإليه ترجعون﴾ يعني يوم القيامة، فيجازي المحسن ويعاقب المسيء.

وروى الضحاك عن ابن عباس(٣٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل شيءٍ قلْباً وإنَّ قلْبَ القرآن يس، ومن قرأها في ليلة أعطي يُسْر تلك الليلة، ومن قرأها في يوم أعطي يُسْرَ ذلك اليوم، وإنّ أهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرأون منه شيئاً إلا طه ويسٓ**».

(٣٣) لم أعثر على الحديث كاملاً مرفوعاً بل اهتديت إلى الجملة الأولى منه من حديث أنس مرفوعاً رواه الترمذي (٢٨٨٧) والدارمي (٢/٥٤٨) وأحمد (٥/٢٦) والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر (٥/٢٥٦) وفي سنده مجهول، وحكم الألباني على الحديث بالوضع، وكذلك روى الفقرة الثانية الدارمي (٢/٥٤٩) من حديث ابن عباس موقوفاً وفي سنده شهر بن حوشب.
وأما الفقرة الثالثة فلم أعثر عليها في حديث إلى الآن والله أعلم.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**والصافات صفًّا**﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنهم عبّاد السماء، قاله الضحاك ورواه عن ابن عباس.

الثالث: أنهم جماعة المؤمنين إذا قاموا في صفوفهم للصلاة، حكاه النقاش لقوله تعالى ﴿**صفًّا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف: ٤].

ويحتمل رابعاً: أنها صفوف المجاهدين في قتال المشركين.

واختلف من قال الصافات الملائكة في تسميتها بذلك على ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنها صفوف في السماء، قاله مسروق وقتادة.

الثاني: لأنها تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله تبارك وتعالى بما يريد، حكاه ابن عيسى.

الثالث: لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم، قاله الحسن.

قوله عزوجل: ﴿**فالزاجرات زجراً**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة، قاله ابن مسعود ومسروق وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد.

الثاني: آيات القرآن، قاله الربيع.

الثالث: الأمر والنهي الذي نهى الله تعالى به عباده عن المعاصي، حكاه النقاش.

ويحتمل رابعاً: أنها قتل المشركين وسبيهم.

واختلف من قال إن الزاجرات الملائكة في تسميتها بذلك على قولين:

أحدهما: لأنها تزجر السحاب، قاله السدي.

الثاني: لأنها تزجر عن المعاصي قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿**فالتاليات ذكراً**﴾ أي فالقارئات كتاباً، وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة تقرأ كتب الله تعالى، قاله ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير والسدي.

الثاني: ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم السالفة، قاله قتادة.

الثالث: الأنبياء يتلون الذكر على قومهم، قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿**إنَّ إلَهكم لواحد**﴾ كل هذا قَسَم أن الإلَه واحد، وقيل إن القسم بالله تعالى على تقدير ورب الصافات ولكن أضمره تعظيماً لذكره.

ثم وصف الإلَه الواحد فقال:

﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: خالق السموات والأرض وما بينهما، قاله ابن إسحاق.

الثاني: مالك السموات والأرض وما بينهما.

الثالث: مدبر السموات والأرض وما بينهما.

﴿**ورب المشارق**﴾ فيه وجهان:

الأول: قال قتادة: ثلاثمائة وستون مشرقاً، والمغارب مثل ذلك، تطلع الشمس كل يوم من مشرق، وتغرب في مغرب، قاله السدي.

الثاني: أنها مائة وثمانون مشرقاً تطلع كل يوم في مطلع حتى تنتهي إلى آخرها ثم تعود في تلك المطالع حتى تعود إلى أولها، حكاه يحيى بن سلام، ولا يذكر

المغارب لأن المشارق تدل عليها، وخص المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾ يحتمل تخصيص سماء الدنيا بالذكر وجهين:

أحدهما: لاختصاصها بالدنيا.

الثاني: لاختصاصها بالمشاهدة، وقوله بزينة الكواكب لأن من الكواكب ما خلق للزينة، ومنها ما خلق لغير الزينة.

حكى عقبة بن زياد عن قتادة قال: خلقت النجوم لثلاث: رجوماً للشياطين ونوراً يهتدى به، وزينة لسماء الدنيا.

﴿وحفظاً مِن كُلِّ شيطان مارِدٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني من الكواكب حفظاً من كل شيطان، قاله السدي.

الثاني: أن الله سبحانه حفظ السماء من كل شيطان مارد، قاله قتادة.

وفي المارد ثلاثة أوجه:

أحدها: الممتنع، قاله ابن بحر.

الثاني: العاتي مأخوذ من التمرد وهو العتو.

الثالث: أنه المتجرد من الخير، من قولهم شجرة مرداء، إذا تجردت من الورق.

قوله عزوجل: ﴿لا يسمعون إلى الملإ الأعلى﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم منعوا بها أن يسمعوا أو يتسمعوا، قاله قتادة.

الثاني: أنهم يتسمعون ولا يسمعون، قاله ابن عباس.

وفي الملإ الأعلى قولان:

أحدهما: السماء الدنيا، قاله قتادة.

الثاني: الملائكة، قاله السدي.

﴿ ويُقذفون من كل جانب﴾ قال مجاهد: يرمون من كل مكان من جوانبهم، وقيل من جوانب السماء.

﴿دُحوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: قذفاً في النار، قاله قتادة.

الثاني: طرداً بالشهب، وهو معنى قول مجاهد. قال ابن عيسى: والدحور: الدفع بعنف.

﴿ولهم عذابٌ واصبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: دائم.

الثاني: أنه الذي يصل وجعه إلى القلوب، مأخوذ من الوصب.

قوله عزوجل: ﴿إلا من خَطِفَ الخطفةَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إلا من استرق السمع، قاله سعيد بن جبير، مأخوذ من الاختطاف وهو الاستلاب بسرعة، ومنه سمي الخطاف.

الثاني: من وثب الوثبة، قاله علي بن عيسى.

﴿فأتبعه شهابٌ ثاقب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الشعلة من النار.

الثاني: أنه النجم.

وفي الثاقب ستة أوجه:

أحدها: أنه الذي يثقب، قاله زيد الرقاشي.

الثاني: أنه المضيء، قاله الضحاك.

الثالث: أنه الماضي، حكاه ابن عيسى.

الرابع: أنه العالي، قاله الفراء.

الخامس: أنه المحرق، قاله السدي.

السادس: أنه المستوقد، من قولهم: اثقب زندك أي استوقد نارك، قاله زيد بن أسلم والأخفش، وأنشد قول الشاعر:

بينما المرء شهابٌ ثاقب ضَرَبَ الدَّهر سناه فخمد

و ﴿إلا﴾ ها هنا بمعنى لكن عند سيبويه. وقيل: إن الشهاب يحرقهم[٣٤] ليندفعوا عن استراق السمع ولا يموتون منه.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسلهم قال قتادة، مأخوذ من استفتاء المفتي.

الثاني: فحاجِّهم أيهم أشد خلقاً، قاله الحسن.

﴿أم مَنْ خلقنا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من السموات والأرض والجبال، قاله مجاهد.

الثاني: من الملائكة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: من الأمم الماضية فقد هلكوا وهم أشد خلقاً منهم، حكاه ابن عيسى.

﴿إنَّا خلقناهم مِن طينٍ لازبٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لاصق، قاله ابن عباس ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تعلم فإن الله زادك بسطة ... وأخلاق خير كلها لك لازب

الثاني: لزج، قاله عكرمة.

الثالث: لازق، قاله قتادة.

والفرق بين اللاصق واللازق أن اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض، واللازق هو الذي يلزق بما أصابه.

---

(٣٤) قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٤/٣٨٧) «واختلف هل كان الرمي لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالأوّل طائفة وبالآخر آخرون وقالت طائفة بالجمع بين القولين أن الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث رمياً يقطعها عن السمع ولكن كانت ترمى وقت ولا ترمى وقتاً آخر وترمى من جانب ولا ترمى من جانب آخر ثم بعد المبعث رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استراق شيء من السمع إلا من اختطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب.

الرابع: لازم، والعرب تقول طين لازب ولازم، وقال النابغة[٣٥]:

ولا تحسبون الخير لا شـر بعده ولا تحسبون الشر ضـربة لازب

نزلت هذه الآيـة في ركانـة بن زيد بن هـاشم بن عبد منـاف وأبي الأشد ابن أسيد بن كلاب الجمحي.

قوله عزوجل: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ وفي ﴿عجبت﴾ قراءتان:

إحداهما: بضم التاء، قرأ بها حمزة والكسائي، وهي قراءة ابن مسعود، ويكون التعجب مضافاً إلى الله تعالى، وإن كان لا يتعجَّبُ من شيء لأن التعجب[٣٦] من حدوث العلم بما لم يعلم، والله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها.

وفي تأويل ذلك على هذه القراءة وجهان:

أحدهما: يعني بل أنكرت حكاه النقاش.

الثاني: هو قول علي بن عيسى أنهم قد حلّوا محل من يتعجب منه.

والقراءة الثانية: بفتح التاء قرأ بها الباقون، وأضاف التعجب إلى رسول الله ﷺ كأنه قال: بل عجبت يا محمد، قاله قتادة.

وفيما عجبت منه قولان:

أحدهما: من القرآن حين أعطيه، قاله قتادة.

الثاني: من الحق الذي جاءهم به فلم يقبلوه، وهو معنى قول ابن زياد.

وفي قوله ﴿وتسخرون﴾ وجهان:

أحدهما: من الرسول إذا دعاهم.

الثاني: من القرآن إذا تلي عليهم.

قوله عزوجل: ﴿وإذا ذكِّروا لا يذكرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإذا ذكروا بما نزل من القرآن لا ينتفعون، وهو معنى قول قتادة.

والثاني: وإذا ذكروا بمن هلك من الأمم لا يبصرون، وهو معنى ما رواه سعيد.

---

(٣٥) ديوانه: ٤٨، الطبري (٢٣/ ٤٢) روح المعاني (٢٣/ ٧٥) فتح القدير (٤/ ٣٨٨).

(٣٦) ولما لا يقال إن الله تعالى يعجب عجباً يليق بذاته وجلاله ليس كعجب الحوادث فثبت لله تعالى هذه الصفة دون تشبيه أو تعطيل بدلاً مما ذكره المؤلف هنا مما يوهم صنيعه بنفي هذه الصفة عن ربنا تبارك وتعالى. وقد تقدم الكلام على هذه الصفة.

قوله عزوجل: ﴿وإذا رأوا آيةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه انشقاق القمر، قاله الضحاك.

الثاني: ما شاهدوه من هلاك المكذبين، وهو محتمل.

وفي قوله ﴿يستسخِرون﴾ وجهان:

أحدهما: يستهزئون، قاله مجاهد.

الثاني: هو أن يستدعي بعضهم من بعض السخرية بها لأن الفرق بين سخر واستسخر كالفرق بين علم واستعلم.

وقيل إن ذلك في ركانة بن زيد وأبي الأشد بن كلاب.

قوله عزوجل: ﴿فانما هي زجرةٌ واحدةٌ﴾ أي صيحة واحدة، قاله الحسن. وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لأن مقصودها الزجر.

﴿فإذا هم ينظرون﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: البعث الذي كذبوا به.

الثاني: ينظرون سوء أعمالهم.

الثالث: ينتظرون حلول العذاب بهم، ويكون النظر بمعنى الانتظار.

وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وقالوا يا ويلنا هذا يومُ الدين﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: يوم الحساب، قاله ابن عباس.

الثاني: يوم الجزاء، قاله قتادة.

﴿هذا يوم الفصل﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: يوم القضاء بين الخلائق، قاله يحيى.

الثاني: يفصل فيه بين الحق والباطل، قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ الآية. فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المكذبون بالرسل.

الثاني: هم الشُرَط، حكاه الثوري.

الثالث: هم كل من تعدى على الخالق والمخلوق.

وفي ﴿وأزواجهم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أشباههم فيحشر صاحب الزنى مع صاحب الزنى، وصاحب الخمر مع صاحب الخمر، قاله عمر بن الخطاب(٣٧) رضي الله عنه.

الثاني: قرناؤهم، قاله ابن عباس.

الثالث: أشياعهم، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

فكبا الثور في وسيل وروض   مونق النبت شامل الأزواج

الرابع: نساؤهم(٣٨) الموافقات على الكفر، رواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

﴿وما كانوا يعبدون. من دون الله﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: إبليس، قاله ابن زياد.

الثاني: الشياطين، وهو مأثور.

الثالث: الأصنام، قاله قتادة وعكرمة.

﴿فاهدُوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي طريق النار.

وفي قوله تعالى: ﴿فاهدوهم﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: فدلوهم، قاله ابن(٣٩).

الثاني: فوجهوهم، رواه معاوية بن صالح.

الثالث: فادعوهم، قاله السدي.

قوله عزوجل: ﴿وقفُوهم إنَّهم مسئولون﴾ أي احبسوهم عن دخول النار.

---

(٣٧) وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رواه أحمد بن منيع وصححه الحافظ في المطالب (٣٦٢/٣) وقال البوصيري: رواته ثقات ولفظه أشباههم.

(٣٨) ولا يعارض هذا القول ما سبق فلا خلاف أن المرأة إن وافقت زوجها على كفره كانت محشورة معه.

(٣٩) لاحظ أن هنا نقص.

﴿إنهم مسئولون﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: عن لا إله إلا الله، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: عما دعوا إليه من بدعة، رواه أنس مرفوعاً(٤٠).

الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حكاه أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري.

الرابع: عن جلسائهم، قاله عثمان بن زيادة.

الخامس: محاسبون، قاله ابن عباس.

السادس: مسئولون.

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ على طريق التوبيخ والتقريع لهم، وفيهم ثلاثة أوجه:

أحدها: لا ينصر بعضكم بعضاً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لا يمنع بعضكم بعضاً من دخول النار، قاله السدي.

الثالث: لا يتبع بعضكم بعضاً في النار يعني العابد والمعبود، قاله قتادة.

فإن قيل: فهلا كانوا مسئولين قبل قوله ﴿فاهْدوهم. . .﴾ الآية؟

قيل: لأن هذا توبيخ وتقريع فكان نوعاً من العذاب فلذلك صار بعد الأمر بالعذاب.

قال مجاهد: ولا تزول(٤١) من بين يدي الله تعالى قدم عبد حتى يُسأل عن خصال أربع: عمره فيهم أفناه، وجسده فيم أبلاه، وماله مم اكتسبه وفيم أنفقه، وعلمه ما عمل فيه.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾

(٤٠) ولفظه «أيما رجل دعا رجلاً إلى شيء كان موقوفاً لازماً به لا يغادره ولا يفارقه ثم قرأ هذه الآية ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾.

رواه الطبري (٢٣/٤٨) وفي سنده رجل مجهول وزاد في الدر (٧/٨٤) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه (٢/٤٣٠).

(٤١) وقد ورد في هذا المعنى حديث مرفوع.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي
ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ
جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

قوله عزوجل: ﴿**وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنه أقبل الإنس على الجن، قاله قتادة.

الثاني: بعضهم على بعض، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثالثاً: أقبل الاتباع على المتبوعين.

وفي ﴿يتساءلون﴾ وجهان:

أحدهما: يتلاومون، قاله ابن عباس.

الثاني: يتوانسون، وهذا التأويل معلول لأن التوانس راحة، ولا راحة لأهل النار.

ويحتمل ثالثاً: يسأل التابع متبوعه أن يتحمل عنه عذابه.

قوله عزوجل: ﴿**إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين**﴾ وفي تأويل ذلك قولان:

أحدهما: قاله الإنس للجن. قاله قتادة.

الثاني: قاله الضعفاء للذين استكبروا، قاله ابن عباس.

وفي قوله: ﴿**تأتوننا عن اليمين**﴾ ثمانية تأويلات:

أحدها: تقهروننا بالقوة، قاله ابن عباس، واليمين القوة، ومنه قول الشاعر(٤٢):

اذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقاها عَرابةُ باليمين

أي بالقوة والقدرة.

الثاني: يعني من قبل ميامنكم، قاله ابن خصيف.

الثالث: من قبل الخير فتصدوننا عنه وتمنعوننا منه، قاله الحسن.

الرابع: من حيث نأمنكم، قاله عكرمة.

الخامس: من قبل الدين أنه معكم، وهو معنى قول الكلبي.

(٤٢) هو الشماخ بن ضرار المري والبيت في الطبري (٢٣/ ٤٩) واللسان «يمن» الروض الأنف (٢/ ١٩٠).

السادس: من قبل النصيحة واليمين، والعرب تتيمن بما جاء عن اليمين ويجعلونه من دلائل الخير ويسمونه السانح(٤٣)، وتتطير بما جاء عن الشمال ويجعلونه من دلائل الشر ويسمونه البارح، وهو معنى قول عليّ بن عيسى.

السابع: من قبل الحق أنه معكم، قاله مجاهد.

الثامن: من قبل الأموال ترغبون فيها أنها تنال بما تدعون إليه فتتبعون عليه، وهو معنى قول الحسن.

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

قوله عزوجل: ﴿يُطاف عليهم بكأسٍ من مَعينٍ﴾ أي من خمر معين وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الجاري؛ قاله الضحاك.

الثاني: الذي لا ينقطع، حكاه جويبر.

الثالث: أنه الذي لم يعصر، قاله سعيد بن أبي عروبة.

ويحتمل رابعاً: أنه الخمر بعينه الذي لم يمزج بغيره.

وفي المعين من الماء خمسة أوجه:

أحدها: أنه الظاهر للعين، قاله الكلبي.

الثاني: ما مدّته العيون فاتصل ولم ينقطع، قاله الحسن.

الثالث: أنه الشديد الجري من قولهم أمعن في كذا إذا اشتد دخوله فيه.

الرابع: أنه الكثير مأخوذ من المعين وهو الشيء الكثير.

(٤٣) وكانوا يتشائمون بالسوانح والبوارح وقد أبطل الاسلام هذه العادة والعقيدة الفاسدة فقال: لا عدوى ولا طيرة الحديث رواه البخاري وغيره.

الخامس: أنه المنتفع به مأخوذ من الماعون، قاله الفراء.

﴿بيضاء لذَّةٍ للشاربين﴾ يعني أن خمر الجنة بيضاء اللون، وهي في قراءة ابن مسعود صفراء.

ويحتمل أن تكون بيضاء الكأس صفراء اللون فيكون اختلاف لونهما في منظرهما قال الشاعر:

فكأن بهجتها وبهجة كأسها نار ونور قيِّدا بوعاء

قوله عزوجل: ﴿لا فيها غَوْلٌ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أي ليس فيها صداع، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الثاني: ليس فيها وجع البطن، قاله مجاهد.

الثالث: ليس فيها أذى، قاله الفراء وعكرمة وهذه الثلاثة متقاربة لاشتقاق الغول من الغائلة.

الرابع: ليس فيها إثم، قاله الكلبي.

الخامس: أنها لا تغتال عقولهم، قاله السدي وأبو عبيدة، ومنه قول الشاعر:

وهذا من الغيلة أن يصرع واحد واحدا

﴿ولاهم عنها ينزفون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تنزف العقل ولا تذهب الحلم بالسكر، قاله عطاء، ومنه قول الشاعر(٤٤):

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتمُ لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

الثاني: لا يبولون، قاله ابن عباس، وحكى الضحاك عنه أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال.

الثالث: أي لا تفنى مأخوذ من نزف الركية، قاله أبو عمرو بن العلاء، ومنه قول الشاعر:

---

(٤٤) هو الأبيرد الرياحي من بني محجل والبيت في مجاز القرآن (٢/١٦٩) والطبري (٢٣/٥٥) واللسان نزف، زاد المسير (٧/٥٧) روح المعاني (٢٣/٨٨).

دعيني لا أبا لــك أن تـطيقي لحــاك الله قــد أنــزفت ريقي

وقد يختلف هذا التأويل باختلاف القراءة، فقرأ حمزة والكسائي ينـزفون(٤٥) بكسر الزاي، وقرأ الباقون يُنزَفون بفتح الزاي، والفرق بينهما أن الفتح من نزف فهو منزوف(*) إذا ذهب عقله بالسكر، والكسر من أنزف فهو منـزوف إذا فنيت خمره، وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة لئلا ينقطع عنهم التذاذ نعيمهم.

قوله عزوجل: ﴿وعندهم قاصِراتُ الطّرفِ عينٌ﴾ يعني بقاصرات الطرف النساء اللاتي قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم مأخوذ من قولهم: قد اقتصر على كذا إذا اقتنع به وعدل عن غيره، قال امرؤ القيس(٤٦):

من القاصرات الـطرف لو دب مُحـولٌ من الــذّرّ فــوق الخــد منهــا لأثّــرا

وفي العين وجهان:

أحدهما: الحـــان العيون، قاله مجاهد ومقاتل.

الثاني: العظام الأعين، قاله الأخفش وقطرب.

﴿كأنهن بيضٌ مكنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني اللؤلؤ في صدفه، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٤٧):

وهـي بيضــاء مثــل لـؤلـؤة الـغــوا ص ميــزت مـن جـوهـر مـكـنــون

الثاني: يعني البيض المعروف في قشره، والمكنون المصون.

وفي تشبيههم(٤٨) بالبيض المكنون أربعة أوجه:

أحدها: تشبيهاً ببيض النعام يُكنّ بالريش من الغبار والريح فهو أبيض إلى الصفرة، قاله الحسن.

الثاني: تشبيهاً ببطن البيض إذا لم تمسه يد، قاله سعيد بن جبير.

---

(٤٥) زاد المسير (٥٧/٧) الحجة في القراءات ٦٠٨.

(*) هكذا في الأصـول والقيـاس أن يقال منزف لأن اسم المفعول من الرباعي المزيد بالهمزة يكون على وزن مفعل.

(٤٦) روح المعاني (٨٩/٢٣) فتح القدير (٣٩٤/٤) ديوانه ٩٨ وفيه فوق الأتب. .

(٤٧) هو أبو دهبل والبيت في الطبري (٥٨/٢٣) وفيه هي زهراء. وفتح القدير (٣٩٢/٤).

(٤٨) لعل الصواب أن يقال وفي تشبيههن لأن الكلام على الحور العين قاصرات الطرف.

الثالث: تشبيهاً ببياض البيض حين ينزع قشرة، قاله السدي.

الرابع: تشبيهاً بالسحاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض، قاله عطاء.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

قوله عز وجل: ﴿**فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون**﴾ يعني أهل الجنة كما يسأل أهل النار.

﴿**قال قائلٌ منهم**﴾ يعني من أهل الجنة.

﴿**إني كان لي قرين**﴾ يعني في الدنيا، وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الشيطان كان يغويه فلا يطيعه، قاله مجاهد.

الثاني: شريك له كان يدعوه إلى الكفر فلا يجيبه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهما اللذان في سورة الكهف ﴿**واضرب لهم مثلاً رجلين**﴾ إلى آخر قصتهما، فقال المؤمن منهما في الجنة للكافر في النار.

﴿**يقول أئنك لمن المصدقين**﴾ يعني بالبعث.

﴿**أئذا مِتْنا وكُنّا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لمحاسبون، قاله مجاهد وقتادة والسدي.

الثاني: لمجازون، قاله ابن عباس ومحمد بن كعب من قوله: كما تدين تدان.

قوله عز وجل: ﴿**قال هل أنتم مطلعون**﴾ وهذا قول صاحب القرين للملائكة وقيل لأهل الجنة. هل أنتم مطلعون يعني في النار. يحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: لاستخباره عن جواز الاطلاع.

الثاني : لمعاينة القرين .

﴿فاطّلَعَ﴾ يعني في النار. ﴿فرآه﴾ يعني قرينه ﴿في سواءِ الجحيم﴾ قال ابن عباس في وسط الجحيم، وانما سمي الوسط سواءً لاستواء المسافة فيه إلى الجوانب قال قتادة: فوالله، لولا أن الله عَرّفه إياه ما كان ليعرفه، لقد تغير حبْرُهُ وسبرُه يعني حسنه وتخطيطه[٤٩].

قوله عزوجل: ﴿قال تالله إن كِدْتَ لتُرْدين﴾ هذا قول المؤمن في الجنة لقرينه في النار، وفيه وجهان:

أحدهما: لتهلكني لو أطعتك، قاله السدي.

الثاني : لتباعدني من الله تعالى، قاله يحيى.

﴿ولولا نعمة ربي﴾ يعني بالإيمان ﴿لكنت من المحْضَرين﴾ يعني في النار، لأن أحضر لا يستعمل مطلقاً إلا في الشر.

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

قوله عزوجل: ﴿أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ والنُّزل العطاء الوافر ومنه إقامة الإنزال، وقيل ما يعد للضيف والعسكر. وشجرة الزقوم هي شجرة في النار يقتاتها أهل النار، مرة الثمر خشنة اللمس منتنة الريح.

واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي يعرفها العرب أو لا؟ على قولين:

(٤٩) يعني تغير لونه وهيئته من العذاب الذي لحقه نسأل الله العافية.

أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا، ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب: إنها شجرة مرّة تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره بل كل نبات قاتل.

القول الثاني: أنها لا تعرف في شجر الدنيا، فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم قال كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقال ابن الزبعرى: الزقوم بكلام البربر: الزبد والتمر فقال أبو جهل لعنه الله: يا جارية ابغينا تمراً وزبداً ثم قال لأصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر.

﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن النار تحرق الشجر فكيف ينبت فيها الشجر وهذا قول أبي جهل إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه فكان هذا هو الفتنة للظالمين، قاله مجاهد.

الثاني: أن شدة عذابهم بها هي الفتنة التي جعلت لهم، حكاه ابن عيسى.

قوله عزوجل: **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾** فكان المقصود بهذا الذكر أمرين:

أحدهما: وصفها لهم لاختلافهم فيها.

الثاني: ليعلمهم جواز بقائها في النار لأنها تنبت من النار.

قال يحيى بن سلام: وبلغني أنها في الباب السادس وانها تحيا بلهب النار كما يحيا شجركم ببرد الماء.

﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ يعني بالطلع الثمر، فإن قيل فكيف شبهها برؤوس الشياطين وهم ما رأوها ولا عرفوها؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: أن قبح صورتها(٥٠) مستقر في النفوس، وإن لم تشاهد فجاز أن ينسبها بذلك لاستقرار قبحها في نفوسهم كما قال امرؤ القيس(٥١):

ايقتُلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٍ زُرقٍ كأنياب أغوال

(٥٠) اي صورة الشياطين.

(٥١) ديوانه: ٢٣ مختار الشعر الجاهلي ٣٩/١ روح المعاني (٩٧/٢٣) اللسان (غول) فتح القدير (٣٩٨/٤).

فشبهها بأنياب الأغوال وإن لم يرها الناس.

الثاني: أنه أراد رأس حية تسمى عند العرب شيطاناً وهي قبيحة الرأس.

الثالث: أنه أراد شجراً يكون بين مكة واليمن يسمى رؤوس الشياطين، قاله مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿ثم إنّ لهم عليها لشوباً من حميم﴾ يعني لمزاجاً من حميم والحميم الحار الداني من الإحراق قال الشاعر:

كأن الحميم على متنها ... إذا اغترفته بأطساسها

جُمان يجول على فضة ... عَلَتْه حدائد دوّاسها

ومنه سمي القريب حميماً لقربه من القلب، وسمي المحموم لقرب حرارته من الإحراق، قال الشاعر:

أحم الله ذلك من لقاءٍ ... آحاد آحاد في الشهر الحلال

أي أدناه فيمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم وتشديداً لبلاتهم.

قوله عزوجل: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني بأن مأواهم لإلى الجحيم، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: أن منقلبهم لإلى الجحيم، قاله سفيان.

الثالث: يعني أن مرجعهم بعد أكل الزقوم إلى عذاب الجحيم، قاله ابن زياد.

الرابع: أنهم فيها كما قال الله تعالى ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ ثم يرجعون إلى مواضعهم، قاله يحيى بن سلام.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ أي دعانا، ودعاؤه كان على قومه عند إياسه من إيمانهم، وإنما دعا عليهم بالهلاك بعد طول الاستدعاء لأمرين:

أحدهما: ليطهر الله الأرض من العصاة.

الثاني: ليكونوا عبرة يتعظ بها من بعدهم من الأمم.

وقوله: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فلنعم المجيبون لنوح في دعائه.

الثاني: فلنعم المجيبون لمن دعا لأن التمدح بعموم الإجابة أبلغ.

﴿ونجيناه وأهله﴾ قال قتادة: كانوا ثمانية (٥٢): نوح وثلاثة بنين ونساؤهم، أربعة [أي](*) رجال وأربعة نسوة.

﴿من الكرب العظيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من غرق الطوفان، قاله السدي.

الثاني: من الأذى الذي كان ينزل به من قومه، حكاه ابن عيسى.

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال ابن عباس: والناس كلهم بعد نوح من ذريته وكان بنوه ثلاثة: سام وحام ويافث، فالعرب والعجم أولاد سام، والروم والترك والصقالبة أولاد يافث والسودان من أولاد حام، قال الشاعر:

عجوز من بني حام بن نوح ... كأن جبينها حجر المقام

قوله عزوجل: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أبقى الله الثناء الحسن في الآخرين، قاله قتادة.

الثاني: لسان صدق للأنبياء كلهم، قاله مجاهد.

الثالث: هو قوله سلام على نوح في العالمين، قاله الفراء.

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

---

(٥٢) ليت من يتصدى للدعوة إلى الله تعالى يفقه هذا فيعلم أن الاسلام ينظر أولاً إلى الكيف لا الكم ففي هذه المدة الطويلة التي دعا فيها نبي الله نوح إلى الله تعالى لم يؤمن معه إلا هذا العدد القليل أفلا يكون ذلك عبرة وعظة ودرساً لمن يركز همه على كثرة العدد تاركاً بناء الرجال وتربيتهم.

(*) زيادة للايضاح يقتضيها السياق.

وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من أهل دينه، قاله ابن عباس.

الثاني: على منهاجه وسنته، قاله مجاهد.

وفي أصل الشيعة في اللغة قولان:

أحدهما: أنهم الأتباع ومنه قول الشاعر(٥٣):

قال الخليط غداً تصدُّ عَنّا أو شيعَه أفلا تشيعنا

قوله أو شيعه أي اليوم الذي يتبع غداً، قاله ابن بحر.

الثاني: وهو قول الأصمعي الشيعة الأعوان، وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوضع مع الكبار حتى يستوقد لأنه يعين على الوقود.

ثم فيه قولان:

أحدهما: إن من شيعة محمد(٥٤) لإبراهيم عليهما السلام، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: من شيعة نوح لإبراهيم(٥٥)، قاله مجاهد ومقاتل.

وفي إبراهيم وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثرين.

الثاني: مشتق من البرهمة وهي إدَامة النظر.

قوله عزوجل: ﴿إذ جاء ربّه بقَلْب سليم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: سليم من الشك، قاله قتادة.

الثاني: سليم من الشرك، قاله الحسن.

الثالث: مخلص، قاله الضحاك.

---

(٥٣) هو عمر بن ابي ربيعة والبيت في اللسان (شيع).

(٥٤) قال الشوكاني (٤/٤٠١) متعقباً هذا القول «ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق».

(٥٥) واستظهره الألوسي (٢٣/٩٩) وهو قول أكثر المفسرين كالطبري (٢٣/٦٩) وابن كثير (٤/١٢).

الرابع : ألا يكون لعاناً، قاله عروة بن الزبير.

ويحتمل مجيئه إلى ربه وجهين :

أحدهما : عند دعائه إلى توحيده وطاعته.

الثاني : عند إلقائه في النار.

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

قوله عزوجل: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنه رأى نجماً طالعاً(٥٦)، فعلم بذلك أن له إلّهاً خالقاً، فكان هذا نظره في النجوم، قاله سعيد بن المسيب.

الثاني: أنها كلمة من كلام العرب إذا تفكر الرجل في أمره قالوا قد نظر في النجوم، قاله قتادة.

الثالث: أنه نظر فيما نجم من قولهم، وهذا قول الحسن.

الرابع: أن علم النجوم كان من النبوة، فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع(٥٧) بن نون أبطل ذلك، فنظر إبراهيم فيها [كان](*) علماً نبوياً، قاله ابن عائشة.

وحكى جويبر(٥٨) عن الضحاك أن علم النجوم كان باقياً إلى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من أين

(٥٦) وفي نسخة للمخطوطة [فاستدل به على أنه له مدبراً صانعاً فعالم. . .].

(٥٧) وهو فتى موسى الذي صاحبه في رحلتيه الى الخضر.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

(٥٨) وجويبر متروك كما مر غير مرة.

علمتم موضعه؟ قالوا: من النجوم، فدعا ربه عند ذلك فقال: اللهم فوهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم أحد، فصار حكمها في الشرع محظوراً وعلمها[٥٩] في الناس مجهولاً. قال الكلبي وكانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمزجرد وكانوا ينظرون في النجوم.

﴿فقال إني سقيم﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أنه استدل بها على وقت حمى كانت تأتيه.

الثاني: سقيم بما في عنقي من الموت.

الثالث: سقيم بما أرى من قبح أفعالكم في عبادة غير الله.

الرابع: سقيم لشكه.

الخامس: لعلمه بأن له إلَهاً خالقاً معبوداً، قاله ابن بحر.

السادس: لعلة عرضت له.

السابع: أن ملكهم أرسل إليه أن غداً عيدنا فاخرج، فنظر إلى نجم فقال: إن ذا النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقمي، فتولوا عنه مدبرين، قاله عبد الرحمن بن زيد قال سعيد بن المسيب: كابد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم. وقال سفيان: كانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم فقال: اني سقيم أي طعين وهذه خطيئته التي قال اغفر لي خطيئتي يوم الدين وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ[٦٠] أنه قال: «**لم يكذب إبراهيم غير ثلاث: ثنتين في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله في سارة هي أختي**»[٦١].

﴿فراغ إلىٰ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٥٩) وتعلم علم النجوم والاستفادة منها فيه تفصيل راجع ما كتبه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على الروضة الندية ورسالة التقويم الفلكي.

(٦٠) رواه الطبري (٢٣/٧١) والبخاري (٦/٣٨١) ومسلم (٢٣٧١).
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

(٦١) قال الحافظ ابن كثير (٤/١٣) «أما الحديث الذي رواه ابن جرير عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات. . . . الحديث فهو مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكنه ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً وإنما هو من المعاريض لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

أحدها: ذهب إليهم، قاله السدي.

الثاني: مال إليهم، قاله قتادة.

الثالث: صال عليهم، قاله الأخفش.

الرابع: أقبل عليهم، قاله الكلبي وقطرب، وهذا قريب من المعنيين المتقدمين.

﴿فقال ألا تأكلون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك استهزاء بهم، قاله ابن زياد.

الثاني: أنه وجدهم حين خرجوا إلى عيدهم قد صنعوا لآلهتهم طعاماً لتبارك لهم فيه فلذلك قال للأصنام وإن كانت لا تعقل عنه الكلام احتجاجاً على جهل من عبدها. وتنبيهاً على عجزها، ولذلك قال:

﴿ما لكم لا تنطقون﴾.

﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يده اليمنى. قاله الضحاك، لأنها أقوىٰ والضرب بها أشد.

الثاني: باليمين التي حلفها حين قال ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ حكاه ابن عيسى.

الثالث: يعني بالقوة، وقوة النبوة أشد، قاله ثعلب.

﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يخرجون، قاله ابن عباس.

الثاني: يسعون، قاله الضحاك.

الثالث: يتسللون، حكاه ابن عيسى.

الرابع: يرعدون غضباً، حكاه يحيى بن سلام.

الخامس: يختالون وهو مشي الخيلاء، وبه قال مجاهد، ومنه أخذ زفاف العروس إلى زوجها، وقال الفرزدق:

وجاء قريع الشول قَبل إفالها   يزفّ وجاءت خَلْفه وهي زفّف

قوله عز وجل: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله خلقكم وخلق عملكم.

الثاني : خلقكم وخلق الأصنام التي عملتموها.

﴿فأرادوا به كيداً﴾ يعني إحراقه بالنار التي أوقدوها له.

﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : الأسفلين في نار جهنم ، قاله يحيى.

الثاني : الأسفلين في دحض الحجة ، قال قتادة : فما ناظروه بعد ذلك حتى أهلكوا.

الثالث : يعني المهلكين فإن الله تعالى عقب ذلك بهلاكهم.

الرابع : المقهورين لخلاص إبراهيم من كيدهم. قال كعب : فما انتفع بالنار يومئذٍ أحد من الناس وما أحرقت منه يومئذٍ إلا وثاقه.

وروت أم سبابة الأنصارية(٦٢) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حدثها أن «**إبراهيم لما ألقي في النار كانت الدواب كلها تطفيء عنه النار إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ عليها**» فأمر رسول الله ﷺ بقتلها.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ
مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

(٦٢) رواه أحمد (٦/٨٣) ومن حديث عائشة ورواه البخاري (٦/٣٨٩) من حديث أم شريك رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ قال كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام.

﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ وفي زمان هذا القول منه قولان :

أحدهما : أنه قال عند إلقائه في النار، وفيه على هذا القول تأويلان :

أحدهما : إني ذاهب إلى ما قضى به عليّ ربي .

الثاني : إني ميت كما يقال لمن مات قد ذهب إلى الله تعالى لأنه عليه السلام تصور أنه يموت بإلقائه في النار على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها إلى أن قيل لها كوني برداً وسلاماً ، فحينئذٍ سلم إبراهيم منها .

وفي قوله : ﴿سيهدين﴾ على هذا القول تأويلان :

أحدهما : سيهدين إلى الخلاص من النار.

الثاني : إلى الجنة .

فاحتمل ما قاله إبراهيم من هذا وجهين :

أحدهما : أن بقوله لمن يلقيه في النار فيكون ذلك تخويفاً لهم .

الثاني : أن بقوله لمن شاهده من الناس الحضور فيكون ذلك منه إنذاراً لهم ، فهذا تأويل ذلك على قول من ذكر أنه قال قبل إلقائه في النار.

والقول الثاني : أنه قاله بعد خروجه من النار.

﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ وفي هذا القول ثلاثة تأويلات :

أحدها : إني منقطع إلى الله بعبادتي ، حكاه النقاش .

الثاني : ذاهب إليه بقلبي وديني وعملي ، قاله قتادة .

الثالث : مهاجر إليه بنفسي فهاجر من أرض العراق . قال مقاتل : هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة .

وفي البلد الذي هاجر إليه قولان :

أحدهما : إلى أرض الشام .

الثاني : إلى أرض حران ، حكاه النسائي (٦٣) .

وفي قوله : سيهدين على هذا القول تأويلان :

أحدهما : سيهدين إلى قول : حسبي الله عليه توكلت ، قاله سليمان .

الثاني : إلى طريق الهجرة ، قاله يحيى .

(٦٣) وفي نسخة أخرى للمخطوطة الكسائي .

واحتمل هذا القول منه وجهين:

أحدهما: أن بقوله لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخاً لهم.

الثاني: أن بقوله لمن هاجر معه من أهله فيكون ذلك منه ترغيباً.

قوله عزوجل: ﴿فبشرناه بغُلام حليم﴾ أي وقور. قال الحسن: ما سمعت الله يحل عباده شيئاً(*) أجل من الحلم.

وفي قولان:

أحدهما: أنه إسحاق، ولم يثن الله تعالى على أحد بالحلم إلا على إسحاق وإبراهيم قاله قتادة.

الثاني: إسماعيل وبشر بنبوة(٦٤) إسحاق بعد ذلك، قاله عامر الشعبي. قال الكلبي وكان إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة.

قوله عزوجل: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يمشي مع أبيه، قاله قتادة.

الثاني: أدرك معه العمل، قاله عكرمة.

الثالث: أنه سعي العمل الذي تقوم به الحجة، قاله الحسن.

الرابع: أنه السعي في العبادة، قاله ابن زيد.

قال ابن عباس: صام وصلى، ألم تسمع الله يقول ﴿وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] قال الفراء والكلبي: وكان يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحُك﴾ فروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس(٦٥) قال: قال رسول الله ﷺ «رؤيا الأنبياء في المنام وحي».

﴿فانظُرْ ماذا تَرَى﴾ لم يقل له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله سبحانه، وفيه ثلاثة أوجه:

(*) هكذا في الأصول ولعل الصواب يحِل في عباده شيئاً.

(٦٤) وهو الصواب والأدلة على ذلك كثيرة ذكر بعضها ابن القيم في زاد المعاد (١/٧١ ـ ٧٥) ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وعدد من الأئمة راجع تفسير ابن كثير (٣/١٥).

(٦٥) رواه ابن أبي حاتم قال ابن كثير (٣/١٥) وليس هو في شيء من الكتب الستة وهذا الوجه. وبعد فقول محقق المطبوعة رواه البخاري ومسلم والترمذي قول واسع الخطو وفيه نوع تجاسر.

أحدها: أنه قاله إخباراً بما أمره الله تعالى به ليكون أطوع له.

الثاني: أنه قاله امتحاناً لصبره على أمر الله تعالى.

الثالث: أي ماذا تريني من صبرك أو جزعك، قاله الفراء.

﴿قال يا أبت افْعَلْ ما تؤمرُ﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: على الذبح، قاله مقاتل.

الثاني: على القضاء، حكاه الكلبي، فوجده في الامتحان صادق الطاعة سريع الإجابة قوي الدين.

قوله عزوجل: ﴿فلما أسْلَما﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اتفقا على أمر واحد، قاله أبو صالح.

الثاني: سلما لله تعالى الأمر، وهو قول السدي.

قال قتادة: سلم إسماعيل نفسه لله، وسلم إبراهيم ابنه لله تعالى.

﴿وتله للجبين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه صرعه على جبينه، قاله ابن عباس، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها، قال الشاعر:

وتله أبو حكم للجبين   فصار إلى أمِّه الهاوية

الثاني: أنه أكبَّه لوجهه، قاله مجاهد.

الثالث: أنه وضع جبينه على تل، قاله قطرب.

وحكى مجاهد عن إسحاق أنه قال: يا أبت اذبحني وأنا ساجد، ولا تنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني فلا تذبحني.

﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صَدَّقْتَ الرؤيا﴾ أي عملت ما رأيته في المنام، وفي الذي رآه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذي رآه أنه قعد منه مقعد الذابح ينتظر الأمر بإمضاء الذبح.

الثاني: أن الذي رآه أنه أمر بذبحه بشرط التمكين ولم يمكن منه لما روي أنه كان كلما اعتمد بالشفرة انقلبت وجعل على حلقه صفيحة من نحاس.

الثالث: أن الذي رآه أنه ذبحه وقد فعل ذلك وإنما وصل الله تعالى الأوداج بلا فصل.

﴿إنا كذلك نجزِي المحسنين﴾ بالعفو عن ذبح ابنه.

وفي الذبيح قولان مثل اختلافهم في الحليم الذي بشر به.

أحدهما: أنه إسحاق، قاله علي رضي الله عنه وعبدالله بن مسعود وكعب الأحبار وقتادة والحسن. قال ابن جريج ذبح إبراهيم ابنه(٦٦) إسحاق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهي بنت تسعين سنة.

وفي الموضع الذي أراد ذبحه فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بمكة في المقام.

الثاني: في المنحر بمنى.

الثالث: بالشام، قاله ابن جريج وهو من بيت المقدس على ميلين. ولما علمت سارة ما أراد بإسحاق بقيت يومين وماتت في اليوم.

القول الثاني: أنه إسماعيل، قاله ابن عباس وعبدالله بن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب، وأنه ذبحه بمنى عند الجمار التي رمى إبليس في كل جمرة بسبع حصيات حين عارضه في ذبحه حتى جمر بين يديه أي أسرع فسميت جماراً. وحكى سعيد بن جبير أنه ذبحه على الصخرة التي بأصل ثبير(٦٧) بمنى.

قوله عزوجل: **﴿إنَّ هذا لهو البلاءُ المبين﴾** فيه وجهان:

أحدهما: الاختبار العظيم، قاله ابن قتيبة.

الثاني: النعمة البينة، قاله الكلبي ومقاتل وقطرب وأنشد قول الحطيئة:

وإن بلاءهم ما قد علمتم   على الأيام إن نفع البلاءُ

قوله عزوجل: **﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه فدى بوعل أنزل عليه من ثبير، قاله ابن عباس، وحكى عنه سعيد ابن جبير أنه كبش رعي في الجنة أربعين خريفاً.

الثاني: أنه فدي بكبش من غنم الدنيا، قاله الحسن.

الثالث: أنه فدي بكبش أنزل عليه من الجنة وهو الكبش الذي قربه هابيل بن

(٦٦) وقد سبق في التعليق رقم ٣١ أنه هو الراجح.

(٦٧) اسم جبل هناك.

آدم فقيل منه. قال ابن عباس حدثني من رأى قرني الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام معلقين بالكعبة. والذبح بالكسر هو المذبوح، والذبح بالفتح هو فعل الذبح.

وفي قوله: ﴿عظيم﴾ خمسة تأويلات:

أحدها: لأنه قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنه ذبح بحق، قاله الحسن.

الثالث: لأنه عظيم الشخص.

الرابع: لأنه عظيم البركة.

الخامس: لأنه متقبل، قاله مجاهد.

قوله عزوجل: ﴿وتركنا عليه في الآخِرين﴾ فيه قولان:

أحدهما: الثناء الحسن، قاله قتادة.

الثاني: هو السلام على إبراهيم، قاله عكرمة.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾
وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالنبوة، قاله مقاتل.

الثاني: بالنجاة من فرعون، قاله الكلبي.

﴿ونجيناهما﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: من الغرق.

الثاني: من الرق.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه إدريس قاله ابن عباس وقتادة، وهي قراءة ابن مسعود: وابن إدريس.

الثاني: أنه من ولد هارون، قاله محمد بن إسحاق، قال مقاتل: هو إلياس بن بحشر، وقال الكلبي هو عم اليسع. وجوز قوم أن يكون هو إلياس بن مضر.

وقيل لما عظمت الأحداث في بني إسرائيل بعد حزقيل بعث الله إليهم إلياس عليه السلام نبياً، وتبعه اليسع وآمن به، فلما عتا عليه بنو إسرائيل دعا ربه أن يقبضه إليه ففعل وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار مع الملائكة إنسياً (٦٨) ملكياً، أرضياً سماوياً والله أعلم.

قوله عزوجل: ﴿**أتدعون بعلاً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني ربًّا، قاله عكرمة ومجاهد. قال مقاتل هي لغة أزد شنوءة. وسمع ابن عباس رجلاً من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: من بعل هذه أي ربها، ومنه قول أبي دؤاد (٦٩):

ورأيت بعلك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا

الثاني: أنه صنم يقال له بعل كانوا يعبدونه وبه سميت بعلبك، قاله الضحاك وابن زيد وقال مقاتل: كسره إلياس وذهب.

الثالث: أنه اسم امرأة كانوا يعبدونها، قاله ابن شجرة.

(٦٨) ولم يرد في ذلك خبر صحيح وكل ما ورد إسرائيليات باطلة حكاها وهب بن منبه وغيره. كما رواها الطبري (٢٣/٩٢ ـ ٩٤) وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية بعدما حكى قول وهب بن منبه. وفي هذا نظر وهذه الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة والله أعلم.

(٦٩) وقيل هو لعبد الله بن الزبعرى كما في الكامل ( ).

﴿وتذرون أحْسَنَ الخالقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قيل له خالق.

الثاني: أحسن الصانعين لأن الناس يصنعون ولا يخلقون.

قوله عزوجل: ﴿سلامٌ على إلْ يَاسِينَ﴾ قرأ نافع وابن عامر: سلامٌ على آل ياسين بفتح الهمزة ومدها وكسر اللام، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وتسكين اللام، وقرأ الحسن: سلام على ياسين بإسقاط الألف واللام، وقرأ ابن مسعود[٧٠]: سلام على ادراسين، لأنه قرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

فمن قرأ الياس ففيه وجهان:

أحدهما: أنه جمع يدخل فيه جميع آل إلياس بمعنى أن كل واحد من أهله يسمى الياس.

الثاني: أنه إلياس فغير بالزيادة لأن العرب تغير الأسماء الأعجمية بالزيادة كما يقولون ميكال وميكاييل وميكائين. قال الشاعر[٧١]:

يقول أهل السوق لما جينا　　هذا وربِّ البيت إسرائينا

ومن قرأ آل ياسين ففي قراءته وجهان:

أحدهما: أنهم آل محمد ﷺ، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم آل إلياس.

فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان:

أحدهما: أنها زيدت لتساوي الآي، كما قال في موضع طور سيناء، وفي موضع آخر طورسينين، فعلى هذا يكون السلام على أهله دونه وتكون الإضافة إليه تشريفاً له.

الثاني: أنها دخلت للجمع فيكون داخلاً في جملتهم ويكون السلام عليه وعليهم.

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ

(٧٠) انظر لهذه القراءات زاد المسير (٧/ ٨٢) والحجة في القراءات ٦١٠، ٦١١.

(٧١) الطبري (٢٣/ ٩٥).

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٥) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٦) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾

﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ فيها أربعة أوجه:
أحدها: الهالكين، قاله السّدي.
الثاني: في الباقين من الهالكين، قاله ابن زيد.
الثالث: في عذاب الله تعالى، قاله قتادة.
الرابع: في الماضيـن في العذاب، حكاه مقاتل.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨)﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ قال السدي: يونس بن متى نبي من أنبياء الله تعالى بعثه إلى قرية يقال لها نينوى على شاطىء دجلة. قال قتادة: وهي من أرض الموصل.

﴿إذ أبق إلى الفُلك المشحون﴾ والآبق الفارّ إلى حيث لا يعلم به، قال الحسن: فر من قومه وكان فيما عهد إليهم أنهم إن لم يؤمنوا أتاهم العذاب، وجعل علامة ذلك خروجاً من بين أظهرهم، فلما خرج عنه جاءتهم ريح سوداء فخافوها فدعوا الله بأطفالهم وبهائمهم فأجابهم وصرف العذاب عنهم فخرج مكايداً لقومه مغاضباً لدين ربه حتى أتى البحر فركب سفينة وقد استوقرت حملاً، فلما اشتطت بهم خافوا الغرق.

وفيما خافوا الغرق به قولان:
أحدهما: أمواج من ريح عصفت بهم قاله ابن عباس.

الثاني: من الحوت الذي عارضهم، حكاه ابن عيسى، فقالوا عند ذلك: فينا مذنب لا ننجو إلا بإلقائه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فألقوه، وهو معنى قوله تعالى:

﴿فساهَم﴾ أي قارع بالسهام، قاله ابن عباس والسدي.

﴿فكان من المدحضين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من المقروعين، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: من المغلوبين، قاله سعيد بن جبير، ومنه قول أبي قيس(٧٢):

قتلنا المدحضين بكل فج ... فقد قرت بقتلهم العيون

الثالث: أنه الباطل الحجة، قاله السدي مأخوذ من دحض الحجة وهو بطلانها فلما ألقوه في البحر آمنوا.

قوله عزوجل: ﴿فالتقمه الحوت وهُو مليم﴾ قال ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى سمكة يقال لها اللخم من البحر الأخضر أن شقي البحار حتى تأخذي يونس، وليس يونس لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له سجناً، فلا تخدشي له جلداً ولا تكسري له عظماً، فالتقمه الحوت حين ألقي.

وفي قوله: ﴿وهو مليم﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: أي مسيء مذنب، قاله ابن عباس.

الثاني: يلوم نفسه على ما صنع، وهو معنى قول قتادة.

الثالث: يلام على ما صنع، قاله الكلبي.

والفرق بين الملوم والمليم أن المليم اذا أتى بما يلام عليه، والملوم إذا ليم عليه.

﴿فلولا أنه كان مِن المسبحين﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من القائلين لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قاله الحسن.

الثاني: من المصلين قاله ابن عباس.

الثالث: من العابدين، قاله وهب بن منبه.

(٧٢) فتح القدير (٤/ ٤١٠).

الرابع: من التائبين، قاله قطرب. وقيل تاب في الرخاء فنجاه الله من البلاء.

﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ قال قتادة: إلى يوم القيامة حتى يَصير الحوت له قبراً، وفي مدة لبثه في بطن الحوت أربعة أقاويل:

أحدها: بعض يوم، قال الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية.

الثاني: ثلاثة أيام، قاله قتادة.

الثالث: سبعة أيام، قاله جعفر.

الرابع: أربعون يوماً، قاله أبو مالك، وقيل إنه سار بيونس حتى مر به إلى الإيلة ثم عاد في دجلة إلى نينوى.

﴿فنبذناه بالعراء﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالساحل، قاله ابن عباس.

الثاني: بالأرض، قاله السدي، قال الضحاك: هي أرض يقال لها بلد.

الثالث: موضع بأرض اليمن.

الرابع: الفضاء الذي لا يواريه نبت ولا شجر، قال الشاعر(٧٣):

ورفعت رِجْلاً لا أخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

﴿وهو سقيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كهيئة الصبي، قاله السدي.

الثاني: كهيئة الفرخ الذي ليس(٧٤) له ريش، قاله ابن مسعود لأنه ضعف بعد القوة، ورق جلده بعد الشدة.

قوله عز وجل: **﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾** فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه القرع، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه كل شجرة ليس فيها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنها كل شجرة لها ورق عريض، قاله ابن عباس.

---

(٧٣) الطبري (٢٣/١٠١) واللسان (عرا).

(٧٤) يعني الصبي الذي خرج من قوة بالولادة.

الرابع: أنه كل ما ينبسط على وجه الأرض من البطيخ والقثاء، رواه القاسم بن أبي أيوب.

الخامس: أنها شجرة سماها الله تعالى يقطيناً أظلته[٧٥] رواه هلال بن حيان. وهو تفعيل من قطن بالمكان أي أقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل والزيتون. فمكث يونس تحتها يصيب منها ويستظل بها حتى تراجعت نفسه إليه، ثم يبست الشجرة فبكى حزناً عليها، فأوحى الله تعالى إليه: أتبكي على هلاك شجرة ولا تبكي على هلاك مائة ألف أو يزيدون؟ حكاه ابن مسعود.

وحكى سعيد بن جبير أنه لما تساقط ورق الشجر عنه أفضت إليه الشمس فشكاه فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس جزعت من حر الشمس ولم تجزع لمائة ألف أو يزيدون تابوا إليّ فتبت عليهم.

قوله عزوجل: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنه أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت، قاله ابن عباس، فكان أرسل إلى قوم بعد قوم.

الثاني: أنه أرسل إلى الأولين فآمنوا بشريعته، وهو معنى قول ابن مسعود.

وفي قوله: ﴿أو يزيدون﴾ ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه للإبهام كأنه قال أرسلناه إلى أحد العددين.

الثاني: أنه على شك المخاطبين.

الثالث: أن معناه: بل يزيدون، قاله ابن عباس وعدد من أهل التأويل، مثله قوله فكان قاب قوسين أو أدنى يعنى بل أدنى، قال جرير[٧٦]:

أثعلبة الفوارس أو رباحاً ... عدلت بهم طهية والخشابا

والمعنى أثعلبة بل رباحاً.

---

(٧٥) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٨٩) فإن قيل ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها فالجواب أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا وجلده قد ذاب فأدنى شيء يمر به يؤذيه وفي ورق اليقطين خاصية وهو أنه إذا ترك على شيء لم يقربه ذباب، فأنبته الله عليه ليغطيه ورقها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذيه».

(٧٦) ديوانه:

واختلف من قال بهذا في قدر زيادتهم على مائة ألف على خمسة أقاويل:

أحدها: يزيدون عشرين ألفاً، رواه أُبي بن كعب [٧٧] مرفوعاً.

الثاني: يزيدون ثلاثين ألفاً، قاله ابن عباس.

الثالث: يزيدون بضعة وثلاثين ألفاً، قاله الحكم.

الرابع: بضعة وأربعين ألفاً رواه سفيان بن عبدالله البصري.

الخامس: سبعين ألفاً، قاله سعيد بن جبير.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ
إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**أم لكم سلطان مبين**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: عذر مبين، قاله قتادة.

الثاني: حجة بينة، قاله ابن قتيبة.

الثالث: كتاب بيّن، قاله الكلبي.

قوله عزوجل: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه إشراك الشيطان في عبادة الله تعالى-فهو النسب الذي جعلوه، قاله الحسن.

الثاني: هو قول يهود أصبهان أن الله تعالى صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم، قاله قتادة.

الثالث: هو قول الزنادقة: إن الله تعالى وإبليس أخوان، وأن النور والخير

(٧٧) رواه الطبري (٢٣/١٠٤) وفي سنده مجهول والترمذي (١٥٥/٤) وقال حديث غريب وزاد السيوطي في الدر (٢١٩/٧) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

والحيوان النافع من خلق الله، والظلمة[٧٨] والشر والحيوان الضار من خلق إبليس، قاله الكلبي وعطية العوفي.

الرابع: هو قول المشركين، إن الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سروات الجن، قاله مجاهد.

وفي تسمية الملائكة على هذا الوجه جنة ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة، قاله مجاهد.

الثاني: لأنهم على الجنان، قاله أبو صالح.

الثالث: لاستتارهم عن العيون كالجن المستخفين[٧٩].

قوله عزوجل: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ وفي الجنة قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله السدي.

الثاني: أنهم الجن، قاله مجاهد.

وفيما علموه قولان.

أحدهما: أنهم علموا أن قائل هذا القول محضرون، قاله علي بن عيسى.

الثاني: علموا أنهم في أنفسهم محضرون، وهو قول من زعم أن الجنة هم الجن.

وفي قوله محضرون تأويلان:

أحدهما: للحساب، قاله مجاهد.

الثاني: محضرون في النار، قاله قتادة[٨٠].

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾

(٧٨) واسم هذه الطائفة الشبنون وتزعم أن العالم يقتسمه آلهان أحدهما النور والآخرة الظلمة وهذه الطائفة كافرة فلا معبود بحق في الوجود إلا الله.

(٧٩) ولعل هذا القول أوجه والله أعلم.

(٨٠) واختاره ابن جرير (٢٣/١٠٩).

قوله عزوجل: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ يعني المشركين وما عبدوه من آلهتهم.

﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ أي بمضلين، قال الشاعر(٨١):

فرد بنعمته كيده عليه وكان لها فاتناً

أي مضلاً، فكانوا مضلين لمن يدعونه إلى عبادتها.

﴿إلا من هو صالِ الجحيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يصلى الجحيم، قاله ابن عباس(٨٢).

قوله عز وجل ﴿وما مِنّا إلا له مقامٌ معلوم﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما منا ملك إلا له في السماء مقام معلوم، قاله ابن مسعود وسعيد بن جبير.

الثاني: ما حكاه قتادة قال: كان يصلي الرجال والنساء جميعاً حتى نزلت ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ قال فتقدم الرجال وتأخر النساء.

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل.

ثالثاً: وما منا يوم القيامة إلا من له فيها مقام معلوم بين يدي الله عز وجل.

قوله عزوجل: ﴿وإنا لنحن الصّافون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة يقفون صفوفاً في السماء، قيل حول العرش ينتظرون ما يؤمرون به، وقيل في الصلاة مصطفين. وحكى أبو نضرة أن عمر رضي الله(٨٣) كان إذا قام إلى الصلاة قال: يريد، الله بكم هدى الملائكة ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ تأخر يا فلان، تقدم يا فلان، ثم يتقدم فيكبر.

الثاني: ما حكاه أبو مالك قال كان الناس يصلون متبددين فأنزل الله عز وجل ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ فأمرهم النبي ﷺ أن يصطفوا.

وقوله عزوجل: ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ فيه قولان:

(٨١) فتح القدير (٤/٤١٤) وفيه: فجرد بفتنة كيده.

قلت وعلى هذا ما جاء في المطبوعة فيه تحريف.

(٨٢) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثاني.

(٨٣) رواه الطبري (٢٣/١١٢).

أحدهما: المصلّون، قاله قتادة.

الثاني: المنزِّهون الله عما أضافه إليه المشركون أي فكيف لا تعبدونه ونحن نعبده.

﴿فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿ولقد سبقت كلمتُنا لعبادنا المرسلين﴾** فيه قولان:

أحدهما: سبقت بالحجج، قاله السدي.

الثاني: أنهم سينصرون. قال الحسن: لم يقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد قط.

﴿إنهم لهم المنصورون﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالحجج في الدنيا والعذاب في الآخرة، قاله السدي والكلبي.

الثاني: بالظفر إما بالإيمان أو بالانتقام، وهو معنى قول قتادة.

قوله عزوجل: **﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾** فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يوم بدر، قاله السدي.

الثاني: فتح مكة، حكاه النقاش.

الثالث: الموت، قاله قتادة.

الرابع: يوم القيامة، وهو قول زيد بن أسلم.

وفي نسخ هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة، قاله قتادة.

الثاني: أنها ثابتة.

قوله عزوجل: **﴿وأبْصِر فسوف يبصرون﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يبصرون ما يحل بهم من عذاب الله وهو معنى قول ابن زيد.

الثاني: أبصرهم في وقت النصرة عليهم فسوف يبصرون ما يحل بهم، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيامة.

الرابع: أعلمهم الآن فسوف يعلمونه بالعيان وهو معنى قول ثعلب.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ روى الشعبي قال(٨٤): قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾**».

قوله تعالى: ﴿رب العزة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مالك العزة.

الثاني: رب كل شيء متعزز من مالك أو متجبر.

﴿وسلامٌ على المرسلين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: سلامه عليهم إكراماً لهم.

الثاني: قضاؤه بسلامتهم بعد إرسالهم فإنه ما أمر نبي بالقتال إلا حرس من القتل.

﴿والحمد لله رب العالمين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على إرسال الأنبياء مبشرين ومنذرين.

الثاني: على جميع ما أنعم به على الخلق أجمعين(٨٥).

---

(٨٤) رواه أبو جعفر الفريابي في كتابه الذكر هكذا مرسلاً كما قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٥٥٥).
ورواه ابن أبي حاتم كما في روح المعاني (٢٣/ ١٥٩).

(٨٥) وهذا القول أعم وأشد لذلك فهو أولى من غيره.

سورة ص

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

مكية في قول جميعهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم
مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾

قوله عزوجل: ﴿صٓ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أنه فواتح فتح الله تعالى بها القرآن، قاله مجاهد.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى، قاله السدي.

الخامس: أنه بمعنى صدق الله، قاله الضحاك.

السادس: أنه من المصادة وهي المعارضة ومعناه عارض القرآن لعلمك، قاله الحسن.

السابع: أنه من المصادة وهي الاتباع ومعناه اتبع القرآن بعلمك، قاله سفيان.

﴿والقرآن ذي الذكر﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ذي الشرف، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي.

الثاني: بالبيان، قاله قتادة.

الثالث: بالتذكير، قاله الضحاك.

الرابع: ذكر ما قبله من الكتب، حكاه ابن قتيبة. قال قتادة: ها هنا وقع القسم.

واختلف أهل التأويل في جوابه على قولين:

أحدهما: أن جواب القسم محذوف وحذفه أفخم له لأن النفس تذهب فيه كل مذهب. ومن قال بحذفه اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أن تقدير المحذوف منه لقد جاء الحق.

الثاني: تقديره ما الأمر كما قالوا.

والقول الثاني: في الأصل أن جواب القسم مظهر، ومن قال بإظهاره اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: قوله تعالى ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ قاله الفراء.

الثاني: من قوله تعالى ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ وهو قول مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿بل الذين كفروا في عزةٍ وشقاقٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني في حمية وفراق، قاله قتادة.

الثاني: في تعزز واختلاف، قاله السدي.

الثالث: في أنفة وعداوة.

ويحتمل رابعاً: في امتناع ومباعدة.

﴿كم أهلكنا مِن قَبْلِهم﴾ يعني قبل كفار هذه الأمة.

﴿من قرن﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني من أمة، قاله أبو مالك.

الثاني: أن القرن زمان مقدرو وفيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنه عشرون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أربعون سنة، قاله إبراهيم.

الثالث: ستون سنة، رواه أبو عبيدة الناجي.

الرابع: سبعون سنة، قاله قتادة.

الخامس: ثمانون سنة، قاله الكلبي.

السادس: مائة سنة، رواه عبدالله بن بشر عن(٨٦) النبي ﷺ.

(٨٦) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عبدالله بن بسْر، والتصويب من الإصابة (٤/ ٢٤) والحديث رواه البخاري في التاريخ الصغير عن عبدالله بن بُسْر أن النبي ﷺ قال «يعيش هذا الغلام قرناً فعاش مائة سنة».

السابع: عشرون ومائة سنة، قاله زرارة بن أوفى[٨٧].

قوله عز وجل ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: استغاثوا.

الثاني: دعوا.

ولات حين مناص التاء من لات مفصولة من الحاء وهي كذلك في المصحف، ومن وصلها بالحاء فقد أخطأ. وفيها وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى لا وهو قول أبي عبيدة.

الثاني: أنها بمعنى ليس ولا تعمل إلا في الحين خاصة، قال الشاعر[٨٨]:

تذكر حب ليلى لات حيناً   وأضحى الشيب قد قطع القرينا

وفي تأويل قوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ خمسة أوجه:

أحدها: وليس حين ملجأ، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: وليس حين مَغاث، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنه قول علي رضي الله عنه في رجز له:

لأصبحنّ العاصي بن العاصي   سبعين ألفاً عاقِدي النواصي
قد جنبوا الخيل على الدلاصِ   آساد غيل حين لا مناص

الثالث: وليس حين زوال، رواه أبو قابوس عن ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

فهم خشوع لديه لا مناص لهم   يضمهم مجلس يشفي من الصيد

الرابع: وليس حين فرار، قاله عكرمة والضحاك وقتادة قال الفراء مصدر من ناص ينوص. والنوص بالنون التأخر، والبوص بالباء التقدم وأنشد قول امريء القيس[٨٩]:

أمِن ذكر ليلى إن نأتك تنوص   فتقصر عنها خطوة وتبوص

---

(٨٧) وفي نسخة أخرى للمخطوطة ابن أبي أوفى.

(٨٨) الطبري (٢٣/١٢٢) والقرطبي (١٥/١٤٧) زاد السير (٧/١٠) فتح القدير (٤/٤٢٠).

(٨٩) ديوانه (١٧٧)، الطبري (٢٣/١٢٠) غريب القرآن (٣٧٦) مختار الشعر الجاهلي (١/١٢٧) اللسان (بوص) فتح القدير (٤/٤٢٠).

فجمع في هذا البيت بين البوص والنوص فهو بالنون التأخر وبالباء التقدم.

الخامس: أن النوص بالنون التقدم، والبوص بالباء التأخر، وهو من الأضداد، وكانوا إذا أحسوا في الحرب بفشل قال بعضهم لبعض: مناص: أي حملة واحدة، فينجو فيها من نجا ويهلك فيها من هلك، حكاه الكلبي. فصار تأويله على هذا الوجه ما قاله السدي أنهم حين عاينوا الموت لم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة.

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ
إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ
ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ
﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾
أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾ أمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله فقالوا أيسع لحاجاتنا جميعاً إله واحد إن هذا لشيء عجاب بمعنى عجيب كما يقال رجل طوال وطويل، وكان الخليل يفرق بينهما في المعنى فيقول العجيب هو الذي قد يكون مثله والعجاب هو الذي لا يكون مثله، وكذلك الطويل والطوال.

قوله عز وجل: ﴿**وانطلق الملأ منهم**﴾ والانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه وفي الملأ منهم قولان:

أحدهما: أنه عقبة بن أبي معيط، قاله مجاهد.

الثاني: أنه أبو جهل بن هشام أتى أبا طالب في مرضه شاكياً من رسول الله ﷺ ثم انطلق من عنده حين يئس من كفه، قاله ابن عباس.

﴿**أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اتركوه واعبدوا آلهتكم.

الثاني: امضوا على أمركم في المعاندة واصبروا على آلهتكم في العبادة[٩٠]، والعرب تقول: امش على هذا الأمر، أي امض عليه والزمه.

﴿إن هذا لشيء يراد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أسلم وقوي به الإسلام شق على قريش فقالوا إن إسلام عمر فيه قوة للإسلام وشيء يراد، قاله مقاتل.

الثاني: أن خلاف محمد لنا ومفارقته لديننا إنما يريد به الرياسة علينا والتملك لنا.

قوله عزوجل: **﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾**[٩١] فيه أربعة أقاويل:

أحدها: في النصرانية لأنها كانت آخر الملل، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

الثاني: فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الحكم.

الثالث: في ملة قريش، قاله مجاهد.

الرابع: معناه أننا ما سمعنا أنه يخرج ذلك في زماننا، قاله الحسن.

﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي كذب اختلقه محمد ﷺ.

قوله عزوجل: **﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾** قال السدي مفاتيح النبوة فيعطونها من شاؤوا ويمنعونها من شاءُوا.

قوله عزوجل: **﴿فليرتقوا في الأسباب﴾** فيه أربعة تأويلات:

أحدها: في السماء، قاله ابن عباس.

الثاني: في الفضل والدين، قاله السدي.

الثالث: في طرق السماء وأبوابها، قاله مجاهد.

الرابع: معناه فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة، وهو معنى قول أبي عبيدة.

---

(٩٠) أرأيت أيها القاريء الكريم كيف يوحي الكافرون بعضهم لبعض بالصبر على الباطل والمعتقد الفاسد أفلا يكون المسلم أولى بذلك وهو صاحب العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ وصدق ربنا **﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**.

(٩١) وهذه حجة لكل مقلد على الباطل ولهذا يسميها الشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله حجة قرشية.

قوله عزوجل: ﴿**جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**﴾ قال سعيد بن جبير: هم مشركوا مكة و ﴿**ما**﴾ صلة للتأكيد، تقول: جئتك لأمر ما. قال الأعشى (٩٢):

فاذهبي ما إليك ادركني الحلم عداني عن هيجكم أشغالي

ومعنى قوله جند أي أتباع مقلِّدون ليس فيهم عالم مرشد.

﴿**مهزوم من الأحزاب**﴾ يعني مشركي قريش أنهم أحزاب إبليس وأتباعه وقيل لأنهم تحازبوا على الجحود لله ولرسوله ﷺ. قال قتادة: فبشره بهزيمتهم وهو بمكة فكان تأويلها يوم بدر.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح**﴾ ذكر الله عز وجل القوم بلفظ التأنيث، واختلف أهل العربية في تأنيثه على قولين:

أحدهما: أنه قد يجوز فيه التأنيث والتذكير.

الثاني: أنه مذكر اللفظ لا يجوز تأنيثه إلا أن يقع المعنى على العشيرة فيغلب في اللفظ حكم المعنى المضمر تنبيهاً عليه كقوله تعالى ﴿**كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره**﴾ ولم يقل ذكرها لأنه لما كان المضمر فيه مذكوراً ذكره وإن كان اللفظ مقتضياً للتأنيث.

﴿**وعادٌ**﴾ وهم قوم هود كانوا بالأحقاف من أرض اليمن، قال ابن اسحاق: كانوا أصحاب أصنام يعبدونها، وكانت ثلاثة يقال لأحدها هدر وللآخر صمور وللآخر الهنا، فأمرهم هود أن يوحدوا الله سبحانه ولا يجعلوا معه إلَهاً غيره ويكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم إلا بذلك.

---

(٩٢) ديوانه: ١٣٩ وفيه: عن ذكركم اشغالي.

﴿وفرعون ذُو الأوتاد﴾ وفي تسميته بذي الأوتاد أربعة أقاويل:

أحدها: أنه كان كثير البنيان، والبنيان يسمى أوتاداً، قاله الضحاك.

الثاني: أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب عليها، قاله ابن عباس وقتادة.

الثالث: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، قاله السدي.

والرابع: أنه يريد ثابت الملك شديد القوة كثبوت ما يشد بالأوتاد كما قال الأسود بن يعفر(٩٣):

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة   في ظل ملك ثابت الأوتاد

﴿وثمود﴾ وهم عرب وحكى مقاتل أن عاداً وثمود أبناء عم، وكانت منازل ثمود بالحجر بين الحجاز والشام منها وادي القرى، بعث الله إليهم صالحاً، واختلف في إيمانهم به، فذكر ابن عباس أنهم آمنوا ثم مات فرجعوا بعده عن الإيمان فأحياه الله تعالى وبعثه إليهم وأعلمهم أنه صالح فكذبوه وقالوا قد مات صالح فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فأتاهم الله الناقة، فكفروا وعقروها، فأهلكهم الله.

وقال ابن إسحاق: إن الله بعث صالحاً شاباً فدعاهم حتى صار شيخاً، فعقروا الناقة ولم يؤمنوا حتى هلكوا.

﴿وقوم لوط﴾ لم يؤمنوا حتى أهلكهم الله تعالى. قال مجاهد: وكانوا أربعمائة ألف بيت في كل بيت عشرة. وقال عطاء ما من أحد من الأنبياء إلا يقوم معه يوم القيامة قوم من أمته إلا آل لوط فإنه يقوم القيامة وحده.

﴿وأصحاب الأيكة﴾ بعث الله إليهم شعيباً. وفي ﴿الأيكة﴾ قولان:

أحدهما: أنها الغيضة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الملتف من النبع والسدر قاله ابو عمرو بن العلاء. قال قتادة: بعث شعيب إلى أمتين من الناس إلى أصحاب الأيكة وإلى مدين، وعذبتا بعذابين.

﴿أولئك الأحزاب﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أحزاب على الأنبياء بالعداوة.

الثاني: أحزاب الشياطين بالموالاة.

---

(٩٣) غريب القرآن (٣٧٧) البحر المحيط (٣٨٦/٧) القرطبي (١٥٥/١٥) المفضليات (١١) زاد المسير (١٠٦/٧).

قوله عزوجل: ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني كفار هذه الأمة.

﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني النفخة الأولى.

﴿ما لها من فواق﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم الفاء، والباقون بفتحها(٩٤)، واختلف في الضم والفتح على قولين:

أحدهما: أنه بالفتح من الإفاضة وبالضم فُواق الناقة وهو قدر ما بين الحلبتين تقديراً للمدة.

الثاني: معناهما واحد، وفي تأويله سبعة أقاويل:

أحدها: معناه ما لها من ترداد، قاله ابن عباس.

الثاني: ما لها من حبس، قاله حمزة بن إسماعيل.

الثالث: من رجوع إلى الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

الرابع: من رحمة. وروي عن ابن عباس أيضاً.

الخامس: ما لها من راحة، حكاه أبان بن تغلب.

السادس: ما لها من تأخير لسرعتها قاله الكلبي، ومنه قول أبي ذؤيب:

إذا ماتت عن الدنيا حياتي ... فيا ليت القيامة عن فواق

السابع: ما لهم بعدها من إقامة، وهو بمعنى قول السدي.

قوله عزوجل: ﴿وقالوا ربنا عَجِّل لنا قِطنا...﴾ الآية. فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معنى ذلك عجل لنا حظنا من الجنة التي وعدتنا، قاله ابن جبير.

الثاني: عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس.

الثالث: عجل لنا رزقنا، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

الرابع: أرنا منازلنا، قاله السدي.

الخامس: عجل لنا في الدنيا كتابنا في الآخرة وهو قوله ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه... وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ استهزاء منهم بذلك. وأصل القط القطع، ومنه قط القلم وقولهم ما رأيته قط أي قطع الدهر بيني وبينه وأطلق على النصيب

(٩٤) زاد المسير (١٠٧/٧) والحجة في القراءات ٦١٣.

والكتاب والرزق لقطعه عن غيره إلا أنه في الكتاب أكثر استعمالاً وأقوى حقيقة، قال أمية بن أبي الصلت[٩٥]:

قوم لهم ساحة العراق وما يجبى إليه والقط والقلح

وفيه لمن قال بهذا قولان:

أحدهما: أنه ينطلق على كل كتاب يتوثق به.

الثاني: أنه مختص بالكتاب الذي فيه عطية وصلة، قاله ابن بحر.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**اصبر على ما يقولون**﴾ يعني كما صبر أولوا العزم من الرسل لا كمن لم يصبر مثل يونس.

﴿**واذكر عبدنا داود**﴾ أي فإنا نحسن إليك كما أحسنا إلى داود قبلك بالصبر.

﴿**ذا الأيد**﴾ فيه قولان:

أحدهما: ذا النعم التي أنعم الله بها عليه لأنها جمع يد حذفت منه الياء، واليد النعمة.

الثاني: ذا القوة، قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد، ومنه ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ أي بقوة.

وفيما نسب داود إليه من القوة قولان:

أحدهما: القوة في طاعة الله والنصر في الحرب، قاله مجاهد.

الثاني: ذا القوة في العبادة والفقه في الدين[٩٦] قاله قتادة. وذكر أنه كان يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر.

(٩٥) اللسان والبيت فيه: قوم لهم ساحة العراق جميعاً والقط والقلم.

(٩٦) ولا مانع من القول بالقولين فهو عليه الصلاة والسلام كان صاحب قوة في البدن والعبادة والثقة في الدين.

﴿إنه أواب﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه التواب، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: أنه الذي يؤوب إلى الطاعة ويرجع إليها، حكاه ابن زياد.

الثالث: أنه المسبح، قاله الكلبي.

الرابع: أنه الـذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها، قاله المنصور.

قوله عز وجل: ﴿وشَدَدنا ملكه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالتأييد والنصر.

الثاني: بالجنود والهيبة. قال قتادة: باثنين وثلاثين ألف حرس.

﴿وآتيناه الحكمة﴾ فيها خمسة تأويلات:

أحدها: النبوة، قاله السدي.

الثاني: السنّة، قاله قتادة.

الثالث: العدل، قاله ابن نجيح.

الرابع: العلم والفهم، قاله شريح.

الخامس: الفضل والفطنة.

﴿وفصل الخطاب﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: على القضاء والعدل فيه، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: تكليف المدعي البينة والمدعَى عليه اليمين، قاله شريح وقتادة.

الثالث: قوله أما بعد، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري والشعبي.

الرابع: أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود.

الخامس: أنه الفصل بين الكلام الأول والكلام الثاني.

۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ
مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤)
فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٢٥)

قوله عزوجل: ﴿وهل أتاك نبأ الخَصْم﴾ والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لأن أصله المصدر.

﴿إذ تسوروا المحراب﴾ ومعنى تسوروا أنهم أتوه من أعلى سورة وفي المحراب أربعة أقاويل:

أحدها: أنه صدر المجلس، ومنه محراب المسجد، قاله أبو عبيدة.

الثاني: مجلس الأشراف الذي يتحارب عليه لشرف صاحبه، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنه المسجد، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: أنه الغرفة لأنهم تسوروا عليه فيها.

﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم﴾ وسبب ذلك ما حكاه ابن عيسى(*): إن داود حدث نفسه إن ابتلي أن يعتصم، فقيل له إنك ستبتلي وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك، فأخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه، فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر كأحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه، فهمّ أن يستدرجه بيده فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فانتفض فاطلع لينظره فأشرف على امرأة تغتسل فلما رأته غطت جسدها(٩٧) بشعرها، قال السدي فوقعت

(*) وفي تفسير القرطبي ابن عباس ولعله الأصح.

(٩٧) وهذه القصة باطلة ولا تصح فهي من الإسرائيليات التي اختلقها اليهود ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى نبي الله داود وليست هذه بأول اكاذيبهم فتاريخهم معروف فقد سبوا رب الأرباب وحرفوا الكتاب وسفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء والتفسير الصحيح للأب على ظاهرها وقد صرح كثير من أهل العلم بطلان هذه القصة المزعومة كابن كثير والقرطبي والقاضي عياض وابن الجوزي وابن حزم وأبي حيان التوحيدي والفخر الرازي والخازن والألوسي وغيرهم ومحل بسط وتفنيد هذه القصة في رسالة جمعناها فذلك وقد أشرنا إليها في سورة النمل.

في قلبه، قال ابن عباس وكان زوجها غازياً في سبيل الله، قال مقاتل وهو أوريا بن حنان، فكتب داود إلى أمير الغزاة أن يجعل زوجها في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح الله عليهم أو يقتلوا، فقدمه فيهم فقتل، فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاماً أن يكون الخليفة بعده، وكتبت عليه بذلك كتاباً وأشهدت عليه خمسين رجلاً من بني إسرائيل فلم يشعر بفتنتها حتى ولدت سليمان وشب وتسور عليه الملكان وكان من شأنهما ما قَصَّه الله في كتابه.

وفي فزعه منهما قولان:

أحدهما: لأنهم تسوروا عليه من غير باب.

الثاني: لأنهم أتوه في غير وقت جلوسه للنظر.

﴿قالوا لا تخف خصمان بَغَى بعضنا على بعض﴾ وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين، ولا يأتي منهما كذب، وتقدير كلامهما: ما تقول إن أتاك خصمان وقالا بغى بعضنا على بعض.

وثنى بعضهم هنا وجمعه في الأول حيث قال: **﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾** لأن جملتهم جمعت، وهم فريقان كل واحد منهما خصم.

﴿فاحكم بيننا بالحق﴾ أي بالعدل.

﴿ولا تشطط﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تملْ، قاله قتادة.

الثاني: لا تَجُر، قاله السدي.

الثالث: لا تسرف، قاله الأخفش.

وفي أصل الشطط قولان:

أحدهما: أن أصله البعد من قولهم شطط الدار إذابعدت، قال الشاعر[٩٨]:

تشطط غداً دار جيراننا ... والدار بعد غد أبعد

الثاني: الإفراط. قال الشاعر[٩٩]:

ألا يالقومي قد اشطّت عواذلي ... وزعمن أن أودى بحقّي باطلي

(٩٨) اللسان (شطط) ولم ينسبه وفيه وللدار. . . والطبري (١٤٢/٢٣).

(٩٩) هو الأحوص والبيت في اللسان (شطط) والطبري (١٤٢/٢٣).

﴿واهدِنا إلى سواءِ الصراط﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أرشدنا إلى قصد الحق، قاله يحيـى.

الثاني: إلى عدل القضاء، قاله السدي.

﴿إن هذا أخي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني على ديني، قاله ابن مسعود.

الثاني: يعني صاحبي، قاله السدي.

﴿له تسع وتسعونَ نعجةً وليَ نعجةٌ واحدةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه أراد تسعاً وتسعين امرأة، فكنى عنهن، بالنعاج، قاله ابن عيسى. قال قطرب: النعجة هي المرأة(١٠٠) الجميلة اللينة.

الثاني: أنه أراد النعاج ليضربها مثلاً لداود، قاله الحسن.

﴿فقال أكفلنيها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ضمها إليَّ، قاله يحيـى.

الثاني: أعطنيها، قاله الحسن.

الثالث: تحوّل لي عنها، قاله ابن عباس وابن مسعود.

﴿وعزّني في الخطاب﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أي قهرني في الخصومة، قاله قتادة.

الثاني: غلبني على حقي، من قولهم من عزيز أي من غلب سلب، قاله ابن عيسى.

الثالث: معناه إن تكلم كان أبين، وإن بطش كان أشد مني، وإن دعا كان أكثر مني، قاله الضحاك.

قوله عز وجل: ﴿قال لقد ظَلَمَكَ بسؤال نعجتِك إلى نِعاجه﴾ فإن قيل فكيف يحكم لأحد الخصمين على الآخر بدعواه؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أن الآخر قد كان أقر بذلك فحكم عليه داود عليه السلام بإقراره، فحذف اكتفاء بفهم السامع، قاله السدي.

---

(١٠٠) والأولى والصحيح تفسير الآية على ظاهرها فالمراد بالنعاج على هذا إناث الضأن وما الضير في حمل الآيات على ذلك لا سيما ولم يرد ما يدل على صرف اللفظ إلى الكناية.

الثاني: إن كان الأمر كما تقول لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه.

﴿وإنَّ كثيراً من الخُلَطاءِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الأصحاب.

الثاني: الشركاء.

﴿لَيَبْغِي بعضهم على بعض﴾ أي يتعدى.

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تقديره فلا يبغي بعضهم على بعض، فحذف اكتفاء بفهم السامع.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وقليل ما فيه من يبغي بعضهم على بعض، قاله ابن عباس.

الثاني: وقليل من لا يبغي بعضهم على بعض ، قاله قتادة.

وفي ﴿ما﴾ التي في قوله ﴿وقليل ما هم﴾ وجهان:

أحدهما: أنها فضلة زائدة تقديره: وقليل هم.

الثاني: أنها بمعنى الذي: تقديره: وقليل الذين هم كذلك.

﴿وظن داود أنما فتناه﴾ قال قتادة أي علم داود أنما فتناه وفيه ثلاثة أوجه.

أحدها: اختبرناه، قاله ابن عباس.

الثاني: ابتليناه، قاله السدي.

الثالث: شددنا عليه في التعبد، قاله ابن عيسى.

﴿فاستغفر ربَّه﴾ من ذنبه. قال قتادة: قضى نبي الله على نفسه ولم يفطن لذلك، فلما تبين له الذنب استغفر ربه.

واختلف في الذنب على أربعة أقاويل:

أحدها: أنه سمع من أحد الخصمين وحكم له قبل سماعه من الآخر(١٠١).

(١٠١) وهذا القول ليس بشيء فأقل الناس معرفة بطرق الحكم بين الناس يعلم أن الحاكم لا بد أن يسمع الطرفين فما بالك بالنبي داود الذي أعطاه الله الحكم وفصل الخطاب وقد حاول البعض تأويل ذلك بأن نبي الله داود حكم أحد الخصمين باعترافه دون سماع من الطرف الآخر. ولكن هذا التأويل يحتاج إلى نقل صحيح ولا يوجد.

الثاني: هو أن وقعت عينه على امرأة أوريا بن حنان[١٠٢] واسمها اليشع وهي تغتسل فأشبع نظره منها حتى علقت بقلبه.

الثالث: هو ما نواه إن قتل زوجها تزوج بها[١٠٣] وأحسن الخلافة عليها، قاله الحسن[١٠٤]. وحكى السدي عن علي كرم الله[١٠٥] وجهه قال: لو سمعت رجلاً يذكر أن داود قارف من تلك المرأة محرَّماً لجلدته ستين ومائة لأن حد الناس ثمانون وحد الأنبياء ستون ومائة، حَدّان.

﴿وخَرّ راكعاً وأناب﴾ أي خرّ ساجداً وقد يعبر عن السجود بالركوع، قال الشاعر:

فخر على وجهه راكعاً　　　وتاب إلى الله من كل ذنب

قال مجاهد: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت[١٠٦] المرعى من دموع عينه فغطى رأسه إلى أن قال الله تعالى:

﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي مرجع.

في الزلفي وجهان:

أحدهما: الكرامة، وهو المشهور.

الثاني: الرحمة قاله الضحاك. فرفع رأسه وقد قرح جبينه.

واختلف في هذه السجدة على قولين:

(١٠٢) وهذا القول باطل لأنه يعتمد على الحديث الباطل الإسرائيلي وقد تقدم الإشارة إلى إبطاله.

(١٠٣) وهذا باطل أيضاً لأنه ما كان نبي الله داود أن يحتال على قتل مسلم بريء بغير ذنب أو يكن في صدره قتل أحد ليأخذ امرأته... ولو فعل ذلك آحاد الناس لكان قبيحاً وشنيعاً فما بالك بنبي الله داود.

(١٠٤) ولاحظ أن المؤلف لم يذكر القول الرابع ولعل أحسن ما قيل في ذلك عندي هو أن نبي الله داود فزع في محرابه وهذا لا يليق بحضرة الرب تبارك وتعالى لذلك عاتبه الله عز وجل وقد بسط ذلك الشيخ الغماري في رسالته قصة داود.

(١٠٥) وهذا الاثر لم يصح عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ففي الطريق السدي وقد نبه على عدم صحته الزين العراقي كما نقله الالوسي في روح المعاني (٢٣/ ١٨٥) وليس معنى ذلك أنه يجوز للشخص أن يقول هذه القصة بل إن من ردد هذه القصة دون إبطال لها وتحذير الناس منها فقد أعظم على نبي الله داود الفرية وشارك اليهود في صنيعهم ويخشى عليه من الانسلاخ من الدين والعياذ بالله.

(١٠٦) وهذا القول فيه من المبالغات ما فيه وهو من الإسرائيليات ولم يصح عن المعصوم في ذلك شيء راجع تعليق الشيخ الأرناؤوط على كتاب التوابين فصل في توبة داود عليه السلام ص.

أحدهما: أنها سجدة عزيمة تسجد عند تلاوتها في الصلاة وغير الصلاة، قاله أبو حنيفة.

الثاني: أنها سجدة شكر لا يسجد عند تلاوتها لا في الصلاة، ولا في غير الصلاة وهو قول الشافعي.

قال وهب بن منبه: فمكث داود(١٠٧) حيناً لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه، ولا يأكل طعاماً إلا بلّه بدموعه، ولا ينام على فراش إلا غرقه بدموعه. وحكي عن داود أنه كان يدعو على الخطائين فلما أصاب الخطيئة كان لا يمر بواد إلا قال: اللهم اغفر للخاطئين لعلك تغفر لي معهم.

يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خليفة لله تعالى(١٠٨) وتكون الخلافة هي النبوة.

الثاني: خليفة لمن تقدمك لأن الباقي خليفة الماضي وتكون الخلافة هي الملك.

﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالعدل.

الثاني: بالحق الذي لزمك لنا.

﴿ولا تتبع الهوى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن تميل مع من تهواه فتجوز.

الثاني: أن تحكم بما تهواه فتزلّ.

(١٠٧) وهذا القول كسابقه.

(١٠٨) ولا يجوز إطلاق ذلك فلا يقال فلان خليفة الله فإن لله تعالى حاضر لا يغيب وقد نبه على ذلك المؤلف في سورة فاطر وعلى هذا فالقول الثاني الذي ذكره المؤلف هنا هو الصواب.

﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عن دين الله .

الثاني : عن طاعة الله .

﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نَسُوا يوم الحساب﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بما تركوا العمل ليوم الحساب، قاله السدي .

الثاني : بما أعرضوا عن يوم الحساب، قاله الحسن .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ
ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ
نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ
عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ
تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

قوله عزوجل : ﴿إذ عُرِض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ الخيل وفيه وجهان :

أحدهما : أن صفونها قيامها ومنه ما روي عن النبي ﷺ(١٠٩) أنه قال **«من سره أن يقوم الرجال له صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار»** أي يديمون له القيام حكاه، قطرب وأنشد قول النابغة(١١٠) :

لنـــا قبـة مضـــروبـــة بفنـــائهـــا   عتاق المهاري والجياد الصوافن

---

(١٠٩) رواه أبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٤٠) والبخاري في الأدب (٩٧٧) والدولابي في الكنى (١/ ٩٥) وأحمد (٤/ ٩٣، ١٠٠) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٢١٩) من حديث معاوية رضي الله عنه وحسنه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة رقم ٣٥٧ وأما اللفظ الذي ذكره المؤلف ـ فلم أعثر عليه هكذا ولكن اللفظ في المصـادر السابقـة « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» .

(١١٠) فتح القدير (٤/ ٤٣١) روح المعاني (٢٣/ ١٩٠) .

الثاني: أن صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر حتى تقوم على ثلاث كما قال الشاعر[١١١]:

ألف الصفون فما يزل كأنه   مما يقوم على الثلاث كسيرا

وفي ﴿الجياد﴾ وجهان:

أحدهما: أنها الطوال العناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لأن طول أعناق الخيل من صفات فراهتها.

الثاني: أنها السريع، قاله مجاهد واحدها جواد سمي بذلك لأنه يجود بالركض.

قوله عز وجل: ﴿فَقَالَ إني أحببت حُبَّ الخَيْرِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني حب المال، قاله ابن جبير والضحاك.

الثاني: حب الخيل قاله قتادة والسدي. ومنه قول النبي ﷺ[١١٢] «**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**» وفي قراءة ابن مسعود: حب الخيل.

الثالث: حب الدنيا، قاله أسباط.

وفي ﴿أحببت حب الخير﴾ وجهان:

أحدهما: أن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره: أحببت الخير حباً فقدم، فقال: أحببت حب الخير ثم أضاف فقال أحببت حب الخير، قاله بعض النحويين.

الثاني: أن الكلام على الولاء في نظمه من غير تقديم ولا تأخير، وتأويله: آثرت حب الخير.

﴿عَن ذِكر ربي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن صلاة العصر، قاله علي رضي الله عنه.

الثاني: عن ذكر الله تعالى، قاله ابن عباس.

---

(١١١) اللسان (صفن)، روح المعاني (٢٣/١٧٢) والقرطبي (١٥/١٩٣). البحر المحيط (٧/٣٨٨) فتح القدير (٤/٤٣١).

(١١٢) رواه البخاري (٦/٤٠) ومسلم (١٨٧١) والنسائي (٦/٢٢١، و٢٢٢) ومالك (٢/٤٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنها.

وروى الحارث عن علي كرم الله وجهه(١١٣) قال سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر التي فرط فيها نبي الله سليمان عليه السلام.

﴿حتى توارت بالحجاب﴾ فيه قولان:

أحدهما: حتى توارت الشمس بالحجاب، والحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق، قاله قتادة وكعب.

الثاني: توارت الخيل بالحجاب أي شغلت بذكر ربها إلى تلك الحال، حكاه ابن عيسى.

والحجاب الليل يسمى حجاباً لأنه يستر ما فيه.

قوله عزوجل: ﴿رُدُّوها عليَّ﴾ يعني الخيل لأنها عرضت عليه فكانت تجري بين يديه فلا يستبين منها شيء لسرعتها وهو يقول اللهم أغضَّ بصري، حتى غابت بالحجاب ثم قال ردوها عليّ.

﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من شدة حبه لها مسح عراقيبها وأعناقها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه لما رآها قد شغلته عن الصلاة ضرب عراقيبها وأعناقها، قاله الحسن وقتادة.

ولم يكن ما اشتغل عنه من الصلاة(١١٤) فرضاً بل كان نفلاً لأن ترك الفرض

---

(١١٣) وهذه الرواية ضعيفة لأنها من طريق الحارث الأعور وهو ضعيف وقد رواها الطبري(٢٣/ ١٥٥) وابن المنذر كما في الدر (٧/ ١٧٧) وقد مرت أحاديث صحيحة في تعيين الصلاة الوسطى وهي العصر.

وقد أوردنا في سورة البقرة بعضها. قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٣٣) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر ثم قال... والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب قال وذلك ثابت في الصحيحة من غير وجه قال ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ والله ما صليتها فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

(١١٤) كيف يتناسب هذا مع ما ذكره المؤلف من أن الصلاة التي شغل عنها نبي الله سليمان هي العصر.

عمداً فسق، وفعل ذلك تأديباً لنفسه. والخيل مأكولة اللحم فلم يكن ذلك منه إتلافاً يأثم به(١١٥).

قال الكلبي: كانت ألف فرس فعرقب تسعمائة وبقي منها مائة، فما في أيدي الناس من الخيل العتاق من نسل تلك المائة.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد فتنا سُليمان﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني ابتليناه قاله السدي.

الثاني: عاقبناه، حكاه النقاش.

وفي فتنته التي عوقب بها ستة أقاويل:

أحدها: أنه كان قارب بعض نسائه في بعض الشيء من حيض أو غيره(١١٦) قاله الحسن.

الثاني: ما حكاه ابن عباس قال كانت لسليمان امرأة تسمى جرادة وكان بين أهلها وبين قوم خصومة فاختصموا إلى سليمان ففصل بينهم بالحق ولكنه ود أن الحق

---

(١١٥) قال الإمام البغوي في تفسيره (٤/٦١) قوله ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف قال وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين. قال وكان ذلك مباحاً له لأنه نبي الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب من ذنب بذنب آخر وقال الحافظ ابن كثير (٤/٣٥) وقد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى بسبب أنه اشتغل له حتى خرج وقت الصلاة.

ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر قال فهذا أسرع وخير من الخيل.

(١١٦) وهذا الذي ذكره الحسن مستبعد فكيف يقع ذلك من نبي آتاه الله الحكم والنبوة.

كان لأهلها فقيل له إنه سيصيبك بلاء فجعل لا يدري أمن الأرض يأتيه البلاء أم من السماء[١١٧].

الثالث: ما حكاه سعيد بن المسيب أن سليمان[١١٨] احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد ولم ينصف مظلوماً من ظالم فأوحى الله تعالى إليه إني لم أستخلفك لتحجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم.

الرابع: ما حكاه شهر بن حوشب[١١٩] أن سليمـان سبى بنت ملك غزان في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، فألقيت عليه محبتها وهي معرضة عنه تذكر أمر أبيها لا تنظر إليه إلا شزراً ولا تكلمه إلا نزراً، ثم إنها سألته أن يضع لها تمثالاً على صورته فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد جواريها معها، وصار صنماً معبوداً في داره وهو لا يعلم به حتى مضت أربعون يوماً وفشا خبره في بني إسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في الريح.

الخامس: ما حكاه مجاهد[١٢٠] أن سليمان قال لآصف الشيطان كيف تضلون الناس؟ فقال له الشيطان أعطني خاتمك حتى أخبرك، فأعطاه خاتمه فألقاه في البحر حتى ذهب ملكه.

---

(١١٧) وهذا الذي حكاه المؤلف عن ابن عباس رواه النسائي في التفسير عنه بسند قوي كما قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٤٣ ولكن الحافظ ابن كثير قال بعدما سرده من رواية ابن أبي حاتم قال الحافظ (٤/٣٥) وإسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب قال وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ثم قال ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام اهـ.

(١١٨) ولم يصح هذا عن سعيد رحمه الله فقد رواه عبد بن حميد والحكيم الترمذي كما في الدر (٧/١٨٤) من طريق علي بن زيد وهو ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير (٤/٣٦) وقد رويت هذه القصة المطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين قال وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(١١٩) وما حكاه شهر هنا لا يخرج عن سابقه فهو من الإسرائيليات.

(١٢٠) وهذا كسابقه.

السادس: ما حكاه أبان عن أنس أن سليمان قال ذات ليلة: والله لأطوفن على نسائي في هذه الليلة وهن ألف امرأة كلهن تشتمل بغلام، كلهم يقاتل في سبيل الله، ولم يستثن. قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول(١٢١): «**والذي نفس محمد بيده لو استثنى لكان ما قال**» فما حملت له تلك الليلة إلا امرأة واحدة فولدت له شق إنسان.

﴿وألقينا على كُرْسيِّه جسداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه وجعلنا في ملكه جسداً، والكرسي هو الملك.

الثاني: وألقينا على سرير ملكه جسداً.

وفي هذا الجسد أربعة أقاويل:

أحدها: أنه جسد سليمان(١٢٢) مرض فكان جسده ملقى على كرسيه، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه ولد له ولد فخاف(١٢٣) عليه فأودعه في السحاب يغذى في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر وفي الشهر كالسنة، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتاً، قاله الشعبي.

الثالث: أنه أكثر(١٢٤) من وطء جواريه طلباً للولد، فولد له نصف إنسان، فهو كان الجسد الملقى على كرسيه، حكاه النقاش.

الرابع: أن الله كان(١٢٥) قد جعل ملك سليمان في خاتمه فكان إذا أجنب أو ذهب للغائط خلعه من يده ودفعه إلى أوثق نسائه حتى يعود فيأخذه، فدفعه مرة إلى بعض نسائه وذهب لحاجته فجاء شيطان فتصور لها في صورة سليمان فطلب الخاتم منها فأعطته إياه، وجاء سليمان بعده فطلبه، فقالت قد أخذته فأحس سليمان.

واختلف في اسم امرأته هذه على قولين:

---

(١٢١) ولم يصح هذا عن أنس لأنه من رواية أبان بن ابي عياش عن أنس وأبان متروك. وما في الصحيح أصح فقد رواه البخاري (٦/ ٣٣٠) ومسلم (١٦٥٤) والنسائي (٧/ ٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(١٢٢) ولعل هذا الوجه أقرب إلى الصواب والله أعلم.

(١٢٣) وهذا لم يصح راجع روح المعاني (٢٣/ ١٩٨).

(١٢٤) هذا القول مأخوذ من الحديث الصحيح ولعله أقرب كما سبق.

(١٢٥) وهذا الأثر تفوح منه رائحة الإسرائيليات.

أحدهما: جرادة، قاله ابن عباس وابن جبير.

الثاني: الأمينة، قاله شهر بن حوشب.

وقال سعيد بن المسيب: كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه فأخذه الشيطان من تحته. وقال مجاهد: بل أخذه الشيطان من يده لأن سليمان سأل الشيطان كيف تضل الناس؟ فقال الشيطان: أعطني خاتمك حتى أخبرك فأعطاه خاتمه، فلما أخذ الشيطان الخاتم جلس على كرسي سليمان متشبهاً بصورته داخلاً على نسائه، يقضي بغير الحق ويأمر بغير الصواب. واختلف في إصابته النساء، فحكي عن ابن عباس: أنه كان يأتيهن في حيضهن(١٢٦). وقال مجاهد: منع من إتيانهن، وزال عن سليمان ملكه فخرج هارباً إلى ساحل البحر يتضيف الناس ويحمل سموك الصيادين بالأجرة، وإذا أخبر الناس أنه سليمان أكذبوه، فجلس الشيطان على سريره، وهو معنى قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسداً.

واختلف في اسم هذا الشيطان على أربعة أقاويل:

أحدها: أن اسمه صخر، قاله ابن عباس.

الثاني: آصف، قاله مجاهد.

الثالث: حقيق، قاله السدي.

الرابع: سيد، قاله قتادة.

ثم إن سليمان بعد أن استنكر بنو(١٢٧) إسرائيل حكم الشيطان أخذ حوته من صياد قيل إنه استطعمها، وقال ابن عباس أخذها أجراً في حمل حوت حمله، فلما شق بطنه وجد خاتمه فيها، وذلك بعد أربعين يوماً من زوال ملكه عنه، وهي عدة الأيام التي عُبد الصنم في داره. قاله مقاتل وملك أربعين سنة، عشرين سنة قبل الفتنة وعشرين بعدها. وكانت الأربعون يوماً التي خرج فيها عن ملكه ذا القعدة وعشراً من ذي الحجة، فسجد الناس له حين عاد الخاتم إليه وصار إلى ملكه.

---

(١٢٦) تقدم تخريج الحديث في ذلك وأن ابن عباس إنما تلقاه من أهل الكتاب كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير.

(١٢٧) وهذا والذي بعده كله من الإسرائيليات كما تقدم.

وحكى يحيى بن أبي عمرو الشيباني أن سليمان[١٢٨] وجد خاتمه بعسقلان فمشى منها إلى بيت المقدس تواضعاً لله.

قال ابن عباس: ثم إن سليمان ظفر بالشيطان فجعله في تخت من رخام وشده بالنحاس وألقاه في البحر[١٢٩]، فهذا تفسير قوله تعالى **﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾**.

﴿ثم أناب﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ثم رجع إلى ملكه، قاله الضحاك.

الثاني: ثم أناب من ذنبه، قاله قتادة.

الثالث: ثم برأ من مرضه، قاله ابن بحر.

قوله عز وجل: **﴿قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليكون ذلك معجزاً له يعلم به الرضا ويستدل به على قبول التوبة.

الثاني: ليقوى به على من عصاه من الجن، فسخرت له الريح حينئذٍ.

الثالث: لا ينبغي لأحد من بعدي في حياتي أن ينزعه مني كالجسد الذي جلس على كرسيه، قاله الحسن.

﴿إنك أنت الوهاب﴾ أي المعطي، قال مقاتل: سأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده بعد الفتنة فزاده الله تعالى الريح والشياطين بعدما ابتلى، وقال الكلبي حكم سليمان في الحرث وهو ابن إحدى عشرة سنة، وملك وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

قوله عز وجل: **﴿فسخرنا له الريح﴾** أي ذللناها لطاعته.

﴿تجري بأمره﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تحمل ما يأمرها.

الثاني: تجري إلى حيث يأمرها.

---

(١٢٨) قال الالوسي رحمه الله (٢٣/ ١٩٩) عن القصة «ومن أقبح ما ورد فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيّض الله أكبر هذا بهتان عظيم».

(١٢٩) راجع روح المعاني (٢٣/١٩٨ ـ ٢٠٠) فقد فنّد هذه الروايات.

﴿رخاء﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: طيبة، قاله مجاهد.

الثاني: سريعة، قاله قتادة.

الثالث: مطيعة، قاله الضحاك.

الرابع: لينة، قاله ابن زيد.

الخامس: ليست بالعاصفة المؤذية ولا بالضعيفة المقصرة، قاله الحسن.

﴿حيث أصاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حيث أراد، قاله مجاهد وقال قتادة: هو بلسان هجر. قال الأصمعي: العرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب، أي أراد الصواب.

الثاني: حيث ما قصد مأخوذ من إصابة السهم الغرض المقصود.

قوله عز وجل: ﴿والشياطين كلَّ بناءٍ وغواص﴾ يعني سخرنا له الشياطين كل بناء يعني في البر، وغواص يعني في البحر على حليّه وجواهره.

﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في السلاسل، قاله قتادة.

الثاني: في الأغلال، قاله السدي.

الثالث: في الوثاق، قاله ابن عباس، قال الشاعر(١٣٠):

فآبُوا بالنهابِ وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مُصَفَّدينا

قال يحيى بن سلام: ولم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم. ووجد على سور مدينة سليمان عليه السلام:

لو أن حيّاً ينال الخُلد في مهل ... لنال ذاك سليمان بن داودِ
سالت له العين عين القطر فائضة ... فيه ومنه عطاءٌ غير موصود
لم يبق من بعدها في الملك مرتقياً ... حتى تضمن رمْساً بعد أخدود
هذا التعْلَم أنّ الملك منقطع ... إلّا من الله ذي التقوى وذي الجود

(١٣٠) هو عمرو بن كلثوم والبيت في معلقته المشهورة، شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص ٤١٢ وفتح القدير (٤/٣٢).

قوله عزوجل: ﴿هـذا عطاؤنا. . . ﴾ في المشار إليه بهذا ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما تقدم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بتسخير الريح والشياطين.

فعلى هذا في قوله ﴿فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ وجهان:

أحدهما: امنن على من شئت من الجن بإطلاقه، أو أمسك من شئت منهم في عمله من غير حرج عليك فيما فعلته بهم، قاله قتادة والسدي.

الثاني: أعط من شئت من الناس وامنع من شئت منهم.

﴿بغير حساب﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بغير تقدير فيما تعطي وتمنع حكاه ابن عيسى.

الثاني: بغير حرج، قاله مجاهد.

الثالث: بغير حساب تحاسب عليه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فإن الله تعالى يقول: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ وحكى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿هـذا عطاؤنا﴾ الآية. قال سليمان عليه السلام: أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا فلم نر شيئاً هو أفضل(*) من خشية الله في الغيب والشهادة، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب.

والقول الثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك، فعلى هذا في قوله فامنن أو أمسك وجهان:

أحدهما: بغير جزاء.

الثاني: بغير قلة.

والقول الثالث: إن هذا إشارة إلى مضمر غير مذكور وهو ما حكي أن سليمان كان في ظهره ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وسبعمائة(١٣١) سرية فقال الله تعالى

(*) وفي نسخة أحسن.

(١٣١) وقد تقدم الكلام حول هذا العدد والصواب في ذلك.

﴿هذا عطاؤنا﴾ يعني الذي أعطيناك من القوة على النكاح ﴿فامنن﴾ بجماع من تشاء من نسائِك ﴿أو أمسك﴾ عن جماع من تشاء من نسائِك.

فعلى هذا في قوله بغير حساب وجهان:

أحدهما: بغير مؤاخذة فيمن جامعت أو عزلت.

الثاني: بغير عدد محصور فيمن استبحت أو نكحت. وهذا القول عدول من الظاهر إلى ادعاء مضمر بغير دليل لكن قيل فذكرته.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

قوله عزوجل: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذابٍ﴾ قيل هو أيوب بن حوص بن روعويل وكان في زمن يعقوب بن إسحاق، وتزوج بنته إليا بنت يعقوب وكانت أمّه بنت لوط عليه السلام، وكان أبوه حوص ممن آمن بإبراهيم عليه السلام.

وفي قوله ﴿مسني الشيطان﴾ وجهان:

أحدهما: أن مس الشيطان وسوسته وتذكيره بما كان فيه من نعمة وما صار إليه من محنة، حكاه ابن عيسى.

الثاني: الشيطان استأذن الله تعالى أن يسلطه على ماله فسلطه، ثم أهله وداره فسلطه، ثم جسده فسلطه، ثم على قلبه فلم يسلطه، قال ابن عباس فهو قوله: ﴿مسني الشيطان﴾ الآية.

﴿بنصب وعذاب﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالنصب الألم وبالعذاب السقم، قاله مبشر بن عبيد.

الثاني: النصب في جسده، والعذاب في ماله، قاله السدي.

الثالث: أن النصب العناء، والعذاب البلاء.

قوله عزوجل: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشرابٌ﴾ قال قتادة هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية. وفيهما قولان:

أحدهما: أنه اغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه، قاله الحسن.

الثاني: أنه اغتسل من إحداهما فبرىء، وشرب من الأخرى فروي، قاله قتادة.

وفي المغتسل وجهان:

أحدهما: أنه كان الموضع الذي يغتسل منه، قاله مقاتل.

الثاني: أنه الماء الذي يغتسل به، قاله ابن قتيبة.

وفي مدة مرضه قولان:

أحدهما: سبع سنين وسبعة أشهر، قاله ابن عباس.

الثاني: ثماني عشرة سنة رواه أنس مرفوعاً[١٣٢].

قوله عزوجل: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ وفيما أصابهم ثلاثة أقاويل.

أحدها: أنهم كانوا مرضى فشفاهم الله.

الثاني: أنهم غابوا عنه فردهم الله عليه، وهذان القولان حكاهما ابن بحر.

الثالث: وهو ما عليه الجمهور أنهم كانوا قد ماتوا.

فعلى هذا في هبتهم له ومثلهم معهم خمسة أقاويل:

أحدها: أن الله تعالى رد عليه أهله وولده ومواشيه بأعيانهم، لأنه تعالى أماتهم قبل آجالهم ابتلاء ووهب له من أولادهم مثلهم، قاله الحسن.

الثاني: أن[١٣٣] الله سبحانه ردهم عليه بأعيانهم ووهب له مثلهم من غيرهم قاله ابن عباس.

الثالث: أنه رد عليه ثوابهم في الجنة ووهب له مثلهم في الدنيا، قاله السدي.

الرابع: أنه رد عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءته بمثلهم في الدنيا.

الخامس: أنه لم يرد عليه منهم بعد موتهم أحداً وكانوا ثلاثة عشر ابناً فوهب الله

(١٣٢) وهو الصواب وقد تقدم تخريج الحديث في سورة الأنبياء.

(١٣٣) وهو الصواب وقد رجحه غير واحد من المفسرين.

تعالى له من زوجته التي هي أم من مات مثلهم فولدت ستة وعشرين ابناً، قاله الضحاك.

﴿رحمة منا﴾ أي نعمة منا.

﴿وذكرَى لأولي الألباب﴾ أي عبرة لذوي العقول.

قوله عزوجل: ﴿وخُذْ بيدك ضِغْثاً فاضرب به ولا تحنثْ﴾ كان أيوب قد حلف في مرضه على زوجته أن يضربها مائة جلدة.

وفي سبب ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب، فقال أداويه على أنه إذا برىء قال أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قالت نعم، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها.

الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها.

الثالث: ما حكاه يحيى بن سلام أن الشيطان أغواها على أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة ليبرأ بها فحلف ليجلدنها فلما برىء أيوب وعلم الله تعالى بإيمان امرأته أمره رفقاً بها وبراً له أن يأخذ بيده ضغثاً.

وفيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنه أشكال النخل الجامع لشماريخه، قاله ابن عباس.

الثاني: الأثل، حكاه مجاهد وقاله مجاهد.

الثالث: السنبل، حكاه يحيى بن سلام.

الرابع: الثمام اليابس، قاله سعيد بن المسيب.

الخامس: الشجر الرطب، قاله الأخفش.

السادس: الحزمة من الحشيش، قاله قطرب وأنشد قول الكميت[١٣٤]:

تحيد شِماساً إذا ما العسيفُ ... بضِغثِ الخلاء إليها أشارا

السابع: أنه ملء الكف من القش أو الحشيش أو الشماريخ، قاله أبو عبيدة.

---

(١٣٤) ديوانه (١/ ١٩٠).

﴿فاضرب﴾ فاضرب بعدد ما حلفت عليه وهو أن يجمع مائة من عدد(*) الضغث فيضربها به في دفعة يعلم فيها وصول جميعها إلى بدنها فيقوم ذلك فيها مقام مائة جلدة مفردة.

﴿ولا تحنث﴾ يعني في اليمين وفيه قولان:

أحدهما: أن ذلك لأيوب خاصة، قاله مجاهد.

الثاني: عام في أيوب وغيره من هذه الأمة، قاله قتادة. والذي نقوله في ذلك مذهباً: إن كان هذا في حد الله تعالى جاز في المعذور بمرض أو زمانة ولم يجز في غيره، وإن كان في يمين جاز في المعذور وغيره إذا اقترن به ألم المضروب، فإن تجرد عن ألم ففي بره وجهان:

أحدهما: يبر لوجود العدد المحلوف عليه.

الثاني: لا يبر لعدم المقصود من الألم.

﴿إنا وجدناه صابراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على الطاعة.

الثاني: على البلاء.

﴿نعم العبد﴾ يعني نعم العبد في صبره.

﴿إنه أوّاب﴾ إلى ربه.

وفي بلائه قولان:

أحدهما: أنه بلوى اختبار ودرجة ثواب من غير ذنب عوقب عليه.

الثاني: أنه بذنب عوقب عليه بهذه البلوى وفيه قولان.

أحدهما: أنه دخل على بعض الجبابرة فرأى منكراً فسكت عنه.

الثاني: أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع لم يطعمه.

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم
بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

(*) هكذا بالأصول ولعل الصواب من المواد الضغث.

قوله عز وجل: ﴿واذكُرْ عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن الأيدي القوة على العبادة، والأبصار الفقه في الدين، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الأيدي القوة في أمر الله، والأبصار العلم بكتاب الله، قاله قتادة.

الثالث: أن الأيدي النعمة رواه الضحاك، والأبصار العقول، قاله مجاهد.

الرابع: الأيدي القوة في أبدانهم، والأبصار القوة في أديانهم، قاله عطية.

الخامس: أن الأيدي العمل والأبصار العلم، قاله ابن بحر.

قال مقاتل: ذكر الله إبراهيم واسحاق ويعقوب ولم يذكر معهم إسماعيل لأن إبراهيم صبر على إلقائه في النار، وصبر إسحاق على(١٣٥) الذبح، وصبر يعقوب على ذهاب بصره ولم يبتل إسماعيل ببلوى.

قوله عز وجل: ﴿إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: نزع الله ما في قلوبهم من الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها، قاله مالك بن دينار.

الثاني: اصطفيناهم لأفضل ما في الآخرة وأعطيناهم، قاله ابن زياد.

الثالث: أخلصناهم بخالصة الكتب المنزلة التي فيها ذكرى الدار الآخرة، وهذا قول مأثور.

الرابع: أخلصناهم بالنبوة وذكرى الدار الآخرة، قاله مقاتل.

الخامس: أخلصناهم من العاهات والآفات وجعلناهم ذاكرين الدار الآخرة، حكاه النقاش.

هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

(١٣٥) ولم يصح الأثر في ذلك وقد عرفناك أن الراجح هو أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق.

قوله عزوجل: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ يعني قاصرات الطرف على أزواجهم.

﴿أتراب﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أقران، قاله عطية.

الثاني: أمثال، قاله مجاهد.

الثالث: متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

الرابع: مستويات الأسنان بنات ثلاث وثلاثين قاله يحيى بن سلام.

الخامس: أتراب أزواجهن بأن خلقهن على مقاديرهم، وقال ابن عيسى: الترب اللدة وهو مأخوذ من اللعب بالتراب.

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ
مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ
لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ
عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

قوله عزوجل: ﴿هـذا فليذوقوه حميمٌ وغساق﴾ أي منه حميم ومنه غساق والحميم الحار، وفي الغساق ستة أوجه:

أحدها: أنه البارد الزمهرير، قاله ابن عباس فكأنهم عذبوا بحارّ التراب وبارده.

الثاني: أنه القيح الذي يسيل من جلودهم، قاله عطية.

الثالث: أنه دموعهم التي تسيل من أعينهم، قاله قتادة.

الرابع: أنها عين في جهنم تسيل إليها حِمة كل ذي حِمة من حية أو عقرب، قاله كعب الأحبار.

الخامس: أنه المنتن، رواه أبو سعيد الخدري[١٣٦] مرفوعاً.

السادس: أنه السواد والظلمة وهو ضد ما يراد من صفاء الشراب ورقته، قاله ابن بحر.

وفي هذا الاسم وجهان:

أحدهما: حكاه النقاش أنه بلغة الترك.

الثاني: حكاه ابن بحر وابن عيسى أنه عربي مشتق واختلف في اشتقاقه على وجهين:

أحدهما: من الغسق وهو الظلمة، قاله ابن بحر.

الثاني: من غسقت القرحة تغسق غسقاً. إذا جرت، وأنشد قطرب قول الشاعر:

فالعين مطروقة لبينهم تغسق في غربة سرها

وإليه ذهب ابن عيسى.

وفي ﴿غساق﴾ قراءتان بالتخفيف والتشديد وفيها وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد، قاله الأخفش.

الثاني: معناهما مختلف والمراد بالتخفيف الاسم وبالتشديد الفعل وقيل إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: هذا حميم وهذا غساق فليذوقوه.

قوله عزوجل: ﴿وآخر مِنْ شكله أزواج﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وآخر من شكل العذاب أنواع، قاله السدي.

الثاني: وآخر من شكل عذاب الدنيا أنواع في الآخرة لم تر في الدنيا، قاله الحسن.

الثالث: أنه الزمهرير، قاله ابن مسعود.

وفي الأزواج هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنواع.

الثاني: ألوان.

الثالث: مجموعة.

(١٣٦) رواه الطبري (٢٣/١٧٨) ولم يصح وقد تقدم تخريج الحديث موسعاً.

قوله عزوجل: ﴿**هذا فوج مقتحم معكم . . .**﴾ فوج بعد فوج أي قوم بعد قوم، مقتحمون النار أي يدخلونها. وفي الفوج قولان:

أحدهما: أنهم بنو إبليس.

والثاني: بنو آدم، قاله الحسن.

والقول الثاني: أن كلا الفوجين بنو آدم إلا أن الأول الرؤساء والثاني الأتباع. وحكى النقاش أن الفوج الأول قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر، والفوج الثاني أتباعهم ببدر.

وفي القائل ﴿**هذا فـوجٌ مقتحم معكم**﴾ قولان:

أحدهما: الملائكة قالوا لبني إبليس لما تقدموا في النار هذا فوج مقتحم معكم إشارة لبني آدم حين دخلوها. قال بنو إبليس ﴿**لا مرحَباً بهم إنهم صالوا النار قالوا**﴾ أي بنو آدم: ﴿**بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار**﴾.

والقول الثاني: أن الله قال للفوج الأول حين أمر بدخول الفوج الثاني: ﴿**هذا فوج مقتحم معكم**﴾ فأجابوه ﴿**لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار**﴾ فأجابهم الفوج الثاني ﴿**بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أنتم شرعتموه لنا وجعلتم لنا إليه قدماً، قاله الكلبي.

الثاني: قدمتم لنا هذا العذاب بما أضللتمونا عن الهدى ﴿**فبئس القرار**﴾ أي بئس الدار النار، قاله الضحاك.

الثالث: أنتم قدمتم لنا الكفر الذي استوجبنا به هذا العذاب في النار، حكاه ابن زياد.

﴿**قالوا ربنا من قدم لنا هذا**﴾ الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه قاله الفوج الأول جواباً للفوج الثاني.

الثاني: قاله الفوج تبعاً لكلامهم الأول تحقيقاً لقولهم عند التكذيب.

وفي تأويل ﴿**من قدم لنا هذا**﴾ وجهان:

أحدهما: من سنه وشرعه،قاله الكلبي.

الثاني: من زينه، قاله مقاتل. والمرحب والرحب: السعة ومنه سميت الرحبة

لسعتها ومعناه لا اتسعت لكم أماكنكم؛ وأنشد الأخفش قول أبي الأسود (١٣٧).

اذا جئت بـوّابـاً لــه قــال مــرحبـاً   ألا مَـرْحبـاً واديـك غيـر مضيق

قوله عز وجل: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً . . .﴾ الآية. قال مجاهد هذا يقوله أبو جهل وأشياعه في النار: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار لا نرى عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً.

﴿أتخذناهم سخرياً﴾ قال مجاهد اتخذناهم سخرياً في الدنيا فأخطأنا.

﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ فلم نعلم مكانهم. قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. وقال أبو عبيدة من كسر ﴿سخرياً﴾ جعله من الهزء، ومن ضمه جعله من التسخير ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ يعني أهم معنا في النار أم زاغت أبصارنا فلا نراهم وإن كانوا معنا.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هو نبأ عظيم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القيامة لأن الله تعالى قد أنبأنا بها في كتبه.

والقول الثاني: هو القرآن، قاله مجاهد والضحاك والسدي.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ قال الضحاك أنتم به مكذبون. قال السدي: يريد به المشركين.

وفي تسميته نبأ وجهان:

أحدهما: لأن الله أنبأ به فعرفناه.

الثاني: لأن فيه أنباء الأولين.

وفي وصفه بأنه عظيم وجهان:

أحدهما: لعظم قدره وكثرة منفعته.

(١٣٧) الطبري (٢٣ / ١٧٩) واقتصر على الشطر الثاني من البيت.

الثاني : لعظيم ما تضمنه من الزواجر والأوامر.

قوله عزوجل: ﴿ما كان لي من عِلم بالملإ الأعلى﴾ قال ابن عباس يعني الملائكة.

﴿إذ يختصمون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : في قوله تعالى للملائكة : ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها﴾ الآية. فهذه الخصومة، قاله ابن عباس.

الثاني : ما رواه أبو الأشهب عن الحسن قال(١٣٨): قال رسول الله ﷺ. «**سألني ربي فقال يا محمد فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات والدرجات، قال وما الكفارات؟ قلت المشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات، والتعقيب في المساجد إنتظار الصلوات بعد الصلوات. قال وما الدرجات؟ قلت إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بليل والناس نيام**».

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي
فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ

(١٣٨) هذا الحديث هنا مرسل رواه مختصراً عبد بن حميد كما في الدر (٧/٢٠٢) وقد ورد الحديث موصولاً من طرق عن معاذ، وأبي أمامة، وأنس، وعبد الرحمن بن عياش الحضرمي، وطارق بن شهاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وعدي بن حاتم وثوبان وسأقتصر على تخريجه من رواية عبد الرحمن بن عائش فهي أمثلها وتراجع بقية الطرق في الدر (٧/٢٠٢ ـ ٢٠٥). أما رواية عبد الرحمن بن عائش فقد رواها الدارمي (٢/١٢٦) وابن ابي عاصم في السنة (٣٩٨) ٤٦٧، ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل (ص ٢٢) والآجري في الشريعة (ص ٤٩٧) والنجاد (٧٧، ٧٩، ٨١) واللالكائي في أصول السنة (٩٠١، ٩٠٢) والحاكم (١، ٥٢٠، ٥٢١) وصححه وسكت عليه الذهبي والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٩٩ والبغوي في التفسير (٦/٩٤ ـ ٦٥) وفي شرح السنة (٤/٣٥ ـ ٣٦) وابن الجوزي في العلل (١١) وابن عائش في صحبته خلافاً.

إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ
فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ
نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل: **﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خَلَقْتُ بيديَّ﴾** فيه ثلاثة أوجه(١٣٩):

أحدها: بقوتي، قاله علي بن عاصم.

الثاني: بقدرتي، ومنه قول الشاعر(١٤٠):

تحملت من عفراء، ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان

الثالث: لما توليت خلقه بنفسي، قاله ابن عيسى.

﴿أستكبرت﴾ أي عن الطاعة أم تعاليت عن السجود؟

قوله عزوجل: **﴿قال فالحق والحق أقول﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنا الحق، وأقول الحق، قاله مجاهد.

الثاني: الحق مني والحق قولي، رواه الحكم.

---

(١٣٩) ما ذكره المؤلف هنا من أن القدرة بمعنى اليد فهذا من تأويلات المعتز له المردودة وأما مذهب السلف فإن له يداً ليست كأيدينا أي ليست بجارحة «ليس كمثله شيء». وأزيد الأمر بياناً فأقول لو كان المراد باليد هنا القدرة أو القوة لبطل تخصيص آدم عليه السلام بخلقه بهما فإن جميع المخلوقات حتى إبليس خلقت بقدرته تبارك وتعالى فأي مزية لآدم على إبليس في قوله «لما خلقت بيدي فكان يمكن لإبليس أن يقول وأنا خلقتني بيديك إذا كان المراد بها القدرة، وأيضاً لو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون لله قدرتان وقد أجمع المسلمون على بطلان ذلك فاحذر أيها القارىء من هذا التأويل الأجنبي عن هدى السلف الصالح. وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضاه.

(١٤٠) هو عروة بن حزام، والبيت في اللسان «حمل».
وفتح القدير (٤/٤٤٥).
وفيه: تحملت من زلفاء......

الثالث: معناه حقاً حقاً لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجْر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قل يا محمد للمشركين ما أسألكم على ما أدعوكم إليه من طاعة الله أجراً قاله ابن عباس.

الثاني: ما أسألكم على ما جئتكم به من القرآن أجراً، قاله عطاء.

﴿وما أنا من المتكلفين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما أنا من المتكلفين لهذا القرآن من تلقاء نفسي.

الثاني: وما أنا من المتكلفين لأن آمركم بما لم أؤمر به.

الثالث: وما أنا بالذي أكلفكم الأجر وهو معنى قول مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿ولتعلَمُنَّ نبأه بَعْد حين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نبأ القرآن أنه حق.

الثاني: نبأ محمد ﷺ أنه رسول.

الثالث: نبأ الوعيد أنه صدق.

﴿بعد حين﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بعد الموت، قاله قتادة. وقال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

الثاني: يوم بدر، قاله السدي.

الثالث: يوم القيامة، قاله ابن زيد وعكرمة. والله أعلم.

سُورَةُ الزُّمَر

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس إلا آيتين نزلتا بالمدينة إحداهما ﴿**الله نزل أحسن الحديث**﴾ ، والأخرى ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا**﴾ الآية وقال آخرون إلا سبع آيات من قوله تعالى ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا**﴾ إلى آخر السبع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

قوله عزوجل: ﴿**تنزيل الكتاب**﴾ والكتاب هو القرآن سمي بذلك لأنه مكتوب.

﴿**من الله العزيز الحكيم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: العزيز في ملكه الحكيم في أمره.

الثاني: العزيز في نقمته الحكيم في عدله. قوله عزوجل: ﴿**فاعبد الله مخلصاً له الدين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الإخلاص بالتوحيد، قاله السدي.

الثاني: إخلاص النية لوجهه، وفي قوله ﴿له الدين﴾ وجهان:

أحدهما: له الطاعة، قاله ابن بحر.

الثاني: العبادة.

﴿ألا لله الدين الخالص﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: شهادة أن لا إله إلا الله، قاله قتادة.

الثاني: الإسلام، قاله الحسن.

الثالث: ما لا رياء فيه من الطاعات.

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني آلهة يعبدونها.

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قال كفار قريش هذه لأوثانهم وقال من قبلهم ذلك لمن عبدوه من الملائكة وعزير وعيسى، أي عبادتنا لهم ليقربونا إلى الله زلفى، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الزلفى الشفاعة في هذا الموضع، قاله قتادة.

الثاني: أنها المنزلة، قاله السدي.

الثالث: أنها القرب، قاله ابن زيد.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ
عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى
ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

قوله عزوجل: ﴿يكوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يحمل الليل على النهار، ويحمل النهار على الليل، قاله ابن عباس.

الثاني: يغشى الليل على النهار فيذهب ضوءه، ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته، قاله قتادة.

الثالث: هو نقصان أحدهما عن الآخر، فيعود نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: يجمع الليل حتى ينتشر النهار، ويجمع النهار حتى ينتشر الليل.

قوله عزوجل: **﴿خلقكم من نفسٍ واحدة﴾** يعني من آدم.

﴿ثم جعل منها زوجها﴾ يعني حواء. فيه وجهان:

أحدهما: أنه خلقها من ضلع الخَلْف من آدم وهو أسفل الأضلاع، قاله الضحاك.

الثاني: أنه خلقها من مثل ما خلق منه آدم، فيكون معنى قوله **﴿جعل منها﴾** أي من مثلها، قاله ابن بحر.

﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ قال قتادة: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كل واحد زوج.

وفي قوله **﴿أنزل﴾** وجهان:

أحدهما: يعني جعل، قاله الحسن.

الثاني: أنزلها بعد أن خلقها في الجنة، حكاه ابن عيسى.

﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً، قاله قتادة والسدي.

الثاني: خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: خلقاً في ظهر الأب ثم خلقاً في بطن الأم ثم خلقاً بعد الوضع.

﴿في ظلمات ثلاث﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة.

الثاني: ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم، حكاه ابن

عيسى. ويحتمل ثالثاً: أنها ظلمة عتمة الليل التي تحيط بظلمة المشيمة مظلمة الأحشاء وظلمة البطن.

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا مس الإنسان ضُرٌّ دعا ربَّهُ منيباً إليه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مخلصاً إليه، قاله الضحاك.

الثاني: مستغيثاً به، قاله السدي.

الثالث: مقبلاً عليه، قاله الكلبي وقطرب.

﴿ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا أصابته نعمة ترك الدعاء، قاله الكلبي.

الثاني: إذا أصابته عافية نسي الضر. والتخويل العطية العظيمة من هبة أو منحة، قال أبو النجم(١٤١):

أعطى فلم يبخل ولم يبخلِ ... كوم الذرى من خول المخوَّلِ

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿أمّن هو قانتٌ﴾ في الألف التي في ﴿أمّن﴾ وجهان:

أحدهما: أنها ألف استفهام.

الثاني: ألف نداء.

(١٤١) الطبري (٢٣/١٩٩) واللسان خول، وفتح القدير (٤/٤٥٢).

وفي قانت أربعة أوجه:

أحدها: أنهالمطيع، قالهابن مسعود.

الثاني: أنه الخاشع في صلاته، قال ابن شهاب.

الثالث: القائم في صلاته، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: أنه الداعي لربه.

﴿آناء الليل﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طرف الليل، قاله ابن عباس.

الثاني: ساعات الليل، قاله الحسن.

الثالث: ما بين المغرب والعشاء، قاله منصور.

﴿ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه﴾ قال السدي: يحذر عذاب الآخرة ويرجو نعيم الجنة.

وفيمن أريد به هذا الكلام خمسة أقاويل:

أحدها: أنه رسول الله ﷺ، حكاه يحيى بن سلام.

الثاني: أبو بكر، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه.

الثالث: عثمان بن عفان، قاله ابن عمر.

الرابع: عمار بن ياسر وصهيب وأبو ذر وابن مسعود، قاله الكلبي.

الخامس: أنه مرسل فيمن كان على هذه الحال قانتاً آناء الليل.

فمن زعم أن الألف الأولى استفهام أضمر في الكلام جواباً محذوفاً تقديره: أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً كمن جعل لله أنداداً؟ قاله يحيى. وقال ابن عيسى: المحذوف من الجواب: كمن ليس كذلك.

ومن زعم أن الألف للنداء لم يضمر جواباً محذوفاً، وجعل تقدير الكلام: أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: هل يستوي الذين يعلمون هذا فيعملون به والذين لا يعلمون هذا فلا يعملون به، قاله قتادة.

الثاني: أن الذين يعلمون هم المؤمنون يعلمون أنهم لاقو ربهم، والذين لا

يعلمون هم المشركون الذين جعلوا لله أنداداً قاله يحيى.

الثالث: ما قاله أبو جعفر محمد بن علي قال: الذين يعلمون نحن، والذين لا يعلمون عدونا.

ويحتمل رابعاً: أن الذين يعلمون هم الموقنون، والذين لا يعلمون هم المرتابون.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢)﴾

قوله عزوجل: **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ﴾** فيه وجهان:

أحدهما: معناه، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الآخرة، وهي الجنة.

الثاني: للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا فيكون ذلك زائداً على ثواب الآخرة.

وفيما أريد بالحسنة التي لهم في الدنيا أربعة أوجه:

أحدها: العافية والصحة، قاله السدي.

الثاني: ما رزقهم الله من خير الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: ما أعطاهم من طاعته في الدنيا وجنته في الآخرة، قاله الحسن.

الرابع: الظفر والغنائم، حكاه النقاش.

ويحتمل خامساً: إن الحسنة في الدنيا الثناء وفي الآخرة الجزاء.

﴿وأرض الله واسعة﴾ فيها قولان:

أحدهما: أرض الجنة رغبهم في سعتها، حكاه ابن عيسى.

الثاني: هي أرض الهجرة، قاله عطاء.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد بسعة الأرض سعة الرزق لأنه يرزقهم من الأرض فيكون معناه: ورزق الله واسع، وهو أشبه لأنه أخرج سعتها مخرج الامتنان بها.

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني بغير مَنٍّ عليهم ولا متابعة، قاله السدي.

الثاني: لا يحسب لهم ثواب عملهم فقط ولكن يزدادون على ذلك، قاله ابن جريج.

الثالث: لا يعطونه مقدراً لكن جزافاً.

الرابع: واسعاً بغير تضييق قال الراجز:

يــا هند سقــاك بــلا حســابــه سقيــا مليك حسن الــربــابــة

وحكي عن علي كرم الله وجهه قال: كل أجر يكال كيلاً ويوزن وزناً إلا أجر الصابرين فإنه يحثى حثواً.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤
فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ
ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾

قوله عزوجل: **﴿قل إن الخاسرين ٱلَّذِين خَسِروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: خسروا أنفسهم بإهلاكها في النار، وخسروا أهليهم بأن لا يجدوا في النار أهلاً، وقد كان لهم في الدنيا أهل، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: خسروا أنفسهم بما حرموها من الجنة وأهليهم من الحور العين الذين أعدوا [لهم](*) في الجنة، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: خسروا أنفسهم وأهليهم بأن صاروا هم بالكفر إلى النار، وصار أهلوهم بالإيمان إلى الجنة وهو محتمل.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ

(*) زيادة يقتضيها السياق.

يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الطاغوت الشيطان، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: الأوثان، قاله الضحاك والسدي.

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي مثل هاروت وماروت.

الثاني: عربي مشتق من الطغيان.

﴿**وأنابوا إلى الله**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أقبلوا الى الله، قاله قتادة.

الثاني: استقاموا إلى الله، قاله الضحاك.

ويحتمل ثالثاً: وأنابوا الى الله من ذنوبهم.

﴿**لهم البشرى**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الجنة، قاله مقاتل ويحيى بن سلام.

الثاني: بشرى الملائكة للمؤمنين، قاله الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: أنها البشرى عند المعاينة بما يشاهده من ثواب عمله.

قوله عزوجل: ﴿**فبشر عبادِ الذين يستمعون القول**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القول كتاب الله، قاله مقاتل ويحيى بن سلام.

الثاني: أنهم لم يأتهم كتاب من الله ولكن يستمعون أقاويل الأمم، قاله ابن زيد.

﴿**فيتبعون أحسنَه**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: طاعة الله، وقاله قتادة.

الثاني: لا إله إلا الله، قاله ابن زيد.

الثالث: أحسن ما أمروا به، قاله السدي.

الرابع: أنهم إذا سمعوا قول المسلمين وقول المشركين اتبعوا أحسنه وهو الإسلام، حكاه النقاش.

الخامس: هو الرجل يسمع الحديث من الرجل فيحدث بأحسن ما يسمع منه، ويمسك عن أسوإه فلا يتحدث به، قاله ابن عباس.

ويحتمل سادساً: أنهم يستمعون عزماً وترخيصاً فيأخذون بالعزم دون الرخص.

﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ الآية. قال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم، واتبعوا أحسن ما صار من العقول إليهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله عزوجل: **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾** فيه وجهان:

أحدهما: وسع صدره للإسلام حتى يثبت فيه، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: وسع صدره بالإسلام بالفرح به والطمأنينة إليه، فعلى هذا لا يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام، وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام.

﴿فهو على نور من ربه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على هدى من ربه، قاله السدي.

الثاني: أنه كتاب الله الذي به يأخذ وإليه ينتهي، قاله قتادة.

وروى عمرو بن مرّة عن عبدالله بن سدر[١٤٢] قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية، فقالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ فقال: **نور يقذف به في القلب**، قالوا: يا رسول الله هل لذلك من أمارة؟ قال **نعم**، قالوا: وما هي؟ قال: **الإنابة إلى دار**

(١٤٢) تقدم تخريجه في سورة الإنعام عند قوله ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾.

الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت.

وفي من نزلت فيه هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: في رسول الله ﷺ، قاله الكلبي.

الثاني: في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حكاه النقاش.

الثالث: في عمار بن ياسر، قاله مقاتل.

﴿**فويل للقاسية قلوبُهم من ذِكر الله**﴾ قيل أنه عنى أبا جهل وأتباعهُ من كفار قريش، وفي الكلام مضمر محذوف تقديره: فهو على نور من ربه كمن طبع الله على قلبه فويل للقاسية قلوبهم.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿**الله نزّل أحسن الحديث**﴾ يعني القرآن، ويحتمل تسميته حديثاً وجهين:

أحدهما: لأنه كلام الله، والكلام يسمى حديثاً كما سمي كلام الرسول الله ﷺ حديثاً.

الثاني: لأنه حديث التنزيل بعدما تقدمه من الكتب المنزلة على من تقدم من الأنبياء.

ويحتمل وصفه بأحسن الحديث وجهين:

أحدهما: لفصاحته وإعجازه.

الثاني: لأنه أكمل الكتب وأكثرها إحكاماً.

﴿**كِتاباً متشابهاً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: يشبه بعضه بعضاً من الآي والحروف، قاله قتادة.

الثاني: يشبه بعضه بعضاً في نوره وصدقه وعدله، قاله يحيى بن سلام.

ويحتمل ثالثاً: يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه لما يتضمنه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وإن كان أعم وأعجز. ثم وصفه فقال:

﴿مثاني﴾ وفيه سبعة تأويلات:
أحدها: ثنى الله فيه القضاء، قاله الحسن وعكرمة.
الثاني: ثنى الله فيه قصص الأنبياء، قاله ابن زيد.
الثالث: ثنى الله فيه ذكر الجنة والنار، قاله سفيان.
الرابع: لأن الآية تثنى بعد الآية، والسورة بعد السورة، قاله الكلبي.
الخامس: يثنى في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه، قاله ابن عيسى.
السادس: معناه يفسر بعضه بعضاً، قاله ابن عباس.
السابع: أن المثاني اسم لأواخر الآي، فالقرآن اسم لجميعه، والسورة اسم لكل قطعة منه، والآية اسم لكل فصل من السورة، والمثاني اسم لآخر كل آية منه، قاله ابن بحر.

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: أنها تقشعر من وعيده وتلين من وعده، قاله السدي.
الثاني: أنها تقشعر من الخوف وتلين من الرجاء، قاله ابن عيسى.
الثالث: تقشعر الجلود لإعظامه، وتلين عند تلاوته.

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿أفمن يتقي بوجهه سوءَ العذاب يومَ القيامة﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار يوم القيامة.
الثاني: لأن النار تبدأ بوجهه إذا دخلها.
قوله عز وجل: **﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾** فيه وجهان:
أحدهما: من مأمنهم، قاله السدي.
الثاني: فجأة، قاله يحيى.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ
مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ
تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

قوله عزوجل: **﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: غير ذي لبس، قاله مجاهد.

الثاني: غير مختلف، قاله الضحاك.

الثالث: غير ذي شك، قاله السدي.

قوله عزوجل: **﴿ضرب الله مثلاً رجلاً﴾** يعني الكافر.

﴿فيه شركاء﴾ أي يعبد أوثاناً شتى.

﴿متشاكسون﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: متنازعون، قاله قتادة.

الثاني: مختلفون، قاله ابن زياد.

الثالث: متعاسرون.

الرابع: متظالمون مأخوذ من قولهم: شكسني مالي أي ظلمني.

﴿ورَجُلاً سَلَماً لرجُلٍ﴾ يعني المؤمن سلماً لرجل أي مخلصاً لرجل، يعني أنه بإيمانه يعبد إلّهاً واحداً.

﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي هل يستوي حال العابد لله وحده وحال من يعبد آلهة غيره؟ فضرب لهما مثلاً بالعبدين اللذين يكون أحدهما لشركاء متشاكسين، لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم حق خدمته، ويكون الآخر لسيد واحد يقدر أن يوفيه حق خدمته.

﴿الحمد لله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على احتجاجه بالمثل الذي خَصم به المشركين.

الثاني: على هدايته التي أعان بها المؤمنين.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون المثل المضروب.

الثاني: لا يعلمون بأن الله هو الإله المعبود.

قوله عز وجل: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** هذا خطاب للنبي ﷺ أخبر بموته وموتهم، فاحتمل خمسة أوجه:

أحدها: أن يذكر ذلك تحذيراً من الآخرة.

الثاني: أن يذكره حثاً على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلف الأمم في غيره حتى إن عمر لما أنكر موته احتج أبو بكر بهذه الآية فأمسك.

الخامس: ليعلمه أن الله تعالى قد سوى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر فيه السلوى وتقل الحسرة. ومعنى إنك ميت أي ستموت، يقال ميت بالتشديد للذي سيموت، وميت بالتخفيف لمن قد مات.

قوله عز وجل: **﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: في الدماء، قاله عكرمة.

الثاني: في المداينة، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: في الإيمان والكفر، قاله ابن زيد، فمخاصمة المؤمنين تقريع، ومخاصمة الكافرين ندم.

الرابع: ما قاله ابن عباس يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. قال إبراهيم النخعي: لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب النبي ﷺ يقولون ما خصومتنا بيننا(١٤٣).

ويحتمل خامساً: أن تخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى فيما تغالبوا عليه في الدنيا من حقوقهم خاصة دون حقوق الله ليستوفيها من حسنات من وجبت عليه في حسنات من وجبت له.

---

(١٤٣) وفي نسخة أخرى للمخطوطة «فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا بيننا».

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿والذي جاء بالصدق﴾ الآية. وفي الذي جاء بالصدق أربعة أقاويل:

أحدها: أنه جبريل، قاله السدي.

الثاني: محمد ﷺ، قاله قتادة ومجاهد.

الثالث: أنهم المؤمنون جاءوا بالصدق يوم القيامة، حكاه النقاش.

الرابع: أنهم الأنبياء، قاله الربيع وكان يقرأ: والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به.

وفي (الصدق) قولان:

أحدهما: أنه لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: القرآن، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل ثالثاً: أنه البعث والجزاء.

وفي الذي صدق به خمسة أقاويل:

أحدها: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس.

الثاني: المؤمنون من هذه الأمة، قاله الضحاك.

الثالث: أتباع الأنبياء كلهم، قاله الربيع.

الرابع: أنه أبو بكر، رضي الله عنه حكاه الطبري(١٤٤) عن علي رضي الله عنه، وذكره النقاش عن عون بن عبدالله.

الخامس: أنه علي كرم الله وجهه، حكاه ليث عن مجاهد.

(١٤٤) جامع البيان (٢٤/٣).

ويحتمل سادساً: أنهم المؤمنون قبل فرض الجهاد من غير رغبة في غنم ولا رهبة من سيف.

﴿أولئك هم المتقون﴾ إنما جاز الجمع في **﴿هم المتقون﴾** و **﴿الذي﴾** واحد في مخرج لفظه وجمع في معناه على طريق الجنس كقوله تعالى **﴿إن الإنسان لفي خسر﴾**.

قوله عز وجل: **﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عَمِلوا﴾** قبل الإيمان والتوبة، ووجه آخر: أسوأ الذي عملوا من الصغائر لأنهم يتقون الكبائر.

﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي يجزيهم بأجر أحسن الأعمال وهي الجنة.

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: **﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾** في قراءة بعضهم، يعني محمداً ﷺ يكفيه الله المشركين، وقرأ الباقون **﴿عباده﴾** وهم الأنبياء.

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا يخوفونه بأوثانهم يقولون تفعل بك وتفعل، قاله الكلبي والسدي.

الثاني: يخوفونه من أنفسهم بالوعيد والتهديد.

قوله عز وجل: **﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على ناحيتكم، قاله الضحاك ومجاهد.
الثاني: على تمكنكم، قاله ابن عيسى.
الثالث: على شرككم، قاله يحيى.
﴿إني عامل﴾ على ما أنا عليه من الهدى.
﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيد.

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الله عند توفي الأنفس يقبض أرواحها من أجسادها والتي لم تمت وهي في منامها يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها.

﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أني تعود الأرواح إلى أجسادها.

﴿ويرسلُ الأخرى﴾ وهي النائمة فيطلقها باليقظة للتصرف إلى أجل موتها، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما حكاه ابن جريج عن ابن عباس أن لكل جسد نفساً وروحاً فيتوفى الله الأنفس في منامها بقبض أنفسها(١٤٥) دون أرواحها حتى تتقلب بها وتتنفس، فيمسك التي قضى عليها الموت أن تعود النفس إلى جسدها ويقبض الموت روحها، ويرسل الأخرى وهي نفس النائم إلى جسدها حتى تجتمع مع روحها إلى أجل موتها.

الثالث: قاله سعيد بن جبير إن الله تعالى يقبض أرواح الموتى إذا ماتوا وأرواح

(١٤٥) وقد اختلف القول في النفس والروح هل هما بمعنى واحد أم مختلفان وشرح ذلك يطول والتحقيق أنها شيء واحد باعتبار وشيء متعدد باعتبار فهما شيء واحد باعتبار الذات ومتعدد باعتبار الصفات فهناك النفس اللوامة والمطمئنة والأمارة بالسوء راجع المطولات في ذلك ككتاب الروح لابن القيم.

الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يعيدها ويرسل الأخرى فيعيدها. قال علي رضي الله عنه: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبُ...﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: انقبضت، قاله المبرد.

الثاني: نفرت(١٤٦).

الثالث: استكبرت.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

(١٤٦) يتعلق حول قوله ﴿وإذا ذكر الله﴾ أيها القارىء الكريم إن النذير في هذه الآية وغيرها من آيات القرآن من الأمور التي تبعث على التوبة وعدم التسويف فيها.. إن كثيراً من الناس لهم نصيب من هذه الآية فصنف من غلاة الصوفية هداهم الله تراهم حينما يذكر إمامهم القرآن أو ذكر الله لا يرتدعون ولا ينتهون بل هم بربهم يشركون وإذا ذكر إمامهم الغناء والطرب والوجد وما شابه ذلك تراهم محدقي الأبصار منشرحي الصدور فرحين طربين وصنف آخر من الناس تراهم عند المطالبة بتحكيم شريعة الله غافلين أو متغافلين ساهين وعند ذكر القانون الوضعي يرعدون ويزبدون ولربهم يغضبون ولهدى نبيهم تاركون وهم في الوقت نفسه يدافعون عن القانون الباطل الذي هو وضع البشر.

قوله عز وجل: ﴿**قل اللهم فاطر السموات والأرض**﴾ أي خالقهما.

﴿**عالمَ الغيب والشهادة**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: السر والعلانية.

الثاني: الدنيا والآخرة.

﴿**أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون**﴾ من الهدى والضلالة.

ويحتمل ثانياً: من التحاكم إليه في الحقوق والمظالم.

قال ابن جبير: اني لأعرف موضع آية ما قرأها أحدٌ فسأل الله شيئاً إلا أعطاه، قوله ﴿**قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون**﴾.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ
بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ
هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

قوله عز وجل: ﴿**فإذا مسّ الإنسان ضرٌ دعانا**﴾ قيل إنها نزلت في أبي حذيفة ابن المعيرة.

﴿**ثم اذا خوّلناه نعمة منا قال إنما أوتيتُه على عِلمٍ**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: على علم برضاه عني، قاله ابن عيسى.

الثاني: بعلمي، قاله مجاهد.

الثالث: بعلم علمني الله إياه، قاله الحسن.

الرابع: علمت أني سوف أصيبه: حكاه النقاش.

الخامس: على خبر عندي، قاله قتادة.

﴿**بل هي فتنة**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: النعمة لأنه يمتحن بها.

الثاني: المقالة التي اعتقدها لأنه يعاقب عليها.

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ البلوى من النعمى.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي أسرفوا على أنفسهم في الشرك.

ويحتمل ثانياً: أسرفوا على أنفسهم في ارتكاب الذنوب مع ثبوت الإيمان والتزامه ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أي لا تيأسوا من رحمته.

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يغفرها بالتوبة منها، قاله الحسن.

الثاني: يغفرها بالعفو عنها إلا الشرك.

الثالث: يغفر الصغائر باجتناب الكبائر.

﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ قيل نزلت هذه الآية والتي بعدها في وحشي قاتل حمزة، قاله الحسن والكلبي، وقال علي عليه السلام(*): ما في القرآن آية أوسع منها.

(*) الأولى أن يقول رضي الله عنه، وانظر تفسير ابن كثير عند الآية (رقم ٥٦) من سورة الأحزاب (ج ٣/ص ٥١٧، ٥١٨).

وروى ثوبان قال(١٤٧): سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما أحب أن لي الدنيا وما عليها بهذه الآية**».

قوله عز وجل: ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هو ما أمرهم الله به في الكتاب، قاله السدي.

الثاني: أن يأخذوا ما أمر به وينتهوا عما نهوا عنه، قاله الحسن.

الثالث: هو الناسخ دون المنسوخ، حكاه ابن عيسى.

الرابع: هو طاعة الله تعالى في الحرام والحلال قاله ابن زياد.

الخامس: تأدية الفرائض، قاله زيد بن علي، ومعاني أكثرها متقاربة.

ويحتمل سادساً: أنه الأخذ بالعزيمة دون الرخصة. وجعله منزلاً عليهم لأنه منزل إليهم على نبيهم ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿**أن تقول نفس يا حَسْرتَا**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه لئلا تقول نفس.

الثاني: أن لا تقول نفس، والألف التي في يا حسرتا(١٤٨) بدل من ياء الإضافة ففعل ذلك في الاستغاثة لمدة الصوت بها.

﴿**على ما فرطت في جنب الله**﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: في مجانبة أمر الله، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: في ذات الله(١٤٩)، قاله الحسن.

---

(١٤٧) رواه الطبري (١٦/٢٤) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ووثقه بعضهم وزاد السيوطي في الدر (٢٣٧/٧) نسبته لعبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأحمد.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠٠/٧) رواه الطبري في الأوسط وأحمد بنحوه.... وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن اهـ يعني حسن في الشواهد. أو من طريق العبادلة كما هو معروف عند أهل الحديث.

(١٤٨) يقصد المؤلف رحمه الله أن الأصل في يا حسرتا يا حسرتي بالياء لكن الألف جاءت بدلاً من ياء الإضافة.

(١٤٩) وقد ظن البعض أن قوله تعالى ﴿في جنب الله﴾ وصفة من صفات الله وهذا خطأ واضح فالآية ما سيقت أصلاً لإثبات أن الجنب من صفات الله ولم يفسرها أحد بذلك وقد قال الإمام الدارمي في الرد على بشر المريسي ص ٥٤ من عقائد السلف: إنما تفسيرها عندهم (أي عند السلف) نحشر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى «واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله فهذا تفسير=

الثالث: في ذكر الله، قاله السدي، وذكر الله هنا القرآن.

الرابع: في ثواب الله من الجنة حكاه النقاش.

الخامس: في الجانب المؤدي إلى رضا الله، والجنب والجانب سواء.

السادس: في طلب القرب من الله ومنه قوله تعالى ﴿والصاحب بالجنب﴾ أي بالقرب.

﴿وإن كنت لمن السّاخرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من المستهزئين في الدنيا بالقرآن، قاله النقاش.

الثاني: بالنبي ﷺ وبالمؤمنين، قاله يحيى بن سلام.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ
ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ
﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ
إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ
﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بنجاتهم من النار.

الثاني: بما فازوا به من الطاعة.

الثالث: بما ظفروا من الإدارة.

ويحتمل رابعاً: بما سلكوا فيه مفاز، الطاعات الشاقة، مأخوذ من مفازة السفر.

= الجنب عندهم فمن أنبأك أنهم قالوا جنب من الجنوب فإنه يجهل هذا المعنى كثير من العوام فضلاً عن علمائهم وقد قال أبو بكر رضي الله عنه الكذب بجانب الايمان راجع تفسير الطبري (١٣/٢٤) زاد المسير (١٩٢/٧) لأبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٦١.

﴿لا يمسهم السُّوءُ﴾ لبراءتهم منه. ﴿ولا هم يحزنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يحزنون، بألا يخافوا سوء العذاب.

الثاني: لا يحزنون على ما فاتهم من ثواب الدنيا.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدرِه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما عظموه حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه، قاله الحسن.

الثاني: وما عظموه حق عظمته إذ دعوا إلى عبادة غيره، قاله السدي.

الثالث: ما وصفوه حق صفته، قاله قطرب.

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قبضه استبدالها(١٥٠) بغيرها لقوله ﴿يوم تبدل الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهو محتمل(١٥١).

الثاني: أي هي في مقدوره كالذي يقبض عليه القابض في قبضته.

﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بقوته لأن اليمين القوة(١٥٢).

---

(١٥٠) ولعل الصواب أن يقال استبدال غيرها بها لأن الباء تدخل على المتروك كما في قوله تعالى ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ الآية راجع زاد المسير (١٩٢/٧).

(١٥١) وقد ثبت في البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» فما عليه السلف الصالح أننا نؤمن بهذا النص إيماناً يليق بكمال الله وجلاله.

(١٥٢) إن ما عليه مذهب السلف الصالح في هذه الآية وفي كثير من الآيات مثيلاتها أنهم لا يتركونها على ظاهرها ولا يؤولونها تأويلاً تفصيلياً كما أولوا بعض الآيات وهي مواضع قليلة إنما فوضوا الأمر إلى الله مع إيمانهم بأنها ليست جسماً ولا جارحة وإنما إيمانهم في الله تعالى أنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وتعالى الله عما يقول المعطلة والمجسمة علواً كبيراً.

وفي صحيح مسلم (١٨٢٧) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين راجع الفتح (٣٩٦/٣) والأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٢٣.

الثاني: في ملكه كقوله ﴿وما ملكت أيمانكم﴾[النساء: ٣٦].

ويحتمل طيها بيمينه وجهين:

أحدهما: طيها يوم القيامة(١٥٣). لقوله يوم نطوي السماء.

الثاني: أنها في قبضته مع بقاء الدنيا كالشيء المطوي لاستيلائه عليها.

﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾روى صفوان بن سليم أن يهودياً(١٥٤) جاء إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم إن الله أنزل عليك ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و والسموات مطويات بيمينه﴾ فأين يكون الخلق؟ قال «يكونون في الظلمة عند الجسر حتى ينجي الله من يشاء». قال: والذي أنزل التوراة على موسى ما على الأرض أحد يعلم هذا غيري وغيرك.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ونفخ في الصُّور فصعق مَنْ في السموات ومن في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الصعق الغَشي، حكاه ابن عيسى.

الثاني: وهو قول الجمهور أنه الموت وهذا عند النفخة الأولى.

﴿إلا من شاء الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وملك الموت يقبض أرواحهم بعد ذلك، قاله السدي ورواه أنس عن النبي(١٥٥) ﷺ.

---

(١٥٣) وهو الصواب لما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقد تقدم ولاينافي ذلك القول الثاني فإن الله تعالى على كل شيء قدير وكل ما في الوجود تحت سلطانه وقدرته لا يخرج عن قدرته ولا يشبه شيء.

(١٥٤) وروى مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٠)من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط، وكذلك جاء في حديث الخبر الذي رواه ابن مسعود انظره في الصحيح (٨/ ٥٥٠)

(١٥٥) رواه الطبري (٢٤/ ٢٩) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس وهذا سند ضعيف ويزيد ضعيف وقد مرّ أكثر

الثاني : الشهداء، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: هو الله الواحد القهار، قاله الحسن.

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهي النفخة الثانية للبعث.

﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ قيل قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به.

ويحتمل وجهاً آخر ينظرون مايؤمرون به.

قوله عز وجل: ﴿وأشرقتِ الأرض﴾ إشراقها إضاءتها، يقال أشرقت الشمس إذا أضاءت، وشَرَقت إذا طلعت.

وفي قوله ﴿بِنُورِ رَبِّها﴾ وجهان:

أحدهما: بعدله، قاله الحسن.

الثاني : بنوره(١٥٦) وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه نور قدرته.

الثاني : نور خلقه لإشراق أرضه.

الثالث: أنه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لأنه نهار لا ليل معه.

﴿ووضع الكتاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحساب، قاله السدي.

الثاني : كتاب أعمالهم(١٥٧)، قاله قتادة.

﴿وجيء بالنبين والشهداء﴾ فيهم قولان:

من مرة وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٢٥٠) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وأبي نعيم السجزي في الإبانة وابن مردويه.

ومن طريق اخرى عن أنس مختصراً بنحوه رواه البيهقي في البعث وابن مردويه كما في الدر (٧/ ٢٥٠).

(١٥٦) إن هذه الآية وسواها من مثيلاتها لا يجوز أن تحمل على ظاهرها لئلا يؤول الأمر إلى التجسيم والعياذ بالله تعالى وإنما مذهب السلف التسليم والتفويض مع الإيمان الكامل بقوله تعالى «ليس كمثله شيء» أي نؤمن بها إيماناً يليق بكماله وجلاله وقد مر معنا في سورة النور «الله نور السموات والأرض» فقال البعض مُنَوِّر السموات والأرض وقال البعض أي هادي أهل السموات وبعض أهل الأرض.

(١٥٧) و يؤيده الحديث الوارد وهو حديث البطاقة المشهور من حديث عبدالله بن عمرو رواه الترمذي (٢٦٤١) وابن حبان وغيرهما وصححه غير واحد من الأئمة راجع جامع الاصول (١٠/ ٤٥٨).

أحدهما: أنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم للأنبياء أنهم قد بلغوا، وأن الأمم قد كذبوا، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم الذين استشهدوا في طاعة الله، قاله السدي.

﴿وقضي بينهم بالحق﴾ قال السدي بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ قال سعيد بن جبير لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أفواجاً، قاله الحسن.

الثاني: أمماً، قاله الكلبي.

الثالث: جماعات، قاله السدي. قال الأخفش جماعات متفرقة، بعضها إثر بعض واحدها زمرة. قال خفاف بن ندبة:

كأن إخراجها في الصبح غادية ... من كل شائبةٍ في أنها زُمَر

الرابع: دفعاً وزجراً بصوت كصوت المزمار، ومن قولهم مزامير داود.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿سلام عليكم طبتم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طبتم بطاعة الله قاله مجاهد.

الثاني: طبتم بالعمل الصالح، قاله النقاش.

الثالث: ما حكاه مقاتل أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم فذلك قوله ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ [الإنسان: ٢١] ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أبشارهم، فعندها يقول لهم خزنتها: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ فإذا دخلوها قالوا ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾.

وفي معنى طبتم ثلاثة أوجه:

أحدها: نعمتم، قاله الضحاك.

الثاني: كرمتم، قاله ثعلب.

الثالث: زكوتم، قاله الفراء وابن عيسى.

﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ وعده في الدنيا بما نزل به القرآن، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه وعده بالجنة في الآخرة ثواباً على الإيمان.

الثاني: أنه وعده في الدنيا بظهور دينه على الأديان، وفي الآخرة بالجزاء على الإيمان.

﴿وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاءُ﴾ وفي هذه الأرض قولان:

أحدهما: أرض الجنة، قاله أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وأكثر المفسرين.

الثاني: أرض الدنيا. فإن قيل إنها أرض الجنة ففي تسميتها ميراثاً وجهان:

أحدهما: لأنها صارت إليهم في آخر الأمر كالميراث.

الثاني: لأنهم ورثوها من أهل النار، وتكون هذه الأرض من جملة الجزاء والثواب، والجنة في أرضها كالبلاد في أرض الدنيا لوقوع التشابه بينهما قضاء بالشاهد على الغائب.

﴿نتبوأ من الجنة حيث نشآء﴾ يعني منازلهم التي جوزوا بها، لأنهم مصروفون عن إرادة غيرها.

وفي تأويل قوله ﴿حيث نشاء﴾ وجهان:

أحدهما: حيث نشاء من منزلة وعلو.

الثاني: حيث نشاء من منازل ومنازه، فإن قيل إنها أرض الدنيا فهي من النعم دون الجزاء.

ويحتمل تأويله وجهين:

أحدهما: أورثنا الأرض بجهادنا نتبوأ من الجنة حيث نشاء بثوابنا.

الثاني: وأورثنا الأرض بطاعة أهلها لنا نتبوأ من الجنة حيث نشاء بطاعتنا له لأنهم أطاعوا فأطيعوا.

﴿فنعم أجر العاملين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فنعم أجر العاملين في الدنيا الجنة في الآخرة.

الثاني: فنعم أجر من أطاع أن يطاع.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ قال قتادة: محدقين.

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ وتسبيحهم تلذذ لا تعبد. وفي قوله.

﴿بحمد ربهم﴾ وجهان:

أحدهما: بمعرفة ربهم، قاله الحسن.

الثاني: يذكرون بأمر ربهم، قاله مقاتل.

﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي بالعدل وفيه قولان:

أحدهما: وقضي بينهم بعضهم لبعض.

الثاني: بين الرسل والأمم، قاله الكلبي.

﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ وفي قائله قولان:

أحدهما: أنه من قول الملائكة، فعلى هذا يكون حمدهم لله على عدله في قضائه.

الثاني : أنه من قول المؤمنين.

فعلى هذا يحتمل حمدهم وجهين :

أحدهما: على أن نجاهم مما صار إليه أهل النار.

الثاني : على ما صاروا إليه من نعيم الجنة، فختم قضاؤه في الآخرة بالحمد كما افتتح خلق السموات والأرض بالحمد في قوله **﴿الحمد لله الذي خلق السموات وَٱلأَرْضَ﴾** [الأنعام: ١] فتلزم الاقتداء به والأخذ بهديه في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمه بحمده وبالله التوفيق.

سورة غافر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ [غافر: ٥٦] والتي بعدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله أقسم به، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن، قاله سعيد بن جبير وقال: الٓر وحمٓ ونٓ هو الرحمن.

الرابع: هو محمد ﷺ، قاله جعفر بن محمد.

الخامس: فواتح السور، قاله مجاهد قال شريح (١٥٨) بن أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

ويحتمل سادساً: أن يكون معناه حُم أمر الله أي قرب، قال الشاعر:

قد حُمّ يومي فسر قوم ... قومٌ بهم غفلة ونوم

(١٥٨) وقيل هو الأشتر النخعي، والبيت في اللسان «حمم» والطبري (٢٤/٣٩).

ومنه سميت الحمى لأنها تقرب منه المنيـة .

فعلى هذا يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه يريد به قرب قيام الساعة لقـول النبي ﷺ : «**بعثت في آخرهـا ألفاً**»(١٥٩).

الثاني : أنه يريـد به قرب نصره لأوليائه وانتقامه من أعدائه يوم بدر .

قوله عز وجل : ﴿**غافر الذنب**﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه غافره لمن استغفره ، قاله النقاش .

الثاني : غافره بمعنى أنه موصوف بمغفرته ، قاله ابن عيسى .

الثالث : ساتره على من يشاء ، قاله سهل بن عبدالله .

﴿**وقابل التوب**﴾ يجوز أن يكون جمع توبة ، ويجوز أن يكون مصدراً من تاب يتوب توباً ، وقبوله للتوبة إسقاط الذنب بها مع إيجاب الثواب عليها .

قوله عز وجل : ﴿**ذي الطول**﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : ذي النعم ، قاله ابن عباس .

الثاني : ذي القدرة ، قاله ابن زيد .

الثالث : ذي الغنى والسعة ، قاله مجاهد .

الرابع : ذي الخير ، قاله زيد بن الأصم .

الخامس : ذي المن ، قاله عكرمة .

السادس : ذي التفضيل ، قاله محمـد بن كعب .

والفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب ، والفضل إحسـان غير مستحق والطول مأخوذ من الطول كأنه طال إنعامه على غيره وقيل لأنه طالت مدة إنعامه .

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ

(١٥٩) لم أهتـد إلى تخريجه بنفس اللفظ ، وقـد ورد من حـديث أنس مـرفـوعـاً بلفظ بعثت أنـا والساعة كهاتين وقرن السبابة والوسطى .

رواه البخاري (١١/٣٤٧) ومسلم (٤/٢٢٦٨ ـ ٢٢٦٩) .

بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: **﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾** فيه وجهان:

أحدهما: ما يماري فيها، قاله السدي.

الثاني: ما يجحد بها، قاله يحيى بن سلام.

وفي الفرق بين المجادلة والمناظرة وجهان:

أحدهما: أن المجادلة لا تكون إلا بين مبطلين أو مبطل ومحق، والمناظرة بين محقين.

الثاني: أن المجادلة فتل الشخص عن مذهبه محقاً أو مبطلاً، والمناظرة التوصل إلى الحق في أي من الجهتين كان.

وقيل إنه أراد بذلك الحارث بن قيس السهمي وكان أحد المستهزئين.

﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ قال قتادة: إقبالهم وإدبارهم وتقلبهم في أسفارهم، وفيه وجهان:

أحدهما: لا يغررك تقلبهم في الدنيا بغير عذاب، قاله يحيى.

الثاني: لا يغررك تقلبهم في السعة والنعمة قاله مقاتل وقيل إن المسلمين قالوا نحن في جهد والكفار في السعة، فنزل **﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾** حكاه النقاش وفيه حذف تقديره: فلا يغررك تقلبهم في البلاد سالمين فسيؤخذون.

قوله عز وجل: **﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾** فيه وجهان:

أحدهما: ليحبسوه ويعذبوه، حكاه ابن قتيبة.

الثاني: ليقتلوه، قاله قتادة والسدي. والعرب تقول: الأسير الأخيذ لأنه مأسور للقتل، وأنشد قطرب قول الشاعر(١٦٠):

فإما تأخذوني تقتلوني ... ومن يأخذ فليس إلى خلود

(١٦٠) وفي تفسير القرطبي (١٥/٢٩٣).
الشطر الثاني فيه: فكم من آخذ يهوى خلودي.

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان :

أحدهما : عند دعائه لهم .

الثاني : عند نزول العذاب بهم .

﴿**وجادلوا بالباطل ليُدْحضوا به الحقَّ**﴾ قال يحيى بن سلام : جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان .

﴿**فأخذتهم**﴾ قال السدي : فعذبتهم .

﴿**فكيف كان عقاب**﴾ في هذا السؤال وجهان :

أحدهما : أنه سؤال عن صدق العقاب ، قال مقاتل وجدوه حقاً .

الثاني : عن صفته ، قال قتادة : شديد والله .

قوله عز وجل : ﴿**وكذلك حقت كلمت ربِّك على الذين كفروا**﴾ أي كما حقت على أولئك حقت على هؤلاء . وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : وكذلك وجب عذاب ربك .

الثاني : وكذلك صدق وعد ربك .

﴿**أنهم أصحاب النار**﴾ جعلهم أصحابها لأنهم يلزمونها وتلزمهم .

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ
وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي
وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ
فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

قوله عز وجل : ﴿**ربنا وسعت كل شَيْءٍ رحمة وعلماً**﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ملأت كل شيء رحمة وعلماً ، أو رحمة عليه وعلماً به ، وهو معنى قول يحيى بن سلام .

الثاني : معناه : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء .

﴿فاغفر للذين تابوا﴾ قال يحيى : من الشرك .

﴿و اتبعوا سبيلك﴾ قال الإسلام لأنه سبيل إلى الجنة .

﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ بالتوفيق لطاعتك .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا
ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥ
إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ
ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا
يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل : ﴿إن الذين كفروا ينادَوْنَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ينادون يوم القيامة ، قاله قتادة .

الثاني : ينادون في النار ، قاله السدي .

﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعوْن إلى الإيمان فتكفرون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لمقت الله بكم في الدنيا إذا دعيتم إلى الإيمان فكفرتم أكبر من مقتكم لأنفسكم في الآخرة حين عاينتم العذاب وعلمتم أنكم من أهل النار، قاله الحسن وقتادة .

الثاني : معناه : إن مقت الله لكم إذ عصيتموه أكبر من مقت بعضكم لبعض حين علمتم أنهم أضلوكم ، حكاه ابن عيسى .

فإن قيل : كيف يصح على الوجه الأول أن يمقتوا أنفسهم؟

ففيه وجهان :

أحدهما : أنهم أحلوها بالذنوب محل الممقوت .

الثاني: أنهم لما صاروا إلى حال زال عنهم الهوى وعلموا أن نفوسهم هي التي أوبقتهم في المعاصي مقتوها.

وفي اللام التي في ﴿لمقت الله﴾ وجهان:

أحدهما: أنها لام الابتداء كقولهم لزيد أفضل من عمرو، قاله البصريون.

الثاني: أنها لام اليمين تدخل على الحكاية وما ضارعها، قاله ثعلب.

قوله عز وجل: ﴿قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾(١٦١) فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم بإخراجهم ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم للبعث، فهما ميتتان إحداهما في أصلاب الرجال، الثانية في الدنيا، وحياتان: إحداهما في الدنيا والثانية في الآخرة، قاله ابن مسعود وقتادة.

الثاني: أن الله أحياهم حين أخذ عليهم الميثاق في ظهر آدم بقوله ﴿وإذ أخذ رَبُّكَ مِن آبني آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذرِيتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧١] الآية. ثم إن اللّه أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم، ثم أحياهم حين أخرجهم، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم للبعث فتكون حياتان وموتتان في الدنيا وحياة في الآخرة، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الثالث: أن الله أحياهم حين خلقهم في الدنيا، ثم أماتهم فيها عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم في قبورهم للمساءلة، ثم أماتهم إلى وقت البعث. ثم أحياهم للبعث، قاله السدي.

﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أنكروا البعث في الدنيا وأن يحيوا بعد الموت، ثم اعترفوا في الآخرة بحياتين بعد موتتين.

﴿فهل إلى خروج مِن سبيل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فهل طريق نرجع فيها إلى الدنيا فنقر بالبعث، وهو معنى قول قتادة.

الثاني: فهل عمل نخرج به من النار، ونتخلص به من العذاب؟ قاله الحسن.

---

(١٦١) واستدل بعض العلماء بهذه الآية على إثبات عذاب القبر راجع الروح للإمام ابن القيم.
وهو قول السدي كما سيذكره المؤلف بعد قليل.

وفي الكلام مضمر محذوف تقديره: لا سبيل إلى الخروج.

قوله عز وجل: ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم﴾ أي كفرتم بتوحيد الله.

﴿وإن يُشرك به تؤمنوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه تصدقوا من أشرك به، قاله النقاش.

الثاني: تؤمنوا بالأوثان، قاله يحيى بن سلام.

﴿فالحكم لله﴾ يعني في مجازاة الكفار وعقاب العصاة.

﴿العلي الكبير﴾ إنما جاز وصفه بأنه علي ولم تجز صفته بأنه رفيع لأنها صفة قد تنقل من علو المكان إلى علو الشأن والرفيع لا يستعمل إلا في ارتفاع المكان.

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: ﴿رفيع الدرجات﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: رفع السموات السبع، قاله سعيد بن جبير والكلبي.

الثاني: عظيم الصفات، قاله ابن زياد.

الثالث: هو رفعه درجات أوليائه، قاله يحيى.

﴿ذو العرش﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عرشه فوق سماواته، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه رب العرش، قاله يحيى.

﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الروح الوحي، قاله قتادة.

الثاني: النبوة، قاله السدي.

الثالث: القرآن، قاله ابن عباس.

الرابع: الرحمة، حكاه إبراهيم الجوني (١٦٢).

الخامس: أرواح عباده، لا ينزل ملك إلا ومعه منها روح، قاله مجاهد.

السادس: جبريل يرسله الله بأمره، قاله الضحاك.

﴿لينذر يوم التلاق﴾ فيه قولان:

أحدهما: لينذر الله به يوم القيامة، قاله الحسن.

الثاني: لينذر أنبياؤه يوم التلاق وهو يوم القيامة وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، قاله السدي وابن زيد.

الثاني: لأنه يلتقي فيه الأولون والآخرون، وهو معنى قول ابن عباس.

الثالث: يلتقي فيه الخلق والخالق، قاله قتادة.

قوله عز وجل: **﴿يومَ هم بارزون﴾** يعني من قبورهم.

﴿لا يخفى على الله منهم شَيْءٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أبرزهم جميعاً لأنه لا يخفى على الله منهم شيء.

الثاني: معناه يجازيهم من لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿لمن الملك اليوم﴾ هذا قول الله، وفيه قولان:

أحدهما: أنه قوله بين النفختين حين فني الخلائق وبقي الخالق فلا يرىٰ ـ غير نفسه ـ مالكاً ولا مملوكاً: لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لأن الخلق أموات، فيجيب نفسه فيقول: **﴿لله الواحد القهار﴾** لأنه بقي وحده وقهر خلقه، قاله محمد بن كعب.

الثاني: أن هذا من قول الله تعالى في القيامة حين لم يبق من يدَّعي ملكاً، أو يجعل له شريكاً.

وفي المجيب عن هذا السؤال قولان:

أحدهما: أن الله هو المجيب لنفسه وقد سكت الخلائق لقوله، فيقول: لله الواحد القهار، قاله عطاء.

الثاني: أن الخلائق كلهم يجيبه من المؤمنين. والكافرين، فيقولون: لله الواحد القهار، قاله ابن جريج.

---

(١٦٢) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب إبراهيم الحربي والتصويب من زاد المسير (٧/ ٢١٠).

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾

قوله عز وجل: ﴿**وأنذرهم يوم الآزفة**﴾ فيه قولان:

أحدهما: يوم حضور المنية، قاله قطرب.

الثاني: يوم القيامة وسميت الآزفة لدنوها، وكل آزف دانٍ، ومنه قوله تعالى ﴿**أزفت الآزفة**﴾ [النجم: ٥٧] أي دنت القيامة.

﴿**إذ القلوب لَدَى الحناجر**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القلوب هي النفوس بلغت الحناجر عند حضور المنية، وهذا قول من تأول يوم الآزفة بحضور المنية، قاله قتادة. ووقفت في الحناجر من الخوف فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها.

﴿**كاظمين**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مغمومون(*) قاله الكلبي.

الثاني: باكون، قاله ابن جريج.

الثالث: ممسكون بحناجرهم، مأخوذ من كظم القربة وهو شد رأسها.

الرابع: ساكتون، قاله قطرب، وأنشد قول الشماخ:

فظلت كأن الطير فوق رؤوسها ... صيامٌ تنائي الشمس وهي كظوم

قال ابن عيسى: والكاظم الساكت على امتلائه غيظاً.

﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ في الحميم قولان:

أحدهما: أنه القريب، قاله الحسن.

الثاني: الشفيق، قاله مجاهد، ومعنى الكلام: ما لهم من حميم ينفع ولا شفيع يطاع أي يجاب إلى الشفاعة، وسميت الإجابة طاعة لموافقتها إرادة المجاب.

قوله عز وجل: ﴿**يعلم خائنة الأعين**﴾ فيه خمسة أوجه:

(*) وفي نسخه مهمومون.

أحدها: أنه الرمز بالعين، قاله السدي.

الثاني: هي النظرة بعد النظرة، قاله سفيان.

الثالث: مسارقة النظر، قاله ابن عباس.

الرابع: النظر إلى ما نهى عنه، قاله مجاهد.

الخامس: هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأى، أو رأيت وما رأى، قاله الضحاك.

وفي تسميتها خائنة الأعين وجهان:

أحدهما: لأنها أخفى الإشارات فصارت بالاستخفاء كالخيانة.

الثاني: لأنها باستراق النظر إلى المحظور خيانة.

﴿**وما تُخفي الصدور**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: الوسوسة، قاله السدي.

الثاني: ما تضمره [عندما ترى امرأة](*) إذا أنت قدرت عليها أتزني بها أم لا، قاله ابن عباس.

الثالث: ما يسره الإنسان من أمانة أو خيانة وعبر عن القلوب بالصدور لأنها مواضع القلوب.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . **كانوا هم أشدَّ منهم قوة**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بطشاً، قاله يحيى.

الثاني: قدرة، قاله ابن عيسى.

﴿**وآثاراً في الأرض**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها آثارهم من الملابس والأبنية، قاله يحيى.

(*) زيادة يقتضيها وضوح المراد.

الثاني: خراب الأرضين وعمارتها، قاله مجاهد.

الثالث: المشي فيها بأرجلهم، قاله ابن جريج.

الرابع: بُعْد الغاية في الطلب، قاله الكلبي.

الخامس: طول الأعمار، قاله مقاتل.

ويحتمل سادساً: ما سنوا فيها من خير وشر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ
وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا
قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ
ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ
رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل: ﴿**وقال فرعون ذروني أقتُل موسىٰ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أشيروا عليّ بقتل موسى لأنهم قد كانوا أشاروا عليه بأن لا يقتله لأنه لو قتله منعوه، قاله ابن زياد.

الثاني: ذروني أتولى قتله، لأنهم قالوا إن موسى ساحر إن قتلته هلكت لأنه لو أمر بقتله خالفوه.

الثالث: أنه كان في قومه مؤمنون يمنعونه من قتله. فسألهم تمكينه من قتله.

﴿**وليدع ربه**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وليسأل ربه فإنه لا يجاب.

الثاني: وليستعن به فإنه لا يعان.

﴿**إني أخاف أن يبدِّل دينكم**﴾ فيها وجهان:

أحدهما: يغير أمركم الذي أنتم عليه، قاله قتادة.

الثاني: معناه هو أن يعمل بطاعة الله، رواه سعيد بن أبي عروبة.

الثالث: محاربته لفرعون بمن آمن به، حكاه ابن عيسى.

الرابع: هو أن يقتلوا أبناءكم ويستحيوا نساءكم إذا ظهروا عليكم كما كنتم تفعلون بهم، قاله ابن جريج.

ويحتمل خامساً: أن يزول به ملككم لأنه ما تجدد دين إلا زال به ملك.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه كان ابن عم فرعون، قاله السدي، قال وهو الذي نجا مع موسى.

الثاني: أنه كان قبطياً من جنسه ولم يكن من أهله، قاله مقاتل.

قال ابن إسحاق: وكان اسمه حبيب.

وحكى الكلبي أن اسمه حزبيل(١٦٣)، وكان مَلِكاً على نصف الناس وله الملك بعد فرعون، بمنزلة ولي العهد.

وقال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وامرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر فقال ﴿إن الملأ يأتمرون بك﴾ [القصص: ٢٠].

وفي إيمانه قولان:

أحدهما: أنه آمن بمجيء موسى وتصديقه له وهو الظاهر.

الثاني: أنه كان مؤمناً قبل مجيء موسى وكذلك امرأة فرعون قاله الحسن، فكتم إيمانه، قال الضحاك كان يكتم إيمانه للرفق بقومه ثم أظهره فقال ذلك في حال كتمه.

(١٦٣) وهو الموافق لما في زاد المسير (٧/٢١٧).

﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي اللهُ﴾ أي لقوله ربي الله.

﴿وقد جاءَكم بالبينات من ربِّكم﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنه الحلال والحرام، قاله السدي.

الثاني: أنها الآيات التي جاءتهم: يده وعصاه والطوفان وغيرها، كما قال تعالى ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات﴾ [الأعراف: ١٣٠] قاله يحيى.

﴿وإن يك كَاذباً فعليه كَذِبُه﴾ ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفاً في الاستكفاف واستنزالاً عن الأذى.

﴿وإن يَكُ صادقاً يصبكم بعض الذي يعدُكم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه كان وعدهم بالنجاة إن آمنوا وبالهلاك إن كفروا، فقال ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ لأنهم إذا كانوا على إحدى الحالتين نالهم أحد الأمرين فصار ذلك بعض الوعد لا كله.

الثاني: لأنه قد كان أوعدهم على كفرهم بالهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فصار هلاكهم في الدنيا بعض ما وعدهم.

الثالث: أن الذي يبدؤهم من العذاب هو أوله ثم يتوالى عليهم حالاً بعد حال حتى يستكمل فصار الذي يصيبهم هو بعض الذي وعدهم لأنه حذرهم ما شكوا فيه وهي الحالة الأولى وما بعدها يكونون على يقين منه.

الرابع: أن البعض قد يستعمل في موضع الكل تلطفاً في الخطاب وتوسعاً في الكلام كما قال الشاعر(١٦٤):

قد يُدْرِك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

﴿إن الله لا يهدي من هو مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مسرف على نفسه كذاب على ربه إشارة إلى موسى، ويكون هذا من قول المؤمن.

الثاني: مسرف في عناده كذاب في ادعائه إشارة إلى فرعون [ويكون](*) هذا من قوله تعالى.

---

(١٦٤) هو عمر القطامي ،والبيت في البحر المحيط(٤٦١/٧) فتح القدير (٤٨٩/٤) روح المعاني (٦٤/٢٤).

(*) زيادة يقتضيها السياق.

قوله عز وجل: ﴿ويا قوم لكم الملك اليوم ظاهِرين في الأرض﴾ قال السدي: غالبين على أرض مصر قاهرين لأهلها، وهذا قول المؤمن تذكيراً لهم بنعم اللّه عليهم.

﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءَنا﴾ أي من عذاب الله، تحذيراً لهم من نقمة، فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور محبته.

﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: معناه ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي.

﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ في تكذيب موسى والإيمان بي.

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ
فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ
رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنادِ﴾ يعني يوم القيامة، قال أمية بن أبي الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاها ... فهم سكانها حتى التّنادِ

سمي بذلك لمناداة بعضهم بعضاً، قاله الحسن.

وفيما ينادي به بعضهم بعضاً قولان:

أحدهما: يا حسرتا، يا ويلتا، يا ثبوراه، قاله ابن جريج.

الثاني: ينادي أهلُ الجنة أهل النار أن ﴿قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً﴾ [الأعراف: ٤٤] الآية.

وينادي أهل النار أهل الجنة **﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾** [الأعراف: ٥٠] قاله قتادة

وكان الكلبي يقرؤها: يوم التنادّ، مشدودة، أي يوم الفرار، قال ينِدّون كما يندّ البعير. وقد جاء في الحديث(١٦٥) أن للناس جولة يوم القيامة ينِدون يطلبون أنهم يجدون مفراً ثم تلا هذه الآية.

﴿يوم تولون مدبرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مدبرين في انطلاقهم إلى النار، قاله قتادة.

الثاني: مدبرين في فِرارهم من النار حتى يقذفوا فيها، قاله السدي.

﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ناصر، قاله قتادة.

الثاني: من مانع، وأصل العصمة المنع، قاله ابن عيسى.

﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ وفي قائل هذا قولان:

أحدهما: أن موسى هو القائل له.

الثاني: أنه من قول مؤمن آلِ فرعون.

قوله عز وجل: **﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾** فيه قولان:

أحدهما: أن يوسف بن يعقوب(١٦٦)، بعثه الله رسولاً إلى القبط بعد موت الملك من قبل موسى **بالبينات**. قال ابن جريج: هي الرؤيا.

الثاني: ما حكاه النقاش عن الضحاك أن الله بعث اليهم رسوْلاً من الجن يقال له يوسف.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ

(١٦٥) جزء من حديث الصور الطويل رواه الطبري وغيره وقد تقدم تخريجه وهو حديث ضعيف ضعفه ابن كثير وغيره.

(١٦٦) وهو الصواب ورجحه غير واحد والقول الثاني ليس بشيء لأنه لا دليل عليه.

﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني مجلساً، قاله الحسن.

الثاني: قصراً، قاله السدي.

الثالث: أنه الآجر ومعناه أوقد لي على الطين حتى يصير آجراً، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنه البناء المبني بالآجر، وكانوا يكرهون أن يبنوا بالآجر ويجعلوه في القبر، قاله إبراهيم.

﴿**لعلّي أبلغ الأسباب**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يسبب إلى فعل مرادي.

الثاني: ما أتوصل به إلى علم ما غاب عني، ثم بين مراده فقال:

﴿**أسباب السموات**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: طرق السموات، قاله أبو صالح.

الثاني: أبواب السموات، قاله السدي والأخفش، وأنشد قول الشاعر(١٦٧):

ومن هاب أسباب المنايا يَنَلْنه ... ولو نال أسباب السماء بِسلَّمِ

الثالث: ما بين السموات، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

﴿**فأطَّلعَ إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه غلبه الجهل على قول هذا أو تصوره.

الثاني: أنه قاله تمويهاً على قومه مع علمه باستحالته، قاله الحسن.

---

(١٦٧) هو زهير بن أبي سلمى والبيت من معلقته المشهورة.

شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ٢٨٣ فتح القدير (٤/٤٩٢).

وفي شرح المعلقات:

ومن يبغ أطراف الرماح ينلنه ... ولو رام أن يرقى السماء بسلَّم

﴿وما كَيْدُ فرعون إلا في تبابٍ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: في خسران قاله ابن عباس.
الثاني: في ضلال، قاله قتادة.
وفيه وجهان:
أحدهما: في الدنيا لما أطلعه الله عليه من هلاكه.
الثاني: في الآخرة لمصيره إلى النار، قاله الكلبي.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى
لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ
ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ
مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ
سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ
﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ
قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿لا جرَمَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: معناه: لا بد، قاله المفضل.

الثاني : معناه : لقد حق واستحق ، قاله المبرد .

الثالث: أنه لا يكون إلا جواباً كقول القائل : فعلوا كذا، فيقول المجيب: لا جرم انهم سيندمون ، قاله الخليل .

﴿أن ما تدعونني إليه﴾ أي من عبادة ما تعبدون من دون الله .

﴿ليس له دعوةٌ في الدنيا ولا في الآخرة﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، قاله السدي .

الثاني : لا ينفع ولا يضر في الدنيا ولا في الآخرة، قاله قتادة .

الثالث: ليس له شفاعة في الدنيـا ولا في الآخرة، قاله الكلبي .

﴿وأن مردنا إلى الله﴾ أي مرجعنا بعد الموت إلى الله ليجازينا على أفعالنا .

﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ فيهم قولان :

أحدهما : يعني المشركين ، قاله قتادة .

الثاني : يعني السفاكين للدماء بغير حق، قاله الشعبي ، وقال مجاهد : سمى الله القتل سرفاً .

قوله عز وجل : ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني في الآخرة، قاله ابن زيد .

الثاني : عند نزول العذاب بهم، قاله النقاش .

﴿وأفوّض أمري إلى الله﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه : وأسلم أمري إلى الله ، قاله ابن عيسى .

الثاني : أشهد عليكم الله، قاله ابن بحر .

الثالث: أتوكل على الله ، قاله يحيى بن سلام .

﴿إن الله بصير بالعباد﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بأعمال العباد .

الثاني : بمصير العباد .

وفي قائل هذا قولان :

أحدهما : أنه من قول موسى .

الثاني : من قول مؤمن آل فرعون ، فعلى هذا يصير بهذا القول مظهراً لإيمانه .

قوله عز وجل: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن موسى وقاه الله سيئات ما مكروا، فعلى هذا فيه قولان:

أحدهما: أن مؤمن آل فرعون نجاه الله مع موسى حتى عبر البحر وأغرق الله فرعون، قاله قتادة، وقيل إن آل فرعون هو فرعون وحده ومنه قول أراكة الثقفي:

لا تبك ميتاً بعد موت أحبةٍ　　　عليٍّ وعباس وآل أبي بكر

يريد أبا بكر.

الثاني: أن مؤمن آل فرعون خرج من عنده هارباً إلى جبل يصلي فيه، فأرسل في طلبه، فجاء الرسل وهو في صلاته وقد ذبت عنه السباع والوحوش أن يصلوا إليه، فعادوا إلى فرعون فأخبروه فقتلهم فهو معنى قوله ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾.

﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم قومه، وسوء العذاب هو الغرق، قاله الضحاك.

الثاني: رسله الذين قتلهم، وسوء العذاب هو القتل.

قوله عز وجل: ﴿النار يعرضون عليها غُدُوّاً وعشيًّا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يعرض عليهم مقاعدهم من النار غدوة وعشية، فيقال: لآلِ فرعون هذه منازلكم، توبيخاً، قاله قتادة.

الثاني: أن أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على(١٦٨) جهنم وتروح فذلك عرضها، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنهم يعذبون بالنار في قبرهم غدواً وعشياً، وهذا لآل فرعون خصوصاً. قاتل مجاهد: ما كانت الدنيا.

﴿ويوم تقوم الساعةُ﴾ وقيامها وجود صفتها على استقامة، ومنه قيام السوق وهو حضور أهلها على استقامة في وقت العادة.

﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ لأن عذاب جهنم مُخْتَلِف. وجعل الفراء في الكلام تقديماً وتأخيراً وتقديره: ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، وهو خلاف ما ذهب إليه نغيره من انتظار الكلام على سياقه.

---

(١٦٨) وعلى هذا فالآية يستدل بها على إثبات عذاب القبر لأن الله تعالى غاير فيها بين العذابين بحرف الواو وهذا يدل على أن العذاب الأول غير العذاب الثاني.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ
لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**إنا لننصُرُ رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**﴾ فيه قولان:

أحدهما: بإفلاج حجتهم، قاله أبو العالية.

الثاني: بالانتقام من أعدائهم قال السدي: ما قتل قوم قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق(١٦٩) من المؤمنين إلا بعث الله من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وإن قُتلوا.

﴿**ويومَ يقومُ الأشْهاد**﴾ بمعنى يوم القيامة. وفي نصرهم قولان:

أحدهما: بإعلاء كلمتهم وإجزال ثوابهم.

الثاني: إنه بالانتقام من أعدائهم.

وفي ﴿**الأشهاد**﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: أنهم الملائكة والأنبياء، قاله قتادة.

---

(١٦٩) وهذا يدل على أن الداعي إلى الله تعالى دائماً منصور في الدنيا والآخرة فلا يظن أن بموته تموت الدعوة بل إن الدعوة تزيد انتشاراً وما موته إلا رقود وبداية لانطلاق الدعوة وانتشارها ألا ترى إلى ما حدث لغلام قصة أصحاب الأخدود كيف كان موت الغلام مغيراً لمجرى الأحداث ومشعلاً يستضاء به ألا فليعلم الدعاة هذا وليعتصموا بحبل الله جميعاً وليصدعوا بالحق غير هيابين فإن كلمة الحق لا تقضي آجالاً ولا تقطع أرزاقاً حمانا الله وإياهم من شرور أعدائه وأيدنا وإياهم بمدد من عنده.

الثالث: أنهم أربعة: الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد، قاله زيد بن أسلم ثم في ﴿الأشهاد﴾ أيضاً وجهان:

أحدهما: جمع شهيد مثل شريف، وأشراف.

الثاني: أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب.

قوله عز وجل: ﴿فاصبر إنَّ وعد الله حق﴾ فيه قولان:

أحدهما: هو ما وعد الله رسوله في آيتين من القرآن أن يعذب كفار مكة، قاله مقاتل.

الثاني: هو ما وعد الله رسوله أن يعطيه المؤمنين في الآخرة، قاله يحيى بن سلام.

﴿واستغفر لذنبك﴾ أي من ذنب إن كان منك. قال الفضيل: تفسير الاستغفار أقلني.

﴿وسبح بحمد ربِّك﴾ قال مجاهد: وصَلِّ بأمر ربك.

﴿بالعشي والإبكار﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها صلاة العصر والغداة، قاله قتادة.

الثاني: أن العشي ميل الشمس إلى أن تغيب، والإبكار أول الفجر، قاله مجاهد.

الثالث: هي صلاة مكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿إنّ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ أي بغير حجة جاءتهم.

﴿إن في صدورهم إلا كبرٌ ما هم ببالغيه﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الكبر العظمة التي في كفار قريش، ما هم ببالغيها، قاله مجاهد.

الثاني: ما يستكبر من الاعتقاد وفيه قولان:

أحدهما: هو ما أمله كفار قريش في النبي ﷺ وفي أصحابه أن يهلك ويهلكوا، قاله الحسن.

الثاني: هو أن اليهود قالوا إن الدجال منا وعظموا أمره، واعتقدوا أنهم يملكون، وينتقمون، قاله أبو العالية.

﴿فاستعذ بالله﴾ من كبرهم.

﴿إنه هو السميع﴾ لما يقولونه ﴿البصير﴾ بما يضمرونه.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الدجال(١٧٠) حين عظمت اليهود شأنه، قاله أبو العالية.

الثاني: أكبر من إعادة خلق الناس حين أنكرت قريش البعث، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أكبر من أفعال الناس حين أذل الكفار بالقوة وتباعدوا بالقهر.

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال ربكم ادعوني استجبْ لكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه وحدوني بالربوبية أغفر لكم ذنوبكم، قاله ابن عباس.

الثاني: اعبدوني استجب لكم، قاله جرير بن عبدالله، أي اتبعكم على عبادتكم.

الثالث: سلوني أعطكم، قاله السدي. وإجابة الداعي عند صدق الرغبة مقيد بشرط الحكمة. وحكى قتادة أن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن

(١٧٠) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٨٤) تعقيباً على هذا القول «وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

أمّة قبلكم إلا نبي: كان إذا أرسل نبي قيل له: أنت شاهد على أمتك، وجعلكم شهداء على الناس، وكان يقال للنبي: ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: وما جعل عليكم في الدين من حرج، وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ادعوني أستجب لكم.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾
هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ
ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

قوله عز وجل: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لتستريحوا فيه من عمل النهار.

الثاني: لتكفوا فيه عن طلب الأرزاق.

الثالث: لتحاسبوا فيه أنفسكم على ما عملتم بالنهار.

﴿والنهار مبصراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مبصراً لقدرة الله في خلقه.

الثاني: مبصراً لمطالب الأرزاق.

قوله عز وجل: **﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: كذلك يصرف، قاله يحيى.

الثاني: كذلك يكذب بالتوحيد، قاله مقاتل.

الثالث: كذلك يعدل عن الحق، قاله ابن زيد.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ
﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل
لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ
تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ
بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟
عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

قوله عز وجل: ﴿**ذلكم بما كنتم تفرحون . .**﴾ الآية.

في الفرح والمرح وجهان:

أحدهما: أن الفرح: السرور والمرح: البطر، فسرّوا بالإمهال وبطروا بالنعم.

الثاني: الفرح والسرور، قاله الضحاك، والمرح العدوان.

روى خالد عن ثور عن معاذ قال: قال رسول الله(١٧١) ﷺ «**إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين، ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين، ويبغض كل حبر سمين**». فأما أهل بيت لحمين فهم الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة، وأما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر به الناس، يعني المستكثر من علمه ولا ينفع به الناس.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟
بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العِلْمْ**﴾

فيه أربعة أوجه:

أحدها: بقولهم نحن أعلم منهم لن نبعث لن نعذب، قاله مجاهد.

الثاني: بما كان عندهم أنه علم وهو جهل، قاله السدي.

الثالث: فرحت الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم، حكاه ابن عيسى.

---

(١٧١) ورد هذا الحديث مرفوعاً من رواية شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت مرفوعاً ذكره الحكيم الترمذي وشهر ضعيف وقد وثقه بعضهم.

الرابع : رضوا بعلمهم واستهزأوا برسلهم، قاله ابن زيد.

﴿وحاق بهم﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أحاط بهم، قاله الكلبي.

الثاني : عاد عليهم.

﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : محمد ﷺ أنه ساحر.

الثاني : بالقرآن أنه شِعْر.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

آياتها ٥٤ — ترتيبها ٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ﴾ قد مضى تأويله.

﴿تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه على التقديم والتأخير فيكون تقديره حمٓ تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم.

الثاني: أن يكون فيه مضمر محذوف تقديره تنزيل القرآن من الرحمن الرحيم.

ثم وصفه فقال ﴿كتابٌ فصلت آياتُه﴾ وفي تفصيل آياته خمسة تأويلات:

أحدها: فسّرت، قاله مجاهد.

الثاني: فصلت بالوعد والوعيد، قاله الحسن.

الثالث: فصلت بالثواب والعقاب، قاله سفيان.

الرابع: فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته، قاله قتادة.

الخامس: فصلت من ذكر محمد ﷺ، فحكم فيما بينه وبين من خالفه، قال عبد الرحمن بن زيد.

﴿قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعلمون انه إلّه واحد في التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثاني: أن القرآن من عند الله نزل، قاله الضحاك.

الثالث: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله.

قوله عز وجل: **﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه﴾** فيه وجهان:

أحدهما: في أغطية، قاله السدي.

الثاني: كالجعبة للنبل، قاله مجاهد.

﴿وفي آذاننا وقر﴾ أي صمم وهما في اللغة يفترقان فالوقر ثقل السمع والصمم ذهاب جميعه.

﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني ستراً مانعاً عن الإجابة، قاله ابن زياد.

الثاني: فرقة في الأديان، قاله الفراء.

الثالث: أنه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة، قاله ابن عيسى.

الرابع: أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً وقال: يا محمد بيننا وبينك حجاب، استهزاء منه، حكاه النقاش.

﴿فاعمل إننا عامِلون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فاعمل بما تَعْلَم من دينك فإنا نعمل بما نعلم من ديننا، قاله الفراء.

الثاني: فاعمل في هلاكنا فإنَّا نعمل في هلاكك، قاله الكلبي.

الثالث: فاعمل لإلّهك الذي أرسلك فإنا نعمل لآلهتنا التي نعبدها، قاله مقاتل.

ويحتمل رابعاً: فاعمل لآخرتك فإنا نعمل لدنيانا.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ

هُم كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه قرعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء، وفيه دلالة على أن الكافر يعذب بكفره، مع وجوب(١٧٢) الزكاة عليه، أكثر مما يعذب من لم تكن الزكاة واجبة عليه، قاله ابن عيسى.

الثاني: معناه انهم لا يزكون أعمالهم، قاله ابن عمر.

الثالث: معناه لا يأتون به أزكياء، قاله الحسن.

الرابع: معناه لا يؤمنون بالزكاة، قاله قتادة.

الخامس: معناه ليس هم من أهل الزكاة، قاله معاوية بن قرة.

قوله عز وجل: ﴿**لهم أجرٌ غير ممنون**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني: غير منقوص، قاله ابن عباس وقطرب، وأنشد قول زهير(١٧٣):

فَضْل الجياد على الخيل البطاء فما ... يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا

الثالث: غير مقطوع، قاله ابن عيسى، مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته، قال ذو الأصبع العدواني(١٧٤):

إني لعمرك ما بابي بذي غلق ... على الصديق ولا خيري بممنون

الرابع: غير ممنون عليهم به، قاله السدي.

۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ
رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ
أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ
ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ

(١٧٢) وهذا على قول من قال إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأصولها.

(١٧٣) فتح القدير (٤/٥٠٦).

(١٧٤) فتح القدير (٤/٥٠٦) روح المعاني (٢٤/٩٨).

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾

قوله عز وجل: **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾** قال ابن عباس خلقها في يومي الأحد والاثنين، وخلقها في يومين أدل على القدرة والحكمة من خلقها دفعة واحدة في طرفة عين، لأنه أبعد من أن يظن به الاتفاق والطبع، وليرشد خلقه إلى الأناة في أمورهم.

﴿وتجعلون له أنداداً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أشباهاً، قاله ابن عباس.

الثاني: شركاء، قاله أبو العالية.

الثالث: كفواً من الرجال تطيعونهم في معاصي الله تعالى قاله السدي.

الرابع: هو قول الرجل لولا كلبة(١٧٥) فلان لأتى اللصوص، ولولا فلان لكان كذا، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله عز وجل: **﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾** أي جبالاً، وفي تسميتها رواسي وجهان:

أحدهما: لعلوّ رءوسها.

الثاني: لأن الأرض بها راسية أو لأنها على الأرض ثابتة راسية.

﴿وبارك فيها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي أنبت شجرها من غير غرس وأخرج زرعها من غيره بذر، قال السدي.

الثاني: أودعها منافع أهلها وهو معنى قول ابن جريج.

﴿وقدَّر فيها أقواتها﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: قدر أرزاق أهلها، قاله الحسن

الثاني: قدر فيها مصالحها من جبالها وبحارها وأنهارها وشجرها ودوابها قاله قتادة.

---

(١٧٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (١/٥٧) وسنده حسن وفيه شبيب بن بشر وهو حسن الحديث وقول ابن عباس مطول في المصدر المشار إليه ولكن المؤلف هنا اقتصر على جزء منه.

الثالث: قدر فيها أقواتها من المطر، قاله مجاهد.

الرابع: قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد، قاله عكرمة.

﴿في أربعة أيام﴾ يعني تتمة أربعة أيام، ومنه قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي في تتمة خمسة عشر يوماً.

وقد جاء في الحديث المرفوع أن الله(١٧٦) عز وجل خلق الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والخراب والعمران، فتلك أربعة أيام، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وآدم.

وفي خلقها شيئاً بعد شيء قولان:

أحدهما: لتعتبر به الملائكة الذين أحضروا.

والثاني: ليعتبر به العباد الذين أخبروا.

﴿سواء للسائلين﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: سواء للسائلين عن مبلغ الأجل في خلق الله الأرض، قاله قتادة.

الثاني: سواء للسائلين في أقواتهم وأرزاقهم.

قوله عز وجل: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ فيه وجهان:

---

(١٧٦) رواه مطولاً الطبري (٢٤/٩٤) من حديث ابن عباس وزاد السيوطي في الدر(٧/٣١٤) نسبته للنحاس في ناسخه وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وقال الحافظ ابن كثير (٤/٩٤): هذا الحديث فيه غرابة وقد روى مسلم (٤/١٤٩) والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٦ من حديث ابي هريرة مرفوعاً خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق فيها الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل. والحديث لا مطعن في سنده ولا تعارض بينه وبين القرآن كما توهمه بعضهم فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام وخلق الأرض وحدها في يومين والحديث بيَّن أن الله خلق ما في الأرض في سبعة أيام ويحتمل أن هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله في خلق السموات والأرض وحينئذ لا تعارض فإن الحديث فصَّل كيفية الخلق على الأرض وحدها والله تعالى أعلم.

أحدهما: عمد إلى السماء، قاله ابن عيسى.

الثاني: استوى أمره[١٧٧] إلى السماء، قاله الحسن.

﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوْعاً أو كرهاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك قبل خلقها، ويكون معنى ائتيا أي كونا فكانتا كما قال تعالى **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كُن فيكون﴾** قاله ابن بحر.

الثاني: قول الجمهور أنه قال ذلك لهما بعد خلقهما.

فعلى هذا يكون في معناها أربع تأويلات:

أحدها: معناه أعطيا الطاعة في السير المقدر لكما طوعاً أو كرهاً أي اختياراً أو إجباراً قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ائتيا عبادتي ومعرفتي طوعاً أو كرهاً باختيار أو غير اختيار.

الثالث: ائتيا بما فيكما طوعاً أو كرهاً، حكاه النقاش.

الرابع: كونا كما أمرت من شدة ولين، وحزن وسهل ومنيع وممكن، قاله ابن بحر.

وفي قوله **﴿لَهَـا﴾** وجهان:

أحدهما: أنه قول تكلم به.

الثاني: أنها قدرة منه ظهرت[١٧٨] لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد

﴿قالتا أتينا طائعين﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه أعطينا الطاعة رواه طاووس.

الثاني: أتينا بما فينا. قال ابن عباس: أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأشجار والأنهار والثمار.

الثالث: معناه كما أراد الله أن نكون، قاله ابن بحر. وفي قولهما وجهان:

أحدهما: أنه ظهور الطاعة منهما قائم[١٧٩] مقام قولهما.

---

(١٧٧) راجع ما عليه السلف أنه استوى استواء يليق به تعالى.

(١٧٨) ولا شك أن القول الأول أرجح وهو الصواب وذلك من غير حركة ولا مماسة ولا معالجة والله سبحانه أعلم.

(١٧٩) وقد يقال تكلمتا بذلك على الحقيقة بكلام حقيقي لكن لا ندري كيفيته لأنه لم يرد نص يدل على ذلك. فيكفينا الأخذ بظاهر الآية لأنه لم يرد صارف والله المستعان.

الثاني : أنهما تكلمتا بذلك . قال أبو النصر السكسكي : فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيه حرمه .

قوله عز وجل : ﴿فقضاهن سبع سماوات(*) في يومين﴾ أي خلقهن سبع سماوات في يومين ، قيل يوم الخميس والجمعة . قال السدي : سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات(*) وخلق الأرضين . وقالت طائفة خلق(١٨٠) السماوات قبل الأرضين في يوم الأحد والاثنين ، وخلق الأرضين والجبال في يوم الثلاثاء والأربعاء ، وخلق ما سواهما من العالم يوم الخميس والجمعة . وقالت طائفة ثالثة أنه خلق السماء دخاناً قبل الأرض ثم فتقها سبع سماوات بعد الأرضين والله أعلم بما فعل فقد اختلفت فيه الأقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل .

﴿وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرها﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه أسكن في كل سماء ملائكتها ، قاله الكلبي .

الثاني : خلق في كل سماء خلقها خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها ، قاله قتادة .

الثالث : أوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة ، حكاه ابن عيسى .

﴿وزينا السماءَ الدنيا بمصابيح وحِفْظاً﴾ أي جعلناها زينة وحفظاً .

فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا

(*) كذلك في الأصل .

(١٨٠) وروى أبو الشيخ في العظمة (٣/١٠٣٩) وفي سنده إليه عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال رأيت أشياء تختلف عليّ في القرآن قال : هات ما اختلف عليك في ذلك ، فقال : أسمع الله تعالى يقول ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في . . . . حتى بلغ طائعين﴾ فبدأ بخلق الأرض في هذه الآية قبل خلق السماء ثم قال سبحانه في الآية الأخرى ﴿أم السماء بناها﴾ ثم قال ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فبدأ جل شأنه بخلق السماء قبل خلق الأرض فقال ابن عباس رضي الله عنهما : أما خلق الأرض في يومين فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض وأما قوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يقول جعل فيها جبالاً وجعل فيها نهراً وجعل فيها شجراً وجعل فيها بحوراً أ هـ .

لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ
أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ
أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ
وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ
فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذ جاءتهم الرسلُ مِن بين أيديهم ومِن خلفهم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أرسل من قبلهم ومن بعدهم، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: ما بين أيديهم عذاب الدنيا، وما خلفهم عذاب الآخرة، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الشديدة البرد، قاله عكرمة وسعيد بن جبير، وأنشد قطرب قول الحطيئة (١٨١):

المطعمون إذا هبت بصرصرة والحاملون إذا استودوا على الناس

استودوا أي سئلوا الدية

الثاني: الشديدة السموم، قاله مجاهد.

الثالث: الشديدة الصوت، قاله السدي مأخوذ من الصرير، وقيل إنها الدبور.

﴿**في أيام نحسات**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: مشئومات، قاله مجاهد وقتادة، كن آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء وذلك ﴿**سبع ليال وثمانية أيام حسوماً**﴾ قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء.

الثاني: باردات، حكاه النقاش.

---

(١٨١) فتح القدير (٤/ ٥١٠).

الثالث: متتابعات، قاله ابن عباس وعطية.

الرابع: ذات غبار، حكاه ابن عيسى ومنه قول الراجز(١٨٢):

قد أغتدي قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس

قوله عز وجل: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: دعوناهم، قاله سفيان.

الثاني: بيّنا لهم سبيل الخير والشر، قاله قتادة.

الثالث: أعلمناهم الهدى من الضلالة، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿فاستحبوا العَمى على الهدى﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: اختاروا العمى على البيان، قاله أبو العالية.

الثاني: اختاروا الكفر على الإيمان.

الثالث: اختاروا المعصية على الطاعة، قاله السدي.

﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ وفي الصاعقة هنا أربعة أقاويل:

أحدها: النار، قاله السدي.

الثاني: الصيحة من السماء، قاله مروان بن الحكم.

الثالث: الموت وكل شيء أمات، قاله ابن جريج.

الرابع: أن كل عذاب صاعقة، وإنما سميت صاعقة لأن كل من سمعها يصعق لهولها.

وفي ﴿الهون﴾ وجهان:

أحدهما: الهوان، قاله السدي.

الثاني: العطش، حكاه النقاش.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ

(١٨٢) روح المعاني (١١٣/٢٤).

وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ
ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟
فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**فهم يوزعون**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يدفعون، قاله ابن عباس.

الثاني: يساقون، قاله ابن زيد.

الثالث: يمنعون من التصرف، حكاه ابن عيسى.

الرابع: يحبس أولهم على آخرهم، قاله مجاهد، وهو مأخوذ من وزعته أي كففته.

قوله عز وجل: ﴿**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لفروجهم، قاله ابن زيد.

الثاني: لجلودهم أنفسها وهو الظاهر.

الثالث: أنه يراد بالجلود الأيدي والأرجل، قاله ابن عباس وقيل إن أول ما يتكلم منه فخذه الأيسر وكفه الأيمن (١٨٣).

قوله عز وجل: ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني وما كنتم تتقون، قاله مجاهد.

الثاني: وما كنتم تظنون، قاله قتادة.

الثالث: وما كنتم تستخفون منها، قاله السدي. قال الكلبي: لأنه لا يقدر على الاستتار من نفسه.

﴿**ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون**﴾ حكى ابن (١٨٤) مسعود أنها

---

(١٨٣) تقدم تخريج الحديث في تكلم الفخذ الأيسر في سورة يس وأما الكف فقد ورد تكلمه في حديث حكيم بن معاوية عن أبيه رواه الطبري (٢٤/١٠٧) ولكن لم يرد تعيين اليمنى فيه.

(١٨٤) رواه البخاري (٨/٤٣١، ٤٣٢) ومسلم (٢٧٧٥) وأحمد (١٣٦٤)(٣٨٧٥)(٤٠٤٧) مطولاً والترمذي (٢/١٥٢) وحسنه والطبري (٢٤/١٠٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧/٣١٩) لعبد بن حميد واللسان وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وسعيد بن منصور.

نزلت في ثلاثة نفر تسارّوا فقالوا أترى الله يسمع إسرارنا(١٨٥)؟

قوله عز وجل: ﴿و إن يستعتبوا فما هم مِن المعتبين﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه وإن يطلبوا الرضا فما هم بمرضى عنهم، والمعتب: الذي قُبل عتابه وأُجيب إلى سؤاله، قاله ابن عيسى.

الثاني: إن يستغيثوا فما هم من المغاثين.

الثالث: وإن يستقيلوا فما هم من المقالين.

الرابع: وإن يعتذروا فما هم من المعذورين.

الخامس: وإن يجزعوا فما هم من الآمنين.

قال ثعلب: يقال عتب إذا غضب، وأعتب إذا رضي.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ فيه قولان:

أحدهما: هيأنا لهم شياطين، قاله النقاش.

الثاني: خلينا بينهم وبين الشياطين، قاله ابن عيسى.

﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ فيه أربعة تأويلات:

---

(١٨٥) قال العلامة الألوسي (١١٧/٢٤) وفي الآية تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن لا يمر عليه حال إلا بملاحظة أن عليه رقيباً كما قال أبو نواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

أحدها: ما بين أيديهم من أمر الدنيا، وما خلفهم من أمر الآخرة، قاله السدي ومجاهد.

الثاني: ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم من أمر الدنيا فزينوا لهم اللذات، قاله الكلبي.

الثالث: ما بين أيديهم هو فعل الفساد في زمانهم، وما خلفهم هو ما كان قبلهم، حكاه ابن عيسى.

الرابع: ما بين أيديهم ما فعلوه، وما خلفهم ما عزموا أن يفعلوه.

ويحتمل خامساً: ما بين أيديهم من مستقبل الطاعات أن لا يفعلوها، وما خلفهم من سالف المعاصي أن لا يتوبوا منها.

قوله عز وجل: **﴿وقال الذين كفروا لا تسمعُوا لهذا القرآن﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تتعرضوا لسماعه.

الثاني: لا تقبلوه.

الثالث: لا تطيعوه من قولهم السمع والطاعة.

﴿والغوا فيه﴾ وفيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني قعوا فيه وعيبوه، قاله ابن عباس.

الثاني: جحدوه وأنكروه، قاله قتادة.

الثالث: عادوه، رواه سعيد بن أبي عروبة.

الرابع: ألغوا فيه بالمكاء والتصدية، والتخليط في النطق حتى يصير لغواً، قاله مجاهد.

قوله عز وجل: **﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضَلّانا من الجن والإنس﴾** فيهما قولان:

أحدهما: دعاة الضلالة من الجن والإنس، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أن الذي من الجن إبليس، يدعوه كل من دخل النار من المشركين، والذي من الإنس ابن آدم القاتل أخاه يدعوه كل عاص من الفاسقين، قاله السدي(١٨٦).

(١٨٦) وقد نسب هذا القول لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولكن قال العلامة الألوسي (٢٤/ ١٢٠) وتعقب

وفي قوله :﴿أرنا اللذَين﴾ وجهان :

أحدهما : أعطنا اللذين أضلانا .

الثاني : أبصرنا اللذين أضلانا .

﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : انتقاماً منهم .

الثاني : استذلالاً لهم .

﴿ليكونا من الأسفلين﴾ يعني في النار، قالوا ذلك حنقاً عليهما وعداوة لهما .

ويحتمل قوله ﴿من الأسفلين﴾ وجهين :

أحدهما : من الأذلين .

الثاني : من الأشدين عذاباً لأن من كان في أسفل النار كان أشد عذاباً .

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللهُ﴾ قال ابن عباس: وحّدوا الله تعالى .

﴿ ثم استقاموا﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده، وهو قول أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد .

الثاني : استقاموا على طاعته وأداء فرائضه ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة .

الثالث: على إخلاص الدين والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية والسدي .

الرابع : ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم .

الخامس: ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً .

بأنه لا يصح عن علي كرم الله وجهه فإن قابيل مؤمن عاصي والظاهر أن الكفار إنما طلبوا إرادة المضلين بالكفر المؤدي إلى الخلود وكونهم رئيس الكفرة ورئيس أهل الكبائر خلاف الظاهر».

ويحتمل سادساً: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة.

﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ فيه قولان:

أحدهما: تتنزل عليهم عند الموت، قاله مجاهد وزيد بن أسلم.

الثاني: عند خروجهم من قبورهم للبعث، قاله ثابت ومقاتل.

﴿**ألا تخافوا ولا تحزنوا**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لا تخافوا أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة.

الثاني: لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على أولادكم. وهذا قول مجاهد.

﴿**وأبشروا بالجنة**﴾ الآية. قيل إن بشرى المؤمن في ثلاثة مواطن: أحدها عند الموت، ثم في القبر، ثم بعد البعث.

قوله عز وجل: ﴿**نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة، قاله السدي.

الثاني: نحفظكم في الحياة الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة.

ويحتمل ثالثاً: نحن أولياؤكم في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالكرامة.

﴿**ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الخلود لأنهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا، قاله ابن زيد.

الثاني: ما يشتهونه من النعيم، قاله أبو أمامة.

﴿**ولكم فيها ما تدَّعون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما تمنون، قاله مقاتل.

الثاني: ما تدعي أنه لك فهو لك بحكم ربك، قاله ابن عيسى.

﴿**نزلاً**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني ثواباً.

الثاني: يعني منزلة.

الثالث: يعني منًّا، قاله الحسن.

الرابع: عطاء، مأخوذ من نزل الضيف ووظائف الجند ﴿من غفور رحيم﴾.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: أنه رسول الله ﷺ دعا إلى الإسلام، قاله الحسن والسدي.

الثاني: أنهم المؤمنون دعوا إلى الله، قاله قيس بن أبي حازم ومجاهد.

﴿وعمل صالحاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أداء الفرائض، قاله الكلبي.

الثاني: أنهم المصلون ركعتين بين الأذان والإقامة، قالته عائشة رضي الله عنها(١٨٧).

وروى هشام بن عروة عن عائشة قالت: كان بلال إذا قام يؤذن قالت اليهود قام غراب ـ لاقام ـ فنادى بالصلاة، وإذا ركعوا في الصلاة قالوا قد جثوا ـ لا جثوا ـ فنزلت هذه الآية في بلال والمصلين.

قوله عز وجل: ﴿ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ﴾ فيه ستة تأويلات(١٨٨):

---

(١٨٧) وقال بعضهم نزلت في المؤذنين قال الشوكاني رحمه الله (٥١٥/٤) ويجاب عن هذا بأن الآية مكية والأذان إنما شرع بالمدينة والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً فكل من جمع بين دعاء العباد إلى شرعة الله وعمل عملاً صالحاً وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرم عليه وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم فلا التي أحسن منه ولا أوضح من طريقه ولا أكثر ثواباً من عمله.

(١٨٨) والصواب أن السيئة يدخل فيها هذه الصور كلها وكذا الحسنة يدخل فيها كل صورة جاءت فيها ولهذا قال الإمام الشوكاني (٥١٦/٤) ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي فإن اللفظة أوسع من ذلك».

أحدها: أن الحسنة المداراة، والسيئة الغلظة، حكاه ابن عيسى.

الثاني: الحسنة الصبر والسيئة النفور.

الثالث: الحسنة الإيمان، والسيئة الشرك، قاله ابن عباس.

الرابع: الحسنة العفو والسيئة الانتصار، حكاه ابن عمير.

الخامس: الحسنة الحلم والسيئة الفحش، قاله الضحاك.

السادس: الحسنة حب آل رسول الله ﷺ والسيئةُ بغضهم(١٨٩)، قاله علي كرم الله وجهه.

﴿ادفع بالتي هي أحسنُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ادفع بحلمك جهل من يجهل، قاله ابن عباس.

الثاني: ادفع بالسلامة إساءة المسيء، قاله عطاء.

ويحتمل ثالثاً: ادفع بالتغافل إساءة المذنب. والذنب من الأدنى، والإساءة من الأعلى.

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميمٌ﴾ قاله عكرمة: الولي الصديق، والحميم القريب.

وقيل هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام كان يؤذي رسول الله ﷺ، فأمره بالصبر عليه والصفح عنه.

قوله عز وجل: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يلقى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على الحلم.

الثاني: ما يلقى الجنة إلا الذين صبروا على الطاعة.

﴿وما يلقاها إلا ذو حَظٍ عظيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ذو جد عظيم، قاله السدي.

الثاني: ذو نصيب [وافر](*) من الخير، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الحظ العظيم الجنة. قال الحسن: والله ما عظم حظ قط دون الجنة.

(١٨٩) وهو الصواب ولهذا قال الشوكاني (٤/ ٥١٩) وظاهر الآية العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(*) زيادة من تفسير القرطبي.

ويحتمل رابعاً: أنه ذو الخلق الحسن.

قوله عز وجل: ﴿**وإما ينزغنك مِن الشيطان نزغ**﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه النزغ الغضب. قاله ابن زيد.

الثاني: أنه الوسوسة وحديث النفس، قاله السدي.

الثالث: أنه النجس، قاله ابن عيسى.

الرابع: أنه الفتنة، قاله ابن زياد.

الخامس: أنه الهمزات، قاله ابن عباس.

﴿**فاستعذ بالله**﴾ أي اعتصم بالله.

﴿**إنه هو السميع**﴾ لاستعاذتك ﴿**العليم**﴾ بأذيتك.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ
۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**ومن آياته الليل والنهار**﴾ ووجه الآيات فيهما تقديرهما على حد مستقر، وتسييرهما على نظم مستمر، يتغايران لحكمة ويختلفان لمصلحة.

﴿**والشمس والقمر**﴾ ووجه الآية فيهما ما خصهما به من نور، وأظهره فيهما من تدبير وتقدير.

﴿**لا تسجُدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن**﴾ قال الزجاج: أي خلق هذه الآيات.

وفي موضع السجود من هذه الآية قولان:

أحدهما: عند قوله ﴿**إن كنتم إياه تعبدون**﴾ قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: عند قوله ﴿**وهم لا يسأمون**﴾ قاله ابن عباس وقتادة.

قوله عز وجل: ﴿**ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعةً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غبراء دارسة، قاله قتادة.

الثاني: ميتة يابسة، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: ذليلة بالجدب لأنها مهجورة، وهي إذا أخصبت عزيزة لأنها معمورة.

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اهتزت بالحركة للنبات، وربت بالارتفاع قبل أن تنبت، قاله مجاهد.

الثاني: اهتزت بالنبات وربت بكثرة ريعها، قاله الكلبي. فيكون على قول مجاهد تقديم وتأخير تقديره: ربت واهتزت.

﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ الآية، جعل ذلك دليلاً لمنكري البعث على إحياء الخلق بعد الموت استدلالاً بالشاهد على الغائب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يكذبون بآياتنا، قاله قتادة.

الثاني: يميلون عن آياتنا، قاله أبو مالك.

الثالث: يكفرون بنا، قاله ابن زيد.

الرابع: يعاندون رسلنا، قاله السدي.

الخامس: هو المكاء والتصفيق عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد.

﴿لا يخفون علينا﴾ وهذا وعيد.

﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الذي يلقى في النار أبو جهل، والذي يأتي آمناً عمار بن ياسر، قاله عكرمة.

الثاني: أن الذي يلقى في النار أبو جهل، والذي يأتي آمنا يوم القيامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قاله ابن زياد.

الثالث: أن الذي يلقى في النار أبو جهل وأصحابه قاله الكلبي، والذي يأتي آمناً رسول الله ﷺ، قاله مقاتل.

الرابع: أنها على العموم فالذي يلقى في النار الكافر، والذي يأتي آمناً يوم القيامة المؤمن، قاله ابن بحر.

﴿اعملوا ما شئتم﴾ هذا تهديد.

﴿إنه بما تعملون بصير﴾ وعيد، فهدد وتوعد.

قوله عز وجل: **﴿إنّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾** الذكر هنا القرآن في قول الجميع، وله جواب محذوف تقديره: هالكون أو معذبون.

﴿وإنه لكتابٌ عزيز﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عزيز من الشيطان أن يبدله، قاله السدي.

الثاني: يمتنع على الناس أن يقولوا مثله، قاله ابن عباس.

﴿لا يأتيه الباطل﴾ في **﴿الباطل﴾** هنا أربعة أقاويل:

أحدها: أنه إبليس، قاله قتادة.

الثاني: أنه الشيطان، قاله ابن جريج.

الثالث: التبديل، قاله مجاهد.

الرابع: التعذيب(١٩٠)، قاله سعيد.

ويحتمل خامساً: أن الباطل التناقض والاختلاف.

﴿من بين يديه ولا من خلفِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يأتيه الباطل من كتاب قبله، ولا يأتيه من كتاب بعده، قاله قتادة.

الثاني: لا يأتيه الباطل من أول التنزيل ولا من آخره.

---

(١٩٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب التكذيب والتصويب من زاد المسير (٧/٤٦٣) ونسبه لسعيد بن جبير.

الثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم ولا في إخباره عما تأخر، قاله ابن جريج.

ويحتمل رابعاً: ما بين يديه: لفظه وما خلفه: تأويله، فلا يأتيه الباطل في لفظ ولا تأويل:

﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ قال قتادة: حكيم في أمره حميد إلى خلقه.

قوله عز وجل: ﴿ما يُقالُ لك إلا ما قد قِيل للرسل من قبلك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يقول المشركون لك إلا ما قاله من قبلهم لأنبيائهم إنه ساحر أو مجنون، قاله قتادة.

الثاني: ما تخبر إلا بما يخبر الأنبياء قبلك بـ. ﴿إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)﴾

قوله عز وجل: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالأعجمي غير المبين وإن كان عربيًّا، قاله المفضل.

الثاني: بلسان أعجمي.

﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ أي بينت آياته لنا بالعربية على الوجه الثاني، والفصح على الوجه الأول.

﴿ءاعجميٌّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كيف يكون القرآن أعجمياً ومحمد ﷺ عربي؟ قاله سعيد بن جبير.

الثاني: كيف يكون القرآن أعجميًّا ونحن قوم عرب؟ قاله السدي. قال مجاهد أعجمي الكلام وعربي الرجل.

﴿قل هو للذين آمنوا هُدىً وشفاءٌ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: هدى للأبصار وشفاء للقلوب.
الثاني: هدى من الضلال وشفاء من البيان(*).
﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ﴾ أي صمم.
﴿وهو عليهم عَمىً﴾ أي حيرة، وقال قتادة: عموا عن القرآن وصموا عنه.
﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: من مكان بعيد من قلوبهم. قاله علي كرم الله وجهه ومجاهد.
الثاني: من السماء، حكاه النقاش.
الثالث: ينادون بأبشع أسمائهم، قاله الضحاك.
ويحتمل رابعاً: من مكان بعيد من الإجابة.

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: علمواْ ما لهم من معدل.
الثاني: استيقنوا أن ليس لهم ملجأ من العذاب، قاله السدي، وقد يعبر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان لأن الخبر محتمل والعيان غير محتمل.

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟

(*) هكذا في الأصول ولعل الصواب بالبيان.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

قوله عزوجل: ﴿لَّا يَسْأَمُ ٱلإِنسَانُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يمل من دعائه بالخير، والخير هنا المال والصحة، قاله السُدي، والإنسان هنا يراد به الكافر.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ يعني الفقر والمرض، ويحتمل وجهين:

أحدهما: يؤوس من الخير قنوط من الرحمة.

الثاني: يؤوس من إجابة الدعاء، قنوط بسوء الظن بربه.

قوله عزوجل: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: رخاء بعد شدة.

الثاني: غنى بعد فقر.

﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هذا باجتهادي.

الثاني: هذا باستحقاقي.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ إنكاراً منه للبعث والجزاء مع ما حظ به من النعمة والرخاء ودفع عنه من الضر والبلاء.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ الآية. إن كان كما زعمتم رجعة وجزاء فإن لي عنده آجلاً مثل ما أولانيه عاجلاً. وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث.

قوله عزوجل: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَئَا بِجَانِبِهِ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه.

أحدها: أعرض عن الإيمان وتباعد من الواجب.

الثاني: أعرض عن الشكر وبعد من الرشد.

الثالث: أعرض عن الطاعة وبعد من القبول.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تام لخلوص الرغبة فيه.

الثاني: كثير لدوام المواصلة له، وهو معنى قول السدي، وإنما وصف التام والكثير بالعريض دون الطويل لأن العرض يجمع طولاً وعرضاً فكان أعم. قال ابن عباس: الكافر[١٩١] يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن في الآفاق فتح أقطار الأرض، وفي أنفسهم فتح مكة، قاله السدي.

الثاني: في الآفاق ما أخبر به من حوادث الأمم، وفي أنفسهم ما أنذرتهم به من الوعيد

الثالث: أنها في الآفاق آيات السماء وفي أنفسهم حوادث الأرض.

الرابع: أنها في الآفاق إمساك القطر عن الأرض كلها وفي أنفسهم البلاء الذي يكون في أجسادهم، قاله ابن جريج.

الخامس: أنها في الآفاق انشقاق القمر، وفي أنفسهم كيف خلقناهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وكيف إدخال الطعام والشراب من موضع واحدٍ وإخراجه من موضعين آخرين، قاله الضحاك.

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتبين لهم أن القرآن حق.

الثاني: أن ما جاءهم به الرسول ﷺ ودعاهم إليه حق.

﴿أَولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ يعني أولـم يكفك من ربك.

﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يحتمل وجهين:

(١٩١) ومصداق ذلك من كتاب الله قوله ﴿وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾.

أحدهما: عليم.

الثاني: حفيظ.

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ قال السُّـدي في شكٍ من البعث.

﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحاط علمه بكل شيء، قاله السدي.

الثاني: أحاطت قدرته بكل شيء، قاله الكلبي.

سُورَةُ الشُّورَى

ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر، وقاله ابن عباس، وقتادة، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ﴾ إلى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن
فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثاني: أنه اسم من أسماء الله أقسم به، قاله ابن عباس.

الثالث: فواتح السور، قاله مجاهد.

الرابع: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله عبدالله بن بريدة.

الخامس: أنها حروف مقطعة من أسماء الله فالحاء والميم من الرحمن والغين من العليم، والسين من القدوس، والقاف من القاهر، قاله محمد بن كعب.

السادس: أنها حروف مقطعة من حوادث آتية، فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك، والعين من عدو مقهور، والسين من استئصال سنين كسني يوسف، والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء.

السابع: ما حُكي عن حذيفة بن اليمان أنها(١٩٢) نزلت في رجلٍ يقال له عبد الإِلَه كان في مدينة على نهر بالمشرق خسف الله بها، فذلك قوله حمٓ يعني عزيمة من الله تعالى، عين يعني عدلاً منه: سين يعني سكون، قاف يعني واقعاً بهم.

وكان ابن عباس يقرؤها: ﴿حمٓ سٓقٓ﴾ بغير عين، وهي في مصحف ابن مسعود كذلك حكاه(١٩٣) الطبري.

قوله عز وجل: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يتشققن فَرَقاً من عظمة الله، قاله الضحاك والسُّدي، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ليت السماء تفطرت أكنافها　　　وتناثرت منها نجوم

الثاني: من علم الله، قاله قتادة.

الثالث: ممن فوقهن، قاله ابن عباس.

الرابع: لنزول العذاب منهن.

﴿وَٱلْمَلآئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بأمر ربهم، قاله السدي.

الثاني: بشكر ربهم.

وفي تسبيحهم قولان:

أحدهما: تعجباً مما يرون من تعرضهم لسخط الله، قاله علي رضي الله عنه.

الثاني: خضوعاً لما يرون من عظمة الله، قاله ابن عباس.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلأَرْضِ﴾ فيه قولان:

---

(١٩٢) رواه الطبري (٦/٢٥) وزاد السيوطي في الدر (٣٣٥/٧) نسبته لابن أبي حاتم ونعيم بن حماد والخطيب وقال الحافظ ابن كثير (١٠٥/٤) واصفاً إيَّاه بأنه أثر غريب وعجيب منكر.

(١٩٣) ولكن الإمام الطبري ذكر ذلك في (٦/٢٥) بلفظ يشعر بضعف ذلك عن ابن عباس فقال رحمه الله «وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه حم سق بغير عين».

أحدهما: لمن في الأرض من المؤمنين(١٩٤)، قاله الضحاك والسدي.

الثاني: للحسين بن علي رضي الله عنهما، رواه الأصبغ بن نباتة عن علي كرم(١٩٥) الله وجهه.

وسبب استغفارهم لمن في الأرض ما حكاه الكلبي أن الملائكة لما رأت الملكين(١٩٦) اللذين اختبرا وبعثا إلى الأرض ليحكما بينهم، فافتتنا بالزهرة وهربا إلى إدريس وهو جد أبي نوح عليه السلام، وسألاه أن يدعو لهما سبحت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت لبني آدم.

وفي استغفارهم قولان:

أحدهما: من الذنوب والخطايا. وهو ظاهر قول مقاتل.

الثاني: أنه طلب الرزق لهم والسعة عليهم، قاله الكلبي.

وفي هؤلاء الملائكة قولان:

أحدهما: أنهم جميع ملائكة السماء وهو الظاهر من قول الكلبي.

الثاني: أنهم حملة العرش. قال مقاتل وقد بين الله ذلك من حمّ المؤمن فقال ﴿**ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ**﴾ وقال مطرف: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

(١٩٤) ويدل على التخصيص قوله تعالى في سورة غافر ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ غافر: ٧.

(١٩٥) وهذا الأثر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يصح وأصبغ بن نباتة هذا هو الحنظلي المجاشعي الكوفي قال ابو بكر بن عياش فيه: كذاب وقال ابن معين: ليس بثقة وقال مرة: ليس بشيء وقال النسائي وابن حبان: متروك وقال ابن عدي بيّن الضعف وقال أبو حاتم لينّ الحديث وقال العقيلي: كان يؤمن بالرجعة وقال ابن حبان: فُتِنَ بحب علي فأتى بالطامات فاستحق من أجلها الترك. راجع بعض طاماته في الميزان (١/٢٧١).

(١٩٦) أي هاروت وماروت وهذه القصة لم تثبت وقد سبق الكلام عليها في سورة البقرة فراجعه.

قوله عزوجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال الضحاك أهل دين واحد أهل ضلالة أو أهل هدى.

﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال أنس بن مالك: في الإسلام.

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ يمنع ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله عزوجل: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ يعني ذكوراً وإناثاً.

﴿وَمِنَ ٱلأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾ يعني ذكوراً وإناثاً.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ وفيه ستة تأويلات:

أحدها: يخلقكم فيه، قاله السدي.

الثاني: يكثر نسلكم فيه، قاله الفراء.

الثالث: يعيشكم فيه، قاله قتادة.

الرابع: يرزقكم فيه، قاله ابن زيد.

الخامس: يبسطكم فيه، قاله قطرب.

السادس: نسلاً من بعد نسل من الناس والأنعام، قاله مجاهد.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليس كمثل الرجل والمرأة شيء، قاله ابن عباس، والضحاك.

الثاني: ليس كمثل الله شيء(١٩٧)، وفيه وجهان:

(١٩٧) ولا شك أنه أرجح لدلالة السياق عليه.

أحدهما: ليس مثله شيء والكاف زائدة للتوكيد، قال الشاعر(١٩٨):

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم في الناس من أحد

الثاني: ليس شيء(١٩٩)، والمثل زائد للتوكيد، قاله ثعلب.

قوله عز وجل: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: خزائن السموات والأرض، قاله السدي.

الثاني: مفاتيح السموات والأرض، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

ثم فيهما قولان:

أحدهما: أنه المفاتيح بالفارسية، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عربي جمع واحده إقليد، قاله ابن عيسى.

وفيما هو مفاتيح السموات والأرض خمسة أقاويل:

أحدها: أن مفاتيح السماء المطر ومفاتيح الأرض النبات.

الثاني: أنها مفاتيح الخير والشر.

الثالث: أن مقاليد السماء الغيوب، ومقاليد الأرض الآفات.

الرابع: أن مقاليد السماء حدوث المشيئة، ومقاليد الأرض ظهور القدرة.

الخامس: أنها قول لا إلّه إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قاله وعلمه(٢٠٠)

---

(١٩٨) الطبري (١٣/٢٥) فتح القدير (٥٢٨/٤).

(١٩٩) إعلم أيها المسلم البصير بأمر دينه أن هذه الآية الكريمة الوجيزة في الألفاظ الدقيقة المعاني اشتملت على نفي وإثبات فهي قطب رحى السلف الصالح في إثبات صفات الله ونفي التشبيه والتعطيل والتحريف عنها فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال الشوكاني رحمه الله (٥٢٨/٤) «ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله «وهو السميع البصير» فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فإنك تحطم بها كثيراً من البدع وتهشم بها رؤوساً من الضلالة وترغم بها آناف طوائف من المتكلمين ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ فإنك حينذاك قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام وأصول الدين أ هـ.

(٢٠٠) رواه مطولاً أبو يعلى كما في المطالب (٣٦٤/٣) ومختصراً من حديث أبي هريرة سئل عثمان بن عفان

لعثمان بن عفان وقد سأله عن مقاليد السماء(*) والأرض.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يوسع ويضيق.

الثاني: يسهل ويعسر.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من البسط والقدرة.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ
مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن
رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

قوله عزوجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً﴾ وفي ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: سن لكم.

الثاني: بيّن لكم.

الثالث: اختار لكم، قاله الكلبي.

الرابع: أوجب عليكم.

﴿مِنَ ٱلدِّينِ﴾ يعني الدين ومن زائدة في الكلام.

وفي ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً﴾ وجهان:

أحدهما: تحريم الأمهات والبنات والأخوات، لأنه أول نبي أتى أمته بتحريم ذلك، قاله الحكم.

عن مقاليد السموات والأرض فساق الحديث ورواه الحارث بن أبي أسامة أيضاً كما في المطالب (٣/٣٦٥) وقال البوصيري: إسناده منقطع.

(*) وفي نسخة السموات.

الثاني: تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اعملوا به، قاله السدي.

الثاني: ادعوا إليه. قال مجاهد: دين الله في طاعته وتوحيده واحد.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: جاهدوا عليه من عانده.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: لا تتعادوا عليه، وكونوا عليه إخواناً، قاله أبو العالية.

الثانية: لا تختلفوا فيه فإن كل نبي مصدق لمن قبله، قاله مقاتل.

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ قاله قتادة: من شهادة أن لا إله إلا الله.

ويحتمل أن يكون من الاعتراف بنبوته، لأنه عليهم أشد وهم منه أنفر.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: يجتبي إليه من يشاء هو من يولد على الإسلام.

﴿وَيَهْدِيَ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ هو من يسلم من الشرك، قاله الكلبي.

الثاني: يستخلص إليه من يشاء. قاله مجاهد ويهدي إليه من يقبل على طاعته، قاله السدي.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَفَرَّقُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن محمد ﷺ.

الثاني: في القرآن.

﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلا من بعد ما تبحروا في العلم، قاله الأعمش.

الثاني: إلا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلال، قاله ابن زياد.

الثالث: إلا من بعد ما جاءهم القرآن، وسماه علماً لأنه يتعلم منه.

﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لابتغاء الدنيا وطلب ملكها، قاله أُبي بن كعب.

الثاني: لبغي بعضهم على بعض، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في رحمته للناس على ظلمهم.

الثاني: في تأخير عذابهم، قال قتادة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى قيام الساعة لأن آلله تعالى يقول: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ الآية.

ويحتمل إلى الأجل الذي قُضِيَ فيه بعذابهم.

﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لعجل هلاكهم.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَابَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله السدي.

الثاني: أنهم نبئوا من بعد الأنبياء، قاله الربيع.

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لفي شك من القرآن، قاله الربيع.

الثاني: لفي شك من الإخلاص، قاله أبو العالية.

الثالث: لفي شك من صدق الرسول، قاله السدي.

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ معناه فإلى ذلك فادع، وفي المراد بذلك وجهان:

أحدهما: القرآن، قاله الكلبي.

الثاني: التوحيد، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿فَٱدْعُ﴾ وجهان:

أحدهما: فاعتمد.

الثاني: فاستدع.

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ . . .﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: واستقم على أمر الله، قاله قتادة.

الثاني: على القرآن، قاله سفيان.

الثالث: فاستقم على تبليغ الرسالة، قاله الضحاك.

وفي قوله: ﴿. . . وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم﴾ وجهان:

أحدهما: في الأحكام.

الثاني: في التبليغ.

وفي قوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: لا خصومة بيننا وبينكم، قاله مجاهد. قال السدي: وهذه قبل السيف، وقبل أن يؤمر بالجزية.

الثاني: معناه فإنكم بإظهار العداوة قد عدلتم عن طلب الحجة، قاله ابن عيسى.

الثالث: معناه إنا قد أعذرنا بإقامة الحجة عليكم فلا حجة بيننا وبينكم نحتاج إلى إقامتها علكيم.

وقيل إن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة وقد سألا رسول الله ﷺ أن يرجع عن دعوته ودينه إلى دين قريش على أن يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في توحيد الله عز وجل.

الثاني : أنهم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم(*)، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم، قاله قتادة.

﴿مِن بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهـا: من بعد ما أجابه الله إلى إظهاره من المعجزات.

الثاني : من بعد ما أجاب الله الرسول من المحاجة.

الثالث: من بعد ما استجاب المسلمون لربهم وآمنوا بكتابه ورسوله، قاله ابن زيد.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: باطلة، قاله ابن عيسى.

الثاني : خاسرة، قاله ابن زيد.

قوله عزوجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالمعجز الدال على صحته.

الثاني : بالصدق فيما أخبر به من ماض ومستقبل.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب.

الثاني : أنه العدل فيما أمر به ونهى عنه، قاله قتادة.

الثالث: أنه الميزان الذي يوزن به، أنزله الله من السماء وعلم عباده الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس، قال قتادة: الميزان العدل.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فلم يخبره بها، ولم يؤنث قريب لأن الساعة تأنيثها غير حقيقي لأنها كالوقت.

ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا
لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا

(*) وفي نسخة وأمتنا قبل أمتكم.

لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ
بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم
مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

قوله عزوجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى يعطي على نية الآخرة من شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا، قاله قتادة.

الثاني: معناه من عمل للآخرة أعطاه الله بالحسنة عشر أمثالها، ومن عمل للدنيا لم يزد على من عمل لها.

﴿وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ في الجنة وهذا معنى قول ابن زيد وشبه العامل الطالب بالزارع لاجتماعهما في طلب النفع.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ
يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ
ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

قوله عزوجل: ﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه ألا تؤذوني في نفسي لقرابتي[٢٠١] منكم، وهذا لقريش خاصة لأنه

(٢٠١) قال الحافظ ابن كثير (١١٣/٤) ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين أ هـ.

لم يكن بطن من قريش إلا بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وأبو مالك.

الثاني: معناه إلا أن تؤدوا قرابتي، وهذا قول علي بن الحسين وعمرو بن شعيب والسدي. وروى مقسم عن ابن عباس قال(٢٠٢): سمع رسول الله ﷺ سيئاً فخطب فقال للأنصار «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّاءَ فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَمْ تَكُونُوا خَائِفِينَ فَأَمَّنَكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَا تَردُواْ عَلَيَّ؟ فقالواْ: بم نجيبك؟ فقال تَقُولُونَ: أَلَمْ يَطْرُدْكَ قَوْمُكَ فَآوَينَاكَ؟ أَلَمْ يُكَذِّبْكَ قَومُكَ فَصَدَّقْنَاكَ؟ فعد عليهم، قال: فجثوا على ركبهم وقالواْ: أنفسنا وأموالنا لك» . فنزلت ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

الثالث: معناه إلا أن توادوني وتؤازروني كما توادون وتؤازرون قرابتكم، قاله ابن زيد

الرابع: معناه إلا أن تتوددوا وتتقربوا إلى الله بالطاعة والعمل الصالح، قاله الحسن، وقتادة.

الخامس: معناه إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، قاله عبدالله بن القاسم.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أي يكتسب، وأصل القرف الكسب.

﴿نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ أي نضاعف له بالحسنة عشراً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غفور للذنوب، شكور للحسنات، قاله قتادة.

الثاني: غفور لذنوب آل رسول الله ﷺ، شكور لحسناتهم، قاله السدي.

قوله عزوجل: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي ينسيك ما قد آتاك من القرآن، قاله قتادة.

---

(٢٠٢) رواه ابن جرير (٢٥/٢٥) وزاد السيوطي في الدر (٣٤٧/٧) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه وفي سنده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وضعفه الحافظ ابن كثير (١١٢/٤) وقال «وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية والسياق مناسبة والله أعلم.

الثاني: معناه يربط على قلبك فلا يصل إليه الأذى بقولهم افترى على الله كذباً، قاله مقاتل.

الثالث: معناه لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذباً لطبع الله على قلبك، قاله ابن عيسى.

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ينصر دينه بوعده.

الثاني: يصدق رسوله بوحيه.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ
بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ والقنوط الإياس، قاله قتادة.

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: جدبت الأرض وقنط الناس فقال: مطروا إذن. والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون ضاراً ونافعاً في وقته وغير وقته.

﴿وَينشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ بالغيث فيما يعم ويخص.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الولي المالك والحميد مستحق الحمد.

الثاني: الولي المنعم والحميد المستحمد.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الحدود على المعاصي، قاله الحسن.

الثاني: أنها البلوى في النفوس والأموال عقوبة على المعاصي والذنوب.

قال النبي ﷺ: «مَا(٢٠٣) يُصِيبُ ٱبنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ وَلَا عَثْرَةُ قَدَمٍ وَلَا ٱخْتِلَاجُ عِرْقٍ إِلَّا بِذَنبٍ وَمَا يَعْفُو عَنهُ أَكْثَرَ» وقال ثابت البناني: كان يقال ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا.

ثم فيها قولان:

أحدهما: أنها خاصة في البالغين أن تكون عقوبة لهم؛ وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم.

الثاني: عقوبة عامة للبالغين في أنفسهم وللأطفال في غيرهم من والدٍ أو والدة، قاله العلاء بن زيد.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن كثير من المعاصي أن لا يكون عليها حدود، وهو مقتضى قول الحسن.

الثاني: عن كثير من العصاة وأن لا يعجل عليهم بالعقوبة.

قال علي رضي الله عنه(٢٠٤): ما عاقب الله به في الدنيا فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم(*) من أن يعود في عفوه يوم القيامة.

---

(٢٠٣) رواه ابن مردويه من حديث البراء بن عازب مرفوعاً كما في الدر (٧/٣٥٥) ولفظه «ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله عنه أكثر وقد ورد الحديث من مرسل قتادة رواه ابن جرير (٢٥/٢٣) ومن مرسل الحسن رواه ابن أبي حاتم وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد كما في الدر (٧/٣٥٤).

(٢٠٤) رواه ابن أبي حاتم موقوفاً ونقله ابن كثير (٤/١١٦) ورواه مرفوعاً بنحوه مطولاً وزاد السيوطي في الدر (٧/٣٥٤) نسبته لأحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه والحاكم.

(*) وفي نسخة أحلم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ
ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمِن ءَايَاتِهِ ٱلْجَوارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلأَعْلَامِ﴾ قال مجاهد هي السفن في البحر ﴿كَٱلأَعْلَامِ﴾ أي كالجبال، ومنه قول الخنساء(٢٠٥):

وإنَّ صَخْـراً لتـأتَمُّ الهُـدَاةُ بـه ... كـأنَّـه عـلمٌ فـي رأسِـه نـار

﴿إن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ أي وقوفاً على ظهر الماء، قال قتادة: لأن سفن هذا البحر تجري بالرياح. فإذا أمسكت عنها ركدت.

﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ صبار على البلوى، شكور على النعماء.

قال قطرب: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعْطِي شكر، وإذا ابتُلِيَ صبر.

قال عون بن عبدالله: فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلٍ غير صابر.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ معناه يغرقهن بذنوب أهلها.

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ من أهلها فلا يغرقهم معها.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من فرار ومهرب، قاله قطرب.

الثاني: ملجأ، قاله السُدي مأخوذ من قولهم حاصَّ به البعير حيصة إذا مال به، ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق أي يميل عنه.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ
﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

(٢٠٥) ديوانها:

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم قبل الهجرة اثني عشر نقيباً منهم.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه المحافظة على مواقيتها، قاله قتادة.

الثاني: إتمامها بشروطها، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهم كانوا قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به، قاله النقاش.

الثاني: يعني أنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا على اتفاق كلمتهم. قال الحسن: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم.

الثالث: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له، قاله الضحاك.

الرابع: أنهم يتشاورون فيما يعرض لهم فلايستأثر بعضهم بخير دون بعض.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد به أداء الزكاة من أموالهم، قاله السدي.

الثاني: إنفاق الحلال من أكسابهم، وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُم ٱلْبَغْيُ هُم يَنتَصِرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أصابهم يعني المشركين على دينهم انتصروا بالسيف منهم. قاله ابن جريج.

الثاني: أصابهم يعني باغ عليهم كره لهم أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا، قاله إبراهيم.

الثالث: إذا أصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزايلوه عنهم ويدفعوه عنهم، قاله ابن بحر.

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه محمول على الجراح التي تتمثل في القصاص دون غيرها من سب أو شتم، قاله الشافعي، وأبو حنيفة، وسفيان.

الثاني: أنه محمول على مقابلة الجراح، وإذا قال أخزاه الله أو لعنه الله أن يقول مثله، ولا يقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب، قاله ابن أبي نجيح والسدي.

وسمي الجزاء سيئة لأنه في مقابلتها وأنها عند المعاقب بها سواء.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فأذن في الجزاء وندب إلى العفو.

وفي قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ وجهان:

أحدهما: أصلح العمل، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أصلح بينه وبين أخيه، قاله ابن زياد. وهذا مندوب إليه في العفو عن التائب دون المصرّ.

روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال(٢٠٦): **«إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: مَن كَانَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ مَن ذَا الَّذي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَيَقُولُونَ العَافُونَ عَنِ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ»**.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الظالمين في الابتداء، قاله سعيد بن جبير.

---

(٢٠٦) وروى أبو يعلى نحوه من حديث أنس مرفوعاً «إذا التقى الخلائق يوم القيامة فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد [من تحت العرش] يسمع الخلائق يا أهل الجمع هل أنتم تاركو المظالم وثوابكم عليَّ» قال البوصيري: في سنده سدوسي صاحب السامري وهو ضعيف كما في المطالب (٤/٣٩٢).

وقال أبو بكر: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ناد مناد أين أهل العفو؟ قال: فيكافئهم الله تعالى بما كان من عفوهم عن الناس.

رواه أحمد بن منيع كما في المطالب (٤/٣٩٢) قال البوصيري: في سنده كوثر بن حكيم وهو ضعيف.

الثاني: المعتدي في الجزاء، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي استوفى حقه بنفسه.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ وهذا ينقسم ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يكون قصاصاً في بدن يستحقه آدمي فلا حرج عليه فيه إذا استوفاه من غير عدوان، وثبت حقه عند الحكام، لكن يزجره الإمام في تفرده بالقصاص لما فيه من الجرأة على سفك الدماء، وإن كان حقه غير ثابت عند الحكام فليس عليه فيما بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر مطالب وبفعله مؤاخذ.

والقسم الثاني: أن يكون حداً لله لا حق فيه لآدمي كحد الزنى وقطع السرقة، فإن لم يثبت ذلك عند حاكم أخذ به وعوقب عليه، وإن ثبت عند حاكم نظر فإن كان قطعاً في سرقة سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه، ولم يجب عليه في ذلك حق إلا التعزير أدباً، وإن كان جلداً لم يسقط به الحد لتعديه به مع بقاء محله وكان مأخوذاً بحكمه.

القسم الثالث: أن يكون حقاً في مال فيجوز لصاحبه أن يغالب على حقه حتى يصل إليه إن كان من هو عليه عالماً به، وإن كان غير عالم نظر، فإن أمكنه الوصول إليه عند المطالبة لم يكن له الاستسرار(٢٠٧) بأخذه، وإن كان لا يصل إليه بالمطالبة لجحود من هو عليه مع عدم بينة تشهد به ففي جواز الاستسرار بأخذه مذهبان:

أحدهما: جوازه، وهو قول مالك، والشافعي.

الثاني: المنع، قاله أبو حنيفة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يظلمون الناس بعدوانهم عليهم وهو قول كثير منهم.

الثاني: يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم، قاله ابن جريج.

﴿وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه بغيهم في النفوس والأموال، وهو قول الأكثرين.

الثاني: عملهم بالمعاصي، قاله مقاتل.

(٢٠٧) ولعل هذه المسألة تعرف عندهم بالظفر والقول بالجواز مال إليه البخاري وغيره.

الثالث: هو ما يرجوه كفار قريش أن يكون بمكة غير الإسلام ديناً، قاله أبو مالك.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صبر على الأذى وغفر للمؤذي.

الثاني: صبر عن المعاصي وستر المساوىء.

ويحتمل قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وجهين:

أحدهما: لمن عزائم الله التي أمر بها.

الثاني: لمن عزائم الصواب التي وفق لها.

وذكر الكلبي والفراء أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ثلاث آيات قبلها وقد شتمه بعض الأنصار فرد عليه ثم أمسك، وهي المدنيات من هذه السورة.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم المشركون جميعاً يعرضون على جهنم عند إطلاقهم إليها، قاله الأكثرون.

الثاني: آل فرعون خصوصاً تحبس أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح، فهم عرضهم، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنهم عامة المشركين ويعرضون على العذاب في قبورهم، وهذا معنى قول أبي الحجاج.

﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ قال السدي: خاضعين من الذل.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه ثلاثة تأويلات.

أحدها: ينظرون بأبصار قلوبهم دون عيونهم لأنهم يحشرون عمياً، قاله أبو سليمان.

الثاني: يسارقون النظر إلى النار حذراً، قاله محمد بن كعب.

الثالث: بطرفٍ ذليل، قاله ابن عباس.

اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من منج.

الثاني: من حرز، قاله مجاهد.

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ناصر ينصركم، قاله مجاهد.

الثاني: من منكر يغير ما حل بكم، حكاه ابن أبي حاتم وقاله الكلبي.

قوله عز وحل: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الرحمة المطر، قاله مقاتل.

الثاني: العافية، قاله الكلبي.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه السنة القحط، قاله مقاتل.

الثاني: المرض، قاله الكلبي.

﴿فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالنعمة.

الثاني: بالله.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ﴾ قال عبيدة: يهب لمن يشاء إناثاً لا ذكور فيهن، ويهب لمن يشاء ذكوراً لا إناث فيهم. وأدخل الألف على الذكور دون الإناث لأنهم أشرف فميزهم بسمة التعريف.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو أن تلد المرأة غلاماً ثم تلد جارية ثم تلد غلاماً ثم تلد جارية، قاله مجاهد.

الثاني: هو أن تلد توأمين غلاماً وجارية، قاله محمد بن الحنفية. والتزويج هنا الجمع بين البنين والبنات. قال ابن قتيبة: تقول العرب زوجني إبلي إذا جمعت بين الصغار والكبار.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً﴾ أي لا يولد له. يقال عقم فرجه عن الولادة أي منع.

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في الأنبياء خصوصاً وإن عم حكمها، فوهب للوط البنات ليس فيهن ذكر، ووهب لإبراهيم الذكور ليس معهم أنثى، ووهب لإسماعيل وإسحاق الذكور والإناث، وجعل عيسى ويحيى عقيمين.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾ الآية. سبب نزولها ما حكاه النقاش أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فنزلت هذه الآية.

وفي قوله: ﴿وَحْياً﴾ وجهان:

أحدهما: أنه نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً، قاله مجاهد.

الثاني: رؤيا يراها في منامه، قاله زهير بن محمد.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِي حِجَابٍ﴾ قال زهير: كما كلم موسى.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ قال زهير: هو جبريل.

﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ﴾ وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً ويرونه عياناً. وهكذا كانت حال جبريل إذا نزل بالوحي على النبي ﷺ.

قال ابن عباس: نزل جبريـل على كل نبي فلم يـره منهم إلا محمد وعيسى وموسى وزكريا صلوات الله عليهم أجمعين، فأما غيرهم فكان وحياً إلهاماً في المنام.

قوله عزوجل: ﴿وَكَـذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: رحمة من عندنا، قاله قتادة.

الثاني: وحياً من أمرنا، قاله السدي.

الثالث: قرآناً من أمرنا، قاله الضحاك.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلإِيمَانُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرسالة، ولا الإيمان لولا البلوغ، قاله ابن عيسى.

الثاني: ما كنت تدري ما الكتاب لولا إنعامنا عليك، ولا الإيمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل.

وفي هذا الإيمان وجهان:

أحدهما: أنه الإيمان بالله، وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل نبوته.

الثاني: أنه دين الإسلام، وهذا لا يعرفه إلا بعد النبوة.

﴿وَلَـكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً...﴾ فيه قولان:

أحدهما: جعلنا القرآن نوراً، قاله السدي.

الثاني : جعلنا الإيمان نوراً . حكاه النقاش وقاله الضحاك .

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه : وإنك لتدعو إلى دين مستقيم ، قاله قتادة .

الثاني : إلى كتاب مستقيم ، قاله علي رضي الله عنه .

وقرأ عاصم الجحدري : وإنك لتُهدي ، بضم التاء أي لتُدْعَىٰ .

قوله عز وجل : ﴿صِرَاطِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن صراط الله هو القرآن ، قاله علي كرم الله وجهه .

الثاني : الإسلام ، رواه النواس بن سمعان (٢٠٨) الأنصاري عن النبي ﷺ .

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه وعيد بالبعث .

الثاني : أنه وعيد بالجزاء . والله أعلم .

---

(٢٠٨) تقدم تخريجه في سورتي البقرة والأنعام .

سُورَةُ الزُّخْرُف

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ
صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ
﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم
بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ. وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ﴾ الكتاب هو القرآن: وفي تسميته مبيناً ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه بيِّن الحروف، قاله أبو معاذ.

الثاني: لأنه بين الهدى والرشد والبركة، قاله قتادة.

الثالث: لأن الله تعالى قد بين فيه أحكامه وحلاله وحرامه، قاله مقاتل.

وفي هذا موضع القسم، وفيه وجهان:

أحدهما: معناه ورب الكتاب.

الثاني: أنه القسم بالكتاب، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء، وإن لم يكن ذلك لغيره من خلقه.

وجواب القسم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرءاناً عَرَبِيّاً﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إنا أنزلناه قرآناً عربياً، قاله السدي.

الثاني: إنا قلناه قرآناً عربياً، قاله مجاهد.

الثالث: إنا بيناه قرآناً عربياً، قاله سفيان الثوري. ومعنى العربي أنه بلسان عربي، وفيه قولان:

أحدهما: أنه جعل عربياً لأن لسان أهل السماء عربي، قاله مقاتل.

الثاني: لأن كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه، قاله سفيان الثوري.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تفهمون، فعلى هذا يكون هذا القول خاصاً بالعرب دون العجم، قاله ابن عيسى.

الثاني: يتفكرون قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون خطاباً عاماً للعرب والعجم.

قوله عزوجل: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: جملة الكتاب.

الثاني: أصل الكتاب، قاله ابن سيرين.

الثالث: أنها الحكمة التي نبه الله عليها جميع خلقه، قاله ابن بحر.

وفي ﴿ٱلْكِتَابِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه اللوح المحفوظ؛ قاله مجاهد.

الثاني: أنه ذكر عند الله فيه ما سيكون من أفعال العباد مقابل يوم القيامة بما ترفعه الحفظة من أعمالهم، قاله ابن جريج.

وفي المكنى عنه أنه في أم الكتاب قولان:

أحدهما: أنه القرآن (٢٠٩)، قاله الكلبي.

الثاني: أنه ما يكون من الخلق من طاعة ومعصية وإيمان أو كفر، قاله ابن جريج.

﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ فيه وجهان:

(٢٠٩) والسياق من الآيات يدل عليه ورجحه غير واحد من المفسرين كالطبري (٢٥/٢٨) وابن كثير (٤/١٢٢) والشوكاني (٤/٥٤٧).

أحدهما: رفيع عن أن ينال فيبدل. حكيم أي محفوظ من نقص أو تغيير، وهذا تأويل من قال أنه ما يكون من الطاعات والمعاصي.

الثاني: أنه علي في نسخه ما تقدم من الكتب، وحكيم أي محكم الحكم فلا ينسخ، وهذا تأويل من قال أنه القرآن.

قوله عز وجل: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أفحسبتم أن نصفح ولما تفعلون ما أمرتم به؟ قاله ابن عباس.

الثاني: معناه أنكم تكذبون بالقرآن ولا نعاقبكم فيه، قاله مجاهد.

الثالث: أي نهملكم فلا نعرفكم بما يجب عليكم، حكاه النقاش.

الرابع: أن نقطع تذكيركم بالقرآن: وإن كذبتم به: قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أن نوعد ولا نؤاخذ، ونقول فلا نفعل.

﴿قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مشركين، قاله قتادة.

الثاني: مسرفين في الرد.

ومعنى صفحاً أي إعراضاً، يقال صفحت عن فلان أي أعرضت عنه. قال ابن قتيبة: والأصل فيه إنك توليه صفحة عنقك. قال كثير في صفة امرأة (٢١٠):

صفحٌ فما تلقاك إلا بخيلة فمن قَلَّ منها ذلك الوصل قلّت

أي تعرض عنه بوجهها.

قوله عزوجل: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: سنة الأولين، قاله مجاهد.

الثاني: عقوبة الأولين، قاله قتادة.

الثالث: عِبرة الأولين، قاله السدي.

الرابع: خبر الأولين أنهم أهلكوا بالتكذيب، حكاه النقاش.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ

(٢١٠) والبيت في غريب القرآن ٢٩٥، اللسان «صفح» زاد المسير (٧/٣٠٢).

تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ
كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ
وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ
عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

قوله عزوجل: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡداً﴾ أي فراشاً.

﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلاً﴾ أي طرقاً.

ويحتمل ثانياً: أي معايش.

﴿لَعَلَّكُم تَهۡتَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تهتدون في أسفاركم، قاله ابن عيسى.

الثاني: تعرفون نعمة الله عليكم، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل ثالثاً: تهتدون إلى معايشكم.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَاجَ كُلَّهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الأصناف كلها، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، قاله ابن عيسى.

الثالث: أن الأزواج الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أن الأزواج ما يتقلب فيه الناس من خيرٍ وشر، وإيمان وكفر، وغنى وفقر، وصحة وسقم.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ﴾ يعني السفن.

﴿وَٱلۡأَنعَامِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ في الأنعام هنا قولان:

أحدهما: الإبل والبقر، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: الإبل وحدها، قاله معاذ. فذكرهم نعمه عليهم في تسييرهم في البر والبحر.

ثم قال ﴿لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهَا﴾ وأضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي ركبتم.

﴿وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا﴾ أي ذلل لنا هذا المركب.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ضابطين، قاله الأخفش.

الثاني: مماثلين في الأيد والقوة، قاله قتادة من قولهم هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة.

الثالث: مطيقين، قاله ابن عباس والكلبي، وأنشد قطرب لعمرو بن معدي كرب(٢١١):

لقد علم القبائل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنينا

وفي أصله قولان:

أحدهما: أن أصله مأخوذ من الإقران، يقال أقرن فلان إذا أطاق.

الثاني: أن أصله مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير.

وحكى سليمان بن يسار أن قوماً كانوا في سفر، فكانوا إذا ركبوا قالوا: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي لا تتحرك هزالاً فقال أما أنا فإني لهذه مقرن، قال فقصمت به فدقت عنقه.

وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا
يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ
مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ
فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا
أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ

(٢١١) فتح القدير (٤/٥٤٩).

﴿مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾

قوله عزوجل: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عدلاً أي مثلاً، قاله قتادة.

الثاني: من الملائكة ولداً، قاله مجاهد.

الثالث: نصيباً، قاله قطرب.

الرابع: أنه البنات، والجزء عند أهل العربية البنات (٢١٢). يقال قد أجزأت المرأة إذا ولدت البنات. قال الشاعر (٢١٣):

إن أجزأت مرة قوماً فلا عجب ... قد تجزىء الحرة المذكارُ أحيانا

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ قال الحسن: يعد المصائب وينسى النعم.

قوله عزوجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً﴾ أي بما جعل للرحمن البنات ولنفسه البنين.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ببطلان مثله الذي ضربه.

الثاني: بما بشر به من الأنثى.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حزين، قاله قتادة.

الثاني: مكروب، قاله عكرمة.

الثاني: ساكت، حكاه ابن أبي حاتم. وذلك لفساد مثله وبطلان حجته.

قوله عزوجل: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ النشوء التربية، والحلية الزينة. وفي المراد بها ثلاثة أوجه:

أحدها: الجواري، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: البنات. قاله ابن قتيبة.

---

(٢١٢) وقد أنكر بعض المفسرين تفسير الجزء بالإناث في لغة العرب وادعى أن هذا كذب ولم يصح في اللغة وهو مردود، راجع فتح القدير (٤/٥٤٩) زاد المسير (٧/٣٠٥).

(٢١٣) غريب القرآن (٣٩٦) القرطبي (١٦/٦٩) البحر المحيط (٨/٨) اللسان «جزء» فتح القدير (٤/٥٤٩).

الثالث: الأصنام، قاله ابن زيد.

وفي ﴿الْخِصَامِ﴾ وجهان:

أحدهما: في الحجة.

الثاني: في الجدل.

﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه عني قلة البلاغة، قاله السدي.

الثاني: ضعف الحجة، قال قتادة: ما حاجت امرأة إلا أوشكت أن تتكلم بغير حجتها.

الثالث: السكوت عن الجواب، قاله الضحاك وابن زيد ومن زعم أنها الأصنام.

قوله عزوجل: ﴿وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ إِنَاثاً﴾ في قوله ﴿عِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه سماهم عباده على وجه التكريم كما قال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾.

الثاني: أنه جمع عابد.

وفي قوله: ﴿إِنَاثاً﴾ وجهان:

أحدهما: أي بنات الرحمن.

الثاني: ناقصون نقص البنات.

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مشاهدتهم وقت خلقهم.

الثاني: مشاهدتهم بعد خلقهم حتى علموا أنهم إناث.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي ستكتب شهادتهم إن شهدوا ويسألون عنها إذا بعثوا.

أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

قوله عزوجل: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: على دين، قاله قتادة وعطية. ومنه قول قيس بن الخطيم[٢١٤]:

كـنـا عـلـى أمـة آبـائـنـا قـد يـقـتـدي الآخـر بـالأول

الثاني: على ملة وهو قريب من معنى الأول، قاله مجاهد وقطرب وفي بعض المصاحف ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَى مِلَّةٍ﴾.

الثالث: على قبلة، حُكي ذلك عن الفراء.

الرابع: على استقامة، قاله الأخفش، وأنشد النابغة[٢١٥]:

حـلفت فـلم أتـرك لنفسـك ريبـة وهـل يـأثَمن ذو أمـة[٢١٦] وهـو طـائـع

الخامس: على طريقة، قاله عمر بن عبد العزيز، وكان يقرأ ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ بكسر الألف والأمة الطريقة من قولهم أممت القوم. حكاه الفراء.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ قال قتادة متبعون. وحكى مقاتل أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وأبي سفيان، وأبي جهل، وعتبة، وشيبة ابني ربيعة من قريش.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ

(٢١٤) فتح القدير (٤/٥٥١) والشطر الثاني فيه: ونقتدي بالأوّل الأوّل وفي نسخة للمخطوطة يقتدي الآخر فالأول.

(٢١٥) ديوانه: ٣٥، فتح القدير (٤/٥٥١).

(٢١٦) وفي الديوان ذو إِمّة والأمة الدين والطريق المستقيمة.

مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ
قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ
ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا
سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً
وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ البراء مصدر موضع الوصف، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فكأنه قال إنني بريء.

﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ وهذا استثناء منقطع وتقديره: لكن الذي فطرني أي خلقني:

﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ وقيل فيه محذوف تقديره إلا الذي فطرني لا أبرأ منه(٢١٧) ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ قال ذلك ثقة بالله وتنبيهاً لقومه أن الهداية من ربه.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا إله إلا الله، لم يزل في ذريته من يقولها، قاله مجاهد، وقتادة.

الثاني: ألا تعبدوا إلا الله، قاله الضحاك.

الثالث: الإسلام، لقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ قاله عكرمة. وفي ﴿عَقِبِهِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: ولده، قاله عكرمة.

الثاني: في آل محمد ﷺ، قاله السدي.

الثالث: من خلفه، قاله ابن عباس.

---

(٢١٧) وفي المطبوعة لا أبرد منه وهو خطأ فاحش والصواب لا أبرأ منه.

﴿لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم.

الثاني: يتوبون، قاله ابن عباس.

الثالث: يذكرون، قاله قتادة.

الرابع: يرجعون إلى دينك الذي هو دين إبراهيم، قاله الفراء.

قوله عزوجل: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أما القريتان فإحداهما مكة والأخرى الطائف.

وأما عظيم مكة ففيه قولان:

أحدهما: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس.

الثاني: عتبة بن ربيعة، قاله مجاهد.

وأما عظيم الطائف ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه حبيب بن عمر الثقفي، قاله ابن عباس.

الثاني: [عمير] بن عبد ياليل، [الثقفي][*] قاله مجاهد.

الثالث: عروة بن مسعود، قاله قتادة.

الرابع: أنه كنانة [عبد][*] بن عمرو، قاله السدي.

قوله عزوجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ يعني النبوة فيضعوها حيث شاءوا.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني أرزاقهم، قال قتادة: فتلقاه ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له، وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: بالفضائل، فمنهم فاضل ومنهم مفضول، قاله مقاتل.

الثاني: بالحرية والرق، فبعضهم مالك وبعضهم مملوك.

الثالث: بالغنى والفقر، فبعضهم غني وبعضهم فقير.

الرابع: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(*) ما بين المربعين من تفسير القرطبي.

(*) زيادة من القرطبي.

الخامس: قاله السدي، التفضيل في الرزق إن الله تعالى قسم(٢١٨) رحمته بالنبوة كما قسم الرزق بالمعيشة.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني خدماً، قاله السدي.

الثاني: ملكاً، قاله قتادة.

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن النبوة خير من الغنى.

الثاني: أن الجنة خير من الدنيا.

الثالث: أن إتمام الفرائض خير من كثرة النوافل.

الرابع: أن ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم عليه من أعمالهم، قاله بعض أصحاب الخواطر.

قوله عزوجل: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على دين واحد كفاراً، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: على اختيار الدنيا على الدين، قاله ابن زيد.

﴿لَّجعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها أعالي البيوت، قاله قتادة، ومجاهد.

الثاني: الأبواب، قاله النقاش.

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن عباس: المعارج الدرج، وهو قول الجمهور واحدها معراج.

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي درج من فضة عليها يصعدون، والظهور الصعود، وأنشد: نابغة بني جعدة رسول الله ﷺ قوله(٢١٩):

علونا السماء عفة وتكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(٢١٨) ولا وجه لتخصيص الرفع بل يدخل فيه كل ما هو فاضل.

(٢١٩) الأغاني (٥/٨) وفيه بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وفي اللسان «ظهر» بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وفي القرطبي (١٦/٨٥) علونا السماء عزة ومهابة وفي فتح القدير (٤/٥٥٤) بلغنا السماء مجداً وفخراً وسؤدداً.

فغضب رسول الله ﷺ وقال «إلى أين»؟ قال: إلى الجنة.

قال: «أجل إن شاء الله» قال الحسن: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل؟

﴿وَزُخْرُفاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الذهب: قاله ابن عباس. وأنشد قطرب قول ذي الأصبع:

زخارف أشباهاً تخال بلوغها سواطع جمر من لظى يتلهب

الثاني: الفرش ومتاع البيت، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه النقوش، قاله الحسن.

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ
عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى
وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ
أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن
كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ
نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ
إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ
مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعرض، قاله قتادة.

الثاني: يعمى، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه السير في الظلمة، مأخوذ من العشو وهو البصر الضعيف، ومنه قول الشاعر (٢٢٠):

لنعم الفتى تعشو إلى ضوءِ ناره إذا الريحُ هبّت والمكان جديب

(٢٢٠) فتح القدير (٤/٥٥٦).

وفي قوله: ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: عن ذكر الله، قاله قتادة.

الثاني: عما بيّنه الله من حلال وحرام وأمر ونهي، وهو معنى قول ابن عباس.

الثالث: عن القرآن لأنه كلام الرحمـٰن، قاله الكلبي.

﴿نُقِيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نلقيه شيطاناً.

الثاني: نعوضه شيطاناً، مأخوذ من المقايضة وهي المعاوضة.

﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شيطان يقيض له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: هو أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار، قاله سعيد بن جبير.

قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرأ على التوحيد أبو عمرو(٢٢١)، وحمزة، والكسائي، وحفص، يعني ابن آدم، وقرأ الباقون ﴿جَاءَانَا﴾ على التثنية يعني ابن آدم وقرينه.

﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ هذا قول ابن آدم لقرينه وفي المشرقين قولان:

أحدهما: أنه المشرق، والمغرب فغلب أحدهما على الآخر، كما قيل سُنّة العمرين، كقول الشاعر(٢٢٢):

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

الثاني: أنه مشرق الشتاء ومشرق الصيف، كقوله تعالى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ، وفيه قولان:

---

(٢٢١) زاد المسير (٧/٣١٦) الحجة في القراءات ص ٦٥٠.

(٢٢٢) هو الفرزدق والبيت في ديوانه ٥١٩ والكامل ١٢٤ والطبري (٢٥/٧٤).

أحدهما: إما نخرجنك من مكة من أذى قريش فإنا منهم منتقمون بالسيف يوم بدر.

الثاني: فإما نقبض روحك إلينا فإنا منتقمون من أمتك فيما أحدثوا بعدك.

وروي أن النبي(٢٢٣) ﷺ أُرِي ما لقيت أمته بعده فما زال منقبضاً ما انبسط ضاحكاً حتى لقي الله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يعني القرآن ذكر لك [ولقومك](*) وفي ﴿لَذِكْرٌ﴾ قولان:

أحدهما: الشرف، أي شرف لك ولقومك، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه لذكر لك ولقومك تذكرون به أمر الدين وتعملون به، حكاه ابن عيسى.

﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من اتبعك من أمتك، قاله قتادة.

الثاني: لقومك من قريش فيقال: ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟: فيقال: من قريش، قاله مجاهد.

﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الشكر، قاله مقاتل.

الثاني: أنت ومن معك عما أتاك، قاله ابن جريج.

وحكى ابن أبي سلمة عن أبيه عن مالك بن أنس في قوله ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أنه قول الرجل حدثني أبي عن جدي.

قوله عز وجل: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

---

(٢٢٣) رواه الطبري (٢٥/ ٧٥) من مرسل قتادة وأورده السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٩).

وقال: قال قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾.

قال: قال أنس......

ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وعبد بن حميد. ولكني لم أره في الطبري في هذا الموضع والله أعلم.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

أحدها: يعني الأنبياء الذين جمعوا له ليلة الإسراء، قاله ابن عباس، وابن زيد، وكانوا سبعين نبياً منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فلم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم، قاله ابن عباس.

الثاني: أهل الكتابين التوراة والإنجيل، قاله قتادة، والضحاك، ويكون تقديره سل أمم(٢٢٤) من أرسلنا من قبلك من رسلنا.

الثالث: جبريل، ويكون تقديره. واسأل عما أرسلنا من قبلك من رسلنا، حكاه النقاش.

﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وسبب هذا الأمر بالسؤال أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ: إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك، فأمره الله بسؤالهم لا لأنه كان في شك منه(٢٢٥).

واختلف في سؤال النبي ﷺ لهم على قولين:

أحدهما: أنه سألهم، فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد، قاله الواقدي.

الثاني: أنه لم يسأل ليقينه بالله تعالى، حتى حكى ابن زيد أن ميكائيل قال لجبريل: هل سألك محمد ذلك؟ فقال جبريل: هو أشد إيماناً وأعظم يقيناً من أن يسألني عن ذلك.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا
هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ
ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

(٢٢٤) ونظير ذلك قوله.. ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول..﴾

ومعلوم أن معنى ذلك فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله لأن الرد إلى ذلك رد إلى الله ولرسوله راجع الطبري (٢٥/٧٨).

(٢٢٥) لكن لإقامة الحجة عليهم من واقع كتبهم ومن كلام أحبارهم ورهبانهم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ يَـٰأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا على وجه الاستهزاء، قاله الحسن.

الثاني: أنه يجري على ألسنتهم ما ألفوه من اسمه، قاله الزجاج.

الثالث: أنهم أرادوا بالساحر غالب السحرة، وهو معنى قول ابن بحر.

الرابع: أن الساحر عندهم هو العالم، فعظموه بذلك ولم تكن صفة ذم، حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ قال مجاهد: لئن أمنا لتكشف العذاب عنا، قال الضحاك، وذلك أن الطوفان أخذهم ثمانية أيام لا يسكن ليلاً ولا نهاراً.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾أي يغدرون وكان موسى دعا لقومه فأجيب فيهم فلم يفوا.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

قوله عزوجل :﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ في قَوْمِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معنى نادى أي قال، قاله أبو مالك.

الثاني: أمر من نادى في قومه، قاله ابن جريج.

﴿قَالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الإسكندرية، قاله مجاهد.

الثاني: أنه ملك منها أربعين فرسخاً في مثلها، حكاه النقاش.

﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كانت جنات وأنهاراً تجري من تحت قصره، قاله قتادة. وقيل من تحت سريره.

الثاني: أنه أراد النيل يجري من تحتي أي أسفل مني.

الثالث: أن معنى قوله: ﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي القواد والجبابرة يسيرون تحت لوائي، قاله الضحاك.

ويحتمل رابعاً: أنه أراد بالأنهار الأموال، وعبر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها وقوله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي أفرقها على من يتبعني لأن الترغيب والقدرة في الأموال في الأنهار.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أفلا تبصرون إلى قوتي وضعف موسى؟.

الثاني: قدرتي على نفعكم وعجز موسى.

ثم صرح بحاله فقال ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ قال السدي: بل أنا خير.

﴿مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي ضعيف، قاله قتادة.

الثاني: حقير، قاله سفيان.

الثالث: لأنه كان يمتهن نفسه في حوائجه، حكاه ابن عيسى.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي يفهم، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنه عيي اللسان، قاله قتادة.

الثاني: ألثغ، قاله، الزجاج.

الثالث: ثقيل اللسان لجمرة كان وضعها في فيه وهو صغير، قاله سفيان.

قوله عزوجل: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ[٢٢٦] مِّن ذَهَبٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك لأنه كان عادة الوقت وزي أهل الشرف.

الثاني: ليكون ذلك دليلاً على صدقه، والأساورة جمع أسورة، والأسورة جمع سوار.

---

(٢٢٦) وهذا على قراءة الجماعة غير حفص راجع الحجة (٩٥١).

﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ ٱلْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: متتابعين، قاله قتادة.

الثاني: يقارن بعضهم بعضاً في المعونة، قاله السدي.

الثالث: مقترنين أي يمشون معاً، قاله مجاهد.

وفي مجيئهم معه قولان:

أحدهما: ليكونوا معه أعواناً، قاله مقاتل.

الثاني: ليكونوا دليلاً على صدقه، قاله الكلبي. وليس يلزم هذا لأن الإعجاز كاف، وقد كان في الجائز أن يكذب مع مجيء الملائكة كما يكذب مع ظهور الآيات.

وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم.

قوله عز وجل: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: استفزهم بالقول فأطاعوه على التكذيب، قاله ابن زياد.

الثاني: حركهم بالرغبة فخفوا معه في الإجابة، وهو معنى قول الفراء.

الثالث: استجهلهم فأظهروا طاعة جهلهم، وهو معنى قول الكلبي.

الرابع: دعاهم إلى باطله فخفوا في إجابته، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أغضبونا، رواه الضحاك عن ابن عباس.

الثاني: أسخطونا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. ومعناهما مختلف، والفرق بينهما أن السخط إظهار الكراهة، والغضب إرادة الانتقام(٢٢٧).

والأسف هو الأسى على فائت. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه لما جعل هنا في موضع الغضب صح أن يضاف إلى الله لأنه قد يغضب(٢٢٨) على من عصاه.

(٢٢٧) نثبت لله صفة الغضب مع التنزيه لله. فإن الله تعالى يغضب غضباً يليق بذاته وجلاله فعلينا الإيمان بالصفة دون تعطيل أو تشبيه أو تحريف. وقد عرفناك مراراً مذهب السلف في ذلك وتقدم الكلام في سورة البقرة على صفة الغضب.

(٢٢٨) وهو الصواب كما سبق في التعليق السابق.

الثاني: أن الأسف راجع إلى الأنبياء(٢٢٩) لأن الله تعالى لا يفوته شيء، ويكون تقديره: فلما آسفوا رسلنا انتقمنا منهم.

قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً﴾ قرأ حمزة(٢٣٠)، والكسائي بضم السين واللام، وفيه تأويلان:

أحدهما: أهواء مختلفة، قاله ابن عباس.

الثاني: جمع سلف أي جميع من قد مضى من الناس، قاله ابن عيسى.

وقرأ الباقون بفتح السين واللام، أي متقدمين، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سلفاً في النار، قاله قتادة.

الثاني: سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ، قاله مجاهد.

الثالث: سلفاً لمثل من عمل مثل عملهم، قاله أبو مجلز.

﴿وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عظة لغيرهم، قاله قتادة.

الثاني: عبرة لمن بعدهم، قاله مجاهد.

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟
ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم
مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ
هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ
ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا

(٢٢٩) وهذا من التأويل الذي لا يدل عليه أي دليل فالصواب تفسير ابن عباس للأسف هنا بالغضب كما ذكره المؤلف في القول الأول.

(٢٣٠) الحجة في القراءات ٦٥٢.

﴿صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ الآية. فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ[٢٣١]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ إِنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ» فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً؟ فقد كان يعبد من دون الله، فنزلت.

الثاني: ما حكاه مجاهد أن قريشاً قالت: إن محمداً يريد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى، فنزلت.

الثالث: ما حكاه قتادة أن الله لما ذكر نزول عيسى في القرآن قالت قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ فنزلت هذه الآية.

الرابع: ما ذكره ابن عيسى أنه لما ذكر الله خلق عيسى من غير ذكر كآدم أكبرته قريش فنزلت هذه الآية، وضربه مثلاً أن خلقه من أنثى بغير ذكر كما خلق آدم من غير أنثى ولا ذكر ولذلك غلت فيه النصارى حين اتخذته إلّهاً.

﴿. . . يَصِدُّونَ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: بكسر الصاد.

والثانية: بضمها[٢٣٢] فاختلف أهل التفسير في اختلافهما على قولين:

أحدهما: معناه واحد وإن اختلف لفظهما في الصيغة مثل يشد ويشُد وينِم وينُم، فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أوجه:

أحدها: يضجون، قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك.

الثاني: يضحكون، قاله قتادة.

الثالث: يجزعون، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

---

(٢٣١) قال الهيثمي في المجمع (٧/١٠٤): رواه أحمد والطبراني بنحوه. . . وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح وزاد في الدر (٧/٣٨٥) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه. .

(٢٣٢) وهي قراءة ابن عامر ونافع والكسائي راجع الحجة ص ٦٥٢ وزاد المسير (٧/٣٢٤).

الرابع: يعرضون، قاله إبراهيم.

والقول الثاني: معناهما مختلف، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بالضم يعدلون. وبالكسر يتفرقون، قاله الحسن.

الثاني: أنه بالضم يعتزلون، وبالكسر يضجون، قاله الأخفش.

الثالث: أنه بالضم من الصدود، وبالكسر من الضجيج، قاله قطرب.

﴿وَقَالُواْ ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ وهذا قول قريش، قالوا: آلهتنا وهي أصنامهم التي يعبدونها خير ﴿أَمْ هُوَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أم محمد ﷺ، قاله قتادة.

الثاني: أم عيسى(٢٣٣)، قاله السدي.

﴿مَا ضَرَبُوه لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ قال السدي: هو قول قريش لرسول الله ﷺ تزعم كل شيء عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الخصم الحاذق بالخصومة.

الثاني: أنه المجادل بغير حجة.

قوله عزوجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ قال قتادة: يعني عيسى.

﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالنبوة.

الثاني: بخلقه من غير أب كآدم. وفيه وجه.

الثالث: بسياسة نفسه وقمع شهوته.

﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنه لبني إسرائيل، قاله قتادة.

الثاني: لتمثيله بآدم، قاله ابن عيسى.

قوله عز وجل ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً﴾ فيه وجهان:

---

(٢٣٣) والسياق يقتضي أرجحية هذا القول.

أحدهما: يعني لقلبنا بعضكم ملائكة من غير أب كما خلقنا عيسى من غير أب ليكونوا خلفاء من ذهب منكم.

الثاني: جعلنا بدلاً منكم ملائكة.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ملائكة يخلف بعضها بعضاً، قاله قتادة.

الثاني: ملائكة يكونون خلفاً منكم، قاله السدي.

الثالث: ملائكة يعمرون الأرض بدلاً منكم، قاله مجاهد.

الرابع: ملائكة يكونون رسلاً إليكم بدلاً من الرسل منكم.

قوله عزوجل: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن القرآن علم الساعة لما فيه من البعث والجزاء، قاله الحسن وسعيد بن جبير.

الثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى، قاله ابن إسحاق.

الثالث: أن خروج عيسى علم(٢٣٤) الساعة لأنه من علامة القيامة وشروط الساعة، قاله ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، والسدي.

وروى خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ(٢٣٥): «**الأَنبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُم شَتَّىٰ وَدِينُهُم وَاحِدٌ، أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ، إِنَّهُ لَيسَ بَينِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ نَازِلٍ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ(٢٣٦) وَيَقْتُلُ الخنزِيرَ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلَامِ**».

وحكى ابن عيسى عن قوم أنهم قالوا: إذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون

---

(٢٣٤) وهو الصواب وقد ورد فيه حديث مرفوع صحيح الإسناد رواه ابن حبان (١٧٥٨ ـ موارد) وهاك لفظه: نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة.

(٢٣٥) هذا الحديث مرسل من مرسلات الحسن وقد ورد موصولاً من حديث أبي هريرة. مرفوعاً بلفظ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوه لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد. رواه البخاري (١٦٧/٤) وبنحوه من حديث أبي هريرة رواه مسلم (٩٦/٧) وأبو داود بمعناه (٣٠٢/٤) وأحمد (٣١٩/٢، ٤٠٦، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤٦) والطيالسي (٨٤/٢).

(٢٣٦) وذلك فيما رواه البخاري (٤١٤/٤) (١٢١/٥) (٤٩٠/٦) ومسلم حديث رقم ١٥٥ في كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة.

رسولاً إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم. وهذا قول مردود(*) لثلاثة أمور: للحديث الذي قدمناه، ولأن بقاء الدنيا يقتضي بقاء التكليف فيها، ولأنه ينزل آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وليس يستنكر أن يكون أمر الله تعالى مقصوراً على تأييد الإسلام والأمر به والدعاء إليه.

وحكى مقاتل أن عيسى ينزل من السماء على ثنية جبل بأرض الشام يقال له أفيف.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تشكون فيها يعني الساعة. قاله يحيى بن سلام.

الثاني: فلا تكذبون بها، قاله السُدي.

﴿وَاتَّبِعُونِ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: القرآن صراط مستقيم إلى الجنة، قاله الحسن.

الثاني: عيسى، قاله ابن عباس.

الثالث: الإسلام، قاله يحيى.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه الإنجيل، قاله قتادة.

الثاني: أنه الآيات التي جاء بها من إحياء الموتى وإبراء الأسقام، والإخبار بكثير من الغيوب، قاله ابن عباس.

﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالنبوة، قاله السدي.

الثاني: بعلم ما يؤدي إلى الجميل ويكف عن القبيح، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أن الحكمة الإنجيل الذي أنزل عليه.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: تبديل التوراة، قاله مجاهد.

الثاني: ما تختلفون فيه من أمر دينكم لا من أمر دنياكم، حكاه ابن عيسى.

وفي قوله: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي كل الذي تختلفون فيه، فكان

(*) وفي نسبخه مرذول.

البعض هنا بمعنى الكل لأنه ما اقتصر على بيان بعض دون الكل، قاله الأخفش، وأنشد لبيد[٢٣٧]:

تـرّاك أمـكنـة إذا لـم أرضهـا ... أو يعتلق بعض النفوس حمامها

والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض.

الثاني: أنه بين لهم بعضه دون جميعه، ويكون معناه أبين لكم بعض ذلك أيضاً وأكلكم في بعضه إلى الاجتهاد، وأضمر ذلك لدلالة الحال عليه.

قوله عز وجل ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال قتادة يعني ﴿مِن بَيْنِهِم﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضاً، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: فرق النصارى من النسطورية واليعاقبة والملكية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت اليعاقبة هو الله. وقالت الملكية ثالث ثلاثة[٢٣٨] أحدهم الله، قاله الكلبي ومقاتل.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

(٢٣٧) الطبري (٢٥/ ٩٢) وشرح معلقات السبع للزوزني ص ١١٦ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ١٦٠.
(٢٣٨) وهذه الفرق الثلاثة كلها كفار.

قوله عز وجل: ﴿ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم أعداء في الدنيا، لأن كل واحد منهم زين للآخر ما يوبقه، وهو معنى قول مجاهد.

الثاني: أنهم أعداء في الآخرة مع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا لما رأوا سوء العاقبة فيها بالمقارنة، وهو معنى قول قتادة.

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين. وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش قد صبأ عقبة بن أبي معيط وقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه ففعل عقبة ذلك فنذر النبي ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً، وقتل أمية في المعركة، وفيهما نزلت هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: هم وأزواجهم المؤمنات في الدنيا.

الثاني: ومن يزوجون من الحور في الآخرة.

الثالث: هم وقرناؤهم في الدنيا.

وفي ﴿تُحْبَرُونَ﴾ ستة تأويلات:

أحدها: تكرمون(*)، قاله ابن عباس، والكرامة في المنزلة.

الثاني: تفرحون، قاله الحسن، والفرح في القلب.

الثالث: تتنعمون، قاله قتادة، والنعيم في البدن.

الرابع: تسرّون، قاله مجاهد، والسرور في العين.

الخامس: تعجبون، قاله ابن أبي نجيح، والعجب ها هنا درك ما يستطرف.

السادس: أنه التلذذ بالسماع، قاله يحيى بن أبي كثير.

قوله عزوجل: ﴿ . . وَأَكْوَابٍ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه الآنية المدورة الأفواه، قاله مجاهد.

الثاني: أنها ليست لها آذان، قاله السدي.

(*) وفي كثير من كتب التفسير نسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنه.

الثالث: أن الكـوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق: الطويل العنق الطويل العروة، قاله قتادة.

الرابع: أنها الأباريق التي لا خراطيم لها، قاله الأخفش.

الخامس: أنها الأباريق التي ليس لها عروة، قاله قطرب.

قوله عز وجل: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص[٢٣٩] ﴿تَشْتَهِيهِ﴾.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: ما تشتهي الأنفس ما تتمناه، وما تلذ الأعين هو ما رآه فاشتهاه.

الثاني: ما تشتهيه الأنفس هو ما كان طيب المخبر، وما تلذ الأعين ما كان حسن المنظر.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ﴾ هذا نداء أهـل النار لخـزانها حين ذاقـوا عذابها.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي يميتنا، طلبوا الموت ليستريحوا به مس عذاب النار.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ أي لابثون في عذابها أحياء، وفي مدة مـا بين ندائهم وجوابه أربعة أقاويل:

أحدها: أربعون سنة، قاله عبدالله بن عمرو.

الثاني: ثمانون سنة، قاله السدي.

الثالث: مائة سنة، قاله نوف.

(٢٣٩) الحجة في القراءات ص ٦٥٤.

الرابع: ألف سنة، قاله ابن عباس، لأن بعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أم أجمعوا على التكذيب فإنا مجمعون على الجزاء بالبعث، قاله قتادة.

الثاني: أم أحكموا كيداً فإنا محكمون لهم كيداً، قاله ابن زيد.

الثالث: قضوا أمراً فإنا قاضون عليهم بالعذاب، قاله الكلبي.

وقيل إن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين اجتمع وجوههم في دار الندوة يتشاورون في أمر النبي ﷺ حتى استقر رأيهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه، فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم عليهم اللعنة يوم بدر.

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ
سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول من يعبد الله ليس له ولد، قاله ابن زيد ومجاهد.

الثاني: معناه فأنا أول العابدين، ولكن لم يكن ولا ينبغي أن يكون، قاله قتادة.

الثالث: قل لم يكن للرحمن ولد وأنا أول الشاهدين بأن ليس له ولد. قاله ابن عباس.

الرابع: قل ما كان للرحمٰن ولد، وهذا كلام تام ثم استأنف فقال: فأنا أول العابدين أي الموحدين من أهل مكة، قاله السدي.

الخامس: قل إن قلتم إن للرحمٰن ولداً فأنا أول الجاحدين أن يكون له ولد، قاله سفيان.

السادس: إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول الآنفين أن يكون له ولد، قاله الكسائي وابن قتيبة، ومنه قول الفرزدق(٢٤٠):

أولئك آبائي فجئني بمثلهم وأعْبُدُ أن أهجو تميماً بدارم

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وهذا إبطال أن يكون غير الله إلَهاً وأن الإلَه هو الذي يكون في السماء إلَهاً وفي الأرض إلَهاً وليست هذه صفة لغير الله، فوجب أن يكون هو الإلَه

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: أنه الموحد في السماء والأرض. قاله مقاتل.

الثاني: أنه المعبود في السماء والأرض، قاله الكلبي.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه يذكر ذلك صفة لتعظيمه.

الثاني: أنه يذكره تعليلاً لإلاهيته لأنه حكيم عليم وليس في الأصنام حكيم عليم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: الشركة ومنه أخذت الشفعة في البيع لاستحقاق الشريك لها. ويكون معنى الكلام أن الذين يدعون من دون الله لا يملكون مع الله شركة يستحقون أن يكونوا بها آلهة إلا أن يشهدوا عند الله بالحق على من عليه حق أو له حق، وهذا معنى قول ابن بحر.

(٢٤٠) وأورده في فتح القدير (٤/٥٦٦) وفيه:

أولئك أحلاس فجئني بمثلهم واعبد أن أهجو كليباً بدارم

الثاني: أن الشفاعة استعطاف المشفوع إليه فيما يرجى، واستصفاحه فيما يخشى وهو قول الجمهور.

وقيل إن سبب نزولها ما حكي أن النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة، وهم أحق بالشفاعة لنا منه فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ﴾ معناه الذين يعبدونهم من دون الله وهم الملائكة الشفاعة لهم. وقال قتادة: هم الملائكة وعيسى وعزير لأنهم عبدوا من دون الله.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أن الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة، قاله الحسن.

الثاني: أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد أن لا إلَه إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم.

قوله عز وجل: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهي تقرأ على ثلاثة (٢٤١) أوجه بالنصب والجر والرفع.

فأما الجر فهي على قراءة عاصم وحمزة، وهي في المعنى راجعة إلى قوله تعالى ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وعلم قيلِه.

وأما الرفع فهو قراءة الأعرج، ومعناها ابتداء، وقيله، قيل محمد، يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. والقيل هو القول.

وأما النصب فهي قراءة الباقين من أئمة القراء، وفي تأويلها أربعة أوجه:

أحدها: بمعنى إلا من شهد بالحق وقال قيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، على وجه الإنكار عليهم، قاله ابن عيسى.

الثاني: أنها بمعنى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيلَه يا رب، قاله يحيى بن سلام.

---

(٢٤١) انظر لهذه القراءات زاد المسير (٧/٣٣٤، ٣٣٥) الحجة في القراءات ص ٦٥٥.

الثالث: بمعنى وشكا محمد إلى ربه قيله، ثم ابتداء فأخبر ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَـٰؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قاله الزجاج.

قوله عز وجل: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ قال قتادة: أمره بالصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم فصار الصفح منسوخاً بالسيف. ويحتمل الصفح عن سفههم أن يقابلهم عليه ندباً له إلى الحلم.

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أي قل ما تسلم به من شرهم، قاله ابن عيسى.

الثاني: قل خيراً بدلاً من شرهم؛ قاله السدي.

الثالث: أي احلم عنهم؛ قاله الحسن.

الرابع: أنه أمره بتوديعهم بالسلام ولم يجعله تحية لهم؛ حكاه النقاش.

الخامس: أنه عرفه بذلك كيف السلام عليهم؛ رواه شعيب بن الحباب.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: فسوف يعلمون حلول العذاب بهم.

الثاني: فسوف يعلمون صدقك في إنذارهم، والله أعلم.

سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني والقرآن المبين، فأقسم به، وفي قسمه بـ ﴿حمٓ﴾ وجهان من اختلافهم في تأويله.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن أنزله الله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

﴿فِي لَيلَةٍ مُّبارَكَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها ليلة النصف[٢٤٢] من شعبان؛ قاله عكرمة.

الثاني: أنها ليلة القدر.

(٢٤٢)هذا القول بعيد جداً قال الحافظ ابن كثير (٤/١٣٧) ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة فإن نص القرآن أنها في رمضان ا هـ وعلى هذا فإن الصواب هو القول الأول وعليه عامة المفسرين.

روى قتادة عن وائلة(٢٤٣) أن النبي ﷺ قال: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيلَةٍ مِن رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍ مَضَيْنَ مِن رَمَضانَ وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لِاثْنَتَي عَشْرَةَ مَضت مِن رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الإِنْجِيلُ لِثَمَانِيَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن رَمَضَانَ. وَأُنزِلَ القُرْآنُ لأَرْبعٍ وَعشرِينَ مِن رَمَضَانَ».

وفي تسميتها مباركة وجهان:

أحدهما: لما ينزل فيها من الرحمة.

الثاني: لما يجاب فيها من الدعاء.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ بالقرآن من النار.

ويحتمل: ثانياً: منذرين بالرسل من الضلال.

﴿فِيهَا﴾ في هذه الليلة المباركة.

﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وفي يفرق أربعة أوجه:

أحدها: يقضى، قاله الضحاك.

الثاني: يكتب، قاله ابن عباس.

الثالث: ينزل، قاله ابن زيد.

الرابع: يخرج، قاله ابن سنان.

وفي تأويل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: الآجال والأرزاق والسعادة والشقاء من السنة إلى السنة، قاله ابن عباس.

الثاني: كل ما يقضى من السنة إلى السنة، إلا الشقاوة والسعادة فإنه في أم الكتاب لا يغير ولا يبدل، قاله ابن عمر.

الثالث: كل ما يقضى من السنة إلى السنة إلا الحياة والموت، قاله مجاهد.

الرابع: بركات عمله من انطلاق الألسن بمدحه، وامتلاء القلوب من هيبته، قاله بعض أصحاب الخواطر.

الحكيم هنا هو المحكم. وليلة القدر باقية ما بقي الدهر، وهي في شهر رمضان

(٢٤٣) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب واثلة وقد تقدم تخريج هذا الحديث في سورة البقرة.

في العشر الأواخر منه. ولا وجه لقول من قال إنها رفعت بموت النبي ﷺ، ولا لقول من جوزها في جميع السنة لأن الخبر والأثر والعيان يدفعه. واختلف في محلها من العشر الأواخر من رمضان على أقاويل ذكرها في سورة القدر أولى.

قوله عز وجل: ﴿أَمْراً مِنْ عِندِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده، حكاه النقاش.

الثاني: أنه ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عباده، قاله ابن عيسى.

ويحتمل:

ثالثاً: أنه إرسال محمد ﷺ نبياً.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مرسلين الرسل للإنذار.

الثاني: منزلين ما قضيناه على العباد.

الثالث: مرسلين رحمة من ربك.

وفي ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هنا وجهان:

أحدهما: أنها نعمة الله ببعثة رسوله ﷺ.

الثاني: أنها رأفته بهداية من آمن به.

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بفعلهم.

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾
يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ
﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا
مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

قوله عز وجل: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ في ارتقب وجهان:

أحدهما: معناه فانتظر يا محمد بهؤلاء يوم تأتي السماء بدخان مبين، قاله قتادة.

الثاني: معناه فاحفظ يا محمد قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، ولذلك سمي الحافظ رقيباً، قال الأعشى(٢٤٤):

علـيّ رقـيـب لـه حـافظٌ فقـل في امـرىءٍ غِلقٍ مـرتهن

وفي قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لما دعا عليهم رسول الله ﷺ في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى، فقال(٢٤٥): «اللَّهُمَّ اكفِنِيهِم بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، قاله ابن مسعود. قال أبو عبيدة والدخان الجدب. وقال ابن قتيبة: سمي دخاناً ليبس الأرض منه حتى يرتفع منها الدخان.

الثاني: أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغيوم، قاله عبد الرحمن بن الأعرج.

الثالث: أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً(٢٤٦).

قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الدخان، قاله قتادة.

الثاني: الجوع: قاله النقاش.

الثالث: أنه الثلج وهذا لا وجه له لأن هذا إما أن يكون في الآخرة أو في أهل مكة، ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير أنه مقول فحكيناه.

قوله عزوجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أي عائدون إلى نار جهنم.

الثاني: إلى الشرك، قاله ابن مسعود. فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي ﷺ لهم عادوا إلى تكذيبه.

---

(٢٤٤) ديوانه: ١٩٠.

(٢٤٥) رواه البخاري (٨/ ٣٩٤، ٤٢٠، ٤٤٠) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٢٩) نسبته لسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل معاً والطبري (٢٥/ ١١١).

(٢٤٦) رواه ابن ابي حاتم كما في الدر (٢٥/ ٤٠٨).

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ والبطشة الكبرى هي العقوبة الكبرى، وفيها قولان:

أحدهما: القتل بالسيف يوم بدر، قاله ابن مسعود وأُبي بن كعب ومجاهد والضحاك.

الثاني: عذاب جهنم يوم القيامة، قاله ابن عباس والحسن.

ويحتمل:

ثالثاً: أنها قيام الساعة لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا.

﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي من أعدائنا. وفي الفرق بين النقمة والعقوبة ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العقوبة بعد المعصية لأنها من العاقبة، والنقمة قد تكون قبلها، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن العقوبة قد تكون في المعاصي، والنقمة قد تكون في خلقه لأجله.

الثالث: أن العقوبة ما تقدرت، والانتقام غير مقدر.

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ
عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ
ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ
﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ
مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي ابتليناهم.

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بن عمران عليه السلام. وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كريم على ربه، قاله الفراء.

الثاني: كريم في قومه.

الثالث: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح.

قوله عزوجل: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي أرسلوا معي بني إسرائيل ولا تستعبدوهم، قاله مجاهد.

الثاني: أجيبوا عباد الله خيراً، قاله أبو صالح.

الثالث: أدوا إليَّ يا عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله، وهذا محتمل.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أمين على أن أؤديه لكم فلا أتزيد فيه.

الثاني: أمين على ما أستأديه منكم فلا أخون فيه.

قوله عزوجل: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لا تبغوا على الله، قاله قتادة.

الثاني: لا تفتروا على الله، قاله ابن عباس، والفرق بين البغي والافتراء أن البغي بالفعل، والافتراء بالقول.

الثالث: لا تعظموا على الله، قاله ابن جريج.

الرابع: لا تستكبروا على عباد الله، قاله يحيى. والفرق بين التعظيم والاستكبار أن التعظيم تطاول المقتدر، والاستكبار ترفع المحتقر(٢٤٧).

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بعذر مبين، قاله قتادة.

الثالث: بحجة بينة، قاله يحيى.

قوله عزوجل: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لجأت إلى ربي وربكم.

الثاني: استغثت. والفرق بينهما أن الملتجىء مستدفع والمستغيث مستنصر.

(٢٤٧) وهذه الفروق التي يسوقها الإمام الماوردي رحمه الله من اللفتات الجميلة في تفسيره فرحمه الله.

قوله: ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أي ربي الذي هو ربكم.

﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالحجارة، قاله قتادة.

الثاني: أن تقتلوني، قاله السدي.

الثالث: أن تشتموني بأن تقولوا ساحر أو كاهن أو شاعر، قاله أبو صالح.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي إن لم تؤمنوا بي وتصدقوا قولي فخلوا سبيلي وكفوا عن أذاي.

قوله عز وجل: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: سمتاً، قاله ابن عباس.

الثاني: يابساً، قاله ابن أبي نجيح.

الثالث: سهلاً، قاله الربيع.

الرابع: طريقاً، قاله كعب والحسن.

الخامس: منفرجاً، قاله مجاهد.

السادس: غرقاً، قاله عكرمة.

السابع: ساكناً، قاله الكلبي والأخفش وقطرب. قال القطامي(٢٤٨):

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ولا الصدور على الأعجاز تتكل

قال قتادة: لما نجا بنو إسرائيل من البحر وأراد آل فرعون أن يدخلوه خشي نبي الله موسى عليه السلام أن يدركوه فأراد أن يضرب البحر حتى يعود كما كان فقال الله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً﴾ أي طريقاً يابساً حتى يدخلوه.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ قال مقاتل: هو النيل، وكان عرضه يومئذٍ فرسخين، قال الضحاك: كان غرقهم بالقلزم وهو بلد بين مصر والحجاز.

فإن قيل فليست هذه الأحوال في البحر من فعل موسى ولا إليه.

قيل يشبه أن يكون الله تعالى قد أعلمه أنه إنْ ضرب البحر بعصاه ثانية تغيرت أحواله، فأمره أن يكف عن ضربه حتى ينفذ الله قضاءه في فرعون وقومه.

(٢٤٨) اللسان«ها» وروح المعاني (٢٥/١٢٢).

وتأويل سهل بن عبد الله ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾ أي اجعل القلب ساكناً في تدبيري[٢٤٩] ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أي إن المخالفين قد غرقوا في التدبير.

قوله عزوجل: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الجنات البساتين. وفي العيون قولان:

أحدهما: عيون الماء، وهو قول الجمهور.

الثاني: عيون الذهب، قاله ابن جبير.

﴿وَزُرُوعٍ﴾ قيل إنهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها، وكانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعاً لما دبروه وقدروه من قناطر وجسور.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها المنابر، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد.

الثاني: المساكن، قاله أبو عمرو والسدي، لمقام أهلها فيها.

الثالث: مجالس الملوك لقيام الناس فيها.

ويحتمل رابعاً: أنه مرابط الخيل لأنها أكرم مذخور لعدة وزينة.

وفي الكريم ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الحسن، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: هو المعطي(*) لديه كما يعطي الرجل الكريم صلته، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنه كريم لكرم من فيه، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ في النعمة هنا أربعة أوجه:

أحدها: نيل مصر، قاله ابن عمر.

الثاني: الفيّوم، قاله ابن لهيعة.

الثالث: أرض مصر لكثرة خيرها، قاله ابن زياد.

الرابع: ما كانوا فيه من السعة والدعة.

وقد يقال نعمة ونِعمة بفتح النون وكسرها، وفي الفرق بينهما وجهان:

---

(٢٤٩) وهذا التأويل أشبه بالتأويل الباطني وقد أغنانا الله تعالى عن مثل هذه التأويلات وأشباهها.

(*) هكذا في الأصول والله أعلم.

أحدهما: أنها بكسر النون في الملك، وبفتحها في البدن والدين؛ قاله النضر بن شميل.

الثاني: أنها بالكسر من السنة وهو الإفضال والعطية، وبالفتح من التنعم وهو سعة العيش والراحة، قاله ابن زياد.

وفي ﴿فاكهين﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: فرحين، قاله السدي.

الثاني: ناعمين، قاله قتادة.

الثالث: أن الفاكه هو المتمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الآكل بأنواع الفاكهة، قاله ابن عيسى.

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿فَكِهِينَ﴾ ومعناه معجبين.

قوله عز وجل ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل ملكهم الله أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث.

قوله عزوجل: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن.

الثاني: أن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً؛ قاله مجاهد. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟

الثالث: أنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، قاله علي كرم الله وجهه. وتقديره فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض. وهو معنى قول سعيد بن جبير.

الرابع: ما رواه يزيد الرقاشي (٢٥٠) عن أنس بن مالك. قال: قال رسول

(٢٥٠) رواه الترمذي (٢/١٥٨) وأبو يعلى مطولاً كما في المجمع (٧/١٠٥) وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث قلت

الله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وله في السماء بابان، باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فبكيا عليه» ثم تلا هذه الآية.

وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كالمعروف من بكاء الحيوان ويشبه أن يكون قول مجاهد.

الثاني: أنه حمرة أطرافها، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعطاء.

وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد(٢٥١) قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أربعة أشهر، واحمرارها بكاؤها.

الثالث: أنها أمارة تظهر منها تدل على حزن وأسف. كقول الشاعر(٢٥٢):

والشمس طالعة ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مؤخرين بالغرق، قاله الكلبي.

الثاني: لم ينظروا بعد الآيات التسع حتى أغرقوا، قاله مقاتل.

وقد أعله الهيثمي في المجمع بموسى بن عبيدة فزادالسيوطي فيالدر (١١/٧) نسبته لابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والخطيب.

(٢٥١) هذا الأثر ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وقد رواه ابن أبي حاتم وساق سنده ابن كثير (١٤٢/٤، ١٤٣) وقال الحافظ ابن كثير (١٤٣/٤) بعد أن ذكر الأثر.. وذكروا «وذكروا أيضاً في مقتل الحسين رضي الله عنه أن ما قلب حجر يوْمئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمرّ الأفق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا أفضل منه بالإجماع ولم يقع شيءمن ذلك وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصوراً مظلوماً ولم يكن شيء من ذلك وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه ويوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته اهـ.

قلت وكلام الحافظ رحمه الله غاية في المتانة فرحمه الله وأجزل له العطاء.

(٢٥٢) هو جرير الشاعر يرثي عمر بن عبد العزيز والبيت في ديوانه: ٣٠٤ ومشكل القرآن ١٢٨ واللسان «بكى» وروح المعاني (١٢٤/٢٥).

والبيت في الديوان:

فالشمس كاسفة لست بطالعة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ معناه على علم منا بهم. وفي اختياره لهم ثلاثة أوجه:

أحدها: باصطفائهم لرسالته، والدعاء إلى طاعته.

الثاني: باختيارهم لدينه وتصديق رسله.

الثالث: بإنجائهم من فرعون وقومه.

وفي قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: على عالمي زمانهم، لأن لكل زمان عالماً، قاله قتادة.

الثاني: على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء. وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم(٢٥٣)، حكاه ابن عيسى.

قوله عز وجل ﴿وءَاتَيْنَاهُم مِّنَ ٱلآيَاتِ مَا فِيهِ بَلآَءٌ مُّبِينٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أنجاهم من عدوهم وفلق البحر لهم وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، قاله قتادة. ويكون هذا الخطاب متوجهاً إلى بني إسرائيل.

الثاني: أنها العصا ويده البيضاء، ويشبه أن يكون قول الفراء. ويكون الخطاب متوجهاً إلى قوم فرعون.

الثالث: أنه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به، قاله عبد الرحمن بن زيد. ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفريقين معاً من قوم فرعون وبني إسرائيل.

وفي قوله ﴿مَا فِيهِ بَلآَءٌ مُّبِينٌ﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: نعمة ظاهرة، قاله الحسن وقتادة كما قال تعالى ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلآَءً حَسَناً﴾. وقال زهير(٢٥٤):

فأبلاه خير البلاء الذي يبلو.

الثاني: عذاب شديد، قاله الفراء.

الثالث: اختيار بيِّن يتميز به المؤمن من الكافر، قاله عبد الرحمن بن زيد.

(٢٥٣) والقول الأول أرجح رجحه كثير من المفسرين.

(٢٥٤) فتح القدير (٤/٥٧٦).

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي بمبعوثين قيل: إن قائل هذا أبو جهل قال: يا محمد إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصيّ بن كلاب فإنه كان رجلاً صادقاً، لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات، لأن الإعادة إنما هي للجزاء لا للتكليف. فكأنه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف. وهو كقول قائل لو قال: إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء، فلم لا يرجع من مضى من الآباء.

قوله عز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أهم أظهر نعمة وأكثر اموالاً.

الثاني: أهم أعز وأشد أم قوم تبع.

وحكى قتادة أن تبعاً كان رجلاً من حِمير سار بالجيوش حتى عبر الحيرة وأتى سمرقند فهدمها. وحكي لنا أنه كان إذا كتب؛ كتب باسم الله الذي سما وملك براً وبحراً وضحاً وريحاً.

وروي عن عمرو بن رجاء عن سهل بن سعد الساعدي(٢٥٥) أن رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم. وحكى ابن قتيبة في المعارف(٢٥٦) شعراً ذكر أنه لتبع وهو:

---

(٢٥٥) رواه الطبري وابن مردويه كما في الدر (٧/ ٤١٥).

(٢٥٦) المعارف ص ٦٣٠ لابن قتيبة ولكن من البيت الثاني إلى الأخير فيه اختلاف وزيادة.

وهاك ما في المعارف:

وطلوعها بيضاء صافية ... وغروبها صفراء كالورس

تجري على كبد السماء كما ... يجري حمام الموت في النفس

اليوم نعلم ما يجيء به ... ومضى بفضل قضائه أمس

قال ابن قتيبة وبعض الرواة يذكرون أن هذا الشعر لأسقف نجران اهـ.

منح البقـاءَ تقلبُ الشمسِ ... وطلوعهـا من حيث لا تُمْسِي
وشـروقهـا بيضـاء صـافيـة ... وغـروبُها حمـراءَ كـالـورْسِ
وتـشـتـت الأهـواءِ أزعجـني ... سيـراً لأبلغ مـطلع الـشمسِ
ولـرب مـطعمـةٍ يعـود لـهـا ... رأي الـحليـم إلى شـفـا لبسِ

وفي تسميته تبعاً قولان:

أحدهما: لأنه تَبِعَ من قبله من ملوك اليمن كما قيل خليفة لأنه خلف من قبله.

الثاني: لأنه اسم لملوك اليمن.

وذم الله قومه ولم يذمه، وضرب بهم مثلاً لقريش لقربهم من دارهم، وعظمهم في نفوسهم، فلما أهلكهم الله ومن قبلهم ـ لأنهم كانوا مجرمين ـ كان من أجـرم مع ضعف اليد وقلة العدد أحرى بالهلاك.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غافلين، قاله مقاتل.

الثاني: لاهين، قاله الكلبي..

﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: للحق، قاله الكلبي.

الثاني: بقول الحق، قاله مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني يوم القيامة، وفي تسميته بيوم الفصل وجهان:

أحدهما: [إن الله] يفصل فيه أمور عباده.

الثاني: لأنه يفصل فيه بين المرء وعمله.

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ
﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟
فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ
﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلأَثِيمِ﴾ قد ذكرنا ما في الزقوم من الأقاويل، وهو في اللغة ما أُكِلَ بكرْه شديد. ولهذا يقال قد تزقم هذا الطعام تزقماً أي هو في حكم من أكله بكره شديد لحشو فمه وشدة شره.

وحكى النقاش عن مجاهد أن شجرة الزقوم (٢٥٧) أبو جهل.

وفي الأثيم وجهان:

أحدهما: أنه الآثم، قاله ابن عيسى.

الثاني: المشرك المكتسب للإثم، قاله يحيى.

قوله عز وجل: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: فجروه، قاله الحسن.

الثاني: فادفعوه، قاله مجاهد.

الثالث: فسوقوه، حكاه الكلبي.

الرابع: فاقصفوه كما يقصف الحطب، حكاه الأعمش:

الخامس: فردوه بالعنف، قاله ابن قتيبة. قال الفرزدق (٢٥٨):

ليس الكرام بناحليك أباهم … حتى ترد إلى عطية تعتل

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وسط الجحيم، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة.

الثاني: معظم الجحيم يصيبه الحر من جوانبها، قاله الحسن.

---

(٢٥٧) لعله يقصد أنها طعام الأثيم فإن المعروف أن شجرة الزقوم هي شجرة في النار تنبت في أصل الجحيم على ما أخبرنا ربنا.

(٢٥٨) فتح القدير (٤/٥٧٩) ديوانه: ٧٢٢، الطبري (٢٥/١٣٣).

قوله عز وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه أنك لست بعزيز ولا كريم، لأنه قال توعدني محمد، والله إني لأعز من مشى حبليها، فرد الله عليه قوله، قاله قتادة.

الثاني: أنك أنت العزيز الكريم عند نفسك، قاله قتادة أيضاً.

الثالث: أنه قيل له ذلك استهزاء على جهة الإهانة، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنك أنت العزيز في قومك، الكريم على أهلك حكاه ابن عيسى.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ
فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا
ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ
إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أمين من الشيطان والأحزان، قاله قتادة.

الثاني: أمين من العذاب، قاله الكلبي.

الثالث: من الموت، قاله مقاتل.

قوله عز وجل: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ فيهما ثلاثة أوجه:

أحدها: أن السندس الحرير الرقيق، والاستبرق الديباج الغليظ، قاله عكرمة.

الثاني: السندس يعمل بسوق العراق وهو أفخر الرقم، قاله يحيى، والاستبرق الديباج سمي استبرقاً لشدة بريقه، قاله الزجاج.

الثالث: أن السندس ما يلبسونه، والاستبرق ما يفترشونه.

وفي ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: متقابلين بالمحبة لا متدابرين بالبغضة، قاله علي بن عيسى.

الثاني: متقابلين في المجالس لا ينظر بعضهم قفا بعض، قاله مجاهد.

قوله عزوجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني القرآن. وفيه وجهان:

أحدهما: معناه جعلناه بلسانك عربياً.

الثاني: أطلقنا به لسانك تيسيراً.

﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يرجعون.

الثاني: يعتبرون.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فانتظر ما وعدتك من النصر عليهم. إنهم منتظرون بك الموت، حكاه النقاش.

الثاني: وانتظر ما وعدتك من الثواب فإنهم من المنتظرين لما وعدتهم من العقاب. والله أعلم.

سورة الجاثية

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

مكية كلها، في قول الحسن وعطاء وجابر وعكرمة، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية، وهي ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ﴾ يعني القرآن.

﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وفي إضافة التنزيل إليه في هذا الموضع وفي أمثاله وجهان:

أحدهما: افتتاح كتاب منه كما يفتتح الكاتب كتابه به.

الثاني: تعظيماً لقدره وتضخيماً لشأنه عليه في الابتداء بإضافته إليه.

قوله عز وجل: ﴿وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني اختلافهما بالطول والقصر.

الثاني: اختلافهما بذهاب أحدهما ومجيء الآخر.

﴿وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: المطر الذي ينبت به الزرع وتحيا به الأرض.

الثاني: ما قضاه في السماء من أرزاق العباد.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تصريفها بإرسالها حيث يشاء.

الثاني: ينقل الشمال جنوباً والجنوب شمالاً، قاله الحسن.

الثالث: أن يجعلها تارة رحمة وتارة نقمة؛ قاله قتادة.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ
لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الأفاك: الكذاب، قاله ابن جريج.

الثاني: أنه المكذب بربه.

الثالث: أنه الكاهن، قاله قتادة.

﴿يَسْمَعُ ءَآيَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيهِ﴾ يعني القرآن.

﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً﴾ فيه تأويلان:

أحدها: يقيم على شركه مستكبراً عن طاعة ربه، وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: أن الإصرار على الشيء العقد بالعزم عليه. وهو مأخوذ من صَرَّ الصُّرَّة إذا شدها، قاله ابن عيسى.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في عدم الاتعاظ بها والقبول لها.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال ابن جريج نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث(٢٥٩).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا ينالون نعم الله، قاله مجاهد.

الثاني: لا يخشون عذاب الله، قاله الكلبي ومقاتل.

الثالث: لا يطمعون في نصر الله في الدنيا ولا في الآخرة، قاله ابن بحر.

وفي المراد بأيام الله وجهان:

أحدهما: أيام إنعامه وانتقامه في الدنيا، لأنه ليس في الآخرة. وتكون الأيام وقتاً وإن تكن أياماً على الحقيقة.

وفي الكلام أمر محذوف فتقديره: قل للذين آمنوا إغفروا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله. الغفران ها هنا العفو وترك المجازاة على الأذى.

وحكى الكلبي أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من المشركين فهمَّ أن يبطش به، فلما نزل ذلك فيه كف عنه.

وفي نسخ هذه الآية قولان:

(٢٥٩) وقيل أبو جهل عليه لعنة الله قال الألوسي (٢٥/١٤٢) لكنها عامة كما هو مقتضى كل ويدخل من نزلت فيه دخولاً أولياً ا هـ.

أحدهما: أنها ثابتة في العفو عن الأذى في غير الدين.

الثاني: أنها منسوخة[٢٦٠]. وفيما نسخها قولان:

أحدهما: بقوله سبحانه ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ قاله قتادة.

الثاني: بقوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ قاله أبو صالح.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَءَاتَيناهم بيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذكر الرسول وشواهد نبوته.

الثاني: بيان الحلال والحرام، قاله السدي.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من بعد يوشع بن نون فآمن بعضهم وكفر بعضهم، حكاه النقاش.

الثاني: بعدما أعلمهم الله ما في التوراة.

﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طلباً للرسالة[٢٦١] وأنفة من الإذعان للصواب، حكاه ابن عيسى.

الثاني: بغياً على رسول الله ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوة وصفته، قاله الضحاك.

---

(٢٦٠) وهو قول الجمهور كما حكاه في زاد المسير (٧/٣٥٩).

(٢٦١) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب طلباً للرياسة.

الثالث: أنهم أرادوا الدنيا ورخاءها فغيروا كتابهم وأحلوا فيه ما شاؤوا وحرموا ما شاؤوا، قاله يحيى بن آدم.

قوله عز وجل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي على طريقة من الدين كالشريعة التي هي طريق إلى الماء، ومنه الشارع لأنه طريق إلى القصد.

وفي المراد بالشريعة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الدين، قاله ابن زيد، لأنه طريق للنجاة.

الثاني: أنها الفرائض والحدود والأمر والنهي، قاله قتادة لأنها طريق إلى الدين.

الثالث: أنها البينة، قاله مقاتل، لأنها طريق الحق.

الرابع: السنة، حكاه الكلبي لأنه يستنّ بطريقة من قبله من الأنبياء.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ أي اكتسبوا الشرك. قال الكلبي: الذين أريد بهم هذه الآية عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ قال الكلبي أريد بهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم.

قوله عزوجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، قاله ابن عباس.

الثاني: أفرأيت من جعل إلّهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهو به اتخذه إلّهاً، قاله عكرمة. قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر.

الثالث: أفرأيت من ينقاد لهواه انقياده لإلّهه ومعبوده تعجباً لذوي العقول من هذا الجهل.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: وجده ضالاً، حكاه ابن بحر.

الثاني: معناه ضل عن الله. ومنه قول الشاعر:

هبوني امرأً منكم اضلَّ بعيره   له ذمة إن الذمام كثير

أي ضل عنه بعيره.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وجهان:

أحدهما: على علم منه أنه ضال، قاله مقاتل.

الثاني: قاله ابن عباس أي في سابق علمه أنه سيضل.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ أي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ حتى لا يبصر الرشد.

ثم في هذا الكلام وجهان:

أحدهما: أنه خارج مخرج الخبر عن أحوالهم.

الثاني: أنه خارج مخرج الدعاء بذلك عليهم.

وحكى ابن جريج أنها نزلت في الحارث(٢٦٢) بن قيس من الغياطلة، وحكى الضحاك أنها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف.

وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ

(٢٦٢) قال العلامة الألوسي (١٥٢/٢٥) «وحكمها عام وفيها من ذم اتباع هوى النفس ما فيها».

بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ وهذا القول منهم إنكار للآخرة وتكذيب بالبعث وإبطال للجزاء.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه مقدم ومؤخر، وتقديره: نحيا ونموت. وهي كذلك في قراءة ابن مسعود.

الثاني: أنه على تربيته، وفي تأويله وجهان:

أحدهما نموت نحن ويحيا أولادنا، قاله الكلبي.

الثاني: يموت بعضنا.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وما يهلكنا إلا العمر، قاله قتادة. وأنشد قول الشاعر:

لكل أمر أتى يوماً له سبب ... والدهر فيه وفي تصريفه عجب

الثاني: وما يهلكنا إلا الزمان، قاله مجاهد.

وروى أبو هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار، والذي يهلكنا يميتنا ويحيينا، فنزلت هذه الآية.

الثالث: وما يهلكنا إلا الموت، قاله قطرب، وأنشد لأبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

الرابع: وما يهلكنا إلا الله، قاله عكرمة.

وروى الحسن قال(٢٦٣): قال رسول الله ﷺ: رجال يقولون: يا خيبة الدهر، يا

---

(٢٦٣) هذا الأثر من مرسلات الحسن ويغني عنه ما رواه مسلم (١٧٦٣/٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

ولكن اعلم أيها المسلم أن الدهر ليس من أسماء الله كما توهمه بعضهم بل المعنى أن الله هو فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات راجع صحيح مسلم بشرح النووي.

بؤس الدهر، لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل هو الدهر، وإنه يقبض الأيام ويبسطها.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الأمة أهل كل ملة. وفي الجاثية خمسة تأويلات:

أحدها: مستوفزة، قاله مجاهد. وقال سفيان: المستوفز الذي لا يصيب منه الأرض إلا ركبتاه وأطراف أنامله.

الثاني: مجتمعة، قاله ابن عباس.

الثالث: متميزة، قاله عكرمة.

الرابع: خاضعة بلغة قريش، قاله مؤرج.

الخامس: باركة على الركب، قاله الحسن.

وفي الجثاة قولان:

أحدهما: أنه للكفار خاصة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه عام للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب.

وقد روى سفيان بن عيينة عن(٢٦٤) عمرو بن عبدالله بن باباه أن النبي ﷺ قال: كأني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى حسابها، قاله يحيى بن سلام.

---

(٢٦٤) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عن عمرو عن عبد الله بن باباه والتصحيح من ابن كثير (١٥٢/٤).

والحديث رواه سعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر (١٢٨/٧).

الثاني: إلى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر، قاله الكلبي.

الثالث: إلى كتابها الذي أنزل على رسولها، حكاه الجاحظ.

قوله عزوجل: ﴿هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه القرآن يدلكم على ما فيه من الحق، فكأنه شاهد عليكم، قاله ابن قتيبة.

الثاني: أنه اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من سعادة وشقاء، خير وشر، قاله مقاتل، وهو معنى قول مجاهد.

الثالث: أنه كتاب الأعمال الذي يكتب الحفظة فيه أعمال العباد ويشهد عليكم بما تضمنه من صدق أعمالكم، قاله الكلبي.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني يكتب الحفظة ما كنتم تعملون في الدنيا، قاله علي رضي الله عنه ومن زعم أنه كتاب الأعمال.

الثاني: أنه الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوَّن عندها من أحوال العباد، قاله ابن عباس ومن زعم أن الكتاب هو اللوح المحفوظ.

الثالث: نستنسخ ما كتب عليكم الملائكة الحفظة، قاله الحسن لأن الحفظة ترفع إلى الخزنة صحائف الأعمال.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن
نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم
مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا

يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: اليوم نترككم في النار كما تركتم أمري، قاله الضحاك.

الثاني: اليوم نترككم من الرحمة كما تركتم الطاعة، وهو محتمل.

الثالث: اليوم نترككم من الخير كما تركتمونا من العمل، قاله سعيد بن جبير.

قوله عزوجل: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الكبرياء العظمة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه السلطان، قاله مجاهد.

الثالث: الشرف، قاله ابن زياد.

الرابع: البقاء والخلود.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

مكية في قول الجميع إلا رواية تشذ عن ابن عباس وقتادة أنها كذلك إلا آية منها مدنية وهي ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وقال الكلبي: بل هي ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه قُضِي نزول الكتاب من الله العزيز الحكيم، قاله النقاش.

الثاني: هذا الكتاب يعني القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، قاله الحسن.

قوله عز وجل: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: إلا بالصدق، قاله ابن إسحاق.

الثاني: إلا بالعدل، وهو مأثور.

الثالث: إلا للحق، قاله الكلبي.

الرابع: إلا للبعث، قاله يحيى.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أجل القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الأجل المقدور لكل مخلوق، وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قرأ الحسن وطائفة معه(٢٦٥)﴿أَوْ أَثْرَةٍ﴾ وفي تأويل ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ وهي قراءة الجمهور ثلاثة أوجه:

أحدها: رواية من علم، قاله يحيى.

الثاني: بقية، قاله أبو بكر بن عياش، ومنه قول الشاعر:(٢٦٦)

وذات أثارة أكلت عليها نباتاً في أكمته قفارا

أي بقية من شحم.

الثالث: أو علم تأثرونه عن غيركم، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: أو اجتهاد بعلم، لأن أثارة العلم الاجتهاد.

ويحتمل خامساً: أو مناظرة بعلم لأن المناظر في العلم مثير لمعانيه.

ومن قرأ ﴿أَوْ أَثْرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ ففي تأويله خمسة أوجه:

أحدها: أنه الخط، وقد رواه ابن عباس(٢٦٧) عن النبي ﷺ.

الثاني: ميراث من علم، قاله عكرمة.

الثالث: خاصة من علم، قاله قتادة.

الرابع: أو بقية من علم، قاله عطية.

الخامس: أثرة يستخرجه فيثيره، قاله الحسن.

---

(٢٦٥) زاد المسير (٧/٣٦٩).

(٢٦٦) هو الراعي والبيت في الطبري (٢٦/٣) خزانة الأدب (٤/٢٥١) اللسان «أثر» ونسبه للشماخ.

(٢٦٧) قال أبو بكر بن عياش الخط هو العيافة ونقله في زاد المسير (٧/٣٦٩) والحديث رواه أحمد (١/٢٢٦) وزاد السيوطي في الدر (٧/٤٣٤) نسبته لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ
فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ
ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٩﴾

قوله عزوجل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال ابن عباس: معناه لست بأول الرسل. والبدع الأول. والبديع من كل شيء المبتدع، وأنشد قطرب لعدي بن زيد(٢٦٨):

فــلا أنـا بــدع من حــوادث تعتــري ... رجـالاً غـدت من بعـد بؤسي بـأسعـد

﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا لا في الآخرة، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجتَ الأنبياء من قبلي، أو أُقتل كما قتل الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم، إنكم مصدقون أو مكـذبون، أو معـذبون أو مؤخـرون، قالـه الحسن:

الثاني: لا أدري ما يفعل بي ولابكم في الآخرة. وهذا قبل نزول ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآية. فلما نزل عليه ذلك عام الحديبية علم ما يفعل به في الآخرة وقال لأصحابه: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ ٱلدُّنْيَا جَمِيعِهَا» فلما تلاها قال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، قد بين الله ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى ﴿لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ﴾ الآية، قاله قتادة(٢٦٩).

الثالث: أن النبي ﷺ قال قبل الهجرة «لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَرْضاً أَخْرُجُ إِلَيْهَا مِن مَكَّةَ» فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة قالوا: يا رسول الله حتى متى نلقى هذا

(٢٦٨) الطبري (٢٦/٦) فتح القدير (٥/١٥).
(٢٦٩) رواه الطبري (٢٦/٧) مطولاً عن عكرمة والحسن البصري معاً.

البلاء؟ ومتى تخرج إلى الأرض التي رأيت؟ فقال ﷺ: « **مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُم، أَمُوتُ بِمَكَّةَ أَمْ نَخْرُجُ مِنهَا** » قال الكلبي.

الرابع: معناه قل لا أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به، قاله الضحاك.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله عزوجل: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ**﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به، قاله يحيى.

الثاني: إن كان محمد ﷺ نبياً من عند الله وكفرتم به، قاله الشعبي.

﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى مِثْلِهِ**﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه عبد الله بن سلام شهد على اليهود أن رسول الله ﷺ مذكور في التوراة، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد.

الثاني: أنه آمين بن يامين، قال لما أسلم عبد الله بن سلام: أنا شاهد مثل شهادته ومؤمن كإيمانه، قاله السدي.

الثالث: أن موسى مثل محمد ﷺ يشهد بنبوته، والتوراة مثل القرآن يشهد بصحته، قاله مسروق. ولم يكن في عبد الله بن سلام لأنه أسلم بالمدينة والآية مكية.

الرابع: هو من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة، قاله الشعبي.

الخامس: أنه موسى الذي هو مثل محمد صلى الله عليهما شهد على التوراة التي هي مثل القرآن، حكاه ابن عيسى.

﴿فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم عن الإيمان بمحمد ﷺ، قاله مسروق.

وفيه قولان:

أحدهما: فآمن عبد الله بن سلام برسول الله ﷺ وبالقرآن واستكبر الباقون عن الإيمان، قاله ابن عباس.

الثاني: فآمَن مَن آمن بموسىٰ وبالتوراة واستكبرتم أنتم عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، قاله مسروق. وحكىٰ النقاش أن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن هو وكفرتم.

وقال ابن عيسى: الكلام على سياقه ولكن حذف منه جواب إن كان من عند الله وفي المحذوف ثلاثة أوجه:

أحدها: تقديره: وشهد شاهد من بني إسرائيل فآمن، أتؤمنون؟ قاله الزجاج.

الثاني: تقدير المحذوف: فآمن واستكبرتم أفما تهلكون، قاله مذكور.

الثالث: تقدير المحذوف من جوابه: فمن أضل منكم إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

قوله عزوجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْكَانَ خيراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ وفي سبب نزول هذه الآية أربعة أقاويل:

أحدها: أن أبا ذر الغفاري دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام بمكة فأجاب واستجاب به قومه فأتاه زعيمهم فأسلم، ثم دعاهم الزعيم فأسلموا فبلغ ذلك قريشاً فقالوا: غفار الخلفاء لو كان خيراً ما سبقونا إليه» فنزلت، قاله أبو المتوكل.

الثاني: أن زنيرة أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها: أصابك اللات والعزى، فرد الله عليها بصرها، فقال عظماء قريش: لو كان ما جاء به محمد خير ما سبقتنا إليه زنيرة فنزلت، قاله عروة بن الزبير.

الثالث: أن الذين كفروا هم عامر وغطفان وأسد وحنظلة قالوا لمن أسلم من غفار وأسلم وغطفان وجهينة ومزينة وأشجع: لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقتنا إليه رعاة البهم. فنزلت، قاله الكلبي.

الرابع: أن الكفار قالوا: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه اليهود فنزلت هذه الآية، قاله مسروق.

وهذه المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه من أقبح المعارضات لانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم: لو كان ما أنتم عليه خيراً ما عدنا عنه، ولو كان تكذيبكم للرسول خيراً ما سبقتمونا إليه.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ﴾ يعني إلى الإيمان. وفيه وجهان:

أحدهما: وإذالم يهتدوا بمحمد ﷺ، قاله مقاتل.

الثاني: بالقرآن.

﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فسيقولون هذا القرآن كذب قديم، تشبيهاً بدين موسى القديم، تكذيباً بهما جميعاً.

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم، قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الثاني: ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثالث: على أداء فرائض الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الرابع: على أن أخلصوا له الدين والعمل، قاله أبو العالية.

الخامس: ثم استقاموا عليه فلم يرجعوا عنه إلى موتهم، رواه أنس مرفوعاً(٢٧٠).

﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِم﴾ يعني في الآخرة.

﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني عند الموت، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ

(٢٧٠) لم أعثر عليه والله أعلم.
وقد ورد في الحديث الصحيح أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني وأوجز قال له: قل آمنت بالله ثم استقم».

أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْه إحْسَاناً﴾ في قراءة أهل[٢٧١] الكوفة وقرأ الباقون حسناً. قال السدي: يعني براً.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة. وقرىء كرهاً بالضم[٢٧٢] والفتح. قال الكسائي والفراء في الفرق بينهما أن الكره بالضم ما حمل الإنسان على نفسه، وبالفتح ما حمل على غيره.

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ الفصال مدة الرضاع، فقدر مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، وكان في هذا التقدير قولان:

أحدهما: أنها مدة قدرت لأقل الحمل وأكثر الرضاع، فلما كان أكثر الرضاع أربعة وعشرين شهراً لقوله تعالى: ﴿حَولَينِ كَامِلَينِ لِمَنْ أَرادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] دل ذلك على أن مدة أقل الحمل ما بقي وهو ستة أشهر، فإن ولدته لتسعة أشهر لم يوجب ذلك نقصان الحولين في الرضاع، قاله الشافعي وجمهور الفقهاء.

الثاني: أنها مدة جمعت زمان الحمل ومدة الرضاع، فإن كانت حملته تسعة أشهر؛ أرضعته أحداً وعشرين شهراً، وإن كانت حملته عشرة أشهر أرضعته شهراً لئلا تزيد المدة فيهما عن ثلاثين شهراً، قاله ابن عباس.

﴿حَتَّى إذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وفي الأشد تسعة أقاويل:

أحدها: أنه البلوغ، قاله ابن مالك والشعبي وزيد بن أسلم.

الثاني: خمسة(*) عشر سنة، قاله محمد بن أويس.

الثالث: ثماني عشرة سنة، قاله ابن جبير.

الرابع: عشرون سنة، قاله سنان.

---

(٢٧١) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي زاد المسير (٣٧٦/٧).

(٢٧٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عمرو قال الفراء والنحويون يستحبون الضم ها هنا ويكرهون الفتح للعلة التي بيناها عن قوله «وهو كره لكم» راجع زاد المسير (٣٧٦/٧).

(*) هكذا في الأصول والصواب خمس عشرة.

الخامس: خمسة(*) وعشرون سنة، قاله عكرمة.

السادس: ثلاثون سنة، قاله السدي.

السابع: ثلاثة وثلاثون سنة، قاله ابن عباس.

الثامن: أربعة وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري.

التاسع: أربعون سنة، وهو قول عائشة، والحسن.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنها زمان الأشد، وهو قول من ذكرنا.

الثاني: لأنها زمان الاستواء، قال زيد بن أسلم: لم يبعث الله نبياً حتى يبلغ الأربعين.

وقال ابن زيد: وقوله تعالى لموسى ﴿وَٱسْتَوَىٰ﴾ قال بلغ أربعين سنة. وقال الشعبي: يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين سنة، وينتهي عقله لثمان وعشرين، فما زاد بعد ذلك فهو تجربة ويبلغ أشده لثلاث وثلاثين.

الثالث: لأنها أول عمر بعد تمام عمر، قال ابن قيس.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ قال سفيان معناه ألهمني.

قال ابن قتيبة: والأصل في الإيزاع هو الإغراء بالشيء، ويقال فلان موزع بكذا أي مولع به.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنعمت علي بالبر والطاعة، وأنعمت على والدي بالتحنن والشفقة.

الثاني: أنعمت عليَّ بالعافية والصحة، وعلى والديَّ بالغنى والثروة، وفي النعمة على كل واحد منهما نعمة على الآخر لما بينهما من الممازجة والحقوق الملتزمة.

وحكى أبو زهير عن الأعمش قال: سمعتهم يقولون إن الولد يأتيه رزقه من أربع خلال: يأتيه رزقه وهو في بطن أمه، ثم يولد فيكون رزقه في ثدي أمه، فإذا تحرك كان رزقه على أبويه، فإذا اجتمع وبلغ أشده جلس يهتم للرزق ويقول من أين يأتيني رزقي، فاختصت الأم بخلتين من خلال رزقه، واشترك أبوه في الثالثة، وتفرد هو

(*) كذا في الأصول والصواب خمس وعشرون.

بالرابعة، فذهب عنه الهم لما كان موكلاً إلى غيره، واهتم لما صار موكلاً إلى نفسه ليتنبه بذلك على التوكل على خالقه ليكون نقى لهمته وأقل لحيرته وأدرّ لرزقه، وليعلم أن لأمه عليه حقاً يعجز عن أدائه لما عانت من موارد رزقه ما عجز الخلق عن معاناته (٢٧٣).

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: في بر الوالدين.

الثاني: في ديني.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يدعو بإصلاحهم لبره وطاعته لإضافته ذلك إلى نفسه.

الثاني: أن يدعو بإصلاحهم لطاعة الله وعبادته وهو الأشبه، لأن طاعتهم لله من بره، ولأنه قد دعا بصلاح ذرية قد تكون من بعده.

وفيه لأصحاب الخواطر أربعة أوجه:

أحدها: قاله سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق.

الثاني: قاله أبو عثمان: اجعلهم أبراراً، أي مطيعين لك.

الثالث: قاله ابن عطاء وفقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم.

الرابع: قاله محمد الباقر رضي الله عنه: لا تجعل للشيطان والنفس والهوىٰ عليهم سبيلاً.

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: رجعت عن الأمر الذي كنت عليه.

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قاله مقاتل والكلبي.

الثاني: مرسلة نزلت على العموم، قاله الحسن.

قوله عزوجل: ﴿أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(٢٧٣) لله درك يا أعمش رحمك الله إن للوالدين حقاً ومكانةً وبراً لاسيما الأم اللهم اجعلنا ممن يبرون آبائهم ويحفظون عهدهم وودهم وارحمهما كما ربيانا صغاراً.

أحدها: أنهم إذا أسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم، قاله زيد بن أسلم يحكيه (٢٧٤) مرفوعاً.

الثاني: هو إعطاؤهم بالحسنة عشراً رواه أبو هلال.

الثالث: هي الطاعات لأنها الأحسن من أعماله التي يثاب عليها وليس في المباح ثواب ولا عقاب، حكاه ابن عيسى.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِم فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نتجاوز عن سيئاتهم بالرحمة.

الثاني: نتجاوز عن صغائرهم بالمغفرة.

الثالث: نتجاوز عن كبائرهم بالتوبة.

﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ وعد الصدق الجنة، الذي كانوا يوعدون في الدنيا على ألسنة الرسل.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾

قوله عزوجل: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لكُمَا أَتَعِدَانَنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾: أي أبعث.

﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ فلم يبعثوا. وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٧٥) الصديق وأمه أم رومان

(٢٧٤) رواه الطبري (٢٦/ ١٨) مرفوعاً من حديث ابن عباس ولفظه يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فإذا بقيت حسنة وسع الله له في الجنة.

(٢٧٥) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ١٥٩) هذا عام في كل من قال هذا ثم قال ومن زعم أنها في عبد الرحمن بن =

يدعوانه إلى الإسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عنه، وكان هذا منه قبل إسلامه، قاله السدي.

قال السدي: فلقد رأيت عبد الرحمن بن أبي بكر بالمدينة، وما بالمدينة أَعْبَدُ منه، ولقد استجاب الله فيه دعوة أبي بكر رضي الله عنه، ولما أسلم وحسن إسلامه، نزلت توبته في هذه الآية ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُواْ﴾.

الثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وكان يدعوه أبـواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله تعالى، قاله مجاهد.

الثالث: أنها نزلت في جماعة من الكفار قالوا ذلك لآبائهم ولذلك قال: ﴿أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ والعرب قد تذكر الواحد وتريد به الجمع وهذا معنى قول الحسن. فأما الـ ﴿أُفٍّ﴾ فهي كلمة تبرم يقصد بها إظهار السخط وقبح الـرد. قال الشاعر:

مـا يـذكـر الـدهـر إلا قلت أف لـه ... إذا لـقـيـتـك لـولا قـال لـي لاقـي

وفي أصل الأف والتف ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الأف وسخ الأذن، والتف وسخ الأنف.

الثاني: الأف وسخ الأظفار، والتف الذي يكون في أصول الأظافر.

الثالث: أن الأف العليل الأنف، والتف الإبعاد.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي يدعوان الله: اللهم اهده، اللهم اقبل بقلبه، اللهم اغفر له.

﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْـدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في الثواب على الإيمـان، والعقاب على الكفر.

قوله عزوجل: ﴿وَيَـوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّـذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّـارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فـي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: معناه أذهبتم طيباتكم في الآخرة بمعاصيكم في الدنيا.

الثاني: ألهتكم الشهوات عن الأعمال الصالحة.

= أبي بكر... فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه.

الثالث: أذهبتم لذة طيباتكم في الدنيا بما استوجبتموه من عقاب معاصيكم في الآخرة.

الرابع: معناه اقتنعتم بعاجل الطيبات في الدنيا بدلاً من آجل الطيبات في الآخرة.

وروى الحسن عن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: لأنا أعلم بخفض العيش، ولو شئت لجعلت أكباداً وأسنمة وصلاء وصناباً وسلائق، ولكن أستبقي حسناتي(٢٧٦)، فإن الله تعالى وصف قوماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ والصلاء، والشواء، والصناب الأصبغة والسلائق الرقاق العريض.

وقال ابن بحر فيه تأويل خامس: أن الطيبات: الشباب والقوة، مأخوذ من قولهم: ذهب أطيباه أي شبابه وقوته. ووجدت الضحاك قاله أيضاً.

﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالدنيا.

الثاني: بالطيبات.

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ قال مجاهد: الهون الهوان. قال قتادة بلغة قريش.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: تستعلون على أهلها بغير استحقاق.

الثاني: تتغلبون على أهلها بغير دين.

الثالث: تعصون الله فيها بغير طاعة.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تفسقون في أعمالكم بغياً وظلماً.

الثاني: في اعتقادكم كفراً وشركاً.

---

(٢٧٦) لك الله يا عمر فرضي الله عنك أين الملوك وأصحاب السلطان من فعل أمير المؤمنين أين أصحاب القصور من يتقلبون في الحرير ويقضون الأيام في اللهو واللعب ويزعمون أنهم مسلمون بل زاهدون بل خلفاء راشدون نسأل الله العافية.

۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)

قوله عزوجل: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ وهو هود بعث إلى عاد، وكان أخاهم في النسب لا في الدين لأنه مناسب وإن لم يكن أخا أحد منهم.

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ وهي جمع حقف، وهو ما استطال واعوج من الرمل العظيم، ولا يبلغ أن يكون جبلاً. ومنه قول العجاج: (٢٧٧)

بـات إلـى أرطـاة حـقـف أحـقـفـا ....

أي رمل مستطيل مشرق.

وفيما أريد بالأحقاف هنا خمسة أقاويل:

أحدها: أن الأحقاف رمال مشرقة كالجبال، قاله ابن زيد، وشاهده ما تقدم، وقال هي رمال مشرقة على البحر بالسحر في اليمن.

الثاني: أن الأحقاف أرض من حسمي تسمى الأحقاف، قاله مجاهد.

الثالث: أنه جبل بالشام يسمى الأحقاف، قاله الضحاك.

الرابع: هو ما بين عمان وحضرموت، قاله ابن إسحاق.

الخامس: هو واد بين عُمان ومهرة، قاله ابن عباس.

وروى أبو الطفيل عن علي كرم الله وجهه أنه قال: خير واد بين في الناس واد بمكة، وواد نزل به آدم بأرض الهند، وشر واديين في الناس وادي الأحقاف، ووادٍ

(٢٧٧) الطبري (٢٦/٢٣) واللسان حقف.

بحضرموت يدعى برهوت(٢٧٨) تلقى فيه أرواح الكفار، وخير بئر في الناس بئر زمزم، وشر بئر في الناس بئر برهوت وهي ذلك الوادي بحضرموت.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي قد بعث الرسل من قبل هود ومن بعده، قال الفراء: من بين يديه من قبله، ومن خلفه من بعده وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعدِهِ﴾.

قوله عزوجل: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لتزيلنا عن عبادتها بالإفك.

الثاني: لتصدنا عن آلهتنا بالمنع، قاله الضحاك.

قوله عزوجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ يعني السحاب. وأنشد الأخفش لأبي كبير الهذلي:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المنهال

وفي تسميته عارضاً ثلاثة أقاويل:

أحدها: لأنه أخذ في عرض السماء، قال ابن عيسى.

الثاني: لأنه يملأ آفاق السماء، قال النقاش.

الثالث: لأنه مار من السماء. والعارض هو المار الذي لا يلبث وهذا أشبه.

﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ حسبوه سحاباً يمطرهم، وكان المطر قد أبطأ عليهم.

﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كانوا حين أوعدهم هود استعجلوه استهزاء منهم بوعيده، فلما رأوا السحاب بعد طول الجدب أكذبوا هوداً وقالوا: هذا عارض ممطرنا.

ذكر أن القائل ذلك من قوم عاد، بكر بن معاوية. فلما نظر هود إلى السحاب قال: بل هو ما استعجلتم به، أي الذي طلبتم تعجيله ريح فيها عذاب أليم وهي الدبور.

---

(٢٧٨) وقد ورد فيه حديث مرفوع ولفظه «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام يصبح يتدفق ويمسي لا بلال بها» رواه الطبراني وغيره وحسنه الشيخ الألباني رقم ١٠٥٦ السلسلة الصحيحة.
أما أثر علي هذا فقد رواه ابن ابي حاتم كما في الدر (٤٤٨/٧).

وروي عن ابن عباس (٢٧٩) أن النبي ﷺ قال: «**نُصِرْتُ بِالصبا وأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**».

فنظر بكر بن معاوية إلى السحاب فقال: إني لأرى سحاباً مُرْمِداً، لا يدع من عَادٍ أحداً. فذكر عمرو بن ميمون أنها كانت تأتيهم بالرجل الغائب حتى تقذفه في ناديهم.

قال ابن اسحاق: واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هو ومن معه فيها إلا ما يلين على الجلود وتلتذ الأنفس به، وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض.

وحكى الكلبي أن شاعرهم قال في ذلك:

فدعا هود عليهم ... دعوة أضحوا همودا
عصفت ريح عليهم ... تركت عاداً خمودا
سخرت سبع ليال ... لم تدع في الأرض عودا

وعمَّر هود في قومه بعدهم مائة وخمسين سنة.

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيما لم نمكنكم فيه، قاله ابن عباس.

الثاني: فيما مكناكم فيه وإن هنا صلة زائدة.

---

(٢٧٩) رواه مسلم (٩٠٠) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنه والصبا ريح ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار والدبور هي الريح الغربية التي تقابل الصبا.

ويحتمل ثالثاً: وهو أن تكون ثابتة غير زائدة ويكون جوابها مضمراً محذوفاً ويكون تقديره: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد.

ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً﴾ الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما: أننا جعلنا لهم من حواس الهداية ما لم يهتدوا به.

الثاني: معناه جعلنا لهم أسباب الدفع ما لم يدفعوا به عن أنفسهم.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِذ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفراً مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم صرفوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى صرفوا عنه إلا عند مبعث النبي ﷺ، فقالوا: ما هذا الذي حدث في الأرض؟ فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عائداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر، فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي ويقتدي به أصحابه، فرجعوا إلى قومهم فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً، قاله ابن عباس (٢٨٠).

وحكى عكرمة أن السورة التي كان يقرأها ببطن نخلة ﴿آقرأْ بِـآسِمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

وحكى ابن عباس كان يقرأ في العشاء ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾.

(٢٨٠) رواه البخاري (٢/٢١٠)(٥١٣/٨) ومسلم (٣٣/١)، والترمذي (٣٣٢٣) والحاكم (٥٠٣/٢) وأحمد (٢٥٢/١) وزاد السيوطي في الدر (٢٧٠/٦) نسبته لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل.

الثاني: أنهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق هداية من الله لهم حتى أتوا نبي الله ببطن نخلة.

وفيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم جن من أهل نصيبين، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم من أهل نينوى، قاله قتادة.

الثالث: أنهم من جزيرة الموصل، قاله عكرمة.

الرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد.

واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل، قاله عكرمة.

الثاني: أنهم كانوا تسعة أحدهم زوبعة، قاله زر بن حبيش.

الثالث: أنهم كانوا سبعة: ثلاثة من أهل نجران وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم حسى ومسى وشاصر وناصر(*) والأردن وأنيان والأحقم، قاله مجاهد.

واختلف في علم النبي ﷺ بهم على قولين:

أحدهما: أنه ما شعر بهم رسول الله ﷺ حتى أوحى الله إليه فيهم وأخبره عنهم، قاله ابن عباس، والحسن.

الثاني: أن الله قد كان أعلمه بهم قبل مجيئهم.

روى شعبة عن قتادة أن نبي(٢٨١) الله ﷺ قال: «**إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى الْجِنِّ فَأَيُّكُم يَتْبَعُنِي؟**» فأطرقوا فاتبعه ابن مسعود فدخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود ليثبته بذلك، قال عكرمة: وقال لابن مسعود: «**لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ**» فلما خشيهم ابن مسعود كاد أن يذهب فذكر قول النبي ﷺ فلم يبرح، فقال له النبي ﷺ: «**لَوْ ذَهَبْتَ مَا التَقَيْنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

ولما توجه رسول الله ﷺ إليهم تلا عليهم القرآن وقضى بينهم في قتيل منهم.

(*) وفي نسخه باصر

(٢٨١) رواه الطبري مطولاً (٢٦/٣١) ولكن من طريق سعيد عن قتادة على كل حال فهو حديث مرسل وقد ورد من حديث ابن مسعود بنحوه مطولاً مع اختلاف يسير في ألفاظه رواه مسلم (١/٣٣٢) وأحمد (٤١٤٩) وغيرهم.

وروى قتادة عن(٢٨٢) ابن مسعود أنهم سألوه الزاد فقال: «**كُلُّ عَظْمٍ لَكُم عِرْقٌ، وَكُلُّ رَوْثَةٍ لَكُم خَضِرَةٌ**» فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا، فنهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بأحدهما.

روى عبد الله بن عمرو بن غيلان(٢٨٣) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ وَفْدَ الجِنِّ سَأَلُونِي ٱلمَتَاع، ـ وَالمَتَاعُ: الزَّادُ ـ فَمَتَّعْتُهُم بِكُلِّ عَظْمٍ حَائِلٍ وَبَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ**». فقلت: يا رسول الله وما يغني عن ذلك عنهم؟ فقال: «**إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة ولا بعرة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت، فلا يستنجين أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة**».

﴿**فَلَمَّا حَضَرُوه قَالُواْ أَنصِتُواْ**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فلما حضروا قراءة القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا لسماع القرآن.

الثاني: لما حضروا رسول الله ﷺ قالوا أنصتوا لسماع قوله.

﴿**فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين برسول الله ﷺ، قال الكلبي: مخوفين، قاله الضحاك.

الثاني: فلما فرغ من قراءة القرآن ولوا إلى قومهم منذرين، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

قوله عزوجل: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ**﴾ أي نبي الله يعني محمداً ﷺ.

﴿**وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ**﴾ أي نبي الله يعني محمداً ﷺ.

﴿**فَلَيسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ أي سابق لله فيفوته هرباً.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

---

(٢٨٢) تقدم تخريجه في الذي سبق.

(٢٨٣) رواه الطبري (٢٦/٣٢) ولكن فيه «فلا يستنقين» ولعل المؤلف هنا أورده بالمعنى كما هو في كثير من الأحيان وقد مر بك من ذلك شيء غير يسير.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿٣٤﴾

قوله عز وجل: ﴿فَاصْبِر كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِن الرُّسُلِ﴾ فيهم ستة أوجه:

أحدها: أن أولي العزم من الرسل الذين أمروا بالقتال من الأنبياء، قاله السدي والكلبي.

الثاني: أنهم العرب من الأنبياء، قاله مجاهد والشعبي.

الثالث: من لم تصبه فتنة من الأنبياء، قاله الحسن.

الرابع: من أصابه منهم بلاء بغير ذنب، قاله ابن جريج.

الخامس: أنهم أولوا العزم، حكاه يحيى.

السادس: أنهم أولوا الصبر الذين صبروا على أذى قومهم فلم يجزعوا.

وروت عائشة عن(٢٨٤) النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل لم يرض عن أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على مخبوئها**».

وفي أولي العزم منهم ستة أقاويل:

أحدها: أن جميع الأنبياء أولوا العزم، ولم يبعث الله رسولاً إلا كان من أولي العزم. فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا، قاله ابن زيد.

الثاني: أن أولي العزم منهم نوح وهود وإبراهيم، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم، قاله أبو العالية.

الثالث: أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، قاله ابن عباس.

الرابع: أنهم نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى، قاله عبد العزيز.

الخامس: أنهم إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، قاله السدي.

---

(٢٨٤) رواه ابن أبي حاتم والديلمي كما في الدر (٧/٤٥٤) والمؤلف قد اقتصر على جزء منه وسند الحديث ضعيف لأن فيه مجالد بن سعيد وهو ليس بالقوي.

السادس: أن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم، قاله ابن جريج.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالدعاء عليهم، قاله مقاتل.

الثاني: بالعذاب وهذا وعيد.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من العذاب، قاله يحيى.

الثاني: من الآخرة، قاله النقاش.

﴿لَمْ يَلْبَثُواْ إِلَّا سَاعَةً مِن نَّهَارٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الدنيا حتى جاءهم العذاب، وهو مقتضى قول يحيى.

الثاني: في قبورهم حتى بعثوا للحساب، وهو مقتضى قول النقاش.

﴿بَلَاغٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك اللبث بلاغ، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن هذا القرآن بلاغ، قاله الحسن.

الثالث: أن هذا الذي وصفه الله بلاغ، وهو حلول ما وعده إما من الهلاك في الدنيا أو العذاب في الآخرة على ما تقدم من الوجهين.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ يعني بعد هذا البلاغ.

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ قال يحيى: المشركون.

وذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم أحد، فأمره الله أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولوا العزم من الرسل تسهيلاً عليه وتثبيتاً له. والله أعلم.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

مدنية في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا: إلا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج (عليه السلام) من مكة جعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه. فنزل عليه: ﴿وكأيّن مّن قرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قرْيَتِكَ﴾ الآية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني كفروا بتوحيد الله.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الله وهو الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه، قاله السدي.

الثاني: عن بيت الله يمنع قاصديه إذا عرض رسول الله ـﷺـ عليهم الإسلام أن يدخلوا فيه، قاله الضحاك.

﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أحبط ما فعلوه من الخير بما أقاموا عليه من الكفر.

الثاني: أبطل ما أنفقوا ببدر لما نالهم من القتل.

الثالث: أضلهم عن الهدى بما صرفهم عن التوفيق.

وحكى مقاتل بن حيان أن هذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً من كفار مكة، ذكر النقاش أنهم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البختري وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الأنصار، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها نزلت خاصة في ناس من قريش، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: المواساة بمساكنهم وأموالهم، وهذا قول من زعم أنهم الأنصار.

الثاني: الهجرة وهذا قول من زعم أنهم قريش.

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أي آمنوا بمحمد ﷺ وبما أنزل عليه من القرآن.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن إيمانهم هو الحق من ربهم.

الثاني: أن القرآن هو الحق من ربهم.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سترها عليهم.

الثاني: غفرها بإيمانهم.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أصلح شأنهم(*)، قاله مجاهد.

الثاني: أصلح حالهم، قاله قتادة.

الثالث: أصلح أمرهم، قاله ابن عباس، والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم.

(*) وفي نسخة أصلح قلبهم.

الرابع: أصلح نياتهم. حكاه النقاش، ومنه قول الشاعر [٢٨٥]:

فإن تقبلي بالود أقبل بمثله   وإن تدبري أذهب إلى حال باليا

وهو على هذا التأويل محمول على إصلاح دينهم، والبال لا يجمع لأنه أبهم إخوانه من الشأن والحال والأمر.

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَاطِلَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الباطل الشيطان، قاله مجاهد.

الثاني: إبليس، قاله قتادة، وسُمِّي بالباطل لأنه يدعو إلى الباطل.

ويحتمل ثالثاً: أنه الهوىٰ.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اتبعوا الرسول، لأنه دعاهم إلى الحق وهو الإسلام.

الثاني: يعني القرآن سمي حقاً لمجيئه بالحق.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ قال يحيى: صفات أعمالهم، وفي الناس هنا قولان:

أحدهما: أنه محمد ﷺ، قال الكلبي.

الثاني: جميع الناس، قاله مقاتل.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيهم هنا قولان:

(٢٨٥) فتح القدير (٥/٣٠).

أحدهما: أنهم عبدة الأوثان، قاله ابن عباس.

الثاني: كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة.

وفي قوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ وجهان:

أحدهما: ضرب أعناقهم صبراً عند القدرة عليهم.

الثاني: أنه قتلهم بالسلاح واليدين، قاله السدي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ يعني بالإثخان الظفر، وبشد الوثاق الأسر.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ في المَنّ هنا قولان:

أحدهما: أنه العفو والإطلاق كما من رسول الله ﷺ على ثمامة بن أثال بعد أسره.

الثاني: أنه العتق، قاله مقاتل.

فأما الفداء ففيه وجهان:

أحدهما: أنه المفاداة على مال يؤخذ من أسير يطلق، كما فادى رسول الله ﷺ في بدر كل أسير بأربعة آلاف درهم، وفادى في بعض المواطن رجلاً برجلين.

الثاني: أنه البيع، قاله مقاتل.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن أوزار الحرب أثقالها، والوزر الثقل ومنه وزير الملك لأنه يتحمل عنه الأثقال، وأثقالها السلاح.

الثاني: هو [وضع][*] سلاحهم بالهزيمة أو الموادعة، قال الشاعر[٢٨٦]:

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالاً وخيلاً ذكورا

الثالث: حتى تضع الحرب أوزار كفرهم بالإسلام، قاله الفراء.

الرابع: حتى يظهر الإسلام على الدين كله، وهو قول الكلبي.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

(٢٨٦) هو الأعشى والبيت في ديوانه ٩٩ وغريب القرآن ٤٠٩ والقرطبي (١٦/ ٢٢٩) واللسان «وزر» وروح المعاني (٢٦/ ٤١).

الخامس: حتى ينزل عيسى ابن مريم، قاله مجاهد.

ثم في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، [الأنفال: ٥٧] قاله قتادة.

الثاني: أنها ثابتة الحكم(٢٨٧)، وأن الإمام مخير في من أسره منهم بين أربعة أمور: أن يقتل لقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، أو يسترق لأن رسول الله ﷺ استرق العقيلي، أو يَمُنَّ كما مَنَّ على ثمامة، أو يفادي بمال أو أسرى، فإذا أسلموا أسقط القتل عنهم وكان في الثلاثة الباقية على خياره، وهذا قول الشافعي.

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالملائكة، قاله الكلبي.

الثاني: بغير قتال، قاله الفراء.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قراءة أبي عمرو(٢٨٨) وحفص، قال قتادة: هم قتلى أحد. وقرأ الباقون ﴿قَاتَلُوا۟﴾.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يحق لهم الهداية، قاله الحسن.

الثاني: يهديهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر(٢٨٩)، قاله زياد.

الثالث: يهديهم إلى طريق الجنة، قاله ابن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: عرفها بوصفها على ما يشوق إليها، حكاه ابن عيسى.

الثاني: عرفهم ما لهم فيها من الكرامة، قاله مقاتل.

الثالث: معنى عرفها أي طيبها بأنواع الملاذ، مأخوذ من العرف وهي الرائحة الطيبة، قاله بعض أهل اللغة.

الرابع: عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يسألون عنها، قاله مجاهد. قال الحسن:

---

(٢٨٧) ورجحه الطبري (٤٢/٢٦) وإليه ذهب عامه العلماء كما في زاد المسير (٣٩٧/٧).

(٢٨٨) زاد المسير (٣٩٧/٧) والحجة في القراءات ص ٦٦٦.

(٢٨٩) والأولى عدم التخصيص بنوع من أنواع الهداية والصواب أن الهداية تعم كل نوع.

وصف الجنة لهم في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها.

ويحتمل خامساً: أنه عرف أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها.

قولهعز وجل: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن تنصروادين الله ينصركم الله. الثاني: إن تنصروا نبي الله ينصركم الله، قاله قطرب.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ويثبت أقدامكم في نصره.

الثاني: عند لقاء عدوه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: يعني تثبيت الأقدام بالنصر.

الثاني: يريد تثبيت القلوب بالأمن.

قوله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْساً لَّهُمْ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: خزياً لهم، قاله السدي.

الثاني: شقاء لهم، قاله ابن زيد.

الثالث: شتماً لهم من الله، قاله الحسن.

الرابع: هلاكاً لهم، قاله ثعلب.

الخامس: خيبة لهم، قاله ابن زياد.

السادس: قبحاً لهم، حكاه النقاش.

السابع: بعدائهم، قاله ابن جريج.

الثامن: رغماً لهم، قاله الضحاك.

التاسع: أن التعس الانحطاط والعثار، حكاه ابن عيسى.

۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ

أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكم من قرية، وأنشد الأخفش للبيد(٢٩٠):

وكائن رأينا من ملوك وسوقة ... ومفتاح قيد للأسير المكبل

فيكون معناه: وكم من أهل قرية.

﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ أي أهلها أشد قوة.

﴿مِّن قَرْيَتِكَ﴾ يعني مكة.

﴿ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ أي أخرجك أهلها عند هجرتك منها.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني بالعذاب.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يعني فلا مانع لهم منا، وهذا وعيد.

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

قوله عزوجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه القرآن، قال ابن زيد.

الثاني: أنه محمد ﷺ، قاله أبو العالية، والبينة الوحي.

الثالث: أنهم المؤمنون، قاله الحسن، والبينة معجزة الرسول.

الرابع: أنه الدين، قاله الكلبي.

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عبادتهم الأوثان، قاله الضحاك.

الثاني: شركهم، قاله قتادة. وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم كافة المشركين.

(٢٩٠) فتح القدير (٥/٣٤) وقال: قال الوليد وهو خطأ والصواب لبيد.

الثاني: أنهم الإثنا عشر رجلاً من قريش.

وفيمن زينه لهم قولان:

أحدهما: الشيطان.

الثاني: أنفسهم.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه نعت لمن زين له سوء عمله.

الثاني: أنهم المنافقون، قاله ابن زيد.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ هم المنافقون: عبدالله بن أُبيّ بن سلول، ورفاعة بن التابوت، وزيد بن الصليت(*)، والحارث بن عمرو، ومالك بن الدخشم.

وفيما يستمعونه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه، فإذا خرجوا سألوا عنه، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: أنهم كانوا يحضرون عند رسول الله ﷺ مع المؤمنين، فيسمعون منه ما يقول، فيعيه المؤمن ولا يعيه المنافق.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ أي من عند رسول الله ﷺ.

﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عبد الله بن عباس، قاله عكرمة.

(*) هكذا في الأصول وفي سيرة ابن هشام اللصيت وفي تاريخ الطبري اللصيب بالياء الموحدة.

الثاني : عبد الله بن مسعود، قاله عبد الله بن بريدة.

الثالث: أبو الدرداء، قاله القاسم بن عبد الرحمن.

الرابع : أنهم الصحابة قاله (٢٩١) ابن زيد.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفاً﴾ هذا سؤال المنافقين للذين أُوتوا العلم إذا خرجوا من عند النبي ﷺ. وفيه وجهان :

أحدهما: يعني قريباً.

الثاني : مبتدئاً.

وفي مقصودهم بهذا السؤال وجهان :

أحدهما: الإستهزاء بما سمعوه.

الثاني : البحث عما جهلوه.

قوله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الإستهزاء زاد المؤمنين هدى، قاله الفراء.

الثاني : أن القرآن زادهم هدى، قاله ابن جريج.

الثالث: أن الناسخ والمنسوخ زادهم هدى، قاله عطية.

وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل :

أحدها : زادهم علماً، قاله الربيع بن أنس.

الثاني : علموا ما سمعوا، وعلموا بما عملوا، قاله الضحاك.

الثالث: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبيهم، قاله الكلبي.

الرابع : شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان.

ويحتمل خامساً: والذين اهتدوا بالحق زادهم هدى للحق.

﴿وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : آتاهم الخشية، قاله الربيع.

الثاني : ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي.

الثالث: وفقهم للعمل الذي فرض عليهم، قاله مقاتل.

الرابع : بين لهم ما يتقون، قاله ابن زياد.

(٢٩١) وهو أولى لأنه أعم واختاره ابن كثير (٤/٧٧) والشوكاني (٥/٣٥).

الخامس :أنه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ ، قاله عطية .

قوله عزوجل : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة .

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أشراطها آياتها ، قاله ابن زيد .

الثاني : أوائلها(*) ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، قاله الحسن .

الرابع : ظهور النبي ، قاله الضحاك . قال الضحاك لأنه آخر الرسل وأمته آخر الأمم . وقد قال رسول الله(٢٩٢) ﷺ : «بُعِثْتُ وَالسَّاعَة كَهَاتِين» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطىٰ .

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ قال السدي : معناه فكيف لهم النجاة .

﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إذا جاءتهم الساعة ، قاله قتادة .

الثاني : إذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة ، قاله ابن زيد . وفي الذكرى وجهان :

أحدهما : تذكيرهم بما عملوه من خير أو شر .

الثاني : هو دعاؤهم بأسمائهم تبشيراً أو تخويفاً .

روى أبان عن أنس(٢٩٣) عن النبي ﷺ أنه قال : «أَحْسِنُواْ أَسْمَآءَكُم فَإِنَّكُم تُدْعَوْنَ

(*) هكذا في الأصول ولعلها أدلتها أي أمارتها .

(٢٩٢) رواه البخاري (٨/ ٥٣٠) ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وفي الدر (٧/ ٤١٧) سهل بن مسعود وهو خطأ فليصحح .

(٢٩٣) وهو حديث ضعيف لأنه من رواية أبان عن أنس وأبان متروك وكذبه بعضهم ورواه أبو نعيم من حديث أبي الدرداء بلفظ إنكم تدعون يوم القيامة باسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم.

رواه أبو داود أيضاً رقم ٤٩٤٨ وضعفه بالإنقطاع بين أبي زكريا وابي الدرداء . وضعف الحديث أيضاً البيهقي والمنذري وابن حجر العسقلاني كما في فيض القدير (٢/ ٥٥٣) والألباني كما السلسلة الضعيفة رقم ٤٣٣ وحديث أنس له لفظ آخر رواه ابن عـدي في الكامل ولفظه يدعى الناس يوم القيامة بأمهاتهم ستراً من الله عز وجل عليهم قال ابن عدي هذا منكر الحديث بهذا الإسناد وإسحاق بن إبراهيم منكر الحديث وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وكذا الالباني في السلسلة الضعيفة رقم ٤٣٣ . وله شاهد من حديث ابن عباس ولكنه موضوع أخرجه الطبـراني وقال الهيثمي في المجمـع (١٠/ ٣٥٩) فيه إسحق بن بشر وهو متروك .

بِهَا يَوْمَ القِيامَةِ، يَا فُلَانُ قُمْ إِلَى نُورِكَ، يَا فُلانُ قُمْ فَلَا نُورَ لَكَ».

قوله عزوجل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وفيه ـ وإن كان الرسول ﷺ عالماً به ـ ثلاثة أوجه: أحدها: يعني: اعلم أن الله أعلمك أن لا إله إلا الله.

الثاني: ما علمته استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً.

الثالث: يعني فاذكر أن لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب.

الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي استغفر لهم ذنوبهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: متقلبكم في أسفاركم، ومثواكم في أوطانكم.

الثاني: متقلبكم في أعمالكم نهاراً ومثواكم في ليلكم نياماً.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون إذا تأخر نزول القرآن اشتاقوا إليه وتمنوه ليعلموا أوامر الله وتعبده لهم.

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ وفي قراءة ابن مسعود: فإذا أنزلت سورة محدثة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾.

في السورة المحكمة قولان:

أحدهما: أنها التي يذكر فيها الحلال والحرام، قاله ابن زياد(*) النقاش.

(*) كذا في الأصول ولعل الصواب ابن زيد والنقاش.

الثاني: أنها التي يذكر فيها القتال، وهي أشد القرآن على المنافقين، قاله قتادة.

ويحتمل:

ثالثاً: أنها التي تضمنت نصوصاً لم يتعقبها ناسخ ولم يختلف فيها تأويل.

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ هم المنافقون، لأن قلوبهم كالمريضة بالشك. فإذا أنزلت السورة المحكمة سر بها المؤمنون وسارعوا إلى العمل بما فيها، واغتم المنافقون ونظروا إلى رسول الله ﷺ.

﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوتِ﴾ غماً بها وفزعاً منها.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وعيد، كأنه قال: العقاب أولى لهم، قاله قتادة.

الثاني: أولى لهم، ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ من أن يجزعوا من فرض الجهاد عليهم، قاله الحسن.

وفيه وجه ثالث: أن قوله ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ حكاية من الله عنهم قبل فرض الجهاد عليهم، ذكره ابن عيسى.

والطاعة هي الطاعة لله ورسوله في الأوامر والنواهي. وفي القول المعروف وجهان:

أحدهما: هو الصدق والقبول.

الثاني: الإجابة بالسمع والطاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ أي جد الأمر في القتال.

﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ بأعمالهم ﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ من نفاقهم.

قوله عزوجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فهل عسيتم إن توليتم أمور الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم، قاله الكلبي.

الثاني: فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعلتم حكاماً أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا، قاله أبو العالية

الثالث: فهل عسيتم إن توليتم عن كتاب الله أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء الحرام(٢٩٤): ﴿وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ﴾، قاله قتادة.

الرابع: فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام، قاله ابن جريج.

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى بها المنافقين وهو الظاهر.

الثاني: قريشاً، قاله أبو حيان.

الثالث: أنها نزلت في الخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود كفروا بمحمد ﷺ من بعدما علموا في التوراة أنه نبي، قاله قتادة وابن جريج.

الثاني: المنافقون قعدوا عن القتال من بعدما علموه في القرآن، قاله السدي.

﴿ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ فيه وجهان:

(٢٩٤) والأولى عدم تخصيص الفساد بنوع معين فكل ما يفسد فهو منهي عنه وكل ما يغضب الله ورسوله فهو فساد.

أحدهما: أعطاهم سؤالهم، قاله ابن بحر.

الثاني: زين لهم خطاياهم، قاله الحسن.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أمهلهم، قاله الكلبي ومقاتل فعلى هذا يكون الله تعالى هو الذي أملى لهم بالإمهال في عذابهم.

والوجه الثاني: أن معنى أملى لهم أي مد لهم في الأمل فعلى هذا فيه وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى هو الذي أملى لهم في الأمل، قاله الفراء والمفضل.

الثاني: أن الشيطان هو الذي أملى لهم في مد الأمل بالتسويف، قاله الحسن.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: أنهم اليهود قالوا للمنافقين سنطيعكم في بعض الأمر. وفيما أرادوا بذلك وجهان:

أحدهما: سنطيعكم في ألا نصدق بشيء، من مقالته، قاله الضحاك.

الثاني: سنطيعكم في كتم ما علمنا من نبوته، قال ابن جريج.

القول الثاني: أنهم المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الأمر. وفيما أرادوه بذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: سنطيعكم في غير القتال من بغض محمد ﷺ والقعود عن نصرته، قال السدي.

الثاني: سنطيعكم في الميل إليكم والمظاهرة على رسول الله ﷺ.

الثالث: سنطيعكم في الارتداد بعد الإيمان.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما أسر بعضهم إلى بعض من هذا القول.

الثاني: ما أسروه في أنفسهم من هذا الاعتقاد.

قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: بالقتال نصرة لرسول الله ﷺ.

الثاني: بقبض الأرواح عند الموت.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يكون على احتمال وجهين:

أحدهما: يضربون وجوههم في القتال عند الطلب وأدبارهم عند الهرب.

الثاني: يضربون وجوههم عند الموت بصحائف كفرهم، وأدبارهم في القيامة عند سوقهم إلى النار.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شك، قاله مقاتل.

الثاني: نفاق، قاله الكلبي.

﴿أن لن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: غشهم، قاله السدي.

الثاني: حسدهم، قاله ابن عباس.

الثالث: حقدهم، قاله ابن عيسى.

الرابع: عدوانهم، قاله قطرب وأنشد:

قل لابن هند ما أردت بمنطق ... ساء الصديق وسر ذا الأضغان

قوله عزوجل: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في كذب القول، قاله الكلبي.

الثاني: في فحوى كلامهم. واللحن هو الذهاب بالكلام في غير جهته، مأخوذ من اللحن في الإعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي ﷺ(٢٩٥): «إنكم

(٢٩٥) رواه البخاري (١٠٧/٥) ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. والمؤلف إنما اقتصر على جزء من الحديث ولم يأت به كله فتنبه.

لَتَحْتَكِمُونَ إِلَيَّ، أَحَدَكُمْ أَن يَكُونَ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ» أي أذهب بها في الجهات لقوته[٢٩٦] على تصريف الكلام. قال مرار[٢٩٧] الأسدي:

ولحنت لحناً فيه غش ورابني صدودك ترضين الوشاة الأعاديا

قال الكلبي: فلم يتكلم بعد نزولها منافق[٢٩٨] عند النبي ﷺ إلا عرفه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المجاهدين في سبيل الله.

الثاني: الزاهدين في الدنيا.

﴿وَٱلصَّابِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على الجهاد.

الثاني: عن الدنيا.

﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نختبر أسراركم.

الثاني: ما تستقبلونه من أفعالكم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أطيعوا الله بتوحيده، وأطيعوا الرسول بتصديقه.

(٢٩٦) وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن من أسرّ سريرة في نفسه ظهرت على وجهه أو في فلتات لسانه وما أكثر المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون نسأل الله تعالى أن يريح المسلمين منهم.

(٢٩٧) روح المعاني (٢٦/٧٧).

(٢٩٨) راجع روح المعاني (٢٦/٧٨) فقد ذكر كلاماً مهماً حول هذا.

الثاني : أطيعوا الله في حرمة الرسول، وأطيعوا الرسول في تعظيم الله.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي ، قاله الحسن.

الثاني : لا تبطلوها بالكبائر، قاله الزهري.

الثالث : لا تبطلوها بالرياء والسمعة، وأخلصوها لله، قاله ابن جريج والكلبي.

قوله عز وجل : ﴿وَلَن يَتِرَكُم أَعمَالَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لن ينقصكم أعمالكم، قاله مجاهد وقطرب. وأنشد قول الشاعر :

إن تترني من الإجارة شيئاً لا يفتني على الصراط بحقي

الثاني : لن يظلمكم، قاله قتادة، يعني أجور أعمالكم.

الثالث : ولا يستلبكم أعمالكم، ومنه قول النبي ﷺ(٢٩٩) : «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله».

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يسألكم أموالكم لنفسه.

الثاني : لا يسألكم جميع أموالكم في الزكاة ولكن بعضها.

---

(٢٩٩) رواه بهذا اللفظ الإمام النسائي (١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩) من حديث نوفل بن معاوية رضي الله عنه ورواه البخاري (٢/ ٢٦) والنسائي (١/ ٢٣٦) من حديث أبي المليح ولفظه «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» وقد ثبت أيضاً مرفوعاً من حديث بريدة رضي الله عنه.

الثالث: لا يسألكم أموالكم وإنما يسألكم أمواله، لأنه أملك بها وهو المنعم بإعطائها.

﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الإحفاء أخذ الجميع، قاله ابن زيد وقطرب.

الثاني: أنه الإلحاح وإكثار السؤال، مأخوذ من الحفاء وهو المشي بغير حذاء، قاله ابن عيسى.

الثالث: أن معنى فيحفكم أي فيجدكم تبخلوا، قاله ابن عيينة.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يظهر بامتناعكم ما أضمرتموه من عدوانكم.

الثاني: تظهرون عند مسألتكم ما أضمرتموه من عداوتكم.

قوله عزوجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وإن تتولوا عن كتابي، قاله قتادة.

الثاني: عن طاعتي، حكاه ابن أبي حاتم.

الثالث: عن الصدقة التي أُمرتم بها، قاله الكلبي.

الرابع: عن هذا الأمر فلا تقبلونه، قاله ابن زيد.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل اليمن وهم الأنصار، قاله شريح بن عبيد.

الثاني: أنهم الفرس.

روى أبو هريرة قال: (٣٠٠) لما نزل ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوآ

---

(٣٠٠) رواه الطبري (٢٦/٦٦) وفي سنده مسلم بن خالد المخزومي الزنجي قال الحافظ في التقريب صدوق كثير الأوهام وقال الحافظ ابن كثير (١٨٢/٤) تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم.

ورواه الترمذي في سننه (١٠٨/٢) وفي سنده جعفر بن عبدالله بن نجيح وقال الحافظ في التقريب ضعيف.

وقد روى البخاري (٤٩٢/٨) ومسلم (١٩٧٢/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة فلما قرأ ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وقال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٥٢ رواه الترمذي وابن حبان والحاكم والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم وقال في =

أَمْثَالَكُم﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا يستبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان وقال: «**هٰذا وَقَومُهُ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ الدِّينَ مُعَلَّقٌ بِالثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجَالٌ مِن أَبْنَاءِ فَارِس**».

الثالث: أنهم من شاء من سائر الناس، قاله مجاهد.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني في البخل بالإنفاق في سبيل الله، قاله الطبري.

الثاني: في المعصية وترك الطاعة.

وحكي عن أبي موسى الأشعري[٣٠١] أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «**هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن الدُّنْيَا**».

= الفتح (٨/٦٤٣) وفي بعض طرق الحديث عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾** قال ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين ا هـ. [اي آية الجمعة وآية القتال].

والحديث في صحيح مسلم دون سبب النزول عن أبي هريرة ولفظه لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او أبناء فارس حتى يتناوله.

ورواه أحمد (٢/٤٢٠، ٤٢٢، ٤٦٩) من حديث أبي هريرة بلفظ لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله ناس من بلاد فارس وفي سنده شهر بن حوشب وفيه ضعف.

(٣٠١) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

سُورَةُ الفَتْح

ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ فيه قولان:

أحدهما: إنا أعلمناك علماً مبيناً فيما أنزلناه عليك من القرآن وأمرناك به من الدين. وقد يعبر عن العلم بالفتح كقوله ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي علم الغيب، قاله ابن بحر. وكقوله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] أي إن أردتم العلم فقد جاءكم العلم.

الثاني: إنا قضينا لك قضاء بيناً فيما فتحناه عليك من البلاد.

وفي المراد بهذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، وعده الله عام الحديبية عند انكفائه منها.

الثاني: هو ما كان من أمره بالحديبية. قال الشعبي(٣٠٢): نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ [الفتح: ١] في وقت الحديبية أصاب فيها ما لم يصب في غيرها: بويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وظهرت الروم على فارس تصديقاً لخبره، وبلغ

---

(٣٠٢) رواه سعيد بن منصور بإسناد صحيح عنه كما قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٤٠).

الهدي محله، فعلى هذا في الذي أراده بالفتح يوم الحديبية. قال جابر: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية.

الثاني: أنه بيعة الرضوان. قال البراء بن عازب(٣٠٣): أنتم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية.

الثالث: أنه نحره وحلقه يوم الحديبية حتى بلغ الهدي محله بالنحر.

والحديبية بئر، وفيها تمضمض رسول الله ﷺ، وقد غارت فجاشت بالرواء(٣٠٤).

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليغفر لك الله استكمالاً لنعمه عندك.

الثاني: يصبرك على أذى قومك.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما تقدم قبل الفتح وما تأخر بعد الفتح.

الثاني: ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعد النبوة.

الثالث: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور إذا كان.

ويحتمل رابعاً: ما تقدم قبل نزول هذه الآية وما تأخر بعدها.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بفتح مكة والطائف وخيبر.

الثاني: بخضوع من استكبر. وطاعة من تجبر.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه الأسر والغنيمة كما كان يوم بدر.

الثاني: أنه الظفر والإسلام وفتح مكة.

وسبب نزول هذه الآية، ما حكاه الضحاك عن ابن عباس أنه لما نزل قوله: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال أهل مكة: يا محمد كيف ندخل في دينك وأنت لا تدري ما يفعل بك ولا بمن اتبعك فهلا أخبرك بما يفعل بك وبمن اتبعك كما

(٣٠٣) رواه البخاري (٧/ ٣٤٠) وقد جمع الحافظ رحمه الله بين هذه الأقوال في ذلك فراجعه في الفتح.

(٣٠٤) أي ماء عذب.

أخبر عيسى ابن مريم؟ فاشتد ذلك على النبي ﷺ وعلى أصحابه حتى قدم المدينة، فقال عبدالله بن أبي بن سلول ـ رأس المنافقين ـ للأنصار: كيف تدخلون في دين رجل لا يدري ما يفعل به ولا بمن اتبعه؟ هذا والله الضلال المبين. فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: يا رسول الله ألا تسأل ربك يخبرك بما يفعل بك وبمن اتبعك؟ فقال: إن له أجلاً فأبشرا بما يقر الله به أعينكما. إلى أن نزلت عليه هذه الآي وهو في دار أبي الدحداح على طعام مع أبي بكر وعمر فخرج وقرأها على أصحابه، قال قائل منهم: هنيئاً مريئاً يا رسول الله قد بين الله لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله **﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾** الآية.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

قوله عز وجل: **﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الصبر على أمر الله.

الثاني: أنها الثقة بوعد الله.

الثالث: أنها الرحمة لعباد الله.

﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: ليزدادوا عملاً مع تصديقهم.

الثاني: ليزدادوا صبراً مع اجتهادهم.

الثالث: ليزدادوا ثقة بالنصر مع إيمانهم بالجزاء.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه: ولله ملك السموات والأرض ترغيباً للمؤمنين في خير الدنيا وثواب الآخرة.

الثاني: معناه: ولله جنود السموات والأرض إشعاراً للمؤمنين أن لهم في جهادهم أعواناً على طاعة ربهم.

قوله عزوجل: ﴿الظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: هو ظنهم أن لله شريكاً.

الثاني: هو ظنهم أنه لن يبعث الله أحداً.

الثالث: هو ظنهم أن يجعلهم الله كرسوله.

الرابع: أن سينصرهم على رسوله.

قال الضحاك: ظنت أسد وغطفان في رسول الله ﷺ حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو ينهزم ولا يعود إلى المدينة سالماً، فعاد ظافراً.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عليهم يدور سوء اعتقادهم.

الثاني: عليهم يدور جزاء ما اعتقدوه في نبيهم.

إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ
عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: شاهداً على أمتك بالبلاغ، قاله قتادة.

الثاني: شاهداً على أمتك بأعمالهم من طاعة أو معصية.

الثالث: مبيناً ما أرسلناك به إليهم.

﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين.

الثاني: مبشراً بالجنة لمن أطاع ونذيراً بالنار لمن عصى، قاله قتادة، والبشارة والإنذار معاً خير لأن المخبر بالأمر السار مبشر والمحذر من الأمر المكروه منذر. قال النابغة الذبياني (٣٠٥):

تناذرها الراقون من سوء سعيها ... تطلقها طوراً وطوراً تراجع

قوله عزوجل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تطيعوه، قاله بعض أهل اللغة.

الثاني: تعظموه، قاله الحسن والكلبي.

الثالث: تنصروه وتمنعوا منه، ومنه التعزير في الحدود لأنه مانع، قاله القطامي:

ألا بكرت مي بغير سفاهة ... تعاتب والمودود ينفعه العزر

وفي ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وجهان:

أحدهما: تسودوه، قاله السدي.

الثاني: أن تأويله مختلف بحسب اختلافهم فيمن أشير إليه بهذا الذكر: فمنهم من قال أن المراد بقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتَوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا اللّه وتوقروه لأن قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ راجع إلى الله وكذلك ما تقدمه، فعلى هذا يكون تأويل قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك.

ومنهم من قال: المراد به رسول الله ﷺ أن يعزروه ويوقروه لأنه قد تقدم ذكرها، فجاز أن يكون بعض الكلام راجعاً إلى الله وبعضه راجعاً إلى رسوله، قاله الضحاك. فعلى هذا يكون تأويل ﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تسبيحه بالتنزيه له من كل قبيح.

الثاني: هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح.

---

(٣٠٥) ديوانه: ٣٤ واللسان «نذر» وفيه وطوراً تراجعه ورواية الديوان تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع. ومن هنا تعلم أن ما في المطبوعة خطأ.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي غدوة وعشياً. قال الشاعر(٣٠٦):

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأجلس في أفيائه بالأصائل

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكُنتُم قَوْماً بُوراً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: فاسدين قاله قتادة.

الثاني: هالكين، قاله مجاهد. قال عبدالله بن الزبعرى(٣٠٧):

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

الثالث: أشرار، قاله ابن بحر. وقال حسان بن ثابت:

لا ينفع الطول من نوك الرجال وقد ... يهدي الإله سبيل المعشر البور

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلاَمَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

---

(٣٠٦) هو أبو ذؤيب والبيت في اللسان «أصل».

(٣٠٧) تقدم تخريجه وفي الأصول كعب بن زهير وهو خطأ.

أحدهما: ما وعد الله نبيّه من النصرة والفتح حين ظنوا ظن السوء بأنه يهلك أو لا يظفر، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: قوله: ﴿لَن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ حين سألوه الخروج معه لأجل المغانم بعد امتناعهم منه وظن السوء، قاله ابن زيد.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ وهؤلاء المخلفون هم أحد أصناف المنافقين، لأن الله تعالى صنف المنافقين من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ثلاثة أصناف، منهم من أعلم أنه لا يؤمن وأوعدهم العذاب في الدنيا مرتين ثم العذاب العظيم في الآخرة وذلك قوله ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١] الآية. ومنهم من اعترف بذنبه وتاب، وهم من قال الله فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية ومنهم من وقفوا بين الرجاء لهم والخوف عليهم بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] فهؤلاء المخاطبون بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ دون الصنفين المتقدمين لترددهم بين أمرين.

قوله عزوجل: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾ الآية. فيهم خمسة أوجه:

أحدها: أنهم أهل فارس، قاله ابن عباس.

الثاني: الروم، قاله الحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

(*) وفي نسخة سبيل المفسد.

الثالث: هوازن وغطفان بحنين، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

الرابع: بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، قاله الزهري.

الخامس: أنهم قوم لم يأتوا بعد، قاله أبو هريرة.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ رِضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ كانت سبب هذه البيعة وهي بيعة الرضوان تأخر(٣٠٨) عثمان رضي الله عنه بمكة حين أنفذه رسول الله ﷺ من الحديبية رسولاً يدعوهم إلى الإسلام فأبطأ وأرجف بقتله، فبايع أصحابه وبايعوه على الصبر والجهاد، وكانوا فيما رواه ابن عباس ألفاً وخمسمائة، وقال جابر: كانوا ألفاً وأربعمائة وقال عبدالله بن أبي أوفى: ألفاً وثلاثمائة.

وكانت البيعة تحت الشجرة بالحديبية والشجرة سمرة. وسميت بيعة الرضوان، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من صدق النية، قاله الفراء.

الثاني: من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت، قاله مقاتل.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فتح خيبر لقربها من الحديبية، قاله قتادة.

الثاني: فتح مكة.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ

(٣٠٨) انظر خبره مطولاً من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. رواه البخاري (١/ ٢٤)(٧/ ٣٤٨) وراجع المطولات في ذلك كالبداية والنهاية (٤/ ١٧٣) والدر المنثور (٦/ ٧٦) وهو معروف بحديث قصة الحديبية.

﴿تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: هي مغانم خيبر(٣٠٩)، قاله ابن زيد.

الثاني: هو كل مغنم غنمه المسلمون، قاله مجاهد.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مغانم خيبر، قاله مجاهد.

الثاني: صلح الحديبية، قاله ابن عباس.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: اليهود كف أيديهم عن المدينة عند خروجهم إلى الحديبية.

الثاني: قريش كف أيديهم عن المدينة عند خروجهم إلى الحديبية.

الثالث: أسد وغطفان الحليفان عليهم عيينة بن حصن ومالك بن عوف جاءوا لينصروا أهل خيبر، فألقى الله في قلوبهم الرعب فانهزموا.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليكون كف أيديهم عنكم آية للمؤمنين.

الثاني: ليكون فتح خيبر آية أي علامة لصدق الله تعالى في وعده وصدق رسوله في خبره. قيل لتكون البيعة آية لهم.

قوله عز وجل: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

---

(٣٠٩) ورجحه الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٤٠) وقال: وقد رواه أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغيم وقد جمع الناس فقرأ عليهم ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فقال رجل: يا رسول الله أي فتح هو قال أي والذي نفسي بيده إنه الفتح، ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية.

أحدها: هي أرض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون، قاله ابن عباس.

الثاني: هي مكة، قاله قتادة.

الثالث: هي أرض خيبر، قاله الضحاك.

في قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ وجهان:

أحدهما: قدر الله عليها، قاله ابن بحر.

الثاني: حفظها عليكم ليكون فتحها لكم.

قوله عزوجل: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر رسله وأوليائه على أعدائه.

وفي قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ وجهان:

أحدهما: ولن تتغير سنة الله وعادته في نصرك على أعدائك وأعدائه.

الثاني: لن تجد لعادة الله في نصر رسله مانعاً من الظفر بأعدائه وهو محتمل.

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كف أيديهم عنكم بالرعب وأيديكم عنهم بالنهي.

الثاني: كف أيديهم عنكم بالخذلان، وأيديكم عنهم بالاستبقاء لعلمه بحال من يسلم منهم.

الثالث: كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بالصلح عام الحديبية.

﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يريد به مكة.

الثاني: يريد به الحديبية لأن بعضها مضاف إلى الحرام.

وفي قوله: ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أظفركم عليهم بفتح مكة وتكون هذه نزلت بعد فتح مكة، وفيها دليل على أن مكة فتحت(٣١٠) صلحاً لقوله ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنهُم﴾.

الثاني: أظفركم عليهم بقضاء العمرة التي صدوكم عنها.

الثالث: أظفركم عليهم بما روي ثابت عن أنس(٣١١) أن ثمانين رجلاً من أهل

(٣١٠) وفي المسألة قول آخر أنها فتحت عنوة راجع أدلته في زاد المعاد. وقد تقدم الكلام على ذلك.

(٣١١) رواه مسلم (٣/٤٤٢) والطبري (٢٦/٩٢) والترمذي (٣٢٦٤) وأبو داود (٢٦٨٨) وزاد السيوطي في

مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه من قبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوا من ظفروا به، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم، فأنزل الله هذه الآية، فكان هذا هو الظفر.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني قريشاً.

﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني منعوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية حين أحرم النبي ﷺ مع أصحابه بعمرة.

﴿وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: محبوساً.

الثاني: واقفاً.

الثالث: مجموعاً، قاله أبو عمرو بن العلاء.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: منحره، قاله الفراء.

الثاني: الحرم، قال الشافعي. والمِحِل بكسر الحاء هو غاية الشيء، وبالفتح هو الموضع الذي يحله الناس، وكان الهدي سبعين بدنة.

الدر (٧/٥٢٧) نسبته لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن أبي شيبة وأحمد.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي لم تعلموا إيمانهم.

﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن تطئوهم بخيلكم وأرجلكم فتقتلوهم، قاله ابن عباس.

الثاني: لولا من في أصلاب الكفار وأرحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم يعلموهم أن يطئوا آباءهم فيهلك أبناؤهم، قاله الضحاك.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ فيها ستة أقاويل:

أحدها: الإثم، قاله ابن زيد.

الثاني: غرم الدية، قاله ابن إسحاق.

الثالث: كفارة قتل الخطأ، قاله الكلبي.

الرابع: الشدة، قاله قطرب.

الخامس: العيب.

السادس: الغم.

قوله عزوجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لو تميزوا، قاله ابن قتيبة.

الثاني: لو تفرقوا، قاله الكلبي.

الثالث: لو أزيلوا، قاله الضحاك حتى لا يختلط بمشركي مكة مسلم.

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ وهو القتل بالسيف لكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

قوله عزوجل: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني قريشاً. وفي حمية الجاهلية قولان:

أحدهما: العصبية لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، والأنفة من أن يعبدوا غيرها، قاله ابن بحر.

الثاني: أنفتهم من الإقرار له بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم على عادته في الفاتحة، ومنعهم له من دخول مكة، قال الزهري.

ويحتمل

ثالثاً: هو الاقتداء بآبائهم، وألا يخالفوا لهم عادة، ولا يلتزموا لغيرهم طاعة كما

أخبر الله عنهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الصبر الذي صبروا والإجابة إلى ما سألوا، والصلح الذي عقدوه حتى عاد إليهم في مثل ذلك الشهر من السنة الثانية قاضياً لعمرته ظافراً بطلبته.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: قول لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، وهو يروي عن النبي ﷺ.

الثاني (٣١٢): الإخلاص، قاله مجاهد.

الثالث: قول بسم الله الرحمن الرحيم، قاله الزهري.

الرابع: قولهم سمعنا وأطعنا بعد خوضهم. وسميت كلمة التقوى لأنهم يتقون بها غضب الله.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وكانوا أحق بكلمة التقوى أن يقولوها.

الثاني: وكانوا أحق بمكة أن يدخلوها.

وفي من كان أحق بكلمة التقوى قولان:

أحدهما: أهل مكة كانوا أحق بكلمة التقوى أن يقولوها لتقدم إنذارهم لولا ما سلبوه من التوفيق.

الثاني: أهل المدينة أحق بكلمة التقوى حين قالوها، لتقدم إيمانهم حين صحبهم التوفيق.

لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ

---

(٣١٢) رواه الترمذي (١٥٩) والطبري (٢٦/١٠٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه اهـ قلت: وفي سنده ثوير بن أبي فاختة ولم يشهد له أحد بخير راجع ترجمته في الميزان (١/٣٧٥ ـ ٣٧٦) وزاد السيوطي نسبة الحديث في الدر (٧/٥٣٦) لعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والدارقطني في الأفراد والبيهقي في الأسماء والصفات وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي بن كعب وأبي هريرة وسلمة بن الأكوع. راجع تخريجها في الدر (٧/٥٣٦ ـ ٥٣٧).

ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ
مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾** قال قتادة: كان رسول الله ﷺ، رأى في المنام، أنه يدخل مكة على هذه الصفة، فلما صالح قريشاً بالحديبية، ارتاب المنافقون، حتى قال ﷺ: «**فَمَا رَأَيْتُ فِي هَٰذَا الْعَامِ**».

ثم قال: **﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾** فيه قولان:

أحدهما: علم أن دخولها إلى سنة ولم تعلموه أنتم، قاله الكلبي.

الثاني: علم أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم؛ الآية.

ثُمَّ قَالَ: **﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾** فيه قولان:

أحدهما: أنه الصلح الذي جرى بين رسول الله ﷺ وقريش بالحديبية، قاله مجاهد.

الثاني: فتح مكة، قاله ابن زيد والضحاك.

وفي قوله: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ﴾** ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه خارج مخرج الشرط والاستثناء.

الثاني: أنه ليس بشرط وإنما خرج مخرج الحكاية على عادة أهل الدين، ومعناه لتدخلونه بمشيئة الله.

الثالث: إن شاء الله في دخول جميعكم أو بعضكم. ولأنه علم أن بعضهم يموت.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

قوله عزوجل: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾. فيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه ثرى الأرض وندى الطهور، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنها صلاتهم تبدو في وجوههم، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه السمت، قاله الحسن.

الرابع: الخشوع، قاله مجاهد.

الخامس: هو أن يسهر الليل فيصبح مصفراً، قاله الضحاك.

السادس: هو نور يظهر على وجوههم يوم القيامة، قاله عطية العوفي.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن مثلهم في التوراة بأن سيماهم في وجوههم. ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه.

الثاني: أن كلا الأمرين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل.

وقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الشطأ شوك السنبل، والعرب أيضاً تسميه السفا والبهمي، قاله قطرب.

الثاني: أنه السنبل، فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان، قاله الكلبي والفراء.

الثالث: أنه فراخه التي تخرج من جوانبه، ومنه شاطىء النهر جانبه، قاله الأخفش.

﴿فَآزَرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: فساواه فصار مثل الأم، قاله السدي.

الثاني: فعاونه فشد فراخ الزرع أصول النبت وقواها.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ يعني اجتماع الفراخ مع الأصول.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أي على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقاً له.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يعني النبي ﷺ وأصحابه رضي الله

عنهم، لأن ما أعجب المؤمنين من قوتهم كإعجاب الزراع بقوة زرعهم هو الذي غاظ الكفار منهم.

ووجه ضرب المثل بهذا الزرع الذي أخرج شطأه، هو أن النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه كان ضعيفاً، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى كثر جمعه وقوي أمره، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه فكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان. والله أعلم.

سورة الحجرات

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

قوله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل فيَّ كذا، لو أنزل فيَّ كذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

الثاني: أنهم نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه، قاله ابن عباس.

الثالث: معناه ألا يقتاتوا على الله ورسوله، حتى يقضي الله على لسان رسوله، قاله مجاهد.

الرابع: أنها نزلت في قوم ضحوا قبل أن يصلوا مع رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، قاله الحسن.

الخامس: لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر به الله تعالى ورسوله، قال الزجاج:

وسبب نزولها ما حكاه الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ أنفذ أربعة وعشرين رجلاً من أصحابه إلى بني عامر فقتلوهم إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفئوا إلى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فسألوهما عن نسبهما فقالا: من بني عامر فقتلوهما، فجاء بنو سليم إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن بيننا وبينك عهداً وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله ﷺ بمائة بعير ونزلت عليه هذه الآية في قتلة الرجلين.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ يعني في التقدم المنهي عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم.

قوله عزوجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ قيل إن رجلين من الصحابة تماريا عنده(٣١٣) فارتفعت أصواتهما، فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر رضي الله عنه عند ذلك: والذي بعثك بالحق لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار.

﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الجهر بالصوت(٣١٤).

روي أن ثابت بن قيس بن شماس(*) قال: يا نبي الله والله لقد خشيت أن أكون قد هلكت، نهانا الله عن الجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت، فقال النبي ﷺ: «يَا ثَابِتُ أَمَا تَرْضَىٰ أَن تَعِيشَ حَمِيداً وَتُقْتَلَ شَهِيداً وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟» فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة.

الثاني: أن النهي عن هذا الجهر هو المنع من دعائه باسمه أو كنيته كما يدعو

(٣١٣) عزاه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للبزار وابن مردويه من طريق طارق بن شهاب وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨/٨): فيه حصين بن عمر وهو متروك وقد وثقه العجلي وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن كثير (٢٠٦/٤) بعد ما ساقه من رواية البزار: «وحصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفاً لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم.

(٣١٤) قال الحافظ ابن كثير (٢٠٧/٤) قال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً.

(*) لم أهتد إلى تخريجه بلفظه كما هنا ولكن له روايات أخرى راجعها في ابن كثير (٢٠٦/٤).

بعضهم بعضاً بالاسم والكنية، وهو معنى قوله ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، ولكنْ دعاؤه بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ [النور: ٦٣].

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه فتحبط أعمالكم.

الثاني: لئلا تحبط أعمالكم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بحبط أعمالكم.

قوله عزوجل: ﴿... أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه أخلصها للتقوى، قاله الفراء.

الثاني: معناه اختصها للتقوى، قاله الأخفش.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ﴾ الآية. اختلف في سبب نزولها، فروى معمر عن قتادة(٣١٥) أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فناداه من وراء الحجرة: يا محمد، إن مدحي زين وشتمي شين، فخرج النبي ﷺ فقال: «وَيْلَكَ ذَاكَ ٱللَّهُ، ذَاكَ ٱللَّهُ» فأنزل الله هذه الآية، فهذا قول. وروى زيد بن(٣١٦) أرقم قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس باتباعه وإن يكن ملكاً نعش في جنابه، فأتوا النبي ﷺ، فجعلوا ينادونه، وهو في

---

(٣١٥)رواه ابن جرير (١٢٢/٢٦) مختصراً مرفوعاً من حديث الأقرع بن حابس وكذا رواه أحمد والطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٠٨/٧): رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع الأقرع وإلا فمرسل كإسناد أحمد الآخر. وقد رواه ابن جرير (١٢١/٢٦) من حديث البراء مرفوعاً.

(٣١٦)رواه الطبري (١٢١/٢٦) وزاد السيوطي في الدر (٥٥٢/٧) نسبته لإسحاق بن راهويه ومسدد وأبي يعلى والطبراني وابن أبي حاتم وسنده حسن كما قال السيوطي وقال الهيثمي في المجمع (١٠٨/٧): وساقه من رواية الطبراني فيه داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين وبقية رجاله ثقات.

حجرته يا محمد، فأنزل الله هذه الآية. قيل: إنهم كانوا من بني تميم. قال مقاتل: كانوا تسعة نفر: قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وسويد بن هشام، وخالد بن مالك، وعطاء بن حابس، والقعقاع بن معبد، ووكيع بن وكيع، وعيينة بن حصن.

وفي قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: لا يعلمون، فعبر عن العلم بالعقل لأنه من نتائجه، قاله ابن بحر.

الثاني: لا يعقلون أفعال العقلاء لتهورهم وقلة أناتهم(*)، وهو محتمل.

والحجرات جمع حجر؛ والحجر جمع حجرة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لكان أحسن لأدبهم في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

الثاني: لأطلقت أسراهم بغير فداء، لأن رسول الله ﷺ كان سبى قوماً من بني العنبر، فجاءوا في فداء سبيهم وأسراهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الآية(٣١٧). نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وسبب نزولها ما رواه سعيد عن قتادة

(*) وفي نسخة قلة أناتهم.

(٣١٧) قال الحافظ ابن كثير (٤/٢٠٨): وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية مالك بن المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها أ هـ.

قلت: وهذه الرواية قال الهيثمي عنها (٧/١٠٩ مجمع) رجال أحمد ثقات.

أن نبي الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصدقاً لبني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم فرجع إلى النبي ﷺ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا، أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه، فعادوا إلى نبي الله ﷺ فأخبروه، فنزلت هذه الآية. فكان النبي ﷺ يقول: التأني من الله والعجلة من الشيطان. وفي هذه الآية دليل على أن خبر الواحد مقبول إذا كان عدلاً.

قوله عزوجل: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: لأثمتم، قاله مقاتل.

الثاني: لاتهمتم، قاله الكلبي.

الثالث: لغويتم.

الرابع: لهلكتم.

الخامس: لنالتكم شدة ومشقة.

قال قتادة: هؤلاء أصحاب النبي ﷺ لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا، فأنتم والله أسخف رأياً وأطيش عقولا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حسنه عندكم، قاله ابن زيد.

الثاني: قاله الحسن، بما وصف من الثواب عليه.

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما وعد عليه في الدنيا من النصر وفي الآخرة من الثواب، قاله ابن بحر.

الثاني: بالدلالات على صحته.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الكذب خاصة، قاله ابن زيد.

الثاني: كل ما خرج عن الطاعة.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها على أربعة أقاويل:

أحدها: ما رواه عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهم على عهد رسول الله ﷺ قتال بالسعف والنعال ونحوه فنزلت هذه الآية فيهم.

الثاني: ما رواه سعيد عن قتادة(٣١٨) أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة في حق بينهما، فقال أحدهماللآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل بهما الأمر حتى تواقعوا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، فنزلت فيهم.

الثالث: ما رواه أسباط عن السدي أن رجلاً من الأنصار كانت له امرأة تدعى أم زيد وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها، وأن المرأة بعثت إلى أهلها، فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، فخرج الرجل فاستعان أهله، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وأهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت هذه الآية فيهم.

الرابع: ما حكاه الكلبي ومقاتل والفراء أنها نزلت في رهط عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس، وسببه أن النبي ﷺ وقف على حمار له على عبد الله بن أبي(٣١٩)، وهو في مجلس قومه، فراث حمار النبي ﷺ، فأمسك عبد الله أنفه وقال: إليك حمارك، فغضب عبد الله بن رواحة، وقال: أتقول هذا لحمار رسول الله ﷺ، فوالله هو أطيب ريحاً منك ومن أبيك، فغضب

(٣١٨) رواه الطبري (٢٦/١٣٩) وزاد السيوطي في الدر (٧/٥٦٠) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر ولكن فيه قال قتادة: ذكر لنا فالحديث مرسل كما ترى.

(٣١٩) رواه البخاري (٥/٢١٨) ومسلم (٣/١٤٢٤) وابن جرير (٢٦/١٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

قومه، وأعان ابن رواحة قومه حتى اقتتلوا بالأيدي والنعال فنزلت هـذه الآية فيهم، فأصلح رسول الله ﷺ بينهم.

﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾ البغي التعدي بالقوة إلى طلب ما ليس بمستحق.

﴿فَقَاتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تبغي في التعدي في القتال.

الثاني: في العدول عن الصلح، قاله الفراء.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ترجع إلى الصلح الذي أمر الله به، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ترجع إلى كتاب الله وسنة رسوله فيما لهم وعليهم، قاله قتادة.

﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ أي رجعت.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالحق.

الثاني: بكتاب الله، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ معناه واعدلوا.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: اعدلوا في ترك الهوى والممايلة.

الثاني: في ترك العقوبة والمؤاخذة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين قال أبو مالك: في القول والفعل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

قوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ الآية. أما القوم فهم الرجال خاصة، ولذلك ذكر بعدهم النساء. ويسمى الرجال قوماً لقيام بعضهم مع

بعض في الأمور، ولأنهم يقومون بالأمور دون النساء، ومنه قول الشاعر(٣٢٠):

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وفي هذه السخرية المنهي عنها قولان:

أحدهما: أنه استهزاء الغني بالفقير إذا سأله، قاله مجاهد.

الثاني: أنه استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة.

﴿عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ﴾ عند الله تعالى. ويحتمل: خيراً منهم معتقداً وأسلم باطناً. ﴿وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾.

﴿وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تلمزوا أهل دينكم.

الثاني: لا تلمزوا بعضكم بعضاً. واللمز: العيب.

وفي المراد به هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يطعن بعضكم على بعض، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد ابن جبير.

الثاني: لا تختالوا فيخون بعضكم بعضاً، قاله الحسن.

الثالث: لا يلعن بعضكم بعضاً، قاله الضحاك.

﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِٱلأَلْقَابِ﴾ في النبز وجهان:

أحدهما: أنه اللقب الثابت، قاله المبرد.

الثاني: أن النبز القول القبيح، وفيه هنا أربعة أوجه:

أحدها: أنه وضع اللقب المكروه على الرجل ودعاؤه به. قال الشعبي: روي أن وفد بني سليم قدموا(٣٢١) على النبي ﷺ المدينة وللرجل منهم اسمان وثلاثة فكان يدعو الرجل بالاسم فيقال إنه يكره هذا، فنزلت هذه الآية.

---

(٣٢٠) هو زهير بن أبي سلمى والبيت في اللسان «قوم» وروح المعاني (١٥٣/٢٦).

(٣٢١) رواه الترمذي (١٥٩/٢) وحسنه، والطبري (١٣٢/٢٦) من حديث أبي جبيرة بن الضحاك وزاد السيوطي في الدر (/٧) نسبته لأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وغيرهم.

الثاني: أنه تسمية الرجل بالأعمال السيئة بعد الإسلام... يا فاسق... يا سارق، يا زاني، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه يعيره بعد الإسلام بما سلف من شركه، قاله عكرمة.

الرابع: أن يسميه بعد الإسلام باسم دينه قبل الإسلام، لمن أسلم من اليهود... يا يهودي، ومن النصارى... يا نصراني، قاله ابن عباس، والحسن. فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف النبي ﷺ عدداً من أصحابه بأوصاف فصارت لهم من أجمل الألقاب.

واختلف في من نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شمسان وكان في أذنه ثقل فكان يدنو من رسول الله ﷺ حتى يسمع حديثه، فجاء ذات يوم وقد أخذ الناس مجالسهم فقال: «**تَفَسَّحُواْ**» ففعلوا إلا رجلاً كان بين يدي النبي ﷺ فإنه لم يفسح وقال: «**قَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعاً**» فنبذه ثابت، بلقب كان لأمه مكروهاً، فنزلت، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: أنها نزلت في كعب بن مالك الأنصاري، وكان على المغنم فقال لعبد الله بن أبي حدرد: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فتشاكيا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت فيهما، حكاه مقاتل.

الثالث: أنها نزلت في الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات عند استهزائهم بمن مع رسول الله من الفقراء والموالي فنزل ذلك فيهم.

الرابع: أنها نزلت في عائشة وقد عابت أم سلمة.

واختلفوا في الذي عابتها به فقال مقاتل: عابتها بالقصر، وقال غيره: عابتها بلباس تشهرت به.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يعني ظن السوء بالمسلم توهماً من غير أن تعلمه يقيناً(٣٢٢).

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني ظن السوء.

الثاني: أن يتكلم بما ظنه فيكون إثماً، فإن لم يتكلم به لم يكن إثماً، قاله مقاتل بن حيان.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو أن يتبع عثرات المؤمن، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: هو البحث عما خفي حتى يظهر، قاله الأوزاعي.

وفي التجسس والتحسس وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد، قاله ابن عباس وقرأ الحسن(٣٢٣) بالحاء. وقال الشاعر:

تجنبت سعدى أن تشيد بذكرها ... إذا زرت سعدى الكاشح المتحسس

وقال أبو عمرو الشيباني: الجاسوس: صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير.

والوجه الثاني: أنهما مختلفان. وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن التجسس بالجيم هو البحث، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور وبالحاء هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

الثاني: أنه بالحاء أن يطلبه لنفسه وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره. والتجسس أن يجس الأخبار لنفسه ولغيره.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ والغيبة: ذكر العيب بظهر الغيب، قال الحسن: الغيبة ثلاثة كلها في كتاب الله: الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة، فأن تقول في

---

(٣٢٢) راجع كلام الإمام الشوكاني هنا في معنى الظن فإنه ذكر عدة فوائد (٥/ ٦٤) فتح القدير.

(٣٢٣) وقرأ بها أيضاً أبو رزين والضحاك وابن سيرين وأبو رجاء وأبي معمر. زاد المسير (٧/ ٤٧١).

أخيك ما هو فيه. وإما الإفك، فأن تقول فيه ما بلغك عنه. وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه.

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي[٣٢٤] هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة قال: «**هُوَ أَن تَقُولَ لِأَخِيكَ مَا فِيهِ فَإِن كُنتَ صَادِقاً فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِن كُنتَ كَاذِباً فَقَدْ بَهَتَّهُ**».

﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي كما يحرم أكل لحمه ميتاً يحرم غيبته حياً.

الثاني: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حياً، قاله قتادة. واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر:

فــإن أكلوا لحمي وفــرت لحــومهــم   وإن هــدموا مجــدي بنيت لهم مجـدا

﴿**فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فكرهتم أكل الميتة، كذلك فاكرهوا الغيبة.

الثاني: فكرهتم أن يعلم بكم الناس فاكرهوا غيبة الناس.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ**﴾ قصد بهذه الآية النهي عن التفاخر بالأنساب، وبين التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء.

ثم قال: ﴿**وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ**﴾ فبين أن الشعوب والقبائل للتعارف لا للافتخار، وفيها ثلاثة أوجه:

(٣٢٤)رواه أبو داود (٨٧٤) والترمذي (١٥/٢) وقال حسن صحيح وابن جرير (١٣٥/٢٦) واللفظ له ورواه مسلم (٢٠٠١/٤) من حديث وأوله أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول . . .

أحدها: أن الشعوب النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب، قاله مجاهد وقتادة. وقال الشاعر(٣٢٥):

قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

وسموا شعوباً لأن القبائل تشعبت منها.

الثاني: أن الشعوب عرب اليمن من قحطان، والقبيلة ربيعه ومضر وسائر عدنان

الثالث: أن الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب.

ويحتمل رابعاً: أن الشعوب هم المضافون إلى النواحي والشعاب، والقبائل هم المشتركون في الأنساب، قال الشاعر:

وتفرقوا شعباً فكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنبر

والشعوب جمع شَعب بفتح الشين، والشِّعب بكسر الشين هو الطريق وجمعه شعاب، فكان اختلاف الجمعين مع اتفاق اللفظين تنبيهاً على اختلاف المعنيين.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إن أفضلكم، والكرم بالعمل والتقوى لا بالنسب.

۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ
فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ
أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(٣٢٥) فتح القدير (٥/٦٧).

﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا. . .﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم أقروا ولم يعملوا، فالإسلام قول والإيمان(٣٢٦) عمل، قاله الزهري.

الثاني: أنهم أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة قبل أن يهاجروا فأعلمهم أن اسمهم أعراب، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم مَنُّوا على رسول الله ﷺ بإسلامهم فقالوا أسلمنا، لم نقاتلك، فقال الله تعالى لنبيه: قل لهم: لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا خوف السيف، قاله قتادة. لأنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فلم يكونوا مؤمنين، وتركوا القتال فصاروا مستسلمين لا مسلمين، فيكون مأخوذاً من الاستسلام لا من الإسلام كما قال الشاعر:

طال النهار على من لا لقاح له إلا الهدية أو ترك بإسلام

ويكون الإسلام والإيمان في حكم الدين على هذا التأويل(٣٢٧) واحداً وهو مذهب الفقهاء، لأن كل واحد منهما تصديق وعمل.

وإنما يختلفان من وجهين:

أحدهما: من أصل الاسمين لأن الإيمان مشتق من الأمن، والإسلام مشتق من السلم.

الثاني: أن الإسلام علم لدين محمد ﷺ والإيمان لجميع الأديان، ولذلك امتنع اليهود والنصارى أن يتسموا بالمسلمين، ولم يمتنعوا أن يتسموا بالمؤمنين. قال الفراء: ونزلت هذه الآية في أعراب بني أسد.

قوله عز وجل: ﴿. . . لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْـًٔا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يمنعكم من ثواب عملكم شيئاً، قال رؤبة(٣٢٨):

(٣٢٦)وفي هذا القول: أنظر كلام الأئمة في قول الزهري.

(٣٢٧)وهو الصواب من القول في ذلك وهو قول أهل السنة والجماعة.

(٣٢٨)مجاز القرآن (٢/٢٢١) والطبري (١٠/٢) (٢٦/١٤٣) اللسان «ليت» زاد المسير (٧/٤٧٧) وفتح القدير (٥/٦٨).

ولـيـلة ذات سـرى سـريـت ولم يلتني عـن سـراهـا لـيت

أي لم يمنعني عن سراها.

الثاني: ولا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، قال الحطيئة[٣٢٩]:

أبـلغ سـراة بـني سـعـد مـغـلغـلة جـهـد الـرسـالـة لا ألتـاً ولا كـذبـاً

أي لا نقصاً ولا كذباً.

وفيه قراءتان[٣٣٠]: ﴿يَلِتْكم﴾ و ﴿يألتكم﴾ وفيها وجهان:

أحدها: [أنهما]لغتان معناهما واحد.

الثاني: يألتكم أكثر وأبلغ من يلتكم.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُم﴾ الآية. هؤلاء أعراب حول المدينة أظهروا الإسلام خوفاً، وأبطنوا الشرك اعتقاداً فأظهر الله ما أبطنوه وكشف ما كتموه، ودلهم بعلمه بما في السموات والأرض علم علمه بما اعتقدوه، وكانوا قد منوا بإسلامهم على رسول الله ﷺ، وقالوا: فضلنا على غيرنا بإسلامنا طوعاً.

فقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ وهذا صحيح لأنه إن كان إسلامهم حقاً فهو لخلاص أنفسهم فلا مِنَّةَ فيه لهم، وإن كان نفاقاً فهو للدفع عنهم، فالمنة فيه عليهم.

ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله أحق أن يمن عليكم أن هداكم للإيمان حتى آمنتم. وتكون المنة هي التحمد بالنعمة.

الثاني: أن الله تعالى ينعم عليكم بهدايته لكم، وتكون المنة هي النعمة. وقد يعبر بالمنة عن النعمة تارة وعن التحمد بها أخرى.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني فيما قلتم من الإيمان.

---

(٣٢٩) روح المعاني (٢٦/١٦٨) فتح القدير (٥/٦٨).

(٣٣٠) راجع الحجة في القراءات ٦٧٦ وزاد المسير (٧/٤٧٧).

سُورَةُ قٓ

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الآية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا
شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ
مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قٓ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم بها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أن معناه قضى والله، كما قيل في حمٓ: حمّ والله، وهذا معنى قول مجاهد.

الرابع: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله الضحاك.

قال مقاتل: وعروق الجبال كلها منه.

ويحتمل خامساً: أن يكون معناه قف؛ كما قال الشاعر(٣٣١):

(٣٣١) تقدم تخريج هذا البيت في أول سورة البقرة.

قلت لها قفي فقالت قاف ... ...

أي وقفت. ويحتمل ما أريد بوقفه عليه وجهين:

أحدهما: قف على إبلاغ الرسالة لئلا تضجر بالتكذيب.

الثاني: قف على العمل بما يوحى إليك لئلا تعجل بما لم تؤمر به.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الكريم، قاله الحسن.

الثاني: أنه مأخوذ من كثرة القدر والمنزلة، لا من كثرة العدد من قولهم فلان كثير في النفوس، ومنه قول العرب في المثل السائر: لها في كل الشجر نار، واستجمد المرخ(٣٣٢) والعفار، أي استكثر هذان النوعان من النار وزاد على سائر الشجر، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه العظيم، مأخوذ من قولهم قد مجدت الإبل إذا أعظمت بطونها من كلأ الربيع.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قسم أقسم الله به تشريفاً له وتعظيماً لخطره لأن عادة جارية في القسم ألا يكون إلا بالمعظم. وجواب القسم محذوف ويحتمل وجهين:

أحدهما: هو أن محمداً رسول الله ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.

الثاني: أنكم مبعوثون بدليل قوله: ﴿إِئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً﴾.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم عجبوا أن دعوا إلى إلّه واحد، قاله قتادة.

الثاني: عجبوا أن جاءهم منذر منهم، من قبل الله تعالى.

الثالث: أنهم عجبوا من إنذارهم بالبعث والنشور.

قوله عز وجل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من يموت منهم، قاله قتادة.

---

(٣٣٢) وهما نوعان من الشجر إذا ضرب بعضهما ببعض خرج منهما نار.

الثاني: يعني ما تأكله الأرض من لحومهم وتبليه من عظامهم، قاله الضحاك.

﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ يعني اللوح المحفوظ. وفي حفيظ وجهان:

أحدهما: حفيظ لأعمالهم.

الثاني: لما يأكله التراب من لحومهم وأبدانهم وهو الذي تنقصه الأرض منهم.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ...﴾ الآية. الحق يعني القرآن في قول الجميع.

﴿مَّرِيجٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن المريج المختلط. قاله الضحاك.

الثاني: المختلف، قاله قتادة.

الثالث: الملتبس، قاله الحسن.

الرابع: الفاسد، قاله أبو هريرة. ومنه قول أبي دؤاد(٣٣٣):

مرج الدين فأعددت له   مشرف الحارك محبوك الكتد

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من شقوق.

الثاني: من فتوق، قاله ابن عيسى إلا أن الملك تفتح له أبواب السماء عند العروج.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي بسطناها.

(٣٣٣) اللسان (مرج).

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال الرواسي الثوابت، واحدها راسية قال الشاعر:

رسا أصله تحت الثرى وسما به   إلى النجم فرع لا ينال طويل

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كل نوع.

﴿بَهِيجٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حسن، مأخوذ من البهجة وهي الحسن.

الثاني: سارّ مأخوذ من قولهم قد أبهجني هذا الأمر أي سرني، لأن السرور يحدث في الوجه من الإسفار والحمرة ما يصير به حسناً. قال الشعبي: الناس نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

قوله عز وجل: ﴿تَبْصِرَةً﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بصيرة للإنسان، قاله مجاهد.

الثاني: نعماً بصر الله بها عباده، قاله قتادة.

الثالث: يعني دلالة وبرهاناً.

﴿وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المنيب المخلص، قاله السدي.

الثاني: أنه التائب إلى ربه، قاله قتادة.

الثالث: أنه الراجع المتذكر، قاله ابن بحر.

وقد عم الله بهذه التبصرة والذكرى وإن خص بالخطاب كل عبد منيب لانتفاعه بها واهتدائه إليها.

قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً﴾ يعني المطر، لأنه به يحيا النبات والحيوان.

﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ فيها هنا وجهان:

أحدهما: أنها البساتين، قاله الجمهور.

الثاني: الشجر، قاله ابن بحر.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ يعني البر والشعير، وكل ما يحصد من الحبوب، إذا تكامل واستحصد سمي حصيداً، قال الأعشى:

لسنا كما إياد دارها تكريث ينظر حبه أن يحصدا

قوله عز وجل: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها الطوال، قاله ابن عباس ومجاهد. قاله الشاعر(٣٣٤):

يا ابن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزاره

أي طالت عليهم

(الثاني) أنها التي قد ثقلت من الحمل، قاله عكرمة. وقال الشاعر:

فلما تركنا الدار ظلت منيفة بقران فيه الباسقات المواقر

﴿نَضِيدٌ﴾ أي منضود، فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن النضيد المتراكم المتراكب، قاله ابن عباس في رواية عكرمة عنه.

الثاني: أنه المنظوم، وهذا يروى عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: أنه القائم المعتدل، قاله ابن الهاد.

قوله عز وجل: ﴿رِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾ يعني ما أنزله من السماء من ماء مبارك، وما أخرجه من الأرض بالماء من نبات وحب الحصيد وطلع نضيد.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيتاً كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ جعل هذا كله دليلاً على البعث والنشور من وجهين:

أحدهما: أن النشأة الأولى إذا خلقها من غير أصل كانت النشأة الثانية بإعادة ما له أصل أهون.

الثاني: أنه لما شوهد من قدرته، إعادة ما مات من زرع ونبات كان إعادة من مات من العباد أولى للتكليف الموجب للجزاء.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

(٣٣٤) هو ابن نوفل والبيت في اللسان (بسق). والطبري (٢٦/١٠٣).

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ في الرس وجهان:
أحدهما: أنه كل حفرة في الأرض من بئر وقبر.
الثاني: أنها البئر التي لم تطو بحجر ولا غيره.
وأما أصحاب الرس ففيهم أربعة أقاويل:
أحدها: أنها بئر قتل فيها صاحب ياسين ورسوه، قاله الضحاك.
الثاني: أنهم أهل بئر بأذربيجان، قاله ابن عباس.
الثالث: أنهم قوم باليمامة كانوا لهم آبار، قاله قتادة. قال الزهير(٣٣٥):

بكـرن بكـوراً واستحـرن بسحـرة   فهن ووادي الـرس كـاليـد في الفم

الرابع: أنهم أصحاب الأخدود.

﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح، وكانوا عرباً بوادي القرى وما حولها. وثمود مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل الكدر، قال النابغة(٣٣٦):

واحكم بحكم فتـاة الحي إذ نـظرت   إلـى حـمـام سـراع وارد الـثـمـد

﴿وَعَادٌ﴾ وهو اسم رجل كان من العماليق كثر ولده، فصاروا قبائل وكانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف الرمال، وهم قوم هود.

﴿فِرْعَوْنُ﴾ وقد اختلف في أصله فحكي عن مجاهد أنه كان فارسياً من أهل إصطخر. وقال ابن لهيعة: كان من أهل مصر وحكي عن ابن عباس أنه عاش ثلاثمائة سنة منها مائتان وعشرون سنة لا يرى ما يقذي عينه، فدعاه موسى ثمانين سنة. وحكى غيره أنه عاش أربعمائة سنة.

واختلف في نسبه فقال بعضهم هو من لخم، وقال آخرون هو من تبَّع.

﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ يعني قومه وأتباعه، قال مجاهد: كانوا أربعمائة ألف بيت، في كل بيت عشرة مردة، فكانوا أربعة آلاف ألف.

---

(٣٣٥) ومعلقة زهير انظر شرح المعلقات السبع لابي بكر الأنباري ص
(٣٣٦) ديوانه: ٢٣
وقوله هنا سراع كذا وقع في المطبوعة وهو خطأ والصواب شراع كما هي رواية الديوان.

وقال عطاء: ما من أحد من الأنبياء إلا وقد يقوم معه قوم إلا لوط فإنه يقوم وحده.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ والأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف كما قال أبو داود الإيادي:

كأن عرين أيكته تلاقى ... بها جمعان من نبط وروم

قال قتادة: وكان عامة شجرها الدوم، وكان رسولهم شعيباً، وأرسل إليهم، وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذبتا بعذابين، أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس.

﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٍ﴾ وتبع كان رجلاً من ملوك العرب من حِمير، سُمّي تبعاً لكثرة من تبعه. قال وهب: إن تبعاً أسلم وكفر قومه، فلذلك ذكر قومه، ولم يذكر تبع. قال قتادة وهو الذي حير الحيرة وفتح سمرقند حتى أخربها، وكان يكتب إذا كتب: بسم الله الذي تَسمَّى وملك براً وبحراً وضحى وريحاً.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ يعني أن كل هؤلاء كذبوا من أرسل إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعذابه. فذكر الله قصص هؤلاء لهذه الأمة، ليعلم المكذبون منهم بالنبي ﷺ. أنهم كغيرهم من مكذبي الرسل إن أقاموا على التكذيب فلم يأمنوا، حتى أرشد الله منهم من أرشد وتبعهم رغباً ورهباً من تبع.

قوله عز وجل: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ أما اللبس فهو اكتساب الشك، ومنه قول الخنساء(٣٣٧):

صدق مقالته واحذر عداوته ... والبس عليه بشك مثل ما لبسا

والخلق الجديد هو إعادة خلق ثان بعد الخلق الأول. وفي معنى الكلام تأويلان:

أحدهما: أفعجزنا عن إهلاك الخلق الأول، يعني من تقدم ذكره حين كذبوا رسلي مع قوتهم، حتى تشكوا في إهلاكنا لكم مع ضعفكم إن كذبتم، فيكون هذا خارجاً منه مخرج الوعيد.

(٣٣٧) ديوانها:

الثاني: معناه أننا لم نعجز عن إنشاء الخلق الأول، فكيف تشكون في إنشاء خلق جديد، يعني بالبعث بعد الموت، فيكون هذا خارجاً مخرج البرهان والدليل.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى
ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى
غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ الوسوسة كثرة حديث النفس بما لا يتحصل في حفاء وإسرار، ومنه قول رؤبة (٣٣٨):

وسـوس يـدعـو مخلصـاً رب الفلق ... ...

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِن حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه حبل معلق به القلب، قاله الحسن. والأصم وهو الوتين.

الثاني: أنه عرق في الحلق، قاله أبو عبيدة.

الثالث: ما قاله ابن عباس، عرق العنق ويسمى حبل العاتق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وسمي وريداً، لأنه العرق الذي ينصب إليه ما يرد من الرأس.

وفي قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ تأويلان:

أحدهما(٣٣٩): ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذي هو منه.

---

(٣٣٨) وبقية البيت سراً وقد أو الفقق.
والبيت في اللسان «وسس».

(٣٣٩) معنى هذه الآية أي أن الله قريب بمعنى العلم وليس قرب المكان لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهة والمكان وكما قال سيدنا الإمام علي رضي الله عنه فيما رواه الإمام عبد القاهر التميمي البغدادي «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي وهو من السلف الصالح في عقيدته المسمى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة قال «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» وهذه الآية كقوله تعالى «وهو معكم أينما كنتم» فهذه المعية ليست على الحقيقة وإلا لزم الحلول

الثاني: ونحن أملك به من حبل وريده، مع استيلائه عليه.

ويحتمل ثالثاً: ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده، الذي هو من نفسه، لأنه عرق يخالط القلب، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ..﴾ الآية. قال الحسن ومجاهد وقتادة: المتلقيان ملكان يتلقيان عملك، أحدهما عن يمينك، يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك.

قال الحسن: حتى إذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة: ﴿ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

وفي ﴿قَعِيدٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه القاعدة، قاله المفضل.

الثاني: المرصد الحافظ، قاله مجاهد. وهو مأخوذ من القعود.

قال الحسن: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار وملكان بالليل.

قوله عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بشيء، مأخوذ من لفظ الطعام، وهو إخراجه من الفم.

﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المتتبع للأمور.

الثاني: أنه الحافظ، قاله السدي.

الثالث: أنه الشاهد، قاله الضحاك.

وفي ﴿عَتِيدٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الحاضر الذي لا يغيب.

الثاني: أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله قد أوعده.

والاتحاد وكذلك هي كقوله تعالى «والله من ورائهم محيط». وكذلك ما ورد في البخاري «فإنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وحديث آخر «فإنه أقرب إلى أحدكم من شراك نعله». ولذا فلا يصح أن يقال في كل هذه الآيات والأحاديث أن القرب مكاني.

الثاني: أن يكون الحق هو الموت، سمي حقاً، إما لاستحقاقه، وإما لانتقاله إلى دار الحق. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: وجاءت سكرة الحق بالموت، ووجدتها في قراءة ابن مسعود كذلك.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه كان يحيد من الموت، فجاءه الموت.

الثاني: أنه يحيد من الحق، فجاءه الحق عند المعاينة.

وفي معنى التحيد وجهان:

أحدهما: أنه الفرار، قاله الضحاك.

(الثاني): العدول، قاله السدي. ومنه قول الشاعر:

ولقد قلت حين لم يك عنه لي ولا للرجال عنه محيد.

فروى عاصم بن أبي بهدلة، عن أبي[٣٤٠] وائل، أن عائشة قالت عند أبيها وهو يقضي:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً، وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر: [هلا قلت كما قال الله][*] ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أما السائق ففيه قولان:

أحدهما: أنه ملك يسوقه إلى المحشر[٣٤١]، قاله أبو هريرة وابن زيد.

الثاني: أنه أمر من الله يسوقه إلى موضع الحساب، قاله الضحاك.

وأما الشهيد ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ملك يشهد عليه بعمله، وهذا قول عثمان بن عفان والحسن.

الثاني: أنه الإنسان[٣٤٢]، يشهد على نفسه بعمله، رواه أبو صالح.

(٣٤٠) رواه الطبري (٢٦/ ١٦٠).

(*) عبارة يقتضيها السياق اخذناها من تفسير القرطبي.

(٣٤١) ورجحه ابن كثير (٢٦/ ١٦١) واختاره ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(٣٤٢) واختاره ابن جرير (٢٦/ ١٦١).

الثالث: أنها الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله بنفسه، قاله أبو هريرة.

ثم في الآية قولان:

أحدهما: أنها عامة في المسلم والكافر، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنها خاصة في الكافر، قاله الضحاك.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّن هَـٰذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الكافر، كان في غفلة من عواقب كفره، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه(٣٤٣) النبي ﷺ، كان في غفلة عن الرسالة مع قريش في جاهليتهم، قاله عبد الرحمن بن زيد.

ويحتمل ثالثاً: لقد كنت أيها الإنسان في غفلة عن أن كل نفس معها سائق وشهيد لأن هذا لا يعرف إلا بالنصوص الإلّهية.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه إذا كان في بطن أمه فولد، قاله السدي.

الثاني: إذا كان في القبر فنشر، وهذا معنى قول ابن عباس.

الثالث: أنه وقت العرض في القيامة، قاله مجاهد.

الرابع: أنه نزول الوحي وتحمل الرسالة، وهذا معنى قول ابن زيد.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وفي المراد بالبصر هنا وجهان:

أحدهما: بصيرة القلب لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار، ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من الأشخاص والأجسام، فعلى هذا في قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ تأويلان:

أحدهما: سريع كسرعة مور الحديد.

الثاني: صحيح كصحة قطع الحديد.

الوجه الثاني: أن المراد به بصر العين وهو الظاهر، فعلى هذا في قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ تأويلان:

أحدهما: شديد، قاله الضحاك.

الثاني: بصير، قاله ابن عباس.

(٣٤٣) ولكن عقب الآلوسي رحمه الله على هذا القول (٢٦/١٨٤) فراجعه.

وماذا يدرك البصر؟ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يعاين الآخرة، قاله قتادة.

الثاني: لسان الميزان، قاله الضحاك.

الثالث: ما يصير إليه من ثواب أو عقاب، وهو معنى قول ابن عباس.

الرابع: ما أمر به من طاعة وحذره من معصية، وهو معنى قول ابن زيد.

الخامس: العمل الذي كان يعمله في الدنيا، قاله الحسن.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أما قرينه ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الملك الشهيد عليه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنه قرينه الذي قيض له من الشياطين، قاله مجاهد.

الثالث: أنه قرينه من الإنس، قاله ابن زيد في رواية ابن وهب عنه.

وفي قوله: ﴿هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ وجهان:

أحدهما: هذا الذي وكلت به أحضرته، قاله مجاهد.

الثاني: هذا الذي كنت أحبه ويحبني قد حضر، قاله ابن زيد.

قوله عز وجل: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ في ألقيا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المأمور بألقيا كل كافر في النار ملكان.

الثاني: يجوز أن يكون واحد ويؤمر بلفظ الاثنين كقول الشاعر(٣٤٤):

فإن تزجراني يابن عفان أنزجر ... وإن تدعاني أحم عرضاً ممنعاً

الثالث: أنه خارج مخرج تثنية القول على معنى قولك ألق ألق، قف قف،

(٣٤٤) هو أبو ثروان سويد بن كراع والبيت في مشكل القرآن ص ٢٢٥. والطبري (٢٦/١٦٥) وروح المعاني (٢٦/١٨٥) وفتح القدير (٥/٧٧) وزاد المسير (٨/١٦).

تأكيداً للأمر. والكفار [بفتح الكاف](*) أشد مبالغة من الكافر.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن الكفار الذي كفر بالله ولم يطعه، وكفر بنعمه ولم يشكره.

الثاني: أنه الذي كفر بنفسه وكفر غيره بإغوائه.

وأما العنيد ففيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه المعاند للحق، قاله بعض المتأخرين.

الثاني: أنه المنحرف عن الطاعة، قاله قتادة.

الثالث: أنه الجاحد المتمرد، قاله الحسن.

الرابع: أنه المشاق، قاله السدي.

الخامس: أنه المعجب بما عنده المقيم على العمل به، قاله ابن بحر.

فأما العاند ففيه وجهان:

أحدهما: أنه الذي يعرف بالحق ثم يجحده.

الثاني: أنه الذي يدعى إلى الحق فيأباه.

قوله عز وجل: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخير﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه منع الزكاة المفروضة، قاله قتادة.

الثاني: أن الخير المال كله، ومنعه حبسه عن النفقة في طاعة الله، قاله بعض المتأخرين.

الثالث: محمول على عموم(٣٤٥) الخير من قول وعمل.

﴿مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ في المريب ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الشاك في الله، قاله السدي.

الثاني: أنه الشاك في البعث، قاله قتادة.

الثالث: أنه المتهم. قال الشاعر(٣٤٦):

بثينة قالت يا جميل أربتنا فقلت كلانا يا بثين مريب

(*) زيادة للايضاح.

(٣٤٥) وهو أولى لأنه أعم.

(٣٤٦) تقدم تخريج هذا الحديث في سورة البقرة.

وأريننا من لا يؤدي أمانة ولا يحفظ الأسرار حين يغيب

قال الضحاك: هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي حين استشاره بنو أخيه في الدخول في الإسلام فمنعهم.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن اختصامهم هو اعتذار كل واحد منهم فيما قدم من معاصيه، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه تخاصم كل واحد مع قرينه الذي أغواه في الكفر، قاله أبو العالية. فأما اختصامهم في مظالم الدنيا، فلا يجوز أن يضاع لأنه يوم التناصف.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الوعيد الرسول، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه القرآن، قاله جعفر بن سليمان.

الثالث: أنه الأمر والنهي، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أنه الوعد بالثواب والعقاب.

قوله عز وجل: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فيما أوجه من أمر ونهي، وهذا معنى قول ابن زيد.

الثاني: فيما وعد به من طاعة ومعصية، وهو محتمل.

الرابع: في أن بالحسنة عشر أمثالها وبخمس الصلوات خمسين صلاة، قاله قتادة.

﴿وَمَآ أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما أنا بمعذب من لم يجرم، قاله ابن عباس.

الثاني: ما أزيد في عقاب مسيء ولا أنقص من ثواب محسن، وهو محتمل.

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ
﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ
مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هل يزاد إلى من ألقي غيرهم؟ فالاستخبار عمن بقي، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: معناه إني قد امتلأت، ممن ألقي في، فهل أسع غيرهم؟ قاله مقاتل.

الثالث: معناه هل يزاد في سعتي؟ لإلقاء غير من ألقي في، قاله معاذ.

وفي قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ وجهان:

أحدهما: أن(٣٤٧) زبانية جهنم قالوا هذا.

الثاني: أن حالها كالمناطقة بهذا القول، كما قال الشاعر(٣٤٨):

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

قوله عز وجل: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ في الأواب الحفيظ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الذاكر ذنبه في الخلاء، قاله الحكم.

الثاني: أنه الذي إذا ذكر ذنباً تاب واستغفر الله منه، قاله ابن مسعود ومجاهد والشعبي.

الثالث: أنه الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله فيه، قاله عبيد بن عمير.

وأما الحفيظ هنا ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المطيع فيما أمر، وهو معنى قول السدي.

الثاني: الحافظ لوصية الله بالقبول، وهو معنى قول الضحاك.

الثالث: أنه الحافظ لحق الله بالاعتراف ولنعمه بالشكر، وهو معنى قول

(٣٤٧) ولماذا هذا عن الظاهر ولا دليل إلى حرف الظاهر عن معناه وقد أخبرنا النبي ﷺ بأن الجنة والنار قد اختصمتا وتحاجتا وهذا كله يدل على أنهما تكلما بكلام حقيقي لكن لا ندري كيفيته وكذا تتكلم جهنم يوم القيامة كما أخبر ربنا بذلك.

(٣٤٨) تقدم تخريج هذا البيت.

مجاهد. وروى مكحول عن أبي هريرة(٣٤٩) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ أَرْبعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ كَانَ أَوَّاباً حَفِيظاً».

قوله عز وجل: ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الذي يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر.

الثاني: أنه التائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها، كما فعلها سراً.

ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء. ووجدت فيه لبعض المتكلمين.

رابعاً: أنه الذي أطاع الله بالأدلة ولم يره.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المنيب المخلص، قاله السدي.

الثاني: أنه المقبل على الله، قاله سفيان:

الثالث: أنه التائب، قاله قتادة.

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ﴾ يعني ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المزيد من يزوج بهن من الحور العين، رواه أبو سعيد(٣٥٠) الخدري مرفوعاً.

الثاني: أنها الزيادة التي ضاعفها الله من ثوابه بالحسنة عشر أمثالها.

وروى أنس(٣٥١) عن النبي ﷺ أن جبريل أخبره: أن يوم الجمعة يدعى في الآخرة يوم المزيد. وفيه وجهان:

أحدهما: لزيادة ثواب العمل فيه.

---

(٣٤٩) وهو حديث منقطع بين مكحول وأبي هريرة... ولم أظفر إلى الآن بمن خرجه والله أعلم.

(٣٥٠) رواه ابن جرير (٢٦/ ١٧٥) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٥) نسبته لابن يعلى وأحمد وحسن سنده قلت وفي سنده دراج أبو السمح وهو صاحب مناكير وقد رواه عن أبي الهيثم وهو ضعيف فيه خاصة.

(٣٥١) رواه الطبري (٢٦/ ١٧٥) وفي سنده عثمان بن عمير وهو ضعيف وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٦٠٥) نسبته للشافعي في الأم وابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر والطبراني في الأوسط والآجري في الشريعة والبيهقي في الرؤية وأبي نصر السجزي في الإيمان وقال السيوطي من طرق جيدة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ.

الثاني: لما روي أن الله تعالى يقضي فيه بين خلقه يوم القيامة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَادِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أثروا في البلاد، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم ملكوا في البلاد، قاله الحسن.

الثالث: ساروا في البلاد وطافوا، قاله قتادة، ومنه قول امرىء القيس(٣٥٢):

وقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

الرابع: أنهم اتخذوا فيها طرقاً ومسالك، قاله ابن جريج.

ويحتمل خامساً: أنه اتخاذ الحصون والقلاع.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هل من منجٍ من الموت، قاله ابن زيد.

الثاني: هل من مهرب، قال معمر عن قتادة: حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله تعالى لهم مدركاً.

الثالث: هل من مانع؟ قال سعيد عن قتادة: حاص الفجرة، فوجدوا أمر الله منيعاً.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لمن كان له عقل، قاله مجاهد، لأن القلب محل العقل.

---

(٣٥٢) ديوانه: ٩٩ واللسان «تعب» والطبري (٢٦/١٧٦) معاني القرآن ص ٣١٠ مجاز القرآن (٢/٢٢٤) مختار الشعر الجاهلي (١/٨٠).

الثاني: لمن كانت له حياة ونفس مميزة، فعبر عن النفس الحية بالقلب لأنه وطنها ومعدن حياتها. كما قال امرؤ القيس(٣٥٣):

أغـرك مـنـي أن حـبـك قـاتـلي وأنـك مهمـا تـأمـري القلب يفعـل

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ألقى السمع فيما غاب عنه بالأخبار، وهو شهيد فيما عاينه بالحضور.

الثاني: معناه سمع ما أنزل الله من الكتب وهو شهيد بصحته.

الثالث: سمع ما أنذر به من ثواب وعقاب، وهو شهيد على نفسه بما عمل من طاعة أو معصية.

وفي الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها في جميع أهل الكتب، قاله قتادة.

الثاني: أنها في اليهود والنصارى خاصة، قاله الحسن.

الثالث: أنها في أهل القرآن خاصة، قاله محمد بن كعب وأبو صالح.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ واللغوب التعب والنصب: قال الراجز.

إذا رقى الحـادي الـمـطي اللغبـا وانـتـعـل الـظل فـصـار جـوربـا

قال قتادة والكلبي: نزلت هذه الآية في يهود المدينة، زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، واستراح في يوم السبت، ولذلك جعلوه يوم راحة، فأكذبهم الله في ذلك.

قوله عز وجل: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أمر فيه بالصبر على ما يقوله المشركون، إما من تكذيب أو وعيد.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ الآية. وهذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ، فهو عام له ولأمته.

وفي هذا التسبيح وجهان:

أحدهما: أنه تسبيحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، قاله أبو الأحوص.

---

(٣٥٣) ديوانه ص ١٣ والبيت في معلقته المشهورة.

الثاني: أنها الصلاة ومعناه فصلِّ بأمر ربك قبل طلوع الشمس، يعني صلاة الصبح، وقبل الغروب، يعني صلاة العصر، قاله أبو صالح ورواه جرير بن عبدالله مرفوعاً(٣٥٤).

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه تسبيح الله تعالى قولاً في الليل، قاله أبو الأحوص.

الثاني: أنها صلاة الليل، قاله مجاهد.

الثالث: أنها ركعتا الفجر، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن زيد.

ثم قال ﴿وَأَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه التسبيح في أدبار الصلوات، قاله أبو الأحوص.

الثاني: أنها النوافل بعد المفروضات، قاله ابن زيد.

الثالث: أنها ركعتان بعد المغرب، قاله علي رضي الله عنه وأبو هريرة.

وروى ابن عباس(٣٥٥) قال: بت ليلة عند رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال: «يا ابن عباس رَكْعَتَانِ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ أَدْبَارَ ٱلنُّجُومِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ ٱلْمَغْرِبِ أَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ».

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ

(٣٥٤)رواه الطبراني في الأوسط وقال في المجمع (٧/١١٢) وفيه داود بن الزبرقان وهو متروك وزاد السيوطي في الدر (٧/٦١٠) نسبته لابن عساكر.

(٣٥٥)رواه ابن جرير (٢٦/١٨١) والترمذي (٣٢٧١) والحاكم (١/٣٢٠) وصححه وزاد في الدر (٧/٦١٠) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه. وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن كثير (٤/٢٣٠) وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وأنه بات في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه والله أعلم.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ هذه الصيحة التي ينادي بها المنادي من مكان قريب هي النفخة الثانية التي للبعث إلى أرض المحشر.

ويحتمل وجهاً آخر، أنه نداؤه في المحشر للعرض والحساب.

وفي قوله: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه يسمعها كل قريب وبعيد، قال ابن جريج.

الثاني: أن الصيحة من مكان قريب. قال قتادة: كنا نحدث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض: يا أيتها العظام البالية، قومي لفصل القضاء وما أعد من الجزاء. وحدثنا، أن كعباً(٣٥٦) قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بقول الحق.

الثاني: بالبعث الذي هو حق.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الخروج من القبور.

الثاني: أن الخروج من أسماء القيامة. قال العجاج:

وليس يوم سمي الخروجا ... أعظم يوم رجه رجوجا

قوله عز وجل: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نحن أعلم بما يجيبونك من تصديق أو تكذيب.

الثاني: بما يسرونه من إيمان أو نفاق.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني برب، قاله الضحاك، لأن الجبار هو الله تعالى سلطانه.

---

(٣٥٦)رواه الطبري (٢٦/١٨٣) عن قتادة عن كعب الأحبار مطولاً ومختصراً عن بريدة رضي الله عنه وقال في روح المعاني (٢٦/١٩٤) معقباً على هذا القول «وأنت تعلم أن مثل هذا لا يقبل إلا بوحي ثم إن كونها وسط الأرض مما تأباه القواعد في معرفة الأرض والأطوال.

الثاني: متجبر عليهم متسلط، قاله مجاهد. ولذلك قيل لكل متسلط جبار. قال الشاعر[٣٥٧]:

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من صعره فتقوما

وهو في صفات المخلوقين ذم.

الثالث: أنك لا تجبرهم على الإسلام من قولهم قد جبرته على الأمر إذا قهرته على أمر، قاله الكلبي.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ الوعيد العذاب، والوعد الثواب. قال الشاعر[٣٥٨]:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال قتادة: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك. وروي أنه قيل[٣٥٩]: يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

(٣٥٧) هو المتلمس وقيل عمرو بن حتي التغلبي.

(٣٥٨) هو عامر بن الطفيلي والبيت في اللسان «وعد».

(٣٥٩) رواه الطبري (٢٦/ ١٨٥).

سُورَةُ الذَّارِيَات

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ
مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ
﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ الذاريات: الرياح، واحدتها ذارية لأنها تذرو التراب والتبن أي تفرقه في الهواء، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

وفي قوله ﴿ذَرْواً﴾ وجهان:

أحدهما: مصدر.

الثاني: أنه بمعنى ما ذرت، قاله الكلبي. فكأنما أقسم بالرياح وما ذرت الرياح.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الذاريات النساء الولودات لأن في ترائبهن ذرو الخلق، لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده

الصالحين، وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لأمرين.

أحدهما: لأنهن أوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين خصصن بالذكر.

الثاني: أن الذرو فيهن أطول زماناً وهن بالمباشرة أقرب عهداً.

﴿فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْراً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها السحب [يحملن] وِقْراً بالمطر. الثاني أنها الرياح [يحملن] وِقْراً بالسحاب، فتكون الريح الأولى مقدمة السحاب لأن أمام كل سحابة ريحاً، والريح الثانية حاملة السحاب. لأن السحاب لا يستقل ولا يسير إلا بريح. وتكون الريح الثانية تابعة للريح الأولى من غير توسط، قاله ابن بحر.

ويجري فيه احتمال قول:

ثالث: أنهن الحاملات من النساء إذا ثقلن بالحمل، والوقر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن، وبالفتح ثقل الأذن.

﴿فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ فيها قولان:

أحدهما: السفن تجري بالرياح يسراً إلى حيث سيرت.

الثاني: أنه السحاب، وفي جريها يسراً على هذا القول وجهان:

أحدهما: إلى حيث يسيرها الله تعالى من البقاع والبلاد.

الثاني: هو سهولة تسييرها، وذلك معروف عند العرب كما قال الأعشى(٣٦٠):

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مشي السحابة لا ريث ولا عجل

﴿فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه السحاب يقسم الله به الحظوظ بين الناس.

الثاني: الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه، قاله الكلبي. وهم: جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة(٣٦١)، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل(٣٦٢) وهو ملك الموت وقابض الأرواح، عليهم السلام.

(٣٦٠) ديوانه: ١٣٠ وفي الشطر الثاني فيه: مَرُّ السحابة.

(٣٦١) أي الغلظة القوة على الكافرين.

(٣٦٢) ولم يرد اسمه هذا في حديث صحيح مرفوع ولعل هذا الاسم من الإسرائيليات كما قال بعض العلماء.

والواو التي فيها واو القسم، أقسم الله بها لما فيها من الآيات والمنافع.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن يوم القيامة لكائن، قاله مجاهد.

الثاني: ما توعدون من الجزاء بالثواب والعقاب حق، وهذا جواب القسم.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن الحساب لواجب، قاله مجاهد.

الثاني: [أن] الدين الجزاء ومعناه أن جزاء أعمالكم بالثواب والعقاب لكائن، وهو معنى قول قتادة، ومنه قول لبيد.

قوم يدينون بالنوعين مثلهما بالسوء سوء وبالإحسان إحسانا

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ في السماء ها هنا وجهان:

أحدهما: أنها السحاب الذي يظل الأرض.

الثاني: وهو المشهور أنها السماء المرفوعة، قال عبدالله بن عمر: هي السماء السابعة.

وفي ﴿ٱلْحُبُكِ﴾ سبعة أقاويل:

أحدها: أن الحبك الاستواء، وهو مروي عن ابن عباس على اختلاف.

الثاني: أنها الشدة، وهو قول أبي صالح.

الثالث: الصفاقة، قاله خصيف.

الرابع: أنها الطرق، مأخوذ من حبك الحمام طرائق على جناحه، قاله الأخفش وأبو عبيدة.

الخامس: أنه الحسن والزينة، قاله علي وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير ومنه قول الراجز(٣٦٣):

كأنما جللها الحواك كنقشة في وشيها حباك

(٣٦٣) الطبري (٢٦/١٨٩) وفتح القدير (٥/٨٣) قوله كنفشة لعله خطأ والصواب كطنفسة كذا هو في الطبري وفتح القدير والقرطبي.

السادس: أنه مثل حبك الماء إذا ضربته الريح، قاله الضحاك. قال زهير(٣٦٤):

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح الشمال لضاحي مائة حبك

السابع: لأنها حبكت بالنجوم، قاله الحسن. وهذا قسم ثان.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني في أمر مختلف، فمطيع وعاص، ومؤمن وكافر، قاله السدي.

الثاني: أنه القرآن فمصدق له ومكذب به، قاله قتادة.

الثالث: أنهم أهل الشرك مختلف عليهم بالباطل، قاله ابن جريج.

ويحتمل رابعاً: أنهم عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره. وهذا جواب القسم الثاني.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها يضل عنه من ضل، قاله ابن عباس.

الثاني: يصرف عنه من صرف، قاله الحسن.

الثالث: يؤفن عنه من أفن، قاله مجاهد، والأفن فساد العقل.

الرابع: يخدع عنه من خدع، قاله قطرب.

الخامس: يكذب فيه من كذب، قاله مقاتل.

السادس: يدفع عنه من دفع، قاله اليزيدي.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لعن المرتابون، قاله ابن عباس.

الثاني: لعن الكذابون، قاله الحسن.

الثالث: أنهم أهل الظنون والفرية، قاله قتادة.

الرابع: أنهم المنهمكون، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وقوله: ﴿قُتِلَ﴾ ها هنا، بمعنى لعن، والقتل اللعن. وأما الخراصون فهو جمع خارص. وفي الخرص ها هنا وجهان.

(٣٦٤) روح المعاني (٢٦/٤) والشطر الثاني فيه:

ريح خريف بدلاً من ريح الشمال والخريف هي الباردة الشديدة الهبوب

أحدهما: أنه تعمد الكذب، قاله الأصم.

الثاني: ظن الكذب، لأن الخرص حزر وظن، ومنه أخذ خرص الثمار.

وفيما يخرصونه وجهان:

أحدهما: تكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: التكذيب بالبعث. وفي معنى الأربع تأويلات وقد تقدم ذكرها في أولها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في غفلة لاهون، قاله ابن عباس.

الثاني: في ضلالاتهم متمادون، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: في عمى وشبهة يترددون، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: الذين هم في مأثم المعاصي ساهون عن أداء الفرائض.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي متى يوم الجزاء. وقيل: إن أيان كلمة مركبة من أي وآن.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ في ﴿يُفْتَنُونَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أي يعذبون، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

كل امرىء من عباد الله مضطهد   ببطن مكة مقهور ومفتون

الثاني: يطبخون ويحرقون، كما يفتن الذهب بالنار، وهو معنى قول عكرمة والضحاك.

الثالث: يكذبون توبيخاً وتقريعاً زيادة في عذابهم.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ الآية. فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معنى فتنتكم أي عذابكم، قاله ابن زيد.

الثاني: حريقكم، قاله مجاهد.

الثالث: تكذيبكم، قاله ابن عباس.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ

حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ
مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الفرائض، قاله ابن عباس.

الثاني: من الثواب، قاله الضحاك.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي قبل الفرائض محسنين بالإجابة، قاله ابن عباس.

الثاني: قبل يوم القيامة محسنين بالفرائض، قاله الضحاك.

﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: راجع على ما تقدم من قوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُواْ قَلِيلاً﴾ بمعنى أن المحسنين كانوا قليلاً، ثم استأنف: من الليل ما يهجعون، قاله الضحاك.

الثاني: أنه خطاب مستأنف بعد تمام ما تقدمه، ابتداؤه كانوا قليلاً، الآية.

والهجوع: النوم، قال الشاعر:

أزالكم الوسمي أحدث روضه   بليل وأحداق الأنام هجوع

وفي تأويل ذلك أربعة أوجه:

أحدها ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ أي يستيقظون فيه فيصلون ولا ينامون إلا قليلاً، قاله الحسن.

الثاني: أن منهم قليلاً ما يهجعون للصلاة في الليل وإن كان أكثرهم هجوعاً، قاله الضحاك.

الثالث: أنهم كانوا في قليل من الليل ما يهجعون حتى يصلوا صلاة المغرب وعشاء الآخرة، قاله أبو مالك.

الرابع: أنهم كانوا قليلاً يهجعون، وما: صلة زائدة، وهذا لما كان قيام الليل

فرضاً. وكان أبو ذر يحتجن يأخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

﴿وَبِٱلأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وبالأسحار هم يصلون، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم كانوا يؤخرون الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر ليستغفروا فيه، قاله الحسن.

قال ابن زيد: وهو الوقت الذي أخر يعقوب الاستغفار لبنيه حتى استغفر لهم فيه حين قال لهم ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨]. قال ابن زيد: والسحر السدس الأخير من الليل. وقيل إنما سمي سحراً لاشتباهه بين النور والظلمة.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الزكاة، قاله ابن سيرين وقتادة وابن أبي مريم.

الثاني: أنه حق سوى الزكاة تصل به رحماً أو تقري به ضيفاً أو تحمل به كلاًّ أو تغني به محروماً، قاله ابن عباس.

﴿لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ أما السائل فهو مَن يسأل الناس لفاقته، وأما المحروم، ففيه ثمانية أقوال:

أحدها: المتعفف الذي يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته، قاله قتادة.

الثاني: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم، قاله الحسن ومحمد بن الحنفية. وروي أن النبي ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت الآية.

الثالث: أنه من ليس له سهم في الإسلام، قاله ابن عباس.

الرابع: المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وهذا قول عائشة.

الخامس: أنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

السادس: أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب، قاله ابن زيد:

السابع: أنه المملوك، قاله عبد الرحمن بن حميد.

الثامن: أنه الكلب، روي أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجاء كلب فاحتز عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم(٣٦٥).

ويحتمل تاسعاً: أنه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه، حتى وجبت نفقته في مال غيره.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ يعني عظات للمعتبرين من أهل اليقين وفيها وجهان:

أحدهما: ما فيها من الجبال والبحار والأنهار، قاله مقاتل.

الثاني: من أهلك من الأمم السالفة وأباد من القرون الخالية، قاله الكلبي.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه سبيل الغائط والبول، قاله ابن الزبير ومجاهد.

الثاني: تسوية مفاصل أيديكم وأرجلكم وجوار حكم دليل على أنكم خلقتم لعبادته، قاله قتادة

الثالث: في خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، قاله ابن زيد.

الرابع: في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم، قاله السدي.

الخامس: في الكبر بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد، قاله الحسن.

ويحتمل سادساً: أنه نجح العاجز وحرمان الحازم.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق فهو رزق لهم من السماء، قاله سعيد بن جبير والضحاك.

الثاني: يعني أن من عند الله الذي في السماء رزقكم.

---

(٣٦٥) قال الشوكاني رحمه الله (٥/٨٥) واختلف في تفسير المحروم... ثم قال.. والذي ينبغي التعويل عليه ما يدل عليه المعنى اللغوي فالمحروم في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الأصل ومن أصيب ماله بجائحة فأذهبته ومن حرم العطاء ومن حرم الصدقة لتعففه اهـ. وبنحوه قال ابن جرير (٢٦/٢٠٤).

ويحتمل وجهاً ثالثاً: وفي السماء تقدير رزقكم وما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب.

وأما قوله ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من خير وشر، قاله مجاهد.

الثاني: من جنة ونار، قاله الضحاك.

الثالث: من أمر الساعة، قاله الربيع.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما جاء به الرسول من دين وبلغه من رسالة.

الثاني: ما عد الله عليهم في هذه السورة من آياته وذكره من عظاته. قال الحسن: بلغني(٣٦٦) أن رسول الله ﷺ قال: «قَاتَلَ ٱللَّهُ أَقْوَاماً أَقْسَمَ لَهُمرَبُّهُمْ[بِنَفْسِهِ] ثُمَّ لَمْ يُصَدِّقُوهُ».

وقد كان قس بن ساعدة في جاهليته ينبه بعقله على هذه العبر فاتعظ واعتبر، فروي عن النبي ﷺ أنه قال(٣٦٧): «رَأَيْتُهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ بِعُكَاظَ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَاالنَّاسُ ٱسْمَعُواْ وَعُوا، مِنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَن مَّاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ ءَآتٍ ءآتٍ، مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ؟ أَرَضُواْ بِالإِقَامَةِ فَأَقَامُواْ؟ أَمْ تُرِكُوا فَنَاموا؟ إِنَّ فِي السَّمَآءِ لَخَبَراً، وَإِنَّ فِي ٱلْأَرْضِ لَعِبَراً، سَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَلَيلٌ مَوضُوعٌ، وَبِحَارٌ تَثُورُ، وَنُجُومٌ تَحُورُ ثُمَّ تَغُورُ، أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً مَاءَاثِمٌ فِيهِ، إِنَّ لِلَّهِ دِيناً هُوَ أَرْضَىٰ مِن دِينٍ أَنتُم عَلَيهِ. ثُمَّ تَكَلَّمَ بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ مَا أَدْرِي مَا هِيَ»، فقال أبو بكر: كنت حاضراً إذ ذاك والأبيات عندي وأنشد:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

(٣٦٦) رواه الطبري (٢٦/٢٠٦) وزاد السيوطي في الدر (٧/٦١٩) نسبته لابن أبي حاتم وزاد ابن كثير (٤/٢٣٥) نسبته لمسدد والخبر بلاغ كما ترى.

(٣٦٧) هذه الخطبة ذكرها ابن إسحاق في السيرة.

فقال النبي ﷺ: «يُبْعَثُ يَوْمَ ٱلقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ» . ونحن نسأل الله تعالى مع زاجر العقل ورادع السمع أن يصرف نوازع الهوى ومواقع البلوى. فلا عذر مع الإنذار، ولا دالة مع الاعتبار، وأن تفقهن الرشد تدرك فوزاً منه وتكرمة.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ قال عثمان بن محسن(*): كانوا أربعة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفائيل.

وفي قوله ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنهم عند الله المعظمون.

الثاني: مكرمون لإكرام إبراهيم لهم حين خدمهم بنفسه، قاله مجاهد.

قال عطاء: وكان إبراهيم إذا أراد أن يتغدى، أو يتعشى خرج الميل والميلين والثلاثة، فيطلب من يأكل معه.

قال عكرمة: وكان إبراهيم يكنى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب لكي لا يفوته أحد.

وسمي الضيف ضيفاً، لإضافته إليك وإنزاله عليك(٣٦٨).

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيهِ فَقَالُواْ سَلَاماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ، قاله الأخفش، أي مسالمين غير محاربين لتسكن نفسه.

(*) وفي تفسير القرطبي «حصين».

(٣٦٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/٢٣٥) وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل.

الثاني: أنه دعا لهم بالسلامة، وهو قول الجمهور، لأن التحية بالسلام تقتضي السكون والأمان، قال الشاعر(٣٦٩):

أظلوم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلم

فأجابهم إبراهيم عن سلامتهم بمثله:

﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ لأنه رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم، فنكرهم وقال ﴿قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أي قوم لا يعرفون.

الثاني: أي قوم يخافون، يقال أنكرته إذا خفته، قال الشاعر(٣٧٠):

فأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فعدل إلى أهله، قاله الزجاج.

الثاني: أنه أخفى ميله إلى أهله.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ أما العجل ففي تسميته بذلك وجهان:

أحدهما: لأن بني إسرائيل عجلوا بعبادته.

الثاني: لأنه عجل في اتباع أمه.

قال قتادة: جاءهم بعجل لأن كان عامة مال إبراهيم البقر، واختاره لهم سميناً زيادة في إكرامهم، وجاء به مشوياً، وهو محذوف من الكلام لما فيه من الدليل عليه.

فروى عون بن أبي شداد أن جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج، حتى لحق بأمه، وأم العجل في الدار.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيهِم قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ لأنهم امتنعوا من الأكل لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، فروى مكحول أنهم قالوا لا نأكله إلا بثمن، قال كلوا فإن له ثمناً، قالوا وما ثمنه؟ قال: إذا وضعتم أيديكم أن تقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم أن تقولوا: الحمد لله، قالوا: بهذا اختارك الله يا إبراهيم.

(٣٦٩) هو العرجي والبيت من شواهد مغني اللبيب (٢/ ٥٣٩).

(٣٧٠) هو الأعشى والبيت في ديوانه ١٠٤.

﴿فَأَوْجَسَ مِنهُمْ خِيفَةً﴾ لأنهم لم يأكلوا، خاف أن يكون مجيئهم إليه لشر يريدونه به.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه إسحاق من سارة[٣٧١]، استشهاداً بقوله تعالى في آية أخرى ﴿وبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢].

الثاني: أنه إسماعيل من هاجر، قاله مجاهد.

﴿عَلِيمٍ﴾ أي يرزقه الله علماً إذا كبر.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: الرنة والتأوه، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

وشربة من شراب غير ذي نفس   في صرة من تخوم الصيف وهاج

الثاني: أنها الصيحة، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه أخذ صرير الباب، ومنه قول امرىء القيس[٣٧٢]:

فألحقه بالهاديات ودونه   جواحرها في صرة لم تزيل

الثالث: أنها الجماعة، قاله ابن بحر، ومنه المصراة من الغنم لجمع اللبن في ضرعها. وسميت صرة الدراهم فيها، قال الشاعر[٣٧٣]:

رب غلام قد صرى في فقرته   ماء الشباب عنفوان سنبته

وأما قوله ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ففيه قولان:

أحدهما: معناه لطخت وجهها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها ضربت جبينها تعجباً.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي، أتلد عجوز عقيم؟ قاله مجاهد والسدي.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ

(٣٧١) وهو الأرجح من سياق الآيات.

(٣٧٢) ديوانه: ٣٢ واللسان صرر وفتح القدير (٥/٨٨) شرح المعلقات لأبي بكر الانباري ص ٩٥.

(٣٧٣) هو الأغلب العجلي والبيت في اللسان (صدى).

عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ
يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾
فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾
وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ
كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ
فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ
﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ يعني فرعون، وفي توليه وجهان:

أحدهما: أدبر.

الثاني: أقبل، وهو من الأضداد.

﴿بِرُكْنِهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بجموعه وأجناده، قاله ابن زيد.

الثاني: بقوته، قاله ابن عباس، ومنه قول عنترة(٣٧٤):

فما أوهى مراس الحرب ركني ... ولكن ما تقادم من(*) زماني.

الثالث: بجانبه، قاله الأخفش.

الرابع: بميله عن الحق وعناده بالكفر، قاله مقاتل.

ويحتمل خامساً بماله لأنه يركن إليه ويتقوى به.

﴿وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن العقيم هي الريح التي لا تلقح، قاله ابن عباس.

الثاني: هي التي لا تنبت، قاله قتادة.

الثالث: هي التي ليس فيها رحمة، قاله مجاهد.

(٣٧٤) فتح القدير (٥/ ٩٠).

(*) وفي نسخة من عهودي.

الرابع هيّ التي ليس فيها منفعة، قاله ابن عباس.

وفي الريح التي هي عقيم ثلاثة أقاويل:

أحدها: الجنوب، روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن أن النبي ﷺ(٣٧٥) قال: «**الريح العقيم الجنوب**».

الثاني الدبور(٣٧٦)، قاله مقاتل. قال عليه السلام: (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**).

الثالث: هي ريح الصبا، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

﴿**إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الرميم التراب، قاله السدي.

الثاني: أنه الذي ديس من يابس النبات، وهذا معنى قول قتادة.

الثالث أن الرميم: الرماد، قاله قطرب.

الرابع أنه الشيء البالي الهالك، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٣٧٧):

تركتني حين كف الدهر من بصري   وإذ بقيت كعظم الرمة البالي

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ
مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾

﴿**وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ أي بقوة.

﴿**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: لموسعون في الرزق بالمطر، قاله الحسن.

الثاني: لموسعون السماء، قاله ابن زيد.

الثالث: لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء.

---

(٣٧٥) والذي في الطبري (٢٧/ ٤) أن القول موقوف عن الحارث بن عبد الرحمن وليس مرفوعاً والله أعلم.

(٣٧٦) وهو الصواب والحديث رواه مسلم (٤/ ٦١٧) من حديث ابن عباس وقد تقدم تخريجه في سورة الأحقاف.

(٣٧٧) هو جرير والبيت في فتح القدير (٥/ ٩١).

الرابع: لموسعون بخلق سماء مثلها، قاله مجاهد.

الخامس: لذوو سعة لا يضيق علينا شيء نريده.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه خلق كل جنس نوعين.

الثاني: أنه قضى أمر خلقه ضدين صحة وسقم، وغنى وفقر، وموت وحياة، وفرح وحزن، وضحك وبكاء. وإنما جعل بينكم ما خلق وقضى زوجين ليكون بالوحدانية متفرداً.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تعلمون بأنه واحد.

الثاني: تعلمون أنه خالق.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي فتوبوا إلى الله.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ
هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن
رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فذكر بالقرآن، قاله قتادة.

الثاني: فذكر بالعظة فإن الوعظ ينفع المؤمنين، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: وذكر بالثواب والعقاب فإن الرغبة والرهبة تنفع المؤمنين.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: إلا ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرهاً، قاله ابن عباس.

الثاني: إلا لآمرهم وأنهاهم، قاله مجاهد.

الثالث: إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: إلا ليعرفوني، قاله الضحاك.

الخامس: إلا للعبادة[٣٧٨]، وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن أنس.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم.

الثاني: ما أنفسهم، قاله أبو الجوزاء.

الثالث: ما أريد منهم معونة ولا فضلاً.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عذاباً مثل عذاب أصحابهم، قاله عطاء.

الثاني: يعني سبيلاً، قاله مجاهد.

الثالث: يعني بالذنوب الدلو، قاله ابن عباس، قال الشاعر[٣٧٩]:

لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

ولا يسمى الذنوب دلواً حتى يكون فيه ماء.

الرابع: يعني بالذنوب النصيب، قال الشاعر[٣٨٠]:

وفي كل يوم قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب

ويعني بأصحابهم من كذب بالرسل من الأمم السالفة ليعتبروا بهلاكهم.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي فلا يستعجلوا نزول العذاب بهم لأنهم قالوا: ﴿يا مُحَمَّدُ آئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ الآية، فنزل بهم يوم بدر، ما حقق الله وعده، وعجل به انتقامه.

(٣٧٨) والعبادة اسم جامع للأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ويرضاها وعلى هذا فيدخل فيها التوحيد بفروعه.

(٣٧٩) اللسان ذنب والطبري (٢٧/ ١٤) والبحر المحيط (٨/ ١٣٢) زاد المسير (٨/ ٤٤).

(٣٨٠) هو علقمة بن عبيدة والبيت في ديوانه: ١٢٠.

سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ
دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ
دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى ﴿وَالطُّورِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم للجبل بالسريانية، قاله مجاهد. قال مقاتل: يسمى هذا الطور زبير.

الثاني: أن الطور ما أنبت، وما لا ينبت فليس بطور، قاله ابن عباس، وقال الشاعر:

لو مر بالطور بعض ناعقة ... ما أنبت الطور فوقه ورقة

ثم في هذا الطور الذي أقسم الله به ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه طور سيناء، قاله السدي.

الثاني: أنه الطور الذي كلمْ الله عليه موسى، قاله ابن قتيبة.

الثالث: أنه جبل مبهم، قاله الكلبي. وأقسم الله به تذكيراً بما فيه من الدلائل.

وقال بعض المتعمقة: إن الطور ما يطوى على قلوب الخائفين

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي مكتوب، وفي أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الكتاب الذي كتب الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون.

الثاني: أنه القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ.

الثالث: هي صحائف الأعمال فمن آخذ كتابه بيمينه، ومن آخذ كتابه بشماله، قاله الفراء.

الرابع: التوراة قاله ابن بحر.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: الصحيفة المبسوطة وهي التي تخرج للناس أعمالهم، وكل صحيفة فهي رق لرقة حواشيها، قال المتلمس(٣٨١):

فكأنما هي من تقادم عهدها ... رق أتيح كتابها مسطور

الثاني: هو ورق مكتوب، قاله أبو عبيدة.

الثالث: هو ما بين المشرق والمغرب، قاله ابن عباس.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ما روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال(٣٨٢): قال رسول الله ﷺ: «**أُتِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَرُفِعَ لَنَا ٱلْبَيْتُ المَعْمُورُ، فَإِذَا هُوَ حِيالُ الكَعْبَةِ، لَوْ خَرَّ خَرَّ عَلَيهَا، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيهِ**» قاله علي وابن عباس.

---

(٣٨١) فتح القدير (٥/ ٩٤).

(٣٨٢) رواه البخاري (٦/ ٢١٩) ومسلم (١/ ١٥٠) والطبري (٢٧/ ١٦) وهو حديث طويل جداً والقول الأول هو الراجح لدلالة الحديث عليه.

الثاني: ما قاله السدي: أن البيت المعمور، هو بيت فوق ست سموات، ودون السابعة، يدعى الضراح، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس لا يرجعون إليه أبداً، وهو بحذاء البيت العتيق.

الثالث: ما قاله الربيع بن أنس، أن البيت المعموركان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا، فأبوا عليه وعصوه، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره، فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية.

الرابع: ما قاله الحسن أن البيت المعمور هو البيت الحرام.

وفي ﴿ٱلْمَعْمُورِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه معمور بالقصد إليه.

الثاني: بالمقام عليه، قال الشاعر:

عمر البيت عامر إذ أتته جآذر
من ظباء روائح وظباء تباكر

وتأول سهل أنه القلب، عمارته إخلاصه، وهو بعيد.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه السماء، قاله علي.

الثاني: أنه العرش، قاله الربيع.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جهنم، رواه صفوان بن يعلى (٣٨٣) عن النبي ﷺ.

الثاني: هو بحر تحت العرش، رواه أبو صالح عن علي رضي الله عنه.

الثالث: (٣٨٤) هو بحر الأرض، وهو الظاهر.

(٣٨٣) هذا الحديث مرسل فإن صفوان هو بن يعلى ابن أمية وهو تابعي مشهور، وأما أبوه فهو صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ ووقع في صحيح البخاري ما يقتضي أن لصفوان صحبة ولكن قال الحافظ في الإصابة هو وهم (٣/ ٤٧١).

(٣٨٤) وهو قول الجمهور وأما القول الثاني فلم يصح.

وفي قوله: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ سبعة تأويلات:

أحدها: المحبوس، قاله ابن عباس والسدي.

الثاني: أنه المرسل، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: الموقد ناراً، قاله مجاهد.

الرابع: أنه الممتلىء، قاله قتادة.

الخامس: أنه المختلط، قاله ابن بحر.

السادس: أنه الذي قد ذهب ماؤه ويبس، رواه ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير.

السابع: هو الذي لا يشرب من مائه ولا يسقى به زرع، قاله العلاء بن زيد.

هذا آخر القسم، وجوابه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ روى الكلبي: أن جبير بن مطعم(*) قدم المدينة ليفدي حريفاً له يقال له مالك أسر يوم بدر، فوجد رسول الله ﷺ في صلاة [المغرب] يقرأ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ فجلس مستمعاً، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فأسلم جبير خوفاً من العذاب، وجعل يقول: ما كنت أظن أن أقوم من مقامي، حتى يقع بي العذاب.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْراً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: معناه تدور دوراً، قاله مجاهد، قال طرفة بن العبد(٣٨٥):

صهابية العثنون موجدة القرا بعيدة وخد الرجل موارة اليد.

الثاني: تموج موجاً، قاله الضحاك.

الثالث: تشقق السماء، قاله ابن عباس لقوله تعالى ﴿فَإِذَا بُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً﴾ الآية.

الرابع: تجري السماء جرياً، ومنه قول جرير(٣٨٦):

وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

الخامس: تتكفأ بأهلها، قاله أبو عبيدة وأنشد بيت الأعشى(٣٨٧):

(*) وفي البخاري (١/ ٣٠٤) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور.

(٣٨٥) شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص ١٦٦ والبيت من معلقة طرفة بن العبد.

(٣٨٦) فتح القدير (٥/ ٩٥).

(٣٨٧) ديوانه: ٥٥ مجاز القرآن (٢/ ٢٣١) الطبري (٢٧/ ٢٠) اللسان مور، مختار الشعر الجاهلي (٢/ ٩٧).

كأن مشيتها من بيت جارتها   مور السحابة لا ريث ولا عجل

السادس: تنقلب انقلاباً.

السابع: أن السماء هاهنا الفلك، وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره، قاله ابن بحر.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يدفعون دفعاً عنيفاً ومنه قول الراجز:

يدعه بصفحتي حيزومه   دع الوصي جانبي يتيمه

قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وابن زيد.

الثاني: يزعجون إزعاجاً، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: أن يدعهم زبانيتها بالدعاء عليهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَاكِهِينَ بِمَآ ءاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: معجبين، قاله ابن عباس.

الثاني: ناعمين، قاله قتادة.

الثالث: فرحين، قاله السدي.

الرابع: المتقابلين بالحديث الذي يسر ويؤنس، مأخوذ من الفكاهة، قاله ابن بحر.

الخامس: ذوي فاكهة كما قيل: لابن وتامر، أي ذو لبن وتمر، قاله عبيدة، ومعنى ذلك، أنهم ذوو بساتين فيها فواكه.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ والسرر الوسائد، وفي المصفوفة ثلاثة أوجه:

أحدها: المصفوفة بين العرش، قاله عكرمة.

وزاد المسير (٨/ ٤٧) وقد تقدم هذا الحديث ولكن رواه المؤلف مشي السحابة بدلاً من مور السحابة.

الثاني: هي الموصولة بالذهب.

الثالث: أنها الموصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفاً، قاله ابن بحر.

﴿وزوّجناهم بحُورٍ عِينٍ﴾ والعين الواسعة الأعين في صفائها، وهو جمع عيناء، ومنه قول الشاعر(٣٨٨):

فحُور قد لهون وهن عين نواعم في المروط وفي الرياط

وفي تسميتهن حوراً وجهان:

أحدهما: لأنه يحار فيهن الطرف، قاله مجاهد.

الثاني: لبياضهن، قاله الضحاك، ومنه قيل للخبز حوار لبياضه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم
مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ
لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن
قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَآمَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الله يدخل الذرية بإيمان الآباء الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الله تعالى يعطي الذرية مثل أجور الآباء من غير أن ينقص الآباء من أجورهم شيئاً، قاله إبراهيم.

الثالث: أنهم البالغون عملوا بطاعة الله مع آبائهم فألحقهم الله بآبائهم، قاله قتادة.

الرابع: أنه لما أدرك أبناؤهم الأعمال التي عملوها تبعوهم عليها فصاروا مثلهم فيها، قاله ابن زيد.

(٣٨٨) هو المتنخل الهذلي والبيت في ديوان الهذليين (٢/ ١٩) الإنصاف لابن الأنباري (٣٨٠) وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ١١٨).

﴿وَمَآ أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: ما نقصناهم، قاله ابن عباس، قال رؤبة[٣٨٩]:

وليلة ذات سرى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

أي لم ينقصني، ومعنى الكلام: ولم ينقص الآباء بما أعطينا الأبناء.

الثاني: معناه وما ظلمناهم، قاله ابن جبير، قال الحطيئة[٣٩٠]:

أبلغ سراة بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذباً

أي لا ظلماً، ولا كذباً. ومعنى الكلام: لم نظلم الآباء بما أعطينا الأبناء، وإنما فعل تعالى ذلك بالأبناء كرمة للآباء.

﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مؤاخذة كما تؤخذ الحقوق من الرهون.

الثاني: أنه يحبس، ومنه الرهن لاحتباسه بالحق قال الشاعر:

وما كنت أخشى أن يكون رهينة لأحمر قبطي من القوم معتق

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً﴾ أي، يتعاطون ويتساقون بأن يناول بعضهم بعضاً، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس إناء مملوء من شراب وغيره فهو كأس، فإذا فرغ لم يسم كأساً، وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل[٣٩١]:

وشارب مربح بالكأس نادمني لا بالحضور ولا فيها بسوار
نازعته طيب الراح السمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعه الساري

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: لا باطل في الخمر ولا مأثم، قاله ابن عباس وقتادة، وإنما ذلك في الدنيا من الشيطان.

الثاني: لا كذب فيها ولا خلف، قاله الضحاك.

الثالث: لا يتسابون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضاً، قاله مجاهد.

(٣٨٩) ديوان رؤبة: اللسان ليت وفيه ليلة ذات ندى.

(٣٩٠) الطبري (٢٧/ ٢٧) وفيه ابلغ بني ثعل لمن مغلغلة.

(٣٩١) ديوانه: ١١٦ ومجاز القرآن (٢/٢٣٢) الطبري (٢٧/ ٢٨) روح المعاني (٢٧/ ٣٤).

الرابع: لا لغو في الجنة ولا كذب، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. واللغو هاهنا فحش الكلام كما قال ذو الرمة[٣٩٢]:

فلا الفحش فيه يرهبون ولا الخنا عليهم ولكن هيبة هي ما هيا
بمستحكم جزل المروءة مؤمن من القوم لا يهوى الكلام اللواغيا

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ ذكر ابن بحر فيه وجهين:

أحدهما: أن يكون الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقرَّ الله بهم أعينهم.

الثاني: أنهم من أخدمهم الله إياهم من أولاد غيرهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ أي مصون بالكن والغطاء، ومنه قول الشاعر:

قد كنت أعطيهم مالاً وأمنعهم عرضي، وودهم في الصدر مكنون

قال قتادة: بلغني أنه قيل يا رسول الله هذا الخدم مثل اللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم؟ قال: «والذي نفسي بيده لفضل ما بينهم، كفضل القمر ليلة البدر على النجوم».

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالجنة والنعيم.

الثاني: بالتوفيق والهداية.

﴿وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه عذاب النار، قاله ابن زيد. وقال الأصم: السموم اسم من أسماء جهنم.

الثاني: أنه وهج جهنم، وهو معنى قول ابن جريج.

الثالث: لفح الشمس والحر، وقد يستعمل في لفح البرد،كما قال الراجز[٣٩٣]:

اليوم يوم بارد سمومه من جزع اليوم فلا نلومه

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن البر الصادق، قاله ابن جريج.

الثاني: اللطيف، قاله ابن عباس.

---

(٣٩٢) ديوانه: ٦٥٥.

(٣٩٣) فتح القدير (٥/ ٩٩).

الثالث: أنه فاعل البر المعروف به، قاله ابن بحر.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ يعني بالقرآن.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ يعني برسالة ربك.

﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ تكذيباً لعتبة بن ربيعة حيث قال إنه ساحر، وتكذيباً لعقبة بن معيط، حيث قال: إنه مجنون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ قال قتادة: قال ناس من الكفار: تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان، وشاعر بني فلان، قال الضحاك: هؤلاء بنو عبد الدار، نسبوه إلى أنه شاعر.

وفي ﴿ريب المنون﴾ وجهان:

أحدهما: الموت، قاله ابن عباس.

الثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد. المنون: الدهر، قال أبو ذؤيب[٣٩٤]:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ

(٣٩٤) فتح القدير (٥/ ٩٩) ديوانه (١/١) غريب القرآن (٤٢٥) المفضليات (٤٢١) ديوان الهذليين اللسان منن.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مفاتيح الرحمة.

الثاني: خزائن الرزق.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: المسلطون، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: أنهم الأرباب، قاله الحسن وأبو عبيد.

الثالث: معناه: أم هم المتولون، وهذا قد روي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنهم الحفظة، مأخوذ من تسطير الكتاب، الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظاً ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، قاله ابن بحر.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن السلم المرتقى إلى السماء، ومنه قول ابن مقبل(٣٩٥):

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا ... يبنى له في السموات السلاليم

الثاني: أنه السبب الذي يتوصل به إلى عوالي الأشياء. قال الشاعر:

تجنيت لي ذنباً وما إن جنيته ... لتتخذي عذراً إلى الهجر سلما

وقوله ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يستمعون من السماء ما يقضيه الله على خلقه.

الثاني: يستمعون منها ما ينزل الله على رسله من وحيه.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فليأت صاحبهم بحجة ظاهرة تدل على صدقه.

الثاني: فليأت بقوة تتسلط على الأسماع وتدل على قدرته.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟

(٣٩٥) الطبري (٢٧/ ٣٤) اللسان أحجاء: سلم.

يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني قطعاً من السماء، قاله قتادة.

الثاني: جانباً من السماء.

الثالث: عذاباً من السماء، قاله المفضل. وسمي كسفاً لتغطيته، والكسف: التغطية، ومنه أخذ كسوف الشمس والقمر.

﴿يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ في مركوم وجهان:

أحدهما: أنه الغليظ، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه الكثير المتراكب، قاله الضحاك. ومعنى الآية: أنهم لو رأو سقوط كسف من السماء عليهم عقاباً لهم لم يؤمنوا ولقالوا إنه سحاب مركوم بعضه على بعضه.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يوم يموتون، قاله قتادة.

الثاني: النفخة الأولى، حكاه ابن عيسى.

الثالث: يوم القيامة يغشى عليهم من هول ما يشاهدونه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي مغشياً عليه.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: عذاب القبر، قاله علي.

الثاني: الجوع، قاله مجاهد.

الثالث: مصابهم في الدنيا، قاله الحسن.

وفي المراد بالذين ظلموا هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم أهل الصغائر من المسلمين.

الثاني: أنهم مرتكبو الحدود منهم.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لقضائه فيما حملك من رسالته.

الثاني: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بعلمنا، قاله السدي.

الثاني: بمرأى منا(٣٩٦)، حكاه ابن عيسى.

الثالث: بحفظنا وحراستنا، ومنه قوله تعالى لموسى: ﴿وَلِتُصنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] بحفظي وحراستي، قاله الضحاك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن يسبح الله إذا قام من مجلسه، قاله أبو الأحوص، ليكون تكفيراً لما أجرى في يومه.

الثاني: حين تقوم من منامك، ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله، قاله حسان بن عطية.

الثالث: حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه التسبيح في الصلاة، إذا قام إليها.

وفي هذا التسبيح قولان:

أحدهما: هو قول: سبحان ربي العظيم، في الركوع، وسبحان ربي الأعلى، في السجود.

الثاني: (*) التوجه في الصلاة بقوله: سبحانك اللهم وبحمدك [وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك]، قاله الضحاك.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها صلاة الليل.

الثاني: التسبيح فيها.

الثالث: أنه التسبيح في صلاة وغير صلاة.

---

(٣٩٦) راجع التعليق على قوله تعالى ولتصنع على عيني في سورة طه.

(*) ما بين المربعين من تفسير القرطبي (١٧/ ٨٠) وقد نقل ذلك حرفياً عن الماوردي ونسبه اليه.

وأما ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها ركعتان قبل الفجر، رواه ابن عباس[٣٩٧] عن النبي ﷺ أنه قال: «رَكْعَتَانِ قَبْلَ ٱلْفَجْرِ، إِدْبَارُ النُّجومِ ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ المَغْرِبِ إِدْبَارُ السُّجُودِ».

الثاني: أنها ركعتا الفجر قبل الغداة.

الثالث: أنه التسبيح بعد الصلاة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا صلاة بعد الفجر إلا ركعتي الفجر.

(٣٩٧) تقدم تخريج هذا الحديث في آخر سورة ق فراجعه.

سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية، وهي ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَآئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: نجوم القرآن إذا نزلت لأنه كان ينزل نجوماً، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الثريا[٣٩٨]، رواه ابن أبي نجيح، لأنهم كانوا يخافون الأمراض عند طلوعها.

الثالث: أنها الزهرة، قاله السدي، لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها.

الرابع: أنها جماعة النجوم، قاله الحسن، وليس بممتنع أن يعبر عنها بلفظ الواحد كما قال عمر بن أبي ربيعة[٣٩٩]:

أحسن النجم في السماء الثريا ... والثريا في الأرض زين النساء

الخامس: أنها النجوم المنقضة، وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ

(٣٩٨) اختاره ابن جرير (٢٧/ ٤١) وحكاه ابن كثير (٤/ ٢٤٦) عن سفيان الثوري.

(٣٩٩) فتح القدير (٥/ ١٠٤).

رسولاً، كثر انقضاض الكواكب قبل مولده، فذعر[٤٠٠] أكثر العرب منها، وفزعوا إلى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث، فسألوه عنها، فقال انظروا البروج الاثني عشر، فإن انقض منها شيء، فهو ذهاب الدنيا، وإن لم ينقض منها شيء، فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بعث رسول الله ﷺ، كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي ذلك النجم الذي هوى، هو لهذه النبوة التي حدثت.

وفي قوله تعالى ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ ستة أقاويل:

أحدها : النجوم إذا رقي إليها الشياطين، قاله الضحاك.

الثاني : إذا سقط.

الثالث : إذا غاب.

الرابع : إذا ارتفع.

الخامس: إذا نزل.

السادس: إذا جرى، ومهواها جريها، لأنها لا تفتر في جريها في طلوعها وغروبها، وهذا قول أكثر المفسرين.

وهذا قسم، وعلى القول الخامس في انقضاض النجوم خبر.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ يعني: محمداً ﷺ، وفيه وجهان:

أحدهما: ما ضل عن قصد الحق ولا غوى في اتباع الباطل.

الثاني : ما ضل بارتكاب الضلال، وما غوى بأن خاب سعيه، وألفى الخيبة كما قال الشاعر[٤٠١]:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي: من خاب في طلبه لامه الناس، وهذا جواب القسم على قول الأكثرين، قال مقاتل: وهي أول سورة أعلنها رسول الله بمكة.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٠٠) وهذه الحوادث التي حدثت قبل بعث رسول الله ﷺ يسميها العلماء إرهاصات النبوة أي مقدمات للنبوة راجع بعضها في دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي والخصائص الكبرى للسيوطي.

(٤٠١) هو المرقش الأصغر واسمه ربيعة بن سفيان والبيت في فتح القدير (٥/ ١٠٥).

أحدهما: وما ينطق عن هواه، وهو ينطق عن أمر الله، قاله قتادة.

الثاني: ما ينطق بالهوى والشهوة، إن هو إلا وحي يوحى بأمر ونهي من الله تعالى له.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي يوحيه الله إلى جبريل ويوحيه جبريل إليه.

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ
﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾
عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ
رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ يعني: جبريل في قول الجميع.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ذو منظر حسن، قاله ابن عباس.

الثاني: ذو غناء، قاله الحسن.

الثالث: ذو قوة، قاله مجاهد وقتادة، ومن قول خفاف بن ندبة:

إني امرؤ ذو مرة فاستبقني   فيما ينوب من الخطوب صليب

الرابع: ذو صحة في الجسم وسلامة من الآفات، ومن قول امرىء القيس(٤٠٢):

كنت فيهم أبداً ذا حيلة   محكم المرة مأمون العقد

الخامس: ذو عقل، قاله ابن الأنباري، قال الشاعر(٤٠٣):

قد كنت عند لقاكم ذا مرة   عندي لكل مخاصم ميزانه

وفي قوله ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ خمسة أوجه:

---

(٤٠٢) ديوانه: ١٢٩ ورواية الديوان في شطر البيت الأول ولبيب أيدٌ ذو حيلة.

(٤٠٣) فتح القدير (٥/ ١٠٥) وقد اختار الشوكاني تفسير المرة بهذا وقال لأن القدرة والشدة قد أفادها قوله شديد القوى.

أحدها: فاستوى جبريل في مكانه، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: قام جبريل على صورته التي خلق عليها لأنه كان يظهر له قبل ذلك في صورة لا رجل. حكى ابن مسعود[٤٠٤] أن النبي ﷺ لم ير جبريل على صورته إلا مرتين: أما واحدة، فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية، فإنه كان معه حين صعد، وذلك قوله ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

الثالث: فاستوى القرآن في صدره، وفيه على هذا وجهان:

أحدهما: فاعتدل في قوته.

الثاني: في رسالته.

الرابع: يعني: فارتفع، وفيه على هذا وجهان:

أحدهما: أنه جبريل ارتفع إلى مكانه.

الثاني: أنه النبي ﷺ، ارتفع بالمعراج.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه جبريل حين رأى النبي ﷺ بالأفق الأعلى، قاله السدي.

الثاني: أنه النبي ﷺ رأى جبريل بالأفق الأعلى، قاله عكرمة. وفي الأفق الأعلى ثلاثة أقاويل:

أحدها: هو مطلع الشمس، قاله مجاهد.

الثاني: هو الأفق الذي يأتي منه النهار، قاله قتادة، يعني طلوع الفجر.

الثالث: هو أفق السماء وهو جانب من جوانبها، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر[٤٠٥]:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه جبريل[٤٠٦]، قاله قتادة.

---

(٤٠٤) رواه ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٤/٢٤٧) والطبراني في الكبير رقم (١٠٥٤٧) وأحمد (١/ ٤٠٧) وأبي الشيخ في العظمة (٢/ ٧٩١).

(٤٠٥) هو الفرزدق والبيت في اللسان أفق.

(٤٠٦) وهو قول الجمهور ورجح غير واحد منهم الطبري (٢٧/ ٤٤) والشوكاني (٥/ ١٠٩) وابن كثير (٢/ ٢٤٨).

الثاني: أنه الرب[٤٠٧]، قاله ابن عباس.

وقوله ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلق فيما بين والسفل لأنه رآه منتصباً مرتفعاً ثم رآه متدلياً، قاله ابن بحر.

الثاني: معناه قرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي تقربوها إليهم، وقال الشاعر:

أتيتك لا أدلي بقربى قريبة إليك ولكني بجودك واثق

وقيل فيه تقديم وتأخير، وتقديره: ثم تدلى فدنا، قاله ابن الأنباري.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: قيد قوسين، قاله قتادة والحسن.

الثاني: أنه بحيث الوتر من القوس، قاله مجاهد.

الثالث: من مقبضها إلى طرفها، قاله عبد الحارث.

الرابع: قدر ذراعين، قاله السدي، فيكون القاب عبارة عن القدر، والقوس عبارة عن الذراع.

ثم اختلفوا في المعنى بهذا الداني على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جبريل من ربه، قاله مجاهد وهو قول ابن عباس.

الثاني: أنه محمد ﷺ من ربه، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه جبريل من[٤٠٨] محمد ﷺ.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ﴾ في عبده الموحى إليه قولان:

أحدهما: أنه جبريل عليه السلام أوحى إليه ما يوحي إلى رسوله ﷺ، قالته عائشة، والحسن، وقتادة.

الثاني: أنه محمد ﷺ أوحي إليه على لسان جبريل، قاله ابن عباس والسدي.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ في الفؤاد قولان:

---

(٤٠٧) واستدل لهذا القول بما رواه البخاري أيضاً (١٣/ ٣٩٩) من حديث أبي هريرة وهو حديث معروف بحديث شريك ورواه مسلم (١/ ٢٤٨) بعضه راجع شرح مسلم (٢/ ٢١٠) وفتح الباري (١٣/ ٤٠٢/ ٤٠٥).

(٤٠٨) وهو الراجح كما سبق في التعليق السابق.

أحدهما: أنه أراد صاحب الفؤاد فعبر عنه بالفؤاد لأنه قطب الجسد وقوام الحياة.

الثاني: أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد وفيه قولان:

أحدهما: معناه ما أوهمه فؤاده ما هو بخلافه كتوهم السراب ماء، فيصير فؤاده بتوهم المحال كالكاذب له، وهو تأويل من قرأ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ بالتخفيف.

الثاني: معناه ما أنكر قلبه ما رأته عينه، وهو تأويل من قرأ ﴿كَذَّبَ﴾(٤٠٩) بالتشديد.

وفي الذي رأى خمسة أقاويل:

أحدها: رأى ربه بعينه(٤١٠)، قاله ابن عباس.

الثاني: في المنام(٤١١)، قاله السدي.

الثالث: أنه بقلبه روى محمد بن كعب(٤١٢) قال: قلنا يا رسول الله [هل رأيت ربك]؟ قال: «رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ»، ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

الرابع: أنه رأى جلاله، قاله الحسن، وروى أبو العالية(٤١٣) قال: سئل رسول الله ﷺ قال: «رَأَيتُ نَهْراً وَرَأَيتُ وَرَاءَ النَّهْرِ حِجَاباً و رَأَيتُ وَرَاءَ الحِجَابِ نُوراً لَمْ أَرَ غَيرَ ذَلِكَ».

الخامس: أنه رأى جبريل على صورته مرتين،(٤١٤)، قاله ابن مسعود.

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أفتجادلونه على ما يرى، قاله إبراهيم.

الثاني: أفتجادلونه على ما يرى، وهو مأثور.

---

(٤٠٩) وهي قراءة عاصم وأبي جعفر وهشام عن ابن عامر وزاد المسير (٨/ ٦٨) الحجة في القراءات ص ٦٨٥.

(٤١٠) قول ابن عباس رواه الطبري (٢٧/ ٤٨) ولابن عباس قول آخر وهو الأصح أنه رآه بفؤاده مرتين قال ابن كثير (٤/ ٢٤٩/ ٢٥٠) وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة أن رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم.

(٤١١) لعله يقصد حديث اختصام الملأ الأعلى فإنه تقدم في سرد تخريجه.

(٤١٢) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (٢٧/ ٤٧٢٤٦) وفي سنده موسى بن عبيدة.

(٤١٣) رواه ابن أبي حاتم ونقله ابن كثير (٤/ ٢٥) وقال غريب جداً قلت وهو مرسل أيضاً وزاد السيوطي في الدر (٦٤٨/٧) نسبته لابن المنذر.

(٤١٤) وهذا القول ذهب إليه أكثر العلم المحققين.

الثالث: أفتشككونه على ما يرى[٤١٥]، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني أنه رأى ما رآه ثانية بعد أُولى، قال كعب: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى عليهما السلام، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ روي فيها خبران:

أحدهما: ما روى طلحة بن مصرف عن مرة عن ابن مسعود[٤١٦] قال: لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها الخبر.

الثاني: ما رواه معمر عن قتادة عن أنس أن النبي[٤١٧] ﷺ قال: «**رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ ٱلْمُنتَهَىٰ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثَمَرُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجْرٍ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، يَخْرُجُ مِن سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، قُلْتُ: يَاجِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ**».

وفي سبب تسميتها سدرة المنتهىٰ خمسة أوجه:

أحدها: لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها، ويعزب علمهم عما وراءها، قاله ابن عباس.

الثاني: لأن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها، قاله الضحاك.

الثالث: لانتهاء الملائكة والنبيين إليها ووقوفهم عندها، قاله كعب.

الرابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة رسول الله ﷺ ومنهاجه، قاله الربيع بن أنس.

---

(٤١٥) وهذا الاختلاف في التفسير راجع لاختلاف في القراءات في ذلك راجع الحجة في القراءات ص ٦٨٥ وزاد المسير (٨/ ٦٨).

(٤١٦) رواه مسلم (١٧٣ الإيمان) والترمذي (٣٢٧٦) وابن جرير (٢٧/ ٥٢) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٩) نسبته وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ولفظ المؤلف هنا فيه اختلاف يسير عن الألفاظ التي ورد فيها الحديث في المصادر المشار إليها.

(٤١٧) جزء من حديث الإسراء الطويل رواه البخاري (٧/ ١٦٤) ومسلم (١/ ١٥٠) يراجع تخريجه بتوسع في جامع الأصول (٦/ ٢١٧) (١/ ٢٩٦).

الخامس: لأنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها، قاله ابن مسعود.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جنة المبيت والإقامة، قاله علي، وأبو هريرة.

الثاني: أنها منزل الشهداء، قاله ابن عباس، وهي عن يمين العرش وفي ذكر جنة المأوىٰ وجهان على ما قدمناه في سدرة المنتهىٰ:

أحدهما: أن المقصود بذكرها تعريف موضعها بأنه عند سدرة المنتهىٰ، قاله الجمهور (٤١٨).

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذي يغشاها فراش من ذهب، قاله ابن مسعود ورواه مرفوعاً (٤١٩).

الثاني: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه نور رب العزة، قاله الضحاك.

فإن قيل لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية، فظلها بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ في زيغ البصر ثلاثة أوجه؛

أحدها: انحرافه.

الثاني: ذهابه، قاله ابن عباس.

الثالث: نقصانه، قاله ابن بحر.

وفي طغيانه ثلاثة أوجه:

أحدها: ارتفاعه عن الحق.

الثاني: تجاوزه للحق، قاله ابن عباس.

---

(٤١٨) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤١٩) تقدم تخريجه وهذا القول هو أرجح الأقوال.

الثالث: زيادته، ويكون معنى الكلام أنه رأى ذلك على حقه وصدقه من غير نقصان عجز عن إدراكه، ولا زيادة توهمها في تخيله، قاله ابن بحر.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما غشي السدرة من فراش الذهب، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه قد رأى جبريل وقد سد الأفق بأجنحته، قاله ابن مسعود أيضاً.

الثالث: ما رآه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده، قاله الضحاك.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا
مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ
﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

﴿أَفَرَءيْتُم اللاَّت وَالْعُزَّىٰ﴾ أما اللات فقد كان الأعمش(٤٢٠) يشددها، وسائر القراء على تخفيفها، فمن خففها فلهم فيها قولان:

أحدهما: أنه كان صنماً بالطائف زعموا أن صاحبه كان يلت عليه السويق لأصحابه، قاله السدي.

الثاني: أنه صخرة يلت عليها السويق بين مكة والطائف، قاله عكرمة.

وأما من شددها فلهم فيها قولان:

أحدهما: أنه كان رجلاً يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن معبوده، ثم مات فقلبوه على قبره، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: أنه كان رجلاً يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق بالطائف قاله

(٤٢٠) وهي قراءة ابن عباس وأبي رزين ومجاهد والسلمي والضحاك وابن يعمر وابن السميقع وورش عن يعقوب زاد المسير (٨/٧٢).

السدي، وقيل إنه عامر بن ظرب العدواني ثم اتخذوا قبره وثناً معبوداً، قال الشاعر[٤٢١]:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصركم من ليس ينتصر.

وأما ﴿ٱلْعُزَّىٰ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: أنه صنم كانوا يعبدونه، قاله الجمهور.

الثاني: أنها شجرة كان يعلق عليها ألوان العهن تعبدها سليم، وغطفان، وجشم، قاله مقاتل: وهي سمرة، قال الكلبي: هي التي بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حتى قطعها، وقال أبو صالح: بل كانت نخلة يعلق عليها الستور والعهن.

وقيل في اللات والعزى قول ثالث: أنهما كانا بيتين يعبدهما المشركون في الجاهلية، فاللات بيت كان بنخلة يعبده كفار قريش، والعزى بيت كان بالطائف يعبده أهل مكة والطائف.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه كان صنماً بقديد بين مكة والمدينة، قاله أبو صالح.

الثاني: أنه بيت كان بالمسلك يعبده بنو كعب.

الثالث: أنها أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها.

الرابع: أنه وثن كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه، وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق بها من الدماء.

وإنما قال: مناة الثالثة الأخرى، لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى، وروى سعيد بن جبير وأبو العالية الرياحي أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ الآية. ألقىٰ الشيطان على لسانه[٤٢٢] تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم ترتجىٰ، وفي رواية أبي العالية: وشفاعتهم ترتضى ومثلهم لا ينسىٰ، ففرح المشركون وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فنزل جبريل فقال: أعرض

---

(٤٢١) هو شداد بن عارض الجشمي قال ذلك في أبيات حين هدمت اللات وحرقت البيت في فتح القدير (٥/ ١٠٥).

(٤٢٢) وهذا القصة تعرف بقصة الغرانيق وقد تقدم الكلام على تخريجها في سورة الحج فراجعه.

عليّ ما جئتك به فعرض عليه، فقال: لم آتك أنا بهذا وهذا من الشيطان، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُوْلٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ حيث جعلوا الملائكة بنات الله.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: قسمة عوجاء، قاله مجاهد.

الثاني: قسمة جائرة، قاله قتادة.

الثالث: قسمة منقوصة، قاله سفيان وأكثر أهل اللغة، قال الشاعر(٤٢٣):

فـإن تـنـأى عنا ننتقصـك وإن تـقم فـقسـمـك مـضئـوز وأنـفـك راغـم

ومعنى مضئوز أي منقوص.

الرابع: قسمة مخالفة، قاله ابن زيد.

﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من البنين أن يكونوا له دون البنات.

الثاني: من النبوة أن تكون فيه دون غيره.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْأَخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنه أقدر من خلقه، فلو جاز أن يكون له ولد ـ كما نسبه إليه المشركون حين جعلوا له البنات دون البنين وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ لكان بالبنين أحق منهم.

الثاني: أنه لا يعطي النبوة من تمناها، وإنما يعطيها من اختاره لها لأنه مالك السموات والأرض.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ

(٤٢٣) اللسان ضأز لفتح القدير (٥/ ١٠٦) روح المعاني (٢٧/ ٥٧) الطبري (٢٧/ ٦٠).

لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أما كبائر الإثم ففيها خمسة أقاويل؛

أحدها: أنه الشرك بالله، حكاه الطبري.

الثاني: أنه ما زجر عنه بالحد، حكاه بعض الفقهاء.

الثالث: ما لا يكفر إلا بالتوبة، حكاه ابن عيسى.

الرابع: ما حكاه شرحبيل عن ابن مسعود قال[٤٢٤]: سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر فقال: **«أن تدعو لله نداً وهو خلقك وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك وأن تزاني حليلة جارك»**.

الخامس: ما روى سعيد بن جبير أن رجلاً سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار، فكأنه يذكر أن كبائر الإثم ما لم يستغفر منه.

وأما الفواحش ففيها قولان:

أحدهما: أنها جميع المعاصي.

الثاني: أنها الزنى.

وأما اللمم المستثنى ففيه ثمانية أقاويل:

أحدها: إلا اللمم الذي ألموا به في الجاهلية من الإثم والفواحش فإنه معفو عنه في الإسلام، قاله ابن زيد بن ثابت.

الثاني: هو أن يلم بها ويفعلها ثم يتوب منها، قاله الحسن ومجاهد.

---

(٤٢٤) رواه البخاري (٨/ ١٢٤) ومسلم (٨٦ الإيمان) والترمذي (٣١٨١/ ٣١٨٢) والنسائي (٧/ ٨٩، ٩٠) وابو داود (٢٣١٠).

الثالث: هو أن يعزم على المواقعة ثم يرجع عنها مقلعاً وقد روى عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أن(٤٢٥) النبي ﷺ قال:

إنْ تَغْفِرِ ٱللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّاً وأَي عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

الرابع: أن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة، قاله ابن مسعود، روى طاووس عن ابن عباس قال: ما رأيت أشبه باللمم من قول أبي هريرة عن(٤٢٦) النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ عَلَى كلِّ نَفْسٍ خَطَّهَا مِن الزِّنَىٰ أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَى ٱلْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَى الِلّسَانِ المَنطِقُ وَهِيَ النَّفْسُ تُمَنِّي وَتَشْتَهِى، وَٱلْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُه**».

الخامس: أن اللمم الصغائر من الذنوب.

السادس: أن اللمم ما لم يجب عليه حد في الدنيا ولم يستحق عليه في الآخرة عذاب، قاله ابن عباس، وقتادة.

السابع: أن اللمم النظرة الأولى فإن عاد فليس بلمم، قاله بعض التابعين، فجعله ما لم يتكرر من الذنوب، واستشهد بقول الشاعر:

وما يستوي من لا يرى غير لمة ومن هو ناو غيرها لا يريمها

والثامن: أن اللمم النكاح، وهذا قول أبي هريرة.

وذكر مقاتل بن سليمان أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى (٤٢٧) نبهان التمار كان له حانوت يبيع فيه تمراً، فجاءته امرأة تشتري منه تمراً، فقال لها: إن بداخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها عن نفسها، فأبت وانصرفت، فندم نبهان وأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع، فقال: «**لَعَلَّ زَوْجَهَا غَازٍ**» فنزلت هذه الآية.

﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ**﴾ يعني أنشأ آدم.

﴿**وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ قال مكحول: في بطون أمهاتنا فسقط منا من

---

(٤٢٥) رواه ابن جرير (٢٧/ ٩٦) والترمذي (٣٢٨٤) وصححه وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٥) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وبيت الشعر ورد في شعر أمية بن ابي الصلت كما في اللسان «لمم».

(٤٢٦) رواه البخاري (١١/ ٢٢) ومسلم (٤/ ٢٠٤٦) وابن جرير (٢٧/ ٩٩).

(٤٢٧) وقد روى ابو داود (٤٤٦٨) نحوه دون سبب النزول من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

سقط، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخاً لا أبالك فما بعد هـذا تنتظر؟.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني لا تمادحوا، قاله ابن شوذب.

الثاني: لا تعملوا بالمعاصي وتقولوا نعمل بالطاعة، قاله ابن جريج.

الثالث: إذا عملت خيراً فلا تقل عملت كذا وكذا.

ويحتمل رابعاً: لا تبادلوا قبحكم حسناً ومنكركم معروفاً.

ويحتمل خامساً: لا تراؤوا بعملكم المخلوقين لتكونوا عندهم أزكياء.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ قال الحسن: قد علم الله كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ
﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾
ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، قاله السدي.

الثاني: أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، قاله مجاهد، كان يأتي النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه يسمع ما يقولان ثم يتولى عنهما.

الثالث: أنه النضر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه وضمن له أن يتحمل مأثم رجوعه، قاله الضحاك.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أعطى قليلاً من نفسه بالاستمتاع ثم أكدى بالانقطاع، قاله مجاهد.

الثاني: أطاع قليلاً ثم عصى، قاله ابن عباس.

الثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم منع، قاله الضحاك.

الرابع: أعطى بلسانه وأكدى بقلبه، قاله مقاتل.

وفي ﴿أَكْدَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: قطع، قاله الأخفش.

الثاني: منع، قاله قطرب.

﴿أَعِندَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه أعلم الغيب فرأى أن ما سمعه باطل.

الثاني: أنزل عليه القرآن فرأى ما صنعه حقاً، قاله الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: أعلم أن لا بعث، فهو يرى أن لا جزاء.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: وفّى عمل كل يوم بأربع ركعات في أول النهار، رواه الهيثم عن أبي أمامة[٤٢٨] عن رسول الله ﷺ.

الثاني: أن يقول كلما أصبح وأمسى ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الآية. رواه سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه عن النبي ﷺ[٤٢٩].

الثالث: وفيما أمر به من طاعة ربه، قاله ابن عباس.

الخامس: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾لأنه كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وأبيه فأول من خالفهم إبراهيم، قاله الهذيل.

السادس: أنه ما أُمر بأمر إلا أداه ولا نذر إلا وفاه، وهذا معنى قول الحسن.

السابع: وفّى ما امتحن به من ذبح ابنه وإلقائه في النار وتكذيبه.

---

(٤٢٨) رواه ابن جرير (٢٧/ ٧٣) وزاد السيوطي في الدر(٧/ ٦٦٠)نسبته لعبيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه والشيرزاي في الألقاب والديلمي وقال السيوطي بسند ضعيف قلت لأن في سنده جعفر بن الزبير وهو ضعيف به أعله ابن كثير (٤/ ٢٥٨) وساقه من رواية ابن أبي حاتم.

(٤٢٩) رواه أحمد (٣/ ٤٣٩) وابن جرير (٢٧/٧٣) وفي سنده زيان بن قائد وهو ضعيف وزاد السيوطي في الدر (٥/ ١٤٥) نسبته لابن المنذر وابن ابن حاتم وابن السني في عمل اليوم والليلة والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدعوات.

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الرابع.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾
وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ
﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ
﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلى إعادتكم لربكم بعد موتكم يكون منتهاكم(*).

﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الضحك والبكاء.

الثاني: أنه أراد بالضحك السرور، وبالبكاء الحزن.

والثالث: أنى خلق قوتي الضحك والبكاء، فإن الله ميز الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، فليس في سائر الحيوان ما يضحك ويبكي غير الإنسان، وقيل إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالضحك والبكاء النعم والنقم.

﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: قضى أسباب الموت والحياة.

الثاني: خلق الموت والحياة كما قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ**﴾ قاله ابن بحر.

الثالث: أن يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب.

الرابع: أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة.

الخامس: أمات الآباء وأحيا الأبناء.

ويحتمل سادساً: أن يريد به أنام وأيقظ.

(*) لاحظ انه لم يذكر الوجه الثاني.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ وجهان :

أحدهما : إذا تخلق وتقدر، قاله الأخفش .

الثاني : إذا نزلت في الرحم، قاله الكلبي .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ فيه ثمانية تأويلات :

أحدها : أغنى بالكفاية وأقنى بالزيادة، وهو معنى قول ابن عباس .

الثاني : أغنى بالمعيشة وأقنى بالمال، قاله الضحاك .

الثالث : أغنى بالمال وأقنى بأن جعل لهم قنية، وهي أصول الأموال، قاله أبو صالح .

الرابع : أغنى بأن مَوّل وأقنى بأن حرم، قاله مجاهد .

الخامس : أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه، قاله سليمان التيمي .

السادس : أغنى من شاء وأفقر من شاء، قاله ابن زيد .

السابع : أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا، قاله سفيان .

الثامن : أغنى عن أن يخدم وأقنى أن يستخدم، وهذا معنى قول السدي .

ويحتمل تاسعاً : أغنى بما كسبه [الإنسان] في الحياة وأقنى بما خلفه بعد الوفاة مأخوذ من اقتناء المال وهو استبقاؤه .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ والشعرى نجم يضيء وراء الجوزاء، قال مجاهد : تسمى هوزم الجوزاء، ويقال إنه الوقاد، وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان رباً لغيره لأن العرب كانت تعبده فأعلموا أن الشعرى مربوب وليس برب .

واختلف فيمن كان يعبده فقال السدي : كانت تعبده حمير وخزاعة وقال غيره : أول من عبده أبوكبشة، وقد كان من لا يعبدها من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر :

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً ٱلْأُولَىٰ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أن عاد الأولى عاد بن إرم، وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية، وعاداً الآخرة قوم هود .

الثاني : أن عاداً الأولى قوم هود والآخرة قوم كانوا بحضرموت، قاله قتادة .

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ والمؤتفكة المنقلبة بالخسف، قاله محمد بن كعب: هي مدائن قوم لوط وهي خمسة: صبغة وصغيرة وعمرة ودوماً وسدوم و هي العظمى، فبعث الله عليهم جبريل فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى أن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها بالحجارة كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ﴾ قال قتادة: كانوا أربعة آلاف ألف.

﴿أَهْوَىٰ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن جبريل أهوى بها حين احتملها حتى جعل عاليها سافلها.

الثاني: أنهم أكثر ارتكاباً للهوى حتى حل بهم ما حل من البلاء.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ يعني المؤتفكة، وفيما غشاها قولان:

أحدهما: جبريل حين قلبها.

الثاني: الحجارة حتى أهلكها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ وهذا خطاب للمكذب أي فبأي نعم ربك تشك فيما أولاك وفيما كفاك.

وفي قوله: ﴿فَغَشَّاهَا﴾ وجهان:

أحدهما: ألقاها.

الثاني: غطاها.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾
أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾
فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿هَذا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلأُولَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن محمداً نذير الحق أنذر به الأنبياء قبله، قاله ابن جريج.

الثاني: أن القرآن نذير بما أنذرت به الكتب الأولى، قاله قتادة.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى نذير لكم.

﴿أَزِفَتِ ٱلأَزِفَةُ﴾ أي اقتربت الساعة ودنت القيامة، وسماها آزفة لقرب قيامها عنده.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي من يكشف ضررها.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من القرآن في نزوله من عند الله.

الثاني: من البعث والجزاء وهو محتمل.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: تضحكون استهزاء ولا تبكون انزجاراً.

الثاني: تفرحون ولا تحزنون، وهو محتمل.

﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: شامخون كما يخطر البعير شامخاً، قاله ابن عباس.

الثاني: غافلون، قاله قتادة.

الثالث: معرضون، قاله مجاهد.

الرابع: مستكبرون، قاله السدي.

الخامس: لاهون لاعبون، قاله عكرمة.

السادس: هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، وهي لغة حمير، قاله أبو عبيدة.

السابع: أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين قاله علي رضي الله عنه.

الثامن: واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام، قاله الحسن، وفيه ما روي(٤٣٠) عن النبي ﷺ أنه خرج والناس ينتظرونه قياماً فقال: ما لي أراكم سامدين.

التاسع: خامدون قاله المبرد، قال الشاعر(٤٣١):

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سموداً

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه سجود تلاوة القرآن، قال ابن مسعود، وفيه دليل على أن في المفصل سجوداً.

الثاني: أنه سجود الفرض في الصلاة.

---

(٤٣٠) وهذا الفعل ورد موقوفاً على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رواه الطبري (٢٧/ ٩٢) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧/ ٦٦٧) لعبد الرزاق وعبد بن حميد أما المرفوع فلم أعثر على تخريجه والله أعلم.

(٤٣١) هو عبد الله بن الزبير الأسدي والبيت في فتح القدير (٥/ ١١٨) وعيون الأخبار (٢/ ٦٧٦) وذيل الامالي لأبي علي القاري (ص ١٥١).

سورة القمر

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

مكية في قول الجمهور، وقال مقاتل إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله؛ ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ
مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ
جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ
النُّذُرُ (٥)﴾

قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي دنت وقربت، قال الشاعر:

قد اقتربت لو كان في قرب دارها جداء ولكن قد تضر وتنفع

والمراد بالساعة القيامة، وفي تسميتها بالساعة وجهان:

أحدهما: لسرعة الأمر فيها.

الثاني: لمجيئها في ساعة من يومها.

وروى طارق بن شهاب عن ابن مسعود(٤٣٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْتَرَبَتِ

(٤٣٢) رواه الحاكم (٤/ ٣٢٤) والدولابي في الكنى (١/ ١٥٥) والطبراني في المعجم الكبير (٩٧٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٤٢) (٨/ ٣١٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٤٩) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي وقد وهم في تعقبه كما نبه على ذلك الألباني وقد أقر الحاكم على تصحيحه في السلسلة الصحيحة رقم ١٥١٠.

السَّاعَةُ وَلاَ يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلاَّ حِرْصاً وَلاَ تَزْدَادُ مِنْهُمْ إِلاَّ بُعْداً».

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه وضح الأمر وظهر والعرب تضرب مثلاً فيما وضح أمره، قال الشاعر(٤٣٣):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

والثاني: أن انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه، وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، كما قال النابغة الجعدي(٤٣٤):

فلما أدبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي

الثالث: أنه انشقاق القمر على حقيقة انشقاقه.

وفيه على هذا التأويل قولان:

أحدهما: أنه ينشق بعد مجيء الساعة وهي النفخة الثانية، قاله الحسن، قال: لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنها آية والناس في الآيات سواء.

الثاني: وهو قول الجمهور وظاهر التنزيل أن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ بعد أن سأله عمه حمزة بن عبد المطلب حين أسلم غضباً لسب أبي جهل لرسول الله، أن يريه آية يزداد بها يقيناً في إيمانه، وروى مجاهد عن أبي معمر عن أبي مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة، شقة على أبي قبيس، وشقة على السويدا فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾(٤٣٥).

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٣٣) هو الشنفرى واسمه ثابت بين أوس الأزدي لقب بالشنفرى لعظم شفته وكان أحد المشهورين بالعدو وهذان البيتان مطلع من قصيدته اللامية وتعرف بلامية العرب.

(٤٣٤) روح المعاني (٢٧/ ٧٧).

(٤٣٥) رواه البخاري (٦/ ٤٦٤) ومسلم (٢٨٠٠) والترمذي (٣٢٨١) وفي الباب عن أنس وحذيفة وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم راجع الدر المنثور (٧/ ٦٧٠ـ ٦٧٢) وجامع الأصول (١١/ ٣٩٦).

أحدهما: أنه أراد أي آية روأها أعرضوا عنها ولم يعتبروا بها، وكذلك ذكرها بلفظ التنكير دون التعريف، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه عنى بالآية انشقاق القمر حين رأوه.

﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن معنى مستمر ذاهب، قاله أنس وأبو عبيدة.

الثاني: شديد، مأخوذ من إمرار الحبل، وهو شدة فتله، قاله الأخفش والفراء.

الثالث: أنه يشبه بعضه بعضاً.

الرابع: أن المستمر الدائم، قال امرؤ القيس(٤٣٦):

ألا إنما الدنيا ليال وأعصر   وليس على شيء قويم بمستمر

أي بدائم.

الخامس: أي قد استمر من الأرض إلى السماء، قاله مجاهد.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يوم القيامة.

الثاني: كل أمر مستقر في أن الخير لأهل الخير، والشر لأهل الشر، قاله قتادة

الثالث: أن كل أمر مستقر حقه من باطله.

الرابع: أن لكل شيء غاية ونهاية في وقوعه وحلوله، قاله السدي.

ويحتمل خامساً: أن يريد به دوام ثواب المؤمن وعقاب الكافر.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحاديث الأمم الخالية، قاله الضحاك.

الثاني: القرآن.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي مانع من المعاصي.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أنه النهي.

الثاني: أنه الوعيد.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ قاله السدي: هي الرسالة والكتاب

---

(٤٣٦) ديوانه: ١٠٩ وفيه ألا إنما الدهر ليال وأعصر...، فتح القدير (٥/ ١٢٠).

ويحتمل أن يكون الوعد والوعيد.

ويحتمل قوله: ﴿بَالِغَةٌ﴾ وجهين:

أحدهما: بالغة في زجركم.

الثاني: بالغة من الله إليكم، فيكون على الوجه الأول من المُبَالَغَةِ، وعلى الوجه الثاني من الإبْلَاغ.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي فما يمنعهم التحذير من التكذيب.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه: مسرعين، قاله أبو عبيدة، ومنه قول الشاعر(٤٣٧):

بدجلة دارهم ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماع

الثاني: معناه: مقبلين، قاله الضحاك.

الثالث: عامدين، قاله قتادة.

الرابع: ناظرين، قاله ابن عباس.

الخامس: فاتحين آذانهم إلى الصوت، قاله عكرمة.

السادس: قابضين ما بين أعينهم، قاله تميم.

﴿يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يعني يوم القيامة، لما ينالهم فيه من الشدة.

۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ

(٤٣٧) فتح القدير (٥/ ١٢٢).

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المنهمر الكثير، قاله السدي، قال الشاعر(٤٣٨):

أعيني جودا بالدموع الهوامر على خير باد من معد وحاضر

الثاني: أنه المنصب المتدفق، قاله المبرد، ومنه قول امرىء القيس(٤٣٩):

راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

وفي فتح أبواب السماء قولان:

أحدهما: أنه فتح رتاجها(*) وسعة مسالكها.

الثاني: أنها المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر، قاله علي.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فالتقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، حكاه، ابن قتيبة.

الثاني: قدر بمعنى قضي عليهم، قاله قتادة، وقدر لهم إذا كفروا أن يغرقوا.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ أي السفينة، وفي الدسر أربعة أقاويل:

أحدها: المعاريض التي يشد بها عرض السفينة، قاله مجاهد.

الثاني: أنها المسامير دسرت بها السفينة، أي شدت، قاله ابن جبير وابن زيد.

الثالث: صدر السفينة الذي يضرب الموج، قاله عكرمة، لأنها تدسر الماء بصدرها، أي تدفعه.

الرابع: أنها طرفاها وأصلها، قاله الضحاك.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بمرأى منا.

---

(٤٣٨) روح المعاني (٢٧/ ٨١) وفيه أعيناي جودا . . ، فتح القدير (٥/ ١٢٢).

(٤٣٩) ديوان: ١٤٥ ولكن فيه.

ساعة ثم انتحاها وابل ساقط الأكناف واه منهمر

راح تمر به الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

وفتح القدير (٥/ ١٢٢) والطبري (٢٧/ ٩٤) مختار الشعر الجاهلي هل (١١٠ ـ ١١١).

(*) الرتاج هو الباب.

الثاني: بأمرنا، قاله الضحاك.

الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين[٤٤٠] بحفظها.

الرابع: بأعين الماء التي أتبعناها في قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً﴾، وقيل: إنها تجري بين ماء الأرض والسماء، وقد كان غطاها عن أمر الله سبحانه.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لكفرهم بالله، قاله مجاهد، وابن زيد.

والثاني: جزاء لتكذيبهم، قاله السدي.

الثالث: مكافأة لنوح حين كفره قومه أن حمل ذات ألواح ودسر.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَآ ءَايَةً﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الغرق.

الثاني: السفينة روى سعيد عن قتادة أن الله أبقاها بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة.

وفي قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني فهل من متذكر، قاله ابن زيد.

الثاني: فهل من طالب خير فيعان عليه، قاله قتادة.

الثالث: فهل من مزدجر عن معاصي الله، قاله محمد بن كعب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه سهلنا تلاوته على إهل كل لسان، وهذا أحد معجزاته، لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي.

الثاني: سهلنا علم ما فيه واستنباط معانيه، قاله مقاتل.

الثالث: هونا حفظه فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله، قاله الفراء.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾

---

(٤٤٠) مذهب السلف الصالح التفويض والتسليم مع التنزيه.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : باردة ، قاله قتادة ، والضحاك .

الثاني : شديدة الهبوب ، قاله ابن زيد .

الثالث : التي يسمع لهبوبها كالصوت ، ومنه قول الشاعر(٤٤١) :

... ... باز يصرصر فوق المرقب العالي

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يوم عذاب وهلاك .

الثاني : لأنه كان يوم الأربعاء .

الثالث : لأنه كان يوماً بارداً ، قال الشنفرى(٤٤٢) :

وليلة نحس يصطلي القوس ربها وأقطعه اللاتي بها ينبل

يعني أنه لشدة بردها يصطلي بقوسه وسهامه التي يدفع بها عن نفسه .

وفي **﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾** وجهان :

أحدهما : الذاهب .

الثاني : الدائم .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾
أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ
بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ
﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

---

(٤٤١) من قصيدة لامية له وقد شرحها غير واحد من العلماء وتقدم الكلام عليه .

(٤٤٢) فتح القدير (٥/ ١٢٦) .

﴿إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن السعر الجنون، قاله ابن كامل.

الثاني: العناء، قاله قتادة.

الثالث: الافتراق، قاله السدي.

الرابع: التيه، قاله الضحاك.

الخامس: أنه جمع سعر وهو وقود النار، قاله ابن بحر وابن عيسى.

وعلى هذا التأويل في قولهم ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم قالوه لعظم ما نالهم أن يتبعوا رجلاً واحداً منهم، كما يقول الرجل إذا ناله خطب عظيم: أنا في النار.

الثاني: أنهم لما أوعدوا على تكذيبه ومخالفته بالنار ردوا مثل ما قيل لهم إنّا لو اتبعنا رجلاً مثلنا واحداً كنا إذاً في النار.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الأشر هو العظيم الكذب، قاله السدي.

الثاني: أنهَ البطر، ومنه قول الشاعر:

أشرتم بلبس الخز لما لبستم ... ومن قبل لا تدرون من فتح القرى

الثالث: أنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَ ٱصْطَبِرْ﴾ أما الاصطبار فهو الافتعال من الصبر وأصل الطاء تاء أبدلت بطاء ليكون اللفظ أسهل مخرجاً ويعذب مسمعاً.

وروى أبو الزبير عن جابر(٤٤٣)قال: لما نزلنا الحجر فغزا رسول الله ﷺ تبوك، قال: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْأَلُوا عَن هَذِهِ الآياتِ [هؤلاء] قَوْمُ صَالِحٍ سَأَلُوا نَبِيَّهُم أَن يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُم آيَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُم نَاقَةً فَكَانَتْ تَرِدُ مِن ذَلِكِ الفَجِّ فَتَشْرَبُ مَاءَهُم يَوْمَ وُرُودِهَا وَيَحْلِبُونَ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهَا يَوْمَ غِبِّهَا وَيَصْدِرُونَ عَن ذَلِكَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُم﴾». الآية.

---

(٤٤٣) رواه الإمام احمد (٣/ ٢٩٦) وصححه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١١) وقال لم يخرجوه اهـ ويعد قول هذا إلى الحافظ الهمام يبين أن قول محقق المطبوعة رواه البخاري ومسلم يدل على خطو واسع.

وفيه وجهان:

أحدهما: أن الناقة تحضر الماء يوم ورودها، وتغيب عنهم يوم ورودهم، قاله مقاتل.

الثاني: أن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحلبون.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أحمر إرم وشقيها، قاله قتادة، وقد ذكره زهير في شعره فقال:(٤٤٤).

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

الثاني: أنه قدار بن سالف، قاله محمد بن إسحاق، وقد ذكره الأفوه(٤٤٥) في شعره:

أو بعده كقدار حين تابعه على الغواية أقوام فقد بادوا

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه بطش بيده، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه تناولها وأخذها، ومنه قول حسان بن ثابت(٤٤٦):

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

﴿فَعَقَرَ﴾ قال محمد بن إسحاق: كَمَنَ لها قدار في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة تحدر سقبها(*) [من بطنها وانطلق سقبها] حتى أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ثم لاذ بها، فأتاهم صالح، فلما رأى الناقة قد عقروها بكى ثم قال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله.

قال ابن عباس: وكان الذي عقرها رجل أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى.

﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: يعني العظام المحترقة، قاله ابن عباس.

(٤٤٤) بيت من معلقته المشهورة انظر المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري ص.

(٤٤٥) هو صلاءة بن عمرو الأودي له ترجمة في الأغاني (١١/ ٤٣٢٤١).

(٤٤٦) ديوانه: ١٨٥.

(*) سقبها: أي أحشائها.

الثاني : أنه التراب الذي يتناثر من الحائط وتصيبه الريح ، فيحتظر مستديراً، قاله سعيد بن جبير.

الثالث : أنها الحظار البالية من الخشب إذا صار هشيماً ،ومنه قول الشاعر (٤٤٧):

أثرت عجاجة كدخان نار تشب بغرقد بال هشيم

قاله الضحاك.

الرابع : أنه حشيش قد حظرته الغنم فأكلته، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً

الخامس : أن الهشيم اليابس من الشجر الذي فيه شوك والمحتظر الذي تحظر به العرب حول ماشيتها من السباع ، قاله ابن زيد . وقال الشاعر (٤٤٨):

ترى جيف المطي بجانبيه كأن عظامها خشب الهشيم

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الحاصب الحجارة التي رموا بها من السماء، والحصباء هي الحصى وصغار الأحجار.

الثاني : أن الحاصب الرمي بالأحجار وغيرها، ولذلك تقول العرب لما تسفيه الريح حاصباً، قال الفرزدق (٤٤٩) :

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

الثالث : أن الحاصب السحاب الذي حصبهم.

(٤٤٧) فتح القدير (٥/ ١٢٧).

(٤٤٨) فتح القدير (٥/ ١٢٧).

(٤٤٩) روح المعاني (٢٧/ ٩٠) فتح القدير (٥/ ١٢٧).

الرابع: أن الحاصب الملائكة الذين حصبوهم.

الخامس: أن الحاصب الريح التي حملت عليهم الحصباء.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني ولده ومن آمن به.

﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ والسحر هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد آخر الليل ببياض أول النهار لأن هذا الوقت يكون مخاييل الليل ومخاييل النهار.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ يعني ضيف لوط وهم الملائكة الذين نزلوا عليه في صورة الرجال، وكانوا على أحسن صورهم، فراودوا لوطاً عليهم طلباً للفاحشة.

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ والطمس محو الأثر ومنه طمس الكتاب إذا محي، وفي طمس أعينهم وجهان:

أحدهما: أنهم اختفوا عن أبصارهم حتى لم يروهم، مع بقاء أعينهم، قاله الضحاك.

الثاني: أعينهم طمست حتى ذهبت أبصارهم وعموا فلم يروهم، قاله الحسن، وقتادة.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وعيد بالعذاب الأدنى، قاله الضحاك.

الثاني: أنه تقريع بما نالهم من عذاب العمى(*) الحال. وهو معنى قول الحسن، وقتادة.

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ
﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ
وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

(*) يعني الذي أصابهم وقتها.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰئِكُمْ﴾ يعني أكفاركم خير من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ يعني في الكتب السالفة براءة من الله تعالى أنكم ليس تهلكون كما أهلكوا، ومنه قول الشاعر:

وتـرى منهـا رسـوماً قـد عـفـت مثـل خط الـلام في وحي الـزبـر

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ يعني بالعدد والعدة، وقد كان من هلك قبلهم أكثر عدداً وأقوى يـداً ، ويحتمل انتصارهم وجهين:

أحدهما: [لأنفسهم بالظهور](*).

الثاني: لآلهتهم بالعبادة.

فرد الله عليهم فقال: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ يعني كفار قريش وذلك يوم بدر، وهذه معجزة أوعدهم الله بها فحققها، وفي ذلك يقول حسان:

ولقد وليتم الـدبـر لنـا حين سال الموت من رأس الجبل

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يعني القيامة.

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن موقف الساعة أدهى وأمر من موقف الدنيا في الحرب التي تولون فيها الدبر.

الثاني: أن عذاب الساعة أدهى وأمر من عذاب السيف في الدنيا.

وفي قوله ﴿أَدْهَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: أخبث.

الثاني: أعظم.

﴿وَأَمَرُّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه أشد لأن المرارة أشد الطعوم.

الثاني: معناه أنفذ، مأخوذ من نفوذ المرارة فيما خالطته.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ

(*) زيادة في القرطبي

سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى
ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى
مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ روى إسماعيل بن[٤٥٠] زياد عن محمد بن عباد عن أبي هريرة أن مشركي قريش أتوا النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت[٤٥١].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على قدر ما أردنا من غير زيادة ولا نقصان، قاله ابن بحر.

الثاني: بحكم سابق وقضاء محتوم، ومنه قول الراجز:

وقدر المقدر الأقدارا.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ يعني أن ما أردناه من شيء أمرنا به مرة واحدة ولم نحتج فيه إلى ثانية، فيكون ذلك الشيء مع أمرنا به كلمح البصر في سرعته من غير إبطاء ولا تأخير.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المستطر المكتوب، قاله الحسن وعكرمة وابن زيد، لأنه مسطور.

الثاني: أنه المحفوظ، قاله قتادة.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن النهر أنهار الماء، والخمر، والعسل، واللبن، قاله ابن جريج.

الثاني: أن النهر الضياء والنور، ومنه النهار، قاله محمد بن إسحاق، ومنه قول الراجز:

لولا الثريدان هلكنا بالضمر ثريد ليل وثريد بالنهر

الثالث: أنه سعة العيش وكثرة النعيم، ومنه اسم نهر الماء، قاله قطرب.

---

(٤٥٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب زياد بن إسماعيل والتصويب من الطبري (٢٧/ ١١٠) وغيره.

(٤٥١) رواه ابن جرير (٢٧/ ١١٠) وابن ماجه (٨٣) وأحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٦) والترمذي (٣٢٩٠). ومسلم نحو (٤/ ٢٠٤٦) وزاد السيوطي في الدر (٢٧/ ٦٨٢) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه. . .

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مقعد حق لا لغو فيه ولا تأثيم .

الثاني : مقعد صدق لله وعد أولياءه به ، والمليك والملك واحد ، وهو الله كما قال ابن الزبعري[٤٥٢] :

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذا أنا بوا

ويحتمل ثالثاً : أن المليك مستحق الملك ، والملك القائم بالملك والمقتدر بمعنى القادر .

ويحتمل وصف نفسه بالاقتدار هاهنا وجهين .

أحدهما : لتعظيم شأن من عنده من المتقين لأنهم عند المقتدر أعظم قدراً ، وأعلى مجزاً .

الثاني : ليعلموا أنه قادر على حفظ ما أنعم به عليهم ودوامه لهم ، والله أعلم .

(٤٥٢) تقدم تخريج هذا البيت .

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

مكية كلها في قول الحسن، وعكرمة، وجابر، وقال ابن عباس: إلا آية، وهي قوله تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ الآية.

وقال ابن مسعود، ومقاتل: هي مدنية(٤٥٣) كلها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه اسم ممنوع لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، قاله الحسن، وقطرب.

---

(٤٥٣) ورجح القرطبي (١٧/ ١٥٠) كونها مكية واستدل بما ورد وعن ابن مسعود أنه أول من جهر بها في مكة.

الثاني: أنه فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسماً من أسماء الله تعالى: ﴿الٓر﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ فيكون مجموع هذه ﴿الرَّحْمَـٰنُ﴾، قاله سعيد بن جبير، وابن عباس.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علمه النبي ﷺ حتى أداه إلى جميع الناس.

الثاني: سهل تعلمه على جميع الناس.

﴿خَلَقَ ٱلإِنسَانَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني آدم، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنه أراد جميع الناس وإن كان بلفظ واحد، وهو قول الأكثرين.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ لأنه بالبيان فُضِّل على جميع الحيوان، وفيه ستة تأويلات:

أحدها: أن البيان الحلال والحرام، قاله قتادة.

الثاني: الخير الشر، قاله الضحاك، والربيع بن أنس.

الثالث: المنطق والكلام، قاله الحسن.

الرابع: الخط، وهو مأثور.

الخامس: الهداية، قاله ابن جريج.

السادس: العقل لأن بيان اللسان مترجم عنه.

ويحتمل سابعاً: أن يكون البيان ما اشتمل على أمرين: إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بين له.

وقول ثامن لبعض أصحاب الخواطر: خلق الإنسان جاهلاً به، فعلمه السبيل إليه.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: يعني بحساب، قاله ابن عباس، والحسبان مصدر الحساب، وقيل: جمعه.

الثاني: معنى الحسبان هذه آجالها، فإذا انقضى الأجل كانت القيامة، قاله السدي.

الثالث: أنه يقدر بهما الزمان لامتياز النهار بالشمس والليل بالقمر

ولو استمر أحدهما فكان الزمان ليلاً كله أو نهاراً كله لما عرف قدر الزمان، قاله ابن زيد.

الرابع: يدوران، وقيل إنهما يدوران في مثل قطب الرحى، قاله مجاهد.

الخامس: معناه يجريان بقدر.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ في النجم قولان:

أحدهما: نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميع النجوم، قاله مجاهد.

الثاني: أن النجم النبات الذي قد نجم في الأرض وانبسط فيها، ليس له ساق، والشجر ما كان على ساق، قاله ابن عباس.

وفي سجودهما خمسة أقاويل:

أحدها: هو سجود ظلهما، قاله الضحاك.

الثاني: هو ما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود والخضوع، قاله ابن بحر.

الثالث: أن سجودهما دوران الظل معهما، كما قال تعالى: ﴿يتفيأ ظلاله﴾، قاله الزجاج.

الرابع: أن سجود النجم أفوله، وسجود الشجر إمكان الإجتناء لثمارها.

الخامس: أن سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان معها إذا انكسر الفيء، قاله الفراء.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ يعني على الأرض.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الميزان ذو اللسان ليتناصف به الناس في الحقوق، قاله الضحاك.

الثاني: أن الميزان الحكم.

الثالث: قاله قتادة، ومجاهد، والسدي: أنه العدل(٤٥٤)، ومنه قول حسان(٤٥٥):

ويثرب تعلم أنا بها إذا التبس الأمر ميزانها

(٤٥٤) واختاره الطبري (٢٧/ ١١٨) وابن كثير (٥/ ٢٧٠) والألوسي (٢٧/ ١٠١) وفتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٢).

(٤٥٥) ديوان: ٢٥٤.

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ وفي الميزان ما ذكرناه من الأقاويل:

أحدها: أنه العدل وطغيانه الجور، قاله مجاهد.

الثاني: أنه ميزان الأشياء الموزونات وطغيانه البخس، قاله مقاتل، وقال ابن عباس: يا معشر الموالي وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: المكيال والميزان.

الثالث: أنه الحكم، وطغيانه التحريف.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل، قال مجاهد: القسط: العدل.

﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي لا تنقصوه بالبخس قيل: إنه المقدار: فالجور إن قيل: إنه العدل، والتحريف إن قيل :الحكم.

وفيه وجه رابع: أنه ميزان حسناتكم يوم القيامة.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي بسطها ووطأها للأنام ليستقروا عليها ويقتاتوا منها.

وفي الأنام ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم الناس، قاله ابن عباس، وفيه قول بعض الشعراء في رسول الله ﷺ:

مبارك الوجه يستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر

الثاني: أن الأنام الإنس والجن، قاله الحسن.

الثالث: أن الأنام جميع الخلق من كل ذي روح، قاله مجاهد، وقتادة والسدي، سمي بذلك لأنه ينام، قال الشاعر:

جاد الإله أبا الوليد ورهطه ... رب الأنام وخصه بسلام

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن ذات الأكمام النخل، وأكمامها ليفها الذي في أعناقها، قاله الحسن.

الثاني: أنه رقبة النخل التي تكمم فيه طلعاً، ومنه قول الشاعر(٤٥٦):

وذات أثارة أكلت عليها ... نباتاً في أكمتة قفار

الثالث: أنه الطلع المكمم الذي هو كمام الثمرة، قاله ابن زيد.

---

(٤٥٦) هو الراعي النميري واسمه عبيد بن حصين بن معاوية أبو جندل.

الرابع: أن معنى ذات الأكمام أي ذوات فضول على كل شيء، قاله ابن عباس.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ أما الحب فهو كل حب خرج من أكمامها كالبر والشعير.

وأما العصف ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الزرع إذا اصفر ويبس.

الثالث: أنه حب المأكول منه، قاله الضحاك، كما قال تعالى: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

وأما الريحان ففيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه الرزق، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، والسدي، والعرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه، ويقال سبحانك وريحانك أي رزقك، وقال النمر بن تولب(٤٥٧):

سلام الإله وريحانه ورحيته وسماء درر

قاله الضحاك، ورحيته هي لغة حِمْيَر.

الثاني: أن الريحان الزرع الأخضر الذي لم يسنبل، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه الريحان الذي يشم، قاله الحسن، والضحاك، وابن زيد.

الرابع: أن العصف الورق الذي لا يؤكل والريحان هو الحب المأكول، قاله الكلبي.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في الآلاء قولان:

أحدهما: أنها النعم، وتقديره فبأي نعم ربكما تكذبان، قاله ابن عباس، ومنه قول طرفة:

كامل يجمع الآلاء الفتى بيديه سيد السادات خصم

الثاني: أنها القدرة، وتقدير الكلام فبأي قدرة ربكما تكذبان، قاله ابن زيد، والكلبي.

(٤٥٧) غريب القرآن (٤٣٧) والطبري (٢٧/ ١٢٣) والقرطبي (١٧/ ١٥٧) اللسان روح، زاد المسير (٨/ ١٠٨) فتح القدير (٥/ ١٣٣).

وفي قوله ربكما إشارة إلى الثقلين الإنس والجن في قول الجميع.

وقد روى محمد بن المنكدر عن جابر قال: (٤٥٨)قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: «**مِا لِي أَرَاكُم سُكُوتاً؟! الجِنُّ أَحْسَنُ مِنكُم رَداً، كُنتُ كُلَّمَا قَرأْتُ عَلَيهِم الآية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: وَلَا بِشَيءٍ مِن نِّعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ ٱلْحَمْدُ**».

وتكرارها(٤٥٩) في هذه السورة لتقرير النعم التي عددها، فقررهم عند كل نعمة منها، كما تقول للرجل أما أحسنت إليك حين وهبت إليك مالاً؟ أما أحسنت إليك حين بنيت لك داراً، ومنه قول مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً(٤٦٠):

على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا خرجت مخبأة الخدور

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

---

(٤٥٨) رواه الترمذي (٢/ ١٦١) والحاكم (٢/ ٤٧٣) وصححه ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى الإمام عن أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد. قلت فرواية الوليد عن زهير تعد على هذا ضعيفة لأنها على قول الإمام أحمد لأن الوليد شامي، ولهذا قال الحافظ في التهذيب (٣/ ٣٤٩) ما روى عن أهل الشام فإنه مناكير وما روى عن أهل البصرة فإنه صحيح. قلت على هذا ففي تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي له نظر لما سبق بيانه وقد زاد السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٠) نسبة الحديث لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤٥٩) أي تكرار قوله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

(٤٦٠) روح المعاني (٢٧/ ٩٧).

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه الطين المختلط برمل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطين الرطب الذي إذا عصرته بيدك خرج الماء من بين أصابعك، وهذا مروي عن عكرمة.

الثالث: أنه الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة، قاله قتادة.

الرابع: أنه الطين الأجوف الذي إذا ضرب بشيء صلّ(٤٦١) وسُمِع له صوت.

الخامس: أنه الطين المنتن، قاله الضحاك، مأخوذ من قولهم صلَّ اللحم إذا أنتن.

والمخلوق من صلصال كالفخار هو آدم عليه السلام.

قال عبدالله بن سلام: خلق الله آدم من تراب من طين لازب، فتركه كذلك أربعين سنة، ثم صلصله كالفخار أربعين سنة، ثم صوره فتركه جسداً لا روح فيه أربعين سنة، فذلك مائة وعشرون سنة. كل ذلك والملائكة تقول سبحان الذي خلقك، لأمر ما خلقك.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه لهب النار، قاله ابن عباس.

الثاني: خلط النار، قاله أبو عبيدة.

الثالث: أنه [اللهب] الأخضر والأصفر [والأحمر] الذي يعلو النار إذا أوقدت ويكون بينها وبين الدخان، قاله مجاهد.

الرابع: أنها النار المرسلة التي لا تمتنع، قاله المبرد.

الخامس: أنها النار المضطربة التي تذهب وتجيء، وسمي مارجاً لاضطرابه وسرعة حركته.

وفي الجان المخلوق من مارج من نار قولان:

---

(٤٦١) فائدة قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في زاد السير (٨/ ١١٠) فإن قيل قد أخبر الله تعالى عن خلق آدم عليه السلام بألفاظ مختلفة فتارة يقول خلقه من تراب وتارة صلصال وتارة من طين لازب وتارة كالفخار وتارة من حمأ مسنون فالجواب ان الأصل التراب فجعل طيناً ثم صار كالحمأ المسنون ثم صار صلصالاً كالفخار هذه إخباراً عن حالات أصله.

أحدهما: أنه أبو الجن(٤٦٢)، قاله أبو فروة يعقوب عن مجاهد.

الثاني: أنه إبليس، وهو قول مأثور.

وفي النار التي خلق من مارجها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من النار الظاهرة بين الخلق، قاله الأكثرون.

الثاني: من نار تكون بين الجبال من دون السماء وهي كالكلة الرقيقة(*). قاله الكلبي.

الثالث: من نار دون الحجاب ومنها هذه الصواعق وترى خلق السماء منها، قاله الفراء.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المشرقين مشرق الشمس في الشتاء والصيف، والمغربين مغرب الشمس في الشتاء والصيف، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المشرقين مشرق الشمس والقمر، والمغربين مغربهما.

الثالث: أن المشرقين الفجر والشمس، والمغربين الشمس والغسق وأغمض(٤٦٣) سهل بن عبدالله بقول رابع: أن المشرقين مشرق القلب واللسان، والمغربين مغرب القلب واللسان.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أما البحران ففيهما خمسة أوجه:

أحدها: أنه بحر السماء(٤٦٤) وبحر الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: بحر فارس والروم، قاله الحسن، وقتادة.

الثالث: أنه البحر المالح والأنهار العذبة، قاله ابن جريج.

---

(٤٦٢) تقدم الكلام على هذا في سورة الحجر والكهف فراجعه.

(*) هي: الستر الرقيقة أشبه الناموسية كما يقال لها راجع لسان العرب.

(٤٦٣) أي أنه أتى بغامض من المعاني وحقاً إن هذا التفسير لغريب جداً جداً وهو تفسير أجنبي عن منهج المفسرين فهو أشبه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية.

(٤٦٤) ورجحه الطبري (٢٧/ ١٢٨) وأيده بسياق الآية وهاك عبارته وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به بحر السماء وبحر الأرض وذلك أن الله قال يخرج منها اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عبر قطر السماء فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء م. هـ.

الرابع: أنه بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما.

الخامس: أنه بحر اللؤلؤ وبحر المرجان.

وأما ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تفريق البحرين، قاله ابن صخر.

الثاني: إسالة البحرين، قاله ابن عباس.

الثالث: استواء البحرين، قاله مجاهد.

وأصل المرج: الإهمال كما تمرج الدابة في المرج.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ في البرزخ الذي بينهما أربعة أقاويل:

أحدها: أنه حاجز، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه عرض الأرض، قاله مجاهد.

الثالث: أنه ما بين السماء والأرض، قاله عطية، والضحاك.

الرابع: أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب، قاله الحسن، وقتادة.

وفي قوله: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يختلطان لا يسيل العذب على المالح ولا المالح على العذب، قاله الضحاك.

الثاني: لا يبغي أحدهما على صاحبه فيغلبه، قاله مجاهد، وقتادة.

الثالث: لا يبغيان أن يلتقيا، قاله ابن زيد، وتقدير الكلام: مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا.

وقال سهل: البحران(٤٦٥) طريق الخير وطريق الشر، والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ و في المرجان أربعة أقاويل:

أحدها: عظام اللؤلؤ وكباره، وقاله علي وابن عباس، ومنه قول الأعشى(٤٦٦):

من كل مرجانة في البحر أخرجها   تيارها ووقاها طينة الصدف

---

(٤٦٥) وهذا التفسير كتفسيره السابق، لقوله ﴿مرج البحرين﴾ فكن على حذر».

(٤٦٦) ديوان: ١١٤ والبيت فيه.

من كل مرجانة في البحر أخرجها   غواصها ووقاها طينها الصدف

الثاني: أنه صغار اللؤلؤ، قاله الضحاك وأبو رزين.

الثالث: أنه الخرز الأحمر كالقضبان، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنه الجوهر المختلط، مأخوذ من مرجت الشيء إذا خلطته وفي قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ وجهان:

أحدهما: أن المراد أحدهما وإن عطف بالكلام عليهما.

الثاني: أنه خارج منهما على قول ابن عباس أنهما بحر السماء وبحر الأرض، لأن ماء السماء إذا وقع على صدف البحر انعقد لؤلؤاً، فصار خارجاً منهما.

وفيه وجه ثالث: أن العذب والمالح قد يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للمالح فنسب إليهما كما نسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى، ولذلك قيل إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقي فيه العذب والمالح.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَـٱلْأَعْلَامِ﴾ أما الجواري فهي السفن واحدتها جارية سميت بذلك لأنها تجري في الماء بإذن الله تعالى، والجارية هي المرأة الشابة أيضاً سميت بذلك لأنه يجري فيها ماء الشباب.

وأما المنشآت ففيها خمسة أوجه:

أحدها: أنها المخلوقات، قاله قتادة مأخوذ من الإنشاء.

الثاني: أنها المحملات، قاله مجاهد.

الثالث: أنها المرسلات، ذكره ابن كامل.

الرابع: المجريات، قاله الأخفش.

الخامس: أنها ما رفع قلعه منها وهي الشرع فهي منشأة، وما لم يرفع ليست بمنشأة، قاله الكلبي.

وقرأ حمزة ﴿ٱلْمُنشِـَٔاتُ﴾[٤٦٧] بكسر الشين، وفي معناه على هذه القراءة وجهان:

أحدهما: البادئات، قاله ابن إسحاق والجارود بن أبي سبرة.

الثاني: أنها يكثر نشأً بجريها وسيرها في البحر كالأعلام، قاله ابن بحر.

وفي قوله: ﴿كَٱلْأَعْلَامِ﴾ وجهان:

(٤٦٧) الحجة في القراءات ص ٦٩١.

أحدهما: يعني الجبال سميت بذلك لارتفاعها كارتفاع الأعلام، قاله السدي، قالت الخنساء(٤٦٨):

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

الثاني: أن الأعلام القصور، قاله الضحاك.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يسألونه الرزق لأهل الأرض فكانت المسألتان جميعاً من أهل السماء وأهل الأرض، لأهل الأرض، قاله ابن جريج(٤٦٩) وروته عائشة مرفوعاً.

الثاني: أنهم يسألونه القوة على العبادة، قاله ابن عطاء، وقيل إنهم يسألونه لأنفسهم الرحمة، قاله أبو صالح.

قال قتادة: لا استغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، قال الكلبي: وأهل السماء يسألونه المغفرة خاصة لأنفسهم ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه المغفرة والرزق.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد شأنه في يومي الدنيا والآخرة. قال ابن بحر: الدهر كله يومان: أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فشأنه سبحانه في أيام الدنيا الابتلاء والاختبار بالأمر، والنهي، والإحياء، والإماتة، والإعطاء، والمنع، وشأنه يوم القيامة الجزاء، والحساب، والثواب، والعقاب.

والقول الثاني: أن المراد بذلك الإخبار عن شأنه في كل يوم من أيام الدنيا.

---

(٤٦٨) تقدم تخريج هذا البيت.

(٤٦٩) اما أثر ابن جريج فقد رواه ابن المنذر كما في الدر (٧/ ٦٩٩) وأما حديث عائشة المرفوع فلم اهتد إلى تخريجه.

وفي هذا الشأن الذي أراده في أيام الدنيا قولان:

أحدهما: من بعث من الأنبياء في كل زمان بما شرعه لأمته من شرائع الدين وكان الشأن في هذا الموضع هو الشريعة التي شرعها كل نبي في زمانه ويكون اليوم عبارة عن المدة.

القول الثاني: ما يحدثه الله في خلقه من تبدل الأحوال وإختلاف الأمور، ويكون اليوم عبارة عن الوقت.

روى مجاهد عن عبيد بن عمير قال: كل يوم هو في شأن، يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويفك عانياً، ويتوب على قوم، ويغفر لقوم.

وقال سويد بن غفلة: كل يوم هو في شأن، هو يعتق رقاباً، ويعطي رغاباً، ويحرم عقاباً.

وقد روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال(٤٧٠): «﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مِن شَأْنِهِ أَن يَغْفِرَ ذَنباً، وَيفْرِجَ كَرْباً، وَيَرْفَعَ قَوماً، وَيَضَعَ آخَرِينَ».

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

---

(٤٧٠) وهذا الحديث اختلف فيه أهل العلم فرجح البخاري وقفه حيث ذكره في صحيحه معلقاً (٨/ ٤٩٠) موقوفاً قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٤٩٠) وصله المصنف في التاريخ وابن حبان في الصحيح وابن ماجه وابن ابي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً وللمرفوع شاهد عن عبدالله بن عمرو أخرجه البزار وآخر عن عبدالله بن منيب أخرجه الحسن بن سفيان والبزار وابن جرير (٢٧/ ١٣٥) والطبراني اهـ.

قلت أما حديث ابن عمر ففي سنده ابن البيلمان وأبوه وهما ضعيفان وإن كان الأب أحسن حالاً من الابن.

وأما حديث ابن منيب فقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيهم من لم أعرفهم اهـ.

قلت وقد زاد نسبة المرفوع للحسن بن سفيان وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والسيوطي في الدر (٧/ ٦٩٩).

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلثَّقَلَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي لنقومن عليكم على[٤٧١] وجه التهديد.

الثاني: سنقصد إلى حسابكم ومجازاتكم على أعمالكم وهذا وعيد لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، وقال جرير[٤٧٢]:

الآن وقد فرغت إلى نمير ... فهذا حين كنت لها عذاباً

أي قصدت لهم، والثقلان الإنس والجن سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض.

﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، لن تعلموه إلا بسلطان، قاله عطية العوفي.

الثاني: إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هرباً من الموت فانفذوا، قاله الضحاك.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني إلا بحجة، قاله مجاهد، قاله ابن بحر: والحجة الإيمان.

الثاني: لا تنفذون إلا بمُلْك وليس لكم مُلْك، قاله قتادة.

الثالث: معناه لا تنفذون إلا في سلطانه وملكه، لأنه مالك السموات والأرض وما بينهما، قاله ابن عباس.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الشواظ لهب النار، قاله ابن عباس، ومنه قول أمية[٤٧٣] بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت.

يمانياً يظل يشد كيراً ... وينفخ دائباً لهب الشواظ

---

(٤٧١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٤٩٠): قال ابن عباس هو وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل وهو معروف في كلام العرب يقال لأتفرغن لك وما به شغل كأنه يقول لآخذنك على غرة.

(٤٧٢) روح المعاني (٢٧/ ١١١) فتح القدير (٥/ ١٣٦).

(٤٧٣) قال محقق المطبوعة تعليقاً هكذا جاء في الأصول وفي تفسير الثعلبي وفي الصحاح وكتاب الوقف والإبتداء لابن الأنباري أنه أمية بن خلف.

[فأجابه حسان فقال][٤٧٤].

همزتك فاختضعت بذل نفسٍ   بقافية تأجج كالشواظ

الثاني: أنه قطعة من النار فيها خضرة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الدخان، رواه سعيد بن جبير، قال رؤبة بن العجاج[٤٧٥]:

إن لهم من وقعنا أقياظا   ونار حرب تسعر الشواظا

الرابع: أنها طائفة من العذاب، قاله الحسن.

وأما النحاس ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الصفر المذاب على رؤوسهم، قاله مجاهد، وقتادة.

الثاني: أنه دخان النار، قاله ابن عباس، قال النابغة الجعدي[٤٧٦]:

كضوء سراج السليـ   ـط لم يجعل الله فيه نحاساً.

الثالث: أنه القتل، قاله عبدالله بن أبي بكرة.

الرابع: أنه نحس لأعمالهم، قاله الحسن.

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ
﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وردة البستان، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من

(٤٧٤) ابن هشام (١/ ٣٨٢) وروح المعاني (٢٦/ ١١٢) وفيه هجوتك فاختصصت لنا بذل.

(٤٧٥) ديوانه: ٨١، اللسان «شوظ» الطبري (٢٧/ ١٣٩).

(٤٧٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٥) الطبري (٢٧/ ١٤١) اللسان «نحس» غريب القرآن (٤٣٨) زاد المسير (٨/ ١١٧) روح المعاني (٢٧/ ١١٣).

ألوانها الحمرة، وبها يضرب المثل في لون الحمرة، قال عبد بني الحسحاس:

فلو كنت ورداً لونه لعشقتني ... ولكن ربي شانني بسواديا

كذلك تصير السماء يوم القيامة حمراء كالورد، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه أراد بالوردة الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس الورد، لاختلاف ألوانه، قاله الكلبي والفراء.

وفي قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ خمسة أوجه:

أحدها: يعني خالصة، قاله الضحاك.

الثاني: صافية، قاله الأخفش.

الثالث: ذات ألوان، قاله الحسن.

الرابع: صفراء كلون الدهن، وهذا قول عطاء الخراساني، وأبي الجوزاء.

الخامس: الدهان أديم الأرض الأحمر، قاله ابن عباس، قال الأعشى(٤٧٧):

وأجرد من فحول الخيل طرف ... كأن على شواكله دهانا

وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، قاله قتادة.

الثاني: أنه لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، قاله ابن عباس.

الثالث: لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم قد رفعوا أعمالهم في الدنيا، قاله مجاهد.

الرابع: أنه لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغل كل واحد منهم بنفسه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

---

(٤٧٧) ديوانه ١٩٧، روح المعاني (٢٧/ ١١٤).

الخامس: أنهم في يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه فهم معروفون بألوانهم فلم يسأل عنهم، قاله الفراء.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال قتادة: يطوفون مرة بين الحميم، ومرة بين الجحيم، والجحيم النار، والحميم الشراب.

وفي قوله تعالى: ﴿ءَانٍ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الذي انتهى حره وحميمه، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي، ومنه قول النابغة الذبياني(٤٧٨):

وتخضب لحية غدرت وخانت ... بأحمر من نجيع الجوف آن

أي حار.

الثاني: أنه الحاضر، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته، قاله مجاهد.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وفي الخائف مقام ربه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه يهم بذنب فيذكر مقام ربه فيدعه، قاله مجاهد.

الثالث: أن ذلك نزل في أبي بكر رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت، والنار حين برزت، قاله عطاء وابن شوذب.

قال الضحاك: بل شرب ذات يوم لبناً على ظمأ فأعجبه، فسأل عنه فأُخْبِر أنه من غير حل، فاستقاءه ورسول الله ﷺ ينظر إليه، فقال: «رَحِمَكَ ٱللَّهُ لَقَدْ أُنزِلَتْ فِيكَ آيَةٌ» وتلا عليه هذه الآية.

وفي مقام ربه قولان:

أحدهما: هو مقام بين يدي العرض والحساب.

(٤٧٨) ديوانه: ١١٣ فتح القدير (٥/ ١٣٨) الطبري (٢٧/ ١٤٤) خزانة الأدب (١/ ٢٠٤).

الثاني: هو قيام الله تعالى بإحصاء ما اكتسب من خير وشر.

وفي هاتين الجنتين أربعة أوجه:

أحدها: جنة الإنس وجنة الجان، قاله مجاهد.

الثاني: جنة عدن، وجنة النعيم، قاله مقاتل.

الثالث: أنهما بستانان من بساتين الجنة، وروي [٤٧٩] ذلك مرفوعاً لأن البستان يسمى جنة.

الرابع: أن إحدى الجنتين منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدامه كما يفعله رؤساء الدنيا.

ويحتمل خامساً: أن إحدى الجنتين مسكنه، والأخرى بستانه.

ويحتمل سادساً: أن إحدى الجنتين أسافل القصور، والأخرى أعاليها [٤٨٠].

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ذواتا ألوان، قاله ابن عباس.

الثاني: ذواتا أنواع من الفاكهة، قاله الضحاك.

الثالث: ذواتاأتا [٤٨١] وسَعَةٍ، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ذواتا أغصان، قاله الأخفش وابن بحر.

والأفنان جمع واحده فنن كما قال الشاعر [٤٨٢]:

ما هاج سوقك من هديل حمامة ... تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف ضارياً ... ذا مخلبين من الصقور قطاما

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ

---

(٤٧٩) أخرجه ابن مردويه عن عياض بن تميم مرفوعاً راجع الدر المنثور (٧/ ٧٠٨).

(٤٨٠) وأولى ما تفسر به الجنتين ما رواه البخاري (٨/ ٤٩١) ومسلم (٢٩٦) من حديث عبدالله بن قيس مرفوعاً «جنتان من فضة آنيتها وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتها وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

(٤٨١) هكذا وقعت بالأصل ولم يعرف معناها والله أعلم.

(٤٨٢) اللسان «هدر» الطبري (٢٧/ ١٤٧) فتح القدير (٥/ ١٤٠).

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن بطائنها يريد به ظواهرها، قاله قتادة.

والعرب تجعل البطن ظهراً فيقولون هذا بطن السماء وظهر السماء.

الثاني: أنه أراد البطانة دون الظهارة، لأن البطانة إذا كانت من إستبرق وهي أدون من الظهارة دل على أن الظهارة فوق الإستبرق، قاله الكلبي.

وسئل ابن عباس فما الظواهر؟ قال: إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ فأما الجنا فهو الثمر، ومنه قول الشاعر(٤٨٣):

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وفي قوله: ﴿دَانٍ﴾ وجهان:

أحدهما: داني لا يبعد على قائم ولا على قاعد، قاله مجاهد.

الثاني: أنه لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك، قاله قتادة.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قال قتادة: قصر طرفهن على أزواجهن، لا يسددن النظر إلى غيرهم، ولا يبغين بهم بدلاً.

﴿لَمْ يَطْمَثْهنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يمسسهن، قال أبو عمرو: الطمث المس، وذلك في كل شيء يمس.

الثاني: لم يذللهن إنس قبلهم ولا جان، والطمث: التذليل، قاله المبرد.

الثالث: لم يُدْمِهُنَّ يعني إنس ولا جان، وذلك قيل للحيض طمث، قال الفرزدق(٤٨٤):

---

(٤٨٣) هو عمرو بن عدي اللخمي والبيت في فتح القدير (٥/ ١٤١).

(٤٨٤) اللسان (طمث) فتح القدير (٥/ ١٤٩) واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجنة ويجامعون فيها =

دفعن إلـيَّ لـم يـطمـثـن قـبـلـي ... وهـن أصـح مـن بـيض الـنـعـام

وفي الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلإِحْسَانِ إِلاَّ ٱلإِحْسَانُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: هل جزاء الطاعة إلا الثواب.

الثاني: هل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الآخرة، قاله ابن زيد.

الثالث: هل جزاء من شهد أن لا إله إلا الله إلا الجنة، قاله ابن عباس.

الرابع: هل جزاء التوبة إلا المغفرة، قاله جعفر بن محمد الصادق.

ويحتمل خامساً: هل جزاء إحسان الله عليكم إلا طاعتكم له.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ
﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي أقرب منهما جنتان.

الثاني: أي دون صفتهما جنتان.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه، قال ابن عباس: فيكون في الأولين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط.

= كالإنس منهم فهم باقون فيها منعمين كبقاء المعذبين منهم في النار روح المعاني (٢٧/ ١١٩).

الثاني: أن الأولين من ذهب للمقربين، والأخريين من وَرِقٍ لأصحاب اليمين، قاله ابن زيد.

الثالث: أن الأولين للسابقين، والأخريين للتابعين، قاله الحسن.

قال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى، وفي الجنات الأربع جنان كثيرة.

ويحتمل رابعاً: أن يكون من دونهما جنتان لأتباعه، لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحور العين، والأخرى للولدان المخلدين، لتميز بهما الذكور عن الإناث.

﴿مُدْهَـآمَّتَانِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أي خضراوان، قاله ابن عباس.

الثاني: مسودتان[٤٨٥]، قاله مجاهد، مأخوذ من الدهمة وهي السواد، ومنه سمي سود الخيل دهماً.

الثالث: [خضروان من الرّي][*] ناعمتان، قاله قتادة.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ممتلئتان لا تنقطعان، قاله الضحاك.

الثاني: جاريتان، قاله الفراء.

الثالث: فوّارتان، وذكر في الجنتين الأولين عينين تجريان، وذكر في الأخريين عينين نضاختين، والجري أكثر من النضخ.

وبماذا هما نضاختان؟ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالماء، قاله ابن عباس.

الثاني: بالمسك والعنبر، قاله أنس.

الثالث: بالخير والبركة، قاله الحسن، والكلبي.

الرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبير.

﴿فِيهِنَّ خَيْـرَاتٌ حِسَانٌ﴾ يعني الجنـات الأربـع، وفي الخيـرات قـراءتـان، إحداهما بالتخفيف، وفي المراد بها قولان:

---

(٤٨٥) يعني كأنهما من شدة اخضرار أوراق أشجارهما ضاربتان للسواد راجع زاد المسير (٨/ ١٢٤).

(*) زيادة من ابن كثير كما نقله عن قتادة.

أحدهما: الخير والنعم المستحسنة.

الثاني: خيرات الفواكه والثمار، وحسان في المناظر والألوان.

والقراءة الثانية بالتشديد[٤٨٦]، وفي المراد بها قولان:

أحدهما: مختارات.

الثاني: ذوات الخير وفيهن قولان:

أحدهما: أنهن الحور المنشآت في الآخرة

الثاني: أنهن النساء المؤمنات الفاضلات من أهل الدنيا.

وفي تسميتهن خيرات أربعة أوجه:

أحدها: لأنهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه، قاله قتادة وروته أم سلمة مرفوعاً[٤٨٧].

الثاني: لأنهن عذارى أبكاراً، قاله أبو صالح.

الثالث: لأنهن مختارات.

الرابع: لأنهن خيرات صالحات، قاله أبو عبيدة.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مقصورات الطرف على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن طرفاً إلى غيرهم من الرجال، قاله مجاهد.

الثاني: المحبوسات في الحجال لَسْنَ بالطوافات في الطرق، قاله ابن عباس.

الثالث: المخدرات المصونات، ولا متعطلات ولا متشوِّفات، قاله زيد بن الحارث، وأبو عبيدة.

الرابع: أنهن المسكنات في القصور، قاله الحسن.

ويحتمل خامساً: أن يريد بالمقصورات البيض، مأخوذ من قصارة الثوب الأبيض، لأن وقوع الفرق بين المقصورات والقاصرات يقتضي وقوع الفرق بينهما في التأويل.

---

(٤٨٦) وهي قراءة معاذ القارىء وعاصم الجحدري وابن نهيك.

(٤٨٧) رواه الطبري (٢٧/ ١٥٨) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٧٢٠) نسبته للطبراني وابن مردويه وقد ساقه الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٩) من رواية الطبراني وقال فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

وفي الخيام ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الخيام هي البيوت، قاله ابن بحر.

الثاني: أنها خيام تضرب لأهل الجنة خارج الجنة كهيئة البداوة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنها خيام في الجنة تضاف إلى القصور.

روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قال:(٤٨٨) «**الخِيَامُ الدُّرُّ المُجَوَّفُ**».

قال الكلبي: وهن محبوسات لأزواجهن في الخيام من الدر المجوف.

روي عن أسماء بنت يزيد الأشهلية أنها أتت(٤٨٩) النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إننا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم، فهل نشارككم في الأجر؟ فقال عليه السلام: «**نَعَم إِذَا أَحْسَنْتُنَّ تَبَعُّلَ أَزْوَاجِكُنَّ وَطَلَبْتُنَّ مَرْضَاتَهُم**».

﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ**﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الرفرف المحبس المطيف ببسطه، قاله ابن كامل.

الثاني: فضول الفرش والبسط، قاله ابن عباس.

الثالث: أنها الوسائد، قاله الحسن وعاصم الجحدري.

الرابع: أنها الفرش المرتفعة، مأخوذ من الرف.

الخامس: أنها المجالس يتكئون على فضولها.

السادس: رياض الجنة، قاله ابن جبير.

﴿**وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الطنافس المخملية، قاله الحسن.

الثاني: الديباج، قاله مجاهد.

---

(٤٨٨) رواه ابن جرير(٢٧/ ١٦٢) وزاد السيوطي في الدر (٧/ ٧١٩) نسبته لابن أبي حاتم.

(٤٨٩) ورد نحوه من حديث ابن عباس قال جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن أصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك قال فقال رسول الله ﷺ أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله رواه البراز قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٥) رشدين بن كريب وهو ضعيف ا هـ. وأما حديث أسماء فلم أظفر به والله أعلم.

الثالث: أنها ثياب في الجنة لا يعرفها أحد، قاله مجاهد [أيضاً].

الرابع: أنها ثياب الدنيا تنسب إلى عبقر.

وفي عبقري قولان:

أحدهما: أنه سيد القوم، ومنه قول النبي ﷺ في عمر(٤٩٠) رضي الله عنه: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِياً مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ» فنسبه إلى أرفع الثياب لاختصاصه.

الثاني: أرض عبقر(٤٩١).

وفي تسميتها بذلك قولان.

أحدهما: لكثرة الجن فيها.

الثاني: لكثرة رملها ويكون المراد بذلك أنها تكون مثل العبقري لأن ما ينسج بعبقر لا يكون في الجنة إذا قيل إن عبقر اسم أرض.

﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ثبت اسم ربك ودام.

الثاني: أن ذكر اسمه يمـن وبركة، ترغيباً في مداومة ذكره.

﴿ذِي ٱلْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ في ﴿ذِي ٱلْجَلَالِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الجليل.

الثاني: أنه المستحق للإجلال والإعظام.

وفي ﴿ٱلإِكْرَامِ﴾ وجهان:

أحدهما: الكريم.

الثاني: ذو الإكرام لمن يطيعه.

---

(٤٩٠) جزء من حديث في مناقب عمر رواه البخاري (١١/ ٣٦٥) ومسلم (٢٣٩٢).

(٤٩١) وهي قرية ينسب إليها صنع البُسُط المنقوشة.

سورة الواقعة

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ
أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ (١٢)

قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصيحة، قاله الضحاك.

الثاني: الساعة وقعت بحق فلم تكذب، قاله السدي.

الثالث: أنها القيامة، قاله ابن عباس، والحسن.

وسميت الواقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: ليس لها مردود، قاله ابن عباس.

الثاني: لا رجعة فيها ولا مشورة، قاله قتادة.

الثالث: ليس لها مكذب من مؤمن ولا من كافر، قاله ابن كامل.

الرابع: ليس الخبر عن وقوعها كذباً.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين، قاله محمد بن كعب.

الثاني: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة، قاله عمر بن الخطاب.

الثالث: خفضت الصوت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى، قاله عكرمة.

ويحتمل رابعاً: أنها خفضت بالنفخة الأولى من أماتت، ورفعت بالنفخة الثانية من أحيت.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجّاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: رجفت وزلزلت، قاله ابن عباس، قال رؤبة بن العجاج(٤٩٢):

أليس يوم سمي الخروجا أعظم يوم رجه رجوجاً
يوماً يرى مرضعة خلوجاً

الثاني: أنها ترج بما فيها كما يرج الغربال بما فيه، قاله الربيع بن أنس فيكون تأويلها على القول الأول أنها ترج بإماتة ما على ظهرها من الأحياء، وتأويلها على القول الثاني أنها ترج لإخراج من في بطنها من الموتى.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسّاً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: سالت سيلاً، قاله مجاهد.

الثاني: هدت هدآ، قاله عكرمة،

الثالث: سيرت سيراً، قاله محمد بن كعب، ومنه قول الأغلب العجلي(٤٩٣):

نحن بسسنا بأثر أطاراً أضاء خمساً ثمت سارا

---

(٤٩٢) ديوان العجاج: ٩.

(٤٩٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٨) الطبري (٢٧/ ١٦٧) القرطبي (١٧/ ١٩٦) اللسان «بسس».

الرابع: قطعت قطعاً، قاله الحسن..

الخامس: إنها بست كما يبس السويق أي بلت، والبسيسة هي الدقيق يلت ويتخذ زاداً، قال لص من غطفان:

لا تخبزا خبزاً وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه رهج الغبار يسطع ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك، قاله علي.

الثاني: أنها شعاع الشمس الذي من الكوة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت، فإذا وقع لم يكن شيئاً، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه ما يبس من ورق الشجر تذروه الريح، قاله قتادة.

وفي المنبث ثلاثة أوجه:

أحدها: المتفرق، قاله السدي.

الثاني: المنتشر.

الثالث: المنثور.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً﴾ يعني أصنافاً ثلاثة، قال عمر بن الخطاب: اثنان في الجنة وواحد في النار.

وفيهما وجهان:

أحدهما: ما قاله ابن عباس أنها التي في سورة الملائكة[٤٩٤]: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

الثاني: ما رواه النعمان بن بشير[٤٩٥] أن النبي ﷺ قال: «وكنتم أزوجاً ثلاثة» الآية.

(٤٩٤) سورة فاطر.

(٤٩٥) ونص الحديث عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ «وإذا النفوس زوجت» قال الضرباء كل رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله وذلك بأن الله تعالى يقول ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ فأصحاب الميمنة مع أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة مع أصحاب المشئمة والسابقون السابقون قال هم الضرباء» رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٧/٨).

ويحتمل جعلهم أزواجاً وجهين:
أحدهما: أن ذلك الصنف منهم مستكثر ومقصر، فصار زوجاً.
الثاني: أن في كل صنف منهم رجالاً ونساء، فكان زوجاً.
﴿فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ فيهم خمسة تأويلات:
أحدها: أن أصحاب الميمنة الذين أخذوا من شق آدم الأيمن، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم.
الثاني: أن أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بيساره، قاله محمد بن كعب.
الثالث: أن أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات، وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات، قاله ابن جريج.
الرابع: أن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم، قاله الحسن.
الخامس: أن أصحاب الميمنة أهل الجنة، وأصحاب المشأمة أهل النار، قاله السدي.
وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ﴾ لتكثير ما لهم من العقاب.
﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فيهم خمسة أقاويل:
أحدها: أنهم الأنبياء، قاله محمد بن كعب.
الثاني: أنهم السابقون إلى الإيمان(٤٩٦) من كل أمة، قاله الحسن، وقتادة.
الثالث: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، قاله ابن سيرين.
الرابع: هم أول الناس رواحاً إلى المساجد وأسرعهم خفوفاً في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي سوادة.
الخامس: أنهم أربعة: منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابقان من أمة محمد ﷺ وهما: أبو بكر وعمر، قاله ابن عباس.
ويحتمل سادساً: أنهم الذين أسلموا بمكة قبل هجرة النبي ﷺ وبالمدينة قبل

(٤٩٦) وهذا القول أرجح الأقوال لأنه يعم وفي مقدمة السابقين من ذكر والله أعلم.

هجرته إليهم لأنهم سبقوا بالإسلام قبل زمان الرغبة والرهبة.

وفي تكرار قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قولان:

أحدهما: السابقون في الدنيا إلى الإيمان، السابقون في الآخرة إلى الجنة هم المقربون، قاله الكلبي.

الثاني: يحتمل أنهم المؤمنون بالأنبياء في زمانهم، وسابقوهم بالايمان هم المقربون المقدمون منهم.

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا
مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الجماعة، ومنه قول الشاعر:

ولست ذليلاً في العشيرة كلها ... تحاول منها ثلة لا يسودها

الثاني: الشطر وهو النصف، قاله الضحاك.

الثالث: أنها الفئة، قاله أبو عبيدة، ومنه قول دريد بن الصمة:

ذريني أسير في البلاد لعلني ... ألاقي لبشر ثلة من محارب.

وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم أصحاب محمد ﷺ، قاله أبو بكرة.

الثاني: أنهم قوم نوح، قاله الحسن.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم أصحاب محمد ﷺ، قاله الحسن.

الثاني: أنهم الذين تقدم إسلامهم قبل أن يتكاملوا، روى أبو هريرة(٤٩٧) أنه لما

(٤٩٧) رواه أحمد (٣/ ٣٣) (٤/ ٤٣٢) وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه الدر المنثور (٨/ ٧).

نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال عليه السلام: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بَلْ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَلْ أَنْتُم نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُقَاسِمُونَهُم فِي النِّصْفِ الثَّانِي».

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ يعني الأسرة، واحدها سرير، سميت بذلك لأنها مجلس السرور.

وفي الموضونة أربعة أوجه:

أحدها: أنها الموصولة بالذهب(٤٩٨)، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها المشبكة النسج، قاله الضحاك، ومنه قول لبيد:

إن يفزعوا فسرا مع موضونة والبيض تبرق كالكواكب لامها

الثالث: أنها المضفورة، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد، ومنه وضين الناقة وهو البطان العريض المضفور من السيور.

الرابع: أنها المسندة بعضها إلى بعض.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان: جمع وليد وهم الوصفاء.

وفي قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: [مسورون] بالأسورة، [مقرطون] بالأقراط، قاله الفراء، قال الشاعر(٤٩٩):

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكثبان

الثاني: أنهم الباقون على صغرهم لا يموتون ولا يتغيرون، قاله الحسن، ومنه قول امرىء القيس(٥٠٠):

وهل ينعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال

(٤٩٨) والذي في الطبري (٢٧/ ١٧٢) عن ابن عباس أنها المرمولة له بالذهب أي المنسوجة وهكذا نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٣٥) ولابن عباس قول آخر في الطبري (٢٧/ ١٧٣) أنها المصفوفة وكذا هو في زاد المسير ايضاً (٨/ ١٣٥).

(٤٩٩) فتح القدير (٥/ ١٤٩) غريب القرآن (٤٧٧) القرطبي (١٧/ ٢٢) اللسان «خلد» زادالمسير(٨/ ١٣٦).

(٥٠٠) فتح القدير (٥/ ١٤٩) ديوانه: ٢٧ وفيه وهل يعمن إلا سعيد مخلد وقوله يعمن يقال وعم يعم في معنى نعم ينعم.

ويحتمل ثالثاً: أنهم الباقون معهم لا يصبرون عليهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ فيهما قولان:

أحدهما: أن الأكواب: التي ليس لها عُرى، قاله الضحاك.

الثاني: أن الأكواب: مدورة الأفواه، والأباريق: التي يغترف بها، قاله قتادة، قال الشاعر:

فعدوا عليّ بقرقف ينصب من أكوابها

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ والكأس اسم للإناء إذا كان فيه شراب، والمعين الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد به في هذا الموضوع الخمر، وصف الخمر بأنه الجاري من عينه بغير عصر كالماء المعين.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه لا يمنعون منها، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد.

الثاني: لا يفرّقون عنها، حكاه ابن قتيبة، واستشهد عليه بقول الراجز: صد عنه فانصدع.

الثالث: لا ينالهم من شربها وجع الرأس وهو الصداع، قاله ابن جبير، وقتادة، ومجاهد، والسدي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: لا تنزف عقولهم فيسكرون، قاله ابن زيد، وقتادة.

الثاني: لا يملون، قاله عكرمة.

الثالث: لا يتقيئون، قاله يحيى بن وثاب.

الرابع: وهو تأويل من قرأ بكسر(٥٠١) الزاي لا يفنى خمرهم، ومنه قول الأبيرد(٥٠٢):

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى أنتم آل أبجرا

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السكر،

(٥٠١) وهي قراءة عاصم راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد.

(٥٠٢) فتح القدير (٥/ ١٥٠) المحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٨) القرطبي (١٢/ ٧٩).

والصداع، والقيء، والبول، وقد ذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال.

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ والحور البيض سمين لبياضهن، وفي العين وجهان:

أحدهما: أنهن كبار الأعين، كما قال الشاعر:

إذا كبرت عيون من النساء ومن غير النساء فهن عين

الثاني: أنهن اللاتي سواد أعينهن حالك، وبياض أعينهن نقي، كما قال الشاعر:

إذا ما العين كان بها احورار علامتها البياض على السواد

﴿كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في نضارتها وصفاء ألوانها.

الثاني: أنهن كأمثال اللؤلؤ في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن، كما قال الشاعر(٥٠٣):

كأنما خلقت في قشر لؤلؤة فكل أكنافها وجه لمرصاد

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا يسمعون في الجنة باطلاً ولا كذباً، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يسمعون فيها خُلفاً، أي لا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا، ولا يأثمون بشربها، كما يأثمون في الدنيا، قاله الضحاك.

الثالث: لا يسمعون فيها شتماً ولا مأثماً، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: لا يسمعون مانعاً لهم منها، ولا مشنعاً لهم على شربها.

﴿إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لكن يسمعون قولاً ساراً وكلاماً حسناً.

الثاني: لكن يتداعون بالسلام على حسن الأدب وكريم الأخلاق.

الثالث: يعني قولاً يؤدي إلى السلامة.

ويحتمل رابعاً: أن يقال لهم هنيئاً.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ

(٥٠٣) هو بشار بن برد.

مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)
وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)
لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (٤٠)

﴿وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنهم أصحاب الحق، قاله السدي.

الثاني: أنهم دون منزلة المقربين، قاله ميمون بن مهران.

الثالث: أنهم من أعطي كتابه بيمينه، قاله يعقوب بن مجاهد.

الرابع: أنهم التابعون بإحسان ممن لم يدرك الأنبياء من الأمم، قاله الحسن.

الخامس: ما رواه أسباط عن السدي: أن الله تعالى مسح ظهر آدم فمسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء فقال لهم ادخلوا الجنة ولا أبالي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج ذرية كهيئة الذر سوداء، فقال لهم ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك هو قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ﴾، وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ﴾.

السادس: ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ(٥٠٤): أصحاب اليمين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ثم تابوا بعد ذلك وأصلحوا.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ والسدر النبق، وفي المنضود ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اللين الذي لا شوك فيه، قاله عكرمة، وقال غيره لا عجم لنبقه، يقال خضدت الشجرة إذا حذفت شوكها.

الثاني: أنه الموقر حملاً، قاله مجاهد.

الثالث: المدلاة الأغصان، وخص السدر بالذكر لأن ثمره أشهى الثمر إلى النفوس طعماً وألذه ريحاً.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

(٥٠٤) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

أحدها: أن الطلح الموز، قاله ابن عباس، وابو سعيد الخدري، وأبو هريرة، والحسن، وعكرمة.

الثاني: أنها شجرة تكون باليمن وبالحجاز كثيراً تسمى طلحة، قاله عبدالله بن حميد، وقيل إنها من أحسن الشجر منظراً، ليكون بعض شجرهم مأكولاً وبعضه منظوراً، قال الحادي(٥٠٥):

بشرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والأحبالا

الثالث: أنه الطلع، قاله علي، وحكى أنه كان يقرأ: ﴿وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ﴾، وفي المنضود قولان:

أحدهما: المصفوف، قاله السدي.

الثاني: المتراكم، قاله مجاهد.

﴿وَظِلٍ مَّمْدُودٍ﴾ أي دائم.

ويحتمل ثانياً: أنه التام.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي منصب في غير أخدود.

ويحتمل آخر: أنه الذي ينسكب عليهم من الصعود والهبوط بخلاف الدنيا، قال الضحاك: من جنة عدن إلى أهل الخيام.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا مقطوعة بالفناء ولا ممنوعة بالفساد.

الثاني: لا مقطوعة اللذة بالملل ولا ممنوعة من اليد بشوك أو بعد.

وفيه وجه ثالث: لا مقطوعة بالزمان ولا ممنوعة بالأشجار.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، مرفوعة بكثرة حشوها زيادة في الاستمتاع بها.

الثاني: أنهم الزوجات لأن الزوجة تسمى فراشاً، ومنه قول النبي ﷺ(٥٠٦):

(٥٠٥) هو النابغة الجعدي والبيت في الطبري (٢٧/ ١٨١) والقرطبي (١٧/ ٢٠٨) ومجاز القرآن (٢/ ٢٥٠) وزاد المسير (٨/ ١٤٠).

(٥٠٦) رواه البخاري (٥/ ٢٧٨) ومسلم (١٤٥٧) وأبو داود (٢٢٧٣) ومالك في الموطأ (٢/ ٧٣٩) والنسائي (٦/ ١٨٠ و١٨١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

«الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ» قاله ابن بحر. فعلى هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: مرفوعات في القلوب لشدة الميل إليهن.

الثاني: مرفوعات عن الفواحش والأدناس.

﴿إِنَّآ أَنشَأْهُنَّ إِنشَآءً﴾ يعني نساء أهل الدنيا، وفي إنشائهن في الجنة قولان:

أحدهما: يعني إنشاءهن في القبور، قاله ابن عباس.

الثاني: إعادتهن بعد الشمط والكبر صغاراً أبكاراً، قاله الضحاك، وروته أم سلمة مرفوعاً(٥٠٧).

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: عذارى بعد أن كن غير عذارى، قاله يعقوب بن مجاهد.

الثاني: لا يأتيها إلا وجدها بكراً، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثالثاً: أبكاراً من الزوجات، وهن الأوائل لأنهن في النفوس أحلى والميل إليهن أقوى، كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

قوله تعالى ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: أن العرب المنحبسات على أزواجهن المتحببات إليهم، قاله سعيد بن جبير، والكلبي.

الثاني: أنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على إشاعته(*)، قاله عكرمة.

الثالث: الشكلة(*) بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة، قاله ابن زيد، ومنه قول لبيد(٥٠٨):

وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

الرابع: هن الحسنات الكلام، قاله ابن زيد. [أيضاً].

---

(٥٠٧) تقديم تخريجه في سورة الرحمن في تعليق رقم ٣٦.

(*) يعني مشايعته.

(*) هي المرأة ذات الدلال.

(٥٠٨) فتح القدير (٥/ ١٥٣) الطبري (٢٧/ ١٨٦) وروح المعاني (٢٧/ ١٤٢) والقرطبي (١٧/ ٢١١) ديوانه: ورواية الديوان: وفي الحروج والحروج هو الهودج.

الخامس: أنها العاشقة لزوجها لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها.

السادس: أنها الحسنة التبعُّل، لتكون ألذ استمتاعاً.

السابع: ما رواه جعفر بن محمد(٥٠٩) عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرُباً كَلامُهُنَّ عَرَبِيّ».

﴿أتْراباً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني أقران، قاله عطية.

وقال الكلبي: على سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة، يقال في النساء أتراب، وفي الرجال أقران، وأمثال، وأشكال، قاله مجاهد.

الثالث: أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد، قاله السدي.

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الدخان، قاله أبو مالك.

الثاني: أنها نار سوداء، قاله ابن عباس.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا بارد المدخل، ولا كريم المخرج، قاله ابن جريج.

الثاني: لا كرامة فيه لأهله.

(٥٠٩) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (١٨/٨).

ويحتمل ثالثاً: أن يريد لا طيب ولا نافع.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: منعمين، قاله ابن عباس.

الثاني: مشركين، قاله السدي.

ويحتمل وصفهم بالترف وجهين:

أحدهما: التهاؤهم عن الإعتبار وشغلهم عن الإزدجار.

الثاني: لأن عذاب المترف أشد ألماً.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الشرك بالله، قاله الحسن، والضحاك، وابن زيد.

الثاني: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه، قاله قتادة، ومجاهد.

الثالث: هو اليمين الغموس، قاله الشعبي.

ويحتمل رابعاً: أن يكون الحنث العظيم نقض العهد المحصن بالكفر.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الأرض الرملة التي لا تروى بالماء، وهي هيام الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الإبل التي يواصلها الهيام وهو داء يحدث عطشاً فلا تزال الإبل تشرب الماء حتى تموت، قاله عكرمة، والسدي، ومنه قول قيس بن الملوح(٥١٠):

يقال به داء الهيام أصابه ... وقد علمت نفسي مكان شفائيا

الثالث: أن الهيم الإبل الضوال لأنها تهيم في الأرض لا تجد ماءً فإذا وجدته فلا شيء أعظم منها شرباً.

الرابع: أن شرب الهيم هو أن تمد الشرب مرة واحدة إلى أن تتنفس ثلاث مرات، قاله خالد بن معدان، فوصف شربهم الحميم بأنه كشرب الهيم لأنه أكثر شرباً فكان أزيد عذاباً.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي طعامهم وشرابهم يوم الجزاء، يعني في جهنم.

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ

(٥١٠) فتح القدير (٥/ ١٥٤).

﴿ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ
أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا
تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نحن خلقنا رزقكم أفلا تصدقون أن هذا طعامكم.

الثاني: نحن خلقناكم فلو لا تصدقون أننا بالجزاء: بالثواب والعقاب أردناكم.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ يعني نطفة المني، قال الفراء: يقال أمنى يمني ومنى يمني بمعنى واحد.

ويحتمل عندي أن يختلف معناهما فيكون أمنى إذا أنزل عن جماع، ومني إذا عن احتلام.

وفي تسمية المني منياً وجهان:

أحدهما: لإمنائه وهو إراقته.

الثاني: لتقديره ومنه المناء الذي يوزن به فإنه مقدار لذلك فكذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أي نحن خلقنا من المني المهين بشراً سوياً، فيكون ذلك خارجاً مخرج الإمتنان.

الثاني: أننا خلقنا مما شاهدتموه من المني بشراً فنحن على خلق ما غاب من إعادتكم أقدر، فيكون ذلك خارجاً مخرج البرهان، لأنهم على الوجه الأول معترفون، وعلى الوجه الثاني منكرون.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قضينا عليكم بالموت.

الثاني: كتبنا عليكم الموت.

الثالث: سوينا بينكم الموت.

فإذا قيل بالوجه الأول بمعنى قضى ففيه وجهان:

أحدهما: قضى بالفناء ثم الجزاء.

الثاني: ليخلف الأبناء الآباء.

وإذا قيل بالوجه الثاني أنه بمعنى كتبنا ففيه وجهان:

أحدهما: كتبنا مقداره فلا يزيد ولا ينقص، قاله ابن عيسى.

الثاني: كتبنا وقته فلا يتقدم عليه ولا يتأخر، قاله مجاهد.

وإذا قيل بالوجه الثالث أنه بمعنى سوينا ففيه وجهان:

أحدهما: سوينا بين المطيع والعاصي.

الثاني: سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض، قاله الضحاك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تمام ما قبله من قوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾، فعلى هذا في تأويله وجهان:

أحدهما: وما نحن بمسبوقين على ما قدرنا بينكم الموت حتى لا تموتوا.

الثاني: وما نحن بمسبوقين على أن تزيدوا في مقداره وتؤخروه عن وقته.

والوجه الثاني: أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده من قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعلى هذا في تأويله وجهان:

أحدهما: لما لم نسبق إلى خلق غيركم كذلك لا نعجز عن تغيير أحوالكم بعد موتكم.

الثاني: كما لم نعجز عن خلق غيركم كذلك لا نعجز عن تغيير أحوالكم بعد موتكم كما لم نعجز عن تغييرها في حياتكم.

فعلى هذا التأويل يكون في الكلام مضمر محذوف، وعلى التأويل الأول يكون جميعه مظهراً.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ

شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ الآية. فأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله وينبت على إختياره لا على إختيارهم، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ(٥١١): «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم زَرَعْتُ وَلَكِن لِيَقُلْ حَرَثْتُ**».

وتتضمن هذه الآية أمرين:

أحدهما: الإمتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم.

الثاني: البرهان الموجب للإعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذوره وإنتقاله إلى إستواء حاله، [من العفن إلى الترتيب](*) حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعاف ما كان عليه، فهو بإعادة من مات أحق وعليه أقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة.

ثم قول تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً﴾ يعني الزرع، والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به، فنبه بذلك على أمرين:

أحدهما: ما أولاهم من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه.

الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ بعد مصير الزرع حطاماً، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: تندمون، وهو قول الحسن وقتادة، ويقال إنها لغة عكل وتميم.

الثاني: تحزنون، قاله ابن كيسان.

الثالث: تلاومون، قاله عكرمة.

---

(٥١١) رواه الطبري (٢٧/ ١٩٨) وزاد في الدر (٨/ ٢٣) نسبته لابن مردويه والبزار وأبي نعيم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه.

(*) هذه الفقرة من القرطبي وقد نقلها عن المصنف.

الرابع: تعجبون، قاله ابن عباس. وإذا نالكم هذا في هلاك زرعكم كان ما ينالكم في هلاك أنفسكم أعظم.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لمعذبون، قاله قتادة، ومنه قول ابن المحلم(٥١٢):

وثقت بأن الحفظ مني سجية   وأن فؤادي مبتلى بك مغرم

الثاني: مولع بنا، قاله عكرمة، ومنه قول النمر بن تولب(٥١٣):

سلا عن تذكره تكتما   وكان رهيناً بها مغرماً

أي مولع.

الثالث: محرومون من الحظ، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٥١٤):

يوم النسار ويوم الجفا   ر كانا عذاباً وكانا غراماً

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ أي تستخرجون بزنادكم من شجر أو حديد أو حجر، ومنه قول الشاعر:

فإن النار بالزندين تورى   وإن الشر يقدمه الكلام

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ أي أخذتم أصلها.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ﴾ يعني المحدثون.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تذكرة لنار [الآخرة] الكبرى، قاله قتادة.

الثاني: تبصرة للناس من الظلام، قاله مجاهد.

﴿وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: منفعة للمسافرين قاله الضحاك، قال الفراء: إنما يقال للمسافرين إذا نزلوا القِيّ وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها.

الثاني: المستمتعين من حاضر ومسافر، قاله مجاهد.

الثالث: للجائعين في إصلاح طعامهم، قاله ابن زيد.

---

(٥١٢) القرطبي (١٧/٢١٩).

(٥١٣) فتح القدير (٥/١٥٨) والقرطبي (١٧/ ٢١٩).

(٥١٤) اللسان «غرم» ونسبه للطرماح، فتح القدير (٥/ ١٥٨) القرطبي (١٧/ ٢١٩).

الرابع: الضعفاء والمساكين، مأخوذ من قولهم قد أقوت الدار إذا خلت من أهلها، حكاه ابن عيسى.

والعرب تقول قد أقوى الرجل إذا ذهب ماله، قال النابغة:

يقوى بها الركب حتى ما يكون لهم   إلا الزناد وقدح القوم مقتبس

الخامس: أن المقوي الكثير المال، مأخوذ من القوة فيستمتع بها الغني والفقير.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦
إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ
أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من[٥١٥] مخلوقاته، قال الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يفتتح به كلامه.

الثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيماً من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته.

فعلى هذا في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ وجهان:

أحدهما: أن «لا» صلة زائدة، ومعناه أقسم.

الثاني: أن قوله: ﴿فَلَآ﴾ راجع إلى ما تقدم ذكره، ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة، ثم استأنف كلامه فقال: ﴿أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾.

وفيها ستة أقاويل:

أحدها: أنها مطالعها ومساقطها، قاله مجاهد.

---

(٥١٥) وعقب الحافظ ابن كثير على هذا القول (٤/ ٢٩٧) بقوله: وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته م. هـ.

الثاني : إنتشارها يوم القيامة وإنكدارها ، قاله الحسن .

الثالث: أن مواقع النجوم السماء، قاله ابن جريج .

الرابع : أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا، قاله الضحاك، ويكون قوله : ﴿فلا أقسم﴾ مستعملاً على حقيقته في نفي القسم بها .

الخامس : أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين(٥١٦) سنة ، فهو ينزله على الأحداث في أمته ، قاله ابن عباس والسدي .

السادس: أن مواقع النجوم هو محكم القرآن، حكاه الفراء عن ابن مسعود .

﴿وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن القرآن قسم عظيم، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الشرك بآياته جرم عظيم ، قاله ابن عباس ، والضحاك .

ويحتمل ثالثاً : أن ما أقسم الله به عظيم .

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ﴾ يعني أن هذا القرآن كريم، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : كريم عند الله .

الثاني : عظيم النفع للناس .

الثالث: كريم بما فيه من كرائم الأخلاق ومعالي الأمور .

ويحتمل أيضاً رابعاً : لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه .

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ وفيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كتاب في السماء وهو اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، وجابر بن زيد .

الثاني : التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن وذكر من ينزل عليه ، قاله عكرمة .

الثالث: أنه الزبور .

الرابع : أنه المصحف الذي في أيدينا، قاله مجاهد، وقتادة .

(٥١٦) والمعلوم أنه نزل في ثلاثة وعشرين سنة مدة دعوة رسول الله ﷺ .

وفي ﴿مَّكْنُونٍ﴾ وجهان:

أحدهما: مصون، وهو معنى قول مجاهد.

الثاني: محفوظ عن الباطل، قاله يعقوب بن مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن معانيه مكنونة فيه.

﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ تأويله يختلف بإختلاف الكتاب، فإن قيل: إنه كتاب في السماء ففي تأويله قولان:

أحدهما: لا يمسه في السماء إلا الملائكة المطهرون، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

الثاني: لا ينزله إلا الرسل من الملائكة إلى الرسل من الأنبياء، قاله زيد بن أسلم.

وإن قيل إنه المصحف الذي في أيدينا ففي تأويله ستة أقاويل:

أحدها: لا يمسه بيده إلا المطهرون من الشرك، قاله الكلبي.

الثاني: إلا المطهرون من الذنوب والخطايا قاله الربيع بن أنس.

الثالث: إلا المطهرون من الأحداث والأنجاس[٥١٧]، قاله قتادة.

الرابع: لا يجد طعم نفعه إلا المطهرون أي المؤمنون بالقرآن، حكاه الفراء.

الخامس: لا يمس ثوابه إلا المؤمنون، رواه معاذ[٥١٨] عن النبي ﷺ.

السادس: لا يلتمسه إلا المؤمنون، قاله ابن بحر.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ يعني بهذا الحديث القرآن الذي لا يمسه إلا المطهرون.

وفي قوله مدهنون أربعه تأويلات:

أحدها: مكذبون، قاله ابن عباس.

الثاني: معرضون، قاله الضحاك.

---

(٥١٧) ويشهد لهذا القول قوله ﷺ «لا يمس القرآن إلا طاهر» صححه غير واحد من العلماء وله طرق راجعها في الدر (٨/٢٨).

(٥١٨) لم أقف على الحديث بهذا اللفظ ولكن وجدته عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال إن النبي ﷺ لما بعثه الى اليمن كتب له في عهده أن أن لا يمس القرآن إلا طاهر، وقد رواه ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٢٨).

الثالث: ممالئون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد.

الرابع: منافقون في التصديق به حكاه ابن عيسى، ومنه قول الشاعر(*):

لبعض الغشم أبلغ في أمور ... تنوبك من مداهنة العدو

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم إِنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الإستسقاء بالأنواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا، قاله ابن عباس(٥٢٠) ورواه علي بن أبي طالب عن(٥١٩) النبي ﷺ.

الثاني: الاكتساب بالسحر، قاله عكرمة.

الثالث: هو أن يجعلوا شكر الله على ما رزقهم تكذيب رسله والكفر به، فيكون الرزق الشكر، وقد روي عن علي أن(٥٢١) النبي ﷺ قرأ: ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾.

ويحتمل رابعاً: أنه ما يأخذه الأتباع من الرؤساء على تكذيب النبي ﷺ والصد عنه.

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

﴿فَلَوْلَا إِن كُنْتُم غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: غير محاسبين، قاله ابن عباس.

الثاني: غير مبعوثين، قاله الحسن.

الثالث: غير مصدقين، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: غير مقهورين، قاله ميمون بن مهران.

(*) القرطبي (١٨/ ٢٣١).

(٥١٩) رواه مسلم (١/ ٨٣، ٨٤) وزاد نسبته في الدر (٨/ ٢٨) لابن المنذر وابن مردويه.

(٥٢٠) رواه الطبري (٢٧/ ٢٠٨) وأحمد (٢/ ٧٧) والترمذي (٣٢٩٥) وحسنه وفي سنده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٢٩) نسبته لعبد بن حميد وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٥٢١) تقدم تخريجه وقد أخرجه موقوفاً ابن مردويه عن عليّ كما في الدر (٨/ ٣٠).

الخامس: غير موقنين، قاله مجاهد.

السادس: غير مجزيين بأعمالكم، حكاه الطبري[٥٢٢].

السابع: غير مملوكين، قاله الفراء.

﴿ تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي ترجع النفس بعد الموت إلى الجسد إن كنتم صادقين أنكم غير مذنبين.

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله يعقوب بن مجاهد.

الثاني: أنهم السابقون، قاله أبو العالية.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ في الرَّوْح ثمانية تأويلات:

أحدها: الراحة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الفرح، قاله ابن جبير.

الثالث: أنه الرحمة، قاله قتادة.

الرابع: أنه الرخاء، قاله مجاهد.

الخامس: أنه الرَوح من الغم والراحة من العمل، لأنه ليس في الجنة غم ولا عمل، قاله محمد بن كعب.

السادس: أنه المغفرة، قاله الضحاك.

السابع: التسليم، حكاه ابن كامل.

الثامن: ما روى عبدالله بن شقيق عن عائشة أن[٥٢٣] النبي ﷺ كان يقرأ ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الراء، وفي تأويله وجهان:

---

(٥٢٢) جامع البيان (٢٧/ ٢١٠).

(٥٢٣) رواه الترمذي (٢٩٣٨) وأبو داود (٣٩٩١) والحاكم (٢/ ٢٣٦) وصححه وأحمد (٦/ ٦٤) وقال=

أحدهما: بقاء روحه بعد موت جسده.

الثاني: ما قاله الفراء أن تأويله حياة لا موت بعدها في الجنة.

وأما الريحان ففيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه الإستراحة عند الموت، قاله ابن عباس.

الثاني: الرحمة، قاله الضحاك.

الثالث: أنه الرزق، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه الخير، قاله قتادة.

الخامس: أنه الريحان المشموم يُتَلَقَّى به العبد عند الموت، رواه عبد الوهاب.

السادس: هو أن تخرج روحه ريحانة، قاله الحسن.

واختلف في محل الرَوْح على خمسة أقوال.

أحدها: عند الموت.

الثاني: قبره ما بين موته وبعثه.

الثالث: الجنة[٥٢٤] زيادة على الثواب والجزاء، لأنه قرنه بذكر الجنة فاقتضى أن يكون فيها.

الرابع: أن الروح في القبر، والريحان في الجنة.

الخامس: أن الروح لقلوبهم، والريحان لنفوسهم، والجنة لأبدانهم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه سلامته من الخوف وتبشيره بالسلامة.

الثاني: أنه يحيا بالسلام إكراماً، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك.

الثاني: عند مساءلته في القبر، يسلم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

= الترمذي لا نعرفه إلا من حديث هارون الأعور وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٣٦) نسبته لأبي عبيد في فضائله والنسائي وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبي نعيم وابن مردويه.

(٥٢٤) وهو الصواب أنظر المطولات في ذلك كالروح لابن القيم.

سورة الحديد

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

مدنية في قول الجمهور، قال الكلبي هي مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)

قوله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في هذا التسبيح ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أن خلق ما في السموات والأرض يوجب تنزيهه عن الأمثال والأشباه.

الثاني: تنزيه الله قولاً مما أضاف إليه الملحدون، وهو قول الجمهور.

الثالث: أنه الصلاة، سميت تسبيحاً لما تتضمنه من التسبيح، قاله سفيان، والضحاك.

فقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني الملائكة وما فيهن من غيرهم وما في الأرض يعني من الحيوان والجماد، وقد ذكرنا في تسبيح الجماد وسجوده ما أغنى عن الإعادة.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتصاره، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ يريد بالأول أنه قبل كل شيء لقدمه، وبالآخر لأنه بعد كل شيء لبقائه.

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: الظاهر فوق كل شيء لعلوه، والباطن إحاطته بكل شيء لقربه، قاله ابن حيان(٥٢٥).

الثاني: أنه القاهر لما ظهر وبطن كما قال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِم فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

الثالث: العالم بما ظهر وما بطن.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾ يعني بالأول والآخر والظاهر والباطن.

ولأصحاب الخواطر في ذلك ثلاثة أوجه.

أحدها: الأول في ابتدائه بالنعم، والآخر في ختامه بالإحسان، والظاهر في إظهار حججه للعقول، والباطن في علمه ببواطن الامور.

الثاني: الأول بكشف أحوال الآخرة حين ترغبون فيها، والآخر بكشف أحوال الدنيا حين تزهدون فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حين يعرفونه، والباطن على قلوب أعدائه حين ينكرونه.

الثالث: الأول قبل كل معلوم، والآخر بعد كل مختوم، والظاهر فوق كل مرسوم، والباطن محيط بكل مكتوم.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا
يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

(٥٢٥) وخير من فسر هذه الأسماء هو رسول الله ﷺ كما رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٤) في الحديث اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء.. الحديث.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: من مطر، وقال غيره: من مطر وغير مطر.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ قال مقاتل: من نبات وغير نبات.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ قال مقاتل: من الملائكة، وقال غيره: من ملائكة وغير ملائكة.

ويحتمل وجهاً آخر: ما يلج في الأرض من بذر، وما يخرج منها من زرع، وما ينزل من السماء من قضاء، وما يعرج فيها من عمل، ليعلموا إحاطة علمه بهم فيما أظهروه أو ستروه، ونفوذ قضائه فيهم بما أرادوه أو كرهوه.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علمه معكم(٥٢٦) أينما كنتم حيث لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، قاله مقاتل.

والثاني: قدرته معكم أينما كنتم حيث لا يعجزه شيء من أموركم.

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ
وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا
تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن
قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ

(٥٢٦) وهو الصواب وعليه الجمهور وهي المعية الشاملة العامة وهو سبحانه يحيط بخلقه علماً وقدرته وتحيط بهم لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه جل شأنه.

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ تحتمل هذه النفقة وجهين:

أحدهما: أن تكون الزكاة المفروضة.

والثاني: أن يكون غيرها من وجوه الطاعات.

وفي ﴿ما جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ قولان:

أحدهما: يعني مما جعلكم معمرين فيه بالرزق، قاله مجاهد.

الثاني: مما جعلكم مستخلفين فيه بوراثتكم له عمن قبلكم، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: مما جعلكم مستخلفين على القيام بأداء حقوقه.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: معناه ولله ملك السموات والأرض.

الثاني: أنهما راجعان إليه بانقباض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يستوي من أسلم من قبل فتح مكة وقاتل ومن أسلم بعد فتحها وقاتل، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: يعني من أنفق ماله في الجهاد وقاتل، قاله قتادة.

وفي هذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: فتح الحديبية، قاله الشعبي، قال قتادة: كان قتالان أحدهما أفضل من الأخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحسنى الحسنة، قاله مقاتل.

الثاني: الجنة، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن الحسنى القبول والجزاء.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن القرض الحسن هو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أكبر، رواه سفيان عن ابن حيان.

الثاني: أنه النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: أنه التطوع بالعبادات، قاله الحسن.

الرابع: أنه عمل الخير، والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق أو قرض سوء، إذا فعل به خيراً أو شراً، ومنه قول الشاعر:

وتجزي سلاماً من مقدم قرضها ... بما قدمت أيديهم وأزلت

الخامس: أنه النفقة في سبيل الله، قاله مقاتل بن حيان.

وفي قوله: ﴿حَسَناً﴾ وجهان:

أحدهما: طيبة بها نفسه، قاله مقاتل.

الثاني: محتسباً لها عند الله، قاله الكلبي، وسمي قرضاً لاستحقاق ثوابه، قاله لبيد:

وإذا جوزيت قرضاً فاجزه ... إنما يجزى الفتى ليس الجمل

وفي تسميته ﴿حَسَناً﴾ وجهان:

أحدهما: لصرفه في وجوه حسنة.

الثاني: لأنه لا مَنَّ فيه ولا أذى.

﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيضاعف القرض لأن جزاء الحسنة عشر أمثالها.

الثاني: فيضاعف الثواب تفضلاً بما لا نهايه له.

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: لم يتذلل في طلبه.

الثاني: لأنه كريم الخطر.

الثالث: أن صاحبه كريم.

فلما سمعها أبو الدحداح تصدق(٥٢٧) بحديقة فكان أول من تصدق بعد هذه الآية.

(٥٢٧) قال الحافظ في الإصابة (٧/ ١١٩) وروى أحمد والبغوي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن

وروى سعيد بن جبير أن اليهود أتت النبي ﷺ عند نزول هذه الآية، فقالوا يا محمد، أفقير ربك يسأل عباده القرض؟، فأنزل الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ وفي نورهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ضياء يعطيهم الله إياه ثواباً وتكرمة، وهذا معنى قول قتادة.

الثاني: أنه هداهم الذي قضاه لهم، قاله الضحاك.

الثالث: أنه نور أعمالهم وطاعتهم.

قال ابن مسعود(٥٢٨): ونورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم مَن نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً مَن نوره على إبهام رجله يوقد تارة ويطفأ أخرىٰ.

وقال الضحاك: ليس أحد يعطى يوم القيامة نوراً، فإذا انتهوا إلى الصراط أطفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن ينطفىء نورهم كما طفىء نور المنافقين، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

وفي قوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وجهان:

أحدهما: ليستضيئوا به على الصراط، قاله الحسن.

والثاني: ليكون لهم دليلاً إلى الجنة، قاله مقاتل.

وفي قوله: ﴿بِأَيْمَانِهِم﴾(٥٢٩) في الصدقات والزكوات وسبل الخير.

الرابع: بإيمانهم في الدنيا وتصديقهم بالجزاء، قاله مقاتل.

قوله تعالى ﴿بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ فيه وجهان:

ثابت عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله ﷺ إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها فقال النبي ﷺ أعطه إياها بنخلة في الجنة فأبى، قال فأتاه أبو الدحداح فقال له: بعني نخلتك بحائطي قال أفعل فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها فقال كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة... الحديث.

(٥٢٨) رواه ابن جرير (٢٧/٢٢٣) والحاكم (٤/٥٩٠) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله.. ما أنكره حديثاً على جودة إسناده وأبو خالد شيعي منحرف وزاد السيوطي في الدر (٨/٥٢) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي هاشم وابن مردويه.

(٥٢٩) وهي قراءة سهل بن سعد وأبي حيوة.

أحدهما: أن نورهم هو بشراهم بالجنات.

الثاني: هي بشرى من الملائكة يتلقونهم بها في القيامة، قاله الضحاك.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ﴾ الآية. قال ابن عباس وأبو أمامة: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة أظنها بعد فصل القضاء، ثم يعطون نوراً يمشون فيه.

وفي النور قولان:

أحدهما: يعطاه المؤمن بعد إيمانه دون الكافر.

الثاني: يعطاه المؤمن والمنافق، ثم يسلب نور المنافق لنفاقه، قاله ابن عباس.

فيقول المنافقون والمنافقات حين غشيتهم الظلمة.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حين أعطوا النور الذي يمشون فيه:

﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ﴾ أي انتظروا، ومنه قول عمرو بن[٥٣٠] كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا

﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُوراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فالتمسوا منه نوراً.

الثاني: ارجعوا فاعملوا عملاً يجعل الله بين أيديكم نوراً.

ويحتمل في قائل هذا القول وجهان:

(٥٣٠) بيت من معلقة عمرو أنظر شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري واللسان نظر والطبري (٢٧/ ٢٢٤) وفتح القدير (٥/ ١٧٠) والقرطبي (١٧/ ٢٤٥).

أحدهما: أن يقوله المؤمنون لهم.

الثاني: أن تقوله الملائكة لهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه حائط بين الجنة والنار، قاله قتادة.

الثاني: أنه حجاب في الأعراف، قاله مجاهد.

الثالث: أنه سور المسجد الشرقي، [بيت المقدس] قاله عبدالله بن عمرو بن العاص.

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الرحمة التي في باطنه الجنة، والعذاب الذي في ظاهره جهنم، قاله الحسن.

الثاني: أن الرحمة التي في باطنه: المسجد وما يليه، والعذاب الذي في ظاهره: وادي جهنم يعني بيت المقدس(٥٣١)، قاله عبدالله بن عمرو بن العاص.

ويحتمل ثالثاً: أن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين، والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين.

وفيمن ضرب بينهم وبينه بهذا السور قولان:

أحدهما: أنه ضرب بينهم وبين المؤمنين الذي التمسوا منهم نوراً، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: أنه ضرب بينهم وبين النور بهذا السور حتى لا يقدروا على التماس النور.

---

(٥٣١) وقد تعب الشوكاني في فتح القدير (٥/ ١٧١) هذا القول بقوله «ولا يخفاك أن تفسير السورة المذكورة في القرآن في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الأشكال لا يدفعه مقال ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فإن هذا غير ما سيقت له الآية وغيرما دلت عليه وأين يقع بيت المقدس أو سوره بالنسبة إلى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين، وأي معنى لذكر بيت المقدس ها هنا، فإن كان المراد أن الله سبحانه ينزع بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سوراً مضروباً بين المؤمنين والمنافقين، فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد، وإن كان المراد أن الله يسوق فريق المؤمنين والمنافقين إلى خارجه، فهم إذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليسوا ببيت المقدس، فإن كان مثل هذا التفسير ثابت عن رسول الله ﷺ، قبلناه وآمنا به وإلا فلا كرامة ولا قبول.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يعني نصلي مثلما تصلون، ونغزو مثلما تغزون، ونفعل مثلما تفعلون.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَكِنَكُم فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالنفاق، قاله مجاهد.

الثاني: بالمعاصي، قاله أبو سنان.

الثالث: بالشهوات، رواه أبو نمير الهمداني.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: بالحق وأهله، قاله قتادة.

الثاني: وتربصتم بالتوبة، قاله أبو سنان.

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ يعني شككتم في أمر الله.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: خدع الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: الدنيا، قاله ابن عباس.

الثالث: سيغفر لنا، قاله أبو سنان.

الرابع: قولهم اليوم وغداً.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: الموت، قاله أبو سنان.

الثاني: إلقاؤهم في النار، قاله قتادة.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ الْغَرُوْرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الشيطان، قاله عكرمة.

الثاني: الدنيا، قاله الضحاك.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها نزلت في قوم موسى عليه السلام قبل أن يبعث النبي ﷺ، قاله ابن حيان.

الثاني: في المنافقين آمنوا بألسنتهم(٥٣٢) وكفروا بقلوبهم، قاله الكلبي.

الثالث: أنها في المؤمنين من أمتنا، قاله ابن عباس وابن مسعود، والقاسم بن محمد.

ثم اختلف فيها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما رواه أبو حازم عن عون بن عبدالله عن(٥٣٣) ابن مسعود قال: ما كان بين أن أسلمنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقول ما أحدثنا. قال الحسن: يستبطئهم وهم أحب خلقه إليه.

الثاني: ما رواه قتادة عن ابن عباس أن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشرة سنة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية.

الثالث: ما رواه المسعودي عن القاسم قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ مرة فقالوا يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ ثم ملوا مرة فقالوا:

حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قال شداد بن أوس: كان يروى لنا(١٦١) عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ».

---

(٥٣٢) وهذا القول غير صحيح لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

(١٦٠) رواه مسلم (٤/ ٢٣١٩) والحاكم (٢/ ٤٧٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٥٨) نسبته لابن المنذر و ابن ماجه وابن مردويه، والنسائي.

(٥٣٣) اختلف في هذا الحديث فقد رواه الطبراني مرفوعاً من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وكذلك

ومعنى قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يحـن، قال الشاعر[٥٣٤]:

ألم يـأن لي يا قلب أن اتـرك الجهـلا وأن يحـدث الشيب المبين لنـا عقـلا

وفي ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن تلين قلوبهم لذكر الله.

الثاني: أن تذل قلوبهم من خشية الله.

الثالث: أن تجزع قلوبهم من خوف الله.

وفي ذكر الله هاهنا وجهان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: أنه حقوق الله، وهو محتمل.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: الحلال والحرام، قاله الكلبي.

الثالث: يحتمل أن يكون ما أنزل من البينات والهدى.

﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يلين القلوب بعد قسوتها، قاله صالح المري.

الثاني: يحتمل أنه يصلح الفساد.

الثالث: أنه مثل ضربه لإحياء الموتى. روى وكيع عن أبي[٥٣٥] رزين قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟ فقال: «**يَا أَبَا رُزَيْنَ أَمَامَرَرْتَ بِوَادٍ مُمْحَلٍ ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خُضْرَةً**؟ قال: بلى، **قَالَ كَذَلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ الْمَوتَىٰ**».

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ

رواه ابن حبان موقوفاً على شداد بن أوس ورجح المنذري وقفه وزاد الألباني نسبة المرفوع لابن عدي وأبي نعيم في الحلية وللحديث شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعاً رواه الطبراني.

(٥٣٤) هو كثير عزة والبيت في فتح القدير (٥/ ١٧٢) والقرطبي (١٧/ ٢٤٨) والكتاب لسيبويه (١/ ٣٨).

(٥٣٥) رواه أحمد (٤/ ١١) واحمد (٤/ ١١ ـ ١٢) وابن ابي عاصم (١/ ٢٠٠) وابو داود (٤٧٣١) وفي سنده وكيع بن عداس وهو مجهول الحال.

أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المصدقين لله ورسوله.

الثاني: المتصدقين بأموالهم في طاعة الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أي المؤمنون بتصديق الله ورسله

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم الشهداء عند ربهم، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: أن قوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ كلام تام.

وقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ كلام مبتدأ وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم الرسل يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب، قاله الكلبي.

الثاني: أنهم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة.

وفيما يشهدون به قولان:

أحدهما: يشهدون على أنفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية، وهذا معنى قول مجاهد.

الثاني: يشهدون لأنبيائهم بتبليغ الرسالة إلى أممهم، قاله الكلبي.

وقال مقاتل قولاً ثالثاً: أنهم القتلى في سبيل الله لهم أجرهم عند ربهم يعني ثواب أعمالهم.

﴿وَنُورُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نورهم على الصراط.

الثاني: إيمانهم في الدنيا، حكاه الكلبي.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أكل وشرب، قاله قتادة.

الثاني: أنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن اللعب ما رغَّب في الدنيا، واللهو ما ألهى عن الآخرة.

ويحتمل رابعاً: أن اللعب الاقتناء، واللهو النساء.

﴿وَزِينَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الدنيا زينة فانية.

الثاني: أنه كل ما بوشر فيها لغير طاعة.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالخلقة والقوة.

الثاني: بالأنساب على عادة العرب في التنافس بالآباء.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلَادِ﴾ لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأموال والأولاد، وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعات.

ثم ضرب لهم مثلاً بالزرع ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ بعد خضرة.

﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ بالرياح الحطمة، فيذهب بعد حسنه، كذلك دنيا الكافر.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: النبي ﷺ، قاله أبو سعيد.

الثاني: الصف الأول، قاله رباح بن عبيد.

الثالث: إلى التكبيرة الأولى مع الإمام، قاله مكحول.

الرابع: إلى التوبة، قاله الكلبي.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ ترغيباً في سعتها، واقتصر على ذكر العرض دون الطول لما في العرض من الدلالة على الطول، ولأن من عادة العرب أن تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله، قال الشاعر(٥٣٦):

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب حلقة خاتم.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الجنة، قاله الضحاك.

الثاني: الدين، قاله ابن عباس.

وفي ﴿مَن يَشَآءُ﴾ قولان:

أحدهما: من المؤمنين، إن قيل إن الفضل الجنة.

الثاني: من جميع الخلق، إن قيل إنه الدين.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ
أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ
يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الجوائح في الزرع والثمار.

الثاني: القحط والغلاء.

﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: في الدين، قاله ابن عباس.

(٥٣٦) فتح القدير (٥/ ١٧٥) والقرطبي (١٧/ ٢٥٦) (٤/ ٢٠٥) وفيها «كفه حابل» بدلاً من حلقه خاتم.

الثاني: الأمراض والأوصاب، قاله قتادة.

الثالث: إقامة الحدود، قاله ابن حبان.

الرابع: ضيق المعاش، وهذا معنى رواية ابن جريج.

﴿إلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ(٥٣٧).

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ قال سعيد بن جبير: من قبل أن نخلق المصائب ونقضيها.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الرزق الذي لم يقدر لكم، قاله ابن عباس، والضحاك.

الثاني: من العافية والخصب الذي لم يقض لكم، قاله ابن جبير.

﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَاكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الدنيا، قاله ابن عباس.

الثاني: من العافية والخصب، وهذا مقتضى قول ابن جبير.

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَاكُمْ﴾ قال: ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبراً، والخير شكراً.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: الذين يبخلون يعني بالعلم، ويأمرون الناس بالبخل بألا يعلموا الناس شيئاً، قاله ابن جبير.

الثاني: أنهم اليهود بخلوا بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ، قاله الكلبي، والسدي.

الثالث: أنه البخل بأداء حق الله من أموالهم، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه البخل بالصدقة والحقوق، قاله عامر بن عبدالله الأشعري.

الخامس: أنه البخل بما في يديه، قال طاووس.

وفرق أصحاب الخواطر بين البخيل والسخي بفرقين:

أحدهما: أن البخيل الذي يلتذ بالإمساك، والسخي الذي يلتذ بالعطاء.

---

(٥٣٧) وفي الآية الدليل القاطع على أن القدر كتب في الأزل وفي الآية أيضاً رد على القدرية نفاة القدر.

الثاني: أن البخيل الذي يعطي عند السؤال، والسخي الذي يعطي بغير سؤال.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الله أنزله مع آدم. روى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاث أشياء نزلت مع آدم: الحجر الأسود، كان أشد بياضاً من الثلج، وعصا موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع مثل طول موسى، والحديد، أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة.

الثاني: أنه من الأرض غير منزل من السماء، فيكون معنى قوله:

﴿وَأَنزَلْنَا﴾ محمولاً على أحد وجهين:

أحدهما: أي أظهرناه.

الثاني: لأن أصله من الماء المنزل من السماء فينعقد في الأرض جوهره حتى يصير بالسبك حديداً.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأن بسلاحه وآلته تكون الحرب التي هي بأس شديد.

الثاني: لأن فيه من خشية القتل خوفاً شديداً.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما تدفعه عنهم دروع الحديد من الأذى وتوصلهم إلى الحرب والنصر.

الثاني: ما يكف عنهم من المكروه بالخوف منه.

وقال قطرب: البأس السلاح، والمنفعة الآلة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿. . وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الرأفة اللين، والرحمة الشفقة.

الثاني: أن الرأفة تخفيف الكل، والرحمة تحمل الثقل.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: بفتح الراء وهي الخوف من الرهب.

الثانية: بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان ومعناه أنهم ابتدعوا رهبانية ابتدؤوها.

وسبب ذلك ما حكاه الضحاك: [أنهم] بعد عيسى ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة فأنكرها عليهم من كان على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا، فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا النساء واتخذوا الصوامع، فكان هذا ما ابتدعوه من الرهبانية التي لم يفعلها من تقدمهم وإن كانوا فيها محسنين.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي لم تكتب عليهم وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها رفض النساء واتخاذ الصوامع، قاله قتادة.

الثاني: أنها لحوقهم بالجبال ولزومهم البراري، وروي فيه خبر مرفوع(٥٣٨).

الثالث: أنها الانقطاع عن الناس والانفراد بالعبادة.

---

(٥٣٨) وهو خبر طويل انظره في الطبري (٢٧/ ٢٣٩) من حديث ابن مسعود وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٦٤) نسبته لعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم (٢/ ٤٨٠) وصححه وابن مردويه والطبراني والبيهقي في الشعب وابن عساكر من طرق عنه قلت وفي سند ابن جرير داود بن المحبر وقد ضعفه غير واحد وهو صاحب كتاب العقل الذي وضع فيه أحاديث في فضائل العقل ولكنه لم ينفرد بل تابعه شيبان بن فروخ عن أبي يعلى فقوي الحديث من هذا الوجه كما أفاده ابن كثير (٤/ ٣١٦).

وفي الرأفة والرحمة التي جعلها في قلوبهم وجهان :

[الأول]: أنه جعلها في قلوبهم بالأمر بها والترغيب فيها .

الثاني : جعلها بأن خلقها فيهم وقد مدحوا بالتعريض بها .

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ﴾ أي لم تكتب عليهم قبل ابتداعها ولا كتبت بعد ذلك عليهم .

الثاني : أنهم تطوعوا بها بابتداعها، ثم كتبت بعد ذلك عليهم، قاله الحسن .

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنهم ما رعوها(٥٣٩) لتكذيبهم بمحمد .

الثاني : بتبديل دينهم وتغييرهم فيه قبل مبعث الرسول ﷺ، قاله عطية العوفي .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد .

﴿يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن أحد الأجرين لإيمانهم بمن تقدم من الأنبياء، والآخر لإيمانهم بمحمد ﷺ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن أحدهما أجر الدنيا، والآخر أجر الآخرة، قاله ابن زيد .

ويحتمل ثالثاً : أن أحدهما أجر اجتناب المعاصي، والثاني أجر فعل الطاعات .

---

(٥٣٩) قال الامام القاسمي في محاسن التأويل (١٦/ ٥٦٩٨) قوله «فما رعوها حق رعايتها» أي ما قاموا بما التزموه منها حق القيام من التزهد والتخلي للعبادة وعلم الكتاب بل اتخذوها آلة للترؤس والسؤدد وأخضاع الشعب للأهواء» .

ويحتمل رابعاً: أن أحدهما أجر القيام بحقوق الله والثاني أجر القيام بحقوق العباد.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الهدى، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أنه الدين المتبوع في مصالح الدنيا وثواب الآخرة. وقد روى أبو بريدة بن أبي موسى الأشعري(٥٤٠) عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «**ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَينِ: رَجُلٌ آمَنَ بِالكِتَابِ الأَوَّلِ وَالْكِتَابِ الآخِرِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَه أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا وَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لَسَيِّدِهِ**».

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ قال الأخفش: معناه ليعلم أهل الكتاب وأن «لا» صلة زائدة وقال الفراء: لأنْ لا يعلم أهل الكتاب و «لا» صلة زائدة في كلام دخل عليه جحد.

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من دين الله وهو الإسلام قاله مقاتل.

الثاني: من رزق الله، قاله الكلبي.

وفيه ثالث: أن الفضل نعم الله التي لا تحصى.

---

(٥٤٠) رواه البخاري (١/ ١٧٠، ١٧١) ومسلم الإيمان (١٥٤) وأحمد (٤/ ٣٩٥، ٤١٤) وابن جرير (٢٧/ ٢٤٣) من حديث أبي موسى الأشعري.

سورة المجادلة

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي. وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ نزلت بمكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**﴾ وهي خولة بنت ثعلبة، وقيل بنت خويلد، وليس هذا بمختلف لأن أحدهما أبوها والآخر جدها، فنسبت إلى كل واحد منهما. وزوجها أوس بن الصامت. قال عروة[٥٤١]: وكان امرأً به لمم فأصابه بعض لممه فظاهر من امرأته، فأتت رسول الله ﷺ تستفتيه في ذلك.

﴿**وتشتكي إلى الله**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تستغيث بالله.

والثاني: تسترحم الله.

وروى الحسن أنها قالت: يا رسول الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي

---

(٥٤١) رواه ابن جرير (٢٨/٥) ورواه أبو داود(٢٢١٩) وقول هشام مثله واللمم هنا هو شدة الإلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان إليهن.

ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أوحي إليّ في هذا شيء**»، فقالت: يا رسول الله أوحي إليك في كل شيء وطوي عنك هذا؟ فقال: «**هو ما قلت لك**» فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك**﴾ الآية. وقرأ ابن مسعود: ﴿**قَد سَّمِعَ**﴾.

قالت عائشة (٥٤٢): تبارك الله الذي أوعى سمعه كل شيء، سمع كلام خولة بنت ثعلبة وأنا في ناحية البيت ما أسمع بعض ما تقول، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي وانقطع ولدي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية.

﴿**والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير**﴾ والمحاورة مراجعة الكلام، قال عنترة(٥٤٣):

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي.

﴿**الذين يظاهرون منكم من نسائهم**﴾ الظهار قول الرجل لامرأته:

أنت عليّ كظهر أمي، سمي ظهاراً لأنه قصد تحريم ظهرها عليه، وقيل: لأنه قد جعلها عليه كظهر أمه، وقد كان في الجاهلية طلاقاً ثلاثاً لا رجعة فيه ولا إباحة بعده فنسخه الله إلى ما استقر عليه الشرع من وجوب الكفارة فيه بالعود.

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ

---

(٥٤٢) رواه البخاري (١٣/٣١٦) والنسائي (٨/١٦٨) وأحمد (٦/٤٦) وابن ماجه [٢٠٦٣] والحاكم (٢/٤٨١) وصححه ووافقه الذهبي. والطبري (٢٨/٥، ٦) والبيهقي (٧/٣٨٢).

(٥٤٣) شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري ومختار الشعر الجاهلي (١/٣٧٩) زاد المسير (٨/١٨٢).

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾

ثم قال: ﴿. . ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ تكذيباً من الله تعالى لقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ يعني بمنكر القول الظاهر، وبالزور كذبهم في جعل الزوجات أمهات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧﴾

﴿إن الذين يحادُّون الله ورسوله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعادون الله ورسوله، قاله مجاهد.

الثاني: يخالفون الله ورسوله، قاله الكلبي.

وفي أصل المحادة وجهان:

أحدهما: أن تكون في حد يخالف حد صاحبك، قاله الزجاج.

الثاني: أنه مأخوذ من الحديد المعد للمحادة.

﴿كبتوا كما كبت الذين من قبلهم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: [أخزوا] كما أخزي الذين من قبلهم، قاله قتادة.

الثاني: معناه أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم، قاله الأخفش وأبو عبيدة.

الثالث: لعنوا كما لعن الذين من قبلهم، قاله السدي، وقيل هي بلغة مذحج (*)

(*) هو أبو قبيلة تسكن اليمن.

الرابع: ردوا مقهورين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي
أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ
وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ
لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى**﴾ النجوى السرار، ومن ذلك قول جرير:

من النفر البيض الذين إذا انتجوا ... أقرت بنجواهم لؤي بن غالب

والنجوى مأخوذة من النجوة وهي ما له ارتفاع وبعد، لبعد الحاضرين عنه، وفيها وجهان:

أحدهما: أن كل سرار نجوى، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن السرار ما كان بين اثنين، والنجوى ما كان بين ثلاثة، حكاه سراقة.

وفي المنهي عنه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود، كانوا يتناجون بما بين المسلمين، فنهوا عن ذلك، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم المنافقون، قاله الكلبي.

الثالث: أنهم المسلمون.

روى أبو سعيد الخدري(٥٤٤) قال: كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله

(٥٤٤) رواه أحمد (١/٢) وابن مردويه وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير (٣٤٣/٤) وقال هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء.

ﷺ فقال: « **ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى** ».

فقلنا تبنا إلى الله يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح يعني الدَّجال فرَقاً منه، فقال: « **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل** ».

﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ كانت اليهود إذا دخلت على رسول الله ﷺ قالوا: السام عليك، وكان النبي ﷺ يردعليهم فيقول: ﴿**وعليكم**﴾ ويروى أن عائشة[٥٤٥] حين سمعت ذلك منهم قالت: وعليكم السام والذام، فقال عليه السلام: « **إن الله لا يحب الفحش والتفحش** ».

وفي السام الذي أرادوه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الموت، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه السيف.

الثالث: أنهم أرادوا بذلك أنكم ستسأمون دينكم، قاله الحسن، وكذا من قال هو الموت لأنه يسأم الحياة.

وحكى الكلبي أن اليهود كانوا إذا رد النبيﷺ جواب سلامهم قالوا: لو كان هذا نبياً لاستجيب له فينا قوله وعليكم، يعني السام وهو الموت وليس بنا سامة وليس في أجسادنا فترة، فنزلت[٥٤٦] فيهم ﴿**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين ءامنوا**﴾ وجهان:

أحدهما: ما كان يتناجى به اليهود والمنافقون من الأراجيف بالمسلمين.

الثاني: أنها الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فتحزنه.

---

(٥٤٥) رواه البخاري ١٠/٤٤٩ نحوه ومسلم (٤/١٧٠٧) وابن جرير (٢٨/١٤) وابن ابي حاتم وابن مردويه وسعيد بن منصور وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد.

(٥٤٦) رواه أحمد (٦٥٨٩) وزاد السيوطي في الدر (٨/٨٠)نسبته لسعيد بن حميد والبزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب بسند جيد عن ابن عمرو رضي الله عنه قال إن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ سام عليك يريدون بذاك شتمه ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت هذه الآية ﴿**وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله**﴾ قال الحافظ ابن كثير (٤/) إسناد حسن وقال الهيثمي (٧/١٢١) رواه أحمد والبزار والطبراني وإسناده جيد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿يَأيها الذين ءامنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس . .﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مجلس النبي ﷺ خاصة إذا جلس فيه قوم تشاحوا بأمكنتهم على من يدخل عليهم أن يؤثروه بها أو يفسحوا له فيها، فأمروا بذلك قاله مجاهد:

الثاني: أنه في مجالس صلاة الجمعة، قاله مقاتل.

الثالث: أنها في مجالس الذكر كلها، قاله قتادة.

الرابع: أن ذلك في الحرب والقتال، قاله الحسن.

﴿. . . وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى القتال فانهضوا، قاله الحسن.

الثاني: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا، قاله قتادة.

الثالث: إذا نودي للصلاة فاسعوا إليها، قاله مقاتل بن حيان.

الرابع: أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم هو الآخر عهداً به، فأمرهم الله أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا، قاله ابن زيد.

ومعنى **﴿تفسحوا﴾** توسعوا. وفي **﴿انشزوا﴾** وجهان:

أحدهما: معناه قوموا، قاله ابن قتيبة.

الثاني: ارتفعوا، مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها.

وفيما أمروا أن ينشزوا إليه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى الصلاة، قاله الضحاك.

الثاني: إلى الغزو، قاله مجاهد.

الثالث: إلى كل خير، قاله قتادة.

﴿يرفع الله الذين ءامنوا منكم﴾ يعني بإيمانه على من ليس بمنزلته في الإيمان.

﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ على من ليس بعالم.

ويحتمل هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون إخباراً عن حالهم عند الله في الآخرة.

الثاني: أن يكون أمراً يرفعهم في المجالس التي تقدم ذكرها لترتيب الناس فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ اختلف في سببها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المنافقين كانوا يناجون النبي ﷺ بما لا حاجة لهم به، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن النجوى، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه كان قوم من المسلمين يستخلون النبي ﷺ ويناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه، قاله الحسن.

الثالث: قاله ابن عباس وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما قال ذلك كف كثير من الناس عن المسألة.

وقال مجاهد: لم يناجه إلا عليٌّ قدّم ديناراً فتصدق به، فسأله عن عشر خصال، ثم نزلت الرخصة.

﴿ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وأحسبه[قال] وما كانت إلا ساعة، وقال ابن حبان: كان ذلك ليالي عشراً.

وقال ابن سليمان: ناجاه عليّ بدينار باعه بعشرة دراهم في عشر كلمات كل

كلمة بدرهم. وناجاه آخر من الأنصار بآصع وكلمه كلمات، ثم نسخت بما بعدها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾

﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ يعني المنافقين تولوا قوماً غضب الله عليهم هم اليهود.

﴿ما هم منكم﴾ لأجل نفاقهم.

﴿ولا منهم﴾ لخروجهم بيهوديتهم.

﴿ويحلفون على الكذب﴾ أنهم لم ينافقوا.

﴿وهم يعلمون﴾ أنهم منافقون.

﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين﴾ فيه قولان:

أحدهما: قاله السدي.

الثاني: عن سبيل الله في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق.

ويحتمل ثالثاً: صدوا عن الجهاد مما يلة لليهود.

﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ فيه قولان:

أحدهما: قوي عليهم.

الثاني: أحاط بهم، قاله المفضل.

وفيه ثالث: أنه غلب واستولى عليهم في الدنيا.

(*) جمع صاع وهو مكيال يزيد بالمصري ٤٠ و ٢ جرام تقريباً.

﴿فأنساهم ذكر الله﴾ يحتمل ذكر الله ها هنا وجهين :

أحدهما : أوامره في العمل بطاعته .

الثاني : زواجره في النهي عن معصيته .

ويحتمل ما أنساهم من ذكره وجهين :

أحدهما : بالغفلة عنها .

الثاني : بالشرك بها .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ
أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم
بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ
ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : من حارب الله ورسوله ، قاله قتادة والفراء .

الثاني : من خالف الله ورسوله ، قاله الكلبي .

الثالث : من عادى الله ورسوله ، قاله مقاتل .

﴿ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما قاله ابن شوذب : نزلت هذه الآية في أبي عبيدة (٥٤٧) بن الجراح قتل أباه الجراح يوم بدر ، جعل يتصدى له ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله .

(٥٤٧) رواه ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر كما في الدر (٨٦/٨).

وروى سعيد بن عبد العزيز عن عمر بن الخطاب أنه قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخاره، قال سعيد: وفيه نزلت هذه الآية.

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه خارج مخرج النهي للذين آمنوا أن يوادوا من حادّ الله ورسوله.

الثاني: أنه خارج مخرج الصفة لهم والمدح بأنهم لا يوادون من حادّ الله ورسوله، وكان هذا مدحاً.

﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه جعل في قلوبهم الإيمان وأثبته، قال السدي، فصار كالمكتوب.

الثاني: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان.

الثالث: حكم لقلوبهم بالإيمان.

الرابع: أنه جعل في قلوبهم سمة (٥٤٨) للإيمان على أنهم من أهل الإيمان، حكاه ابن عيسى.

﴿**وأيدهم بروح منه**﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أعانهم برحمته، قاله السدي.

الثاني: أيدهم بنصره حتى ظفروا.

الثالث: رغبهم في القرآن حتى ءامنوا.

الرابع: قواهم بنور الهدى حتى صبروا.

الخامس: قواهم بجبريل يوم بدر.

﴿**رضي الله عنهم**﴾ يعني في الدنيا بطاعتهم.

﴿**ورضوا عنه**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رضوا عنه في الآخرة بالثواب.

الثاني: رضوا عنه في الدنيا بما قضاه عليهم فلم يكرهوه.

﴿**أولئك حزب الله**﴾ فيهم وجهان:

---

(٥٤٨) وهذا القول من أقوال المعتزلة وقد رد عليه العلماء في أكثر من مكان وكان من الواجب التنبيه على هذا والصواب القول الأول وعليه أكثر العلماء.

أحدهما: أنهم من عصبة الله فلا تأخذهم لومة لائم.

الثاني: أنهم أنصار حقه ورعاة خلقه وهو محتمل.

القول الثاني: ما روى ابن جريج (٥٤٩) أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وقد سمع أباه أبا قحافة يسب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة فسقط على وجهه، فقال ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**أو فعلته؟! لا تعد إليه يا أبا بكر**».

فقال والله لو كان السيف قريباً مني لضربته به، فنزلت هذه الآية.

القول الثالث: ما حكى الكلبي ومقاتل أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم عام الفتح.

(٥٤٩) رواه ابن المنذر كما في الدر (٨/٨٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف ١٦٦ نقله الثعلبي عن ابن جريج قال حدثت أن أبا قحافة ا هـ.

قلت فعلى هذا يكون الحديث منقطعاً.

سورة الحشر

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ
وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ
يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ
وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿**هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعني يهود بني النضير.

﴿**من ديارهم**﴾ يعني من منازلهم.

﴿**لأول الحشر**﴾ أجلاهم(٥٥٠) رسول الله ﷺ بعد رجوعه من أُحد إلى أذرعات

---

(٥٥٠) وقد أورد ابن حجر قصة جلائهم في الفتح (٧/٥٥) من رواية ابن مردويه وصححها ابن معمر عن =

الشام، وأعطى كل ثلاثة بعيراً يحملون عليه ما استقل إلا السلاح، وكان النبي ﷺ قد عاهدهم حين هاجر إلى المدينة أن لا يقاتلوا معه ولا عليه، فكفوا يوم بدر لظهور المسلمين، وأعانوا المشركين يوم أحد حين رأوا ظهورهم على المسلمين، فقتل رئيسهم كعب بن الأشراف، قتله محمد بن مسلمة غيلة. ثم سار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم ثلاثاً وعشرين ليلة محارباً حتى أجلاهم عن المدينة.

في قوله: ﴿لأول الحشر﴾ ثلاث أوجه:

أحدها: لأنهم أول من أجلاه النبي ﷺ من اليهود، قاله ابن حبان.

الثاني: لأنه أول حشرهم، لأنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر في القيامة، قاله الحسن. وروي عن النبي ﷺ أنه لما أجلى بني النضير قال لهم امضوا فهذا أول الحشر وأنا على الأثر(٥٥١).

الثالث: أنه أول حشرهم لما ذكره قتادة أنه يأتي عليهم بعد ذلك من مشرق الشمس نار تحشرهم إلى مغربها تبيت معهم إذا باتوا[وتقيل معهم حيث قالوا] وتأكل منهم من تخلف.

﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ يعني من ديارهم لقوتهم وامتناعهم.

﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي من أمر الله.

﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يحتسبوا بأمر الله.

الثاني: قاله ابن جبير والسدي: من حيث لم يحتسبوا بقتل ابن الأشرف.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لخوفهم من رسول الله.

الثاني: بقتل كعب بن الأشرف.

﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: بأيديهم بنقض الموادعة، وأيدي المؤمنين بالمقاتلة، قاله الزهري.

= الزهري أخبرني عبدالله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من اصحاب النبي ﷺ..... الحديث راجع أيضاً المواهب اللدينية للزرفاني (٢/ ٩٥ ـ ٩٦) والبداية والنهاية (٤/ ٧٥).

(٥٥١) رواه ابن جرير (٢٨/ ٢٩) من مرسل الحسن وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٨٩) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم.

الثاني: بأيديهم في تركها، وأيدي المؤمنين في إجلائهم عنها، قاله أبو عمرو ابن العلاء.

الثالث: بأيديهم في إخراب دواخلها وما فيها لئلا يأخذها المسلمون، وبأيدي المؤمنين في إخراب ظواهرها ليصلوا بذلك إليهم.

قال عكرمة: كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين أن يسكنوها فخربوها من داخل، وخربها المسلمون من خارج.

الرابع: معناه: أنهم كانوا كلما هدم المسلمون عليهم من حصونهم شيئاً نقضوا من بيوتهم ما يبنون به ما خرب من حصونهم، قاله الضحاك.

الخامس: أن تخريبهم بيوتهم أنهم لما صولحوا على حمل ما أقلته إبلهم جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم حتى الأوتار ليحملوها على إبلهم، قاله عروة بن الزبير، وابن زيد.

وفي قوله: ﴿يخربون﴾ قراءتان: بالتخفيف، وبالتشديد[٥٥٢]، وفيهما وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد وليس بينهما فرق.

الثاني: أن معناهما مختلف.

وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بأفعالهم، ومن قرأ بالتخفيف أراد إخرابها بفعل غيرهم قاله أبو عمرو.

الثاني: أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بهدمهم لها. وبالتخفيف أراد فراغها بخروجهم عنها، قاله الفراء.

ولمن تعمق بغوامض المعاني في تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: يخربون بيوتهم أي يبطلون أعمالهم بأيديهم، يعني باتباع البدع، وأيدي المؤمنين في مخالفتهم.[*]

﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالجلاء الفناء﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالسبي.

---

(٥٥٢) وهي قراءة أبي عمرو وحده السبعة لابن مجاهد ص ٦٣٢ وزاد المسير (٨/٢٠٥).

(*) هكذا في الأصل ويبدو أن الوجهين أدمجا معاً.

والثاني: يعني بالجلاء الإخراج عن منازلهم ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ يعني بالقتل، قاله عروة.

والفرق بين الجلاء والإخراج ـ وإن كان معناهما في الإبعاد واحد ـ من وجهين:

أحدهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

الثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والإخراج يكون لجماعة ولواحد.

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما نزل على حصون بني النضير وهي البويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أحد قطع المسلمون من نخلهم وأحرقوا ست نخلات، (٥٥٣)، وحكى محمد بن إسحاق أنهم قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة، وكان ذلك عن إقرار رسول الله ﷺ أو بأمره، إما لإضعافهم بها أو لسعة المكان بقطعها، فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود أهل كتاب: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الإصلاح؟ أفمن الصلاح حرق الشجر وقطع النخل؟ وقال شاعرهم سماك اليهودي:

ألسنا ورثنا كتاب الحكيم ... على عهد موسى ولم نصدف
وأنتم رعاء لشاء عجاف ... بسهل تهامة والأخيف
ترون الرعاية مجداً لكم ... لدى كل دهر لكم مجحف
فيا أيها الشاهدون انتهوا ... عن الظلم والمنطق المؤنف
لعل الليالي وصرف الدهور ... يدلن عن العادل المنصف
بقتل النضير وإجلائها ... وعقر النخيل ولم تقطف

فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمي عن التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذير
وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير (٥٥٤)

(٥٥٣) رواه ابن جرير (٢٨/ ٣٤) عن مجاهد.

(٥٥٤) راجع القرطبي (١٨/ ٧) والطبري (٢٨/ ٣٤) واقتصر على البيت الأخير من شعر حسان. والشعر في معجم ما استعجم للبكري ٢٨٥.

ثم إن المسلمين جل في صدورهم ما فعلوه، فقال بعضهم: هذا فساد، وقال آخرون منهم عمر بن الخطاب: هذا مما يجزي الله به أعداءه وينصر أولياءه فقالوا يا رسول الله هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فشق ذلك على النبي ﷺ حتى أنزل الله تعالى: ﴿**وما قطعتم من لينة**﴾ الآية. وفيه دليل على أن كل مجتهد مصيب.

وفي اللينة خمسة أقاويل:

أحدها: النخلة من أي الأصناف كانت، قاله ابن حبان.

الثاني: أنها كرام النخل، قاله سفيان.

الثالث: أنها العجوة خاصة، قاله جعفر بن محمد وذكر أن العتيق والعجوة كانا مع نوح في السفينة، والعتيق الفحل، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ولذلك شق على اليهود قطعها.

الرابع: أن اللينة الفسيلة لأنها ألين من النخلة، ومنه قول الشاعر(٥٥٥):

غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام

الخامس: أن اللينة جميع الأشجار للينها بالحياة، ومنه قول ذي الرمة(٥٥٦):

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليلة في ريشه يترقرق

قال الأخفش: سميت لينة اشتقاقاً من اللون لا من اللين.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

(٥٥٥) القرطبي (١٨/ ٩).

(٥٥٦) القرطبي (١٨/ ٩).

﴿وما أفاء الله على رسـوله منهم﴾ يعني ما رده اللَّه على رسوله من أموال بني النضير.

﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ والإيجاف الإيضاع في السير وهو الإسراع، والركاب: الإبل، وفيهما يقول نصيب[٥٥٧]:

ألارب ركب قد قطعت وجيفهم إليك ولولا أنت لم توجف الركب

﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ ذلك أن مال الفيء هو المأخوذ من المشركين بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، فجعل الله لرسوله أن يضعه حيث يشاء لأنه واصل بتسليط الرسول عليهم لا بمحاربتهم وقهرهم. فجعل الله ذلك طعمة لرسوله خالصاً دون الناس، فقسمه في المهاجرين إلا سهل بن حنيف وأبا دجانـة فإنهما ذكرا فقراً فأعطاهما.

﴿كيلا يكون دولـة بين الأغنياء منكم﴾ يقال دولة بالضم وبالفتح [٥٥٨] وقرىء بهما، وفيهما قولان:

أحدهما: أنهما واحد، قاله يونس، والأصمعي.

والثاني: أن بينهما فرقاً، وفيه أربعة أوجه:

أحدهـا: أنه بالفتح الظفر في الحرب، وبالضم الغنى عن فقر، قاله أبو عمرو ابن العلاء.

الثاني: أنه بالفتح في الأيام، وبالضم في الأموال، قاله عبيدة.

الثالث: أنه بالفتح ما كان كالمستقر، وبالضم ما كان كالمستعار، حكاه ابن كامل.

الرابع: أنه بالفتح الطعن في الحرب، وبالضم أيام الملك وأيام السنين التي تتغير، قاله الفراء، قال حسان[٥٥٩]:

ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول

﴿وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٥٥٧) روح المعاني (٢٨/ ٤٥).

(٥٥٨) وهي قراءة أبي جعفر راجع الطبري (٢٨/ ٣٩).

(٥٥٩) ديوانه: ١٨١ وفيه كذاك الحرب.

أحدهـا: يعني ما أعطاكم من مال الفيء فاقبلوه، وما منعكم منه فلا تطلبوه، قاله السدي.

الثاني: ما آتاكم الله من مال الغنيمة فخذوه، ومـا نهاكم عنـه من الغلو فلا تفعلوه، قاله الحسن.

الثالث: وما آتاكم من طاعتي فافعلوه، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه، قاله ابن جريج.

الرابع: أنه محمول على العموم (٥٦٠) في جميع أوامره ونواهيه لأنه لا يأمر إلا بصلاح ولا ينهى إلا عن فساد.

وحكى الكلبي أنها نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول اللّه ﷺ من أموال المشركين، يا رسول اللّه صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وأنشدوه (٥٦١).

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول.

فأنزل الله هذه الآية.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

(*) وفي نسخة للمخطوطة فلا تبطلوه وهو تحريف والصواب ما هنا.

(٥٦٠) وهو الصواب لأن العبرة بالعموم.

(٥٦١) هو عبدالله بن عثمة الضبي.

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ يعني بالمهاجرين من هاجر عن وطنه من المسلمين إلى رسول الله ﷺ في دار هجرته وهي المدينة خوفاً من أذى قومه ورغبة في نصرة نبيّه فهم المقدمون في الإسلام على جميع أهله.

﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ يعني فضلاً من عطاء الله في الدنيا، ورضواناً من ثوابه في الآخرة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن الفضل الكفاية، والرضوان القناعة.

وروى علي بن رباح اللخمي أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية فقال:

من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقة فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله تعالى جعلني خازناً وقاسماً، إني بادىء بأزواج النبي ﷺ فمعطيهن، ثم بالمهاجرين الأولين أنا وأصحابي أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا.

قال قتادة: لأنهم اختاروا الله ورسوله ﷺ على ما كانت من شدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب على بطنه الحجر ليقيم صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة(*) في الشتاء ما له دثار غيرها.

﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ ويكون على التقديم والتأخير ومعناه تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان.

الثاني: أن الكلام على ظاهره ومعناه أنهم تبوءوا الدار والإيمان قبل الهجرة إليهم يعني بقبولهم ومواساتهم بأموالهم ومساكنهم.

﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غيرة وحسداً على ما قدموا به من تفضيل وتقريب، وهو محتمل.

الثاني: يعني حسداً على ما خصوا به من مال الفيء وغيره فلا يحسدونهم عليه، قاله الحسن.

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ يعني يفضلونهم ويقدمونهم

(*) الحفيرة هي والأثر أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٠).

على أنفسهم ولو كان بهم فاقة وحاجة، ومنه قول الشاعر(٥٦٢):

أما الربيع إذا تكون خصاصة عاش السقيم به وأثرى المقتر

وفي إيثارهم وجهان:

أحدهما: أنهم آثروا على أنفسهم بما حصل من فيء وغنيمة حتى قسمت في المهاجرين دونهم، قاله مجاهد، وابن حيان.

روي أن النبي ﷺ قسم على المهاجرين ما أفاء الله من النضير ونفل من قريظة على أن يرد المهاجرون على الأنصار ما كانوا أعطوهم من أموالهم فقالت الأنصار بل نقيم لهم من أموالنا ونؤثرهم بالفيء، فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: أنهم آثروا المهاجرين بأموالهم وواسوهم بها.

روى ابن زيد أن النبي ﷺ قال لهم: «**إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم**» فقالوا: أموالنا بينهم قطائع، فقال: «**أو غير ذلك؟**» فقالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: «**هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر**» يعني مما صار إليهم من نخيل بني النضير، قالوا نعم يا رسول الله

﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: أن هذا الشح هو أن يشح بما في أيدي الناس يحب أن يكون له ولا يقنع، قاله ابن جريج وطاووس.

الثاني: أنه منع الزكاة، قاله ابن جبير.

الثالث: يعني هوى نفسه، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه اكتساب الحرام(٥٦٣)، روى الأسود عن ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال وما ذاك؟ قال سمعت الله عز وجل يقول: ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدي شيئاً فقال ابن مسعود: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن،

(٥٦٢) فتح القدير (٥/٢٠١) القرطبي (١٨/٢٩).

(٥٦٣) رواه ابن جرير (٢٨/٤٣) وزاد السيوطي في الدر (٨/١٠٧) لابن أبي حاتم والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان. وسنده صحيح إلا أن الطريق فيه المسعودي أحد رواته فإنه كان قد اختلط قبل موته.

إنما الشح الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

الخامس: أنه الإمساك عن النفقة، قاله عطاء.

السادس: أنه الظلم، قاله ابن عيينة.

السابع: أنه أراد العمل بمعاصي الله، قاله الحسن.

الثامن: أنه أراد ترك الفرائض وانتهاك المحارم، قاله الليث.

وفي الشح والبخل قولان:

أحدهما: أن معناهما واحد.

الثاني: أنهما يفترقان وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن الشح أخذ المال بغير حق، والبخل أن يمنع من المال المستحق، قاله ابن مسعود.

الثاني: أن الشح بما في يدي غيره، والبخل بما في يديه، قاله طاووس[٥٦٤].

﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الذين هاجروا بعد ذلك، قاله السدي والكلبي.

الثاني: أنهم التابعون الذين جاءوا بعد الصحابة ثم من بعدهم إلى قيام الدنيا هم الذين جاءوا من بعدهم، قاله مقاتل.

وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت الثالثة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

وفي قولهم: ﴿اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ وجهان:

أحدهما: أنهم أمروا أن يستغفروا لمن سبق من هذه الأمة ومن مؤمني أهل الكتاب. قالت عائشة: فأمروا أن يستغفروا لهم فسبّوهم.

الثاني: أنهم أمروا أن يستغفروا للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا﴾ الآية. في الغل وجهان:

أحدهما: الغش، قاله مقاتل.

الثاني: العداوة، قاله الأعمش.

---

(٥٦٤) راجع زاد المسير (٨/٢١٥، ٢١٦) والقرطبي (٨/٢٩، ٣٠)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ
قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢)
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣)
لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ
شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤)
كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ
جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾

﴿بأسهم بينهم شديد﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد، قاله السدي.

الثاني: أنه وعيدهم للمسلمين لنفعلن كذا وكذا، قاله مجاهد.

﴿تحسبهم جميعاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم اليهود.

الثاني: أنهم المنافقون واليهود، قاله مجاهد.

﴿وقلوبهم شتى﴾ يعني مختلفة متفرقة، قال الشاعر(٥٦٥):

إلى الله أشكو نية شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي بالأمس جمع.

وفي قراءة ابن مسعود «**وَقُلُوبُهُمْ أَشَتُّ**» بمعنى أشد تشتيتاً، أي أشد اختلافاً.

وفي اختلاف قلوبهم وجهان:

---

(٥٦٥) القرطبي (١٨/٣٦).

أحدهما: لأنهم على باطل، والباطل مختلف، والحق متفق.

الثاني: أنهم على نفاق، والنفاق اختلاف.

قوله تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ الآية. فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم قتلى بدر، قاله السدي، ومقاتل.

الثالث: أنهم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام، قاله قتادة.

الرابع: أنهم بنو قريظة، كان قبلهم إجلاء بني النضير.

﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ بأن نزلوا على حكم سعد[بن معاذ] فحكم فيهم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم، قاله الضحاك. وفيه وجهان:

أحدهما: في تجارتهم.

الثاني: في نزول العذاب بهم.

﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله للكافر في طاعته للشيطان، وهو عام في الناس كلهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنها خاصة في سبب خاص صار به المثل عاماً، وذلك ما رواه عطية العوفي عن ابن عباس أن راهباً كان[٥٦٦] في بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يؤتى من كل أرض يسأل عن الفقه وكان عالماً، وأن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت من أحسن النساء مريضة، وأنهم أرادوا سفراً فكبر عليهم أن يذروها ضائعة، فجعلوا يأتمرون فيما يفعلون، فقال أحدهم: ألا أدلكم على من تتركونها عنده؟ فقال له من؟ فقال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه، فعمدوا إليه وقالوا: إنا نريد السفر وإنا لا نجد أحداً أوثق في أنفسنا منك ولا آمن علينا

(٥٦٦) وهذه القصة تعرف بقصة برصيصاً العابد وروى الخبر بطوله ابن جرير (٢٨/ ٥٠) موقوفاً على ابن عباس وسنده ضعيف مسلسل بالضعفاء وبنحوه رواه الطبري (٢٨/ ٥٠) موقوفاً على طاووس ورواه الحاكم (٢/ ٤٨٤) من قول علي وصححه ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي في الدر (٨/ ١١٦) نسبته لعبد الرزاق وابن راهويه وأحمد في الزهد والبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن مردويه. والبيهقي في الشعب ورفع القصة لا يصح كما قال غير واحد من العلماء فالصواب أنها موقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس ومقاتل وطاووس.

غيرك، فاجعل أختنا عندك فإنها ضائعة مريضة، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فاحفظها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله، وإنهم انطلقوا، فقام عليها وداواها حتى برئت فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها وحبلت، ثم تقدم منه الشيطان فزين له قتلها وقال: إن لم تفعل افتضحت، فقتلها.

فلما عاد إخوتها سألوه عنها فقال: ماتت فدفنتها، قالوا أحسنت، فجعلوا يرون في المنام أن الراهب قتلها وأنها تحت شجرة كذا، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها قد قتلت، فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا الذي زينت لك قتلها بعد الزنى فهل لك أن أنجيك وتطيعني؟ قال: نعم، قال فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد ثم قتل، فذلك قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان﴾ فكذا المنافقون وبنو النضير مصيرهم إلى النار.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله﴾ روى معن أو عون عن ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال: اعهد لي، فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يأيها الذين ءامنوا﴾ فأرعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

وفي هذه التقوى وجهان:

أحدهما: اجتناب المنافقين.

الثاني: هو اتقاء الشبهات.

﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ قال ابن زيد: ما قدمت من خير أو شر.

﴿لغد﴾ يعني يوم القيامة والأمس: الدنيا. قال قتادة: إن ربكم قدم الساعة حتى جعلها لغد.

﴿واتقوا الله﴾ في هذه التقوى وجهان:

أحدهما: أنها تأكيد للأولى.

والثاني : أن المقصود بها مختلف وفيه وجهان :

أحدهما : أن الأولى التوبة مما مضى من الذنوب، والثانية اتقاء المعاصي في المستقبل.

الثاني : أن الأولى فيما تقدم لغد، والثانية فيما يكون منكم.

﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله خبير بعملكم .

الثاني : خبير بكم عليم بما يكون منكم، وهو معنى قول سعيد بن جبير.

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : نسوا الله أي تركوا أمر الله، فأنساهم أنفسهم أن يعملوا لها خيراً، قاله ابن حبان.

الثاني : نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم، قاله سفيان.

الثالث: نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً، حكاه ابن عيسى.

الرابع : نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة، قاله سهل.

ويحتمل خامساً: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد.

﴿أولئك هم الفاسقون﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : العاصون، قاله ابن جبير.

الثاني : الكاذبون، قاله ابن زيد.

﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يستوون في أحوالهم، لأن أهل الجنة في نعيم، وأهل النار في عذاب.

الثاني : لا يستوون عند الله، لأن أهل الجنة من أوليائه، وأهل النار من أعدائه.

﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فيه وجهان :

أحدهما : المقربون المكرمون.

الثاني : الناجون من النار، قاله ابن حبان.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ

وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿لو أنزلنا هذا القرءآن على جبل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ إننا لو أنزلناهذا القرآن على جبل لما ثبت له بل انصدع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له، فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لا تثبت له الجبال.

الثاني: أنه خطاب للأمة، وأن الله لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله، والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً، فهو يقوم بحقه إن أطاع، ويقدر على رده إن عصى، لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب.

وفيه قول ثالث: إن الله تعالى ضربه مثلاً للكفار أنه إذا نزل هذا القرآن على جبل خشع لوعده وتصدع لوعيده، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده.

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾ كان جابر بن زيد يرى أن اسم الله الأعظم هو الله، لمكان هذه الآية.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: عالم السر والعلانية، قاله ابن عباس.

الثاني: عالم ما كان وما يكون.

الثالث: عالم ما يدرك وما لا يدرك من الحياة والموت والأجل والرزق.

الرابع: عالم بالآخرة والدنيا، قاله سهل.

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس﴾ في **﴿القدوس﴾** أربعة أوجه:

أحدها: أنه المبارك، قاله قتادة، ومنه قول رؤبة:

دعوت رب العزة القدوسا   دعاء من لا يقرع الناقوسا

الثاني: أنه الطاهر، قاله وهب، ومنه قول الراجز(٥٦٧):

قد علم القدوس مولى القدوس.

الثالث: أنه اسم مشتق من تقديس الملائكة، قاله ابن جريج، وقد روي أن من تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

الرابع: معناه المنزه عن القبائح لاشتقاقه من تقديس الملائكة بالتسبيح فصار معناهما واحد.

وأما ﴿السلام﴾ فهو من أسمائه تعالى كالقدوس، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مأخوذ من سلامته وبقائه، فإذا وصف المخلوق بمثله قيل سالم وهو في صفة الله سلام، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

سلامك ربنا في كل فجر   بريئاً ما تعنتك الذموم

الثاني: أنه مأخوذ من سلامة عباده من ظلمه، قاله ابن عباس.

[وفي ﴿المؤمن﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: الذي يؤمن أولياءه من عذابه](*).

الثاني: أنه مصدق خلقه في وعده، وهو معنى قول ابن زيد.

الثالث: أنه الداعي إلى الإيمان، قاله ابن بحر.

وأما ﴿المهيمن﴾ فهو من أسمائه أيضاً، وفيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه الشاهد على خلقه بأعمالهم، وعلى نفسه بثوابهم، قاله قتادة، والمفضل، وأنشد قول الشاعر:

شهيد عليَّ الله أني أحبها   كفى شاهداً رب العباد المهيمن

والثاني: معناه الأمين، قاله الضحاك.

الثالث: المصدق، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه الحافظ، حكاه ابن كامل. وروي أن عمر بن الخطاب قال: إني داع فهيمنوا، أي قولوا آمين حفظنا الدعاء، لما يرجى من الإجابة.

---

(٥٦٧) هو رؤبة بن العجاج والبيت في اللسان قدس.

(*) هذه العبارة كلها نقلناها من القرطبي والسياق يقتضيها.

الخامس: الرحيم، حكاه ابن تغلب واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت:

مليك على عرش السمآء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

﴿العزيز﴾ هو القاهر، وفيه وجهان:

أحدهما: العزيز في امتناعه.

الثاني: في انتقامه.

﴿الجبار﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه العالي العظيم الشأن في القدرة والسلطان.

الثاني: الذي جبر خلقه على ما شاء، قاله أبو هريرة، والحسن، وقتادة.

الثالث: أنه الذي يجبر فاقة عباده، قاله واصل بن عطاء.

الرابع: أنه الذي يذل له من دونه.

﴿المتكبر﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المتكبر عن السيئات، قاله قتادة.

الثاني: المستحق لصفات الكبر، والتعظيم، والتكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم.

الثالث: المتكبر عن ظلم عباده.

﴿هو الله الخالق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه المحدِث للأشياء على إرادته.

الثاني: أنه المقدر لها بحكمته.

﴿الْبَارِئُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المميز للخلق، ومنه قولهم: برئت منه، إذا تميزت منه.

الثاني: المنشىء للخلق، ومنه قول الشاعر:

براك الله حين براه غيثاً ويجري منك أنهاراً عذاباً

﴿المصور﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لتصوير الخلق على مشيئته.

الثاني: لتصوير كل جنس على صورته. فيكون على الوجه الأول محمولاً على ابتداء الخلق بتصوير كل خلق على ما شاء من الصور. وعلى الوجه الثاني يكون

محمولاً على ما استقر من صور الخلق، فيحدث خلق كل جنس على صورته وفيه على كلا الوجهين دليل على قدرته.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون لنقله خلق الإنسان وكل حيوان من صورة إلى صورة، فيكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يصير شيخاً هرماً، كما قال النابغة[٥٦٨]:

الـخـالـق الـبـارىء الـمـصـور في الـ أرحـام مـاء حـتـى يـصـيـر دمـاً

﴿له الأسماء الحسنى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن جميع أسمائه حسنى لاشتقاقه من صفاته الحسنى.

الثاني: أن له الأمثال العليا، قاله الكلبي.

(٥٦٨) فتح القدير (٥/٢٠٨).

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

مدنية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ
كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ
أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ
يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ
﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾

سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أراد التوجه إلى مكة أظهر أنه يريد خيبر، وكتب حاطب بن أبي بلتعة(٥٦٩) إلى أهل مكة أن النبي ﷺ خارج إليهم وأرسل مع امرأة ذكر

---

(٥٦٩) رواه البخاري (٧/٤٠٠) (٨/٤٨٦) ومسلم (٤/١٩٤١) والترمذي (٣٣٠٥) وأبو داود (٢٦٥٠) وابن جرير (٢٨/٥٨) وزاد السيوطي في الدر (٨/١٢٥) نسبته لعبد بن حميد والحميدي وأبي عوانة والبيهقي وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه. وابن المنذر وابن أبي حاتم وأحمد والنسائي وابن حبان.

أنها سارة مولاة لبني عبد المطلب، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأنفذ علياً وأبا مرثد، وقيل عمر بن الخطاب، وقيل الزبير رضي الله عنهم، وقال لهما: اذهبا إلى روضة خاخ(*) فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذاه وعودا، فأتيا الموضع فوجداها والكتاب معها، فأخذاه وعادا، فإذا هو كتاب حاطب فقال عمر: ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقه فقد خان الله ورسوله فقال ﷺ قد شهد بدراً، فقالوا: بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله ﷺ فلعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم إني بما تعملون خبير. ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم [ثم قال رسول الله ﷺ لحاطب] ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله كنت امرأ ملصقاً من قريش وكان لي بها مال فكتبت إليهم بذلك، والله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ صدق حاطب فلا تقولوا له إلا خيراً. فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ وجهان:

أحدهما: تعلمونهم سراً أن بينكم وبينهم مودة.

الثاني: تعلمونهم سراً بأحوال النبي ﷺ بمودة بينكم وبينهم.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ ذكر الكلبي والفراء أنه أراد حاطب بن أبي بلتعة، وفيها وجهان:

(*) هي مكان بين مكة والمدينة وأقرب الى المدينة على اثني عشر ميلاً منها.

(*) زيادة يقتضيها السياق.

أحدهما: سنة حسنة، قاله الكلبي.

الثاني: عبرة حسنة، قاله ابن قتيبة.

﴿في إبراهيم والذين معه﴾ من المؤمنين.

﴿إذ قالوا لقومهم﴾ يعني من الكفار.

﴿إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ فتبرؤوا(٥٧٠) منهم فهلا تبرأت أنت يا حاطب من كفار أهل مكة ولم تفعل ما فعلته من مكاتبتهم وإعلامهم.

ثم قال: **﴿كفرنا بكم﴾** يحتمل وجهين:

أحدهما: كفرنا بما آمنتم به من الأوثان.

الثاني: بأفعالكم وكذبنا بها.

﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك...﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تأسوا بإبراهيم في فعله واقتدوا به إلا في الاستغفار لأبيه فلا تقتدوا به فيه، قاله قتادة.

الثاني: معناه إلا إبراهيم فإنه استثنى أباه من قومه في الاستغفار له، حكاه الكلبي.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه لاتسلطهم علينا فيفتنونا، قاله ابن عباس.

الثاني: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فنصير فتنة لهم فيقولوا لوكانوا على حق ما عذبوا، قاله مجاهد، وهذا من دعاء إبراهيم عليه السلام.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ

---

(٥٧٠) هذا يدل على أن التوحيد لا يتأتى إلا بالتبرؤ من الشرك وأهله فشهادة أن لا إله إلا الله نفي وإثبات فمن لم يأت بإعلان البراءة لم يحصل له التوحيد ولهذا جعل الله إبراهيم والذين آمنوا معه أسوة لنا في إعلان تلك البراءة.

قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أهل مكة حين أسلموا عام الفتح فكانت هي المودة التي صارت بينهم وبين المسلمين، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه إسلام أبي سفيان.

وفي مودته التي صارت منه قولان:

أحدهما: تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان فكانت هذه مودة بينه وبين أبي سفيان، قاله مقاتل.

الثاني: أن النبي ﷺ استعمل أبا سفيان على بعض اليمن فلما قبض رسول الله أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً، فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين، فكانت هذه المودة، قاله الزهري.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية. فيهم أربعة أوجه:

أحدها: أن هذا في أول الأمر عند موادعة المشركين، ثم نسخ بالقتال، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف كان لهم عهد فأمر الله أن يبروهم بالوفاء به، قاله مقاتل.

الثالث: أنهم النساء والصبيان لأنهم ممن لم يقاتل، فأذن الله تعالى ببرهم، حكاه بعض المفسرين.

الرابع: ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه(٥٧١) أن أبا بكر رضي الله عنه طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي أم أسماء بنت أبي بكر، فقدمت عليهم في

(٥٧١) وأحمد (٤/٤) وابن جرير (٢٨/٦٦) والحاكم (٢/٤٨٥) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٨/١٣٠) نسبته للبزار وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في تاريخه والطبراني وابن مردويه والطيالسي وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٣) رواه أحمد والبزار وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح ا هـ.

قلت: ومصعب لين الحديث كما في التقريب.

المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطاً وأشياء، فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأنزل الله هذه الآية.

﴿وتقسطوا إليهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني وتعدلوا فيهم، قاله ابن حبان فلا تغلوا في مقاربتهم ولا تسرفوا في مباعدتهم.

الثاني: معناه أن تعطوهم قسطاً من أموالكم، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أنه الإنفاق على[٥٧٢] من وجبت نفقته منهم، ولا يكون اختلاف الدين مانعاً من استحقاقها.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ لأنه يعلم بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم باطن إيمانهن، ليكون الحكم عليهن معتبراً بالظاهر وإن كان معتبراً بالظاهر والباطن.

والسبب في نزول هذه الآية[٥٧٣] أن النبي ﷺ هادن قريشاً عام الحديبية فقالت قريش على أن ترد علينا من جاءك منا، ونرد عليك من جاءنا منك، فقال على أن أرد عليكم من جاءنا منكم ولا تردوا علينا من جاءكم منا ممن اختار الكفر على الإيمان،

---

(٥٧٢) وإليه ذهب كثير من العلماء. راجع كلام ابن القيّم في زاد المعاد.

(٥٧٣) وهذا في حديث الحديبية الطويل وقد تقدم تخريجه في سورة الفتح.

فعقد الهدنة بينه وبينهم على هذا إلى أن جاءت منهم امرأة مسلمة وجاؤوا في طلبها.

واختلف فيها على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها أميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه وهو يومئذ كافر، فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله، قاله يزيد بن أبي حبيب.

الثاني: أنها سعيدة زوج صيفي بن الراهب مشرك من أهل مكة، قاله مقاتل.

الثالث: أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا قول كثير من أهل العلم.

الرابع: أنها سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت مسلمة بعد فراغ النبي ﷺ من كتاب الهدنة في الحديبية، فجاء زوجها واسمه مسافر وهو من قومها في طلبها، فقال يا محمد شرطت لنا رد النساء، وطين الكتاب لم يجف، وهذه امرأتي فارددها عليّ، حكاه الكلبي.

فلما طلب المشركون رد من أسلم من النساء منع الله من ردهن بعد امتحان إيمانهن بقوله تعالى: ﴿**فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**﴾ واختلف أهل العلم هل دخل النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً:

فقالت طائفة منهم قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه، وأبقاه في الرجال على ما كان، وهذا يدل على أن للنبي ﷺ أن يجتهد برأيه في الأحكام ولكن لا يقره الله تعالى على خطأ.

وقالت طائفة من أهل العلم: لم يشترط ردهن في العقد لفظاً وإنما أطلق العقد في رد من أسلم، فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال، فبين الله خروجهن عن العموم، وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنهن ذوات فروج يحرمن عليهم.

الثاني: أنهن أرأف قلوباً وأسرع تقلباً منهم.

فأما المقيمة على شركها فمردودة عليهم، وقد كان من أرادت منهن إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى محمد فلذلك أمر رسول الله ﷺ بامتحانهن.

واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما رواه ابن عباس أنه(٥٧٤) كان يمتحنها بأن تحلف بالله أنها ما خرجت

---

(٥٧٤) رواه الطبري (٢٨/ ٦٧) وفي سنده قيس بن الربيع قال الحافظ صدوق تغير لما كبر أدخل عليه ابنه ما

من بغض زوجها ولا رغبة من أرض إلى أرض ولا التماس دنيا ولا عشقاً لرجل منا، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله.

والثاني: بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قاله عطية العوفي(٥٧٥).

الثالث: بما بينه الله في السورة من قوله تعالى: ﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات﴾ فهذا معنى قوله: ﴿فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ يعني بما في قلوبهن بعد امتحانهن.

﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ يعني أن المؤمنات محرمات على المشركين من عبدة الأوثان، والمرتدات محرمات على المسلمين.

ثم قال تعالى: ﴿وءاتوهم ما أنفقوا﴾ يعني بما أنفقوا مهور من أسلم منهن إذا سأل ذلك أزواجهن، وفي دفع ذلك إلى أهلهن من غير أزواجهن قولان(٥٧٦):

ثم قال تعالى: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ يعني المؤمنات اللاتي أسلمن غير أزواج مشركين، أباح الله نكاحهن للمسلمين إذا انقضت عدتهن أو كن غير مدخول بهن.

﴿إذا ءاتيتموهن أجورهن﴾ يعني مهورهن.

﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن العصمة الجمال قاله ابن قتيبة.

الثاني: العقد، قاله الكلبي.

فإذا أسلم الكافر عن وثنية لم يمسك بعصمتها ولم يقم نكاحها رغبة فيها أو في قومها، فإن الله قد حرم نكاحها عليه والمقام عليها ما لم تسلم في عدتها.

فروى موسى بن طلحة بن عبيد الله(٥٧٧) عن أبيه أنه قال: لما نزلت هذه الآية

ليس من حديثه فحدث به وفي الحديث علة أخرى وهي الانقطاع بين أبي نصر الأسدي وابن عباس فإن البخاري قال لم يعرف سماعه من ابن عباس.

(٥٧٥) وهو قول ثان عن ابن عباس وقد رواه الطبري (٢٨/ ٦٨) وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٥٧٦) أي قول بالدفع وآخر بعدم الدفع.

(٥٧٧) رواه الطبري (٢٨/ ٧٢) عن الزهري.

طلقت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وطلق عمر بن الخطاب قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان في الشرك، وطلق أم كلثوم بنت أبي جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص في الإسلام.

﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾ يعني أن للمسلم إذا ارتدت زوجته إلى المشركين من ذوي العهد المذكور أن يرجع عليه بمهر زوجته كما ذكرنا وأن للمشرك أن يرجع بمهر زوجته إذا أسلمت فإن لم يكن بينناوبينهم عهد شرط فيه الرد فلا يرجع. ولا يجوز لمن بعد رسول الله ﷺ من الأئمة أن يشرط في عقد الهدنة رد من أسلم لأن الرسول كان على وعد من الله بفتح بلادهم ودخولهم في الإسلام طوعاً وكرهاً فجاز له ما لم يجز لغيره.

﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ الآية. والمعنى أن من فاتته زوجته بارتدادها إلى أهل العهد المذكور ولم يصل إلى مهرها منهم ثم غنمهم المسلمون ردوا عليه مهرها.

وفي المال الذي يرد منه هذا المهر ثلاثة أقاويل:

أحدها: من أموال غنائمهم لاستحقاقها عليهم، قاله ابن عباس.

الثاني: من مال الفيء، قاله الزهري.

الثالث: من صداق من أسلمن منهن عن زوج كافر، وهو مروي عن الزهري أيضاً.

وفي قوله تعالى: ﴿فعاقبتم﴾ ثلاثة تأويلات.

أحدها: معناه غنمتم لأخذه من معاقبة الغزو، قاله مجاهد والضحاك.

الثاني: معناه فأصبتم من عاقبة من قتل أوسبي، قاله سفيان.

الثالث: عاقبتم المرتدة بالقتل فلزوجها مهرها من غنائم المسلمين، قاله ابن بحر.

وهذا منسوخ لنسخ الشرط الذي شرطه رسول الله ﷺ لهم بالحديبية، وقال عطاء بل حكمها ثابت.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما دخل مكة عام الفتح وبايعه الرجال جاءت النساء بعدهم للبيعة فبايعهن.

واختلف في بيعته لهن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جلس على الصفا[ومعه عمر أسفل منه] فأمره أن يبايع النساء، قاله مقاتل.

الثاني: أنه أمر أميمة أخت خديجة خالة فاطمة بنت رسول الله بعد أن بايعته، أن تبايع النساء عنه، قاله محمد بن المنكدر عن أميمة.

الثالث: أنه بايعهن بنفسه وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه، قاله عامر الشعبي.

وقيل بل وضع قعباً(٥٧٨) فيه ماء وغمس فيه يده وأمرهن فغمسن أيديهن، فكانت هذه بيعة النساء.

فإن قيل: فما معنى بيعتهن ولسن من أهل الجهاد فتؤخذ عليهن البيعة كالرجال؟

قيل: كانت بيعته لهن تعريفاً لهن بما عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق أزواجهن لأنهن دخلن في الشرع ولم يعرفن حكمه فبينه لهن، وكان أول ما أخذه عليهن أن لا يشركن بالله شيئاً توحيداً له ومنعاً لعبادة غيره.

﴿ولا يسرقن﴾ فروى أن هند بنت عتبة(٥٧٩) كانت متنكرة عند أخذ البيعة على

---

(٥٧٨) ومن المعلوم أن البيعة كانت بالكلام دون المصافحة باليد كما روى البخاري (٨/٤٤٩) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية يقول الله تعالى يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك... إلى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ قد بايعتك كلاماً والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما بايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك.

(٥٧٩) رواه ابن جرير (٢٨/٨٧) من حديث ابن عباس وسنده ضعيف وقال الحافظ ابن كثير (٤/٣٥٤) بعد سياقه هذا أثر غريب وفي بعضه نكارة، والله أعلم ا هـ.

النساء خيفة من رسول الله ﷺ لما صنعته بحمزة وأكلها كبده، فقالت حين سمعته في أخذ البيعة عليهن يقول: ﴿لا يسرقن﴾ والله إني لا أصيب من أبي سفيان إلا قوتنا ما أدري أيحل لي أم لا، فقال أبو سفيان: ما أصبت مما مضى أو قد بقي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال: «أنت هند؟» فقالت عفا اللّه عما سلف.

ثم قال: ﴿ولا يزنين﴾ فقالت هند يا رسول الله أو تزني الحرة؟

ثم قال: ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ لأن العرب كانت تئد البنات، فقالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر، وأنت وهم أبصر.

وروى مقاتل أنها قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتوهم(٥٨٠) كباراً فأنتم وهم أعلم، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى.

﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه السحر، قاله ابن بحر.

الثاني: المشي بالنميمة والسعي في الفساد.

والثالث: وهو قول الجمهور ألا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن لأن الزوجة كانت تلتقط ولداً وتلحقه بزوجها ولداً، ومعنى ﴿يفترينه بين أيديهن﴾ ما أخذته لقيطاً، ﴿وأرجلهن﴾ ما ولدته من زنى، وروي أن هنداً لما سمعت ذلك قالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمر إلا بالأرشد ومكارم الأخلاق.

ثم قال: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن المعروف ها هنا الطاعة لله ولرسوله، قاله ميمون بن مهران.

الثاني: ما رواه شهر بن حوشب عن أم سلمة عن(٥٨١) النبي ﷺ ولا يعصينك في معروف قال: هو النوح.

الثالث: أن من المعروف ألا تخمش وجهها ولا تنشر شعرها ولا تشق جيباً ولا تدعو ويلاً، قاله أسيد بن أبي أسيد.

(٥٨٠) أخرجه أبي حاتم كما قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٦٩.

(٥٨١) والترمذي (٣٣٠٧) وابن ماجة (١٥٧٩) وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف ووثقه بعضهم وقال البوصيري في الزوائد في إسناده. يزيد بن عبدالله وهو مختلف فيه قلت ويغني عن هذا ما رواه مسلم (٦٤٦/٢) من حديث أم عطية قالت نزلت هذه الآية يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة... الحديث.

الرابع: أنه عام في كل معروف أمر الله ورسوله به، قاله الكلبي.

فروي أن هنداً قالت عند ذلك: ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعطيك من شيء. وهذا دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المعروف المباح دون المنكر المحظور.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود، قاله مقاتل.

الثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن مسعود.

الثالث: جميع الكفار، قاله مجاهد.

﴿قد يئسوا من الأخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار مِنْ بعث مَنْ في القبور، قاله ابن عباس.

الثاني: قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس أصحاب القبور بعد المعاينة من ثواب الآخرة لأنهم تيقنوا العذاب، قاله مجاهد.

الثالث: قد يئسوا من البعث والرجعة كما يئس منها من مات منهم وقبر.

الرابع: يئسوا أن يكون لهم في الآخرة خير كما يئسوا أن ينالهم من أصحاب القبور خير.

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

مدنية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا
لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا
كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في قوم قالوا: لو عملنا أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليه، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنها نزلت في قوم كان يقول الرجل منهم: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وضربت، ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر، وهذا مروي عن عكرمة.

الثالث: أنها نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا.

وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام(٥٨٢) دون إسقاطه.

---

(٥٨٢) لعل معناها الالتزام.

قال الإمام القرطبي (١٨/٧٨) وهذه الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة أن يفي بها.

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ مصطفين صفوفاً كالصلاة، لأنهم إذا اصطفوا مثلاً صفين كان أثبت لهم وأمنع من عدوهم. قال سعيد بن جبير: هذا تعليم من الله للمؤمنين.

﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المرصوص الملتصق بعضه إلى بعض لا ترى فيه كوة ولا ثقباً لأن ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف، قاله ابن جبير، قال الشاعر:

وأشجر مرصوص بطين وجندل ... له شرفات فوقهن نصائب

والثاني: أن المرصوص المبني بالرصاص، قاله الفراء، ومنه قول الراجز(٥٨٣).

ما لقي البيض من الحرقوص ... يفتح باب المغلق المرصوص

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وفي الزيغ وجهان:

أحدهما: أنه العدول، قاله السدي.

الثاني: أنه الميل، إلا أنه لا يستعمل إلا في الزيغ عن الحق دون الباطل.

ويحتمل تأويله وجهين:

أحدهما: فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية.

الثاني: فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ قلوبهم عن الكلام(٥٨٤).

---

(٥٨٣) اللسان حرقص وفيه:

ما لقي البيض من الحرقوص ... من مارد لص من اللصوص

يدخل تحت الفلق المرصوص ... بمهر لا غال ولا رخيص

(٥٨٤) لعله يقصد النطق بالإيمان. والله أعلم.

وفي المعنِيّ بهذا الكلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: المنافقون.

الثاني: الخوارج، قاله مصعب بن سعيد عن أبيه.

الثالث: أنه عام.

﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾وهذه البشرى من عيسى تتضمن أمرين:

أحدهما: تبليغ ذلك إلى قومه ليؤمنوا به عند مجيئه، وذلك لا يكون منه بعد إعلام الله له بذلك إلا عن أمره بتبليغ ذلك إلى أمته.

الثاني: ليكون ذلك من معجزات عيسى عند ظهور محمد ﷺ، وهذا يجوز أن يقتصر عيسى فيه على إعلام الله له بذلك دون أمره بالبلاغ.

وفي تسمية الله له بأحمد وجهان:

أحدهما: لأنه من أسمائه فكان يسمي أحمد ومحمداً قال حسان(٥٨٥):

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

الثاني: أنه مشتق من اسمه محمود، فصار الاشتقاق اسماً، كما قال حسان(٥٨٦):

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وروي عن النبي ﷺ أنه قال(٥٨٧): **«اسمي في التوراة أحيد لأني أحيد أمتي عن النار، واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبادة الأصنام، واسمي في الإنجيل أحمد، واسمي في القرآن محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض»**.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ

(٥٨٥) ديوانه: ٦٦ روح المعاني (٢٨/٨٦).

(٥٨٦) ديوانه: ٥٤.

(٥٨٧) لم أعثر على هذا الأثر وقد ثبت في صحيح البخاري (٨/٦٤١) ومسلم (٤/١٨٢٨) والترمذي (٢٨٤٠) من حديث جبير بن مطعم قال قال رسول الله ﷺ «إن لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار والمنافقون، قاله ابن جريج.

الثاني: أنه النضر وهو من بني عبد الدار قال إذا كان يوم القيامة شفعت لي العزى واللات، فأنزل الله هذه الآية، قاله عكرمة.

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ الآية. والإطفاء هو الإخماد، ويستعملان في النار، ويستعاران فيما يجري مجراها من الضياء والنور.

والفرق بين الإطفاء والإخماد من وجه وهو أن الإطفاء يستعمل في القليل والكثير، والإخماد يستعمل في الكثير دون القليل، فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج.

وفي ﴿نور الله﴾ ها هنا خمسة أقاويل:

أحدها: القرآن، يريدون إبطاله بالقول، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه الإسلام، يريدون دفعه بالكلام، قاله السدي.

الثالث: أنه محمد ﷺ يريدون هلاكه بالأراجيف، قاله الضحاك.

الرابع: أنه حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم، قاله ابن بحر.

الخامس: أنه مثل مضروب، أي من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلاً ممتنعاً فكذلك من أراد إبطال الحق، حكاه ابن عيسى.

وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف:

يامعشر اليهود ابشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان الله ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ لذلك، فأنزل الله هذه الآية، ثم اتصل الوحي بعدها.

﴿ليظهره على الدين كله﴾ الآية. وفي الإظهار ثلاثة أقاويل:

أحدها: الغلبة على أهل الأديان.

الثاني: العلو على الأديان.

الثالث: العلم بالأديان من قولهم قد ظهرت على سره أي علمت به.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ وهذا من الله لزيادة الترغيب، لأنه لما وعدهم بالجنة على طاعته وطاعة رسوله علم أن منهم من يريد عاجل النصر لقاء رغبة في الدنيا ولقاء تأييد الدين فوعدهم بما يقوي به الرغبة فقال: **﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾** يعني فتح البلاد عليه وعليهم، وقد أنجز الله وعده في كلا الأمرين من النصر والفتح.

وفي قوله: **﴿قريب﴾** وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى ما يحبونه أنه نصر من الله وفتح قريب.

الثاني: أنه إخبار من الله بأن ما يحبونه من ذلك سيكون قريباً، فكان كما أخبر لأنه عجل لهم الفتح والنصر.

من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء السادس

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية

بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق التابع شقة ٧٨
هاتف المكتب:
ص. ب ٥١١٥ - ١١٤ - برقيا: الكتبكو -
بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النُّكَتُ وَالعُيُون
تَفْسِيرُ المَاوَرْدِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترتيبها ٦٢ — **سُورَةُ الجُمُعَةِ** — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

﴿بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ يعني في العرب، وفي تسميتهم أميين قولان:

أحدهما : لأنه لم ينزل عليهم كتاب، قاله ابن زيد.

الثاني : لأنهم لم يكونوا يكتبون ولا كان فيهم كاتب، قاله قتادة.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم قريش خاصة لأنها لم تكن تكتب حتى تعلم بعضها في آخر الجاهلية من أهل الحيرة.

الثاني: أنهم جميع العرب لأنه لم يكن لهم كتاب ولا كتب منهم إلا قليل، قاله المفضل.

فلو قيل: فما وجه الامتنان بأن[١] بعث نبياً أمياً؟

فالجواب عنه ثلاثة أوجه:

أحدها: لموافقته ما تقدمت بشارة الأنبياء به.

الثاني: لمشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم.

الثالث: لينتفي عنه سوء الظن في تعلمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها.

﴿يتلوا عليهم ءاياته﴾ يعني القرآن.

﴿ويزكيهم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: يطهرهم من الكفر والذنوب، قاله ابن جريج ومقاتل.

الثالث: يأخذ زكاة أعمالهم، قاله السدي.

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه القرآن، قاله الحسن.

الثاني: أنه الخط بالقلم، قاله ابن عباس، لأن الخط إنما فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط.

الثالث: معرفة الخير والشر كما يعرفونه بالكتاب ليفعلوا الخير ويكفوا عن الشر، وهذا معنى قول محمد بن إسحق.

﴿والحكمة﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الحكمة السنة، قاله الحسن.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير (٤/) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وقوله ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ وقوله إخباراً عن القرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم.

الثاني: أنه الفقه في الدين، وهو قول مالك بن أنس.

الثالث: أنه الفهم والاتعاظ، قاله الأعمش.

﴿وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ أي ويعلم آخرين ويزكيهم، وفيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم المسلمون بعد الصحابة، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم العجم بعد العرب، قاله الضحاك وقد روي عن[٢] النبي ﷺ أنه قال: «رأيت في منامي غنماً سوداً تتبعها غنم عفر» فقال أبو بكر: يا رسول الله تلك العرب يتبعها العجم، فقال: «كذلك عبرها لي الملك».

الثالث: أنهم الملوك أبناء الأعاجم، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم الأطفال بعد الرجال.

ويحتمل خامساً: أنهم النساء بعد الرجال [٣].

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها النبوة التي خص الله بها رسوله هي فضل الله يؤتيه من يشاء، قاله مقاتل.

الثاني: الإسلام الذي آتاه الله من شاء من عباده، قاله الكلبي.

الثالث: ما روي أنه قيل يا رسول الله[٤] ذهب أهل الدثور بالأجور، فأمر

---

(٢) أفاد القرطبي (١٨/٩٣) أنه رواه ابن ابي ليلى عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب.
ولم اعثر على من خرج الحديث.

(٣) قال الإمام الطبري (٢٨/٩٦) «وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال عنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس لأن الله عز وجل تمم بقوله «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم» وكل لاحق بهم من آخرين ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله أ هـ.

(٤) وذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الأغنياء يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم أموال يعتقون ويتصدقون قال: فإذا صليتم فقولوا: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة والله أكبر أربعاً وثلاثين مرة ولا إله إلا الله عشر مرات فإنكم تدركون به من سبقكم ولا يسبقكم من بعدكم» رواه الترمذي (٤١٠) وحسنه والنسائي (٣/٧٨) وفي الباب عن كعب بن عجرة وأنس وغيرهما.

ذوي الفاقة بالتسبيح والتحميد والتكبير بدلاً من التصدق بالأموال، ففعل الأغنياء مثل ذلك، فقيل لرسول الله ﷺ فقال: «ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ» قاله أبو صالح.

ويحتمل خامساً: أنه انقياد الناس إلى تصديقه ﷺ ودخولهم في دينه ونصرته.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: معناه تفرون من الداء بالدواء فإنه ملاقيكم بانقضاء الأجل.

الثاني: تفرون من الجهاد بالقعود فإنه ملاقيكم بالوعيد.

الثالث: تفرون منه بالطيرة من ذكره حذراً من حلوله فإنه ملاقيكم بالكره والرضا.

الرابع: أنه الموت الذي تفرون أن تتمنوه حين قال تعالى: **﴿فتمنوا الموت﴾**.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ في السعي إليها أربعة أقاويل:

أحدها: النية بالقلوب، قاله الحسن.

الثاني : أنه العمل لها ، كما قال تعالى : ﴿إن سعيكم لشتى﴾قاله ابن زيد .

الثالث: أنه إجابة الداعي ، قاله السدي .

الرابع : المشي على القدم من غير إسراع ، وذكر أن عمر وابن مسعود كانا يقرآن ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ .

وفي ذكر الله ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها موعظة الإمام في الخطبة ، قاله سعيد بن المسيب .

الثاني : أنها الوقت، حكاه السدي .

الثالث: أنه الصلاة، وهو قول الجمهور.

وكان اسم يوم الجمعة في الجاهلية العروبة ، لأن أسماء الأيام في الجاهلية كانت غير هذه الأسماء ، فكانوا يسمون يوم الأحد أوّل، والأثنين أهون ، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار، وأنشدني بعض أهل الأدب :

أؤمل أن أعيش وإن يومي بأوّل أو أهون أو جبار
أو التالي دبار أو فيومي يمؤنس أو عروبة أو شيار

وأول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي (٥) بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب، وقيل بل سمي في الإسلام لاجتماع الناس فيه للصلاة.

﴿وذروا البيع﴾ منع الله منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها. وفي وقت التحريم قولان:

أحدهما : أنه بعد الزوال[إلى ما] بعد الفراغ منها ، قاله الضحاك .

الثاني : من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ من الصلاة، قاله الشافعي رحمه الله فأما الأذان الأول فمحدث (٦) ، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس به لحضور

(٥) قال الحافظ ابن حجر (٢/ ٢٩٤) روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة [أي سورة الجمعة] فقال الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى كذلك فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر فجعلوه يوم العروبة أ هـ فظهر من الأثر أن أول من سمى الجمعة الأنصار.

(٦) وليس المقصود أنه بدعة بل هو من سنن الخلفاء الراشدين التي أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك به في قوله وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»ولكن عثمان رضي الله عنه فعل ذلك لعلة فإذا وجدت هذه

الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها، وقد كان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم، فإذا اجتمعوا أذن في المسجد، فجعله [عثمان] آذانين في المسجد (٧)، وليس يحرم البيع بعده وقبل الخطبة، فإن عقد في هذا الوقت المحرم بيع لم يبطل البيع وإن كان قد عصى الله، لأن النهي مختص بسبب يعود إلى العاقدين دون العقد، وأبطله ابن حنبل تمسكاً بظاهر النهي (٨).

﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ يعني أن الصلاة خير لكم من البيع والشراء لأن الصلاة تفوت بخروج وقتها، والبيع لا يفوت.

﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ يعني أُدّيتْ.

﴿فانتشروا في الأرض﴾ حكي عن عراك(*) بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فرضيتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

﴿وابتغوا من فضل الله﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الرزق من البيع والشراء، قاله مقاتل والضحاك.

الثاني: العمل في يوم السبت، قاله جعفر بن محمد.

الثالث: ما رواه أبو خلف عن أنس قال (٩): قال رسول الله ﷺ: فإذا قضيت

العلة في عصرنا نفعل كما فعل عثمان وإن لم توجد رجعنا إلى الأصل والعمل الذي كان عليه رسول الله ﷺ ولعل مكبرات الصوت عندنا اليوم قد رفعت العلة التي من أجلها فعل عثمان الأذان الثاني.

راجع خبر الأذان الثاني كاملاً في البخاري (٢/٣٢٦).

(٧) بل الوارد أن الأذان الأول كان على الزوراء في السوق والثاني خارج المسجد وليس بداخله.

(٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/٣٦٧) واتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا على قولين قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم وقال القرطبي (١٨/١٠٨): والصحيح فساده وفسخه لقوله عليه الصلاة والسلام «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» أي مردود والله أعلم.

(*) هو عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني من خيار التابعين قيل مات في المدينة وغير ذلك له ترجمة في تهذيب التهذيب (٧/١٥٦ ـ ١٥٧) والثقات لابن حبان (٥/٢٨٣).

(٩) ولم يصح هذا الأثر فقد رواه ابن جرير (٢٨/١٠٣) وفي سنده أبو خلف الراوي عن أنس وقيل اسمه حازم كذبه يحيى بن معين وقال أبو حاتم: منكر الحديث. راجع ترجمته في الميزان (٤/٥٢١).

والراوي عن أبي خلف هو أبو عامر الصائغ وكان وضّاعاً كما قال الأزدي. راجع ترجمته في الميزان (٤/٥٤٣).

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، قال: ليس بطلب الدنيا لكن من عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضُّوا إليها وتركوك قائماً﴾ روى سالم عن جابر قال(١٠): أقبلت عير ونحن مع رسول الله ﷺ يعني في الخطبة فانفتل الناس إليها وما بقي غير اثني عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية.

وذكر الكلبي أن الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر، وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بُر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت(*) وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه، وكانوا في خطبة الجمعة، فانفضوا إليها، وبقي مع رسول الله ﷺ ثمانية رجال، فقال تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾**

والتجارة من أموال التجارات.

وفي اللهو ها هنا أربعة أوجه:

أحدها: يعني لعباً، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطبل، قاله مجاهد.

الثالث: أنه المزمار، قاله جابر.

الرابع: الغناء.

﴿وتركوك قائماً﴾ يعني في خطبته، وروي عن النبي ﷺ(١١) أنه قال: والذي

وقد ورد نحو هذا الحديث موقوفاً عن ابن عباس رواه ابن مردويه.
كما في الدر (٨/١٦٥).

(١٠) رواه البخاري (٨/٤٩٣) ومسلم (٢/٥٩٠) والترمذي (٣٣١١) وابن جرير (٢٨/١٠٤) وزاد في الدر (٨/١٦٥) نسبته لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن جابر.

(*) وهو مكان في سوق المدينة.

(١١) رواه أبو يعلى من حديث جابر وساقه ابن كثير في التفسير (٤/٣٦٧) وجاء الأثر مرسلاً بنحوه عن قتادة.

نفسي بيده لو ابتدرتموها حتى لا يبقى معي أحد لسال الوادي بكم ناراً، وإنما قال تعالى: ﴿انفضوا إليها﴾ ولم يقل إليهما، لأن غالب انفضاضهم كان للتجارة دون اللهو.

وقال الأخفش: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً، وكذلك قرأ ابن مسعود.

وفي ﴿انفضوا﴾ وجهان:

أحدهما: ذهبوا.

الثاني: تفرقوا.

فمن جعل معناه ذهبوا أراد التجارة، ومن جعل معناه تفرقوا أراد عن الخطبة وهذا أفصح الوجهين، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر:

انفض جمعهم عن كل نائرة   تبقى وتدنس عرض الواجم الشبم

﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم.

الثاني: ما عند الله من رزقكم الذي قسمت لكم خير مما أصبتموه بانفضاضكم من لهوكم وتجارتكم.

﴿والله خير الرازقين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله سبحانه خير من رَزَق وأعطى.

الثاني: ورزق الله خير الأرزاق.

ونسبه لعبد بن حميد السيوطي في الدر (١٠٦٧/٨) وورد من مرسل الحسن أيضاً ونسبه السيوطي في الدر (١١٦/٨) لعبد بن حميد.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله**﴾ سئل حذيفة ابن اليمان عن المنافق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه.

﴿**قالوا نشهد إنك لرسول الله**﴾ يعني نحلف، فعبر عن الحلف بالشهادة لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مغيب، ومنه قول قيس بن ذريح:

وأشهد عند الله أني أحبها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا

ويحتمل ثانياً: أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره أنهم يشهدون أن محمداً رسول الله اعترافاً بالإيمان ونفياً للنفاق عن أنفسهم، وهو الأشبه.

وسبب نزول هذه الآية ما روى أسباط عن السدي أن عبد الله[١٢] بن أبي بن سلول كان مع رسول الله ﷺ في غزاة وفيها أعراب يتبعون الناس، وكان ابن أبي يصنع لرسول اللّه ﷺ في كل يوم طعاماً، فاستقى أعرابي ماء في حوض عمله من أحجار، فجاء رجل من أصحاب ابن أبي بناقة ليسقيها من ذلك الماء فمنعه الأعرابي واقتتلا فشجه الأعرابي، فأتى الرجل إلى عبد الله [بن أبي]ودمه يسيل على وجهه، فحزنه، فنافق عبد الله وقال: ما لهم رد الله أمرهم إلى تبال، وقال لأصحابه: لا تأتوا محمداً بالطعام حتى يتفرق عنه الأعراب، فسمع ذلك زيد بن أرقم وكان حدثاً، فأخبر عمه، فأتى عمه رسول الله ﷺ فحدثه، فبعث إلى ابن أبيّ وكان من أوسم الناس وأحسنهم منطقاً، فأتى رسول الله ﷺ فحلف: والذي بعثك بالحق ما قلت من هذا شيئاً، فصدقه فأنزل الله هذه الآية.

﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾ أي إن نافق من نافقك مع علم الله بأنك رسوله فلا يضرك.

ثم قال: ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: والله يقسم إن المنافقين لكاذبون في أيمانهم.

الثاني: معناه والله يعلم أن المنافقين لكاذبون فيها.

﴿**اتخذوا أيمانهم جنة**﴾ والجنة: الغطاء المانع من الأذى، ومنه قول الأعشى ميمون.

إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة من المال سار الذم كل مسير

وفيه وجهان:

أحدهما: من السبي والقتل ليعصموا بها دماءهم وأموالهم، قاله قتادة.

الثاني: من الموت ألاَّ يُصلَّى عليهم، فيظهر على جميع المسلمين نفاقهم، وهذا معنى قول السدي.

ويحتمل ثالثاً: جنة تدفع عنهم فضيحة النفاق.

---

(١٢) هذا الأثر عن السدي ورد مرفوعاً من حديث زيد بن أرقم رواه البخاري (٨/٤٩٤) مسلم (٢٧٧٢) والترمذي (٣٣٠٩، ٣٣١٠) وابن جرير (٢٨/١٠٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨/١٧١) لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والطبراني وابن مردويه.

﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الإسلام بتنفير المسلمين عنه.

الثاني: عن الجهاد بتثبيطهم المسلمين وإرجافهم به وتميزهم عنهم، قال عمر ابن الخطاب: ما أخاف عليكم رجلين: مؤمناً قد استبان إيمانه وكافر قد استبان كفره، ولكن أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره.

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ يعني حسن منظرهم وتمام خلقهم.

﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ يعني لحسن منطقهم وفصاحة كلامهم.

ويحتمل ثانياً: لإظهار الإسلام وذكر موافقتهم.

﴿كأنهم خشب مسندة﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه شبههم بالنخل القيام لحسن منظرهم.

الثاني: [شبههم] بالخشب النخرة لسوء مخبرهم.

الثالث: أنه شبههم بالخشب المسندة لأنهم لا يسمعون الهدى ولا يقبلونه، كما لا تسمعه الخشب المسندة، قاله الكلبي، وقوله: ﴿مسندة﴾ لأنهم يستندون إلى الإيمان لحقن دمائهم.

﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لِوَجَلهم وخبثهم يحسبون كل صيحة يسمعونها ـ حتى لو دعا رجل صاحبه أو صاح بناقته ـ أن العدو قد اصطلم وأن القتل قد حَلَّ بهم، قاله السدي.

الثاني: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ كلام ضميره فيه ولا يفتقر إلى ما بعده، وتقديره: يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم فقال: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ وهذا معنى قول الضحاك.

الثالث: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم، وأن النبي ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبداً وجلون ثم وصفهم الله بأن قال: ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

وفي قوله: ﴿فاحذرهم﴾ وجهان:

أحدهما: فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم.

الثاني: فاحذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم لأصحابك.

﴿قاتلهم الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه لعنهم الله، قاله ابن عباس وأبو مالك.

الثاني: أي أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر، لأن الله تعالى قاهر لكل معاند، حكاه ابن عيسى.

وفي قوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ أربعة أوجه:

أحدها: معناه يكذبون، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه يعدلون عن الحق، قاله قتادة.

الثالث: معناه يصرفون عن الرشد، قاله الحسن.

الرابع: معناه كيف يضل عقولهم عن هذا، قاله السدي.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ الآية.

روى سعيد بن جبير[١٣] أن النبي ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل منه حتى يصلي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن ابن أُبَيّ قال: لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فارتحل قبل أن ينزل آخرُ الناس، وقيل[١٤] لعبد الله بن

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد كما في الدر (٨/١٧٤).

(١٤) رواه ابن جرير (٢٨/١١٠) عن قتادة وزاد السيوطي في الدر (٨/١٧٢) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.

أُبيّ: ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك، فلوى رأسه، وهذا معنى قوله: ﴿لوَّوْا رؤوسَهم﴾ إشارة إليه وإلى أصحابه، أي حركوها وأعرضوا يمنة ويسرة إلى غير جهة المخاطب ينظرون شزراً.

ويحتمل قولاً ثانياً: أن معنى قوله ﴿يستغفر لكم رسول الله﴾ يستتيبكم من النفاق لأن التوبة استغفار.

وفيما فعله عبدالله بن أبيّ حين لوى رأسه وجهان:

أحدهما: أنه فعل ذلك استهزاء وامتناعاً من فعل ما دعي إليه من إتيان الرسول للاستغفار له، قاله قتادة.

الثاني: أنه لوى رأسه بمعنى ماذا قلت، قاله مجاهد.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يمتنعون، قال الشاعر(١٥):

صدَدْتِ الكاسَ عنا أُمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمينا

الثاني: يعرضون، قال الأعشى(١٦):

صَدَّقَ هُرَيْرةُ عنّا ما تُكَلِّمنا جَهْلاً بأُمِّ خُلَيْدٍ حبل من تصل

وفيما يصدون عنه وجهان:

أحدهما: عما دُعوا إليه من استغفار الرسول ﷺ.

الثاني: عن الإخلاص للإيمان.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: متكبرون.

الثاني: ممتنعون.

﴿هم الذين يقولون لا تُنفِقوا على مَنْ عِنـدَ رسولِ الله﴾ الآية يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، وسببه أن النبي ﷺ بعد انكفائه من غزاة بني المصطلق في شعبان سنة ست نزل على ماء المريسيع، فتنازع عليه جهجاه، وكان مسلماً وهو رجل من غفار،

(١٥) هو عمرو بن كلثوم والبيت من معلقته راجع شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري.

(١٦) ديوانه: ١٣١.

ورجل يقال له سنان، وكان من أصحاب عبد الله بن أُبي، فلطمه جهجاه، فغضب له عبد الله بن أُبّي وقال: يا معاشر الأوس والخزرج ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، أوطأنا هذا الرجلَ ديارنا وقاسمْناهم أموالَنا ولولانا لانفضوا عنه، ما لهم، رد الله أمرهم إلى جهجاه، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل، فسمعه زيد بن أرقم وكان غلاماً، فأعاده على رسول الله ﷺ فاعتذر له قومه، فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها(١٧)

﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرضين: النبات

الثاني: خزائن السموات: ما قضاه، وخزائن الأرضين: ما أعطاه.

وفيه لأصحاب الخواطر (ثالث): أن خزائن السموات: الغيوب، وخزائن الأرض القلوب.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه عنى بذكر الله [الصلاة] المكتوبة، قاله عطاء.

الثاني: أنه أراد فرائض اللّه التي فرضها من صلاة وغيرها، قاله الضحاك(١٨).

الثالث: أنه طاعة اللّه في الجهاد، قاله الكلبي.

---

(١٧) راجع سيرة ابن هشام (٣/٣٠٣).

(١٨) وقد رجحه الشوكاني (٥/٢٣٤) وذكره ابن الجوزي وجهاً في زاد المسير (٨/٢٢٧).

الرابع: أنه أراد الخوف من اللَّه عند ذكره.

﴿وَأَنفِقُوا مما رَزَقْناكُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الزكاة المفروضة من المال، قاله الضحاك.

الثاني: أنها صدقة التطوع ورفد المحتاج ومعونة المضطر.

﴿ولَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لن يؤخرها عن الموت بعد انقضاء الأجل، وهو أظهرهما.

الثاني: لن يؤخرها بعد الموت وإنما يعجل لها في القبر(*).

(*) أي يعجل لها الثواب أو العقاب في القبر على حسب العمل.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

مدنية في قول الأكثرين، وقال الضحاك: مكية، وقال الكلبي: هي مكية ومدنية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ
﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ بأنه خلقه ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ بأنه خلقه، قاله الزجاج.

الثاني: فمنكم كافر به وإن أقرّ به[١٩]، ومنكم مؤمن به.

---

(١٩) قال القرطبي (١٨/١٣٣) وقال الزجاج: وهو أحسن الأقوال والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة أن الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر.

قال الحسن: وفي الكلام محذوف وتقديره: فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسق، فحذفه لما في الكلام من الدليل عليه.

وقال غيره: لا حذف فيه لأن المقصود به ذكر الطرفين.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بالقول.

الثاني: بإحكام الصنعة وصحة التقدير.

وذكر الكلبي ثالثاً: أن معناه خلق السموات والأرض للحق.

﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني آدم خلقه بيده كرامة له، قاله مقاتل.

الثاني: جميع الخلق لأنهم مخلوقون بأمره وقضائه.

﴿فأَحْسَنَ صُوَرَكم﴾ أي فأحكمها.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

﴿... فقالوا أَبَشَرٌ يَهْدوننَا﴾ يعني أن الكفار قالوا ذلك استصغاراً للبشر أن يكونوا رسلاً من اللَّه إلى أمثالهم، والبشر والإنسان واحد في المعنى، وإنما يختلفان في اشتقاق الاسم، فالبشر مأخوذ من ظهور البشرة، وفي الإنسان وجهان:

أحدهما: مأخوذ من الإنس.

والثاني: من النسيان.

﴿فَكَفَرُوا﴾ يعني بالرسل، ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ يعني عن البرهان.

﴿واستغنى اللَّه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بسلطانه عن طاعة عباده، قاله مقاتل.

الثاني: واستغنى اللَّه بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان من زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ في قوله ﴿غَنِيٌّ﴾ وجهان:

أحدهما: غني عن صدقاتكم، قاله البراء بن عازب.

الثاني: عن عملكم، قاله مقاتل.

وفي ﴿حميد﴾ وجهان:

أحدهما: يعني مستحمداً إلى خلقه بما ينعم به عليهم، وهو معنى قول عليّ.

الثاني: إنه مستحق لحمدهم.

وحكي عن ابن عباس فيه ثالث: معناه يحب من عباده أن يحمدوه.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ
﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ
يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ
سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ
ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿زَعَمَ الذين كَفَروا﴾ قال شريح زعموا كُنْيَةُ الكذب[٢٠].

﴿يومَ يَجْمَعُكم ليومِ الجمْع﴾ يعني يوم القيامة، ومن تسميته بذلك وجهان:

أحدهما: لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأمته.

الثاني: لأنه يجمع فيه بين الظالمين والمظلومين.

ويحتمل ثالثاً: لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي.

---

(٢٠) وفي الحديث «بئس مطية القوم زعموا» رواه أبو داود (٤٩٧٢) والبخاري في الأدب (٧٦٢) والطحاوي (١/٦٨) وفي هذا المجال قال بعضهم «وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة زعموا وإن كانت في اللغة قد تأتي بمعنى قال كما هو معلوم ولذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم مثل قوله تعالى ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ ثم أتبع ذلك بقوله ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ ونحو ذلك من الآيات أ هـ راجع أيضاً شرح السنة للبغوي (٣/٤١٣) ومشكل الآثار للطحاوي.

﴿ذلك يومُ التغابُنِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه من أسماء يوم القيامة، ومنه قول الشاعر[٢١]:

وما أُرْتَجي بالعيش من دارِ فُرْقةٍ ألا إنما الراحــاتُ يوم التغابنِ

الثاني: لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، قال الشاعر:

لعمرك ما شيءُ يفوتُــك نيلُه بغبْنٍ ولكنْ في العقول التغابنُ

الثالث: لأنه يوم غَبَنَ فيه المظلومُ الظالمَ، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غابناً.

ويحتمل رابعاً: لأنه اليوم الذي أخفاه اللّهُ عن خَلْقه، والغبن الإخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه، ولذلك قيل مَغابِن الجسد لما خفي منه.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ما أصابَ مِنْ مُّصيبةٍ﴾ من نفس أو مالٍ أو قول أو فعل يقتضي همًّا أو يوجب عقاباً عاجلاً أو آجلاً.

﴿إلا بإذْنِ اللّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا بأمر اللّه.

الثاني: إلا بحكم اللّه تسليماً لأمره وانقياداً لحكمه.

﴿ومَن يُؤْمِن باللّه يَهْدِ قلبَهُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه يهدي قلبه اللّه تعالى.

الثاني: أنه يعلم أنه من عند اللّه ويرضى ويسلّم، قاله بشر.

الثالث: أن يسترجع فيقول: إنّا للّه وإنا إليه راجعون.

الرابع: هو إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظُلم غفر، قاله الكلبي.

(٢١) القرطبي (١٨/١٣٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنّ مِنْ أزْواجِكم وأوْلادِكم عَدوّاً لكم﴾.

فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه أراد قوماً أسلموا بمكة فأرادوا الهجرة فمنعهم أزواجهم وأولادهم منها وثبطوهم عنها، فنزل ذلك فيهم؛ قاله ابن عباس[٢٢].

الثاني: من أزواجكم وأولادكم من لا يأمر بطاعة اللّه ولا ينهى عن معصيته، قاله قتادة.

الثالث: أن منهم من يأمر بقطيعة الرحم ومعصية الرب، ولا يستطيع مع حبه ألاّ يطيعه، وهذا من العداوة؛ قاله مجاهد.

وقال مقاتل بن سليمان: نبئت أن عيسى عليه السلام قال: من اتخذ أهلاً ومالاً وولداً كان للدنيا عبداً[٢٣].

الرابع: أن منهم من[٢٤] هو مخالف للدين، فصار بمخالفة الدين عدواً، قاله ابن زيد.

---

(٢٢) رواه الترمذي (٣٣١٤) وصححه وزاد السيوطي في الدر (١٨٤/٨) نسبته لابن أبي حاتم وابن جرير (١٣٤/٢٨) والطبراني والحاكم وصححه (٤٩٠/٤) ووافقه الذهبي وابن مردويه وابن المنذر وعبد بن حميد والفريابي.

(٢٣) وعلى هذا القول إن لم يتق الله فيهم ويعلمهم ويحسن أدبهم ويربيهم على الكتاب والسنة أما إذا انشغل بهم عن طاعة الله كأن يقصر في فرائض الله تعالى أو يرتكب المحرمات من أجلهم فسيؤول به الأمر لما قال نبي الله عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢٤) قال الإمام أبو بكر بن العربي هذا بيـن وجه العداوة فإن العدو لم يكن عدواً لذاته وإنما عدواً بفعله فإذا

الخامس: أن من حملك منهم على طلب الدنيا والاستكثار منها كان عدواً لك، قاله سهل.

وفي قوله ﴿فاحذروهم﴾ وجهان:

أحدهما: فاحذروهم على دينكم؛ قاله ابن زيد.

الثاني: على أنفسكم، وهو محتمل.

﴿وإن تعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا﴾ الآية. يريد بالعفو عن الظالم، وبالصفح عن الجاهل، وبالغفران للمسيء.

﴿فإنّ اللَّه غفورٌ﴾ للذنب ﴿رحيم﴾ بالعباد، وذلك أن من أسلم بمكة ومنعه أهله من الهجرة فهاجر ولم يمتنع قال:

لئن رجعت لأفعلنّ بأهلي ولأفعلنّ، ومنهم من قال: لاينالون مني خيراً أبداً، فلما كان عام الفتح أُمِروا بالعفو والصفح عن أهاليهم، ونزلت هذه الآية فيهم.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بلاء، قاله قتادة.

الثاني: محنة، ومنه قول الشاعر[٢٥]:

لقد فتن الناس في دينهم وخلّىّ ابنُ عفان شرّاً طويلاً

وفي سبب افتتانه بهما وجهان:

أحدهما: لأنه يلهو بهما عن آخرته ويتوفر لأجلهما على دنياه.

الثاني: لأنه يشح لأجل أولاده فيمنع حق اللَّه من ماله، لذلك قال النبي ﷺ[٢٦]: «الولد مبخلة محزنة مجبنة».

فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة. نقله القرطبي (١٨/١٤).

(٢٥) القرطبي (١٨/١٤٣).

(٢٦) رواه أبو يعلى والبزار كما في مجمع الزوائد (٨/١٥٥) وقال الإمام الهيثمي: فيه عطية العوفي وهو ضعيف.

قلت: وزاد الحافظ ابن حجر نسبته في المطالب العالية (٣/٣٩) لأبي بكر بن أبي شيبة والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم: ٧١٦٠.

﴿واللّه عنده أجْرٌ عظيمٌ﴾قال أبو هريرة والحسن وقتادة وابن جبير: هي الجنة.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يكون أجرهم في الآخرة أعظم من منفعتهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا، فلذلك كان أجره عظيماً.

﴿فاتّقوا اللّه ما اسْتطعتم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهدكم، قاله أبو العالية.

الثاني: أن يطاع فلا يعصى، قاله مجاهد.

الثالث: أنه مستعمل فيما يرجونه به من نافلة أو صدقة، فإنه لما نـزل قولـه تعالى: ﴿اتّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾اشتد على القوم فقاموا(*) حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل اللّه تعالى ذلك تخفيفاً ﴿فاتقوا اللّه ما استطعتم﴾ فنسخت الأولى، قاله ابن جبير(٢٧).

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المكْرَه على المعصية غير مؤاخذ بها لأنه لا يستطيع اتقاءها(٢٨).

﴿واسْمَعوا﴾ قال مقاتل: كتاب اللّه إذا نزل عليكم.

﴿وأطيعوا﴾ الرسول فيما أمركم أو نهاكم(٢٩)، قال قتادة: عليها بويع النبي ﷺ على السمع والطاعة.

﴿وأنفِقوا خيْراً لأنفُسِكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هي نفقة المؤمن لنفسه، قاله الحسن.

الثاني: في الجهاد، قاله الضحاك.

الثالث: الصدقـة، قاله ابن عباس.

﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلِحونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: هوى نفسه، قاله ابن أبي طلحة.

(*) أي قاموا في الصلاة.

(٢٧) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (١٨٦/٨) ونقله ابن كثير (٣٧٧/٤)

(٢٨) أقول «ولكن يستدل من الآية التي في سورة النحل على أن المكره لا يؤاخذ إذ هي صريحة في ذلك «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان».

(٢٩) قال الحافظ ابن كثير (٣٧٧/٤) قوله تعالى ﴿واسمعوا وأطيعوا﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسره ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم.

الثاني: الظلم، قاله ابن عيينة.

الثالث: هو منع الزكاة، قال ابن عباس: من أعطى زكاة ماله فقد وقاه الله شح نفسه.

﴿إن تُقْرِضوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: النفقة في سبيل اللَّه، قاله عمر رضي اللَّه عنه.

الثاني: النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: أنه قول سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، رواه ابن حبان.

وفي قوله ﴿حَسَناً﴾ وجهان محتملان:

أحدهما: أن تطيب بها النفس(*).

الثاني: أن لا يكون بها ممتناً.

﴿يُضاعفْه لكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالحسنة عشر أمثالها، كما قال تعالى في التنزيل(٣٠).

الثاني: إلى ما لا يحد من تفضله، قاله السدي.

﴿ويَغْفِرْ لكم﴾ يعني ذنوبكم.

﴿واللَّهُ شكورٌ حليمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يشكر لنا القليل من أعمالنا وحليم لنا في عدم تعجيل المؤاخذة بذنوبنا.

الثاني: شكور على الصدقة حين يضاعفها، حليم في أن لا يعجل بالعقوبة من [تحريف(٣١)] الزكاة عن موضعها، قاله مقاتل.

﴿عالِمُ الغَيْبِ والشهَادةِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: السر والعلانية.

الثاني: الدنيا والآخرة.

(*) يعني بالإنفاق.

(٣٠) كما في قوله ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ سورة الأنعام.

(٣١) ويكون ذلك بنقصانها أو إعطائها لمن لا يستحق وهو يعلم أو بالرياء أو بالمن أو بالأذى مما يعرض المزكي لفساد في دينه وثينته.

سورة الطلاق

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي إذا طَلّقْتُمُ النّساءَ**﴾ الآية. هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ [فهو شامل لأمته فروى قتادة عن أنس قال[٣٢]: «طلق رسول الله ﷺ حفصة رضي الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه: ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساءَ فطلِّقوهُنَّ لعدَّتهنَّ**﴾ وقيل له راجعها فإنها قوّامة صوّامة، وهي من أزواجك في الجنة».] ﴿**لعدتهن**﴾ يعني في طهر من غير جماع، وهو طلاق السنة.

وفي اعتبار العدد في طلاق السنة قولان:

أحدهما: أنه معتبر وأن من السنة أن يطلق في كل قرء واحدة، فإن طلقها ثلاثاً معاً في قرء كان طلاق بدعة، وهذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله.

(٣٢) رواه ابن أبي حاتم وساقه ابن كثير في التفسير (٤/٣٧٧) ورواه ابن جرير (١٣٢/٢٨) عن ابن بشار عن ابن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلاً قال الحافظ ابن كثير «وقد ورد من غير وجه أن الرسول ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

الثاني: أنه غير معتبر، وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده، فإن طلقها ثلاثاً في قرء كان غير بدعة، قاله الشافعي رحمه الله، وقد روي أن النبي[٣٣] ﷺ كان يقرأ: فطلّقوهن لِقُبُلِ عدّتهن. وإن طلقها حائضاً أو في طهر جماع كان بدعة، وهو واقع، وزعم طائفة أنه غير[٣٤] واقع لخلاف المأذون فيه فأما طلاق الحامل وغير المدخول بها والصغيرة واليائسة[*] والمختلعة فلا سنة فيه ولا بدعة.

ثم قال تعالى: ﴿وأَحْصُوا العِدَّةَ﴾ يعني في المدخول بها، لأن غير المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة، ويكون بعدها كأحد الخطاب، ولا تحل له في الثلاث إلا بعد زوج.

﴿واتَّقوا اللَّهَ ربَّكم﴾ يعني في نساءكم المطلقات.

﴿لا تُخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ يعني في زمان عدّتهن، لوجود السكنى لهن.

﴿إلَّا أَنْ يأتِينَ بفاحشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الفاحشة يعني الزنى، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، قاله ابن عمر والحسن ومجاهد.

والثاني: أنه البذاء[*] على أحمائها، وهذا قول عبدالله بن عباس والشافعي.

الثالث: كل معصية للَّه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أن الفاحشة خروجهن، ويكون تقدير الآية: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن، قاله السدي.

﴿وتلك حُدودُ اللَّهِ﴾ يعني وهذه حدود اللَّه، وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني طاعة اللَّه، قاله ابن عباس.

الثاني: سنَّة اللَّه وأمره، قاله ابن جبير.

---

(٣٣) رواه مالك (٢/٥٨٧) عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه ابن الأنباري عن ابن عمر موقوفاً الدر (٨/١٩٠).

(٣٤) هذا الموضوع أشبعه العلماء بحثاً ودراية في كتب الفقه مكثرين من الاستدلالات الواضحة من السنة النبوية الشريفة وما ورد في البحث من الآثار النفيسة في أثر عن السلف الصالح.

(*) وهي التي بلغت سن اليأس لكبر سنها ولم تعد تحيض.

(*) هو أن يطول لسانها على أقارب زوجها كحماتها.

الثالث: شروط اللّه، قاله السدّي.

﴿ومَنْ يَتَعَدَّ حُدودَ اللّهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: من لم يرض بها، قاله ابن عباس.

الثاني: من خالفها، قاله ابن جبير.

﴿فقدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فقد ظلم نفسه في عدم الرضا، باكتساب المأثم.

الثاني: في وقوع الطلاق في غير الطهر للشهور لتطويل هذه العدة والإضرار بالزوجة.

﴿لا تدري لعلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْد ذلك أمْراً﴾ يعني رجعة، في قول جميع المفسرين إن طلق دون الثلاث.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

﴿فإذا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ﴾ يعني قاربْن انقضاء عدتهن.

﴿فأمْسِكُوهُنَّ بمعروفٍ﴾ يعني بالإمساك الرجعة.

وفي قوله ﴿بمعروف﴾ وجهان:

أحدهما: بطاعة اللّه في الشهادة، قاله مقاتل.

الثاني: أن لا يقصد الإضرار بها في المراجعة تطويلاً لعدتها. ﴿أو فارِقوهنَّ بمعروفٍ﴾ وهذا بأن لا يراجعها في العدة حتى تنقضي في منزلها.

﴿وأشْهِدوا ذَوَيْ عَدْلٍ منكم﴾ يعني على الرجعة في العدة، فإن راجع من غير شهادة ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء(٣٥).

---

(٣٥) والإشهاد مشروع وقد روى أبو داود (٤١٨٦) وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه

﴿ومن يتّقِ اللَّهَ يَجْعَل له مَخْرَجاً﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المخرج علمه بأنه من قبل اللَّه، فإن اللَّه هو الذي يعطي ويمنع، قاله مسروق.

الثالث: أن المخرج هو أن يقنعه اللَّه بما رزقه، قاله عليّ بن صالح.

الرابع: مخرجاً من الباطل إلى الحق، ومن الضيق إلى السعة، قاله ابن جريج.

الخامس: ومن يتق اللَّه بالطلاق يكن له مخرج في الرجعة في العدة، وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة، قاله الضحاك.

والسادس: ومن يتق اللَّه بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله الكلبي.

السابع: أن عوف بن مالك الأشجعي أُسِر(٣٦) ابنُه عوف، فأتى رسول اللَّه ﷺ فشكا إليه ذلك مع ضر أصابه، فأمره أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه، ثم قدم عوف فوقف على أبيه يناديه وقد ملأ الأقبال(*) إبلاً، فلما رآه أتى رسول اللَّه ﷺ فأخبره وسأله عن الإبل فقال: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَن يتق اللَّه يجعل له مخرجاً﴾ الآية، فروى الحسن عن عمران بن حصين قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من انقطع إلى اللَّه كفاه اللَّه كل مؤونة ورزقه اللَّه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله اللَّه إليها».

﴿إنَّ اللَّهَ بالِغُ أمْرِهِ﴾ قال مسروق: إن اللَّه قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن

سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال: طلقت بغير سنة؛ وراجعت بغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام.

(٣٦) رواه الطبري (١٣٨/٢٨) عن السدي ورواه (١٣٨/٢٨) عن سالم بن أبي الجعد مرسلاً وذكره ابن هشام في السيرة وهو السياق الذي أورده المؤلف هنا وقد أورده ابن كثير (٣٨٠/٤).

(*) الأقبال جمع قبل وهو سفح الجبل.

لم يتوكل عليه، إلا أنَّ مَنْ توكّل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

﴿قد جَعَل اللّه لكل شيء قدْراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ـ يعني وقتاً وأجلاً، قاله مسروق.

الثاني: منتهى وغاية، قاله قطرب والأخفش.

الثالث: مقداراً واحداً، فإن كان من أفعال العباد كان مقدراً بأوامر اللّه، وإن كان من أفعال اللّه ففيه وجهان:

أحدهما: بمشيئته.

الثاني: أنه مقدر بمصلحة عباده.

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

﴿واللائي يَئِسْنَ مِن المحيْض مِن نِسائِكُمْ إن ارْتَبْتُم فعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشْهُرٍ﴾ في الريبة ها هنا قولان:

أحدهما: إن ارتبتم فيهن بالدم الذي يظهر منهن لكبرهن فلم تعرفوا أحيض هو أم استحاضة، فعدتهن ثلاثة أشهر، قاله مجاهد والزهري.

الثاني: إن ارتبتم بحكم عِددهـن فلم تعلموا بماذا يعتددن، فعدتهن ثـلاثة أشهر.

روى عمر بن سالم(٣٧) عن أبيّ بن كعب قال: قلت: يا رسول اللّه إنّ ناساً من أهل المدينة لما نزلت الآيات التي في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكرن في القرآن الصغار والكبار اللاتي قـد انقطع عنهن الحيض وذوات

(٣٧) رواه الطبري (١٤١/٢٨) والحاكم (٤٩٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٢٠١/٨) نسبته لاسحاق راهويه وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

الحمل، فأنزل اللَّه: ﴿**اللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر**﴾.

﴿**واللائي لم يَحِضْنَ**﴾ يعني كذلك عدتهن ثلاثة أشهر، فجعل لكل قرء شهراً، لأنها تجمع في الأغلب حيضاً وطهراً.

﴿**وأُولاتُ الأَحْمالِ أَجلُهنَّ أن يَضَعْنَ حَملَهُنَّ**﴾ فكانت عدة الحامل وضع حملها في الطلاق والوفاة.

﴿**ومَن يتّقِ اللَّهَ يَجْعَل له مِنْ أمْرِهِ يُسْراً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من يتقه في طلاق السنة يجعل له من أمره يسراً في الرجعة، قاله الضحاك.

الثاني: من يتق اللَّه في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة، وهذا معنى قول مقاتل.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿**أسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكم**﴾ يعني سكن الزوجة مستحق على زوجها مدة نكاحها وفي عدة طلاقها بائناً كان أو رجعياً.

وفي قوله: ﴿**من وجدكم**﴾ أربعة أوجه:

أحدها: من قوتكم، قاله الأعمش.

الثاني: من سعيكم، قاله الأخفش.

الثالث: من طاقتكم، قاله قطرب.

الرابع: مما تجدون، قاله الفراء، ومعانيها متقاربة. ﴿**ولا تُضارُّوهُنّ لِتُضَيِّقُوا عليهنّ**﴾ فيه قولان:

أحدهما: في المساكن، قاله مجاهد.

الثاني: لتضيقوا عليهن في النفقة، قاله مقاتل. فعلى قول مجاهد أنه التضييق في المسكن فهو عام في حال الزوجية وفي كل عدة، لأن السكنى للمعتدة واجبة في كل عدة في طلاق يملك فيه الرجعة أو لا يملك.

وفي وجوبه في عدة الوفاة قولان(٣٨)؛

وعلى قول مقاتل أنه التضييق في النفقة فهو خاص في الزوجة وفي المعتدة من طلاق رجعي.

وفي استحقاقها للمطلقة البائن قولان:

أحدهما: لا نفقة للبائن في العدة، وهو مذهب مالك والشافعي رحمهما اللّه.

الثاني: لها النفقة، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه اللّه.

﴿وإن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنفِقوا عليهنّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وهذا في نفقة المطلقة الحامل لأنها واجبة لها مدة حملها في قول الجميع سواء كان طلاقاً بائناً أم رجعياً، وإنما اختلفوا في وجوب النفقة لها هل استحقته بنفسها إن كانت بـائناً أو بحملها على قولين.

﴿فإن أَرْضَعْنَ لكم فآتوهُن أُجورَهُنّ﴾ وهذا في المطلقة إذا أرضعت فلها على المطلق أجرة رضيعها لأن نفقته ورضاعه واجب على أبيه دونها، ولا أجرة لها إن كانت على نكاحه.

﴿وائْتَمِروا بَيْنكم بمعْروف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله السدي(٣٩).

الثاني: تراضوا يعني أبوي الولد يتراضيان بينهما إذا وقعت الفرقة بينهما بمعروف في أجرتها على الأب ورضاعها للولد.

﴿وإن تعاسرتم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تضايقتم وتشاكستم، قاله ابن قتيبة.

---

(٣٨) اي قول بالوجوب وقول بعدمه.

(٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة وقد أكملنا النقص من تفسير الطبري (١٤٨/٢٨) ولفظه «اصنعوا بالمعروف فيما بينكم» وفي المخطوطة كلام مضطرب في سطرين.

الثاني: اختلفتم.

﴿فسترضعُ له أخرى﴾ واختلافهما نوعان:

أحدهما: في الرضاع.

الثاني: في الأجر.

فإن اختلفا في الرضاع فإن دعت إلى إرضاعه فامتنع الأب مكّنت منه جبراً، وإن دعاها الأب إلى إرضاعه فامتنعت، فإن كان يقبل ثدي غيرها لم تجبر على إرضاعه ويسترضع له غيرها، وإن كان لا يقبل ثدي غيرها أجبرت على إرضاعه بأجر مثلها.

وإن اختلفا في الأجر فإن دعت إلى أجر مثلها وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أَوْلى بأجر المثل إذا لم يجد الأب متبرعاً.

وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم شططاً فالأب أولى به، فإذا أعسر الأب بأجرتها أخذت جبراً برضاع ولدها.

﴿. . لا يُكلِّفُ اللَّه نفساً إلا ما آتاها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يكلف اللَّه الأب نفقة المرضع إلا بحسب المكنة، قاله ابن جبير.

الثاني: لا يكلفه اللَّه أن يتصدق ويزكي وليس عنده مال مصدق ولا مزكى، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه لا يكلفه فريضة إلا بحسب ما أعطاه اللَّه من قدرته، وهذا معنى قول مقاتل.

﴿سيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني بعد ضيق سعة.

الثاني: بعد عجز قدرة.

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾

﴿قد أنزَلَ اللَّهُ إليكم ذِكْراً * رَسولاً﴾ الذكر القرآن، وفي الرسول قولان:

أحدهما: جبريل، فيكونان جميعاً منزلين، قاله الكلبي.

الثاني: أنه محمد ﷺ، فيكون تقدير الكلام: قد أنزل اللَّه إليكم ذكراً وبعث إليكم رسولاً.

﴿يتلوا عليكم آيات اللَّه﴾ يعني القرآن، قال الفراء: نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

﴿مُبَيِّناتٍ ليُخْرِجَ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصالِحَاتِ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

الثاني: من ظلمة المنسوخ إلى ضياء الناسخ.

الثالث: من ظلمة الباطل إلى ضياء الحق.

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

﴿اللَّهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ﴾ لا اختلاف بينهم في السموات السبع أنها سماء فوق سماء.

ثم قال ﴿ومِنَ الأَرْضِ مِثْلَهنّ﴾ يعني سبعاً(٤٠)، واختلف فيهن على قولين:

أحدهما: وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، وجعل في كل أرض من خلقه من شاء، غير أنهم تقلّهم أرض وتظلهم أخرى، وليس تظل السماء إلا أهل الأرض العليا التي عليها عالمنا هذا، فعلى هذا تختص دعوة الإسلام

(٤٠) روى الطبري (٢٨/١٥٣) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٦ عن ابن مسعود موقوفاً وسنده حسن ولفظه «خلق الله سبع سموات غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام وفوق السموات الماء والله جل ثناؤه فوق الماء ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم والأرض سبع وبين كل أرضين خمسمائة عام وغلظ كل أرض خمسمائة عام.

بأهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز.

وفي مشاهدتهم السماء واستمداد الضوء منها قولان:

أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة.

والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وإن اللَّه خلق لهم ضياء يستمدونه، وهذا قول من جعل الأرض كالكرة.

القول الثاني: حكاه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينهن البحار وتظل جميعهن السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل هذه الأرض وصول للأخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمت لكان النص بها وارداً ولكان الرسول بها مأموراً، واللَّه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه.

ثم قال تعالى ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الوحي، قاله مقاتل، فعلى هذا يكون قوله ﴿بينهن﴾ إشارة إلى ما بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها.

الوجه الثاني: أن المراد بالأمر قضاء اللَّه وقدره، وهو قول الأكثرين، فعلى هذا يكون المراد بقوله «بينهن» الإشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها.

ثم قال ﴿لِيَعْلَموا أنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قديرٌ﴾ لأن من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكنْ، وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته.

﴿وأنَّ اللَّه قد أحاط بكل شيءٍ عِلْماً﴾ أوجب التسليم بما تفرد به من العلم كما أوجب التسليم بما تفرد به من القدرة، ونحن نستغفر اللَّه من خوض فيما اشتبه وفيما التبس وهو حسب من استعانه ولجأ إليه.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

مدنية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ
فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ
بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ
بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا
إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ
يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: **﴿يا أيها النبيُّ لم تُحرِّمُ ما أحلَّ اللَّهُ لَكَ﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها، قاله ابن عباس[٤١].

والثاني: أنه عسل شربه النبي ﷺ عند بعض نسائه، واختلف فيها فروى عروة

(٤١) رواه ابن أبي حاتم وابن مردوية وضعفه السيوطي في الدر (٢١٨/٨).

عن(٤٢) عائشة أنه شربه عند حفصة وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس(٤٣) أنه شربه عند سودة. وروى أسباط عن السدي أنه شربه عند أم سلمة، فقال يعني نساؤه عدا من شرب ذلك عندها: إنا لنجد منك ريح المغافير(*)، وكان يكره أن يوجد منه الريح، وقلن له: جَرَسَتْ(*) نحله العُرفُط، فحرّم ذلك على نفسه، وهذا قول من ذكرنا.

الثالث: أنها مارية أم إبراهيم خلا بها رسول اللّه ﷺ في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي ﷺ فحرمها على نفسه إرضاء لحفصة، وأمرها أن لا تخبر أحداً من نسائه، فأخبرت به عائشة المصافاة كانت بينهما وكانتا تتظاهران على نساء النبي ﷺ أي تتعاونان، فحرّم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وكان جعل على نفسه أن يُحرّمهن شهراً، فأنزل اللّه هذه الآية، فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه، قاله الحسن وقتادة والشعبي ومسروق والكلبي وهو ناقل السيرة.

واختلف من قال بهذا، هل حرّمها على نفسه بيمين آلى بها أم لا، على قولين:

أحدهما: أنه حلف يميناً حرّمها بها، فعوتب في التحريم وأُمر بالكفارة في اليمين، قاله الحسن وقتادة والشعبي.

الثاني: أنه حرّمها على نفسه من غير يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس.

﴿قد فَرَضَ اللّهُ لكم تَحِلَّةَ أيْمانِكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قد بيّن اللّه لكم المخرج من أيمانكم.

---

(٤٢) رواه البخاري (١١/٢٩٥ ـ ٢٩٧) ومسلم (٢/١١٠١).

(٤٣) رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وابن المنذر بسند صححه السيوطي في الدر (٨/٢١٣) وقال الحافظ في الفتح (١١/٢٩٢) وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة......

والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة لأنه طريق عبيد بن عمير أثبت من طرق ابن أبي مليكة بكثير ا هـ.

(*) المغافير: شي شبيه بالصمغ فيه حلاوة قاله ابو عبيد ونقله ابن الجوزي في زاد المسير.(٨/٣٠٥).

(*) جرست نحله العرفط: اي رعت نحل هذا العسل الذي شربته يقال جرست النحل تجرس جرساً إذا أكلت لتعسل ويقال للنحل جراس، والعرفط هو شجر ينضج الصمغ المعروف بالمغافير.

الثاني: قد قدر الله لكم الكفارة في الحنث في أيمانكم.

﴿وإذْ أسَرَّ النبيُّ إلى بَعْضِ أزْواجِهِ حَديثاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أسَرَّ إلى حفصة تحريم ما حرمه على نفسه، فلما ذكرته لعائشة وأطلع الله نبيه على ذلك عرّفها بعض ما ذكرت، وأعرض عن بعضه، قاله السدي.

الثاني: أسرّ إليها تحريم مارية، وقال لها: اكتميه عن عائشة وكان يومها منه، وأُسِرّك أن أبا بكر الخليفة من بعدي، وعمر الخليفة من بعده، فذكرتها لعائشة، فلما أطلع الله نبيه ﴿عرّف بعضه وأعرض عن بعض﴾ فكان الذي عرف ما ذكره من التحريم، وكان الذي أعرض عنه ما ذكره من الخلافة لئلا ينتشر، قاله الضحاك(٤٤). وقرأ الحسن: «عَرَف بعضه» بالتخفيف(٤٥)، وقال الفراء: وتأويل قوله: عرف بعضه بالتخفيف أي غضب منه وجازى عليه، ﴿إن تَتوبا إلى اللهِ فقدْ صَغَتْ قلوبُكما﴾ يعني بالتوبة اللتينِ تظاهرتا وتعاونتا من نساء النبي ﷺ على سائرهن وهما عائشة وحفصة.

وفي «صغت» ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني زاغت، قاله الضحاك.

الثاني: مالت، قاله قتادة، قال الشاعر:

تُصْغِي القلوبُ إلى أغَرَّ مُبارَكٍ مِن نَسْلِ عباس بن عبد المطلب

والثالث: أثمت، حكاه ابن كامل.

وفيما أوخذتا بالتوبة منه وجهان:

أحدهما: من الإذاعة والمظاهرة.

الثاني: من سرورهما بما ذكره النبي ﷺ من التحريم، قاله ابن زيد.

﴿وإن تَظَاهَرا عليه﴾ يعني تعاونا على معصية رسول الله ﷺ.

﴿فإن الله هو مولاه﴾ يعني وليه ﴿وجبريل﴾ يعني وليه أيضاً.

---

(٤٤) رواه الضحاك عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه كما في الفتح (١١/٢٠٠) وقال الحافظ ابن حجر في سنده ضعف قلت وهو مخالف للأحاديث الصحيحة إذ ليس فيها التصريح بإمارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإلا لما حصل نزاع بين الصحابة في ذلك ولكن الأحاديث تشير بمجموعها على أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله أبو بكر رضي الله عنه راجع فتح القدير للشوكاني (٥/٢٥٣).

(٤٥) وهي قراءة الكسائي وحده زاد المسير (٨/٣٠٩) السبعة لابن مجاهد ٦٤.

﴿وصالحُ المؤمنين﴾ فيهم خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، قاله قتادة وسفيان.

الثاني: أبو بكر وعمر، قال الضحاك وعكرمة: لأنهما كانا أبوي عائشة وحفصة وقد كانا عوناً له عليهما.

الثالث: أنه عليّ(٤٦).

الرابع: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله السدي.

الخامس: أنهم الملائكة، قاله ابن زيد.

ويحتمل سادساً: أن صالح المؤمنين من وقى دينه بدنياه.

﴿والملائكةُ بعْدَ ذلك ظهيرٌ﴾ يعني أعواناً للنبي ﷺ، ويحتمل تحقيق تأويله وجهاً ثانياً: أنهم المستظهر بهم عند الحاجة إليهم.

﴿عَسى ربُّه إن طَلّقكُنّ أن يُبدِلَه أَزْواجاً خيراً مِنكُنَّ﴾ أما نساؤه فخير نساء الأمّة.

وفي قوله ﴿خَيْراً مِّنكُنَّ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أطوع منكن.

والثاني: أحب إليه منكن.

والثالث: خيراً منكن في الدنيا، قاله السدي.

﴿مُسْلِماتٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني مخلصات، قاله ابن جبير ونرى ألا يستبيح الرسول إلا مسلمة.

الثاني: يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة كثيراً، قاله السدي.

الثالث: معناه مسلمات لأمر اللّه وأمر رسوله، حكاه ابن كامل.

﴿مؤمناتٍ﴾ يعني مصدقات بما أُمرْن به ونُهين عنه.

﴿قانتاتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مطيعات.

الثاني: راجعات عما يكرهه اللّه إلى ما يحبه.

---

(٤٦) قال العلامة الألوسي (١٥٤/٢٨) وأنا أقول العموم أولى وهما [أبو بكر وعمر] وكذا علي كرم الله وجهه يدخلان دخولاً أدبياً.

﴿تائباتٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من الذنوب ، قاله السدي .

الثاني : راجعات لأمر الرسـول تاركـات لمحاب أنفسهن .

﴿عـابداتٍ﴾ فيـه وجهان :

أحدهما : عابدات لله ، قاله السدي .

الثاني : متذللات للرسول بالطاعة ، ومنه أخذ اسم العبد لتذلله ، قاله ابن بحر .

﴿سائحاتٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : صائمات ، قاله ابن عبـاس والحسن وابن جبير .

قال ابن قتيبة : سمي الصائم سائحاً لأنه كالسائح في السفر بغير زاد .

وقال الزهري : قيل للصائم سائح لأن الذي كان يسيح في الأرض متعبداً لا زاد معه كان ممسكاً عن الأكل ، والصـائم يمسك عن الأكـل ، فلهذه المشـابهة سمي الصائم سائحاً ، وإن أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذي يسيـح ، والصائم مستمـر على فعل الـطاعة وتـرك المشتهى ، وهو الأكـل والشرب والوقاع .

وعندي فيه وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه أبواب الشهوات انفتحـت عليه أبواب الحكم وتجلت له أنوار المتنقلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة فتحصل له سياحة في عالم الروحانيات .

الثاني : مهاجرات لأنهن بسفر الهجرة سائحات ، قاله زيد بن أسلم .

﴿ثيّباتٍ وأبْكاراً﴾ أما الثيب فإنما سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها ، أو إلى غيره إن فارقها ، وقيل لأنها ثابَتْ إلى بيت أبويها ، وهذا أصح لأنه ليس كل ثيّـب تعود إلى زوج .

وأما البكر فهي العذراء سميت بكراً لأنها على أول حالتها التي خلقت بها .

قال الكلبي : أراد بالثيب مثل آسية امرأة فرعون ، والبكر مثل مريم بنت عمران .

روى خداش(٤٧) عن حميد عن أنس قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في

(٤٧) جاء مكان هذه العبارة كلمتان مطموستان في الأصل والعبارة منقولة من جامع الاصول .

ثلاث، قلت: يا رسول اللَّه لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول اللَّه إنك يدخل إليك البرُّ والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل اللَّه آية الحجاب، وبلغني عن أمهات المؤمنين شيء [فدخلت عليهن فقلت]: لتَكُفُّنَّ عن رسول اللَّه أو ليبدلنه اللَّه أزواجاً خيراً منكن حتى دخلت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول(٤٨) اللَّه ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأمسكت فأنزل اللَّه تعالى: ﴿عسى ربُّه إن طلّقكنّ﴾ الآية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفُسَكم وأهْليكم ناراً﴾ قال خيثمة: كل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا ففي التوراة يا أيها المساكين.

وقال ابن مسعود: إذا قال اللَّه يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

وقال الزهري: إذا قال اللَّه تعالى: يا أيها الذين آمنوا افعلوا، فالنبي منهم.

ومعنى قوله: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ أي اصرفوا عنها النار، ومنه قول الراجز:

ولو توقى لوقاه الواقي ... وكيف يوقى ما الموت لاقي

(٤٨) روى نحوه البخاري (٨/٤٢٣) ومسلم (٢٣٩٩).

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه قوا أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم ناراً، قاله الضحاك.

الثاني: قوا أنفسكم ومروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيكم اللَّه بهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الثالث: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم، قاله علي وقتادة ومجاهد.

وفي الوصية التي تقيهم النار ثلاثة أقاويل:

أحدها: يأمرهم بطاعة اللَّه وينهاهم عن معصيته، قاله قتادة.

الثاني: يعلمهم فروضهم ويؤدبهم في دنياهم، قاله علي.

الثالث: يعلمهم الخير ويأمرهم به، ويبين لهم الشر، وينهاهم عنه.

قال مقاتل: حق ذلك عليه في نفسه وولده وعبيده وإمائه.

﴿وَقودها النّاسُ والحجارةُ﴾ في ذكر الحجارة مع الناس ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الحجارة التي عبدوها، حتى يشاهدوا ما أوجب مصيرهم إلى النار، وقد بين اللَّه ذلك في قوله **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾**.

الثاني: أنها حجارة من كبريت وهي تزيد في وقودها النار وكان ذكرها زيادة في الوعيد والعذاب، قاله ابن مسعود ومجاهد.

الثالث: أنه ذكر الحجارة ليعلموا أن ما أحرق الحجارة فهو أبلغ في إحراق الناس.

روى ابن أبي زائدة قال: بلغني أن رسول اللَّه ﷺ تلا هذه الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾** الآية، وعنده بعض أصحابه، ومنهم شيخ، فقال الشيخ: يا رسول اللَّه حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال: والذي نفسي بيده لصخرة من جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها، فوقع الشيخ مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي، فقال: يا شيخ قل لا إله إلا اللَّه، فقال بها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول اللَّه أمِن بيننا؟ قال: نعم لقول اللَّه تعالى: **﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾**.

﴿عليها ملائكة غِلاظٌ شدادٌ﴾ يعني غلاظ القلوب، شداد الأفعال وهم الزبانية.

﴿لا يعْصُون اللَّه ما أمرهم﴾ أي لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان.

﴿ويَفْعلون ما يُؤْمَرونَ﴾ يعني في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.

﴿يا أيها الذين آمنوا تُوبوا إلى اللَّه تَوْبةً نَصوحاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن التوبة النصوح هي الصادقة الناصحة، قاله قتادة.

الثاني: أن النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره، قاله الحسن.

الثالث: أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها.

الرابع: أن النصوح هي التي لا يحتاج معها إلى توبة.

الخامس: أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبداً، قاله عمر بن الخطاب(٩٦).

وهي على هذه التأويلات مأخوذة من النصاحة(*) وهي الخياطة.

وفي أخذها منها وجهان:

أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه.

الثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء اللَّه وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض.

ومنهم من قرأ نُصوحاً بضم(٥٠) النون، وتأويلها على هذه القراءة توبةَ نُصْح لأنفسكم، ويروي نعيم(٥١) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم بضالَّته يجدها بأرض فلاة عليها زاده وسقاؤه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾

(٤٩) رواه أحمد بن منيع وصححه الحافظ ابن حجر في المطالب (٣/ ٣٩٠).

(*) ومنها النصيحة لأن الناصح يلم شعث أخيه المنصوح بنصيحته لأن النصيحة من الدين والدين النصيحة كما قال سيد المرسلين. رواه مسلم وغيره.

(٥٠) وهي قراءة ابو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع زاد المسير (٨/ ٣١٣) والسبعة لابن مجاهد ص ٦٤١.

(٥١) رواه البخاري (١١/ ٨٨ و ٨٩ و ٩٠) ومسلم (٢٧٤٤) والترمذي (٢٤٩٩) جامع الأصول ٥٨١٢.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑨ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ⑩﴾

﴿يا أيها النبيُّ جاهِدِ الكُفّارَ والمنافِقين واغْلُظْ عليهم﴾ أما جهاد الكفار فبالسيف، وأما جهاد المنافقين ففيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه باللسان والقول، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: بالغلظة عليهم كما ذكر اللّه، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وليقابلهم بوجه مكفهر، قاله ابن مسعود.

الرابع: بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للذين كَفَروا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ كانتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادنا صالحيْنِ فخانتاهما﴾

في خيانتهما أربعة أوجه:

أحدها: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، قاله السدي.

الثاني: منافقتين تظهران الإيمان وتستران الكفر، وهذه خيانتهما قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط(٥٢)، إنما كانت خيانتهما في الدين.

الثالث: أن خيانتهما النميمة، إذا أوحى اللّه تعالى(*) إليهما [شيئاً] أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك.

الرابع: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به

(٥٢) رواه ابن جرير (٢٨/ ١٧٠) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٨) نسبته لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا وابن المنذر وابن ابي حاتم من طرق عن ابن عباس قلت وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٧٦ نسبته لابن مردويه، وقال الشوكاني (٥/ ٢٥٥) على قول ابن عباس وقع الإجماع.

(*) اي إلى نوح ولوط عليها السلام.

أخبرت الجبابرة به، وخيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف دخّنت لِتُعْلِم قومها أنه قد نزل به ضيف، لما كانوا عليه من إتيان الرجال

قال مقاتل: وكان اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة (٥٣).

وقال الضحاك عن عائشة أن جبريل نزل (٥٤) على النبي ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واعلة، واسم امرأة لوط والهة.

﴿فلم يُغْنِيا عنهما مِنَ اللَّهِ شيئاً﴾ أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على اللَّه عن زوجتيهما لما عصتا شيئاً من عذاب اللَّه، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة.

قال يحيى بن سلام: وهذا مثل ضربة اللَّه ليحذر به حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة فقال:

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿وضَرَب اللَّهُ مَثلاً للذينَ آمنوا امرأةَ فِرْعونَ﴾ قيل اسمها آسية بنت مزاحم.

﴿إِذْ قالت رَبِّ ابْنِ لي عندك بيتاً في الجنة﴾ قال أبو العالية: اطّلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: فإنها تعبد ربّاً غيري، فقالوا له: اقتلْها، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها (٥٥)، فدعت آسية ربها فقالت: «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» الآية،

---

(٥٣) وفي زاد المسير (٨/٣١٥) والفه.

(٥٤) لم نعثر على تخريجه.

(٥٥) قال السيوطي رحمه الله في الدر (٨/٢٢٩) وأخرج ابو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكانوا إذا تفرقوا عنها أطلقتها الملائكة عليهم السلام

فكشف لها الغطاء فنظرت إلى بيتها في الجنة، فوافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها، فعذبها وهي تضحك وقُبض روحها.

وقولها: ﴿وَنَجِّني مِن فِرْعَوْنَ وَعَملِه﴾ فيه قولان:

أحدهما: الشرك.

الثاني: الجماع، قاله ابن عباس.

﴿ونجِّني من القوم الظالمين(٥٦)﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل مصر، قاله الكلبي.

الثاني: القبط، قاله مقاتل.

﴿ومريمَ ابنَةَ عِمرانَ التي أحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قال المفسرون: إنه أراد بالفرج الجيب لأنه قال ﴿فنفخنا فيه مِن رُوحنا﴾ وجبريل إنما نفخ في جيبها، ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها.

﴿وصَدَّقَتْ بكلماتِ رَبِّها وكُتُبِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن «كلمات ربها» الإنجيل، و«كتبه» التوراة والزبور.

الثاني: أن «كلمات ربها» قول جبريل حين نزل عليها ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾، ﴿وكتبه﴾ الإنجيل الذي أنزله من السماء، قاله الكلبي.

الثالث: أن «كلمات ربها» عيسى، و«كتبه» الإنجيل، قاله مقاتل.

﴿وكانت من القانتين﴾ أي من المطيعين في التصديق.

الثاني: من المطيعين في العبادة.

فقالب: «ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة فكشف لها عن بيتها في الجنة».

قلت وصححه الحافظ في المطالب (٣/ ٣٩٠) وبنحوه رواه ابن جرير (٢٨/ ٥٧١) سليمان.

(٥٦) قال العلامة الألوسي (٢٨/ ١٦٤) «وفي الآية دليل على أن الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه عز وجل ومسألة الخلاص منه تعالى عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء وهو في القرآن كثير. ا هـ.

سُورَةُ المُلْك

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

مكية عند الكل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿تَبارَكَ الذي بيدِهِ المُلْكُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن التبارُك تفاعُل من البركة، قاله ابن عباس. وهو أبلغ من المبارك لاختصاص اللَّه بالتبارك واشتراك المخلوقين في المبارك.

الثاني: أي تبارك في الخلق بما جعل فيهم من البركة، قاله ابن عطاء.

الثالث: معناه علا وارتفع، قاله يحيى بن سلام.

وفي قوله «الذي بيده الملك» وجهان:

أحدهما: ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة.

الثاني: ملك النبوة التي أعزّ بها من اتبعه وأذل بها من خالفه، قاله محمد بن إسحاق.

﴿وهو عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ من إنعام وانتقام.

﴿الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ﴾ يعني الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

قال قتادة(٥٧): كان رسول اللَّه ﷺ يقول: [إن اللَّه أذل] بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء.»

الثاني: أنه خلق الموت والحياة جسمين، فخلق الموت في صورة كبش أملح(٥٨)، وخلق الحياة في صورة فرس [أنثى بلقاء]، وهذا مأثور حكاه الكلبي ومقاتل.

﴿لِيَبْلُوكم أَيُّكم أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة.

الثاني: أيكم أزهد في الدنيا، قاله سفيان.

الثالث: أيكم أورع عن محارم اللَّه وأسرع إلى طاعة اللَّه، وهذا قول مأثور(٥٩).

الرابع: أيكم للموت أكثر ذِكْراً وله أحسن استعداداً ومنه أشد خوفاً وحذراً، قاله السدي.

الخامس: أيكم أعرف بعيوب نفسه.

ويحتمل سادساً: أيكم أرضى بقضائه وأصبر على بلائه.

﴿الذي خَلَقَ سَبْعَ سمواتٍ طِباقاً﴾ فيه وجهان:

---

(٥٧) وهو من مرسل قتادة رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٨/٢٣٤) وقد رواه الطبري (٢٩/١) واقتصر على الجملة الأولى منه.

(٥٨) وهذا من الاسرائيليات ولم يثبت مرفوعاً. واما ذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار على صورة كبش املح مقدور وذلك في الصحيحين وقد تقدمه تخريج الحديث في ذلك وقال العلامة الالوسي (٢٩/٤) «وأما ما روي عن ابن عباس من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حيي فهو أشبه شيء بكلام الصوفية ولا يعقل ظاهره ا هـ. وقول المؤلف هنا هو مأثور أي ورد عن ابن عباس وقال القرطبي (١٨/٢٠٧) «وما ذكر عن ابن عباس يحتاج الى خبر صحيح يقطع العذر ا هـ.

(*) زيادة من تفسير القرطبي (١٨/٢٠٦).

(٥٩) وقد ورد مرفوعاً قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ٨٦ رواه داود بن المحبر في كتاب العقل والحارث في مسنده والطبري وابن مردوية من طريقه عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن ابن عمر وداود ساقط وأخرجه ابن مردويه ايضاً من طريق محمد بن أنس عن سليمان بن عيسى عن الثوري عن كليب كذلك وإسناده أسقط من الأول. ا هـ.

ولفظه «ان النبي ﷺ تلا قوله تعالى «ليبلوكم أيكم أحسن عملاً قال أيكم أحسن عملاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله».

أحدهما: أي متفق متشابه، مأخوذ من قولهم هذا مطابق لهذا أي شبيه له، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني بعضهن فوق بعض، قال الحسن: وسبع أرضين بعضهن فوق بعض، بين كل سماء وأرض خلق وأمر.

﴿ما ترَى في خَلْق الرحمنِ من تفاوُتٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من اختلاف، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

متفاوتات من الأعنة قطّباً حتى وفي عشية أثقالها.

الثاني: من عيب، قاله السدي.

الثالث: من تفرق، قاله ابن عباس.

الرابع: لا يفوت بعضه بعضاً، قاله عطاء بن أبي مسلم.

قال الشاعر(٦٠):

فلستُ بمُدْركٍ ما فاتَ مِنِّي بِلَهْفَ وَلاَ بِلَيْتَ ولا لَو آنِّي

﴿فارْجِعِ البَصرَ﴾قال قتادة: معناه فانظر إلى السماء.

﴿هل ترَى من فُطور﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من شقوق، قاله مجاهد والضحاك.

الثاني: من خلل، قاله قتادة.

الثالث: من خروق قاله السدي.

الرابع: من وهن، قاله ابن عباس.

﴿ثم ارْجع البَصرَ كَرّتَيْنِ﴾ أي انظر إلى السماء مرة بعد أخرى.

ويحتمل أمره بالنظر مرتين وجهين:

أحدهما: لأنه في الثانية أقوى نظراً وأحدّ بصراً.

الثاني: لأنه يرى في الثانية من سير كواكبها واختلاف بروجها ما لا يراه من الأولى فيتحقق أنه لا فطور فيها.

وتأول قوم بوجه ثالث: أنه عنى بالمرتين قلباً وبصراً.

---

(٦٠) اللسان لهف، الخصائص لابن جني (١٣٥/٣) المقرب لابن عصفور (١٨١/١)(٢٠٠/٢) وشرح الأشموني (٢٨٢/٢) وفي هذه المصادر كلها ولست براجع.

﴿ينْقَلِبْ إليك البَصَرُ خَاسئاً وهو حَسيرٌ﴾ أي يرجع إليك البصر لأنه لا يرى فطوراً فيرتد.

وفي «خاسئاً» أربعة أوجه:

أحدها: ذليلاً، قاله ابن عباس.

الثاني: منقطعاً، قاله السدي.

الثالث: كليلاً، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: مبعداً، قاله الأخفش مأخوذ من خسأت الكلب إذا أبعدته.

وفي «حسير» ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه النادم، ومنه قول الشاعر(٦١):

ما أنا اليوم على شيء خلا ... يا ابنة القَيْنِ تَولّى بحَسيرْ.

الثاني: أنه الكليل الذي قد ضعف عن إدراك مرآه، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٦٢):

مَنْ مدّ طرْفاً إلى ما فوق غايته ... ارتدَّ خَسْآنَ مِنه الطّرْفُ قد حَسِرا.

والثالث: أنه المنقطع من الإعياء، قاله السدي، ومنه قول الشاعر(٦٣):

والخيلُ شُعثٌ ما تزال جيادها ... حَسْرى تغادرُ بالطريق سخالها.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿إذا أُلقوا فيها﴾ يعني الكفار ألقوا في جهنم.

---

(٦١) هو المراد والبيت في اللسان حسر والقرطبي (١٨/ ٢١٠).

(٦٢) القرطبي (١٨/ ٢١٠).

(٦٣) القرطبي (١٨/ ٢١٠)

﴿سمعوا لها شهيقاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الشهيق من الكفار عند إلقائهم في النار.

الثاني: أن الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها، قال ابن عباس: تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف.

وفي الشهيق ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشهيق في الصدور، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: أنه الصياح، قاله ابن جريج.

الثالث: أن الشهيق هو آخر نهيق الحمار، والزفير مثل أول نهيق الحمار، وقيل إن الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر.

﴿وهي تفورُ﴾ أي تغلي، ومنه قول الشاعر(٦٤):

تركتم قِدْرَكم لا شيءَ فيها وقِدْرُ القوم حاميةٌ تفورُ

﴿تكادُ تَميّزُ مِنَ الغَيْظِ...﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تنقطع، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: تتفرق، قاله ابن عباس والضحاك.

وقوله «من الغيظ» فيه ها هنا وجهان:

أحدهما: أنه الغليان، قال الشاعر:

فيا قلب مهلاً وهو غضبان قد غلا من الغيظ وسط القوم ألا يتّبكا.

الثاني: أنه الغضب، يعني غضباً على أهل المعاصي وانتقاماً للّه منهم.

﴿ألَمْ يأتِكم نَذيرٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن النذر من الجن، والرسل من الإنس، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم الرسل والأنبياء، واحدهم نذير، قاله السدي.

﴿فسُحْقاً لأصحاب السّعيرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فبعداً لأصحاب السعير يعني جهنم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه وادٍ من جهنم يسمى سحقاً، قاله ابن جبير وأبو صالح، وفي هذا الدعاء إثبات لاستحقاق الوعيد.

---

(٦٤) هو حسان بن ثابت والبيت في ديوانه: ١١٧ وفتح القدير (٥/٢٦٠)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

﴿إنّ الذين يَخْشَوْنَ ربّهم بالغَيْبِ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أن الغيب اللَّه تعالى وملائكته، قاله أبو العالية.

الثاني: الجنة والنار، قاله السدي.

الثالث: أنه القرآن، قاله زر بن حبيش.

الرابع: أنه الإسلام لأنه يغيب، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

الخامس: أنه القلب، قاله ابن بحر.

السادس: أنه الخلوة إذا خلا بنفسه فذكر ذنبه استغفر ربه، قاله يحيى بن سلام.

﴿لهم مغْفرةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالتوبة والاستغفار.

الثاني: بخشية ربهم بالغيب.

الثالث: لأنهم حلّوا باجتناب الذنوب محل المغفور له.

﴿وأجرٌ كبيرٌ﴾ يعني الجنة.

ويحتمل وجهاً آخر: أنه العفو عن العقاب ومضاعفة الثواب.

﴿هو الذي جَعَلَ لكم الأرْضَ ذَلولاً﴾ يعني مذللة سهلة.

حكى قتادة عن أبي الجلد(٦٥): أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، فللسودان اثنا عشر [ألفاً]، وللروم [ثمانية آلاف]، وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف.

﴿فامْشُوا في مَناكِبِها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في جبالها، قاله ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب.

الثاني: في أطرافها وفجاجها، قاله مجاهد والسدي.

---

(٦٥) وهذا القول أشبه بالاسرائيليات.

الثالث: في طرفها.
ويحتمل رابعاً: في منابت زرعها وأشجارها، قاله الحسن.
﴿وكُلوا مِن رِزْقِهِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: مما أحله لكم، قاله الحسن.
الثاني: مما أنبته لكم، قاله ابن كامل.
﴿وإليه النشور﴾ أي البعث.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿أأَمِنتُم مَنْ في السماءِ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن بحر.
الثاني: يعني أنه اللّه تعالى(٦٦)، قاله ابن عباس.
﴿أنْ يَخْسِفَ بكم الأرضَ فإذا هي تمورُ﴾فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: تتحرك، قاله يحيى.
الثاني: تدور، قاله قطرب وابن شجرة.
الثالث: تسيل ويجري بعضها في بعض، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر(٦٧):
رَمَيْن فأقصدْن القلوب ولن ترى ... دماً مائراً إلا جرى في الخيازم.

---

(٦٦) وهو القول الراجح والصواب وهو قول جمهور السلف ففي الآية إثبات علو الله وأنه ليس في كل مكان بذاته كما قالت الجهمية بل علمه في كل مكان أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ولا يفهم إنسان من قوله «من في السماء» أن السماء تحويه وتحيط به تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقد ثبت عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى أنه قال من زعم أن الله في شيء أو على شيء أو من شيء فقد أشرك إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو كان على شيء لكان محمولاً أو كان من شيء لكان محدثاً.

(٦٧) هو أبو حنة النميري والبيت في القرطبي (١٨/ ٢١٦).

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾
أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى
مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أفمن يَمْشي مُكِبّاً على وَجْهِه أهْدَى﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للهدى والضلالة، ومعناه ليس من يمشي مُكباً على وجهه ولا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، كمن يمشي سوياً معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالمكب على وجهه الكافر يهوي بكفره، والذي يمشي سويّاً المؤمن يهتدي بإيمانه، ومعناه: أمّن يمشي في الضلالة أهدى أم من يمشي مهتدياً، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المكب على وجهه أبو جهل بن هشام، ومن يمشي سوياً عمار بن ياسر، قاله عكرمة.

﴿على صراطٍ مستقيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الطريق الواضح الذي لا يضل سالكه، فيكون نعتاً للمثل المضروب.

الثاني: هو الحق المستقيم، قاله مجاهد، فيكون جزاء العاقبة الاستقامة وخاتمة الهداية.

﴿قلْ هو الذي ذرَأكُمْ في الأرضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خلقكم في الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: أنشأكم فيها إلى تكامل خلقكم وانقضاء أجلكم.

﴿وإليهِ تَحْشَرون﴾ أي تُبْعثون بعد الموت.

﴿فلما رأَوْه زُلْفَةً سِيئَتْ وُجوهُ الذين كَفَروا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ظهرت المساءة على وجوههم كراهة لما شاهدوا، وهو معنى قول مقاتل.

الثاني: ظهر السوء في وجوههم ليدل على كفرهم، كقوله تعالى: ﴿يوم تبيضُّ وجوه وتسْوَدُّ وجوه﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿وقيل هذا الذي كُنْتُمْ به تَدَّعُونَ﴾ وهذا قول خزنة جهنم لهم، وفي قوله ﴿كنتم به تدّعون﴾ أربعة أوجه:

أحدها: تمترون فيه وتختلفون، قاله مقاتل.

الثاني: تشكّون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون، قاله الكلبي.

الثالث: تستعجلون من العذاب(٦٨)، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه دعاؤهم بذلك على أنفسهم، وهو افتعال من الدعاء، قاله ابن قتيبة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ أرأيْتم إنْ أَصْبحَ ماؤكم غَوْراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذاهباً، قاله قتادة.

الثاني: لا تناله الدِّلاء، قاله ابن جبير، وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون.

﴿فَمَنْ يأتيكم بماءٍ مَعِينٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن معناه العذب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطاهر، قاله الحسن وابن جبير ومجاهد.

الثالث: أنه الذي تمده العيون فلا ينقطع.

(٦٨) وهو قوله فيما حكاه الله عنهم في سورة ص.. ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطّنا قبل يوم الحساب﴾.

الرابع: أنه الجاري، قاله قتادة، ومنه قول جرير:

إنّ الـذيـن غـدوا بُـلبِّـك غـادَروا   وشَـلًا بـعـيْـنِـك لا يـزال مَـعِـيـنـاً

روى عاصم عن رُزين عن ابن مسعود[٦٩] قال: سورة الملك هي المانعة من عذاب القبر، وهي في التوراة تسمى المانعة، وفي الإنجيل تسمى الواقية، ومن قرأها من كل ليلة فقد أكثر وأطاب.

(٦٩) رواه ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٢٣١) ولكن فيه سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر.

ورواه الطبراني وابن مردويه بسند جيد كما في الدر (٨/ ٢٣٢) عنه رضي الله عنه قال كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة وأنها لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر وأطيب وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وقد صحت أحاديث غير هذه راجعها في الدر (٨/ ٢٣٠، ٢٣٣).

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس:
من أولها إلى قوله سبحانه «سَنَسِمُهُ على الخرطوم» مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: «لو كانوا يعلمون» مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله «يكتبون» مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: «من الصالحين» مدني، وباقي السورة مكي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ
ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ن﴾ فيه ثمانية أقوال:
أحدها: أن النون الحوت الذي عليه الأرض، قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه، وقد رفعه(٧٠).

---

(٧٠) وقد رواه الطبراني وابن مردويه كما في الدر (٨/٢٤١) ورواه ابن جرير موقوفاً من طريق أبي الضحى عن ابن عباس (٢٩/١٥).

وأما صنيع السيوطي في الدر فيوهم ان الحديث رواه ابن جرير مرفوعاً وليس كذلك. وقد ساق سند المرفوع ابن كثير (٤/٤٠٠) من رواية الطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٢٧/٧) لم يرفعه عن حماد بن زيد الا مؤمل بن إسماعيل قلت [القائل الهيثمي] ومؤمل نفسه كثير الخطأ وقد وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخاري وغيره وبقية رجاله ثقات.

الثاني : أن النون الدواة، رواه أبو هريرة عن النبي[٧١] ﷺ .

الثالث: أنه حرف من حروف الرحمن، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه.

الرابع : هو لوح من نور، رواه معاوية بن قرة[٧٢] عن أبيه عن النبي ﷺ .

الخامس: أنه اسم من أسماء السورة، وهو مأثور.

السادس: أنه قسم أقسم اللّه به، وللّه تعالى أن يقسم بما يشاء، قاله قتادة.

السابع : أنه حرف من حروف المعجم.

الثامن : أن نون بالفارسية ايذون كن، قاله الضحاك.

ويحتمل تاسعاً: إن لم يثبت به نقل أن يكون معناه: تكوين الأفعال والقلم وما يسطرون، فنزل الأقوال جميعاً في قسمه بين أفعاله وأقواله، وهذا أعم قسمة.

ويحتمل عاشراً[٧٣]: أن يريد بالنون النفْس لأن الخطاب متوجه إليها بغير عينها بأول حروفها، والمراد بالقلم ما قدره اللّه لها وعليها من سعادة وشقاء، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ.

أما ﴿والقلم﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنه القلم الذي يكتبون[٧٤] به لأنه نعمة عليهم ومنفعة لهم، فأقسم بما أنعم، قاله ابن بحر.

الثاني : أنه القلم الذي يكتب به الذكر على اللوح المحفوظ، قال ابن جريج : هو من نور، طوله كما بين السماء والأرض.

وفي قوله ﴿وما يَسْطُرون﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: وما يعلمون، قاله ابن عباس.

الثاني : وما يكتبون، يعني من الذكر، قاله مجاهد والسدي.

---

(٧١) رواه الحكم الترمذي مطولاً كما في الدر (٢٤١/٨) واورده ابن كثير (٤٠١/٤) من رواية ابن أبي حاتم وهي مختصرة وقال حديث مرفوع غريب جداً.

(٧٢) رواه ابن جرير (٢٩/ ١٥، ١٦) وقال ابن كثير (٤٠١/٤) مرسل غريب من أجل فرات ا هـ.

قلت وفرات قال فيه ابن معين ليس بشيء وقال ابن عدي الضعف بين على رواياته راجع ترجمته في الميزان للذهبي (٣٤٣/٣).

(٧٣) والأولى رد علم ذلك إلى الله تعالى.

(٧٤) واستظهره ابن كثير (٤٠١/٤).

الثالث: أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر.

﴿ما أنت بنعمةِ ربّك بمجنونٍ﴾كان المشركون يقولون للنبي ﷺ أنه مجنون به شيطان، وهو قولهم: «يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون» [الحجر: ٦] فأنزل اللّه تعالى رداً عليهم وتكذيباً لقولهم: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أي برحمة ربك، والنعمة ها هنا الرحمة.

ويحتمل ثانياً: أن النعمة ها هنا قسم، وتقديره: ما أنت ونعمة ربك بمجنون، لأن الواو والباء من حروف القسم.

وتأوله الكلبي على غير ظاهره، فقال: معناه ما أنت بنعمة ربك بمخفق.

﴿وإنّ لك لأجْراً غيرَ مَمْنُونٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني: أجراً بغير عمل(٧٥)، قاله الضحاك.

الثالث: غير ممنون عليك من الأذى، قاله الحسن.

الرابع: غير منقطع، ومنه قول الشاعر:

ألا تكون كإسماعيلَ إنّ له رأياً أصيلاً وأجْراً غيرَ ممنون

ويحتمل خامساً: غير مقدّر وهو الفضل، لأن الجزاء مقدر، والفضل غير مقدر.

﴿وإنك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أدب القرآن، قاله عطية.

الثاني: دين الإسلام، قاله ابن عباس وأبو مالك.

الثالث: على طبع كريم، وهو الظاهر.

وحقيقة الخلُق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب سمي خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخيم(*) فيكون الخلق الطبع المتكلف، والخيم هو الطبع الغريزي، وقد أوضح ذلك الأعشى(٧٦) في شعره فقال:

---

(٧٥) اي بغير عمل زائد على ما كلف به إذ لم يقل أحد أن الأنبياء يسقط عنهم التكليف وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» يعني الموت.

(*) وهي الطباع.

(٧٦) ديوانه: ١٢٥ وفيه وصارت بدلاً من وعادت. القرطبي (١٨/ ٢٢٨).

وإذا ذو الفضول ضنّ على المولى وعادت لِخيمها الأخلاقُ.

أي رجعت الأخلاق إلى طبائعها.

﴿فَسَتُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل.

الثاني: قاله ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة.

﴿بأَيِّكم المْفتونُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني المجنون، قاله الضحاك.

الثاني: الضال، قاله الحسن.

الثالث: الشيطان، قاله مجاهد.

الرابع: المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار إذا أحميته، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم هم على النار يُفْتنون﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون.

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

﴿وَدُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنونَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه ودوا لو تكفر فيكفرون، قاله السدي والضحاك.

الثاني: ودوا لو تضعُف فيضعُفون، قاله أبو جعفر.

الثالث: لو تلين فيلينون، قاله الفراء.

الرابع: لو تكذب فيكذبون، قاله الربيع بن أنس.

الخامس: لو ترخص لهم فيرخصون لك، قاله ابن عباس.

السادس: أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك، قاله قتادة.

وفي أصل المداهنة وجهان:

أحدهما: مجاملة العدو وممايلته، قال الشاعر[٧٧]:

لبَعْضُ الغَشْم أحزْم في أمورٍ تَنوبُك مِن مداهنةِ العدُوِّ.

الثاني: أنها النفاق وترك المناصحة، قاله المفضل، فهي على هذا الوجه مذمومة، وعلى الوجه الأول غير مذمومة.

﴿ولا تُطِعْ كلَّ حَلاَّفٍ مَهينٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الكذاب، قاله ابن عباس.

الثاني: الضعيف القلب، قاله مجاهد.

الثالث: أنه المكثار من الشر، قاله قتادة.

الرابع: أنه الذليل بالباطل، قاله ابن شجرة.

ويحتمل خامساً: أنه الذي يهون عليه الحنث.

وفي من نزل ذلك فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، قاله السدي.

الثاني: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد.

الثالث: الوليد بن المغيرة، عرض على النبي ﷺ مالاً وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه، قاله مقاتل.

﴿هَمَّازٍ مَشّاءٍ بنميمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الفتّان الطعان، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه الذي يلوي شدقيه من وراء الناس، قاله الحسن.

الثالث: أنه الذي يهمزهم بيده ويضربهم دون لسانه، قاله ابن زيد، والأول أشبه لقول الشاعر[٧٨]:

تُدْلي بِوُدٍّ إذا لاقيتني كذباً وإن أغيبُ فأنت الهامز اللُّمَزة.

﴿مشّاءٍ بنميم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذي ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض، قاله قتادة.

(٧٧) القرطبي (١٨/ ٢٣١) وفيه احزم وقد تقدم البيت في سورة الواقعة ولم نره هنا فتنبه.

(٧٨) هو زياد الأعجم والبيت في القرطبي (١٨/ ٢٣٢) واللسان لمز وفيه

إذا لقيتك عن سخط تكاشرني وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

الثاني: هو الذي يسعى بالكذب، ومنه قول الشاعر(٧٩):

وَمَـوْلى كبيْتِ النمـل لا خيـر عنـده لـمـولاه إلا سعيـة بـنـمـيـم.

وفي النميم والنميمة وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان، قاله الفراء.

الثاني: أن النميم جمع نميمة.

﴿منّاعٍ للخيْرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: للحقوق من ظلم.

الثاني: الإسلام يمنع الناس منه.

﴿عُتُلٍّ بَعْد ذلك زنيمٍ﴾ يعني بعد كونه «منّاعٍ للخيرِ» معتدٍ أثيم، هو عتل زنيم، وفيه تسعة أوجه:

أحدها: أن العُتُلّ الفاحش، وهو مأثور عن النبي(٨٠) ﷺ:

الثاني: أنه القوي في كفره، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الوفير الجسم، قاله الحسن وأبو رزين.

الرابع: أنه الجافي الشديد الخصومة بالباطل، قاله الكلبي.

الخامس: أنه الشديد الأسر، قاله مجاهد.

السادس: أنه الباغي، قاله ابن عباس.

السابع: أنه الذي يعتِل الناس، أي يجرهم إلى الحبس أو العذاب، مأخوذ من العتل وهو الجر، ومنه قوله تعالى: ﴿خذوه فاعتِلوه﴾[الحاقة: ٣٠].

الثامن: هو الفاحش اللئيم، قاله معمر، قال الشاعر(٨١):

بعتـل مـن الـرجـال زنـيـم غـيـر ذي نـجـدةٍ وغـيـر كـريـم.

التاسع: ما رواه شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غَنْم(٨٢)، ورواه ابن

---

(٧٩) فتح القدير (٥/٢٦٨) والقرطبي (١٨/٢٣٢).

(٨٠) رواه الطبري (٢٩/٢٤) عن القاسم مولى معاوية قال سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم قال الفاحش اللئيم وزاد في الدر (٨/٢٤٨) نسبته لابن ابي حاتم وقد ورد مثله عن موسى بن عقبة رواه الطبري (٢٩/٢٤) وابن ابي حاتم ايضاً وهو معضل.

(٨١) القرطبي (١٨/٢٣٣).

(٨٢) نسبه السيوطي في الدر (٨/٢٤٧) لعبد بن حميد وأحمد وابن ابي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن

مسعود[٨٣] عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنةَ جواظٌ ولا جعظري ولا العتلّ الزنيم» فقال رجل: ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم؟ فقال رسول اللّه ﷺ الجواظ الذي جمع ومنع، والجعظري الغليظ، والعتل الزنيم الشديد الخلق الرحيب الجوف، المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس.

وأما الزنيم ففيه ثماني تأويلات:

أحدها: أنه اللين[٨٤]، رواه موسى بن عقبة عن النبي ﷺ.

الثاني: أنه الظلوم، قاله ابن عباس في رواية ابن طلحة عنه.

الثالث: أنه الفاحش، قاله إبراهيم.

الرابع: أنه الذي له زنمة كزنمة الشاة، قال الضحاك: لأن الوليد بن المغيرة كان له أسفل من أذنه زنمة مثل زنمة الشاة، وفيه نزلت هذه الآية، قال محمد بن إسحاق: نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملَحق[٨٥] ولذلك سمي زنيماً.

الخامس: أنه ولد الزنى، قاله عكرمة.

السادس: أنه الدعيّ، قال الشاعر[٨٦]:

زنيمٌ تَداعاه الرجالُ زيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأَديمِ الأكارعُ.

السابع: أنه الذي يعرف بالأُبنة، وهو مروي عن ابن عباس ايضاً.

الثامن: أنه علامة الكفر كما قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾، قاله أبو رزين.

﴿أَنْ كان ذا مالٍ وبنينَ﴾ قيل إنه الوليد بن المغيرة، كانت له حديقة بالطائف، وكان له اثنا عشر ابناً، حكاه الضحاك.

شهر بن حوشب. وشهر وثقه جماعة وضعفه آخرون. وعبد الرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (١٢٨/٧).

(٨٣) رواه أبو داود (٤٨٠١).

(٨٤) كذا هنا في الأصل وهو خطأ والصواب اللئيم والتصحيح من الدر (٢٤٨/٨) والطبري (٢٤/٢٩) وقد تقدم تخريج الحديث وأنه معضل وهو من قسم الضعيف.

(٨٥) يعني انه ابن زنا فليس هو من بني زهرة لكنه ملحق بهم.

(٨٦) هو حسان بن ثابت والبيت في القرطبي (٢٣٤/١٨) وروح المعاني (٢٧/٢٩) وفتح القدير (٢٦٩/٥).

وقال عليّ بن أبي طالب: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة.

﴿إذا تتْلى عليه آياتُنا﴾ يعني القرآن.

﴿قال أساطيرُ الأوّلين﴾ يعني أحاديث الأولين وأباطيلهم.

﴿سَنَسِمُهُ على الخُرطومِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم﴾[الرحمن: ٤١].

الثاني: أنه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة، قاله الكلبي.

الثالث: أنه إشهار ذكره بالقبائح، فيصير موسوماً بالذكر لا بالأثر.

الرابع: هو ما يبتليه اللّه به في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصَغار، قاله ابن بحر واستشهد بقول الأعشى(٨٧).

فَدَعْها وما يَغْنيك واعمد لغيرها ... بشِعرك واغلب أنف من أنت واسم.

وقال المبرد: الخرطوم هو من الناس الأنف، ومن البهائم الشفة.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ
عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ
عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ
﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن
يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿إنا بَلَوناهم كما بَلَوْنا أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ فيهم قولان:

(٨٧) القرطبي (١٨/ ٢٣٧).

أحدهما: إن الذين بلوناهم أهل مكة بلوناهم بالجوع كرتين، كما بلونا أصحاب الجنة حتى عادت رماداً.

الثاني: أنهم قريش ببدر.

حكى ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر خذوهم أخذاً واربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، فضرب اللّه بهم عند العدو مثلاً بأصحاب الجنة.

﴿إذ أَقْسموا لَيَصْرِمُنّها مُصْبِحينَ﴾ قيل إن هذه الجنة حديقة كانت باليمن بقرية يقال لها ضَروان (٨٨)، بينها وبين صنعاء اليمن اثنا عشر ميلاً، وفيها قولان:

أحدهما: أنها كانت لقوم من الحبشة.

الثاني: قاله قتادة أنها كانت لشيخ من بني إسرائيل له بنون، فكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي، فجعل بنوه يلومونه ويقولون: لئن ولينا لنفعلن، وهو لا يطيعهم حتى مات فورثوها، فقالوا: نحن أحوج بكثرة عيالنا من الفقراء والمساكين «**فأقسموا ليصرُمنّها مصبحين**» أي حلفوا أن يقطعوا ثمرها حين يصبحون.

﴿ولا يَسْتَثْنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يستثنون من المساكين، قاله عكرمة.

الثاني: استثناؤهم قول سبحان ربنا، قاله أبو صالح.

الثالث: قول إن شاء اللّه.

﴿فطاف عليها طائفٌ مِن ربِّك وهم نائمونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أمر من ربك، قاله ابن عباس.

الثامن: عذاب من ربك، قاله قتادة.

الثالث: أنه عنق من النار خرج من وادي جنتهم، قاله ابن جريج.

﴿وهم نائمون﴾ أي ليلاً وقت النوم، قال الفراء: الطائف لا يكون إلا ليلاً.

﴿فأصبحت كالصَريم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس.

---

(٨٨) وفي القرطبي (١٨ / ٢٣٩) انها ضوران على فراسخ من مدينة صنعاء ونسب القول للكلبي.

الثاني: كالليل المظلم، قاله الفراء، قال الشاعر[٨٩]:

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنُ البهيمُ   فما ينجاب عن صبحٍ، صَريمُ.

الثالث: كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر.

روى أسباط عن ابن مسعود[٩٠] أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيىء له، ثم تلا: **﴿فطاف عليها طائف من ربك...﴾** الآيتين قد حرموا خير جنتهم بذنبهم.

﴿فتنادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي دعا بعضهم بعضاً عند الصبح.

﴿أنِ اغْدُوا على حَرْثِكم﴾ قال مجاهد: كان الحرث عنباً.

﴿إن كنتم صارمين﴾ أي عازمين على صرم حرثكم في هذا اليوم.

﴿فانْطَلَقُوا وهم يتخافتونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يتكلمون، قاله عكرمة.

الثاني: يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد، قاله عطاء وقتادة.

الثالث: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم.

الرابع: لا يتشاورون بينهم.

﴿أن لا يدخُلَنّها اليومَ عليكم مِسكين﴾ قاله يحيى بن سلام.

﴿وَغدَوْا على حَرْدٍ قادرين﴾ فيه تسعة أوجه:

أحدها: على غيظ، قاله عكرمة.

الثاني: على جَدٍّ، قاله مجاهد.

الثالث: على منع، قاله أبو عبيدة.

الرابع: على قصد، ومنه قول الشاعر[٩١]:

أقْبَلَ سيلٌ جاء من عندِ اللّه   يحْرِدُ حَرْدَ الْجَنّة المُغِلّة

---

(٨٩) اللسان صرم، الطبري (٣١/٢٩)، فتح القدير (٢٧١/٥)، القرطبي (٢٤١/١٨) وفي اللسان فما ينجاب عن ليل بهيم.

(٩٠) رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٢٥١/٨) وقد اقتصر المؤلف على جزء منه وسنده ضعيف ففيه ليث بن ابي سليم. وهو ضعيف.

(٩١) فتح القدير (٢٧٢/٥) وفيه «الجنة المحلة» وهو تصحيف والقرطبي (٢٤٢/١٨) روح المعاني (٣١/٢٩) مجاز القرآن (٢٦٦/٢) الكامل ٥٠ الطبري (٣٣/٢٩) شواهد الكشاف ٢٥٤.

أي يقصد قصد الجنة المغلة.

الخامس: على فقر، قاله الحسن.

السادس: على حرص، قاله سفيان.

السابع: على قدرة، قاله ابن عباس.

الثامن: على غضب، قاله السدي.

التاسع: أن القرية تسمى حرداً، قاله السدي.

وفي قوله: «قادرين» ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني قادرين على المساكين، قاله الشعبي.

الثاني: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة.

الثالث: أن موافاتهم إلى جنتهم في الوقت الذي قدروه، قاله ابن بحر.

ويحتمل رابعاً: أن القادر المطاع بالمال والأعوان، فإذا ذهب ماله تفرق أعوانه فعُصيَ وعجز.

﴿فلمّا رأوْها قالوا إنا لَضالُّون﴾ أي أنهم لما رأوا أرض الجنة لا ثمرة فيها ولا شجر قالوا إنا ضالون الطريق وأخطأنا مكان جنتنا، ثم استرجعوا فقالوا:

﴿بل نحن محرومون﴾ أي حُرمنا خير جنتنا، قال قتادة: معناه جوزينا فحُرمنا.

﴿قال أوْسَطُهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أعدلهم، قاله ابن عباس.

الثاني: خيرهم، قاله قتادة.

الثالث: أعقلهم، قاله ابن بحر.

﴿ألَمْ أقُل لكم لولا تُسَبِّحونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لولا تستثنون عند قولهم «ليصرمنها مصبحين»، قاله ابن جريج.

الثاني: أن التسبيح هو الاستثناء، لأن المراد بالاستثناء ذكر الله، وهو موجود من التسبيح.

الثالث: أن تذكروا نعمة الله عليكم فتؤدوا حقه من أموالكم.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ

عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

﴿أم لكم أيْمانٌ علينا بالغةٌ﴾ والبالغة المؤكدة بالله.

﴿إنّ لكم لما تحْكُمُون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أم لكم أيمان علينا بالغة أننا لا نعذبكم في الدنيا إلى يوم القيامة(٩٢).

﴿سَلْهم أيُّهم بذلك زعيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الزعيم الكفيل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: أنه القيم بالأمر لتقدمه ورئاسته.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عن ساق الآخرة، قاله الحسن.

الثاني: الساق الغطاء، قاله الربيع بن أنس، ومنه قول الراجز(٩٣):

في سَنَةٍ قد كشفتْ عن ساقها حمراءَ تبري اللحم عن عراقها

الثالث: أنه الكرب والشدة، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٩٤):

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصُّراح

---

(٩٢) لاحظ انه لم يذكر القول الثاني.

(٩٣) القرطبي (١٨/٢٤٨) فتح القدير (٥/٢٧٥) روح المعاني (٢٩/٣٤).

(٩٤) هو جد طرفة واسمه سعد بن مالك بن ضبيعة والبيت في القرطبي (١٨/٢٤٨) واللسان سوق.

الرابع: هو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، قال الضحاك: لأنه أول الشدائد، كما قال الراجز(٩٥):

قد كشفت عن ساقها فشُدُّوا وجدّت الحربُ بكم فجدوا.

فأما ما روي أن اللّه تعالى يكشف(٩٦) عن ساقه فإن اللّه تعالى منزه عن التبعيض والأعضاء وأن ينكشف أو يتغطى، ومعناه أنه يكشف عن العظيم من أمره، وقيل يكشف عن نوره.

وفي هذا اليوم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم الكبر والهرم والعجز عن العمل.

الثاني: أنه يوم حضور المنية والمعاينة.

---

(٩٥) فتح القدير (٥/ ٢٧٥) والقرطبي (١٨/ ٢٤٨).

(٩٦) وهو حديث صحيح لا يصح تصديره بصيغة التمريض التي تشعر بضعفه فقد رواه البخاري (١٣/ ٣٥٩) ومسلم (١/ ١٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ورواه البخاري مختصراً ولفظه «يكشف ربنا عن ساقه» الحديث هكذا بالاضافة ثم اعلم أيها القارىء الكريم إن هذه الآية من الآيات المتشابهة التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها كما نزلت من غير تعطيل ولا تجسيم وكما قال تعالى عن نفسه **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾** وقال **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** وكان السلف يمرونها كما نزلت فالمجسمة يتركونها على ظاهرها من غير تفويض وتسليم وتنزيه لا بل يعتقدون الجارحة لله تعالى والعياذ بالله تعالى. ولقد صدق الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية بقوله «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود» أي معرفة صفاته الواردة في الكتاب والسنة. فكيف تصح عبادة مجسم ينسب الجارحة لله تعالى ولا يفوض النصوص القرآنية إلى الله تعالى مع الإيمان التام بالتنزيه وما أحسن ما روي عن الإمام أحمد بن جنبل والإمام الزاهد ذي النون المصري رحمهما الله تعالى أنهما قالا «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» لأن التصور ينشأ عن الصور والخيالات والله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة كل المخلوقات ولقد ثبت أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ صف لنا ربك يا محمد فأنزل الله عليه سورة الإخلاص.

وأما تأويل الكشف عن الساق بالكشف عن نوره فقد ورد ذلك في حديث مرفوع رواه ابو يعلى وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر وابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٤٨ ولكن سنده ضعيف ففي سنده روح بن جناح. وقال البيهقي بعد اخراجه ص ٣٤٨ تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها والله أعلم.

قلت وقد رواه روح عن مولى عمر بن عبد العزيز وقال ابن حبان فيه إن «روح» منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما اذا سمعه الانسان شهد له بالوضع والمولى الذي يروي عنه مجهول.

قلت ولهذا قال البيهقي: «وموالي عمر بن عبد العزيز فهم كثر». يعني اشارة الى أنه لم يدر حال هذا المولى فهو مجهول. والله أعلم.

الثالث: أنه يوم القيامة.

﴿ويُدْعَوْن إلى السجودِ فلا يستطيعون﴾ فمن قال في هذا اليوم إنه يوم القيامة جعل الأمر بهذا السجود على وجه التكليف.

ومن جعله في الدنيا فلهم في الأمر بهذا السجود قولان:

أحدهما: أنه تكليف.

الثاني: تندم وتوبيخ للعجز عنه، وكان ابن بحر يذهب إلى أن هذا الدعاء إلى السجود إنما كان في وقت الاستطاعة، فلم يستطيعوا بعد العجز أن يستدركوا ما تركوا.

﴿فذرْني ومَن يُكذّبُ بهذا الحديث﴾

قال السدي: يعني القرآن.

ويحتمل آخر أي بيوم القيامة.

﴿سنستدرجهم مِن حيثُ لا يَعْلمون﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، قاله السدي.

الثاني: نتبع النعمة السيئة وننسيهم التوبة، قاله الحسن.

الثالث: نأخذهم من حيث درجوا ودبوا، قاله ابن بحر.

الرابع: هو تدريجهم إلى العذاب بإدنائهم منه قليلاً بعد قليل حتى يلاقيهم من حيث لا يعلمون، لأنهم لو علموا وقت أخذهم بالعذاب ما ارتكبوا المعاصي وأيقنوا بآمالهم.

الخامس: ما رواه إبراهيم بن حماد، قال الحسن: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مغبون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.

والاستدراج: النقل من حال إلى حال كالتدرج، ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة.

فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ
نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن
يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا
ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فاصْبِرْ لحُكم ِ ربّك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لقضاء ربك.

الثاني: لنصر ربك، قاله ابن بحر.

﴿ولا تكُن كصاحِبِ الحُوتِ﴾ قال قتادة: إن اللّه تعالى يعزي نبيّه ويأمره بالصبر، وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وهو يونس بن متى.

﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ أما نداؤه فقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وفي مكظوم أربعة أوجه:

أحدها: مغموم، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: مكروب، قاله عطاء وأبو مالك، والفرق بينهما أن الغم في القلب، والكرب في الأنفاس.

الثالث: محبوس، والكظم الحبس، ومنه قولهم: فلان كظم غيظه أي حبس غضبه، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس، قاله المبرد.

﴿لولا أن تَداركه نِعْمةٌ مِن ربِّه﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: النبوة، قاله الضحاك.

الثاني: عبادته التي سلفت، قاله ابن جبير.

الثالث: نداؤه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قاله ابن زيد.

الرابع: أن نعمة اللّه عليه إخراجه من بطن الحوت، قاله ابن بحر.

﴿لنُبِذَ بالعراء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لألقي بالأرض الفضاء، قاله السدي، قال قتادة: بأرض اليمن.

الثاني: أنه عراء يوم القيامة وأرض المحشر، قاله ابن جرير(٩٧).

﴿وهو مذموم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بمعنى مليم.

(٩٧) جامع البيان (٢٩/ ٤٥٥) ولكن الذي فيه «وهو الفضاء من الأرض» ا هـ. ولم يعين الطبري العراء كما نقله الماوردي هنا ولعله قال ذلك عين قول الطبري.

الثاني : مذنب، قاله بكر بن عبد الله ، ومعناه أن ندعه مذموماً .

﴿وإن يكادُ الذين كَفَروا ليُزْلِقونك بأَبْصارهم﴾الآية . فيه ستة أوجه :

أحدها : معناه ليصرعونك، قاله الكلبي .

الثاني : ليرمقونك، قاله قتادة .

الثالث : ليزهقونك، قاله ابن عباس، وكان يقرؤها كذلك .

الرابع : لينفذونك، قاله مجاهد .

الخامس : ليمسونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك، قاله السدي .

السادس : ليعتانونك(٩٨)، أي لينظرونك بأعينهم، قاله الفراء .

وحكي أنهم قالوا : ما رأينا مثل حجمه ونظروا إليه ليعينوه، أي ليصيبوه بالعين، وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً بعين في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثاً ثم يتعرض لنفسه أو ماله فيقول : تاللّه مارأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالاً منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله، فأنزل اللّه هذه الآية .

﴿لّما سَمِعوا الذكْرَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : محمد .

الثاني : القرآن .

﴿وما هو إلا ذِكْرٌ للعالمين﴾ فيه وجهان :

أحدهما : شرف للعالمين، كما قال تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾[الزخرف :٤٤] .

الثاني : يذكرهم وعد الجنة ووعيد النار .

وفي العالمين وجهان :

أحدهما : الجن والإنس، قاله ابن عباس .

الثاني : كل أمة من أمم الخلق ممن يُعرف ولا يُعرف .

---

(٩٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٠٩) وفي هذه الآية دليل على أن العين لاصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الاحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة . . وقد روى مسلم في صحيحه (٤/١٧١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا» ا هـ .

قلت وقد أورد الحافظ رحمه الله طائفة كثيرة من الأحاديث التي تثبت تأثير العين والحسد فراجعها في التفسير (٤/٤٠٩ ـ ٤١١) .

سُورَةُ الحَاقَّة

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ
﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ
وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا
ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ما حقّ من الوعد والوعيد بحلوله، وهو معنى قول ابن بحر.

الثاني: أنه القيامة التي يستحق فيها الوعد والوعيد، قاله الجمهور وفي تسميتها بالحاقة ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما ذكرنا من استحقاق الوعد والوعيد بالجزاء على الطاعات والمعاصي، وهو معنى قول قتادة ويحيى بن سلام.

الثاني: لأن فيها حقائق الأمور، قاله الكلبي.

الثالث: لأن حقاً على المؤمن أن يخافها.

وقوله «ما الحاقة» تفخيماً لأمرها وتعظيماً لشأنها.

﴿**وما أدْراكَ ما الحاقّة**﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن فيه «**وما أدراك**» فقد أدراه إياه وعلّمه إياه، وكل شيء قال فيه «**وما يدريك**» فهو ما لم يعلمه إياه.

وفيه وجهان:

أحدهما: وما أدراك ما هذا الاسم، لأنه لم يكن في كلامه ولا كلام قومه، قاله الأصم.

الثاني: وما أدراك ما يكون في الحاقة.

﴿**كذّبَتْ ثمودُ وعادُ بالقارعةِ**﴾ أما ثمود فقوم صالح كانت منازلهم في الحجر فيما بين الشام والحجاز، قاله محمد بن إسحاق: وهو وادي القرى، وكانوا عرباً.

وأما عاد فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف، والأحقاف الرمل بين عُمان إلى حضرموت واليمن كله، وكانوا عرباً ذوي خَلق وبَسطة، ذكره محمد بن إسحاق.

وأما «**القارعة**» ففيها قولان:

أحدهما: أنها قرعت بصوت كالصيحة، وبضرب كالعذاب، ويجوز أن يكون في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة.

الثاني: أن القارعة هي القيامة كالحاقة، وهما اسمان لما كذبت بها ثمود وعاد.

وفي تسميتها بالقارعة قولان:

أحدهما: لأنها تقرع بهولها وشدائدها.

الثاني: أنها مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين، قاله المبرد.

﴿**فأمّا ثمودُ فأهلِكوا بالطاغية**﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: بالصيحة، قاله قتادة.

الثاني: بالصاعقة، قاله الكلبي.

الثالث: بالذنوب، قاله مجاهد.

الرابع: بطغيانهم، قاله الحسن.

الخامس: أن الطاغية عاقر الناقة، قاله ابن زيد.

﴿**وأمّا عادُ فأهْلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيةٍ**﴾ روى مجاهد عن ابن عباس قال[٩٩]:

---

(٩٩) تقدم تخريجه في سورة الذاريات والاحقاف.

قال رسول اللّه ﷺ : «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكتْ عاد بالدَّبور».

فأما صرصر ففيها قولان :

أحدهما: أنها الريح الباردة، قاله الضحاك والحسن، مأخوذ من الصر وهو البرد.

الثاني : أنها الشديدة الصوت، قاله مجاهد.

وأما العاتية ففيها ثلاثة أوجه :

أحدها: القاهرة، قاله ابن زيد.

الثاني: المجاوزة لحدها.

الثالث: التي لا تبقى ولا ترقب.

وفي تسميتها عاتية وجهان :

أحدهما: لأنها عتت على القوم بلا رحمة ولا رأفة، قاله ابن عباس.

الثاني : لأنها عتت على خزانها بإذن اللّه.

﴿سَخَّرها عليهم سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام حُسوماً﴾ اختلف في أولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنّ أولها غداة يوم الأحد، قاله السدي.

الثاني: غداة يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: غداة يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس.

وفي قوله ﴿حُسُوماً﴾ أربعة تأويلات :

أحدها: متتابعات (١٠٠)، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والفراء، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

وكم يحيى بها من فرط عام ... وهذا الدهر مقتبل حسوم.

الثاني : مشائيم، قاله عكرمة والربيع.

الثالث: أنها حسمت الليالي والأيام حتى استوفتها، لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم، وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم، قاله الضحاك.

---

(١٠٠) ورجحه الطبري (٢٩/٥٢) وابن كثير (٤/٤١٢) والآلوسي (٢٩/٤١) والشوكاني (٥/٢٨٠) والقرطبي (١٨/٢٥٩) الزمخشري (٤/١٣٣).

الرابع: لأنها حسمتهم ولم تبق منهم أحداً، قاله ابن زيد، وفي ذلك يقول الشاعر:

ومن مؤمن قوم هود فأرسل ريحاً دَبوراً عقيماً
توالتْ عليهم فكانت حُسوماً.

﴿فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: البالية، قاله أبو الطفيل.

الثاني: الخالية الأجواف، قاله ابن كامل.

الثالث: ساقطة الأبدان، خاوية الأصول، قاله السدي.

وفي تشبيههم بالنخل الخاوية ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أبدانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن الريح كانت تدخل في أجوافهم من الخيشوم، وتخرج من أدبارهم، فصاروا كالنخل الخاوية، حكاه ابن شجرة.

الثالث: لأن الريح قطعت رؤوسهم عن أجسادهم، فصاروا بقطعها كالنخل الخاوية.

﴿وجاءَ فرعونُ ومَن قَبْلَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ومن معه من قومه وهو تأويل من قرأ «ومن قِبلَهُ» بكسر القاف(١٠١) وفتح الباء.

والثاني: ومن تقدمه، وهو تأويل من قرأ «ومن قَبْلَهُ» بفتح القاف وتسكين الباء.

﴿والمؤتفِكاتُ بالخاطئة﴾ في المؤتفكات قولان:

أحدهما: أنها المقلوبات بالخسف.

الثاني: أنها الأفكات وهي الاسم من الآفكة، أي الكاذبة.

والخاطئة: هي ذات الذنوب والخطايا، وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم قوم لوط.

الثاني: قارون وقومه، لأن اللّه خسف بهم.

(١٠١) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب والكسائي وأبان زاد المسير (٨/٣٤٧) والسبعة لابن مجاهد ٦٤٨.

﴿فعصَوْا رسولَ ربِّهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فعصوا رسول اللَّه إليهم بالتكذيب.

الثاني: فعصوا رسالة اللَّه إليهم بالمخالفة، وقد يعبر عن الرسالة بالرسول، قال الشاعر(١٠٢):

لقد كذَبَ الواشون ما بُحْت عندهم   بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول.

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخذةً رابيةً﴾ فيه خمسة أوجه.

أحدها: شديدة، قاله مجاهد.

الثاني: مُهلكة، قاله السدي.

الثالث: تربو بهم في عذاب اللَّه أبداً، قاله أبو عمران الجوني.

الرابع: مرتفعة، قاله الضحاك.

الخامس: رابية للشر، قاله ابن زيد.

﴿إنا لما طَغَى الماءُ حَمَلْناكم في الجاريةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ظَهر، رواه ابن أبي نجيح.

الثاني: زادَ وكثر، قاله عطاء.

الثالث: أنه طغى على خزانه من الملائكة، غضباً لربه فلم يقدروا على حبسه، قاله عليّ رضي الله عنه.

قال قتادة: زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعاً.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما أرسل من ريح قط إلا بمكيال.

وما أنزل اللَّه من قطرة قط إلا بمثقال، إلا يوم نوح وعاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: «**إنا لما طغى الماء**» الآية.

وإن الريح طغت على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ. «**بريح صرصر عاتية سخَرها عليهم**» الآية.

﴿حملناكم في الجارية﴾ يعني سفينة نوح، سميت بذلك لأنها جارية على الماء.

وفي قوله **حملناكم** وجهان:

(١٠٢) هو كثير عزة والبيت في فتح القدير (٥/٢٨١) والقرطبي (١٨/٣٩٢).

أحدهما: حملنا آباءكم الذين أنتم من ذريتهم.

الثاني: أنهم في ظهور آبائهم المحمولين، فصاروا معهم، وقد قال العباس بن عبد المطلب ما يدل على هذا الوجه وهو قوله في مدح النبي ﷺ(١٠٣):

من قبلها طِبتَ في الظلال وفي ... مُستودع حيث يُخْصَفُ الورقُ.

ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ ... أنت ولا مُضْغةٌ ولا عَلَقُ.

بل نطفةٌ تركب السَّفِينَ وقد ... أَلجَمَ نَسراً وأهلَه الغرقُ.

﴿لنجْعلهَا لكم تذكِرةً﴾ يعني سفينة نوح جعلها اللَّه لكم تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم في قول قتادة، وقال ابن جريج: كانت ألواحها على الجودي.

﴿وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: سامعة، قاله ابن عباس.

الثاني: مؤمنة، قاله ابن جريج.

الثالث: حافظة، وهذا قول ابن عباس أيضاً.

قال الزجاج: يقال وعيت لما حفظته في نفسك، وأوعيت لما حفظته في غيرك.

وروى مكحول أن النبي(١٠٤) ﷺ قال عند نزول هذه الآية: «سألت ربي أن يجعلها أُذُنَ عليٍّ، قال مكحول: فكان عليٌّ رضي اللَّه عنه يقول: ما سمعت من رسول اللَّه شيئاً قط نسيته إلا وحفظته.

الرابع: [أن الأذن الواعية] أذن عقلت عن اللَّه وانتفعت بما سمعت من كتاب اللَّه، قاله قتادة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

---

(١٠٣) أمالي الزجاجي (٢/ ٣٤٠) وتأويل مختلف الحديث ٦٥ واللسان خصف واقتصر على رواية البيت الأول.

(١٠٤) رواه الطبري (٢٩/ ٥٥) وهو مرسل وكذا رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٣) وسعيد بن منصور كما في تخريج الكشاف ص ١٧٧.

﴿فيومئذٍ وقَعَتِ الواقعةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: القيامة.

الثاني: الصيحة.

الثالث: أنها الساعة التي يفنى فيها الخلق.

﴿وانْشَقّت السماءُ فهي يومئذٍ واهيةٌ﴾ في انشقاقها وجهان:

أحدهما: أنها فتحت أبوابها، قاله ابن جريج.

الثاني: أنها تنشق من المجرة، قاله عليّ رضي اللّه عنه.

وفي قوله «واهية» وجهان:

أحدهما: متخرقة، قاله ابن شجرة، مأخوذ من قولهم وَهَى السقاءُ إذا انخرق، ومن أمثالهم[١٠٥]:

خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤه ... ومَن هُريق بالفلاةِ ماؤهُ

أي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه.

الثاني: ضعيفة، قاله يحيى بن سلام.

﴿والملَكُ على أرجائها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على أرجاء السماء، ولعله قول مجاهد وقتادة.

الثاني: على أرجاء الدنيا، قاله سعيد بن جبير.

وفي «أرجائها» أربعة أوجه:

أحدها: على جوانبها، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: على نواحيها، قاله الضحاك.

الثالث: أبوابها، قاله الحسن.

الرابع: ما استدق منها، قاله الربيع بن أنس.

ووقوف الملائكة على أرجائها لما يؤمرون به فيهم من جنة أو نار.

﴿ويَحْمِلُ عَرْشَ ربِّك فوقهم يَومئذٍ ثمانيةٌ﴾ يعني أن العرش فوق الثمانية وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: ثمانية أملاك من الملائكة، قاله العباس بن عبد المطلب.

---

(١٠٥) القرطبي (١٨/٢٦٥) روح المعاني (٢٩/٤٥).

الثاني: ثمانية صفوف من الملائكة، قاله ابن جبير.

الثالث: ثمانية أجزاء من تسعة، وهم الكروبيون(*)، قاله ابن عباس، وروى أبو هريرة قال(١٠٦): قال رسول الله ﷺ: «يحمله اليوم أربعة، وهم يوم القيامة ثمانية».

وفي قوله ﴿فوقهم﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم يحملون العرش فوق رؤوسهم.

الثاني: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين على أرجائها.

الثالث: أنهم فوق أهل القيامة.

﴿يومئذٍ تُعْرَضونَ﴾ يعني يوم القيامة، روى الحسن عن أبي موسى(١٠٧) قال: قال النبي ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، أما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف من الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

﴿لا تَخْفَى منكم خافيةٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا يخفى المؤمن من الكافر، ولا البر من الفاجر، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص.

الثاني: لا تستتر منكم عورة، كما قال النبي ﷺ(١٠٨): «يحشر الناس حفاة عراة».

الثالث: أن خافية بمعنى خفيّة كانوا يخفونها من أعمالهم حكاه ابن شجرة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ

(*) هم الملائكة المقربون.

(١٠٦) وقد تقدم تخريجه وهو مشهور بحديث الصور الطويل رواه ابو يعلى وغيره وهو حديث ضعيف.

(١٠٧) رواه أحمد (٤/٤١٤) وابن ماجه (٢/١٤٣٠) وقاله البوصيري في الزوائد رجال الاسناد ثقات إلا أنه منقطع، الحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة.

وقد رواه الترمذي (٢٤٢٥) عن الحسن عن أبي هريرة وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ورواه الطبري (٢٩/٢٩) بنحوه عن ابن مسعود وورد مرسلاً من مرسل قتادة كما أشار إليه الحافظ ابن كثير (٤/٤١٤).

(١٠٨) وقد ثبت ذلك في أكثر من حديث وقدمر بعضها والمؤمن الواعي الفطن هو من يتأهب لهذا اليوم ويستعد له بالتوبة. والندم على ما فرط فيه من حق الله تعالى وكذلك يسارع في الخيرات والطاعات ويبادر بالقربات ويخلص لله تعالى قلبه من الشهوات والشبهات عسى أن يقبل الله فيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

﴿فأمّا مَنْ أُوتي كتابَه بيمينه﴾ لأن إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة.

﴿فيقول هاؤم اقْرَؤوا كِتابيهْ﴾ ثقة بسلامته وسروراً بنجاته، لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرج، والشمال من دلائل الغم، قال الشاعر(١٠٩):

أبيني أفي يُمْنَى يديكِ جَعَلْتِني فأفرح أم صيرتني من شِمالِك.

وفي قوله «هاؤمُ» ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى هاكم اقرؤوا كتابيه فأبدلت الهمزة من الكاف، قاله ابن قتيبة.

الثاني: أنه بمعنى هلموا اقرؤوا كتابيه، قال الكسائي: العرب تقول للواحد هاءَ وللاثنين هاؤما وللثلاثة هاؤم.

الثالث: أنها كلمة وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح روي(١١٠) أن أعرابياً نادى رسول الله ﷺ بصوت عالٍ فأجابه هاؤم بطول صوته.

والهاء من «كتابيه» ونظائرها موضوعة للمبالغة، وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

﴿إني ظننتُ أني مُلاقٍ حِسابِيَهْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي علمت، قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال مجاهد: ظن الآخرة يقين، وظن الدنيا شك.

الثاني: ما قاله الحسن في هذه الآية، أن المؤمن أحْسن بربه الظن، فأحسن العمل، وأن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل.

وفي الحساب ها هنا وجهان:

أحدهما: في البعث.

الثاني: في الجزاء.

﴿فهو في عِيشَةٍ راضيةٍ﴾ بمعنى مَرْضيّة، قال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري

---

(١٠٩) هو عبد الله بن الدمينة والبيت في القرطبي (١٨/ ٢٦٩).

(١١٠) لم أعثر على تخريجه والله أعلم.

يرفعانه(١١١): إنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحّون فلا يمرضون أبداً، ويتنعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبّون فلا يهرمون أبداً.

﴿في جنة عالية﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: رفيعة المكان.

الثاني: عظيمة في النفوس.

﴿قطوفها دانيةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: دانية من الأيدي يتناولها القائم والقاعد.

الثاني: دانية الإدراك لا يتأخر حملها ولا نضجها.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾
يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ
فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا
حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

﴿وأمّا من أُوتي كتابه بشماله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه كان يقول ذلك راجياً.

الثاني: أنه كان مستوراً فافتضح، ومن عادة العرب أن تفرق بين القبول والرد وبين الكرامة والهوان، باليمين والشمال، فتجعل اليمين بشيراً بالقبول والكرامة، وتجعل الشمال نذيراً بالرد والهوان.

﴿ولم أَدْرِ ما حِسابِيَهْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لما شاهد من كثرة سيئاته وكان يظنها قليلة، لأنه أحصاه اللّه ونسوه.

الثاني: لما رأى فيه من عظيم عذابه وأليم عقابه.

﴿يا لَيْتَها كانت القاضيةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني موتاً لا حياة فيه بعدها، قاله الضحاك.

(١١١) رواه مسلم (٢٧٣٧) والترمذي (٣٢٤١).

الثاني : أنه تمنى أن يموت في الحال، ولم يكن في الدنيا أكره إليه من الموت، قاله قتادة.

﴿ما أغْنَى عَنِّي مالِيَهْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن كثرة ماله في الدنيا لم يمنع عنه في الآخرة.

الثاني: لأن رغبته في زينة الدنيا وكثرة المال هو الذي ألهاه عن الآخرة. .

﴿هَلَكَ عني سُلْطانِيَهْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ضللت عن حُجّتي، قاله مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك.

الثاني: سلطانه الذي تسلط به على بدنه حتى أقدم به على معصيته، وهذا معنى قول قتادة.

الثالث: أنه كان في الدنيا مطاعاً في أتباعه، عزيزاً في امتناعه، وهذا معنى قول الربيع بن أنس.

وحكي أن هذا في أبي جهل بن هشام، وذكر الضحاك أنها نزلت في الأسود ابن عبد الأسد.

﴿فليس له اليومَ ها هنا حَميمٌ﴾ الحميم: القريب، ومعناه ليس له قريب ينفعه ويدفع عنه كما كان يفعل معه في الدنيا.

﴿ولا طعامٌ إلا مِنْ غِسْلين﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه غسالة أطرافهم، قاله يحيى بن سلام، قال الأخفش: هو فعلين من الغسل.

الثاني: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه شجرة في النار هي أخبث طعامهم، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: أنه الحار الذي قد اشتد نضجه، بلغة أزد شنوءة.

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

﴿فلا أُقْسِمُ بما تُبصِرون﴾ قال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً ساحر، وقال أبو جهل: إنه شاعر، وقال عقبة بن معيط: إنه كاهن فقال

اللّه تعالى قسماً على كذبهم «فلا أُقْسِم» أي أُقسم، و«لا» صلة زائدة.

﴿وما لا تُبْصِرونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون من الخلق، قاله مقاتل.

الثاني: أنه رد لكلام سبق أي ليس الأمر كما يقوله المشركون.

ويحتمل ثالثاً: بما تعلمون وما لا تعلمون، مبالغة في عموم القسم.

﴿إنه لَقولُ رسولٍ كريمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: رسول اللّه ﷺ، قال ابن قتيبة: وليس القرآن من قول الرسول، إنما هو من قول اللّه وإبلاغ الرسول، فاكتفى بفحوى الكلام عن ذكره.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ولو تَقَوَّل علينا بَعْضَ الأقاويل﴾ أي تكلّف علينا بعض الأكاذيب، حكاه عن كفار قريش أنهم قالوا ذلك في النبي ﷺ.

﴿لأخْذنا منه باليمين﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدهـا: لأخذنا منه قوّته كلها، قاله الربيع

الثاني: لأخذنا منه بالحق، قاله السدي والحكم، ومنه قول الشاعر[١١٢]:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ   تَلَقّاها عَرابةُ باليَمينِ

أي بالاستحقاق.

الثالث: لأخذنا منه بالقدرة، قاله مجاهد.

الرابع: لقطعنا يده اليمنى، قاله الحسن.

(١١٢) تقدم تخريجه والشاعر هو الشماخ بن ضرار والبيت في القرطبي (١٨/ ٢٧٥) وفتح القدير (٥/ ٢٨٦).

الخامس: معناه لأخذنا بيمينه إذلالاً له واستخفافاً به، كما يقال لما يراد به الهوان، خذوا بيده، حكاه أبو جعفر الطبري.

﴿ثم لَقَطَعْنا مِنه الوَتينَ﴾فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه نياط القلب ويسمى حبل القلب، وهو الذي القلب معلق به، قاله ابن عباس(١١٣).

الثاني: أنه القلب ومراقّه وما يليه، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الحبل الذي في الظهر، قاله مجاهد.

الرابع: أنه عرق بين العلباء والحلقوم، قاله الكلبي.

وفي الإشارة إلى قطع ذلك وجهان:

أحدهما: إرادة لقتله وتلفه، كما قال الشاعر(١١٤):

إذا بَلَّغتِني وَحَمَلْتِ رحْلي عرابة فاشربي بدَمِ الوَتينِ.

الثاني: ما قاله عكرمة أن الوَتين إذا قطع لا إن جاع عَرَق، ولا إن شبع عَرَق.

﴿وإنه لَتَذْكرةٌ للمُتّقينَ﴾ يعني القرآن، وفي التذكرة أربعة أوجه:

أحدها: رحمة.

الثاني: ثَبات.

الثالث: موعظة.

الرابع: نجاة.

﴿وإنّا لَنَعْلَمُ أَنَّ منكم مُكذِّبينَ﴾ قال الربيع: يعني بالقرآن.

﴿وإنّه﴾ يعني القرآن.

﴿لَحَسْرةٌ على الكافرينَ﴾ يعني ندامة يوم القيامة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يزيد حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم أن يأتوا بمثله.

---

(١١٣) رواه الحاكم (٢/٥٠١) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده قوي لأنه من رواية الثوري عن عطاء وسمعه منه قبل الاختلاط أفاده الحافظ في الفتح (٥٣٢/٨) وزاد نسبته للفريابي والأشجعي.

(١١٤) القرطبي (٢٧٦/١٨) وفيه فاشرقي فتح القدير (٢٨٦/٥) وهو الشماخ والبيت في ديوانه: ٩٢ الطبري (٦٧/٢٩).

﴿وإنّه لَحقُّ اليَقينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي حقاً ويقيناً ليكونن الكفر حسرة على الكافرين يوم القيامة، قاله الكلبي.

الثاني: يعني القرآن عند جميع الخلق أنه حق، قال قتادة: إلا أن المؤمن أيقن به في الدنيا فنفعه، والكافر أيقن به في الآخرة فلم ينفعه.

﴿فَسَبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العظيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فصلِّ لربك، قاله ابن عباس.

الثاني: فنزهه بلسانك عن كل قبيح.

سُورَةُ المَعَارِج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ
﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾
فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: **﴿سأل سائلٌ﴾** قرأه الجمهور بهذين الحرفين في سأل سائل، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه استخبر مستخبر عن العذاب متى يقع، على التكذيب.

الثاني: دعا داع أن يقع البلاء بهم على وجه الاستهزاء، قاله مجاهد.

الثالث: طلب طالب.

﴿بعذابٍ واقعٍ﴾ وفي هذا الطالب ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه النضر بن الحارث، وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر، وقد سأل ذلك في قوله **﴿اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم﴾** [الأنفال: ٣٢] قاله ابن عباس (١١٥) ومجاهد.

---

(١١٥) رواه الحاكم (٢/٥٠٢) عن سعيد بن جبير وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي قائلاً على شرط البخاري فقط وأورده السيوطي في الدر (٢٧٧/٨) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني: أنه أبو جهل، وهو القائل لذلك، قاله ربيع بن أبي حمزة.

الثالث: أنه قول جماعة من قريش.

وفي هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنه العذاب في الآخرة، قاله مجاهد.

الثاني: أنها نزلت بمكة وعذابه يوم بدر بالقتل والأسر، قاله السدي.

وقرأ نافع وزيد بن أسلم وابنه «**سأل سايل**» غير مهموز، وسايل واد في جهنم، وسمي بذلك لأنه يسيل بالعذاب(١١٦).

﴿**مِن اللَّهِ ذي المعارج**﴾فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ذي الدرجات، قاله ابن عباس.

الثاني: ذي الفواضل والنعم، قاله قتادة.

الثالث: ذي العظمة والعلاء.

الرابع: ذي الملائكة، لأنهم كانوا يعرجون إليه، قاله قتيبة.

الخامس: أنها معارج السماء، قاله مجاهد.

﴿**تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه**﴾ أي تصعد، وفي الروح ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه روح الميت حين يقبض، قاله قَبيصة بن ذؤيب، يرفعه.

الثاني: أنه جبريل، كما قال تعالى: «**نزل به الروح الأمين**».

الثالث: أنه خلق من خلق اللَّه كهيئة الناس وليس بالناس، قاله أبو صالح.

﴿**في يوم كان مِقدارهُ خمسينَ ألْفَ سنةٍ**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله محمد بن كعب والحسن.

الثاني: أنها مدة الدنيا، مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا اللَّه، قاله عكرمة.

الثالث: أنه مقدار مدة الحساب في عرف الخلق أنه لو تولى بعضهم محاسبة بعض لكان مدة حسابهم خمسين ألف سنة، إلا أن اللَّه تعالى يتولاه في أسرع مدة.

---

(١١٦) وقد استضعف هذا القول ابن كثير (٤١٨/٤) وقال «وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع» اي واد في جهنم يسيل في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه.

وروى معاذ عن النبي[١١٧] ﷺ أنه قال: «يحاسبهم اللَّه بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب، وأسرع الحاسبين».

﴿فاصْبِرْ صَبْراً جَميلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه الصبر الذي ليس فيه جزع، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الصبر الذي لا بث فيه ولا شكوى.

الثالث: أنه الانتظار من غير استعجال، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه المجاملة في الظاهر، قاله الحسن.

وفيما أُمر بالصبر عليه قولان:

أحدهما: أُمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وأنه ساحر وأنه شاعر، قاله الحسن.

الثاني: أنه أُمر بالصبر على كفرهم، وذلك قبل أن يفرض جهادهم، قاله ابن زيد.

﴿إنهم يَرَوْنه بعيداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه البعث في القيامة.

الثاني: عذاب النار.

وفي المراد بالبعيد وجهان:

أحدهما: مستحيل غير كائن.

الثاني: استبعاد منهم للآخرة.

﴿ونراه قريباً﴾ أي كائناً، لأن ما هو كائن قريب.

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا

---

(١١٧) لم أعثر عليه ولكن روى الإمام أحمد (٣/ ٧٥) عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». ورواه ابن جرير (٢٩/ ٧٢) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.. والسند ضعيف في كليهما ودراج صاحب مناكير كما سبق مراراً. وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٢٨٠) نسبته لابن حبان والبيهقي في البعث.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ
۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾

﴿يومَ تكونُ السّماءُ كالمُهْلِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كدرديّ الزيت، قاله ابن عباس.

الثاني: كمذاب الرصاص والنحاس والفضة، قاله ابن مسعود.

الثالث: كقيح من دم، قاله مجاهد.

﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ﴾ يعني كالصوف المصبوغ، والمعنى أنها تلين بعد الشدة، وتتفرق بعد الاجتماع.

﴿يُبَصَّرُونَهم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه يبصر بعضهم بعضاً فيتعارفون، قاله قتادة.

الثاني: أن المؤمنين يبصرون الكافرين، قاله مجاهد.

الثالث: أن الكافرين يبصرون الذين أضلوهم في النار، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه يبصر المظلوم ظالمه، والمقتول قاتله.

﴿يودّ المجْرِمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يحب.

الثاني: يتمنى، والمجرم هو الكافر.

﴿لو يَفْتَدِي مِن عَذابِ يومِئذ﴾ يعني يفتدي من عذاب جهنم بأعز من كان عليه في الدنيا من أقاربه، فلا يقدر.

ثم ذكرهم فقال: ﴿ببنيه﴾.

﴿وصاحبته﴾ يعني زوجته: ﴿وأخيه﴾.

﴿وفصيلته﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عشيرته التي تنصره، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها أمه التي تربيه، قاله مالك، وقال أبو عبيدة: الفصيلة دون القبيلة.

﴿التي تؤويه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: التي يأوي إليها في نسبه، قاله الضحاك.

الثاني: يأوي إليها في خوفه.

﴿كلا إنها لَظَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها اسم من أسماء جهنم، سميت بذلك لأنها التي تتلظى، وهو اشتداد حرها.

الثاني: أنه اسم الدرك الثامن في جهنم، قاله الضحاك.

﴿نَزّاعة للشّوَى﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنها أطراف اليدين والرجلين، قاله أبو صالح(١١٨)، قال الشاعر(١١٩):

إذا نَظَرَتْ عَرَفْت الفخر منها ... وعَيْنيها ولم تعْرِفْ شَواها.

الثاني: قال الضحاك: هي جهنم تفري اللحم والجلد عن العظم، وقال مجاهد: جلدة الرأس ومنه قول الأعشى(١٢٠):

قالت قُتَيْلَةُ ما لَه ... قد جُلِّلَتْ شيْباً شَواتُهُ.

الثالث: أنه العصب والعقب، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه مكارم وجهه، قاله الحسن.

الخامس: أنه اللحم والجلد الذي على العظم، لأن النار تشويه، قاله الضحاك.

﴿تَدْعو مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلّى﴾ وفي دعائها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تدعوهم بأسمائهم فتقول للكافر: يا كافر إليّ، وللمنافق: يا منافق إليّ، قاله الفراء.

الثاني: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فكأنها الداعية لهم، ومثله قول الشاعر(١٢١):

ولقد هَبَطْنا الوادِيَيْن فوادياً ... يَدْعو الأنيسَ به العَضيضُ الأبكمُ.

العضيض الأبكم: الذباب، وهو لا يدعو وإنما طنينه ينبه عليه، فدعا إليه.

---

(١١٨) رواه الطبري (٢٩/٧٧) ومسدد كما في المطالب (٣/٣٩٢).

(١١٩) القرطبي (١٨/٨٩).

(١٢٠) فتح القدير (٥/٢٩٠) والقرطبي (١٨/٢٨٨) روح المعاني (٢٩/٦٠).

(١٢١) القرطبي (٨/٢٨٩) وفتح القدير (٥/٢٩١) وفيه القصيص.

الثالث: الداعي خزنة جهنم، أضيف دعاؤهم إليها، لأنهم يدعون إليها.

وفي ما ﴿أدبر وتولى﴾ عنه أربعة أوجه:

أحدها: أدبر عن الطاعة وتولى عن الحق، قاله مجاهد.

الثاني: أدبر عن الإيمان وتولى إلى الكفر، قاله مقاتل.

الثالث: أدبر عن أمر اللَّه وتولى عن كتاب اللَّه، قاله قتادة.

الرابع: أدبر عن القبول وتولى عن العمل.

﴿وجَمَع فأوْعَى﴾ يعني الذي أدبر وتولى جمع المال فأوعى، بأن جعله في وعاء حفظاً له ومنعاً لحق اللَّه منه، قال قتادة: فكان جموعاً منوعاً.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إنّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ قال الضحاك والكلبي: يعني الكافر. وفي الهلوع ستة أوجه:

أحدها: أنه البخيل، قاله الحسن.

الثاني: الحريص، قاله عكرمة.

الثالث: الضجور، قاله قتادة.

الرابع: الضعيف، رواه أبو الغياث.

الخامس: أنه الشديد الجزع، قاله مجاهد.

السادس: أنه الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿إذا مسّه الشرُّ..﴾ الآية، قاله ابن عباس.

وفيه وجهان :

أحدهما : إذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر، وهو معنى قول عطية .

الثاني : إذا استغنى منع حق اللّه وشح ، وإذا افتقر سأل وألح ، وهو معنى قول يحيى بن سلام .

﴿الذين هُمْ على صَلاتِهم دائمونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يحافظون على مواقيت الفرض منها، قاله ابن مسعود .

الثاني : يكثرون فعل التطوع منها، قاله ابن جريج .

الثالث : لا يلتفتون فيها، قاله عقبة بن عامر .

﴿والذين هم لأماناتِهم وعَهْدِهم راعُونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الأمانة ما ائتمنه الناس عليه أن يؤديه إليهم، والعهد : ما عاهد الناس عليه أن يَفيَ لهم به، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : أن الأمانة الزكاة أن يؤديها، والعهد : الجنابة أن يغتسل منها وهو معنى قول الكلبي .

ويحتمل ثالثاً : أن الأمانة ما نهي عنه من المحظورات، والعهد ما أمر به من المفروضات(١٢٢) .

﴿والذين هُم بشهاداتِهم قائمونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها شهادتهم على أنبيائهم بالبلاغ، وعلى أممهم بالقبول أو الامتناع .

الثاني : أنها الشهادات في حفظ الحقوق بالدخول فيها عند التحمل، والقيام بها عند الأداء .

ويحتمل ثالثاً : أنهم إذا شاهدوا أمراً أقاموا الحق للّه تعالى فيه، من معروف يفعلونه ويأمرون به، ومنكر يجتنبونه وينهون عنه .

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ

(١٢٢) وهذا القول اعم وأشمل وقد أشبعنا الكلام على ذلك في سورة الأحزاب فراجعه .

مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ
ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ
نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿فما للذين كفروا قِبلَكَ مُهْطِعينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مسرعين، قاله الأخفش، قال الشاعر(١٢٣):

بمكةَ دارُهم ولقد أراهم ... بمكةَ مُهطِعين إلى السماع

الثاني: معرضين، قاله عطية العوفي.

الثالث: ناظرين إليك تعجباً، قاله الكلبي.

﴿عن اليمين وعن الشِّمال عِزِينَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: متفرقين، قاله الحسن، قال الراعي(١٢٤):

أخليفةَ الرحمنِ إن عشيرتي ... أمسى سَراتُهُمُ إليك عِزينا.

الثاني: محتبين، قال مجاهد.

الثالث: أنهم الرفقاء والخلطاء، قاله الضحاك.

الرابع: أنهم الجماعة القليلة، قاله ابن أسلم.

الخامس: أن يكونوا حِلقاً وفرقاً.

روى أبو هريرة أن النبي(١٢٥) ﷺ خرج على أصحابه وهم حِلَق فقال: «ما لي أراكم عزين»، قال الشاعر(١٢٦):

---

(١٢٣) فتح القدير (٥/٢٩٣) والقرطبي (١٨/٢٩٢).

(١٢٤) فتح القدير (٥/٢٩٣) والقرطبي (١٨/٢٩٢) والطبري (٢٩/٨٦) خزانة الأدب (١/٥٠٢)، جمهرة أشعار العرب (١٧٢ ـ ١٧٦).

(١٢٥) رواه الطبري (٢٩/٨٦) وزاد السيوطي في الدر (٨/٢٨٦) نسبته لابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٢٣) وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه».

قلت ورواه مسلم (١/٣٢٢) من حديث جابر بن سمرة وكذا الطبري (٢٩/٨٦) وغيرها كما في الدر (٨/٢٨٦).

(١٢٦) فتح القدير (٥/٢٩٣) والقرطبي (١٨/٩٣).

ترانا عنده والليل داج على أبوابه حِلقاً عِزينا.

﴿يوم يَخْرجون من الأجداثِ سِراعاً﴾ يعني من القبور.

﴿كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ في «نصب» قراءتان: إحداهما بتسكين الصاد، والأخرى بضمها(١٢٧).

وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، قاله المفضل وطائفة، فعلى هذا في تأويله أربعة أوجه:

أحدها: معناه إلى علم يستبقون، قاله قتادة.

الثاني: إلى غايات يستبقون، قاله أبو العالية.

الثالث: إلى أصنامهم يسرعون، قاله ابن زيد، وقيل إنها حجارة طوال كانوا يعبدونها.

الرابع: إلى صخرة بيت المقدس يسرعون.

والوجه الثاني من الأصل أن معنى القراءتين مختلف، فعلى هذا في اختلافهما وجهان:

أحدهما: أن النُّصْب بالتسكين الغاية التي تنصب إليها بصرك، والنُّصُب بالضم واحد الأنصاب، وهي الأصنام، قاله أبو عبيدة ومعنى «يوفضون» يسرعون، والإيفاض الإسراع، ومنه قول رؤبة(١٢٨):

يمشين بنا الجد على الإيفاض بقطع أجواز الفلا انفضاض.

---

(١٢٧) وهي قراءة ابن كثير وعاصم ونافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي هكذا «نَصْب» بفتح فسكون وقرىء «نُصْب» بضم فسكون وهي قراءة ابن عباس وابن مجلز والنخعي راجع زاد المسير (٨/٣٦٦، ٣٦٧) والسبعة لابن مجاهد ٦٥١ والحجة ٧٢٤، ٧٢٥.

(١٢٨) اللسان «وفض». الطبري (٢٩/٧٩).

سُورَةُ نُوحٍ

آياتها ٢٨ — ترتيبها ٧١

مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إنا أرْسَلْنا نُوحاً إلى قَوْمِه﴾ روى قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال[١٢٩]: «أول نبي أُرسل نوح»، قال قتادة: بعث من الجزيرة.

واختلف في سنه حين بعث:

قال ابن عباس: بعث وهو ابن أربعين سنة.

وقال عبد اللَّه بن شداد: بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقال إبراهيم بن يزيد: إنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه في الدنيا.

﴿أنْ أنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أن يأتيهم عَذابٌ أليمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عذاب النار في الآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: عذاب الدنيا، وهو ما ينزل عليهم بعد ذلك من الطوفان، قاله الكلبي،

(١٢٩) تقدم تخريجه في سورة الأعراف وهود.

وكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى منهم مجيباً، وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، فيقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿يَغْفِرْ لكم مِن ذُنوبكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن «من» صلة زائدة، ومعنى الكلام يغفر ذنوبكم، قاله السدي.

الثاني: أنها ليست صلة، ومعناه يخرجكم من ذنوبكم، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: معناه يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها، قاله ابن شجرة.

﴿ويُؤَخِّرْكم إلى أجَلٍ مُسمى﴾ يعني إلى موتكم وأجلكم الذي خط لكم، فيكون موتكم بغير عذاب إن آمنتم.

﴿إنّ أَجَلَ اللَّهِ إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لو كنتم تَعْلَمونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بأجل اللَّه الذي لا يؤخر يوم القيامة، جعله اللَّه أجلاً للبعث، قاله الحسن.

الثاني: يعني أجل الموت إذا جاء لم يؤخر، قاله مجاهد.

الثالث: يعني أجل العذاب إذا جاء لا يؤخر، قاله السدي.

وفي قوله: «لو كنتم تعلمون» وجهان:

أحدهما: أن ذلك بمعنى إن كنتم تعلمون.

الثاني: لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل اللَّه إذا جاء لا يؤخر، قاله الحسن.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ
وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ
ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ
أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ
ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾

﴿قال رَبِّ إنّي دَعَوْتُ قَوْمي ليلاً ونهاراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: دعوتهم ليعبدوك ليلاً ونهاراً.

الثاني: دعوتهم ليلاً ونهاراً إلى عبادتك(١٣٠).

﴿فلم يَزِدْهم دُعائي إلاّ فِراراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلا فراراً من طاعتك.

الثاني: فراراً من إجابتي إلى عبادتك.

قال قتادة: بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك، فحذرني كما حذرتك.

﴿وإنّي كلما دَعَوْتُهم لِتغْفِرَ لهم﴾ يعني كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم ما تقدم من الشرك.

﴿جعلوا أصابعهم في آذانِهم﴾ لئلا يسمعوا دعاءه ليؤيسوه من إجابة ما لم يسمعوه، قال محمد بن إسحاق: كان حليماً صبوراً.

﴿واستغْشَوْا ثيابَهم﴾ أي غطوا رؤوسهم وتنكروا لئلا يعرفهم.

﴿وأَصَرُّوا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه إقامتهم على الكفر، قال قتادة: قدماً قدماً في معاصي الله لالتهائهم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله.

الثاني: الإصرار: أن يأتي الذنب عمداً، قاله الحسن.

الثالث: معناه أنهم سكتوا على ذنوبهم فلم يستغفروا، قاله السدي.

﴿واستكْبَروا استكباراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ذلك كفرهم بالله وتكذيبهم لنوح، قاله الضحاك.

الثاني: أن ذلك تركهم التوبة، قاله ابن عباس، وقوله «استبكاراً» تفخيم.

(١٣٠) قال محقق المطبوعة: الفرق بين الوجهين أن الأول معناه أنه دعاهم أن يعبدو الله في الليل والنهار والثاني معناه ان دعوته لهم مستمرة بالليل والنهار.

﴿ثم إنّي دَعْوتُهم جِهاراً﴾ أي مجاهرة يرى بعضهم بعضاً.

﴿ثم إني أعْلَنْتُ لهم﴾ يعني الدعاء، قال مجاهد: معناه صِحْتُ.

﴿وأسْرَرْتُ لهم إسْراراً﴾ الدعاء عن بعضهم من بعض، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دعاهم في وقت سراً، وفي وقت جهراً.

الثاني: دعا بعضهم سراً وبعضهم جهراً، وكل هذا من نوح مبالغة في الدعاء وتلطفاً في الاستدعاء.

﴿فقلتُ استغْفِروا ربّكم إنّه كان غَفّاراً﴾ وهذا فيه ترغيب في التوبة، وقد روى حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال(١٣١): الاستغفار ممحاة للذنوب.

وقال: الفضيل: يقول العبد استغفر اللّه، قال: وتفسيرها أقلني.

﴿يُرْسِلِ السماءَ عليكم مِدْراراً﴾ يعني غيثاً متتابعاً(١٣٢)، وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا أربعين سنة، حتى أذهب الجدب أموالهم وانقطع الولد عن نسائهم، فقال ترغيباً في الإيمان.

﴿ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنينَ ويَجْعَل لكم جَنّاتٍ ويَجْعَل لكم أنهاراً﴾ قال قتادة: علم نبي اللّه نوح أنهم أهل حرص على الدنيا، فقال هلموا إلى طاعة اللّه فإن من طاعته درك الدنيا والآخرة.

﴿ما لكم لا ترجون للّه وقاراً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ما لكم لا تعرفون للّه عظمة، قاله مجاهد وعكرمة.

الثاني: لا تخشون للّه عقاباً وترجون منه ثواباً، قاله ابن عباس في رواية ابن جبير.

الثالث: لا تعرفون للّه حقه ولا تشكرون له نعمه، قاله الحسن.

الرابع: لا تؤدون للّه طاعة، قاله ابن زيد.

الخامس: أن الوقار الثبات، ومنه قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن» [الأحزاب: ٣٣]أي اثبتن، ومعناه لا تثبتون وحدانية اللّه وأنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه، قال

---

(١٣١) تخريجه لم أعثر عليه ولكن روى مسلم (٤/٢١٠٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» وروى مسلم (٤/٢١٠٥) نحوه من حديث أبي ايوب الأنصاري مرفوعاً.

(١٣٢) وفي الآية دليل على أن الاستغفار يستنزل به لله الرزق والامطار.

ابن بحر: دلهم على ذلك فقال: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني طوراً نطفة، ثم طوراً علقة، ثم طوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم كسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر أنبتنا له الشعر وكملت له الصورة، قاله قتادة.

الثاني: أن الأطوار اختلافهم في الطول والقصر، والقوة والضعف والهم والتصرف، والغنى والفقر.

ويحتمل ثالثاً: أن الأطوار اختلافهم في الأخلاق والأفعال.

﴿ألَمْ تَروْا كيف خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سمواتٍ طِباقاً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنهن سبع سموات على سبع أرضين، بين كل سماء وأرض خلق، وهذا قول الحسن.

والثاني: أنهن سبع سموات طباقاً بعضهن فوق بعض، كالقباب، وهذا قول السدي.

﴿وجَعَل القَمَرَ فيهنّ نُوراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه وجعل القمر فيهن نوراً لأهل الأرض، قاله السدي.

الثاني: أنه جعل القمر فيهن نوراً لأهل السماء والأرض، قاله عطاء.

وقال ابن عباس: وجهه يضيء لأهل الأرض، وظهره يضيء لأهل السماء.

﴿وجَعَل الشّمْسَ سِراجاً﴾ يعني مصباحاً لأهل الأرض، وفي إضافته لأهل السماء القولان الأولان.

﴿واللّه أَنْبَتَكُم مِنَ الأرضِ نَباتاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني آدم خلقه من أديم الأرض كلها، قاله ابن جريج، وقال خالد بن معدان: خلق الإنسان من طين، فإنما تلين القلوب في الشتاء.

الثاني: أنبتهم من الأرض بالكبر بعد الصغر، وبالطول بعد القصر، قاله ابن بحر.

الثالث: أن جميع الخلق أنشأهم باغتذاء ما تنبته الأرض وبما فيها، وهو محتمل.

﴿ثم يُعيدُكم فيها﴾ يعني أمواتاً في القبور.

﴿ويُخرِجُكم إخْراجاً﴾ للنشور بالبعث.

﴿واللَّهُ جعَل لكم الأرضَ بِساطاً﴾ أي مبسوطة، وفيه دليل على أنها مبسوطة.

﴿لِتَسْلُكوا منها سُبُلاً فجاجاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طرقاً مختلفة، قاله ابن عباس.

الثاني: طرقاً واسعة، قاله ابن كامل.

الثالث: طرقاً أعلاماً، قاله قتادة.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾

﴿قال نوحٌ ربِّ إنهم عَصَوْني﴾ قال أهل التفسير: لبث فيهم ما أخبر اللَّه به ألف سنة إلا خمسين عاماً داعياً لهم، وهم على كفرهم وعصيانهم، قال ابن عباس: رجا نوح الأبناء بعد الآباء، فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبعة قرون، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، حتى كثر الناس وفشوا.

قال الحسن: كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين.

﴿واتّبَعوا مَنْ لم يَزِدْه مالُه ووَلدُه إلاّ خساراً﴾ قرىء ولده بفتح الواو وضمها، وفيهما قولان:

أحدهما: أن الولد بالضم[١٣٣] الجماعة من الأولاد، والولد بالفتح واحد منهم، قاله الأعمش، قال الربيع بن زياد:

وإنْ تكُ حَرْبُكم أمست عواناً ... فإني لم أكُنْ مّمن جَناها

ولكن وُلْدُ سَوْدَةَ أرَّثوها ... وحَشّوا نارها لمن اصطلاها

﴿ومَكَروا مَكْراً كُبّاراً﴾ أي عظيماً، والكبّار أشد مبالغة من كبير.

وفيه وجهان، أحدهما: ما جعلوه للَّه من الصاحبة والولد، قاله الكلبي.

(١٣٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي راجع زاد المسير (٣٧٢/٨، ٣٧٣) والسبعة لابن مجاهد ٦٥٢.

الثاني: هو قول كبرائهم لأتباعهم: ﴿**وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً**﴾ الآية، قاله مقاتل.

وفي هذه الأصنام قولان:

أحدهما: أنها كانت للعرب لم يعبدها غيرهم ويكون معنى الكلام: كما قال قوم نوح لأتباعهم لا تذرن آلهتكم، قالت العرب مثلهم لأولادهم وقومهم لا تذرنّ وداً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً، ثم عاد الذكر بعد ذلك إلى قوم نوح(١٣٤).

واختلف في هذه الأسماء، فقال عروة بن الزبير: اشتكى آدم وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان ود أكبرهم وأبرهم به، وقال غيره(١٣٥): إن هذه الأسماء كانت لرجال قبل قوم نوح، فماتوا فحزن عليهم أبناؤهم حزناً شديداً، فزين لهم الشيطان أن يصوروهم لينظروا إليهم ففعلوا، ثم عبدها أبناؤهم من بعدهم. وقال محمد بن كعب: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فحدث بعدهم من أخذ في العبادة مأخذهم، فزين لهم إبليس أن يتصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم، ثم عبدها من بعدهم قوم نوح، ثم انتقلت بعدهم إلى العرب فعبدها ولد إسماعيل.

فأما ود فهو أول صنم معبود، سمي بذلك لودهم له، وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل من قول ابن عباس وعطاء ومقاتل، وفيه يقول شاعرهم:

حيّاك ودٌّ فإنا لا يحل لنا ... لهْوُ النساءِ وإنّ الدينَ قد عَزَما.

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر، في قولهم. وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ، في قول قتادة، وقال مقاتل: حي من نجران.

قال أبو عثمان النهدي: رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد، ويسيرون معه لا يهيجونه، حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل، فيضربون عليه بناء وينزلون حوله.

وأما يعوق فكان لهمدان ببلخع(*)، في قول قتادة وعكرمة وعطاء.

---

(١٣٤) لاحظ أنه لم يذكر الا قولاً واحداً فقط.

(١٣٥) هو ابن عباس رضي الله عنه وقد رواه البخاري (٨/٥٣٥) وقال الحافظ ابن حجر (٨/٥٣٧) وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الاصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك.

(*) وهو موضع باليمن.

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول عطاء ونحوه عن مقاتل(١٣٦).

﴿وقد أَضَلّوُا كثيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد أن هذه الأصنام قد ضل بها كثير من قومه.

الثاني: أن أكابر قومه قد أضلوا كثيراً من أصاغرهم وأتباعهم.

﴿ولا تَزِدِ الظّالمينَ إلاّ ضَلالاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا عذاباً، قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى:

﴿إن المجرمين في ضلالٍ وسُعُرٍ﴾. [القمر: ٤٧]

الثاني: إلا فتنة بالمال والولد، وهو محتمل.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

﴿وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ مِنَ الكافرين دَيّارا﴾ اختلفوا في سبب دعاء نوح على قومه بهذا على قولين:

أحدهما: أنه لما نزلت عليه قوله تعالى: ﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ [هود: ٣٦]دعا عليهم بهذا الدعاء، قاله قتادة.

الثاني: أن رجلاً من قومه حمل ولده صغيراً على كتفه، فمر بنوح، فقال لابنه: إحذر هذا فإنه يضلك فقال: يا أبت أنزلني فأنزله فرماه فشجّهُ، فحينئذٍ غضب نوح ودعا عليهم.

وفي قوله﴿ديّاراً﴾وجهان:

أحدهما: أحداً، قاله الضحاك.

الثاني: من يسكن الديار، قاله السدي.

﴿ربِّ اغْفِرْ لي ولوالدَيّ﴾فيه قولان:

(١٣٦) لم يذكر المؤلف القول الثاني فتنبه.

أحدهما: أنه أراد أباه، واسمه لمك، وأمه واسمها منجل، وكانامؤمنين، قاله الحسن.

الثاني: أنه أراد أباه وجده، قاله سعيد بن جبير.

﴿ولمن دَخَل بَيْتَيِ مُؤْمِناً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني صديقي الداخل إلى منزلي، قاله ابن عباس.

الثاني: من دخل مسجدي، قاله الضحاك.

الثالث: من دخل في ديني، قاله جويبر.

﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد من قومه.

الثاني: من جميع الخلق إلى قيام الساعة، قاله الضحاك.

﴿ولا تَزِدِ الظالمينَ﴾ يعني الكافرين.

﴿إلا تباراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هلاكاً.

الثاني: خساراً، حكاهما السدي.

سُورَةُ الجِنِّ

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: **﴿قل أُوحِيَ إليَّ أنه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِن الجِنِّ﴾** اختلف أهل التفسير في سبب حضور النفر من الجن إلى رسوله اللَّه ﷺ لسماع القرآن على قولين:

أحدهما: أن اللَّه تعالى صرفهم إليه بقوله: **﴿وإذ صَرَفْنا إليك نفراً من الجن﴾**، [الأحقاف: ٢٩]، قاله ابن مسعود والضحاك وطائفة.

الثاني: أنه كان للجن مقاعد في السماء الدنيا يستمعون منها ما يحدث فيها من أمور الدنيا، فلما بعث اللَّه رسوله محمداً ﷺ حرست السماء الدنيا من الجن ورجموا بالشهب، قال السدي: ولم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو أثر له ظاهر، قال: فلما رأى أهل الطائف اختلاف الشهب في السماء قالوا: هلك أهل السماء فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو:

ويحكم أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها لم يهلك أهل السماء، وإنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً فلما رأوها مستقرة كفّوا.

وفزعت الجن والشياطين، ففي رواية السدي أنهم أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوها فشمها فقال: صاحبكم بمكّة فبعث نفراً من الجن..

وفي رواية ابن عباس(١٣٧): أنهم رجعوا إلى قومهم فقالوا: ما حال بيننا وبين السماء إلا أمر حدث في الأرض، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ففعلوا حتى أتوا تهامة، فوجدوا محمداً ﷺ يقرأ. ثم اختلفوا لاختلافهم في السبب، هل شاهد رسول الله ﷺ الجن أم لا؟

فمن قال إنهم صرفوا إليه قال إنه رآهم وقرأ عليهم ودعاهم، روى ابن مسعود أن (١٣٨) النبي ﷺ قال: قد أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم الثانية فسكتوا، ثم الثالثة، فقال ابن مسعود أنا أذهب معك، فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دُب، فخط عليَّ خطاً ثم قال: لا تجاوزه، ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل حتى غشوة فلم أره، قال عكرمة: وكانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل.

ومن قال إنهم صرفوا في مشارق الأرض ومغاربها لاستعلام ما حدث فيها، قال إن النبي ﷺ لم يرهم.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، وإنما انطلق في نفر من أصحابه إلى سوق عكاظ، فأتوه وهو بنخلة عامداً، إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء.

قال عكرمة: السورة التي كان يقرؤها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ واختلف قائلوا هذا

---

(١٣٧) رواه البخاري (٨/٥١٣، ٥١٨) ومسلم (٤٤٩) والترمذي (٣٣٢٠) والحاكم وصححه (٢/٥٠٣) وزاد السيوطي في الدر (٦/٢٩٦) نسبته لابن المنذر وابن مردويه والطبراني وعبد بن حميد وابي نعيم والبيهقي.

(١٣٨) تقدم تخريجه في سورة الأحقاف.

القول في عددهم، فروى عاصم عن زر بن حبيش أنهم كانوا تسعة، أحدهم زوبعة، أتوه في بطن نخلة.

وروى ابن جريج عن مجاهد: أنهم كانوا سبعة، ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم: حسى ومسى وماصر وشاصر والأرد وأتيان والأحقم(١٣٩).

وحكى جويبر عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق، وهم سليط وشاصر وماصر وحسا ومنشا ولحقم والأرقم والأرد واتيان، وهم الذين قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً، وكانوا قد أدركوا رسول اللّه ﷺ ببطن نخلة في صلاة الصبح فصلّوا معه: **﴿فلما قضى ولّوْا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا أجيبوا داعي اللّه وآمِنوا به﴾**.

وقيل إن الجن تعرف الإنس كلها فلذلك توسوس إلى كلامهم.

واختلف في أصل الجن، فروى إسماعيل عن الحسن البصري أن الجن(١٤٠) ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولي اللّه، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم يموتون، ومنهم المؤمن والكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في مؤمني الجن هل(١٤١) يدخلون الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال يدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال هم من ذرية إبليس فلهم فيها قولان:

أحدهما: يدخلونها، وهو قول الحسن.

الثاني: وهو رواية مجاهد، لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار.

وفي قوله تعالى: **﴿إنا سَمِعْنا قُرآنا عَجَباً﴾** ثلاثة أوجه:

أحدها: عجباً في فصاحة كلامه.

الثاني: عجباً في بلاغة مواعظه.

(١٣٩) وفي أسماء هؤلاء اختلاف بين المفسرين.

(١٤٠) وهو الصحيح وقد تقدم في سورة البقرة.

(١٤١) تقدم الخلاف في ذلك في سورة الأنعام وذكرنا أن الراجح أنهم يدخلون الجنة كالإنس.

الثالث: عجباً في عظم بركته.

﴿يَهْدِي إلى الرُّشْدِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مراشد الأمور.

الثاني: إلى معرفة اللَّه.

﴿وأنّه تعالى جَدُّ ربّنا﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أمر ربنا، قاله السدي.

الثاني: فعل ربنا، قاله ابن عباس.

الثالث: ذكر ربنا، وهو قول مجاهد.

الرابع: غنى ربنا، قاله عكرمة.

الخامس: بلاء ربنا، قاله الحسن.

السادس: مُلك ربنا وسلطانه، قاله أبو عبيدة.

السابع: جلال ربنا وعظمته، قاله قتادة.

الثامن: نعم ربنا على خلقه، رواه الضحاك.

التاسع: تعالى جد ربنا أي تعالى ربُّنا، قاله سعيد بن جبير.

العاشر: أنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الأب، ويكون هذا من قول الجن عن [جهالة].

﴿وأنه كان يقولُ سَفيهُنا على اللَّهِ شَطَطاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: جاهلنا وهم العصاة منا، قال قتادة: عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الإنس.

الثاني: أنه إبليس، قاله مجاهد وقتادة ورواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي(١٤٢) ﷺ.

ومن قوله «شططاً» وجهان:

أحدهما: جوراً، وهو قول أبي مالك..

الثاني: كذباً، قاله الكلبي، وأصل الشطط البعد، فعبر به عن الجور لبعده من العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق.

(١٤٢) رواه الديلمي وابن مردويه كما في الدر (٨/٢٩٨) وسنده واه.

﴿وأنّه كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعُوذون برجالٍ من الجنِّ﴾ قال ابن زيد: إنه كان الرجل في الجاهلية قبل الإسلام إذا نزل بواد قال: إني أعوذ بكبير هذا الوادي ـ يعني من الجن ـ من سفهاء قومه، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم، وهو معنى قوله: «وأنه كان رجال».

وفي قوله: ﴿فزادُهم رَهقاً﴾ ثمانية تأويلات:

أحدها: طغياناً، قاله مجاهد.

الثاني: إثماً، قاله ابن عباس وقتادة، قال الأعشى(١٤٣):

لا شيءَ ينفعني مِن دُون رؤيتها هل يَشْتفي عاشقٌ ما لم يُصبْ رهَقاً.

يعني إثماً.

الثالث: خوفاً، قاله أبو العالية والربيع وابن زيد.

الرابع: كفراً، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: أذى، قاله السدي.

السادس: غيًّا، قاله مقاتل.

السابع: عظمة، قاله الكلبي.

الثامن: سفهاً، حكاه ابن عيسى.

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

﴿وأنا لَمَسْنا السّماءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طلبنا السماءَ، والعرب تعبر عن الطلب باللمس تقول جئت ألمس الرزق وألتمس الرزق.

الثاني: قاربنا السماء، فإن الملموس مقارَب.

﴿فوَجَدْناها﴾ أي طرقها.

---

(١٤٣) ديوانه: ١١٦ والقرطبي (١٩/ ١٠) روح المعاني (٢٩/ ٨٥) فتح القدير (٥/ ٣٠٥) اللسان «رهق» الطبري (٢٩/ ١٠٩).

﴿مُلئتْ حَرَساً شديداً﴾ هم الملائكة الغلاظ الشداد.

﴿وشُهُباً﴾ جمع شهاب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عند استراق السمع، واختلف في انقضاضها في الجاهلية قبل مبعث الرسول ﷺ على قولين:

أحدهما: أنها كانت تنقض في الجاهلية [١٤٤]، وإنما زادت بمبعث الرسول إنذاراً بحاله، قال أوس بن حجر، وهو جاهلي [١٤٥]:

فانقضّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعهُ نقعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُباً.

وهذا قول الأكثرين.

الثاني: أن الانقضاض لم يكن قبل المبعث وإنما أحدثه اللّه بعده، قال الجاحظ: وكل شعر روي فيه فهو مصنوع.

﴿وأنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنها مَقَاعِدَ للسّمْعِ﴾ يَعني أن مردة الجن كانوا يقعدون من السماء الدنيا مقاعد للسمع يستمعون من الملائكة أخبار السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة فتجري على ألسنتهم، فحرسها اللّه حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذٍ:

﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رَصَداً﴾ يعني بالشهاب الكوكب المحرق، والرصد من الملائكة.

أما الوحي فلم تكن الجن تقدر على سماعه، لأنهم كانوا مصروفين عنه من قبل.

﴿وأنّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُريدَ بمن في الأرضِ أمْ أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم لا يدرون هل بعث اللّه محمداً ليؤمنوا به ويكون ذلك منهم رشداً ولهم ثواباً، أم يكفروا به فيكون ذلك منهم شراً وعليهم عقاباً، وهذا معنى قول السدي وابن جريج.

الثاني: أنهم لا يدرون حراسة السماء بالشهب هل شر وعذاب أم رشد وثواب، قاله ابن زيد.

(١٤٤) تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات فراجعه.

(١٤٥) روح المعاني (٢٩/٨٧) والقرطبي (١٩/١٣) شواهد الكشاف (٤/٥٠١).

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ
بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ
فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا
﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن
يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

﴿وأنّا مِنّا الصّالحونَ﴾ يعني المؤمنين.

﴿ومنّا دون ذلك﴾ يعني المشركين.

ويحتمل أن يريد بالصالحين أهل الخير، وبـ«**دون ذلك**» أهل الشر ومن بين الطرفين على تدريج، وهو أشبه في حمله على الإيمان والشرك لأنه إخبار منهم عن تقدم حالهم قبل إيمانهم.

﴿كُنّا طَرائقَ قِدَداً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني فِرقاً شتى، قاله السدي.

الثاني: أدياناً مختلفة، قاله الضحاك.

الثالث: أهواء متباينة، ومنه قول الراعي(١٤٦):

القابض الباسط الهادي بطاعته ... في فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدَدُ

﴿وأنّا لّما سَمِعْنا الهُدَى آمَنّا به﴾ يعني القرآن سمعوه من النبي ﷺ فآمنوا به وصدقوه على رسالته، وقد كان رسول اللّه مبعوثاً إلى الجن والإنس.

قال الحسن: بعث اللّه محمداً إلى الإنس والجن ولم يبعث اللّه تعالى رسولاً من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء، وذلك قوله تعالى: ﴿**وما أرسَلْنا مِن قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى**﴾.

﴿فمن يؤمن بربّه فلا يخافُ بخساً ولا رَهقاً﴾ قال ابن عباس:

(١٤٦) فتح القدير (٥/٣٠٦) روح المعاني (٢٩/٨٨) القرطبي (١٩/١٥).

لا يخاف نقصاً في حسناته، ولا زيادة في سيئاته، لأن البخس النقصان، والرهق: العدوان، وهذا قول حكاه اللَّه عن الجن لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم، وقد روى عمار بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال(١٤٧): بينما عمر بن الخطاب جالساً ذات يوم إذ مرّ به رجل، فقيل له: أتعرف المارّ يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هو؟ قالوا: سواد بن قارب رجل من أهل اليمن له شرف، وكان له رئيّ من الجن، فأرسل إليه عمر فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وأنت الذي أتاك رئيّ من الجن يظهر لك؟ قال: نعم بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللَّه وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبْتُ للجنّ وتطلابها ... وشدِّها العِيسَ بأذْنابها.

تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما صادقُ الجن ككذّابها.

فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... فليس قد أتاها كاذباً بها.

---

(١٤٧) أفاد الحافظ في الإصابة (٣/٢٢٠) أن هذا الطريق لحديث عمر رواه الحسن بن سفيان وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقّاصي عن محمد بن كعب القرظي وللحديث طرق عن عمر ومنها عن البراء بن عازب أخرجها البيهقي في الدلائل من طريق أبي إسحاق عن البراء ومنها عن سواد بن قارب من طريق عباد بن عبد الصمد: سمعت سعيد بن جبير أخبرني سواد بن قارب ومنها عن عبدالله بن عبد الرحمن من طرق أخرجها الحسن بن سفيان عن الحسن بن عمارة عن عبدالله بن عبد الرحمن قال دخل سواد بن قارب على عمر ومنها عن أنس مرفوعاً أخرجها ابن شاهين من طريق الفضل بن عيسى القرشي عن العلاء بن زيدل عن أنس بن مالك قال: دخل رجل من دوس يقال له سواد بن قارب على النبي ﷺ.. فذكر القصة بطولها راجع بقية الطرق في الإصابة (٣/٢١٩ ـ ٢٢٠) (تنبيه) قول المؤلف هنا عمار بن عبد الرحمن خطأ والصواب عثمان بن عبد الرحمن والتصويب من الإصابة.

(*) الحديث الذي أورده المؤلف هنا من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقّاصي عن محمد بن كعب إسناده ضعيف جداً لأن فيه عثمان بن عبد الرحمن وهو متروك الحديث قال البخاري فيه تركوه وقال ابن معين ليس بشيء وقال مرة يكذب وضعفه عليّ بن المديني جداً وقال النسائي والدارقطني متروك راجع ترجمته في الميزان (٣/٤٣ ـ ٤٥).

فقلت دعني أنام فإني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قاله رأساً، فلما كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللّه وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبْتُ للجنّ وتخيارها ... وشدِّها العيس بأكوارها.
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمن الجن ككفّارِها.
فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ما بين رابيها وأحجارها

فقلت له دعني فإني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً، فلما كان الليلة الثالثة أتاني وضربني برجله، وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللّه وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتحساسها ... وشدِّها العيسَ بأحْلاسها.
تهوي إلى مكة تبغي الهُدى ... ما خَيِّرُ الجنّ كأنجاسها.
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم ... واسم بيديْك إلى رأسها.

قال: فأصبحت قد امتحن اللّه قلبي بالإسلام، فرحلتُ ناقتي فأتيت المدينة، فإذا رسول اللّه ﷺ وأصحابه، فقلت اسمع مقالتي يا رسول اللّه، قال: هات، فأنشأت أقول:

أتاني نجيّ بين هدءٍ ورقْدةٍ ... ولم يك فيما قد تلوْتُ بكاذبِ
ثلاث ليال قوله كل ليلةٍ ... أتاك رسولٌ من لؤيّ بن غالب
فشمّرتَ من ذيلي الإزار ووسطت ... بي الذملُ الوجناء بين السباسِب
فأشهَدُ أن اللّه لا شيءَ غيرهُ ... وأنك مأمولٌ على كل غالبِ.

(*) وأما طريق أنس المرفوعة فضعيفة جداً بل باطلة.

فإن في سندها الفضل بن عيسى القرشي (كذا في الأصل والصواب الرقاشي) عن العلاء بن زيدل والفضل ضعفوه. وكان قدرياً خبيثاً كما قال ابن معين. راجع ترجمته في الميزان (٣/٣٥٦) وقال فيه سلام بن أبي مطيع: لو أن فضلاً الرقاشي ولد أخرساً كان خيراً له وقال أبو زرعة منكر الحديث وزاد ابو حاتم في حديثه بعض الوهن ليس بقوي وأما العلاء بن زيدل ويقال زيد أيضاً. فهو متروك الحديث رماه أبو الوليد الطيالسي بالكذب...

وأنـك أدنـى الـمـرسـلـين وسـيـلةً إلى اللّه يـا بن الأكـرمين الأطـايب.
فمُرْنا بمـا يـأتيـك يـا خيـرَ من مشى وإن كـانَ فيمـا جـاءَ شيبُ الـذوائب.
وكن لي شفيعـاً يـومَ لا ذو شفـاعـةٍ سِـواكَ بمغنٍ عن سـوادِ بن قـارب.

ففرح رسول اللّه ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحـاً شديـداً، حتى رئي الفرح في وجوههم، قال: فـوثب عمر فـالتزمـه وقال: قـد كنت أشتهي أن أسمع منـك هذا الحديث، فهل يأتيك رئيك من الجن اليوم؟ قال: [أما] وقد قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب اللّه عن الجن.

﴿وأنّا مِنّا المسْلِمونَ ومِنّا القاسِطونَ﴾ وهذا إخبار عن قول الجن بحال من فيهم من مؤمن وكافر، والقاسط: الجائر، لأنه عادل عن الحق، ونظيره التَرِب والمُتْرِب، فالترِب الفقير، لأن ذهاب ماله أقعده على التراب، والمترب الغني لأن كثرة ماله قد صار كالتراب.

وفي المراد بالقاسطين ثلاثة أوجه:

أحدها: الخاسرون، قاله قتادة.

الثاني: الفاجرون، قاله ابن زيد.

الثالث: الناكثون، قاله الضحاك.

﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ ذكر ابن بحر أن كل ما في هذه السورة من «إنّ» المكسورة المثقلة فهو حكاية لقول الجن الذين استمعـوا القرآن فـرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من «أنّ» المفتوحة المخففة أو المثقلة فهـو من وحي الرسول.

وفي هذه الاستقامة قولان:

أحدهما: أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة، قاله محمد بن كعب وأبو مجلز وغيرهما.

الثاني: الاستقامة على الهدى والطاعة، قاله ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد.

فمن ذهب إلى أن المراد الإقامة على الكفر والضلال فلهم في قوله ﴿لأسْقَيْناهم ماءً غَدَقاً﴾ وجهان:

(*) وأما طريق عبد الله بن عبد الرحمن. ففي سندها الحسن بن عمارة قاضي بغداد وهو متروك الحديث.

أحدهما: بلوناهم بكثرة الماء الغدق حتى يهلكوا كما هلك قوم نوح بالغرق، وهذا قول محمد بن كعب.

الثاني: لأسقيناهم ماء غدق ينبت به زرعهم ويكثر مالهم.

﴿لِنَفْتِنَهم فيه﴾ فيكون زيادة في البلوى، حكى السدي عن عمر في قوله «لأسقيناهم ماء غدقاً» أنه قال: حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة، فاحتملت الفتنة ها هنا وجهين:

أحدهما: افتتان أنفسهم.

الثاني: وقوع الفتنة والشر من أجله.

وأما من ذهب إلى أن المراد الاستقامة على الهدى والطاعة فلهم في تأويل قوله «لأسقيناهم ماءً غدقاً» أربعة أوجه:

أحدها: معناه لهديناهم الصراط المستقيم، قاله ابن عباس.

الثاني: لأوسعنا عليهم في الدنيا، قاله قتادة.

الثالث: لأعطيناهم عيشاً رغداً، قاله أبو العالية.

الرابع: أنه المال الواسع، لما فيه من النعم عليهم بحياة النفوس وخصب الزروع، قاله أبو مالك والضحاك وابن زيد.

وفي الغدق وجهان:

أحدهما: أنه العذب المعين، قاله ابن عباس، قاله أمية بن أبي الصلت:

مِزاجُها سلسبيلٌ ماؤها غَدَقٌ عَذْبُ المذاقةِ لا مِلْحٌ ولا كدرُ

الثاني: أنه الواسع الكثير، قاله مجاهد، ومنه قول كثير(١٤٨):

وهبتُ لسُعْدَى ماءه ونبأته فما كل ذي وُدٍّ لمن وَدَّ واهبُ.
لتروى به سُعدى ويروى محلّها وتغْدقَ أعداد به ومشارب.

(*) وأما طريق عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير الخ وعباد سماه في الميزان (٣/٣٦٩) عباد بن عبد الحميد وقال مجهول وقال البخاري: فيه نظر وفي نفس الطبقة عباد بن عبد الصمد أبو معمر روى عن أنس وهو بصري واهٍ واستظهر العلامة المعلمي في تحقيقه للتاريخ الكبير (٦/٤١) كونهما شخص واحد. كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

(*) وأما حديث البراء ففي سنده المتقدم أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس ولعل أصل القصة هو الثابت أما الأشعار وغيرها فغير ثابتة كما قال الحافظ في الإصابة (/٢٢٠) وأصلها في صحيح البخاري ( ) من طريق عن أبيه.

(١٤٨) هو من قصيده له أنشدها لسكينة بنت الحسين مطلعها فالمشارب.

فعلى هذا فيه وجهان:
أحدهما: أنه إخبار عن حالهم في الدنيا.
الثاني: أنه إخبار عن حالهم في الآخرة لنفتنهم فيه.
فإن قيل إن هذا وارد في أهل الكفر والضلال كان في تأويله ثلاثة أوجه:
أحدها: افتتان أنفسهم بزينة الدنيا.
الثاني: وقوع الفتنة والاختلاف بينهم بكثرة المال.
الثالث: وقوع العذاب بهم كما قال تعالى: «**يوم هم على النار يُفْتَنون**» [الذاريات: ١٣]أي يعذبون.
وإن قيل إنه وارد في أهل الهدى والطاعة فهو على ما قدمنا من الوجهين.
وهل هو اختبارهم في الدنيا ففي تأويله ثلاثة أوجه:
أحدها: لنختبرهم به، قاله ابن زيد.
الثاني: لنطهرهم من دنس الكفر.
الثالث: لنخرجهم به من الشدة والجدب إلى السعة والخصب.
فإن قيل إنه إخبار عمّا لهم في الآخرة ففي تأويله وجهان:
أحدهما: لنخلصهم وننجيهم، مأخوذ من فَتَن الذهب إذا خلّصه مِن غشه بالنار كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿**وفَتَنّاك فُتوناً**﴾ [طه: ٤٠] أي خلصناك من فرعون.
الثاني: معناه لنصرفنهم عن النار، كما قال تعالى: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أَوْحَيْنا إليك لتفْتري علينا غيره**﴾[الإسراء: ٧٣] أي ليصرفونك ﴿**ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْرِ ربِّه**﴾ قال ابن زيد: يعني القرآن وفي إعراضه عنه وجهان:
أحدهما: عن القبول، إن قيل إنها من أهل الكفر.
الثاني: عن العمل، إن قيل إنها من المؤمنين.
﴿**يَسْلُكْهُ عذاباً صَعَداً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:
أحدها: أنه جب في النار، قاله أبو سعيد.
الثاني: جبل في النار إذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وهو مأثور(١٤٩)، وهذان الوجهان من عذاب أهل الضلال.

(١٤٩) وهو قول ابن عباس رواه الحاكم (٢/٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي وهناد وفي الزهد (٢/١٨٤) وزاد السيوطي في الدر (٨/٣٠٦) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وقال محقق الزهد لهناد: رجاله ثقات

والوجه الثالث: أنه مشقة من العذاب يتصعد، قاله مجاهد.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا
﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ
عَدَدًا ﴿٢٤﴾

﴿وأنَّ المساجدَ للَّهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني الصلوات للَّه، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها الأعضاء التي يسجد عليها للَّه، قاله الربيع.

الثالث: أنها المساجد التي هي بيوت اللَّه للصلوات، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه كل موضع صلى فيه الإنسان، فإنه لأجل السجود فيه يسمى مسجداً.

﴿فلا تَدْعُوا مع اللَّهِ أَحَداً﴾ أي فلا تعبدوا معه غيره، وفي سببه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما حكاه الأعمش أن الجن قالت: يا رسول اللَّه ائذن لنا نشهد معك الصلاة في مسجدك، فنزلت هذه الآية.

الثاني: ما حكاه أبو جعفر محمد بن علّي أن الحمس(١٥٠) من مشركي أهل مكة وهم كنانة وعامر وقريش كانوا يُلبّون حول البيت: لبّيك اللهم لبيّك، لبيّك لا شريك

وإسناده صحيح وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رواه الترمذي (٣٣٢٦) وفي سنده ابن لهيعة وقال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعاً من حديث ابن لهيعة وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله موقوف أ هـ قلت: والموقوف أيضاً ضعيف رواه هناد في الزهد (١/ ١٨٤) وابن أبي الدنيا في صفة النار كما نقله محقق الزهد وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف وعلى هذا فالحديث ضعيف مرفوعاً وموقوفاً وسيأتي الحديث المرفوع في سورة المدثر.

(١٥٠) وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يمر بهم وهم يقولون هذه الكلمة ويقول: «لو تركتم هذه» يشير إلى الاستثناء في قولهم إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» والمعنى أنهم لو تركوا هذا الاستثناء لصاروا موحدين لله تعالى.

لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فأنزل اللّه هذه الآية نهياً أن يجعل للّه شريكاً، وروى الضحاك عن ابن عباس[١٥١]: أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى وقال: «**﴿وأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً﴾** اللهم أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار» وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال: «اللهم صُبَّ الخير صبّاً ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبداً ولا تجعل معيشتي كدّاً واجعل لي في الخير جداً»[١٥٢].

﴿وأنه لما قام عبدُ اللّهِ يدعوه﴾ يعني محمداً، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قام إلى الصلاة يدعو ربه فيها، وقام أصحابه خلفه مؤتمين، فعجبت الجن من طواعية أصحابه له، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه قام إلى اليهود داعياً لهم إلى اللّه، رواه ابن جريج.

﴿كادوا يكونون عليه لِبَداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أعواناً، قاله ابن عباس.

الثاني: جماعات بعضها فوق بعض، وهو معنى قول مجاهد، ومنه اللبد لاجتماع الصوف بعضه على بعض، وقال ذو الرمة[١٥٣]:

ومنهلٍ آجنٍ قفرٍ مواردهُ خُضْرٍ كواكبُه مِن عَرْمَضٍ لَبِدِ.

وفي كونهم عليه لبداً ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم المسلمون فيَ اجتماعهم على رسول اللّه ﷺ قاله ابن جبير.

الثاني: أنهم الجن حين استمعوا من رسول اللّه قراءته، قاله الزبير بن العوام.

الثالث: أنهم الجن والإنس في تعاونهم على رسول اللّه في الشرك، قاله قتادة.

﴿قلْ إني لا أَمْلِكُ لكم ضَرّاً ولا رَشَداً﴾ يعني ضراً لمن آمن ولا رشداً لمن كفر، وفيه ثلاثة أوجه:

---

(١٥١) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

(١٥٢) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث.

(١٥٣) ديوانه: ٢٠١.

أحدها: عذاباً ولا نعيماً.

الثاني: موتاً ولا حياة.

الثالث: ضلالاً ولا هدى.

﴿قل إني لن يُجيرَني مِنَ اللَّهِ أحدٌ﴾ روى أبو الجوزاء[١٥٤] عن ابن مسعود قال: انطلقتُ مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط خطاً ثم تقدم عليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وردان: أنا أزجلهم عنك، فقال: «**إني لن يجيرني من اللَّه أحد**»

ويحتمل وجهين:

أحدهما: لن يجيرني مع إجارة اللَّه لي أحد.

الثاني: لن يجيرني مما قدره اللَّه عليّ أحد.

﴿ولن أجدَ مِن دُونهِ مُلْتَحداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني ملجأ ولا حرزاً، قاله قتادة.

الثاني: ولياً ولا مولى، رواه أبو سعيد.

الثالث: مذهباً ولا مسلكاً، حكاه ابن شَجرة، ومنه قول الشاعر[١٥٥]:

يـا لهفَ نفْسي ولهفي غيرُ مُجْـديةٍ　　عني ومـا مِن قضـاءِ اللَّهِ مُلْتَحَـدُ.

﴿إلا بلاغاً مِن اللَّه ورسالاتِه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا أملك ضراً ولا رشداً إلا أن أبلغكم رسالات اللَّه، قاله الكلبي.

الثاني: لن يجيرني من اللَّه أحد إن لم أبلغ رسالات اللَّه، قاله مقاتل.

روى مكحول عن ابن مسعود: أن الجن بايعوا رسول اللَّه ﷺ في هذه الليلة، وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر.

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ

---

(١٥٤) رواه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل كما في الدر (٣٠٨/٨) وفيه ألا أرجلهم يعني أدفعهم برجلي والله أعلم.

(١٥٥) روح المعاني (٩٣/٢٩) فتح القدير (٣١٥/٥) القرطبي (٢٦/١٩)

يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

﴿عالِمُ الغيْب﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عالم السر، قاله ابن عباس.

الثاني: ما لم تروه مما غاب عنكم، قاله الحسن.

الثالث: أن الغيب القرآن، قاله ابن زيد.

الرابع: أن الغيب القيامة وما يكون فيها(١٥٦)، حكاه ابن أبي حاتم.

﴿فلا يُظْهِرُ على غيْبه أَحَداً، إلا من ارتضى من رسـول﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلا من ارتضى من رسول اللّه هو جبريل(١٥٧)، قاله ابن جبير.

الثاني: إلا من ارتضى من نبي فيما يطلعه عليه من غيب، قاله قتادة.

﴿فإنه يَسْلُكُ مِن بَيْن يَدَيْه ومِنْ خَلْفه رَصَداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: الطريق، ويكون معناه فإنه يجعل له إلى علم بعض ما كان قبله وما يكون بعده طريقاً، قاله ابن بحر.

الثاني: أن الرصد الملائكة، وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم حفظة يحفظون النبي ﷺ من الجن والشياطين من أمامه وورائه، قاله ابن عباس وابن زيد، قال قتادة: هم أربعة.

الثاني: أنهم يحفظون الوحي فما جاء من اللّه قالوا إنه من عند اللّه، وما ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان، قاله السدي.

الثالث: يحفظون جبريل إذا نزل بالوحي من السماء أن يسمعه الجن إذا

(١٥٦) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث وقد استدل الزمخشري بالآية على مذهبه الفاسد في إبطال الكرامات ورد عليه العلماء. راجع كلام الشوكاني في فتح القدير (٥/٣١١،٣١٢) فقد رد عليه بكلام رصين جداً.

(١٥٧) قال الإمام القرطبي (١٩/٢٨): قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه أ هـ.

استرقوا السمع ليلقوه إلى كهنتهم قبل أن يبلغه الرسول إلى أمته، قاله الفراء.

﴿ليعْلَمَ أنْ قد أبْلَغوا رسالاتِ ربِّهم﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل إليه رسالات ربه، قاله ابن جبير، وقال: ما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة من الملائكة.

الثاني: ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغت رسالات اللّه وحفظت، قاله قتادة.

الثالث: ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغت عن ربها ما أمرت به، قاله مجاهد.

الرابع: ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل اللّه عليهم، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، قاله ابن قتيبة.

الخامس: ليعلم اللّه أن رسله قد بلغوا عنه رسالاته، لأنبيائه، قاله الزجاج.

﴿وأحاط بما لديهم﴾ قال ابن جريج: أحاط علماً.

﴿وأحْصى كُلَّ شيءٍ عَدَداً﴾ يعني من خلقه الذي يعزب إحصاؤه عن غيره.

سُورَةُ المُزَّمِّل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها: قوله «**واصبر على ما يقولون**» والتي بعدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا
﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمّل﴾ قال الأخفش: أصله المتزمل فأدغم التاء في الزاي، وكذا المدثر.

وفي أصل المزمل: قولان:

أحدهما: المتحمل، يقال زمل الشيء إذا حمله، ومنه الزاملة التي تحمل القماش.

الثاني: المزمل هو المتلفف، قال امرؤ القيس[١٥٨]:

(١٥٨) ديوانه: ٢٥ القرطبي (٢٩/٣٢) شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ١٠٦ فتح القدير (٥/٣١٥).

كـأن ثـبيـراً فـي عـرانـيـن وبْـله كبيـرُ أنـاسٍ فـي بجـادٍ مُـزَمّـلِ .

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يا أيها المزمل بالنبوة، قاله عكرمة.

الثاني: بالقرآن، قاله ابن عباس.

الثالث: بثيابه، قاله قتادة.

قال إبراهيم: نزلت عليه وهو في قطيفة.

﴿قُمِ الليلَ إلا قليلاً﴾ يعني صلِّ الليل إلا قليلاً، وفيه وجهان:

أحدهما: إلا قليلاً من أعداد الليالي لا تقمها.

الثاني: إلا قليلاً من زمان كل ليلة لاتقمه وقد كان فرضاً عليه.

وفي فرضه على مَنْ سواه من أُمّته قولان:

أحدهما: فرض عليه دونهم لتوجه الخطاب إليه، ويشبه أن يكون قول سعيد ابن جبير.

الثاني: أنه فرض عليه وعليهم فقاموا حتى ورمت أقدامهم، قاله ابن عباس وعائشة.

وقال ابن عباس: كانوا يقومون نحو قيامه في شهر رمضان ثم نسخ فرض قيامه على الأمة، واختلف بماذا نسخ عنهم على قولين:

أحدهما: بالصلوات الخمس وهو قول عائشة.

الثاني: بآخر السورة، قاله ابن عباس.

واختلفوا في مدة فرضه إلى أن نسخ على قولين:

أحدهما: سنة، قال ابن عباس: كان بين أول المزمل وآخرها سنة.

الثاني: ستة عشر شهراً، قالته عائشة، فهذا حكم قيامه في فرضه ونسخه على الأمة.

فأما رسول اللّه ﷺ فقد كان فرضاً عليه، وفي نسخه عنه قولان:

أحدهما: المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين.

الثاني: أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف لتميزه بفضل الرسالة، قاله سعيد بن جبير.

وقوله «قم الليلَ إلاّ قليلاً» لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد، والقليل من الشيء ما دون النصف.

حكي عن وهب بن منبه أنه قال: القليل ما دون المعشار والسدس.

وقال الكلبي ومقاتل: القليل الثلث.

وَحدُّ الليل ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر الثاني.

ثم قال تعالى: ﴿نِصْفَهُ أو انقُصْ مِنْهُ قليلاً﴾ فكان ذلك تخفيفاً إذا لم يكن زمان القيام محدوداً، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، فروت عائشة أن النبي(١٥٩) ﷺ قام في الليل فقال: أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن اللّه لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل، وخير الأعمال ما ديم عليه.

ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: «عَلِم أنْ لن تُحْصوه فتابَ عليكم فاقْرَؤوا ما تيسّر من القرآن»

﴿أوزِدْ عليه ورَتِّل القرآنَ تَرْتيلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بيّن القرآن تبياناً، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: فسّرْه تفسيراً، قاله ابن جبير.

الثالث: أن تقرأه على نظمه وتواليه، لا تغير لفظاً ولا تقدم مؤخراً مأخوذ من ترتيل الأسنان إذا استوى نبتها وحسن انتظامها، قاله ابن بحر.

﴿إنّا سنُلْقي عليكَ قوْلاً ثَقيلاً﴾ وهو القرآن، وفي كونه ثقيلاً أربعة تأويلات:

أحدها: أنه إذا أوحي إليه كان ثقيلاً عليه لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه، وهذا قول عائشة(١٦٠) وعروة بن الزبير(١٦١).

الثاني: العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه وحلاله وحرامه، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: أنه في الميزان يوم القيامة ثقيل، قاله ابن زبير.

---

(١٥٩) رواه البخاري (١/١٠٩، ١١٠) ومسلم (٨٧٢) ومالك (١/١١٨) وأبو داود (١/٢١٨).

(١٦٠) روى البخاري (١/٣) من حديثها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي... الحديث وفيه قالت ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» وروى أبو يعلى عنها بسند جيد كما قال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٠) قالت كان النبي ﷺ إذا نزل عليه وجد ما قال الله عز وجل إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً.

(١٦١) رواه الطبري (٢٩/١٢٧).

الرابع: ثقيل بمعنى كريم، مأخوذ من قولهم: فلان ثقيل عليّ أي كريم عليّ، قاله السدي.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أن يكون ثقيل بمعنى ثابت، لثبوت الثقيل في محله، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً.

﴿إنّ ناشئةَ الليل هي أَشدُّ وطْئاً﴾ فيها ستة تأويلات:

أحدها: أنه قيام الليل، بالحبشية، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك.

الثالث: ما بعد العشاء الآخرة، قاله الحسن ومجاهد.

الرابع: أنها ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة، قاله ابن قتيبة.

الخامس: أنه بدء الليل، قاله عطاء وعكرمة.

السادس: أن الليل كله ناشئة، قال ابن عباس: لأنه ينشأ بعد النهار.

وفي «أشد وطْئاً» خمسة تأويلات:

أحدها: مواطأة قلبك وسمعك وبصرك، قاله مجاهد.

الثاني: مواطأة قولك لعملك، وهو مأثور.

الثالث: مواطأة عملك لفراغك، وهو محتمل.

الرابع: أشد نشاطاً، قاله الكلبي، لأنه زمان راحتك.

الخامس: قاله عبادة: أشد وأثبت وأحفظ للقراءة.

وفي قوله: ﴿وأَقْوَمُ قِيلاً﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أبلغ في الخير وأمعن في العدل، قاله الحسن.

الثاني: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، قاله مجاهد وقتادة، وقرأ أنس بن مالك «وأهيأ قيلاً» وقال أهيأ وأقوم سواء.

الثالث: أنه أعجل إجابة للدعاء، حكاه ابن شجرة.

﴿إنّ لك في النهارِ سَبْحاً طويلاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني فراغاً طويلاً لنَومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس وعطاء.

(*) هي الموافقة.

الثاني: دعاء كثيراً، قاله السدي وابن زيد والسبح بكلامهم هو الذهاب، ومنه سبح السابح في الماء[١٦٢].

﴿واذكر اسم ربك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اقصد بعملك وجه ربك.

الثاني: أنه إذا أردت القراءة فابدأ بسم اللّه الرحمن الرحيم، قاله ابن بحر.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتتوفرعلى طاعته وتعدل عن معصيته.

﴿وتَبَتّلْ إليه تَبْتِيلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أخلص إليه إخلاصاً، قاله مجاهد.

الثاني: تعبد له تعبداً، قاله ابن زيد.

الثالث: انقطع إليه انقطاعاً[١٦٣]، قاله أبو جعفر الطبري، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى اللّه تعالى، وجاء في الحديث النهي[١٦٤] عن التبتل الذي هو الانقطاع عن الناس والجماعات.

الرابع: وتضرّع إليه تضرّعاً.

﴿ربُّ المشْرِقِ والمْغرِبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: رب العالَمِ بما فيه لأنهم بين المشرق والمغرب، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني مشرق الشمس ومغربها.

وفي المراد بالمشرق والمغرب ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه استواء الليل والنهار، قاله وهب بن منبه.

الثاني: أنه دجنة الليل ووجه النهار، قاله عكرمة.

الثالث: أنه أول النهار وآخره، لأن نصف النهار أوله فأضيف إلى المشرق، ونصفه آخره فأضيف إلى المغرب.

---

(١٦٢) لاحظ أنه لم يذكر التأويل الثالث.

(١٦٣) جامع البيان (١٣٢/٢٩).

(١٦٤) ورد النهي من حديث سعد بن أبي وقاص وسمرة بن جندب مرفوعاً أما حديث سمرة فقد رواه الإمام أحمد (١٧/٥) والترمذي(٣٨٤/٣)والنسائي (٥٩/٦) وابن ماجه وأما حديث سعد بن أبي وقاص فقد رواه أحمد(١٧٦/١) والنسائي (٥٨/٦) ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير (٣٠٣/٦) فيض.

﴿فاتّخِذْهُ وكيلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مُعيناً.

الثاني: كفيلاً.

الثالث: حافظاً.

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ
وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾
يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا
شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ
أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ
مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

﴿واهْجُرهم هَجْراً جَميلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: اصفح عنهم وقل سلام، قاله ابن جريج.

الثاني: أن يعرض عن سفههم ويريهم صغر عداوتهم.

الثالث: أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة.

وهذا الهجر الجميل قبل الإذن في السيف(*).

﴿وذَرْني والمُكذِّبينَ أُولي النّعْمةِ﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أنهم بنو المغيرة، وقال سعيد بن جبير: أُخبرت أنهم اثنا عشر رجلاً من قريش.

ويحتمل قوله تعالى: «أولي النّعْمةِ» ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قال تعريفاً لهم إن المبالغين في التكذيب هم أولي النعمة.

الثاني: أنه قال ذلك تعليلاً، أي الذين أطغى هم أولو النعمة.

الثالث: أنه قال توبيخاً أنهم كذبوا ولم يشكروا من أولاهم النعمة.

﴿ومهِّلْهم قليلاً﴾ قال ابن جريج: إلى السيف.

(*) أي في الجهاد.

﴿إنّ لدينا أنْكالاً وجَحيماً﴾ في «أنكالاً» ثلاثة أوجه:

أحدها: أغلالاً، قاله الكلبي.

الثاني: أنها القيود، قاله الأخفش وقطرب، قالت الخنساء(١٦٥):

دَعاك فَقَطّعْتَ أنكاله وقد كُنّ قبْلك لا تقطع.

الثالث: أنها أنواع العذاب الشديد، قاله مقاتل، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال(١٦٦): «إن اللّه تعالى يحب النكل على النكل، قيل: وما النكل؟ قال: الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب»، ومن ذلك سمي القيد نكلاً لقوته، وكذلك الغل، وكل عذاب قوي واشتد.

﴿وطعاماً ذا غُصَّةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها شجرة الزقوم، قاله مجاهد.

﴿وكانت الجبالُ كَثيباً مَهيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رملاً سائلاً، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المهيل الذي إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه، قاله الضحاك والكلبي.

﴿فأخَذْناه أَخْذاً وَبِيلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: شديداً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: متتابعاً، قاله ابن زيد.

الثالث: ثقيلاً غليظاً، ومنه قيل للمطر العظيم وابل، قاله الزجاج.

الرابع: مهلكاً، ومنه قول الشاعر(١٦٧):

أكَلتِ بَنيكِ أَكْلَ الضّبِّ حتى وَجْدتِ مرارةَ [الكلإِ الوبيل].(*)

﴿فكيف تتّقونَ﴾ يعني يوم القيامة.

---

(١٦٥) ديوان الخنساء وفيه ظن بدل كن، القرطبي (١٩/٤٦) فتح القدير (٥/٣١٨) وفيه أتوك بدلاً من دعاك.

(١٦٦) لم أهتد إلى تخريجه.

(١٦٧) القرطبي (١٩/٤٨).

(*) هاتان الكلمتان أخذناهما من تفسير القرطبي وقد سقطتا من الأصل.

﴿إن كفرتم يوماً يجْعَل الولدان شيباً﴾ الشيب: جمع أشيب، والأشيب والأشمط الذي اختلط سواد شعره ببياضه، وهو الحين الذي يقلع فيه ذو التصابي عن لهوه، قال الشاعر(١٦٨):

طَرِبْتَ وما بك ما يُطرِب   وهل يلعب الرجلُ الأَشْيَبُ

وإنما شاب الولدان في يوم القيامة من هوْله.

﴿السماءُ مُنفطرٌ به﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ممتلئة به، قاله ابن عباس.

الثاني: مثقلة، قاله مجاهد.

الثالث: مخزونة به، قاله الحسن.

الرابع: منشقة من عظمته وشدته، قاله ابن زيد.

﴿وكانَ وعْدُه مَفْعولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وعده بأن السماء منفطر به، وكون الجبال كثيباً مهيلاً، وأن يجعل الولدان شيباً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: وعده بأن يظهر دينه على الدين كله، قاله مقاتل.

الثالث: وعده بما بشّر وأنذر من ثوابه وعقابه.

وفي المعنى المكنى عنه في قوله «به» وجهان:

أحدهما: أن السماء منفطرة باليوم الذي يجعل الولدان شيباً، فيكون اليوم قد جعل الولدان شيباً، وجعل السماء منفطرة ويكون انفطارها للفناء.

الثاني: معناه أن السماء منفطرة بما ينزل منها بأن يوم القيامة يجعل الولدان شيباً، ويكون انفطارها بانفتاحها لنزول هذا القضاء منها.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم

(١٦٨) هو حمزة بن بيض والبيت في المصوت لابن أحمد العسكري ص ١٣٤.

مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿. . . واللَّهُ يُقدِّرُ الليلَ والنهارَ﴾ يعني يقدر ساعتهما، فاحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: تقديرهما لأعمال عباده.

الثاني: لقضائه في خلْقه.

﴿عَلِمَ أن لن تُحْصُوهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لن تطيقوا قيام الليل، قاله الحسن.

الثاني: يريد تقدير نصف الليل وثلثه وربعه، قاله الضحاك.

﴿فتابَ عليكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فتاب عليكم من تقصيركم فيما مضى، فاقرؤوا في المستقبل ما تيسر.

الثاني: فخفف عنكم.

﴿فاقْرءُوا ما تيسّر مِنَ القُرآنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فصلّوا ما تيسّر من الصلاة، فعبر عن الصلاة بالقرآن لما يتضمنها من القرآن.

فعلى هذا يحتمل في المراد بما تيسر من الصلاة وجهان:

أحدهما: ما يتطوع به من نوافله لأن الفرض المقدر لا يؤمر فيه بما تيسر.

الثاني: أنه محمول على فروض الصلوات الخمس لانتقال الناس من قيام الليل إليها، ويكون قوله «ما تيسر» محمولاً على صفة الأداء في القوة والضعف، والصحة والمرض، ولا يكون محمولاً على العدد المقدر شرعاً.

الثاني: أن المراد بذلك قراءة ما تيسر من القرآن حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ.

فعلى هذا فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد به قراءة القرآن في الصلاة فيكون الأمر به واجباً لوجوب القراءة في الصلاة.

واختلف في قدر ما يلزمه أن يقرأ به من الصلاة، فقدره مالك والشافعي بفاتحة الكتاب، لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها، وقدرها أبو حنيفة بآية واحدة من أيّ القرآن كانت.

والوجه الثاني: أن المراد به قراءة القرآن من غير الصلاة، فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولاً على الوجوب أو على الاستحباب؟ على وجهين:

أحدهما: أنه محمول على الوجوب ليقف بقراءته على إعجازه ودلائل التوحيد فيه وبعث الرسل، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه، لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة.

الثاني: أنه محمول على الاستحباب دون الوجوب، وهذا قول الأكثرين لأنه لو وجب عليه أن يقرأه وجب عليه أن يحفظه. وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقاويل:

أحدها: جميع القرآن، لأن اللَّه تعالى قد يسره على عباده، قاله الضحاك.

الثاني: ثلث القرآن، حكاه جويبر.

الثالث: مائتا آية، قاله السدي.

الرابع: مائة آية، قاله ابن عباس.

الخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة، قاله أبو خالد الكناني.

﴿عَلِم أنْ سيكونُ منكم مَّرْضَىَ﴾ ذكر اللَّه أسباب التخفيف، فذكر منها المرض لأنه يُعجز.

ثم قال: ﴿وآخرون يَضْرِبون في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم المسافرون، كما قال عز وجلّ: **﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾**.

الثاني: أنه التَقلُّب للتجارة لقوله تعالى: ﴿يبتغونَ من فضلِ اللَّه﴾، قاله ابن مسعود يرفعه[١٦٩]، وهو قول السدي.

(١٦٩) لعله يقصد ما رواه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفاً أيما رجل جلب

﴿وآخَرونَ يُقاتِلون في سبيل اللَّهِ﴾ يعني في طاعته، وهم المجاهدون.

﴿فاقْرؤوا ما تيسّر منه﴾ نسخ ما فرضه في أول السورة من قيام الليل وجعل ما تيسر منه تطوعاً ونفلاً، لأن الفرض لا يؤمر فيه بفعل ما تيسر منه.

وقد ذكرنا في أول السورة الأقاويل في مدة الفرض.

﴿وأقِيموا الصلاة﴾ يعني المفروضة، وهي الخمس لوقتها.

﴿وآتُوا الزكاةَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها ها هنا طاعة اللَّه والإخلاص له، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها صدقة الفطر، قاله الحارث العكلي.

الثالث: أنها زكاة الأموال كلها، قاله قتادة وعكرمة.

﴿وأَقْرِضوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه النوافل بعد الفروض، قاله ابن زيد.

الثاني: قول سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، قاله ابن حبان.

الثالث: النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: النفقة من سبيل اللَّه، وهذا قول عمر رضي اللَّه عنه.

الخامس: أنه أمر بفعل جميع الطاعات التي يستحق عليها الثواب.

﴿تَجِدُوه عِندَ اللَّهِ﴾ يعني تجدوا ثوابه عند اللَّه ﴿هو خيراً﴾ يعني مما أعطيتم وفعلتم.

﴿وأعظم أجرا﴾ قال أبو هريرة: الجنة.

ويحتمل أن يكون «أعظم أجرا» الإعطاء بالحسنة عشراً.

﴿واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يعني من ذنوبكم.

﴿إنّ اللَّهَ غَفورٌ﴾ لما كان قبل التوبة.

﴿رحيمٌ﴾ بكم بعدها، قاله سعيد بن جبير.

شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقد ضعف هذا الحديث الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٧٩ وقال وصله ابن مردويه بذكر علقمة بن إبراهيم وعبد الله ورفعه أيضاً وزاد ثم قرأ «وآخرون يضربون في الأرض..» الآية.

سُورَةُ المُدَّثِّر

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾
وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها المدَّثِّر﴾ فيه قولان:

أحدهما: يا أيها المدثر بثيابه، قاله قتادة.

الثاني: بالنبوة وأثقالها، قاله عكرمة.

﴿قم﴾ من نومك ﴿فأنذر﴾ قومك عذاب ربك.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: يا أيها الكاتم لنبوته اجهر بإنذارك.

ويحتمل هذا الإنذار وجهين:

أحدهما: إعلامهم بنبوته لأنه مقدمة الرسالة.

الثاني: دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود بها.

قال ابن عباس وجابر هي أول سورة نزلت.

﴿وثيابَك فَطهِّرْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن المراد بالثياب العمل.

الثاني: القلب.

الثالث: النفْس.

الرابع: النساء والزوجات.

الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر.

فمن ذهب إلى أن المراد بها العمل قال تأويل الآية: وعملك فأصلح، قاله مجاهد، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال(١٧٠):

«يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيها» يعني عمله الصالح والطالح.

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب القلب فالشاهد عليه قول امرىء القيس(١٧١):

وإن تك قد ساءتك مني خليقةٌ فسلّي ثيابي من ثيابكِ تنسلِ

ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: وقلبك فطهر من الغدر وهذا مروي عن ابن عباس، واستشهد بقول الشاعر(١٧٢):

فإني بحمْدِ اللّه لا ثوْبَ فاجر لبست ولا مِن غَدْرةٍ أتقنّع.

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب النفس فلأنها لابسة الثياب، فكنى عنها بالثياب، ولهم في تأويل الآية ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ونفسك فطهرها مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون، رواه ابن أبي نجيح وأبو يحيى عن مجاهد.

الثاني: ونفسك فطهرها مما كنت تشكو منه وتحذر، من قول الوليد بن المغيرة، قاله عطاء.

الثالث: ونفسك فطهرها من الخطايا، قاله عامر.

ومن ذهب إلى أن المراد النساء والزوجات فلقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم

---

(١٧٠) والذي في التذكرة للقرطبي ص ٢٤٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها رواه أبو داود ذكر السيوطي في كتابه شرح الصدور آثاراً عن حذيفة ومعاذ رضي الله عنهما تؤيد هذا الحديث فراجعها.

(١٧١) ديوانه: ١٣ ، شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ٤٦. زاد المسير (٨/٤٠١).

(١٧٢) هو غيلان بن سلمة والبيت في اللسان ثوب والطبري (٢٩/١٤٥) فتح القدير (٥/٣٢٤).

لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧]ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف.

الثاني: الاستمتاع بهن من القبل دون الدبر، وفي الطهر دون الحيض ، حكاهما ابن بحر

ومن ذهب إلى أن المراد بها الثياب الملبوسة على الظاهر، فلهم في تأويله أربعة أوجه:

أحدها: معناه وثيابك فأنْقِ، رواه عطاء عن ابن عباس، ومنه قول امرىء القيس(١٧٣):

ثياب بني عَوْفٍ طهارى نقيّةٌ وأَوْجُهُهُمْ عند المشاهد غُرّان

الثاني: وثيابك فشمّر وقصّر، قاله طاووس.

الثالث: وثيابك فطهر من النجاسات بالماء، قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء.

الرابع: معناه لا تلبس ثياباً إلا [من] كسب حلال مطهرة من الحرام.

﴿والرُّجْزَ فاهْجُرْ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: يعني الآثام والأصنام، قاله جابر وابن عباس وقتادة والسدي.

الثاني: والشرك فاهجر، قاله ابن جبير.

الثالث: والذنب فاهجر، قاله الحسن.

الرابع: والإثم فاهجر، قاله السدي.

الخامس: والعذاب فاهجر، حكاه أسباط.

السادس: والظلم فاهجر، ومنه قول رؤبة بن العجاج(١٧٤).

كم رامنا من ذي عديد منه حتى وَقَمْنا كيدَه بالرجزِ.

قال السدي: الرَّجز بنصب الراء: الوعيد.

﴿ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر﴾ فيه أربعة تأويلات:

---

(١٧٣) القرطبي (٢٩/٦٥) فتح القدير (٥/٣٢٤) ديوانه: ٨٣ ونسبه القرطبي لأبي كبشة وهو خطأ وفيه وأوجههم بيض المسافر.

(١٧٤) ديوانه: ٦٤.

أحدها: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة، قال الضحاك: هذا حرمه اللَّه تعالى على رسوله وأباحه لأمته.

الثاني: معناه لاتمنن بعملك تستكثر على ربك، قاله الحسن.

الثالث: معناه لاتمنن بالنبوة على الناس تأخذ عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد.

الرابع: معناه لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً خامساً: لا تفعل الخير لترائي به الناس.

﴿ولِربِّك فاصْبِرْ﴾ أما قوله «**وَلِرَبِّكَ**» ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأمر ربك.

الثاني: لوعد ربك.

الثالث: لوجه ربك.

وفي قوله «**فاصْبِرْ**» سبعة تأويلات:

أحدها: فاصْبِرْ على ما لاقيت من الأذى والمكروه، قاله مجاهد.

الثاني: على محاربة العرب ثم العجم، قاله ابن زيد.

الثالث: على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد، قاله السدي.

الرابع: فاصْبِرْ على عطيتك للَّه، قاله إبراهيم.

الخامس: فاصْبِرْ على الوعظ لوجه اللَّه، قاله عطاء.

السادس: على انتظام ثواب عملك من اللَّه تعالى، وهو معنى قول ابن شجرة.

السابع: على ما أمرك اللَّه من أداء الرسالة وتعليم الدين، حكاه ابن عيسى.

﴿فإذا نُقِرَ في النَاقُورِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني نفخ في الصور[١٧٥]، قاله ابن عباس، وهل المراد النفخة الأولى أو الثانية؟ قولان:

أحدهما: الأولى.

والثاني: الثانية.

ـ الثاني: أن الناقور القلب يجزع إذا دعي الإنسان للحساب، حكاه ابن كامل.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن الناقور صحف الأعمال إذا نشرت للعرض.

---

(١٧٥) وهو الصواب وعليه أكثر المفسرين.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ
صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ
ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

﴿ذرْني ومَنْ خَلقْتُ وَحيداً﴾ قال المفسرون يعني الوليد بن المغيرة المخزومي وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه، وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة لأذى الرسول.

وفي قوله تعالى «وحيداً» تأويلان:

أحدهما: أن اللَّه تفرد بخلقه وحده.

الثاني: خلقه وحيداً في بطن أُمّه لا مال له ولا ولد، قاله مجاهد. فعلى هذا الوجه في المراد بخلقه وحيداً وجهان:

أحدهما: أن يعلم به قدر النعمة عليه فيما أعطي من المال والولد.

الثاني: أن يدله بذلك على أنه يبعث وحيداً كما خلق وحيداً.

﴿وجَعَلْتُ له مالاً مَمْدوداً﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: ألف دينار، قاله ابن عباس.

الثاني: أربعة الآف دينار، قاله سفيان.

الثالث: ستة آلاف دينار، قاله قتادة.

الرابع: مائة ألف دينار، قاله مجاهد.

الخامس: أنها أرض يقال لها ميثاق، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً.

السادس: أنها غلة شهر بشهر، قاله عمر رضي اللَّه عنه.

السابع: أنه الذي لا ينقطع شتاء ولا صيفاً، قاله السدي.

الثامن: أنها الأنعام التي يمتد سيرها في أقطار الأرض للمرعى والسعة، قاله ابن بحر.

ويحتمل تاسعاً: أن يستوعب وجوه المكاسب فيجمع بين زيادة الزراعة وكسب التجارة ونتاج المواشي فيمد بعضها ببعض لأن لكل مكسب وقتاً.

ويحتمل عاشراً: أنه الذي يتكون نماؤه من أصله كالنخل والشجر.

﴿وبَنِينَ شُهوداً﴾ اختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا عشرة، قاله السدي.

الثاني: قال الضحاك: كان له سبعة ولدوا بمكة، وخمسة ولدوا بالطائف.

الثالث: أنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً، قاله ابن جبير.

وفي قوله «شهوداً» ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم حضور معه لا يغيبون عنه، قاله السدي.

الثاني: أنه إذا ذكر ذكروا معه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم كلهم رب بيت، قاله ابن جبير.

ويحتمل رابعاً: أنهم قد صاروا مثله من شهود ما كان يشهده، والقيام بما كان يباشره.

﴿ومَهّدْت له تَمْهيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مهدت له من المال والولد، قاله مجاهد.

الثاني: مهدت له الرياسة في قومه، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: أنه مهد له الأمر في وطنه حتى لا ينزعج عنه بخوف ولا حاجة.

﴿ثم يَطْمَعُ أنْ أَزِيدَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثم يطمع أن أدخله الجنة، كلاّ، قاله الحسن.

الثاني: أن أزيده من المال والولد «كلاّ» قال ابن عباس: فلم يزل النقصان في ماله وولده.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: ثم يطمع أن أنصره على كفره.

﴿كلاّ إنه كان لآياتِنَاعَنيداً﴾ في المراد«بآياتنا» ثلاثة أقاويل:

أحدها: القرآن(١٧٦)، قاله ابن جبير.

الثاني: محمد ﷺ، قاله السدي.

---

(١٧٦) وهو الأصح من سياق الآيات.

الثالث: الحق، قاله مجاهد.

وفي قوله «**عنيداً**» أربعة تأويلات:

أحدها: معاند، قاله مجاهد وأبو عبيدة، وأنشد قول الحارثي[(١٧٧)]:

إذا نزلت فاجعلاني وسطا   إني كبير لا أطيق العُنَّدا.

الثاني: مباعد، قاله أبو صالح، ومنه قول الشاعر[(١٧٨)]:

أرانا على حال تفرِّق بيننا   نوى غُرْبَةٍ إنّ الفراق عنود.

الثالث: جاحد، قاله قتادة.

الرابع: مُعْرِض، قاله مقاتل.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أنه المجاهر بعداوته.

﴿**سأرْهِقُه صَعُوداً**﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: مشقة من العذاب، قاله قتادة.

الثاني: أنه عذاب لا راحة فيه، قاله الحسن.

الثالث: أنها صخرة في النار ملساء يكلف أن يصعدها، فإذا صعدها زلق منها، وهذا قول السدي.

الرابع: ما رواه عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري[(١٧٩)] عن النبي ﷺ «**سأرهقه صعوداً**»، قال: هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت.

ويحتمل إن لم يثبت[(١٨٠)] هذا النقل قولاً خامساً: أنه تصاعد نفسه للنزع وإن لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه.

﴿**إنه فكَّرَ وقَدَّر**﴾ قال قتادة: زعموا أن الوليد بن المغيرة قال: لقد نظرت فيما قال هذا الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يُعْلَى، وما أشك أنه سحر، فهو معنى قوله «**فكر وقدّر**» أي فكر في القرآن، وقدر فيما إنه سحر وليس بشعر.

---

(١٧٧) والبيت في اللسان «عند» فتح القدير (٥/٣٢٦) والقرطبي (١٩/٧٣) والطبري (٢٩/١٥٤).

(١٧٨) القرطبي (١٩/٧٣).

(١٧٩) تقدم تخريجه في سورة الجن في التعليق ١٣.

(١٨٠) وهذا يدل على أن الحديث عند الإمام لم يثبت وفعلاً هو حديث ضعيف وقد تقدم تخريجه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون فكّر في العداوة وقدّر في المجاهدة.

﴿فقُتِلَ كيف قَدَّرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي عوقب ثم عوقب، فيكون العقاب تكرر عليه مرة بعد أخرى.

الثاني: أي لعن ثم لعن كيف قدر أنه ليس بشعر ولا كهانة، وأنه سحر.

﴿ثم نَظَرَ﴾ يعني الوليد بن المغيرة، وفي ما نظر فيه وجهان:

أحدهما: أنه نظر في الوحي المنزل من القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: أنه نظر إلى بني هاشم حين قال في النبي ﷺ إنه ساحر، ليعلم ما عندهم.

ويحتمل ثالثاً: ثم نظر إلى نفسه فيما أُعطِي من المال والولد فطغى وتجبر.

﴿ثم عَبَسَ وبَسَرَ﴾ أما عبس فهو قبض ما بين عينيه، وبَسَرَ فيه وجهان:

أحدهما: كلح وجهه، قاله قتادة، ومنه قول بشر بن أبي خازم(١٨١):

صبحنا تميماً غداة الجِفار ... بشهباءَ ملمومةٍ باسِرَة.

الثاني: تغيرّ، قاله السدي، ومنه قول توبة(١٨٢):

وقد رابني منها صدودُ رأيتُه ... وإعْراضها عن حاجتي وبُسورها.

واحتمل أن يكون قد عبس وبسر على النبي ﷺ حين دعاه.

واحتمل أن يكون على من آمن به ونصره.

وقيل إن ظهور العبوس في الوجه يكون بعد المحاورة، وظهور البسور في الوجه قبل المحاورة.

﴿ثم أَدْبَر واسْتكْبَرَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أدبر عن الحق واستكبر عن الطاعة.

الثاني: أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله.

﴿فقال إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَر﴾ قال ابن زيد: إن الوليد بن المغيرة قال: إنْ هذا القرآن إلا سحر يأثره محمد عن غيره فأخذه عمن تقدمه.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون معناه أن النفوس تؤثر لحلاوته فيها كالسحر.

---

(١٨١) القرطبي (١٩/٧٥) فتح القدير (٥/٣٢٧).

(١٨٢) روح المعاني (٢٩/١٢٤) الطبري (٢٩/١٥٦) فتح القدير (٥/٣٢٧) القرطبي (١٩/٧٦).

﴿إنْ هذا إلا قَوْلَ البَشَرِ﴾ أي ليس من كلام اللّه تعالى، قال السدي: يعنون أنه من قول أبي اليسر عَبْدٌ لبني الحضرمي كان يجالس النبي ﷺ، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك.

﴿سأصْليه سَقَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم من أسماء جهنم مأخوذ من قولهم: سقرته الشمس إذا آلمت دماغه، فسميت جهنم بذلك لشدة إيلامها.

﴿وما أدراك ما سَقَر لا تُبقي ولا تذر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تبقي من فيها حياً، ولا تذره ميتاً، قاله مجاهد.

الثاني: لا تبقي أحداً من أهلها أن تتناوله، ولا تذره من العذاب، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: لا تبقيه صحيحاً، ولا تذره مستريحاً.

﴿لوّاحَةٌ للبَشَرِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مغيرة لألوانهم، قال أبو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعهم أشد سواداً من الليل.

الثاني: تحرق البشر حتى تلوح العظم، قاله عطية.

الثالث: أن بشرة أجسادهم تلوح على النار، قاله مجاهد.

الرابع: أن اللواح شدة العطش، والمعنى أنها معطشة للبشر، أي لأهلها، قاله الأخفش، وأنشد(١٨٣):

سَقَتْني على لَوْحٍ من الماءِ شَرْبَةً ... سقاها به اللّه الرهامَ الغواديا.

يعني باللوح شدة العطش.

ويحتمل خامساً: أنها تلوح للبشر بهولها حتى تكون أشد على من سبق إليها، وأسرّ لمن سلم منها.

وفي البشر وجهان:

أحدهما: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش والأكثرون.

الثاني: أنه جمع بشرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، قاله مجاهد وقتادة.

(١٨٣) فتح القدير (٥/٣٢٨) القرطبي (١٩/٧٨).

﴿عليها تسعةَ عَشَرَ﴾هؤلاء خزنة جهنم وهم الزبانية، وعددهم هذا الذي ذكره اللّه تعالى، وروى عامر عن البراء(١٨٤) أن رهطاً من اليهود سألوا رسول اللّه ﷺ عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفية مرتين، فأمسك الإبهام في الثانية، وأخبر اللّه عنهم بهذا العدد، وكان الاقتصار عليه دون غيره من الأعداد إخباراً عمن وكل بها وهو هذا العدد، وموافقة لما نزل به التوراة والإنجيل من قبل.

وقد يلوح لي في الاقتصار على هذا العدد معنى خفي يجوز أن يكون مراداً، وهو أن تسعة عشر عدد يجمع أكثر القليل من العدد وأقل الكثير، لأن العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف، والآحاد أقل الأعداد، وأكثر الآحادتسعة، وما سوى الآحاد كثير وأقل الكثير عشرة، فصارت التسعة عشر عدداً يجمع من الأعداد أكثر قليلها، وأقل كثيرها، فلذلك ما وقع عليها الاقتصار واللّه أعلم للنزول عن أقل القليل وأكثر الكثير، فلم يبق إلا ما وصفت.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يكون اللّه حفظ جهنم حتى ضبطت وحفظت بمثل ما ضبطت به الأرض وحفظت به من الجبال حتى رست وثبتت، وجبال الأرض التي أرسيت بها واستقرت عليها تسعة عشر جبلاً، وإن شعب فروعها تحفظ جهنم بمثل هذا العدد، لأنها قرار لعُصاة الأرض من الإنس والجن، فحفظت مستقرهم في النار بمثل العدد الذي حفظ مستقرهم في الأرض، وحد الجبل ما أحاطت به أرض تتشعب فيها عروقه ظاهره ولا باطنه، وقد عد قوم جبال الأرض فإذا هي مائة وتسعون جبلاً، واعتبروا انقطاع عروقها رواسي وأوتاداً، فهذان وجهان يحتملهما الاستنباط، واللّه أعلم بصواب ما استأثر بعلمه.

وذكر من يتعاطى العلوم العقلية وجهاً ثالثاً: أن اللّه تعالى حفظ نظام خلقه ودبر ما قضاه في عباده بتسعة عشر جعلها المدبرات أمراً وهي سبعة كواكب واثنا عشر

---

(١٨٤) رواه الترمذي (٣٣٢٧) والبزار وأحمد وابن مردويه كما في الدر (٣٣٣/٨) من حديث جابر وأما ما ذكره المؤلف هنا فقد رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث كما في الدر (٣٣٢/٨) قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٤٣/٤) بعد أن ساقه من رواية ابن أبي حاتم قال وهذا وقع عند ابن أبي حاتم والمشهور من حديث جابر قلت وقد تقدم تخريج حديثه.

وقال البزار لا يعرف الا من حديث مجالد ا هـ وقلت ومجالد ضعيف ليس بالقوي.

برجاً، فصار هذا العدد أصلاً في المحفوظات العامة، فلذلك حفظ جهنم، وهذا مدفوع بالشرع وإن راق ظاهره(١٨٥).

ثم نعود إلى تفسير الآية، روى قتادة أن اللّه تعالى لما قال:

«عليها تسعة عشر» قال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً منهم وأنتم أكثر منهم.

قال السدي: وقال أبو الأشدّ(١٨٦) بن الجمحي: لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة، يقولها مستهزئاً.

فقال اللّه تعالى:

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

﴿وما جعَلْنَا أصحابَ النارِ إلا ملائكةً وما جعلْنا عدَّتهم إلا فِتْنةً للذين كَفَروا﴾

وروى ابن جريج أن النبي(١٨٧) ﷺ نعت خزنة جهنم فقال: كأن أعينهم البرق، وكأن

(١٨٥) قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٤٤) قوله تعالى «وما يعلم جنود ربك إلا هو» اي ما يعلم عددهم وكثرتهم الا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم انهم تسعة عشر فقط لما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من المسلمين والذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الآية وكفروا بآخرها وهو قوله «وما يعلم جنود ربك إلا هو».

(١٨٦) وفي القرطبي (١٩/٧٩) أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البأس وذكروا أنه كان يبسط له الأدىم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعاً ويبقى موضع قدمه وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ.

وسياتي عن المصنف هذه القول الثاني في الاسم.

(١٨٧) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٠ لم اجده.

أفواههم الصياصي، يجرون شعورهم، لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار، ويرمي الجبل عليهم.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ الذين أُوتوا الكتابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليستيقنوا عدد الخزنة لموافقة التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثاني: ليستيقنوا أن محمداً نبي لما جاء به من موافقة عدة الخزنة.

﴿ويَزْدادَ الذين آمَنوا إيماناً﴾ بذلك، قاله ابن جريج.

﴿وما هي إلا ذِكْرى للبَشَرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما نار جهنم إلا ذكرى للبشر، قاله قتادة.

الثاني: وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة لنار الآخرة، حكاه ابن عيسى.

الثالث: وما هذه السورة إلا تذكرة للناس، قاله ابن شجرة.

﴿كلا والقَمرِ﴾ الواو في «والقمر» واو القسم، أقسم اللَّه تعالى به، ثم أقسم بما بعده فقال:

﴿والليلِ إذ أَدْبَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذ ولّى، قاله ابن عباس.

الثاني: إذ أقبل عند إدبار النهار قاله أبو عبيدة، وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن إذا دبر[١٨٨]، وهي قراءة ابن مسعود وأُبي بن كعب.

واختلف في أدبر ودبر على قولين:

ـ أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الأخفش.

ـ الثاني: أن معناهما مختلفان، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دبر إذا خلفته خلفك، وأدبر إذا ولى أمامك، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه دبر إذا جاء بعد غيره وعلى دبر، وأدبر إذا ولى مدبراً، قاله ابن بحر.

﴿والصُّبحِ إذا أَسْفَرَ﴾ يعني أضاء وهذا قسم ثالث.

﴿إنها لإحْدَى الكُبَرِ﴾ فيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: أي أن تكذيبهم بمحمد ﷺ لإحدى الكبر، أي الكبيرة من الكبائر، قاله ابن عباس.

---

(١٨٨) زاد المسير (٨/٤٠٩) والسبعة لابن مجاهد ٦٥٩.

الثاني: أي أن هذه النار لإحدى الكبر، أي لإحدى الدواهي.

الثالث: أن هذه الآية لإحدى الكبر، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل رابعاً: أن قيام الساعة لإحدى الكبر، والكُبَرُ هي العظائم والعقوبات والشدائد، قال الراجز(١٨٩):

يا ابن المُعَلّى نزلتْ إحدى الكُبَرْ داهية الدهرِ وصَمّاءُ الغِيَرْ.

﴿نذيراً للبشر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن محمداً ﷺ نذير للبشر حين قال له «قم فأنذر»، قاله ابن زيد.

الثاني: أن النار نذير للبشر، قال الحسن: والله ما أنذر الخلائق قط بشيء أدهى منها.

ويحتمل ثالثاً: أن القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد.

﴿لمن شاءَ منكم أن يتقدّمَ أو يتأخّرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يتقدم في طاعة الله، أو يتأخر عن معصية الله، وهذا قول ابن جريج.

الثاني: أن يتقدم في الخير أو يتأخر في الشر، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أن يتقدم إلى النار أو يتأخر عن الجنة، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: لمن شاء منكم أن يستكثر أو يقصر، وهذا وعيد وإن خرج مخرج الخبر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ

(١٨٩) فتح القدير (٥/٣٣١) القرطبي (١٩/٨٠).

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿٥٥﴾

﴿كلُّ نفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهينةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ان كل نفس مرتهنة محتبسة بعملها لتحاسب عليه، إلا أصحاب اليمين، وهم أطفال المسلمين فإنه لا حساب عليهم لأنه لا ذنوب لهم، قاله عليٌّ رضي الله عنه.

الثاني: كل نفس من أهل النار مرتهنة في النار إلا أصحاب اليمين وهم المسلمون، فإنهم لا يرتهنون، وهم إلى الجنة يسارعون، قاله الضحاك.

الثالث: كل نفس بعملها محاسبة إلا أصحاب اليمين وهم أهل الجنة، فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

﴿وكنّا نَخُوض مع الخائضينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نكذب مع المكذبين، قاله السدي.

الثاني: كلما غوى غاو غوينا معه، قاله قتادة.

الثالث: قولهم محمد كاهن، محمد ساحر، محمد شاعر، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: وكنا أتباعاً ولم نكن متبوعين.

﴿وكنّا نُكذّب بيوم الدِّين﴾ يعني يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الموت، قاله السدي.

الثاني: البعث يوم القيامة.

﴿فما لهم عن التَذْكِرَةِ مُعْرِضين﴾ قال قتادة: عن القرآن.

ويحتمل ثالثاً: عن الاعتبار بعقولهم.

﴿كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرةٌ﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، يعني مذعورة وقرأ الباقون بكسرها، يعني هاربة، وأنشد الفراء(١٩٠):

أمْسِكْ حمارَك إنه مُستنفِرٌ ... في إثْر أحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لغُرَّبِ.

﴿فرَّتْ من قَسْورةٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

(١٩٠) القرطبي (١٩/٨٩) اللسان نظر الطبري (٢٩/١٦٩) زاد المسير (٨/٤١٢) وفيه احبس بدلاً من أمسك.

أحدها: أن القسورة الرماة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه القناص أي الصياد، ومنه قول علي:

يا ناس إني مثل قسورةٍ وإنهم لعداة طالما نفروا.

الثالث: أنه الأسد، قاله أبو هريرة، روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه الأسد بلسان الحبشة، قال الفرزدق:

إلى هاديات صعاب الرؤوس فساروا للقسور الأصيد.

الرابع: أنهم عصب من الرجال وجماعة، رواه أبو حمزة عن ابن عباس.

الخامس: أنه أصوات الناس، رواه عطاء عن ابن عباس.

السادس: أنه النبل، قاله قتادة.

﴿بل يريد كلُّ امرىءٍ منهم أنْ يُؤْتى صحُفاً مُنَشَّرةً﴾ يعني كتباً منشورة وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أن يؤتى كتاباً من اللَّه أن يؤمن بمحمد، قاله قتادة.

الثاني: أن يؤتى براءة من النار أنه لا يقذف بها، قاله أبو صالح.

الثالث: أن يؤتى كتاباً من اللَّه بما أحل له وحرم عليه، قاله مقاتل.

الرابع: أن كفار قريش قالوا إن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد ذنباً وجده مكتوباً في رقعة، فما بالنا لا نرى ذلك فنزلت الآية، قاله الفراء.

﴿هو أهل التقْوَى وأهل المغْفِرةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو أهل أن تتقي محارمه، وأهل أن يغفر الذنوب، قاله قتادة.

الثاني: هو أهل أن يتقى أن يجعل معه إله غيره، وأهل لمن اتقاه أن يغفر له، وهذا معنى قول رواه أنس(١٩١) مرفوعاً.

الثالث: هو أهل أن يتقي عذابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته.

ويحتمل رابعاً: أهل الانتقام والإنعام.

---

(١٩١) رواه أحمد (٣/١٤٢) والترمذي (٢/١٦٨) وابن ماجة (٤٢٩٩) وزاد السيوطي في الدر (٨/٣٤٠) نسبته للبزار والدارمي وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي والحاكم (٢/٥٠٨) وصححه وابن مردويه وابن جرير ولم أجده في تفسيره عند الآية وفي سنده ضعف فهو من رواية سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت عن أنس وسهيل ضعيف كما في التقريب. وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت قلت وعلى هذا فتصحيح الحاكم للحديث فيه نظر.

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ
عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ
يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ
وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِم بيومِ القيامةِ﴾ اختلفوا في «لا» المبتدأ بها في أول الكلام على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها صلة دخلت مجازاً ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة، قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:

تَذكّرْت ليلى فاعْتَرتْني صَبابَةٌ — وكاد ضمير القلْبِ لا يتقطّع.

الثاني: أنها دخلت توكيداً للكلام كقوله: لا واللّه، وكقول امرىء القيس(١٩٢):

فلا وأبيكِ ابنةَ العامريّ — لا يدّعي القوم أني أفِرّ.

قاله أبو بكر بن عياش.

الثالث: أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث، ثم ابتدأ

(١٩٢) القرطبي (١٩/٩٢) فتح القدير (٥/٣٣٥) ديوانه: ١٥٤، روح المعاني (٢٩/١٣٥).

القسم فقال: أقسم بيوم القيامة، فرقاً بين اليمين المستأنفة وبين اليمين تكون مجدداً، قاله الفراء.

وقرأ الحسن: لأقْسِمُ بيوم القيامة، فجعلها لاماً دخلت على أُقسم إثباتاً للقسم، وهي قراءة ابن كثير(١٩٣).

﴿ولا أُقْسِم بالنّفْسِ اللوّامةِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تعالى أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكونان قَسَمَيْن، قاله قتادة.

الثاني: أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، قاله الحسن، ويكون تقدير الكلام: أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة. وفي وصفها باللوامة قولان:

أحدهما: أنها صفة مدح، وهو قول من جعلها قسماً:

الثاني: أنها صفة ذم، وهو قول من نفى أن يكون قسماً.

فمن جعلها صفة مدح فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها التي تلوم على ما فات وتندم، قاله مجاهد، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير أن لم تستكثر منه.

الثاني: أنها ذات اللوم، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنها التي تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها.

فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى اللائمة.

ومن جعلها صفة ذم فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها التي تلام على سوء ما فعلت.

الثالث: أنها التي لا صبر لها على محن الدنيا وشدائدها، فهي كثيرة اللوم فيها، فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى الملومة.

﴿أيَحْسَب الإنسان﴾ يعني الكافر.

﴿أنْ لن نَجْمَعَ عِظامَه﴾ فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رفاتاً.

(١٩٣) السبعة لابن مجاهد ص ٦٦١.

﴿بلى قادِرينَ على أنْ نُسوّيَ بَنانه﴾في قوله «بلى» وجهان:
أحدهما: أنه تمام قوله «أن لن نجمع عظامه» أي بلى نجمعها، قاله الأخفش.
الثاني: أنها استئناف بعد تمام الأول بالتعجب بلى قادرين، الآية وفيه وجهان:
أحدهما: بلى قادرين على أن نسوي مفاصله ونعيدها للبعث خلقاً جديداً، قاله جرير بن عبد العزيز.
الثاني: بلى قادرين على أن نجعل كفه التي يأكل بها ويعمل حافر حمار أو خف بعير، فلا يأكل إلا بفيه، ولا يعمل بيده شيئاً، قاله ابن عباس وقتادة.
﴿بل يريد الإنسان ليَفْجُرَ أمامَه﴾ فيه أربعة تأويلات:
أحدها: معناه أن يقدم الذنب ويؤخر التوبة، قاله القاسم بن الوليد.
الثاني: يمضي أمامه قدُماً لا ينزع عن فجور، قاله الحسن.
الثالث: بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله، ولا يذكر الموت، قاله الضحاك.
الرابع: بل يريد أن يكذب بالقيامة ولا يعاقب بالنار، وهو معنى قول ابن زيد.
ويحتمل وجهاً خامساً: بل يريد أن يكذب بما في الآخرة كما كذب بما في الدنيا، ثم وجدت ابن قتيبة قد ذكره وقال إن الفجور التكذيب واستشهد بأن أعرابياً قصد عمر بن الخطاب وشكا إليه نقب إبله ودبرها، وسأله أن يحمله على غيرها، فلم يحمله، فقال الأعرابي:

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ ما مسّها مِن نَقَبٍ ولا دَبَرْ
فاغفر له اللهم إنْ كان فجَرْ.

يعني إن كان كذبني بما ذكرت.
﴿فإذا بَرِقَ البصرُ﴾ فيه قراءتان:
إحداهما: بفتح الراء(١٩٤)، وقرأ بها أبان عن عاصم، وفي تأويلها وجهان:
أحدهما: يعني خفت وانكسر عند الموت، قاله عبد الله بن أبي إسحاق.
الثاني: شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت فزعاً، وأنشد الفراء(١٩٥):

(١٩٤) السبعة لابن مجاهد ص ٦٦١ وزاد المسير (٤١٨/٨).
(١٩٥) هو طرفة بن العبد والبيت في ديوانه: ٢١٨ والطبري (١٧٩/٢٩) والقرطبي (٩٤/١٩) اللسان فتح القدير (٣٣٧/٥).

فنفسكَ فانْعَ ولا تْنعَني وداوِ الكُلومَ ولا تَبْرَقِ.

أي ولا تفزع من هول الجراح.

الثانية: بكسر الراء وقرأ بها الباقون، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: عشى عينيه البرق يوم القيامة، قاله أشهب العقيلي، قال الأعشى:

وكنتُ أرى في وجه مَيّةَ لمحةً فأبرِق مَغْشيّاً عليّ مكانيا.

الثاني: شق البصر، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي(١٩٦):

لما أتاني ابن عميرٍ راغباً أعطيتُه عيساً صِهاباً فبرق.

﴿وخَسَفَ القمرُ﴾ أي ذهب ضوؤه، حتى كأنّ نوره ذهب في خسفٍ من الأرض.

﴿وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه جمع بينهما في طلوعهما من المغرب [أسودين مكورين] مظلمين مقرنين.

الثاني: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف لتكامل إظلام الأرض على أهلها، حكاه ابن شجرة.

الثالث: جمع بينهما في البحر حتى صارا نار اللَّه الكبرى.

﴿يقولُ الإنسانُ يومئذٍ أين المفرُّ﴾ أي أين المهرب، قال الشاعر(١٤٠):

أين أفِرّ والكباشُ تنتطحْ وأيّ كبشٍ حاد عنها يفتضحْ.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: «أين المفر» من اللَّه استحياء منه.

الثاني: «أين المفر» من جهنم حذراً منها.

ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة من عرصة القيامة دون المؤمن، ثقة المؤمن ببشرى ربه.

الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوه منها.

(١٩٦) القرطبي (٩٦/١٩).

ويحتمل هذا القول وجهين:

أحدهما: من قول اللّه للإنسان إذا قاله «أين المفر» قال اللّه له: «كلّا لاوَزَرَ».

الثاني: من قول الإنسان إذا علـم أنه ليس له مفر قال لنفسه «كلا لاوَزَرَ»

﴿كلّا لاوَزَرَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أي لا ملجأ من النار، قاله ابن عباس.

الثاني: لا حصن، قاله ابن مسعود.

الثالث: لا جبل، [قاله الحسن].

الرابع: لا محيص، قاله ابن جبير.

﴿إلى ربِّك يومئذٍ المُسْتَقَرُّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المستقر المنتهى، قاله قتادة.

الثاني: أنه استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، قاله ابن زيد.

﴿يُنَبَّأ الإنسان يومئذٍ بما قدَّمَ وأَخّرَ﴾ يعني يوم القيامة وفي «بما قدم وأخـر» خمسة تأويلات:

أحدها: ما قدم قبل موته من خير أو شر يعلم به بعد موته، قاله ابن عباس وابن مسعود.

الثاني: ما قدم من معصية، وأخر من طاعة، قاله قتادة.

الثالث: بأول عمله وآخره، قاله مجاهد.

الرابع: بما قدم من الشر وأخر من الخير، قال عكرمة.

الخامس: بما قدم من فرض وأخر من فرض، قاله الضحاك.

ويحتمل سادساً: ما قدم لدنياه، وما أخر لعقباه.

﴿بل الإنسانُ على نَفْسِه بَصيرةٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه شاهد على نفسه بما تقدم به الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾.

الثاني: أن جوارحه شاهدة عليه بعمله، قاله ابن عباس، كما قال تعالى: ﴿اليوم نَخْتِمُ على أفواههم وتُكَلِّمنا أيْديهم وتشْهدُ أرجُلُهم بما كانوا يكْسِبون﴾.

الثالث: معناه بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها من ثواب وعقاب.

والهاء في «بصيرة» للمبالغة .

﴿ولو ألْقَى معاذيرَه﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : معناه لو اعتذر يومئذ لم يقبل منه ، قاله قتادة .

الثاني : يعني لو ألقى معاذيره أي لو تجرد من ثيابه ، قاله ابن عباس .

الثالث : لو أظهر حجته ، قاله السدي وقال النابغة(١٩٧) :

لدىّ إذا ألقى البخيلُ معاذِرَه .

الرابع : معناه ولو أرخى ستوره ، والستر بلغة اليمن معذار ، قاله الضحاك ، قال الشاعر(١٩٨) :

ولكنّها ضَنّتْ بمنزلِ ساعةٍ علينا وأطّت فوقها بالمعاذرِ .

ويحتمل خامساً : أنه لو ترك الاعتذار واستسلم لم يُترك .

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

﴿لا تُحرِّكْ به لسانَكَ لِتعْجَلَ به﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن النبي(١٩٩) ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسانه يستذكره مخافة أن ينساه ، وكان ناله منه شدة ، فنهاه اللّه تعالى عن ذلك وقال : ﴿إنّ علينا جَمْعَه وقرآنه﴾ ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهي عن ذلك حتى يجتمع ، لأن بعضه مرتبط ببعض ، قاله عامر الشعبي .

(١٩٧) فتح القدير (٢/٣٣٧) والقرطبي (١٩/٩٧) .

(١٩٨) فتح القدير (٥/٣٣٨) القرطبي (١٩/١٠٠) .

(١٩٩) رواه البخاري (٨/٣٢٥) ومسلم ( ) والترمذي ( ) وابن جرير (٢٩/١٨٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/٣٤٨) نسبته للطيالسي وعبد بن حميد والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل وابن الأنباري في المصاحف والنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وأحمد من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس .

﴿إنّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنَه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك، قاله ابن عباس.

الثاني: علينا حفظه وتأليفه، قاله قتادة.

الثالث: علينا أن نجمعه لك حتى تثبته في قلبك، قاله الضحاك.

﴿فإذا قرأناه فاتّبعْ قُرْآنَه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فإذا بيّناه فاعمل بما فيه، قاله ابن عباس.

الثاني: فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: فإذا تلي عليك فاتبع شرائعه وأحكامه، قاله قتادة.

﴿ثم إنّ عَلينا بَيانَه﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام، قاله قتادة.

الثاني: علينا بيانه بلسانك إذا نزل به جبريل حتى تقرأه كما أقرأك، قاله ابن عباس.

الثالث: علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد، قاله الحسن.

﴿كلاّ بل تُحِبُّونَ العاجلةَ * وتذَرُونَ الآخِرَةَ﴾فيه وجهان:

أحدهما: تحبون ثواب الدنيا وتذرون ثواب الآخرة، قاله مقاتل.

الثاني: تحبون عمل الدنيا وتذرون عمل الآخرة.

﴿وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني حسنة، قاله الحسن.

الثاني: مستبشرة، قاله مجاهد.

الثالث: ناعمة، قاله ابن عباس.

الرابع: مسرورة، قاله عكرمة.

﴿إلى رَبِّها ناظِرةٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تنظر إلى ربها في القيامة، قاله الحسن وعطية العوفي.

الثاني: إلى ثواب ربها، قاله ابن عمر ومجاهد(٢٠٠).

(٢٠٠) وهذا القول عده العلماء من الأقوال المرذولة لمجاهد التي تخالف الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة في إثبات الرؤية في الآخرة وقد كر عليه العلامة أبو عمر بن عبد البر كما نقله الشوكاني عنه وأما ما نسب

الثالث: تنتظر أمر ربها، قاله عكرمة(٢٠١).

﴿ووجوهٌ يومئذٍ باسِرةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كالحة، قاله قتادة.

الثاني: متغيرة، قاله السدي.

﴿تظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقِرةٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الفاقرة الداهية، قاله مجاهد.

الثاني: الشر، قاله قتادة.

الثالث: الهلاك، قاله السدي.

الرابع: دخول النار، قاله ابن زيد.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ
ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كلّا إذا بَلَغتِ التّراقِيَ﴾ يعني بلوغ الروح عند موته إلى التراقي، وهي أعلى الصدر، واحدها ترقوة.

﴿وقيلَ مَنْ راقٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قال أَهْله: من راقٍ يرقيه بالرُّقي وأسماء اللّه الحسنى، قاله ابن عباس.

الثاني: مَنْ طبيبٌ شافٍ، قاله أبو قلابة، قال الشاعر(٢٠٢):

إلى ابن عمر فقد قال القرطبي (١٩/١٠٨) حكاه أي القول الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده «قلت كذا القول الثاني ليس بصحيح وقد ثبت عن عكرمة خلافه كما سيأتي راجع فتح القدير (٥/٣٣٨) وروح المعاني (٢٩/١٤٤، ١٤٥) والطبري (٢٩/٣٩٢، ٣٩٣) وابن كثير (٤/٤٥٠) وبعد هذا فإن القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا هو الصواب وما عليه الجمهور وما دونه فخطأ مرذول.

(٢٠١) وقد روى الطبري (٢٩/١٩٢) عن عكرمة قال «تنظر إلى ربها نظراً راجع التعليق السابق».

(٢٠٢) القرطبي (١٩/١١١) فتح القدير (٥/٣٤١).

هـل للفتى مِن بنات الـدهـرِ من واقى ... أم هـل لـه من حمامِ المـوتِ من راقي

الثالث: قال الملائكة: مَن راقٍ يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس.

﴿وظَنَّ أنّه الفِراق﴾ أي تيقن أنه مفارق الدنيا.

﴿والْتَفّتِ الساقُ بالساقِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: اتصال الدنيا بالآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء، وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، قاله عكرمة ومجاهد، ومنه قول حذيفة بن أنس الهذلي(٢٠٣):

أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضّها ... وإن شمّرتْ عن ساقها الحرب شمّرا.

الثالث: التفّت ساقاه عند الموت، وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن التفاف الساق بالساق عند الميثاق، قال الحسن:

ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوّالاً.

الرابع: أنه اجتمع أمران شديدان عليه: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، قاله ابن زيد.

﴿إلى ربِّك يومئذٍ المساقُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنطلق، قاله خارجة.

الثاني: المستقر، قاله مقاتل.

﴿فلا صَدَّقَ ولا صَلّى﴾ هذا في أبي جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: فلا صدّق بكتاب الله ولا صلّى لـله، قاله قتادة.

الثاني: فلا صدّق بالرسالة ولا آمن بالمرسل، وهو معنى قول الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه.

﴿ولكن كَذَّبَ وتَوَلّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذب الرسول وتولى عن المرسل.

الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة.

﴿ثم ذَهَبَ إلى أَهْلِه يَتَمَطّى﴾ يعني أبا جهل، وفيه ثلاثة أوجه:

(٢٠٣) قال محقق المخطوطة نسب هذا البيت في حاشية تفسير القرطبي إلى حاتم الطائي.

أحدها: يختال في نفسه، قاله ابن عباس.

الثاني: يتبختر في مشيته، قال زيد بن أسلم وهي مشية بني مخزوم.

الثالث: أن يلوي مطاه، والمطا: الظهر، وجاء النهي (٢٠٤) عن مشية المطيطاء وذلك أن الرجل يلقي يديه مع الكفين في مشيه.

﴿أَوْلَى لك فأَوْلَى* ثم أَوْلَى لك فأَوْلَى﴾ حكى الكلبي ومقاتل: أن النبي ﷺ لقي أبا جهل ببطحاء مكة وهو يتبختر في مشيته، فدفع في صدره وهمزه بيده وقال: «أَوْلى لك فأولى» فقال أبو جهل:

إليك عني أتوعدني يا ابن أبي كبشة ما تستطيع أنت ولا ربك الذي أرسلك شيئاً، فنزلت هذه الآية.

وفيه وجهان:

أحدهما: وليك الشر، قال قتادة: وهذا وعيد على وعيد.

الثاني: ويل لك، قالت الخنساء(٢٠٥):

هَمَمْتُ بنفسي بعض الهموم ... فأَوْلَى لنَفْسيَ أَوْلَى لها.

سأحْمِلُ نَفْسي على آلةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها.

الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضاً الذي يحمل عليه الموتى.

﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فهل لا يفترض عليه عمل، قاله ابن زيد.

الثاني: يظن ألا يبعث، قاله السدي.

الثالث: ملغى لا يؤمر ولا ينهى، قاله مجاهد.

الرابع: عبث لا يحاسب ولا يعاقب، قال الشاعر(٢٠٦):

---

(٢٠٤) تخريجه كما في قوله «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها» رواه ابن المبارك في الزهد رقمه ١٨٧ والترمذي (٢/٤٢ ـ ٤٣) والعقيلي في الضعفاء (٤٠٨) وابن عدي في الكامل (١/٣٢٣) والبيهقي في الدلائل (ج٢) من حديث ابن عمر مرفوعاً.

له شاهد من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الهيثمي في المجمع (١٠/٢٣٧) والحديث صححه الألباني في السلسلة ٩٥٦.

(٢٠٥) قول الخنساء ديوانها: فتح القدير (٥/٣٤٢) واقتصر على البيت الأول القرطبي (١٩/١١٥).

(٢٠٦) القرطبي (١٩/١١٦).

فأُقسِم باللَّه جهدَ اليمين ما ترك اللَّه شيئاً سُدى

﴿أَلَمْ يكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معنى يُمنى يراق، ولذلك سميت مني لإراقة الدماء فيها.

الثاني: بمعنى ينشأ ويخلق، ومنه قول يزيد بن عامر:

فاسلك طريقك تمشي غير مختشعٍ حتى تلاقيَ ما يُمني لك الماني.

الثالث: أنه بمعنى يشترك أي اشتراك ماء الرجل بماء المرأة.

﴿ثم كان عَلَقَةً﴾ يعني أنه كان بعد النطفة علقة.

﴿فَخَلقَ فسوَّى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: خلق من الأرحام قبل الولادة وسوي بعدها عند استكمال القوة وتمام الحركة.

الثاني: خلق الأجسام وسواها للأفعال، فجعل لكل جارحة عملاً، واللَّه أعلم.

سُورَةُ الإِنسَانِ

آياتها ٣١ — ترتيبها ٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ويحيى بن سلام: هي مكية، وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزّلنا عليك القرآنَ تنزيلاً**﴾ إلى آخرها وما تقدم مدني.

قوله تعالى: ﴿**هلْ أَتى على الإنسان حينٌ من الدهْرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً**﴾ في قوله «**هل**» وجهان:

أحدهما: أنها في هذا الموضع بمعنى قد، وتقدير الكلام: «**قد أتى على الإنسان**» الآية، على معنى الخبر، قاله الفراء وأبو عبيدة.

الثاني: أنه بمعنى «**أتى على الإنسان**» الآية، على وجه الاستفهام، حكاه ابن عيسى.

وفي هذا «**الإنسان**» قولان:

أحدهما: أنه آدم، قاله قتادة والسدي وعكرمة، وقيل إنه خلقه بعد(٢٠٧) خلق السموات والأرض، وما بينهما في آخر اليوم السادس وهو آخر يوم الجمعة.

(٢٠٧) كما ثبت ذلك في حديث مسلم وقد تقدم تخريجه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

الثاني: أنه كل إنسان، قاله ابن عباس وابن جريج.

وفي قوله تعالى: ﴿حِينٌ من الدهر﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أربعون سنة مرت قبل[٢٠٨] أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه.

الثاني: أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك.

الثالث: أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر، وزمان غير محدود، قاله ابن عباس أيضاً.

وفي قوله ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ وجهان:

أحدهما: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق، وإن كان عند اللّه شيئاً مذكوراً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أي كان جسداً مصوّراً تراباً وطيناً، لا يذكر ولا يعرف، ولا يدري ما اسمه، ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً، قاله الفراء، وقطرب وثعلب.

وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيواناً.

﴿إنّا خلقْنا الإنسانَ من نُطْفَةٍ أمْشاجٍ﴾ يعني بالإنسان في هذا الموضع كل إنسان من بني آدم في قول جميع المفسرين.

وفي النطفة قولان:

أحدهما: ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة، قاله السدي.

الثاني: أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجاً.

وفي الأمشاج أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الأخلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة، قاله الحسن وعكرمة، ومنه قول رؤبة بن العجاج[٢٠٩]:

---

(٢٠٨) وهو قول الجمهور كما نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٨/٨).

(٢٠٩) ديوانه: ٣٢ ، الطبري (٢٠٣/١٩)، القرطبي (١٢٠/١٩) فتح القدير (٣٤٥/٥).

يطرحن كل مُعْجَل نشاجٍ لم يُكْسَ جلداً في دم أمشاج.

الثاني: أن الأمشاج الألوان، قاله ابن عباس، وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء.

روى سعيد عن قتادة عن أنس قال[٢١٠]: قال رسول الله ﷺ: ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه.

الثالث: أن الأمشاج: الأطوار، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم يكسى العظم لحماً، قاله قتادة.

الرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة، قاله ابن مسعود.

وفي قوله ﴿نَبْتَلِيه﴾ وجهان:

أحدهما: نختبره.

الثاني: نكلفه بالعمل.

فإن كان معناه الاختبار ففيما يختبر به وجهان:

أحدهما: نختبره بالخير والشر، قاله الكلبي.

الثاني: نختبر شكره في السراء، وصبره في الضراء، قاله الحسن.

ومن جعل معناه التكليف ففيما كلفه وجهان:

أحدهما: العمل بعد الخلق، قاله مقاتل.

الثاني: الدين، ليكون مأموراً بالطاعة، ومنهياً عن المعاصي.

﴿فَجَعَلْناه سميعاً بصيراً﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: أي يسمع بالأذنين ويبصر بالعينين امتناناً بالنعمة عليه.

الثاني: ذا عقل وتمييز ليكون أعظم في الامتنان حيث يميزه من جميع الحيوان.

وقال الفراء ومقاتل: في الآية تقديم وتأخير أي فجعلناه سميعاً بصيراً أن نبتليه، فعلى هذا التقديم في الكلام اختلفوا في ابتلائه على قولين:

أحدهما: ما قدمناه من جعله اختباراً أو تكليفاً.

---

(٢١٠) رواه البخاري (٣٦٢/٦) من حديث أنس وأحمد (١٠٨/٣) ورواه مسلم من حديث ثوبان (٣)(٣١٥).

الثاني : لنبتليه بالسمع والبصر، قاله ابن قتيبة .

﴿إنّا هَدَيْناه السَّبيلَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : سبيل الخير والشر، قاله عطية .

الثاني : الهدى من الضلالة ، قاله عكرمة .

الثالث : سبيل الشقاء والسعادة، قاله مجاهد .

الرابع : خروجه من الرحم، قاله أبو صالح والضحاك والسدي .

ويحتمل خامساً : سبيل منافِعِه ومضارِّه التي يهتدي إليها بطبعه، وقيل : كمال عقله .

﴿إمّا شاكراً وإمّا كَفوراً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إما مؤمناً وإما كافراً، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : إما شكوراً للنعمة وإما كفوراً بها، قاله قتادة .

وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور ـ مع إجتماعهما في معنى المبالغة ـ نفياً للمبالغة في الشكر وإثباتاً لها في الكفر، لأن شكر اللَّه تعالى لا يُؤَدَّى فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فقل شكره لكثرة النعم عليه، وكثر كفره وإن قل مع الإحسان إليه .

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ
مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا
﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا
نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا
﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

﴿إنّ الأبرار يَشْربونَ﴾ في الأبرار قولان :

أحدهما : أنهم الصادقون، قاله الكلبي .

الثاني : المطيعون، قاله مقاتل .

وفيما سُمّوا به أبراراً ثلاثة أقاويل:

أحدها: سمّوا بذلك لأنهم برّوا الآباء والأبناء، قاله ابن عمر.

الثاني: لأنهم كفوا الأذى، قاله الحسن.

الثالث: لأنهم يؤدون حق اللَّه ويوفون بالنذر، قاله قتادة.

وقوله ﴿مِن كأسٍ﴾ يعني الخمر، قال الضحاك: كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر.

وفي قوله ﴿كان مِزاجها كافوراً﴾ قولان:

أحدهما: أن كافوراً عين في الجنة اسمها كافور، قاله الكلبي.

الثاني: أنه الكافور من الطيب فعلى هذا في المقصود منه في مزاج الكأس به ثلاثة أقاويل:

أحدها: برده، قال الحسن: ببرد الكافور وطعم الزنجبيل.

الثاني: بريحه، قاله قتادة: مزج بالكافور وختم بالمسك.

الثالث: طعمه، قال السدي: كأن طعمه طعم الكافور.

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ اللَّهِ﴾ يعني أولياء اللَّه، لأن الكافر لا يشرب منها شيئاً وإن كان من عباد اللَّه، وفيه وجهان:

أحدهما: ينتفع بها عباد اللَّه، قاله الفراء.

الثاني: يشربها(٢١١) عباد اللَّه.

قال مقاتل: هي التسنيم، وهي أشرف شراب الجنة، يشرب بها المقربون صِرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة بالخمر واللبن والعسل.

﴿يُفَجِّرونَها تفْجيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يقودونها إلى حيث شاءوا من الجنة، قاله مجاهد.

الثاني: يمزجونها بما شاءوا، قاله مقاتل.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يستخرجوه من حيث شاءوا من الجنة.

وفي قوله «تفجيراً» وجهان:

---

(٢١١) ولكن قوله «يشرب بها» أفاد معنى زائد على الشراب وهو الري أي يشرب ويروي معاً وهذه هي فائدة الباء هنا.

أحدهما: أنه مصدر قصد به التكثير.

الثاني: أنهم يفجرونه من تلك العيون عيوناً لتكون أمتع وأوسع.

﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يوفون بما افترض اللَّه عليهم من عبادته، قاله قتادة.

الثاني: يوفون بما عقدوه على أنفسهم من حق اللَّه، قاله مجاهد.

الثالث: يوفون بالعهد لمن عاهدوه، قاله الكلبي.

الرابع: يوفون بالأيمان إذا حلفوا بها، قاله مقاتل.

ويحتمل خامساً: أنهم يوفون بما أُنذِروا به من وعيده.

﴿ويَخافون يوْماً كان شَرُّه مُسْتَطيراً﴾ قال الكلبي عذاب يوم كان شره مستطيراً، وفيه وجهان:

أحدهما: فاشياً، قاله ابن عباس والأخفش.

الثاني: ممتداً، قاله الفراء، ومنه قول الأعشى(٢١٢):

فبانتْ وقد أَوْرَثَتْ في الفؤادِ   صَدْعاً على نأيها مُستطيرا

أي ممتداً.

ويحتمل وجهاً ثالثاً يعني سريعاً.

﴿ويُطْعمونَ الطعامَ على حُبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على حب الطعام، قاله مقاتل.

الثاني: على شهوته، قاله الكلبي.

الثالث: على قلته، قاله قطرب.

﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ في الأسير ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المسجون المسلم، قاله مجاهد.

الثاني: أنه العبد، قاله عكرمة.

الثالث: أسير المشركين، قاله الحسن وسعيد بن جبير.

قال سعيد بن جبير: ثم نسخ أسير المشركين بالسيف، وقال غيره بل هو ثابت الحكم في الأسير بإطعامه، إلا أن يرى الإمام قتله.

---

(٢١٢) ديوانه: ٩٣، القرطبي (١٩/ ١٢٨) فتح القدير (٥/ ٣٤٧) الطبري (٢٩/ ٢١٩).

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله وجنونه، وإن أسر المشركين انتقام يقف على رأي الإمام وهذا بر وإحسان.

﴿إنّما نُطْعِمُكم لوجْهِ اللّهِ﴾ قال مجاهد: إنهم لم يقولوا ذلك، لكن علمه الله منهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

﴿لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكوراً﴾ جزاء بالفعال، وشكوراً بالمقال وقيل إن هذه الآية نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر، وهم سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وأبو عبيدة.

﴿إنّا نخافُ من ربِّنا يوماً عَبوساً قَمْطريراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العبوس الذي يعبس الوجوه من شره، والقمطرير الشديد، قاله ابن زيد.

الثاني: أن العبوس الضيق، والقمطرير الطويل، قاله ابن عباس، قال الشاعر(٢١٣):

شديداً عبوساً قمطريراً تخالُهُ   تزول الضحى فيه قرون المناكب.

الثالث: أن العُبوس بالشفتين، والقمطرير بالجبهة والحاجبين، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم، قاله مجاهد، وأنشد ابن الأعرابي(٢١٤):

يَغْدو على الصَّيْدِ يَعودُ مُنكَسِرْ   ويَقْمَطرُّ ساعةً ويكْفَهِرّ.

﴿فوَقاهمُ اللّه شَرَّ ذلك اليومِ ولَقّاهُمْ نَضْرةً وسُروراً﴾ قال الحسن النضرة من الوجوه، والسرور في القلوب.

وفي النضرة ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها البياض والنقاء، قاله الضحاك.

الثاني: أنها الحسن والبهاء، قاله ابن جبير.

---

(٢١٣) قال العلامة ابن الجوزي (٤٤٣/٨) متعقباً على هذا القول «وقد ذهب بعض المفسرين أن الآية تصمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك قال وهذا منسوخ بآية السيف وليس هذا القول بشيء فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً وهذا محمول على صدق التطوع فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار ذكره القاضي أبو يعلى ا هـ.

(٢١٤) القرطبي (١٣٥/١٩).

الثالث: أنها أثر النعمة، قاله ابن زيد.

﴿وجَزاهم بما صَبَروا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بما صبروا على طاعة الله.

الثاني: بما صبروا على الوفاء بالنذر.

﴿جَنّةً وحريراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جنة يسكنونها، وحريراً يلبسونه.

الثاني: أن الجنة المأوى، والحرير أبد العيش في الجنة، ومنه لبس الحرير ليلبسون من لذة العيش.

واختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين:

أحدهما: ما حكاه الضحاك عن جابر أنها نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري نذر نذراً فوفاه.

الثاني: ما حكاه عمرو عن الحسن(٢١٥) أنها نزلت في علي وفاطمة.. رضي الله عنهما ـ وذلك أن علياً وفاطمة نذرا صوماً فقضياه، وخبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير ليفطر عليّ على أحدها وتفطر هي على الآخر، ويأكل الحسن والحسين الثالث، فسألها مسكين فتصدقت عليه بأحدها، ثم سألها يتيم فتصدقت عليه بالآخر، ثم سألها أسير فتصدقت عليه بالثالث، وباتوا طاوين.

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ
قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ
قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾
۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ
نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ
وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

﴿مُتّكِئينَ فيها على الأرائِك﴾ وفيها مع ما قدّمناه من تفسيرها قولان:

(٢١٥) القرطبي (١٩/١٣٦).

أحدهما: أنها الأسرّة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها كل ما يتكأ عليه، قاله الزجاج.

﴿لا يَرَوْنَ فيها شمْساً ولا زَمْهَريراً﴾ أما المراد بالشمس ففيه وجهان:

أحدهما: أنهم في ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياء، فيكون عدم الشمس مبالغة في وصف الضياء.

الثاني: أنهم لا يرون فيها شمساً فيتأذون بحرها، فيكون عدمها نفياً لأذاها.

وفي الزمهرير ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه البرد الشديد، قال عكرمة لأنهم لا يرون في الجنة حراً ولا برداً.

الثاني: أنه لون في العذاب، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنه من هذا الموضع القمر، قاله ثعلب وأنشد(٢١٦):

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكَرْ ... قطعْتها والزمهريرُ ما ظَهَرْ

وروي ما زهر، ومعناه أنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار، لأن ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر.

﴿. . . وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذْليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، قاله قتادة.

الثاني: أنه إذا قام ارتفعت، وإذا قعد نزلت، قاله مجاهد.

---

(٢١٦) ولم يصح هذا السبب قال القرطبي (١٩/ ١٣٠) قلت والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً فهي عامة وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وهذاحديثاً لا يصح ولا يثبت رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله «يوفون بالنذر. . . الآية ا هـ قلت وليث هو ابن أبي سليم متكلم فيه بما يوجب الضعف ثم قال القرطبي رواه الجعفي عن قنبر مولى علي قلت وجابر الجعفي ضعيف أيضاً.

وقد أحسن أبو حيان بقوله «وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جداً ظاهرة الاختلاق وفيها أشعار المسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة وأشعار لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق لسفافة ألفاظها وكسر أبياتها وسخافة معانيها ا هـ.

ثم قال القرطبي رحمه الله ما يروج مثل هذا إلا على أهل السجون فيما أرى بلغني أن قوماً يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه ومثل هذه الأحاديث مفتعلة فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها وما من شيء إلا له آفة ومكيدة وآفة الدين وكيده أكثر ا هـ ونقل الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٠ قال قال الحكيم الترمذي هذا حديث خروق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل» ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال لا نشك في وضعه.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها وتخلص من نواها[٢١٧].

﴿. . . وأَكْوابٍ كانت قَواريرَا* قواريرَا من فِضّةٍ﴾ أما الأكواب فقد ذكرنا[٢١٨] ما هي من جملة الأواني.

وفي قوله تعالى: «قوارير من فضة» وجهان:

أحدهما: أنها من فضة من صفاء القوارير، قاله الشعبي.

الثاني: أنها من قوارير في بياض الفضة، قاله أبو صالح.

وقال ابن عباس: قوارير كل أرض من تربتها، وأرض الجنة الفضة فلذلك كانت قواريرها فضة.

﴿قَدَّرُوها تقْديراً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم قدروها في أنفسهم فجاءت على ما قدروها، قاله الحسن.

الثاني: على قدر ملء الكف، قاله الضحاك.

الثالث: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض، قاله مجاهد.

الرابع: على قدر ريهم وكفايتهم، لأنه ألذ وأشهى، قاله الكلبي.

الخامس: قدرت لهم وقدروا لها سواء، قاله الشعبي.

﴿ويُسْقَوْنَ فيها كأساً كان مِزاجُها زَنْجبيلاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تمزج بالزنجبيل، وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول، قاله السدي وابن أبي نجيح.

الثاني: أنْ الزنجبيل اسم للعين التي فيها مزاج شراب الأبرار، قاله مجاهد.

الثالث: أن الزنجبيل طعم من طعوم الخمر يعقب الشرب منه لذة، حكاه ابن شجرة، ومنه قول الشاعر[٢١٩]:

---

(٢١٧) القرطبي (١٩/١٣٨) روح المعاني (٢٩/١٥٨) زاد المسير (٨/٤٣٥) فتح القدير (٥/٣٤٩).

(٢١٨) وقد نقل القرطبي قول الماوردي هذا (١٩/٣٩) وقال «وفي هذا بعد فقد روى ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسقفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وغيرها أمثال القلال والدلاء وأشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم. . . الخ.

(٢١٩) كما في سورة الواقعة الآية ١٨ في هذا التفسير.

وكأن طعْمَ الزنجبيلِ به إذْ ذُقْتُه وسُلافَةَ الخمْرِ .

﴿عيْناً فيها تُسَمّى سَلْسَبيلاً﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه اسم لها ، قاله عكرمة .

الثاني : معناه سلْ سبيلاً إليها ، قاله علّي رضي اللَّه عنه .

الثالث : يعني سلسلة السبيل ، قاله مجاهد .

الرابع : سلسة يصرفونها حيث شاءوا ، قاله قتادة .

الخامس : أنها تنسلّ في حلوقهم انسلالاً ، قاله ابن عباس .

السادس : أنها الحديدة الجري ، قاله مجاهد أيضاً ، ومنه قول حسان بن ثابت(٢٢٠) :

يَسْقُون من وَرَدَ البريصَ عليهم كأساً تُصَفِّقُ بالرحيق السَّلْسَل .

وقال مقاتل : إنما سميت السلسبيل لأنها تنسل عليهم في مجالسهم وغرفهم وطرقهم .

﴿ويَطوفُ عليهم وِلْدانٌ مُخَلّدونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : مخلدون لا يموتون ، قاله قتادة .

الثاني : صغار لا يكبرون وشبابٌ لا يهرمون ، قاله الضحاك والحسن .

الثالث : أي مُسَوَّرون ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر(٢٢١) :

ومُخلّداتٍ بالُّلجَيْنِ كأنما أعْجازُهنّ أقاوزُ الكُثْبانِ .

﴿إذا رَأَيْتَهم حَسِبْتَهم لُؤْلُؤاً مَنْثوراً﴾ فيه قولان :

أحدها : أنهم مشبهون باللؤلؤ المنثور لكثرتهم ، قاله قتادة .

الثاني : لصفاء ألوانهم وحسن منظرهم وهو معنى قول سفيان .

﴿وإذا رأيْتَ ثَمَّ﴾ يعني الجنة .

﴿رأيْتَ نَعيماً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يريد كثرة النعمة .

---

(٢٢٠) هو المسيب بن علس والبيت في آخر ديوان الأعشى : ٣٥٢ زاد المسير (٨/٤٣٧) روح المعاني (١٦٠/٢٩) .

(٢٢١) القرطبي (١٤٣/١٩) فتح القدير (٣٥١/٥) ديوانه : ١٨٤

الثاني: كثرة النعيم.

﴿ومُلْكاً كبيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لسعته وكثرته.

الثاني: لاستئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام.

ويحتمل ثالثاً: أنهم لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه.

﴿وسقاهم ربُّهم شَراباً طَهوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه وصفه بذلك لأنهم لا يبولون منه ولا يُحْدِثون عنه، قاله عطية، قال إبراهيم التيمي: هو عَرَق يفيض من أعضائهم مثل ريح المسك.

الثاني: لأن خمر الجنة طاهرة، وخمر الدنيا نجسة، فلذلك وصفه الله تعالى بالطهور، قاله ابن شجرة.

الثالث: أن أنهار الجنة ليس فيها نجس كما يكون في أنهار الدنيا وأرضها حكاه ابن عيسى.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا
﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ
فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿ولا تُطِعْ منهم آثِماً أو كَفوراً﴾ قيل إنه عنى أبا جهل، يريد بالآثم المرتكب للمعاصي، وبالكفور الجاحد للنعم.

﴿واذكُرِ اسمَ ربِّك بُكرةً وأصيلاً﴾ يعني في أول النهار وآخره، ففي أوله صلاة الصبح، وفي آخره صلاة الظهر والعصر.

﴿ومِنَ الليلِ فاسْجُدْ له﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة.

﴿وسَبِّحْهُ ليْلاً طويلاً﴾ يعني التطوع من الليل.

قال ابن عباس وسفيان: كل تسبيح في القرآن هو صلاة.

﴿إنّ هؤلاءِ يُحِبّونَ العاجلةَ﴾ يحتمل في المراد بهم قولين:

أحدهما: أنه أراد بهم اليهود وما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحة نبوّته.

الثاني: أنه أراد المنافقين لاستبطانهم الكفر.

ويحتمل قوله ﴿يحبون العاجلة﴾ وجهين:

أحدهما: أخذ الرشا على ما كتموه إذا قيل إنهم اليهود.

الثاني: طلب الدنيا إذا قيل إنهم المنافقون.

﴿ويَذَرُونَ وراءَهم يوماً ثقيلاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يحل بهم من القتل والجلاء إذا قيل إنهم اليهود.

الثاني: يوم القيامة إذا قيل إنهم المنافقون.

فعلى هذا يحتمل قوله «ثقيلاً» وجهين:

أحدهما: شدائده وأحواله.

الثاني: للقِصاص من عباده.

﴿نحن خَلَقْناهم وشَدَدْنا أَسْرَهم﴾ في أسرهم ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني مفاصلهم، قاله أبو هريرة.

الثاني: خلقهم، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة قال لبيد(٢٢٢):

ساهم الوجه شديد أَسْرُه مشرف الحارك محبوك الكفل.

الثالث: أنه القوة، قاله ابن زيد، قال ابن أحمر في وصف فرس(٢٢٣):

يمشي لأوظفةٍ شدادٍ أَسْرُها صُمِّ السنابك لاتقى بالجَدْجَدِ.

ويحتمل هذا القول منه تعالى وجهين:

أحدهما: امتناناً عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية.

الثاني: تخويفاً لهمن بسلب النعم.

﴿وإذا شئنا بدّلْنا أمثالَهم تبديلاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أمثال من كفر بالنعم وشكرها.

(٢٢٢) ديوانه: القرطبي (١٥١/١٩) وفيه الكند بدلاً من الكفل واللسان «حبك».

(٢٢٣) القرطبي (١٥١/١٩).

الثاني : من كفر بالرسل بمن يؤمن بها .

﴿إنّ هذه تَذْكِرةً﴾ يحتمل بالمراد بـ«هذه» وجهين :

أحدهما : هذه السورة .

الثاني : هذه الخلقة التي خلق الإنسان عليها .

ويحتمل قوله «تذكرة» وجهين :

أحدهما : إذكار ما غفلت عنه عقولهم .

الثاني : موعظة بما تؤول إليه أمورهم .

﴿فَمَنْ شاءَ اتَخَذَ إلى ربِّه سَبيلاً﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : طريقاً إلى خلاصه .

الثاني : وسيلة إلى جنته .

سُورَةُ المُرْسَلات

آياتها ٥٠ — ترتيبها ٧٧

مكية من قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها، وهي قوله تعالى: «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» فمدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ
﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿والمرسلاتِ عُرْفاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة ترسل بالمعروف، قاله أبو هريرة وابن مسعود.

الثاني: أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات، وهذا قول أبي صالح.

الثالث: أنها الرياح ترسل بما عرفها[٢٢٤] اللَّه تعالى.

ويحتمل رابعاً: أنها السحب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه، ومن أرسلت إليه.

---

(٢٢٤) وهو قول الجمهور.

ويحتمل خامساً: أنها الزواجـر والمواعظ.

وفي قوله «عُرْفاً» على هذا التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها: متتابعات كعُرف الفرس، قاله ابن مسعود.

الثاني: جاريات، قاله الحسن يعني القلوب.

الثالث: معروفات في العقول.

﴿فالعاصِفاتِ عَصْفاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الرياح العواصف، قاله ابن مسعود.

الثاني: الملائكة، قاله مسلم بن صبيح.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف.

وفي قوله «عصفاً» وجهان:

أحدهما: ما تذروه في جريها.

الثاني: ما تهلكه بشدتها.

﴿والنَّاشِراتِ نَشْراً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها الرياح تنشر السحاب، قاله ابـن مسعود.

الثاني: أنها الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح.

الثالث: أنه المطر ينشر النبات، قاله أبو صالح أيضاً.

الرابع: أنه البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح، قاله الربيع.

الخامس: أنها الصحف تنشر على اللَّه تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك.

﴿فالفارِقات فَرقـاً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل، قاله ابن عباس.

الثاني: الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام، قاله أبو صالح.

الثالث: أنها الرياح، قاله مجاهد.

الرابع: القرآن.

وفي تأويل قوله«فَرْقاً» على هذا القول وجهان:

أحدهما: فرقه آية آية، قاله الربيع.

الثاني: فرق فيه بين الحق والباطل، قاله قتادة.

﴿فالمُلْقِياتِ ذِكْراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء، قاله الكلبي.

الثاني: الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل إليهم، قاله قطرب.

ويحتمل ثالثاً: أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال.

﴿عُذْراً أو نُذْراً﴾ يعني عذراً من اللَّه إلى عباده، ونُذْراً إليهم من عذابه.

ويحتمل ثانياً: عذراً من اللَّه بالتمكن، ونذراً بالتحذير.

وفي ما جعله عذراً أو نذراً ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة، قاله ابن عباس.

الثاني: الرسل، قاله أبو صالح.

الثالث: القرآن، قاله السدي.

﴿إنما تُوعَدُونَ لَواقعٌ﴾ هذا جواب ما تقدم من القسم، لأن في أول السورة قسم، أقسم اللَّه تعالى إنما توعدون على لسان الرسول من القرآن في أن البعث والجزاء واقع بكم ونازل عليكم.

ثم بيّن وقت وقوعه فقال:

﴿فإذا النجومُ طُمِسَتْ﴾ أي ذهب ضوؤها ومحي نورها كطمس الكتاب.

﴿وإذا السماءُ فُرِجَتْ﴾ أي فتحت وشققت.

﴿وإذا الجبالُ نُسِفَتْ﴾ أي ذهبت، وقال الكلبي: سويت بالأرض.

﴿وإذا الرّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني أُوجدت، قاله إبراهيم.

الثاني: أُجلت، قاله مجاهد.

الثالث: جمعت، قاله ابن عباس.

وقرأ أبو عمرو[٢٢٥] «وقتت» ومعناها عرفت ثوابها في ذلك اليوم، وتحتمل هذه القراءة وجهاً آخر أنها دعيت للشهادة على أممها.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

(٢٢٥) ووافقه أبو جعفر إلا أنه خفف القاف زاد المسير (٨/٤٤٧).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١
إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ
ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا
۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾

﴿ألم نُهْلِكِ الأَوَّلِين﴾ يعني من العصاة، وفيمن أريد بهم وجهان:

أحدهما: قوم نوح عليه السلام لعموم هلاكهم بالطوفان لأن هلاكهم أشهر وأعم (٢٢٦)

الثاني: أنه قوم كل نبي استؤصلوا، لأنه في خصوص الأمم أندر.

﴿ثُمّ نُتْبِعُهُم الآخِرينَ﴾ يعني في هلاكهم بالمعصية كالأولين، إما بالسيف وإما بالهلاك.

﴿كذلك نَفْعَلُ بالمُجرمين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه تهويل لهلاكهم في الدنيا اعتباراً.

الثاني: أنه إخبار بعذابهم في الآخرة استحقاقاً.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِنْ ماءٍ مَهينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من صفوة الماء، قاله ابن عباس.

الثاني: من ماء ضعيف، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: من مني سائل، قاله ابن كامل.

﴿فَجَعَلْناه في قرارٍ مَكينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله وهب بن منبّه في رحم أُمّه لا يؤذيه حَرّ ولا برد.

الثاني: مكين حريز لا يعود فيخرج ولا يبث في الجسد فيدوم، قاله الكلبي.

﴿إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ إلى يوم ولادته.

﴿فقدرنا فنِعْم القادِرون﴾ في قراءة نافع(٢٢٧) مشددة، وقرأ الباقون مخففة، فمن قرأ بالتخفيف فتأويلها: فملكنا فنعم المالكون. ومن قرأ بالتشديد فتأويلها: فقضينا فنعم القاضون، وقال الفراء: هما لغتان ومعناهما واحد.

---

(٢٢٦) وهذا القول أشمل وأعم.

(٢٢٧) وهي قراءة الكسائي وأهل المدينة كما في زاد المسير (٨/٤٤٨).

﴿ألَمْ نجْعَلِ الأرضَ كِفاتاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني كِنّاً، قاله ابن عباس.

الثاني: غطاء، قاله مجاهد.

الثالث: مجمعاً، قاله المفضل.

الرابع: وعاء، قال الصمصامة بن الطرماح(٢٢٨):

فأنت اليومَ فوق الأرض حيٌّ وأنت غداً تَضُمُّكَ من كِفات.

﴿أَحْياءً وأَمْواتاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الأرض تجمع الناس أحيَاء على ظهرها وأمواتاً في بطنها، قاله قتادة والشعبي.

الثاني: أن من الأرض أحياء بالعمارة والنبات، وأمواتاً بالجدب والجفاف، وهو أحد قولي مجاهد.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ
وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ
فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

﴿انْطَلِقوا إلى ظِلٍّ ذي ثلاثِ شُعَبٍ﴾ قيل إن الشعبة تكون فوقه، والشعبة عن يمينه، والشعبة عن شماله، فتحيط به، قاله مجاهد.

الثاني: أن الشعب الثلاث الضريع والزقوم والغسلين، قاله الضحاك.

ويحتمل ثالثاً: أن الثلاث الشعب: اللهب والشرر والدخان، لأنه ثلاثة أحوال هي غايـة أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدت.

﴿لا ظَليلٍ﴾ في دفع الأذى عنه.

(٢٢٨) فتح القدير (٣٥٨/٥) والقرطبي (١٦١/١٩) وفيه حياً بدلاً من حي.

﴿ولا يُغْني مِن اللّهَب﴾ واللهب ما يعلو عن النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر.

﴿إنها تَرْمي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ﴾ والشرر ما تطاير من قطع النار، وفي قوله «كالقصر» خمسة أوجه:

أحدها: أنه أصول الشجر العظام، قاله الضحاك.

الثاني: كالجبل، قاله مقاتل.

الثالث: القصر من البناء وهو واحد القصور، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها، نحو ثلاثة أذرع، يسمونها القصر، قاله ابن عباس.

الخامس: أنها أعناق الدواب، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً سادساً: أن يكون ذلك وصفاً من صفات التعظيم، كنى عنه باسم القصر، لما في النفوس من استعظامه، وإن لم يُرِدْ به مسمى بعينه.

﴿كأنّه جِمالةٌ صُفْرٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جِمالاً صُفراً وأراد بالصفر السود، سميت صفراً لأن سوادها يضرب إلى الصفرة، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة، قال الشاعر(٢٢٩):

تلك خَيْلي منه وتلك رِكابي ... هُنّ صُفْرٌ أولادُها كالزبيبِ.

الثاني: أنها قلوس(*) السفن، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

الثالث: أنها قطع النحاس، وهومروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي تسميتها بالجمالات الصفر وجهان:

أحدهما: لسرعة سيرها.

الثاني: لمتابعة بعضها لبعض.

﴿فإنْ كانَ لكم كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم، قاله مقاتل.

الثاني: إن استطعتم أن تمتنعوا عني فامتنعوا، وهو معنى قول الكلبي.

---

(٢٢٩) وهو الأعشى والبيت في القرطبي (١٩/١٦٤) وفتح القدير (٥/٣٥٩).

(*) اي حبالها.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟
وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟
لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وإذا قِيلَ لهم ارْكَعوا لا يَرْكَعون﴾ أي صلّوا لا يصلّون، قال مقاتل: نزلت في ثقيف امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم، وقيل إنه قال ذلك لأهل الآخرة تقريعاً لهم.

﴿فبأيِّ حديثٍ بَعْدَه يُؤْمنون﴾ أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدّقون.

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

سُورَةُ النَّبَأِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ (١) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٢) ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا (٦) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا (٨)
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً
ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا (١٦)

قوله تعالى ﴿عَمَّ يتساءلونَ عن النبإِ العَظيم﴾ يعني عن أي شيء يتساءل المشركون؟ لأن قريشاً حيت بُعث رسول الله ﷺ جعلت تجادل وتَختصم في الذي دعا إليه.

وفي ﴿النبأ العظيم﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: القرآن، قاله مجاهد.

الثاني: يوم القيامة، قاله ابن زيد.

الثالث: البعث بعد الموت، قاله قتادة.

الرابع: عن أمر النبي ﷺ.

﴿الذي هُمْ فيه مُختَلِفُونَ﴾ هو البعث، فأما الموت فلم يختلفوا فيه، وفيه قولان:

أحدهما: أنه اختلف فيه المشركون من بين مصدق منهم ومكذّب، قاله قتادة.

الثاني: اختلف فيه المسلمون والمشركون، فصدّق به المسلمون وكذّب به المشركون، قاله يحيى بن سلام.

﴿كَلاَّ سيعْلَمون ثم كلا سيعلمون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه وعيد بعد وعيد للكفار، قاله الحسن، فالأول: كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب في القيامة، والثاني: كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب في جهنم.

القول الثاني: أن الأول للكفار فيما ينالهم من العذاب في النار، والثاني للمؤمنين فيما ينالهم من الثواب في الجنة، قاله الضحاك.

﴿وجَعَلْنا نَوْمَكم سُباتاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: نعاساً، قاله السدي.

الثاني: سكناً، قاله قتادة.

الثالث: راحة ودعة، ولذلك سمي يوم السبت سبتاً لأنه يوم راحة ودعة، قال أبو جعفر الطبري(٢٣٠): يقال سبت الرجل إذا استراح.

الرابع: سُباتاً أي قطعاً لأعمالهم، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم سبت الرجل شعره إذا قطعه، قال ابن الأنباري: وسمي يوم السبت لانقطاع الأعمال فيه.

ويحتمل خامساً: أن السبات ما قرت فيه الحواس حتى لم تدرك بها الحس.

﴿وجَعَلْنا اللّيلَ لِباساً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سكناً، قاله سعيد بن جبير والسدي.

الثاني: غطاء، لأنه يغطي سواده كما يغطى الثوب لابسه، قاله أبو جعفر الطبري(٢٣١).

﴿وجَعَلنا النهارَ مَعاشاً﴾ يعني وقت اكتساب، وهو معاش لأنه يعاش فيه.

---

(٢٣٠) جامع البيان (٣/٣٠).

(٢٣١) جامع البيان (٣/٣٠).

ويحتمل ثانياً: أنه زمان العيش واللذة.

﴿وجَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً﴾ يعني بالسراج الشمس، وفي الوهّاج أربعة أقاويل:

أحدها: المنير، قاله ابن عباس.

الثاني: المتلألىء، قاله مجاهد.

الثالث: أنه من وهج الحر، قاله الحسن.

الرابع: أنه الوقّاد، الذي يجمع بين الضياء والجمال.

﴿وأَنْزَلْنا من الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ان المعصرات الرياح، قاله ابن عباس وعكرمة، قال زيد بن أسلم هي الجنوب.

الثاني: أنها السحاب، قاله سفيان والربيع.

الثالث: أن المعصرات السماء، قاله الحسن وقتادة.

وفي الثجاج قولان:

أحدهما: الكثير، قاله ابن زيد.

الثاني: المنصبّ، قاله ابن عباس، وقال عبيد بن الأبرص(٢٣٢):

فثجّ أعلاه ثم ارتج أسفله ... وضاق ذَرْعاً بحمل الماء مُنْصاحِ

﴿لنُخرج به حبّاً ونَباتاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحب ما كان في كمام الزرع الذي يحصد، والنبات: الكلأ الذي يرعى، وهذا معنى قول الضحاك.

الثاني: أن الحب اللؤلو، والنبات: العشب، قال عكرمة: ما أنزل اللّهُ من السماء قطرة إلا أنبتت في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة.

ويحتمل ثالثاً: أن الحب ما بذره الآدميّون، والنبات ما لم يبذروه.

﴿وجنّاتٍ أَلْفافاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الزرع المجتمع بعضه إلى جنب بعض، قاله عكرمة.

الثاني: أنه الشجر الملتف بالثمر، قاله السدي.

الثالث: أنها ذات الألوان، قاله الكلبي.

---

(٢٣٢) ديوانه: . . . القرطبي (١٩/١٧٤).

ويحتمل رابعاً: أنها التي يلف الزرع أرضها والشجر أعاليها، فيجتمع فيها الزرع والشجر ملتفات.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا
﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن
نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿إنّ يومَ الفصلِ﴾ يعني يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يفصل فيه الحكم بين الأولين والآخرين والمثابين والمعاقبين.

﴿كانَ مِيقاتاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ميعاداً للاجتماع.

والثاني: وقتاً للثواب والعقاب.

﴿وسُيِّرتِ الجبالُ فكانتْ سَراباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سُيِّرت أي أزيلت عن مواضعها.

الثاني: نسفت من أصولها.

«فكانت سراباً» فيه وجهان:

أحدهما: فكانت هباءً.

الثاني: كالسراب لا يحصل منه شيء كالذي يرى السراب يظنه ماء وليس بماء.

﴿إنّ جهنّمَ كانت مِرْصاداً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أنها راصدة فجازتهم بأعمالهم، قاله أبو سنان.

الثاني: أن على النار رصداً، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجىء بجواز لم يجز، قاله الحسن.

الثالث: أن المرصاد وعيد أوعد اللّه به الكفار، قاله قتادة.

﴿للطّاغينَ مَآباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: مرجعاً ومنقلباً، قاله السدي.

الثاني: مأوى ومنزلاً، قاله قتادة.

والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر أو في دنياه بالظلم.

﴿لابِثِينَ فيها أَحْقاباً﴾ يعني كلما مضى حقب جاء حقب وكذلك إلى الأبد واختلفوا في مدة الحقب على سبعة أقاويل:

أحدها: ثمانون سنة، قاله أبو هريرة.

الثاني: أربعون سنة، قاله ابن عمر.

الثالث: سبعون سنة، قاله السدي.

الرابع: أنه ألف شهر، رواه أبو أمامة(٢٣٣) مرفوعاً.

الخامس: ثلاثمائة سنة، قاله بشير بن كعب.

السادس: سبعون ألف سنة، قاله الحسن.

السابع: أنه دهر طويل غير محدود(٢٣٤)، قاله قطرب.

وفي تعليق لبثهم بالأحقاب قولان:

أحدهما: أنه على وجه التكثير، كلما مضت أحقاب جاءت بعدها أحقاب، وليس ذلك بحد لخلودهم في النار.

الثاني: أن ذلك حد لعذابهم بالحميم والغسّاق، فإذا انقضت الأحقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب.

﴿لا يَذُوقونَ فيها بْرداً ولا شَراباً﴾ في البرد ثلاثة أقاويل:

---

(٢٣٣) رواه ابن أبي عمر العدني في مسنده وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أمامة مرفوعاً كما في الدر المنثور (٨/٣٩٥) قلت: وفي سنده جعفر بن الزبير عن القاسم وكلاهما متروك وقد ضعفه ابن كثير بهما (٤/٤٦٣) وقال: هذا حديث منكر جداً. وأعله الهيثمي في المجمع (٧/١٣٣) من رواية الطبراني بجعفر بن الزبير فقط فقصر.

(تنبيه) وقع في ابن كثير (٨/٣٩٥) ابن عمر العدني وهو خطأ والتصويب ابن أبي عمر والتصويب من المطالب العالية (٣/٢٩٥) والدر (٨/٣٩٥).

(٢٣٤) وهو الصواب لأن الله تعالى أخبر عن خلود الكافرين في النار أبد الآبدين وماجاء هنا في الآيات من قوله ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ يعني كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا أبد الآبدين وما هم منها بمخرجين راجع القرطبي (١٩/١٧٩).

أحدها: أنه برد الماء، وبرد الهواء، وهو قول كثير من المفسرين.

الثاني: أنه الراحة، قاله قتادة.

الثالث: أنه النوم، قاله مجاهد والسدي وأبو عبيدة.

وأنشد قول الكندي[٢٣٥]:

بَرَدَتْ مَراشِفُها عليَّ فَصَدَّني عنها وعن تَقْبيلِها البَرْدُ

يعني النوم.

والشراب ها هنا: العذاب.

ويحتمل أن يريد بالشراب الري[٢٣٦]، لأن الشراب يروي وهم فيها عطاش أبداً.

﴿إلاّ حَميماً وغَسّاقاً﴾ أما الحميم ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الحارّ الذي يحرق، قاله ابن عباس.

الثاني: دموع أعينهم في النار تجتمع في حياض في النار فيُسقونْه، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه نوع من الشراب لأهل النار، قاله السدي. وأما الغسّاق ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه القيح الغليظ، قاله ابن عمر.

الثاني: أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه صديد أهل النار، قاله قتادة.

الرابع: أنه المنتن باللغة الطحاوية، قاله ابن زيد.

﴿جزاءً وِفاقاً﴾ وهو جمع وفق، قال أهل التأويل: وافق سوءُ الجزاء سوءَ العمل.

﴿إنهم كانوا لا يَرْجُونَ حِساباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يخافون وعيد اللّٰه بحسابهم ومجازاتهم، وهذا معنى قول قتادة.

﴿وكذّبوا بآياتِنا كِذّاباً﴾ يعني بآيات القرآن، وفي «كِذّاباً» وجهان:

(٢٣٥) القرطبي (١٩/١٨٠) فتح القدير (٥/٣٦٦) الطبري (٣٠/١٢).

(٢٣٦) ولعل هذا الاحتمال هو أشبه بالصواب والله أعلم.

أحدهما: أنه الكذب الكثير.

الثاني: تكذيب بعضهم لبعض، ومنه قول الشاعر(٢٣٧):

فَصَدَقْتُها وَكَذَبْتُها والمرءُ يَنْفَعُهُ كِذابُهْ

وهي لغة يمانية.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝٣٥ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦﴾

﴿إنّ لِلْمتقِينَ مَفازاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نجاة من شرها، قاله ابن عباس.

الثاني: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة، وتحقيق هذا التأويل أنه الخلاص من الهلاك، ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها مفازة تفاؤلاً بالخلاص منها.

﴿وكَواعِبَ أَتْراباً﴾ في الكواعب قولان:

أحدهما: النواهد، قاله ابن عباس.

الثاني: العذارى، قاله الضحاك، ومنه قول قيس بن عاصم(٢٣٨):

وكم مِن حَصانٍ قد حَوَيْنا كريمةٍ ومِن كاعبٍ لم تَدْرِ ما البؤسُ مُعْصِر

وفي الاتراب أربعة أقاويل:

أحدها: الأقران، قاله ابن عباس.

الثاني: الأمثال، قاله مجاهد.

الثالث: المتصافيات، قاله عكرمة.

الرابع: المتآخيات، قاله السدي.

﴿وكأساً دِهاقاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مملوءة، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٢٣٩):

---

(٢٣٧) هو الأعشى والبيت في القرطبي (١٨١/١٩) روح المعاني (١٦/١٩) الكامل للمبرد (٥٦٤) الطبري (٢٠/٣٠).

(٢٣٨) فتح القدير (٣٦٩/٥) القرطبي (١٨٣/١٩).

(٢٣٩) هو خداش بن زهير والبيت في القرطبي (١٨٣/١٩) روح المعاني (١٨/٣٠).

أتانا عامرٌ يَبْغي قِرانا ... فأتْرَعْنا له كأساً دِهاقاً

الثاني: متتابعة يتبع بعضها بعضاً، قاله عكرمة.

الثالث: صافية، رواه عمر بن عطاء، قال الشاعر[240]:

لأنْتِ آلى الفؤادِ أَحَبُّ قُرْباً ... مِن الصّادي إلى كأسٍ دِهَاقِ.

﴿لا يَسْمعونَ فيها لَغْواً ولا كِذّاباً﴾ في اللغو هاهنا أربعة أقاويل:

أحدها: الباطل، قاله ابن عباس.

الثاني: الحلف عند شربها، قاله السدي.

الثالث: الشتم، قاله مجاهد.

الرابع: المعصية، قاله الحسن.

وفي «كِذّاباً» ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يكذب بعضهم بعضاً، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه الخصومة، قاله الحسن.

الثالث: أنه المأثم، قاله قتادة.

وفي قوله ﴿لا يَسْمَعونَ فيها﴾ وجهان:

أحدهما: في الجنة، قاله مجاهد.

الثاني: في شرب الخمر، قاله يحيى بن سلام.

﴿جزاءً من ربكَ عَطاءً حِساباً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كافياً، قاله الكلبي.

الثاني: كثيراً، قاله قتادة.

الثالث: حساباً لما عملوا، فالحساب بمعنى العد.

رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ
ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ

(٢٤٠) القرطبي (١٩/١٨٣).

ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿يومَ يقومُ الرُّوحُ والملائكةُ صَفّاً﴾ في الروح هاهنا ثمانية أقاويل:

أحدها: الروح خلق من خلق اللّٰه كهيئة الناس وليسوا أناساً، وهم جند للّٰه سبحانه، قاله أبو صالح.

الثاني: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث: أنهم حفظة على الملائكة، قاله ابن أبي نجيح.

الرابع: أنه ملك من أعظم الملائكة خلقاً، قاله ابن عباس.

الخامس: هو جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

السادس: أرواح بني آدم يقومون صفاً والملائكة صفاً، قاله الحسن.

السابع: أنهم بنو آدم، قاله قتادة.

الثامن: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم.

﴿لا يتكلمونَ إلا مَنْ أَذِنَ له الرحمنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة، قاله الحسن.

الثاني: لا يتكلمون في شيء إلا من أذن له الرحمن شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، قاله ابن عباس.

﴿وقالَ صَواباً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني حقاً، قاله الضحاك.

الثاني: قول لا إله إلا اللّٰه، قاله أبو صالح.

الثالث: أن الروح يقول يوم القيامة: لا تُدخل الجنة إلا بالرحمة، ولا النار إلا بالعمل، فهو معنى قوله «**وقال صواباً**» قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أنه سؤال الطالب وجواب المطلوب، لأن كلام الخلق في القيامة مقصور على السؤال والجواب.

﴿ذلك اليومُ الحقُّ﴾ يعني يوم القيامة، وفي تسميته الحق وجهان:

أحدهما: لأن مجيئه حق وقد كانوا على شك.

الثاني: أنّ اللّٰه تعالى يحكم فيه بالحق بالثواب والعقاب.

﴿فمن شاءَ اتّخذَ إلى ربِّه مآباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سبيلاً، قاله قتادة.

الثاني: مرجعاً، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: اتخذ ثواباً لاستحقاقه بالعمل لأن المرجع يستحق على المؤمن والكافر.

﴿إنّا أنذَرْناكم عَذاباً قَريباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عقوبة الدنيا، لأنه أقرب العذابين، قاله قتادة، وقال مقاتل: هو قتل قريش ببدر.

الثاني: عذاب يوم القيامة، لأنه آت وكل آت قريب، وهو معنى قول الكلبي.

﴿يومَ يَنظُرُ المْرءُ ما قدَّمَتْ يَداهُ﴾ يعني يوم ينظر المرء ما قدّم من عمل خير، قال الحسن: قدَّم فقَدِم على ما قَدَّم. ويحتمل أن يكون عامّاً في نظر المؤمن إلى ما قدّم من خير، ونظر الكافر إلى ما قدّم من شر.

﴿ويقولُ الكافرُ يا لَيْتني كنتُ تُراباً﴾ قال مجاهد يبعث (٢٤١) الحيوان فيقاد للمنقورة من الناقرة، وللمركوضة من الراكضة، وللمنطوحة من الناطحة، ثم يقول الرب تعالى: كونوا تراباً بلا جنة ولا نار، فيقول الكافر حينئذ: يا ليتني كنت تراباً، وفي قوله ذلك وجهان:

أحدهما: يا ليتني صرت اليوم مثلها تراباً بلا جنة ولا نار، قاله مجاهد.

الثاني: يا ليتني كنت مثل هذا الحيوان في الدنيا وأكون اليوم تراباً، قاله أبو هريرة: وهذه من الأماني الكاذبة كما قال الشاعر:

ألا يا ليتني والمْرءُ مَيْتُ ... وما يُغْني من الحدثانِ لَيْتُ.

قال مقاتل: نزل قوله تعالى: ﴿يوم ينظر المرء ما قدّمت يداهُ﴾ في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ونزل قوله تعالى: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ في أخيه الأسود بن عبد الأسد.

(٢٤١) وقد ورد فيه خبر مرفوع صحيح الإسناد تقدم تخريجه عند قوله ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ في سورة الأنعام.

سُورَةُ النَّازِعَات

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا
(٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم
بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

قوله تعالى ﴿والنَّازِعاتِ غرْقاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم، قاله ابن مسعود ومسروق.

الثاني: هو الموت ينزع النفوس، قاله مجاهد.

الثالث: هي النفوس حين تنزع، قاله السدي.

الرابع: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، ومن المشرق إلى المغرب، قاله الحسن وقتادة.

الخامس: هي القسيّ تنزع بالسهم، قاله عطاء.

السادس: هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر، حكاه يحيى بن سلام، ومعنى «غرقاً» أي إبعاداً في النزع

﴿والناشِطات نَشْطاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال، قاله ابن عباس.

الثاني: النجوم التي تنشط من مطالعها إلى مغاربها، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت ينشط نفس الإنسان، قاله مجاهد.

الرابع: هي النفس حيث نشطت بالموت، قاله السدي.

الخامس: هي الأوهاق، قاله عطاء.

السادس: هي الوحش تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد، قاله أبو عبيدة، وانشد قول همام بن قحافة(٢٤٢):

أمْسَتْ همومي تنشط المناشِطا ... الشامَ بي طَوْراً وطَوْراً واسطاً.

﴿والسّابحاتِ سَبْحاً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: هي الملائكة سبحوا إلى طاعة اللَّهُ من بني آدم، قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: هي النجوم تسبح في فلكها، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت يسبح في نفس ابن آدم، قاله مجاهد.

الرابع: هي السفن تسبح في الماء، قاله عطاء.

الخامس: هي الخيل، حكاه ابن شجرة، كما قال عنترة(٢٤٣):

والخيلُ تعْلم حين تسـ ... ـبَحُ في حياضِ الموْتِ سَبْحاً

ويحتمل سادساً: أن تكون السابحات الخوض في أهوال القيامة.

﴿فالسّابقاتِ سَبْقاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله عليّ رضي اللَّهُ عنه ومسروق.

وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان.

الثاني: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت يسبق إلى النفس، قاله مجاهد.

الرابع: هي النفس تسبق بالخروج عند الموت، قاله الربيع.

(٢٤٢) وفي القرطبي (١٩٢/١٩) ومجاز القرآن (٢٨٤/٢) والطبري (٢٩/٣٠) واللسان نشط وروح المعاني (٢٤/٣٠) هميان بن قحافة.

(٢٤٣) القرطبي (١٩٣/١٩) فتح القدير (٣٧٣/٥).

الخامس: هي الخيل، قاله عطاء.

ويحتمل سادساً: أن تكون السابقات ما يسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار.

﴿فالمُدَبِّرات أمْراً﴾ فيهم قولان:

أحدهما: هي الملائكة، قاله الجمهور، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان:

أحدهما: تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه.

الثاني: تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار.

الثاني: هي الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل؛ وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان.

أحدهما: تدبير طلوعها وأفولها.

الثاني: تدبير ما قضاه اللَّهُ فيها من تقلب الأحوال.

ومن أول السورة إلى هذا الموضع قسم أقسم اللَّهُ به، وفيه وجهان:

أحدهما: أن ذكرها بخالقها.

الثاني: أنه أقسم بها و إن كانت مخلوقة لا يجوز لمخلوق أن يقسم بها، لأن للَّهُ تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

وجواب ما عقد له القسم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مضمر محذوف وتقديره لو أظْهر: لَتُبْعَثُن ثم لَتحاسبُن، فاستغنى بفحوى الكلام وفهم السامع عن إظهاره، قاله الفراء.

الثاني: أنه مظهر، وهو قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى﴾ قاله مقاتل.

الثالث: هو قوله تعالى:

﴿يومَ ترْجُفُ الراجفةُ * تَتْبعُها الرادِفَةُ﴾ وفيهما ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الراجفة القيامة، والرادفة البعث، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الراجفة النفخة الأولى تميت الأحياء، والرادفة: النفخة الثانية تحيي الموتى، قاله الحسن وقتادة.

وقال قتادة: ذكر أن[٢٤٤] النبي ﷺ قال: بينهما أربعون، ما زادهم على ذلك ولا سألوه، وكانوا يرون أنها أربعون سنة.

وقال عكرمة: الأولى من الدنيا، والثانية من الآخرة.

الثالث: أن الراجفة الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال والرادفة إذا دكّتا دكة واحدة، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: أن الراجفة أشراط الساعة، والرادفة: قيامها.

﴿قلوبٌ يومئذٍ واجِفَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خائفة، قاله ابن عباس.

الثاني: طائرة عن أماكنها، قاله الضحاك.

﴿أَبْصارُها خاشِعَة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذليلة، قاله قتادة.

الثاني: خاضعة، قاله الضحاك.

﴿يقولون أئنا لَمَردُودُونَ في الحافِرةِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدهـا: أن الحافرة الحياة بعد الموت، قاله ابن عباس والسدي وعطية.

الثاني: أنها الأرض المحفورة، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنها النار، قاله ابن زيد.

الرابع: أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تَكذيباً بالبعث، من قولهم رجع فلان على قومه إذا رجع من حيث جاء، قاله قتادة، قال الشاعر[٢٤٥]:

أحـافـرة علـى صَلَعٍ وشـيْـبٍ معـاذَ اللّه من جَهْـلٍ وطَـيْشِ

﴿أئِذا كُنّا عِظاماً نَخِرةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالية، قاله السدي.

الثاني: عفنة، قاله ابن شجرة.

الثالث: خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر، أي تصوّت، قاله عطاء والكلبي.

---

(٢٤٤) وقد ورد ذلك في حديث أبي هريرة وقد سبق تخريجه

(٢٤٥) القرطبي (١٩/١٩٧) والكشاف (٤/١٩١) روح المعاني (٣٠/٢٧) الطبري (٣٠/٣٣) اللسان حفر فتح القدير (٥/٣٧٤).

ومن قرأ «ناخرة»(٢٤٦) فإن الناخرة البالية، والنخرة التي تنخر الريح فيها.

﴿تلك إذاً كَرّةٌ خاسِرةٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: باطلة لا يجيء منها شيء، كالخسران، وليست كاسبة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: معناه لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرنّ بالنار، قاله قتادة ومحمد بن كعب.

ويحتمل ثالثاً: إذا كنا ننتقل من نعيم الدنيا إلى عذاب الآخرة فهي كرة خاسرة.

﴿فإنّما هي زَجْرةٌ واحدةٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: نفخة واحدة يحيا بها الجميع فإذا هم قيام ينظرون، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: الزجرة الغضب، وهو غضب واحد، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: أنه لأمر حتم لا رجعة فيه ولا مثنوية.

﴿فَإذَا هم بالسّاهرةِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: وجه الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد، والعرب تسمي وجه الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره، قال أمية بن أبي الصلت(٢٤٧):

وفيها لَحْمُ ساهرةٍ وبَحرٌ ... وما فاهوا به لهمُ مُقيم

وقال آخر يوم(٢٤٨) ذي قار لفرسه:

أَقْدِمْ مَحاجِ إنها الأساوِره ... ولا يهولنّك رِجْلٌ بادِرهْ

فإنما قَصْرُكَ تُرْبُ السّاهرهْ ... ثم تعودُ، بَعْدها في الحافرهْ

من بَعْد ما صِرْتَ عظاماً ناخِرهْ

الثاني: أنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام، وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل حسّان، يمده اللّهُ تعالى كيف يشاء، قاله عثمان بن أبي العاتكة.

---

(٢٤٦) وهي قراءة حمزة وعاصم راجع السبعة لابن مجاهد ٦٧ والحجة في القراءات ص ٧٤٧.

(٢٤٧) ديوانه: ٥٢ اللسان سهر، القرطبي (١٩/١٩٩) الطبري (٣٠/٣٧) فتح القدير (٥/٣٧٥) روح المعاني (٣٠/٢٨).

(٢٤٨) القرطبي (١٩/١٩٩) وفيه «رجل نادره» بدلاً من بادره واللسان مادة نخر.

الثالث: أنها جبل بيت المقدس، قاله وهب بن منبه.

الرابع: أنه جهنم، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنها عرضة القيامة لأنها أول مواقف الجزاء، وهم في سهر لا نوم فيه.

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ
طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ
ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

﴿هلْ أتاكَ حديثُ موسى * إذ ناداه ربه بالوادِ المقدَّسِ طُوَىً﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهو قول مبشر بن عبيد هو واد بأيلة.

الثاني: وهو قول الحسن، هو واد بفلسطين.

وفي «**المقدَّس**» تأويلان:

أحدهما: المبارك، قاله ابن عباس.

الثاني: المطهر، قال الحسن: قدّس مرتين.

وفي «**طُوَىً**» أربعة أقاويل:

أحدها: أنه اسم الوادي المقدس، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة.

الثاني: لأنه مر بالوادي فطواه، قاله ابن عباس.

الثالث: لأنه طوي بالبركة، قاله الحسن.

الرابع: يعني طأ الوادي بقدمك، قاله عكرمة ومجاهد.

ويحتمل خامساً؛ أنه ما تضاعف تقديسه حتى تطهّر من دنس المعاصي، مأخوذ من طيّ الكتاب إذا ضوعف.

﴿فقُلْ هل لك إلى أن تزَكّى﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى أن تُسْلِم، قال قتادة.

الثاني: إلى أن تعمل خيراً، قاله الكلبي.

﴿فأراهُ الآيةَ الكُبْرَى﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها عصاه ويده، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنها الجنة والنار، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: أنه كلامه من الشجرة.

قوله ﴿فَحَشَرَ فنادَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حشر السحرة للمعارضة، ونادى جنده للمحاربة.

الثاني: حشر الناس للحضور ونادى أي خطب فيهم.

﴿فأخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الآخرة والأُولى﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: عقوبة الدنيا والآخرة، قال قتادة: عذبه اللَّهُ في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار.

الثاني: عذاب أول عُمرِه وآخره، قاله مجاهد.

الثالث: الأولى قوله: «**ما علمت لكم مِن إلهٍ غيري**»، والآخرة قوله: «**أنا ربكم الأعلى**»، قاله عكرمة، قال ابن عباس: وكان بينهما أربعون سنة، وقال مجاهد: ثلاثون سنة، قال السدي: وهي الآخرة ثلاثون سنة.

الرابع: عذاب الأولى الإمهال، والآخرة في النار، من قوله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها**﴾. الآية، قاله الربيع.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا
﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا
﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

﴿وأغْطَشَ لَيْلَها وأخْرَجَ ضُحاها﴾ معناه أظلم ليلها، و شاهد الغطش أنه الظلمة قول الأعشى(٢٤٩):

عَقَـرْتُ لهم مَـوْهِنـا نـاقـتي   وغـامِـرُهُـمْ مُـدْلَهِـمٌّ غَـطِشْ

يعني يغامرهم ليلهم لأنه غمرهم بسواده.

(٢٤٩) القرطبي (١٩/٢٠٤) فتح القدير (٥/٣٧٨) واقتصر على الشطر الثاني، روح المعاني (٣٠/٣١).

وفي قوله «**وأخرج ضُحاها**» وجهان:

أحدهما: أضاء نهارها وأضاف الليل والضحى إلى السماء لأن منها الظلمة والضياء.

الثاني: قال ابن عباس أن أخرج ضحاها: الشمس.

﴿والأرضَ بَعْد ذلك دَحاها﴾ في قوله «**بَعْد**» وجهان:

أحدهما: مع وتقدير الكلام: والأرض مع ذلك دحاها، لأنها مخلوقة قبل(٢٥٠) السماء، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أن «**بعد**» مستعملة على حقيقتها لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء، قاله ابن عمر و عكرمة. وفي «**دحاها**» ثلاثة أوجه:

أحدها: بسطها، قاله ابن عباس، قال أمية بن أبي الصلت(٢٥١):

وَبَثَّ الخلْق فيها إذْ دَحاها ... فَهُمْ قُطّانُها حتى التنادي

قال عطاء: من مكة دحيت الأرض، وقال عبدالله بن عمر: من موضع الكعبة دحيت.

الثاني: حرثها و شقها، قاله ابن زيد.

الثالث: سوّاها، ومنه قول زيد بن عمرو(٢٥٢):

وأسْلَمْتُ وجهي لمن أسْلَمتْ ... له الأرضُ تحمل صَخْراً ثِقالا

دحاها فلما اسْتَوتْ شدّها ... بأيْدٍ وأرْسَى عليها الجبالا

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن
يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ

---

(٢٥٠) وقد تقدم الكلام على أيهما أسبق في الخلق.

(٢٥١) القرطبي (١٩/٢٠٤) (١٥/٣١٠) فتح القدير (٥/٣٧٩) روح المعاني (٣٠/٣٢).

(٢٥٢) روح المعاني (٣٠/٣٢) فتح القدير (٥/٣٧٩) القرطبي (١٩/٢٠٥).

﴿مَن يَخْشَاهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝٤٦﴾

﴿فإذا جاءت الطامّةُ الكُبْرى﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها النفخة الآخرة، قاله الحسن.

الثاني: أنها الساعة طمت كل داهية، والساعة أدهى وأمّر، قاله الربيع.

الثالث: أنه اسم من أسماء القيامة يسمى الطامة، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قاله القاسم بن الوليد، وهو معنى قول مجاهد.

وفي معنى «الطامّة» في اللغة ثلاثة وجوه:

أحدها: الغاشية.

الثاني: الغامرة.

الثالث: الهائلة، ذكره ابن عيسى، لأنها تطم على كل شيء أي تغطيه.

﴿وأمّا مَنْ خاف مَقامَ رَبِّهِ ونَهَى النفْسَ عن الهَوى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو خوفه في الدنيا من اللّه عند مواقعة الذنب فيقلع، قاله مجاهد.

الثاني: هو خوفه في الآخرة من وقوفه بين يدي اللّه للحساب، قاله الربيع بن أنس، ويكون معنى: خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، قال الكلبي: وزجر النفس عن المعاصي والمحارم.

﴿فإنّ الجنّةَ هي المأْوَى﴾ أي المنزل، وذكر أنها نزلت في مصعب بن عمير(٢٥٣)

﴿يسألونَكَ عن الساعةِ أيّانَ مُرْساها﴾ قال ابن عباس: متى زمانها، قاله الربيع.

﴿فيمَ أنْتَ مِن ذِكْراها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيم يسألك المشركون يا محمد عنها ولست ممن يعلمها، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: فيم تسأل يا محمد عنها وليس لك السؤال، وهذا معنى قول عروة بن الزبير.

---

(٢٥٣) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨١ لم أجده.

﴿إلى ربِّك مُنْتَهاها﴾ يعني منتهى علم الساعة: فكف النبي ﷺ عن السؤال وقال[٢٥٤]: يا أهل مكة إن اللّٰه احتجب بخمس لم يُطْلع عليهن مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً فمن ادعى علمهن فقد كفر: ﴿**إن اللّٰه عنده علم الساعة...**﴾ إلى آخر السورة.

﴿**إنّما أنْتَ**﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿**مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاها**﴾ يعني القيامة.

﴿**كأنّهم يومَ يَرَوْنَها**﴾ يعني الكفار يوم يرون الآخرة.

﴿**لَمْ يَلْبَثُوا**﴾ في الدنيا.

﴿**إلاَّ عَشيّةً**﴾ وهي ما بعد الزوال.

﴿**أو ضُحاها**﴾ وهو ما قبل الزوال، لأن الدنيا تصاغرت عندهم وقلّت في أعينهم، كما قال تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ**﴾.

(٢٥٤) روى معناه البخاري (٨/ ٣٩٥، ٣٩٦).

سورة عبس

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ
﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾
وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

قوله تعالى **﴿عَبَسَ وتَوَلَّى أنْ جاءَه الأعْمَى﴾** روى سعيد عن قتادة أن ابن أم مكتوم(٢٥٥)، و هو عبد اللّه بن زائدة من بني فهر، وكان ضريراً، أتى رسول اللّه رسول اللّه ﷺ يستقرئهُ وهو يناجي بعض عظماء قريش ـ وقد طمع في إسلامهم ـ قال قتادة: هو أمية بن خلف، وقال مجاهد: هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فأعرض النبي ﷺ عن الأعمى وعبس في وجهه، فعاتبه اللّه تعالى في إعراضه وتوليه، فقال: «**عبس وتولّى**» أي قطّب وأعرض «**أن جاءه الأعمى**» يعني ابن أم مكتوم.

﴿وما يُدْريك لعلّه يزّكى﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يؤمن، قاله عطاء.

الثاني: يتعبد بالأعمال الصالحة، قاله ابن عيسى.

الثالث: يحفظ ما يتلوه عليه من القرآن، قاله الضحاك.

(٢٥٥) راجع خبر ابن أم مكتوم موسعاً في الترمذي (٣٣٢٨) وابن حبان (١٧٦٩) ومالك (١/٢٠٣).

الرابع: يتفقه في الدين، قاله ابن شجرة.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ قال السدّي: لعله يزّكّى ويّذكرُ، والألف صلة، وفي الذكرى وجهان:

أحدهما: الفقه.

الثاني: العظة.

قال ابن عباس: فكان النبي ﷺ إذا نظر إليه مقبلاً بسط له رداءه حتى يجلس عليه إكراماً له.

قال قتادة: واستخلفه على صلاة الناس بالمدينة في غزاتين من غزواته، كل ذلك لما نزل فيه.

﴿كلّا إنّها تَذْكِرةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذه السورة تذكرة، قاله الفراء والكلبي.

الثاني: أن القرآن تذكرة، قاله مقاتل.

﴿فَمَن شَاءَ ذكَرَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فمن شاء اللَّهُ ألهمه الذكر، قاله مقاتل.

الثاني: فمن شاء أن يتذكر بالقرآن أذكره اللَّهُ، وهو معنى قول الكلبي.

﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مكرمة عند اللَّهُ، قاله السدي.

الثاني: مكرمة في الدين لما فيها من الحكم والعلم، قاله الطبري(٢٥٦).

الثالث: لأنه نزل بها كرام الحفظة.

ويحتمل قولاً رابعاً: أنها نزلت من كريم، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه.

﴿مرفوعةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مرفوعة في السماء، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: مرفوعة القدر والذكر، قاله الطبري(٢٥٧).

---

(٢٥٦) جامع البيان (٣٠/٥٣) وعبارته فيه قوله «في صحف مكرمة» يعني في اللوح المحفوظ أ هـ. فلا أدري من أين نقل المؤلف هنا هذا القول عن الطبري.

(٢٥٧) جامع البيان (٣٠/٥٣).

ويحتمل قولاً ثالثاً: مرفوعة عن الشُبه والتناقض.

﴿مُطَهَّرةٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: من الشرك، قاله السدي.

الثالث: أنه لا يمسها إلا المطهرون، قاله ابن زيد.

الرابع: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن.

ويحتمل خامساً: لأنها نزلت من طاهر[٢٥٨] مع طاهر على طاهر.

﴿بأيْدِى سَفَرَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن السفرة الكتبة، قاله ابن عباس، قال المفضل: هو مأخوذ من سفر يسفر سفراً، إذا كتب، قال الزجاج: إنما قيل للكتاب سِفْر وللكاتب سافر من تبيين الشيء وإيضاحه، كما يقال أسفر الصبح إذا وضح ضياؤه وظهر، وسفرت المرأة إذا كشفت نقابها.

الثاني: أنهم القّراء، قال قتادة لأنهم يقرؤون الأسفار.

الثالث: هم الملائكة، لأنهم السفرة بين يدي اللَّه ورسله بالرحمة، قال زيد، كما يقال سَفَر بين القوم إذا بلغ صلاحاً، وأنشد الفراء[٢٥٩]:

وما أَدَعُ السِّفارةَ بين قومي ... وما أَمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ

﴿كِرام بَرَرَةٍ﴾ في الكرام ثلاثة أقاويل:

أحدها: كرام على ربهم، قاله الكلبي.

الثاني: كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها، قاله الحسن.

الثالث: يتكرمون على من باشر زوجته بالستر عليه دفاعاً عنه وصيانة له، وهو معنى قول الضحاك.

ويحتمل رابعاً: أنهم يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم.

وفي «بررة» ثلاثة أوجه:

أحدها: مطيعين، قاله السدي.

---

(٢٥٨) الظاهر الأول هو الله والثاني هو جبريل والثالث هو نبينا محمد ﷺ.

(٢٥٩) القرطبي (١٩/ ٢١٦) فتح القدير (٥/ ٣٨٣) الطبري (٣/ ٥٤) اللسان (سفر) معاني القرآن (٣٥٨).

الثاني: صادقين واصلين، قاله الطبري(٢٦٠).

الثالث: متقين مطهرين، قاله ابن شجرة.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن البررة مَن تعدى خيرهم إلى غيرهم، والخيرة من كان خيرهم مقصوراً عليهم.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه﴾ في «قتل» وجهان:

أحدهما: عُذِّب.

الثاني: لعن.

وفي «الإنسان» ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إشارة إلى كل كافر، قاله مجاهد.

الثاني: أنه أمية بن خلف، قاله الضحاك.

الثالث: أنه عتبة بن أبي لهب حين قال: إني كفرت برب النجم إذا هوى، فقال النبي ﷺ: «اللَّهم سلّطْ عليه كلبك» فأخذه الأسد في طريق الشام، قاله ابن جريج والكلبي.

وفي «ما أكْفَرَه» ثلاثة أوجه:

أحدها: أن «ما» تعجب، وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله اللَّه ما أحسنه، وأخزاه اللَّه ما أظلمه، والمعنى: أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا.

الثاني: أي شيء أكفره، على وجه الاستفهام، قاله السدي ويحيى بن سلام.

(٢٦٠) جامع البيان (٣٠/٥٤) وليس فيه هذا المعنى الذي أورده المؤلف موجوداً فيه ولعله أورده بمعناه

الثالث: ما ألعنه، قاله قتادة.

﴿ثم السبيلَ يَسّرَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: خروجه من بطن أمه، قاله عكرمة والضحاك.

الثاني: سبيل السعادة والشقاوة، قاله مجاهد.

الثالث: سبيل الهدى والضلالة، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: سبيل منافعه ومضاره.

﴿ثُمَّ أَماتَهُ فأَقْبَرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جعله ذا قبر يدفن فيه، قاله الطبري، قال الأعشى(٢٦١).

لـو أسْنَـدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِهـا عـاشَ ولم يُنْقـلْ إلى قـابـر

الثاني: جعل من يقبره ويواريه، قاله يحيى بن سلام.

﴿ثُمَّ إذا شاءَ أَنشَرَهُ﴾ يعني أحياه، قال الأعشى(٢٦٢).

حتى يقـولَ النـاسُ ممـا رأوْا يـا عـجبـاً لـلميّـت النـاشِـرِ

﴿كلاّ لّما يَقْضِ ما أَمَرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الكافر لم يفعل ما أمر به من الطاعة والإيمان، قـاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه على العموم في المسلم والكافر، قال مجاهد: لا يقضي أحد أبداً ما افترض عليه، وكلاّ هاهنا لتكرير النفي وهي موضوعة للرد.

ويحتمل وجه حمله على العموم أن الكافر لا يقضيه عمراً، والمؤمن لا يقضيه شهراً.

﴿فَلْيَنظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى طعامه الذي يأكله وتحيـا نفسه بـه، من أي شيء كان، قـاله يحيى.

---

(٢٦١) ديوانه: ١٣٩، القرطبي (١٩/٣١٩) مجاز القرآن (٢/٢٨٦) فتح القدير (٥/٣٨٤) الطبري (٣٠/٥٦) روح المعاني (٣٠/٤٤).

(٢٦٢) تقدم تخريج هذا البيت.

الثاني: ما يخرج منه أي شيء كان؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد.

قال الحسن: إن ملكاً يثني رقبة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر إلى ما يخرج منه:

ويحتمل إغراؤه بالنظر إلى وجهين:

أحدهما: ليعلم أنه محل الأقذار فلا يطغى.

الثاني: ليستدل على استحالة الأجسام فلا ينسى(٢٦٣).

﴿أنّا صَبَبْنا الماءَ صبّاً﴾ يعني المطر.

﴿ثم شَقَقْنا الأرضَ شقّاً﴾ يعني بالنبات.

﴿فَأَنْبَتْنا فيها حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً﴾ والقضب: القت والعلف سمي بذلك لقضبه(*) بعد ظهوره.

﴿وزَيْتوناً ونخْلاً * وحدائقَ غُلْباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: نخلاً كراماً، قاله الحسن.

الثاني: الشجر الطوال الغلاظ، قال الكلبي: الْغلب الغِلاظ، قال الفرزدق(٢٦٤):

عَوَى فأَثارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيّاً ... فَوَيْلَ ابنِ المراغةِ ما استثار

وفي «الحدائق» ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها ما التف واجتمع، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه نبت الشجر كله.

الثالث: أنه ما أحيط عليه من النخل والشجر، وما لم يحط عليه فليس بحديقة حكاه أبو صالح.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن الحدائق ما تكامل شجرها واختلف ثمرها حتى عم خيرها.

---

(٢٦٣) يعني يستدل على فناء الأجسام فلا ينسى البعث والحساب بين يدي العليم الوهاب.

(*) يعني قطعه.

(٢٦٤) ديوانه: (١/ ٣٥٥) الطبري (٣٠/ ٥٧).

ويحتمل الغَلْب أن يكون ما غلبت عليه ولم تغلب فكان هيناً.

﴿وفاكهةً وأَبّاً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن الأبّ ما ترعاه البهائم، قاله ابن عباس: وما يأكله الآدميون الحصيدة، قال الشاعر في مدح النبي ﷺ(٢٦٥):

لـه دعوة ميمونة ريحها الصبا بها يُنْبِتُ اللّه الحصيدة والأبّا

الثاني: أنه كل شيء ينبت على وجه الأرض، قاله الضحاك.

الثالث: أنه كل نبات سوى الفاكهة، وهذا ظاهر قول الكلبي.

الرابع: أنه الثمار الرطبة، قاله ابن أبي طلحة.

الخامس: أنه التبن خاصة، وهو يحكي عن ابن عباس أيضاً، قال الشاعر(٢٦٦):

فما لَهم مَرْتَعُ للسّوا م والأبُّ عندهم يُقْدَرُ

ووجدت لبعض المتأخرين سادساً: أن رطب الثمار هو الفاكهة، ويابسها الأبّ.

ويحتمل سابعاً: أن الأبّ ما أخلف مثل أصله كالحبوب، والفاكهة ما لم يخلف مثل أصله من الشجر.

روي أن عمر بن الخطاب(٢٦٧) قرأ ﴿عبس وتولّى﴾ فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبّا﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة، فما الأبّ؟ ثم قال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف وألقى العصا من يده.

وهذا مثل ضربه اللّه تعالى لبعث الموتى من قبورهم فهم كنبات الزرع بعد دثوره، وتضمن امتناناً عليهم بما أنعم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾

(٢٦٥) القرطبي (١٩/٢٢٢) روح المعاني (٣٠/٤٧).

(٢٦٦) القرطبي (١٩/٢٢٢).

(٢٦٧) رواه ابن جرير (٣٠/٦١) والحاكم (٢/٥١٤) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٢١) نسبته لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب والخطيب صحح سنده ابن كثير (٤/٤٧٣) وقال: وهذا محمول على أنه أراد أنه لا يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله ﴿فأنبتنا فيها حباً﴾...

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾

﴿فإذا جاءَتِ الصّاخّةُ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها النفخة الثانية التي يصيخ الخلق لاستماعها، قاله الحسن، ومنه قول الشاعر:

يُصِيخُ للنبْأة أَسْماعَه إصاخَةَ الناشدِ للمُنْشِدِ

الثاني: أنه اسم من أسماء القيامة، لإصاخة الخلق إليها من الفزع، قاله ابن عباس.

﴿يوم يَفِرُّ المرءُ مِن أخيه وأُمِّه وأبيه وصاحِبتِه وبنيه﴾ وفي فراره منهم ثلاثة أوجه:

أحدها: حذراً من مطالبتهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم.

الثاني: حتى لا يروا عذابه.

الثالث: لاشتغاله بنفسه، كما قال تعالى بعده:

﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي يشغله عن غيره.

﴿وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مشرقة.

الثاني: فرحة، حكاه السدي.

﴿ضَاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ضاحكة من مسرة القلب.

الثاني: ضاحكة من الكفار شماتة وغيظاً، مستبشرة بأنفسها مسرة وفرحاً.

﴿ووجوهٌ يومَئذٍ عليها غبرَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه غبار جعل شيناً لهم ليتميزوا به فيعرفوا.

الثاني: أنه كناية عن كمد وجوههم بالحزن حتى صارت كالغبرة.

﴿تَرْهقُها قَترةٌ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: تغشاها ذلة وشدة، قاله ابن عباس.

الثاني : خزي ، قاله مجاهد .

الثالث : سواد، قاله عطاء .

الرابع : غبار، قاله السدي ، وقال ابن زيد : القترة ما ارتفعت إلى السماء والغبرة : ما انحطت إلى الأرض .

الخامس : كسوف الوجه، قاله الكلبي ومقاتل .

﴿**أولئك هم الكَفَرَةُ الفَجرَةُ**﴾ يحتمل جمعه بينهما وجهين :

أحدهما : أنهم الكفرة في حقوق اللّه ، الفجرة في حقوق العباد .

الثاني : لأنهم الكفرة في أديانهم ، الفجرة في أفعالهم .

سُورَةُ التَّكوِير

ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا
ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا
ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ
نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾
عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذا الشمسُ كُوِّرَتْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني ذهب نورها وأظلمت، قاله ابن عباس.

الثاني: غُوِّرت، وهو بالفارسية كوبكرد، قاله ابن جبير.

الثالث: اضمحلت، قاله مجاهد.

الرابع: نكست، قاله أبو صالح.

الخامس: جمعت فألقيت، ومنه كارة الثياب لجمعها، وهو قول الربيع بن خيثم.

﴿وإذا النجومُ انْكَدَرَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: تناثرت، قاله الربيع بن خيثم.

الثاني: تغيرت فلم يبق لها ضوء، قاله ابن عباس.

الثالث: تساقطت، قاله قتادة، ومنه قول العجاج(٢٦٨):

أبْصَرَ خرْبان فضاء فانكَدَرْ ... تَقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر

ويحتمل رابعاً: أن يكون انكدارها طمس آثارها، وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوئها.

﴿وإذا الجبالُ سُيِّرتْ﴾ يعني ذهبت عن أماكنها، قال مقاتل: فسويت بالأرض كما خلقت أول مرة وليس عليها جبل ولا فيها واد.

﴿وإذا العِشارُ عُطِّلتْ﴾ والعشار: جمع عشراء وهي الناقة إذا صار لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس أموالهم عندهم، قال الأعشى(٢٦٩):

هو الواهبُ المائةَ المصْطفا ... ةَ إمّا مخاضاً وإمّا عِشاراً

فتعطل العشار لاشتغالهم بأنفسهم من شدة خوفهم.

وفي «عطلت» تأويلان:

أحدهما: أُهملت، قاله الربيع.

الثاني: لم تحلب ولم تدر، قاله يحيى بن سلام.

وقال بعضهم: العشار: السحاب تعطل فلا تمطر.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها الأرض التي يعشر زرعها فتصير للواحد عُشراً، تعطل فلا تزرع.

﴿وإذا الوُحوشُ حُشِرتْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: جمعت، قاله الربيع.

الثاني: اختلطت، قاله أبي بن كعب فصارت بين الناس.

---

(٢٦٨) والذي في الديوان: ١٧

واني جناحيه من الطور قمر ... تقضي البازي اذا البازي كسر

ابصر خربان فضاء فانكدر ... شالي الكلاليب اذا أهوى اطفر

وهو في الطبري (١٩/٢٢٧) وروح المعاني (٣٠/٥١) وفيه:

إذا الكرام ابتدوا الباع بدر ... تقضي البازي إذا البازي كسر

واني جناحيه من الطود خمر ... أبصر خربان فضاء فانكدر

(٢٦٩) القرطبي (١٩/٢٢٩) ديوانه: ٧٦.

الثالث: حشرت إلى القيامة[٢٧٠] للقضاء فيقتص للجمّاء من القرناء، قاله السدي.

الرابع: أن حشرها بموتها، قاله ابن عباس.

﴿وإذا البحارُ سُجِّرتْ﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: فاضت، قاله الربيع.

الثاني: يبست، قاله الحسن.

الثالث: ملئت، أرسل عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت، قاله أبو الحجاج.

الرابع: فجرت فصارت بحراً واحداً، قاله الضحاك.

الخامس: سيرت كما سيرت الجبال، قاله السدي.

السادس: هو حمرة مائها حتى تصير كالدم، مأخوذ من قولهم عين سجراء أي حمراء.

السابع: يعني أوقدت فانقلبت ناراً، قاله عليّ رضي الله عنه وابن عباس وأُبي بن كعب.

الثامن: معناه أنه جعل ماؤها شراباً يعذب به أهل النار، حكاه ابن عيسى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف[٢٧١] «سجرت» إخباراً عن حالها مرة واحدة، وقرأ الباقون بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرار ذلك منها مرة بعد أخرى.

﴿وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني عُمل بهن عملٌ مثل عملها، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار، قال عطية العوفي: حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة.

الثاني: يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن كان من أهل الجنة زوّج بامرأة من

(٢٧٠) وقد تقدم الكلام على حشر البهائم في سورة الأنعام والحكمة من حشرها ولا تنافي بين قول السدي وابن عباس فهي تحشر أي تجمع ويقتص بعضها من بعض ثم يقال لها كوني تراباً فذلك مدتها.

(٢٧١) وهي قراءة أبي عمرو كما في زاد المسير (٩/ ٣٩) والسبعة ٦٧٣ والحجة ص ٧٥٠.

أهل الجنة، وإن كان من أهل النار زوّج بامرأة من أهل النار، قاله عمر بن[٢٧٢] الخطاب، ثم قرأ:

﴿احْشُروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾.

الثالث: معناه ردّت الأرواح إلى الأجساد، فزوجت بها أي صارت لها زوجاً، قاله عكرمة والشعبي.

الرابع: أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل خامساً: زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها، فصار لاختصاصها به كالتزويج.

﴿وإذا الموءودة سُئِلَتْ﴾ والموءودة المقتولة، كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت امرأته بنتاً دفنها حية، إما خوفاً من السبي والاسترقاق، وإما خشية الفقر والإملاق، وكان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر الفرزدق[٢٧٣] فقال:

ومِنّا الذي مَنَعَ الوائداتِ ... فأحْيا الوئيدَ فلم تُوأَدِ

وسميت موءودة للثقل الذي عليها من التراب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أي لا يثقله، وقال متمم بن[٢٧٤] نويرة:

وموءودةٍ مقبورة في مفازةٍ ... بآمتها موسودة لم تُمهّدِ

فقال توبيخاً لقاتلها وزجراً لمن قتل مثلها ﴿وإذ الموءودة سئلت﴾ واختلف هل هي السائلة أو المسئولة، على قولين:

أحدهما: وهو قول الأكثرين أنها هي المسئولة: ﴿بأيِّ ذَنْب قُتِلَتْ﴾ فتقول: لا ذنب لي، فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره.

الثاني: أنها هي السائلة لقاتلها لم قتلت، فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس وكان يقرأ: وإذا الموءودة سألت.

(٢٧٢) تقدم تخريجه في سورة الصافات وهو أثر صحيح عن عمر.

(٢٧٣) ديوانه (١/٢٠٣) القرطبي (١٩/٢٣٣) مجاز القرآن (٢/٢٧٨) شواهد الكشاف ٢ ١٠ روح المعاني (٣٠/٥٣) اللسان وأد.

(٢٧٤) القرطبي (١٩/٢٣٢) وفي اللسان نسبه لحسان بن ثابت ولفظه هناك:

ومؤودة مقرورة في مفاوز ... بآمتها من درسه لم توسد

قال قتادة: يقتل أحدهما بنته ويغذو كلبه، فأبى الله سبحانه ذلك عليهم.

﴿وإذا الصُّحُف نُشِرَتْ﴾ يعني صحف الأعمال إذا كتب الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت وتنشر في القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول: «﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحْصاها﴾».

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد[٢٧٥] نشّرت على تكرار النشر، وقرأ الباقون بالتخفيف على نشرها مرة واحدة، فإن حمل على المرة الواحدة فلقيام الحجة بها، وإن حمل على التكرار ففيه وجهان:

أحدهما: للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع.

الثاني: لتكرير ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه.

﴿وإذا السماءُ كُشِطَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني ذهبت، قاله الضحاك.

الثاني: كسفت، قاله السدي.

الثالث: طويت، قاله يحيى بن سلام، كما قال تعالى: ﴿يوم نطوي السماء﴾ الآية.

﴿وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أحميت، قاله السدي.

الثاني: أُوقدت، قاله معمر عن قتادة.

الثالث: سعّرها غضب اللَّه وخطايا بني آدم، قاله سعيد عن قتادة.

﴿وإذا الجنّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قرّبت، قال الربيع: إلى هاتين الآيتين ما جرى الحديث فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرتْ﴾ يعني ما عملت من خير وشر. وهذا جواب ﴿إذا الشمس كورت﴾ وما بعدها، قال عمر بن الخطاب: لهذا جرى الحديث، وقال الحسن: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قسم وقع على قوله ﴿علمت نفسٌ ما أُحضَرَتْ﴾.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾

(٢٧٥) الحجة (ص٧٥١) السبعة ٦٧٣ زاد المسير (٩/٤٠).

إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿**فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: خمسة الأنجم وهي: زحل وعطارد والمشتري والمريخ والزهرة، قاله عليّ(٢٧٦).

وفي تخصيصها بالذكر وجهان:

أحدهما: لأنها لا تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبدالله المزني.

الثاني: لأنها تقطع المجرة، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الخنس بقر الوحش، قاله ابن مسعود(٢٧٧).

الرابع: أنها الظباء، قاله ابن جبير.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أنها الملائكة لأنها تخنس فلا تُرى، وهذا قَسَمٌ مبتدأ، و «**لا**» التي في قوله ﴿**فلا أقسم بالخنس**﴾ فيها الأوجه الثلاثة التي في ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾.

﴿**الجوار الكُنَّسِ**﴾ فيها التأويلات الخمسة:

أحدها: النجوم، قاله الحسن، سميت بالجواري الكنس لأنها تجري في مسيرها.

الثاني: أنها النجوم الخمسة، وهو قول عليّ.

(٢٧٦) وروى سعيد بن منصور عنه بإسناد حسن قال: هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى راجع الفتح (٨/٥٦٣).

(٢٧٧) رواه عنه عبد الرزاق بإسناد صحيح كما في الفتح (٨/٥٦٣) وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٤): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

والكنّس، الغيّب، مأخوذ من الكناس وهو كناس الوحش التي تختفي فيه، قال أوس بن حجر[٢٧٨]:

ألم تر أن اللَّه أنزل مُزْنَهُ   وعُفْرُ الظباءِ في الكِناس تَقَمَّعُ

الثالث: أنها بقر الوحش لاختفائها في كناسها، قاله ابن مسعود.

الرابع: الظباء، قاله ابن جبير.

الخامس: هي الملائكة.

﴿والليلِ إذا عَسْعَسَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أظلم، قاله ابن مسعود ومجاهد، قال الشاعر[٢٧٩]:

حتى إذا ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسا   رَكِبْنَ مِن حَدِّ الظَّلامِ حِنْدساً

الثاني: إذا ولى، قاله ابن عباس وابن زيد، قال الشاعر[٢٨٠]:

حتى إذا الصبح لها تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا

الثالث: إذا أقبل، قاله ابن جبير وقتادة، وأصله العس وهو الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبيرعس لامتلائه بما فيه، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه،

﴿والصبحِ إذا تَنَفّسَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: طلوع الفجر، قاله عليّ وقتادة.

الثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك.

وفي «تنفّسَ» وجهان:

أحدهما: بان إقباله.

الثاني: زاد ضوؤه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون تنفس بمعنى طال، مأخوذ من قولهم قد تنفس النهار إذا طال.

---

(٢٧٨) القرطبي (١٩/٢٣٨) الطبري (٣٠/٧٧) اللسان قمع.

(٢٧٩) القرطبي (١٩/٢٣٩).

(٢٨٠) هو علقمة بن قرط والبيت في مجاز القرآن (٢/٢٨٨) والقرطبي (١٩/٢٣٦) والطبري (٣٠/٧٩) وروح المعاني (٣٠/٥٨).

﴿إنه لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ﴾ وهو جواب القسم، يعني القرآن.

وفي الرسول الكريم قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك.

الثاني: النبي ﷺ، قاله ابن عيسى، فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول للَّه كريم عن رب العالمين لأن أصل القول الذي هو القرآن ليس من الرسول، إنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول، ومبلغ إليه على الوجه الثاني.

﴿مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ﴾ هو جبريل في أصح القولين، يعنى مطاعاً فيمن نزل عليه من الأنبياء، أميناً فيما نزل به من الكتب.

﴿وما صاحبكم بمجنونٍ﴾ يعني النبي ﷺ.

﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ وفي الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه رأى ربه بالأفق المبين، وهو معنى قول ابن مسعود.

الثاني: رأى جبريل(٢٨١) بالأفق المبين على صورته التي هو عليها، وفيها قولان:

أحدهما: أنه رآه ببصره، قاله ابن عباس وعائشة.

الثاني: بقلبه، ولم يره ببصره، قاله أبو ذر.

وفي «الأفق» قولان:

أحدهما: أنه مطلع الشمس.

الثاني: أقطار السماء ونواحيها، قال الشاعر(٢٨٢):

أَخَذْنا بآفاقِ السماءِ عليكمُ ... لنا قَمَراها والنُّجومُ الطّوالعُ

فعلى هذا فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقي، قاله سفيان.

والثاني: في أفق السماء الغربي، حكاه ابن شجرة.

(٢٨١) وهو القول الراجح رجحه ابن كثير (٤/٤٨٠) والطبري (٣٠/٨١) والألوسي (٣٠/٦٠) وفتح القدير للشوكاني (٥/٣٩١).

(٢٨٢) هو الفرزدق والبيت في القرطبي (١٩/٢٤١) وفتح القدير (٥/٣٩١).

الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة، قاله مجاهد، ﴿وما هو على الغَيْبِ بضنين﴾ قرأ بالظاء ابن[٢٨٣] كثير وأبو عمرو والكسائي وفيه وجهان:

أحدهما: وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه، قاله ابن عباس.

الثاني: بضعيف عن تأديته، قاله الفراء.

وقرأ الباقون بالضاد، وفيه وجهان:

أحدهما: وما هوببخيل أن يعلِّم كما تعلّم[٢٨٤].

الثاني: وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به.

﴿فأيْنَ تَذْهَبون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فإلى أين تعدلون عن كتاب اللّه تعالى وطاعته، قاله قتادة.

الثاني: فأي طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب اللّه، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: فأين تذهبون عن عذابه وعقابه.

﴿وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللَّهُ ربُّ العالَمين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء اللّه لكم.

الثاني: وما تشاؤون الهداية إلا أن يشاء اللّه بتوفيقه[٢٨٥]: وقيل إن سبب نزول[٢٨٦] هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل اللّه تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء اللّه ربّ العالمين﴾.

---

(٢٨٣) وهي قراءة ابن عباس وقد رواها عنه ابن أبي حاتم بسند صحيح كما في الفتح (٨/٥٦٣).

(٢٨٤) وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن إبراهيم النخعي قال الظنين المتهم والضنين البخيل الفتح (٨/٥٦٣).

(٢٨٥) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث إلا إذا اعتبرنا سبب النزول وجهاً ثالثاً.

(٢٨٦) رواه ابن جرير (٣٠/٩٤) بسنده عن سليمان بن موسى قال: لما نزلت «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل... فذكره.

وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٣٦) نسبته لعبد بن حميد وابن ابي حاتم قلت: وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي هريرة مثله كما في الدر (٨/٤٣٦).

سُورَةُ الانفِطَار

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

مكية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إذا السماءُ انْفَطرتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: انشقت.

الثاني: سقطت، قال الشاعر:

كانوا سعوداً سماءَ الناس فانفطرت   فأصبح الشمل لم ترفع له عُمُد

﴿وإذا الكواكب انتَثَرتْ﴾ يعني تساقطت، قال ابن عباس، تسقط سوداء لا ضوء لها.

﴿وإذا البحار فُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يبست، قاله الحسن.

الثاني: خلطت فصارت بحراً واحداً، وهذا معنى قول ابن عباس، قال: وهو سبعة أبحر فتصير بحراً واحداً.

الثالث: فجر عذبها في مالحها، ومالحها في عذبها، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: أي فاضت.

﴿وإذا القبور بُعْثِرتْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بحثت وثوّرت، قاله ابن عباس وعكرمة، وقال الفراء: فيخرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها ثم تخرج الموتى.

الثاني: حركت للبعث، قاله السدي.

الثالث: بعث من فيها من الأموات، قاله قتادة.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قدَّمَتْ وأَخرَتْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما عملت وما تركت، قاله أبو رزين.

الثاني: ما قدمت من طاعة، وأخرت من حق اللَّه، قاله ابن عباس.

الثالث: ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث.

ويحتمل ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة، لأنه خارج مخرج الوعيد، وهذا جواب ﴿إذا السماء انفطرت﴾ لأنه خبر، وجعلها الحسن قَسَماً وقعت على قوله ﴿علمت نفس﴾ الآية.

والأظهر ما عليه الجماعة من أنه خبر وليس بقسم.

﴿يا أيها الإنسان ما غرَّك بربِّكَ الكريم﴾ في الإنسان ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إشارة إلى كل كافر[٢٨٧].

الثاني: أنه أبي بن خلف، قاله عكرمة.

الثالث: أنه أبو الأشد[٢٨٨] بن كلدة بن أسد الجمحي، قاله ابن عباس.

وفي الذي غرَّه قولان:

أحدهما: عدوه الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: جهله، وهو قول عمر بن الخطاب[٢٨٩].

---

(٢٨٧) وهو الراجح كما في فتح القدير للشوكاني (٥/٣٩٥).

(٢٨٨) وقيل هو أبو الأشدين وقد سبق الكلام عليه في سورة المدثر.

(٢٨٩) رواه عنه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر (٨/٤٣٩).

ويحتمل قولاً ثالثاً: إنه إمهاله.

«الكريم» الذي يتجاوز ويصفح، وروى الحسن أن عمر بن الخطاب لما قرأ ﴿يا أيها الإنسان﴾ . . الآية، قال: حمقه وجهله.

﴿الذي خلَقَك فسَوَّاك فعَدَلك﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: فسوى خلقك وعدل خلقتك.

الثاني: فسوَّى أعضاءك بحسب الحاجة وعدلها في المماثلة لا تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل.

الثالث: فسواك إنساناً كريماً وعدل بك عن أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قال أصحاب الخواطر: سوّاك بالعقل وعدلك بالإيمان.

﴿في أيِّ صورَةٍ ما شاءَ رَكّبَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما شاء ركبك من شبه أم أو أب أو خال أو عم، قاله مجاهد.

الثاني: من حسن أو قبح أو طول أو قصر أو ذكر أو أنثى، قاله ابن عيسى.

الثالث: في أي صورة من صور الخلق ركبك حتى صرت على صورتك التي أنت عليها أيها الإنسان لا يشبهك شيء من الحيوان.

وروى موسى بن علي بن رباح(٢٩٠) اللخمي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال لجده: ما ولِدَ لك؟ قال: يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية، قال رسول الله: ومن عسى أن يشبه؟ قال: إما أباه وإما أمه، فقال عليه السلام عندها: مه لا تقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت في كتاب الله: في أي صورة ما شاء ركبك.

﴿كلّا بَلْ تُكَذِّبونَ بالدِّين﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

(٢٩٠)رواه الطبري (٣٠/٨٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٣٩) نسبته للبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن شاهين وابن قانع والطبراني وابن مردويه كلهم من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده.
وسند الحديث ضعيف فيه المطهر بن الهيثم الراوي عن موسى بن علي والمطهر متروك وبه أعلّه الهيثمي في المجمع (٧/١٣٥) وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٨١) وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات أ هـ.

أحدها: بالحساب والجزاء، قاله ابن عباس.

الثاني: بالعدل والقضاء، قاله عكرمة.

الثالث: بالدين الذي جاء به محمد ﷺ وهو الإسلام، حكاه ابن عيسى.

﴿وإنَّ عليكم لحافِظِينَ﴾ يعني الملائكة، يحفظ كلَّ إنسان ملكان، أحدهما عن يمينه يكتب الخير، والآخر عن شماله يكتب الشر(٢٩١).

﴿كِراماً كاتِبِينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كراماً على اللّه، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: كراماً بالإيمان، قاله السدي.

الثالث: لأنهم لا يفارقون ابن آدم إلا في موطنين عند الغائط وعند الجماع(٢٩٢) يعرضان عنه ويكتبان ما تكلم به، فلذلك كره الكلام عند الغائط والجماع.

ويحتمل رابعاً: كراماً لأداء الأمانة فيما يكتبونه من عمله فلا يزيدون فيه ولا ينقصون منه.

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

وفي قوله تعالى: ﴿إنّ الأَبرارَ لفي نَعيم * وإن الفُجّارَ لفي جَحيمٍ﴾ قولان:

أحدهما: في الآخرة فيكون نعيم الأبرار في الجنة بالثواب، وجحيم الفجار في النار بالعقاب.

(٢٩١) وهما المذكوران في قوله «مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» وأحدهما يكتب الحسنات وهو رقيب والثاني يكتب السيئات وهو عتيد.

(٢٩٢) وقد ورد هذا مرفوعاً ومقطوعاً.

أما المرفوع فمن حديث ابن عباس رضي الله عنه رواه البزار كما في الدر (٨/ ٤٤٠) وفي سنده حفص بن سليمان وهو لين الحديث. راجع تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢) وله طريق أخرى عن ابن عباس وهي مطولة يرويها ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٤٤٠) والله أعلم بحالها.

أما المقطوع فقد رواه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٤/ ٤٨٢) من حديث مجاهد.

والقول الثاني: أنه في الدنيا، فعلى هذا فيه أربعة أوجه ذكرها أصحاب الخواطر.

أحدها: النعيم القناعة، والجحيم الطمع.

الثاني: النعيم التوكل، والجحيم الحرص.

الثالث: النعيم الرضا بالقضاء، والجحيم السخط فيما قدر وقضى.

الرابع: النعيم بالطاعة، والجحيم بالمعصية.

﴿**وما هُمْ عنها بغائبين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن القيامة تحقيقاً للبعث فعلى هذا يجوز أن يكون هذا الخطاب متوجهاً إلى الأبرار والفجار جميعاً.

الثاني: عن النار، ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفجار دون الأبرار، والمراد بأنهم لا يغيبون عنها أمران:

أحدهما: تحقيق الوعيد.

الثاني: تخليد الفجار.

﴿**وما أدْراك ما يومُ الدِّين * ثُمَّ ما أدْراكَ ما يومُ الدِّين**﴾ يعني يوم الجزاء، وهو يوم القيامة، وفي تكراره وجهان:

أحدهما: تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره.

الوجه الثاني: أن الأول خطاب للفجار والثاني خطاب للأبرار ترغيباً.

﴿**يومَ لا تَمْلِك نفسٌ لنَفْسٍ شيئاً**﴾ يعني لا يملك مخلوق لمخلوق نفعاً ولا ضراً.

﴿**والأمر يومئذٍ للَّهِ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الجزاء بالثواب والعقاب.

الثاني: في العقوبة والانتقام.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

مكية في قول ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام، ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل، قال مقاتل: هي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثماني آيات من قوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخرها مكي، وقال الكلبي وجابر بن زيد: قد نزلت بين مكة والمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو
وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ للمطفّفين﴾ قال ابن عباس:(٢٩٣) كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلاً، إلى أن أنزل اللَّه تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.

أعمض بعض المتعمقة فحمله على استيفاء العبادة بين الناس جهراً، وفي النقصان سراً.

(٢٩٣) رواه الطبري (٣٠/٩١) وابن ماجه (٢/٧٤٨) وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٤١) نسبته للطبراني والنسائي وابن مردويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن ابن عباس وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٢٨ نسبته لابن حبان والحاكم.

وفي «ويل» سبعة أقاويل:

أحدها: أنه واد في جهنم، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً[٢٩٤].

الثاني: صديد أهل النار، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنه النار، قاله عمر مولى عفرة.

الرابع: أنه الهلاك، قاله بعض أهل اللغة.

الخامس: أنه أشق العذاب.

السادس: أنه النداء بالخسار والهلاك، وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب.

السابع: أن أصله ويْ لفلان، أي الجور لفلان، ثم كثر استعمال الحرفين فوصلا بلام الإضافة.

والمطفف: مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن.

قال الزجاج: بل مأخوذ من طف الشيء وهي جهته.

﴿الذين إذا اكْتالوا على الناسِ يَسْتوْفُونَ﴾ أي من الناس، ويريد بالاستيفاء الزيادة على ما استحق.

﴿وإذا كالُوهم أو وَزَنُوهم يُخْسِرون﴾ يعني كالوا لهم أو وزنوا لهم بحذف هذه الكلمة لما في الكلام من الدلالة عليها، ﴿يخسرون﴾، ينقصون فكان المطفف يأخذ زائداً ويعطي ناقصاً.

﴿يومَ يَقُومُ الناسُ لربِّ العَالَمِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يوم يقومون من قبورهم، قاله ابن جبير.

الثاني: يقومون بين يديه تعالى للقضاء، قاله يزيد بن الرشك.

قال أبو هريرة[٢٩٥]: قال النبي ﷺ لبشير الغفاري: كيف أنت صانع يوم يقوم

(٢٩٤) وهو ضعيف وقد مر تخريجه.

(٢٩٥) أخرجه الطبري (٣٠/٩٣) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٤/٤٨٤) وابن مردويه كما في الدر (٨/٤٤٣) من حديث أبي هريرة.

الناس فيه مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين، لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر، قال بشير: المستعان الله.

الثالث: أنه جبريل يقوم لرب العالمين، قاله ابن جبير(٢٩٦).

ويحتمل رابعاً: يقومون لرب العالمين في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿**كلّا إنّ كتابَ الفُجّارِ لفي سِجِّينٍ**﴾ أما «**كلا**» ففيه وجهان:

أحدهما: حقاً.

الثاني: أن كلا للزجر والتنبيه.

وأما «**سجّين**» ففيه ثمانية أقاويل:

أحدها: في سفال، قاله الحسن.

الثاني: في خسار، قاله عكرمة.

الثالث: تحت الأرض السابعة، رواه البراء بن عازب مرفوعاً(٢٩٧).

قال ابن أسلم: **سجّين**: الأرض السافلة، **وسجّيل**: سماء الدنيا.

---

(٢٩٦) وهذا القول ضعيف لأن سياق الآيات بخلافه.

(٢٩٧) وجاء ذلك في حديث البراء الطويل في صفة قبض الروح وقد رواه أبو داود (١١٥/٥ ـ ١١٦) والبيهقي في عذاب القبر رقم ٢١ والآجري (٣٧٠) في الشريعة والطيالسي (١/ ١٥٤) وأحمد (٢٨٧٤) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٠) والمروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ ـ ٤٣١) والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٣٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الاشراف (٤/ ٤٦٧) وعبد الرزاق (٣/ ٥٨٠) وابن ماجة (١/ ٤٩٤) مختصراً والطبري (٨/ ١٢٩) مختصراً وهناد (١/ ٢٠٥) وزاد في الدر (٤/ ٨٣) نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وقال من طرق صحيحة وقد حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٤/ ٢٩٠) والبيهقي بعد تخريجه عن جماعة من الثقات.

قال مجاهد: سجّين صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها.

الرابع: هو جب في جهنم، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ[٢٩٨] أنه قال: الفلق جُبٌّ في جهنم مغطّى، وسجّين جب في جهنم مفتوح.

الخامس: أنه تحت خد إبليس، قاله كعب الأحبار.

السادس: أنه حجر أسود تحت الأرض تكتب فيه أرواح الكفار، حكاه يحيى بن سلام.

السابع: أنه الشديد قاله أبو عبيدة وأنشد[٢٩٩]:

ضرباً تَواصَتْ به الأبطالُ سِجِّينا

الثامن: أنه السجن، وهو فِعّيل من سجنته، وفيه مبالغة، قاله الأخفش وعليّ بن عيسى، ولا يمتنع أن يكون هو الأصل واختلاف التأويلاتَ في محله.

ويحتمل تاسعاً: لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان

﴿كِتابٌ مَرْقومٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مكتوب، قاله أبو مالك.

الثاني: أنه مختوم، وهو قول الضحاك.

الثالث: رُقِم له بَشَرٌ لا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد، قاله محمد بن كعب وقتادة.

ويحتمل قولاً رابعاً، إن المرقوم المعلوم.

﴿كلاّ بل رانَ على قُلوبِهم ما كانوا يَكْسِبونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن «ران»: طبع على قلوبهم، قاله الكلبي.

الثاني: غلب على قلوبهم، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر[٣٠٠]:

---

(٢٩٨) رواه ابن جرير (٣٠/٩٦) وسنده ضعيف قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٨٥) وهو حديث غريب منكر لا يصح.

(٢٩٩) هو تميم بن مقبل وصدر البيت «ورفقة يضربون البيض ضاحية» والبيت في القرطبي (١٩/٢٥٨) وفتح القدير (٥/٣٩٩).

(٣٠٠) القرطبي (١٩/٢٦٠).

وكم ران من ذنْب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران وانجلى

الثالث: ورود الذنب على الذنب[٣٠١] حتى يعمى القلب، قاله الحسن.

الرابع: أنه كالصدإ يغشى القلب كالغيم الرقيق، وهذا قول الزجاج.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كلّا إنّ كتابَ الأبْرارِ لفِي عليّينَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن عليين الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: السماء السابعة، قاله ابن زيد، قال قتادة: وفيها أرواح المؤمنين.

الثالث: قائمة العرش اليمنى، قاله كعب.

الرابع: يعني في علو وصعود إلى اللَّه تعالى، قاله الحسن.

الخامس: سدرة المنتهى، قاله الضحاك.

ويحتمل سادساً: أن يصفه بذلك لأنه يحل من القبول محلاً عالياً.

﴿تَعْرِفُ في وُجوههم نَضْرَةَ النّعيم﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الطراوة والغضارة، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها البياض، قاله الضحاك.

الثالث: أنها عين في الجنة يتوضؤون منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم، قاله عليّ.

(٣٠١) وهو الصواب وقد ورد فيه حديث مرفوع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه «إن العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زادزادت» فذلك قول الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ورواه الترمذي (٣٣٣١) وقال: حسن صحيح وصححه غير واحد من أهل العلم.

ويحتمل رابعاً: أنها استمرار البشرى بدوام النعمة.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ وفي الرحيق ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عين في الجنة مشوب بمسك، قاله الحسن.

الثاني: أنه شراب أبيض يختمون به شرابهم، قاله ابن أبي الدرداء.

الثالث: أنه الخمر في قول الجمهور، ومنه قول حسان(٣٠٢):

يسقون من ورد البريص عليهم ... بَرَدَى يُصَفِّق بالرحيق السَّلْسَلِ

لكن اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الصافية، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنها أصفى الخمر وأجوده، قاله الخليل.

الثالث: أنها الخالصة من غش، حكاه الأخفش.

الرابع: أنها العتيقة.

وفي «مختوم» ثلاثة أقاويل:

أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود.

الثاني: مختوم في الإناء بالختم، وهو الظاهر.

الثالث: ما روى أُبيّ بن كعب(٣٠٣) قال: قيل يا رسول اللّه ما الرحيق المختوم؟ قال: غُدران الخمر.

﴿خِتامُه مِسْكٌ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مزاجه مسك، قاله مجاهد.

الثاني: عاقبته مسك، ويكون ختامه آخره، كما قال الشاعر:

صرف ترقرق في الحانوت باطنه ... بالفلفل الجون والرمان مختوما

قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

الثالث: أن طعمه وريحه مسك، رواه ابن أبي نجيح.

الرابع: أن ختمه الذي ختم به إناؤه مِسْك، قاله ابن عباس.

---

(٣٠٢) تقدم تخريجه في سورة الانسان.

(٣٠٣) لم نعثر على تخريجه.

﴿وفي ذلك فلْيَتنافَسِ المُتنافِسونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فليعمل العاملون، قاله مجاهد.

الثاني: فليبادر المبادرون، قاله أبو بكر بن عياش والكلبي.

وفيما أخذ منه التنافس والمنافسة وجهان:

أحدهما: أنه مأخوذ من الشيء النفيس، قاله ابن جرير(٣٠٤).

الثاني: أنه مأخوذ من الرغبة فيما تميل النفوس إليه، قاله المفضل.

﴿ومِزاجُهُ مِن تَسْنيمٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن التسنيم الماء، قاله الضحاك.

الثاني: أنها عين في الجنة، فيشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين، قاله ابن مسعود.

وقال حذيفة بن اليمان: تسنيم عين في عدْن، وعدْن دار الرحمن وأهل عدْن جيرانه.

الثالث: أنها خفايا أخفاها اللَّه لأهل الجنة، ليس لها شبه في الدنيا ولا يعرف مثلها(٣٠٥).

وأصل التسنيم في اللغة أنها عين ماء تجري من علو إلى سفل، ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: أن يكون المراد به لذة شربها في الآخرة أكثر من لذته في الدنيا، لأن مزاج الخمر يلذ طعمها، فصار مزاجها في الآخرة يفضل لذة مزاجها من تسنيم لعلو الآخرة على الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ
﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ

(٣٠٤) جامع البيان (٣٠/١٠٨).

(٣٠٥) كيف لا تعرف العرب هذه اللفظة وقد وقعت في كلامهم.

يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وإذا انقلَبوا إلى أهْلِهم انقلَبوا فَكِهِينَ﴾ قرأ عاصم في رواية حفص فكهين بغير ألف وقرأ غيره بألف(٣٠٦)، وفي القراءتين أربعة تأويلات:

أحدها: فرحين، قاله السدي.

الثاني: معجبين، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

ولقد فكهت من الدنيا فقاتلوا ... يوم الخميس بِلا سلاح ظاهر

الثالث: لاهين.

الرابع: ناعمين، حكى هذين التأويلين عليّ بن عيسى.

وروى عوف عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ قال ربكم عز وجل:(٣٠٧) وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة.

﴿هل ثوِّب الكفارُ ما كانوا يَفْعَلونَ﴾ هذا سؤال المؤمنين في الجنة عن الكفار حين فارقوهم، وفيه تأويلان:

أحدهما: معناه هل أثيب الكفار ما كانوا يعملون في الكفر، قاله قتادة.

الثاني: هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون، قاله مجاهد.

فيكون «ثُوِّب» مأخوذاً من إعطاء الثواب.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن يكون معناه هل رجع الكفار في الآخرة عن تكذيبهم في الدنيا على وجه التوبيخ، ويكون مأخوذاً من المثاب الذي هو الرجوع، لا من الثواب الذي هو الجزاء، كما قال تعالى: ﴿وإذ جعَلْنا البيتَ مثابةً للناس﴾ أي مرجعاً.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: هل رجع من عذاب الكفار على ما كانوا يفعلون، لأنهم قد علموا أنهم عذبوا، وجاز أن يظنوا في كرم الله أنهم قد رحموا.

---

(٣٠٦) السبعة لابن مجاهد ٦٧٦ زاد المسير (٩/٦١).

(٣٠٧) هذا الحديث من مرسل الحسن والمرسل من قسم الضعيف كما هو معلوم ولم أعثر على تخريج الحديث والله أعلم.

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

مكية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ
﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾
وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ
بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذا السماءُ انشَقّتْ**﴾ وهذا من أشراط الساعة، قال عليّ رضي الله عنه: تنشقّ السماء من المجرة، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه محذوف الجواب وتقديره: إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير وشر.

الثاني: أن جوابه ﴿**كادح إلى ربك كدْحاً**﴾.

الثالث: معناه أذكر إذا السماء انشقت.

﴿**وأَذِنَتْ لِربّها وحُقّتْ**﴾ معنى أذنت لربها أي سمعت لربها، ومنه قول

النبي ﷺ(٣٠٨) ما أذن اللّهُ لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي ما استمع اللّهُ لشيء، وقال الشاعر(٣٠٩) :

صُمٌّ إذا سَمِعوا خيْراً ذُكِرتُ به   وإنْ ذُكِرْتُ بسُوءٍ عندهم أَذِنوا.

أي سمعوا.

﴿وحُقّتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أطاعت، قاله الضحاك.

الثاني: معناه حق لها أن تفعل ذلك، قاله قتادة، ومنه قول كثيّر(٣١٠) :

فإن تكُنِ العُتْبى فأهْلاً ومرحبا   وحُقّتْ لها العُتبى لدينَا وَقَلَّت.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها جمعت، مأخوذ من اجتماع الحق على نافيه وحكى ابن الأنباري أن ﴿أذنت لربها وحقت﴾ جواب القسم، والواو زائدة.

﴿وإذا الأرضُ مُدَّتْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن البيت كان قبل الأرض بألفي عام، فمدت الأرض من تحته، قاله ابن عمر.

الثاني: أنها أرض القيامة، قاله مجاهد، وهو أشبه بسياق الكلام.

وفي ﴿مُدَّتْ﴾ وجهان:

أحدهما: سويت، فدكّت الجبال ويبست البحار، قاله السدي.

الثاني: بسطت، قاله الضحاك، وروى عليّ بن الحسين أن النبي (٣١١) ﷺ قال:

---

(٣٠٨) رواه البخاري (١٣/٤١٨) والبغوي (٤/٤٨٥) من حديث ابي هريرة.
ورواه أبو داود (١٤٦٩) وأحمد (١٤٧٦) من حديث سعد بن أبي وقاص وصححه الأرناؤوط في تخريج شرح السنة للبغوي.

(٣٠٩) هو قعنب بن أم صاحب والبيت في اللسان أذن، فتح القدير (٥/٤٠٦) روح المعاني (٣٠/٧٨) الطبري (٣٠/١١٢) مجاز القرآن (١/١٧٧) القرطبي (١٩/٢٦٧) والاقتضاب ٢٩٢، شواهد الكشاف ١٤٣ زاد المسير (٩/٦٢).

(٣١٠) القرطبي (١٩/٢٦٩) فتح القدير (٥/٢٠٦).

(٣١١) الطبري (٣٠/١١٣) الحاكم (٤/٥٧٦) هكذا مرسلاً بل معضلاً وقد اقتصر المؤلف على جزء منه وقد رواه الحاكم (٤/٥٧٠) بسند جيد كما قال السيوطي في الدر (٨/٤٥٦) عن جابر مرفوعاً. لكن في رواية الحاكم عن علي بن الحسين عن رجل من أهل العلم ولم يسمه.

إذا كان يوم القيامة مد الّله الأرض مدّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدمه.

﴿و أَلْقَتْ ما فيها وتَخلّتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت عمن على ظهرها من الأحياء، قاله ابن جبير.

الثاني: ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها، وهو معنى قول قتادة.

ويحتمل ثالثاً: هو أعم، أنها ألقت ما استودعت، وتخلت مما استحفظت لأن الله استودعها عباده أحياء وأمواتاً، واستحفظها بلاده مزارع وأقواتاً.

﴿يا أيها الإنسانُ إنك كادحُ إلى ربك كدْحاً فملاقيه﴾ فيه قولان:

أحدهما: إنك ساعٍ إلى ربك سعياً حتى تلاقي ربك، قاله يحيى بن سلام، ومنه قول الشاعر(٣١٢):

ومَضَتْ بشاشةُ كلِّ عَيْشٍ صالحٍ وبَقيتُ أكْدَحُ للحياةِ وأنْصَبُ

أي أعمل للحياة.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الكادح هو الذي يكدح نفسه في الطلب إن تيسّر أو تعسّر.

﴿فأمّا مَنْ أُوتي كِتابَه بيمينه﴾ روي أن النبي ﷺ قال(٣١٣):

«يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وفي الثالثة تطير الكتب من الأيدي، فبين آخذٍ كتابه بيمينه، وبين آخذٍ كتابه بشماله».

﴿فسوف يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً﴾ وفي الحساب ثلاثة أقاويل:

أحدها: يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات، قاله الحسن.

الثاني: ما رواه صفوان بن سليم عن عائشة قالت(٣١٤): سئل رسول الّله عن

(٣١٢) القرطبي (١٩/ ٢٧١) روح المعاني (٣٠/ ٧٩).

(٣١٣) رواه الترمذي (٢٤٢٧) وابن ماجه (٤٢٧٧) وأحمد (٤/ ٤١٤) وقال الترمذي: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٣١٤) رواه ابن جرير (٣٠/ ١١٥) والحاكم (٤/ ٥٨٠) وصححه وأحمد (٦/ ٤٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٦) نسبته لابن مردويه.

الذي يحاسب حساباً يسيراً، فقال: يعرف عمله ثم يتجاوز عنه، ولكن من نوقش الحساب فذلك هو الهالك.

الثالث: أنه العرض، روى ابن أبي مليكة عن عائشة[٣١٥] رضي اللّٰه عنها: أنها سألت رسول اللّٰه ﷺ عن قوله: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ فقال: ذلك العرض يا عائشة، من نوقش في الحساب يهلك.

﴿وَيَنقَلِبُ إلى أهْلِه مَسْروراً﴾ قال قتادة: إلى أهله الذين قد أعدهم اللّٰه له في الجنة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يريد أهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته.

﴿إنَّه ظَنَّ أن لن يَحُورَ﴾ أي لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب، يقال: حار يحور، إذا رجع، ومنه الحديث: أعوذ[٣١٦] باللّٰه من الحْور بعد الكوْر، يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وروي: «بعد الكوْن»، ومعناه انتشار الأمر بعد تمامه.

وسئل معمر عن الحور بعد الكوْن فقال: الرجل يكون صالحاً ثم يتحول امرء سوء.

وقال ابن الأعرابي: الكُنْتِي: هو الذي يقول: كنت شاباً وكنت شجاعاً، والكاني: هو الذي يقول: كان لي مال وكنت أهب وكان لي خيل وكنت أركب، وأصل الحور الرجوع، قال لبيد[٣١٧]:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه ... يَحُورُ رماداً بَعْد إذ هو ساطعُ.

وقال عكرمة وداود بن أبي هند: يحور كلمة بالحبشية، ومعناها يرجع وقيل

---

(٣١٥) رواه ابن جرير (١١٦/٣٠) واللفظ له والبخاري (١٧٦/١) و(٥٣٥/٨) (٣٤٧/١١) ومسلم (٢٢٤/٤) والترمذي (٦٩٢) وقال: حسن صحيح وزاد السيوطي في الدر (٤٥٦/٨) نسبته لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٣١٦) لم أهتد إلى تخريجه وإن كنت قد قرأت تأويله في كتاب شأن الدعاء للإمام الخطابي.

الحور: الضلالة وتقلب الحال.

الكور: الإيمان والهداية والله أعلم.

(٣١٧) ديوانه: ١٦٩ روح المعاني (٨١/٣٠) زاد المسير (٦٥/٩) القرطبي (٢٧٣/١٩).

للقصار حواري لأن الثياب ترجع بعمله إلى البياض.

﴿بلى إنّ ربّه كان به بَصيراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مشاهداً لما كان عليه.

الثاني: خبيراً بما يصير إليه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فلا أُقْسِمُ بالشّفَقِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه شفق الليل وهو الحمرة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه بقية ضوء الشمس، . قاله مجاهد.

الثالث: أنه ما بقي من النهار، قاله عكرمة.

الرابع: أنه النهار، رواه ابن أبي نجيح.

﴿واللّيلِ وما وسَقَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: وما جمع، قاله مجاهد، قال الراجز(٣١٨):

إن لنا قلائصاً حقائقا ... مستوسقات أو يجدن سائقا

الثاني: وما جَنّ وستر، قاله ابن عباس.

الثالث: وما ساق، لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مأواه، قاله عكرمة.

الرابع: وما عمل فيه، قاله ابن جبير، وقال الشاعر(٣١٩):

ويوماً ترانا صالحين وتارةً ... تقوم بنا كالواسق المتلَبّبِ

أي كالعامل.

---

(٣١٨) هو العجاج والبيت في اللسان «وسق» وملحق ديوانه: ٨٤ مجاز القرآن ٢/٢٩١ والطبري (٣٠/١٢٠) والقرطبي (١٩/٢٧٥) روح المعاني (٣٠/٨١).

(٣١٩) القرطبي (١٩/٢٧٧) وروح المعاني (٣٠/٨٢) وفيه:
فيوما . . . . . .

﴿والقَمَرِ إذا اتّسَق﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : إذا استوى، قاله ابن عباس، وقولهم اتسق الأمر إذا انتظم واستوى.

قال الضحاك : ليلة أربع عشرة هي ليلة السواء.

الثاني : والقمر إذا استدار، قاله عكرمة.

الثالث : إذا اجتمع، قاله مجاهد، ومعانيها متقاربة.

ويحتمل رابعاً : إذا طلع مضيئاً.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ فيه سبعة تأويلات :

أحدها : سماء بعد سماء، قاله ابن مسعود والشعبي.

الثاني : حالاً بعد حال، فطيماً بعد رضيع وشيخاً بعد شاب، قاله عكرمة، ومنه قول الشاعر(٣٢٠) :

كـذلـك المـرءُ إن يُنْسَأ لـه أجَـلُ   يَـرْكـبْ على طَبَقٍ مِـن بَعْـده طَـبَقُ

الثالث : أمراً بعد أمر، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة، قاله الحسن.

الرابع : منزلة بعد منزلة، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة، وقوم كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، قاله سعيد بن جبير.

الخامس : عملاً بعد عمل، يعمل الآخر عمل الأول، قاله السدي.

السادس : الآخرة بعد الأولى، قاله ابن زيد.

السابع : شدة بعد شدة، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء، وفي كل حال من هذه شدة، وقد روى معناه جابر مرفوعاً(٣٢١).

﴿واللَّهُ أعْلَمُ بما يُوعُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : بما يُسِرون في قلوبهم، قاله ابن عباس.

---

(٣٢٠) القرطبي (١٩ / ٢٧٩).

(٣٢١) وقد أورده الحافظ ابن كثير (٤ / ٤٩٠) من رواية ابن أبي حاتم وقال : قال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن ابن آدم . . فذكره قال الحافظ ابن كثير : هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم.

الثاني: بما يكتمون من أفعالهم، قاله مجاهد.

الثالث: بما يجمعون من سيئاتهم، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه وهو معنى قول ابن زيد.

﴿فلهم أَجْرٌ غيرُ ممنون﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني: غير منقوص، قاله السدي.

الثالث: غير مقطوع، قاله ابن عباس.

الرابع: غير مكدّر بالمن والأذى، وهو معنى قول الحسن.

سُورَةُ البُرُوجِ

آياتها ٢٢ — ترتيبها ٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والسماءِ ذاتِ البُروجِ﴾ هذا قَسَمٌ، وفي البروج أربعة أقاويل:

أحدها: ذات النجوم، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: ذات القصور، قاله ابن عباس.

الثالث: ذات الخلْق الحسن، قاله المنهال بن عمرو.

الرابع: ذات المنازل، قاله يحيى بن سلام وهي اثنا عشر برجاً رصدتها العرب والعجم، وهي منازل الشمس والقمر.

﴿واليومِ الموْعُودِ﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه[٣٢٢] يوم القيامة، وسمي بذلك لأنهم وعدوا فيه بالجزاء بعد البعث.

---

(٣٢٢) رواه ابن جرير (١٢٨/٣٠)والترمذي(٣٣٣٩) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤٩٠/٤)

﴿وشاهدٍ ومَشْهودٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، روى ذلك أبو هريرة عن النبي ﷺ.

الثاني: أن الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة، قاله إبراهيم.

الثالث: أن الشاهد الملائكة، والمشهود الإنسان، قاله سهل بن عبداللّه.

الرابع: أن الشاهد الجوارح، والمشهود النفس، وهو محتمل.

الخامس: أن المشهود يوم القيامة.

وفي الشاهد على هذا التأويل خمسة أقاويل:

أحدها: هو اللّهُ تعالى، حكاه ابن عيسى.

الثاني: هو آدم عليه السلام، قاله مجاهد.

الثالث: هو عيسى ابن مريم، رواه ابن أبي نجيح.

الرابع: هو محمد ﷺ، قاله الحسن بن علي وابن عمر وابن الزبير، لقوله تعالى: ﴿فكيفَ إذا جِئْنا من كلِّ أمَّةٍ بشهيد وجِئْنا بِكَ على هؤلاءِ شَهيداً﴾.

الخامس: هو الإنسان، قاله ابن عباس.

﴿قُتِل أصحابُ الأُخْدُودِ﴾ قال الفراء: هذا جواب القسم، وقال غيره: الجواب ﴿إنّ بَطْشَ ربِّكَ لَشديدٌ﴾ والأخدود: الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد، ومنه الخد لمجاري الدموع فيه، والمخدّة لأن الخد يوضع عليها. وهي حفائر شقت في الأرض وأوقدت ناراً وألقي فيها مؤمنون امتنعوا من الكفر.

واختلف فيهم، فقال عليّ: إنهم من الحبشة، وقال مجاهد: كانوا من أهل نجران، وقال عكرمة كانوا نبطاً، وقال ابن عباس: كانوا من بني إسرائيل، وقال عطية

وسنده ضعيف قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه قلت: وهو ضعيف كما في التقريب لابن حجر.

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٩٠) وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيد الربذي وهو ضعيف وقد ورد موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه. قلت: ورواه ابن جرير (١٢٨/٣٠).

قلت: وللمرفوع شاهد من حديث أبي مالك الأشعري رواه ابن جرير (١٢٨/٣٠) والطبراني كما في المجمع (١٣٥/٧) إلا أن في سنده، محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف وبه أعله الهيثمي.

العوفي، هم دانيال وأصحابه، وقال الحسن: هم قوم من أهل اليمن[٣٢٣]، وقال عبد الرحمن بن الزبير: هم قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين، وقال الضحاك: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تُبَّع الحميري وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدوداً أحرقهم فيه، وقال السدي: الأخدود ثلاثة: واحد بالشام وواحد بالعراق، وواحد باليمن.

وفي قوله: ﴿قُتِل أصحابُ الأُخْدُودِ﴾ وجهان:

أحدهما: أُهلك المؤمنون.

الثاني: لُعن الكافرون الفاعلون، وقيل إن النار صعدت إليهم وهم شهود عليها فأحرقتهم، فلذلك قوله تعالى: ﴿فلهُم عذابُ جهنَّمَ ولهُم عذابُ الحريق﴾ يعني في الدنيا.

﴿وهُمْ على ما يَفْعلونَ بالمؤمنينَ شُهودٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن أصحاب الأخدود هم على عذاب المؤمنين فيها شهود، وهو ظاهر من قول قتادة.

الثاني: أنهم شهود على المؤمنين بالضلال، قاله مقاتل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿إنه هو يُبْدِىءُ ويُعيدُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

---

(٣٢٣) انظر خبر أصحاب الأخدود وحديث صهيب الرومي رواه مسلم (٢٠٠٥) وأحمد (١٧/٦) والترمذي (٦٩/٢) والطبري (٣٣/٣٠) وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٣ النسائي وابن حبان والطبراني وإسحاق وأبي يعلى والبزار.

أحدها: يحيي ويميت، قاله ابن زيد.

الثاني: يميت ثم يحيي، قاله السدي.

الثالث: يخلق ثم يبعث، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: يبدىء العذاب ويعيده، قاله ابن عباس.

ويحتمل خامساً: يبدىء ما كلف من أوامره ونواهيه، ويعيد ما جزى عليه من ثواب وعقاب.

﴿وهو الغَفورُ الوَدُودُ﴾ في الغفور وجهان:

أحدهما: الساتر للعيوب.

الثاني: العافي عن الذنوب.

وفي الودود وجهان:

أحدهما: المحب(٣٢٤).

الثاني: الرحيم.

وفيه ثالث: حكاه المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قول الشاعر(٣٢٥):

وأرْكَبُ في الرّوْع عُريانةً ... ذلول الجناح لِقاحاً وَدُوداً

أي لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية أنه يغفر لعباده، وليس ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلاً من غير جزاء.

﴿ذو العَرْشِ المجيدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الكريم، قاله ابن عباس.

الثاني: العالي، ومنه المجد لعلوه وشرفه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه من صفات الله تعالى، وهو قول من قرأ بالرفع.

---

(٣٢٤) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (١٣٨/٣٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكره البخاري معلقاً في صحيحه (٥٦٨/٨) وجزم به فقال: قال ابن عباس وهذا يدل على صحة الأثر كما هو معروف من صنيع البخاري ولفظه في ابن جرير «الحبيب».

(٣٢٥) القرطبي (٢٦٩/١٩) فتح القدير (٤١٣/٥) روح المعاني (٩٢/٣٠).

الثاني: أنه من صفة العرش، وهو قول من قرأ بالكسر[٣٢٦].

ويحتمل إن كان صفة للعرش وجهاً ثالثاً: أنه المحكم.

﴿بل هو قُرآنٌ مَجِيْدٌ في لَوْحٍ مَّحْفوظٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن اللوح هو المحفوظ عند اللّٰه تعالى، وهو تأويل من قرأ بالخفض.

الثاني: أن القرآن هو المحفوظ، وهو تأويل من قرأ بالرفع[٣٢٧] وفيما هو محفوظ منه وجهان:

أحدهما: من الشياطين.

الثاني: من التغيير والتبديل.

وقال بعض المفسرين: إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه.

---

(٣٢٦) وهي قراءة حمزة والكسائي والمفضل عن عاصم زاد المسير (١٩/٧٨) السبعة لابن مجاهد (٦٧٨).

(٣٢٧) وهي قراءة أبي العالية وأبي الجوزاء وأبي عمران وابن السميفع كمافي زاد المسير (٩/٧٩) والسبعة لابن مجاهد (٦٧٨).

سُورَةُ الطَّارِقِ

آياتها ١٧ — ترتيبها ٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ
عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والسماءِ والطارقِ﴾ هما قسمان: «والسماءِ» قَسَمٌ، «والطارقِ» قَسَمٌ.

«الطارق» نجم، وقد بيّنه اللّه تعالى بقوله: ﴿وما أدْراكَ ما الطارقُ * النجْمُ الثّاقبُ﴾ ومنه قول هند بنت عتبة: (٣٢٨).

نحْنُ بناتُ طارِق نمْشي على النمارق

تقول: نحن بنات النجم افتخاراً بشرفها، وإنما سمي النجم طارقاً لاختصاصه بالليل، والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقاً، قال الشاعر:

ألا طَرَقَتْ بالليلِ ما هجَعوا هندُ وهندُ أتى مِن دُونها النأيُ والصَّدّ

وأصل الطرق الدق، ومنه سميت المطرقة، فسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه في الوصول إلى الدق.

(٣٢٨) اللسان طرق ونسبه في موضع آخر إلى هند بن بياض بن رباح بن طارق الأغاني (١٣/٢٤٣) القرطبي (٢٠/٢) فتح القدير (٥/٤١٨).

وفي قوله «النجم الثاقب» ستة أوجه:

أحدها: المضيء، قاله ابن عباس.

الثاني: المتوهج[٣٢٩]، قاله مجاهد.

الثالث: المنقضّ، قاله عكرمة.

الرابع: أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها، قاله الفراء.

الخامس: الثاقب: الشياطين حين ترمى، قاله السدي.

السادس: الثاقب في مسيره ومجراه، قاله الضحاك.

وفي هذا النجم الثاقب قولان:

أحدهما: أنه زُحل، قاله عليّ.

الثاني: الثريّا، قاله ابن زيد.

﴿إن كلُّ نفْسٍ لّما عليها حافِظٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: «لّما» بمعنى[٣٣٠] إلاّ، وتقديره: إنْ كل نفس إلاّ عليها حافظ، قاله قتادة.

الثاني: أن «ما» التي بعد اللام صله زائدة، وتقديره: إن كل نفس لعليها حافظ، قاله الأخفش.

وفي الحافظ قولان:

أحدهما: حافظ من اللّه يحفظ عليه أجله ورزقه، قاله ابن جبير.

الثاني: من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أوشر، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون الحافظ الذي عليه عقله، لأنه يرشده إلى مصالحه، ويكفّه عن مضاره.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتّرائِبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من بين صلب الرجل وترائبه، قاله الحسن[٣٣١] وقتادة.

---

(٣٢٩) ذكره البخاري معلقاً (٥٦٨/٨٠) وجزم به قال الحافظ وصله الفريابي والطبري من طريق مجاهد به.

(٣٣٠) وقد ورد ذلك عن ابن عباس مثل قول قتادة وقد صححه ابن حجر وذكره البخاري معلقاً (٥٦٩/٨) ورواه ابن أبي حاتم وقد أنكر أبو عبيد هذا وقال لم نسمع لقول «لما» بمعنى «إلا» شاهداً في كلام العرب.

(٣٣١) والمشهور أن الترائب للمرأة وهذا هو المشهور وكل التفاسير المنقولة عن الحسن وقتادة على هذا.

الثاني: بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء.

وفي الترائب ستة أقاويل:

أحدها: أنه الصدر، قاله ابن عياض، ومنه قول دريد بن الصمة.

فإنْ تُدْبروا نأخذكمُ في ظهوركم وإنْ تُقْبِلوا نأخذكمُ في الترائب.

الثاني: ما بين المنكبين إلى الصدر، قاله مجاهد.

الثالث: موضع القلادة، قاله ابن عباس، قال الشاعر[٣٣٢]:

والزعفران على ترائبها شرق به اللّبّاتُ والنحْرُ

الرابع: أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل، قاله ابن جبير، وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر.

الخامس: أنها بين اليدين والرجلين والعينين، قاله الضحاك.

السادس: هي عصارة القلب، قاله معمر بن أبي حبيبة.

﴿إنّه على رَجْعِهِ لقادرٌ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: على أن يرد المني في الإحليل، قاله مجاهد.

الثاني: على أن يرد الماء في الصلب، قاله عكرمة.

الثالث: على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة، قاله الضحاك.

الرابع: على أن يعيده حيّاً بعد موته، قاله الحسن وعكرمة وقتادة.

الخامس: على أن يحبس الماء فلا يخرج.

ويحتمل سادساً: على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة لأن الكفار يسألون اللّٰه فيها الرجعة.

﴿يومَ تُبْلَى السّرائرُ﴾ أي تَظْهَر.

ويحتمل ثانياً: أن تبتلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا.

وفيها قولان:

(٣٣٢) هو المخبل السعدي والبيت في القرطبي (٢٠/٥) والطبري (٣٠/١٤٥) (٢٨/٥١).

أحدهما: كل ما استسر به الإنسان من خير وشر، وأضمره من إيمان أو كفر، كما قال الأحوص(٣٣٣):

سَتُبلَى لكم في مُضْمَرِ السِّرِّ والحشَا سَـريـرةُ ودٍّ يـومَ تُبلَى السـرائـرُ.

الثاني: هو ما رواه خالد عن زيد(٣٣٤) بن أسلم قال: قال رسول اللّهْ ﷺ: الأمانة ثلاث: الصلاة والصوم والجنابة، استأمن اللّهْ ابن آدم على الصلاة، فإن شاء قال: قد صليت ولم يُصلّ، استأمن اللّهْ ابن آدم على الصوم، فإن شاء قال: قد صمت ولم يصم، استأمن اللّهْ ابن آدم على الجنابة، فإن شاء قال: قد اغتسلت ولم يغتسل، اقرؤوا إن شئتم: «يوم تُبْلى السّرائرُ».

﴿فما لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا نَاصرٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القوة العشيرة، والناصر: الحليف، قاله سفيان.

الثاني: فما له من قوة في بدنه، ولا ناصر من غيره يمتنع به من اللّهْ، أو ينتصر به على اللّهْ، وهو معنى قول قتادة.

ويحتمل ثالثاً: فما له من قوة في الامتناع، ولا ناصر في الاحتجاج.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾

﴿والسماءِ ذاتِ الرّجْعِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ذات المطر(٣٣٥)، لأنه يرجع في كل عام، قاله ابن عباس.

الثاني: ذات السحاب، لأنه يرجع بالمطر.

الثالث: ذات الرجوع إلى ما كانت، قاله عكرمة.

الرابع: ذات النجوم الراجعة، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وهذا قَسَمٌ.

---

(٣٣٣) شـواهد الكشاف (٤/٣) ونسبه لمجنون ليلى خزانة الأدب (٣٢٢/١) القرطبي (٨/٢٠) وفيه سيبقى لهـا في مضمر وكذا هو في روح المعاني (٩٩٩/٣٠).

(٣٣٤) وهذا الحديث من مرسلات زيد وقد ذكره الثعلبي عن عطاء كما في القرطبي (١٠/٢٠).

(٣٣٥) رواه الحاكم (٥٢٠/٢) وصحح سنده الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٦٩/٨).

﴿والأرضِ ذاتِ الصّدْعِ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: ذات النبات لانصداع الأرض عنه، قاله ابن عباس.

الثاني: ذات الأودية، لأن الأرض قد انصدعت بها، قاله ابن جريج.

الثالث: ذات الطرق التي تصدعها المشاة، قاله مجاهد.

الرابع: ذات الحرث لأنه يصدعها.

ويحتمل خامساً: ذات الأموات، لانصداعها عنهم للنشور وهذان قسمان.

﴿إنّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ على هذا وقع القَسَمُ، وفي المراد بأنه قول فصل قولان:

أحدهما: ما قدّمه عن الوعيد من قوله تعالى: «إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر» الآية. تحقيقاً لوعيده، فعلى هذا في تأويل قوله «فَصْل» وجهان:

أحدهما: حد، قاله ابن جبير.

الثاني: عدل، قاله الضحاك.

القول الثاني: أن المراد بالفصل القرآن تصديقاً لكتابه، فعلى هذا في تأويل قوله «فصل» وجهان:

أحدهما: حق، قاله ابن عباس.

الثاني: ما رواه الحارث عن(٣٣٦) عليّ قال: سمعت رسول اللَّهُ ﷺ يقول: «كتاب اللَّهُ فيه خير ما قبلكم، وحكم ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه مِن جبّار قصمه اللَّهُ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللَّهُ.»

﴿وما هو بالهزْلِ﴾ وهذا تمام ما وقع عليه القسم، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: باللعب، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: بالباطل، قاله وكيع والضحاك.

الثالث: بالكذب، قاله السدي.

﴿إنّهم يَكِيدُونَ كيْداً﴾ يعني أهل مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على المكر برسول اللَّهُ ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وإذ يمْكَرُ بك الذين كَفَروا لِيُثْبِتوكَ أو يَقْتلوكَ أو يُخْرِجوكَ﴾ فقال هاهنا: «إنهم يكيدون كيداً» أي يمكرون مكراً.

(٣٣٦) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة وهو حديث ضعيف مرفوعاً لضعف الحارث الأعور الراوي عن علي بن أبي طالب.

﴿وأكيدُ كيْداً﴾ يعني بالانتقام في الآخرة بالنار، وفي الدنيا بالسيف.

﴿فمهّلِ الكافرين أَمْهِلْهم رُوَيْداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قريباً، قاله ابن عباس.

الثاني: انتظاراً، ومنه قول الشاعر:

رُويْدك حتى تنطوي ثم تنجلي عمايةُ هذا العارضِ المتألّقِ

الثالث: قليلاً، قاله قتادة.

قال الضحاك: فقتلوا يوم بدر.

وفي «مهّل» «وأمْهل» وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد.

الثاني: معناهما مختلف، فمهّل الكف عنهم، وأمْهِل انتظار العذاب لهم.

سُورَةُ الأَعْلَى

آياتها ١٩ — ترتيبها ٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ
الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن
يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

قوله تعالى ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: عظّم ربك الأعلى، قاله ابن عباس والسدي، والاسم صلة قصد بها تعظيم المسّمى، كما قال لبيد(٣٣٧):

إلى الحْولِ ثم اسم السلام عليكما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذر

الثاني: نزّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه، ذكره الطبري(٣٣٨).

الثالث: معناه ارفع صوتك بذكر ربك، قال جرير(٣٣٩):

قَبحَ الإلهُ وَجوه تَغْلبَ كلّما ... سَبحَ الحجيجُ وكبّروا تكبيرا.

(٣٣٧) سبق تخريج هذا البيت.

(٣٣٨) جامع البيان (٣٠/١٥١).

(٣٣٩) القرطبي (٢٠/١٥) فتح القدير (٥/٤٢٣).

الرابع: صلّ لربك، فعلى هذا في قوله «اسم ربك» ثلاثة أوجه:

أحدها: بأمر ربك.

الثاني: بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة.

الثالث: أن تكون ذاكراً لربك بقلبك في نيتك للصلاة.

وروي أن علياً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: «سبحان ربي الأعلى» امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها، فصار الاقتداء بهم في قراءتها، وقيل إنها في قراءة أُبيّ: «سبحان ربي الأعلى» وكان ابن عمر يقرؤها كذلك.

﴿الذي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنشأ خلقهم ثم سوّاهم فأكملهم.

الثاني: خلقهم خلقاً كاملاً وسوّى لكل جارحة مثلاً.

الثالث: خلقهم بإنعامه وسوّى بينهم في أحكامه، قال الضحاك: خلق آدم فَسوّى خلقه.

ويحتمل رابعاً: خلق في أصلاب الرجال، وسوّى في أرحام الأمهات.

ويحتمل خامساً: خلق الأجساد فسوّى الأفهام.

﴿والذي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: قدّر الشقاوة والسعادة، وهداه للرشد والضلالة، قاله مجاهد.

الثاني: قدر أرزاقهم وأقواتهم، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً، ولمراعيهم إن كانوا وحشاً.

الثالث: قدرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: قدر خلقهم في الأرحام، وهداهم الخروج للتمام.

ويحتمل خامساً: خلقهم للجزاء، وهداهم للعمل.

﴿والذي أَخْرَجَ المْرعى﴾ يعني النبات، لأن البهائم ترعاه، قال الشاعر[٣٤٠]:

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثّرَى وتَبْقَى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا

﴿فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوَى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الغثاء ما يبس من النبات حتى صار هشيماً تذروه الرياح.

(٣٤٠) هو زفر بن الحارث والبيت في القرطبي (٢٠/١٦).

والأحوى: الأسود، قال ذي الرمة(٣٤١):

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي اللّثاتِ وفي أنْيابها شَنَبُ

وهذا معنى قول مجاهد.

الثاني: أن الغثاء ما احتمل السيل من النبات، والأحوى: المتغير، وهذا معنى قول السدي.

الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، ومعناه أحوى فصار غثاء، والأحوى: ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض، ويعبر عن جميعه بالسواد كما سمي به سواد العراق، وقال امرؤ القيس:

وغيثٍ دائمِ التهْتا ... نِ حاوي النبتِ أدْهم

والغثاء: الميت اليابس، قال قتادة: وهو مثل ضربه اللّه تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها.

﴿سنُقْرئك فلا تَنسَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معنى قوله: فلا تنسى، أي فلا تترك العمل إلا ما شاء اللّه أن يترخص لك فيه، فعلى هذا التأويل يكون هذا نهياً عن الشرك.

والوجه الثاني: أنه إخبار من اللّه تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن، حكى ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يقرؤه خيفة أن ينساه، فأنزل اللّه تعالى:

«سنقرئك فلا تنسى» يعني القرآن.

﴿إلا ما شاءَ اللّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا ما شاء اللّه أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: إلا ما شاء اللّه أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرؤه، حكاه ابن عيسى.

﴿إنهُ يَعْلَمُ الجهْرَ وما يَخْفَى﴾ فيه أربعة تأويلات

أحدها: أن الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك، وما يخفى هو ما نسخ من حفظك.

الثاني: أن الجهر ما علمه، وما يخفى ما سيتعلمه من بعد، قاله ابن عباس.

---

(٣٤١) ديوانه: . . . ونسبه القرطبي (٧/٢٠) للأعشى فأخطأ. واللسان (شنب).

الثالث: أن الجهر ما قد أظهره، وما يخفى ما تركه من الطاعات.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: نيسرك لأن تعمل خيراً، قاله ابن عباس.

الثاني: للجنة، قاله ابن مسعود.

الثالث: للدين اليسر وليس بالعسر، قاله الضحاك.

﴿فذكّرْ إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ وفيما يذكر به وجهان:

أحدهما: بالقرآن، قاله مجاهد.

الثاني: باللَّه رغبة ورهبة، قاله ابن شجرة.

وفي قوله: ﴿إنْ نَفَعَتِ الذّكْرى﴾ وجهان:

أحدهما: يعني إن قبلت الذكرى وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: يعني ما نفعت الذكرى، فتكون «إنْ» بمعنى ما الشرط، لأن الذكرى نافعة بكل حال، قاله ابن شجرة.

﴿سَيَذَّكَرُ مَن يَخْشى﴾ يعني يخشى اللَّه، وقد يتذكر من يرجوه، إلا أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء، وإن تعلقت بالخشية والرجاء.

﴿ويَتَجَنَّبُها الأشْقَى﴾ يعني يتجنب التذكرة الكافر الذي قد صار بكفره شقياً.

﴿الذي يَصْلَى النّارَ الكُبْرىَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الكبرى نار الكفار في الطبقة السفلى من جهنم، والصغرى نار المذنبين في الطبقة العليا من جهنم، وهو معنى قول الفراء.

﴿ثم لا يَموتُ فيها ولا يَحْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يموت ولا يجد روح الحياة، ذكره ابن عيسى.

الثاني: أنه يعذب لا يستريح ولا ينتفع بالحياة، كما قال الشاعر[٣٤٢]:

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي   عَناها ولا تحْيا حياةً لها طَعمُ

(٣٤٢) القرطبي (٢٠/٢١) فتح القدير (٥/٤٢٥).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿قد أفْلَحَ من تَزَكّى﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: من تطهّر من الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس.

الثاني: من كان صالح عمله زكياً نامياً، قاله الحسن والربيع (٣٤٣).

لم يذكر الثالث راجع التعليق ص. ٤٤.

الرابع: أنه عنى زكاة الأموال كلها، قاله أبو الأحوص.

ويحتمل خامساً: أنه من ازداد خيراً و صلاحاً.

﴿وذكَرَ اسمَ ربِّه فصَلّى﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أن يوحد اللّه، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يدعوه ويرغب إليه.

الثالث: أن يستغفره ويتوب إليه.

الرابع: أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه، ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه.

الخامس: أن يذكر اسم ربه بلسانه عند إحرامه بصلاته، لأنها لا تنعقد إلا بذكره.

السادس: أن يفتتح كل سورة ببسم اللّه الرحمن الرحيم.

وفي قوله «**فصلّى**» ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصلوات الخمس، قاله ابن عباس.

الثاني: صلاة العيد، قاله أبو سعيد الخدري (٣٤٤).

الثالث: هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة، قاله أبو الأحوص.

وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه.

﴿بل تُؤْثِرون الحياةَ الدُّنْيا﴾ فيه وجهان:

---

(٣٤٣) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث ويحتمل أن يكون «من أعطى صدقة الفطر كما قاله أبو سعيد الخدري وعطاء وقتادة أو تكثر بتقوى الله قاله الزجاج راجع زاد المسير (٩/٩١).

(٣٤٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٥/٤٢٥) «ولا يخفى بعد هذا القول فإن السورة مكية ولم تفرض زكاة الفطر وصلاة العيد إلا بالمدينة» وبنحوه قال القرطبي (٢٠/٢٢).

أحدهما: أن المراد بها الكفار، فيكون تأويلها: بل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة.

الثاني: أن المراد بها المسلمون، فيكون تأويلها: يؤثرون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب.

﴿والآخِرةُ خَيْرٌ وأَبْقَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خير للمؤمن من الدنيا، وأبقى للجزاء.

الثاني: ما قاله قتادة خير في الخير وأبقى في البقاء.

ويحتمل به وجهاً ثالثاً: يتحرر به الوجهان، والآخرة خير لأهل الطاعة وأبقى على أهل الجنة.

﴿إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى، قاله قتادة.

الثاني: أن ما قصَّهُ اللّهُ في هذه السورة هو من الصحف الأولى.

الثالث: هي كتب اللّهُ كلها، وحكى وهب بن منبه في المبتدإ أن جميع الكتب التي أنزلها اللّهُ على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم، وأنزل التوراة عل موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد عليهم السلام.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

آياتها ٢٦ — ترتيبها ٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ
نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا
يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى ﴿هلْ أَتاكَ حديثُ الغاشِيةِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: أنها النار تغشى وجوه الكفار، قاله ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: أنها في هذا الموضع النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى جميع الخلق.

و «هل» فيها وجهان:

أحدهما: أنها في موضع قد، وتقدير الكلام قد أتاك حديث الغاشية، قاله قطرب.

الثاني: أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله، ومعناه ألم يكن قد أتاك حديث الغاشية، فقد أتاك، وهو معنى قول الكلبي.

﴿وُجوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ﴾ في الوجوه ها هنا قولان:

أحدهما: عنى وجوه الكفار كلهم، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس.

وفي قوله «يومئذٍ» وجهان:

أحدهما: يعني يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: في النار، قاله قتادة.

«**خاشعة**» فيه وجهان:

أحدهما: يعني ذليلة بمعاصيها، قاله قتادة.

الثاني: أنها تخشع بعد ذل من عذاب اللّه فلا تتنعم، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون خاشعة لتظاهرها بطاعته بعد اعترافها بمعصيته.

﴿**عامِلةٌ نَّاصِبَةٌ**﴾ في «**عاملة**» وجهان:

أحدهما: في الدنيا عاملة بالمعاصي، قاله عكرمة:

الثاني: أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة اللّه تعالى، فأعملها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أي باذلة للعمل بطاعته إن ردّت.

وفي قوله «**ناصبة**» وجهان:

أحدهما: ناصبة في أفعال المعاصي(٣٤٥).

الثاني: ناصبة في النار، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أي ناصبة بين يديه تعالى مستجيرة بعفوه.

﴿**تَصْلَى ناراً حامِيةً**﴾ فإن قيل فما معنى صفتها بالحماء وهي لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة؟ قيل قد اختلف في المراد بالحامية هاهنا على أربعة أوجه:

أحدها: أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها.

الثاني: أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك

---

(٣٤٥) أي تعبة وقال ابن عباس: هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل وعلى الكفر مثل عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم.

المحارم، كما قال النبي ﷺ(٣٤٦): «وإن لكل ملك حمى، وإن حمى اللّٰه محارمه، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

الثالث: معناه أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة(٣٤٧):

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي.

الرابع: أنها حامية مما غيظ وغضب، مبالغة في شدة الانتقام، وقد بيّن اللّٰه ذلك بقوله﴿تكاد تمّيز من الغيظ﴾.

﴿تُسْقَى مِن عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: قاله ابن زيد.

الثاني: حاضرة.

الثالث: قد بلغت إناها(*) وحان شربها، قاله مجاهد.

الرابع: يعني قد أنى حرها فانتهى واشتد، قاله ابن عباس.

﴿ليس لَهُمْ طعامٌ إلاّ مِن ضَريعٍ﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة تسميها قريش الشبرق، كثيرة الشوك، قاله ابن عباس، قال قتادة وإذا يبس في الصيف فهو ضريع، قال الشاعر(٣٤٨).

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعاً نازعته النحائص

الثاني: السّلم(*)، قال أبو الجوزاء: كيف يسمن من يأكل الشوك.

الثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير.

---

(٣٤٦) جزء من حديث «إن الحلال بين والحرام بيّن» من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً رواه البخاري (١/١١٦، ١١٩) ومسلم (١٥٩٩).

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تدور عليها مدار الشريعة وقد مدحه العلماء وشرحوه ومن أجمل من شرحه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم فراجعه.

(٣٤٧) ديوانه: ٢٤٥ وفيه .... القرطبي (٢٠/٢٩).

(*)حرها: أي متناهية في الحرارة.

(٣٤٨) وهو أبو ذؤيب والبيت في القرطبي (٢٠/) وروح المعاني (٣٠/١١٣) فتح القدير (٥/٤٢٩) وفي روح المعاني صار بدلاً من عاد. وفي كل هذه المصادر بان عنه بدلاً من نارغته.

(*) وهو شجر له شوك ينمو في الصحراء.

الرابع: أنه النوى المحرق، حكاه يوسف بن يعقوب عن بعض الأعراب.

الخامس: أنه شجر من نار، قاله ابن زيد.

السادس: أن الضريع بمعنى المضروع، أي الذي يضرعون عنده طلباً للخلاص منه، قاله ابن بحر[٣٤٩].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾

﴿في جَنّةٍ عاليةٍ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية، قاله الضحاك.

الثاني: أعالي الجنة وغرفها، لأنها منازل العلو والارتفاع.

فعلى هذا في ارتفاعهم فيها وجهان:

أحدهما: ليلتذوا بالعلو والارتفاع.

الثاني: ليشاهدوا ما أعد اللّه لهم فيها من نعيم.

﴿لا تسْمَعُ فيها لاغيةً﴾ قال الفراء والأخفش: أي لا تسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها سبعة أقاويل:

أحدها: يعني كذباً، قاله ابن عباس.

الثاني: الإثم، قاله قتادة.

الثالث: أنه الشتم، قاله مجاهد.

الرابع: الباطل، قاله يحيى بن سلام.

الخامس: المعصية، قاله الحسن.

السادس: الحلف فلا تسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة، قاله الكلبي.

---

(٣٤٩) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٩٧/٩) فإن قيل إنه قد أخبر في هذه الآية ليس لهم طعام إلا من ضريع وفي مكان آخر «ولا طعام إلا من غسلين» الحاقة: ٣٦ فكيف الجمع بينهما فالجواب أن النار دركات وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسلين ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قاله ابن قتيبة.

السابع: لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى، لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد اللّٰه على ما رزقهم، قاله الفراء.

﴿فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ﴾ والسرر جمع سرير، وهو مشتق من السرور وفي وصفها بأنها مرفوعة ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن بعضها مرفوع فوق بعض.

الثاني: مرفوعة في أنفسهم لجلالتها وحبهم لها، قاله الفراء.

الثالث: أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها.

فعلى هذا في وصفها بالعلو والارتفاع وجهان:

أحدهما: ليلتذ أهلها بارتفاعها، قاله ابن شجرة.

الثاني: ليشاهدوا بارتفاعهم عليها ما أُعطوه من مُلك وأُوتوه من نعيم، قاله ابن عيسى.

فأما قوله ﴿وأكوابٌ موضوعةٌ﴾ فالأكواب: الأواني، وقد مضى القول في تفسيرها.

وفي قوله «موضوعة» وجهان:

أحدهما: في أيديهم للاستمتاع بالنظر إليها لأنها من ذهب وفضة.

الثاني: يعني أنها مستعملة على الدوام، لاستدامة شربهم منها، قاله المفضل.

﴿ونمارقُ مَصْفوفَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الوسائد، واحدها نمرقة، قاله قتادة.

الثاني: المرافق، قاله ابن أبي طلحة، قال الشاعر:

وريم أحمّ المقلتين محبّب زرابيُّه مبثوثةٌ ونمارِقُه.

﴿وزرابيُّ مَبْثوثةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: هي البسط الفاخرة، قاله ابن عيسى.

الثاني: هي الطنافس المخملة، قاله الكلبي والفراء.

وفي «المبثوثة» أربعة أوجه:

أحدها: مبسوطة، قاله قتادة.

الثاني: بعضها فوق بعض، قاله عكرمة.

الثالث: الكثيرة، قاله الفراء.

الرابع: المتفرقة، قاله ابن قتيبة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾

﴿**أفلا يَنظُرونَ إلى الإبلِ كيف خُلِقت**﴾ الآيات، وفي ذكره لهذه ثلاثة أوجه:

أحدها: ليستدلوا بما فيها من العبر على قدرة اللّٰه تعالى ووحدانيته.

الثاني: ليعلموا بقدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم يوم القيامة، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أن اللّٰه تعالى لما نعت لهم ما في الجنة عجب منه أهل الضلالة، فذكر لهم ذلك مع ما فيه من العجاب ليزول تعجبهم، قاله قتادة.

وفي «**الإبل**» هاهنا وجهان:

أحدهما: وهو أظهرهما وأشهرهما: أنها الإبل من النَعَم.

الثاني: أنها السحاب، فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة اللّٰه والمنافع العامة لجميع خلقه(٣٥٠).

وإن كان المراد بها من النَعَم فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات، لأن ضروبه أربعة:

حلوبة، وركوبة، وأكولة، وحمولة والإبل تجمع هذه الخلال الأربع، فكانت النعمة بها أعم، وظهور القدرة فيها أتم.

ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿**فَذَكِّرْ إنّما أنت مُذكِّر**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنما أنت واعظ.

الثاني: ذكّرهم النعم ليخافوا النقم.

---

(٣٥٠) وهو قول أبي العباس المبرد كما في روح المعاني (١١٦/٣٠).

﴿لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِرٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لست عليهم بمسلط، قاله الضحاك.

الثاني: بجبار، قاله ابن عباس.

الثالث: برب، قاله الحسن، ومعنى الكلام لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان.

ثم قال: ﴿إلاّ مَن تَولّى وكَفَر﴾ فلست له بمذكر، لأنه لا يقبل تذكيرك، قاله السدي.

الثاني: إلا من تولى وكفر فكِلْه إلى اللَّهْ تعالى، وهذا قبل القتال، ثم أمر بقتالهم، قاله الحسن.

وفي «تولّى وكفر» وجهان:

أحدهما: تولى عن الحق وكفر بالنعمة.

الثاني: تولى عن الرسول وكفر باللَّهْ تعالى، قاله الضحاك.

﴿فيُعذِّبُه اللَّه العذابَ الأكْبَر﴾ يعني جهنم.

ويحتمل أن يريد الخلود فيها، لأنه يصير بالاستدامة أكبر من المنقطع.

﴿إنّ إليْنا إيابَهُمْ﴾ أي مرجعهم.

﴿ثم إنّ علينا حِسابَهم﴾ يعني جزاءَهم على أعمالهم، فيكون ذلك جامعاً بين الوعد والوعيد ثواباً على الطاعات وعقاباً على المعاصي.

سورة الفجر

ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ
لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا
فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ
طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى ﴿والفَجْر﴾ قسم أقسم اللّٰه تعالى به، وهو انفجار الصبح من أفق المشرق، وهما فجران(٣٥١): فالأول منهما مستطيل كذنب السرحان يبدو كعمود نور لا عرض له، ثم يغيب لظلام يتخلله، ويسمى هذا الفجر المبشر للصبح، وبعضهم يسميه الكاذب لأنه كذب بالصبح.

وهو من جملة الليل لا تأثير له في صلاة ولا صوم.

وأما الثاني فهومستطيل النورمنتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح، قال الشاعر:

(٣٥١) وذلك لأن النبي ﷺ يقول فيمارواه ابن خزيمة (٣/٢١٠) وهو صحيح من حديث ابن عباس مرفوعاً، الفجر فجران فأما الأول فإنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة وأما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة.

شعب الكلاب الضاريات فزاده نـاراً بذي الصبح المصدق يخفق

وبه يتعلق حكم الصلاة والصوم، وقد ذكرنا ذلك من قبل.

وفي قسم الله بالفجر أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عنى به النهار وعبر عنه بالفجر لأنه أوله، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الفجر الصبح الذي يبدأ به النهار من كل يوم، قاله علّي رضي الله عنه.

الثالث: أنه عنى به صلاة الصبح، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنه أراد به فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد.

وفي ﴿وليالٍ عشْرٍ﴾ ـ وهي قسم ثان ـ أربعة أقاويل:

أحدها: هي عشر ذي الحجة، قاله ابن عباس، وقد روى أبو الزبير عن جابر أن رسول اللّٰه ﷺ قال(٣٥٢): «والفجر وليال عشر»، قال: عشر الأضحى.

الثاني: هي عشر من أول المحرم، حكاه الطبري(٣٥٣).

الثالث: هي العشر الأواخر من شهر، رمضان، وهذا مروي عن ابن عباس.

الرابع: هي عشر موسى عليه السلام التي أتمها اللّٰه سبحانه له، قاله مجاهد.

﴿والشّفْعِ والوَتْرِ﴾ وهذا قسم ثالث، وفيهما تسعة أقاويل:

أحدها: أنها الصلاة، فيها شفع وفيها وتر، رواه عمران بن حصين عن النبي ﷺ(٣٥٤).

(٣٥٢) رواه الطبري (١٦٩/٣٠) وقال الحافظ ابن كثير (٥٠٥/٤) ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندي أن المسند في رفعه نكارة والله أعلم أ هـ وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٠٠/٨) لأحمد والبزار وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

وقال الهيثمي في المجمع (١٣٧/٧) رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة أ هـ وهذا القول اختاره الطبري.

(٣٥٣) جامع البيان (١٦٩/٣٠) وحكاه عن ابن عباس ولكن الإسناد إليه مسلسل بالضعفاء.

(٣٥٤) رواه الطبري (١٧٢/٣٠) وأحمد (٤٤٢/٤) والترمذي (١٧٠/٢) والحاكم (٥٢٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي وفيه نظر فإن الراوي عن عمران شيخ من أهل البصرة مجهول ولم يوثقه إلا ابن حبان.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٠٢/٨) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير

الثاني: هي صلاة المغرب، الشفع منها ركعتان، والوتر الثالثة، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية.

الثالث: أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة، رواه أبو الزبير عن جابر عن النبي ﷺ(٣٥٥).

الرابع: أن الشفع يوما منى الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، والوتر الثالث بعدهما، قاله ابن الزبير.

الخامس: أن الشفع عشر ذي الحجة، والوتر أيام منى الثلاثة، قاله الضحاك.

السادس: أن الشفع الخلق من كل شيء، والوتر هو آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء فصار شفعاً بعد وتر، رواه ابن نجيح.

التاسع: أنه العدد لأن جميعه شفع ووتر، قاله الحسن.

ويحتمل عاشراً: أن الشفع الحيوان، لأنه ذكر وأنثى، والوتر الجماد.

ويحتمل حادي عشر: أن الشفع ما يَنْمى، والوتر مالا يَنْمى(٣٥٦).

﴿**واللّيْلِ إذا يَسْرِ**﴾ وهذا قسم رابع، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هي ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها.

الثاني: هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة اللّه، وسئل محمد بن كعب عن قوله تعالى ﴿**والليل إذا يَسْرِ**﴾ فقال اسْر يا ساري، ولا تبيتَنّ إلا بجمع، يعني بمزدلفة.

الثالث: أنه أراد عموم الليل كله.

وفي قوله ﴿**إذا يسرِ**﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

(٥٠٦/٤) «وعندي أن وقفه على عمـران أشبه» قلت: ومما يؤيد قول ابن كثير أن الإمام ابن جرير رواه موقوفاً عليه (١٧١/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٥٠٢/٨) نسبة الموقوف لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣٥٥) رواه ابن جرير (١٧٢/٣٠).

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثامن.

(٣٥٦) قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٤٣٣/٥) بعد سرد الأقوال: «ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخـاطىء والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهمـا معروفان» أ هـ.

الثاني: إذا سار، لأن الليل يسيربمسير الشمس والفلك فينتقل من أفق إلى أفق، ومنه قولهم جاء الليل وذهب النهار.

الثالث: إذا سار فيه أهله، لأن السرى سير الليل.

﴿هل في ذلك قَسَمٌ لذي حجْرٍ﴾ وفي ذي الحجر لأهل التأويل خمسة أقاويل:

أحدها: لذي عقل، قاله ابن عباس.

الثاني: لذي حلم، قاله الحسن.

الثالث: لذين دين، قاله محمد بن كعب.

الرابع: لذي ستر، قاله أبو مالك.

الخامس: لذي علم، قاله أبو رجاء.

والحجر: المنع، ومنه اشتق اسم الحجر لامتناعه بصلابته، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها، ومنه سمي حجر المَولّى عليه لما فيه من منعه عن التصرف، فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من هذه التأويلات لما يضمنه من المنع.

وقال مقاتل: «هل» هاهنا في موضع إنّ، وتقدير الكلام: إن في ذلك قسماً لذِي حِجْر.

﴿ألم تَرَ كيف فَعَل ربُّك بعادٍ * إرَمَ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أن إرم هي الأرض، قاله قتادة.

الثاني: دمشق[٣٥٧]، قاله عكرمة.

الثالث: الإسكندرية، قاله محمد بن كعب.

الرابع: أن إرم أُمة من الأمم، قاله مجاهد، قال الشاعر:

كما سخرت به إرم فأضحوا   مثل أحلام النيام[٣٥٨]

الخامس: أنه اسم قبيلة من عاد، قاله قتادة.

(٣٥٧) قال الحافظ ابن كثير (٤/٥٠٧، ٥٠٨) ومن زعم أن المراد بقوله إرم ذات العماد مدينة دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روي عن القرطبي أو غيرهما ففيه نظر... إلى أن قال وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية... الخ.

فراجعه فإن كلامه رصين.

(٣٥٨) قال محقق المطبوعة هكذا ورد في الأصل وهو غير موزون.

السادس: أن إرم اسم جد عاد، قاله محمد بن إسحاق، وحكى عنه أنه أبوه، وأنه عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح.

السابع: أن معنى إرم القديمة، رواه ابن أبي نجيح.

الثامن: أنه الهلاك، يقال: أرم بنو فلان، أي هلكوا، قاله الضحاك.

التاسع: أن اللّه تعالى رمّهم رمّاً فجعلهم رميماً، فلذلك سماهم، قاله السدي.

﴿ذاتِ العمادِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ذات الطُّول، قال ابن عباس مأخوذ من قولهم رجل معمّد، إذا كان طويلاً، وزعم قتادة. أنه كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعاً.

الثاني: ذات العماد لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث(٣٥٩)، قاله مجاهد.

الثالث: ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك، وحكى ثور بن يزيد أنه قال(٣٦٠): أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي بطن السواد(٣٦١)، وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا تخرجه إلا أمة محمد.

الرابع: ذات العماد المحكم بالعماد، قاله ابن زيد.

﴿التي لم يُخْلَقْ مِثْلُها في البلادِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد في البلاد، قاله عكرمة.

الثاني: لم يخلق مثل قوم عاد في البلاد، لطولهم وشدتهم، قاله الحسن.

﴿وثمودَ الذين جابُوا الصّخْرَ بالوادِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً، كما قال تعالى:

---

(٣٥٩) يعني أنهم كانوا ينتقلون حيث يكون المطر يطلبون الكلأ حيث كان فلا يقيمون في موضع.

(٣٦٠) وهذا الاثر رواه ابن أبي حاتم كما في الفتح (٥٧٢/٨) من طريق وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة وفيه ألفاظ منكرة وعبد الله بن قلابة لا يعرف وفيها أيضاً عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف إلا في روايته عن العبادلة. راجع أيضاً تفسير ابن كثير (٥٠٨/٤) فتح القدير (٤٣٥/٥).

(٣٦١) هكذا وقع في المطبوعة وهو خطأ والصواب الواد والتصويب من الفتح لابن حجر (٥٧٢/٨) والقرطبي (٤٧/٢٠).

﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ قال الشاعر[٣٦٢]:

ألا كـلُّ شيءٍ مـا خـلا اللّه بـاطِـلُ وكـلُّ نـعـيـمٍ لا مَـحـالـةَ زائـلُ

وقال آخر[٣٦٣]:

وهم ضربـوا في كـل صمـاءَ صعـدة بـأيـدٍ شـديـد من شـداد السـواعـد.

الثاني: معناه طافوا لأخذ الصخر بالوادي، كما قال الشاعر[٣٦٤]:

ولا رأَيْت قـاوِصـاً قـبْلهـا حَـمَـلَتْ سـتيـن وسقـاً ولا جـابَـتْ بـه بَلَدا.

وأما «الواد» فقد زعم محمد بن إسحاق أنه وادي القرى، وروى أبو الأشهب عن أبي نضرة قال[٣٦٥]: أتى رسول اللّه ﷺ في غزاة تبوك على وادي ثمود، وهو على فرس أشقر، فقال: أسرعوا السير فإنكم في وادي ملعون.

﴿وفرعونَ ذِي الأَوْتادِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الأوتاد الجنود، فلذلك سمي بذي الأوتاد لكثرة جنوده، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها في أيديهم، قاله الحسن، ومجاهد، قال الكلبي: بمثل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم عندما آمنت حتى ماتت.

الثالث: أن الأوتاد البنيان فسمي بذي الأوتاد لكثرة بنائه، قاله الضحاك.

الرابع: لأنه كانت له فطال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنه ذو الأوتاد لكثرة نخله وشجره، لأنها كالأوتاد في الأرض.

﴿فَصَبَّ عليهم ربُّك سَوْطَ عذابٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: قسط عذاب كالعذاب بالسوط، قاله ابن عيسى.

---

(٣٦٢) هو لبيد بن ربيعة وقد تقدم هذا البيت.

(٣٦٣) الطبري (١٧٩/٣٠).

(٣٦٤) هو الزبير حينما نزل الكوفة راجع القرطبي (٤٨/٢٠).

(٣٦٥) وثبت من حديث ابن عمر في البخاري (٨٨/٨) ومسلم (٢٩٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم مثل ما أصابهم».

الثاني: خلط عذاب، لأنه أنواع ومنه قول الشاعر(٣٦٦):

أحارثُ إنّا لو تُساطُ دماؤنا تَزَيّلْنَ حتى لا يَمسَّ دَمٌ دَمَا

الثالث: أنه وجع من العذاب، قاله السدي.

الرابع: أنه كل شيء عذب اللّه به فهو سوط عذاب، قاله قتادة.

وقال قتادة: كان سوط عذاب هو الغرق.

﴿إنّ ربك لبالمرصاد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالطريق.

الثاني: بالانتظار، كما قال طرفة:

أعاذلُ إنّ الجهْلَ من لَذةِ الفتى وإنّ المنايا للرجال بمرصَد.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وتأكُلون التُّراث أكْلاً لمّاً﴾ والتراث: الميراث، وفي قوله «لمّاً» أربعة تأويلات:

أحدها: يعني شديداً، قاله السدي.

الثاني: يعني جمعاً، من قولهم لممت الطعام لَمّاً، إذا أكلته جمعاً، قاله الحسن.

الثالث: معناه سفه سفاً، قاله مجاهد.

الرابع: هو أنه إذا أكل مال نفسه ألمّ بمال غيره فأكله، ولا يتفكر فيما أكل من خبيث وطيب، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: أنه ألمّ بما حرم عليه ومنع منه.

---

(٣٦٦) هو الملتمس اللسان مادة «سيط» وفي رواية البيت نشاط دماؤنا فتح القدير (٤٣٦/٥) روح المعاني (١٢٥/٣٠).

﴿وتُحِبُّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني كثيراً، قاله ابن عباس، والجمّ الكثير، قال الشاعر[٣٦٧]:

إنْ تَغْفِرِ اللهم تغْفِرْ جَمّا وأيُّ عبدٍ لك لا أَلَمّا

الثاني: فاحشاً تجمعون حلاله إلى حرامه، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: أنه يحب المال حب إجمام له واستبقاء فلا ينتفع به في دين ولا دنيا وهو أسوأ أحوال ذي المال.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿يومئذٍ يَتذكّرُ الإنسانُ وأنَّى له الذِّكْرَى﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يتوب وكيف له بالتوبة، لأن التوبة بالقيامة لا تنفع، قاله الضحاك.

الثاني: يتذكر ما عمل في دنياه وما قدم لآخرته، وأنى له الذكرى في الآخرة، وإنما ينتفع في الدنيا، قاله ابن شجرة.

﴿يقولُ يا ليتني قَدَّمْتُ لحياتي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قدمت من دنياي لحياتي في الآخرة، قاله الضحاك.

الثاني: قدمت من حياتي لمعادي في الآخرة ذكره ابن عباس.

﴿فيومئذٍ لا يُعذِّب عذابَه أَحَدٌ * ولا يُوثِقُ وثاقَه أَحَدٌ﴾ قرأ الكسائي[٣٦٨] لا يعذَّب ولا يوثَق بفتح الذال والثاء وتأويلها على قراءته لا يعذَّب عذاب الكافر الذي يقول «يا ليتني قدمت لحياتي» أحدٌ، وقرأ الباقون بكسر الذال والثاء وتأويلها أنه لا يعذِّب عذابَ اللّه أحدٌ غَفَر اللّه له، قاله ابن عباس والحسن، فيكون تأويله على

(٣٦٧) تقدم تخريج هذا البيت في سورة النجم.

(٣٦٨) زاد المسير (١٢٢/٩) السبعة لابن مجاهد (ص ٦٨٥) الحجة في القراءات ٧٦٣.

القراءة الأولى محمولاً على الآخرة، وعلى القراءة الثانية محمولاً على الدنيا.

﴿يا أيَّتُها النَّفْسُ المطْمئِنَّة﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يعني المؤمنة، قاله ابن عباس.

الثاني: المجيبة، قاله مجاهد.

الثالث: المؤمنة بما وعد اللَّه، قاله قتادة.

الرابع: الآمنة، وهو في حرف أُبيّ بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

الخامس: الراضية، قاله مقاتل.

السادس: ما قاله بعض أصحاب الخواطر: المطمئنة إلى الدنيا، ارجعي إلى ربك في تركها.

السابع: ما قاله الحسن أن اللَّه تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى اللَّه عز وجل، واطمأن اللَّه إليها.

﴿ارْجِعي إلى ربِّكِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى جسدك عند البعث في القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: إلى ربك عند الموت في الدنيا، قاله أبو صالح.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: إلى ثواب ربك في الآخرة.

﴿راضيةً مَرْضِيّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رضيت عن اللَّه ورضي عنها، قاله الحسن.

الثاني: رضيت بثواب اللَّه ورضي بعملها، قاله ابن عباس.

﴿فادْخُلي في عِبادي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في عبدي، وهو في حرف أُبيّ بن كعب: فادخلي في عبدي.

الثاني: في طاعتي، قاله الضحاك.

الثالث: معناه فادخلي مع عبادي، قاله السدي.

﴿وادْخُلي جَنّتي﴾ فيه قولان:

أحدهما: في رحمتي، قاله الضحاك.

الثاني: الجنة التي(٣٦٩) هي دار الخلود ومسكن الأبرار، وهو قول الجمهور.

---

(٣٦٩) ولا يختلف هذا القول عن قول الضحاك فإن الجنة من رحمة الله تعالى لعباده وفي الحديث القدسي

وقال أسامة بن زيد: بشرت النفس المطمئنة بالجنة عند الموت، وعند البعث وفي الجنة.

واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في أبي بكر[٣٧٠]، فروى ابن عباس أنها نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول اللّه ما أحسن هذا، فقال ﷺ: «أما أنه سيقال لك هذا».

الثاني: أنها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة[٣٧١]، قاله الضحاك.

الثالث: أنها نزلت في حمزة، قاله بريدة الأسلمي.

الرابع: أنها عامة في كل المؤمنين، رواه عكرمة والفراء.

الصحيح «اختصمت الجنة والنار... الحديث وفيه فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء... الحديث.

(٣٧٠) ورد هذا من مرسل ابن جبير رواه ابن جرير (١٩١/٣٠) وقال ابن كثير (٥١٢/٤) هو مرسل حسن.

(٣٧١) والطريق إلى الضحاك ضعيفة لأن فيها جويبر وهو متروك. وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم كما في الدر (٥١٣/٨).

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا
﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾
وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بهذا البَلَدِ﴾ ومعناه على أصح الوجوه:

أُقْسِم بهذا البلد، وفي «البلد» قولان:

أحدهما: مكة، قاله ابن عباس.

الثاني: الحرم كله، قاله مجاهد.

﴿وأنتَ حلٌّ بهذا البَلَدِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنت مُحِل في هذا البلد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين.

ويحتمل رابعاً: وأنت حالٌّ أي نازل في هذا البلد، لأنها نزلت عليه وهو بمكة

لم يفرض عليه الإحرام ولم يؤذن له في القتال، وكانت حرمة مكة فيها أعظم، والقسم بها أفخم.

﴿ووالدٍ وما وَلَدَ﴾ فيه أربعة أوجه.

أحدها: آدم وما ولد(٣٧٢)، قاله مجاهد وقتادة والحسن والضحاك.

الثاني: أن الوالد إبراهيم وما ولد، قاله أبو عمران الجوني.

الثالث: أن الوالد هو الذي يلد، وما ولد هو العاقر الذي لا يلد، قاله ابن عباس.

الرابع: أن الوالد العاقر(٣٧٣)، وما ولد التي تلد، قاله عكرمة.

ويحتمل خامساً: أن الوالد النبي ﷺ، لتقدم ذكره، وما ولد أُمّته، لقوله عليه السلام(١٤٥) إنما أنا لكم مثل الوالد أُعلّمكم، فأقسم به وبأمّته بعد أن أقسم ببلده مبالغة في تشريفه.

﴿لقد خَلقنا الإنسانَ في كَبَدٍ﴾ إلى هاهنا انتهى القسم وهذا جوابه وفي قوله «في كَبَد» سبعة أقاويل:

أحدها: في انتصاب في بطن أُمّه وبعد ولادته(٣٧٤)، خص الإنسان بذلك تشريفاً، ولم يخلق غيره من الحيوان منتصباً، قاله ابن عباس وعكرمة.

---

(٣٧٢) واختار الطبري القول بالعموم (١٦٩/٣٠).

(٣٧٣) وهذا القول بعيد جداً فإن هناك تضاد بين العاقر والوالد فكيف يفسر الوالد بالعاقر.

(*) جزء من حديث رواه ابو داود (رقم ٨) والنسائي (٣/١) وابن ماجه (٣١٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣٧٤) قال القرطبي (٢٠/٦٢، ٦٣) قال علماؤنا أول ما يكابد قطع سرته ثم إذا أقمط قماطاً وشدَّ رباطاً يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت أسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ثم يكابد المعلّم وصولته والموت وسياسته والأستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ثم يكابد شغل الأولاد والخدمة والأجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين، ووجع السن وألم الأذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم إلا ويقاسي فيه شدة ولا يكابد إلا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقرّ به القرار إما في الجنة وإما في النار قال الله تعالى «لقد خلقنا الإنسان في كبد» فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد ودل هذا على أن له خالقاً دبره وقضى عليه بهذه الأحوال فليمتثل أمره.

الثاني: في اعتدال، لما بيّنه بعد من قوله ﴿ألم نَجْعَلْ له عَيْنَين﴾ الآيات، حكاه ابن شجرة.

الثالث: يعني من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، يتكبد في الخلق مأخوذ من تكبد الدم وهو غلظه، ومنه أخذ أسم الكبد لأنه دم قد غلظ، وهو معنى قول مجاهد.

الرابع: في شدة لأنها حملته كرهاً ووضعته كرهاً، مأخوذ من المكابدة، ومنه قول لبيد(٣٧٥):

يا عين هلّا بكيْتِ أرْبَدَ إذ قُمْنا وقامَ الخصومُ في كَبَدِ.

رواه ابن أبي نجيح.

الخامس: لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، قاله الحسن.

السادس: لأنه خلق آدم في كبد السماء، قاله ابن زيد.

السابع: لأنه يكابد الشكر على السّراء والصبر على الضرّاء، لأنه لا يخلو من أحدهما، رواه ابن عمر.

ويحتمل ثامناً: يريد به أنه ذو نفور وحميّة، مأخوذ من قولهم لفلان كبَد، إذا كان شديد النفور والحمية.

وفيمن أريد بالإنسان هاهنا قولان:

أحدهما: جميع الناس.

الثاني: الكافر يكابد شبهات.

﴿أيَحْسَب أنْ لَنْ يَقْدِر عليه أحَدٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه اللّه أن يبعثه بعد الموت، قاله السدي.

الثاني: أيحسب الإنسان أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، اله قتادة.

الثالث: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ماله، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أيحسب أن لن يذله أحد، لأن القدرة عليه ذل له.

﴿يقولُ أهْلَكْتُ مالاً لُبَداً﴾ فيه وجهان:

---

(٣٧٥) اللسان كبد، الطبري (١٩٨/٣٠) روح المعاني (١٣٥/٣٠).

أحدهما: يعني كثيراً.

الثاني: مجتمعاً بعضه على بعض، ومنه سمي اللّبْد لاجتماعه وتلبيد بعضه على بعض.

ويحتمل ثالثاً: يعني مالاً قديماً، لاشتقاقه من الأبد، أو للمبالغة في قدمه من عهد لَبِد[٣٧٦]، لأن العرب تضرب المثل في القدم بلبد، وذكر قدمه لطول بقائه وشدة ضَنِّه به.

وقيل إن هذا القائل أبو الأشد الجمحي، أنفق مالا كثيراً في عداوة رسول اللَّه ﷺ والصد عن سبيل اللّٰه، وقيل بل هو النضر بن الحارث.

وهذا القول يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغياناً منه.

الثاني: أن يكون أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.

﴿أيحْسَبُ أن لم يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن لم يره اللّٰه، قاله مجاهد.

الثاني: أن لم يره أحد من الناس فيما أنفقه، قاله ابن شجرة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أيحسب أن لم يظهر ما فعله أن لا يؤاخذ به، على وجه التهديد، كما يقول الإنسان لمن ينكر عليه فعله، قد رأيت ما صنعت، تهديداً له، فيكون الكلام على هذا الوجه وعيداً، وعلى ما تقدم تكذيباً.

﴿وهَدَيْناه النَّجْدَيْنِ﴾ فيهما أربعة تأويلات:

أحدها: سبيل الخير والشر[٣٧٧]، قاله علي رضي اللّٰه عنه والحسن.

الثاني: سبيل الهدى والضلالة، قاله ابن عباس.

الثالث: سبيل الشقاء والسعادة، قاله مجاهد.

الرابع: الثديين ليتغذى بهما[٣٧٨]، قاله قتادة والربيع بن خثيم.

(٣٧٦) هو اسم نسر معروف عند العرب عمّر طويلاً.

(٣٧٧) رواه الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود وصححه الحاكم كما في الفتح (٥٧٤/٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧) رواه الطبراني بإسناد فيه عاصم بن أبي النجود وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣٧٨) وقد تعقب ابن جرير هذا القول (٢٠١/٣٠) ورجح القول الأول هنا.

قال قطرب: والنجد هو الطريق المرتفع، فأرض نجد هي المرتفعة، وأرض تهامة هي المنخفضة.

ويحتمل على هذا الاشتقاق خامساً: أنهما الجنة والنار، لارتفاعهما عن الأرض.

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾

﴿فلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها طريق النجاة، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها جبل في جهنم، قاله ابن عمر.

الثالث: أنها نار دون الحشر، قاله قتادة.

الرابع: أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، قاله الضحاك، قال الكلبي: صعوداً وهبوطاً.

الخامس: أن يحاسب نفسه وهواه وعدوّه الشيطان، قاله الحسن.

قال الحسن: عقبة والله شديدة.

ويحتمل سادساً: اقتحام العقبة خالصة من الغرض(٣٧٩).

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: اقتحام العقبة فك رقبة، قاله الزجاج.

الثاني: معناه فلم يقتحم العقبة إلا مَنْ فكَّ رقبة أو أطعم، قاله الأخفش.

ثم قال: ﴿وما أدْراكَ ما العَقَبَةُ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ ليعلمه اقتحام العقبة، ثم بين تعالى ما تقتحم به العقبة.

فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ فيه وجهان:

(٣٧٩) قال محقق المطبوعة هكذا في الأصل وربما كان الصواب خلاصه من تبعة الفرض أي الفريضة.

أحدهما: إخلاصها من الأسر.

الثاني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته، وسمي عتقاً فكها لأنه كفك الأسير من الأسر، قال حسان بن ثابت:

كم مِن أسيرٍ فككناه بلا ثَمنٍ وجَزّ ناصية كُنّا مَواليها

وروى عقبة بن عامر الجهني أن النبي عليه السلام قال(*): من أعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار.

ويحتمل ثالثاً: أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات، ولا يمنع الخبر من هذا التأويل، وهو أشبه بالصواب.

ثم قال تعالى: ﴿أو إطعامٌ في يومٍ ذي مَسْغَبَةٍ﴾ أي مجاعة، لقحط أو غلاء.

﴿يتيماً ذا مَقْرَبةٍ﴾ ويحتمل أن يريد ذا جوار.

﴿أو مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أن ذا المتربة هو المطروح على الطريق لا بيت له، قاله ابن عباس،

الثاني: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره، قاله مجاهد.

الثالث: أنه ذو العيال، قاله قتادة.

الرابع: أنه المديون، قاله عكرمة.

الخامس: أنه ذو زمانة، قاله أبو سنان.

السادس: أنه الذي ليس له أحد، قاله ابن جبير.

السابع: أن ذا المتربة: البعيد التربة، يعني الغريب البعيد عن وطنه، رواه عكرمة عن ابن عباس.

﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الذين آمَنوا وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالصبر على طاعة اللَّه، قاله الحسن.

الثاني: بالصبر على ما افترض اللَّه عليه، قاله هشام بن حسان.

الثالث: بالصبر على ما أصابهم، قاله سفيان.

(*) أخرجه الحاكم (٢/ ٢١١) من طريق الطيالسي وهو فيه (١٠٠٠) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد عن أبي موسى الأشعري وواثلة بن الاسقع أ هـ ووافقه الذهبي على التصحيح.

قلت: وفي سنده الحسن البصري وقد عنعنه.

ورواية الطيالسي سقط منها الحسن بن قتادة بن قيس الجذامى والله أعلم».

ويحتمل رابعاً: بالصبر على الدنيا وعن شهواتها.

﴿وتَواصَوْا بالمَرْحَمَةِ﴾ أي بالتراحم فيما بينهم، فرحموا الناس كلهم ويحتمل ثانياً: وتواصوا بالآخرة لأنها دار الرحمة، فيتواصوا بترك الدنيا وطلب الآخرة.

﴿أولئك أصحابُ المَيْمَنَةِ﴾ يعني الجنة، وفي تسميتهم أصحاب الميمنة أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم أُخذوا من شق آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: لأنهم أوتوا كتابهم بأيمانهم، قاله محمد بن كعب.

الثالث: لأنهم ميامين على أنفسهم، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: لأن منزلهم عن اليمين، قاله ميمون.

﴿والّذِين كَفَروا بآياتِنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالقرآن، قاله ابن جبير.

الثاني: هي جميع دلائل اللَّه وحُججه، قاله ابن كامل.

﴿هُمْ أصحابُ المشْأَمةِ﴾ يعني جهنم، وفي تسميتهم بذلك أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم أُخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: لأنهم أُوتوا كتابهم بشمالهم، قاله محمد بن كعب.

الثالث: لأنهم مشائيم على أنفسهم، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: لأن منزلهم عن اليسار، وهو مقتضى قول ميمون.

﴿عليهم نارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المؤصدة المطبقة، قاله ابن عباس وأبو هريرة وقتادة.

الثاني: مسدودة، قاله مجاهد.

الثالث: لها حائط لا باب له، قاله الضحاك.

سُورَةُ الشَّمْسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

مكية عند جميعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والشَّمْسِ وضُحاها﴾ هذان قسمان:

قَسَمٌ بالشمس، وقَسَم بضحاها، وفي ضحاها أربعة أوجه:

أحدها: هو إشراقها، قاله مجاهد.

الثاني: انبساطها، قاله اليزيدي.

الثالث: حرها، قاله السدي.

الرابع: هذا النهار، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنه ما ظهر بها من كل مخلوق، فيكون القسم بها وبالمخلوقات كلها.

﴿والقَمَرِ إذا تَلاها﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: إذا ساواها، قاله مجاهد.

الثاني: إذا تبعها، قاله ابن عباس.

وفي اتباعه لها ثلاثة أوجه:

أحدها: أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس يرى القمر عند سقوطها، قاله قتادة.

الثاني: الخامس عشر من الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس، قاله الطبري(٣٨٠).

الثالث: في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أنه خلفها في الليل، فكان له مثل ما لها في النهار لأن تأثير كل واحد منهما في زمانه، فللشمس النهار. وللقمر الليل.

﴿والنّهارِ إذا جَلّاها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أضاءها، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلي ظلمة الليل، قاله مجاهد.

الثاني: أظهرها، لأن ظهور الشمس بالنهار، ومنه قول قيس بن الخطيم(٣٨١):

تجلت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنّتْ بحاجب

ويحتمل ثالثاً: أن النهار جلّى ما في الأرض من حيوانها حتى ضهر لاستتاره ليلاً وانتشاره نهاراً.

﴿والليل إذا يَغْشاها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أظلمها، يعني الشمس، وهو مقتضى قول مجاهد.

الثاني: يسترها، ومنه قول الخنساء(٣٨٢):

أرْعَى النجومَ وما كُلِّفْتُ رِعْيَتَها وتارةً أتغشى فَضْلَ أطْماري

﴿والسّماءِ وما بَناها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والسماء وبنائها، قاله قتادة.

الثاني: معناه ومن بناها وهو اللّه تعالى، قاله مجاهد والحسن.

ويحتمل ثالثاً: والسماء وما في بنائها، يعني من الملائكة والنجوم، فيكون هذا

---

(٣٨٠) جامع البيان (٣٠/٢٠٨)

(٣٨١) القرطبي (٢٠/٧٤) فتح القدير (٥/٤٤٨).

(٣٨٢) اللسان رعى.

قَسَماً بما في السماءِ، ويكون ما تقدمه قسَماً بما في الأرض.

﴿والأَرْضِ وما طَحَاهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه بسَطها، قاله سفيان وأبو صالح.

الثاني: معناه قسَمها، قاله ابن عباس.

الثالث: يعني ما خلق فيها، قاله عطية العوفي، ويكون طحاها بمعنى خلقها، قال الشاعر(٣٨٣):

ومــا تَـدْري جــذيمــةُ مَنْ طحــاهــا ولا مـن ســاكنُ الـعَـرْشِ الـرّفيـع

ويحتمل رابعاً: أنه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز، لأنه حياة لما خلق عليها.

﴿ونَفْسٍ وما سَوَّاها﴾ في النفس قولان:

أحدهما: آدم، ومن سواها: اللّه تعالى، قاله الحسن.

الثاني: أنها كل نفس.

وفي معنى سواها على هذا القول وجهان:

أحدهما: سوى بينهم في الصحة، وسوى بينهم في العذاب جميعاً، قاله ابن جريج.

الثاني: سوى خلقها وعدل خلقها، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: سوّاها بالعقل الذي فضّلها به على جميع الحيوانات.

﴿فألْهَمَهَا فجُورَها وتَقْواها﴾ في «ألهمها» تأويلان:

أحدهما: أعلمها، قاله مجاهد.

الثاني: ألزمها(٣٨٤)، قاله ابن جبير.

وفي «فجورها وتقواها» ثلاثة تأويلات:

أحدها: الشقاء والسعادة، قاله مجاهد.

الثاني: الشر والخير، قاله ابن عباس.

الثالث: الطاعة والمعصية، قاله الضحاك.

---

(٣٨٣) فتح القدير (٥/٤٤٩) القرطبي (٢٠/٧٥).

(٣٨٤) يعني أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور فالخلق لله والإنسان له القدرة على الاختيار وسلوك أي الطريقين.

ويحتمل رابعاً: الرهبة والرغبة لأنهما داعيا الفجور والتقوى.

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس[٣٨٥] أن النبي عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية «**فألهمها فجورها وتقواها**» رفع صوته: اللهم آتِ نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وأنت خير من زكّاها.

﴿**قد أفْلَحَ مَن زكّاها**﴾ على هذا وقع القسم، قال ابن عباس: فيها أحد عشر قسماً.

وفيه وجهان: أحدهما: قد أفلح من زكّى اللّه نفسه بطاعة اللّه وصالح الأعمال.

الثاني: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة اللّه وصالح الأعمال.

وفي زكاها وجهان:

أحدهما: طهّرها، وهو قول مجاهد.

الثاني: أصلحها، وهو قول سعيد بن جبير.

﴿**وقد خابَ من دَسّاها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ما قضى وقد خاب من دسّى اللّه نفسه.

الثاني: من دسّى نفسه.

وفي «**دسّاها**» سبعة تأويلات:

أحدها: أغواها وأضلها، قاله مجاهد وسعيد بن جبير، لأنه دسّى نفسه في المعاصي، ومنه قول الشاعر[٣٨٦]:

وأنت الذي دَسّيْت عَمْراً فأصْبَحَتْ … حلائلهم فيهم أراملَ ضُيّعاً

الثاني: إثمها وفجورها، قاله قتادة.

الثالث: خسرها، قاله عكرمة.

---

(٣٨٥) وهذه رواية ابن أبي حاتم ونقلها ابن كثير (٤١٦/٤) وهذا سند ضعيف لأن فيها جويبر وهو متروك والضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ابن كثير قلت: وله طريق أخرى عن ابن عباس فيها ابن لهيعة رواها الطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧) إسناده حسن وزاد السيوطي في الدر (٥٢٩/٨) نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

ولحديث ابن عباس شاهد من حديث أبي هريرة رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥١٦/٨) وله شاهد أيضاً من حديث عائشة وزيد بن أرقم راجع الدر (٥٢٩/٨).

(٣٨٦) القرطبي (٧٧/٢٠) روح المعاني (١٤٣/٢٠) فتح القدير (٤٤٩/٥) اللسان «دسا» وفيه:

أنت الذي دسيت عمراً … فأصبحت نساؤهم فيهم أرامل ضيع

الرابع: كذبها، قاله ابن عباس.

الخامس: أشقاها، قاله ابن سلام.

السادس: جبنها في الخير، وهذا قول الضحاك.

السابع: أخفاها وأخملها بالبخل، حكاه ابن عيسى.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾

﴿كذَّبَتْ ثمودُ بِطَغْواها﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بطغيانها ومعصيتها، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: بأجمعها، قاله محمد بن كعب.

الثالث: بعذابها، قاله ابن عباس.

قالوا كان اسم العذاب الذي جاءها الطّغوى.

﴿فدمْـدم عليهم ربهم بذَنْبِهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه فغضب عليهم.

الثاني: معناه فأطبق عليهم.

الثالث: معناه فدمّر عليهم، وهو مثل دمدم، كلمة بالحبشية نطقت بها العرب.

﴿فسوّاها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسوى بينهم في الهلاك، قاله السدي ويحيى بن سلام.

الثاني: فسوّى بهم الأرض، ذكره ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: فسوّى مَن بعدهم مِنَ الأمم.

﴿ولا يخافُ عُقباها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا يخاف اللَّه عقبى ما صنع بهم من الهلاك، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع من عقرها، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: ولا يخاف صالح عقبي عقرها، لأنه قد أنذرهم ونجاه اللَّه تعالى حين أهلكهم.

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ
﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾

قوله تعالى ﴿واللَّيلِ إذا يغْشَى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا أظلم، قاله مجاهد.

الثاني: غطى وستر، قاله ابن جبير.

الثالث: إذا غشي الخلائق فعّمهم وملأهـم، قاله قتادة، وهذا قَسَم.

﴿والنّهارِ إذا تَجلّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا أضاء، قاله مجاهد.

الثاني: إذا ظهر، وهو مقتضى قول ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: إذا أظهر ما فيه من الخلق، وهذا قسم ثانٍ.

﴿وما خلَق الذّكرَ والأُنثى﴾ قال الحسن: معناه والذي خلق الذكر والأنثى[٣٨٧] فيكون هذا قسماً بنفسه تعالى.

ويحتمل ثانياً: وهو أشبه من قول الحسن أن يكون معناه وما خلق من الذكر

(٣٨٧) وإلى هذا القول ذهب الشوكاني (٥/٤٥٢).

والأنثى، فتكون «من» مضمرة المعنى محذوفة اللفظ، وميزهم بخلقهم من ذكر وأنثى عن الملائكة الذين لم يخلقوا من ذكر وأنثى، ويكون القسم بأهل طاعته من أوليائه وأنبيائه، ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفاً.

وفي المراد بالذكر والأنثى قولان:

أحدهما: آدم وحواء، حكاه ابن عيسى.

الثاني: من كل ذكر وأنثى.

فإن حمل على قول الحسن فكل ذكر وأنثى من آدمي وبهيمة، لأن اللّه خلق جميعهم.

وإن حمل على التخريج الذي ذكرت أنه أظهر، فكل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية اللّه وطاعته، وهذا قسم ثالث:

﴿إنّ سَعْيَكم لشَتّى﴾ أي مختلف، وفيه وجهان:

أحدهما: لمختلف الجزاء، فمنكم مثاب بالجنة، ومنكم معاقب بالنار.

الثاني: لمختلف الأفعال، منكم مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ومطيع وعاص.

ويحتمل ثالثاً: لمختلف الأخلاق، فمنكم راحم وقاس، وحليم وطائش، وجواد وبخيل، وعلى هذا وقع القسم.

وروى ابن مسعود(٣٨٨) أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي اللّهٰ عنه، وفي أمية وأُبَي ابني خلف حين عذّبا بلالاً على إسلامه، فاشتراه أبو بكر. ووفى ثمنه بردةً وعشر أواقٍ، وأعتقه للّه تعالى، فنزل ذلك فيه.

﴿فأمّا من أَعْطَى واتّقَى﴾ قال ابن مسعود يعني أبا بكر.

وفي قوله «أعطى» ثلاثة أوجه:

أحدها: من بذل ماله، قاله ابن عباس.

الثاني: اتقى محارم اللّه التي نهى عنها، قاله قتادة.

الثالث: اتقى البخل، قاله مجاهد.

﴿وصَدَّق بالحُسْنَى﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: بتوحيد اللّه، وهو قول لا إله إلا اللّهٰ، قاله الضحاك.

---

(٣٨٨) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود كما في الدر (٨/ ٥٣٤).

الثاني : بموعود اللّه، قاله قتادة.

الثالث: بالجنة، قاله مجاهد.

الرابع : بالثواب، قاله خصيف.

الخامس: بالصلاة والزكاة والصوم، قاله زيد بن أسلم.

السادس: بما أنعم اللّه عليه، قاله عطاء.

السابع : بالخلف من عطائه، قاله الحسن، ومعاني أكثرها متقاربة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما: للخير، قاله ابن عباس.

الثاني : للجنة، قاله زيد بن أسلم.

ويحتمل ثالثاً : فسنيسر[٣٨٩] له أسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها.

﴿وأمّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغنَى﴾ قال ابن مسعود: يعني بذلك أُمية وأبيّاً ابني خلف.

وفي قوله «بخل» وجهان :

أحدهما: بخل بماله الذي لايبقى، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني : بخل بحق اللّه تعالى، قاله قتادة.

«واستغنى» فيه وجهان :

أحدهما: بماله، قاله الحسن.

الثاني : عن ربه، قاله ابن عباس.

﴿وكَذَّبَ بالحُسْنَى﴾ فيه التأويلات السبعة[٣٩٠].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى﴾ فيه وجهان :

أحدهما: للشر من اللّه تعالى، قاله ابن عباس.

الثاني : للنار، قاله ابن مسعود.

ويحتمل ثالثاً: فسنعسر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها فعند نزول هاتين الآيتين يروي قتادة عن خليد عن أبي الدرداء أن[٣٩١] رسول اللّه ﷺ

(٣٨٩) وهذا يدل على أن للإنسان مشيئة واختيار وإراده وأن العمل لا ينافي القدر السابق.

(٣٩٠) يعني المتقدم ذكرها في قوله «وصدق بالحسنى».

(٣٩١) رواه البخاري (٣/٢٤١) ومسلم (١٠١٠) وأحمد (٥/١٩٧) من حديث أبي هريرة وأما حديث أبي الدرداء فقد رواه الطبري (٣٠/٢٢١).

قال: «ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا و ملكان يناديان: اللهم أعـط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً، ثم قرأ﴿فأما من أعطى واتقى﴾.

الآية والتي بعدها.

﴿وما يُغْنِي عنه ماله إذا تَرَدَّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا تردّى في النار، قاله أبو صالح وزيد بن أسلم.

الثاني: إذا مات فتردى في قبره، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل ثالثاً: إذا تردى في ضلاله وهوى في معاصيه.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا
الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ
﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ
يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

﴿إنّ علينا لَلْهُدَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن نبيّن سبل الهدى والضلالة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: بيان الحلال والحرام، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: علينا ثواب هداه الذي هدينا.

﴿وإنَّ لنا لَلآخِرةَ والأُولى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثواب الدنيا والآخرة، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: ملك الدنيا وملك الآخرة، قاله مقاتل.

ويحتمل ثالثاً: اللّه المُجازي في الدنيا والآخرة.

﴿فأنذَرْتُكم ناراً تَلظَّى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه تتغيظ، قاله الكلبي.

الثاني: تشتعل، قاله مقاتل.

الثالث: تتوهج(٣٩٢)، قاله مجاهد، وأنشد لعلّي رضي اللّه عنه:

(٣٩٢) ذكره البخاري معلقاً كما في الفتح (٨/٥٧٧) وجزم به ووصله الفريابي كما ذكر الحافظ.

كـأن الـمـلـح خـالـطه إذا مـا تـلظّى كـالـعـقـيـقـة فـي الـظلال

﴿لا يَصْلاها إلا الأشْقى﴾ أي الشقّي.

﴿الذي كذّب وتولّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذّب بكتاب اللّه وتولّى عن طاعة اللّهْ، قاله قتادة.

الثاني: كذّب الرسولَ وتولّى عن طاعته.

﴿وما لأَحَدٍ عْنِدَهُ مِنْ نِعْمةٍ تُجْزَى * إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأَعْلَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما لأحد عند اللّه تعالى من نعمة يجازيه بها إلا أن يفعلها ابتغاء وجه ربه فيستحق عليها الجزاء والثواب، قاله قتادة.

الثاني: وما لبلال عند أبي بكر حين اشتراه فأعتقه من الرق وخلّصه من العذاب نعمةٌ سلفت جازاه عليهابذلك إلا ابتغاء وجه ربه وعتقه، قاله ابن عباس وابن مسعود.

﴿ولَسوفَ يَرْضَى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يرضى بما أعطيه لسعته.

الثاني: يرضى بما أعطيه لقناعته، لأن من قنع بغير عطاء كان أطوع للـه.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

قوله تعالى ﴿والضُّحى﴾ هو قَسَمٌ، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي.

الثاني: أنه صدر النهار، قاله قتادة.

الثالث: هو طلوع الشمس، قاله قطرب.

الرابع: هو ضوء النهار في اليوم كله، مأخوذ من قولهم ضحى فلان الشمس، إذا ظهر لها، قاله مجاهد، والاشتقاق لعلي بن عيسى.

﴿والليلِ إذا سَجى﴾ وهو قَسَم ثان، وفيه خمسة تأويلات:

أحدها: إذا أقبل، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

الثالث: إذا استوى، قاله مجاهد.

الرابع: إذا ذهب، قاله ابن حنظلة عن ابن عباس.

الخامس: إذا سكن الخلق فيه، قاله عكرمة وعطاء وابن زيد، مأخوذ من قولهم سجى البحر إذا سكن، وقال الراجز[٣٩٣]:

يا حبذا القمراءُ والليلِ الساج وطُرُقٌ مِثْلُ ملاءِ النسّاج

﴿ما ودَّعَكَ ربُّكَ وما قَلَى﴾ اختلف في سبب نزولها، فروى الأسود بن قيس[٣٩٤] عن جندب أن رسول اللّٰه ﷺ رُمي بحجر في إصبعه فدميت، فقال:

هل أنت إلّا أصبعٌ دَميتِ وفي سبيل اللّٰه ما لَقِيتِ

قال فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزل عليه: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾. وروى هشام عن عروة[٣٩٥] عن أبيه قال[٣٩٦]: أبطأ جبريل عن النبي ﷺ فجزع لذلك جزعاً شديداً، قالت عائشة: فقال كفار قريش: إنا نرى ربك قد قلاك، مما رأوا من جزعه، فنزلت: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾، وروى ابن جريج[٣٩٧] أن جبريل لبث عن النبي ﷺ اثني عشرة لِيلة فقال المشركون: لقد ودع محمداً ربُّه، فنزلت: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

وفي «وَدَّعَك» قراءتان:

أحدهما: قراءة الجمهور ودّعك بالتشديد، ومعناها: ما اتقطع الوحي عنك توديعاً لك.

والثانية: بالتخفيف[٣٩٨]، ومعناها: ما تركك إعراضاً عنك.

«وما قلى» أي ما أبغضك، قال الأخطل:

---

(٣٩٣) رواه الطبري (٣٠/٢٣٠) ونسبهما الزجاج للحارث، الكامل(١/١٦) والقرطبي (٢٠/٩١) اللسان سجى.

(٣٩٤) رواه الترمذي (٣٣٤٥): وصححه والطبري (٣٠/٢٣١)بنحوهمختصراً وابن أبي حاتم واللفظ له كما في الدر (٨/٥٤٠).

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٥٢٢) بعد أن أورده من رواية ابن أبي حاتم«وحق له هذاالكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة.

(٣٩٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب هشام بن عروة عن أبيه والتصويب من الطبري (٣٠/٢٣٢) وابن كثير (٤/٥٢٢).

(٣٩٦) رواه الطبري (٣٠/٢٣٢).

(٣٩٧) وهذا من مراسيل ابن جريج.

(٣٩٨) وهي قراءة عمر بن الخطاب وأنس وعروة وأبي العالية وابن يعمر وابن أبي عبلة وأبي حاتم عن يعقوب زاد المسير (٩/١٥٧).

المهْـديـات لـمن هــويـن نسيئـةً   والـمحْسِنـات لـمن قَلَيْنَ مـقـيـلا

﴿ولَلآخرةُ خيرٌ لك مِنَ الأُولى﴾ روى ابن عباس قال[٣٩٩]: عرض على رسول اللّٰه ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده، فسُرَّ بذلك، فأنزل اللّٰه تعالى: «وللآخرة خير لك من الأُولى» الآية.

وفي قوله﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ وجهان:

أحدهما: وللآخرة خير لك مما أعجبك في الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن مآلك في مرجعك إلى اللّٰه تعالى أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا، قاله ابن شجرة.

﴿ولسوف يُعْطيك ربُّك فَتَرْضَى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعطيك من النصر في الدنيا، وما يرضيك من إظهار الدين.

الثاني: يعطيك المنزلة في الآخرة، وما يرضيك من الكرامة.

﴿ألَمْ يَجِدْك يتيماً فآوَى﴾ واليتيم بموت الأب، وقد كان رسول اللّٰه ﷺ فقد أبويه وهو صغير، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات فكفله عمه أبو طـالـب، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد يتم الأبوة بموت من فقده من أبويه، فعلى هذا في قوله تعالى «فآوى» وجهان:

أحدهما: أي جعل لك مأوى لتربيتك، وقيّماً يحنو عليك ويكفلك وهـو أبو طالب بعد موت عبد اللّٰه وعبد المطلب، قاله مقاتل.

الثاني: أي جعل لـك مأوى نفسـك، وأغناك عن كفـالة أبي طـالـب، قالـه الكلبي.

والوجه الثاني: أنه أراد باليتيم الذي لا مثيـل له ولا نـظير، مـن قـولهم درة يتيمــة، إذا لم يكن لها مثيل، فعلى هذا في قوله «فآوى» وجهان:

أحدهما: فآواك إلى نفسه واختصك برسالته.

---

(٣٩٩) رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير وفي إسناد الأوسط معاوية بن أبي العباس قال الهيثمي لم أعرفه المجمع (١٣٩/٧) وأما إسناد الكبير فحسنه ورواه الطبري بنحوه (٢٣٢/٣٠) والحاكم (٥٢٦/٢) وصحح سنده ابن كثير (٥٢٢/٤).

الثاني: أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيماً، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولاً، تذكيراً بنعمه عليه، وهو محتمل.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه، قاله ابن عيسى.

الثاني: ووجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها، قاله الطبري(٤٠٠).

الثالث: ووجد قومك في ضلال فهداك إلى إرشادهم، وهذا معنى قول السدي.

الرابع: ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها.

الخامس: ووجدك ناسياً فأذكرك، كما قال تعالى: ﴿أن تَضِل إحداهما﴾.

السادس: ووجدك طالباً القبلة فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى الطلب، لأن الضال طالب.

السابع: ووجدك متحيراً في بيان ما نزل عليك فهداك إليه، فيكون الضلال بمعنى التحير، لأن الضال متحير.

الثامن: ووجدك ضائعاً في قومك فهداك إليه، ويكون الضلال بمعنى الضياع، لأن الضال ضائع.

التاسع: ووجدك محباً للهداية فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى المحبة، ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا تاللّه إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي في محبتك، قال الشاعر:

هذا الضلال أشاب مِنّي المفرقا ... والعارِضَيْن ولم أكنْ مُتحقّقاً

عَجَباً لِعَزّةَ في اختيارِ قطيعتي ... بعد الضّلالِ فحبْلُها قد أخْلقاً

وقرأ الحسن: ووجدَك ضالٌّ فهُدِي، أي وجَدَكَ الضالُّ فاهتدى بك،

﴿ووجَدَكَ عائلاً فأغْنَى﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: وجدك ذا عيال فكفاك، قاله الأخفش، ومنه قول جرير(٤٠١):

اللّه أنْزَلَ في الكتابِ فَرِيضةً ... لابن السبيل وللفقير العائلِ

الثاني: فقيراً فيسَّر لك، قاله الفراء، قال الشاعر(٤٠٢):

(٤٠٠) جامع البيان (٢٣٢/٣٠).

(٤٠١) القرطبي (٩٩/٢٠) فتح القدير (٤٥٨/٥) روح المعاني (١٦٣/٣٠).

(٤٠٢) وهو أحيحة بن الجلاح الأوسي والبيت في معاني القرآن للفراء (٢٥٥/١) الطبري

وما يَـدْري الـفـقـيـرُ متى غـنـاه   وما يَـدْري الـغـنـيُّ مـتى يَـعـيـلُ

أي متى يفتقر.

الثالث: أي وجدك فقيراً من الحُجج والبراهين، فأغناك بها.

الرابع: ووجدك العائلُ الفقير فأغناه اللّهُ بك، روي أن النبي(٤٠٣) ﷺ قال بصوته الأعلى ثلاث مرات: «يَمُنّ ربي عليّ وهو أهلُ المَنّ».

﴿فأمّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: فلا تحقر، قاله مجاهد.

الثاني: فلا تظلم، رواه سفيان.

الثالث: فلا تستذل، حكاه ابن سلام.

الرابع: فلا تمنعه حقه الذي في يدك، قاله الفراء.

الخامس: ما قاله قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم، وهي في قراءة ابن مسعود: فلا تكْهَر، قاله أبو الحجاج: الكهر الزجر.

روى أبو عمران الجوني عن أبي هريره أن رجلاً(٤٠٤)شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه، فقال: «إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطْعِم المسكينَ».

﴿وأمّا السائلَ فلا تَنْهَر﴾ في رده إن منعته، ورُدّه برحمة ولين، قاله قتادة.

الثاني: السائل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجِبْهُ برفق ولين، قاله سفيان.

﴿وأمّا بِنَعْمةِ ربِّكَ فحدِّثْ﴾ في هذه النعمة ثلاثة تأويلات:

أحدها: النبوة، قاله ابن شجرة، ويكون تأويل قوله فحدث أي ادعُ قومك.

الثاني: أنه القرآن، قاله مجاهد، ويكون قوله: فحدث أي فبلّغ أمتك.

الثالث: ما أصاب من خير أو شر، قاله الحسن.

«فحدث» فيه على هذا وجهان:

أحدهما: فحدّث به الثقة من إخوانك، قاله الحسن.

الثاني: فحدِّث به نفسك، وندب إلى ذلك ليكون ذِكرها شكراً.

(٥٤٩/٧)(٢٣٣/٣٠) والقرطبي (٩٩/٢٠) مجاز القرآن (٣٠٢/٢) اللسان (عيل) فتح القدير (٤٥٨/٥).

(٤٠٣) رواه ابن مردويه والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر (٥٤٤/٨).

(٤٠٤) رواه أحمد (٢٦٣/٢).

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

مكية بالإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ
﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

قوله تعالى **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لك صَدْرَكَ﴾** وهذا تقرير من اللّه تعالى لرسوله ﷺ عند انشراح صدره لما حمله من نبوّته.

وفي «**نشرح**» وجهان:

أحدهما: أي أزال همك منك حتى تخلو لما أُمِرت به.

الثاني: أي نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته عنه فلا يضيق، ومنه تشريح اللحم لأنه فتحه لتقديده.

وفيما شرح صدره ثلاثة أقاويل:

أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس.

الثاني: بأن ملىء حكمة وعلماً، قاله الحسن.

الثالث: بما منّ عليه من الصبر والاحتمال، قاله عطاء.

ويحتمل رابعاً: بحفظ القرآن وحقوق النبوّة.

﴿ووَضَعْنا عنك وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وغفرنا لك ذنبك، قاله مجاهد، وقال قتادة: كان للنبي ذنوب أثقلته فغفرها اللّٰه تعالى له.

الثاني: وحططنا عنك ثقلك، قاله السدي. وهي في قراءة ابن مسعود: وحللنا عنك وِقرك.

الثالث: وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحيُ وأنت مطهر من الأدناس.

ويحتمل رابعاً: أي أسقطنا عنك تكليف ما لم تُطِقْه، لأن الأنبياء وإن حملوا من أثقال النبوة ما يعجز عنه غيرهم من الأمة فقد أعطوا من فضل القوة ما يستعينون به على ثقل النبوة، فصار ما عجز عنه غيرهم ليس بمطاق.

﴿الذي أنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقل ظهرك، قاله ابن زيد كما ينقض البعير من الحمل الثقيل حتى يصير نِقْضاً.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أثقل ظهره بالذنوب حتى غفرها.

الثاني: أثقل ظهره بالرسالة حتى بلّغها.

الثالث: أثقل ظهره بالنعم حتى شكرها.

﴿ورَفَعْنا لك ذِكْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ورفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا.

الثالث: أن تذكر معي إذا ذكرت، روى أبو سعيد الخدري(٤٠٥) عن النبي ﷺ أنه قال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن اللّٰه تعالى يقول أتدري كيف رفعْت ذكرك؟ فقال: اللّٰه أعلم، فقال: إذا ذُكرتُ ذكِرْتَ، قاله قتادة: رفع اللّٰه ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب يخطب ولا يتشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي:

أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمداً رسول اللّٰه.

﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾ فيه وجهان:

(٤٠٥) رواه ابن جرير (٣٠/٢٣٥) وسنده ضعيف.
وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٥٩) نسبته لابن مردويه وابن المنذر وأبي نعيم في الدلائل وأبي يعلى.

أحدهما: إن مع اجتهاد الدنيا خير الآخرة.

الثاني: إن مع العسر الشدة رخاء، ومع الصبر سعة، ومع الشقاوة سعادة، ومع الحزونة سهولة.

ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن مع العسر يسراً عند الله ليفعل منهما ما شاء.

الثاني: إن مع العسر في الدنيا يسراً في الآخرة.

الثالث: إن مع العسر لمن بُلي يسراً لمن صبر واحتسب بما يوفق له من القناعة أو بما يعطى من السعة.

قال ابن مسعود[٤٠٦]: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حَجَرٍ لطلبه اليسر حتى يدخل عليه «ولن يغلب عسْرٌ يُسْرَين».

وإنما كان العسر في الموضعين واحداً، واليسر اثنين، لدخول الألف واللام على العسر، وحذفها من اليسر.

وفي تكرار «مع العسر يسرا» وجهان:

أحدهما: ما ذكرنا من إفراد العسر وتثنية اليسر، ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر، قاله ثعلب.

الثاني: للإطناب والمبالغة، كما قالوا في تكرار الجواب فيقال بلى بلى، لا لا، قاله الفراء وقال الشاعر[٤٠٧]:

همممتُ بِنَفسيَ بَعْضَ الهُموم ... فأَوْلَى لنفْسِيَ أَوْلَى لها.

﴿فإذا فَرَغتَ فانْصَبْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب من قيام الليل، قاله ابن مسعود.

الثاني: فإذا فرغت من صلاتك فانصب في دعائك، قاله الضحاك.

---

(٤٠٦) ورد هذا الحديث موصولاً ومرسلاً.
ورواية المؤلف هنا أخرجها عبد بن حميد وسندها جيد كما قال الحافظ في الفتح (٥٨٣/٨) وزاد السيوطي في الدر (٥٥١/٨) نسبته لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤٠٧) هي الخنساء وتقدم تخريج هذا البيت في سورة القيامة.

الثالث: فإذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك، قاله الحسن وقتادة.

الرابع: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً خامساً: فإذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدّوك.

﴿وإلى ربِّكَ فارْغَبْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فارغب إليه في دعائك، قاله ابن مسعود.

الثاني: في معونتك.

الثالث: في إخلاص نيتك، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: فارغب إليه في نصرك على أعدائك.

سورة التين

ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: هي مدنية.

قوله تعالى ﴿والتِّينِ والزَّيْتُونِ﴾ هما قَسَمان، وفيهما ثمانية تأويلات:

أحدها: أنهما التين والزيتون المأكولان، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد.

الثاني: أن التين دمشق، والزيتون بيت المقدس، قاله كعب الأحبار وابن زيد(٤٠٨).

الرابع: أن التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس، قاله الحارث وابن زيد.

الخامس: الجبل الذي عليه التين، والجبل الذي عليه الزيتون، قاله ابن قتيبة، وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما طور زيتا، وللآخر طور تيناً، وهو تأويل الربيع.

(٤٠٨) لاحظ أن التأويل الثالث لم يذكر.
والأولى تفسير الآية على ظاهرها لأنه لا دليل على صرفها عن ظاهرها واختار ابن جرير (٢٣٨/٣٠) القول الأول وهو الصواب.

وحكى ابن الأنباري أنهما جبلان بين حلوان وهمدان، وهو بعيد.

السادس: أن التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد ايليا، قاله محمد بن كعب.

السابع: أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس، قاله ابن عباس.

الثامن: أنه أراد بهما نعم اللّٰه تعالى على عباده التي منها التين والزيتون، لأن التين طعام، والزيتون إدام.

﴿وطورِ سِينينَ﴾ وهو قَسَم ثالث وفيه قولان:

أحدهما: أنه جبل بالشام، قاله قتادة.

الثاني: أنه الجبل الذي كلم اللّٰه تعالى عليه موسى عليه السلام، قاله كعب الأحبار.

وفي قوله «**سينين**» أربعة أوجه:

أحدها: أنه الحسن بلغة الحبشة، ونطقت به العرب، قاله الحسن وعكرمة.

الثاني: أنه المبارك، قاله قتادة.

الثالث: أنه اسم البحر(٤٠٩)، حكاه ابن شجرة.

الرابع: أنه اسم للشجر الذي حوله، قاله عطية.

﴿وهذا البلدِ الأمينِ﴾ يعني بالبلد مكة وحرمها، وفي الأمين وجهان:

أحدهما: الآمن أهله من سبي أو قتل، لأن العرب كانت تكف عنه في الجاهلية أن تسبي فيه أحداً أو تسفك فيه دماً.

الثاني: يعني المأمون على ما أودعه اللّٰه تعالى فيه من معالم الدين، وهذا قَسَم رابع.

﴿لقد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ وفي المراد بالإنسان هاهنا قولان:

أحدهما: أنه أراد عموم الناس، وذكر الإنسان على وجه التكثير لأنه وصفه بما يعم لجميع الناس.

الثاني: أنه أراد إنساناً بعينه عناه بهذه الصفة، وإن كان صفة الناس.

(٤٠٩) هكذا في الأصل ولعل الصواب الجبل.

واختلف فيمن أراده اللّٰه تعالى، على خمسة أوجه:

أحدها: أنه عنى كلدة بن أسيد، قاله ابن عباس.

الثاني: أبا جهل، قاله مقاتل(*).

الخامس: أنه عنى رسول اللّٰه ﷺ.

وفي قوله ﴿في أَحْسَنِ تقْويمٍ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: في أعدل خلق(٤١٠)، قاله ابن عباس.

الثاني: في أحسن صورة، قاله أبو العالية.

الثالث: في شباب وقوة، قاله عكرمة.

الرابع: منتصب القامة، لأن سائر الحيوان مُنْكَبٌّ غير الإنسان، فإنه منتصب، وهو مروي عن ابن عباس.

ويحتمل خامساً: أي في أكمل عقل، لأن تقويم الإنسان بعقله، وعلى هذا وقع القَسَم.

﴿ثم ردَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، قاله الضحاك والكلبي، ويكون أسفل بمعنى بعد التمام.

الثاني: بعد الكفر، قاله مجاهد وأبو العالية، ويكون أسفل السافلين محمولاً على الدرك الأسفل من النار.

ويحتمل ثالثاً: إلى ضعف التمييز بعد قوّته.

﴿فلهم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: غير منقوص، قاله ابن عباس، وقال الشاعر:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... ...

الثاني: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثالث: غير مكدر بالمنّ والأذى، قاله الحسن.

الرابع: غير مقطوع، قاله ابن عيسى.

(*) لاحظ أن الوجهين الثالث والرابع غير مذكورين فلقد سقطا من الأصل.

(٤١٠) رواه ابن المنذر عنه بسند حسن كما قال الحافظ في الفتح (٨/٥٨٤).

الخامس: أجر بغير عمل، قاله الضحاك.

وحكي أن من بلغ الهرم كتب له أجر ما عجز عنه من العمل الصالح.

السادس: أن لا يضر كل أحد منهم ما عمله في كبره، قاله ابن مسعود.

﴿فما يُكذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حكم اللَّه تعالى، قاله ابن عباس.

الثاني: الجزاء، ومنه قول الشاعر(٤١١):

دِنّـا تـميـمـاً كمـا كـانـت أوائلُنـا   دانَـتْ أوائلَهـم في سـالـفِ الـزَّمَـنِ

﴿أليْسَ اللَّهُ بأحْكَمِ الحاكِمينَ﴾ وهذا تقرير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم، وفيه وجهان:

أحدهما: بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً، قاله ابن عيسى.

الثاني: أحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق وفيه مضمر محذوف، وتقديره: فلِمَ ينكرون مع هذه الحال البعث والجزاء.

وكان عليّ رضي اللَّه عنه إذا قرأ **﴿أليس اللَّه بأحكم الحاكمين﴾** قال: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ونختار ذلك.

(٤١١) القرطبي (٢٠/١١٩) فتح القدير (٥/٤٦٦).

سُورَةُ العَلَق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿اقرأ باسْمِ ربِّك الذي خَلَقَ﴾ روي عن عبيد بن عمير[٤١٢] قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ أول ما أتاه بنمط فغطه فقال: اقرأ، فقال: واللّهٰ ما أنا بقارىء، فغطّه ثم قال: اقرأ، فقال: واللّهٰ ما أنا بقارىء، فغطه غطاً شديداً ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلَقَ﴾ أي استفتح قراءتك باسم ربك الذي خلق وإنما قال الذي خلق لأن قريشاً كانت تعبد آلهة ليس فيهم خالق غيره تعالى، فميّز نفسه بذلك ليزول عنه الالتباس.

روت عائشة[٤١٣] رضي اللّه عنها أنها أول سورة نزلت على رسول اللّه ﷺ ثم بعدها «نون والقلم»، ثم بعدها «يا أيها المدثر» ثم بعدها «والضحى».

﴿خلَقَ الإنسان مِنْ علَقٍ﴾ يريد بالإنسان جنس الناس كلهم، خلقوا من علق بعد النطفة، والعلق جمع علقة، والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق

(٤١٢) وهذا السياق رواه ابن إسحق في السيرة (١/٢٥٣).
ورواه البخاري (٨/٥٨٥) والطبري (٣٠/٢٥١) وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٤١٣) رواه ابن الأنباري عنها في كتاب المصاحف كما في الدر (٨/٥٦٢).

لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقة، قال الشاعر[٤١٤]:

تركْناه يخرُّ على يديْه   يَمُجُّ عليهما عَلَقَ الوتين

ويحتمل مراده بذلك وجهين:

أحدهما: أن يبين قدر نعمته على الإنسان بأن خلقه من علقة مهيئة حتى صار بشراً سوياً وعاقلاً متميزاً.

الثاني: أنه كما نقل الإنسان من حال إلى حال حتى استكمل، كذلك نقلك من الجهالة إلى النبوة حتى تستكمل محلها.

﴿اقْرَأ وربُّكَ الأكْرَمُ﴾ أي الكريم.

ويحتمل ثانياً: اقرأ بأن ربك هو الأكرم، لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على نعمة كرمه. قال إبراهيم بن عيسى اليشكري: من كرمه أن يرزق عبده وهو يعبد غيره.

﴿الذي علّمَ بالقَلَمِ﴾ أي عَلّم الكاتب أن يكتب بالقلم، وسمي قلماً لأنى يقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر.

وروى مجاهد عن ابن عمر قال: خلق اللّه تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان، القلم والعرش وجنة عدن وآدم.

وفيمن علمه بالقلم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أراد آدم عليه السلام، لأنه أول من كتب، قاله كعب الأحبار.

الثاني: إدريس وهو أول من كتب، قاله الضحاك.

الثالث: أنه أراد كل من كتب بالقلم، لأنه ما علم إلا بتعليم اللّه له، وجمع بذلك بين نعمته تعالى عليه في خلقه وبين نعمته تعالى عليه في تعليمه استكمالاً للنعمة عليه.

﴿علَّمَ الإنسانَ مالم يَعْلَمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الخط بالقلم، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: علمه كل صنعة علمها فتعلم، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: علمه من حاله في ابتداء خلقه ما يستدل به على خلقه وأن ينقله من بعد على إرادته.

---

(٤١٤) القرطبي (٢٠/١١٩).

كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾
عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾
أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ
نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

﴿كلا إنّ الإنسانَ لَيطْغَى﴾ في «**كلا**» هاهنا وجهان:

أحدهما: أنه ردّ وتكذيب، قاله الفراء.

الثاني: أنه بمعنى إلا، وكذلك **﴿كلا سوف يعلمون﴾**، قاله أبو حاتم السجستاني.

وفي قوله «**ليطغى**» أربعة أوجه:

أحدها: معناه ليعصي، قاله مجاهد.

الثاني: ليبطر، قاله الكلبي.

الثالث: ليرتفع من منزلة إلى منزلة، قاله السدي.

الرابع: ليتجاوز قدره، ومنه قوله تعالى **﴿إنّا لما طَغَى الماءُ﴾**. قاله ابن شجرة.

﴿أنْ رآه اسْتَغْنَى﴾ أي عن ربه، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثانياً: استغنى بماله وثروته، وقال الكلبي: نزلت في أبي جهل.

﴿إنّ إلى ربِّك الرُّجْعَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنتهى، قاله الضحاك.

الثاني: المرجع في القيامة.

ويحتمل ثالثاً: يرجعه الله إلى النقصان بعد الكمال، والى الموت بعد الحياة.

﴿أرَأيْتَ الذي يَنْهَى عَبْداً إذا صَلَّى﴾ نزلت في أبي جهل، روى أبو هريرة(٤١٥) أن أبا جهل قال: واللات والعزى لئن رأيت محمداً يصلّي بين أظهركم لأطأن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، ثم أتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ رقبته، فما فجأه منه

(٤١٥) رواه مسلم (٢٥١٤/٤) وابن جرير (٢٥٦/٣٠) والسياق له وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٦٥/٨) للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم.
وبنحوه رواه البخاري (١٥٧/٨) عن ابن عباس.

إلا وهو ينكص، أي يرجع على عقبيه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهواء وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

وروى الحسن[٤١٦] أن النبي ﷺ قال: «إنّ لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل».

وكانت الصلاة التي قصد فيها أبو جهل رسول الله صلاة الظهر. وحكى جعفر بن[٤١٧] محمد أن أول صلاة جماعة جمعت في الإسلام، يوشك أن تكون التي أنكرها أبو جهل، صلاها رسول الله ﷺ ومعه عليّ رضي الله عنه فمرّ به أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال: صل جناح ابن عمك، وانصرف مسروراً يقول:

إنَّ علـيّـاً وجـعـفـرا ثـقـتـي ... عـنـد مُـلِمِّ الـزمـان والـكُـرَبِ
والـلـه لا أخـذل الـنـبـيّ ولا ... يـخـذلـه مـن كـان ذا حَـسَـبِ
لا تـخذلا وانـصـرا ابـن عـمـكـما ... أخـي لأمي مـن بـنـيـهـم وأبـي

فسمع رسول الله ﷺ بذلك.

﴿أرأيْتَ إن كان على الهُدَى أو أمَرَ بالتّقْوَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني أبا جهل، ويكون فيه إضمار، وتقديره: ألم يكن خيراً له.

الثاني: هو النبي ﷺ كان على الهدى في نفسه، وأمر بالتقوى في طاعة ربه.

وفي قوله «أرأيْتَ» احتمال الوجهين:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ.

الثاني: خطاب عام له ولأمته، والمراد به على الوجهين هدايته، ويكون في الكلام محذوف، وتقديره: هكذا كان يفعل به.

﴿أرأيْتَ إن كَذَّبَ وَتَوَلّى﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: كذب بالله وتولى عن طاعته.

الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان.

ويحتمل ثالثاً: كذب بالرسول وتولى عن القبول.

---

(٤١٦) هذا من مراسيل الحسن وهي شبه الريح عندهم.

(٤١٧) هذا الأثر معضل.

﴿ألم يَعْلَمْ بأنَّ الله يَرَى﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: ألم تعلم يا محمد أن الله يرى أبا جهل؟

الثاني: ألم تعلم يا أبا جهل أن الله يراك؟

وفيه وجهان:

أحدهما: يرى عمله ويسمع قوله.

الثاني: يراك في صلاتك حين نهاك أبو جهل عنها.

ويحتمل ثالثاً: يرى ما همّ به أبو جهل فلا يمكنه من رسوله.

﴿كلا لئِن لم يَنْتَهِ لنسفعاً بالنَّاصِيةِ﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: يعني لنأخذن بناصيته، قاله ابن عباس، وهو عند العرب أبلغ في الاستذلال والهوان، ومنه قول الخنساء:

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنّون أنْ لن تُجَزَّا

الثاني: معناه تسويد الوجوه وتشويه الخلقة بالسفعة السوداء، مأخوذ من قولهم قد سفعته النار أو الشمس إذا غيرت وجهه إلى حالة تشويه، وقال الشاعر:(٤١٨)

أثافيَّ سُفْعاً مُعَرَّس مِرجلٍ ونُؤْياً كجِذم الحوضِ لم يَتَثَلَّمِ

والناصية شعر مقدم الرأس، وقد يعبّر بها عن جملة الإنسان، كما يقال هذه ناصية مباركة إشارة الى جميع الإنسان.

ثم قال: ﴿ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

﴿فلْيَدْعُ نادِيَهُ﴾ يعني أبا جهل، والنادي مجلس أهل الندى والجود ومعنى «فليدع نادية» أي فليدع أهل ناديه من عشيرة أو نصير.

﴿سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ﴾ والزبانية هم الملائكة من خزنة جهنم، وهم أعظم الملائكة خلقاً وأشدهم بطشاً، والعرب تطلق هذا الإسم على من اشتد بطشه، قال الشاعر(٤١٩):

---

(٤١٨) هو زهير بن أبي سلمى والبيت في القرطبي (١٢٥/٢٠) فتح القدير (٤٧٠/٥) واقتصر على الشطر الأول.

(٤١٩) القرطبي (١٢٦/٢٠) فتح القدير (٤٧٠/٥) روح المعاني (١٨٨/٣٠).

مَطاعيمُ في القُصْوى مَطاعينُ في الوَغى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلومها

﴿كلا لا تُطِعْهُ﴾ قال أبو هريرة: كلا لا تطع أبا جهل في أمره.

ويحتمل نهيه عن طاعته وجهين:

أحدهما: لا تقبل قوله إن داراك ولا رأيه إن قاربك.

الثاني: لا تجبه عن قوله، ولا تقابله على فعله، ومنه ما روي عن النبي[٤٢٠] ﷺ أنه قال: «اللهم لا تطع فينا مسافراً» أي لا تجب دعاءه لأن المسافر يدعو بانقطاع المطر فلو أجيبت دعوته لهلك الناس.

﴿واسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اسجد أنت يا محمد مصلياً، واقترب أنت يا أبا جهل من النار، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: اسجد أنت يا محمد في صلاتك لتقرب من ربك، فإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد له.

وروى جويبر عن الضحاك[٤٢١] عن ابن عباس قال: أنزل في أبي جهل أربع وثمانون آية، وأنزل في الوليد بن المغيرة مائة وأربع آيات، وأنزل في النضر بن الحارث اثنتان وثلاثون آية.

وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ في قول الأكثرين فقد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث، أوفاها ما رواه آدم ابن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق[٤٢٢] عن عطاء الخراساني قال: بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول، فكان أول ما نزل فيما بلغنا: «اقرأ باسم ربك» ثم «ن والقلم، المزمل، المدثر، تبّت، إذا الشمس كورت، سبّح اسم ربك، الليل، الفجر، الضحى، ألم نشرح، العصر، العاديات، الكوثر، ألهاكم، أرأيت، الكافرون، الفيل، الفلق، الإخلاص، النجم، عبس، القدر، والشمس، البروج، التين، لإيلاف،

---

(٤٢٠) لم أعثر عليه ولكنه ورد في حديث رواه ابو داود (١٥٣٦) وابن ماجه (٣٨٦٢) والبخاري في الأدب (٣٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً ثلاث دعوات مستجابات لهن لا شك في ذلك دعوة المظلوم ودعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر.

(٤٢١) وهذا الأثر لا يصح فجويبر متروك.

(٤٢٢) راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

القارعة، القيامة، الهُمزة، المرسلات، ق، البلد، الطارق، القمر، ص، الأعراف، قل أوحى، يس، الفرقان، الملائكة، مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص، بنو إسرائيل، يونس، هود، يوسف، الحجر، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ، الزمر، المؤمن، حم السجدة، عسق، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، نوح، إبراهيم، الأنبياء، قد أفلح، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، سأل سائل، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، المطففين.

فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة.

وكان فيما نزل بالمدينة البقرة، ثم الأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، سورة محمد، الرعد، الرحمن، هل أتى، الطلاق، لم يكن، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم(٤٢٣)، الجمعة، الصف، الفتح، المائدة، براءة.

فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة.

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته.

(٤٢٣) لاحظ أنه لم يذكر سورة التغابن وهي مدنية نزلت بعد التحريم.

سُورَةُ القَدْرِ

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

مكية في قول الأكثرين، ومدنية في قول الضحاك، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي.

الثاني: يعني القرآن؛ وفيه قولان:

أحدهما: ما روى ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته(٤٢٤) السفرة على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام.

---

(٤٢٤) هذا القول لا يصح فقد قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة.

القول الثاني:[٤٢٥] أن الله تعالى ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر، قاله الشعبي.

واختلف في ليلة القدر[٤٢٦] مع اتفاقهم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها في وتر العشر أوجد، إلا ابن عمر فإنه زعم أنها في الشهر كله.

فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري، وذهب أبيّ بن كعب وابن عباس إلى أنها في ليلة سبع وعشرين.

واختلف في الدليل، فاستدل أبيّ بأن النبي ﷺ قال:[٤٢٧] من علامتها أن تصبح الشمس لا شعاع لها، قال: وقد رأيت ذلك في صبيحة سبع وعشرين، واستدل ابن عباس بأن رسول الله ﷺ قال:[٤٢٨] سورة القدر ثلاثون كلمة فهي في قوله «سلام» و «هي» الكلمة السابعة والعشرون، فدل أنها فيها.

وقال آخرون: هي في ليلة أربع وعشرين للخبر المروي في تنزيل الصحف، وقال آخرون: إن الله تعالى ينقلها في كل عام من ليلة إلى أخرى ليكون الناس في جميع العشر مجتهدين، ولرؤيتها متوقعين.

وفي تسميتها ليلة القدر أربعة أوجه:

أحدها: لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن.

الثاني: لأن الله تعالى يقدر فيها أمور السنة، أي يقضيها، وهو معنى قول مجاهد.

الثالث: لعظم قدرها وجلالة خطرها، من قولهم رجل له قدر، ذكره ابن عيسى.

الرابع: لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً.

﴿وما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ تنبيهاً لرسول الله ﷺ على فضلها، وحثّاً له على العمل فيها، قال الشعبي: وليلتها كيومها، ويومها كليلتها.

---

(٤٢٥) وهو الصواب.

(٤٢٦) وقد وصل اختلافهم فيها الى ما يربو على العشرين قولاً اطلبها من مظانها كالفتح ونيل الأوطار.

(٤٢٧) رواه البخاري (٤/ ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤) ومسلم (٢/ ٨٢٤، ٨٢٦) من حديث عبد الله بنحوه.

(٤٢٨) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

قال الفراء: كل ما في القرآن من قوله تعالى: «**وما أدراك**» فقد أدراه، وما كان من قوله «**وما يدريك**» فلم يدره.

قال الضحاك: لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويقدر في غيرها البلايا والنقم، وقال عكرمة: كان ابن عباس يسمي ليلة القدر ليلة التعظيم، وليلة النصف من شعبان ليلة البراءة، وليلتي العيدين ليلة الجائزة.

﴿**ليلةُ القدْرِ خيرٌ من ألْفِ شَهْرٍ**﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: ليلة القدر خير من عمر ألف شهر، قاله الربيع.

الثاني: أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد.

الثالث: أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قاله قتادة.

الرابع: أنه كان رجل في بني إسرائيل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدوّ حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأخبر الله تعالى أن قيام ليلة القدر خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر، رواه ابن أبي نجيح ومجاهد.

الخامس: أن ملك سليمان كان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين كان خمسمائة شهر، فصار ملكهما ألف شهر، فجعل العمل في ليلة القدر خيراً من زمان ملكهما(٤٢٩).

﴿**تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها**﴾ قال أبو هريرة: الملائكة في ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى.

وفي «**الروح**» ها هنا أربعة أقاويل:

أحدها: جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: حفظة الملائكة، قاله ابن أبي نجيح.

الثالث: أنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله، قاله مقاتل.

الرابع: أنهم جند من جند الله من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً(٤٣٠).

(٤٢٩) لاحظ أنه لم يذكر القول السادس.

(٤٣٠) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس موقوفاً كما في الدر (٨/٣٩٩).

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص قولاً خامساً: أن الروح الرحمة تنزل بها الملائكة على أهلها، دليله قوله تعالى: ﴿**ينزّل الملائكة بالرُّوح من أمْره على من يشَاءُ من عباده**﴾ أي بالرحمة.

﴿**بإذْن ربِّهم**﴾ يعني بأمر ربهم.

﴿**مِن كل أمْرٍ**﴾ يعني يُقضى في تلك الليلة من رزق وأجل إلى مثلها من العام القابل.

وقرأ ابن عباس: من كل امرىء، فتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرىء مسلم.

﴿**سلامٌ هي حتى مطلع الفَجْر**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شـر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان، قاله مجاهد.

الثاني: أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة، قاله قتادة.

الثالث: أن الملائكة تسلم على المؤمنين في ليلة القدر إلى مطلع الفجر، قاله الكلبي.

سُورَةُ البَيِّنَة

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

مكية في قول يحيى بن سلام، وعند الجمهور مدنية وهو الصواب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ
(١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)

قوله تعالى **﴿لم يَكُنِ الَّذِينَ كفروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكِين مُنفكِّينَ﴾** معناه لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الأوثان من العرب، وغيرهم الذين ليس لهم كتاب..

«منفكين» فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لم يكونوا منتهين عن الشرك **﴿حتى تأتيهم البَيِّنَةُ﴾** حتى يتبين لهم الحق.

وهذا قول ثان: لم يزالوا مقيمين على الشرك والريبة حتى تأتيهم البينة، يعني الرسل، قاله الربيع.

الثالث: لم يفترقوا ولم يختلفوا أن الله سيبعث إليهم رسولاً حتى بعث الله محمداً ﷺ فاختلفوا وتفرقوا، فمنهم من آمن بربه، ومنهم من كفر، قاله ابن عيسى.

الرابع: لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله تعالى، حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها عليهم الحجة، قال امرؤ القيس:

إذا قُلْتُ أَنْفَكَّ مِن حُبِّها ... أبى عالقُ الحُبِّ إلا لُزوما

وفي «البيّنة» ها هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: القرآن، قاله قتادة.

الثاني: الرسول الذي بانت فيه دلائل النبوة.

الثالث: بيان الحق وظهور الحجج.

وفي قراءة أبيّ بن كعب: ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين، وفي قراءة ابن مسعود: لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين.

﴿رسولٌ مِن الله﴾ يعني محمداً.

﴿يَتْلُواْ صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن.

ويحتمل ثانياً: يتعقب بنبوته نزول الصحف المطهرة على الأنبياء قبله.

وفي ﴿مطهرة﴾ وجهان:

أحدهما: من الشرك، قاله عكرمة.

الثاني: مطهرة الحكم بحسن الذكر والثناء، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: لنزولها من عند الله.

﴿فيها كُتُبٌ قَيِّمةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها، وثبت فيه صدقها، حكاه ابن عيسى.

الثاني: يعني فروض الله العادلة، قاله السدي.

﴿وما تَفرَّقَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ يعني اليهود والنصارى.

﴿إلاّ مِن بَعْدِ ما جاءتْهم ٱلْبَيِّنَةُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القرآن، قاله أبو العالية.

الثاني: محمد ﷺ، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: البينة ما في كتبهم من صحة نبوته.

﴿وما أُمِروا إلاّ ليَعْبُدوا الله مُخْلِصينَ له الدِّينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مُقِرِّين له بالعبادة.

الثاني: ناوين بقلوبهم وجه الله تعالى في عبادتهم.

الثالث: إذا قال لا إله إلا الله أن يقول على أثرها «الحمد لله»، قاله ابن جرير.(٤٣١)

---

(٤٣١) جامع البيان (٢٦٣/٣٠) ولكن ليس فيه كما قال المؤلف هنا وهاك عبارة ابن جرير «يقول تعالى ذكره

ويحتمل رابعاً: إلا ليخلصوا دينهم في الإقرار بنبوته.

﴿حُنفاءَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: متبعين.

الثاني: مستقيمين، قاله محمد بن كعب.

الثالث: مخلصين، قاله خصيف.

الرابع: مسلمين، قاله الضحاك، وقال الشاعر: (٤٣٢)

أَخليفة الرحمنِ إنا مَعْشرٌ حُنفاءُ نسجُدُ بُكرةً وأَصيلاً

الخامس: يعني حجّاجاً، قاله ابن عباس؛ وقال عطية العوفي: إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد الحنيف كان معناه المسلم، وقال سعيد بن جبير: لا تسمي العرب الحنيف(٤٣٣) إلا لمن حج واختتن.

السادس: أنهم المؤمنون بالرسل كلهم، قاله أبو قلابة.

﴿ويُقيموا الصّلاةَ ويُؤْتُوا الزّكاةَ وذلكَ دينُ القَيِّمةِ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه وذلك دين الأمة المستقيمة.

الثاني: وذلك دين القضاء القيم، قاله ابن عباس.

الثالث: وذلك الحساب المبين، قاله مقاتل.

ويحتمل رابعاً: وذلك دين من قام لله بحقه

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

«وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين يقول مفردين له الطاعة لا يخلطون طاعتهم لربهم بشرك فأشركت اليهود بقولهم إن عزيراً ابن الله والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك وجحودهم نبوة محمد ﷺ.

(٤٣٢) هو الراعي النميري وسيأتي البيت في سورة الماعون: القرطبي (١٤/٢٠).

(٤٣٣) يعني أن يكون على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن ملته الختان والحج وهما من الكلمات التي ابتلاه الله بها.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

مدنية في قول ابن عباس وقتادة وجابر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ
يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قوله تعالى ﴿إذا زُلزِلت الأرض زِلزالها﴾ أي حركت الأرض حركتها، والزلزلة شدة الحركة، فيكون من زل يزل(٤٣٤).

وفي قوله ﴿زِلزالها﴾ وجهان:

أحدهما: لأنها غاية زلازلها المتوقعة.

الثاني: لأنها عامة في جميع الأرض، بخلاف الزلازل المعهودة في بعض الأرض.

وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد، ولمن يؤمن به إنذار وتحذير، واختلف في هذه الزلزلة على قولين: أحدهما: أنها في الدنيا من أشراط الساعة، وهو قول الأكثرين.

(٤٣٤) هكذا في الأصل ولعل الصواب فيكون من زلزل.

الثاني: أنها الزلزلة يوم القيامة، قاله خارجة بن زيد وطائفة.

﴿وأَخْرَجَتِ الأرضُ أَثْقَالَها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها:

الثاني: ما عليها من جميع الأثقال، وهذا قول عكرمة.

ويحتمل قول الفريقين(٤٣٥).

ويحتمل رابعاً: أخرجت أسرارها التي استودعتها، قال أبو عبيدة: إذا كان الثقل في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها.

﴿وقالَ الإنسانُ ما لَها﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما لها زلزلت زلزالها.

الثاني: ما لها أخرجت أثقالها.

وفي المراد بهذا «الإنسان» قولان:

أحدهما: أن المراد جميع الناس من مؤمن وكافر، وهذا قول من جعله في الدنيا من أشراط الساعة لأنهم لا يعلمون جميعاً أنها من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها، فلذلك سأل بعضهم بعضاً عنها.

الثاني: أنهم الكفار خاصة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة، لأن المؤمن يعترف بها فهو لا يسأل عنها، والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها.

﴿يومئذٍ تُحَدِّثُ أخْبارَها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، قاله أبو هريرة ورواه مرفوعاً(٤٣٦)، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة.

الثالث: تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها، قال ابن مسعود: فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى، وأن أمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل:

---

(٤٣٥) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث هنا فيحتمل قوله ويحتمل قول الفريقين هو القول الثالث.

(٤٣٦) رواه الترمذي (٤/١٧١) وقال حسن صحيح غريب والحاكم (٢/٥٣٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨/٥٩٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

أحدها: أن اللّٰه تعالى يقلبها حيواناً ناطقاً فتتكلم بذلك(٤٣٧).

الثاني: أن اللّٰه تعالى يُحدث الكلام فيها.

الثالث: يكون الكلام منها بياناً يقوم مقام الكلام.

﴿بأنَّ ربّك أوْحَى لَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أوحى إليها بأن ألهمها فأطاعت، كما قال العجاج: (٤٣٨)

أَوْحى لهـا القَـرارَ فـاسْتَقَرَّتِ وشَـدَّهـا بـالـراسِيـاتِ الثُّبَّتِ

الثاني: يعني قال لها، قاله السدي.

الثالث: أمرها، قاله مجاهد.

وفيما أوحى لها وجهان:

أحدهما: أوحى لها بأن تحدث أخبارها.

الثاني: بأن تخرج أثقالها.

ويحتمل ثالثاً: أوحى لها بأن تزلـزل زلزالها.

﴿يومئذٍ يَصْدُرُ الناسُ أَشْتاتاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة يصدرون من بين يدي اللّٰه تعالى فرقاً مختلفين في قدرهم وأعمالهم، فبعضهم إلى الجنة وهم أصحاب الحسنات، وبعضهم إلى النار وهم أصحاب السيئات، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنهم في الدنيا عند غلبة الأهواء يصدرون فرقاً، فبعضهم مؤمن، وبعضهم كافر، وبعضهم محسن، وبعضهم مسيء، وبعضهم محق، وبعضهم مبطل.

﴿لِيُرَوْا أَعْمالَهم﴾ يعني ثواب أعمالهم يوم القيامة.

ويحتمل ثالثاً: أنهم عند النشور يصدرون أشتاتاً من القبور على اختلافهم في الأمم والمعتقد بحسب ما كانوا عليه في الدنيا من اتفاق أو اختلاف ليروا أعمالهم في

---

(٤٣٧) لعل الصواب أنها تتكلم بكلام لا ندري كيفيته كما أخبرنا ربنا بذلك ولا أفضل من الوقوف عند هذا.

(٤٣٨) مجاز القرآن (٢/٣٠٦) القرطبي (٢٠/١٤٩) البحر المحيط (٨/٥٠١) روح المعاني (٣٠/١٠) اللسان وحى.

موقف العرض من خير أو شر فيجازون عليها بثواب أو عقاب، والشتات: التفرق والاختلاف، قال لبيد:

إنْ كُنْتِ تهْوِينَ الفِراقَ ففارقي لا خيرَ في أمْرِ الشتات

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾ في هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن معنى يَرَه أي يعرفْهُ.

الثاني: أنه يرى صحيفة عمله.

الثالث: أن يرى خير عمله ويلقاه.

وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يلقى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً، لأن الآخرة هي دار الجزاء.

الثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

وإن كان كافراً رأى جزاء حسناته في الدنيا، وجزاء سيئاته في الآخرة حتى يصير إليها وليس له حسنة، قاله طاووس.

ويحتمل ثالثاً: أنه جزاء ما يستحقه من ثواب وعقاب عند المعاينة في الدنيا ليوفاه في الآخرة.

ويحتمل المراد بهذه الآية وجهين:

أحدهما: إعلامهم أنه لا يخفى عليه صغير ولا كبير.

الثاني: إعلامهم أنه يجازي بكل قليل وكثير.

وحكى مقاتل بن سليمان أنها نزلت في ناس بالمدينة كانوا لا يتورعون من الذنب الصغير من نظرة أو غمزة أو غيبة أو لمسة، ويقولون إنما وعد اللَّه على الكبائر، وفي ناس يستقلون الكسرة والجوزة والثمرة ولا يعطونها، ويقولون إنما نجزى على ما نعطيه ونحن نحبه، فنزل هذا فيهم.

وروي أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أتى النبي[٤٣٩] ﷺ يستقرئه، فقرأ

(٤٣٩) رواه ابن المبارك في الزهد (ص٣٧) وأحمد (١١٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٥٩٥/٨) نسبته

عليه هذه الآية، فقال صعصعة: حسبي حسبي إن عملت مثقال ذرة خيراً رأيته، وإن عملت مثقال ذرة شراً رأيته.

وروى أبو أيوب الأنصاري[٤٤٠]: قال كان رسول اللّٰه ﷺ وأبو بكر رضي اللّٰه عنه يتغديان إذ نزلت هذه السورة، فقاما وأمسكا.

لعبد بن حميد والنسائي والطبراني وابن مردويه وقال الهيثمي في المجمع (١٤١/٧) رواه أحمد والطبراني مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح. قلت: رواه النسائي في التفسير كما في الإصابة (١٨٦/٢).

(٤٤٠) رواه ابن مردويه كما في الدر (٥٩٤/٨).

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا
﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى
ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿والعادِياتِ ضَبْحاً﴾ في العاديات قولان:

أحدهما: أنها الخيل في الجهاد، قاله ابن عباس وأنس والحسن، ومنه قول الشاعر[٤٤١]:

وطعنـةٍ ذاتِ رشـاشٍ واهيـهْ　　　طعنْتُهـا عند صـدور العـاديـهْ

يعني الخيل.

الثاني: أنها الإبل في الحج، قاله عليٌّ رضي اللّه عنه وابن مسعود[٤٤٢] ومنه قول صفية بنت عبد المطلب:

فـلا والعـاديـاتِ غَـداة جَمْـعٍ　　　بـأيـديهـا إذا صـدع الغبـار

(٤٤١) القرطبي (٢٠/١٥٤).

(٤٤٢) رواه سعيد بن منصور عنه بإسناد حسن كما في الفتح (٨/٥٩٩).

يعني الإبل، وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو، وهو تباعد الرجل في سرعة المشي؛ وفي قوله «ضبحاً» وجهان:

أحدهما: أن الضبح حمحمة الخيل عند العدو، قاله من زعم أن العاديات الخيل.

الثاني: أنه شدة النّفس عند سرعة السير، قاله من زعم أنها الإبل، وقيل إنه لا يضبح بالحمحمة(٤٤٣) في عدوه إلا الفرس والكلب، وأما الإبل فضبحها بالنفَس؛ وقال ابن عباس: ضبحها: قول سائقها أج أج؛ وهذا قَسَمٌ،

﴿فالموريات قَدْحاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع، قاله عطاء.

الثاني: أنها نيران الحجيج بمزدلفة، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنها نيران المجاهدين إذا اشتعلت فكثرت نيرانها إرهاباً، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها تهيج الحرب بينهم وبين عدوهم، قاله قتادة.

الخامس: أنه مكر الرجال، قاله مجاهد؛ يعني في الحروب.

السادس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة، وهو قَسَمٌ ثانٍ.

﴿فالمغيرات صُبْحاً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الخيل تغير على العدو صبحاً، أي علانية، تشبيهاً بظهور الصبح، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الإبل حين تعدو صبحاً من مزدلفة إلى منى، قاله عليّ رضي اللّه عنه.

﴿فأثَرْنَ به نَقْعاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: فأثرن به غباراً، والنقع الغبار، قاله قتادة، وقال عبداللّه بن رواحة: (٤٤٤):

(٤٤٣) وهو قول ابن عباس رواه سعيد بن منصور بإسناد حسن عنه كمال قال في الفتح.

(٤٤٤) والبيت لحسان في ديوانه: ١٩ وروح المعاني (٣٠/٢١٦).

عـدمت بُنَـيِّتـي إن لـم تَـروْهـا تـثيـر الـنقْـعَ مـن كـنـفـي كَـداءِ

الثاني: النقع ما بين مزدلفة إلى منى، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه بطن الوادي، فلعله يرجع إلى الغبار المثار من هذا الموضع.

﴿فَوَسَطْنَ به جَمْعاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: جمع العدو حتى يلتقي الزحف، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: أنها مزدلفة تسمى جمعاً لاجتماع الحاج بها وإثارة النقع في الدفع إلى منى، قاله مكحول.

﴿إنّ الإنسانَ لِربِّه لَكَنُودٌ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: لكفور، قاله قتادة، والضحاك، وابن جبير، ومنه قول الأعشى(٤٤٥):

أَحْدِثْ لها تحدث لوصْلك إنهـا كُنُدٌ لـوصْـلِ الـزائـرِ المُعْتـادِ

وقيل: إن الكنود هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير.

الثاني: أنه اللوام لربه، يذكر المصائب وينسى النعم، قاله الحسن، وهو قريب من المعنى الأول.

الثالث: أن الكنود الجاحد للحق، وقيل إنما سميت كندة لأنها جحدت أباها، وقال إبراهيم بن زهير الشاعر(٤٤٦):

دع الـبخـلاءَ إن شـمـخـوا وصَـدُّوا وذكْـرى بُـخْـلِ غـانـيـةٍ كَـنـوُدِ

الرابع: أن الكنود العاصي بلسان كندة وحضرموت، ذكره يحيى بن سلام.

الخامس: أنه البخيل بلسان مالك بن كنانة، وقال الكلبي: الكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان مضر وربيعة: الكفور، وبلسان مالك بن كنانة: البخيل

السادس: أنه ينفق نعم اللَّه في معاصي اللَّه.

السابع: ما رواه القاسم عن أبي أمامة قال(٤٤٧): قال رسول اللَّه ﷺ: الكنود

القرطبي (٢٠/١٥٨) فتح القدير (١٨٢/٥).

وفي المصادر السابقة منسوب لعبد الله بن رواحة.

(٤٤٥) ديوانه: ٥٦ القرطبي (٢٠/١٦١).

(٤٤٦) القرطبي (٢٠/١٦١) ونسبة لإبراهيم بن هرمة.

(٤٤٧) رواه ابن جرير (٣٠/٢٧٨) وسنده ضعيف لأن فيه جعفر بن الزبير وهو متروك وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٤٢) رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف وفي الآخر من لم

الذي يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده، وقال الضحاك: نــزلت في الوليد بن المغيرة، وعلى هذا وقع القسم بجميع ما تقدم من السورة.

﴿وإنَّه على ذلك لَشهيدٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن اللّٰه تعالى على كفر الإنسان لشهيد، قاله ابن جريج.

الثاني: أن الإنسان شاهد على نفسه، لأنه كنود، قاله ابن عباس.

﴿وإنه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ﴾ يعني الإنسان، وفي الخير ها هنا وجهان:

أحدهما: المال، قاله ابن عباس، ومجاهد وقتادة.

الثاني: الدنيا، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أن الخير ها هنا الاختيار، ويكون معناه: وإنه لحب اختيـاره لنفسه لشديد.

وفي قوله ﴿لشديد﴾ وجهان:

أحدهما: لشديد الحب للخير، وشدة الحب قوته وتزايده.

الثاني: لشحيح بالمال يمنع حق اللّٰه منه، قاله الحسن، من قولهم فلان شديد أي شحيح.

﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من فيها من الأموات.

الثاني: معناه مات.

الثالث: بحث، قاله الضحاك، وهي في قراءة ابن مسعود: بُحْثِرَ ما في القبور.

﴿وحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ميز ما فيها، قاله الكلبي.

الثاني: استخرج ما فيها.

الثالث: كشف ما فيها.

﴿إنَّ ربَّهم بهم يومئذٍ لَخبيرٌ﴾ أي عالم، ويحتمل وجهين:

أحدهما: لخبير بما في نفوسهم.

الثاني: لخبير، بما تؤول إليه أمورهم.

أعرفه قلت: وضعفه السيوطي في الدر (٦٠٣/٨) وزاد نسبته لابن عساكر والبيهقي وابن مردويه وقد روي الحديث موقوفاً على أبي أمامة من طريق آخر رواه الطبري (٢٧٨/٣٠).

سورة القارعة

آياتها ١١ — ترتيبها ١٠١

مكية في قولهم جميعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ
ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ
ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

قوله تعالى: **﴿القارِعَةُ * ما القارِعَةُ﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أنها العذاب، لأنها تقرع قلوب الناس بهولها.

ويحتمل ثالثاً:(٤٤٨) أنها الصيحة لقيام الساعة، لأنها تقرع بشدائدها.

وقد تسمى بالقارعة كل داهية، كما قال تعالى: **﴿ولا يزالُ الذين كفروا تُصيبُهم بما صَنَعوا قارعةٌ﴾** [الرعد: ٣١] قال الشاعر:(٤٤٩)

متى تُقْرَعْ بمرْوَتكمْ نَسُؤْكم ... ولم تُوقَدْ لنا في القِدْرِ نارُ

﴿ما القارعة﴾ تعظيماً لها، كما قال تعالى: **﴿الحاقّة ما الحاقّة﴾**.

---

(٤٤٨) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤٤٩) القرطبي (٢٠/١٦٤).

﴿يومَ يكونُ النّاسُ كالفَراشِ المبْثُوثِ﴾ وفي الفراش قولان:

أحدهما: أنه الهمج الطائر من بعوض وغيره، ومنه الجراد، قاله الفراء،

الثاني: أنه طير يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب، قاله أبو عبيدة وقتادة.

وفي ﴿المبثوث﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المبسوط، قاله الحسن.

الثاني: المتفرق، قاله أبو عبيدة.

الثالث: أنه الذي يحول بعضه في بعض، قاله الكلبي.

وإنما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش.

﴿وتكونُ الجِبالُ كالعِهْنِ المنْفُوشِ﴾ والعِهن: الصوف ذو الألوان في قول أبي عبيدة، وقرأ ابن مسعود «كالصوف».

وقال ﴿كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾ لخفته، وضعفه، فشبه به الجبال لخفتها، وذهابها بعد شدَّتها وثباتها.

ويحتمل أن يريد جبال النار تكون كالعهن لحمرتها وشدة لهبها، لأن جبال الأرض تسير ثم تنسف حتى يدك بها الأرض دكّا.

﴿فأمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُه﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ميزان ذو كفتين توزن به(٤٥٠) الحسنات والسيئات، قاله الحسن، قال أبو بكر رضي اللّهٰ عنه:(٤٥١) وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً.

الثاني: الميزان هو الحساب، قاله مجاهد، ولذلك قيل: اللسان وزن الإنسان، وقال الشاعر:(٤٥٢)

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرّةٍ ... عندي لكل مُخاصِمٍ مِيزانُه

أي كلام أعارضه به.

(٤٥٠) وهو الصواب للأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

(٤٥١) جزء من حديث موقوف أوصى فيه أبو بكر عمر رضي الله عنه رواه الطبري وغيره.

(٤٥٢) الطبري (٣٠/٢٨٢)، القرطبي (٢٠/١٦٦) فتح القدير (٥/١٨٦) اللسان وزن.

الثالث: أن الموازين الحجج والدلائل، قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد فيه بالشعر المتقدم.

وفي الموازين وجهان:

أحدهما: جمع ميزان.

الثاني: أنه جمع موزون.

﴿فهو في عِيشةٍ راضِيةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني في عيشة مرضية، قال قتادة: وهي الجنة.

الثاني: في نعيم دائم، قاله الضحاك، فيكون على الوجه الأول من المعاش، وعلى الوجه الثاني من العيش.

﴿وأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُه * فأمُّهُ هاويةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الهاوية جهنم، سماها أُمًّا له لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أُمّه، قاله ابن زيد، ومنه قول أمية بن أبي الصلت(٤٥٣).

فالأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أُمّنا   فيها مقابِرُنا وفيها نُولَدُ

وسميت النار هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها.

الثاني: أنه أراد أُمّ رأسه يهوي عليها في نار جهنم، قاله عكرمة.

وقال الشاعر: (٤٥٤)

يا عَمروُ لو نالَتْك أرْحامُنا   كُنْتَ كَمن تَهْوِي به الهاوِيَة

(٤٥٣) فتح القدير (١٨٧/٥) القرطبي (١٦٧/٢٠).

(٤٥٤) القرطبي (١٦٧/٢٠) فتح القدير (١٨٧/٥).

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ
﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْهاكُم التّكاثُرُ﴾ في ﴿ألهاكم﴾ وجهان:

أحدهما: أشغلكم.

الثاني: أنساكم، ومعناه ألهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة خالقكم.

وفي ﴿التكاثر﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: التكاثر بالمال والأولاد، قاله الحسن.

الثاني: التفاخر بالعشائر والقبائل، قاله قتادة.

الثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحاك[٤٥٥].

﴿حتى زُرْتُم المقابِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر[٤٥٦] زوّاراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار.

---

(٤٥٥) الأولى تفسير التكاثر بكل ما يشغل ويلهي عن طاعة الله.

(٤٥٦) قال العلامة القرطبي (٢٠/١٧١) قال العلماء ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر الى

الثاني: ما حكاه الكلبي وقتادة: أن حيّين من قريش، بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهما ملاحاة فتعـادّوا بالسادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيّداً وعزاً وعزيزاً وأعظم نفراً، وقال بنو سهم مثل ذلـك، فكثرهم بنـو عبد مناف، فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعُدّوا الأحيـاء والأموات، فعدّوهم فكثرتهم بنو سهم، فأنزل اللّهُ تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ يعني بالعدد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى ذكرتم الأموات في المقابر.

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمونَ * ثم كلاّ سَوْفَ تَعلَمونَ﴾ هذا وعيد وتهديد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ.

ويحتمل أن يعدل به عن التأكيد فيكون فيه وجهان:

أحدهما: كلا سوف تعلمون عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق، ثم كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما وعدتكم صدق.

الثاني: كلا سوف تعلمون عند النشور أنكم مبعوثون، ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذَّبون.

﴿كلاّ لو تَعْلَمون عِلْمَ اليَقِيـن﴾ معناه لو تعلمون في الحياة قبل المـوت من البعث والجزاء ما تعلمونه بعد الموت منه.

﴿عِلْمَ اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علم الموت الذي هو يقيني لا يعتريهٰ شك، قاله قتادة.

الثاني: ما تعلمونه يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء، قاله ابن جريج.

وفي ﴿كَلاَّ﴾ في هذه المواضع الثلاثة وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى «إلا»، قاله أبو حاتم.

الثاني: أنها بمعنى حقاً، قاله الفراء.

﴿لَترَوُنَّ الجَحيمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار.

الثاني: أنه عام، فالكافر هي له دار والمؤمن يمر على صراطها.

طاعة ربه أن يكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ومؤتم البنين والبنات ويواظب على مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور أموات المسلمين فهذه ثلاث أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه . . . . . الخ.

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال:(٤٥٧) قال رسول اللّٰه ﷺ: يرفع الصراط وسط جهنم، فناجٍ مسلّم، ومكدوس في نار جهنم.

﴿ثم لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عين اليقين المشاهدة والعيان.

الثاني: أنه بمعنى الحق اليقين، قاله السدي.

ويحتمل تكرار رؤيتها وجهين:

أحدهما: أن الأول عند ورودها.

والثاني: عند دخولها.

﴿ثم لَتُسْأَلُنَّ يومَئذٍ عن النَّعيمِ﴾ فيهٰ سبعة أقاويل:

أحدها: الأمن والصحة، قاله ابن مسعود؛ وقال سعيد بن جبير: الصحة والفراغ(٤٥٨)، للحديث.

الثاني: الإدراك بحواس السمع والبصر، قاله ابن عباس.

الثالث: ملاذّ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبداللّٰه الأنصاري.

الرابع: أنه الغداء والعشاء، قاله الحسن.

الخامس: هو ما أنعم اللّٰه عليكم بمحمد ﷺ، قاله محمد بن كعب.

السادس: عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، قاله الحسن أيضاً والمفضل.

السابع: ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه(٤٥٩) قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «ثم لتسألن يومئذٍ عن النَعيم» عن شبع البطون وبارد الماء وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم، وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر تقريع لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية. ويحتمل أن يكون ذلك تذكيراً بما أوتوه، ليكون جزاء على ما قدموه.

---

(٤٥٧) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٦١١/٨).

(٤٥٨) يعني ما رواه الترمذي (٢٤١٩) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حسن بشواهده وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٤٣٦/١٠).

(٤٥٩) جزء من الحديث المتقدم.

سُورَةُ العَصْرِ

ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

مكية، وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس وقتادة أنها مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿والعَصْرِ﴾ وهذا قَسَمٌ، فيه قولان:

أحدهما: أن العصر الدهر، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: أنه العشي ما بين زال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة، ومنه قول الشاعر(٤٦٠):

تَرَوَّحْ بنا يا عمرُو قد قصر العَصْرُ ... وفي الرَّوْحةِ الأُولى الغنيمةُ والأَجْرُ

وخصه بالقسم لأن فيه خواتيم الأعمال.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد عصر الرسول ﷺ لفضله بتجديد النبوة فيه.

وفيه رابع: أنه أراد صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى، لأنها أفضل الصلوات، قاله مقاتل.

﴿إنّ الإنسانَ لَفي خُسْر﴾ يعني بالإنسان جنس الناس.

وفي الخسر أربعة أوجه:

---

(٤٦٠) القرطبي (٢٠ / ١٧٩) فتح القدير (٥/٤٩١).

أحدها: لفي هلاك، قاله السدي.

الثاني: لفي شر، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: لفي نقص، قاله ابن شجرة.

الرابع: لفي عقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وكان عاقبة أمْرِها خُسْراً﴾ وكان عليّ رضي اللّٰه عنه يقرؤها(٤٦١): والعصر ونوائب الدهر إنّ الإنسان لفي خُسْرِ وإنه فيه إلى آخر الدهر.

﴿إلا الذين آمنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوْا بالحَقِّ﴾ في الحق ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه التوحيد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه اللّٰه، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: أن يوصي مُخَلَّفيه عند حضور المنية ألا يمُوتنَّ إلا وهم مسلمون.

﴿وتَوَاصوا بالصَّبْر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على طاعة اللّٰه، قاله قتادة.

الثاني: على ما افترض اللّٰه، قاله هشام بن حسان.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: بالصبر عن المحارم واتباع الشهوات(٤٦٢).

---

(٤٦١) يحتمل أن تكون هذه القراءة على سبيل التفسير والله أعلم والأثر الوارد عن علي رضي الله عنه رواه ابن جرير (٣٠/٢٩٠) وزاد السيوطي في الدر (٦٢١/٨) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والحاكم.

(٤٦٢) وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو قدر الناس هذه السورة لكفتهم» وذلك لما فيها من مراتب يحصل للشخص بها غاية الكمال أحدها معرفة الحق والثانية العمل به والثالث تعليمه وبذله لمن هو له أهل والرابع صبره على تعلمه.

سُورَةُ الهُمَزَةِ — ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الهمزة المغتاب، واللمزة العيّاب، قاله ابن عباس، ومنه قول زياد الأعجم(٤٦٣):

تُدْلي بِوُدّي إذا لاقيتني كَذِباً … وإن أُغَيَّبْ فأنْتَ الهامزُ اللُّمَزة.

الثاني: أن الهمزة الذي يهمز الناس، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه، قاله ابن زيد.

الثالث: أن الهمزة الذي يهمز في وجهه إذا أقبل، واللمزة الذي يلمزه من خلفه إذا أدبر، قاله أبو العالية، ومنه قول حسان(٤٦٤):

---

(٤٦٣) روح المعاني (٣٠/٢٢٩) وفيه.

إذا لقيتك عن سخط تكاشرلي وكذا في القرطبي(٢٠/١٨٢) والطبري (٢٠/٢٩١) وقد تقدم تخريج هذا البيت في سورة القلم.

(٤٦٤) ديوانه: ١٤٨ والبيت فيه.

مجلله شنارا … مضرمة تأجج كالشواظ
كهمزة ضيغم يحمي عريناً … شديد مغارز الأضلاع غاظى

والقرطبي (٢٠/١٨١).

همــزتــك فــاخْتَضَعْتَ بــذُلِّ نَفْسٍ بــقــافــيــةٍ تــأَجــج كــالــشُّــواظِ

الرابع: أن الهمزة الذي يعيب جهراً بيد أو لسان، واللمزة الذي يعيبهم سراً بعين أو حاجب، قاله عبد الملك بن هشام.

قال رؤبة:

في ظل عَصْرَيْ باطِلي وَلَمزِي ....

واختلفوا فيمن نزلت فيه على خمسة أقاويل:

أحدها: في أُبي بن خلف، قاله عمار.

الثاني: في جميل بن عامر الجمحي، قاله مجاهد.

الثالث: في الأخنس بن شريق الثقفي، قاله السدي.

الرابع: في الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج.

الخامس: أنها مرسلة على العموم من غير تخصيص، وهو قول الأكثرين.

﴿الذي جَمَعَ مَالاً وعَدَّدَه﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أحصى عدده، قاله السدي.

الثاني: عددّ أنواع ماله، قاله مجاهد.

الثالث: لما يكفيه من الشين، قاله عكرمة.

الرابع: اتخذ ماله لمن يرثه من أولاده.

ويحتمل خامساً: أنه فاخر بعدده وكثرته.

﴿يَحْسَبُ أَنّ ماله أَخْلَدَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يزيد في عمره، قاله عكرمة.

الثاني: يمنعه من الموت، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: ينفعه بعد موته.

﴿كَلّا لَيُنبَذَنَّ في الحُطَمَةِ﴾ وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه اسم باب من أبواب جهنم، قاله ابن واقد، وقال الكلبي هو الباب السادس.

الثاني: أنه اسم درك من أدراك جهنم، وهو الدرك الرابع، قاله الضحاك.

الثالث: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله ابن زيد.

وفي تسميتها بذلك وجهان:

أحدهما:(٤٦٥) لأنها تحطم ما أُلقي فيها، أي تكسره وتهده، ومنه قول الراجز:

إنـا حَطْمنـا بـالقضيب مُصْعَبـا   يــومَ كَسَـرنـا أَنْفَـه ليَغْـضَبـا

﴿التي تَطّلِعُ على الأفئدةِ﴾ روى خالد بن أبي عمران(٤٦٦) عن النبي ﷺ أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم إذا صدروا تعود، فذلك قوله ﴿نار اللّهُ الموقدة، التي تطلع على الأفئدة﴾. ويحتمل اطـلاعها على الأفئـدة وجهين:

أحدهما: لتحس بألم العذاب مع بقاء الحياة ببقائها.

الثاني: استـدل بما في قلوبهم من آثار المعاصي وعقاب على قدر استحقاقهم لألم العذاب، وذلك بما استبقاه اللّهُ تعالى من الإمارات الدالة عليه.

﴿إنَّها عليهم مُؤْصَدَةٌ﴾ فيهٰ ثلاثة أوجه:

أحدها: مطبقة، قاله الحسن والضحاك.

الثاني: مغلقة بلغة قريش، يقولون آصـد الباب إذا أغلقـه، قالـه مجاهـد ومنه قول عبيداللّهُ بن قيس الرقيات(٤٦٧):

إن في القَصْــر لـو دَخَلْنَـا غَـزالاً   مُصْفقاً مُـوصَـداً عليـه الحجـابُ

الثالث: مسدودة الجوانب لا ينفتح منها جانب، قاله سعيد بن المسيب، وقال مقاتل بن سليمان: لا يدخلها روْح ولا يخرج منها غم.

﴿في عَمَدٍ مُمَدَّدةٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها موصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود، وهي في قراءته «بعَمَـدٍ ممدّدة».

الثاني: أنهم معذبون فيها بعمُد محددة، قاله قتادة.

الثالث: أن العُمد الممدة الأغلال في أعناقهم، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها قيود في أرجلهم، قاله أبو صالح.

الخامس: معناه في دهر ممدود، قاله أبو فاطمة.

---

(٤٦٥) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤٦٦) القرطبي (٢٠/١٨٤) روح المعاني (٣٠/٢٣١).

(٤٦٧) لم أعثر عليه ولكن ورد مثله في قول محمد بن كعب رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

سُورَةُ الفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُّكَ بأصْحابِ الفِيل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

الثاني: ألم ترَ آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل، لأن النبي ﷺ لم ير أصحاب الفيل.

واختلف في مولده عليه السلام من عام الفيل على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل، قاله مقاتل.

الثاني: بعد ثلاث وعشرين سنة منه، قاله الكلبي وعبيد بن عمير.

الثالث: أنه عام الفيل(٤٦٨)، روي ذلك عن النبي ﷺ وروي عنه أنه قال: ولدت يوم الفيل(٤٦٩).

واختلف في سبب الفيل على قولين:

---

(٤٦٨) القرطبي (٢٠/١٨٥) وفتح القدير (٥/٤٩٤).

(٤٦٩) وهو أشهر الأقوال كما قال ابن كثير (٤/٥٤٩) ولا خلاف بين الجمهور في هذا راجع البداية والنهاية (١/٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢).

أحدهما: ما حكاه ابن عباس: أن أبرهة بن الصباح بنى بيعة بيضاء[٤٧٠] يقال لها القليس، وكتب إلى النجاشي إني لست منتهياً حتى أصرف إليهاحج العرب، فسمع ذلك رجل من كنانة، فخرج إلى القليس ودخلها ليلاً فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة فحلف باللّه ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها، فجمع الأحابيش وجنّد الأجناد، وسار، ودليله أبو رغال، حتى نزل بالمغمّس، وجعل على مقدمته الأسود بن مقصود حتى سبى سرح مكة وفيه مائتا بعير لعبد المطلب قد قلّد بعضها، وفيه يقول عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف:

لاهمّ أخْزِ الأسود بن مقصودِ   الآخذ الهجمة فيها التقليدْ.
بين حراء، وثبير فالبيد   يحبسها وهي أُولات التطريدْ.
فضمّها إلى طماطم سُودْ   قد أجْمعوا ألا يكون معبودْ.
ويهْدموا البيت الحرام المعمود   والمروتين والمشاعر السودْ
اخْفره يا ربِّ وأنت محمودْ

وتوجه عبد المطلب وكان وسيماً جسيماً لا تأخذه العين إلى أبرهة، وسأله في إبله التي أخذت، فقال أبرهة: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك وقد زهدت الآن فيك، قال: ولم؟ قال: جئت لأهدم بيتاً هو دينك ودين آبائك فلم تكلمني فيه، وكلمتني في مائتي بعير لك، فقال عبد المطلب: الإبل أنا ربها، وللبيت رب سيمنعه، فقال أبرهة: ما كان ليمنعه مني، فقال عبد المطلب: لقد طلبته تبّع وسيف بن ذي يزن وكسرى فلم يقدروا عليه، وأنت ذاك فرد عليه إبله، وخرج عبد المطلب وعاد إلى مكة، فأخبر قريشاً بالتحرز في الجبال، وأتى البيت وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

لاهمّ إنّ العبْدَ يَمْـ   ـنَعُ رحْلَهُ فامْنَع حَلالَكْ.
لا يَغْلبنّ صَليبُهم   ومحالُهم غَدْواً مِحالَكْ.
إنْ كنتَ تاركَهم وقبْـ   ـلَتَنا فأمْرٌ ما بدا لَكَ.

المحال: القوة.

(٤٧٠) لم أهتد إلى تخريجه مرفوعاً وإنما وقفت عليه موقوفاً من حديث ابن عباس وجابر أنهما قالا ولد رسول الله ﷺ عام الفيل رواه ابن أبي شيبة عنهماورواه البيهقي كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٦١) عن ابن عباس موقوفاً. قلت: ورواه ابن: إسحاق في السيرة وسنده حسن عن قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله [ﷺ] عام الفيل كنا لدتين» ورواه الترمذي (٣٦٢٣).

الثاني: ما حكاه الكلبي ومقاتل يزيد أحدهما وينقص أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى في حقف من أحقافها، قال الكلبي تسمى البيعة ماسرجيان، وقال مقاتل: تسمى الهيكل، فأوقدوا ناراً لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فاضطرمت البيعة ناراً فاحترقت، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره، فاستشاط غضباً، وأتاه أبرهة بن الصبّاح وحجر بن شراحبيل وأبو يكسوم الكِنْديون، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة، وكان النجاشي هو الملك، وأبرهة صاحب الجيش، وأبو يكسوم نديم الملك وقيل وزيره، وحجر بن شراحبيل من قواده، وقال مجاهد: أبو يكسوم هو أبرهة بن الصبّاح، فساروا بالجيش ومعهم الفيل، قال الأكثرون: هو فيل واحد، وقال الضحاك: كانت ثمانية فيلة، ونزلوا بذي المجاز، واستاقوا سرح مكة، وفيها إبل عبد المطلب، وأتى الراعي نذيراً فصعد الصفا وصاح: واصباحاه! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش والفيل، فخرج عبد المطلب وتوجه إلى أبرهة وسأله في إبله، فردّها مستهزئاً ليعود لأخذها إذا دخل مكة.

واختلف في النجاشي هل كان معهم أم لا، فقال قوم: كان معهم، وقال الآخرون: لم يكن معهم.

وتوجه الجيش إلى مكة لإحراق الكعبة، فلما ولى عبد المطلب بإبله احترزها في جبال مكة، وتوجه إلى مكة من طريق منى، وكان الفيل إذا بعث إلى الحرم أحجم، وإذا عدل به عنه أقدم، قال محمد بن إسحاق: كان اسم الفيل محمود(٤٧١)، وقالت عائشة: رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين مقعدين يستطعمان أهل مكة.

ووقفوا بالمغمّس فقال عبد الله بن مخزوم:(٤٧٢)

أنت الجليل ربنا لم تدنس ... أنت حبست الفيل بالمغمّس
حبسته في هيئة المكركس ... وما لهم من فرجٍ ومنفسِ.

المكركس: المطروح المنكوس.

---

(٤٧١) راجع هذا الخبر بطوله في سيرة ابن هشام (١/٥٣).

(٤٧٢) وهذا لا يصح نسبته إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل لعلها لم تولد وقد نسبت هذا الكلام لعتاب بن أسيد.

وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه لطير غريبة بأرضنا، ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية، وإنها أشباه اليعاسيب، وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة، فلما أطلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا، قال عطاء بن أبي رباح: جاءت الطير عشية فباتت، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم، وقال عطية العوفي: سألت عنها أبا سعيد الخدري: فقال: حمام مكة منها.

وأفلت من القوم أبرهة ورجع إلى اليمن فهلك في الطريق.

وقال الواقدي: أبرهة هو جد النجاشي الذي كان في زمان رسول اللَّه ﷺ فلما أيقنوا بهلاك القوم، قال الشاعر(٤٧٣):

أيـن الـمـفـر والإلـه الـطـالـبْ ... والأَشـرمُ المغـلوبُ ليس الـغـالـبْ.

يعني بالأشرم أبرهة، سمي بذلك لأن أرياط ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه، أي وقع بعضه على بعض.

وقال أبو الصلت بن مسعود(٤٧٤)، وقيل بل قاله عبد المطلب:

إنّ آيـاتِ ربِّـنـا نـاطِـقـاتٌ ... لايُـمـاري بـهـنّ إلا الـكَـفُـور.

حَبَسَ الـفـيـلَ بـالـمـغـمس حتـى ... مَـرَّ يـعْـوي كـأنـه مَـعْـقـورُ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهم في تَضْليل﴾ لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي، وكيد البيت بالتخريب والهدم.

يحكى عن عبد المطلب بعد ما حكيناه عنه أنه أخذ بحلقة الباب وقال:

يـا رب لا نـرجـو لـهـم سـواكـا ... يـا رب فـامـنـع منهم حـمـاكـا.

إن عـدو الـبـيـت مـن عـاداكـا ... امـنـعـهـم أن يـخـربـوا قـراكـا.

ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد اللَّه على فرس له سريع، ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون، فرجع يركض كاشفاً عن فخده، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيراً أو نذيراً. فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم، فكانت أموال بني عبد المطلب، وبها كانت رياسة عبد المطلب لأنه احتمل

(٤٧٣) هو نفيل بن حبيب كما في السيرة لابن هشام.

(٤٧٤) وقال ابن هشام (١/٦٢) وهي تروى لأمية بن أبي الصلت.

ما شاء من صفراء وبيضاء، ثم خرج أهل مكة بعده فنهبوا، فقال عبد المطلب:

أنتَ مَنعْتَ الحُبْشَ والأَفْيالا وقد رَعَوا بمكةَ الأَجيالا .
وقد خَشِينا منهم القتالا وكُلَّ أمرٍ لهمن مِعضالا .
وشكراً وحْمداً لك ذا الجلالا .

ويحتمل تضليل كيدهم وجهين:

أحدهما: أن كيدهم أضلهم حتى هلكوا.

الثاني: أن هلاكهم أَضل كيدهم حتى بطل.

﴿وأرْسَلَ عليهم طَيْراً أبابِيلَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من طير السماء، قال سعيد بن جبير: لم ير قبلها ولا بعدها مثلها ويروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال[٤٧٥]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ.

القول الثاني: أنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال، قاله عكرمة.

الثالث: أنها من طير الأرض، أرسلها الله تعالى من ناحية البحر، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، قاله الكلبي. وكانت سوداً، خضر المناقير طوال الأعناق، وقيل: بل كانت أشباه الوطاويط، وقالت عائشة: كن أشباه الخطاطيف.

واختلف في «أبابيل» على خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الكثيرة، قاله الحسن وطاوس.

الثاني: المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: أنها المتفرقة من ها هنا وها هنا، قاله ابن مسعود والأخفش، ومنه قول الشاعر:

إن سلولاً عداك الموت عارفة لولا سلول مشينا أبابيلا.

أي متفرقين.

الرابع: أن الأبابيل المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم.

الخامس: أن تكون جمعاً بعد جمع، قاله أبو صالح وعطاء، ومنه قول الشاعر:

(٤٧٥) وهذا الطريق ضعيف لأن جويبر متروك الحديث.

وأبـابـيـل مـن خـيـول عـلـيـهـا كـأسـود الأداء تـحـت الـعـوالـي.

وقال إسحاق بن عبدالله بن الحارث: الأبابيل مأخوذ من الإبل المؤبلة، وهي الأقاطيع.

واختلف النحويون هل للأبابيل واحد من جنسه، فذهب أبو عبيدة والفراء وثعلب إلى أنه لا واحد له كالعباديد والسماطيط، وذهب آخرون إلى أن له واحد، واختلفوا في واحده، فذهب أبو جعفر الرؤاسي إلى أن واحده إبّالة مشددة، وقال الكسائي: واحدها إبول، وقال ابن كيسان واحده إبيّل.

﴿تَرْميهم بحجارةٍ مِن سِجّيلٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن السجيل كلمة فارسية هي سنك وكل، أولها حجر، وآخرها: طين، قاله ابن عباس.

الثاني: أن السجيل هو الشديد، قاله أبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل(٤٧٦):

ورجْلةٍ يضْرِبون البَيْضَ عن عَرَضٍ ضَرْباً تواصى به الأَبطالُ سِجِّيلاً

الثالث: أن السجيل اسم السماء الدنيا، فنسبت الحجارة إليها لنزولها منها، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه اسم بحر من الهواء، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه، قاله عكرمة وفي مقدار الحجر قولان:

أحدهما: أنه حصى الخذف، قاله مقاتل.

الثاني: كان الحجر فوق العدسة ودون الحمصة، قاله أبو صالح: رأيت في دار أم هانىء نحو قفيز من الحجارة التي رمي بها أصحاب الفيل مخططة بحمرة كأنها الجزع، وقال ابن مسعود: ولما رمت الطير بالحجارة بعث اللّهُ ريحها فزادتها شدة، وكانت لا تقع على أحد إلا هلك ولم يسلم منهم إلا رجل من كندة، فقال:

فـإنـكِ لـو رأيـتِ ولـم تـريـهِ لـدى جَنْبِ المغَمِّسِ ما لَقينا
خَشيتُ اللّهَ إذ قَذَبَتْ طَيْراً وظِلَّ سَحابةٍ مرَّتْ علينا
وباتت كلُّها تدعو بحقٍّ كأنَّ لها على الحُبْشانِ دَيْنا

﴿فجعَلَهم كعَصْفٍ مأكولٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:

(٤٧٦) تقدم تخريجه في سورة المطففين.

أحدها: أن العصف ورق الزَّرع، والمأكول الذي قد أكله الدود، قاله ابن عباس.

الثاني: أن العصف المأكول هو الطعام، وهذا قول حسين بن ثابت.

الثالث: أنه قشر الحنطة إذا أكل ما فيه، رواه عطاء بن السائب.

الرابع: أنه ورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته، قاله ابن زيد.

الخامس: أن العصف التين والمأكول القصيل للدواب، قاله سعيد بن جبير والحسن، واختلف فيما فعله اللّٰه بهم، فقال قوم: كان ذلك معجزة لنبيّ كان في ذلك الزمان، وقيل إنه كان خالد بن سنان(٤٧٧).

وقال آخرون: بل كان تمهيداً وتوطيداً لنبوة(٤٧٨) محمد ﷺ لأنه ولد في عامه وقيل في يومه.

(٤٧٧) لم يصح الحديث في ذلك.

(٤٧٨) وهذه الأشياء تسمى بالإرهاصات بين يدي النبوة.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

مكية في قول الأكثرين، ومدينة في قول الضحاك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

قوله تعالى ﴿لإيلافِ قُرَيْشٍ﴾ الإيلاف مأخوذ من أَلِف يأْلَف، وهي العادة المألوفة، ومنه قولهم ائتلف القوم.

وفي قوله ﴿لإيلاف قريش﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: نعمتي على قريش، لأن نعمة اللَّهُ عليهم أن ألفه لهم، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: لإيلاف اللَّهُ لهم لأنه آلفهم إيلافاً، قاله الخليل بن أحمد.

الثالث: لإيلاف قريش حَرَمي وقيامهم ببيتي، وهذا معنى قول الحسن.

الرابع: لإيلاف ما ذكره من رحلة الشتاء والصيف في معايشهم، قاله مكحول.

وفي اللام التي في «لإيلاف قريش» قولان:

أحدهما: أنه صلة يرجع إلى السورة المتقدمة من قولهم﴿ألم تر كيف﴾ إلى أن قال: ﴿فجعلهم كعصْف مأكولٍ﴾ لإيلاف قريش، فصار معناه أن ما فعله بأصحاب الفيل لأجل(٤٧٩) إيلاف قريش، قاله ثعلب، وكان عمر وأبيّ بن كعب لايفصلان بين

(٤٧٩) وهذا هو سر ترتيب سورة قريش بعد الفيل كما قال السيوطي في تناسق السور في تناسب السور.

السورتين ويقرآنهما كالسورة الواحدة، ويريان أنهما سورة واحدة، أي: ألم تر لإيلاف قريش.

الثاني: أن اللام صلة ترجع إلى ما بعدها من قوله ﴿فَلْيَعْبُدوا رب هذا البَيْتِ﴾ ويكون معناه لنعمتي على قريش فَلْيَعْبُدوا رَبَّ هذا البيت، قاله أهل البصرة، وقرأ عكرمة، ليألف قريش، وكان يعيب على من يقرأ «لإيلاف قريش».

وقرأ بعض أهل مكة: إلاف قريش، واستشهد بقول أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول اللّٰه ﷺ:

فـلا تَتْـركنْـهُ مـا حَييتَ لمعـظمٍ   وكـن رجـلاً ذا نَـجـدةٍ وعـفـافِ
تَـذودُ العِـدا عن عُصْبـةٍ هـاشميـةٍ   ألا فُـهُـمُ فـي الـنـاس خـيـرُ إلافِ

وأما قريش تلده فهم بنو النضر بن كنانة، وقيل بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ومن لم تلده فهر فليس من قريش، وعلى المشهور أن بني النضر بن كنانة ومن تلده: من قريش، وإن لم يكونوا من بني فهر، وقد كانـوا متفرقين في غيـر الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكناً، قال الشاعر(٤٨٠):

أبـونـا قصيٌّ كـان يُـدْعى مجمّعـاً   بـه جمـع اللّٰه القبـائـلَ مِـن فهـر

واختلفوا في تسميتهم قريشاً على أربعة أقاويل:

أحدها: لتجمعهم بعد التفرق، والتقريش التجميع، ومنه قول الشاعر(٤٨١):

إخـوةٌ قـرَّشـوا الـذنـوب عـلـيـنـا   فـي حَـديثٍ مِـن دَهْـرِهـم وقَـديـمِ

الثاني: لأنهم كانوا تجاراً يأكلون من مكاسبهم، والتقريش التكسب.

الثالث: أنهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلتـه، والقرش: التفتيش، قال الشاعر:

أيـهـا الشامتُ الـمـقـرِّشُ عَـنّـا   عـنـد عَـمـرو فـهـل لـه إبْـقـاءُ

الرابع: أن قريشاً اسم دابة في البحر، من أقوى دوابه، سميت قريشاً لقوتها وأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر(٤٨٢):

---

(٤٨٠) روح المعاني (٣٠/٢٣٩) القرطبي (٢٠/٢٠٢).

(٤٨١) هو أبو جلدة اليشكري والبيت في روح المعاني (٣/٢٣٩) والقرطبي (٢٠/٢٠٣).

(٤٨٢) هو الحارث بن حلزة اليشكري والبيت في القرطبي (٢٠/٢٠٣) وروح المعاني (٣٠/٢٣٩).

هكذا في العباد حيٌّ قريش يأكلون البلادَ أكْلاً كشيشاً.
ولهم آخرَ الزمان نبيٌّ يَكثر القتل فيهمُ والخموشا.
يملأُ الأرضَ خيلةً ورجالاً يحشُرون المطيَّ حشْراً كميشاً.
تأكل الغثَّ والسَمينَ ولا تتـ ـرُكُ يوماً في جناحين ريشاً.
وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشاً.
سلِّطت بالعلو في لجج البحر على سائر البحور جيوشاً.

﴿إيلافِهم رِحْلَة الشتاءِ والصَّيْفِ﴾ كانت لقريش في كل عام رحلتان والرحلة السفرة، لما يعانى فيها من الرحيل والنزول، رحلة في الصيف ورحلة في الشتاء طلباً للتجارة والكسب.

واختلف في رحلتي الشتاء والصيف على قولين:

أحدهما: أن كلتا الرحلتين إلى فلسطين، لكن رحلة الشتاء في البحر، طلباً للدفء، ورحلة الصيف على بصرى وأذرعات، طلباً للهواء، قاله عكرمة.

الثاني: أن رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية، ورحلة الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة، قاله ابن زيد.

فإن قيل فما المعنى في تذكيرهم رحلة الشتاء والصيف؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنهم كانوا في سفرهم آمنين من العرب لأنهم أهل الحرم، فذكرهم ذلك ليعلموا نعمته عليهم في أمنهم مع خوف غيرهم.

الثاني: لأنهم كانوا يكسبون فيتوسعون ويطعمون ويصلون، كما قال الشاعر فيهم(٤٨٣):

يا أيها الرجلُ المحوِّل رَحْلَه هَلَّا نَزَلْتَ بآلِ عبدِ مَنافِ.
الآخذون العهدَ من آفاقِها والراحلون لرحلة الإيلافِ.
والرائشون وليس يُوجد رائشٌ والقائلون هَلُمَّ للأضْيافِ.
والخالطون غنيَّهم بفقيرهم حتى يصير فقيرُهم كالكافي.
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجافِ.

فذكرهم اللّٰه تعالى هذه النعمة.

(٤٨٣) هو تبع والأبيات في القرطبي (٢٠/٢٠٣) وفيها اختلاف يسير.

ولابن عباس في رحلة الشتاء والصيف قول ثالث: أنهم كانوا يشتون بمكة لدفئها، ويصيفون بالطائف لهوائها، كما قال الشاعر[٤٨٤]:

تَشْتي بِمكة نعمةً ... ومَصيفُها بالطائِف

وهذه من جلائل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف، فذكرهم اللّٰه تعالى هذه النعمة.

﴿فَلْيَعْبدُوا ربَّ هذا البَيْتِ﴾ أمرهم اللّٰه تعالى بعبادته، وفي تعريف نفسه لهم بأنه رب هذا البيت وجهان:

أحدهما: لأنه كانت لهم أوثان، فميز نفسه عنها.

الثاني: أنهم بالبيت شرفوا على سائر العرب، فذكر لهم ذلك تذكيراً بنعمته.

وفي معنى هذا الأمر والضمير في دخول الفاء على قوله «فليعبدوا» أربعة أوجه:

أحدها: فليعبدوا رب هذا البيت بأنه أنعم عليهم برحلة الشتاء والصيف.

الثاني: فليألفوا عبادة رب هذا البيت كما ألفوا رحلة الشتاء والصيف.

الثالث: فليعبدوا رب هذا البيت لأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

الرابع: فليتركوا رحلة الشتاء والصيف بعبادة رب هذا البيت، فإنه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ليتوفروا بالمقام على نصرة رسوله والذب عن دينه.

﴿الذي أَطْعَمَهم من جُوعٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أطعمهم من جوع بما أعطاهم من الأموال وساق إليهم من الأرزاق، قاله ابن عيسى.

الثاني: أطعمهم من جوع بما استجاب فيهم دعوة إبراهيم عليه السلام. حين قال: ﴿وارْزُقهم من الثمرات﴾، قاله ابن عباس.

الثالث: أن جوعاً أصابهم في الجاهلية، فألقى اللّٰه في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً، فحملوه، فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا لحربهم، فخرجوا إليهم متحرزين، فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالأقوات، فهو معنى قوله ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾.

---

(٤٨٤) روح المعاني (٣٠/٢٤٠).

﴿وآمَنَهُم مِنْ خوْفٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: آمنهم من خوف العرب أن يسبوهم أو يقاتلوهم تعظيماً لحرمة الحرم، لما سبقت لهم من دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال:

﴿ربِّ اجْعَلْ هذا بلداً آمِناً﴾، قاله ابن عباس.

الثاني: من خوف الحبشة مع الفيل، قاله الأعمش.

الثالث: آمنهم من خوف الجذام، قاله الضحاك والسدي وسفيان الثوري.

الرابع: يعني آمن قريشاً ألا تكون الخلافة إلا فيهم، قاله علّي رضي اللّهُ عنه.

سُورَةُ المَاعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

مكية في قول عطاء وجابر، ومدينة في قول ابن عباس وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى ﴿أرأيْتَ الذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالحساب، قاله عكرمة ومجاهد.

الثاني: بحكم اللَّه تعالى، قاله ابن عباس.

الثالث: بالجزاء الثواب والعقاب.

واختلف فيمن نزل هذا فيه على خمسة أوجه:

أحدها: أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي.

الثالث: في أبي جهل.

الرابع: في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك.

الخامس: في أبي سفيان وقد نحر جزوراً، فأتاه يتيم، فسأله منها، فقرعه بعصا، قاله ابن جريج.

﴿فذلك الذي يَدُعُّ اليتيمَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى يحقر اليتيم، قاله مجاهد.

الثاني: يظلم اليتيم، قاله السدي.

الثالث: يدفع اليتيم دفعاً شديداً، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنَّمَ دعّاً﴾ أي يُدفعون إليها دفعاً.

وفي دفعه اليتيم وجهان:

أحدهما: يدفعه عن حقه ويمنعه من ماله ظلماً له وطمعاً فيه، قاله الضحاك.

الثاني: يدفعه إبعاداً له وزجراً. وقد قرىء «يَدَعُ اليَتيم»(٤٨٥) مخففة، وتأويله على هذه القراءة يترك اليتيم فلا يراعيه اطراحاً له وإعراضاً عنه.

ويحتمل على هذه القراءة تأويلاً ثالثاً: يدع اليتيم لاستخدامه وامتهانه قهراً واستطالة.

﴿ولا يَحُضُّ على طعامِ المِسْكِينِ﴾ أي لا يفعله ولا يأمر به، وليس الذم عاماً حتى يتناول من تركه عجزاً، ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم يقولون ﴿أنطعم من لو يشاءُ اللَّه أطْعَمَهُ﴾ فنزلت هذه الآية فيهم، ويكون معنى الكلام لا يفعلونه إن قدروا، ولا يحثون عليه إن عجزوا.

﴿فَوَيْلٌ للمُصَلِّينَ﴾ الآية، وفي إطلاق هذا الذم إضمار، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه المنافق، إن صلاها لوقتها لم يرج ثوابها، وإن صلاها لغير وقتها لم يخش عقابها، قاله الحسن.

الثاني: أن إضماره ظاهر متصل به، وهو قوله تعالى: ﴿الذين هم﴾ الآية. وإتمام الآية في قوله: ﴿فويل للمصلين﴾ ما بعدها من قوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ إضماراً فيها وإن كان نطقاً ظاهراً.

وليس السهو الذي يطرأ عليه في صلاته ولا يقدر على دفعه عن نفسه هو الذي ذم به، لأنه عفو.

وفي تأويل ما استحق به هذا الذم ستة أوجه:

أحدها: أن معنى ساهون أي لاهـون(٤٨٦)، قاله مجاهد.

(٤٨٥) وهي قراءة الحسن وأبي رجاء ونقل عن علي كما في الفتح (٦٠٢/٨).

(٤٨٦) قال الحافظ ابن كثير (٤/) قوله «فويل للمصلين الذين هو عن صلاتهم ساهون» أما عن فعلها بالكلية كما قال ابن عباس وأما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قال

الثاني: غـافلون، قاله قتادة.

الثالث: أن لا يصلّيها سراً ويصليها علانية رياء للمؤمنين، قاله الحسن.

الرابع: هو الذي يلتفت يمنة ويسرة هواناً بصلاته، قاله أبو العالية.

الخامس: هو ألا يقرأ ولا يذكر اللّه، قاله قطرب.

السادس: هو ما روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص(٤٨٧) عن أبيه قال: سألت رسول اللّه ﷺ عن «الذين هم عن صلاتهم ساهون» فقال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها.

﴿الذين هم يُراءونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنافقون الذين يراءون بصلاتهم، يصلّونها مع الناس إذا حضروا، ولا يُصلّونها إذا غابوا، قاله علي وابن عباس.

الثاني: أنه عامّ في ذم كل من راءى لعمله ولم يقصد به إخلاصاً لوجه ربه. روي عن النبي ﷺ أنه قال(٤٨٨): «يقول اللّه تعالى: مَن عَمِل عملا لغيري فقد أشرك بي وأنا أغنى الشركاء عن الشرك».

﴿ويَمْنَعُونَ الماعونَ﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أن الماعون الزكاة، قاله علي وابن عمر والحسن وعكرمة وقتادة، قال الراعي(٤٨٩):

مسروق وأبو الضحى وأما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخر دائماً أو غالباً وأما عن أدائها بأركانهـا وشروطها على الوجه المأمور وأما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية..

(٤٨٧) رواه ابن جرير (٣١٣/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٦٤٢/٨) نسبته لأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في سننه وقال الهيثمي في المجمع (١٤٣/٧) بعد روايته من طريق الطبراني «فيه عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف جداً ورواه ابن جريـر (٣١١/٣٠) والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه موقوفاً على سعد ورجح الحاكم وقفه كذا البيهقي كما في الدر (٦٤٢/٨) ونسبه الحافظ في الفتح (٦٠٢/٨) لعبد الرزاق أيضاً.

(٤٨٨) رواه ابن ماجه (٤٢٠٢) ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل: «أنا أغنـى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً اشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك».

وقال المنذري في الترغيب والترهيب رواة ابن ماجه ثقات وزاد نسبته لابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والحديث صححه الألباني الترغيب والترهيب (١٨/١).

(٤٨٩) تقدم تخريج هذه الأبيات.

أخليفة الرحمن إنا مَعْشَرٌ حُنَفاءُ نسجُد بكرةً وأصيلاً .
عَرَبٌ نرى للَّهُ في أمْوالِنا حقَّ الزكاة مُنزّلا تنزيلاً
قَوْمٌ على الإسلام لمّا يَمْنعوا ماعونَهم ويضيِّعوا التهْليلا

الثاني : أنه المعروف، قاله محمد بن كعب .

الثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس .

الرابع : أنه المال بلسان قريش، قاله سعيد بن المسيب والزهري .

الخامس: أنه الماء إذا احتيج إليه ومنه الماء المعين وهو الجاري، قال الأعشى(٤٩٠) :

بأجود منا بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغِم

السادس: أنه ما يتعاوره الناس بينهم، مثل الدلو والقدر والفاس، قاله ابن عباس(٤٩١)، وقد روي مأثوراً(٤٩٢) .

السابع : أنه منع الحق، قاله عبداللّٰه بن عمر .

الثامن : أنه المستغل من منافع الأموال، مأخوذ من المعنى وهو القليل، قاله الطبري(٤٩٣) وابن عيسى .

ويحتمل تاسعاً : أنه المعونة بما خف فعله وقل ثقله .

(٤٩٠) ديوانه : ١٧٠ القرطبي (٢١٤/٢٠) والطبري (٣١٤/٣٠) وفتح القدير (٥٠٠/٥) .

(٤٩١) رواه الطبري (٣١٨/٣٠) والطبراني كما في المجمع (١٤٣/٧) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

(٤٩٢) وهذا المأثور ورد موقوفاً له حكم الرفع من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فرواه البزار والطبراني ولفظه كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ الدلو والفأس والقدر قال الهيثمي في المجمع (١٤٣/٧) . رجال الطبراني رجال الصحيح .

ورواه أبو داود (١٦٥٧) والنسائي كما في الفتح (٦٠٣/٨) ولفظه كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر وزاد السيوطي في الدر (٤٠٠/٦) نسبته لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي .

(٤٩٣) جامع البيان (٣١٣/٣٠) .

سُورَةُ الكَوْثَر

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿إنّا أعْطَيْناك الكَوْثَر﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أن الكوثر النبوة، قاله عكرمة.

الثاني: القرآن، قاله الحسن.

الثالث: الإسلام، حكاه المغيرة.

الرابع: أنه نهر في الجنة، رواه ابن(٤٩٤) عمر وأنس(٤٩٥) مرفوعاً.

الخامس: أنه حوض النبي(٤٩٦) ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة، قاله عطاء.

---

(٤٩٤) رواه الترمذي (٣٣٥٨) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (٢/ ١١٢) وإسناده صحيح كما قال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٢/ ٤٣٩) وزاد السيوطي في ألدر (٦/ ٤٠٣) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم.

(٤٩٥) رواه مسلم (١/ ٣٠٠) وابن جرير (٣٠/ ٣٢٤، ٣٢٥) وأبو داود (٤٧٤٧، ٤٧٤٨) والنسائي (٣/ ١٣٣، ١٣٤) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٧) نسبته للبيهقي في سننه وابن مردويه وابن أبي شيبة وأحمد.

(٤٩٦) ولا ينافي هذا القول القول الذي قبله فإن النبي ﷺ له نهر في الجنة يصب في حوض أمام باب الجنة يشرب منه الناس في أرض المحشر قبل دخول الجنة.

السادس: أنه الخير الكثير، قاله ابن عباس.

السابع: أنه كثرة أمته، قاله أبو بكر بن عياش.

الثامن: أنه الإيثار، قاله ابن كيسان.

التاسع: أنه رفعة الذكر، وهو فوعل من الكثرة.

﴿فَصَلِّ لِربِّكَ وانحَرْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصلاة المكتوبة، وهي صلاة الصبح بمزدلفة، قاله مجاهد.

الثاني: صلاة العيد، قاله عطاء.

الثالث: معناه اشكر ربك، قاله عكرمة.

﴿وانحَرْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: وانحر هديك أو أضحيتك، قاله ابن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة.

الثاني: وانحر أي وسل، قاله الضحاك.

الثالث: معناه أن يضع اليمين على الشمال عند نحره في الصلاة، قاله عليّ(٤٩٧) وابن عباس رضي الله عنهما.

الرابع: أن يرفع يديه في التكبير، رواه علّي(٤٩٨).

الخامس: أنه أراد واستقبل القبلة في الصلاة بنحرك، قاله أبو الأحوص ومنه قول الشاعر(٤٩٩):

---

(٤٩٧) رواه ابن جرير (٣٠/٣٢٥) والبخاري في تاريخه (٦/٤٣٧) والحاكم (٢/٥٣٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٥٠) نسبته لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه ولكن قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٥٥٨). ولا يصح وعند الشعبي مثله.

(٤٩٨) رواه ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة وابن مردويه والبيهقي ولا شك أن القول الأول الذي ذكره المصنف هو الصواب وهو قول الجمهور ولهذا قال العلامة ابن كثير (٤/٥٥٩) والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه.. الخ.

(٤٩٩) وقد رواه علي مرفوعاً ولم يصح هذا الحديث فقد أخرجه الحاكم (٢/٥٣٨) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٥٠) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه قال العلامة الألوسي (٣٠/٤٤٧) نقلاً عن السيوطي «وحديث عليّ كرم الله وجهه أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم بسند ضعيف.

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٥٥٩) حديث منكر جداً بل أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات قلت: لأن في سنده إسرائيل بن حاتم وهو صاحب عجائب لا تعتمد عليه وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. أفاده الذهبي في تهذيب المستدرك (٢/٥٣٨).

أبـا حَكَمٍ هَـلْ أَنْتَ عَمُّ مُجَـالـدٍ وسيـدُ أهْلِ الأبْـطحِ المتنـاحـرِ.

أي المتقابل.

﴿إنّ شانِئَكَ هو الأَبْتَرُ﴾ في شانئك وجهان:

أحدهما: مبغضك، قاله ابن شجرة.

الثاني: عدوّك، قاله ابن عباس.

وفي «الأبتر» خمسة تأويلات:

أحدها: أنه الحقير الذليل، قاله قتادة.

الثاني: معناه الفرد الوحيد، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الذي لا خير فيه حتى صار مثل الأبتر، وهذا قول مأثور(٥٠٠).

الرابع: أن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده، قد بتر فلان فلما مات لرسول اللّه ﷺ ابنه القاسم بمكة، وابراهيم بالمدينة، قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت الآية، قاله السدي وابن زيد.

الخامس: أن اللّه تعالى لما أوحى إلى رسول اللّه ﷺ ودعا قريش إلى الإيمان، قالوا ابتتر منا محمد، أي خالفنا وانقطع عنا، فأخبر اللّه تعالى رسوله أنهم هم المبتورون، قاله عكرمة(٥٠١) وشهر بن حوشب.

واختلف في المراد من قريش بقوله ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أبو لهب، قاله عطاء.

الثاني: أبو جهل، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه العاص بن وائل، قاله عكرمة(٥٠٢). واللّه أعلم.

---

(٥٠٠) روح المعاني (٣٠/٢٤٧) فتح القدير (٥/٥٠٢) القرطبي (٢٠/٢١٩).

(٥٠١) وروى البزار بسند صححه ابن كثير (٤/٥٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنه قال قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا (الصابي) المنبتر من قومه يزعم أنه جاء ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية فقال أنتم خير منه فنزلت «إن شانئك هو الأبتر».

(٥٠٢) وقيل هو كعب بن الأشرف كما سبق في التعليق الذي قبله.

سُورَةُ الكَافِرُون

ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿قُل يا أيُّها الكافِرونَ﴾ الآيات، ذكر محمد بن إسحاق أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد. ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى **﴿قل يا أيها الكافرون﴾** فصار حرف الأمر في هذه السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين متلوّاً، لأنها نزلت جواباً، عنى بالكافرين قوماً معينين، لا جميع الكافرين، لأن منهم من آمن، فعبد الله، ومنهم من مات أو قتل على كفره، وهم المخاطبون بهذا القول فمنهم المذكورون.

﴿لا أعْبُدُ ما تَعْبُدونَ﴾ يعني من الأوثان.

﴿ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ﴾ يعني اللّه تعالى وحده، الآيات.

فإن قيل: ما فائدة هذا التكرار؟

قيل: فيه وجهان: أحدهما: أن قوله في الأول «**لا أعبد**» و «**لا تعبدون**» يعني في الحال، وقوله الثاني: يعني في المستقبل، قاله الأخفش.

الثاني: أن الأول في قوله «**لا أعبد**» و«**لا أنتم**» الآية يعني في المستقبل(٥٠٣)، والثاني: إخبار عنه وعنهم في الماضي، فلم يكن ذلك تكراراً لاختلاف المقصود فيهما.

فإن قيل: فلم قال «**ما أَعْبُدُ**» ولم يقل «**من أَعبُدُ**»؟

قيل: لأنه مقابل لقوله: ﴿ولا أنا عابد ماعَبَدْتُم﴾ وهي أصنام وأوثان، ولا يصلح فيها إلا «**ما**» دون «**من**» فحمل الثاني على الأول ليتقابل الكلام ولا يتنافى.

﴿لكم دِينكم ولي دينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لكم دينكم الذي تعتقدونه من الكفر، ولي ديني الذي أعتقده من الإسلام، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لكم جزاء عملكم، ولي جزاء عملي.

وهذا تهديد منه لهم، ومعناه وكفى بجزاء عملي ثواباً، قاله ابن عيسى.

قال ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة، لأنها توحيد وبراءة من الشرك(٥٠٤).

---

(٥٠٣) في هذه الآيات تأكيد واضح لاستقلالية الإيمان وأن العقيدة الإسلامية لا تقبل أنصاف الحلول مطلقاً إذ أن أركان الإيمان وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة على الإطلاق فمن اعتراه ريب أو شك في عقيدته فقد ضل ضلالاً بعيداً ومجرد النطق بكلام الكفر يخرج الشخص عن الإسلام ويحبط عمله الصالح قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ ولو أن شخصاً نوى بقلبه أن يكفر بعد حين فقد ارتد عن الإسلام بمجرد هذه النية ولا يعود إلى الإسلام إلا بعد التبرؤ من كفره ثم الإتيان بالشهادتين ولا ينفعه الإستغفار قبل الشهادتين.

(٥٠٤) كيف لا وقد اشتملت هذه السورة على نوعي التوحيد القولي والعملي ولهذا كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في مناسبات خاصة.

سُورَةُ النَّصرِ

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ (١) وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي
دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا (٢) فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا (٣)

قوله تعالى ﴿إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفتحُ﴾ أما النصر فهو المعونة مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الأرض إذا أعان على نباتها ومنع من قحطها، قال الشاعر(٥٠٥):

إذا انسلَخَ الشهرُ الحرامُ فَودِّعي ... بلادَ تميمٍ وانْصُري أرضَ عامِرِ.

وفي المعنيّ بهذا النصر قولان:

أحدهما: نصر الرسول على قريش، قاله الطبري.

الثاني: نصره على كل من قاتله من أعدائه، فإن عاقبة النصر كانت له.

وقيل: إذا جاء نصره بإظهاره إياك على أعدائك، والفتح: فتحه مكة وقيل المراد حين نصر اللّه المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم. وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزاً للإشعار بأن المقدرات متوجهة(٥٠٦) حين إلى أوقاتها المعينة لها، فتعرف منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره.

---

(٥٠٥) هو الراعي النميري والبيت في اللسان نصر والقرطبي (٢٠/ ٢٣٠) وفتح القدير (٥/ ٥٠٩) وفيه إذا انصرف الشهر الحرام. . .

(٥٠٦) يعني أن الأشياء كانت سابقة في القدر معلومة ومكتوبة وتظهر الى عالم الوجود في أوقاتها التي قدرها الله لها.

وفي هذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، قاله الحسن ومجاهد.

الثاني: فتح المدائن والقصور، قاله ابن عباس وابن جبير، وقيل ما فتحه عليه من العلوم.

﴿ورأيْتَ الناسَ يَدْخُلـون في دِيْـنِ اللّهِ أَفْواجاً﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل اليمن، وروى عن ابن عباس أن النبي(٥٠٧) ﷺ قال: «الدين يمانٍ والفقه يمانٍ والحكمة يمانية» وروي عنه(٥٠٨) عليه السلام أنه قال: إني لأجد نَفَس ربكم مِن قِبل اليمن» وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه الفرج لتتابع إسلامهم أفواجاً.

الثاني: معناه أن اللّه تعالى نفس الكرب عن نبيه بأهل اليمن، وهم الأنصار.

القول الثاني: أنهم سائر الأمم الذين دخلوا في الإسلام، قاله محمد بن كعب.

وقال الحسن: لما فتح اللّه على رسوله مكة، قالت العرب بعضهم لبعض: أيها القوم ليس لكم به ولا بالقوم يد، فجعلوا يدخلون في دين اللّه أفواجاً أمة أمة.

قال الضحاك: والأمة أربعون رجلاً، وقال ابن عباس: الأفواج «الزمر»، وقال الكلبي: الأفواج القبائل.

وروى جابر بن عبد اللّه(٥٠٩) قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إنّ الناس دخلوا في دين اللّه أفواجاً وسيخرجون أفواجاً».

---

(٥٠٧) رواه ابن جرير (٣٣٢/٣٠) ولفظه عن ابن عباس «قال بينا رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قال: «الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن» قيل يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية».

(٥٠٨) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٩ رواه الطبراني في الأوسط ومسند الشاميين من طريق حريز بن عثمان عن شبيب بن روح عن أبي هريرة به في حديث أوله الإيمان يمان ولا باس بإسناده وله شاهد من حديث سلمة بن نفيل السكوني في مسند البزار والطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦٢ وفي إسناده إبراهيم بن سليمان الأفطس قال البزار إنه غير مشهور والراوي عنه عبد الله بن سالم الحمصي وكان أبو داود يذمه.

(٥٠٩) رواه أحمد (٣٤٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٦٦٤/٨) نسبته لابن مردويه.

«أفواجاً» جماعات كثيفة كأهـل مكة والـطائف واليمن وهوازن وقبـائل سـائر العرب.

«يدخلون» حال، على أن «رأيت»بمعنى أبصرت، أو مفعول ثان على أن رأيت بمعنى علمت.

﴿فسبّحْ بحْمد ربِّك واسْتَغْفِره إنه كان توّاباً﴾ في أمره بهذا التسبيح والاستغفار وجهان: أحدهما: أنه أراد بالتسبيح الصلاة، قاله ابن عباس، وبالاستغفار مـداومة الذكر.

الثاني: أنه أراد صريح التسبيح، الذي هو التنزيه والاستغفار من الذنوب.

روت عائشة قالت[٥١٠]: كان رسول اللَّه ﷺ بعد نـزول هذه الآيـة يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، فقلت: يا رسول اللَّه ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها؟ فقال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها».

وفي قوله ﴿إنه كان توّاباً﴾ وجهان:

أحدهما: قابل التوبة.

والثاني: متجاوز عن الصغائر.

وفي أمره بهذا بعد النصر والفتح وجهان:

أحدهما: ليكون ذلك منه شكراً للَّه تعالى على نعمه، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر.

الثاني: أنه نعى إليه نفسه، ليجد في عمله.

قال ابن عباس: وداعٌ من اللَّه، ووداعٌ من الدنيا، فلم يعـش بعدها إلا سنتين مستديماً التسبيح والاستغفار كما أُمِرَ، وكان قد لبث أربعين سنة لم يـوح إليه، ورأى رؤيا النبوة سنتين، ومات في شهر ربيع الأول وفيه هاجر.

وقال مقاتل[٥١١]: نزلت هذه السورة بعـد فتح الـطائف، والفتح فتـح مكة،

---

(٥١٠) رواه ابن جرير (٣٠/٣٣٢، ٣٣٣) واللفظ له والبخاري مختصراً (٨/٥٦٤) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٦٣) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه وله ألفاظ كثيرة متقاربة فراجعها في الـدر (٨/٦٦٣، ٦٦٤).

(٥١١) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٩ ذكره الثعلبي عن مقاتل وأسنده إليه دون الكتاب.

والناس أهل اليمن، وهي آية موت النبي ﷺ فلما نزلت قرأها على أبي بكر وعمر ففرحا بالنصر وبدخول الناس أفواجاً في دين اللّٰه عز وجل، وسمعها العباس فبكى، فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عم؟» فقال: نعيت إليك نفسك، قال: إنه لكما تقول.».

وهذه السورة تسمى التوديع، عاش النبي بعدها حولاً على قول مقاتل، وحولين(٥١٢) على قول ابن عباس، ثم حج رسول اللّٰه ﷺ من قابل، فنزل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ الآية، فعاش بعدها ثمانين يوماً، ثم نزلت «**لقد جاءكم رسول**» فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً، ثم نزلت﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّٰه**﴾فعاش بعدها واحداً وعشرين يوماً.

وقال مقاتل: عاش بعدها(٥١٣) سبعة أيام، واللّٰه أعلم وصلوات اللّٰه عليه متتابعة لا تنقطع على مر الأزمان وكر الأوان، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

(٥١٢) وهذه الأقوال كلها فيها نظر فإن هذه السورة نزلت في حجة الوداع وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه في ربيع الأول من السنة الثالثة.

(٥١٣) أي بعد نزول هذه الآية وهي قوله ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾.

سُورَةُ المَسَد

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿**تبّتْ يدا أبي لهب**﴾ اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب[٥١٤] أتى النبي ﷺ فقال: ماذا أُعطَى إن آمنتُ بك يا محمد؟ قال: ما يعطَى المسلمون، قال: ما عليهم فضل؟ قال: وأي شيء تبتغي؟ قال: تبًّا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل اللَّه فيه: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾.

الثاني: ما رواه ابن عباس أنه لما نزل[٥١٥] ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ أتى رسول اللَّه ﷺ الصفا فصعد عليها، ثم نادى يا صباحاه! فاجتمع الناس إليه، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ قالوا:

---

(٥١٤) رواه الطبري (٣٠/٣٣٦).

(٥١٥) رواه البخاري (٨/٦٠٩) ومسلم (١/١٩٤) بمعناه والطبري (٣٠/٣٣٦) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٦٦) نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأبي نعيم.

نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبّا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟! فأنزل اللّه تعالى هذه السورة.

الثالث: ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان أنه كان[٥١٦] إذا وفد على النبي ﷺ وفْدٌ انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول اللّه ويقولون: أنت أعلم به، فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر، فيرجعون عنه ولا يلقونه، فأتاه وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب: إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبًّا له وتعساً، فأخبر بذلك النبي ﷺ فاكتأب له، فأنزل اللّه تعالى «تَبّتْ» السورة، وفي «تبّتْ» خمسة أوجه:

أحدها: خابت، قاله ابن عباس.

الثاني: ضلّت، وهو قول عطاء.

الثالث: هلكت، قاله ابن جبير.

الرابع: صفِرت من كل خير، قاله يمان بن رئاب.

حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قتل عثمان بن عفان سمع الناس هاتفاً يقول[٥١٧]:

لـقـد خـلّوْك وانـصـدعـوا فـمـا آبـوا ولا رجـعـوا
ولـم يـوفـوا بـنـذرِهـمُ فـيـا تـبًّـا لـمـا صَـنـعـوا

والخامس: خسرت، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

تـواعَدَنـي قـوْمي ليَسْعَـوْا بمهجتي بـجـاريـة لـهـم تَـبًّـا لـهـم تـبًّـا.

وفي قوله ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: يعني نفس أبي لهب، وقد يعبر عن النفس باليد كما قال تعالى ﴿**ذلك بما قدمت يداك**﴾ أي نفسك.

الثاني: أي عمل أبي لهب، وإنما نسب العمل إلى اليد لأنه في الأكثر يكون بها.

---

(٥١٦) ذكره القرطبي (٢٠/٢٣٥).

(٥١٧) وهو قول عبد الله بن كثير أخرجه عنه الفاكهي كما أفاده الحافظ في الفتح (٨/٦٠٩).

وقيل إنه كني أبا لهب لحُسنه[٥١٨] وتلهّب وجنته، وفي ذكر اللّه له بكنيته دون اسمه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه.

الثاني: لأنه كان مسمى بعبد هشم، وقيل إنه عبد العزى فلذلك عدل عنه.

الثالث: لأن الاسم أشرف من الكنية، لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره، ولذلك دعا اللّه أنبياءه بأسمائهم.

وفي قوله ﴿وتَبَّ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه تأكيد للأول من قوله ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ فقال بعده «وتب» تأكيداً.

الثاني: يعني تبت يدا أبي لهب بما منعه اللّه تعالى من أذى لرسوله، وتب بما له عند اللّه من أليم عقابه.

الثالث: يعني قد تبّ، قاله ابن عباس.

الرابع: يعني وتبّ ولد أبي لهب، قاله مجاهد.

وفي قراءة ابن مسعود: تبت يدا أبي لهبٍ وقد تب، جعله خبراً، وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول.

وفيما تبت عنه يدا أبي لهب وجهان:

أحدهما: عن التوحيد، قاله ابن عباس.

الثاني: عن الخيرات، قاله مجاهد.

﴿ما أَغْنَى عَنْه مالُه وما كَسَب﴾ في قوله «ما أغنى عنه» وجهان:

أحدهما: ما دفع عنه.

الثاني: ما نفعه، قاله الضحاك.

وفي ﴿مالُه﴾ وجهان:

أحدهما: أنه أراد أغنامه، لأنه كان صاحب سائمة، قاله أبو العالية.

الثاني: أنه أراد تليده وطارفه، والتليد: الموروث، والطارف: المكتسب.

وفي قوله ﴿وما كَسَبَ﴾ وجهان:

(٥١٨) قال الحافظ في الفتح (٦٠٩/٨) ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه.

أحدهما: عمله الخبيث، قاله الضحاك.

الثاني: ولده، قاله ابن عباس.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أولادكم من كسبكم[٥١٩]».

وكان ولده عتبة بن أبي لهب مبالغاً في عداوة النبي ﷺ كأبيه، فقال حين نزلت ﴿والنجم إذا هوى﴾ كفرت بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، وتفل في وجه رسول اللّه ﷺ إلى الشام، فقال رسول اللّه ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فأكله الأسد[٥٢٠].

وفيما لم يغن عنه ماله وما كسب وجهان:

أحدهما: في عداوته النبي ﷺ.

الثاني: في دفع النار عنه يوم القيامة.

﴿سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾ في سين سيصلى وجهان:

أحدهما: أنه سين سوف.

الثاني: سين الوعيد، كقوله تعالى. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ و﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا﴾.

وفي ﴿يَصْلَى﴾ وجهان:

أحدهما: صلي النار، أي حطباً ووقوداً، قاله ابن كيسان.

الثاني: يعني تُصليه النار، أي تنضجه، وهو معنى قول ابن عباس، فيكون على الوجه الأول صفة له في النار، وعلى الوجه الثاني صفة للنار.

وفي ﴿ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها، لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها.

الثاني: ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده.

وهذه الآية تشتمل على أمرين:

---

(٥١٩) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً أوله.. إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن... الحديث.

رواه أبو داود ٣٥٢٨ والترمذي ١٣٥٨ والنسائي (٧/٢٤١) وصححه الشيخ الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١٠/٥٧٠).

(٥٢٠) ورد هذا في السيرة بألفاظ متقاربة.

أحدهما: وعيد من الله حق عليه بكفره.

الثاني: إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره، وكان خبره صدقاً، ووعيده حقاً.

﴿وامـرأتـهُ حَمّالةَ الحَـطَبِ﴾ وهي أم جميل بنت حـرب بن أمية أخت أبي سفيان.

وفي ﴿حمالة الحطب﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي ﷺ ليلاً، قاله ابن عباس[٥٢١].

الثاني: أنها كانت تعيِّر رسول اللَّه ﷺ بالفقر، فكان يحتطب فعيرت بأنها كانت تحتطب، قاله قتادة.

الثالث: أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمـة، قالـه الحسن والسدي فسمي الماشي بالنميمة حمال الحطب لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب، قال الشاعر[٥٢٢]:

إنّ بـني الأدْرَمِ حَـمّـالـو الـحَـطَبْ   هم الـوُشاةُ في الـرِّضا وفي الغَضَبْ.
عليهمُ اللعْنةُ تَتْرى والحرَبْ.

وقال آخر[٥٢٣]:

مِنَ البِيضِ لم تُصْطَدْ على ظهر لأمـةٍ   ولم تَمـشِ بَيْن الحيّ بالحَطَب والرطْبِ.

الرابع: أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول اللَّه ﷺ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار.

﴿في جِيدِها حَبْل مِنْ مَسَدِ﴾ جيدها: عنقها.

وفي ﴿حبل من مسد﴾ سبعة أقاويل:

أحدها: أنه سلسلة من حديد، قاله عروة بن الزبير، وهي التي قال اللَّه تعالى فيها: ﴿ذرعها سبعون ذراعاً﴾ قال الحسن: سميت السلسلة مسداً لأنها ممسودة، أي مفتولة.

---

(٥٢١) رواه ابن جرير (٣٠/٣٣٨) وزاد السيوطي (٨/٦٦) نسبته للبيهقي في الدلائل وابن عساكر وسنده ضعيف.

(٥٢٢) القرطبي (٢٠/٢٣٩) فتح القدير (٥/٥١٢) روح المعاني (٣٠/٢٦٣).

(٥٢٣) القرطبي (٢٠/٢٣٩) فتح القدير (٥/٥١٢) روح المعاني (٣٠/٢٦٣).

الثاني: أنه حبل من ليف النخل، قاله الشعبي، ومنه قول الشاعر:

أعـوذ بـالـلّه مِن لَـيْـل يُـقـرّبني إلى مُضاجعةٍ كـالـدَّلْـكِ بـالمَسَـدِ.

الثالث: أنها قلادة من ودع، على وجه التعيير لها، قاله قتادة.

الرابع: أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها، قاله الحسن، ذكرت به على وجه التعيير أيضاً.

الخامس: أنها قلادة من جوهر فاخر، قالت لأنفقنها في عداوة محمد، ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة.

السادس: أنه إشارة إلى الخذلان، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد.

السابع: أنه لما حملت أوزار كفرها صارت كالحاملة لحطب نارها التي تصلى بها.

روى الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر(٥٢٤) أنه لما نزلت «تبت يدا» في أبي لهب وامرأته أم جميل أقبلت ولها ولولة وفي يدها قهر وهي تقول:

مُـذَمَّـمـاً عَـصَـيْـنَـا وأَمْـرَهُ أَبَـيْـنـا

ودِينَه قَلَيْنا.

ورسول اللّه ﷺ في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول اللّه قد أقبلت وإني أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: **﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾** فأقبلت على أبي بكر، ولم تر رسول الله، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا ورب هذا البيت، ما هجاك، فولت فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مذمم، وانصرفت.

---

(٥٢٤) رواه الحميدي (١/٣٢٣) واللفظ له وأبو يعلى وابن أبي حاتم كما في الفتح (٨/٦١٠) من حديث أسماء بنت أبي بكر ورواه الحاكم (٢/٣٦١) من حديثها مختصراً. قال الهيثمي بعدما ساقه رواه أبو يعلى وفيه تدرس جد أبي الزبير ولم أعرفه» أهـ قال العلامة الأعظمي في تخريجه على الحميدي (١/١٥٥) قلت وتدوس تصحيف والصواب تدرس ولا يطمئن القلب بأنه فيه تدرس جد أبي الزبير بل فيه ابن تدرس وهو أبو الزبير نفسه نسب إلى جده وقال الحافظ في الفتح (٧/١١٧) رواه أبو يعلى بإسناد حسن وتدرس ومسلم بن تدرس والد أبي الزبير لم أجدهما فيما عندي من كتب الرجال.

سورة الإخلاص

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اختلف في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ هذا اللّه خَلَق الخلْق، فمن خلَقَ اللّه؟ فنزلت هذه السورة جواباً لهم، قاله قتادة.

الثاني(٥٢٥): أن مشركي قريش قالوا لرسول اللّه ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل اللّه هذه السورة، وقال: يا محمد انسبني إلى هذا، وهذا قول أُبي بن كعب.

الثالث: ما رواه أبو روق عن الضحاك أن المشركين(٥٢٦) أرسلوا عامر بن

(٥٢٥) وهذا القول هو المشهور.

(٥٢٦) رواه أحمد (٥/١٣٣) والترمذي (٢/١٧٢) والطبري (٣٠/٣٤٢) من حديث ابن سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف ورواه الحاكم (٣/٥٤٠) من حديث ابن سعد الصغاني به وصححه ووافقه الذهبي.

وأورده السيوطي في الدر (٨/) وزاد نسبته للبخاري في تاريخه وابن خزيمة وابن أبي حاتم في السنة

الطفيل إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا: قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك، فإن كنت فقيراً أغنيناك وإن كنت مجنوناً داويناك، وإن هويت امرأة زوجناكها، فقال رسول اللّه ﷺ : لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة، أنا رسول اللّه إليكم، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته، فأرسلوه ثانية وقالوا له: قل له بيّن لنا جنس معبودك، فأنزل اللّه هذه السورة، فأرسلوه ثالثة وقالوا: قل له لنا ثلاثمائة وستون صنماً لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم إله واحِد بحوائج الخلق كلهم؟ فأنزل اللّه سورة الصافات إلى قوله ﴿إن إلهاكم لواحد﴾ يعني في جميع حوائجكم، فأرسلوه رابعة وقالوا: قل له بيّن لنا أفعال ربك، فأنزل اللّه تعالى: ﴿إن ربكم اللّه الذي خلق السموات والأرض﴾ الآية، وقوله ﴿الذي خلقكم ثم رزقكم﴾.

﴿قل هو اللّه أحد﴾ خرج مخرج جواب السائل عن اللّه تعالى، فقال لرسوله ﷺ ﴿قل هو اللّهُ أحَدٌ﴾ والأحد: هو المتفرد بصفاته الذي لا مِثل له ولا شبه.

فإن قيل: فلم قال«أحَدٌ» على وجه النكرة، ولم يقل الأحَدُ؟ قيل عنه جوابان:

أحدهما: أنه حذف لام التعريف على نية إضمارها فصارت محذوفة في الظاهر، مثبتة في الباطن، ومعناه قل هو اللّه الأحد.

الثاني: أنه ليس بنكرة، وإنما هو بيان وترجمة، قاله المبرد.

فأما الأحد والواحد ففيهما وجهان:

أحدهما: أن الأحد لا يدخل العدد، والواحد يدخل في العدد، لأنك تجعل للواحد ثانياً، ولا تجعل للأحد ثانياً.

الثاني: أن الأحد يستوعب جنسه، والواحد لا يستوعب، لأنك لو قلت فلان لا

والبغوي في معجمه وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات عن أُبي بن كعب.

ورواه الترمذي (١٧٢/٢) عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية مرسلاً ولم يذكر فيه أبيّ بن كعب وقال هذا أصح من حديث ابن سعد الصغاني ورواه الطبري (٣٤٣/٣) عن محمد بن عوف عن شريح عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر، ومجالد ليس بالقوي وذكره ابن كثير (٥٦٥/٤) من رواية أبي يعلى من طريق مجالد عن الشعبي به وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٦/٧) من رواية الطبراني في الأوسط وأبي يعلى وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً وابن مسعود راجع تفسير ابن كثير (٥٦٦/٤) وحديث جابر حسنه السيوطي في الدر (٦٦٩/٨).

يقاومه أحد، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر، فصار الأحد أبلغ من الواحد.

وفي تسميتها بسورة الإخلاص ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله.

الثاني: لأن فيها إخلاص لله من كل عيب ومن كل شريك وولد، قاله عبد الله ابن المبارك.

الثالث: لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الصمد المصمت الذي لا جوف له، قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير، قال الشاعر:

شِهابُ حُروب لا تَزالُ جيادُه عوابسَ يعْلُكْنَ الشكيمَ المُصَمَّدا

الثاني: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي.

الثالث: أنه الباقي الذي لا يفنى، قاله قتادة، وقال الحسن: إنه الدائم الذي لم يزل ولا يزال.

الرابع: هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله محمد بن كعب.

الخامس: أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٥٢٧):

ألا بكّر الناعي بخيَريْ بني أسدْ بعمرِو بن مَسعودٍ وبالسيّد الصَّمَد.

السادس: أنه السيد الذي قد انتهى سؤدده(٥٢٨)، قاله أبو وائل وسفيان وقال الشاعر(٥٢٩):

عَلوْتُه بحُسامٍ ثم قلت له خُذْها حُذَيْفَ فأنت السيّد الصَّمَدُ.

السابع: أنه الكامل الذي لا عيب فيه، قاله مقاتل، ومنه قول الزبرقان:

ساروا جَميعاً بنصْفِ الليلِ واعْتَمدوا ألّا رهينةَ إلا السيّدُ الصَمَدُ.

---

(٥٢٧) هو سبرة بن عمرو الأسدي والبيت في مجاز القرآن (٢/٣١٦) والسمط (٩٣٣) والطبري (٣٠/٣٤٧) والقرطبي (٢٠/٢٤٥) وفتح القدير (٥/٥١٦) واللسان (صمد) وروح المعاني (٣٠/٢٧٣) وفتح الباري (٨/٦١٢).

(٥٢٨) وقد ورد عن ابن عباس رواه الطبري (٣٠/٣٤٦).

(٥٢٩) اللسان «صمد» فتح القدير (٥/٥١٦) القرطبي (٢٠/٢٤٥) روح المعاني (٣٠/٢٧٣).

الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب، والمستغاث به في المصائب، قاله السدي.

التاسع: أنه المستغني عن كل أحد قاله أبو هريرة.

العاشر: أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، قاله الحسين بن فضيل.

﴿لم يَلِدْ ولم يُولَدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يلد فيكون والداً، ولم يولد فيكون ولداً، قاله ابن عباس.

الثاني: لم يلد فيكون في العز مشاركاً، ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً، قاله الحسين بن فضيل.

وإنما كان كذلك لأمرين:

أحدهما: أن هاتين صفتا نقص فانتفتا عنه.

الثاني: أنه لا مثل له، فلو وَلَد أو وُلِدَ لصار ذا مثل، والله تعالى منزه عن أن يكون له مثل.

﴿ولم يَكُن له كُفُواً أَحَدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يكن له مثل ولا عديل، قاله أبي بن كعب وعطاء.

الثاني: يعني لم تكن له صاحبة، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه لا يكافئه في خلقه أحد، قاله قتادة وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحدٌ كُفواً، فقدم خبر كان على اسمها لتنساق أواخر الآي على نظم واحد.

سُورَةُ الفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

وهذه والناس معوذتا رسول الله ﷺ حين سحرته اليهود[٥٣٠]، وقيل إن المعوذتين كان يقال لهما «المقشقشتان» أي مبرئتان من النفاق، وزعم ابن مسعود أنهما[٥٣١] دعاء تعوذ به وليستا من القرآن، وهذا قول خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت[٥٣٢].

﴿قُلْ أَعُوذُ بربِّ الفَلَقِ﴾ فيه ستة تأويلات:

---

(٥٣٠) وهو مشهور بحديث السحر وقد تقدم تخريجه في سورة البقرة والكلام عليه.

(٥٣١) رواه البزار كما في الفتح (٦١٥/٨) وقال البزار ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة ثم ذكر الحافظ رحمه الله ما يؤيد كلام البزار فراجعه فإنه مهم.

(٥٣٢) وقد أول بعض العلماء ما جاء عن ابن مسعود راجع الفتح (٦١٥/٨).

أحدها: أن الفلق سجن في جهنم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن.

الثالث: أنه الخلق كله، قاله الضحاك.

الرابع: أنه فلق الصبح(٥٣٣)، قاله جابر بن عبد الله ومنه قول الشاعر(٥٣٤):

يا ليلةً لم أَنَمْها بِتُّ مُرْتفقا أرعى النجومَ إلى أنْ نوَّرَ الفَلَقُ.

الخامس: أنها الجبال والصخور تنفلق بالمياه.

السادس: أنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره، قاله الحسن.

ولأصحاب الغوامض أنه فلق القلوب للأفهام حتى وصلت إليها ووصلت فيها، وأصل الفلق الشق الواسع، وقيل للصبح فلق لفلق الظلام عنه كما قيل له فجر لانفجار الضوء منه.

﴿مِن شَرِّ ما خَلَق﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن شر ما خلق جهنم، قاله ثابت البناني.

الثاني: إبليس وذريته، قاله الحسن.

الثالث: من شر ما خلق في الدنيا والآخرة، قاله ابن شجرة.

وفي هذا الشر وجهان:

أحدهما: أنه محمول على عمومه في كل شر.

الثاني: أنه خاص في الشر الذي يستحق المصاب به الثواب.

﴿ومن شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني الشمس إذا غربت، قاله ابن شهاب.

الثاني: القمر إذا ولج أي دخل في الظلام.

روى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة(٥٣٥) أنها قالت: أخذ رسول الله

---

(٥٣٣) وهو الصواب وقد اختاره الطبري (٣٥١/٣٠) والبخاري في صحيحه (٦١٣/٨) وابن كثير (٧٣/٤).

(٥٣٤) القرطبي (٢٥٤/٢٠) فتح القدير (٥١٩/٥).

(٥٣٥) رواه الترمذي (١٧٢/٢) وصححه وأحمد (٦١/٦) والطبري (٣٥٢/٣٠) والحاكم (٥٤٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٨/) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه وحسنه الحافظ في الفتح (٦١٣/٨) وهذا القول هو الصواب لأن الأثر يدل عليه.

ﷺ بيدي ثم نظر إلى القمر فقال: يا عائشة تعوذي بالله من شر غاسقٍ إذا وقب، وهذا الغاسق إذا وقب.

الثالث: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها، والهوام من مكامنها ويبعث أهل الشر على العبث والفساد، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي، قال الشاعر(٥٣٦):

يا طيْفَ هِنْدٍ لقد أبقيْتَ لي أرَقا إذ جِئْتَنا طارِقاً والليلُ قد غَسَقا.

وأصل الغسق الجريان بالضرر، مأخوذ من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها، والغسّاق: صديد أهل النار، لجريانه بالعذاب وغسقت عينه إذا جرى دمعها بالضرر في الحلق.

فعلى تأويله أنه الليل في قوله «إذا وقب» أربعة تأويلات:

أحدها: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

الثاني: إذا دخل، قاله الضحاك.

الثالث: إذا ذهب، قاله قتادة.

الرابع: إذا سكن، قاله اليمان بن رئاب.

﴿ومِن شَرِّ النَّفّاثاتِ في العُقَدِ﴾ قال أهل التأويل: من السواحر ينفثن في عقد الخيوط للسحر، قال الشاعر(٥٣٧):

أعوذ بربي من النافثا تِ في عِضَه العاضه المعْضِه.

وربما فعل قوم في الرقى مثل ذلك، طلباً للشفاء، كما قال متمم بن نويرة(٥٣٨):

نَفَثْت في الخيط شبيه الرُّقَى من خشيةِ الجِنَّة والحاسِدِ.

وقد روى الحسن عن أبي هريرة عن النبي(٥٣٩) ﷺ أنه قال: من عقد عقدة ثم

(٥٣٦) القرطبي (٢٠/٢٥٦).

(٥٣٧) اللسان «عضه» القرطبي (٢٠/٢٥٧): .

(٥٣٨) القرطبي (٢٠/٢٥٧) فتح القدير (٥/٥٢٠).

(٥٣٩) رواه ابن مردويه كما في الدر (٨/٦٩٠) ولم يذكر القول الأخير ومن تعلقه.

نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلّق شيئاً وكل إليه، والنفث: النفخ في العقد بلا ريق، والتفل: النفخ فيها بريق، وفي ﴿شر النفاثات في العقد﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه إيهام للأذى(٥٤٠) وتخيل للمرض من غير أن يكون له تأثير في الأذى والمرض، إلا استشعار ربما أحزن، أو طعام ضار ربما نفذ بحيلة خفية.

الثاني: أنه قد يؤذى بمرض لعارض ينفصل فيتصل بالمسحور فيؤثر فيه كتأثير العين، وكما ينفصل من فم المتثائب ما يحدث في المقابل له مثله.

الثالث: أنه قد يكون ذلك بمعونة من خدم الجن يمتحن اللّه بعض عباده.

فأما المروي من سحر النبي ﷺ فقد أثبته أكثرهم(٥٤١)، وأن قوماً من اليهود(٥٤٢) سحروه وألقوا عقدة سحره في بئر حتى أظهره اللّه عليها.

روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي(٥٤٣) ﷺ اشتكى شكوى شديدة، فبينا هو بين النائم واليقظان إذا ملكان أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما: ما شكواه؟ فقال الآخر: مطبوب، (أي مسحور، والطب: السحر) قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي فطرحه في بئر ذروان تحت صخرة فيها، فبعث رسول اللّه ﷺ عمار بن ياسر فاستخرج السحر منها، ويروى أن فيه إحدى عشرة عقدة، فأمر بحل العقد، فكان كلما حل عقدة وجد راحة، حتى حلت العقد كلها، فكأنما أنشط من عقال، فنزلت عليه المعوذتان، وهما إحدى عشرة آية بعدد العقد، وأمر أن يتعوذ بهما.

وأنكره آخرون، ومنعوا منه في رسول اللّه ﷺ وإن صح في غيره، لما في استمراره عليه من خبل العقل، وأن اللّه تعالى قد أنكر على من قال في رسوله حيث يقول: ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾.

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ أما الحسد فهو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، والمنافسة(٥٤٤) هي تمني مثلها وإن لم تزل، فالحسد شر

---

(٥٤٠) وهذا أشبه بقول المعتزلة الذين يقولون أن السحر تخيل لا حقيقة له وقد تكلمنا على ذلك في سورة البقرة فراجعه.

(٥٤١) لكن هذا لم يؤثر على عقل رسول الله ﷺ ولم يتعد الجسد الشريف.

(٥٤٢) والذي فعله من اليهود هو لبيد بن الأعصم وسيأتي ذكره في الحديث الآتي.

(٥٤٣) وهي رواية عن ابن عباس رواها ابن مردويه كما في الدر (٦٨٧/٨).

(٥٤٤) وهي ما تسمى بالغبطة.

مذموم، والمنافسة رغبة مباحة، وقد روي أن النبي ﷺ قال(٥٤٥): المؤمن يغبط والمنافق يحسد.

وفي الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد وجهان:

أحدهما: من شر نفسه وعينه، فإنه ربما أصاب بها فعان وضر، والمعيون المصاب بالعين، وقال الشاعر:

قد كان قومُك يَحْسبونك سيِّدا ... وإخال أنك سيدٌ مَعْيونُ.

الثاني: أن يحمله فرط الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فإنه يتبع المساوىء ويطلب العثرات، وقد قيل إن الحسد(٥٤٦) أول ذنب عصي اللّه به في السماء والأرض فحسد إبليس آدم حتى أخرجه من الجنة، وأما في الأرض فحسد قابيل بن آدم لأخيه هابيل حتى قتله، نعوذ باللّه من شر ما استعاذنا منه.

وافتتح السورة بـ«قُلْ» لأن اللّه تعالى أمر نبيه أن يقولها، وهي من السورة لنزولها معها، وقد قال بعض فصحاء السلف: احفظ القلاقل، وفيه تأويلان:

أحدهما: قل «قل» في كل سورة ذكر في أوائلها لأنه منها.

والثاني: احفظ السورة التي في أولها «قل» لتأكيدها بالأمر بقراءتها.

---

(٥٤٥) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

(٥٤٦) وقد ورد نحوه من قول جنادة بن أبي أمية رواه أبو الشيخ في التوبيخ رقم ٦٩، ٨٣ وسنده صحيح.

سُورَةُ النَّاسِ

ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ
﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ أعوذُ بِربِّ النّاسِ﴾ وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان ربّاً لجميع الخلق لأمرين:

أحدهما: لأن الناس معظمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا.

الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يُعيذ منهم.

﴿مَلِكِ النّاسِ * إلَهِ النّاسِ﴾ لأن في الناس ملوكاً، فذكر أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم.

﴿مِن شَرِّ الوَسْواسِ الخَنّاسِ﴾ الخّناس هو الشيطان، وفي تسميته بذلك وجهان: أحدهما: لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى:

﴿فلا أُقْسِمُ بالخُنَّس﴾ يعني النجوم لاختفائها بعد الظهور.

الثاني: لأنه يرجع عن ذكر الله، والخنس الرجوع، قال الراجز[(٥٤٧)]:

وصاحب يَمْتَعِسُ امْتِعاسا يزدادُ من خَنَسِهِ خناسا.

(٥٤٧) القرطبي (٢٠/٢٦٢) وفيه يزداد من خنسه.

وأما «الوسواس» ها هنا ففيه وجهان:

أحدهما: أنه الشيطان لأنه يوسوس للإنسان، وقد روى ابن جبير عن ابن عباس[٥٤٨] في قوله«الوسواس الخناس» قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر اللّه تعالى خنس، فعلى هذا يكون في تأويل الخناس وجهان:

أحدهما: الراجع بالوسوسة على الهوى.

الثاني: أنه الخارج بالوسوسة في اليقين.

الوجه الثاني: أنه وسواس الإنسان من نفسه، وهي الوسوسة التي يحدث بها نفسه.

وقد روي عن النبي[٥٤٩] ﷺ أنه قال: إنّ اللّه تعالى تجاوز لأمتي عما وسوست به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به.

﴿الذي يُوسْوِسُ في صُدورِ النّاسِ﴾ وسوسة الشيطان هي الدعاء إلى طاعته بما يصل إلى القلب من قول متخيل، أو يقع في النفس من أمر متوهم ومنه الموسوس إذا غلب عليه الوسوسة، لما يعتريه من المسرة، وأصله الصوت الخفي، قال الأعشى[٥٥٠]:

تسمع للحلْي وسواساً إذا انصرفت   كما استعان بريح عشرق زجل.

﴿من الجِنّة والنّاسِ﴾ أما وسواس الجنة فهو وسواس الشيطان على ما قدمناه، وأما وسواس الناس ففيه وجهان:

أحدهما: أنها وسوسة الإنسان من نفسه، قاله ابن جريج.

الثاني: أنه إغواء من يغويه من الناس.

قال قتادة: إن من الإنس شياطين، وإن من الجن شياطين، فنعوذ باللّه من شياطين الإنس والجن.

---

(٥٤٨) رواه ابن جرير (٣٠/٣٥٥) وزاد في الدر (٨/٦٩٤) نسبته لابن أبي شيبة وابن مردويه.

(٥٤٩) رواه مسلم (١/١١٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا.

(٥٥٠) اللسان وسس ديوانه: ١٣١.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس[٥٥١] أن النبي ﷺ كان يعوّذ حسناً وحسيناً فيقول: أعيذكما بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عْينٍ لامّةٍ، ونحن نستعيذ باللَّه مما عوذ ونستمده جميل ما عوّد.

وفقنا اللَّه وقارئه لتدبر ما فيه وتفهم معانيه، فيه توفيقنا وعليه توكلنا، والحمد للَّه وحده وكفى، وصلواته على رسوله محمد المصطفى، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.

---

(٥٥١) رواه البخاري (٢٩٣/٦) والترمذي (٢٠٦١).
وأبو داود (٤٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهرس المجلد الأول

سورة آل عمران

سورة النساء

فهرس المجلد الثاني

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

فهرس المجلد الثالث

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سوف الكهف

سورة طه

سورة الأنبياء

فهرس المجلد الرابع

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

فهرس المجلد الخامس

سورة يسٓ

سورة الصافات

سورة صٓ

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة قٓ

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

فهرس المجلد السادس

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة التين

سورة العلق

سورة القدر

سورة البينة

سورة الزلزلة

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

سورة العصر

سورة الهمزة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الماعون

سورة الكوثر

سورة الكافرون

سورة النصر

سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس